غطرسة القوة

عالم ريتشارد نيكسون السري

آنطوني سَمرز

تعريب : د. محمد توفيق البجيرمي

مكتبة العبيكان

Original title:
THE ARROGANCE OF POWER
The Secret World of Richard Nixon

الرياض 11452، المملكة العربية السعودية، شمال طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة، ص.ب. 6672
Obeikan Publishers, North King Fahd Road, P.O.Box 6672, Riyadh 11452, Saudi Arabia
الطبعة العربية الأولى 1423 هـ ـ 2003م
ISBN 9960-40-675-8

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سَمَرز، أنتوني
غطرسة القوة: عالم ريتشارد نيكسون السري ـ تعريب: محمد توفيق البجيرمي
1168 ص، 17 × 24 سم
ردمك: ISBN 9960-40-675-8
1 ـ نيكسون، ريتشارد، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية
أ ـ البجيرمي، محمد توفيق (تعريب)   ب ـ العنوان
ديوي 1، 923   23 ـ 1752   رقم الإيداع: 1752 ـ 23
ردمك: ISBN 9960-40-675-8

الطبعة الأولى 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

قبل عشرة أعوام، وأثناء حديث ليلي متأخر عن الكتابة الاستقصائية، اقترح علي نورمان ميللر أن أتناول قصة ريتشارد نيكسون وَوُوترغيت. فلم أكد أعير هذا الموضوع اهتماماً حتى توفي نيكسون سنة 1994. فأذهلني عندئذٍ أن معظم التعليقات العامة بدت مبجِّلةً لذكرى أول رئيس أمريكي يستقيل بطريقة مخزية (حتى وإن أُخِذَتْ بالحسبان مسألة احترام الموتى). كان هناك شيء ما في غير محله. فمن كان هذا الرجل الذي وضع فيه الملايين من الناس ثقتهم، فخان هذه الثقة، ومع ذلك حقّق انبعاثاً سياسياً مرة بعد أخرى؟ في إحدى المقابلات قال عنه أحد الناس الذين عرفوه أكثر من معظم الآخرين، وهو جون إيرليكمان ـ في مقابلة تصادف أنها جرت مع ميلر ـ إن كتابة سيرة حياة نيكسون هي أصعب مهمة يستطيع أن يتصورها. وفيما بعد أخبرني إيرليكمان أنه يأمل في «تاريخ أكثر صلابة لتلك الفترة، تاريخ يساعد أطفالنا على الفهم والتحرك إلى الأمام». ولقد كان مساعد الرئيس على حق في صعوبات هذه المهمة، لأن البطل الرئيسي فيها متملص مراوغ محيّر، والأدلة مبعثرة، ومدفونة دفناً عميقاً أحياناً. وفي هذا الكتاب حاولت أن أصل إلى حقيقة نيكسون. من ولادته كنكرة مغمورة في كاليفورنيا، إلى سقوطه من ذروة سلطة الرئاسة، وأن أتوصل إلى شيء يقرب من ذلك «التاريخ الصلب».

أ.س.

توطئة استهلالية

عندما مات نيكسون، فكرت في مقولة شكسبير عن الشر الذي يفعله الرجال فيعيش بعدهم، وعن الخير الذي يدفن مع عظامهم. أمّا في حالة نيكسون فإن العكس كان هو الذي يحدث: كانوا يريدون الخير أن يستمر في العيش، والشر أن يُدْفَن.

جون روثمان، مؤيد لنيكسون لزمن طويل، 1996

نيسان 1994. على سفح تل في كاليفورنيا الجنوبية تفقد رجلان ساعتيهما. كان واحد منهما أكبر من الآخر بكثير، ثم خرجا من مأواهما إلى المطر. كان قد مضى عليهما في الانتظار ما يقرب من ساعة. وبينما انزلقت إلى مجال النظر قافلة جنائزية من سيارات الليموزين، شطرت الغيومَ قصفةُ رعد. فقال الرجل العجوز:

«ذلك هو الرب، يرحب بالرئيس في بيته ذي المنازل الكثيرة». فرد صاحبه: «أتدري ما الذي أسمعه في ذلك الصوت؟ يخيل إليّ أنه الرجل العجوز جاء يقول: أيها الربّ، إنني هنا، إن كنتَ بحاجة إلى أيّة مساعدة؟».

كانت تلك لحظة خفة نادرة في يوم من العواطف الشديدة والذكريات الكاوية اللافحة. وكان بيلي غراهام، المبشر، وصديق سلسلة من الرؤساء، ورجل الدعاية الجمهوري القديم رون ووكر، قد جاءا إلى كاليفورنيا للمشاركة في دفن الرئيس السابع والثلاثين للولايات المتحدة، ريتشارد ملهوس نيكسون.

وكان السياسي الأمريكي البارز في النصف الثاني من القرن العشرين، قد

سقط في الأسبوع السابق إثر نوبة قلبية شديدة، وهو في الحادية والثمانين. كان قد أمضى آخر يوم فعال له، وهو منهمك في صياغة خطاب سياسي في موطنه قرب مدينة نيويورك. وكان قد ترك تعليمات بأنه إذا أصيب بمرض كارثي أقعده تماماً، فإنه لا يريد أن يتم الحفاظ على حياته بوسائل اصطناعية. وفي المشفى قال رئيس القسم العصبيّ، إن نيكسون لم يرد أن يستمر في الحياة إن لم يعد قادراً على الإسهام، على القيادة. لقد انتهز آخر فرصة له كي «يمارس القيادة الأخلاقية».

وقبل ذلك بعقدين من الزمن، عندما كان نيكسون رئيساً، حدد أنه يرغب عند وفاته، أن يسجّى جثمانه رسمياً تحت قبة الكابيتول. كما كانت الحال بالنسبة للقادة الوطنيين منذ أيام أبراهام لنكولن. فالرجل الذي عمل معه كنائب للرئيس، أي دوايت ديفيد آيزنهاور، وكذلك سلفه المباشر ليندون بينز جونسون، ومنافسهما القديم، جون فيتزجيرالد كينيدي، قد سجيت جثثهم هناك. غير أن نيكسون عند تقدمه في السن قد ضمن بشكل استباقي، أن لا يحرمه أحد من هذا الشرف. فقد أوصى بأن ينقل رفاته بدلاً من ذلك بالطائرة إلى يوربالبندا، قرب لوس آنجيلوس، وأن «يُزْرَعَ» ـ حسب كلمته الساخرة نفسها ـ بجانب زوجته، بات [باتريشيا] في ظل البيت الخشبيّ «الهيكل»، حيث أمضى طفولته.

وأعادت القوة الجوية نيكسون إلى موطنه في نعش بسيط من خشب الماهوغني، ملفوفاً بالأعلام الأمريكية، على متن طائرة البوينغ 707 الزرقاء والبيضاء، التي كان اسمها ذات يوم طائرة القوة الجوية رقم واحد، وهي نفسها التي كانت قد أقلته إلى كاليفورنيا سنة 1974، عندما أصبح أول رئيس أمريكي على الإطلاق، يستقيل وسط الخزي والعار.

ولعل رد فعل أمريكا على موت نيكسون كان سيدهشه. فالرئيس كلينتون، وهو ديمقراطي، كان في شبابه قد عارض نيكسون، وطالب باستقالته

بسبب ووترغيت، أعلن يوم حداد وطنيّ، وأغلق الكونغرس، والمحكمة العليا، وسوق نيويورك للأوراق المالية، وتوقف توزيع البريد. ونكست الأعلام إلى منتصف السارية في داخل أمريكا، وفي المؤسسات الأمريكية حول العالم لمدة شهر. وغادر الموكب الجنائزي الشاطئ الشرقي على صوت تحيةٍ من إحدى وعشرين طلقة مدفع، واستقبله ألوف الناس المصطفين على طول الشوارع في مسقطِ رأس الرجل المتوفَّى. فتكدس المواطنون تحت مظلاتهم، وهم يمسكون باقاتٍ من الورد الذابل وأعلاماً أمريكية، في عاصفة عجيبة أوحت لمراسل النيويورك تايمز الذي كان يغطي الاحتفال، بمشهد العاصفة في مأساة **الملك لير**.

وفي ذلك المساء والهزيع الأول من الليل، وقف حرس الشرف يقظين بينما راح المواطنون يمرون صفوفاً في ردهة مكتبة نيكسون، فيعبرون أمام صور للرئيس في لحظاته المجيدة، فيحيون، أو يلمسون أطراف قبعاتهم بعد نزعها، أو يقفون وأيديهم على قلوبهم أمام النعش المغلق. وقد وصل طول الصف إلى ثلاثة أميال عند إحدى النقاط، وعند إغلاق الأبواب قدر عدد الذين حضروا لتقديم احترامهم الوداعي باثنين وأربعين ألفاً.

وأدى الرئيس كلينتون، محاطاً بجميع الرؤساء الأربعة الباقين على قيد الحياة، فورد، وكارتر، وريغان، وبوش، تحية الوداع «نيابة عن أمة عارفة بالجميل». وحث الحاضرين على الغفران بقوله: «فلتأتِ نهاية اليوم الذي يُحْكَمُ فيه على الرئيس نيكسون بموجب أي شيء أقل من حياته العملية كلها». أما جيرالد فورد، الذي حل محلّ نيكسون بعد استقالته، فقد أعلن في ذلك الأسبوع أنه أكثر اقتناعاً من ذي قبل، بأنه كان على حق حينما منح نيكسون عفواً شاملاً عن أية جرائم ربما يكون قد ارتكبها وهو في سدة الرئاسة.

ووقفت بين المشيعين في ذلك اليوم، جماعاتٌ من وزراء الخارجية والدفاع السابقين، ومدعٍ عامّ، وأعضاء كونغرس، وممثلون من خمسة وثمانين

بلداً أجنبياً. وبكى حاكم كاليفورنيا، بيت ويلسون، وزعيم الأقلية [الجمهورية] في مجلس الشيوخ وهما يقومان بالتأبين. وفرقع الصوت البلعومي الخارج من حنجرة هنري كيسنجر، وزير الخارجية ومستشار الأمن القومي السابق عندما امتدح نيكسون بصفته «صديقنا الشهم. . . وأحد الرؤساء ذوي الفتوح التي كان لها ما بعدها» في إدارة السياسة الخارجية، والذين كان «أكبر إنجازٍ لهم أخلاقياً بقدر ما هو سياسي».

واختُتِمَ الحفل بتشريفات عسكرية كاملة. فحلقت فوق الرؤوس مقاتلات السلاح الجوي بتشكيلة الرجل المفقود، ولعلع رصاص الرشاشات والبنادق، وعزف بوق منفرد لحن الوداع.

وكان شقيق الرئيس، إدوارد، الذي بقي بعده، يحمل شبهاً من أخيه المتوفى، يكاد يكون شبحاً مخيفاً يراقب هذه الإجراءات، وحيداً من مكان جانبي منعزل على نحو مربك وغير مريح، بينما أعطي العلمان اللذان يلفان النعش لابنتي أخيه ريتشارد، وهما تريشيا وجولي. ثم أُنْزِلَ النعش إلى باطن الأرض الرطب.

وحَكَمَ أتباعُ نيكسون المخلصون بأن الوداع الأخير كان نجاحاً مدوياً. فرونالد ووكر، الذي كان قد نظم الحفل بالكفاءة والحس الدراميّ اللذين كان يطبقهما في المؤتمرات الجمهورية، عبَّر عن نفسه بالقول بأن الحفل قد اتسم «بالنشاط». أمّا رون زيغلر، السكرتير الصحفي الذي اضطر ذات مرة إلى الاعتراف، بأن التصريحات الصادرة باسم نيكسون «لم تعد سارية المفعول»، فقد ابتعد عن مكان الدفن وهو يشعر «بعرفان عميق، رغم عيوب ووترغيت». وأمّا بيتر فلانيغان، أحد كبار المساعدين السابقين، والذي كافح، بتحريض من نيكسون، لعرقلة عمل محطات الإذاعة العامة، فقد شعر «بارتفاع معنوياته. . . يا لها من قصة! قصة الخروج من وَهْدَةِ ذلك الحضيض، ليصبح الرجل السياسي الكبير عند بني وطنه على أساس الشجاعة والعقل فقط. وعلق لين

غارمنت، أحد المحامين المدافعين عن نيكسون في ووترغيت بقوله: إن نيكسون قد «كسب المعركة. . . لقد وجد طريقه إلى العودة». وفكّر الجنرال فيرنون والترز، مترجم نيكسون في رحلاته إلى البلدان الأجنبية، ونائب مدير وكالة المخابرات المركزية، بأن «الرجل الكبير لا بد أنه ينظر من علٍ ويستمتع بانتقام لذيذ».

غير أن استبياناً للرأي أُخِذَ في ذلك الأسبوع، أظهر أن 27 بالمئة من الذين وجهت إليهم الأسئلة عن اعتقادهم بأن نيكسون سوف يُذْكَرُ كرئيس عظيم، فإن 44 بالمئة قالوا إنه سوف يُذْكَرُ كقائد لوَّثه الخزي والعار. كما أن إحصاء لمواقف بعض الذين حضروا الجنازة، وبعض الذين اختاروا أن يتغيّبوا عنها، يثير شكوكاً وألغازاً مظلمة الغموض يفضل النيكسونيون نسيانها.

وفي الليلة التي تعرض فيها نيكسون لنوبته القلبية القاتلة، كان واحد من أعدائه القدامى، يحتفل بعيد ميلاده التسعين في حفلة بنيويورك. فقد عاش آلجر هيس، الذي كان من كبار موظفي وزارة الخارجية، وقد طارده نيكسون زاعماً أنه شيوعي وخائن ـ وكسب من وراء ذلك الزعيم بروزاً على نطاق وطني ـ حتى بقي بعد خصمه الرهيب، وقال معترفاً بسخرية القدر: «لَن أشمت. إن في حياة ذلك الرجل كثيراً من الأشياء التي تركها دون تكفير عنها. . .».

أمّا المستشار الذي كان أوَّل من قاد نيكسون إلى استخدام «وصمة الاحمرار» (أي اتهام الخصم بالشيوعية) كوسيلة لتحقيق نصر في الانتخابات، وهو موراي تشوتينر، فكان قد مات منذ زمن طويل. ولقد كان وصيّاً على كثير من أسرار نيكسون، بما في ذلك الحقيقة حول الدعم الذي تلقاه نيكسون من رجال العصابات في وقت مبكر من حياته العملية.

ولم يشكر نيكسون على الإطلاق روبرت ماهيو، الذي كان ذات يوم أحد مساعدي الملياردير هوارد هيوز، رغم أنه هو الذي أخرج نيكسون من مصاعبه السياسية، وساعده على مجابهة الاتهامات بالفساد. قال ماهيو: «لم أكن قطّ

مؤمناً بأن الموت يعطي المرء عفواً فورياً عن خطاياه. ولم يحضر ماهيو الجنازة.

كان نيكسون قد تحدث ذات مرة إلى ماهيو بشكل عابر، عن الحاجة المحتملة إلى قتل رجل أعمال أجنبي مشاغب. وفي أثناء التقاعد، أنكر الرئيس السابق إنكاراً مطلقاً، تورطه في مؤامرات لاغتيال زعماء أجانب. ومع ذلك، فإن قضايا العنف، والمزاعم حول العنف ـ من ضرب المشاغبين والمتظاهرين إلى الشائعات حول الاغتيال ـ ظلت تخترق حياة نيكسون العملية وتتغلغل في كل ثناياها. فقد زعم سبيرو آغنيو، أول نائب للرئيس نيكسون، أنه قد استقال ـ بدلاً من البقاء ومجابهة اتهامات الفساد في المحاكم ـ بسبب الضغط من نيكسون، وما اعتبره تهديدات جسدية له. وقد استذكر آغنيو ذلك بقوله: «لقد رحت أخشى على حياتي». ورغم أنه حضر الجنازة، فإنه كان قد قاطع نيكسون ولم يكلمه قَطُّ منذ ذلك الحين.

وكان من بين الحاضرين ج، غوردن ليدي، الذي وُصِف بأنه «كان أكثر خطورة وتهديداً من ذي قبل»، وكان هو الذي قاد عملية اقتحام مقر قيادة الحزب الديمقراطي في بناية ووترغيت. وفي ذلك الوقت، حسبما روى المستشار الرئيسي للجنة التحقيق التابعة لمجلس الشيوخ، فإن ليدّي قد اعتبر نفسه «أسير حرب»، ورفض أن يعترف لتلك اللجنة بشيء، سوى ما يعادل مجازاً الأشياء المتعارف عليها عند وقوع المرء أسيراً في أيدي العدو، فلا يذكر سوى اسمه، ورتبته، ورقمه العسكري. وقضى ليدي في السجن ثلاثة أعوام بتهمة السرقة، ووضع أجهزة تنصت على الهاتف. وهو يعمل الآن كمضيف من نوع غريب لعروض الكلام المسرحية. وقد حيّا نعش نيكسون في الجنازة.

وكان من الغائبين؟. هوارد هانت، العضو الرئيسي في عصابة ليدّي، الذي ظلّ مقتنعاً بأن الرئيس هو الذي أمر بعملية الاقتحام. وكان هو الآخر قد أمضى فترة في السجن، وكان يعتبر نيكسون «حقيراً» لأنه أنقذ نفسه على

حساب الآخرين. وتغيب أيضاً جيمس ماكورد، المستشار الأمني للجنة إعادة انتخاب الرئيس، والذي دخل السجن أيضاً لدوره في تلك الغارة على مقر الحزب الديمقراطي في ووترغيت. وقد ظل هو الآخر يعتقد أن نيكسون هو الذي أمر بتلك العملية.

ومن بين كبار المساعدين الذين يرجح أنهم كانوا يعرفون الحقيقة، حول ووترغيت وأشياء كثيرة أخرى عن نيكسون، لم يبق حيّاً بعده سوى شخص واحد. ذلك أن جون ميتشل المدعي العام والصديق الحميم لنيكسون، وهـ. ر. هالدمان، رئيس أركانه، قد سبقاه إلى الموت. وقد سُجِنَ كل منهما بتهمة عرقلة العدالة، وسُجِنَ معهما كذلك مستشار السياسة المحلية جون إيرليكمان. وقد شعر إيرليكمان أن الرئيس قد «استغفله تماماً» أثناء فضيحة ووترغيت، ولم يتبادل الاثنان الكلام على الإطلاق بعد الاستقالة. وتغيب إيرليكمان عن الجنازة.

ورغم كل الخلافات مع نيكسون، فقد احتفظ أقرب مساعديه باحترام هائل لقدراته. فكان إيرليكمان يقول: «إن قواه كانت كامنة في عقله». «كان لديه ذهن ألمعي ساطع». وقال هالدمان: «أشك في أنني كنت سأخدم أي رجل آخر في منصب الرئيس. لقد كسبتُ تقديراً هائلاً واحتراماً للعظمة الكامنة فيه...».

أمّا تشارلس كولسون، وهو الآخر واحدٌ من كبار مساعدي البيت الأبيض، فكان حاضراً في الجنازة. وهو الذي أعطى نفسه صفة «المستزلم المتعصب لنيكسون، المعادي للصحافة، والمعادي للأحرار، والعامل بسياسة "رفس الخصوم في رؤوسهم"». وكان أيضاً رجل الأحابيل القذرة الذي يستخدمه نيكسون كحلقة اتصال مع الزعماء الفاسدين لاتحاد تيمسترز (ذي الصلة المشبوهة بعالم الجريمة المنظمة). وكان كولسون قد سجن أيضاً لعرقلته العدالة. وقد تأثر بموت نيكسون حتى دمعت عيناه.

وأما مساعد هالدمان، غوردن استراخان، الذي حضر الجنازة أيضاً، فقد أغلق فمه منذ سنة 1974، عندما أسقطت الاتهامات الموجهة إليه. وكان قد اعترف آنئذٍ بأنه قد مزَّق وثائق يحتمل أن تحرج موقف نيكسون، وبأنه قد نقل أموالاً نقدية الهدف منها، شراء سكوت بعض العارفين بالأسرار.

وأما الرجل الذي شجبه نيكسون ووصفه بأنه «شرّير» لأنه ثرثر للمحقّقين، وهو المستشار الرئاسي جون دين ـ وهو مساعد آخر ممَّن ذهبوا إلى السجن ـ فلم يحضر ليشهد دفن نيكسون. فقد كان في ذلك الحين مشتبكاً بدعوى قضائيَّة، نشأت من كتاب أوحى بأنه كان هو العقل المدبر لووترغيت، وأن عنصراً جنسياً في القضية كان مرتبطاً بشكلٍ ما، بالمرأة التي صارت زوجته فيما بعد.

ووقف بين المشيعين محامي نيكسون الشخصي، هيرب كالمباش الذي أمضى فترة في السجن، بسبب أعمال غير قانونية قام بها في حملة نيكسون الانتخابية. فقد كان يسيطر على مبالغ طائلة من الإيداعات النقدية السرّيّة، واتُّهِمَ ببيع مناصب «السفير» بالجملة، وكان حاضراً عندما وقع الرئيس على قائمة مزورة، خاصة بكشوف الضرائب أعطى فيها نيكسون إفاداتٍ كاذبةً. وكان يتجول في أنحاء البلاد بأسماء زائفة، أثناء مساعدته نيكسون على إخفاء الجرائم التي فضحتها ووترغيت.

وجاءت روز وودز، أخلص السكرتيرات، لتشهد دفن الرجل الذي خَدَمَتهُ على مدى ثلاثة وعشرين سنة. وفي غضون أشهر قليلة، بينما أطبق عليها مرض آلزيمر (الذي يُفْقِدُ المريضَ ذاكرته على نحو متسارع)، ظهرت أوراق تكشف عن اعتقاد محامي نيكسون أنفسِهم بأنها قامت عمداً، وليس سهواً في حادث، بمسح تلك الدقائق الشهيرة اللعينة الثماني عشرة والنصف، المفقودة من أحد أهم أحاديث نيكسون المسجلة على أشرطة، عن ووترغيت.

وقد وقف على جانب القبر بيب ريبوزو، البالغ من العمر واحداً وثمانين

عاماً، وأحد أقرب أصدقاء نيكسون المقربين. وقيل إنه كان في المستشفى عندما لفظ الرئيس السابق آخر أنفاسه. وكان ريبوزو قد تلقّى ذات مرة رزماً من أوراق النقد من هوارد هيوز بالنيابة عن نيكسون، وكان مشتبهاً به لأنه قد استخدم المصرف الذي يملكه في فلوريدا، كقناة لتمرير أموال نقدية مهربة من كازينو في جزر البهاما. وقد ذكرت لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ اسمَ ريبوزو، مع شقيقي نيكسون، كشهود عرقلوا عملها.

وعلى عكس كثير من الرؤساء، لم يصبح نيكسون موضعاً للشك أبداً كزير نساء. وقد عرض أن يعيل ماريانا ليو، مضيفة الفندق التي التقى بها في هونغ كونغ في الستينيّات، عندما أقامت دعوى بسبب تقارير صحفية تحدثت عن علاقتهما. وقامت ليو، التي عاشت في مدينة نيكسون بعد انتقالها إلى الولايات المتحدة، بزيارة القبر بعد مدة من دفنه.

وكان المليونير السعودي تاجر السلاح، عدنان خاشقجي، قد سعى لمصادقة نيكسون قبل أن يصبح رئيساً، والتقى به وهو في منصب الرئاسة، وقيل إنه قدم له ذات مرة مليون دولار كإسهام في حملته الانتخابية، وكان ذلك عملاً غير قانوني لأنه جاء من متبرع أجنبيّ. وكان خاشقجي في الجنازة، وقد أُجْلِسَ في بقعة متميزة، بالقرب من أقارب نيكسون. وكانت هناك أيضاً الإمبراطورة السابقة فرح ديبا، أرملة شاه إيران، الذي كانت تربطه بنيكسون صداقةٌ وثيقةٌ غيرُ عادية، والذي كان نيكسون قد منحه ـ بدون أي تشاور تقريباً ضمن الحكومة الأمريكية ـ إمكانيةَ الوصول إلى كمية تكاد تكون غير محدودة من الأسلحة الأمريكية.

وقد استشهد جميع الذين بالغوا في الثناء على نيكسون تقريباً، بإنجازه الخاص بإخراج الولايات المتحدة من حرب فيتنام. فقد كتبوا على حجر قبره الغرانيتي الأسود نقشاً يقول ما نصه: «إن أعظم تكريم يمكن أن يمنحه التاريخ هو لقب صانع السلام». وقد اقتبس هذا الكلام من أول خطاب افتتاحيّ للرئيس.

من بين القتلى الأمريكيين في فيتنام، الذين زاد عددهم على ثمانية وخمسين ألفاً، قتل ما يقرب من واحد وعشرين ألفاً أثناء رئاسة نيكسون، قبل الاتفاقية التي قال إنها جلبت «السلام مع الشرف». وخلال فترة حكمه مات أيضاً أكثر من ستمئة ألف مقاتل فيتنامي، وعدد غير معروف من المدنيين. وليست هناك أرقام موثوق بها عن عدد الموتى في كامبوديا ولاوس.

ومات عشرات الألوف من الفيتناميين أيضاً في الفترة القصيرة، التي بقيت قبل انهيار فيتنام الجنوبية، بعد استقالة نيكسون بأقل من سنة. ولم يحضر الجنازةَ الرئيسُ المخلوعُ السابقُ لفيتنام الجنوبية، نغويين فان ثيو.

وتؤدي البحوث الجديدة إلى تعزيز الشكّ بقيام نيكسون، في سنة 1968، عشية الانتخابات التي جاءت به إلى البيت الأبيض، بالتلاعب بحرب فيتنام لأغراض سياسية مصلحية أنانية. فهل قام سرّاً بتحريض ثيو على مقاطعة المحادثات، بسبب خشيته من أن تؤدي مفاوضات السلام الوشيكة إلى جعل أصوات انتخابية حيوية الأهمية، تصبّ في مصلحة خصمه الديمقراطي؟ هذا ما تدعيه الجمهورية البارزة آنا شينو التي التقت نيكسون سراً، وعملت كحلقة وصل بينه وبين الفيتناميين الجنوبيين. وقد راحت تحتقر نيكسون في آخر الأمر، وظلت بعيدة عن جنازته.

عندما سُئِلَ الرئيسُ الأسبقُ عمّا سيوجد مكتوباً على قبره عند انتهاء حياته، قال لصديق حميم له: «هذا سهل. كلمة واحدة: بات!» وقد دُفِنَ نيكسون إلى جانب زوجته. وكانت هناك شهادات مؤثرة في الجنازة عن زواجهما الذي دام ثلاثة وخمسين سنة. ولكن الذكريات الأخرى كانت تروي قصة أكثر حزناً: عن المصاعب الزوجية الطويلة المستفيضة، وعن الضرب الجسدي وسوء المعاملة، وعن التهديد بالطلاق. وكانت إحدى المرات القليلة التي انهار فيها نيكسون علناً قد حدثت قبل ذلك بسنة، في جنازة بات. فبينما

كان يكافح لِضبط نفسه، أمسك بيد رجل لم يتعرف عليه من الناس الخارجيين إلاً قليلون، وكان هو الطبيب النفسيّ الموثوق به، الدكتور أرنولد هتْشْنيكَرْ.

وقد تفرج هتشنيكر على دفن نيكسون على شاشة التلفزيون، على الجانب الآخر من القارة، وهو يتأمّل في حالة المريض الذي جاءه يشكو مصاعبه ومتاعبه قبل ذلك بأربعة عقود. ولقد تذكّر بعض الموجودين في الجنازة، وآخرون من الغائبين عنها، رئيساً كان يتصدّع تحت ضغوط المنصب العام. كانت هناك حوادث صغيرة لا تعد ولا تحصى، كصفعه لأحد العاملين في حملته الانتخابية لأنه انتقده، وعندما جلس يرفس مؤخرة مقعد سيارة كطفل إلى أن ابتعد عنه أحد المساعدين في اشمئزاز. وأثناء رئاسته كانت هناك حوادث أخطر بكثير، عندما كان يبدو عليه أنه فاقد أي تنسيق أو اتزان، بحيث يصبح غير مستقر تحت تأثير الإرهاق، والكحول، والأدوية والعقاقير. وقيل إنه أمر بأعمال حربية اختار مساعدوه أن يتجاهلوها، بل إنه نام أثناء اجتماع أزمة طارئة، عندما صدر باسمه إعلان أمر حالة تأهب نووية قصوى. وفي نهاية الأمر خرجت رسالة إلى العسكريين بأن يتجاهلوا التعليمات من البيت الأبيض، إلاً إذا كانت مشفوعة بموافقة أحد كبار وزراء الحكومة.

في الخمسينيّات، بعد أن شرع الدكتور هَتْشْنِيكَرْ في معالجة نيكسون، الذي كان آنئذٍ نائباً للرئيس، بدأ يحرض على «وجوب طلب شهادات صحة عقلية للقادة السياسيين». ولكنه عبَّر - بشكل سرّيّ وخاصّ - عن قلقه من إمكانية احتلال نيكسون منصباً رفيعاً.

وشبَّهَ هالدمان الرئيس السابق «ببلُّورة كوارتز متعددة الأوجه، فبعض هذه الأوجه برّاق ومشرق، وبعضها مظلم وغامض. وكلها تتغير باستمرار بينما أشعة الضوء الخارجي تنصب على البلّورة. . . فبعض وجوهها ناعم وصقيل، وبعضها خام، وخشن، وحاد. . .».

وكان هنري كيسنجر قد كتب عن أَبْعَاد وولتر مِتّي في شخصيته. . .

وغياب أيّ حسّ بالتناسب. وإن تصويره لنفسه بالبرود في الأزمات... إنما يشوّهه اليأس الملحاح الذي يهاجم به مشاكله... والصراع الجبار بين الشخصيات المختلفة القابعة في داخله».

وفي الجنازة اقتبس وزير الخارجية الأسبق سطراً من مأساة **هَمْلِتْ**: «لقد كان رجلاً؛ فاقبله كلّه على علاّته». وفي هذه الصفحات نبحث عن «نيكسون كلّه على علاّته»، بما فيها تلك الأوجه منه التي يفضل مؤيّدوه إبقاءها طيَّ الخفاء.

1

إنه مِلْكٌ للعالم، ولكنه لا يزال
في الغالب الأعم ملكاً لي

والدة ريتشارد نيكسون، سنة 1960
عندما كان عمره سبعة وأربعين سنة

كان صبياً في السادسة حالك الشعر، وأنيقاً في قميص أبيض مُنَشًّى، وربطة عنق سوداء متقوسة، وسروال يصل إلى الركبتين، يمشي كل صباح إلى مدرسة يوربالبندا الابتدائية. وفي الطقس المعتدل كان ـ مثل الأطفال المحليين الآخرين ـ يتخذ سبيله إليها على الطريق الترابي غير المعبّد، حافي القدمين.

ولد ريتشارد ملهوس نيكسون في 9 كانون الثاني / يناير سنة 1913. في البيت ذي الحجارة المسفوعة الذي بناه أبوه بنفسه على موقع مساحته اثنا عشر آكراً (الآكر نحو 4000 م^2) في جنوب كاليفورنيا، وكان يأمل أن يصبح ذلك الموقع بيارة ليمون مربحة. وكان ريتشارد الطفل الثاني الذي يولد لفرانك وهَنَّا نيكسون، الثاني من خمسة أولاد. وكان واضحاً منذ البداية أن له خصوصية. وكانت أمه تقول للمعلمة: «أرجوك أن تَدْعِي ابني ريتشارد. وإياك أن تدعيه «دِكْ» أبداً. فأنا التي أسميته ريتشارد».

ولقد استذكرت تلك المعلّمة، ماري جورج: «كان واحداً من أولئك الأفراد النادرين. لم يضطر إلى العمل وبذل الجهد للحصول على المعرفة على الإطلاق، بل كان يقال له الشيءُ فلا ينساه قط. وكان ولداً شديد الهدوء والجدية. . . كان طفلاً رزيناً نادراً ما عرفت الابتسامة أو الضحكة طريقها إلى

شفتيه. وكانت أمه شخصية رائعة. إذ كانت تعرّفك أنها موجودة معك دائماً، بسبب العمل الذي كانت تقوم به مع ريتشارد في البيت».

وبعد أكثر من نصف قرن، كان الرئيس نيكسون، مع زوجته وأطفاله الكبار يقضي الدقائق الأخيرة في البيت الأبيض، عاكفاً على كتابة خطابه الوداعي لموظفيه، ومجموعة من آلات التصوير التلفزيونية. فلم يتحدث عن شؤون الدولة، ولم يشأ أن يعتذر عن أعماله. وكان وجهه مبللاً بالعرق والدموع، وصوته يرتعش عندما شرع في حديث مقلق نابع من تدفق جدول الوعي، فأكد أنه ليس مثقفاً، ولا يملك ثروة شخصية، وزعم أنه لم يكد يتدبر أمر اجتياز امتحانه الحقوقي ليصبح محامياً، واستذكر ثيودور روزفلت، الذي تغلب على حزنه بعد موت زوجته، قد استمر في جهوده حتى صار رئيساً. ولم يشر إلى زوجته التي صمدت معه طويلاً، وبدلاً من ذلك امتدح أباه وأمه، اللذين كانا قد ماتا منذ زمن طويل، فقال لمستمعيه:

«أتذكّر والدي العجوز، وأعتقد أنهم سيسمونه الرجل الصغير، الرجل العادي. . . كانت له بيارة ليمون، وكانت أفقر بيارة ليمون في كاليفورنيا. . . وقد باعها قبل العثور على النفط فيها. ثم أصبح بقالاً، ولكنه كان رجلاً عظيماً، لأنه أدى عمله. . .».

واستطرد الرئيس: «وكانت أمي قدِّيسة. وأفكر في ولديها اللذين ماتا بالسلّ، وفي إرضاعها أربعة آخرين لكي تتمكّن من رعاية أخي الأكبر ثلاثة أعوام في آريزونا، ثم رؤيتها لكل واحد من الأولاد يموت. . . لن يؤلف عنها أحد كتاباً. ولكنها كانت قدِّيسة».

في هذا التدفق، الذي قُدِّمَ فيما بدا أنه نهايةُ حياةٍ عمليةٍ محطمة، كان يكمن مفتاح بدايات تلك الحياة، بل ومفتاح أشياء أخرى كثيرة عن الرجل. فأولاً، وربما قبل كل شيء، كانت تلك المصارحة أقل من حقيقية.

فقد كان نيكسون قد حصل على الثقافة طبعاً، فقد درس في الكلية وذهب

إلى مدرسة الحقوق في جامعة محترمة تخرّج فيها بأعلى مراتب الشرف. ولم يعانِ كدحاً في اختبار المحاماة، بل اجتازه بسهولة. أمّا بالنسبة لثروته وعدمها، وهو موضوع لا يزال مثيراً للخلاف والجدل، فيكفي أن يقال إن نيكسون كان في سنة 1974 غنيّاً، وظل كذلك. ولم يكن صحيحاً أن والده تجشّم خسارةً ببيع أرضه، التي عثر الآخرون على النفط فيها. فالحق أنه لم يُعْثَرْ على نفطٍ أبداً في أملاك آل نيكسون[1]. وقد مات اثنان من أولاد نيكسون بصورة مأسوية وهما صغيران بالفعل كما أكّد، ولكن واحداً منهما فقط عُرِفَ عنه أنه أصيب بالسلّ. أما الآخر فقد مات بعد مرض قصير لم يتم تشخيصه بطريقة مُرْضِيةٍ قَطُّ.

إن حياة ريتشارد نيكسون تشوبها الأكاذيب صغيرة وكبيرة، سواء أكان ذلك بالكذب المباشر الصريح، أم بالدوران حول الحقيقة أم بتزويقها. ولقد كان كذبه هو أكبر مصدر للأذى الذي لحق به أثناء فضيحة ووترغيت. ومع ذلك فإن نيكسون كذب حتى على الرجل الذي وضع مصيره أمانةً بين يديه عندما أخذت الأزمة بخناقه، وهو فريد بوجارت، محاميه في ووترغيت. ولقد استذكر بوجارت فيما بعد أن الرئيس كان «أكثر الكذابين انكشافاً وشفافية في كل من التقى بهم في حياته».

وكان هذا الرجل نفسه يدافع عن الحقيقة، ولم يكن أقل أسباب دفاعه عنها هو أن حبل الكذب قصير، وأنه في المدى البعيد يعطي نتائج عكسية. وكان يحب أن يستشهد بحالة أول انتصار كبير له، عندما ركّز اهتمامه على إدانة

---

(1) زعم نيكسون أكثر من مرة أن أباه باع أرض يوربالندا ليفاجأ فيما بعد بأنه قد اكتُشِفَ فيها «نفط كان سيجعلنا من أصحاب الملايين». وجاءت أمه بالزعم نفسه. وفي سنة 1970، أثناء جولة بالسيارة مع هنري كيسنجر، قال نيكسون إن النفط قد اكتُشِف بعد أن باع والداه ممتلكاتهما التي شغّلاها في وِيتْيِيرْ كدكان بقالية ومحطة غاز من سنة 1922 إلى الأربعينيات. والواقع أن النفط لم يُعْثَر عليه إلاّ في موقع فكر والد نيكسون بشرائه ولكنه لم يفعل، في سنة 1922. (فون برودي، ص 30؛ ومجلة **غودهاوس كيبنغ (التدبير المنزلي الجيد)**، عدد حزيران / يونيو سنة 1960؛ وكيسنجر، **سنوات الجيشان**، مصدر سبق ذكره)، ص 1185؛ وروجر موريس، ص 6 ـ؛ وإيرل ميزو (مصدر سبق ذكره)، ص 14 هـ).

آلجر هيس بتهمة الكذب وهو تحت القَسَم. فكان نيكسون يقول أثناء تأمله في مصير هيس: «إذا كذبت، فإنك تذهب إلى السجن بسبب الكذبة بدلاً من الجريمة. ولهذا صدقني، وإياك أن تكذب».

ونصح نيكسون الجمهوريين عندما قبل الترشيح للرئاسة فقال: «دعونا نبدأ بأن نُلْزِمَ أنفسنا بالحقيقة، بأن نراها كما هي، ونقولها كما هي، وأن نجد الحقيقة، ونذكر الحقيقة، ونعيش مع الحقيقة. فهذا ما سنفعله». وفي الواقع، فإن ذلك لم يحدث.

ولم تكن هناك أهمية تذكر لبعض الأكاذيب التي تفوه بها نيكسون وهو رئيس. فقد كان هناك الزعم، الذي كان مناسباً عند التقائه بمجموعة من الرياضيين، بأنه قد التقى بزوجته في مباراة كرة القدم. وحسب كل الروايات الأخرى، بما فيها روايته فقد التقى بها عندما كان الاثنان يحضران مقابلة للحصول على أدوار في مسرحية. وكان هناك أيضاً تأكيده ـ المفيد عند مخاطبته للمراسلين الفرنسيين ـ بأنه قد «تخصص بالفرنسية» في دراسته الأكاديمية. والحقيقة أن اختصاص كليته كان التاريخ. وكانت هناك تعليماته المكتوبة لموظفيه ـ وهي زلَّة فيها إهمال غير عادي ـ بالعثور على بعض الأعواد، وأية أعواد ستكون كافية، لعرضها في معرض يحيي ذكرى زيارته الاختراقية المفاجئة للصين. وقد فعل ذلك وهو يعلم أن الأعواد العاجيَّة الأصلية التي استخدمها في العشاء مع ماوتسي تونغ لم يتم الاحتفاظ بها. فكتب: «إن ذلك لن يُحْدِث أي فرق. فلا شكّ أن لدينا بعض الأعواد، سواء أكانت من عاج أم من غيره».

غير أن بعض الأحابيل والخُدَع كانت ذات أثر كبير، سواء شكَّلت أم لم تشكّل أكاذيب سافرة. وكانت هذه تشمل تشجيع الفكرة الزاعمة أن لديه ما دعته الصحافةُ «خطة سرية لإنهاء الحرب»، أثناء حملة انتخابات الرئاسة سنة 1968، في وقت كان فيه الصراع الڤيتنامي هو الموضوع البالغ الأهمية في الانتخابات؛ وتأكيده للأمة أنه ليست هناك قوات مقاتلة في لاوس، وتلك كذبة؛ غير أن

السمعة الأسوأ جاءت من إنكار نيكسون في خطاب تلفزيوني، أن الولايات المتحدة كانت منهمكة في قصف كمبوديا، فكانت الغرابة في تلك الكذبة، كما استذكر كيسنجر فيما بعد، هي أن نيكسون قد أضافها إلى مسودة خطابه بلا ضرورة[2].

أمّا خطة نيكسون الرئيسية لاستعادة المصداقية أثناء ووترغيت، فقد أطلق عليها اسم «عملية الصراحة»؛ ومع ذلك فقد كذب على الأمة، وعلى زملائه في الكونغرس، وعلى أقرب مساعديه، وعلى محاميه أنفسهم، وظل يصرّ حتى بعد مضي سنة كاملة على انفجار الفضيحة، أنه هو «الشخص الوحيد الذي لا لوم عليه في ذلك». وأصرّ على أن يقول للسناتور هيو سكوت، زعيم الأقلية الجمهورية في مجلس الشيوخ: «ليس لديّ ما أخفيه؛ وأنت مفوض بإعلان هذا التصريح باسمي». أمّا السناتور باري غولد ووتر، الذي اعتقد أن الرئيس قد فقد عقله، والذي قاد في آخر الأمر وفداً لحثّه على الاستقالة، فقد تذكر «أن الخطر في هذا الأمر كله هو استمرار [نيكسون] في الكذب باطراد».

ولعل أكثر الأمور مدعاة للحزن كان كذب الرئيس على عائلته نفسها، بإنكاره أنه كان له أي دور في ووترغيت أو في التغطية عليها. مما جعل ابنته تريشيا تقول في إحدى المقابلات: «لدينا كل سبب لتصديقه، لأنه لم يكذب على الإطلاق. . . إن ريتشارد نيكسون رجل لم يكذب في حياته قطّ، حتى كذبة بيضاء، على عائلته أو على الشعب الأمريكي. . .».

وفي خلواته، كان نيكسون أحياناً يقذف جانباً كل تظاهر بالشرف والنزاهة، فكان يقول إن الكذب كخدعة سياسية هو جزء من اللعبة. وقد استذكر جون سيرز، نائب المستشار القانوني السابق: «كنا ذاهبين ذات مرة لمقابلة كبار السن من طائفة المورمون في كاتدرائيتهم. ووصلنا في صعودنا إلى

(2) سيتم تقويم تصريحات نيكسون عن الحرب الڤيتنامية وما يتصل بها من قضايا في الفصل الثالث والعشرين.

منتصف الدرج، وكانت الفرقة تعزف، والناس يتفرجون، فوقف على نحو مفاجئ تماماً وقال لي: «مهما أقل في الداخل هناك، فلا تصدق منه كلمة. . .».

وأمّا لين غارمنت، زميل نيكسون في المحاماة قبل الرئاسة وأحد كبار مساعديه لاحقاً، فقد تذكر ما كان نيكسون قد قاله في لحظة استرخاء في فندق دريك بنيويورك: «كان وحده، متمدّداً على السرير، وفي إحدى يديه هاتف وفي الأخرى كأس طويلة من الشراب. فكان عندئذٍ مرتاحاً ومطمئناً إلى حد معقول (ولم يتطلب الأمر شيئاً كثيراً ليفعل مفعوله. . . وكأنّه ترياق قول الحقيقة في هذه الحالة). . . فقال: «إنك لن تنجح في السياسة أبداً يا لين. إنك ـ ببساطة ـ لا تعرف كيف تكذب».

وخارج المنصب، أعلن نيكسون على شاشة التلفزيون الوطني، رأيه في أن «الرياء» و«النفاق» ضروريان للفوز بالمنصب العام والاحتفاظ به، محتجاً بأن هناك «خيطاً رفيعاً جداً» بين عدم الصراحة و«الكذب بالمعنى غير الأخلاقي». فعدم قول الحقيقة يمكن في نهاية الأمر أن يصبح محيراً للكذاب المزمن، كما هو مضلّل لمستمعيه. وهكذا كان الأمر عند نيكسون. فكان كيسنجر يعتقد أن الرئيس يقنع نفسه أحياناً بأن تشويهه لحقيقة ما، هو في الواقع الحقيقة الصادقة الصحيحة. وكان مساعد الرئيس جون إيرليكمان يقول: «إنني أشك في ما إذا كان [نيكسون] نفسه يعرف أنه لا يقول الحقيقة».

إن التركيز على كذب نيكسون، وريائه ـ إن كان يمكن الحكم على الرياء بأنه الخطيئة الأصغر ـ لا يجري هنا لإصدار حكم مسبق على الرجل. ولكن للإشارة إلى صعوبة متأصلة في صلب الموضوع يواجهها أي شخص يجهد نفسه للكتابة عنه. لقد ترك نيكسون لكتّاب سيرة حياته، بطرق كثيرة، مادة تشغلهم أكثر مما تركه معظم الساسة. فعمله في سيرته الذاتية كثيف، ويلقي أضواء كاشفة، وكذلك الحال في الكتب التي أنتجها عنه الذين عرفوه جيداً. غير أن

بعض أولئك الكتاب هم أنفسهم عرضة للكذب، وفيهم أناس دينوا لإدلائهم بشهادات زور. ثم هناك أشرطة البيت الأبيض، التي هي حصيلة فريدة من نوعها. إذ إنها مادة أولية لا تقدر بثمن، ولكنها هي الأخرى مخترقة بالأكاذيب النيكسونية وليس من السهل التعرف عليها كلها، حتى الآن.

إن الحقيقة مراوغة تتملص من كاتب السير دائماً. وبصورة عامة فإن الوصول إليها في حالة المجموعة الأقلّ من المواد التي يخلفها الزعماء الذين يعتبرون نزيهين بصورة أساسية، مثل ترومان، أو فورد، أو كارتر، أسهل من الوصول إليها عبر السجل المستفيض الذي هو تراث رجل معروف بأنه كان كذاباً مزمناً [لو عرف المؤلف دور فضائح ترومان في الضغط على الدول الأعضاء في الجمعية العامة للأمم المتحدة، لانتزاع موافقتها على قرار تقسيم فلسطين سنة 1947، لما ذكر اسمه مع النزيهين! المترجم]. إن السفر عبر حياة ريتشارد نيكسون يتطلب، أكثر من أغلب المواضيع، مروراً حذراً خلال حقل ألغام من الأكاذيب، وهي أكاذيب لها درجات متفاوتة من الخطورة، أكاذيب تخدم الذات، ولكنها تدحر صاحبها في خاتمة المطاف.

وقد أبدى جون إيرليكمان ملاحظة أن نيكسون، ربما يكون قد فقد اتصال بالحقيقة سنة 1978، عندما نُشِرَت سيرته الذاتية في مجلدين. فأشار إيرليكمان إلى ما كتبه الرئيس السابق عن عائلته. فقال للكاتب بول ثيرو: «اقرأ وصفه لأفراد أسرته. إنهم جميعاً كاملون. أليس كذلك؟ ولكن أي رجل يستطيع أن يقول إن أسرته حائزة الكمال؟ إن أولئك الناس هم بشر... ولكنه حوَّلهم إلى دمىً مصنوعة من الشمع... فإذا لم يذكر الحقيقة عنهم، فكيف يذكر الحقيقة عن أي شيء آخر؟».

إن صورة طفولة نيكسون وصباه وحياته العائلية تصل إلينا، كما ينبغي أن تصل معظم مثل هذه الذكريات، من الأسرة نفسها؛ وفوق كل شيء فإنها تصل من نيكسون، الرجل البالغ، ومن أمه، هنّا. إذ أن مقابلاتهما، حتى المبكرة

منها، قد أعطيت بهدف توليد دعاية ملائمة لسياسيّ كالبرعم في بداية تفتحه.

إن صفحة التنويهات في سيرة مبكرة لحياة نيكسون، من تأليف بيلاكور نيتزر، تفيض بآيات الشكر لنيكسون وأمه «العظيمة المتفانية». وقد شاركت هنّا نيكسون بمرح في ترويج حكاية الثروة المفقودة من نفط يفترض أنه اكتشف تحت ممتلكات العائلة بعد أن باعتها. وقد اعترفت بأنها «كانت حملةً منذ ولادته. ولقد كنتُ القائمةَ بهذه الحملة له طيلة حياته». وفي السنوات اللاحقة، علقت في بيتها صورة كبيرة ملونة شفافة ثلاثية الأبعاد لريتشارد ـ تضيء بلمسة زر ـ رغم أنها تتنافر وتبدو غير لائقة مع الأثاث البسيط الذي حولها.

وظل نيكسون من جهته يشيد بفضائل أمه إلى الأبد، وكانت تشمل قدرتها على صنع الفطائر، ولاحظ المراسلون الصحفيون أن الفطائر، التي كانت أمه تنهض في الخامسة صباحاً لتخبزها قد تبدل حشوها من التفاح إلى الليمون، ومن الليمون إلى الكرز أثناء تنقله من تجمع حاشد إلى آخر. وقد ذهل مساعدوه من الطريقة التي كان يتحدّث بها عن هنّا، حتى وهو تحت أنظار عامة الناس. وكان مستمراً في الحديث عنها والدموع تملأ عينيه عندما اقترب من عيد ميلاده الثمانين: «علمتني أمي العمل الدؤوب الشاق، والمثابرة والصبر... فقد ضحّت بكل شيء من أجلنا. وقد عملت كأنها كلب، عبر الألم والدموع وكل ما يخطر ببالك. وكانت قوية جداً لأنها وضعت كل كدحها في يدي الله. فلم تستسلم... لقد كنت أعرف دائماً أن النساء هنّ الجنس الأقوى».

وقد انحدرت هنّا ملهوس نيكسون ـ التي كان ريتشارد هو الوحيد من بين أبنائها الذي استخدم اسم بكوريتها ـ من سلالة طويلة من المرتعدين [من خشية الله، وهم جمعية دينية أسسها جورج فوكس الإنكليزي في منتصف القرن السابع عشر تحت اسم «جمعية الأصدقاء». وكان أعضاؤها يتميزون بالبساطة في ملابسهم، وأنماط سلوكهم، وشدة تدينهم وكرههم للحروب، وقد اضطهدوا في إنكلترا في الربع الأخير من القرن السابع عشر، فهاجروا إلى أمريكا،

وأقاموا مستوطنات على سواحلها الشرقية. ولا تزال هذه الجمعية قائمة حتى اليوم: المترجم]. وكان أسلافها من الألمان الذين هاجروا أول الأمر إلى إيرلندا، ثم في القرن الثامن عشر إلى ما أصبح فيما بعد بنسلفانيا، ثم تنقلوا من جماعة من الأصدقاء إلى أخرى، حتى استقر بهم المقام آخر الأمر في كاليفورنيا. وكانت هنّا واحدة من تسعة أطفال ولدوا لمزارع ثري وزوجته. وكان جيل أبيها من جماعة من «المرتعدين» مترابطة بإحكام، تتحدث بأسلوب التعظيم، وتلتزم بالتقاليد التزاماً صارماً، وبالسلوك المنضبط بشدة، وذات عقلية عشائرية متشددة إلى درجة أنها لم تتنازل إلاً بعد إحجام وتمنّع، بقبول الضرورة الحيوية للتزاوج من خارج سلالة دم أسرة ملهوس.

وكانت هنّا تعتبر ابنةً هادئة مطيعة ظلت تتحدّث عن كونها ستصبح مدرّسة، إلى أن تركت كلِّيَّتها في سن الثالثة والعشرين، لتتزوج من فرانك نيكسون، الذي كان عندئذ في التاسعة والعشرين وينحدر من أصل متواضع. إذ كان واحداً من خمسة أطفال من عائلة افتقرت في أوهايو، من الطائفة الميثودية، أي المنهجية [وهي حركة دينية إصلاحية قادها في أكسفورد سنة 1729، الأخوان تشارلز وجون ويزلي في محاولة لإحياء كنيسة إنكلترا: المترجم]، وهي أسرة ذات أصول وجذور مختلطة، إنكليزية، وإيرلندية، واسكتلندية. وكان فرانك نيكسون قد ترك المدرسة وهو في الرابعة عشرة، ليبحث عن كسب معيشته حيثما وجد سبيلاً إلى ذلك. وعندما كان في السابعة والعشرين، انتهت وظيفته كسائق حافلة عمومية للركاب بعد أن أصيب بعضّة صقيع، أثناء قيادته الحافلة ليلاً على طريق مكشوف. وقد تزعم العمال في كفاحهم من أجل تحسين ظروف عملهم، ثم غادر متجهاً إلى مناخ أدفأ في كاليفورنيا الجنوبية. فسكن في مثوىً يديره المرتعدون، وهناك أثناء حفلة للقديس فالنتاين أقامها المرتعدون في سنة 1908، التقى هنّا ملهوس، وتودّد إليها وتزوجها في أقل من أربعة أشهر.

ولم يقتصر الأمر على كون العروس قد تزوجت ممن هو دونها في المركز، على حد وصف أحد الأشخاص المحليين، بل إنها ـ باعتبارها لم تخرج من قبل مع أي شخص أبداً ـ قد وقعت في غرام شخص كان ـ بحسب تبجّحه ـ يواعد خمس فتيات في الوقت نفسه آنذاك. وكان فرانك مذكوراً بأنه «رجل ساخن»، يقرص الإناث ويعتصرهن، فكان «ابن زناً شهوانياً»، حسب رواية محامٍ محلي، إلى درجة أنه تخلى عن الرقص فيما بعد، لأنه كان «يستثار على الفور. . . كلما التفت ذراعاه حول امرأة».

وتزوجت هنّا من فرانك في وجه معارضة والديها. وعكست أختُها المراهقةُ أوليفُ غضبَ العائلة والمرتعدين المحليين فحفرت عبارة «هنّا فتاة رديئة» على جذع شجرة فلفل في الباحة. غير أن العلاقات تحسنت في آخر الأمر. فزوّد والدُ هنّا العروسين بقطعة أرض لبدء حياتهما الزوجية. وسرعان ما بدأ الأطفال في الوصول.

وقدّر للزوجين أن يرزقا بخمسة أطفال، كلهم ذكور. فقد وُلد هارولد بعد سنة من الزواج، بينما ولد ريتشارد أثناء موجة برد غريبة بعد ذلك بأربع سنوات، وتلاه دونالد في سنة 1915، فآرثر سنة 1918؛ وجاء إدوارد في وقت متأخر ومفاجئ في سنة 1930، عندما كانت هنّا في الخامسة والأربعين. وقد أطلقت على الأولاد جميعاً ـ باستثناء دونالد ـ أسماء ملوك إنكليز، تاريخيين أو أسطوريين. وفي حالة ريتشارد، كما أوضحت هنّا فيما بعد، فإنها كانت تفكر بريتشارد قلب الأسد، بطل الحروب الصليبية.

وكما روت هنّا، فقد كانت النشأة في عائلة نيكسون قاسية شاقة. وتذكرت أنه لم يكن لديها ما تقدمه على المائدة سوى خبز الذرة، ليلة بعد ليلة. وقد أخبر ريتشارد نيكسون أحد المراسلين ذات مرة، عن «ذهابه إلى النوم ليالي كثيرة دون أن يتناول سوى قطعة خبز مغطاة بمعجون الطماطم، وعن معرفته للجوع ما هو وكيف يكون». وقال في مناسبة أخرى: «كنا فقراء ولم

يكن عندنا شيء يذكر». واقترب من الحقيقة المحتملة في مناسبات أخرى، فقال لكاتب العمود الصحفي ستيورات آلسوب: «لقد قيل إن عائلتنا كانت فقيرة، ولكننا لم نفكر في أنفسنا كفقراء أبداً. فقد كان لدينا ما يكفي من الطعام، ولم نضطر إلى الاعتماد على أحد آخر على الإطلاق».

ذلك أن الزوجين النيكسونيين لم يبدآ حياتهما بدون موارد. فعلى الرغم من كل تحفظات والد هنّا على فرانك، قدم له ثلاثة آلاف دولار ـ أي ما يعادل اثنين وخمسين ألف دولار بعملة اليوم ـ لبناء بيتهما الأول، وللشروع في زراعة بيارة ليمون في يوربالينندا، على بعد ثلاثين ميلاً من لوس آنجيلوس.

ولم يزدهر الليمون قطّ، لأن الأرض لم تكن صالحة له من جهة، ولأن فرانك نيكسون رفض الأخذ بأية نصيحة لتحسين الأرض، من جهة أخرى. وعلى مدى سنوات، عمل في وظائف أخرى، بينما راحت هنّا تشتغل في مصنع «صان كيست» لتعبئة الفواكه. فكانت حياتها شاقة، ولم يكن أقل سبب لذلك الشقاء أن الحياة التي خلفتها وراءها عند زواجها من فرانك، كانت مريحة بالمقارنة مع ما أقدمت عليه. فقد كانت تستطيع العودة إلى الراحة فترةً ما في بيت أبويها. وقد فعلت ذلك أحياناً.

وقال نيكسون بعد بلوغه إن مصاعب الحياة كانت تعني، اضطرار هارولد إلى التخلي عن رغبته في الحصول على مُهْر، لأن النقود كانت تصرف ثمناً للبقاليات، ولشراء أحذية لإخوته الصغار. وزعم ريتشارد أنه كان متلهفاً للحصول على «قطار ذاتي الحركة، ليس قطاراً كهربائياً، بل قطاراً يسير بشكل متعرج فحسب» (غير أن هنّا قالت إن الأولاد حصلوا بالفعل على قطار كهربائي، كان لعبة ترف كمالية باذخة في ذلك الحين). ولم يكن أبوهم يملك جراراً فحسب (وكان الجرار من الضرورات لمالكي الأراضي) بل كانت لديه أيضاً سيارة في وقت مبكر منذ سنة 1919. ففي يوربالينندا، حيث كانت أسر كثيرة تكافح لسد رمقها، كان جيران آل نيكسون يعتبرونهم

«أثرياء»، حتى «ولو كانوا ذوي مستوى أعلى بقليل مما يمكنك أن تسميه دخل الطبقة المتوسطة».

وتحسنت الأمور مادياً سنة 1922، بعد عيد ميلاد ريتشارد التاسع، عندما تخلّت أسرة نيكسون عن فكرة بيارة الليمون، وباعت الأرض، واقترضت خمسة آلاف دولار ـ نحو واحد وخمسين ألف دولار حسب قيمة أيامنا هذه ـ من المصرف، وانتقلت إلى ويتيير لتبدأ عملها التجاري في مشروع بقالية ومحطة غاز. وصار البيت منزلاً متواضعاً خلف الدكان فيه غرفة الجلوس، ومطبخ، وغرفة نوم في الطابق السفلي، وأخرى فوق المرآب للأطفال. وشرعت هنّا تصنع فطائرها الشهيرة على مائدةٍ في المطبخ مغطاة بقماش زيتي. وكانت هناك أغطية مكوية بأناقة تكسو الكراسي المنجّدة في غرفة الجلوس، حيث ينتصب بيانو قائماً في الزاوية. وكانت هنّا تحب أن تعزف عليه. وتقول لنا مكتبة نيكسون أن ريتشارد الصغير كان، وهو في الثالثة من عمره، قادراً على التقاط وترداد نغمة بسيطة.

ويستذكر نيكسون في منتصف عمره: «كان أبي مشاكساً عدوانياً محباً للشجار، ذا ذهن متوقدٍ فجّ واسع التجوال. وقد غرس فيَّ احتراماً للتعلّم والعمل الشاق المجهد، وإرادة الاستمرار في القتال مهما كانت الأخطار المحدقة كبيرة... وكان عند أبي سرعة إيرلندية للغضب وللمرح على حد سواء. وكان مزاجه هو أكثر ما أثر بي وأنا طفل صغير. فكانت له مجادلات وخصومات عاصفة مع شقيقيّ هارولد ودون... وكان انضباطياً متشدّداً وصارماً...».

وكان فرانك نيكسون قد تعرض للضرب في طفولته. واستخدم بدوره المسطرة والحزام في تأديب أطفاله. هل كان ريتشارد هدفاً لعقوبته؟ لقد زعم أنه بينما كان أشقاؤه يُضْرَبون، فقد تجنب هو الحزامَ بمراعاة القواعد. وقال إنه تعرض للضرب بالحزام في أحيان أخرى، و«كان أبي يصفعنا على قفانا أحياناً؛

أمّا أمي فلم تفعل ذلك قطّ». وهناك ذكريات أخرى ترسم صورة أكثر قتامة، ليس فقط عن أب عنيف شديد العقاب، بل كذلك عن أم ليست المخلوق الجميل الذي رسمت له صورة مضيئة.

وذات مرة، عندما كان الأب يجلد هارولد، سُمعت صرخاته في البيوت المجاورة. فكان الأولاد أترابه في اللعب، يخشون بدورهم من التعرض للضرب على يد فرانك نيكسون، ويعتبرونه «شخصاً خشناً إلى حدّ مخيف». وقال أحد أصدقاء العائلة إنه كان «قاسياً. . . ومتوحشاً. . . كالحيوان». وذات مرة، عندما فوجئ بريتشارد وأحد أشقائه يسبحان في قناة قريبة، فانتشلهما منها، ثم ألقى بهما فيها ثانية وهو يصرخ: «أتحبّان الماء؟ خذا مزيداً منه!» وقد شهدت هذه الواقعة ابنة خال ريتشارد، ياسمين ويست، التي أصبحت كاتبةً بارزة فيما بعد، مع عمتها إليزابيث، التي خشيت أن يغرق الصبيّان، فصرخت بأبيهما: «إنك ستقتلهما يا فرانك! إنك ستقتلهما!».

واستذكرت ياسمين ويست صدمة أبيها بعد سنوات لاحقة، عندما سمع أولاد نيكسون يتحدثون عن أبيهم بمرارة أمام الآخرين. «لقد كانوا يتحدثون بقسوة، وبأشداق واسعة في انتقاد أبيهم. . . فلم يستطع [والدي] أن يفهم، إلاّ أن يكونوا قد تعرضوا لقسوة أبيهم في صغرهم، فكانوا يكيلون له بِصَاعِهِ».

ولم يتحدث ريتشارد نفسُه عن حالات التوتر هذه على الإطلاق. بل كان يقول عن فرانك نيكسون: «إن أفضل ما أتذكره عنه هو الحب الكامن خلف الفظاظة والخشونة والجفاء في مظهره الخارجي». وبالمثل، فإنه لم يذكر قط أي احتكاك بين أبيه وأمه. ومع ذلك فإن الدكتور آرنولد هتشنيكر، المعالج النفسي الذي ظل نيكسون يستشيره أعواماً كثيرة، كان لديه انطباع قاسٍ عن ذلك الزواج، وهو انطباع لا يمكن أن يكون قد تلقاه إلاّ من مريضه. فقال في سنة 1976: «كان أبو نيكسون وحشياً وقاسياً فكان يعامل الأم بوحشية. وهذا شيء

له أهمية هائلة». وكان نيكسون ما يزال حياً في ذلك الوقت. ولم يقدم هتشنيكر أية تفاصيل(*).

ولم يتحدث ريتشارد بقسوة أبداً عن والدته، التي كان يصفها بأنها «ألطف امرأة تراعي مشاعر الآخرين». وقد وصفها بعض الأصدقاء بأنها امرأة «رائعة... عطوفة، مهذبة الكلام، فيها هدوء الراهبات الساكن، فلا تنطق إلاّ قليلاً، وبصوت عذب منخفض». ومع ذلك فقد كانت شخصية هنّا تولّد توترها الخاص بها توليداً، بحيث قال ابنها إدوارد: «وكان لها مزاج سيئ أيضاً، ولكنها كانت تسيطر عليه. فكانت تعرف كيف تأخذ بخناق أبي إذا كان يؤذي واحداً منا عن غير قصد...».

وكانت هيلين دراون، الصديقة التي بلغ من وفائها أنها لم تكن تجد عيباً في أسرة نيكسون، تتذكر طبع هنّا المتفجّر أيضاً، فلاحظت «أنها لم تكن قديسة مقدّسة». وكان أحد الجيران يعتبرها «معتوهة متزمتة غريبة الأطوار»، وكان جار آخر يراها «قاسية... من فولاذ محض، فولاذ محض».

ولم تترك هنّا العقوبة الجسدية لزوجها. وقد زعمت أثناء الحديث عن ريتشارد لأحد الصحافيين: «إننا لم نعاقبه بالضرب قط»، بينما اعترفت لآخر: «ربما أكون قد ضربته قليلاً». وشجعت أحد الجيران على صفع ريتشارد على قفاه إذا حاد عن الجادّة. وتذكر جار آخر أنه رآها جالسة إلى البيانو إلى جانب ريتشارد، وبيدها قضيب، بينما كان ريتشارد يتمرن على العزف.

وقد علم جون سيرز، مساعد نيكسون، أن «هنّا نيكسون خبزت ذات يوم بعض الكعكات الصغيرة المحلاّة، فرآها ريتشارد الصغير وأكل واحدة منها.

(*) زار نيكسون الدكتور هتشنيكر لأول مرة سنة 1951، وظل يستشيره في أوقات متفرقة كمريض وكصديق حتى وقت قصير قبل وفاته. وقد ظلت الطبيعة الحقيقية لعلاقتهما غامضة يطمسها الطبيب، وكذلك نيكسون. وقد سمح الدكتور هتشنيكر للمؤلف بالاطلاع على كتاباته غير المطبوعة عن نيكسون، وأجرى معه مقابلات مستفيضة لأغراض هذا الكتاب. وعلاقته مع نيكسون واردة بتفصيل كامل في الفصل العاشر.

فقالت: «ريتشارد، هل أكلت تلك الكعكة؟» فلم يعرف أفضل من أن يقول نعم، فضربته ضرباً مبرحاً أطار ضوء النهار من عينيه، أو لعل أباه هو الذي فعل ذلك عندما عاد إلى البيت. ولكن ريتشارد نيكسون تعلم شيئاً واحداً من تلك الواقعة: كان سيلقى الضرب المبرح لو أنكر. أما أن يُضْرب عند اعترافه! . . . فقد أدرك أنه إنسان مرفوض كلياً. وكان ذلك درس عمره الذي لم ينسه قَطّ».

ولقد كان لسان هنّا هو أكثر ما يخافه أولادها. فيستذكر ريتشارد: «كانت تجلس، وتتكلم بصوت شديد الهدوء، بحيث إنها عندما تنتهي منك، تكون قد خُضْتَ تجربةً عاطفية». وقال له شقيقه الأصغر آرثر ذات مرة عندما كان متورطاً في مشكلة: «قل لها أن تضربني على قفاي. إنني لا أطيق لسانها عندما تتحدث إليّ».

كانت جريمة آرثر في ذلك اليوم خطيرة؛ فقد أُمْسِكَ بالجرم المشهود وهو يدخّن السجاير خلف البيت ـ في سن الخامسة! ـ سجاير أخذها من دكان أبويه. وكان ريتشارد يعتقد أن سبب عمله ذاك هو أنه أراد «أن يبيّن للعالم أنه رجل». وكان فرانك وهنّا يأملان بإنجاب بنت عندما ولد آرثر في سنة 1918. وعندما اتضح أنه ولد، أخبرا أولادهما أول الأمر بأن «هناك لعبة صغيرة لنا في المستشفى، لعبة حقيقية حيَّة». وفي السنوات القليلة الأولى من حياته عاملاه كأنه بنت إلى أقصى حد ممكن، إلى أن توسل بهما آرثر المسكين لحلاقة رأسه بطريقة رجالية.

وتكشف قصة أخرى عن آرثر نزعة الحياة العاطفية في أسرة نيكسون، فذات مرة عندما كان في السابعة، وكان ريتشارد في مكان بعيد، فهجم آرثر لتحيته عند عودته، ثم سأل في خجل: «هل هناك من بأس إذا قبّلتك؟» كانت تلك واقعة. فقد كان على آرثر أن يطلب إذناً مسبقاً من أمه كي يقبّل أخاه نفسَه.

وذات مرة، شاهد ريتشارد برغولز ـ المحرّر السياسي السابق لصحيفة **لوس آنجلوس تايمز** ـ نيكسون وأمه يحيّي كل منهما الآخر بعد انفصال طويل:

«لم أستطع أن أصدق ما تراه عيناي. . . فَهٰهُنا شخص لم ير أمه في. . . لا أدري طول المدة، وكل ما يستطيع عمله هو أن يصافح يدها؛ لم يكن قادراً على إظهار أي نوع من العاطفة. وقد أقلقني ذلك. . .».

لقد أعلن ريتشارد في شيخوخته أنه «يشعر بالغثيان» من عادة العناق وتقبيل الأطفال والأحبّة. وقال إن أمه «تستطيع الاتصال أكثر بكثير ممّا يفعل الآخرون بالثرثرة المفرطة، والتقبيل والعناق الأكثر إفراطاً. . .» لم تقبّله أمه طيلة حياته قطّ(*).

وقال نيكسون عن هنّا: «في حياتها كلها، لم أسمعها قطّ تقول لي أو لأيّ أحد آخر: «أحبك». وزعم أنها لم تكن تحتاج إلى ذلك: «لم يكن أحد يظهر دفئاً وعاطفة أكثر من أمّي. . . غير أن واحداً من أطباء النفس الفرويديين المثيرين للرثاء، يقترح أن حبها للاختلاء بنفسها قد جعلها تبتعد بنفسها حتّى عن أبنائها». كان هذا بالضبط ما اقترحه الدكتور هتشنيكر، المعالج النفسي الذي كان نيكسون يأتمنه على أسراره على مدى سنوات، في مقابلات أجراها معه المؤلف من أجل الكتاب. ولقد استنتج ـ ويكاد يكون من المؤكد أن أساس استنتاجه لا بدَّ أنه يقوم على ما أخبره به مريضه ـ أن هنّا «لم تكن في الحقيقة قريبة من ريتشارد. . . فلم تقدم أي امرأة لنيكسون الدعم الذي كان يحتاج إليه في الواقع أبداً».

كان هتشنيكر يعتقد أن نيكسون «عاش طفولة محرومة من العاطفة»، وهكذا كبر ليصبح «شخصاً يعتبر الحب والقرب الجسدي الحميم شيئاً ملهياً له يستنزفه حتى ينضب فيجعله أقل رجولة. فالحب. . . لم تكن له أولوية قطّ في

(*) يذكرنا هذا بوفد البدو الجفاة الذين رأوا الرسول العظيم محمداً (ص) يقبل حفيديه الحسن والحسين (ع) فتساءلوا في استغراب: «أتقبلون أولادكم؟» فأجاب الرسول العظيم: «نعم» فقالوا: «ولكننا لا نقبّل». فردّ عليهم: «أوَ أَمْلِكُ إن كان الله قد نزع الرحمة من قلوبكم؟» أو كما قال. [المترجم].

حياة نيكسون، إذ أنه كان يُقْنِعُ نفسَهُ دائماً أنه ليس بحاجة إلى أن يحبه أحد كإنسان، بل إلى أن يحترمه كرجل فقط».

ولقد تعقّدت التوترات في عائلة نيكسون بالمآسي مرتين. فأولاً مات أخوه آرثر سنة 1925، عندما كان ريتشارد في الثانية عشرة، وكان ذلك الولد في السابعة من عمره فقط. ولا يمكن البتّ بسبب موته على وجه اليقين. وقد ذكر أول كاتب أجرى مقابلة مع نيكسون البالغ عن هذا الأمر، أن آرثر سقط مريضاً عندما أصابته صخرة مقذوفة في باحة المدرسة. وذَكَرَتْ تلك الحادثة أيضاً ممرضةٌ كانت تعتني به. وتذكّر أخوه الذي عاش بعده، إدوارد نيكسون أنه سمع عنها، كما ذكر ذلك دونالد، ابن أخي ريتشارد. فهو يتذكر أنه عندما كان يترعرع في خمسينيّات القرن العشرين، قد نُهي عن قذف الحجارة والأتربة أثناء اللعب لأن آرثر ـ كما أوضح له والده ـ قد مات على أثر «إصابته بكتلة طينية في مؤخرة رأسه».

ولكن شهادة الوفاة تعزو موت آرثر إلى «التهاب الدماغ أو التهاب السحايا الدرنيّ». وفي سنوات لاحقة راح ريتشارد يؤمن بالنظرية القائلة بأن السبب الجذري كان هو التدرّن. فقد كان السلّ هو لعنة شبابه والكابوس الصحيّ لعائلته، إذ أنه قتل جدته لأبيه، وعمته، وأحد أبناء عمومته. وحسب رواية هنّا فإنه عندما مات آرثر، جلس ريتشارد في كرسي كبير «يحدّق في الفراغ، صامتاً، وعيناه جافّتان، بالطريقة التي لا يظهر بها شيئاً، والتي قيض له دائماً أن يواجه بها المآسي، بسبب عمق شعوره الخانق». وقال إنه بكى كل يوم على مدى أسابيع. وسرعان ما راح السل يفتك بأخيه الأكبر، هارولد، في ألم وفي بطء.

كان هارولد في السادسة عشرة عندما مات آرثر. وكان وسيماً، يتلهف على الفتيات، ويملك في مراهقته المتبجّحة سيارة فورد مستهلكة من طراز «آ»، ولم يكن ناجحاً في المدرسة. ومع ازدهار البقالية ومحطة الغاز، قرّرت أسرة

نيكسون إرساله إلى مدرسة داخلية بعيدة في ماساشوسيتس. وعاد هارولد بعد بضعة أشهر وهو يسعل، في المراحل الأولى من مرضه.

وزعم ريتشارد بعد موت والديه أن أباه كان سبب مثل تلك الكارثة. فقد كان يسخر من إجراءات السلامة، كبسترة الحليب، ويصرّ على أن تشرب عائلتُهُ الحليبَ من ضرع البقرة مباشرة. وقد أصيب ريتشارد إصابة خطرة بالحمى المتموّجة، وهي نوع من الحميّات التي يمكن أن يصاب بها المرء من استهلاك منتجات حيوانيَّة. وقد خشي كل من ريتشارد ودونْ من أن يكونا مصابين بالسل عندما أظهرت صور الأشعة ظلالاً على رئتيهما.

كان سلّ هارولد محنةً للعائلة استمرّت ست سنوات. ونظراً لأن أباه كان مفرط العجرفة فلم يرسله إلى عيادة عامة، بل جعله يبدأ المرحلة الأولى من سلسلة إقامات في المصحات الخاصة الباهظة التكاليف. وللإنفاق على رعايته فإن تلك التكاليف قد مزّقت العيش المريح الذي كان آل نيكسون ينعمون به، وهي تكاليف يتذكر ريتشارد أنها كانت «كارثيَّة». ومهما يكن من شأن المبالغات السابقة عن أيام الأسرة في الماضي، فإن تلك الفترة كانت فيها صعوبة حقيقية. فريتشارد، الذي لم يكن قد جاوز السادسة عشرة، كان يستيقظ بانتظام في الرابعة صباحاً، ليقود سيارته أربعة عشر ميلاً إلى لوس آنجيلوس، لشراء الفواكه والخضر للبقالية، ثم يعود ليعرضها في الدكان، وذلك كله قبل أن يذهب إلى المدرسة. وحتى في ظروف أسرته القاسية تلك، ظلّ شديد الحساسية في موضوع الذوق والتأنّق. فكان يصرّ على أن يكوي قميصه جيداً، وأن تفحصه أمه بشأن البَخَر بتشمّم نَفَسِهِ كل صباح ـ «للتأكد من أنه لن يؤذي أحداً برائحه فمه...».

وتولدت من عمل ريتشارد في الدكان حكايةٌ تقول، إن الاستقامة لم تكن أفضل خصائله، حتى في ذلك الوقت المبكر. وتستذكر ابنة خاله ميرل ويست: «ذات يوم، عندما كان ريتشارد يساعد دون في قسم اللحوم بصنع شطائر

الهمبرغر، جرح إصبعه جرحاً غائراً فسال دمه على اللحم، فقال دون إن عليهما أن يرميا اللحم الملوّث بالدم، ولكن دِيكْ [لقب كلّ من يحمل اسم ريتشارد بالإنكليزية] قال: «لا أبداً! إن هذا أطيب لحم طازج على المنصّة. اتركه في مكانه. . .».

كانت حملة هنّا نيكسون لإنقاذ هارولد تبعدها عن أسرتها فترات طويلة. فقد علقت آمالها على إمكانية تحسن صحته في مناخ آريزونا الأكثر جفافاً، على بعد أربعمائة ميل. وكانا يسافران إلى هناك للبقاء فترات متطاولة على مدى أكثر من عامين. وعندما انضم إليها ريتشارد، في صيف سنتيْ 1928 و1929، وجد نفسه وسط مجموعة من المسلولين، مرضى يدلفون جيئة وذهاباً بالبجامات وملابس النوم، وفي أيديهم فناجين البصاق. فشعر بالخوف، حتى من أخيه نفسه. وفي تلك الأثناء عمل في وظائف صيفية، كناتفٍ لريش الفراخ، وكصبيٍّ لبركة السباحة في نادٍ ريفيٍّ ممتاز، وكمنادٍ جهير الصوت في كرنفال، حيث تعرض لأول ممارسة له للقمار. ويقال إن أمه المرتعدة المتزمتة قد أغمضت عينيها عن هذا النشاط الأخير.

وفي الأيام الأكثر سعادة، كان ريتشارد وهارولد يغشان البائعين الزائرين لدكان أبيهما بتلفيق إعلانات إذاعية مزورة، وإذاعتها عبر نظام للاتصال رَكَّبه هارولد. ويستذكر أحد الأقارب أن ريتشارد كان متميزاً في تزوير الإذاعات. وفي آريزونا ابتكر هارولد طريقة لاعتراض المكالمات الهاتفية لصديقةٍ له مع خاطبٍ منافس له. ولعلّ تلك كانت أول تجربة لريتشارد في استراق الأسلاك الهاتفية. وخلال ذلك كله كان ريتشارد يتفرّج على أمه، وهي تعتني بهارولد وغيره من المسلولين الذين كانت تستضيفهم كمستأجرين يدفعون، وهي تفرغ نونيّات الأسرّة، وتغسل الملاءات الدامية. وجاء الموت لهارولد سنة 1933 في البيت في وِيتِّيِرْ، في عيد ميلاد أمه. وتذكر هنّا كيف «غاص ريتشارد في صمت عميق لا يخترقه شيء. ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، بدا كأنه يحاول أن يكون

ثلاثة أبناء في ابن واحد، وراح يكافح بجهد أكثر مشقة من ذي قبل ليعوّض أباه ويعوّضني عن الخسارة. . . وأعتقد أن ريتشارد ربما شعر بنوع من الذنب لأن هارولد وآرثر قد ماتا وهو حيّ».

وكان فرانك نيكسون قد حكم أن هارولد، من بين الأولاد جميعاً، «هو زهرة العائلة»، فسأل والد ياسمين ويست: «لماذا يؤخذ أولاً ألمع الأولاد وأقواهم، وأكثرهم وسامة، وأفضلهم؟» وشكّت ياسمين في أن ابن خالها ريتشارد قد أرغم على الشعور بأنه «بديل، ورجل في الفريق الثاني».

عندما مات آرثر، قرّر فرانك نيكسون أنه يتعرض للعقاب، لأنه كان يفتح دكانه في عطلة نهاية الأسبوع، وبدأ منذ ذلك الحين يغلق أيام الآحاد. وبعد وفاة هارولد أقسمت هنّا ألاّ تحتفل بعيد ميلادها مرة أخرى أبداً. ومنعت إقامة الحفلات أو تقديم الهدايا طيلة ما بقي من حياتها. وقبلت هي وفرانك ذهاب ولدهما كتعبير آخر عن إرادة الله.

كان أطفال نيكسون مغمسين في الدين. ومن بين البيتين المخصّصين لاجتماعات المرتعدين في مدينتهم، كانت العائلة تذهب إلى البيت الذي يتبع تقليداً تبشيرياً، والذي كان يمارس شكلاً يختلف كثيراً عن الصلوات الصامتة للمرتعدين في مفهومها الأصلي. فقد كان المرتعدون التبشيريون أكثر ميلاً للموسيقى، والغناء، والمواعظ العاطفية الشديدة.

ويستذكر ريتشارد: «كنا نذهب إلى الكنيسة بانتظام أربع مرات كل يوم أحد، فكانت هناك مدرسة الأحد، وقداس العبادة في الصباح، ثم اجتماع الشباب الذي يسمى الجهد المسيحي، وقداس عبادة آخر في المساء. . . ولم نكن نتناول وجبة دون ذكر الله وشكره. وكان ذلك يتم في سرّنا بشكل صامت. وكان كل منا يتلو في بعض الأحيان آيات من الكتاب المقدّس». أما في البيت، فكانت هنّا نيكسون تفضّل أن تمارس طقوس دينها بهدوء. فكانت تتبع تعاليم عيسى: «وأمّا أنت إذا صلّيت فادخل إلى مخدعك». فكانت تذهب بالفعل إلى

غرفة الملابس أو غرفة المكانس لتصلي في خلوة كل ليلة. وقالت أختها جين إن الدين «كان في الحقيقة هو حياتها بالضبط».

وكان فرانك نيكسون، المتحوّل إلى مذهبها من مذهب الميثوديين (أي المنهجيين)، معلماً بارزاً في مدارس الأحد، يتذكره الناس لطبعه الناري وخدوده الملتهبة وصوته المتهدج. إذ كان بعد موت آرثر ينهض من مقعده في بيت الاجتماع ليصرخ: «يجب أن تحدث عندنا عودة إلى اليقظة! إن علينا أن نعيد الناس إلى الله!» وبدأ يأخذ عائلته بالسيارة إلى لوس آنجيلوس لحضور اجتماعات الإحياء. وفي أحد هذه الاجتماعات اندفع ريتشارد إلى الأمام، وهو في الثالثة عشرة مع غيره من المؤمنين المتحمسين كي يلزم نفسه باتباع المسيح.

غير أنه في العشرين من عمره، وفي غضون الأشهر التي أعقبت موت هارولد، كان يتساءل عن أُسُسِ إيمانه الديني. فأعلن في سلسلة من المقالات كتبها في الكلية بعنوان: «ما الذي أستطيع أن أؤمن به: لقد تمزقت معتقداتي». ورفض عصمة الإنجيل وقصص المعجزات فيه، ورسم لائحة أوضح فيها مفهومه عن كيفية تفاعل عوامل مثل «الإرادة» و«تنظيم الذات»، مع «الطاقة الروحية» وغيرها من الحوافز المحركة. واستنتج أنه بالرغم من كون تفكيره آنذاك «مُثَوَّراً» فإنه يظل «مؤمناً بالله الخالق وبفلسفة المسيح».

وظل نيكسون ينادي بأنه مسيحي طيلة حياته الباقية، ولكنه تأرجح بالإعجاب بكنيسة إلى أخرى. فأخبر والتر تروهان، المشتغل بصحيفة **شيكاغو تريبيون**، وأحد الصحافيين القلائل الذين صارت علاقتهم به حميمة، أنه ما كان ليبقى من المرتعدين لولا هنّا، وقال إنه كان سيصبح من أتباع الكنيسة المشيخانية بدلاً من ذلك. وفي الستينيّات، عندما كان خارج السلطة، كان كثيراً ما يرى وهو يحضر الصلوات التي يقودها المبجّل نورمان فنسنت بيل، القسّ البروتستانتي المحافظ، الذي اشتهر بكتابه **قوة التفكير الإيجابي**، وكان أحد فصول ذلك الكتاب يحمل عنواناً يقول: «أنا لا أؤمن بالهزيمة».

ولقد أعلن نيكسون في بداية رئاسته، أنه عازم على إقامة صلوات غير طائفية في البيت الأبيض كل يوم أحد. وكان بيلي غراهام، المرشد الروحي المؤتمن لكل رئيس منذ ترومان، من الوعاظ المنتظمي الحضور. وفي إحدى الخلوات مع غراهام، تحدث نيكسون عن «انقلابه» المبكر في أيام شبابه ـ والمفروض أن ذلك كان إشارة إلى تجربته في اجتماع الإحياء في لوس آنجيلوس ـ ثم قال لغراهام: «صلِّ من أجلي، فأنا منغمس في المعصية».

وفي ذلك الوقت، كان المساعد الرئاسي جون إيرليكمان من المؤمنين بـ «العلم النصراني» (وهو مذهب طائفة تؤمن بأن علاج كل أمراض العقل والجسد، يكمن في فهم تعاليم المسيح فهماً كاملاً: المترجم). وقد اعتبر صلة نيكسون مع بيلي غراهام «واجهة زخرفة خارجية كبيرة». وكان يعتقد أن «نيكسون ليس مسيحياً متحمساً. بل كان ينقلب أحياناً إلى معتقدات «المرتعدين»، فيخبرني عن تعاليم أمه. وكيف كانت طقوس المرتعدين بسيطة، وأكثر أصالة. كما كان يقول في أحيان أخرى: «إنك تعلم أنه لو كان لي أن أعتنق ديناً، فسيكون ذلك هو الكاثوليكية، لأن أصحاب هذا المذهب منضبطون جداً في عقيدتهم، ومحددون جيداً». واختار نيكسون كلود برينغار وزيراً للنقل لأنه كان يظنه كاثوليكياً، غير أنه اتضح أنه كان من أتباع الكنيسة المشيخانية. وقد قال له نيكسون: «أريدك أن تكون وزيراً لأنني أريدك أن تكون صلتي مع الكرادلة». وكان ذلك مضحكاً، لأن برينغار لم يزد على أن نظر إلى الرئيس وقال: «حسناً، إن أكباش لوس آنجيلوس هم فريقي، يا سيدي الرئيس».

وحسب رواية تشارلس كولسون، المساعد الذي اتجه إلى الله في وقت لاحق فأصبح قساً علمانياً، فإن نيكسون كان قد فكر في التحول إلى الكاثوليكية قبل انتخابات سنة 1972، بعد أن اقتنع بأن الكاثوليك يمثلون «أمريكا الحقيقية». وبالنسبة للمرتعدين التقليديين مثل أمه، كانت الكاثوليكية شيئاً كريهاً كاللعنة.

ولقد توقف نيكسون عن إقامة صلوات يوم الأحد في البيت الأبيض أثناء ووترغيت، ولم يحضر أي صلوات كنسيّةٍ على الإطلاق. وفي اليوم الذي فَصَلَ فيه رئيس أركانه هـ. ر. («بوب») هالدمان من عمله أسرَّ إليه: «هناك شيء لم أقله لأحد من قبل قَطّ، حتى لك أنت. في كل ليلةٍ منذ أن صرتُ رئيساً، كنت قبل أن آوي إلى فراشي أركع على ركبتيّ إلى جانب سريري، وأدعو الله طالباً هدايته». ثم قال الشيءَ نفسَه لكولسون، مستذكراً فيما بعد أنه قبل اتخاذ أي قرار صعب، كان يصلّي إلى جانب المائدة التي وقّع عليها أبراهام لنكولن إعلان تحرير العبيد.

وعندما اقتربت استقالته، لجأ إلى حاخام اسمه باروخ كورف يطلب منه العون. وحضر ما يقرب من أربع وعشرين «جلسة رعوية». فأوضح لكروف أنه قد استطاع أن يتحمل «الذمّ والوحشية» اللذين تعرض لهما بسبب «السلام المركزي»، الذي طبعته في داخل نفسه أمه المتبعة لمذهب المرتعدين. وفي يومه الأخير في البيت الأبيض قال لكروف، إنه يعتقد أنه كان «يتلقى عقاباً من الله»، بطريقة تشبه كثيراً ما شعر به أبوه بعد موت آرثر.

وحسب رواية بيلي غراهام، فإنه ونيكسون صَلّيا معاً في سان كليمنت بعد الاستقالة. فتناقشا في الإنجيل، وتصفحا كتاب **حياة المسيح** في نسخة مغلفة بالجلد كانت تخص جدة نيكسون. وبعد ذلك ببضعة أشهر، اعترت الحيرةُ والارتباك محامي هيئة الادعاء الخاصة بووترغيت، عندما قدمت لهم نسخةٌ مستعارةٌ من الإنجيل لحلف اليمين، فاستلّ الرئيس السابق قلماً ووضع توقيعه على الإنجيل، وكأنه مؤلفٌ في جلسة توقيع لكتابه، ثم أعاد النسخة بوقار.

وقال نيكسون إنه في شيخوخته، كان يراجع نسخته من إنجيل الملك جيمس بشكل منتظم. وقد ازدحمت على رفوف مكتبته كتب عن الدين والفلسفة. واستمر إعجابه بالكاثوليكية بعد أن صار يعتقد، أن الطقوس والحفلات ضرورات جوهرية للدين، ومع ذلك استمر يعلن أنه من المرتعدين.

وقالت أمه سنة 1960 «أعتقد أن ريتشارد رجل شديد التدين، ولكنه يتجنب حتى الطقوس المقيَّدَة لعقيدته. وإنني لواثقة أن المرتعدين الآخرين يتفهمون ولدي». وبينما دافعت عن نيكسون كنيستُهُ القديمة في كاليفورنيا بعد ووترغيت، فإن معظم جماعات المرتعدين تنكرت له وتبرّأت منه.

ويعتقد بعض المراقبين أن مذاهب العقيدة عند المرتعدين ـ وخصوصاً المذهب القائل بأن كل عضو في الكنيسة، يمكنه بمفرده أن يتوصل إلى نور الله الداخلي، قد انحرفت عند نيكسون. وقال والتر تروهان، المشتغل في صحيفة **شيكاغو تريبيون**: «كنا نمضي كثيراً من الوقت في مناقشة هذا الأمر، وأقول لك بصراحة: إن مشكلة نيكسون العظمى كانت دينه. فالمرتعدون ليس لديهم أحد يتعاملون من خلاله مع الله سوى أنفسهم، وهذا ما يمكن أن يجعلهم وحيدين. فلم يكن يستشير الناس. . . ».

وقد وافق على هذا الرأي الدكتور هتشنيكر، الطبيب الذي وثق به نيكسون طيلة أعوام: «لقد كان ضحية جمود التربية والتنشئة الدينية. فقد تربى على مبدأ أن عليك أن تساعد نفسك. . . ونشأ على عمل كل شيء بنفسه». وعند هتشنيكر أن هنّا، الأم التي استبدّت بنيكسون كهاجس غير سويّ، والتي كان يسميها صِدِّيقة، هي المسؤولة في آخر الأمر عن نزعته إلى الاستقلال المنعزل. «فالقديس شخص لا تكفيه صلواتك مهما كثرت، ولا يرضيه أي تحسن فيك مهما كبر، ولا توسلاتك مهما تواضَعَتْ وتواصَلَتْ. كان نيكسون يشعر أن عليه أن يثبت لأمه أنه لا يحتاج إلى أحد».

وهكذا استنتج هتشنيكر أن «الخوف كان فيروساً أصاب بالعدوى حياة نيكسون، فلم يشف من تلك الإصابة على الإطلاق، وهو الخوف من أن يعتبره الآخرون ضعيفاً. فقد سيطرت عليه فكرة: ما الذي ستفكر به أمي؟ وما الذي سيقوله أبي؟ . . . وأعتقد أنه وجه أمه القديسيّ الصارم قد دحره أكثر من أي عامل آخر. . . لقد كانت أمه في الحقيقة هي سبب سقوطه».

2

قد تتاح لرجل فرص لا يملكها الآخرون...
إن المهم هو ما إذا كان الشخص قد استخدم ما لديه من فرص.
ريتشارد نيكسون، 1962

في سنة 1933، خاض نيكسون حملة قاسية خشنة، وفاز برئاسة، وانتهى به الأمر في السجن بعد ذلك. أمّا الرئاسة فكانت رئاسة الهيئة الطلابية في كلية ويتيير، مدرسة الفنون الحرة في بلدته. وقد فاز فيها على أساس الوعد بأن يكافح لإزالة الحظر على الرقصات الطلابية. فلم يكن مهمّاً له إن لم يكن هو نفسه راقصاً، ولا اعتقاد والديه بأن الحظر ينبغي أن يستمر. وقال عنه المرشح المنافس الذي خسر الانتخابات: «إنه سياسي ذكيٌّ حقّاً. فقد عرف ما هي القضايا التي يستخدمها ليكسب التأييد».

وأمّا احتكاكه بالقانون فجاء بعد بضعة أشهر، عندما قام ورهط من زملائه الطلبة، بالتوجه في رقصة متعرجة كحركة الأفاعي إلى المدينة، فاقتحموا صالة للسينما دون شراء بطاقات. وعندما قبض عليهم رجال الشرطة وأودعوهم السجن، أخرجهم منه نيكسون بمكالمة هاتفية مع أحد طلبة ويتيير وخريجيها السابقين، الذي تصادف أنه كان قاضياً. وقبل ذلك بسنة، عندما كان نيكسون رئيساً للجنة تنظيم حريق احتفالي سنوي، فقد تجاوز المطلوبَ من الالتزامات التقليدية المتوقعة من شاغل ذلك المنصب. فقد كان من المتوقع من الرئيس أن يقدم مرحاضاً خشبياً كبيراً يوضع على رأس الكومة. فكان مرحاض بمقعد أو اثنين يعتبر كافياً، ولكن نيكسون ميّز نفسه بتقديم مرحاض ذي أربعة مقاعد.

فقد تسلّل مع بضعة معاونين له إلى بيت أحد المزارعين تحت جنح الظلام، وفكّوا المرحاض من أنابيب المجاري، وهربوا دون أن يراهم أحد.

وفي سن العشرين، كان الرجل الذي زعم وهو رئيس، أنه لم يحصل على ثقافة، متفوقاً في دراسته الجامعية. فقد كان طيلة شبابه طالباً مثالياً. وقد تذكرت معلمته في الابتدائية ماري جورج، أنه «كان يمتصّ المعرفة من أي نوع كما تمتص قطعة الورق النشاف الحبر، فلم يكن ـ ببساطة ـ مضطراً إلى بذل أي جهد للحصول على المعرفة. . . .» وسيزعم نيكسون أنه قد تعلم القراءة قبل أن يبدأ الصف الأول. ورغم أن الآنسة جورج لم تكن تظن ذلك، إلاّ أنها تتذكر كيف تعجبت، في تلك السنة، كيف كان نيكسون يستطيع أن يقرأ «ما لا يقل عن ثلاثين أو أربعين كتاباً، بالإضافة إلى القيام بكل عمله الآخر».

وقد كتب نيكسون على سبيل الشرح لذلك في أيام شيخوخته: «كانت أمّي تمضي ساعات لا حصر لها وهي تشجعني، وتساعدني في حلّ وظائفي المنزلية، وتتحداني أن أتعلّم». وعندما كان الأقارب يرون النور يشتعل في منزل آل نيكسون، كانوا يقولون قولة العارف المطلع: «إنه ريتشارد يدرس، وهنّا معه». وكانت أمه تقول: «كان ريتشارد يبدو بحاجة لي أكثر من أبنائي الأربعة الآخرين. وكان يحب أن يراني جالسة معه عندما ينهمك في الدراسة».

وبسبب علاماته الجيدة، تقدم نيكسون إلى صفوفٍ فيها أطفال أكبر منه سناً. فكان يسجل الحصول على «ألِفات» في جميع المواضيع ما عدا الرياضيات والهندسة. وفي الصف الخامس كان الأول على صفه طيلة السنة. وفي سن الحادية عشرة كان يلتهم كتاب ديل كارنيجي، **كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس**. وفي سن الثانية عشرة، أرسل في سفرة بعيدة لمدة ستة أشهر يقضيها مع عمته جين، مدرّسة الموسيقى المحترفة. وعاد وهو قادر على عزف صوناتة غريغ على البيانو. غير أنه في ما عدا الموسيقى، أثبت أنه عاجز عن أي عمل ينطوي على تنسيق بين العين واليد. فكان ميؤوساً منه في الأعمال

الخشبية، أو أي شيء يتطلب قابلية آلية ميكانيكية، وكان معروفاً عند بلوغه كشخص «غشيم» تماماً بلا براعة.

وفي سنته الأخيرة في الثانوية، سنة 1930 فاز بجائزة نادي هارفارد بكاليفورنيا «لأفضل طالب من جميع الوجوه» في تلك الولاية. وكانت تلك الجائزة معبراً إلى منحة دراسية من جامعة هارفارد، وتقول إحدى الروايات إن منحةً من هذا النوع قد عُرِضَتْ على نيكسون. وكان هناك أيضاً كلام عن جامعة ييل. ولكن الأمر انتهى به إلى عدم الدراسة في أي منهما. ولعل الضغط على مالية الأسرة كان سيصبح أثقل مما ينبغي، لو حصل نيكسون على تعليم في الجامعات العريقة ذات النفوذ الاجتماعي والأكاديمي، كما شرح هو فيما بعد.

وهكذا كان أن تقدم نيكسون للحصول على منحة ملهوس، لمساعدته في الانتساب إلى جامعة ويتيير، وهي منحة ما كان من الممكن أن يفشل في الحصول عليها. فقد كانت تمولها خمسون ألف دولار تركها جده لأمه لويتيير، وكانت مخصصة بالذات لتمويل تعليم أبناء أسرة ملهوس. وقدم أحد أخوال نيكسون شهادة التزكية له. وكانت كلية ويتْيير ـ ولا تزال ـ مقراً محترماً للعلم بصورة كليّة. ولكنها لم تكن اسماً ذا هالة سحرية. ولقد كتب نيكسون في مذكراته: «كنت أحلم بالدراسة في كلية في الشرق»، وعندما انتهى الحلم، انغمس نيكسون طيلة حياته في هاجس حول الأحقيَّة بالمكانة الاجتماعية ظل مسيطراً على تفكيره[1].

وفي مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين، بينما كان الاقتصاد الوطنيّ يرتجف، كان معظم طلبة وِيتْيير من أبناء الأقلية الموسرة في المجتمع المحلي.

---

(1) ليس معروفاً بالضبط ما الذي حلم به، ومتى. وتذكر سيرة حياته التي ألّفها جوناثان إيتكين مقالةً كتبها نيكسون في الصف الثامن وقال فيها إنه يأمل أن يدرس في كلية ويتيير، ثم يحضّر دورة دراسات عليا في جامعة كولومبيا بنيويورك. وبعد ذلك ببضع صفحات تذكر إشارة أخرى المقالة نفسها على أنها لا تشير إلاّ إلى اشتياق نيكسون إلى «الذهاب شرقاً» من أجل تحصيله الجامعي. (**بات نيكسون**، ص 85؛ جوناثان إيتكين ص 30، وانظر أيضاً **مذكرات نيكسون**، ص 14).

وكان معظم أولئك الشباب يتطلع إلى الانضمام إلى الفرانكلينيين، وهم نادٍ أدبيّ صار ذريعةً لأنواع ولائم العشاء والحفلات، التي يجب فيها ارتداء بدلات التوكسيدو السوداء. وحسب وصف أحد الطلبة، كان الفرانكلينيون «أرستقراطيّي الحرم الجامعي». ورغم أن نيكسون كان من أبناء أسرة ملهوس، فإنه لم يُدْعَ للانضمام إلى الفرانكلينيين. ولذلك فإنه عندما دُعِيَ للمساعدة في تأليف جمعية منافسة لهم، وافق على الفور. فأصبح رئيساً وعضواً مؤسساً لمجموعة من الطلبة، الذين أطلقوا على أنفسهم اسم «المتعامدين»، وهي كلمة مأخوذة من اللغة الإغريقية.

وكانت عضوية «المتعامدين» تتألف، حسب تعبير نيكسون من رجال اضطروا إلى العمل، لشق طريقهم خلال الكلية. فكان معظمهم من لاعبي كرة القدم، ذوي مهارات اشتهر نيكسون بالتطلع للحصول عليها، ولكن عبثاً. فعلى الرغم من أنه صنع الفريق، فإنهم كانوا يتذكرون أنه يملك «رجلين يسراوين»، فكان يجلس على المقعد طيلة معظم المباريات.

وكان نيكسون هو الذي اختار للجمعية شعارها الفرنسي «دعونا نسحق العار»، الذي اعتُمِدَ من دعوة الفيلسوف فولتير إلى محاربة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وزعم نيكسون أنه كتب نشيد الجمعية، رغم أن رواية صحفية طلابية معاصرة، تذكر أن شخصاً آخر كان هو المسؤول عن النشيد. وقد اختار نيكسون أيقونتها فكانت خنزيراً برياً، وشعارها المكون من أربعة أحرف باء B بالإنكليزية ترمز إلى الفاصولياء Beans والأدمغة Brains والقوة العضلية Brawn والأمعاء Bowels. وكان أيضاً واحداً من الذين حلموا بطقوس تنصيب الأعضاء فيها. وهي اختبار للرجولة ينطوي على تعرية العضو المرشح، وضربه بلوح خشبي، وقيامه بنبش جثة حيوان وأكل شيء من لحمه المتفسخ. وباعتبار نيكسون عضواً مؤسساً فقد أعفي من هذه الطقوس، التي تدخلت الكلية فحرمتها فيما بعد، عندما أصيب أحد الطلبة بأذىً خطير.

وقال نيكسون عن الفرانكلينيين المنافسين: «كانوا المالكين، وكنا المحرومين». غير أن الحقيقة هي أن نيكسون ـ بموجب المقاييس المحلية ـ كان واحداً من المالكين، ولم يكن ذلك قاصراً على منحته الدراسية إلى وِيتْيِيرْ، بل إن ثروة أسرته في الحقيقة راحت تتحسن، بينما كان الكساد يطبق بقبضته على الغرب كله. فلم تتوقف بقاليتهم عن إظهار الأرباح. وتعتقد ابنة عمته ياسمين ويست أن من السخف المضحك، الإيحاء بأن نيكسون كان فقيراً في ذلك الوقت. وقالت «إن البعض كانوا يعتبرون آل نيكسون أغنياء». وقالت عشيقة نيكسون الأولى، أولا ويلتش، في سنة 1996، إنها كانت تعتبر آل نيكسون «من الطبقة الوسطى». وكان أستاذ نيكسون الجامعي الرئيسي، الدكتور بول سميث، يعتقد أن الطبقة كانت عاملاً هاماً في وِيتْيِير في الثلاثينيات، فكان ذلك يمسّ نيكسون بطريقة خاصة. وقال سميث: «لم تكن عائلته محتقرة، ولكن أسرة فرانك نيكسون لم تكن تعتبر بأي حال في المستوى الاجتماعي لآل ملهوس». كان اسم الأمّ يمثل شيئاً، بينما لم يكن أبوه سوى شخص عدواني يدير بقالة.

وفي السنة السابقة لتخرج نيكسون، وفي وقت لم تكن هناك سيارات إلاّ في حوزة حفنة من طلبة وِيتْيِير، كان نيكسون يتبجح بامتلاك سيارة فورد أ، نموذج 1930 ـ مع ابن عمه ـ وكانت السيارة تكلف 325 دولاراً، أي أكثر من الأجرة السنوية لمعظم الطلبة. وبينما كان الفرانكلينيون يرتدون لباساً رسمياً من أجل التقاط الصور الجماعية، كان المتعامدون يقفون بقمصان مفتوحة الأعناق ـ رمزاً لمكانة عامة الناس، وكما وصف الأمرَ أحد الأعضاء، «لأنه لم تكن لدى أيٍّ منا بذلة توكسيدو ولا المال لاستئجار واحدة...» غير أن نيكسون ظلت لديه بذلة من هذا النوع طيلة فترة وجوده في الكلية، بل كانت عنده اثنتان في سنته الأخيرة.

ومع ذلك ظل الولد ذو البذلتين، يلحّ في تكرار الحديث عن أصوله

المتواضعة، كما زعمها طيلة حياته. فكان جيمس باسيت، سكرتيره الصحفيّ ومستشاره في الخمسينيات، يسمي هذه النزعة عند نيكسون. فبصفته نائباً للرئيس في أول تفتحه، أخبر باسيت أن زوجته كانت تضطر أن تقول له أي شوكة يستعمل في العشاء. وقد قال نيكسون فيما بعد في حوار مع خصمه هيوبرت همفري في إحدى خطبه: «كان أبي بقالاً، أما أنت فجئتَ عن طريق الصيدلية». وحثَّ زميلاً له في مؤسسة قانونية أن يبحث عن محامين من الشبان الذين «ليسوا من أبناء النخبة، بل هم أناس كافحوا ليشقوا طريقهم في الحياة. . . مثلك ومثلي». وعندما صار نيكسون رئيساً، أخبر مجلس وزرائه أنه ووزير العمل فقط، بيتر برينان، قد «جاءا مِنَ الطبقة العاملة».

وفي آخر الأمر أسهمت رغبته في تصوير نفسه كذلك، في إصابته باضطراب عصبيّ انتقاميّ. ففي البيت الأبيض، سرعان ما راح نيكسون يحرض موظفيه على تدمير «المؤسسة الشرقية». وقد أجفل ناكصاً على عقبيه عندما قُدِّم إليه روبرت بورك، الذي صار مدعياً عاماً، باعتباره أستاذاً من ييل، إحدى الجامعات التي لم يستطع أن يدخلها. وفي محادثة مسجلة على شريط في المكتب البيضاوي يحتدم غضب نيكسون على موظفي إدارته، الذين «يلتفّون متحلّقين حول مجموعة جورجتاون. . . إنهم مثيرون للاشمئزاز».

وفي سنة 1973 قام أحد ضباط الارتباط في البيت الأبيض، بإبلاغ الأميرال إيلمو زُومْوَالْتْ، عضو هيئة الأركان المشتركة، بأن الرئيس يريد أن يقهر الجامعات، «وخصوصاً هارفارد بإنقاص الأموال المخصصة للبحث والتطوير فيها». وبالمثل فعندما كان جورج شولتز يدير مكتب الإدارة والميزانية، أمره نيكسون بإلغاء كل تمويل لمعهد ماساشوسيتس للتكنولوجيا: «فلتتوقّف كل الأموال بحلول يوم الجمعة، فلا أريد نكلةً واحدة تذهب إلى ذلك المعهد!» فتجاهل شولتز هذا الأمر.

وقد استشاط نيكسون غضباً عندما علم بأن رئيس هارفارد، الدكتور

ديريك بوك كان قادماً لزيارته. وعندما قيل له بأن البروفسور عضو في لجنة الحفاظ على البيت الأبيض، وبأنه كان يجتمع مع بات، لم يهدأ. وقد تذكر مساعده أليكساندر باترفيلد: «سألني [نيكسون] ذات مرة: «هل دعاني واحد من أبناء الزنا القذرين أولئك إلى نادي رجاله السفلة، أو ذلك النادي الريفي اللعين؟ لم يحدث ذلك مرة واحدة قطّ؛ وكان يرتعش... كانت الكراهية الكامنة عميقة الجذور عنده. فلم يكن غير محبّ لهم فحسب، بل كان يكرههم».

وحتى بعد استقالته، استمر في مهاجمة ذوي الاتجاه الليبرالي (الأحرار)، والمفكرين، والصحافيين. فقال لِكين كلاوسون، مدير مواصلاته السابق: «إنهم لن يكفُّوا على الإطلاق، لأننا كنا أول خطر يهدّدهم منذ سنوات... إن ما يبدأ العملية في الحقيقة هي الضحكات، والإهانات والزجر والتوبيخ في طفولتك... [ولكن] إذا كان لديك قدر معقول من الذكاء، وكان غضبك عميقاً وقوياً بما فيه الكفاية، فإنك تتعلم أنك تستطيع أن تغير هذه المواقف، بالتميز والأداء الشخصي الجريء، بينما يكون المالكون لكل شيء جالسين على مؤخراتهم السمينة».

وتكمن سخرية الأقدار في هاجس الطبقية عند نيكسون، في أنه قد استطاع أن يدخل إلى المؤسسة قبل زمن طويل من فوزه بالرئاسة. ففي أوائل الستينيات رُحِّب به في عضوية النوادي الحصرية المتميزة في مانهاتن مثل نادي الميترووبوليتان، واللينكس والريسيس، وتم قبوله في ناديين ريفيين مخصصين للطبقات الاجتماعية العليا، هما نادي بلايند بروك في نيويورك، وبالتروسول في نيوجيرسي. والحقيقة أن نيكسون كان يستمتع بالاختلاط برجال النخبة الذين يتهكم عليهم.

ويستذكر، وليام واطس، أمين سر موظفي مجلس الأمن القومي في رئاسة نيكسون الأولى، أن نيكسون كان يستمتع بدعوة أناس مثل ديفيد روكفيللر كي يخاطبوه بعبارة «أيها السيد الرئيس»؛ فكان يحب أن يلتف حوله

جميع أبناء الطبقة الثرية الأصلية ويظهروا له الاحترام. فكنت أشعر كأنني جالس في غرفة العرش. وكان ذلك الشعور شديد الغرابة.

ومن سخريات الأقدار أن الرئيس المحافظ في المستقبل، كان وهو في كلية ويتيير يعتبر من الأحرار، بل من نشطائهم المتحمسين. فكان يضغط لإحداث تغييرات في القواعد العتيقة الطراز، وينشط من أجل حقوق الطلبة. وقد أدخل رجلاً أسود إلى الجمعية التي أسسها. وكان يدخل نفسه في أنشطة لا تحصى في الحرم الجامعي، وينهمك في عمل مستمر لا ينتهي. ويستذكر أحد زملائه الطلبة أن «دِكْ كان يعيش بطريقة غير طبيعية إلى حدٍّ مّا». فقد كان يدرس كثيراً ويشتغل في البقالية. ولم يكن من غير المألوف أن يرهق نفسه بالعمل حتى المرض.

ويضيف ذلك الزميل المعاصر له: «لم يكن دِكْ يتمتع بشعبية عامة. فلم يكن من النوع الذي يمكن وصفه بأنه شخص ودود، بل كان كثيرون يشعرون أنه فوقهم في التفكير، وأنه قد لا يعبأ بالاختلاط بهم». وكان آخرون يعتقدون أنه «مغرور متشامخ» «واثق من نفسه بلا هوادة»، و«نشيطاً لا يعرف الكلل. . . في عقد الصفقات». ويتذكر أحد الطلبة «جمع نيكسون بين الحماسة والنشاط على نحو لا يُصَدَّق»، فيقول إنه كان «يتساءل عما إذا كان نيكسون صادقاً وأصيلاً بشكل كليّ، وإن لم يكن كذلك فما هي كمية الحقيقة في نشاطه، وما هي كمية الافتعال المصطنع لفائدة الحضور جميعاً».

وقام الدكتور آلبرت آبتون، الذي كان يدرّس نيكسون الأدب الإنكليزي، بحثّه على قراءة تولستوي. وقد زعم نيكسون فيما بعد أنه قد خاض في أعمال تولستوي الكاملة والغزيرة، بما في ذلك **الحرب والسلام** و**آنا كارنينا** وكثير غيرها، في غضون صيف واحد. وكانت القصة المفضلة لديه هي **البعث**، وهي قصة أزمة ضمير لأحد النبلاء عندما يدرك أنه مسؤول عن تدمير حياة شخص

آخر، وقراره ـ بعد أن يدرس قوانين الله ـ بالتخلي عن ثروته ومكانته في المجتمع كي يستعيد احترامه لنفسه.

وقال آبتون عن تلميذه المثالي: «إنه، ببساطة لم يفعل أي شيء سيئ، مما يجعلك تتساءل عمّا إذا كان شيء ما فيه على غير ما يرام». وبصفته مدرباً لمادة الدراما، كان آبتون يوجه نيكسون في إخراج عدة مسرحيات كان يَظْهر فيها، «صوتاً عميقاً وملامح وجه رجل عجوز» أكبر من سنه، وقدرة على البكاء عند صدور الأمر إليه بذلك. وقال آبتون: «لقد علمته كيف يبكي. وقلت له: «يا دِكْ إذا ركّزت بقوة حقيقية على نفخ كتلة كبيرة في حنجرتك، فإني أظنك قادراً على البكاء بدموع حقيقية؛ وقد فعل، وبكى بدموع غزيرة تدحرجت على وجهه وتساقطت على أنفه».

وبرز نيكسون كنجم في فريق مناقشات وِيتْيِير. وراح يسافر مع طلبة آخرين ـ أحياناً في سيارة باكار واسعة يقودها أبوه ـ عبر الغرب كله. وقد حقق النجاح بقيامه بالبحث بصورة مسبقة، وتغيير التكتيك حسب تطور المناقشة، وتعلم كيفية السيطرة على طبعه في الأماكن العامة. كانت المناقشة هي أقرب شيء إلى السياسة في حياة الطلبة. وقد حكم بعضهم على نيكسون بأنه كان متحدثاً ألمعياً في الخطابة العامة. وكان هناك آخرون من المنزعجين.

فقبل ذلك بسنوات، كانت مدربة الخطابة في المدرسة الثانوية قلقةً من «قدرة [نيكسون] على الانزلاق حول أية حجة في النقاش، بدلاً من مواجهتها بشكل مباشر. . . كان فيه شيء من اللؤم الخسيس»، حسب رواية السيدة كليفورد فنسنت «اللؤم في طرح أسئلته، وفي مناقشة نقاطه». وقد قالت مِيلْدْرِيدْ جونز، إحدى صديقات أمه: «من أجل إثبات نقطته، لم يكن يتورع عن لَيّ عنق الحقيقة».

وبعد ذلك ببضعة أعوام، عندما حصل نيكسون على البروز السياسي،

تذكر عدد من الناس «أحابيله القذرة في المناقشات» في أيام دراسته. وقد شاهده أحد زملائه الطلبة في كلية وِيتْيِير يغش أثناء إحدى المناقشات؛ وكان ذلك الزميل هو لويس إليوت، رئيس تحرير صحيفة الكلية: «أتذكر ذلك جيداً. كنت جالساً في المقصورة، وشاهدت نيكسون ـ عندما كان يردّ على خصمه ويفند حججه ـ فقد كان يقتبس عن قطعة من الورق بيضاء. كان ذلك مخالفاً للتعليمات، وفيه مكر شديد»[2].

عندما كان نيكسون في الثالثة عشرة، أعطته جدته صورة لإبراهام لينكولن، وقصيدة شعرية بخط يد لونغفيلو [أشعر شعراء أمريكا] عنوانها: «مزمور الحياة»، كي يعلقهما فوق سريره:

إن حياة الرجال العظام تذكّرنا
أننا قادرون على جعل حياتنا سامية
فنترك بعدنا عندما نغادر
آثار أقدامنا على رمال الزمن

وفي سن الحادية والعشرين، بعد تخرجه من ويتيير ثانياً على صفٍ من خمسة وثمانين طالباً، كان نيكسون في موقع يستطيع أن يخطو منه ليترك آثار أقدامه على طريق الشهرة.

كان ريتشارد قد أعلن وهو في سن الثانية عشرة، أنه سيصبح محامياً ذات يوم. وقالت عمته جين إن ذلك كان نتيجة قراءته عن قبة إبريق الشاي، الفضيحة الخاصة بالصفقات النفطية التي عقدها موظفو الحكومة الفاسدون، اعتماداً على معلوماتهم الداخلية: «أتذكر ريتشارد منبطحاً على بطنه على الأرض والصحف مفروشة أمامه. لم يعجبه ما كان يقرأ، فقال: «عندما أكبر

(2) بدت قصة لويس إليوت غير مؤكدة عندما ذكرت لأول مرة في مقالة بمجلة **لايف** سنة 1970. وقد استطاع الدكتور ديفيد آبراهامسن أن يؤكدها بمقابلة مع إليوت حول كتابه **نيكسون ضد نيكسون** (**لايف**، 6 تشرين الثاني / نوفمبر، 1970؛ وآبراهامسن (مصدر سبق ذكره)، ص 110، 250، السطر 1).

سأكون محامياً شريفاً نزيهاً حتى لا تحدث مثل هذه الأشياء». . . وكان جاداً بصورة حقيقية. . . »[3].

والرواية تبدو معقولة وجديرة بالتصديق، لأن فرانك نيكسون كان يعبّر عن حنقه على نحو منتظم على «المحامين الفاسدين» المتورطين في فضيحة قبة إبريق الشاي. وقد أعطته عمة أخرى كتاباً يمجد مهمة المحاماة. وكانت جدته قد أعلنت وهو طفل أن بكاءه الصاخب، يبشر بأنه سيكون محامياً في المستقبل، أو واعظاً. غير أن نيكسون في الكلية رفض اقتراح أمه بأن ينظر في التوجه إلى الكنيسة. ولعله كان يريد أن يكون القانون وسيلته إلى غاية، هي السياسة. إذ إنها كانت تشد انتباهه المذهول إليها منذ ذلك الحين.

وتتذكر ابنة عمته ميرل ويست أنها استمعت في ضجر، وهي لا تفهم شيئاً عندما توقف ريتشارد، في سن السابعة، في الشارع الرئيسي ليمتدح فضائل وارن هاردينغ، المرشح الجمهوري للانتخابات الرئاسية الأمريكية سنة 1920. وهناك أيضاً كان الصبيّ واقعاً تحت تأثير أبيه، الذي سرعان ما راح بعد ذلك، يلعن «السياسيين الفاسدين» في إدارة هاردينغ، ممن تورطوا في فضيحة قبّة إبريق الشاي. ذلك أن فرانك نيكسون، الذي كان في الأصل ديمقراطياً، قد انتقل إلى الحزب الجمهوري بعدما توقف الرئيس وليام ماكينلي ليمتدحه على حصانه. لقد كانت المؤثرات التكوينية على ولده معقدة.

كان ريتشارد نيكسون معجباً بأبراهام لينكولن بالطريقة نفسها التي يعجب

(3) زعمت هنّا نيكسون أنه أبدى لها هذه الملاحظة. غير أنها جعلت تاريخها هو سنة 1922، وفي يوربالندا. ومع ذلك فإن التحقيق في فضيحة قبة إبريق الشاي (تيبوت دوم) لم يبدأ إلاّ في أواخر سنة 1923، وكانت الأسرة تعيش في ويتيير في ذلك الحين. وكانت جين بيسون، عمة نيكسون متأكدة من أنه قد أعلن لها عن ذلك في منزلها، ولعلها كانت على حق. أما والدة نيكسون، التي ذكرت القصة كدعاية سياسية لابنها فلعلها فكرت في أنها ستبدو أفضل إذا جاءت على شكل محادثة «بين أم وولدها». (مقابلة كينيث هاريسون لريتشارد نيكسون، مجلة **كرونيكل**، 24 تشرين الثاني / نوفمبر، 1968؛ ومجلة **غودهاوس كيبنغ**، غاردنر (مصدر سبق ذكره)، ص 24 ـ؛ فون برودي، ص 523، الحاشية رقم 13؛ وروجر موريس، ص 881، الحاشية رقم 83).

به فيها كل أمريكي. غير أن إعجابه كان زائداً لأن جدته كانت تؤله لينكولن عملياً. وكان معجباً بِوُودْرُو ويلسون، الذي صوتت أمه لصالحه ـ على عكس رغبات زوجها ـ لأنه حاول أن يبقي الولايات المتحدة خارج الحرب العالمية الأولى. وفي اليوم الأول من رئاسته، طلب إحضار كرسي ويلسون إلى المكتب البيضاوي. وعندما أخبر فيما بعد أنها كانت في الواقع تخص **هنري** ويلسون، الذي كان نائباً للرئيس في أيام يوليسيس غرانت، أحجم عن تعريف عامة الناس بهذه الحقيقة.

وقيض لنيكسون، أن يكون رجله المفضل من بين الرؤساء السابقين هو ثيودور روزفلت، الذي كان يعتقد أنه جمع بين المثالية ومذهب الذرائع العملية. . وكان يرضى بالحلول التوفيقية الوسطية دائماً، وفي كل مكان عندما كان يريد تحقيق شيء ما. فكان يستشهد بخطابات روزفلت على نحو متكرّر، ولا سيما عباراته عن «الرجل الذي في الحلبة»، الذي إذا فشل فإنه «يفشل وهو شديد الجرأة».

وقد جاءت أول نبوءة بأن نيكسون سيصبح رئيساً ذات يوم، من أحد معلمي مدارس الأحد في يوربالِيندا، عندما كان نيكسون في التاسعة. وتبدو القصة منتحلة، ولكن مصدرها موثوق به في العادة، وهو ابنة عمته ياسمين ويست. وسرعان ما راح أبوه يقول بالنبوءة نفسها. وبحلول الوقت الذي دخل فيه إلى الكلية، شرع نيكسون يقول للطلبة في الاجتماعات إنه «يريد دخول المعترك السياسي. . . وأنه يشعر أن الميدان يسيطر عليه عدد أكثر مما ينبغي من الساسة عديمي الضمير». بل لقد ذكر تطلعه هذا في وقت أبكر من ذلك، في مقالة إنشائية مدرسية كتبها بعد موت شقيقه آرثر: «أحب أن أدرس القانون، وأدخل السياسة كحرفة لعلي أكون ذا نفع للناس».

وشهد خريف سنة 1934، نيكسونَ وهو يعبر القارة، في منحة دراسية إلى كلية الحقوق في جامعة ديوك في كارولاينا الشمالية. وقد أدى فوزه بالمنحة إلى

إعطاء أمه، ما وصفته فيما بعد أنه «أكثر أيام حياتها مدعاة للفخر»، أكثر حتى من يوم احتلاله منصب نائب الرئيس.

لقد اتضح أن السنوات الثلاث في ديوك كانت فترة قاسية وموحشة للطالب الشاب. فعلى بعد ثلاثة آلاف ميل من موطنه، وبعد سنوات من الإشراق كنجم أكاديمي، وجد نيكسون نفسه يواجه منافسة حقيقيةً لأول مرة. فجأر بالشكوى لأحد معارفه: «لا أعتقد أنني أستطيع أن أظل على القمة أبداً». ثم بدأ يعمل باذلاً جهداً هائلاً. ولكي يكسب دخلاً إضافياً، عمل في وظائف مأجورة. وكما فعل كثير من الطلبة، عاش نيكسون في أنواع من المأوى مؤقتة، وكان مشتركاً في كوخ في الغابات مع ثلاثة شبان آخرين.

ويتذكره الطلبة كشخص وحيد في الحرم الجامعي، يسير بفانيلة رمادية مرقعة، وسترة أرجوانية قديمة ظل يرتديها يوماً بعد يوم. وتذكر بعضهم أعمالاً صالحة قام بها نيكسون. ففي فترة لم تكن فيها سوى تسهيلات قليلة جداً للمعوقين، كان يساعد بشكل منتظم على حمل طالب كسيح إلى قاعة المحاضرات. وباعتباره قادماً جديداً إلى الجنوب من كاليفورنيا، فقد صدمه التحيز العنصري، فتحدث علانية عن الحاجة إلى التغيير.

ومع ذلك فقد اعتُبِرَ نيكسون غريباً إلى حد مّا، حتى في رأي الذين انسجموا معه. وكان أحد زملائه في الصف يراه «مليئاً بالاستقامة. . . مجتهداً، ويحترم الآخرين، وكل ذلك دفعة واحدة». وتذكره أستاذ القانون لون فولر «لكونه ما نسميه متوتراً، ساخطاً، مع لمسة توحي بمركب نقص فكري». ورأى فيه معاصره برادلي موراه شخصاً «مصاباً بلوثة خفيفة من الارتياب في الآخرين. . . فكان غريباً، غريب الأطوار». أمّا إيثل فارلي، إحدى النساء القلائل في ديوك، فقد وجدته «صارماً كالحاً منعزلاً. . . ولم يعجبنا موقفه المتعالي على الآخرين. ولم يكن غير أخلاقي بل كان لا يهتم بالأخلاق سلباً

ولا إيجاباً، فلم يكن لديه أي نظام أخلاقي ، ولا اعتقادات راسخة. . . بل كان موجوداً هناك لتحسين أحواله شخصياً».

وقد فعل. ففي حزيران / يونيو سنة 1937، حشرت أسرته الكاملة نفسها- بما فيها الأم، والأب، والأخوان الباقيان، وجدته ملهوس وهي في الثامنة والثمانين - في سيارة شيفروليه، وسافروا براً عبر البلد لحضور حفلة تخرجه. فقد كان ذلك الغريب الأطوار هو الثالث في صف من ستة وعشرين طالباً، وكان معدله 80,49٪، مما أهّله لعضوية شرفية في جمعية قانونية ذات نفوذ كبير. وكان، بالإضافة إلى ذلك، رئيساً لاتحاد محامي جامعة ديوك.

وبعد ثلاثين سنة أو يزيد قليلاً، راحت صحيفة في كارولاينا الشمالية، تنبش تفاصيل واقعة أدعى للخزي في تاريخ طالب الحقوق نيكسون. فعند نهاية سنته الثانية، قام مع صديقين له، هما فريدي آلبرينك وبيل بيردو، باقتحام مكتب العميد.

وبينما تختلف روايات مرتكبي الحادث اللاحقة في بعض التفاصيل، فإن غارتهم هذه سارت على النحو التالي: حاول الثلاثة فتح الباب فوجدوه موصداً. ثم قام اثنان منهم برفع الثالث، فدخل من النافذة العليا المفتوحة فوق الباب وفتحه لزميليه. فراحوا ينبشون محتويات المكاتب وخزائن الملفات، فوجدوا ما يبحثون عنه في مكتب العميد نفسه، ثم خرجوا.

وظلت الشائعات حول تلك الغارة تحوم في الحرم الجامعي أعواماً. وحسب رواية مرتكبيها، فإن الدافع الذي حملهم عليها كان الحصول على نظرة مسبقة على الدرجات. إذ إن مكتب العميد قد تأخر في إرسالها بالبريد، وكان نيكسون على وجه الخصوص قلقاً (وبالفعل فإن درجاته في ذلك العام لم تكن بالجودة التي كان يأملها، كما كان يخشى). واقترح البعض في وقت لاحق دوافع للمرتكبين أخبث وأشأم، أي أن غرضهم لم يكن قاصراً على الاطلاع

على الدرجات، بل كانوا يريدون تغييرها. وأشار تقرير آخر إلى أنهم كانوا قد اقتحموا الغرفة في وقت سابق للاطلاع على أسئلة الامتحان.

ولم يكن لتلك الواقعة الطائشة أي وقع على ضمير نيكسون، بل كان أول متفاخر يتبجح بها، فقال لأحد الكتّاب أثناء تصاعد الحملة الانتخابية لسنة 1960، أنه ـ باعتباره أنحف المغيرين الثلاثة بدناً ـ كان هو الذي دخل من النافذة المفتوحة، وإنه «تحرك في نعومة القط المتلصّص» عندما دخل. وتوضح هذه الحادثة أنه قبل زمن طويل، طويل من الفضيحة التي كلفته منصب رئاسة الولايات المتحدة، كان لديه استعداد للمخاطرة من أجل مكسب تافه أو من أجل لا شيء.

وبالطبع فإن حادثة السطو في ووترغيت، على عكس واقعة ديوك هذه، قد كشفت، كما فُضِحَتْ عملية التغطية عليها لاحقاً. ومع ذلك، وحتى بعد مضي أشهر على ووترغيت، عندما كان الرئيس نيكسون يناقش مع هالدمان ومستشار البيت الأبيض جون دين، كيفية الحصول على ملفات ضرائب أعدائه السياسيين، لم يتردّد الرئيس في اقتراح اقتحام المكاتب. فقال عبر مكروفونات المكتب البيضاوي... «هناك طرق لعمل ذلك، عليكم اللعنة، تسلّلوا في منتصف الليل...».

ولكن، في صيف سنة 1937، بينما كان نيكسون يحتفل بتخرجه، لم يكن وقوع الخزي يخطر في الخيال. فلم يكن أحد آنذاك يستطيع التنبؤ بيوم تدير فيه ديوك ظهرها لريتشارد نيكسون. وقد وقعت المناسبة الأولى سنة 1954، عندما كان نائباً للرئيس، واعترضت الهيئة التدريسية عليه لأنه «مضطهِد للشيوعيين بهوس»[4] وعديم الضمير فصوتت ضد منحه شهادة دكتوراه فخرية.

---

(4) اقترحت جامعة ديوك الدكتوراه الفخرية مرة أخرى في سنة 1961. غير أن نيكسون كان ما زال يعاني من جرح كبريائه في المرة السابقة، فرفض أن يقبل الشهادة (صحيفة دَرَمْ مورنينغ هيرالد، 15 حزيران / يونيو 1961).

ومرة أخرى، في سنة 1973، وقع الطلبة وبعض الأساتذة عريضة تطالب بمحاكمته تمهيداً لإزاحته عن منصب الرئاسة. وحتى بعد ذلك حدثت ضجة كبرى حول خطةٍ تمّ إفشالها لوضع مكتبة نيكسون في جامعة ديوك. وقد أزيحت صورة نيكسون من مكانها الفخري أثناء ووترغيت، وأودعت مجاهل النسيان في إحدى غرف التخزين بالجامعة.

وأثناء أشهره الأخيرة في ديوك، بدأ نيكسون يبحث عن عمل. فتقدم بطلب إلى مؤسّسة قانونية متنفذة في نيويورك، وإلى مكتب التحقيقات الفيدرالي ليعمل عندهم كوكيل. ولكن لم ينتج شيء. وكان عميد الكلية هوراك يعلم أن نيكسون يحلم بالعمل في السياسة، فقدم له نصيحة: «لا تذهب إلى نيويورك، إذا كنت تهتم بالسياسة، فعد إلى مسقط رأسك، ومارس المحاماة هناك. فقد لا تحصل على القدر نفسه من المال. ولكن هذه هي الطريقة الوحيدة إن أردت أن تفعل أي شيء في الحلبة السياسية.

وهكذا حشر نيكسون نفسه في سيارة أبيه عند نهاية رحلة التخرج، وعاد مع الأسرة إلى ويتّيير، وسرعان ما اجتاز فحص المحامين في كاليفورنيا وبدأ ـ بتحريض من والدته ـ يعمل مع صديق للعائلة، كشريك في واحدة من المؤسستين القانونيتين القائمتين في بلده. وكان في الرابعة والعشرين.

وقبل ذلك ببضع سنوات، أثناء عطلة عيد الميلاد، قَرَأَتْ كفه مراهقةٌ لها موهبة في التنبؤ بالحظوظ، وتذكرت: «لقد أصبتُ بصدمة كبيرة، فما رأيته في كفه كان طريق نجاح لامعاً لا يصدَّق، ثم غمامة سوداء رهيبة لكارثة مخيفة أو حادثة مفاجئة أو شيء من هذا القبيل. فأخبرته بما قرأت، بطريقة ملطفة. . . فقد كان شخصاً شديد الجديّة بحيث إن النسخة الكاملة، كانت ستصيبه بالذهول والاضطراب. فما كان ليعرف كيف يتحمل ذلك. . .».

أجل، ربما لا يستطيع التحمل. فبصفته رئيساً. كان رد فعله هو الذعر

الحقيقي، عندما قيل له بأن منجماً بارزاً كان يتنبأ بمحاولة لاغتياله. أما الشاب نيكسون فلعله استمع بتهذيب إلى دوروثي ديلتش، الفتاة التي قرأت كفه. إذ إنها كانت شقيقة الفتاة التي كان يخطّط للزواج منها.

كان ريتشارد نيكسون قد وقع في الغرام.



3

أفكر أحياناً في أنني لم أعرفه على حقيقته قطّ،
وأنا التي كنت من أقرب الناس إليه... لقد كان لغزاً غامضاً

أُولاَ فلورنس ويلتش
غرام نيكسون الأول

كانت الإناث والأنوثة مدعاة لقلق نيكسون وتوجسه منذ أيام طفولته المبكرة، عندما راحت أمه ـ وقد خاب ظنها عندما تبين أن طفلها التالي كان ولداً ـ تحاول أن تجعل آرثر يبدو بنتاً. وكان ريتشارد يسدل الستائر عندما يضطر إلى القيام بالغسيل في البيت، لأن ذلك «لم يكن عملاً للرجال». وفي المدرسة عوقب لأنه كان ينفخ في وجوه الفتيات، بعد أن يحشو فمه بالثوم النيء.

أكان ذلك شيئاً أكثر من عبارة «الأولاد يكرهون البنات»، و«البنات يكرهن الأولاد» التي يمرّ بها معظم الأطفال؟ تستذكر هارييت بالمر: «لشدّ ما كان يكره الفتيات! فقد كان يسخر منا بتعابير وجهه الكريهة الرهيبة. وكمشارك في المناقشات في المدرسة المتوسطة، والسنوات المبكرة من الدراسة الثانوية، كان موضوعه الرئيسي هو سبب كراهيته للبنات».

وقد صرفت هارييت النظر عن نيكسون، باعتباره شخصاً متظاهراً بالفضيلة على نحو متكلف، عندما منعها وهي في الثالثة عشرة، من ركوب سكة الحديد الأفعوانية في أحد الملاهي على عكس تعليمات والدتها. وفيما بعد كانت الفتيات يجدنه «متجهماً»، و«متشامخاً أكثر ممّا ينبغي بحيث لا يجدن في صحبته كبير مرح». وقال أحد معاصريه: «إنه لم يكن يعرف كيف يجعل

نفسه مقبولاً. وقد شعرت بنوع من العطف المضحك عليه، من نوع: «دعك من هذا الأمر يا دِكْ». وقالت طالبة سابقة أخرى: «لم يكن فيه ذلك السحر الذي يجتذب الجنس الآخر. فلم تكن له جاذبية جنسية».

وكان أصدقاؤه المراهقون يضطرون للضغط عليه، كي يتواعد مع فتياتٍ لحضور المناسبات الاجتماعية. وتحدثت واحدة من بنات عمومته كانت مولعة به، بلهجة كئيبة عن رد فعله، أو انعدام رد فعله عندما كانت ترغمه على أخذه معها في جولة بالسيارة. فقد كان «أبطأ سائق في العالم». وكان يتحدث ويتحدث عن السياسة بلا نهاية.

وفي السنة الأخيرة من الدراسة الثانوية، كتبت ابنة رئيس الشرطة في ويتيير، أُولاَ فلورانس ويلتش، في مذكراتها: «آه، كم أكره ريتشارد نيكسون!». غير أنها غيَّرت رأيها بعد أن مثلت دور ملكة قرطاجنة أمام نيكسون، الذي مثّل دور الأمير الطروادي إينياس في مسرحية الصف اللاتيني لموسم سنة 1929. وأدى «عناقه الحنون» على المسرح إلى صرخات استهجان من جمهور المشاهدين. ومع ذلك ففي تلك الليلة، وقبل تنظيف وجهها من مساحيق المكياج، نقل إليها نيكسون السطورَ الأولى من غرامهما في الحياة الحقيقية. وهي تتذكر أنه «أصرّ على أن آتي لمقابلة أهله في الحال».

كان نيكسون هو المتواعد الحقيقي الأول مع أُولاَ، وكانت هي الأولى بالنسبة له كذلك. وكانا في السادسة عشرة، حيث بدأ علاقة عاصفة قيض لها أن تستمر ست سنوات. وفي أول رسالة من سلسلة طويلة كتب يقول: «لقد حاولت أن أعرف سبب ولهي بك حتى التصدع، وهذه هي الأسباب: إنك لستِ ممّن يطاردن الأولاد. وأنت تستخدمين ذهنك لأغراض طيبة، ولا تظهرين غضباً لأحد... وأكثر من ذلك، لأنك أنت نفسك... فلك الحب من دِكْ نيكسون».

وكان نيكسون قد سأل ابنة عمته ميرل قبل ذلك: «أيهما أعقل فيما

تعتقدين: أن يتزوج الرجل فتاة جميلة أم فتاة ذكية؟» وقد وجد في أُولاَ فتاة ذكية من النوع المتميز، وذات نشاط في الشؤون الطلابية يكاد يعادل نشاطه، وتجمع إلى ذلك الجاذبيةَ أيضاً. ومن جانبها كانت أُولاَ تعتقد أنه «أذكى شخص موجود. . . فهو مثير للاهتمام وآسرٌ فتّان» ـ وكذلك «وسيمٌ تماماً».

وسرعان ما راحا يتشاركان في مشاوير، إلى السينما، وإلى الساحل، والمشي في التلال، ورحلات في سيارة الفورد، التي كان نيكسون مشتركاً في ملكيتها مع ميرل. وتظاهرت أمه بمعرفة ما كان يحدث، أو لا يحدث بالأحرى، فزعمت بعد ذلك بسنوات: «لم يكن يتحدث عن الغرام. بل عمّا كان يمكن أن يحدث لو أن الفُرْسَ دحروا الإغريق، أو ما كان يمكن أن يحدث لو أن أفلاطون لم يعش قطّ. أو على الأقل، هذا ما قاله لي الأولاد الذين كانت لهم مواعيد متوافقة مع مواعيد ريتشارد».

وفي نحو ذلك الوقت غامر نيكسون مع ميرل، بدخول ملهى وضيع هزليّ سيّئ السمعة في لوس أنجيلوس، ليتفرجا على القصف الصاخب المصاحب «لفتاة تنزع ثيابها فلم تنزع منها أكثر ممّا ينبغي». وكانت ابنة عمه تعتقد أنه «طبيعي جداً» فيما يتعلق بالفتيات، وكان ذلك أيضاً ما اعتقدته أُولاَ وهي تصرّ بعد خمسين سنة، على أنه لم يحدث بينها وبينه شيء غير أخلاقي في تلك اللقاءات. ولكنها أضافت بأن نيكسون «لم يكن يشعر بالراحة قطّ في صحبة النساء».

وعندما انتقل الاثنان من الثانوية إلى الجامعة، كان ينظر إليهما كزوجين، إلى حد أن أصدقاءهما افترضا بأنهما سيتزوجان. ورغم ذلك لم يكن كل شيء على ما يرام. ولم تكن المسألة قاصرة على كراهية والدي أُولاَ لنيكسون، ولا كون أختها تراه «حقنة حقيقية»، ولا على أنهما كانا يتجادلان باستمرار في السياسة؛ فقد كانت تحب فرانكلين روزفلت، الذي لم يكن نيكسون يوافق عليه. بل لقد اكتشفت أُولاَ أن الفتى الذي أعجبت به، والذي كان «قوياً

وواضح المواقف إلى حد كبير» كان فيه جانب ضعيف. وقالت مؤخراً وهي تتفكر: «كان في أعماقه ذلك الشعور بانعدام الأمان».

وبعد أربع سنوات من بداية علاقتهما، عندما بلغا سنّ العشرين، بدأت تلك العلاقة تتصدع آيلة للسقوط. فعندما كان نيكسون مرشحاً لرئاسة اتحاد الطلبة، ويخشى من الهزيمة في الانتخابات، أصيب بالاكتئاب، وعندئذ توجه نحو أُولاَ طلباً للدعم. غير أنه ما إن فاز بالرئاسة حتى راح يعاملها بطريقة خسيسة. واستذكرت أنه «شرع يواعد فتيات أخريات، وتركني أفكر به «ربما يكون قد تغيّر الآن بعد أن صار رئيساً». فبدأت أشعر أنني لم أكن أصلح بما يكفي لرفقته».

وقالت أخت أُولاَ: كان عديم الولاء... فقد كان يخدعها ويتخلى عنها، فيصطحبها إلى حفلة، ثم يعود من الحفلة إلى البيت مع فتاة أخرى، بحيث تضطر أمي إلى المجيء لإيصال أُولاَ فرانس. ولم تكن أمي تحب ذلك». أما السيدة ويلتش، التي كانت أصلاً غير موافقة على نيكسون بسبب الطريقة المتغطرسة، التي كان يستخدم فيها بوق السيارة كلما جاء لاصطحاب أُولاَ، فقد رفضت أن تتحدث معه.

وكان نيكسون يرقع ذلك التصدع بسيل من الرسائل - كانت أُولاَ ما تزال تحتفظ بثلاث دزينات منها في مكان مغلق بقفل ومفتاح حتى سنة 2000 - وتعتبرها نماذج في الاعتذار قد تذهل عالم نفس». ولفترة معينة كان يبدو أنهما قد اصطلحا، وفي سنة 1933، في أعقاب حفلة زفاف صديق، قال نيكسون لأُولاَ إنه يحبها. واستذكرت أنه «لم يقل ذلك من قبل أبداً، كان كل شيء في تلك الليلة جميلاً: الورود، والموسيقى والجوّ. وبدا التأثر على دِكْ فعلاً... فصار طرياً وناعماً وحنوناً... فجلسنا وتحدثنا طيلة ساعات».

ووافقَتْ أُولاَ على الزواج منه تلك الليلة. وبدآ يدخران. «وكلما كنا على موعد وتبقى معنا بعده قطع عملة صغيرة كان دِكْ يعطينيها مهما كانت، قائلاً:

«هذه من أجل خاتم الزواج». وليس أدل على نقص الاتصال بين الأم وابنها من الجواب، الذي قدمته هنّا عندما سئلت عن تلك العلاقة بعد سنوات، فأجابت بأنه «لم يكن فيها شيء».

وسرعان ما عادت الأمور إلى الانتكاس. لم يكن يبدو أن لنيكسون أصدقاء من الذكور، ولم ينسجم مع صديقات أُولاَ. فراحت تنشب بينهما مشاجرات مريرة متواترة. وتستذكر أُولاَ أنه «لم يكن يعرف كيف يختلط بالناس. فكان وجهه يتلبد... ويصبح قاسياً خشناً... وكنت أبكي». وكان صديق يعرفهما يعتقد أن نيكسون «مشاغب وليس تصالحياً» وبلا دفء، بل كان له «طبع شرس كريه».

واستمر نيكسون يلتقي بشابات أخريات من وراء ظهر أُولاَ. فعندما كانا يذهبان للرقص معاً، كان يتجاهلها ويمضي الليل في الثرثرة مع رجال آخرين. فكانا يتشاجران، وتتصل أُولاَ المهانة هاتفياً بأمها مرة أخرى لتأتي وتعيدها إلى البيت. ثم كانت تنتهز الفرصة في رقصة يتاح فيها للإناث أن يخترن الذكور، لتنتقم منه بدعوة شخص آخر لمرافقتها، وهو شاب من أسرة ثريّة.

ويستذكر أحد أصدقائهما أنه منذ ذلك الحين، راحت أُولاَ تفضّل رجلاً آخر في حياتها «في الوقت، الذي احتفظت فيه بنيكسون معلقاً بطرف خيط». ومع ذلك فقد ذهب نيكسون إلى كلية الحقوق في الجنوب الشرقي وهو يفترض أنها ما زالت فتاته. وتوقف عن رؤية غيرها من النساء تماماً. وأبقى سيلاً من الرسائل ـ وهي تتذكر أنها «رسائل غرام حقيقية» ـ تتدفّق إلى كاليفورنيا. كان يتصرف وكأن الزواج من أُولاَ ليس سوى مسألة وقت.

وعندما وصل نيكسون إلى مسقط رأسه في عطلة بعد غياب تسعة أشهر، هتف لها على الفور، ليسمعها تكشف له عن أنها صارت ترافق غريمه من الصيف الماضي. بل أكدت له أن ذلك الخطيب موجود في غرفة الجلوس عندها في تلك اللحظة. فثارت ثائرة نيكسون، وصرخ: «لن تسمعي مني شيئاً

أبداً بعد الآن!» وأطبق سماعة الهاتف. غير أنه عاد إليها في اليوم التالي ليتحدث عن الزواج. وعند عودته إلى كلية الحقوق استمر في الكتابة وكأن شيئاً لم يكن. ولم تتوقف الرسائل حتى بعد ذلك بستة أشهر، عندما كتبت له أُوْلاَ أنها تخطط للزواج من الشاب الآخر، فقبل نيكسون الهزيمة في آخر الأمر، قبل أسبوعين فقط من الزفاف.

وطيلة الوقت الذي قضاه نيكسون في جامعة ديوك، حتى في الأشهر التي تلت علمه بأنه فقد أُولاَ إلى الأبد، لم يقل عنها كلمة للطلبة الذين كان يعرفهم جيداً. ولم يذكرها في مقابلاته المبكرة عن حياته الشخصية. وبعد عقود من الزمن، عندما كان رئيساً وجاءت أُولاَ إلى حفل استقبال في البيت الأبيض مع آخرين من طلبة وِيتْيِيرْ، يقال إن نيكسون قد تصرف وكأنه لم يعرف مَنْ تكون، صحيح أن هناك إشارة إليها في مذكراته، ولكن ليس هناك أي تلميح إلى أن هذه كانت المرأة التي أحبها ذات مرة، وكان يخطط للزواج منها.

والذين عرفوا نيكسون بعد انفصام تلك العلاقة، وإلى زمن طويل في المستقبل الذي تلاها، لديهم نظريات حول تأثير الانفصام عليه. فيقول هيوبرت بيري: «لقد حطمت قلبه». وبيري هذا من معاصريه في ويتيير، وابن صديق العائلة التي ساعدت فيما بعد على تشجيع نيكسون، على العمل في ميدان السياسة. أما برايس هارلو، صديقه لزمن طويل، وأحد كبار مستشاري البيت الأبيض، فهو يعتقد أن نيكسون قد «لحق به أذى عميق على يد شخص وثق به. . . وكان الأذى من الحدة بحيث لم يتغلب عليه أبداً، فلم يعد يثق بأحد قطّ». وتكهن هارلو بأن هذا الشخص كان صديقاً أو أحد الوالدين، أو عشيقة.

فإذا كانت هناك جروح كهذه، فلا بد أن أعمقها، وأكثرها تأثيراً قد جاءته على يد أحد الوالدين بالقدر نفسه الذي سببته حبيبة. فعندما كتبتْ إليه أُولاَ ويلتش في آخر الأمر تتوسل إليه أن يوقف رسائله، رد عليها كما يلي:

2 شباط / فبراير 1936

عزيزتي أُولاَ فلورانس

وأخيراً أصبحت عاقلاً! ورغم أنني آسف لإحراجك برسائلي، فإنني غير نادم على الشعور الذي خامرني تجاهك طيلة السنة الماضية. ففي السنة ونصف السنة التي قضيتها في ديوك، **أدركت أكثر من أي وقتٍ مضى كمال شخصية أمي وروعتها وعظمتها. فهي غير قادرة على ممارسة الأنانية، وهي بالنسبة لي المثل الأعلى**(*). وقد احتللت موقعك معها في قلبي ـ كمثال ينبغي على كل إنسان أن يكافح ليصل إلى مستواه. ولقد بدأت الذكريات القديمة تتلاشى ببطء، لتحل محلها ذكريات جديدة. ولكنني سأتذكر دائماً العطف، والجمال والمحبة التي كانت، ولا تزال، وستبقى إلى الأبد أُولاَ فلورانس ويلتش.

صديقك

ريتشارد نيكسون

فما الذي يمكن أن تكون أُولاَ قد فكرت فيه، إزاء رسالة «أخيرة» من عشيق يواجه خسارته إياها لرجل آخر، وتركّز على **أمّه**؟

فإذا كان رفض أُولاَ قد أثر في نيكسون إلى مثل هذا الحد الكبير، فلعل السبب هو أنه تجرأ ونطق لها بالكلمات، التي قيض له أن يذكر فيما بعد أن أمه لم تقلها له على الإطلاق: «أنا أحبك»، وأن يذكر معها موافقته على عدم ضرورة النطق بها. فبالنسبة لأي رجل أو امرأة، فإن نطق هذه الكلمات الثلاث بصوتٍ عالٍ للمرة الأولى يُعْتَبَرُ ـ أو ينبغي أن يُعْتَبَرَ ـ خطوةً كبيرةً. ولذلك فبالنسبة لنيكسون، القادم من موطن لا تُعْرَضُ فيه العاطفةُ جسدياً على الإطلاق ويبقى «الحبّ» شيئاً غير منطوق، لا بد أن تلك الخطوة كانت عملاقة.

ولكن، كان من المحزن أن عبارته: «أحبك» لم تقنع أُولاَ. فقد ذكرت

(*) التوكيد من المؤلف.

في إحدى المقابلات بعد سنوات، أنها تعتقد أن نيكسون «ربما كان يؤدي دوراً في تمثيلية» عندما تحدث عن مشاعره[1].

كان غرام نيكسون بأُولاَ، الذي استغرق ست سنوات، عندما كانا ممثلين في عالم الوهم الذي خلقته مسرحية مدرسية. وقد بدأت علاقته التالية بامرأة على مسرح كذلك، ولكنها كانت مما قُدِّرَ له أن يدوم هذه المرة.

وفي الشهر الذي وصل فيه نيكسون إلى سن الخامسة والعشرين، في كانون الثاني / يناير سنة 1938 أجرى مقابلة للحصول على دور تمثيلي في إنتاج، لمسرحية مثيرة عنوانها **البرج المظلم**. وكان قبل ذلك بوقت قصير قد مثّل دور المدعي في مسرحية أخرى، بعد أن أخبره زميل له بأن تصوير شخصية محامٍ على المسرح، قد يساعد في جلب الزبائن إلى مؤسسته القانونية الحقيقية. وعندما شرع يقرأ دور باري ـ الشاب المتلهف، الخجول الذي يحمل سمة حفيفةً لطالبٍ في كلية» ـ كانت هناك امرأة تنتظر لتجرب نفسها في دور دافني، الذي كان يدعو إلى امرأة جميلة طويلة متجهمة نكدة في العشرين تتلفع بهالة من الغضب الدائم. وفي الرواية يقوم باري بالتودّد إلى دافني.

وقد حصلت على الدور المدرّسة النحيلة الشقراء بات رايان، وهي في السادسة والعشرين، وحصلت على ريتشارد نيكسون طيلة حياتها. وقد استذكر نيكسون أنه «في تلك الليلة، ظهرت شابة مفعمة بالحيوية ذات شعر أحمر ضارب إلى اللون البنّيّ، لم يسبق لي أن رأيتها من قبل أبداً. فوجدتني عاجزاً

(1) تزوجت أولا ويلتش بالفعل الرجلَ الذي تركت نيكسون لأجله، وهو غيل جوب. وكانت لا تزال على ذمته حين قوبلت لأغراض هذا الكتاب سنة 1996. وقد نقلت عن نيكسون في مقابلة معها لأغراض كتاب جوناثان إيتكين عن سيرة حياة نيكسون، أنه قال لها إنه يحبها. غير أن سيرة حياة نيكسون التي كتبها روجر موريس تذكر أنها لم تستطع أن تتذكر أبداً أنه قال لها «أحبك». كما أنها أخبرت الدكتور ديفيد آبراهامس أنها لا تستطيع أن تتذكر حتى إن كان قد قال لها إنه يستلطفها. وقد أعار المؤلف ملاحظاتها عن الموضوع لإيتكين، الذي يبدو أنه قد أجرى معها مقابلة مستفيضة (جوناثان إيتكين، ص 61؛ وروجر موريس، ص 169؛ وآبراهامسن، مصدر سبق ذكره، ص 107).

عن إبعاد عينيّ عنها. . . وبالنسبة لي كانت تلك حالة حب من أول نظرة».

وأوصل نيكسون المرأة الشابة إلى بيتها بسيارته، ومعها صديقتها إليزابيث كلوز، التي كانت قد اقترحت عليها أن تذهب للمقابلة. وقدر لنيكسون أن يزعم: «وفي الطريق، سألتُ بات عما إذا كانت ترغب في موعد معي. فقالت: (إنني مشغولة جداً)، فقلت لها: (ينبغي أن لا تقولي ذلك لأنني سأتزوجك ذات يوم!). . . وأتساءل عمّا إذا كانت الحاسّة السادسة، هي التي حرّضتني على التفوه بمثل تلك العبارة المتهورة».

واستذكرت كلوز الحكاية بطريقة مختلفة، قائلة إن نيكسون لم يبدأ حديثه عن الزواج، إلاّ بعد التدريب الثالث على المسرحية، عندما رفضت بات حتى أن تجلس إلى جانبه في السيارة. غير أن ردّ بات ليس موضع نزاع. وقد قالت بعد ذلك بسنوات[2]: «ظننته أبله». ومن الطبيعي أن رواية نيكسون، أنتجت نسخة أفضل للصحف في سنوات المستقبل التي تلت الواقعة، وقدمت قطعة أخرى من الخيال لا ضرر منها.

وقدر لنيكسون أن يخبر جمهوراً يعد بالملايين أمام شاشات التلفزيون، أن «اسمها كان باتريشيا ريان، وقد ولدت يوم عيد القديس باتريك»، وذلك في خطابه الذي اشتهر باسم تشيكرز (الكلب الذي أهداه له بعض أصدقاء العائلة: انظر التفاصيل في الفصلين الثاني عشر والثالث عشر من هذا الكتاب) في سنة 1952. فكانت عبارته تلك ذات دفء خاص، وتصلح لتملّق الإرلنديين لكسب أصواتهم. ولكنها لم تكن حقيقية. كما أن بات لم تولد في سنة 1913، كما زُعِمَ في بعض البيانات الصحفية المبكرة، وإنما ذُكِرَ ذلك لأنه مناسب لجعلها

---

(2) قالت بات نيكسون أيضاً إنه قد خطبها في تلك الليلة الأولى. ومع أن المرء قد يتوقع أن تكون رواية الزوجين للقصة صحيحة، فإن المؤلف يعتقد في هذه الحالة أن رواية إليزابيث كلوز هي الأجدر بالتصديق (إيرل ميزو، مصدر سبق ذكره، ص 31؛ مقابلة كينيث هاريس، ميامي هيرالد، 19 كانون الثاني / يناير، 1969).

في سن زوجها نفسه. كانت هذه أكاذيب ملفقة، كالزعم بأنهما لم يلتقيا في مقابلة للحصول على أدوار في تمثيلية، بل في مباراة روز باويل ـ وهو زعم مفيد في صفوف جمهور كرة القدم ـ ومن جهة، فإن نيكسون كان يعتقد أن من السخف أن يجتذب النقد، عندما يُضْبَطُ في مثل هذه الأكاذيب الصغيرة. ومع ذلك فقد استطاع من جهة أخرى أن يصرّ، في مؤتمر صحفي لاحق، «إننا يجب ألاّ نسمح حتى بأكذوبة صغيرة».

وتوضح شهادة الميلاد أن المرأة التي قدر لنيكسون أن يتزوجها، قد ولدت في آذار / مارس 1912، مما يجعلها أكبر منه بسنة تقريباً. وهي لم تولد في عيد القديس باتريك، في 17 آذار / مارس، بل قبله بيوم، في 16 آذار / مارس(*). وبالإضافة إلى ذلك فقد كان الاسم المسجل للطفلة هو ثيلما كاثرين. وقد سماها معظم الناس ثيلما أثناء طفولتها. وكان الاستثناء من ذلك هو أبوها، الذي أطلق عليها لقب «بات» كاسم تدليل، نظراً لجذوره الإيرلندية، وقرب مولدها من عيد القديس الحامي لإيرلندا. فلم تتخذ اسم بات هذا إلاّ بعد موت أبيها. وكان ذلك يعود جزئياً إلى كراهيته لأسمائها المعطاة في السجل. وفي المستقبل البعيد فيما بعد، كان رئيس أركان البيت الأبيض هـ. ر. هالدمان، الذي لم تكن على توافق معه، يشير إليها باسم ثيلما من وراء ظهرها، تعبيراً عن ازدرائه لها.

ومهما كانت الخدع حول اسم زوجة نيكسون المقبلة ومولدها، فإنها كانت تنحدر من خلفية من الحرمان والمآسي الأصلية. فقد ولدت في كوخ في مدينة مناجم في نيفادا. وكان أبوها، ويل رايان، بحاراً سابقاً تحول إلى باحث

(*) بعد أن عرفت هذه التفاصيل بزمن طويل، سعت بيانات صحفية وزعها نيكسون ـ وكذلك السيرة الذاتية الموافق عليها للسيدة نيكسون ـ إلى التوضيح بأن الطفلة قد ولدت قبيل منتصف ليلة 16 آذار / مارس، واحتفل بها أبوها السعيد، باعتبارها «طفلة القديس باتريك في الصباح» عندما عاد إلى البيت من عمله في وردية متأخرة. وهذه الحكاية تناقض دليل شهادة الميلاد، التي تشير إلى أن الولادة حدثت في صباح السادس عشر عند الساعة 25/ 3.

عن الذهب، وكانت أمها كيت أرملة مهندس قتل في حادث. وعندما أثبتت الظروف في نيفادا أنها غير واعدة، انتقل الزوجان إلى آرتيزيا في كاليفورنيا، على بعد ثمانية أميال من ويتيير (حيث كان ريتشارد نيكسون قد ولد لتوه) ليجربا حظهما هناك.

وكانت الحياة في آرتيزيا عيش كفاف من اليد للفم. فقد كانت عائلة من ستة أشخاص منحشرة في بيت صغير بغرفتي نوم، وبلا مجاري مياه ولا كهرباء. فراح ويل رايان يعيش عيشة شحيحة كمزارع خضروات. وبالنسبة للأطفال، فإن الذكريات السعيدة للحياة في الهواء الطلق، قد طغت عليها الحقائق القاسية في البيت. فقد كان أبوهم، السكّير الحادّ الطبع، يتشاجر مع أمهم بانتظام.

وعندما كانت بات في الرابعة عشرة، ماتت أمها من اضطرابات في الكلى وسرطان في الكبد. فوقع عليها عبء إطعام أبيها وإخوتها وإدارة البيت. وفي سن السابعة عشرة، بالإضافة إلى واجباتها الأخرى، اشتغلت بعمل جزئي كأمينة صندوق في المصرف المحلي، حيث وجدت نفسها فجأة ذات عصر في مواجهة لص جاء يسطو على المصرف. وعندما كانت في الثامنة عشرة، مات أبوها بالسل.

وبموت أبويها، لم تحتفظ بها آرتيزيا طويلاً. وفي سن التاسعة عشرة، عندما عرضت عليها وظيفة قيادة سيارة زوجين عجوزين إلى الساحل الشرقي، انتهزت هذه الفرصة لتغادر. وفي نيويورك عثرت لها إحدى عماتها على عمل كأمينة سر لمشفى كاثوليكي لمرضى السل. وبينما كان العمل مسبباً للتعاسة، فقد كانت هناك تعويضات، من بينها حياة اجتماعية نشيطة.

وبصفتها امرأة جذابة في مشفى مليء بالأطباء العزاب، كان الطلب عليها شديداً. وراح طبيب إيرلندي في ثلاثينيات عمره يتودّد إليها بإلحاح متواصل. وحسب رواية سيرة حياة بات المطبوعة سنة 1986، والتي كتبتها ابنتها جولي،

فقد كان يغازلها بلا طائل. وتروي جولي أنه «عندما ألمح إلى الزواج، كان ردها الاستمرار في قبول دعواتٍ من رجال آخرين. كانت تشعر بالحاجة إلى الحرية في أن تذهب حيث تشاء، عندما تشاء...».

وقد يكون هذا دقيقاً. ولكن شيئاً من الغموض يحوم حول الفترة التي أمضتها زوجة نيكسون المقبلة في نيويورك. فقد أشيع، أثناء حملة الانتخابات الرئاسية في سنة 1960 أنها كانت متزوجة من قبل لفترة قصيرة. بل إن ماكسين تْشِيشَايَرْ، مراسلة **الواشنطن بوست**، حصلت على اسم زوجها الأول المزعوم، واستذكرت: «عندما حدثته بالهاتف، أنكر الأمر بطريقة لم أعرف معها إن كنت أصدقها أم لا». وهناك وثيقة عتيقة من عقد الثلاثينيات في القرن العشرين، كان ينبغي أن تحتوي على حالة بات ريان الزوجية، يبدو أنها مفقودة.

وقد لا تكون فكرة زواجها الأول المكتوم منافيةً للعقل أو المنطق كما تبدو لسامعها. فحقيقة كون بيتي، زوجة الرئيس فورد، متزوجة قبل زواجها من فورد ظلت مجهولة حتى قام مراسل لمجلة **تايم**، بإجراء تحقيق استقصائي في خلفيتها سنة 1974. فهل كان لزوجة نيكسون المقبلة سرٌّ مماثل. وقد يكون هذا السؤال الآن بلا جواب ممكن، وليس أقل سبب له هو أن البحث في سجلات الزواج القديمة في ولاية نيويورك، يشبه بطبيعته البحث عن إبرة في كومة قش[3].

(3) كانت بات رايان تشير إلى نفسها بشكل محدد في الرسائل التي تبعث بها إلى البيت على أنها غير متزوجة، حتى شباط / فبراير 1934. فإن كان هناك زواج أول في فترة نيويورك فإنه يكاد يكون من المؤكد أنه لم يكن من الدكتور فرانسيس فنسنت ديوك، الخطيب الإيرلنديّ المولد المذكور في هذا الفصل. وليس هناك إشارة إلى زواج أول للدكتور ديوك في نعيه المنشور مع ترجمة حياته المختصرة في سنة 1965. كما أن ديوك لم يعش قَطّ في نيو أورليانز، على عكس الزوج المزعوم الذي قابلته المراسلةُ الصحفيةُ ماكسين تشيشاير. ومن الواضح أن بات كانت تواعد عدة رجال مختلفين عندما كانت في نيويورك. وقد عادت إلى كاليفورنيا في آب / أغسطس 1934. (ديوك، **النيويورك تايمز**، 24 آذار / مارس، 1965؛ **وحولية الرابطة الطبية الأمريكية**، 21 حزيران / يونيو، 1965، ص 1115؛ ومواعيد نيويورك في كتاب **بات**، ص 38).

وعندما التقت بات رايان بريتشارد نيكسون، في أوائل سنة 1938، كان قد مضى على عودتها إلى كاليفورنيا ثلاثة أعوام. وكانت قد أكملت تحصيلها التعليمي، وحصلت على إجازة جامعية في التجارة من جامعة كاليفورنيا الجنوبية. وكانت قد عملت في وظائف شتى، من بينها عمل في محل تجاري، ودور تمثيلي ـ أكثر بريقاً ـ كممثلة إضافية في اثنين من الأفلام الهوليوودية. ثم تخلت عن خططها لحياة مهنية في مجال العمل التجاري، وقررت أن تصبح مدرّسة. وهكذا شاء القدر أن تجد بات نفسها تدرّس مهارات العمل المكتبي للسكرتيرات، وتتعاطى التمثيل الدراميّ كهواية في البلد الذي كان مسقط رأس نيكسون.

أمّا حياة نيكسون نفسها، فلم تكن قد ارتفعت بعدُ إلى المستوى الذي كانت تَعِدُ به في أيام دراسته المحلّقة عالياً. ففي غضون أيام من انضمامه إلى مؤسّسة وِينْغِرْتْ وبيولي القانونية، المتخصّصة في إثبات صحة الوصايا ومحتوياتها، عُهِدَ إليه بدور في قضية دَيْن هالك ميؤوس من تحصيله. وعلى الفور، ومن أعماقه، ارتكب خريج كلية الحقوق الجديد غلطة نجم عنها دعوى أقامها الزبون على المؤسّسة بتهمة الإهمال، وتوبيخٌ شديد تلقاه نيكسون من قاضي محكمة بلدية.

وحسب رواية أحد المحامين فإنه لم يفعل سوى «شيء شديد الغباء». ولكن حسب رواية محامِيَيْن آخَرَيْن فإن القاضي آلفريد باونيسا قد قرّعه على النحو التالي: «يا سيّد نيكسون، تخامرني شكوك خطيرة في ما إذا كانت لديك المؤهلات الأخلاقية، لممارسة المحاماة في ولاية كاليفورنيا هذه. وإني لأفكر جدّيّاً في إحالة هذه القضية إلى نقابة المحامين لمنعك من ممارسة المهنة»[4]. ولن يجد قرّاء مذكرات نيكسون أي ذكر لهذه الواقعة.

---

(4) كانت القضية هي قضية شيء ضد هولت. وهي نزاع عائلي بدأ في خريف سنة 1937؛ عندما اشتكت ماري شي لاسترجاع الأموال التي كانت قد أقرضتها لخالها، أوتو سْتِيوَاز. فَحُكِمَ لمصلحتها في القضية، مع الحق في بيع منزل سْتِيوَاز. غير أن البيع قد اختلّ تحت إشراف نيكسون. ونتيجة لذلك، =

وبينما كان نيكسون يعمل لدى مؤسّسة وينغرت وبيولي، اشترك مع رجليْ أعمال محليَّيْن في مشروع لعصير البرتقال المجمد، وكانت تلك فكرة ابتكارية في ذلك الحين. فأسّس الشركة، وصار رئيساً لها. بل راح يشتغل بقميصه ليلاً في المصنع، ولكن كل جهوده ضاعت سدى. فلم يجيدوا التعبئة أبداً. وانتهى المشروع على نحو يتسم بالفوضى والقذارة عندما انفجرت شحنة من علب العصير المجمدة في عربة قطار مبردة. فمحقت مدّخرات نيكسون. وانتهى الأمر ببعض المستثمرين الغاضبين إلى أن صاروا «يكرهون خلقته» حسب تعبير رئيسه توم بيولي.

وكان العمل كمدَّعٍ يعني أيضاً التعامل مع قضايا طلاق شنيعة. وتذكرت إيفلين دورن، أمينة سرِّ نيكسون، الحرج الذي شعر به عندما وصف أحد الشهود كيف ضبط اثنين في حالة اتصال جنسي في الهواء الطلق. واستذكر نيكسون نفسُهُ وهو يرتجف اليومَ الذي «بدأت فيه فتاة جميلة فعلاً تتحدث عن المشاكل الحميمة في زواجها. . . فقد اكتسى وجهي بألوان قوس قزح الخمسة عشر».

وكان نيكسون بكراً، وأسرّ بهذه الحقيقة إلى ضابط كان زميلاً له في أثناء الحرب العالمية الثانية، وظل كذلك حتى زواجه وهو في سن السابعة والعشرين. وفي سنة 1938، وهو في الخامسة والعشرين، كان مستمراً في العيش في بيت أبويه. وبعد عامين من انفصام علاقته مع أُولاَ، كان يتلقى دعوات عشاء بانتظام من أمهات لديهن بنات جاهزات على أمل اتخاذه زوجاً، ولكنه ظل بلا صديقات. وعندما التقى بات رايان شرع في التقرب منها في

= وجدت شي نفسها عرضة لخسارة كل ما كسبته، فأقامت دعوى على مؤسسة وينغرت وبيولي بتهمة إساءة الممارسة. فتصالحت معها المؤسسة المذكورة خارج المحكمة. وظلت القضية متواصلة الإجراءات حتى سنة 1942 (إن أكثر أوصاف القضية تفصيلاً موجودة في كتاب فون برودي عن ريتشارد نيكسون؛ وديفيد آبراهامسِنْ، مصدر سبق ذكره، ص 123 ـ وروجر موريس، ص 189 ـ؛ وملفات القضية مدرجة في كتاب فون برودي، ص 527).

محاولة تكاد تكون يائسة، وقد بلغ من يأسه أَنْ كان من المدهش، أنه سمح بإعلان الكثير من تفاصيلها على الملأ أثناء حياته.

وقد دفعته بات بعيداً عنها منذ البداية، ومع ذلك فقد قام ـ كما فعل من قبل مع أُولاَ ـ بتدبير لقاء بينها وبين والديه، حتى قبل أن يخرج في موعد معها. وأصرّ على أن يحضر والداه الرواية المسرحية التي كان يمثّل فيها مع بات. ثم دعاها إلى بيته بعد ذلك. فلم تلتزم أمه بشيء. ولم تنشأ علاقة ودية بينها وبين بات على الإطلاق.

ورغم كل وعود نيكسون، ورغم كل خبرة بات خارج كاليفورنيا، كان الاثنان من أهل المدن في وضع من أوضاع سكان الحَضَر. ورغم أن أسرتيهما لم تكن كل منهما تعرف الأخرى قبل ذلك، فقد تقاطع عَالَمَاهُما. كان أبو نيكسون قد ساعد في بناء مدفأة من الآجُرّ في منزل طفولة بات. واشترى هو ووالد بات قطعتي أرض متجاورتين في المقبرة.

ومع ذلك لم تكن بات ترغب في أن ترى نفسها ضمن ذلك السياق. فأثناء السنوات الأربع التي عملت فيها بالتدريس في وِيتِّيِير، لم تُمْضِ عطلة نهاية أسبوع واحدة هناك، بل كانت تتجه إلى لوس آنجيلوس، حيث ظلت تواعد رجالاً آخرين، بعد فترة طويلة من التقائها بنيكسون. وذات مرة، عندما أوضحت له أنها على موعد في المدينة، طلب منها «أن يكون في صحبتها» بتمثيل دور سائقها الخاص. وكان عندما يوصلها إلى لوس آنجيلوس أحياناً لا يفعل شيئاً، سوى قتل الوقت حتى يعود بها في السيارة إلى وِيتِّيِير.

وعندما أمطرها بالورود والأشعار، قالت له إنها لا تستطيع أن تستجيب لغرامه، وحاولت أن «تلصقه» بواحدة من صديقاتها. فكان رد نيكسون نوعاً من التفاني الذليل الذي يدعو إلى الرفض. وعندما توسلت به بات أن يكف عن رؤيتها، متذرّعةً بضغط العمل، قنع منها بمساعدته إياها في تصحيح أوراق تلاميذها. وعندما رفضت أن تخرج للمشي معه، كتب يصف كيف كان قيامه

بالمشي وحده: «أعرف أنني مجنون، ولا آخذ بالتلميح، ولكن كما ترين يا آنسة بات، فإنني أحبك!».

وتكشف رسائل نيكسون الغرامية التي نشرتها ابنته جولي في سيرة حياة أمها بات، عن رجل كان ينبطح أرضاً عند مواجهته للرفض. وبعد أشهر من تلك العلاقة الأحادية الجانب، بعد أن طردته بات ذات ليلة، كتب لها رسالة مضطربة تثير الشفقة:

> عزيزتي باتريشيا:
>
> أرجوك سامحيني... إنني أقدر تلك النزهات والاستراحات تقديراً لا حدود له. وآمل أن تكوني قد نجوتِ منها دون قلق أكثر ممّا ينبغي، حول مشكلة «ماذا أفعل حتى أتخلص منه قبل أن يتهاوى؟»... أتسمحين لي أن أقول الآن ماذا فكرت فيك في الحقيقة؟ فكما ترين أنا أيضاً أعيش في عالم التمثيل وخاصة في مسألة الحب هذه. وأخشى أنني لا أعرف أحياناً متى أكون جاداً ومتى لا أكون! ولكنني أستطيع أن أقول بإخلاص إن باتريشيا هي فتاة لطيفة، وإنني أحبها حبّاً جمّاً، ورغم أنها لن تعطيني فرصة لأخطبها، خوفاً من إيذائي! ورغم أنها قد أهانت ذاتي قليلاً بعدم كونها صريحة تماماً في بعض الأحيان، فإنني مع ذلك أتذكرها باعتبارها تجمع بين أفضل خصائل الإيرلنديين، وذوي الرؤوس المربعة [الألمان].
>
> المخلص لكِ
>
> دِكْ

وقد أبقت بات، نيكسون بعيداً عنها أشهراً، بل إنها قطعت الاتصال به تماماً لفترة، عندما كانت غلطته وهو غرٌّ في قضية الدَّيْن الميت آخذةً في التحول إلى أزمة. ومع ذلك استمر في إلحاحه. وبعد مضي سنة كاملة على لقائهما الأول، كان لا يزال يراها بصورة منتظمة. كانت بات تحب الرقص، فكان نيكسون ـ المعروف عنه أنه راقص سيّئ ـ يتخبط معها. وكانت متزحلقة جيدة على الجليد، وهذا نشاط كان نيكسون ميؤوساً منه فيه كذلك. وقد شوهد يترنح

ذات مرة حول حلبة الجليد وحده، دامي الوجه من السقطات وهو يلح في التحضير لموعد تزحلق. ورغم أن نيكسون لم يكن معروفاً بحس الدعابة فقد كان يبقي بات ضاحكة. بل إنه في إحدى الحفلات جعلها تفقد السيطرة على نفسها من شدة الضحك، في فصل تمثيلي مرتجل عن «الجميلة والوحش»، لعب فيه دور الوحش.

وكانت بات تحب المرح. فاقترح نيكسون أن يزورا ـ بصحبة رجل وامرأة آخرين ـ نادياً في لوس آنجيلوس وهم يرتدون ملابس غريبة. فارتدى سترة ضيقة من جلد الراكون (حيوان جبلي مفترس موطنه أمريكا الشمالية) كانت تخص والدته. واستذكر أحد الذين رافقوهما، وهو كيرتيس كاونْتْ، كيف «جاءت راقصة متجردة فخلعت ثيابها بقوة وراحت تهز مؤخرتها في المكان كله، حتى لذعها أحد الجالسين في مقعد في الصف الأمامي على مؤخرتها بسيجارة مشتعلة. . . ولن أنسى كم ضحكنا، وضحك معنا دِكْ».

وبعد انقضاء ثمانية عشر شهراً على علاقتهما، كانت بات قد لانت بما يكفي لترسل له بطاقات من رحلة لها في العطلة. وتحمل بطاقةٌ بريديةٌ مرسلةٌ إلى عنوانه في العمل عبارةً ساخرةً من ثلاث كلمات فقط «حب من أمك». وفي بطاقة أخرى موقعة بعبارة «كثير من الحظ»، تعترف بأنها «تشعر بشيء من الوحدة».

وفي ذلك الوقت كان نيكسون بحاجة إلى شيء من الحظ. فبينما كان يتلوّع على بات، كان يشرف على انهيار مشروع عصير البرتقال، ويفتتح وحده فرعاً جديداً للمؤسسة القانونية لرئيسه في العمل، وينغمس في دوامة من النشاط مع مجموعات تجارية محلية. وبينما كان يترأس نادياً لرجال الأعمال الشباب ممّن هم في العشرينيات والثلاثينيات من العمر، انكفأ على نفسه منغمساً في خطيئة العزّاب، وهي الإكثار من شرب الخمر.

وكان الكحول محظوراً في مدينة المرتعدين التي ترعرع فيها نيكسون.

ولم يكن قد تعرض لتعاطيه إلاّ وهو في التاسعة عشرة، عندما ارتشف شيئاً من شرابٍ يدعى توم كولينز في أحد مقاصف سان فرانسيسكو. وفي كلية الحقوق في كارولاينا الشمالية، وهي ولاية «جافة» [تحظر فيها المشروبات الكحولية]، كانت الخمر تهرب تهريباً منتظماً بصورة روتينية لاحتفالات الطلاب. واستذكر نيكسون سنة 1990 أن «تلك الحفلات كانت انفجارات حقيقية». «وكان معظمنا يشرب خلطة قاتلة من الجِنّ [مسكر قوي] وعصير الليمون الهندي. وفي اليوم التالي كنا جميعاً نستيقظ مع آلام بغيضة رهيبة من الإسراف في الشراب».

وفي ويتيير، عندما أصبح نيكسون مساعداً للمدعي في المدينة، راح - في تبجح ظاهر - يلاحق المحالّ التجارية التي تخرق الحظر المحلي على الكحول. وفي الوقت نفسه كان هو يخرق الحظر في جلساته الخاصة مع أصدقائه بمرح. ويستذكر معاصرٌ له في الكلية، هو فيليب بلو، كيف تحول أحد اجتماعات العمل إلى جلسة قصف وعربدة، فبلغ السكر بنيكسون مبلغاً اضطر أصدقاءه إلى نقله بسيارتهم إلى بيته. وقال بلو: «أوصلناه إلى رواق المدخل الخلفي، ونزعنا حذاءه، وأمرناه أن يخطو على أطراف أصابعه إلى سريره ولا يجعل والده يسمعه... فاضطررنا إلى أن نسكبَ دِكْ في سريره سكباً».

وفي سنة 1995 عندما ظهر فلم أوليفر ستون المعنون **نيكسون** وفيه مشاهد توحي بأن نيكسون كان يعاني من الإدمان على الكحول، احتج الموالون له على ذلك. ومع هذا فقد كانت لديه مشاكل من هذا النوع، قبل رئاسته وأثناءها.

وفي أوائل سنة 1940، كان تزلف نيكسون الطويل إلى بات رايان يبدو على وشك النجاح. ففي شباط / فبراير من تلك السنة، وفي رسالة بمناسبة مرور سنتين على لقائهما، شعر بأنه يستطيع آمناً أن يخاطبها بقوله: «يا أعزّ الناس على قلبي» «لم يحدث لي شيء قطّ أجمل من الوقوع في حبكم» مستخدماً لغة التعظيم التي هي أسلوب طائفة المرتعدين.

ولقد بلغ من إلحاحه في طلب يد بات، أنها فرضت حظراً على التقدم بالخطبة لمدة ثلاثة أشهر. وفي آذار / مارس من تلك السنة، قاد نيكسون بات بسيارته عند الغروب إلى رأس جبلي مطلّ على المحيط الهادي وقطعة من الساحل كانا يحبانها ـ وهي مكان قيض لهما أن يجعلاه شهيراً باعتباره موقعاً للبيت الأبيض الغربي في سان كليمينت ـ وطلب يدها مرة أخرى؛ وفي هذه المرة قالت بات نعم. غير أنها استذكرت بعد ذلك بسنوات، أن الشكوك ظلت تراودها حتى بعدما قالتها.

وتزوجا في 21 حزيران / يونيو 1940 في حفلة للمرتعدين في خان إسباني الطراز بالقرب من ويتيير. وأقيم حفل الزفاف في الجناح الرئاسي. ويظهر أن سبب ذلك لم يكن لأنه ضم ثلاثة رؤساء عبر سنوات متفاوتة، بل لأنه كان أرخص غرفة متاحة. وترأس الحفلَ عميدُ كلية ويتيير. وقدمت الكعكةَ أمُّ نيكسون. ولم يحضر حفل الاستقبال سوى دزينتين من الضيوف. والغريب أنه لم تظهر أي صور فوتوغرافية لذلك الزفاف، رغم أن حياة نيكسون موثقة بشكل ثقيل غزير. وبعد ذلك توجه العروسان بالسيارة لقضاء أسبوعين من شهر العسل في المكسيك.

وكان زواج نيكسون من بات، إيذاناً بانفصال تدريجي عن العالم الضيق الذي نشأ فيه، وبداية مشوار طويل من حياة مليئة بالأسفار. فقد جاءت السنة الأولى من حياتهما معاً برحلات حول الولايات المتحدة، إلى كندا، ومن ثم إلى رحلة بحرية ـ على متن سفينة تابعة للشركة المتحدة للفواكه ـ إلى بنما، وكوستاريكا وكوبا.

وكانت كوبا آنذاك مملكة للدكتاتور فولجينسيوباتيستا، وكانت عاصمتها هافانا قبلة أنظار المقامرين، تديرها عصابات الإجرام المنظم الأمريكية[5].

---

(5) كانت الجريمة الأمريكية المنظمة، ممثَّلةً في شخص ماير لانسكي، قد سيطرت على كازينوي هافانا ومضمار سباق الخيل فيها في سنة 1938. وحسب رواية مصادر قوبلت لأغراض هذا الكتاب، بما =

فأحب نيكسون ذلك المكان، وعندما عاد إلى بلده أخبر أمينة سره أنه قد ينتقل إلى هناك ليمارس المحاماة. وكان ذلك أصل افتتانه الطويل بالعالم اللاتيني، وهو افتتان قيض له أن يجرّه في آخر الأمر، كما جرّ جون فيتزجيرالد كيندي، إلى مزلق المواجهة مع فيدل كاسترو.

وقد احتاج نيكسون إلى إذن خاص من مجلس التجنيد، كي يسافر إلى خارج الولايات المتحدة. فقد كانت الحرب تعصف بأوروبا، وأثناء تجواله البحري مع زوجته وصلت الأخبار بغزو هتلر لروسيا. وبعد ذلك بستة أشهر جاء الهجوم الياباني المفاجئ على بيرل هاربر، مما أدخل أمريكا في الحرب العالمية الثانية. وعلى مدى السنوات الأربع التالية كانت الحرب هي التي تقرّر مسار حياة نيكسون، كما قرّرت مسار حياة أمريكيين آخرين كثيرين.

فكانت وظيفته الأولى في زمن الحرب في إدارة مكتب التسعير. وكانت تعني انتقاله إلى العاصمة واشنطن في مقاطعة كولومبيا. غير أنه سرعان ما سئم من التفاوض حول تعقيدات حصص التموين بالإطارات. وفي نيسان / أبريل سنة 1942، تقدم بطلب للانضمام إلى الأسطول الأمريكي، معارضاً رغبات أمه التي كانت تعلم أنه كان بإمكانه ـ باعتباره من طائفة المرتعدين ـ أن يتجنّب الخدمة الفعلية بسهولة. وبعد دورة تدريب كضابط وبعض الأشهر من الخمول الباهت البليد في آيوا، أبحر إلى المحيط الهادي الجنوبي.

وكان سجل نيكسون الحربي مشرّفاً ولكنه غير بطولي. فقد عمل كضابط عمليات برية في تجهيز المؤن والرجال، منتقلاً من جزيرة إلى أخرى بينما كان اليابانيون يتراجعون. وفي حملته السياسية الأولى، وقف في زي البحرية

= في ذلك فنسنت آلو، شريك لانسكي المقرب، فإن نيكسون قد التقى لانسكي في كوبا، ربما لأول مرة في زيارته لها سنة 1941. وسيتم سبر غور العلاقة المزعومة في الفصل الثاني عشر (روبرت ليسي، **رجل صغير** (بوسطن، ليتل، براون، 1991)، ص 108 ـ، 469، الحاشية 23؛ وتشارلس رابيلاي وإذ بيكر، **كل مافيات أمريكا** (نيويورك: دابلداي، 1991)، ص 144؛ ومقابلات مع فنسنت آلو، وجاك كلارك).

ليتحدث عن الوقت الذي أمضاه في «جحور الثعالب» ويستذكر تجاربه «بينما كانت القنابل تتساقط»، بينما يحرص على عدم الزخرفة والتضخيم أكثر من اللازم. وتوحي أكثر البحوث استقصاء أن الملازم نيكسون، المعروف في وحدته بلقب «نِكْ»، نادراً ما تعرض للخطر[6].

ويستذكر المحاربون القدامى فيما بعد، أن كشك نيكسون للوجبات السريعة، الذي كان يديره عند مدرج المطار على غرين آيلاند، كان معجزة في تلبية الطلبات. وقال أحد رجال نيكسون: «إن بعض الموادّ كانت ممّا يمكن وصفه بالتحرّر، [أي تشمل المحرّمات والممنوعات والمهربات]. . . ولكن نيكسون كان قادراً على استبدال أيّ شيء. وإذا شاهدتَ هنري فوندا في فلم «السيد روبرتس»، فإنك ستحصل على فكرة جيدة عما كان عليه نِكْ».

ولاحظ رفاق نيكسون البحارة، أنه كان قادراً على إطلاق سلسلة من اللعنات والشتائم السريعة كالمقذوفات. واكتشف بعضهم على حسابهم أنه كان لاعباً لئيماً للبوكر، وهي لعبة كان يمارسها منذ أيام دراسته في جامعة ديوك. وقال زميله الضابط جيمس أودول: «كانت مهارة نيكسون في البوكر تعادل ـ إن

(6) يشير سجل خدمة نيكسون في الأسطول إلى أنه ذهب إلى جنوب المحيط الهادي في ربيع سنة 1943 وخدم أولاً في كاليدونيا الجديدة ثم في ڤيلا لاڤيلا، التي لم تكن معرضة لأي هجوم ياباني في ذلك الحين. ثم نُقِلَ إلى جزر سليمان الشمالية في كانون الثاني / يناير 1944. وكان الموقع الأول الذي رابط فيه، في جزيرة بوغينفيل، في أيدي الأمريكيين إلى حد كبير عند وصول نيكسون. واستمر القتال شهراً أو نحوه، ولو أنه لم يتركز في المنطقة التي كان يرابط فيها نيكسون. وقد ذكر في مذكراته هجوماً يابانياً اضطر خلاله إلى الاختباء في ملجأ محصن تحت الأرض. وقد شُنَّت غارات جوية على الجزيرة الخضراء (غرين آيلاند)، «كان الخطر الحقيقي الوحيد هو سقوط شجرة ضخمة عليك عند هبوب عاصفة». وكانت الحادثة التي علقت بذاكرته هي المذبحة التي نجمت عن انفجار قاذفة من طراز B - 29 عند هبوطها. وقد قام مؤلفان، هما فون برودي والدكتور ديڤيد آبراهامْسِنْ بفحص دقيق لسجل نيكسون في الحرب. ورغم أن برودي، مثل آبراهامْسِنْ، كانت معادية لنيكسون بصورة عامة، فقد جادلت بطريقة مقنعة بأنه لم يتعمد تصنيع تجاربه العسكرية على نحو مفتعل أثناء حملاته السياسية المبكرة، بل إنه «أحاطها بالضباب، وزركشها، ولم يصحح المبالغات التي شجعها بين كتاب سيرته والصحافيين المتعاطفين معه». وبناء على الأدلة المتاحة، يوافق المؤلف على آراء برودي (فون برودي، الفصل الثاني عشر؛ وآبراهامسن، الفصل الثامن، ومذكرات نيكسون ص 28).

لم تَفُقْ ـ مهارة أي لاعب عرفناه في حياتنا. فكانت المبالغ المراهَنُ عليها كبيرة أحياناً. غير أن نِكْ كانت لديه الجرأة وحاسة التمييز اللتان تجعلانه يعرف ماذا يفعل. . . ولقد رأيته ذات مرة يحتال على ضابط برتبة رائد بحريّ، فيكسب منه ألفاً وخمسمائة دولار في توزيعتين لورق اللعب». وحسب رواية شخص مقرّب من نيكسون، فإنه عاد من الحرب وقد اغتنى بعشرة آلاف دولار ـ أي ما يعادل خمسة وتسعين ألفاً بأسعار سنة 2000»[7].

ووجد وقتاً للعب البوكر في حياته السياسية كذلك، حتى وهو في البيت الأبيض. وخلال فترة تقاعده، كان يتحف ضيوفه بقصص عن «المبالغ الكبيرة» المراهَن بها، مما كسبه وهو في سدة الرئاسة. وفي الخمسينيات، عندما كان نائباً للرئيس، كان يلعب بانتظام مع مجموعة من الشيوخ والنواب. ولم يكن تيب أونيل، الذي صار فيما بعد متحدثاً باسم الكونغرس، معجباً بذلك أبداً. واستذكر أن «نيكسون كان يظن نفسه لاعباً جيداً للبوكر، ولكنه كان يثرثر أكثر من اللازم، ولا يتابع الأوراق بانتباه. وبالإضافة إلى ذلك، كان يستغل حقيقة كونه أعلى اللاعبين منصباً، بسؤال اللاعبين الآخرين عن عدد الأوراق التي سحبوها. . . وفي كل مرة يخسر فيها بضعة دولارات، وكثيراً ما كان ذلك يحدث، كان يبدأ بالضجيج والتذمر. . .».

وحسب رواية ابنته جولي، فإنه كان يكتب إلى زوجته في كل يوم من أيام خدمته في المحيط الهادي. وكانت هي تكتب إليه كذلك. كانت تلك اتصالات سعيدة مليئة بالعواطف والأشواق. وكان نيكسون يتوسل إلى زوجته أن تقول له

---

(7) نقل ستيوارد آلسوب، الذي كان يكتب سنة 1960، عن أحد أصدقاء نيكسون المقربين قوله إن نيكسون قد وفر عشرة آلاف دولار مما كسبه وقت الحرب. وقال ضابط زميل له يدعى جيم ستوارت: «أعرف حقيقة إرساله مبلغ ستة آلاف وثمانمائة دولار إلى بيته من غرين آيلاند». أما ابنة نيكسون، فتنقل عن واحدة من أواخر رسائله إلى البيت إشارة إلى أنها كانت ألف دولار فقط. ويقول نيكسون في مذكراته إن براعته ومكتسباته قد بولغ فيهما معاً. ويضيف أنه مع بات كان لديهما عشرة آلاف دولار عند نهاية الحرب هي نتيجة راتبه وراتبها وما ربحه من لعبة البوكر (ستوارت آلسوب، مصدر سبق ذكره، ص 144؛ وجوناثان إيتكين، ص 108؛ وكتاب **بات**، ص 85؛ و**مذكرات نيكسون**، ص 29، 34).

«أحبك» في كل رسالة: «لأنني أبحث عن هذه الكلمة أولاً وعلى الدوام. . .» وأرسلت له بات رسالة ملطخة بأحمر الشفاه، وكتبت له قبيل عودته: «أيها الحلو، إن عليك دائماً أن تحبني أكثر، وأن لا تدعني أغير مشاعري تجاهك أبداً. . .».

وعلى مدى العقود السياسية التالية، قُدِّرَ للعالَم أن يدعى إلى الاعتقاد بأن نيكسون كانت لديه زيجة سعيدة، تُعْتَبَرُ قِرَانَ القرن الأمريكي، وهي زيجة وصفتها مجلة **تايم** بعد ثلاثين سنة بأنها تشبه «حالة بوليانا في حبها الثابت [للمؤلف الأمريكي] هو راشيو آلغر [1832 ـ 1899]». ومع ذلك، فبينما يعجز الناس الخارجيون عن تقويم مدى حب الآخرين بيقين مطلق، فإن الأدلة المتواترة تشير إلى أن تلك الزيجة لم تكن أنشودة رعوية مليئة بالرضا والسكينة.

4

لقد حاول كل منهما أن يحب الآخر، ولكن الهوة بقيت، نوعاً من الثقب الأسود الذي امتص إلى داخله الأحاسيس الطيبة، التي كان من الممكن أن تجعل نيكسون رئيساً أكثر إنسانية واستقراراً.

مارغريت ترومان، سنة 1995،

حول زواج ريتشارد وبات نيكسون

كانت في العلاقة خطوط تصدع منذ البداية. فعشية زفاف نيكسون، عندما كان يتعين عليه أن يملأ استمارة الترخيص بالزواج، اكتشف أنه لم يكن يعرف اسم زوجته الحقيقي أبداً. ذلك أن «بات» لم تقل له قطّ أن اسمها عند ولادتها كان ثيلما كاثرين. وكانت هناك ـ كما اكتشف فيما بعد ـ أشياء كثيرة أخرى لم يعرفها عن زوجته العتيدة. وقد استذكر في شيخوخته بذهول: «لم تخبرني بات أبداً عما فعلته، وأين كانت، وما مرّ بها... لم تخبرني قطّ عن بعض مشاكل أسرتها، وعن مأساة أمها التي ماتت... أو عن أبيها الذي مات وهي في السادسة عشرة»(*). فبعد علاقتهما الغرامية التي دامت سنتين ونصف السنة، وبعد كل النزهات على الساحل معاً، وكل الرحلات بسيارته، وكل عشاءات المعكرونة، لم يكن قد علم شيئاً بالفعل عن خلفية المرأة التي كان ينوي الزواج بها.

وكان ما يزال مشدوداً كذلك إلى المعوقات الكابحة التي غرستها فيه أمّه.

(*) الواقع أنها كانت آنذاك في الثامنة عشرة.

وبعد مرور ست سنوات على علاقتهما، ولدى توقع نيكسون عودته القريبة من الحرب، وجد من الضروري أن يكتب لها: «لقد تخيلت لقاءنا الأول واستعدته في ذاكرتي مئات المرات. . . سوف أمشي متوجهاً إليك مباشرة وأقبّلك ـ ولكن حسناً! هل تبالين بمثل هذا الظهور العلني؟» لم تكن بات لتبالي، بل هجمت في المطار كي تعانقه، فكانت هذه تحية ظلت تقدمها إليه مرة بعد أخرى عبر السنين التالية، وكان نيكسون يتجنب عناقها في معظم الأحيان.

ولا تتذكر إيفلين دورن، أمينة سر نيكسون لفترة طويلة، أنه مدّ يده ليلمس زوجته سوى مرة واحدة، وكان ذلك فقط لكي يسندها وهما واقفان في مؤخرة سيارة مكشوفة. وقالت إيفلين: «كانت لديه طريقة في تعمّد تجاهلها». ويستذكر توم دكسون، المذيع الذي عمل مساعداً له في الانتخابات في أواخر الأربعينيات: «لم أره قط يلمس يد بات. ولم أر في حياتي قط مثل هذا الترتيب المتعمد البرود».

ولم يكن إظهار العاطفة على الملأ محرماً عند المرتعدين، الذين كثيراً ما كانوا يقبّلون بعضهم بعضاً عند اللقاء على كل خدّ، على الطريقة الفرنسية. ومع ذلك ففي سنة 1952، عندما حاولت بات أن تقبل زوجها وهو يتقبل ترشيحه كنائب للرئيس، أدار نيكسون وجهه بعيداً. وكان واضحاً أن رفضه العلني هذا يؤلمها.

وكتبت جولي في محاولة لتبرير برود والديها الظاهر: «كان الاثنان خجولين. وكانا يجدان أن من الصعب كسر تحفظهما ومناقشة أعمق مشاعرهما». وعزت ذلك إلى ذكرياتهما عن أبويهما الحادَّي الطباع ومشاجراتهما الزوجية أثناء طفولتهما. وقالت: «كان آل نيكسون يتجنّبون مشاهد الشجار العلني، وذلك على حساب الصراحة أحياناً». وبما أن جولي كانت ابنة ذات ولاء لوالديها، فإنها لم تناقش ما كلفه ذلك على المدى الطويل.

وكانت هنالك بعض المشاهد أحياناً، عندما كانت بات تُسْتَفَزُّ أكثر مما

ينبغي في آخر الأمر، وعندئذٍ كان الناس الخارجيون يلمحون مدى تعاستها. وذات مرة، عندما كان نيكسون نائباً للرئيس، استقبَلَتْ بات نيكسون عند الباب قسيساً وهي في حالة ثورة واضحة، وقد نفرت من زوجها. وزعمت قصة أخرى من الفترة نفسها أن نيكسون قد عاد إلى بيته ذات مساء ليجد ثيابه مبعثرة في الحديقة، حيث كانت بات قد رمت بها. وذات مرة عندما اقترح مراسل صحفي أن بات قد أمضت حياة طيبة، رفعت حاجبيها وقالت ببساطة: «إنني فقط لا أخبر الناس بكل شيء».

وكما ستُظْهِرُ هذه القصةُ الآخذةُ بالانكشاف، فإن هناك روايات عن كون نيكسون قد أساء معاملة زوجته، حتى جسدياً في بعض الأحيان.

كان أشد ما يثير سخط بات هو الحياة السياسية التي كان يتعين عليها أن تعيشها، سواء أحبتها أم لا. وقال إيرل مازو، صديق العائلة وكاتب سيرة نيكسون: «إنها لم تكن تريد السياسة على الإطلاق. . . فأصدقاؤها لم يكونوا أصدقاء سياسيين قطّ. وكانت تكره فكرة مواجهة حملة سياسية أخرى. وفي كل مرة يخوض فيها نيكسون حملة، كانت تشعر باليأس المرير». وفي سنة 1960، عند بدء المنافسة مع جون ف. كيندي قالت: «لقد تخليتُ عن كل شيء أحببته في حياتي» وتابعت والدموع تكاد تطفر من عينيها: «والخاسرون هم أطفالنا. إن أياً من البريق أو الجوائز في هذه الحملات تأتي للكبار. والأطفال هم الذين يعانون الألم في الحقيقة».

ولكن بات كانت تخفي مثل هذه الأحاسيس بعناية. وقالت لوسي وينتشيستر، وزيرة الشؤون الاجتماعية، بعد انهيار رئاسة نيكسون: «إنها الفراشة الحديدية التي يضرب بها المثل». وكان الدكتور بول سميث، أستاذ نيكسون السابق في كلية ويتيير، يعتقد أن «بات هي الرجل الأقوى بكثير من ذلك. فهي الأقوى من الاثنين، فهي هرقل حقيقي. ولا أعرف أي شخص ضبط نفسه مثلها لتحمل حياة لا تحبها».

وفي محاولة للمداعبة قال نيكسون ذات مرة لموظفات الجهاز الصحفي في البيت الأبيض، إن بات لو رافقته دائماً في رحلاته لكانت «وزناً زائداً» ليس إلاً. وكانت بعض الصحافيات يفكرن بالأمر على هذه الطريقة زمناً طويلاً تماماً. فقالت غلوريا شتاينيم، التي كانت تتابع حملة نيكسون سنة 1968: «لم يكن يبدو أن أيّاً منهما يتحدث إلى الآخر على الطائرة. ولا أعتقد أنهما جلسا معاً». وتستذكر كاندي ستراود: «لم يكن بينهما أبداً، أبداً، أبداً، أي شارة من العاطفة مهما كان نوعها». وكانت كاندي هذه تغطي تحركات بات لصحيفة **وومنز وير دايلي**، فقالت: «لقد ركبتُ الليموزين بصحبتهما معاً. وكانت تلك أول مرة أنفرد بهما سوية. فكان نيكسون هو المتكلم أبداً. أمّا هي فلم تقل شيئاً قطّ. بل كانت تجلس هناك. . . مثل أيّ موظف. . . طيلة الرحلة، فلم يُشِرْ إليها، ولم يظهر أي استجابة أو احترام لها. . .».

وقال مستشار البيت الأبيض جون دين: «إنك تحصل على شيء من الرؤية المعمقة عندما تشتغل ـ كما فعلتُ أنا ـ مع علية القوم في ما يتعلق بأملاكهم. فقد كان يستبعد بات عن معرفة ما هو عازم على عمله. ولم يكن يريد لها أن تشارك في تلك القرارات. وكنتُ أُؤمَرُ بأن لا أتحدث معها عنها على الإطلاق. فعندما كانت تستكمل الأوراق، كانت بات تستدعى إلى المكتب البيضاوي، وكأنها أحد المساعدين عملياً. ثم تؤمر بالتوقيع على السطر المنقط. . . وكان يبدو أنه لا يثق بها».

وقال وليام واطس، أحد مساعدي هنري كيسنجر: «كان فيه من البرود ما يجعل الأمر مضحكاً. فعندما كان شاه إيران في واشنطن، نظرت إلى نيكسون وهو يدور في الغرفة مصافحاً مجموعة من النساء. وكلما جاء إلى واحدة منهنّ كان يقول لها: (مرحباً، أنا ريتشارد نيكسون). وعندما وصل إلى واحدة أخرى سمعتُهُ يقول مرة أخرى (أنا ريتشارد نيكسون) ـ فكانت تلك زوجته التي لم تفعل سوى أن ردت: «نعم، يا عزيزي، أعرف، وأنا بات. . .».

أمّا هيو سايدي، الذي كانت مقالاته تبحث في شؤون الرئاسة في مجلة **تايم** على مدى أكثر من عشرين سنة، فقد توصل إلى استنتاج قاسٍ: «كانت تأتي لاحقة به، وكان يستعملها في حملاته، ولكن ما إن يصل إلى البيت الأبيض، حتى يكون ذلك هو نهاية كل شيء... فبين نيكسون وزوجته لا أعتقد أنه كان هناك نوع من الرباط الإنساني. كان لا بد من وجود شيء ما، ولكنني لا أفهمه».

كان بينهما عنصر مشترك واحد، ولو أنه سلبيّ. فقد كان نيكسون بالطبع يشكو من النخبة الشرقية الثرية. وكانت زوجته تشاطره ذلك الموقف. وقد كتبت إلى قريب لها عندما كانت تشتغل في مخزن تجاري في لوس آنجيلوس، وهي في الرابعة والعشرين «إن الطبقة المتمولة تأتي وتطلب منا أن نتسوّق لها... فهم يجلسون على الكراسي الوثيرة، بينما نقوم نحن بالتجوال في المخزن كي نلتقط لهم حاجاتهم... فأنزل ثيابي المخملية الجميلة حولي، وأبتسم ابتسامة عريضة للزبائن السمان الأغنياء، وأفٍ لهم! إنهم يشترون...».

وقالت غلوريا شتاينيم وهي تتأمل متفكرة في المقابلة، التي وجدت فيها شقوقاً في درع الفراشة الحديدية ـ وكان ذلك إنجازاً نادراً ـ: «كان ريتشارد وبات نيكسون مشدودين معاً كغريبين. كانا معاً في سخطهما على ذوي البريق الفاتن، الذين كانت حياتهم سهلة... ولم تَبُحْ بذلك إلاّ لي، فيما يشبه لائحةَ اتهامٍ طويلة، فقالت: (لم يكن لدي الوقت كي أحلم بأن أكون أي واحدة أخرى. كنت مضطرة إلى العمل، فلم أجلس مسترخية لأفكر في نفسي وفي ما أريد أن أفعل... فأنا لست مثلكم جميعاً... مثل كل أولئك الناس الذين كانت حياتهم ميسورة».

وتتابع شتاينيم: «واستطعت أن أرى أن بات كانت تفكر بي كعدوة مناوئة لها، كامرأة حياتها مليئة بالامتيازات. وحاولت أن أوضح لها أن الأمر لم يكن كذلك، فوالدي كان يعيش حياة غير آمنة، وبعد طلاق والديّ، عشت مع أمي

بجوار مصنع في بيت أدانته وزارة الصحة. . . ولكن بات نيكسون لم تكن ـ ببساطة ـ تريد أن تصغي إليّ».

وعندما تحدّثت بات مع شتاينيم عن زوجها، فإنها لم تكتفِ بترديد السفاسف المعتادة عن الحملة، بل إن شتاينيم تستذكر: «لقد شعرتُ بوضوح تام أنها لا **تحترمه** كثيراً. . .».

وكان لمعايشة بات لآلامها فترة طويلة، وهي تخفي مشاعرها، أثر ثقيل الوطأة عليها. وكان روبرت بيربوينت، مراسل شبكة كولومبيا الإذاعية في البيت الأبيض طيلة عهود ستة رؤساء، يعرفها منذ أن كانت في ويتيير، عندما كانت مدرّسة في الثانوية وهو طالب. فقد كانت آنئذٍ مفعمة بالحيوية، ومتحمسة، بل وجذابة جنسياً. وعندما التقى بها بعد ما لا يزيد عن عقد من السنين، في إحدى رحلات نيكسون كنائب للرئيس، أصيب بصدمة، وقال: «لم أكد أصدق أنها هي المرأة نفسها. وقد صُدِمْتُ على الفور بتوترها، وعصبيتها، ومظهرها المتراجع. . . فقد بدت نائية بشكل كليّ».

وبعد ذلك ببضع سنين قابلها مراسل بريطاني في مسكن السفير الأمريكي بلندن: «إن السيدة بات نيكسون، وجهاً لوجه، تشبه دميةً جمهورية كالدمية التي تدعى «كوبيليا». فهي تثرثر، وتجيب عن الأسئلة، وتبتسم وتبتسم، كل ذلك في وقفة مخيفة كوقفة الدمية. فلديها من الفهم أقل ممّا ينبغي. ومن شأنها أن تبتسم ـ كالدمية ـ بينما يكون العالم آخذاً في التحطم. ولا يوحي بوجود إنسانة داخل تلك البذلة السوداء وقطع اللؤلؤ، سوى عينيها السوداوين المليئتين بالتوتر. . . فلو كانت لها شعرة رمادية، أو مسحة من الخوف، أو لو أنها قلبت كوب شاي ذهبياً على السجادة الفارسية، لكان بوسع المرء أن يحبّها.

وكانت بات نيكسون تزعم أنها لا تتعاطى السجاير ولا الكحول. والواقع أنها ظلت تدخن طيلة حياتها البالغة، وقدر لها أن تموت بسرطان الرئة. وعندما صار زوجها رئيساً كانت تدخن بلا انقطاع، بمجرد ابتعادها عن أنظار الناس.

وقال القبطان الرئيسي رالف آلبرتازي: «كانت تدخن بلا انقطاع على متن الطائرة الرئاسية ـ السلاح الجوي رقم واحد ـ وكان ذلك واحداً من الأسرار الصغيرة التي تتقاسمها مع طاقم الملاحين. وكان المضيفون بعد رحلة جوية أحياناً يعدون أعقاب سجائرها. . .».

وكانت الخمر موضوعاً حساساً كذلك. وقالت هيلين توماس، المراسلة القديمة في البيت الأبيض: «رأيت ذات مرة صينية من كؤوس الشري [خمر إسبانية الأصل خفيفة لفتح الشهية] تدور بين الحاضرين، وقد مدت يدها لتتناول كأساً، فرأت مراسلة صحفية تنظر إليها، فسحبت يدها». وحسب رواية شرطي سري سابق أفصح عن رأيه جهاراً سنة 1993، فإن «بات نيكسون كانت لديها مشكلة. . . وأعتقد أنها كانت في وقت ما مدمنة على الخمر. فكانت مضطرة إلى استشارة طبيب، وتم ترتيب ذلك عن طريق أصدقائها. . . وكان ذلك أثناء فترة الرئاسة الثانية»[1].

وفي وقت متأخر من فترة الرئاسة الثانية، حسب رواية الصحافيَّيْن العاملَيْن في **الواشنطن بوست**، بوب وود وورد وكارل برينشتاين، كانت بات «انعزالية أكثر فأكثر، وتعاقر الخمر بشكل ثقيل». وتحدثا عن عثور الموظفين عليها في مطبخ البيت الأبيض في أمسية مبكرة، تحاول عبثاً إخفاء دورق من شراب البوربون بالمكعبات الثلجية. وقد سارعت ابنتها جولي، ومساعدون سابقون إلى إنكار هذه القصة.

أمّا نيكسون، فإن الزواج لم يحل مشكلته مع الجنس الآخر. وقال آليكساندر هيغ، آخر رئيس لأركان البيت الأبيض عند نيكسون: «عندما كنت أشتغل عنده، كان ما يزال خجولاً وخائفاً من النساء، فلم يكن يقبل بالجلوس

---

(1) يفضل موظفو الشرطة السرية في العادة أن يظلوا مجهولين. والمؤلف يقبل بصحة هذه المقابلة التي أجراها رونالد كيسلر، المؤلف الخبير ومراسل صحيفة **الواشنطن بوست** (مقابلة رونالد كيسلر).

وحده في غرفة مع إيميلدا ماركوس، أو مع إنديرا غاندي ـ أو حتى مع غولدا مائير!».

وبعد سنتين أمر نيكسون، وهو رئيس، بأن تُبْعَدَ من مكتبة البيت الأبيض قصة الكاتب الشهير فيليب روث، المعنونة **شكوى بورتنوي**، بموضوعها عن الاستمناء. أمّا فهم المراسلين لطبيعة نيكسون الجنسية، فقد تم تلخيصه في سؤال تهكمي ساخر وجهه كارل فليمنغ، مجلة **نيوزويك** إلى السكرتير الصحفي للبيت الأبيض: «ما الذي يفعله الرئيس عندما يحدث له انتصاب مرة كل نصف سنة؟ إن الآراء متوافقة على أنه يهرّبه إلى تيخوانا. . .» فلم يبتسم السكرتير الصحفي.

وقد لاحظ دان راذر، مراسل شبكة كولومبيا الإذاعية، أن نيكسون كان معرضاً للتفوه بعبارات بذيئة في غرف الأدراج المقفلة، وفي لحظات غير مناسبة في العادة، وكأنه كان بذلك يعوض عن بروده الجنسي. ففي الخمسينيات، طُلِبَ منه أن يلتقي بالمضيفات الجويات على طائرة الحملة الانتخابية ليشكرهن، فقال له الكاتب الصحفي آرث بوخوالد: «أيها السيد نائب الرئيس، هؤلاء مضيفاتنا، وقد كنّ لطيفات معنا، وأحب أن أقدمهن لك»، فردّ نيكسون: «مضيفات؟ كنت أظن أنهن فتيات المقصف»، ثم ابتعد، متناسياً أن النساء كن مرتبكات (كان تعبير «فتيات المقصف» في تلك الأيام، اصطلاحاً يستخدم لوصف مضيفات الحانات، ذوات الملابس الخفيفة، اللواتي كان معظمهن، حسب العرف الشائع بين الناس، عاهرات).

ويستذكر مساعد الحملات الانتخابية جون سيرز، واقعةً ليليّةً قبل انتخابات سنة 1968، فيها ومضة مستحبة من الدعابة الخفية: «كان كثيراً ما يأرق فلا ينام جيداً، فيخرج إلى ردهة البهو بثوب حمامه الأزرق ليخطو جيئة وذهاباً. وكان أن صادف في الهزيع الأخير من الليل أحد موظفيه عائداً إلى غرفته مع سيدة شابة، فقال له دون أن يغيّر في إيقاع خطواته، «يا مايك، نحن لسنا

مضطرين لكسب تلك الأصوات بشكل فردي واحداً واحداً في كل مرة، كما تعلم».

وأثناء رئاسته، أخبر تجمعاً من موظفيه الذكور، أنه سوف يساعدهم لإخفاء غرامياتهم خارج نطاق حياتهم الزوجية: «إذ اضطررتم للقول بأنكم تشتغلون حتى ساعة متأخرة من الليل، فسوف أقوم بتغطية غيابكم بتصديق ما تقولونه».

وفي سنة 1972، أثناء جلسة عمل على متن طائرة السلاح الجوي رقم واحد، أعطى نيكسونُ هالدمانَ تعليمات غريبة، فقال له إن هنري كيسنجر يعمل بمشقة أكثر مما ينبغي. ولذا فالمطلوب من هالدمان أن يتصل بصديق و«يجعله يعطي هنري أرقام هواتف كل الفتيات، اللواتي لم يتجاوزن الثلاثين من العمر». وفي السنة التالية، عندما بدأ كيسنجر يقدم تقريراً ملخصاً لزعماء الكونغرس، عن حرب يوم الغفران (حرب رمضان التحريرية)، قاطعه نيكسون: «آه. . . لقد وجدنا صعوبة متعبة في العثور على هنري. فقد كان في الفراش مع امرأة». وعندما حاول وزير الخارجية أن يتابع، قهقه نيكسون وأخذ يدير رأسه وقال مصرّاً على مقاطعته: «مَنْ هي الفتاة التي كنتَ معها يا هنري؟ إنه لأمر رهيب أن تكون معك فتاة، ويضطر رجال الشرطة السرية إلى اقتحام البيت عليك».

وبينما كان نيكسون خارجاً مع كيسنجر من مطعم في ميامي ذات ليلة، وكان نيكسون ثملاً من شرب المارتيني، تحرش بامرأة جذابة كانت غريبة تماماً، فقال وفي عينيه نظرة خبيثة: «يبدو أنها مفصلة على قدرك يا هنري»، ثم أخبر المرأة أن باستطاعتها الحصول على وظيفة في البيت الأبيض.

ولقد أبدى كيسنجر، الذي وجد الكثير مما يثير الإعجاب في شخصية نيكسون، ملاحظةً حزينةً بعد سنوات طويلة، فقال: «أتستطيع أن تتصور ماذا كان هذا الرجل سيصير لو أحبه شخصٌ ما، لو اهتم بأمره في حياته شخصٌ ما؟

لا أعتقد أن أيّ أحد قد أحبه أو اهتم به على الإطلاق، لا والداه ولا أقرانه. لقد كان من الممكن أن يصبح رجلاً عظيماً، لو أحبه أحد». ولم يذكر كيسنجر بات نيكسون في سياق هذه الملاحظة. ولكن المغزى فيها يبدو واضحاً.

وقد ناقش نيكسون بالفعل علاقاته مع بات ومع النساء عموماً، مع آرنولد هتشنيكر، الطبيب النفسي النيويوركي الذي استشاره لأول مرة بعد زواجه بعشر سنوات. وكانت المحادثات صعبة، كما أخبر هتشنيكر مؤلف هذا الكتاب، لأن نيكسون كان «يعاني من إحباط نفسي شديد». واستنتج هتشنيكر أنه «لم تكن هناك امرأة أعطت ريتشارد نيكسون، الدعم الذي كان بحاجة إليه فعلاً. وإنني لأحجم عن الحديث عن زواجه. ولكن دعني أضع الأمر على هذه الشاكلة. إن ما يطلبه الأمريكي العادي [في زوجته] هو أن تكون له الأمّ. وهم غالباً ما ينادونها بلقب ماما. فمعظمهم يحولون أمهاتهم إلى أصنام معبودة، ولكنهم في آخر الأمر يحررون أنفسهم من تلك العبودية. ولم يستطع نيكسون أن يتحرر، هذه هي القضية باختصار شديد. لقد كان متفانياً في حب أمه بصورة كلية. وتستطيع أن تصفه إن شئت، بأنه كان مغسول الدماغ. . .» ومما له مغزىً في هذا الصدد، أنه عندما تشاجر مع بات ذات مرة قبل أيام رئاسته، استدعى ـ وهو الرجل الناضج ـ أمه لمساعدته، فقال لها إن زوجته لم تكن تكلمه. وهكذا طارت هنّا إلى واشنطن كوسيطة سلام.

وقال الدكتور هتشنيكر: «كان نيكسون يعتمد على بات لأنه يثق بها، وقد بقيت معه. ولكن ذلك كان من أجل السياسة. فقد كانت السياسة هي حبه العاطفي العنيف الوحيد».

5

الماكيافيلية: (اسم): نظرية ماكيافيللي السياسية،
وبخاصة: الرأي القائل بأن السياسة لا علاقة لها بالأخلاق،
وأن أية وسيلة، مهما كانت مجردة من المبادئ
الخُلقية، يمكن تبرير استخدامها لتحقيق السلطة السياسية.
قاموس وبستر الجامعي الجديد

«كنتُ على ارتفاع يقرب من ثلاثين طابقاً. . . وجاء هناك، وذراعاه ممدودتان ووجهه مرفوع إلى السماء. وحتى من المكان الذي كنت فيه استطعت أن أشعر بتأثير شخصيته. . .» كان ذلك في حزيران / يونيو سنة 1945، وكان ريتشارد نيكسون واقفاً يطل من شباك بناية مكتب مرتفع فوق مانهاتن يمزق ورقاً إلى قطع صغيرة، راح يمطر بها البطلَ العائد أثناء مروره من الأسفل. كان نيكسون واحداً من الألوف الذين يرحبون بالجنرال دوايت ديفيد آيزنهاور، القائد الأعلى المنتصر لقوات الحلفاء في أوروبا، والرجل الذي كان نيكسون سيخدمه كنائب للرئيس بعد ذلك بسبع سنوات.

وحتى عندما كانت الهتافات ترنّ والقوات تعود من الحرب، دخلت أمريكا مرحلة من الخوف والشك وانعدام اليقين: الخوف من الحرب النوويَّة، والشك في الاتحاد السوفييتي، والحشود المفترضة من الشيوعيين. في داخل الولايات المتحدة، وانعدام اليقين الاقتصادي المتغلغل. وعاد إلى الوطن ريتشارد نيكسون، البالغ من العمر اثنتين وثلاثين سنة وهو برتبة رائد بحري، ومعه أرباحه من البوكر، وزوجته في بواكير حملها، بينما هو يمضي أشهره

الأخيرة بالخدمة في الأسطول، ينتقل كالملوك ما بين واشنطن، وفيلادلفيا، ونيويورك، وميدل ريفر، وميريلاند (قرب بالتيمور)، يضع اللمسات الأخيرة لتصفية العقود مع الشركات المدنيّة، وفي ميدل ريفر، في شهر أيلول / سبتمبر، تلقى رسالة من كاليفورنيا تسأله، إن كان يرغب في ترشيح نفسه عن الحزب الجمهوري في انتخابات الكونغرس لسنة 1946.

وقيض لنيكسون أن يلحّ بعد ذلك: «لم تكن فكرة تأدية دور في السياسة العملية، حتى ولو كان ثانوياً، قد خطرت ببالي من قبل على الإطلاق». ولم يكن هذا التأكيد صحيحاً، شأنه شأن كثير مما زُعِمَ عن بداية نيكسون في ميدان السياسة. بل كانت السياسة هي ما رسّخ في ذهنه بالطبع منذ طفولته؛ وهي ما كان يتلهف عليه منذ أن غادر كلية الحقوق. والحقيقة أنه بدأ يجري في هذا الميدان منذ سنة 1940، بينما كان يتزلف إلى بات، عندما ألقى سلسلة من الخطابات، كحركة نحو الفوز بمقعد في برلمان الولاية. غير أن الفرصة لم تتحقّق. ولكنه وضع نفسه أمام الجمهور في وقت لاحق من ذلك العام، بخطابات تدعم المرشح الجمهوري للرئاسة.

أمّا بات فهي ستصرّ من جهتها بعد سنوات، أنها وزوجها لم يناقشا إمكانية احترافه السياسة كمهنة. غير أنه كان قد كتب لها قبل زفافهما: «. . . سنحقّق أحلامنا. . . إن مهمتنا هي أن ننطلق معاً، ونحقّق أهدافاً عظيمة. وسنفعل حقاً. . .» وحتى قبل ذلك، وفي غضون أسابيع من لقاء نيكسون، كانت بات قد قالت لأصدقائها أنه سيكون رئيساً ذات يوم. وليس من المحتمل أن تكون قد قالت مثل هذا الشيء، لو لم يكن نيكسون قد أخبرها أن ذلك هو طموحه النهائي. وكان قد أشرك أصدقاءه الذكور في ذلك التطلع نفسه.

وكان النداء إلى ميدان السياسة من كاليفورنيا، قد جاء في سنة 1945 من هيرمان بيري، وهو صديق للعائلة، ومدير فرع ويتيير من بنك أمريكا. وقد انتُدِبَ ليجس نبض نيكسون، إن كان مهتماً بترشيح نفسه للكونغرس ضد جيري

فورهيس، الديمقراطي الثريّ الدارس في جامعة ييل، الذي ظل محتفظاً بمقعده على مدى خمسة انتخابات. وكان أقران فورهيس في واشنطن قد صوتوا له لأنه أكثر رجال مجلس النواب عملاً بجهد شاق، وثاني أكثر النواب اجتهاداً ومثابرة، على وضع المصلحة الوطنية فوق الكسب السياسي. كما أن الصحافة بدورها قد أسمته أكثر النواب استقامة. ولخيبة أمل الجمهوريين، كان فورهيس يبدو غير قابل للهزيمة تقريباً، حتى طلبوا من نيكسون أن يتحداه.

وقُيِّضَ للصراع اللاحق بين الرجلين أن يتحول إلى أسطورة سياسية. فطار نيكسون إلى لوس آنجيلوس، وألقى خطاباً في مجلس الانتقاء، وهو في زيّه كضابط، وأقنعهم ـ إن كان الأعضاء بحاجة إلى إقناع ـ بأنه هو رجلهم حقاً. فتلقى تسريحه من الأسطول، وعاد إلى بلده في وِيتْيِيرْ، وبدأ يكرس كل دقيقة من دقائق يقظته للصراع. فبحث في سجل خصمه بتفصيل دقيق، وذهب متنكراً للتفرج عليه وهو يخطب. وملأ إضمامة من ورق المحامين الأصفر بملاحظات مستفيضة، وقيض لتلك الممارسة أن تصبح معروفة لزملائه طيلة حياته الباقية.

وراح نيكسون يلقي خطباً منمقة عندما بدأ بشن حملته. ولكن جهوده بدت لفترةٍ غيرَ مؤديةٍ إلى نتيجة. ثم جاء مؤيدو نيكسون إلى الحملة بمحامٍ ومستشار علاقات عامة قاسٍ شكسٍ، يدعى موراي شوتيز ليتولى الدعاية. وكانَ شوتيز هذا مشهوراً ومرهوباً، يخشاه حتى الذين يعملون إلى جانبه، بسبب أساليبه التي لا ترحم. وقد لخّص أحد عارفيه فلسفة حملته بأنها: «فلنضربهم، ولنضربهم، ولنضربهم كرة أخرى». فشرع نيكسون يضرب فورهيس مراراً وتكراراً حتى جعله كسيحاً بصورة قاتلة. فبدعم وابل من الإعلانات الجارحة، وتغطية صحفية يديرها ويشرف عليها شوتيز، نجح نيكسون في خلق انطباع، بأن خصمه أداة للشيوعيين. واستفاد في هذا الاتهام من وجود حالة نفسية من الهياج الهستيري، مع تحذير صادر عن جون إدغار هوفر، مدير مكتب التحقيقات الاتحادي في إحدى خطبه بكاليفورنيا، من وجود عشرات الألوف

من الشيوعيين «المنفلتين من عقالهم في البلد»، وصدور تقرير من غرفة تجارة الولايات المتحدة عن «تغلغل» الشيوعيين في صفوف الأمة، بينما قامت النساء الجمهوريات في كاليفورنيا الجنوبية، بتصوير الانتخابات على أنها خيار بين بديلين «أمريكي وشيوعي».

ولقد كان فورهيس نفسه معارضاً فعالاً للشيوعية، ولكنه كان ديمقراطياً من مؤيدي البرنامج الجذيد، [برنامج تشريعي وإداري وضعه الرئيس الأمريكي فرانكلين ديلانو روزفلت، لإحداث إنعاش اقتصادي، وإصلاح اجتماعي في ثلاثينيات القرن العشرين]، وسجل نفسه ذات مرة كاشتراكي: أمّا في يدي نيكسون فقد كانت وصمة الشيوعية التي ألصقها به سبّب هلاكه. فقد خرج فورهيس وهو يبدو منهكاً ومدحوراً بعد سلسلة من المحاورات، وسقط في هزيمة مُذِلَّة يوم الانتخابات. فتخلى عن العمل في السياسة إلى الأبد، وتوجه نيكسون إلى واشنطن وحياة عملية مليئة بالشهرة.

وكانت بات إلى جانبه طيلة ذلك الجهد الانتخابي. وقد ولدت طفلتهما الأولى، التي أسمياها تريسيا، في بداية الحملة، وحسب رواية الحكايات النيكسونية التقليدية، فإنها في غضون ساعات من ولادتها، كانت بات منهمكة في تصنيف الأوراق السياسية. وخلال بضعة أسابيع، كانت تعمل مع زوجها، فتدون الملاحظات أثناء إلقاء الخطب، وتصافح الناس، وتطبع الرسائل في المكتب. وتوقفت عن التدخين في الأماكن العامة، لأن ذلك لم يكن مقبولاً من النساء في ويتيير آنذاك. وتقبلت بصبرٍ الانتقادات الموجهة إليها من العجائز الجمهوريات، اللواتي كنّ يجدن العيوب في كل شيء، من خجلها إلى لون طلاء أظافرها.

وفي الوقت نفسه، كان على بات أن تتعامل مع قسوة قلب زوجها، وكان المذيع توم ديكسون وزوجته جورجيا آنذاك يرافقان نيكسون على طريق حملته، فلاحظا أول الإشارات المبكرة الدالة على متاعب في الزواج النيكسوني. فقالت

جورجيا: «كان نيكسون يمسك لي الباب مفتوحاً على الدوام، ولكنه كان يسير أمام بات وكأنها غير موجودة». واستذكر توم ديكسون سلوك نيكسون عند دخول زوجته الغرفة، أثناء استعداده لتوجيه رسالة إذاعية. «كان ينفجر في وجهها وكأنه المغنية الأولى في الأوبرا، صارخاً: (ألم أقل لك ألاّ تزعجيني أثناء العمل؟ . . . هيا انصرفي الآن)».

وقال ديكسون إن نيكسون كان يطرد زوجته «بدون احترام وكأنه يطرد كلباً. ولو أنه كان منهمكاً في تأليف خطاب جديد تماماً، لتفهمت ذلك. ولكنه كان يحفظ ذلك الخطاب عن ظهر قلب. . . ولم أسمع في حياتي بزوجة يطردها زوجها على مرأى من عامة الناس، دون أن ترد على ذلك بكلمة، أو حتى بنظرة كريهة. . . ولكنها كانت تتراجع بصمت. كانت قدّيسة من نوع ما».

وقال نيكسون في ليلة فوزه بعضوية الكونغرس، إن الجزء الأعظم من رضاه وسروره كان من أجل زوجته ووالديه. وقد أخذهم معه في تلك الأمسية لتلقي التهاني من نورمان تشاندلر، ناشر صحيفة **لوس آنجيلوس تايمز**. وعندما قدم لهم الشراب، طلبوا كؤوساً من الحليب، ففعل نيكسون مثلهم. غير أنه تسلل خارجاً إلى القاعة مع زوجة تشاندلر، حيث طلب منها عضو الكونغرس الجديد ذو الأعوام الأربعة والثلاثين، «كأساً مزدوجاً من شراب البوربون؛ لا أريد أمي وأبي أن يرياني أشرب» وبعد أربعة عشر سنة، عندما كان عمر نيكسون يناهز الخمسين، لم تكن هنّا قد شاهدت ابنها يتعاطى شراباً كحولياً قطّ. بل لعله أخفى عنها هذا التعاطي حتى ماتت.

كانت حملة سنة 1946، أول لمحة عن الأسلوب السياسي لنيكسون، وفهمه للنزعة النفعية الهادفة إلى جني المغانم دون أي اعتبار للأخلاق، وموقفه من خصومه السياسيين. وبعد ذلك بنحو ثلاثين سنة، أثناء الضجة التي أثارتها فضيحة الاقتحام في ووترغيت، قيض لبات نيكسون أن تقول إنه خلال حملة نيكسون ـ فورهيس اقتحم أحدهم مكتب زوجها ليسرق ـ وربما ليدمّر ـ رزمة

كبيرة من الكراريس، وتذمرت: «لم يهتم بالأمر أحد عندما حدث ذلك لنا في سنة 1946!».

كانت تلك واحدة من قصص نيكسون، التي تغيرت تفاصيلها حسب الظروف. فكانت رواية بات الأولى، التي سُرِدَت بُعَيْدَ حملة فورهيس، تصفها على أنها خدعة قذرة صغيرة وثانوية. ثم اقتصرت على القول بأن خصومهم الديمقراطيين، انتحلوا صفة مؤيدين جاؤوا لأخذ رزم كبيرة من الكراسات لا لشيء إلاً ليدمّروها. ولم يرد في الرواية الأولى أي ذكر للاقتحام بالكسر والخلع.

وفي سنة 1946 لم يكن أحد ليهتم بكوارث نيكسون، ربما بسبب الشراسة والسخرية القاسية في الهجوم الذي شنّه على الديمقراطيين. وقد تراوحت أساليب الجمهوريين من السفاسف التافهة إلى الغدر الخسيس. فكلما رنّت هواتف المواطنين المحليين كانوا يسمعون على الجهة الأخرى من يحثهم على القول: «نيكسون إلى الكونغرس» طيلة فترة الحملة الانتخابية. فإذا كانت المكالمة من مقرّ رئاسة الحزب الجمهوري، فإن المستمعين إليها كان يحقّ لهم الشراء من تشكيلة واسعة منتقاة من الأدوات الكهربائية، كآلات الكيّ والشوّايات، وكانت قليلة في فترة ما بعد الحرب. فكان الذين يفعلون ذلك يخرجون وفي أيديهم منشورات تعدهم، بتوفير الإمدادات بكثرة في حالة فوز الجمهوريين.

وانتشرت قصص زائفة عن المرشحين كليهما: فقيل إن فورهيس قد صوت في مجلس النواب، لزيادة السعر الأعلى لبرتقال فلوريدا ولكن ليس لبرتقال كاليفورنيا، (ولم يكن هناك مثل هذا التصويت)؛ وبأنه كان يرعى لائحة لوقف إنتاج البيرة والمشروبات الكحولية؛ وكان ذلك تشويهاً غريباً للحقائق؛ وإن سجل عمل نيكسون كان يحتوي على «الفلاحة» و«تصنيف الفواكه»، في

إشارات إلى كدحه اليومي في أشغال بغيضة منذ أن كان عمره أقل من عشر سنوات.

وفي إحدى المناظرات مع نيكسون، أدرك فورهيس أن الجمهوريين كانوا قد زرعوا بين المستمعين، أناساً سلّحوهم بأسئلة محددة. وفي اجتماع آخر تعرّف على مؤيدي نيكسون الذين كانوا قد هتفوا ضده، وضايقوه في لقاء سابق على بعد أميال.

وقدمت المصارف إنذارات إلى رجال الأعمال، بأنهم إذا وضعوا أسماءهم على إعلانات صحفية مؤيدة لفورهيس، فسوف يتم قطع الاعتمادات المفتوحة لهم. بل أوعز أحد المصارف إلى موظفيه بعدم التصويت للمرشح الديمقراطي. وقبيل الانتخابات ظهر منشور يزعم أن فورهيس، هو الناطق باسم «المخربين اليهود والشيوعيين»، الذين يهدفون إلى «تدمير أمريكا المسيحية ونظامنا الحكومي». وربما لم تكن جماعة المؤيدين لنيكسون مسؤولة عن ذلك المنشور. ولكنهم لم يتنصلوا منه ولم يستنكروه.

ولقد كانت وصمة الشيوعية هي الأداة الفظّة الخشنة ذات الفعالية الأكبر في إسقاط فورهيس. فقد بدأ الهجوم عليه قبل أربعة أشهر من الانتخابات، عندما زعم نيكسون علناً أن فورهيس تدعمه «لجنة العمل السياسي». وقد ظل مؤيدو نيكسون طيلة أشهر يروجون الفكرة الزاعمة بأن فورهيس، هو أداة لجنة العمل السياسي التابعة لمؤتمر المنظمات الصناعية، الذي وإن لم تكن قاعدته شيوعية، كان يضم في صفوفه عدداً من الشيوعيين وزملائهم، وكان ذلك مما لا يمكن إنكاره.

غير أن التهمة ـ ببساطة ـ لم تكن صحيحة. بل على العكس، فإن اليسار كان بالضبط قد منع لجنة العمل السياسي من دعم فورهيس، الذي ارتبط اسمه بقانون معادٍ للشيوعية في سنة 1940، والذي كان عضواً في لجنة الأنشطة المناهضة لأمريكا التابعة لمجلس النواب الأمريكي. غير أنه كانت هناك

مجموعة أخرى تدعى لجنة المواطنين القومية للعمل السياسي، وهي منظمة غير عمالية تغلب عليها الشخصيات الأدبية، والجامعية، والمسرحية، ورجال الدين، والساسة ورجال القضاء وكانت عضويتها تضم شيوعيين بالفعل. وبدون علم فورهيس، كانت لجنة من هذه المنظمة الأخيرة قد أوصت بتأييده، رغم أن تلك التوصية لم يتم اعتمادها قطّ.

ولما علم نيكسون بهذه الحركة، اكتشف أنها قد دُوِّنَتْ على الورق كنشرة داخلية للمنظمة المذكورة. فانتظر فرصته للانقضاض. وفي إحدى المناظرات الهامة، أخرج من جيبه نسخة من النشرة نفسها وأخذ يلوح بها في الهواء بطريقة غريبة مخيفة، كأنها تستبق طريقة جو مكارثي في التلويح بورقة كان يفترض أنها توضح، أن وزارة الخارجية الأمريكية كان فيها 205 شيوعيين ـ ثم دفع نيكسون النشرة إلى يد خصمه المذهول. ولم تكن تلك النشرة تثبت شيئاً على الإطلاق، ولكن فورهيس، الذي أُخِذَ على حين غرّة راح يتخبط وهو يحاول الرد بطريقة غير فعالة. وسرعان ما راحت إعلانات نيكسون تصرخ: **الحقيقة تتكشف للعيان. فورهيس يعترف بدعم لجنة العمل السياسي له**. ولم يكن فورهيس قد اعترف بشيء من هذا القبيل؛ غير أن الحقيقة عندئذٍ كانت قد طمست طمساً. فلم يُشْفَ الديمقراطي من هذه الضربة ولم تقم له قائمة بعدها قطّ.

وفي الأيام الأخيرة التي سبقت الانتخاب، جاءت أرخص واحدة من الحيل كلها: سيلٌ من المكالمات الهاتفية المجهولة إلى الناخبين المحتملين، يطرح فيها المتحدث الغامض في الهاتف سؤالاً: «هل تعلم أن جيري فورهيس شيوعي؟» وفيما بعد نفى نيكسون ومؤيدوه أن تكون مثل تلك المكالمات قد حدثت أو أُذِنَ بها. ومع ذلك يبدو أنها قد حدثت، حسب شهادة مصدر من الناس الذين استؤجروا خصيصاً للقيام بها، والذين كانوا يشتغلون من تجمع لآلات الهاتف في مقر قيادة نيكسون في الحمراء[1].

(1) حسب رواية زيتا رملي، الموظفة عند فورهيس في الحمراء، فإنها قد دبّرت لقريبة لها أن تتقدم =

وقد اعترف نيكسون فيما بعد في مجلس سرّيّ خاص: «كنت أعرف بالطبع أن جيري فورهيس لم يكن شيوعياً. . . وأعتقد أنه لا يوجد أي رجل يملك مثالياتٍ أعلى من جيري فورهيس، ولا دوافع أفضل. . . ولكن. . . كان عليَّ أن أفوز. وهذا ما لا تفهمونه. إن الشيء المهم هو الفوز».

إن مفتاح فهم كيفية اقتحام نيكسون للميدان السياسي، وبقائه فيه، هو تحديد قاعدة قوته. فبعد الانتخابات رسم آل نيكسون صورة عائلية بسيطة للحملة التي تم خوضها، باستعدادات غير كافية. «لقد اعتمدنا على مدخراتنا»، قالت بات: «فاستأجرنا مكتباً صغيراً في واحدة من أقدم البنايات في ويتيير. وجاءت والدة دِكْ بأريكة جلدية قديمة. . . وعثرنا على طاولة مكتب بالية، وأعارنا صديق آلة كاتبة، وجاء آخر بسجادة رقيقة لتغطية الأرض».

وكتب نيكسون في مذكراته أنه وزوجته موّلا الحملة في مراحلها الأولى، وزعمت بات أنهما في مرحلةٍ ما كانا «مفلسين إلى درجة أنني بكيت، لأنه لم يكن لدينا في إحدى اللحظات الحرجة نقود لشراء طوابع. . .».

غير أن قصة المصاعب هذه، أقل قابلية للتصديق نسبياً إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هناك تقريراً، بأن مؤسسة نيكسون القانونية القديمة، قد أوجدت له مركزاً يعطيه راتباً طيلة فترة الحملة.

ويبدو أن نيكسون قد نسي حكاية فقره أيام الحملة، إذْ أنه قد استذكر فيما

= بطلب لعمل مدفوع الأجر في مكتب نيكسون المحلي، كخدعة لتمكينها من معرفة نوايا الجمهوريين. وقالت إن تلك القريبة عادت بتقرير فحواه أن لديهم «غرفة عمليات [غير مشروعة] كاملة ترنّ فيها أجراس الهاتف طيلة الوقت». وأنهم قد أمروها أن تدير أرقاماً وتسأل أي شخص يجيب إن كان يعرف أن فورهيس شيوعي. وقد زعم إيروين غيلمان، المدافع عن نيكسون وأستاذ التاريخ في جامعة تشابمان في أورانج بولاية كاليفورنيا، أن مثل هذه الروايات «قصص خيالية» لا يعتمد عليها. (رملي: بولوك، مصدر سبق ذكره، ص 276؛ وكذلك «قصص خيالية»، غيلمان، مصدر سبق ذكره، ص 84 ـ وما يليها).

بعد، أنه قد وصل إلى واشنطن كعضو في مجلس النواب الأمريكي، ومدخراته من أيام الحرب سليمة لم تُمَسّ. وحتى لو اضطر إلى مد يده إليها للصرف منها على حملته، فما كانت لتؤرقه أية هموم جدّيّة حول استقراره المالي في المستقبل. فقد كان إيرل آدامز، أحد مؤيديه الهامين في لوس آنجيلوس، قد وعده بوظيفة في مؤسسته القانونية ذات النفوذ، إذا فشل في الفوز في الانتخابات.

وفي الحسابات الرسمية للمرحلة قبل التمهيدية في انتخابات سنة 1946، أبلغ نيكسون أنه لم يصرف من حرّ ماله سوى 555 دولاراً. وقد جاءه مبلغ 11000 دولار على الأقل، وأكثر من ذلك، من مصادر خارجية. وكانت النفقات الإجمالية على الحملة كلها، كما أُبْلغت رسمياً فيما بعد قد وصلت - كما هو مفترض - إلى 17774 دولاراً، بالمقارنة مع 1928 دولاراً أنفقها فورهيس. وبعد ذلك بسنوات، اعترف مؤيدو نيكسون بأنهم قد أنفقوا في الواقع مبلغاً تراوح بين 24000 و32000 دولار. وحتى هذه الأرقام منخفضة إلى حد يجعلها غير محتملة. فقد ذكر مؤيد واحد تمت مقابلته من أجل هذا الكتاب، أنه قد أسهم وحده بعشرة آلاف دولار[2].

من مَوَّلَ نيكسون؟ حسب قوله، كان مؤيدوه «ممثلين نموذجيّين للطبقة الوسطى في كاليفورنيا الجنوبية: بائع سيارات، ومدير مصرف، ومروّج مطبوعات، وتاجر أثاث»، وأصرّ على أنه «لم تكن وراءه مصالح خاصة». وكان فورهيس يعتقد عكس ذلك. فقد زعم أنه قبل الانتخابات بسنة سافر إلى كاليفورنيا، «ممثل غير مسمّىً لأحد البيوتات المالية الكبيرة في نيويورك»، لإجراء محادثات مع «عدد من ذوي النفوذ». وقد حثّ ذلك المبعوث الناس

(2) في سنة 1996، قبل أن يتوفى آرنهولت شميدت، الصيرفي ورجل الأعمال في سان دييغو، وكان قد عرف نيكسون منذ طفولته وظل يدعمه حتى وقت متأخر من سنة 1972، أخبر المؤلف أنه قد تبرع بعشرة آلاف دولار لحملة نيكسون الأولى.

الذين اتصل بهم على الاهتمام، بإسقاط عضو الكونغرس فورهيس، لأنه «واحد من أخطر الرجال في واشنطن».

لماذا؟ حسب رواية فورهيس، لأنه كان يعمل «ضدّ الاحتكار ولإجراء تغييرات في النظام النقدي»، وقد «دافع عن شراء نظام الاحتياطي الاتحادي»، كما أصرّ ميرتون ويري، أحد زملاء نيكسون المعاصرين له في الكلية. «وهكذا قرر أصحاب المصارف التخلص منه».

وقد خلق فورهيس لنفسه أعداء في صفوف كبار التجار، ورجال الأعمال بمثل هذا الكلام. وفوق ذلك، فإنه كان قد قام قبل ذلك بثلاث سنوات، بفضح صفقة مشبوهة أعطت شركة ستاندارد أويل حقوقاً حصرية للحفر ـ وأرباحاً ضخمة ـ في حقل نفط من ممتلكات الحكومة الاتحادية في كاليفورنيا. واستمر في إثارة سخط الصناعة النفطية بشأن عدد من القضايا الهامة، وشركات التأمين الكبرى بمعارضة استثنائها من القوانين المضادة للاتحادات الاحتكارية (التروستات)، وشركات المشروبات الكحولية باقتراحه، تحويل الحبوب من إنتاج الكحول إلى إغاثة مناطق المجاعة في زمن الحرب.

ولكن، هل كان مثل هؤلاء الأعداء الشَّبحيين مسؤولين عن التآمر لإزاحة فورهيس، كما كان يعتقد؟ ذلك ممكن جداً. والحقيقة أن الذي طرح اسم نيكسون لأول مرة، لم يكن هيرمان بيري مدير المصرف في ويتيير ـ كما هو مفترض بصورة عامة ـ بل هو شخص آخر في الأخوّة الجمهورية المحلية، حسب رواية موراي شوتيز. بل إن بيري نفسه قال إن «صديقاً ثرياً من رجال الأعمال»، رفض أن يحدّده حتى بعد مرور خمسة وعشرين سنة، قد وعد بتقديم أموال في وقت مبكر، منذ سنة 1944، لتمويل عملية إزاحة فورهيس عن مقعده. ومنذ ذلك الحين راح الدعم المالي يصل بانتظام من ذلك الصديق غير المسمى، وظل ذلك المال متاحاً لكل حملة انتخابية حتى سنة 1952.

وقد كتب فورهيس في مسودة غير مطبوعة لكتاب في سنة 1947: «كانت

لديّ مادة غزيرة على شكل وثائق، توضح كيف كانت حملة نيكسون شيئاً خلقته المصالح المالية الشرقية الكبرى. . . بنك أمريكا، والمؤسّسات الخاصة الكبيرة، وكبرياتِ شركات النفط، فكانت كلها مصمّمة على هزيمتي. ولم أستخدم هذه المادة أبداً». وبينما أصرّ مؤيّدو نيكسون على أنه «ما من سنت واحد من الأموال النفطية»، قد وجد طريقه إلى الحملة، فإن ويلارد لارسون، الذي كان يحمل «التفويض السياسي» لشركة ستاندارد أويل، التي أغضبها فورهيس أكثر من غيرها، قد جلس في اجتماع الانتقاء الذي اختار نيكسون كمرشح.

وفيما بعد، أقرّ مدير حملة نيكسون، بأنه قد عمل بشكل «وثيق جداً» مع المندوب المحلي لشركة ريتشفيلد النفطية، خلال المراحل الأولى من المنافسة، وبينما اختلف المؤرخون حول ما إذا كانت سيغنال أويل قد أسهمت، وكم كان المبلغ الذي أسهمت به، فإن المراسلات الباقية تبيّن أن نيكسون كان على اتصال في أوائل سنة 1946 مع ج. بول مارشال، الذي كان همزة الوصل من أيام الحرب في منظمة العمل السياسي، وأحد العاملين في اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري. وقد اقترح مارشال أن يلتقي نيكسون بهاري ماتش، رئيس شركة سيغنال أويل الذي طار له صيت في دوائر كاليفورنيا السياسية بأنه «الرجل ذو الحقيبة السوداء».

وتأتي نظرة خبير مطلع على كيفية تمويل نيكسون، وعلى أخلاقياته السياسية من وليام آكرمان، الموظف المالي السابق في شركة غلادينغ مَكْبِينْ، وهي شركة إدارية كبرى. وكان رئيس مجلس إدارتها، آتول مكبين هو مدير ستاندارد أويل وزوج وارثة ثروة شركة نيوهول أويل. وكان مجلس إدارة الشركة يضم وليام كروكر، التابع لبنك كروكر، وغيره من كبار رجال الأعمال.

وفي رسالة مبعوثة في سنة 1979، قال آكرمان عن بدايات نيكسون السياسية: «أنا أعرف كيف بدأت المسألة سنة 1946، لأنني أسترجع ذكرى

كوني عندئذ حامل حقيبة نيكسون». ويستشهد آكرمان بصحيفة احتفظ بها من سنة 1946، على حدوث اجتماع حضره خمسة وسبعون موظفاً تنفيذياً في ربيع تلك السنة في خان أوجاي، شماليّ لوس آنجيلوس. وفي الجلسة الأخيرة تحدث فْرِيدْ أورتمان، رئيس مَكْبِينْ، عن ريتشارد نيكسون.

ونقل آكرمان عن أورتمان قوله: «لقد جنّد الأشخاص المسؤولون في نادي كاليفورنيا، شاباً طازجاً خارجاً من الأسطول، ذكيّاً كجميع الخارجين حديثاً. وهو بالضبط ما نحتاج إليه للتخلص من جيري فورهيس. فإذا نجح في ذلك فإنهم يعتقدون، أن لديه كل ما يتطلبه الوصول إلى آخر الخطّ. فهو يقول إنه لا يستطيع العيش على راتب عضو كونغرس. بل إنه يحتاج إلى أكثر من ذلك بكثير، ليضاهي ما يعرف أنه يستطيع كسبه من ممارسة المحاماة في مكتب خاص. وجماعتنا يحتاجون إلى «النقود ليعوضوا عن الفرق. وسوف تمد يد العون».

وقال آكرمان إن أورتمان كان قد أوضح منذ وقت بعيد، أن قانونية تبرعات المجموعة لا تهمه في شيء، فلم يكن الشيء الهام هو أن يتم ضبط مرتكبي المخالفات، بل لقد أمر أورتمان أن يتم تدبير المال لنيكسون من غلادينغ مكبين، عن طريق جعل كل موظف تنفيذي يدفع مائة دولار ـ فذلك سيصل مجموعه إلى نحو تسعمائة دولار اليوم. «أرسلوها إلى مكتبي نقداً. وأخبروا الناس الهامّين أن يوجه كل منهم مثل هذا الأمر إلى مجموعته. وهذه... الطريقة سوف توفر للجميع حساب نفقات ذا حجم كبير، يكفي لتغطية هذه التبرعات في الكشوف تحت بنود مثل أجور السيارات، والضيافة، والمصروفات النثرية هنا وهناك. ونحن جميعاً خبراء في ذلك. وعلينا أن نحصل من ذلك على خمسة آلاف دولار على الأقل... إن علينا أن نتخلص من هذا المتطرف الأحمر فورهيس».

وبعد عقود من الزمن، كان آكرمان لا يزال ذاهلاً من فكرة قيام شركة

واحدة بجمع خمسة آلاف دولار، أي ما يعادل أربعة وأربعين ألف دولار بأسعار اليوم، من أجل نيكسون في سنة 1946. واستذكر التفكير في الصندوق المشترك الأوسع من ذلك، والذي كان باستطاعة مؤيدي نيكسون أن يسحبوا منه. «وهو صندوق بلغ من ضخامته أنه يكفي لابتلاع العالم». وعلى امتداد السنوات، لم يكن آكرمان مع نيكسون أو ضده بصورة خاصة، وقال: «وبدلاً من ذلك، احتفظت باختقاري لأولئك الذين كانوا يعرضون أنفسهم كأعمدة للمجتمع، وفي الوقت نفسه يخصبون التربة التي ينمو فيها أمثال نيكسون، ومن أجل مكاسبهم هم».

وكان واحدٌ من مدراء مكبين، وهو قطب التأمين آساكول، صلة الوصل مع عنصر تخصيب حساس الأهمية، هو قوة الصحافة. فقد قام كول، ومعه آخرون في المجموعة، بإعطاء نيكسون اتصالاً حيوياً بأكثر الصحف نفوذاً في كاليفورنيا الجنوبية. وبحلول ربيع سنة 1946، كان نيكسون قد استُطْلِعَ وتمت الموافقة عليه من قبل كايل بالمر، مروّج المعلومات السرية عن سباق الخيل سابقاً، والرجل الأشيب الذي ظل زمناً طويلاً محرراً سياسياً **للوس آنجيلوس تايمز**.

كان بالمر يحمل لقباً مناسباً هو الحاكم الأصغر، ويعمل أكثر بكثير من محرّر سياسي. وقال روبرت هارتمان، الذي عمل فترة رئيساً لأحد مكاتب الصحيفة المذكورة، والذي صار فيما بعد مستشاراً للرئيس جيرالد فورد: «إن أي شخص يريد ترشيح نفسه لمنصب سياسي، كان عليه أن يستأذن أولاً من كايل. فقبل أن ينهي التلفزيونُ احتكارَ الصحافة المطبوعة للنفوذ السياسي، كان بالمر هو صانع الشخصيات السياسية البارزة. وقد استذكر أنه عندما استطلع أمرَ نيكسون رأى فيه مرشح الأحلام: نظيف المظهر ولكنه مقاتل قذر، أي أنه «رأس عجوز على كتفين شابّتين». فجاء به إلى محرّر **لوس آنجيلوس تايمز**، نورمان تشاندلر، الذي قال: «إنه يبدو واعداً. ففيه الكثير من القتال والنار. دعنا ندعمه».

وهكذا أعطت الصحيفة نيكسون بركتها الشاملة. ذلك أن الممارسة المنصفة النزيهة، لم تكن أبداً أحد عوامل التغطية السياسية في الصحيفة. فقبل ذلك باثنتي عشرة سنة، نشر بالمر في صحيفة **التايمز** صوراً إخبارية مزيّفة، عن متشردين بزعم أنهم يتسللون إلى الولاية ليعيشوا من العطايا، التي ستكون متاحة لهم في حالة فوز يوبتون سنكلير، المرشح الديمقراطي، بمنصب حاكم الولاية. وكان «المشردون» في صور **التايمز** ممثلين. وفي سنة 1946، تذرعت الصحيفة بنقص الورق كحجة لتقليص حملة فورهيس في إعلانات صغيرة. وأعطت جانب نيكسون مساحة أكبر. وفي تلك الأثناء كتب بالمر بعض خطابات نيكسون.

وفي سنوات لاحقة، عندما بدأ نيكسون يتذمر من سوء معاملة الصحافة له، راح يشكو بمرارة جارحة من بوق دعايته القديم؛ لأنه بعد سنة 1962، وموت بالمر وتسلم أوتيس بن نورمان تشاندلر مسؤولية الصحيفة، صارت التايمز أكثر توازناً في مواقفها. وقال نيكسون أثناء حملته الانتخابية الخاسرة لمنصب حاكم كاليفورنيا سنة 1962: «لو كان كايل حيّاً لاختلفت الأمور». واستمر نيكسون يردّد هذه الأقوال حتى منتصف السبعينيات. فقد بلغ من غضبه على هذا التغير، أنه أمر وهو رئيس ـ كما يتضح من أشرطة البيت الأبيض ـ بأن تقوم مديرية ضريبة الدخل وسلطات الهجرة بالتحقيق في أمور عائلة تشاندلر بكاملها.

وهكذا قال لجون ميتشيل: «إننا سنلاحق آل تشاندلر، كل فرد فيهم، بشكل فردي، وجماعي، في ما يخص ضريبة دخلهم... اعتباراً من هذا الأسبوع. كل واحد من أبناء الزواني أولئك». وطلب من موظفي مديرية الهجرة أن يكتشفوا، في ما إذا كانت التايمز تستأجر مهاجرين غير شرعيين، وقال: «لا أريد أي جدل في الأمر. أريدكم أن تعطوا تعليمات لأكثر الموظفين الموثوق بهم في مديرية الهجرة، كي يقوموا بتفحص جميع أنشطة **لوس آنجيلوس تايمز ـ كلها**... فهناك أوتيس تشاندلر. أريد أن يتمّ فحص الجنائي الذي يعمل

عنده. فقد فهمت أنه مكسيكي دخل الولايات المتحدة خلسة. هل هذا واضح؟

وفي بواكير حياته العملية، كان نيكسون يقدر مدى كونه مديناً، فقد قال لتشاندلر في رسالة بعثها إليه سنة 1960، «لولا التايمز بالدرجة الأولى لما كان لي أن أذهب إلى واشنطن أبداً». وفي حملته الاختراقية ضد فورهيس، تلقى نيكسون أيضاً رعاية جيم كوبلي، صاحب صحيفتي **يونيون** و**التريبيون** في سان دييغو، ومعهما سلسلة من الصحف اليومية الأصغر. وهناك مراسلات كثيفة توضح أن كوبلي قد وضع ما أسماه بمنظمته ـ وكذلك تبرعاته النقدية ـ تحت تصرف نيكسون على مدى عشرات السنين بعد ذلك.

واستفاد نيكسون تكراراً من خبرة هربرت كلاين، أحد محرّري كوبلي، الذي أخذ «إجازات» طويلة، ليشتغل كسكرتير صحفي لنيكسون. وخلال رئاسة نيكسون، عيّنه مديراً للاتصالات. وقد ادعى كلاين أنه لم يكن يعرف نيكسون جيداً خلال حملته سنة 1946، عندما كان كلاين محرّراً إخبارياً في صحيفة **الحمرا بوست آدفوكيت**. غير أن أحد مديري حملة نيكسون لديه ذكريات مختلفة؛ وهو فرانك جورغينسن، الذي قال: «لقد ساعدنا هيرب في الدعاية وفي الكتابة ـ دعنا نستخدم هذه العبارة» ـ».

ولعل أبشع استغلال سافر للصحافة في حملة سنة 1946 ضد فورهيس، كان خدعة نشر الأخبار المزوّرة. فيقول و. ي. سميث الذي كان آنئذٍ مراسلاً لصحيفة **سان غابرييل فالي بريس ـ تايمز**: «لقد توصل مديرو حملة نيكسون إلى اتفاق مع ناشرينا. . . فاشترى نيكسون مساحة في الصفحة الأولى من جرائد **البريس ـ تايمز**. واتفق معها على مساحة معينة في كل أسبوع، ليس للإعلانات، بل للقصص الإخبارية الملفقّة والصور كي يزرعها زرعاً هناك».

فإذا كانت حملة نيكسون هي التي اخترعت القصص الإخبارية حقاً، فليس هناك أدنى شك فيمن كان وراءها. فقد كان المتهم المشبوه الأول رجلاً قيض له، بطريقة أو بأخرى، أن يظل قريباً من نيكسون طيلة حياته السياسية.

6

ستضع الجريمة المنظمة ذات يوم رجلاً في البيت الأبيض.
وهو لن يدرك ذلك حتى يقدموا له الفاتورة

رالف ساليرنو: مستشار الكونغرس حول الجريمة المنظمة

لقد كان أعجوبة هائلة، ذلك المستشار الصحفي المأجور لحملة نيكسون الأولى. كان موراي تشوتينر ابن صانع سيجار، ولد في بيتسبرغ، وترعرع في لوس آنجيلوس، وترك المدرسة في الخامسة عشرة، ومع ذلك حصل على درجة في الحقوق، فكان أصغر خريج أنتجته كلية الحقوق الجنوبية الغربية (ساوث ويسترن) في تاريخها. وفي التاسعة والعشرين كان يشتغل في حملة هربرت هوفر للانتخابات الرئاسية. وفي الثالثة والثلاثين كان الدماغ المخطّط لحملة إيرل وارن لانتخابات منصب حاكم كاليفورنيا. ورغم خبرته في شن الحملات فسرعان ما طرده وارن من مكتبه، وكان السبب على ما يبدو حماسته التي لم ترافقها أية مبادئ أخلاقية. وقدر لنيكسون أن يثق به ويعتمد عليه طيلة حياته السياسية كلها.

وكان تشوتينر منتفخاً وقصيراً إلى حد الضآلة، يفضل البدلات البيضاء، وربطات العنق الحريرية الصارخة الألوان. والقمصان ذات الأزرار التي تشبه وجه الساعة. وكان يدعو نفسه موراي م. تشوتينر، والمفروض أن سبب ذلك هو اعتقاده أنه يعطي اسمه وقعاً أكبر. فالحق أنه لم يكن لديه اسم أوسط.

وفي تشوتينر ـ كما وصف الأمرَ مساعدٌ لاحقٌ هو لِنْ غارمنت ـ «وجد

نيكسون الماكيافيللي الخاص به، المدافع العنيد القاسي الرأس، الذي يعتمد في الحملات الانتخابية الفلسفة القائلة بأن السياسة حرب». وحسب رواية رابع زوجاته، نانسي، فإن «موراي لم يكن يتورع عن عمل أي شيء يقدر عليه في حملةٍ ما، ضمن القانون، ليهزّ الأقفاص».

ولقد هزّ الأقفاص لنيكسون، من اللحظة التي وقعت فيها عيناه عليه في اجتماع الانتقاء للحملة المنافسة لفورهيس. وفي السنوات اللاحقة أدار حملة سنة 1950، التي دحرت هيلين غاهاغان دوغلاس، وأوصلت نيكسون إلى مجلس الشيوخ. فهو الذي اختار لون «قطعة القماش القرنفلي» السيئة الصيت، للتلويح بها في الدعاية للإيحاء زوراً، بأن دوغلاس متعاطفة مع الشيوعيين. وكان هو الذي أدار حملة سنة 1952، التي حملت نيكسون إلى منصب نائب الرئيس، وكان هو القوة المحركة وراء الدفاع عن نيكسون عندما اتهم بالفساد في ذلك العام. وكان هو المدير كرّةً أخرى في حملة سنة 1954، لانتخابات منتصف الفترة، التي لجأ فيها إلى تكتيك صحيح ومجرب ـ إذ راح نيكسون يشير مرة بعد أخرى إلى توثيق مفترض، لاتهامه الديمقراطيين بأنهم تحت التأثير الشيوعي.

وفي سنة 1956، مع اقتراب موعد حملة رئاسية انتخابية في الخريف، نشأ نزاع مفاجئ حول تشوتينر. فعندما تسرّبت أجزاء من محاضرة كان قد قدمها في «مدرسة للحملات» للقياديّين الجمهوريين، عبّر الديمقراطيون عن صدمتهم. فقد كانت تلك المحاضرة، كما قالوا، «نصاً مدرسياً مقرراً عن كيفية اصطياد المغفلين». وهكذا كانت حقاً. ولكن ذلك لم يقلق تشوتينر قطّ. وكما قال لين غارمنت، فإن تشوتينر «كان رجلاً لا يبالي بقبول حقيقة أن السياسة شيء دنيء خسيس في معظم الأوقات، مليء بالأكاذيب والأحابيل».

ولكن ما أثار قلق تشوتينر، وكاد ينسفه نسفاً، هو ما اكتشفته عنه في ذلك الربيع لجنة مجلس الشيوخ الفرعية، التي كانت تحقّق في الرشاوى والمتاجرة

بالنفوذ. وكان الديمقراطيون، بالطبع، يبحثون عن وسيلة ينالون بها من تشوتينر، وعن طريقه، من نيكسون. وجاءت الفرصة بالصدفة عندما كان كارمين بللينو، المحاسب الأسطوري والمحقّق التابع للكونغرس، عاكفاً على التدقيق في الصكوك الملغاة، المدفوعة نيابة عن صانع أزياء رسمية من نيوجيرسي، مدانٍ بالسرقة من الحكومة الاتحادية. فكان من بينها صك بقيمة خمسة آلاف دولار مدفوع لصالح «م. تشوتينر» ومودع في مصرف بلوس آنجيلوس. وعندما اتصل به روبرت كينيدي، المستشار الرئيسي الشاب للجنة التحقيق الفرعية التابعة للكونغرس، لم يكن لدى تشوتينر للوهلة الأولى أي تفسير جاهز. وفي اجتماع لاحق، جاء بقصة بدت كأنها مُقْنِعَة ـ إلى أن تسلّل بللينو إلى الخارج ليتصل بمخبرٍ لديه معلومات داخلية. واستذكر فيما بعد أن «تشوتينر قد استُخْدِمَ بسبب صداقته مع نيكسون ومع نائب المدعي العام، وليام روجرز، وكان يُتَوَقَّعُ منه أن يساعد في قضية الضريبة التي كانت تنظر فيها وزارة العدل لبحث إمكانية إحالته بسببها إلى المحاكمة...».

وجرب تشوتينر كل تكتيك ممكن للتملص من تقديم شهادته أمام اللجنة. فقد وعد في بادئ الأمر بالمثول أمامها طواعية، مصرّاً على أنه ليست هناك حاجة لإصدار استدعاء، ولكنه تخلف عن الحضور بعد ذلك. وعندما أرغم إرغاماً في آخر الأمر لم يكشف شيئاً يذكر، واحتجّ بأنه إذا كشف عن طبيعة الخدمة التي أداها، فسوف ينتهك خصوصية العلاقة بين المحامي وزبونه. وأنكر أنه قد استخدم اسم نيكسون للحصول على حظوات لزبون.

وأعلن السناتور جو مكارثي أن المحقّقين كانوا يضيعون الوقت، وأنهم لم يقدموا أدلة على سوء سلوك من جانب تشوتينر. فكان ذلك معروفاً أسداه لنيكسون، وشكره نيكسون عليه في غداء خصوصي. وأخيراً أوقف رئيس اللجنة، التحقيقات على ضوء اقتراب الانتخابات، غير أن سمعة تشوتينر كانت قد حاق بها ضرر جسيم.

وكان أخطر ما في الأمر أن اسمه قد ارتبط علناً بالمجرمين المنظمين. ذلك أن التحايل في قضية الأزياء، كان قد تورط فيه عدد من عتاة رجال العصابات المعروفين. وكان أحد الرجال الذين مثّلهم تشوتينر كمحام، واحداً من زعماء المافيا في ولاية تشوتينر (بنسلفانيا)، وهو ماركو («الرجل الصغير») ريجيليني.

ويحق للمحامي بصورة مشروعة طبعاً أن يمثّل أي شخصٍ يختاره. غير أن تشوتينر وشريكه، شقيقه جاك، قد تعاملا مع ما لا يقل عن 221 قضية غشٍ في المراهنات، خلال فترة أربع سنوات قبل التحقيق. وقد عرّفت لجنة مكافحة الجريمة في كاليفورنيا فيما بعد المراهنات، بأنها «أخطر خطة لابتزاز المال في ميدان الجريمة المنظمة بأكمله». وكما سيظهر هذا الفصل، فإن الارتباط بالمراهنات له مساس وثيق ومباشر، ببواكير الحياة العملية لريتشارد نيكسون.

وقد سارع نيكسون وتشوتينر لتقليص أضرار تحقيق سنة 1956، فزعم نيكسون عن طريق أحد مساعديه، أنه «لم تكن له علاقة مع تشوتينر لفترة طويلة من الزمن». أما تشوتينر فقد أصرّ من جانبه: «لم أتصل مع نائب الرئيس بأي شكل كان منذ اليوم الذي انتخب فيه، في ما يخص أيّ اتصال له علاقة بمنصبه».

ولم يكن أي من هذين التصريحين صحيحاً. فتشوتينر كان قد دفع فواتير إقامة ضيوف نيكسون في فنادق واشنطن، عندما تم تنصيب نيكسون نائباً للرئيس. وظل حتى شهر آذار / مارس سنة 1956 يوقع الرسائل «بالنيابة عن نائب الرئيس». وحسب رواية المراسل الصحفي هوارد سيلي، صديق تشوتينر ومستشار حملات الجمهوريين الانتخابية، فإن تشوتينر كثيراً ما كان يترك رسائل يطلب فيها، أن يتم الاتصال به هاتفياً عبر البيت الأبيض. وأثناء زيارة لمكتب تشوتينر قبل أسابيع من انفجار الفضيحة، لاحظ أحد المراسلين رسائل معنونة إلى نيكسون، في كومة من البريد الخارج من عند تشوتينر.

ورغم ادعاءات الجمهوريين بالبراءة، فإنهم قد اضطروا في سنة 1956،

إلى التصرف وكأنهم أسقطوا تشوتينر. فأخبر الموظفون الصحافةَ بأنه لن يسافر مع نيكسون أثناء الحملة، وأنه لن يحضر المؤتمر. وأخذ الرجلان يتحدثان بعد ذلك وكأن علاقتهما قد انتهت. وقال نيكسون بلهجة جادة في تظاهرها بالتقوى، «إنها لمأساة» أن «يتورط تشوتينر في نوع من العمل القانوني لا يمتزج بالسياسة أو يتواءم معها». وفي سنة 1960، عندما فشل تشوتينر نفسه في الحصول على مقعد في الكونغرس، أشار مرة إلى بقعة خالية على الجدار قال: إن صورة نيكسون كانت قد احتلت فيها مكانة الشرف.

غير أن النفور المفترض بينهما كان تظاهراً إلى حد كبير. ويتذكر المحقّق بللينو أن موظفي نيكسون قالوا له سراً: «إنه [نيكسون] كان رجلاً تنقصه الشجاعة. وقد ذكر أحدهم كيف أنه حثّ نيكسون على قطع ارتباطه بتشوتينر. ولكن نيكسون كان يشعر بأنه غير قادر على ذلك.

وكان لتشوتينر حضور خلف الكواليس في ذلك العام (1960)، وهو ينصح نيكسون أثناء حملته الفاشلة للرئاسة ضد جون فيتز جيرالد كيندي. وكان متواجداً بمشورته أثناء محاولة نيكسون للفوز بمنصب حاكم كاليفورنيا سنة 1962. ويستذكر دوايت شابان (الذي أصبح من المستشارين المقربين في البيت الأبيض فيما بعد)، مهمة روتينيةً بغيضةً في الحملة الانتخابية بلوس آنجيلوس: «طُلِبَ مني أن أنقل شيئاً ما. وانفتح باب غرفة مليئة بدخان السيجار، وإذا منها فيك لاسكي(*) وموراي تشوتينر ـ كصورة تقليدية من الغرفة الخلفية لقاعة تاماني». [تاماني جمعية سياسية قوية تسترت بالأعمال الخيرية في نيويورك، في أعقاب استقلال الولايات المتحدة في سنة 1787، غير أن أعضاءها كانوا يسعون إلى التمتع بالسلطة، والفوز بها بطرق فاسدة ومشبوهة: المترجم]. وكان تشوتينر هو الوحيد تقريباً في التنبؤ في تلك السنة، (1962)، بأن نيكسون سيتعافى ذات يوم من اندحاره الرهيب.

(*) فيكتور لاسكي، المؤلف، وصديق نيكسون الحميم.

وفي حملة سنة 1968، عندما اضطلع نيكسون بمعركته الناجحة للفوز بالرئاسة، كلف تشوتينر ـ بهدوء ـ بالعمل كهمزة وصل مع الولايات التي كان الحصول على أكبر عدد من الأصوات فيها هاماً وحساساً، ولكن بتحفظ، وبعيداً عن أعين الناس والرأي العام.

وفي اليوم التالي لانتصار نيكسون جاءه تشوتينر يطالب بجائزته، فطلب رئاسة اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري. وعندما رُفِضَ طلبه هذا ـ لأن مستشاري نيكسون الآخرين، اعتبروا تعيينه في مثل هذا المنصب مخاطرة أكبر مما ينبغي ـ خلق له نيكسون عملاً، رغم أن تدقيق مكتب التحقيقات الاتحادي، أشار إلى وجود علاقات له بالجريمة المنظمة. وكان وصف ذلك العمل غريباً ـ كمستشار عام في مكتب غامضٍ مغمور هو مكتب الممثل الخاص في المفاوضات التجارية ـ ولكن أمراً تنفيذياً خاصاً ضَمِنَ له راتباً جيداً. وعندما عُيِّن مستشاراً خاصاً للرئيس بعد ذلك بسنة، لم ينتبه لهذا الأمر إلاَّ قليلون.

ولم يُشِرْ نيكسون إلى تشوتينر في مذكراته الضخمة الحجم إلاَّ بضع مرات، واصفاً إياه فقط بأنه «ألمعيّ... واسع الحيلة على الدوام». وحذف نشاطه خلال رئاسته حذفاً تاماً. ولقد ظل تشوتينر عاملاً ثابتاً في التآمر النيكسوني. فتورّط في جرائم وسوء سلوك في عدة مجالات في البيت الأبيض؛ وكان يمثل نيكسون في الاتصالات مع أحد موظفي الملياردير هوارد هيوز، الذي ربما كانت هداياه السرية نقداً هي المفتاح إلى ووترغيت؛ وأشرف على ابتزاز ملايين الدولارات من زعماء صناعة منتجات الألبان، الذين كان لتشوتينر ونيكسون صلة قديمة بهم تعود إلى عشرين سنة مضت. وقام تشوتينر بتوجيه تهديد سريّ بالنفي أو احتمال السجن، أو حتى الموت لمهاجر إغريقي إذا فضح ما يعرفه عن قبول نيكسون، للأموال بصورة غير قانونية من الطغمة العسكرية الحاكمة في اليونان آنذاك؛ وقام تشوتينر كذلك بإدارة دفعات سرية لبعض المرشحين لانتخابات الكونغرس، في ما عرف بعملية قاعة البلدية؛

وقدم قوائم بأسماء الأعداء السياسيين، كي تحقّق معهم مصلحة الضرائب الداخلية؛ وتجسّس على المرشح الديمقراطي لانتخابات الرئاسة، جورج ماكغفرن، ودفع مالاً إلى لوسيان غولدبرغ، (المرأة التي قدر لها أن تلعب دوراً هاماً في سنة 1998، في فضح النشاط الجنسي للرئيس كلينتون) كي تنتحل صفة صحافية على طائرة السناتور ماكغفرن؛ وتولى مهمة نقل أموال نقدية من المتمول المشبوه روبرت فيسكو، قيل إنها نقل أموال قذرة تم تنظيفها عن طريق كازينو في جزر البهاما. وعمل تشوتينر في لجنة سريّة رتبت الأمور لمسؤولي اتحاد البناء، وفيهم مجرمون مدانون، وشخص من المافيا، لزيارة نيكسون في البيت الأبيض؛ وتَدَخَّلَ في التحقيقات الاتحادية في تحايل، بمشروع بِناءٍ باثني عشر مليون دولارٍ تورط فيها زعماء اتحاد سائقي الشاحنات، (وقد تم التعامل مع المتورطين بطريقة أكثر ليناً)؛ ولعب دوراً رئيسياً في ترتيب إطلاق سراح زعيم سائقي الشاحنات المسجون جيمي هوفا، وقيل إن ذلك تم في مقابل دفعات سرية هائلة، إمّا لنيكسون شخصياً، أو لحملته الانتخابية في سنة 1972. وفي ملف تلك المفاوضات، التي اشترك فيها أحد رجال زعيم المافيا كارلوس مارسيلو، كان يشار إلى تشوتينر باسم شيفرة هو السيد باجاما.

وبحلول فضيحة اقتحام مبنى ووترغيت، كان تشوتينر قد غادر البيت الأبيض، وعاد إلى ممارسة عمله الخاص. ومع ذلك فقد كانت مكاتب المحاماة التابعة له، في الطابق الذي فوق مقرّ لجنة إعادة انتخاب الرئيس مباشرة، وظل يحتفظ بهاتف للبيت الأبيض. وكانت هناك امرأة واحدة على الأقل تشتغل في حِيَلِ البيت الأبيض القذرة، وتتلقى راتبها من مؤسسة تشوتينر.

وفي سنة 1994 قال شابين، مساعد نيكسون، متأملاً: «هناك شخص له علاقة بجذور هذا الأمر على طول الخط، وهو موراي تشوتينر. فقد كان في البيت الأبيض، وما إن غادره حتى حدثت عملية الاقتحام. لقد كان موراي يشتغل لنيكسون في ما لا يعلمه أحدٌ إلاّ الله...».

ولقد كان نيكسون يعرف منذ سنة 1946، أن تشوتينر شخصية محاطة بظلال الشبهات. وقد تجاهل بات عندما أعلنت عدم موافقتها على ذلك الرجل. ومع ذلك فقد كان يعرف أن من الأفضل الإبقاء على تلك العلاقة طيّ الخفاء. وعندما رأى نيكسون مسودة أول تصريح صحفي في حملته الانتخابية، تحمل على رأسية الورقة اسم «موراي م. تشوتينر وشركاه»، شطب تلك الكليشيه الرأسية بحبر أزرق وقال لتشوتينر: «لا تستخدم الحرفين المختصرين ر. ن.».

وإذا كان نيكسون يعي حتى آنذاك، بأن الارتباط بتشوتينر مرادف للارتباط بالجريمة المنظمة، فقد كان ذلك بالضبط لأنه متورط بطريقة مماثلة. وكانت حملته الأولى تنطوي على علاقة لم تنشر عنها أي معلومات تذكر، ولم يتم تحليلها على الإطلاق. ففي بداية حياته السياسية، التقى بمجرم بارز وأخذ منه المال. وبعد سنوات كان مايكي كوهين، جالساً على مقعد الآمر في سجن الكاتراز، بعد أن كان ذات مرة، مسيطراً على مشهد الجريمة في لوس آنجيلوس؛ وقد وقع تصريحاً فيه تفاصيل دوره في حملتين انتخابيتين لنيكسون، لدخول مجلس النواب سنة 1946، ومجلس الشيوخ سنة 1950.

كان كوهين رجل عصابات شديد الزخرفة، أُرْسِلَ في الأصل إلى كاليفورنيا في أوائل الأربعينيّات، للانضمام إلى بنيامين سيغل ـ المعروف باسم بغسي اللعين ـ في محاولة الاستيلاء على أعمال عصابات الابتزاز في غرب الولايات، وغالباً بعنف، إلى جانب المجرمين الإيطاليين المتواجدين قبلهم. وبحلول سنة 1945، عندما بدأ سيغل يفتح عمله في لاس فيغاس، كانت أقدام كوهين قد ترسخت باعتباره ـ على حد تعبيره ـ «قوة» في لوس آنجيلوس. وعندما اختير ريتشارد نيكسون مرشحاً عن الجمهوريين للمقاطعة الثانية عشرة، وهي منطقة كان كوهين يعتبرها منطقته، تم تدبير اجتماع قال كوهين إنه حدث

في كهف غودفيلو «وهو دكان سمك كان يلتقي فيه الساسة، ويسدلون ستائر على الأكشاك، أو الحجيرات من أجل هذا النوع من المحادثات. . . وكان موراي تشوتينر هو الذي دبر الاجتماع».

وكما أوضح كوهين: «فقد كانت مسألةَ وضع يقود إلى آخر، كما لو أن أحداً يقول: (حسناً، عليكم أن تجتمعوا مع دِكْ)، أو (ينبغي أن تعرفوا دِكْ)، فقد كان [نيكسون] قد بدأ يضع قدمه على عتبة الباب، وكانت مقاطعة أورانج، التي هو منها، هامة في برنامجي الخاص بمراهنات سباقات الخيل. وأعتقد أن كل ما قلته له كان شيئاً مثل «لدينا بعض الأفكار، وربما نقوم بتحريك بعض الأشياء».

ومن أجل حملة نيكسون لانتخابات مجلس النواب، أعطاه كوهين شيكاً بخمسة آلاف دولار ـ أي ما يعادل نحو أربعة وأربعين ألف دولار اليوم ـ وهي كمية كان قد تفاوض عليها مع مايفورد إيرفن، من مزارع إيرفن، وهي منشأة زراعية ضخمة في مقاطعة أورانج. وحسب رواية كوهين: «كان ذلك التبرع مهمّاً بالنسبة لي في المقاطعة. . . فقد كان إيرفن قوياً بقدر ما كان فعالاً وجزءاً من نشاطي هناك، ولذلك فإنه عندما طلب أعطيته. . . وأظن أنه طلب كمية أكبر، ولكنني بمساومتي اليهودية أنزلت طلبه إلى خمسة آلاف دولار. . . كان إيرفن هو رجلي في مقاطعة أورانج في أمور معينة».

ولم ينتهِ ارتباط كوهين بنيكسون سنة 1946. فقد طلب تشوتينر مساعدته مرة أخرى بعد ذلك بأربع سنوات، أثناء انتخابات مجلس الشيوخ. واستذكر كوهين: «طلب مني تشوتينر ثانية أن أقوم بجمع المال. . . وكنا مضطرين إلى ذلك. . . فكما ترى، كان لتشوتينر أخ يدعى جاك، وكان محامياً، وكان أحد العاملين في برنامج المراهنات، كما دافع عن بعض رجالي. . . فحجزت قاعة الولائم في فندق نيكربوكر بهوليوود، لاجتماع عشاء دعوت إليه ما يقرب من مائتين وخمسين شخصاً ممن كانوا يشتغلون معي في أسرة القمار. . . وكان

على كل شخص قريب من هنا، واسمه على قوائمنا أن يذهب إلى ذلك العشاء طبعاً. فكانوا جميعاً من مقامري لاس فيغاس، وكانت الأموال كلها من أرباح القمار؛ فلم يكن في الغرفة كلها أي شخص شرعي».

وقال كوهين إنه كان من بين الحاضرين جوسيكا، وفريد سيكا، وجورج كابري، وهاي غولدباوم وجاك دراغنا. فكان الأخوان سيكا من أتباع كوهين الموثوقين. وكان جورج كابري وهاي غولدباوم يديران كازينوات القمار في لاس فيغاس، ويمثلان على التوالي مصالح مِيِيَرْ لانسكي وعصابة كليفلاند. أمّا جاك دراغنا، الذي عُرِفَ ذات مرة بلقب آل كابوني لوس آنجيلوس، فقد كان يدير عصابات الابتزاز المحلية، متعاوناً على مضض مع رجال العصابات المتحدين كالنقابة في شرقي الولايات المتحدة.

واستذكر كوهين: «كان هناك رقم معين علينا أن نتوصل إلى جمعه في تلك الليلة، وهو 75000 دولار، وكانت تلك كمية محترمة من المال في تلك الأيام[*]... وكنت جالساً أشرف على الأمور مع مجموعة من رجالي من فيغاس، عندما جاء مدير أعمالي مايك هوارد ليقول لي: «يا ميك، لم نجمع المال المقرر. ينقصنا 20000 دولار، فقلت له: «سأخبرك بما تفعل يا مايك». كانت هناك ثلاثة مداخل لغرفة الوليمة هذه، فقلت له «أغلقها». ثم نهضت وقلت للمدعوين: «انظروا. هل الجميع يستمتعون بعشائهم؟ هل أنتم مسرورون جميعاً؟ حسناً. إننا لم نجمع المبلغ المقرّر ولن يعود أحد منكم إلى بيته قبل استكمال المبلغ؟»».

وحسب رواية كوهين، فقد أعاد رجال العصابات اكتشاف سخائهم. «وشاهد الضيوف الأبواب وهي تغلق، فتم جمع المبلغ، بل وأكثر[1]. ثم ألقى

(*) تعادل 660000 دولار حسب قيم هذه الأيام.

(1) قال كوهين في مذكراته عن عام 1975 إن الرقم المطلوب كان خمسة وسبعين ألف دولار، بينما يعطي تصريحه في السجن عام 1962 رقماً لا يزيد على خمسة وعشرين ألفاً. وقد استخدم الرقم الأعلى =

نيكسون خطاباً مضطرباً متقطعاً ملهوفاً. . . [ولكن] المتكلم الحقيقي في تلك المناسبة كان موراي تشوتينر».

وقال كوهين: «وبالإضافة إلى مساعدة السيد نيكسون مالياً، اتخذتُ الترتيبات لاستئجار مكاتب مقرات له، في بناية باسيفيك فايننانس في الشارع الثامن وشارع أوليف في لوس آنجيلوس. . . فقد قام محامي سام رومل باستئجار المساحة، ولكنني قمت بعملية التمويل، فدفعت كل المال اللازم لمواد الطباعة، وكل شيء. . . وقمنا بطبع مواد الدعاية، والأدبيات الخاصة بنيكسون وتوزيعها. . .»[2]. وقال كوهين إنه استمر في تقديم تبرعات كبيرة لحملة نيكسون، وكان يقدمها أحياناً عن طريق آرت سَاميش، سيئ الصيت، المدافع عن مصالح صناعة الخمور.

ومهما كانت الإدانة التي تحملها وتنطوي عليها رواية هذا المجرم، فهل هي صادقة في الحقيقة؟ فهل طلب نيكسون؟ وتشوتينر تبرعات نقدية من أحد زعماء العصابات البارزين في لوس آنجيلوس، من رجل كان معروفاً بجرائمه حتى في ذلك الحين، وليس لحملة انتخابية واحدة، بل لحملتين؟

= هنا لأن مذكرة عام 1975 هي رواية طويلة منفصلة أعطيت لمؤلف مشارك ذي خبرة. ومن جهة أخرى، فإن تصريح عام 1962 الأكثر اتصافاً بالصبغة الرسمية قد يكون أكثر دقة. وليست هناك طريقة لمعرفة الحقيقة الآن. وبالمثل فإن تصريح عام 1962 يشير إلى أن كوهين لم يستطع أن يتذكر على نحو أكيد ما إذا كان حفل تجميع المال في فندق نيكر بوكر قد جرى عام 1950 أم أثناء انتخابات الكونغرس عام 1948. ومن المؤكد أن هذا الأخير هو التاريخ الصحيح؛ فقد أنفق الجمهوريون ثروة في حملتهم ضد هيلين غاهاغان دوغلاس عام 1950، بحيث أوصلها أحد التقديرات إلى مليوني دولار. أما انتخابات عام 1948 فكانت نصراً سهلاً لنيكسون (تقدير عام 1950: روجر موريس، ص 616).

(2) يعطي كوهين عنوانه على أنه الشارع الثامن وأوليف في تصريحه عام 1962، ولكنه يذكر في مذكراته عام 1975 أنه الشارع التاسع وهيل، حيث يعطي اسم المبنى على أنه المبنى المالي للضمان (في مقابل مبنى ضمان الباسيفيك المالي). أما أوثق المصادر عن حملة عام 1950، وهو كتاب روجر موريس (انظر قائمة المراجع)، فيشير إلى مقر قيادة حملة نيكسون في «مبنى غارلاند في الشارع التاسع وسبرنغ». غير أن هذا الالتباس في العنوان لا ينبغي أن يقلل من تصديق مزاعم كوهين؛ فقد قال إنه دفع لمكتب نيكسون لمدة «ثلاثة أسابيع أو أربعة فقط». والمؤلف يخمن أنه قد ساعد في هذه الطريقة أثناء مرحلة مبكرة من الحملة الانتخابية التي استغرقت اثني عشر شهراً (بناية غارلاند: روجر موريس، ص 536).

لقد أذيعت قصة كوهين لأول مرة على يد كاتب العمود الصحفي درو بيرسون، المعروف بأنه مؤسس سلسلة التعليقات المثيرة المعنونة تحت زاوية اشتهرت باسم «دوامة واشنطن»، وهي باب استمر وتواصل حديثاً في أجهزة الإعلام الوطنية على يد جاك آندرسون. وبالنظر إلى المؤلفين الذين كتبوا في هذا الباب، يمكن أن يحتج بعض الناس بأنه دعاية زائفة، تُنْشر بين الناس لتشويه سمعة نيكسون، ولفائدة خصومه الديمقراطيين. فقد ظل بيرسون طيلة عقود من الزمن سوط عذاب متسلط على الساسة الفاسدين، يستهدف المحافظين منهم بالدرجة الأولى، وكثيراً ما كان يلاحق نيكسون بهجماته الانتقادية المتكررة في خمسينيات القرن العشرين وستينياته.

وفي ربيع سنة 1956، عندما راحت علاقات تشوتينر بالجريمة المنظمة، تتكشف في تحقيقات مجلس الشيوخ، تناول بيرسون علاقة نيكسون ـ كوهين في برامجه الإذاعية الدورية المنتظمة، فقال في مقطع من دقيقة واحدة إن كوهين «كان يجمع مالاً من العالم السفلي» من أجل نيكسون، وأن رجل الارتباط في ذلك هو تشوتينر. وكرّر هذا الادعاء في برنامج مذاع سنة 1959.

ولم يُدْلِ كوهين بتصريحه المطوّل وهو في سجنه، إلاّ في أكتوبر / تشرين الأول سنة 1962، قبل أسابيع قليلة فقط من موعد مواجهة حاكم كاليفورنيا، بات براون، لنيكسون في انتخابات منصب الحاكم ـ وهو التصريح الذي استقى هذا الفصل معظم مادة روايته منه ـ وقد أدلى به كوهين إلى محامٍ يدعى ريتشارد رونمان. وكان رونمان في حينه النائبَ الرئيسيَّ للمدعي العام، وكان كذلك ديمقراطياً قيادياً من المقربين إلى الإخوة كيندي. وقد زعم كوهين في سيرته الذاتية، المطبوعة في منتصف السبعينيات أن زيارة رونمان له في السجن، قد حصلت على موافقة مسبقة من الرئيس كيندي نفسه. وقال كوهين إن الديمقراطيين أرادوا أن يستخدموا معلوماته للتشهير بنيكسون ومساعدة براون. غير أنهم في واقع الأمر لم يستخدموا تصريحه في ذلك العام، فقد

خسر نيكسون الانتخابات على أية حال. ولكن بيرسون التقط هذه المعلومات، ونشرها بالتفصيل في سنة 1968 قبيل الانتخابات الرئاسية التي أوصلت نيكسون إلى البيت الأبيض.

إن كون القصة ثمينة لأعداء نيكسون السياسيين لا يجعلها بالضرورة غير صحيحة. ولكن ما هي دوافع رجل العصابات للإدلاء بها؟ إن مذكرات كوهين توضح أنه لم يعد بحاجة إلى نيكسون، فقد وصفه كوهين بأنه رجل «لطخت الصحف سمعته... كأنه بائع سيارات مستعملة، أو لاعب بالورقات الثلاث... نصّاب» ـ ولكن كوهين كان في الوقت نفسه، يعتقد أن روبرت كيندي هو «ابن زناً لئيم صغير». فكان كوهين العملي الذرائعي يرى أن المرء يستخدم أيّ سياسي يقدم «لك أفضل عرض لتحقيق ما أنت بصدده». وفي سنة 1968 كان يأمل أن يساعده تصريحه على الحصول على إطلاق سراح مشروط بكفالة إذا فاز الديمقراطيون. وهم لم يفوزوا بالطبع.

ولا يمكن أن يُعْزَىٰ الإفشاء بالقصة إلى دافع انتقامي من جانب كوهين. ذلك أن معلومات بيرسون، التي حصل عليها في وقت سابق، في سنة 1956 لم تأتِ من كوهين، بل من مخبرٍ كان قد سمعها بدوره من أحد أصدقاء كوهين، وهو لويس صالدانا. ويبدو أن صالدانا هذا لم يتعاون مع بيرسون على الإطلاق، كما لم يتعاون معه كوهين في ذلك الحين، بل رفض أن يحكي قصته للصحافة، وقاوم الشهادة أمام لجنة مجلس الشيوخ في ذلك العام، وزعم: «لا أعرف أي شيء عن محتوى هذا الموضوع... فلم يسبق لي قطّ أن تورطت في السياسة». وحتى قبل ذلك، في سنة 1952، رفض كوهين أن يناقش الواقعة مع رسل بعثهم إليه الحزب الديموقراطي، قائلاً إن ذلك سيكون مثل «الوشاية برفاقه».

وأخيراً، فلكي يسبر المرء غور حقيقة العلاقة بين كوهين وموراي تشوتينر، يتعين عليه أن ينظر في ما حدث سنة 1959 ـ بعد أن أذاع بيرسون

قصته ـ فقد طلب منه تشوتينر أن يتراجع عنها، وهدّد بإقامة دعوى ضده. وتكشف ملفات الصحفي بيرسون، التي تفحصها المؤلف، أنه عندما قلق اتصل بكوهين، ضاغطاً عليه بإلحاح في طلب المزيد من التفاصيل. فرفض رجل العصابات مساعدته. ولكنه قال له إنه يعتقد أن تشوتينر أحمق إذا كان يذكر دعوى قانونية، ووعده: «سوف أتحدث معه وأقول له أن ينسى الأمر». وفي اليوم التالي مباشرة، عاد رجل العصابات للاتصال مع بيرسون قائلاً له، إنه قد تحدث فعلاً مع تشوتينر الذي وافق على إسقاط القضية، ولم يُقِمْ تشوتينر الدعوى قطّ ـ حتى عندما أذاع بيرسون تصريح كوهين بكامله سنة 1968.

ولم تكن العمليةُ التي قام بها كوهين لدعم نيكسون، مبادرةً إنسانيةً وديةً اضطلع بها كوهين وحده. بل إن الأوامر بذلك قد جاءت ـ كما يوضح في مذكراته ـ «من الأشخاص المعنيين في الشرق». وأوضح أن أولئك «الأشخاص المعنيّين» يشملون كلاً من فرانك كوستيللو ومِيِيَرْ لانسكي، الرجلين اللذين أسسا الاتحاد الوطني للعصابات، وكانا من أباطرة الجريمة الأمريكية المنظمة[3].

وبالنسبة لكوستيللو ولانسكي، كانت القدرةُ على إفساد الساسة، ورجال

(3) استذكر فورهيس، عضو الكونغرس السابق، بعد هزيمته على يد نيكسون، أنه قد قيل له «إن مصالح شركات الخمور [بنيويورك] كانت تدعي الفضل في هزيمتي. وقد شعرت بالرضا لأن أمثال هؤلاء الناس كانوا هم خصومي». وكان ميكي كوهين، الذي بدأ حياته العملية في المافيا في أيام المتاجرة بالخمور بشكل غير شرعي أيام منعها [في عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته]، من المقربين إلى آرتساميش رجل المافيا السياسي البارز في الواجهة بكاليفورنيا. وكانت لساميش هذا علاقة بعالم الجريمة من المتاجرين في الخمور تحت الأرض والمحتالين في سباق الخيول منذ أيام منع الخمور في أمريكا وكان ما يزال متورطاً مع قطب تلك التجارة غير القانونية، لويس روزنتييل. وهذا بدوره كان مقرباً فترة طويلة من أسياد كوهين من زعماء العصابات أمثال لانسكي وكوستيللو. وكان الرجل الذي يعمل بمثابة يده اليمنى منذ عام 1958 هو لونيكولز، المساعد السابق لمدير مكتب التحقيقات الاتحادي، الذي صار فيما بعد مستشاراً لنيكسون في حملة انتخابات عام 1968. («مصالح الخمور»: فورهيس، مصدر سبق ذكره، ص 346؛ المقرب من ساميش: كوهين، مصدر سبق ذكره، ص 20 ـ ؛ وكذلك ساميش، روزنتييل: فوكس، مصدر سبق ذكره، ص 229 ـ ؛ روزنتييل، ولانسكي: سمرز، **هوفر**، مصدر سبق ذكره، ص 248، ونيكولز: المصدر السابق نفسه، ص 369)

الشرطة، والقضاة ضرورةً أساسيةً لعمليات المافيا. وكانت خبرة لانسكي في مثل هذه المجالات هي التي رسّخت مكانته، كأقرب شيء إلى منصب عراب الجريمة المنظمة، على المستوى الوطني في الولايات المتحدة كلها. وكما هو مشروح في هذه الصفحات فيما بعد، فإن لانسكي قد قابل ريتشارد نيكسون ـ مثلما قابل جون ف. كينيدي ـ في بواكير حياته العملية، وربما كان ذلك حتى قبل انتخابات سنة 1946، التي أعطت نيكسون بدايته.

ولقد قال والتر شريدان، المحقّق الشهير التابع لمجلس الشيوخ في أعمال عصابات الابتزاز ذات مرة: «لو كنتَ مِييَرْ، ففيمن تستثمر أموالك؟ في سياسيّ لا في العير ولا في النفير يدعى كلامز لينغويني؟ أم في ولد بروتستانتي لطيف من وِيتّيير بولاية كاليفورنيا؟».

قال نيكسون لحشدٍ من الهتّافين، أثناء حملته الانتخابية ضد خصمه فورهيس: «أريدكم أن تعلموا أنني مرشح بالدرجة الأولى، لأنه ليست هناك خيوط خاصة ترتبط بي. فليس لديَّ دعم من أي مجموعة للضغط أو المصالح الخاصة». ومهما كان مدى ارتباطاته بالجريمة المنظمة، فقد كان من الواضح أنه مشدود شداً محكماً إلى عالم الثروات الكبيرة، إلى المصارف، ورجال النفط. فقد كان هاري شويلر، رجل الأعمال البارز وعمدة ويتيير الشرقية، الذي عرف نيكسون ومؤيديه جيداً في أيام شبابه، واضحاً في فهمه لتلك العلاقة. فقال إن نيكسون كان اختياراً «طبيعياً» لرجال المال الذين التقطوه. «ففي اللحظة التي أصبح فيها نيكسون متاحاً، أُخْبِرَ بدون مواربة بما هو مُقَدَّمٌ له ومعروضٌ عليه، وهو حياة سياسية يتعين عليه أن يقبلها».

أمّا أوسمين ستاوت، الذي ذهب إلى كلية وِيتّيِيرْ مع نيكسون، وتفرج عليه وهو يُدَشَّنُ في ميدان السياسة، فقد وصف الأمرَ بطريقة أخرى فقال: «لقد استطعتُ أن أرى مَنْ هُمْ أعضاء اللجنة الجمهورية، فعلمتُ أنه قد باع روحه».



7

كان التآمر طبيعة ثانية له، ممارسة يقوم بها بدون تفكير

وليام سافاير، كاتب خطابات نيكسون

«إنه يشبه الفتى الذي يعيش في البناية المجاورة لنا»، هكذا شهق بحماسٍ صحافيٍّ، كاتبُ عمود في **الواشنطن تايمز هيرالد** في كانون الثاني / يناير سنة 1947، بُعَيْدَ قيام النائب الجديد ريتشارد نيكسون بحلف اليمين. «إنه أمريكي نموذجي مثل عيد الشكر» [عيد الشكر عطلة تقليدية أمريكية في آخر يوم خميس من شهر تشرين الثاني / نوفمبر من كل سنة، بدأ بها بعض المهاجرين إلى الدنيا الجديدة سنة 1674: المترجم]. وإلى جانب التقرير المطبوع، أطل وجه نيكسون على الصفحة في صورة مثالية، وكان التقرير يكيل المديح للحملة «النظيفة» التي جاءت له بالنصر.

غير أن جورج ريدي، مراسل وكالة يونايتد بريس(*)، رأى جانباً آخر من نيكسون. فقد دعي إلى حفلة شراب، فرأى النائب الجديد، وقد وضع قدميه على الطاولة، وخلع سترته، وطوى كُمَّيْهِ إلى الأعلى. كانت تلك لحظة غير رسمية مرفوعة الكلفة نادرة في الرجل، الذي لم يكن فيما بعد ينفصل عن بذلاته الداكنة الألوان، والذي كان ينتعل أحذية عمل، حتى عندما يذهب للتنزه على الساحل، واستذكر ريدي: «كان الشعور مقلقاً جداً. فقد نهض نيكسون واقفاً بحركة كأنه قد تدرّب عليها من قبل، ثم حكى قصة للذكور ـ كأنها القصة

(*) صار فيما بعد السكرتير الصحفي للرئيس جونسون.

رقم 347 من خمسمائة قصة تصلح لكل المناسبات ـ لم تكن قصة قذرة ـ فقد كانت بات واقفة هناك بابتسامتها المعهودة على شفتيها المزمومتين بإحكام شديد. وكانت الأمسية لطيفة، ولكن كان في الجو شيء غريب كأنه نذير شؤم... فقد شعرنا بأننا لم نكن نتحدث إلى إنسان. بل كانت مشاهدتنا له وسماعنا لكلامه مثل التفرج على دمية، مثل الدمية المعروفة باسم باربي...».

وانتاب شعورٌ مماثل بالقلق والتر طورهان، الصحافيَّ المحافظَ من **شيكاغو تريبيون**، الذي صارت علاقته حميمة بآل نيكسون ـ إلى درجة أنه كان يساعد في الجلوس مع الأطفال ـ فقال: «منذ البداية نفسها، وجدت نيكسون متحسباً باحتراز أكثر منه دافئاً، ومركزاً على ذاته أكثر منه منطلقاً على سجيته، ومهتماً بالصغائر أكثر منه كريماً، وميّالاً إلى أنه يقول ما قد يرغب المنصت إليه بسماعه، أكثر من التحدث بصراحة تكشف عن موقفه».

والرواية المرخص بها عن وصول نيكسون إلى واشنطن للمرة الأولى صريحة بما فيه الكفاية: زوجان شابان يركبان سيارتهما عبر القارة، ويعثران على شقة في الضواحي، ويتصارعان مع آداب التشريفات، فيكتشفان بالتجربة الصعبة أن اللباس «غير الرسمي» في كابيتول هيل، يعني بذلة التوكسيدو السوداء نصف الرسمية للرجال، وفستان حفلات الرقص للنساء. وقد حملت بات بطفلتهما الثانية والأخيرة، جولي، التي ولدت في تموز / يوليو 1948. وبات تشعر باليأس لأن عمل زوجها يعني، أن مباهج حياتهما الزوجية الأولى صارت شيئاً من الماضي. وفي تلك الأثناء يلحق بنيكسون والداه إلى الشرق وهما متقاعدان في ستينيّات عمرهما. فيتخذان مزرعة لإنتاج مشتقات الألبان في بنسلفانيا. ويطلق الأب فرانك نيكسون على مواشيه أسماء نجوم هوليوود. دوروثي لامور، ولوريتا يونغ، وغاري كوبر. وهنّا تقبع مرة أخرى على بعد «مشوار» بالسيارة من ابنهما الناجح.

ويستكنّ نيكسون في مكتب يطلق عليه اسم العلّيّة، في مكان مرتفع من

المجلس، ولكنه جناح فاخر، وعندما يسأله زميله النائب الجديد جون ف. كيندي عن ردّ فعله على إسقاطه لجيري فورهيس يجيب قائلاً: «أفترض أنني أشعر بالابتهاج الشديد». ويخبر أحد الكتاب بأنه «يشعر بنوع من الضياع». وعند سؤاله عمّا إذا كان لديه مشروع مدلّل وعزيز عليه، يردّ بقوله: «لا، لا شيء على وجه التحديد. لقد تم انتخابي لأحطم زعماء العمال. . . .» ويُعْطَى عملاً في لجنة التربية والعمل. ويَتَبَنَّى لائحة تحدّ من قوة النقابات.

وبينما كان معظم القادمين الجدد يعينون في لجنة واحدة فقط، فإن نيكسون تمت تسميته لعضوية لجنة مجلس النواب، لمكافحة النشاط المعادي لأمريكا(*). وقيل عنه بأنه تصارع مع نفسه حول قبول التعيين في مثل هذه اللجنة المثيرة للخلاف والجدل، «وهو يذرع الغرفة جيئة وذهاباً، ويشعل سيجارة بعد أخرى، ويتحدث إلى السقف». وفي غضون شهر واحد من انضمامه إلى اللجنة، أصبح من نشطاء «هْوَاكْ» المتحمسين. وكانت خطبتُه البكرُ مطالبةً بتوجيه تهمة احتقار للكونغرس، إلى شيوعي ألماني كان ينشط في الولايات المتحدة، واسمه غير هارت إيسلر. وكان قد حكم عليه بالسجن سنة. ولكنه هرب إلى ألمانيا الشرقية أثناء كونه مطلق السراح بكفالة. وكان اسمه قد بهت في ذاكرة عامة الناس. ولكنه كان إحدى الشخصيات المتواجدة على محيط القضية التي أطلقت نيكسون إلى جوّ البروز الوطني على مدى البلاد كلها، قضية آلجر هِيسْ[1].

والقضية، كما هي معروفة لدى المولعين بمثل هذه المواضيع، واقعة

(*) يشار إليها في ما يلي باسمها المختصر «هْوَاكْ».

(1) كان إيزلر أحد اثنين: إمّا عميلاً سوفييتياً قيادياً في الولايات المتحدة، أو شخصية ذات منزلة منخفضة، فهذا يعتمد على المصدر الذي يثق به المرء أو يصدقه. وكانت زوجته السابقة، هيدي، وزوجها اللاحق بول ماسينغ، على علاقة بالتجسس السوفييتي. وقد أخبرتْ مكتب التحقيقات الاتحادي أنها كانت قد عرفت مورهيس كعميل شيوعي نشيط منذ منتصف الثلاثينيات. انظر الإشارات اللاحقة (كتاب **شهادة الزور**، ص 176 ـ .)

محورية بالغة الأهمية في تاريخ أمريكا القرن العشرين. ذلك أن أي شخص مُلِمّ بأولويات السياسة الحديثة، مطلع على عناصرها الأساسية. فقد كان هيس محامياً وسيماً في الثالثة والأربعين من عمره، وموظفاً في وزارة الخارجية في سنة 1948، عندما اتهمه ويتاكر تشيمبرز، الشيوعي العجوز العتيق الذي تحول إلى صحافي في مجلة **تايم**، بأنه لم يكن شيوعياً في السرّ في الثلاثينيات فحسب، بل وبأنه كان جاسوساً للسوفييت.

وزعم تشيمبرز أن هيس قد أخذ وثائق من وزارة الخارجية، وجعل زوجته تطبع نسخاً منها، ثمّ مرّرها كي تُنْقَلَ إلى السوفييت، ولدعم اتهاماته، أخرج تشيمبرز أوراقاً، مع مايكروفيلم ـ بعضها من يقطينة مجوّفة، ومن هنا جاءت تسميتها بأوراق اليقطينة ـ بدت كأنها دليل دامغ ضد هيس. وكان من بينها أربع وستون صفحة، يظهر أنها كانت مستنسخة من وثائق عتيقة عائدة لوزارة الخارجية منذ سنة 1938، على يد شخص يستخدم الآلة الكاتبة لآل هيس. وأكد تشيمبرز أنه بينما قام هيس بتمرير كثير من أمثال تلك الرزم إلى الروس، فقد احتفظ بتلك الأوراق كتأمين للمستقبل.

ونظراً لأن المهلة المحدّدة في القانون بالنسبة للقضية كانت قد انقضت، فإنه لم يعد ممكناً أن يُحاكَمَ هيس بتهمة التجسّس، فاتُّهِمَ بدلاً من ذلك بالتزوير، وبأنه قد كذب على هيئة المحلفين الكبرى، عندما أنكر معرفته لتشيمبرز في الوقت المحدّد في القضية، وبأنه قد زوّده بالوثائق. ورغم أن المحاكمة الأولى قد انتهت بتعليق قرار هيئة المحلفين الذي رفضه القاضي في سنة 1949، فقد دين هيس في محاكمة ثانية، فحُكِمَ عليه بالسجن خمسة أعوام، ولكنه ظل صلباً في التأكيد بأنه بريء. وظل يكافح لتبرئة اسمه حتى توفي سنة 1996، وهو في الثانية والتسعين.

وبالنسبة لليمين، كانت هذه القضية إثباتاً لفكرتهم القائلة، بأن الشيوعية المحلية خطر قوي يهدّد أمن البلد على يد العدو السوفييتي، وبالنسبة لليسار،

كانت تلك بداية الفترة التي أسماها أحد المؤرخين الرعب الأعظم، فقد اشتهرت بالحملة الرهيبة التي شنها السناتور جوزيف مكارثي، ضد الشيوعيين الأمريكيين حقيقيين كانوا أم متخيَّلين. وقد رسخت في قلب التكوين الفكري لليسار نظريةٌ آمن بها الملايين، أو تشكّكوا فيها على الأقل، بأن آلجر هيس كان ضحية مؤامرة شيطانية مدبّرة بإحكام.

وكان عضو الكونغرس الشاب ريتشارد نيكسون، هو رأس الرمح في ملاحقة هيس. فقد ظهر العنوان تلو العنوان في الصفحات الأولى، لبناء صورة نيكسون كرجل مبادئ مجاهد يبقى على طريق الملاحقة، بعد أن يستنتج الآخرون أنه لا يؤدي إلى أي شيء، وأنه الرجل الذي ظل يكافح بلا هوادة حتى تم إذلال هيس، وتحطيمه ورميه في السجن. وبدون هذه القضية، كان من الممكن أن يولد الكابوس المكارثيّ ميتاً، وأن يظل نيكسون ـ الذي جاءت له القضية بشهرة باقية ـ سياسياً مغموراً نسبياً، وكان أقل ما يمكن قوله إنه كان من غير المحتمل جداً، أن يتقدم من نائب مستجدّ في مجلس النواب إلى نائب للرئيس في غضون ستة أعوام فقط.

وبعد سجن هيس، ألقى نيكسون خطاب انتصار في مجلس النواب استغرق أربع ساعات، وأعطاه عنواناً هو: «درس للشعب الأمريكي»، وكان درساً ظل يعود إليه طوال حياته. فاختار القضية كفصل افتتاحي، باعتبارها الأزمة الأولى، في كتابه المعنون **ست أزمات**، والذي نشره في سنة 1962، فكان هو المديح الذي كاله لنفسه. وعندما أصبح رئيساً بعد عقد من الزمن، أصدر أمره إلى ستة على الأقل من كبار مساعديه في البيت الأبيض بأن يقرأوا الكتاب. وعندما قال هالدمان إنه قد قرأه، أمره نيكسون أن يقرأه ثانية. واستذكر هالدمان: «كم كان يعشق تلك القضية! فقد كان يقارن كل وضع صعب نواجهه، حتى ووترغيت، بطريقة معالجته لقضية هيس». وقيض لتشارلس كولسون أن يزعم أنه قرأ ذلك الكتاب أربع عشرة مرة. وقد أشار

نيكسون إلى القضية ثلاث مرات في حديث واحد مع جون دين، سنة 1973، أثناء فضيحة ووترغيت، فقال: «لقد أجريت ذلك التحقيق. . . وقد حطمنا ذلك الشيء بدون أية مساعدة».

ويثير دور نيكسون في قضية هيس مسائل عديدة. منها مسألة نادراً ما تعالج، وهي: لماذا ركز نيكسون بشكل يكاد يكون حصرياً على القضايا، التي تنطوي على قصص تجسّس ومخابرات، وبعد وقت قصير من دخوله مجلس النواب؟ إن هناك احتمالاً، مجرد احتمال، في أن الجواب يكمن في ماضيه البعيد.

فقبل عقد من الزمن من دخول مجلس النواب، كان نيكسون على وشك التخرج في كلية الحقوق، فذهب يتصيد عملاً في نيويورك. ومن بين المؤسّسات الحقوقية ذات النفوذ التي زارها، كانت هناك اثنتان فيهما شريكان، قُدِّر لهما أن يصلا إلى قمة المخابرات في الولايات المتحدة. فقد كان وليام («بيل المتوحش») دونوفان، الشريك المؤسّس في مؤسّسة دونوفان، وليجر ونيوتن ولو مبارد(*) من القياديين البارزين في الحزب الجمهوري. وقد ترأس في الحرب العالمية الثانية مكتبَ الدراسات الاستراتيجية، السلف السابق لوكالة المخابرات المركزية. وكان دونوفان يفضّل تجنيد أشخاص كالمصرفيين، والصناعيين، والمحامين للعمل في المخابرات. وقد التقى شخصياً مع نيكسون عندما تقدم بطلب وظيفة، ثم طلب منه فيما بعد أن يعود لمقابلة ثانية. ولكن نيكسون، على حدّ قوله، رفض هذه الفرصة.

وقال نيكسون فيما بعد إن «أعلى آماله» في رحلته تلك إلى نيويورك كان الفوز بمنصب في واحدة أخرى من مؤسّسات وول ستريت، هي مؤسّسة سوليفان وكرومويل. وقد ضمّت اللجنة التي قابلته هناك جون فوستر دالاس،

(*) صارت فيما بعد مؤسسة دونوفان، وليجر، ونيوتن، وإيرفين.

أحد كبار الشركاء ووزير الخارجية لاحقاً، في إدارة آيزنهاور ـ نيكسون. وليس واضحاً ما إذا كان شقيق دالاس الأصغر، آلان، من بين الحاضرين. وكان هو الآخر من المؤيدين الأقوياء للحزب الجمهوري وضابطاً سابقاً في المخابرات الخارجية طالما قدم «خدمات ذات طبيعة خاصة جداً» في مؤسّسة سوليفان وكرومويل على مدى سنوات، حسبما يصف كاتب سيرته. وأصبح من كبار منفذي عمليات مكتب الدراسات الاستراتيجية أثناء الحرب، ثم مديراً للمخابرات المركزية تحت حكم آيزنهاور.

وقد أثار ديفيد وايْزْ، الكاتب القديم في شؤون المخابرات، مسألة جولة نيكسون التالية في منطقة نيويورك، عندما تمّ نقله إلى الساحل الشرقي سنة 1945، وهو ضابط في البحرية عائد إلى وطنه من المحيط الهادي. فحسب رواية نيكسون، فإنه أمضى ذلك الوقت يضع اللمسات الأخيرة على عقود بحرية، واستذكرت زوجته ذهابه إلى «مكتب علوم الطيران». وعندما لاحظ وايز عدم وجود إشارة إلى تلك الفترة في المسودات الأولية لسيرة نيكسون الذاتية، أعتقد أن هناك «شيئاً من الغموض».

فإن كان هناك مثل هذا اللغز الغامض حقاً، فإن كاتباً آخر في شؤون المخابرات يعتقد أنه وجد حلاً له. ذلك أن جون لوفتوس، المدعي العام السابق لدى وحدة وزارة العدل التي حقّقت في جرائم الحرب النازية، يزعم أن إحدى المهام التي أوكلت لنيكسون في ذلك الوقت كانت تنطوي على مراجعة الوثائق النازية التي تم ضبطها. ويستشهد لوفتوس بمقابلات مع ضباط مخابرات متقاعدين عمل واحدٌ منهم على الأقل في المجال نفسه مع نيكسون، فيقدم اقتراحاً مفزعاً، فيكتب قائلاً: «إن آلان دالاس. . . أمر نيكسون أن يكتم ما شاهده في تلك الوثائق، ورتب ـ في المقابل ـ أمر تمويل أول حملة انتخابية لإدخال الشاب إلى الكونغرس، ضدّ جيري فورهيس»[2].

(2) حسب رواية لوفتوس، فإن الادعاء جاء في مقابلات مع موظفين سابقين في المخابرات العسكرية =

فما الذي يحتمل أن آلان دالاس أراد من نيكسون كتمانه؟ حسب بعض الروايات التاريخية، كانت للأخوين دالاس علاقات مع النازيين تعود إلى عقود عمل تجارية من أيام ما قبل الحرب ويزعم لوفتوس، الذي توصل إلى الاطلاع على السجلات المعاصرة، أن آلان دالاس أبقى على تلك العلاقات حتى أثناء الحرب وأن الدليل على تلك العلاقات موجود في الوثائق النازية المضبوطة والتي لا تزال سرّيّةً حتى اليوم[3].

وكان آلن دالاس قد عاد إلى الولايات المتحدة بعد انتهاء خدمته في الحرب في أواخر خريف سنة 1945، في الفترة نفسها التي قَبِلَ فيها نيكسون ترشيح نفسه لانتخابات الكونغرس ضدّ فورهيس. وفي ذلك الوقت قال فورهيس إنه اكتشف أن شخصاً غامضاً «يمثّل بيتاً مالياً كبيراً في نيويورك» قد سافر إلى كاليفورنيا للحثّ على إسقاطه. وليتذكر القارئ الرواية المباشرة لموظف تنفيذيّ في غلادينغ مكبين، الشركة التي فرضت ضريبة على موظفيها كي يدفعوا لنيكسون الأموال التي طلبها، زيادة على راتبه من الكونغرس، إذا أريد له أن يخدم كنائبٍ لهم في المجلس[*]. وقد قدر لأحد أعضاء مجلس إدارة الشركة، وهو هيرمان فليجر، أن يخدم آلان دالاس كمستشار قانوني لوكالة المخابرات المركزية.

ومهما كان أصل علاقة الأخوين دالاس بنيكسون، فقد قدر لهما أن يكونا

= وجهاز مكافحة التجسس في الولايات المتحدة. كما أنه يستشهد بمقابلات مع موظفي وحدة الخدمات الاستراتيجية، ومجموعة المخابرات المركزية، ومكتب تنسيق السياسة. (جون لوفتوس ومارك آرونز، **الحرب السرية ضد اليهود** (نيويورك: مطبعة سانت مارتن، 1994)، ص 221، 557؛ مقابلات، جون لوفتوس.)

(3) يبدو أن سيرة حياة آلن دالاس التي كتبها بيتر غروس، ونشرها في عام 1994 الذي شهد طبع كتاب لوفتوس وآرونز، ترفض الإشارات التي توحي بأن آلن دالاس كان أقل من شريف في علاقاته مع الألمان الذين اتصل بهم (غروس، مصدر سبق ذكره، ص 264 ـ ، وانظر الإشارات في تاونسند هوبس، **الشيطان وجون فوستر دالاس** (بوسطن: ليتل، براون، 1973)

(*) انظر صفحة 108.

حلفاءه على المدى البعيد. ورغم أنهما كانا نتاج الجامعات الراقية ذات النفوذ في شرقي الولايات المتحدة، من النخبة التي كان نيكسون يستهجنها، فقد كانا يتقاسمان معه وجهة النظر العالمية نفسها، وأصبحا صديقين له ومرافقين على موائد العشاء بشكل منتظم. وكان آلان قد صادق نيكسون سنة 1947، عندما كانا في أوروبا في بعثة لتقصي الحقائق بعد الحرب، وهي واحدة من رحلات عديدة كان دالاس يستخدمها لتغذية اتصالاته، والقيام بعمليات «تجنيد هادئة». وقد التقى نيكسون بالأخوين في العام التالي، في أوائل حملته للإيقاع بآلجر هيس كخائن[4].

ولم يقم أحد بأي سبر استقصائي يذكر، لعلاقة قضية هيس بمكتب الدراسات الاستراتيجية، وخليفته وكالة المخابرات المركزية، والتي قيل إنها تشمل وليام دونوفان، وآلان دالاس كليهما. والواقع أن مركز الدراسات الاستراتيجية، كان لديه سبب للاهتمام بهيس. فمن سخريات القدر أنه كان في مرحلةٍ ما، على رأس قائمة المرشحين لمنصب المستشار العام لذلك المكتب[5]. غير أن دونوفان قام في سنة 1945 ـ عندما كان يبدو أن من الممكن أن يصبح هيس أول أمين عام للأمم المتحدة ـ بتحذير وزارة الخارجية من أن مصادر في مكتب الدراسات الاستراتيجية، تتهم هيس بالخيانة.

وفي تموز / يوليو 1948، قبل أيام من بدء «هواك» لتحقيقاتها في قضية هيس، ضَمِنَتْ وكالةُ المخابراتِ المركزيةُ الوليدةُ، إيصالَ معلوماتٍ داخليةٍ إلى

---

(4) بصحبة النائب تشارلس كيرستين، زميل نيكسون في لجنة النشاط المعادي لأمريكا التابعة لمجلس النواب، التقى نيكسون الأخوين دالاس لمناقشة قضية هيس في فندق روزفلت بنيويورك في 11 آب/ أغسطس عام 1948. وكان فوستر قد أيّد هيس في السابق، ولكنه شهد لمصلحة الحكومة فيما بعد في المحكمة. انظر أيضاً الحاشية 10 أدناه (آلان وينشتاين، مقالة في مجلة **إسكواير**، تشرين الثاني/ نوفمبر 1975؛ وروجر موريس، ص 414).

(5) كان ويتاكر تشيمبرز بدوره قد اشتغل بعمل في الحرب لمصلحة مكتب المخابرات البحرية **ملاحظات من العالم السفلي: رسائل ويتاكر تشيمبرز ـ رالف دي توليدانو: 1948 ـ 1960**، تحرير رالف دي توليدانو (واشنطن، مقاطعة كولومبيا: مطبعة ريجنسي، 1997)، ص 18).

نيكسون، أصغرِ عضوٍ في تلك اللجنة. وقد تم إيصال تلك المعلومات عن طريق توماس ديوي، المرشح الجمهوري للانتخابات الرئاسية في ذلك العام، وكان فحواها أن هيس شيوعيٌّ بالفعل.

وفي الشهر التالي، بينما كانت «هواك» تتعثر في مواجهة إنكار هيس لاتهاماتها، تلقى نيكسون تأكيداً بأن هيس كان يعرف تشيمبرز حقاً. وقد جاء ذلك التأكيد ـ حسب رواية مصادر وكالة المخابرات المركزية ـ من آلان دالاس[6]. وفي ذلك الحين، كان دالاس، الذي اصطدم مع هيس قبل سنوات[7]، على علاقة وثيقة برئيسه السابق دونوفان، وكان من المحتمل تماماً أن يكون مطلعاً على أي شيء، قد يكون مكتب الدراسات قد علمه عن هيس.

وتلقى نيكسون عوناً كذلك من الحارس المحلي لأمن الولايات المتحدة، أي مكتب التحقيقات الاتحادي. ومرة أخرى، فإن أصل هذه العلاقة بدوره لغز من الألغاز.

في سنة 1937، في غضون أسابيع من بحث نيكسون عن عمل كمحامٍ في نيويورك، كان قد قدم طلباً للانضمام إلى مكتب التحقيقات الاتحادي. فَملأ الاستمارات، وقدم قائمة بالناس الذين يزكونه ـ وقد شملت رئيس شرطة

---

(6) حسب رواية الصحافي هوارد كوهن، نقلاً عن مصادر وكالة المخابرات المركزية، فإن دالاس قد أعطى نيكسون هذا التأكيد في اجتماعهما بنيويورك في 11 آب / أغسطس 1948 (انظر الحاشية 4 أعلاه). وقد صار ذلك الاجتماع معروفاً للجميع منذ زمن طويل. ولكن نيكسون قد وصفه بأنه كان مقتصراً على عرض الحقائق المعروفة فقط وإقناع الأخوين دالاس بأن هيس كاذب. غير أن من المعقول تماماً أن آلن دالاس كان يعرف معلومات سرية خاصة عن هيس وأنه تقاسمها مع نيكسون (مقال هوارد كوهن في مجلة **رولنغ ستونز** في 2 أيار / مايو 1983؛ وفي مذكرات نيكسون، ص 57.) وكان كوهن من الكتاب المحررين للمجلة المذكورة، ورئيس مكتب في مركز التقارير التحقيقية. وقد ألف الكتاب المعنون **من قتل كاترين سيلكوود؟** الذي فضح الممارسات غير السليمة في مصنع الوقود النووي الذي كانت تشتغل فيه سيلكوود، والذي صار أساساً لفلم عنوانه **سيلكوود**.

(7) كان دالاس وهيس قد التقيا في ثلاثينيّات القرن العشرين، عندما كان هيس عضواً في لجنة تابعة للكونغرس. واتهمه دالاس بخيانة الأمانة بالكشف عن أوراق خصوصية لوزير الخارجية الأسبق روبرت لانسينغ كان دالاس مسؤولاً عنها. (غروز، مصدر سبق ذكره، ص 297 والحاشية).

ويتيير، غاي وِلْش، والد حبيبته السابقة أُولاَ ـ ودعم طلبه برسالة شخصيةٍ إلى هوفر من عميد كلية الحقوق بجامعة ديوك. ويشير ملف نيكسون الباقي في مكتب التحقيقات الاتحادية أن نتيجته في عملية المقابلة كانت جيدة. وتمت التوصية باستخدامه، ثمّ أُسْقِطَ طلبُه.

فهناك ملاحظة مكتوبة بخط اليد في ملف نيكسون نَصُّها: «غير مؤهل». وقد قام أقرب معاوني هوفر، كلايد تولسون بإلغاء تعيين نيكسون، الذي كان قد أُرْسِلَ إلى وزارة العدل للحصول على موافقتها. وبعد سنوات عديدة، شعر هوفر بالحرج من كونه قد رفض شخصاً صار في المستقبل زعيماً للولايات المتحدة، فقام مع مساعديه بتلفيق تفسيراتٍ شتى لذلك الرفض: منها أن نيكسون لم يكن مناسباً لأنه كان يمارس المحاماة بالفعل (لم يكن ذلك صحيحاً)، وأن عوامل تتعلق بالميزانية قد حالت دون توظيفه.

وقال اثنان من مساعدي مكتب التحقيقات الاتحادي، أحدهما وليام سوليفان، الذي صار فيما بعد رئيساً للمخابرات المحلية، إن طلب نيكسون قد تم استبعاده لأنه قد حُكِمَ عليه بأنه «تنقصه الروح الاقتحامية»، وهذه صفةٌ تجري على عكس الملاحظات الواردة في ملف مكتب التحقيقات الاتحادي. وتقول رواية أخرى إن المشكلة كانت تقريراً أعدّه جون فينسينت، العميل المسؤول في شارلوت بولاية نورث كارولاينا، حيث فرع مكتب التحقيقات الاتحادي المسؤول عن المنطقة، التي تضم كلية حقوق جامعة ديوك. فقبل سنة واحدة فقط (أي في سنة 1936)، كان نيكسون قد اقتحم مكتب العميد. ولعل مستقصي الحقائق التابعين لهوفر قد اكتشفوا أيضاً أن نيكسون، كان معتقلاً لفترة وجيزة في أعقاب بعض مشاغبات الطلبة في كلية وِيتِّير، رغم تأكيده في طلبه أنه لم يُعْتَقَلْ من قبلُ على الإطلاق[8]. وحقّق المكتب أيضاً في زعم نيكسون

(8) لم يظهر دور نيكسون في ذلك الاقتحام إلى العلن إلاّ بعد سنوات كثيرة. وليس أقل ما في ذلك أنه كان ينطوي على شركاء. غير أن من المحتمل جداً أنه كان معروفاً في صفوف مروجي الشائعات في =

أنه قد عمل أثناء العطلات «مديراً» لمحطة بنزين ريتشفيلد المجاورة لبقالية والده. فاتضح أن ممثلاً للشركة المذكورة قال «إن نيكسون قام بأعمال قليلة ومتفرقة لخدمته من حين لآخر». ولم تكن تلك آخر مرة يُضْبَطُ فيها نيكسون متلبساً بِثَنْيِ عنق الحقيقة[9].

ففي سنة 1947، عندما وصل إلى واشنطن، كانت بين يدي هوفر كل الحقائق في ملف النائب الجديد، إذْ أن موظفيه كانوا يقدمون له خلاصات وافية، ومفصّلة عن جميع أعضاء الكونغرس الجدد بطريقة دورية روتينية منتظمة. ويبدو أن ما عرفه هوفر عن نيكسون لم يكن فيه شيء أزعجه. وأثناء مثول هوفر أمام «هْوَاكْ» في تلك السنة، عندما وجه إليه نيكسون عدة أسئلة، مال محام مرافق لهوفر على أذنه ليقدم له معلومةً، قائلاً إن نيكسون قد استخدم حيلاً قذرة للتغلب على فورهيس في الانتخابات التي جرت قبل ذلك بوقت قصير (سنة 1946)، فأجابه هوفر: «أعرف هذا كله، ولكن يبدو لي أنه سيكون رجلاً صالحاً لنا».

كان نيكسون قد التقى بهوفر في تلك السنة (1947). وبعد بداية انطوت على سوء تفاهم[10]، بدأت علاقة تعاون طويلة بينهما. وبعد ذلك بخمس

= كلية الحقوق. وبينما لا يوجد أي شيء عنه في ملفات مكتب التحقيقات الاتحادي الباقية، فإنه بالضبط من نوع الأنشطة التي كان من الممكن أن ينقض عليها عملاء المكتب المشتغلون «بالتحقيق في الشخصيات» لو أنهم علموا بها من معاصريهم في ذلك الحين.

(9) استأجر و. ق. ديتريتش محطة غاز والد نيكسون. وقام فيما بعد بإدارة محطة أخرى لشركة ريتشفيلد أويل. وسيكون من المثير للاهتمام أن يعلم المرء إن كان هذا الشخص هو ويل ديتريتش، المساعد المقرب لهوارد هيوز، الذي قدر له أن يرتب قرض هيوز السيِّئ الصيت عندما كان نيكسون نائباً للرئيس. وحسب رواية دون، ابن أخي نيكسون، فإن علاقة العائلة بهيوز تعود إلى ما قبل ذلك بأعوام كثيرة. (تقرير غ. ج. عن ريتشارد نيكسون في 3 آب / أغسطس 1937، ص 60؛ في ملف مكتب التحقيقات الاتحادي رقم 67 ـ 102459؛ ونوح ديتريتش وبوب توماس، **هوارد، السيد هيوز المذهل** غرينويتش، كونّيكتيكوت: مطبعة فوسيت، 1972)، ص 26؛ مقابلة مع دون نيكسون).

(10) قدم عملاء سابقون تقريراً لهوفر بأن نيكسون قد تكلم على نحو متراوح كأنّه كان يريد إحراج هوفر وامتداحه، مما جعل هوفر يخربش على أحد التقارير: «إن هذا الشخص نيكسون ينفخ نفخات حامية ونفخات باردة» (رسالة من لاد إلى هوفر في 9 كانون الأول / ديسمبر 1948. ملف هيس في مكتب التحقيقات الاتحادي في غرفة القراءة بالمكتب.)

سنوات، عندما رشح نيكسون لمنصب نائب الرئيس، استضاف هوفر، المفروض أنه غير مهتم بالسياسة، اجتماعاً لجمع الأموال الصالحة. وقد شوهد الرجلان معاً في ميادين السباق ومباريات البيسبول. وقدم هوفر لنيكسون أيضاً معلومات سرّيّة سلبيَّة عن ساسة آخرين. وبعد أن كسحت انتخاباتُ سنة 1960، نيكسون إلى القفر الموحش، كان هوفر من الضيوف المتعاطفين الذين يستقبلهم نيكسون في بيته.

ومثل عدد كبير من الآخرين، كان نيكسون يخشى ما يمكن أن يكون في حوزة المدير من معلومات ضارّة عنه. وبلغ من خشيته أنه لم يجرؤ على فصل هوفر من عمله، رغم إصابته بالخَرَف عندما كان نيكسون رئيساً. وقال عنه بأسىً عندما مات بينما كانت ووترغيت تجرّ نيكسون نحو السقوط المخزي: «لقد كان هوفر صديقي الحميم».

في سنة 1948 كان لدى ذلك «الصديق الحميم»، حافز لتشجيع قيام عضو الكونغرس الجديد بملاحقة آلجر هيس. فقد كان يشعر بالإحباط لما اعتبره عجزاً لإدارة ترومان عن مكافحة الشيوعية المحلية، وكان يريد مبرراً لإثبات صحة عمل مكتب التحقيقات الاتحادي ضد المخربين. لقد كان، مثل دالاس، ملتزماً برؤية ترومان مندحراً في الانتخابات الرئاسية.

وبالطبع، فاجأ ترومان الجميع بالتغلب على توماس دبوي في تشرين الثاني / نوفمبر من تلك السنة. وبعد ذلك بسنوات، أصرّ ترومان على أنه كان يعرف الغرض الكامن في قضية هيس على حقيقته، فقال: «إن ما كانت كل تلك الطيور تحاول أن تفعله هو النيل من الديمقراطيين لقد كانوا يحاولون إخراجي من البيت الأبيض. وكانوا مستعدين للذهاب إلى أبعد مدى لتحقيق ذلك. . . بل لقد فعلوا حقاً كل شيء استطاعوا التفكير فيه، بكل تلك الحملة من المطاردات والملاحقات. . . ولم يسبق للدستور أن تعرض لمثل ذلك الخطر من قبل. . .».

وقد أثبتت مساعدة هوفر لنيكسون في قضية هيس أنها كانت بالغة الأهمية. فعلى الرغم من أن الشائعات عن هيس كانت متداولة منذ سنة 1939[11]، فإن مكتب التحقيقات الاتحادي لم يتخذ أي إجراء إلاً في سنة 1941، عندما ظهر اسمه في قائمة من الشيوعيين المزعومين. فبدأ المكتب المذكور يعترض طريق بريده ويراقبه في تلك السنة. وبعد ذلك ببضعة أشهر ادعى تشيمبرز بأن هيس شيوعي في مقابلة مع وكلاء مكتب التحقيقات الاتحادي.

وبحلول سنة 1945، كان تدفق الادعاءات قد تزايد. فقد قام هارب سوفييتي من كاتبي الشيفرة إلى كندا، بوصف جاسوس في وزارة الخارجية بطريقة أشارت مباشرة إلى هيس. وكانت جاسوسة شيوعية سابقة اسمها آليزابيث بينتلي، قد أشارت هي الأخرى بإصبع الاتهام إلى هيس. وتولى تشيمبرز إبلاغ ضابط أمن في وزارة الخارجية، بأن هيس كان «واحداً من أعلى القياديين في التنظيم السرّيّ». وكان هيس من الشخصيات الصغيرة في الوزارة عندما بدأت الشائعات. ولكن عندما انتهت الحرب، كان قد صعد حتى صار من المساعدين المقربين لوزير الخارجية، ومستشاراً للرئيس روزفلت في مؤتمر

---

(11) في أيلول / سبتمبر 1939، وبالضبط عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية قام تشيمبرز، في أعقاب هربه من الحزب الشيوعي، برواية قصته لأدولف ببيرل، المستشار الأمني للرئيس روزفلت. فذكر هيس وزوجته وأخاه على أنهم منتسبون إلى مجموعة من الشيوعيين الأمريكيين. وقد أُعْلِم روزفلت بهذه الادعاءات أثناء مباراة كروكيت، فقيل إنه رفضها واعتبرها محاولة أخرى لتشويه سمعة البرنامج الجديد [برنامج تشريعي وإداري كان قد وضعه لتحقيق الإنعاش الاقتصادي والإصلاح الاجتماعي بعد زلزال الكساد الكبير في مطلع الثلاثينيات] وقال إن على بيرل أن «يطرد تشيمبرز شر طردة». وبعد ذلك بوقت قصير، في أوائل أيام الحرب قال السفير الأمريكي في فرنسا، نقلاً عن رئيس الوزراء الفرنسي والمخابرات الفرنسية إن هيس إمّا شيوعي أو زميل له في الترحال. (بيرل: **الملاحة في الشلالات [مذكرات آدولف بيرل]**، تحرير بياتريس بيرل وترافيس جاكوبس (نيويورك: هاركورت بريس جوفانوفيتش، 1973)، ص 24، 582، 598؛ **وشهادة الزور**، ص 291 ـ ؛ روزفلت: روجر موريس، ص 388؛ ولكن انظر كتاب رالف دي توليدانو المعنون **جون إدغار هوفر، الرجل وزمانه** (نيويورك) مانور، 1974، ص 222؛ المخابرات الفرنسية، **شهادة الزور**، ص 311؛ وليفيت، مصدر سبق ذكره، ص 267.)

يالطا مع ستالين وتشرشل، وأميناً عاماً للمؤتمر التأسيسي لهيئة الأمم المتحدة. فالمزاعم بأن صاحب شخصية في مثل هذا المنصب الرفيع هو شيوعي، كان يتعين أخذها على محمل الجدّ.

وفي أواخر سنة 1945، كان مكتب التحقيقات الاتحادي قد شرع في ملاحقة هيس أينما ذهب، بالإضافة إلى مراقبة هاتفه، واستئناف اعتراض رسائله. وأخيراً تم إخراج هيس من وزارة الخارجية، ولكن ليس بسرعة كافية لتحقيق أغراض هوفر. وفي سنة 1946 بدأ مدير مكتب التحقيقات الاتحادي بتنظيم سلسلة من التسريبات إلى أصدقاء المكتب، مثل بعض الصحافيين البارزين المتصلين به، وأعضاء الكونغرس، ومن بينهم ريتشارد نيكسون.

وقد زعم نيكسون فيما بعد، أن أول مرة سمع فيها بِهِيسْ كانت في شهر آب / أغسطس سنة 1948، عندما أدلى ويتاكار تشيمبرز بشهادته أمام لجنة مكافحة الأنشطة المعادية لأمريكا. وأصرّ نيكسون على أن «مكتب التحقيقات الاتحادي لم يلعب أيّ دور في قضية هيس على الإطلاق. . .».

إلاَّ أن الحقائق توحي بشيء آخر. ففي غضون شهر من تسلّم نيكسون لمنصبه، رافق زميلاً له في الكونغرس إلى اجتماع مع الأب جون كرونين، وهو قسّيس كاثوليكي عمل مخبراً عن الشيوعيين، بينما كان يشتغل مع اتحادات نقابات العمال أثناء الحرب. وكان المكتب يستخدمه آنئذٍ كقناة لبثّ التسريبات المتعمدة. وفي تقرير مُعَدٍّ إلى هيئة الكهنوت الكاثوليكية، قام كرونين ـ استناداً إلى ما أخبره به مكتب التحقيقات الاتحادي ـ بتسمية هيس على أنه أكبر الشيوعيين نفوذاً وتأثيراً في وزارة الخارجية. واستذكر فيما بعد أنه قد عرض التقرير على نيكسون وناقش معه قضية هيس، وزعم أن «نيكسون إنما كان يلعب بمجموعة من ورق اللعب مرتبةٍ للغش سلفاً في قضية هيس»[12].

(12) في سيرة حياة نيكسون التي نشرها جوناثان إيتكين سنة 1993، زعم أن نيكسون أنكر أن يكون قد ناقش قضية هيس مع كرونين أو أن يكون قد تلقى معلومات من مكتب التحقيقات الاتحادي إلاَّ =

وقال كرونين إنه ما إن بدأت «هواك» تحقيقها في قضية هيس، حتى «تم تسليم المادة الحقيقية الهامة لي ـ آه بصورة غير رسمية. . . على أيدي أصدقائي في مكتب التحقيقات الاتحادي»، وكان أحد أولئك الأصدقاء، العميل إدْ هومَّر، يقدم تقارير يومية عن تقدم سير التحقيق الذي يقوم به المكتب. وقال كرونين: «إن هومر كان يخبرني بما تم اكتشافه. . . فكنت بدوري أنقل ذلك إلى دِكْ، وبذلك كان يعرف أين يبحث عن الأشياء، وما الذي سيعثر عليه». وعندما صار استقصاء «هواك» جاداً وخطيراً، كانت أذن نيكسون على سماعة الهاتف في الهزيع الأخير من الليل، متحدثاً مع واحدٍ من أعلى مساعدي هوفر، وهو لويس نيكولز، ثم كان يلتقي في غرفته مع العملاء السابقين لمكتب التحقيقات الاتحادي.

وكان أحد محقّقي «هواك» الأساسيين في قضية هيس، هو العميل السابق لو راسل، الذي تقول إحدى الروايات أنه كان المحقّقَ الأوليَّ في اهتمام اللجنة بويتاكار تشيمبرز. وقد أمضى راسل وقتاً طويلاً جداً مع نيكسون، فكان يسافر

= **بعد** منتصف آب / أغسطس سنة 1948. وزعم إيتكين أيضاً أن كرونين قد اعترف في مقابلة سنة 1990 أن نيكسون كان على حق وأن ملاحظته الخاصة «بورق لعبة المكدس» كانت غير منصفة. أكان كرونين قادراً على إبداء مثل هذه الملاحظة سنة 1990؟ ففي كانون الثاني / يناير 1991، عندما طُلِب من كرونين إجراء مقابلة كان في مجلس للعجزة، وأطرش، ومقعداً في كرسي ذي عجلات، وعاجزاً عن إجراء أي محادثة مقنعة. وبالإضافة إلى ذلك فإن كرونين قال سنة 1959 ـ وفي مقابلات لاحقة ـ إنه كان قد ناقش هيس مع نيكسون في وقت مبكر، في شباط / فبراير 1947. وقيل إن ملف كرونين لدى مكتب التحقيقات الاتحادي، الذي أفرج عنه سنة 1999 يبيِّن أن المدير هوفر كان قلقاً في سنة 1946 لأن كرونين «يثرثر أكثر من اللازم». ولعله كان يناسب المكتب أن يغذيه بالمعلومات لأنه ـ بالضبط ـ كان ثرثاراً. ومن المؤكد أنه كان على علاقة مستمرة بالمكتب (زعم إيتكين: جوناثان إيتكين، ص 155 وانظر غيلمان، مصدر سبق ذكره، ص 234؛ وبارميت، **نيكسون**، مصدر سبق ذكره، ص 166 ـ ؛ طلب المقابلة سنة 1991؛ زيارة كرونين من قبل روبن سوان من أجل هذا المؤلف، في 10 كانون الثاني / يناير 1999؛ ومقابلة سنة 1959، كرونين في كورنيتزر، مصدر سبق ذكره، ص 172 وانظر مازو، مصدر سبق ذكره، ص 51؛ والمقابلات اللاحقة: نص لوينثال أعلاه، ص 39 وما يليها؛ ومجلة **إسكواير** عن شهر تشرين الثاني / نوفمبر 1975؛ وملف مكتب التحقيقات الاتحادي في حولية **نيو إنغلاند جورنال أوف هستوري**، المجلد 56 (شتاء 1999 / ربيع 2000)، ص 24).

معه، ويبقى على اتصال به بالهاتف خارج أوقات العمل؛ وكان يبلغ هوفر بأفكار نيكسون أولاً بأول. وكان راسل ديمقراطياً، ولكنه ـ كما كان يقال ـ كان يستخدم كلمة «ليبرالي» وكأنها مرادفة لعبارة «أصولي متشدّد». ولكنه كان أولاً وقبل كل شيء موظّف تنفيذ عملي، قُيِّضَ له أن يطلّ برأسه مرة أخرى في قصة حياة نيكسون المطويّة الآخذة في الانتشار. فبعد عقدين من الزمن من ذلك التاريخ، سيكون هو الشخص الغامض على مسرح الأحداث، في واقعة اقتحام مبنى ووترغيت.



8

إنهم يحاولون أن يثبتوا... أن حياتي العملية
كلها قد بُنِيَت على الاحتيال

ريتشارد نيكسون، سنة 1992
معلقاً على تقرير بأن السجلات السوفييتية المحفوظة
تُظْهِرُ أن آلجر هيس كان بريئاً

«أنا خرِّيج كلية الحقوق في هارفارد» ـ هكذا قال الشاهد ذو اللطف والكياسة، ثم ـ بعد فترة صمت ـ طرح سؤالاً: «وأعتقد أن كليتك كانت وِيتْيِيرْ؟» وبهذه الطريقة قام آلجر هيس بإثارة ذكية وخبيثة لعصبية نيكسون، إزاء نخبة الجامعيين الشرقيين، في أول مقابلة بين الرجلين، أمام لجنة مكافحة النشاط المعادي لأمريكا. واستذكر المحقّق الرئيسي في اللجنة المذكورة، روبرت ستريبلينغ، أن ذلك الأسلوب قد «مزّق نيكسون بِدَداً. وأدركت من اللحظة الأولى أنه لم يستطع أن يطيق هيس أبداً».

أمّا هيس نفسه فقد كانت نظرته هادئة موضوعية إلى الرجل، الذي حطم حياته العملية وألقى به في غياهب السجن في آخر الأمر. فقال بعد ذلك بأعوام: «كنت أعتبر نيكسون دائماً سياسياً انتهازياً. . . وكنت أعرف عن الساسة ما يكفي لجعلي أعلم، ما الذي تدفع الطموحاتُ السياسيةُ الناسَ إلى عمله».

ولقد تشكّك ستريبلينغ، هو الآخر، في دوافع نيكسون، فقال: «كان نيكسون مستعداً تماماً لهيس. . . فكانت المسألة شخصية. فلم يكن يهتم بكون هيس [شيوعياً]، أكثر من اهتمام أي تيس ماعز بذلك»، وكان لدى ستريبلينغ

في باديء الأمر انطباع بأن نيكسون هاديء الطبع، ولكنه سرعان ما رأى جانبه غير المعتدل: «لقد دهشت ذات يوم، وأنا جالس في مكتبه... فقال لي: (هيس، ابن الخبيثة يكذب... يكذب، يكذب، يكذب!) واستذكر ستريبلينغ كيف كان نيكسون يدقّ المائدة بيده أثناء ذلك الانفجار، فقال إن المسألة كانت «كما تعلم، أكثر من مجرد شخصٍ يقول: (أنا لا أصدق ذلك الشخص)، بل لقد كان **يتفجّر غضباً**. وبالطبع لَم أكن أعرف عندئذٍ أنه كان يتلقى معلومات [عن هيس]».

فقد سعى نيكسون بجد ومثابرة لمصادقة ويتاكار تشيمبرز في وقت مبكر من عملية التحقيق، فشرع يكرّر رحلاته إلى مسقط رأس تشيمبرز في ريف ميريلاند. وأقلقت هيس قصةٌ إخباريةٌ تصف إحدى تلك الزيارات، فسأل نيكسون عنها أثناء إحدى الجلسات التنفيذية لـ «هواك». وعندما أخطأ هيس خطأً صغيراً بسؤال نيكسون، عمّا إذا كان صحيحاً أنه أمضى عطلة نهاية الأسبوع في تشيمرز في **نيوجيرسي** - وهي شيء متميز عن ميريلاند - أنكر نيكسون ذلك.

وأوضح نيكسون أنه شكّ في إنكار هيس حتى معرفته لتشيمبرز، تحوّل نيكسون إلى مخبر سرّيّ يبحث عن أدلة دامغة بأن الرجلين كانا شريكين حقاً. فقد كان تشيمبرز يعرف تفاصيل لا تحصى عن هيس وحياته العائلية. بل يمكن للمرء أن يضيف اليوم أن تلك التفاصيل كانت أكثر مما يستطيع عملاء مكتب التحقيقات الاتحادي إثباته له، وهم مسلّحون بثمرات استطلاع المكتب لهيس. وفي خاتمة المطاف، وفي مقابلة مع تشيمبرز تولى إدارتها نيكسون ولو راسل، اعترف هيس بأنه كان قد عرف تشيمبرز، ولكن تحت اسمٍ آخر[1].

---

(1) قال هيس إنه تعرّف على تشيمبرز باعتباره الرجل الذي كان يستعمل اسم جورج كروسلي في الوقت الذي كان يعرفه. وفي كتاب **ست أزمات** كتب نيكسون: «في تاريخ القضية كله... لم يُعْثَرْ على أحد يستطيع أن يتذكر جورج كروسلي سوى بريسيلا هيس» [زوجة آلجر هيس] فكان المغزى أن هيس قد كذب واخترع ذلك الاسم. والواقع أن تشيمبرز قال إن آل هيس لم يعرفوا اسمه الأخير أبداً، كما لم يسمعوا باسم ويتاكر تشيمبرز. غير أنه قد استخدم أسماء مستعارة، واعترف بأنه «ربما» يكون =

وادعى هيس أنه قد صادق تشيمبرز فترةً قصيرةً فقط سنة 1935. ومع ذلك فقد قدم المأوى لتشيمبرز وزوجته، في منزله أولاً ثم في شقة مفروشة ـ وأعطاه سيارةً مستعملةً كهدية. كما أشارت الأدلة في ملفات وكيل عقاري أن الرجلين، قد تفاوضا معه في سنتي 1936 و1937، على شراء بيت ريفي ناءٍ هو البيت نفسه في الحالتين، وتلك حقيقة بَدَا مستبعداً أن تكون مصادفة.

إن معظم الناس المنطقيين العقلاء يستنتجون من الأدلة المتراكمة(2)، أن هيس قد عرف تشيمبرز، ولفترة أطول ممّا اعترف به، وأنه كان يتصل فعلاً باليساريين والشيوعيين قبل الحرب، فلم يكن في ذلك جريمة. فما الذي كان هيس يخفيه، إذن؟ هل هو كون علاقته مع تشيمبرز علاقة جاسوس يشتغل مع جاسوس زميل له؟ أم أن الأمر كان شيئاً أقل خطورة؟ سراً شخصياً محرجاً؟

بعد خمسة وعشرين سنة من قضية هيس، وفي حديث مع أحد كبار

= قد استخدم اسم جورج كروسلي. وقال أحد الشهود، وهو ناشر يدعى صاموئيل روث إن تشميبرز قد أعطاه أشعاراً لينشرها وطلب طبعها تحت اسم جورج كروسلي؛ (نيكسون، **ست أزمات**، مصدر سبق ذكره، ص 39؛ وليفيت، مصدر سبق ذكره، ص 17 ـ؛ وكتاب **شهادة الزور**، ص 126؛ ورُوث: المصدر السابق نفسه، ص 40 وما يليها).

(2) إن كتاب **شهادة الزور**، الذي ألفه آلن وينشتاين ونشره سنة 1978 وأعاد إصداره بنسخة محدّثة مستوفاة في سنة 1997 قد تم تلقيه على أنه أقوى تجميع للأدلة ضد هيس. وبينما أقنع الكتاب كثيراً من المتشككين السابقين بأن هيس كان مذنباً بجميع التهم التي وجهت إليه. فإن له منتقدين كثيرين. وقد ردّ ڤكتور نافاسكي، رئيس تحرير مجلة **نيشن** على طبع هذا الكتاب بالتدقيق في الكثير من مصادر مؤلفه وينشتاين. فقال أحدهم بأن تعليقاته في المقابلة قد شُوِّهَتْ. وقال آخر إن الاستشهاد بأقواله قد تم بإخراجها من سياقها. وبالإضافة إلى هذين الشخصين كان هناك اثنان آخران، وكلّهم أعطوا نافاسكي روايات تناقض ما زعم وينشتاين أنهم قد قالوه له. (بل إن سام كريغر، أحد الذين قوبلوا، قد أقام دعوى على وينشتاين وناشره، وكسب منهما تسوية؛ فَأُدْخِلَتْ قائمةٌ بالأخطاء في نسخ الكتاب اللاحقة). وعندما نشر نافاسكي مقالاً كبيراً ضمّنه ملاحظات مَنْ أُجْرِيَتْ معهم المقابلات، نشر وينشتاين رداً عليه في مجلة **النيوريبابليك**. وظلت الحرب الصحفية مندلعة بينهما منذ ذلك الحين. (مجلة **نيشن** 8 حزيران / يونيو 1978، و3 تشرين الثاني / نوڤمبر 1997؛ ومجلة **نيوزويك** 17 نيسان / إبريل 1978؛ ومجلة **نيوريبابليك**، 8 نيسان / إبريل 1978 وانظر طبعة سنة 1976 من كتاب وينشتاين **شهادة الزور** التي نشرتها راندوم هاوس، ومجلة **نيشن** 4 و11 كانون الثاني / يناير 1993 و3 تشرين الثاني / نوڤمبر 1997؛ وكذلك مجلة **كومنتري**، عدد نيسان / إبريل 1993).

رجالات الكونغرس على متن اليخت الرئاسي، قدر لنيكسون أن يكشف ما أسماه «القصة الحقيقية لقضية هيس» ـ وهو أن تشيمبرز وهيس كانا «شاذين جنسياً». وقد كرّر هذا الادعاء على أسماع آخرين.

وقد اعترف تشيمبرز، الذي كان متزوجاً وله أطفال، بإقامة علاقات شاذة مع أشخاص عديدين. وحسب رواية أحد هؤلاء، فإن تشيمبرز حاول ذات مرة أن يفرض نفسه على زميل له في البيت ذي الغرف المؤجرة الذي كانا يسكنان فيه. وقد أخبر تشيمبرز مكتبَ التحقيقات الاتحادي أن شذوذه الجنسي كان أعمق أسراره الداكنة المظلمة. وقد تصادفت مرحلةُ نشاطه الشذوذي بالضبط مع الفترة التي عرف فيها هيس وأسرَتَه، وحسب تقرير تلقاه المكتب المذكور، فقد كانت له علاقات مع ربيب هيس (ابن زوجته)، تيموثي الذي كان آنذاك في فترة مراهقته المبكرة[3]. وقال تشيمبرز لنيكسون، إن آخر مرة رأى فيها هيس كانت ذات مساء، عندما «أراده تيموثي أن يبيت معهم في تلك الليلة»، ولكن السيدة هيس اعترضت على ذلك، فغادر تشيمبرز البيت.

وأنكر أن يكون قد تورط جنسياً مع آلجر هيس، ولكنه أخبر نيكسون أنه كان «أقرب أصدقائه». وكشف عن ولعه بأشياء لها علاقة بهيس إلى حد يقرب من العبادة، فقد احتفظ ـ بعد انقضاء سنوات على انتهاء علاقتهما ـ بأشياء عديدة كانت تخص هيس وأسرته، وكانت تشمل كرسياً مجنحاً، وطاولة، وكرسياً مزدوجاً مكسوراً. وبعد أكثر من عشر سنوات، أخرج قطعة قماش مطوية بعناية، موضحاً أنها القطعة التي كانت تغطي الكرسيّ المجنّح. فقد نزعها، وأرسلها للتنظيف الجاف، ثم احتفظ بها بعناية.

وقد أكد هيس أن تشيمبرز قد ألبسه تهمة بسبب عدم استجابته لرغباته الجنسية العارمة. فقال إنه لم يقم بأية تحرشات شاذة، ولكن «موقفه منّي،

(3) في سنة 1945، عندما كان تيموثي في الثانية والعشرين طرد من الأسطول «بناء على أسباب عاطفية تتعلق بشذوذه الجنسي». وتزوج فيما بعد (**شهادة الزور**، ص 359، 482).

وعلاقاته، كانت غريبة. . . فقد كانت فيه نزعة عدائية إلى درجة الغيرة حول زوجتي. . . وأظن أنه كان لديه نوع من الارتباط الغرامي. . . بي». وربما كان هناك أساس عاطفي لموقف تشيمبرز تجاه هيس؛ ولعله انقلب إلى كراهية؛ ولكن حتى لو كان ذلك كذلك، فإنه لا يقدم شيئاً لتوضيح الدليل الدافع الذي ألقى هيس في السجن: وهو مخزون تشيمبرز من الوثائق والمايكروفيلم.

وقد أخرج تشيمبرز في اتهامه لهيس أول مفاجآته ـ نسخاً من وثائق وزارة الخارجيَّة، ظلت مخزونة في قائمة مِنْضَدَة، في تشرين الثاني / نوفمبر سنة 1948، وكان يلح حتى ذلك الحين بأنه رغم كون هيس زميلاً له كشيوعي، فلم يكن نشاطهما ينطوي على تجسّس، وعندما وصل خبر هذه المواد إلى «هواك»، في وقت كان فيه التحقيق مع هيس يبدو هاجعاً في السبات، كان رد فعل نيكسون غريباً. فبدلاً من أن يتحمس لما كان يبدو كشفاً كبيراً في القضية، بدا عصبياً ونَزَقاً. وعندما اقترح ستريبلينغ الذهاب بالسيارة لرؤية تشيمبرز، تحدث نيكسون بدلاً من ذلك عن المغادرة مع زوجته بات في اليوم التالي في جولة بحرية في المحيط.

وقال لستريبلينغ في أوائل كانون الأول / ديسمبر سنة 1948: «إنني مريض ومتعب جداً من هذه القضية اللعينة، ولا أريد سماع المزيد عنها. إنني ذاهب إلى بنما، ولتذهب القضية إلى الجحيم، وأنت معها، والمسألة اللعينة بأكملها!» وبعد ذلك بساعات، عندما وافق نيكسون بالفعل على الذهاب لرؤية تشيبمرز ثانية، أسرّ إليهما الشاهد أن لديه مفاجأة متفجرة ثانية، فبادر ستريبلينغ لسؤال نيكسون عما إذا كان ذلك سيجعله ـ بالتأكيد ـ يؤجّل خططه لرحلة إجازته؟ فأجاب نيكسون باقتضاب: «لا أعتقد أن لديه أي شيء لعين، وإنني ماضٍ في خططي) تماماً».

وغادر في جولته البحرية في صباح اليوم التالي، بعد أن طلب من ستريبلينغ بامتعاض أن يستدعي تشيمبرز من أجل أي وثائق ما تزال في حوزته.

وفي غضون أربع وعشرين ساعة، وأمام موظفي «هواك» الواقفين جانباً في ارتباك مذهول، أخرج تشيمبرز عدة لفائف مايكروفيلم من وثائق وزارة الخارجية من اليقطينة المجوفة الشهيرة. وأُعْلِمَ نيكسون بذلك في برقية إذاعية وهو على متن السفينة، فقرّر العودة إلى واشنطن على الفور. وقام بذلك بطريقة مسرحية، منتقلاً من سفينته إلى طائرة بحرية تابعة لخفر السواحل، ثم طار إلى فلوريدا ليستقبله حشد من المراسلين الصحفيين.

وأومضت العدسات لترسل إلى جميع أنحاء البلاد صورة عضو الكونغرس الشاب، طالعاً من الطائرة البحرية، وقد شفعت تلك الصورة بإعلانه (الذي أصدره حتى قبل أن يرى الأدلة الجديدة) بأن خِبْءَ تشيبمرْز «سوف يُثْبِتُ مرةً واحدةً وإلى الأبد أنه حيثما كان لديك شيوعي فإن لديك عميلاً للتجسّس». وعند عودته إلى واشنطن، وبعد نظرة خاطفة فقط على آخر المكتشفات، أعلن للصحافة أنها «دليلٌ حاسمٌ على أعظم مؤامرة خيانة في تاريخ الأمة... دليل لا يمكن إنكاره».

هناك عاملان قد يفسران سلوك نيكسون الغريب. ولعل الحقيقة تنطوي عليهما معاً. فحالة الهياج والإرهاق التي انتابته قبل رحلته، ربما كانت تعود جزئياً إلى رد فعله على الضغط المفرط وزواجه المعرَّض للتوتر. فقال إنه بعد عطلته الصيفية الملغاة، قد وعد بات بأنه لن يؤجل عطلة أخرى. وأكدت سكرتيرته أنه «كان مرهقاً إلى درجة أننا أقنعناه بأخذ إجازة».

غير أن هناك معلومات أخرى توحي بأن الإجازة المقطوعة، كانت في الحقيقة مشهداً مدبراً على نحو مسرحي. كان نيكسون قد اتصل هاتفياً، بواحد من أقرب مساعدي هوفر في وقت متأخر من الليلة التي سبقت مغادرته، كي يطلب من مكتب التحقيقات الاتحادي أن يبقى بعيداً عن التطور الجديد، إذ أنه سيعقد جلسة للنظر في الأمر خلال أسبوعين. وأخبر ستريبلينغ أنه سيعود بعد

عيد الميلاد، وحاول أيضاً أن يستنفر «هواك» لتعليق نشاطها مؤقتاً. ومع ذلك فقد كان يبدو عارفاً أنه سيعود قبل انقضاء تلك المهلة.

وكان مقرّراً أن يغادر في رحلته البحرية في الساعات الأولى من صباح اليوم التالي. وتصادف أن التقى بوليام ميللر، بواب المجلس، في أحد ممرات مجلس النواب. فجرى بينهما حديث كان بالنسبة لعضو الكونغرس محادثة عابرة مع موظف متواضع، وليس من المحتمل أن يبلغ بها أحداً قطّ. ولكن، لسوء حظ نيكسون فإن ميللر كتب فيما بعد مذكرة استعاد فيها أنه عندما تبادل التحية مع نيكسون في الممر قال له نيكسون: «سوف أركب سفينة بخارية، وسوف تقرأ عن رحلتي. إنني خارج إلى البحر، وسوف يرسلون في طلبي. وسوف تفهم عندما أعود. . .» واعتقد ميللر الحائر أن عضو الكونغرس كان يبدو «معجباً بنفسه ومبتهجاً وكأنه يرقص على أسلاك».

وبعد ثلاثة أيام، بينما كان نيكسون في طريق العودة إلى واشنطن، استذكر ميللر: «وأخيراً عرفتُ ما الذي كان يقصده بكلامه عن تلك الرحلة. فقد ذكرت قصة [الجريدة] أنه كان على متن سفينة بخارية عندما جاءه النداء ليعود إلى واشنطن. ففكرت في نفسي: (ذلك الشخص البارع ـ لقد كان يعرف طيلة الوقت). . . لقد اطلعتُ على بداية شيء شديد الغرابة». ويقال أيضاً إن سجلات خفر السواحل توحي بأن ترتيبات عودة نيكسون، قد اتخذت حتى قبل أن تغادر السفينة المرفأ في نيويورك. وهذا يؤكد الشك بأن الرحلة كانت تمثيلية لضمان الحد الأقصى من الشهرة والذيوع.

غير أن الأشياء بدأت تتحرك بسرعة مع ضبط أوراق اليقطينة. فأزيح القلق جانباً في ما يخص مصداقية تشيمبرز. وعند حلول عيد الميلاد حوكم هيس بتهمة شهادة الزور. وعندئذ صارت القضية الكبرى، هي الحاجة إلى ربط هيس بالوثائق المشبوهة مع دليل لا يمكن إنكاره. وكان تشيمبرز قد قال

لستريبلينغ، المحقّق التابع لـ «هواك»: «حاول أن تحدّد مكان الآلة الكاتبة. . .» وقد عثرا فعلاً على آلة كاتبة.

وعند تقديم هيس إلى المحاكمة في صيف سنة 1949، كانت آلة طابعة مكتبية عتيقة، تجلس على طاولة في قاعة المحكمة، أمام أنظار المحلفين بشكل كامل. وكانت مفاتيحها تطقطق بضجيج، بينما أحد عملاء مكتب التحقيقات الاتحادي يعرض لهم أنها ما تزال تعمل. وهكذا صارت آلة وود ستوك المصنّعة نحو سنة 1929، ذات الرقم المتسلسل N 230099، واحدةً من «شهود الإثبات» لدى المدعي ضد هيس.

وتذكر المتهم بعد ذلك بزمن طويل: «لقد كان لها تأثير نفسي قوي، وهي قابعة هناك مثل سلاح الاغتيال». وقال نيكسون: «لقد كانت الآلة الكاتبة كدليل، من العوامل الكبرى التي أدت إلى إدانة هيس».

وقد استنتج الفاحصون من كلا الجانبين، أن الوثائق المختلسة من وزارة الخارجية قد أعيد طبعها على الآلة نفسها، التي طبعت عليها الرسائل القديمة التي عُرِفَ عن الزوجين هيس، أنهما كانا قد طبعاها على آلة وود ستوك التي كانا يمتلكانها ذات مرة. غير أنهما كانا قد أهدياها. وعندما فعلا ذلك بالضبط صارت الآلةُ مسألةً حساسة الأهمية في القضية. لأنه إذا لم تكن آلة وود ستوك في ملكية العائلة، قبل أقدم تاريخ على الأوراق التي كدسها تشيمبرز، فإن هيس سيكون بريئاً بالتأكيد.

وشرع فريق الدفاع عن هيس من جهة، ومكتب التحقيقات الاتحادي من جهة أخرى، في البحث بحماس عن آلة العائلة الكاتبة القديمة، ويلاحقون سلسلة الملكية من شخص إلى آخر. وقد عثر عليها محامو هيس أولاً ـ أو ظنّوا أنهم فعلوا ـ عندما استعادوا آلة وود ستوك N 230099 من بائع خردوات. غير أن العثور عليها لم يُرِحِ الدفاع، لأن الخبراء من الجانبين اتفقا مرة أخرى: فالحروف المطبوعة على الوود ستوك المستخلصة من الخردوات، كانت تتطابق

مع حروف الوثائق الحكومية المسروقة، ومراسلات عائلة هيس معاً. فكان ذلك دليلاً صلباً بدا أنه مدمِّر.

وهكذا استنتج القاضي وهو يلخص الأدلة: «أن الحكومة ترى أن هذه هي الآلة الكاتبة التي طبعت عليها وثائق بالتيمور المعروضة في المحكمة». والواقع أن الادعاء لم يقدم مثل هذه الحجة. ولم تقتصر المسألة على عدم وجود يقين في آخر الأمر، في ما إذا كانت عائلة هيس ما تزال تمتلك الآلة، في الوقت الذي اختُلِسَتْ فيه وثائق وزارة الخارجية وَٱسْتُنْسِخَتْ، لأن الدليل في هذا الموضوع كان دائماً مضطرباً مشوشاً على نحو ميؤوس منه. وكان هناك أيضاً شك قوي حول ما إذا كانت الوود ستوك المبرزة في المحكمة، هي حقاً آلة عائلة هيس. ذلك أن رقمها المتسلسل N 230099 كان يشير بصورة تكاد تكون مؤكدة، إلى أنها صنّعت في وقت متأخر جداً، بحيث لا يمكن أن تكون آلة هيس. وبينما كانت هذه المعلومات متاحة لمكتب التحقيقات الاتحادي عندما كانت القضية في المحكمة، فإنها لم تكن متاحة للدفاع.

ولم يقل هيس في المحكمة سوى جملتين بعد أن وَجَدَتْهُ مذنباً. كانت الأولى لشكر القاضي، والثانية للتأكيد بأنه سيتكشف ذات يوم في المستقبل كيف أُرْتُكِبَ «التزويرُ بآلة كاتبة». وردّ نيكسون على هذا الزعم في وقت متأخر سنة 1976 بقوله: «حتى أكبر مؤيديه حماساً لم يستطيعوا ابتلاع مثل هذه التهمة السخيفة. فالآلة الكاتبة، كما تعلم، تكاد تكون هي نفسها بصمة إصبع. فمن المستحيل حسب رأي الخبراء في هذا المجال، استنساخ خصائص آلة كاتبة بالضبط بتصنيع آلةٍ أخرى».

وكان نيكسون مخطئاً. فعلى عكس ادعائه، فقد تمّ تزوير الآلات الكاتبة بخبرة ودراية، وبمباركة من الحكومة، في إطار زمني مناسب تماماً وذي صلة. فبحلول سنة 1941، وكجزء من الارتباط بين المخابرات الأمريكية والبريطانية في الحرب العالمية الثانية، طور المشتغلون آلات تستطيع ـ حسب رواية أحد

الضباط البريطانيين العاملين في هذا المجال ـ «أن تستنسخ بدون أي خطأ حروفَ أيةِ آلةٍ كاتبة على وجه الأرض» وقد حقّقت ذلك بالضبط عمليةٌ ناجحةٌ ضدّ النازيين بإعادة بناء آلة كاتبة إيطالية قديمة.

ولكن مَنِ الذي يحتمل أن يكون قد حقّق مثل هذا الإنجاز في قضية هيس؟ ومَنْ أيضاً كانت تتوفر لديه الوسائل، والحافز، والفرصة لإلصاق التهمة بهيس من خلال آلة كاتبة مزورة؟ ومن الذي كان يستطيع الوصول إلى الآلة الأصلية كي يقوم بذلك؟

يبدو أن الآلة قد استعادها فريق الدفاع، بعد خمسة أشهر كاملة من إبراز تشيمبرز مخزونَهُ من الوثائق المخبأة[4]. غير أن هناك ما يشير إلى أنها قد استُعِيدت قبل ذلك بكثير، على أيدي «هواك» أو مكتب التحقيقات الاتحادي، أو الجهتين معاً بالتعاون. فبعد شهر واحد فقط من كشف تشيمبرز لأوراقه، نقلت **النيويورك وورلد تلغرام** عن بعض محقّقي الكونغرس قولهم، إنهم قد عثروا على الآلة «بمساعدة مكتب التحقيقات الاتحادي». وبالمثل، فإن التقرير النهائي لـ «هْوَاكْ» قد نسب إلى المكتب المذكور فضل «تحديد مكان الآلة الكاتبة». وكتب عضو كونغرس من «هواك»، اسمه جون مكدويل، أن المحققين التابعين للّجنة، ومكتب التحقيقات الاتحادي، يستحقون فضل «العثور على الآلة الكاتبة».

كان وليام سوليفان، الذي صار فيما بعد رئيس المخابرات الداخلية في مكتب التحقيقات الاتحادي، يخدم في واشنطن سنة 1948، وكان عمله يشمل قضية هيس. وعندما أجريت معه مقابلة بعدها بسنوات نُقِلَ عنه قوله: «حسب

---

(4) كان آلن وينشتاين قد كتب أن دونالد، شقيق هيس، وريموند كاتليت (ابن خادمة هيس السابقة) قد «تتبعا» أثر الطابعة من طراز وود ستوك في شباط / فبراير 1949 قبل أشهر من العثور عليها فعلاً. وهكذا كانا هما الشخصين الوحيدين اللذين باستطاعتهما أن يُحِلاّ محلها طابعةً أخرى مزروعة. وليس هناك من دليل على أنهما قد وضعا أيديهما على الطابعة فعلاً في شباط / فبراير، أو على أنه كانت لهما أي صلة باستبدال الطابعة. (**شهادة الزور**، ص 349 ـ، 518).

أفضل ما أعرف. . . فإن مكتب التحقيقات الاتحادي كانت لديه الآلة فعلاً قبل أن يعثر عليها الدفاع عن هيس. . . »[5] ولم يكن متأكداً ممّا «إذا كان المكتب قد حدّد مكانها أم أن نيكسون هو الذي جاء بها إلى مختبرات المكتب».

ولسرور محامي هيس، فإن نيكسون قد جلب على نفسه الشبهة تكراراً بخصوص الآلة الكاتبة. ولقد لاحظ في كتابه **ست أزمات**: «في 13 كانون الأول / ديسمبر 1948، عثر عملاء مكتب التحقيقات الاتحادي على الآلة الكاتبة[*]. . . وفي 15 كانون الأول / ديسمبر طبع خبير من المكتب نسخاً طبق الأصل من الوثائق المشبوهة المطبوعة على آلة وود ستوك. . . ».

وعندما تعرض نيكسون لضغط مُلِحٍّ كي يقدم توضيحاً بعد طبع كتابه **ست أزمات**، لم يقدم سوى توضيح سطحي لهذا التباين، وزعم الناطق باسمه أن المقطع كان كله، غلطة باحث مبنية على أساس قصة صحيفة **وورلد تلغرام**، وأصرّ ـ على نحو مضحك يثير السخرية ـ على أن نيكسون لم يكن قريباً من القضية آنذاك[6].

---

(5) رداً على مكالمة من هيس، فإن سوليفان «حاول أن يتراجع» عن تصريحه. وقال أيضاً إن الطابعة «لم تصنع في مختبر مكتب التحقيقات الاتحادي» وأن المكتب ما كان ليقدر على فبركة آلة كاتبة. غير أن من المعروف الآن، كما تم وصفه آنفاً، أن مخابرات الحلفاء قد نجحت في تزوير آلات طابعة أثناء الحرب العالمية الثانية (سوليفان، مصدر سبق ذكره، ص 95). وكان الصحافي الذي قابل سوليفان هو بيتر آيرونز، الذي كان يكتب لصحيفة **ذي ريال بيبر**. وقد اعتقد المؤرخ آلن وينشتاين أن سوليفان قد خلط بين تعرّف مكتب التحقيقات الاتحادي على طباعة السيدة هيس وبين العثور على الطابعة. ولكن هذا ليس سوى تفسير وينشتاين (**نيويورك ريفيو أوف بوكس**، 27 أيار / مايو 1976، ص 38؛ **ذي ريال بيبر** 12 آذار / مارس 1975).

(*) كان يوم 13 كانون الأول / ديسمبر هو اليوم الذي أعلنت فيه النيويورك وورلد تلغرام أن المكتب قد حدّد مكان الآلة الكاتبة.

(6) إن الإشارة إلى العثور على الآلة الطابعة في كانون الأول / ديسمبر 1947 لا تظهر في الطبعات اللاحقة من كتاب نيكسون **ست أزمات**. بل إن طبعتي سنة 1968 و1990 تحملان حاشية تشير مواربة إلى «شائعات» وإلى مقالة صحيفة **الوورلد تلغرام**. أما المدعي العام روبرت كيندي، الذي نظر في القضية سنة 1962 على ضوء الضجة التي أثارتها الطبعة الأولى، فقد قيل إنه لم يجد شيئاً في الملفات يشير إلى أن مكتب التحقيقات الاتحادي قد وضع يده على الطابعة أبداً (نيكسون، **ست أزمات**، مصدر سبق ذكره، ص 64 وطبعة سنة 1990 (نيويورك: سايمون وشوستر 1990)، ص 60؛ كيندي: فْريد كوك «شبح آلة طابعة»، **نيشن** 12 أيار / مايو 1962، ص 421).

ومع ذلك فقد بدا نيكسون وكأنه يورط نفسه ثانيةً في محادثة في المكتب البيضاوي، قام بها مع كبار مساعديه في 10 آذار / مارس سنة 1972، وهي مسجلة على شريط أُفْرِجَ عنه سنة 1996، وتمت مراقبته أثناء إعداد البحث لهذا الكتاب. وكان الموضوع هو الضجة التي ثارت حول قصة صحفية تتعلق بقيام شركة الهاتف والبرق الدولية، بتخصيص تبرع نقدي هائل للجمهوريين، مكافأة للحكومة على تدخلها في دعوى مكافحة احتكار كانت مقامة ضد الشركة. وكانت القصة تستند إلى مذكرة مطبوعة على الآلة الكاتبة، كتبها أحد جماعة الضغط لمصلحة الشركة المذكورة، وأراد نيكسون أن يتم الإعلان بأن المذكرة مزوّرة، ويُظْهِرُ الشريط المسجل أنه في سياق المناقشة راح نيكسون يستعيد ذكرى قضية هيس ووثائق تشيمبرز، فقال: «**أنا الذي وجدتُ الآلةَ الكاتبة**»... [التأكيد من المؤلف][7].

أمّا ذكريات جون دين في كتابه **الطموح الأعمى**، فقد أعطت الموالين لهيس أفضل لقمة حصلوا عليها. فقد نقل ذلك المساعد في البيت الأبيض إن

---

(7) لاحظ كتاب سابقون أيضاً شريط البيت الأبيض عن يوم 28 شباط / فبراير 1973، الذي ناقش فيه نيكسون قضية هيس مع جون دين. ففي النص المكتوب المفرج عنه نقلاً عن محتويات هذا الشريط، الذي امتدح الناس الذين أيدوا هيس، يُنْقَلُ عن نيكسون قَوْلُه: «لقد عملنا ذلك الشيء بعد ذلك فحصلنا على الدليل. **حصلنا نحن على الطابعة** [التأكيد من المؤلف]». غير أن نصّاً لاحقاً قامت بنقله هيئة مدعي ووترغيت الخاص كان يقول: «لقد نلنا من **بايبر**» [التوكيد من المؤلف]، وهو نصّ لا معنى له. وفي كتاب **شهادة الزور**، يوحي آلن وينشتاين بأن «بايبر» ربما كانت تشير إلى محامي هيس في الوقت الذي أبرز فيه تشيمبرز وثائقه، وهو وليام ماربوري الذي كان يعمل في مؤسسة بايبر وماربوري. وهذا يوصل إلى القصد. وبعد الاستماع إلى الشريط مراراً، يرى المؤلف أن الأرجح هو أن نيكسون قال: «لقد نلنا من **الطابع**» [أي typer» بدلاً من Piper»] والتوكيد ـ مرةً أخرى ـ من المؤلف هنا. وهذه عبارة قد يكون لها معنى إذا كان نيكسون يقصد الإشارة إلى السيدة هيس، التي قامت بطبع نسخ الوثائق التي جاء بها زوجها إلى البيت، حسب رواية تشيمبرز. (28 شباط / فبراير «النص الأول المنقول عن محتويات الشريط»؛ **نصوص أشرطة البيت الأبيض**، تحرير جيرالد غولد (نيويورك: بانتام 1974)، ص 71؛ «النصوص اللاحقة»: أشرطة البيت الأبيض، 28 شباط / فبراير، 1973، من الساعة 12/ 9 إلى الساعة 23/ 10 صباحاً؛ وينشتاين، **شهادة الزور**، ص 492؛ «لأغراض هذا الكتاب» قام بمراقبتها نيابة عن المؤلف، الباحث روبرت د. لام في 9 و12 كانون الأول / ديسمبر 1998).

تشارلس كولسون أخبره به بعد محادثة أخرى مع نيكسون، راح يقارن فيها بين قضية شركة البرق والهاتف وقضية هيس. فقال الرئيس لكولسون، حسب رواية دين: «إن الآلات الكاتبة هي المفتاح على الدوام. لقد بنينا آلةً كاتبةً في قضية هيس».

وعندما نُشِرَ كتابُ دين، احتج كولسون قائلاً إنه «لا يتذكر» أن نيكسون قال إن الآلة الكاتبة قد «زُيِّفَتْ»، بينما وصف نيكسون بنفسه ذلك الادعاء بأنه «مزيف بكامله». غير أن دين أصرّ على أن ملاحظاته المدونة في حينها، تؤكد بأن كولسون قد نقل عن الرئيس قوله كما أشار إليه دين في الكتاب، وأن كولسون كانت تبدو عليه ملامح الجِدّ عندما قال ذلك.

أنستطيع أن نأخذ على محمل الجِدّ الفكرةُ القائلةَ بأن مكتب التحقيقات الاتحادي، أو ريتشارد نيكسون، كلاً على حدة، أو بالتحالف معاً ألصقا التهمةَ بهيس عن طريق تزييف آلة كاتبة؟ إن مؤلف هذا الكتاب يرى أن منظمة مخابرات هي الوحيدة، التي من شأنها أن تملك الموارد والخبرة لتنفيذ مثل هذه الخطة. فعملية التزييف الفذة الموصوفة آنفاً في هذا الفصل، كانت جزءاً من عملية مشتركة بين بريطانيا ومكتب التحقيقات الاتحادي في الحرب العالمية الثانية؛ إذْ قام هوفر نفسه بزيارة المنشأة السرية في كندا، حيث تم تركيب الآلة الكاتبة واستكمال أعمال سحرية أخرى مماثلة. (وكان موقع العملية هناك لتسهيل الوصول إلى عملاء مكتب التحقيقات الاتحادي، وموظفي مكتب الدراسات الاستراتيجية).

فإذا كان التزييف قد استُخْدِمَ لضمان إدانة هيس، فلعل لذلك أساساً منطقياً أقوى وأكثر قدرة على الإرغام التاريخي من هلوسة الخطر الأحمر، التي كانت مسيطرة على عقل هوفر، أو خيبة أمله من بطء تحرك إدارة ترومان ضد ذلك الخطر.

إن هناك معلومات جديدة مبسطة في الصفحات التالية، توحي أن هوفر

ورؤساء المخابرات الأمريكية الآخرين ربما تلقوا، بحلول سنة 1948، معلومات من اعتراض برقيات سوفييتية، كان يبدو أنها لا تدع مجالاً للشك في أن الرجل مذنب. وعند ربطها بالبيانات التي ظلت تتدفق على وكالات المخابرات عن هيس على مدى سنوات عديدة، فقد بدا أنها الدليل الحاسم.

غير أنه لم يكن من الممكن الكشف عن وجود مثل هذا الدليل بالضبط، لأن الولايات المتحدة كانت قد فكّت الشيفرة الرمزية السوفييتية، وكان ذلك واحداً من أكثر الأسرار إخفاءً في القرن العشرين. ومع ذلك فإن أجزاء أخرى من معلومات الحكومة عن هيس، قد جاءت من مصادر سرية أيضاً. فهل كان هناك شيء من المنطق الملتوي المتوجه حسب السياق القائل أنه لما كان من الواضح أن هيس مذنب، ولكن الدليل الحقيقي يجب الحفاظ عليه خفياً، فإن هناك ما يبرّر عملية «تصنيع» نوع آخر من «البراهين»؟

إن قطعة المعلومات الملموسة الهامة التي تشير إلى تزييف الآلة الكاتبة يبرز فيها مكتب الدراسات الاستراتيجية ورئيسه، وليام دونوفان. ففي أواخر سنة 1948، عندما بدأ المحامون المدافعون عن هيس، ومكتب التحقيقات الاتحادي بحثهم الطويل الأمد عن الآلة الكاتبة من طراز وود ستوك، انضم إلى فريق المدافعين عن هيس رجل يدعى هوراس شماهل عمل معهم كمحقّق. وكان قد سبق له أن اشتغل إمّا مع مكتب الدراسات الاستراتيجية، أو مع مخابرات الجيش أثناء الحرب، ثم انضم إلى مجموعة المخابرات المركزية، المنظمة التي كانت تعمل في الفترة بين إغلاق مكتب الدراسات الاستراتيجية، وتدشين وكالة المخابرات المركزية[8].

(8) كانت أنشطة شماهل وشركائه تتداخل مع أنشطة موظفي وكالة المخابرات المركزية وأتباع نيكسون ـ في العقد الذي تلى ذلك. وفي سنة 1954، عندما كان نيكسون نائباً للرئيس وجّه العميلَ السابقَ لمكتب التحقيقات الاتحادي، روبرت ماهيو، في مهمة سرية لإحباط محاولة آرسطو أوناسيس، قطب صناعة السفن، لكسب السيطرة العملية على نقل النفط السعودي. وتم تكليف لو راسل، مساعد نيكسون السابق في لجنة النشاط المعادي لأمريكا التابعة لمجلس النواب بوضع أجهزة تنصت على =

وبعد العمل في مهمة لصالح فريق هيس، هرب شماهل لينضم إلى الادعاء. وبعد أن سُجِنَ هيس، تلقى محاميه ما يُشْعِرُهُ بأن «شماهل مشتبهٌ في أنّ له ضلعاً في تصنيع الآلة الكاتبة». فقد كان هارولد برينتال محقّقاً، عمل مع شماهل. وهو الذي أخبر المحامي ـ فيما بعد ـ أن شماهل كان متورطاً في تزييف طابعة هيس. فقال برينتال: «لقد ألصقت التهمة بهيس بمكيدة».

وقد لوحق شماهل حتى عُثِرَ عليه في فلوريدا سنة 1973، فاعترف لأحد المحقّقين في قضية هيس أنه كان «مستشاراً» في عملية تزييف الآلة الكاتبة. وقال إن مكتب الدراسات الاستراتيجية هو الذي دبر المكيدة للإيقاع بهيس ـ ولم يكن واضحاً بالضبط متى تم ذلك ـ، وأن الأوامر قد جاءت عن طريق المكتب القانوني لدونوفان بنيويورك، وهو مكتب دونوفان وليجر. (وقد سحب شماهل تصريحه فيما بعد، ورفض إجراء المزيد من المقابلات).

وهنا ينتهي الأثر. فلم يتم التحقيق رسمياً في هذا الدليل على الإطلاق. فهل من المعقول أنه كان هناك استعداد لدى هوفر، رئيس مكتب التحقيقات الاتحادي، أو لدى نيكسون، للإيقاع بهيس أو لالتزام الصمت بعد العلم بذلك الدليل؟ يبدو أن السجلات توحي بأن الجواب هو نعم.

إن المعلومات الدامغة التي تدين هوفر، تأتي من ملفاته نفسها. فبعد عقد من الزمن، سأل العميلُ الموجودُ في نيويورك، هوفَرَ عما إذا كان مختبر مكتب

= هواتف أوناسيس. ولكن قيل بأن شماهل قد تولى هذه المهمة. وفي سنة 1956، تم استجواب شماهل في ما يتعلق باختفاء الأستاذ خيسوس دي غاليندیز وما قيل عن اغتياله، وهو عدوّ سياسي لدكتاتور جمهورية الدومينكان، رافائيل تروخيلّلو. فاستجوب شماهل بخصوص خطف غاليندیز، كما استجوب معه موظف آخر عند ماهيو. وبعد اغتيال تروخيلّلو سنة 1961، تولى نيكسون، الذي كان آنئذٍ يمارس المحاماة، محاولات استعادة ثروة تروخيلّلو لأسرة ذلك الدكتاتور. وفي سنة 1961، عندما كان شماهل يدير حوض قواربه في فلوريدا، تورط في عمليات وكالة المخابرات المركزية ضد كاسترو، والتي كان نيكسون فيها همزة الوصل مع البيت الأبيض عندما كان نائباً لآيزنهاور. (شماهل: هوغان، **الأشباح**، مصدر سبق ذكره، ص 289 ـ؛ ليفيت، مصدر سبق ذكره، ص 203؛ نيكسون، تروخيلّلو: موراي كيمبتون، «كيف يتحمل نيكسون» قصاصة بدون تاريخ، أوراق دْرُو بيرسون).

التحقيقات الاتحادي، يستطيع المساعدة في الإيقاع بشيوعي أمريكي قيادي، فلم يعبّر هوفر عن أي رفض، بل اكتفى بالإصرار على أن تتم العملية بشكل جيد «لتجنيب المكتب الإحراج» ـ وأضاف نصيحة قال فيها: «إن تغيير آلة كاتبة لتطابق نموذجاً معروفاً، سوف يتطلب كمية كبيرة من عيّنات الآلات الكاتبة، وأسابيع من العمل المخبري». وفي قضية هيس سنة 1948، كان هناك عدد ضخم من العيّنات، وأسابيع كثيرة لإتمام عملية التزييف.

ولقد كان من رأي سوليفان، مساعد مدير مكتب التحقيقات الاتحادي، أن «نيكسون لو طلب من المكتب المذكور أن يصنع له دليلاً لإثبات قضيته ضد هيس، لكان هوفر سعيداً جداً بتلبية طلبه». أمّا هل يصل نيكسون إلى هذا الحد للإيقاع بهيس، فإن في السجل اللاحق حالات مقلقة من التزوير أو زرع المعلومات الزائفة.

ففي سنة 1971، على سبيل المثال، بعد الإعلان على رؤوس الأشهاد، بأن التورط الأمريكي في ڤيتنام كان بتحريض من إدارة كيندي، و«تواطؤ الولايات المتحدة في اغتيال دييم [رئيس ڤيتنام الجنوبية]»، دعا نيكسون إلى فحص الملفات الخاصة بهذه الواقعة. وعندما لم يعثر مساعده تشارلس كولسون من هوارد هانت أن يقوم «بتحسين» السجل، ففعل هانت ذلك مستخدماً مقصاً وغراءً لاصقاً وآلة استنساخ لتصنيع رسالة «تبرهن» عملياً على أن كيندي قد وافق على الاغتيال. ثم عمل هانت مع كولسون على نشر تلك الرسالة المزيفة في مجلة **لايف**.

وتُظْهِر أشرطة البيت الأبيض المفرج عنها حديثاً، أن نيكسون قال لجون إيرليكمان، عندما انكشف أمر هذا التزييف في أوج فضيحة ووترغيت، إن أحداً لم يعلمه بتلك الخطة المخادعة، فرد عليه إيرليكمان بقوله: «لست متأكداً من أنك لم تعلم. . . إذْ إنني أتذكر بأن هذا الأمر قد نوقش معك». وبعد ذلك بوقت قصير، لاحظ هالدمان في مذكراته أن نيكسون قد اعترف بأنه في الحقيقة

«هو المذنب. . . وأنه هو الذي جعل كولسون يبدأ في مشاريعه. . . والظاهر أن إيرليكمان قد أخبره بأن لديه دليلاً بأن لـ[الاختصار المعتاد الذي يستخدمه هالدمان لكلمة «الرئيس»] كان يعرف بأمر البرقية المزورة عن دييم، وأن ر. كان في الحقيقة هو الذي أمر بكل هذه الأعمال. . .» وكتب إيرليكمان فيما بعد: «كنت واعياً بجهد نيكسون ـ كولسون ـ هانت لنشر تلك القطعة في مجلة **لايف**.

ووقعت حادثة مماثلة لهذه سنة 1972، أثناء حملة انتخابات الرئاسة، بعد إطلاق النار على جورج دالاس حاكم آلاباما في محاولة لاغتياله. وكما هو مبسط بالتفصيل فيما بعد، فإن نيكسون كان يناقش في ذلك الوقت، فكرة زرع أدلة مزورة في شقة مرتكب الجريمة، موادّ تلطخه بوصمة يساري متطرف. وبدا أن نيكسون يوافق على الفكرة.

أليس من الممكن أن ريتشارد نيكسون، الذي تواطأ في مثل هذه الأحابيل الخدّاعة وهو رئيس، كان مستعداً، وهو عضو كونغرس جديد متحمّس في مقتبل عمره، للتآمر للإيقاع بهيس؟ يبدو المشهد المتخيل معقولاً، إذا كان نيكسون قد تلقى ـ كما يبدو محتملاً ـ تأكيداً سرياً ولكنه قاطع بأن هيس مذنب فعلاً، حسب رواية مصدر لا يرقى إليه شك أو خطأ، ولكن لا يمكن الكشف عنه.

وفيما تلا ذلك من سنين، بينما صعدت حظوظ نيكسون وسقطت على شكل كارثة، وبينما استمر هيس في متابعة حملته الهائلة لإثبات براءته، كان الرجلان كلاهما يعرفان أن المفتاح النهائي للقضية، قابع في مكان لا يمكن الوصول إليه، هو ملفات المخابرات السوفييتية. فإذا كان هيس عميلاً سوفييتيّاً، فلا بد أن يكون لدى المخابرات السوفييتية سجلّ بذلك. وهكذا كان أنه بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وفي وقت كان الرجلان كلاهما يعرفان أن أيامهما باتت معدودة، بعث كل منهما برسالة إلى موسكو.

ففي سنة 1991، بينما كان نيكسون يبحث عن إثبات قاطع لما ظل يعتقده زمناً طويلاً، بعث برسول إلى الجنرال ديمتري فولكو غونوف، مستشار الرئيس بوريس يلتسين ورئيس لجنة أمن الدولة KGB، ومحفوظات المخابرات العسكرية. وتبعه ففعل مثله جون تايلور، مدير مكتبة نيكسون الرئاسية، وكذلك آلجر هيس، بعد ذلك ببضعة أشهر. وفي تشرين الأول / أكتوبر سنة 1992، كتب فولكو غونوف إلى هيس بردٍّ بدا جلياً لا لبس فيه: «ليست هناك وثيقة واحدة ـ وقد تمت دراسة مادة ضخمة جداً ـ تؤيد الادعاء بأن السيد آ. هيس قد تعاون مع أجهزة مخابرات الاتحاد السوفييتي. . . يمكنك أن تخبر آلجر هيس بأن العبء الثقيل ينبغي أن ينزاح عن قلبه».

ونشرت **النيويورك تايمز** القصة على صدر صفحتها الأولى، وتمت تغطيتها في أجهزة الإعلام الدولية على نحو بارز. فقال هيس «هذا ما كنت أكافح من أجله طيلة أربعة وأربعين سنة»، وكان عندئذ يقترب من سن التسعين. أما نيكسون، في بيته في نيو جيرسي، فقد رفض أن يتحدث إلى الصحافة. ولكنه انفجر في ما بينه وبين نفسه صارخاً: «لقد كان هيس جاسوساً لعيناً. ولا يزالون يرفضون الاعتراف بأنني كنت على حق». وظل ثائراً على مدى أسابيع.

وسارع ديمتري سايمز، المختص بالشؤون الروسية، الذي كان قد نقل رسالة نيكسون الأصلية، عائداً للتشاور مع فولكو غونوف. وبعد ذلك بشهر، أصدر الجنرال تصريحاً جديداً يعترف فيه بأن بحثه ربما لم يكن كاملاً بما فيه الكفاية. غير أن أجهزة الإعلام كانت عندئذ لا تولي الموضوع اهتماماً يذكر، تاركة نيكسون يدمدم بأن تلك الأجهزة، «تضع الأكاذيب في عناوينها وتدفن الحقائق وسط الإعلانات عن مشدات خصور النساء».

غير أنه قبيل وفاة نيكسون، جاء ما بدا وكأنه قدر من الإثبات. فحتى عندما كان هيس، يحتفل بانتصاره الذي برز في عناوين الصحف الصارخة بأنه «غير مذنب»، كان أحد المؤرخين يكشف معلومات دامغة عنه في الملفات

السرية للشرطة الهنغارية. وقد سجلت تلك الوثائق أجوبة نويل فيلد تحت الاستنطاق. وهو أمريكي كان يعرف هيس، وقد عمل معه في الخارجية الأمريكية، وكان تشيمبرز قد ربطه أيضاً بقضية التجسّس الشيوعي. وكان فيلد قد هرب وراء الستار الحديدي بعد الحرب، فلم يتلقَّ سوى خمس سنوات في السجن بتهمة كونه جاسوساً **أمريكياً**. وحسب رواية الملفات الهنغارية، فقد أخبر آسريه بأن هيس، قد أَسَرَّ إليه أن «يعمل لمصلحة المخابرات السرية السوفييتية»، وأنه حاول تجنيده «من أجل التجسّس». وأصرّ فيلد على أنه تردّد، موضحاً لهيس أنه كان بالفعل يعمل للمخابرات السوفييتية.

فهل هذه التأكيدات قابلة للتصديق، إذا أخذنا في الحسبان أنها قيلت في السجن، حيث يزعم فيلد أنه تعرض للضرب والتجويع، وفي وقت كان يحاول يائساً أن يبرهن على أن ولاءه كان دائماً للسوفييت[9]؟ ربما لا. ويبدو أن مزاعم فيلد تتداخل مع تصريحات مماثلة أدلى بها هيدي ماسايينغ، سنة 1948، عندما كان ساعياً لحلقة تجسّس روسية وواحداً من شركاء فيلد[10]. كما أنها منسجمة مع رسائل كان قد أبلغ عنها آلن فاينشتاين، الكاتب القديم عن قضية هيس عثر عليها مؤخراً في ملفات سوفييتية لم تُرَ من قبل.

وكان فاينشتاين هو مؤلف كتاب **شهادات الزور: قضية هيس ـ تشيمبرز**، وعند فشل الاتصال مع فولكو غونوف، أتبع ذلك بالسعي إلى الوصول إلى ملفات مفوضية الشعب للشؤون الداخلية NKVD، وهي مؤسسة سبقت لجنة أمن

(9) شاهدت المؤرخةُ الهنغاريةُ ماريا شميدت نصوصَ الاستجواب الهنغاري في سنة 1992 وقدّمت في السنة التالية دراسة عنها إلى مركز الدراسات الأوروبية التابع لجامعة نيويورك. وقد وجدت أقوال فيلد عن هيس مقنعة. ولكن المحامي إيثان كنغسبرغ، الذي تفحص المادة نفسها فيما بعد حذّر من أن «القراءات غير الناقدة لملفات الشرطة السرية الشيوعية... لا تخدم مصالح الحقيقة». وينبغي معاملة أقوال فيلد بشيء من الحذر، مع الاعتراف بأنها تبدو منسجمة مع أدلة أخرى (مجلتا **نيوريبابليك**، و**نيشن**، 8 تشرين الثاني / نوفمبر 1993).

(10) انظر الفصل السابع، الحاشية 1 أعلاه. كانت ماسينغ هي الزوجة السابقة لغيرهاردت إيسلر.

الدولة KGB. وبعد مساعدة من هيئة المخابرات الروسية الحالية، ومديرها الأسبق، يفغيني بريماكوف ـ الذي صار فيما بعد رئيساً لوزراء روسيا ـ عثر فاينشتاين على عشر رسائل على الأقل، قيل إنها مرسلة من الولايات المتحدة إلى موسكو، وبالعكس في سنتي 1936 و1938[11]. ويظهر أنها جميعاً كانت تشير إلى هيس، وتشرح واحدة منها بالتفصيل كيف كان هيس قد طلب من فيلد أن يجمع معلومات للسوفييت. ويظهر اسم هيس هنا بنصّ واضح ـ كما يظهر في رسالتين أخريين أرسلهما عميل لمفوضية الشعب للشؤون الداخلية. وتشير رسائل أخرى إلى «المحامي»، حيث قيل إنه واحد من أسماء هيس المشفرة[12]، وتناقش المشاكل التي سببتها اتصالات هيس. وتناقش رسالة أخرى مخاطر مجند حديث «قد يحزر أن هيس منتسب إلى أسرتنا». وتشير رسالة أخرى إلى كون هيس «مزروعاً» في وزارة الخارجية «ومرسلاً إلى جيراننا فيما بعد» («والجيران» هي الشيفرة المقبولة للمخابرات العسكرية السوفييتية GRU)؛ وقد حدّد تشيمبرز بأنه وهيس قد عملا للمخابرات العسكرية السوفييتية على وجه الخصوص).

وفي سنتي 1990 و1994، قام اثنان من الموظفين العاملين في المخابرات السوفييتية سابقاً، بتوجيه المزيد من الاتهام لهيس، ولو بدون توثيق يدعم ذلك. فقد كتب أوليغ غورديفسكي أحد كبار الهاربين من لجنة أمن الدولة KGB، وقد عمل في كتابة تاريخ داخلي للوكالة، بأن هيس كان عميلاً سوفييتياً. أمّا بافل

---

(11) بقدر ما استطاع المؤلف التيقن، فإن وينشتاين لم يَرَ الوثائق الفعلية. ولم يستجب للرسائل المتكررة من المؤلف.

(12) يؤكد المؤرخ وينشتاين أن هيس قد أُعْطِي اسماً رمزياً مشفوراً هو «المحامي» في ثلاثينيّات القرن العشرين، والمفروض أن سبب ذلك هو أنه قد تدرب ليصبح محامياً وعمل مع مؤسسة نيويوركية، مع الموظفين القانونيين لإدارة التكيف الزراعي، وفي الهيئة التشريعية لإحدى الولايات (لجنة ناي)، ثم في وزارة العدل ـ قبل أن ينضم إلى وزارة الخارجية سنة 1936 ـ. وقد أطلق هذا الاسم في إحدى المراحلَ أيضاً، كما هو مفترض، على شخص آخر وُصِفَ بأنه عضو في تنظيم شيوعي سري أمريكي تحت الأرض، وهو هاري دكستر وايت. (واينشتاين وفاسيليف، مصدر سبق ذكره، ص 7، 15).

سودو بلاتوف، الذي احتل منصباً رفيعاً في فترة حكم ستالين، فقد زعم في مذكرة أن هيس كان «قريباً من. . . عمليات مخابراتنا الفاعلة في الولايات المتحدة» ولكن «ليست هناك إشارة إلى أنه كان عميلاً مأجوراً أو تحت السيطرة». وقد اقترح سودوبلاتوف أيضاً أن هيس كان مرتبطاً بالمخابرات العسكرية السوفييتية[13].

غير أن مثل هذه المزاعم عن العميل السوفييتي السابق لا يمكن الاعتماد عليها. فقد شجبها ضابط مخابرات سوفييتي سابق آخر هو فيتالي بافلوف سنة 1996 في مذكرة، ورفضها باعتبارها «تلفيقات محضة من خائن». وقال بافلوف إن هيس لم يكن عميلاً سوفييتياً.

وفي سنة 1996، بعد وفاة نيكسون، ولكن بينما كان هيس ما يزال حياً، أفرجت وكالة الأمن الوطني في واشنطن، عن سلسلة ظلت محجوبة طويلاً من الرسائل السوفييتية التي تم اعتراضها، والتقاطها وكانت تعرف باسم الشيفرة «فينونا». وكانت إحداها مرسلةً من واشنطن إلى موسكو. وقد فكّت رموزَها وكالة أمن الجيش. وكانت مؤرخة في 30 آذار / مارس 1945، وتبلغ عن

(13) إن كتاب سودوبلاتوف، الذي كتبه ابنه بالاشتراك مع صحافيّين أحدهما محرر دبلوماسي سابق في مجلة **تايم**، قد سبب عاصفة نجمت عن ادعائه بأن علماء بارزين في مشروع قنبلة أمريكا الذرية أثناء الحرب كانوا يغذّون السوفييت بالمعلومات. ويعتمد الكتاب على مقابلات مسجلة مع سودوبلاتوف. وقد انتقده المراجعون في الصحف على نقص التوثيق. وقد وصفته المخابرات الخارجية الروسية اليوم بأنه فسيفساء من «أحداث حقيقية، وأشباه حقائق، واختراعات ملفقة مكشوفة». وامتدح آخرون الكتاب فوصفه مراجع صحيفة **لوموند** بأنه «أهم شهادة تاريخية تظهر منذ وفاة ستالين». وهو يخصص ثلاث صفحات لآلجر هيس، يبدو أنها مستمدة مباشرة من مقابلات سودوبلاتوف. وقد أشار سودوبلاتوف إلى أن كثيراً مما قاله كان يعتمد على محادثة في سنة 1993 مع زميل سابق كان عميلاً للمخابرات العسكرية السوفييتية في نيويورك ولندن. وكان ذلك الزميل السابق يعتقد أن الرئيس روزفلت قد اختار هيس من أجل إجراء اتصالات سرية مع السوفييت لعلمه «بأن لهم اتصالات وبأنه مؤيد للسوفييت». (سودوبلاتوف، مصدر سبق ذكره، ص 227 ـ، **نيويورك ريفيو أوف بوكس**، 8 حزيران / يونيو، و22 أيلول/ سبتمبر، **عالم الكتب في الواشنطن بوست**، 1 أيار / مايو، **النيويورك تايمز** 6 أيار / مايو 1994، الواشنطن بوست، 27 أيلول / سبتمبر 1996).

محادثة مع شخص يدعى آليس، كان يعمل مع أقاربه[14]، لدى المخابرات العسكرية السوفييتية منذ سنة 1935، ويركز على المعلومات العسكرية. وينقل التقرير عن آليس قوله إنه أثناء زيارة قام بها لموسكو بعد مؤتمر يالطة، عبّر له نائب وزير الخارجية السوفييتي عن امتنان المخابرات العسكرية السوفييتية. وبالإضافة إلى ذلك مُنِحَ آليس ورفاقه الخونة، أوسمة سوفييتية (انظر صورة طبق الأصل للرسالة على الصفحة 175.

وقد ألحق محلّلٌ عسكريٌّ أمريكيٌّ بالرسالة حاشيةً نصها: «آليس: ربما يكون آلجر هيس». وفي الوقت الذي أُعْلِنَتْ هذه الوثيقة على الملأ، لم يكن قد بقي من حياة هيس سوى بضعة أشهر. فتحدث عن طريق ولده قائلاً إنه ليس آليس. ومع ذلك فقد تولى المؤرخ فاينشتاين نشر تقريرين إضافيين، قيل إنهما من ملفات مفوضية الشعب للشؤون الداخلية. وهما يشيران إلى آليس أيضاً، وضمن الإطار الزمنيّ نفسه، ويحتويان على تفاصيل قد تكون منسجمة مع فكرة كون آليس هو هيس. ولاحظ فاينشتاين كذلك أنه من بين مسؤولي وزارة الخارجية الأمريكية الأربعة، الذين طاروا إلى موسكو من يالطة، لم يقع تحت شبهة التجسّس أحد سوى هيس.

وترنّمت مقالة افتتاحية في **النيويورك تايمز** سنة 1998، بأن «هيس ربما كان في أقوى الاحتمالات عميلاً سوفييتياً». ولو عاش ريتشارد نيكسون ليسمع بهذه

---

(14) في الولايات المتحدة، كان تشيمبرز منذ البداية نفسها قد ألقى بظلال الشك على زوجة هيس، بريسيلا، وعلى شقيقه دونالد، الذي كان يعمل في وزارة الخارجية، هو الآخر. فاسماهما يظهران مع اسم آلجر في الملاحظات والمذكرات اليومية التي كان يدونها آدولف بيرل، مستشار الرئيس روزفلت لشؤون الأمن القومي سنة 1939، بعد أن أمضى تشيمبرز الأمسية معه (انظر الفصل السابع، الحاشية 11). وقد كتب بيرل في مذكرة لاحقة عن يوم 9 آب / أغسطس 1949: «أعتقد أننا عندما نصل إلى كنه هذا الأمر فسوف نكتشف أن الشيوعي الحقيقي في أسرة هيس هو إمّا زوجة آلجر أو زوجة دونالد هيس». ويبقى دورُ بريسيلا هيس في القضية غيرَ واضح. وكان هناك تكهن بأن هيس قد خدع مستجوبيه كي يحميها (ملاحظات: روجر موريس، ص 388، 911 [حاشية على ص 388])؛ مذكرات؛ بيرل وجاكوبس، «محرران»، مصدر سبق ذكره ص 249، 583).

التطورات، فلا شك في أنها كانت ستسرّه. أمّا والوضع كما هو عليه الآن، فإن البيانات المتاحة حديثاً من الاتحاد السوفييتي السابق، لا تشكل برهاناً على أن هيس قد دين بحق، أو أنها على الأقل ليست البرهان الذي يتطلبه التاريخ.

إن تحديد آليس على أنه هيس فيه شيء من الإيحاء، ولكنه في الوقت الراهن ينبغي اعتباره مؤقتاً. ذلك أننا لم نتمكن بعد من تفحص نسخ من تقارير مفوضية الشعب للشؤون الداخلية، التي يبدو أنها دامغة إلى هذا الحدّ. ويقال إن فاينشتاين لم ير النسخ الأصلية بنفسه. ويظهر أن الشخص الوحيد الذي توصل إليها فعلاً هو آليكساندر فاسيليف، شريك فاينشتاين في تأليف الكتاب الذي نشرت فيه التقارير، وهو ضابط متقاعد من لجنة أمن الدولة. وقد تم الحصول على التقارير المفترضة من مفوضية الشعب للشؤون الداخلية، نتيجة صفقة دُفِعَتْ فيها أموالٌ نقديةٌ لقاء الوثائق، تم عقدها بين فاينشتاين وناشره ورابطة ضباط الـ KGB السابقين. ولم يستجب فاينشتاين للمحاولات المتكررة للاتصال به بينما كان يكتب كتابه.

ويمكن المجادلة بأن تحديد آليس على أنه هيس هي أقل من مُقْنِعة. فالمحامي جون لوينثال، الذي ظل يدرس هذا الموضوع زمناً طويلاً، وهو يعتقد أن هيس كان بريئاً، قد لاحظ بأن هيس ـ على عكس آليس المذكور في رسالة سنة 1945 ـ لم يتهم أبداً بخيانة معلومات «عسكرية». وبالإضافة إلى ذلك فإن الرسالة، كما يقرأها لوينثال، لا تشير في تراكيب عباراتها إلى كون آليس قد سافر إلى موسكو من يالطة، ولكن تشير إلى مسؤول سوفييتي. وأخيراً فإن هناك مقالاً سيتم طبعه في خريف سنة 2000 ـ وشاركه في كتابته المؤلف ـ وفيه يبرز لوينثال إنكاراً جديداً من مصدر روسي رسمي، بأن هيس قد عمل لمصلحة موسكو في أي وقت.

وفي الوقت نفسه، بقيت كثير من الملفات الهامة مغلقة، وهي تشمل سجلات سوفييتية أخرى، وكذلك وثائق «هُوَاكْ» نفسها ـ رغم أن لجنة

الكونغرس لمكافحة الأنشطة المعادية لأمريكا قد بادت منذ زمن بعيد ـ، وهذا من سخرية القدر. وقد ختمت تلك الوثائق في سنة 1976، لتبقى كذلك طيلة خمسين سنة أخرى. وحتى يمكننا الوصول إلى ذلك كله، ستظل قضية هيس مثار خلاف وجدل.

وهناك سؤال آسر لا يزال بدون حل، وهو ما إذا كانت مصادر نيكسون السرية ـ ج. إدغار هوفر، وآلن دالاس، أو صلات الوصل الأخرى بينه وبين مكتب الدراسات الاستراتيجية / وكالة المخابرات المركزية ـ على علم في سنة 1948، برسائل فينونا التي تم حل شيفرتها ـ ولا سيما البرقية الواردة فيها ذكر آليس ـ والتي يبدو أنها تشير إلى كون هيس مذنباً. وحتى كتابة هذه السطور، لم يكن واضحاً متى قامت المخابرات الأمريكية لأول مرة، بحل رموز الرسائل التي فيها إدانة محتملة لآليس. ذلك أن إصداراً جديداً للوثيقة زوّد به المؤلف في صيف سنة 2000، يظهر أنه يثبت بأن النص الأساسي قد فكّت رموزه بحلول سنة 1949 على الأقلّ. ونحن نعلم أيضاً أن أول اختراق في حل رموز مواد فينونا قد حدث قبل ذلك، منذ سنة 1946 ـ أي قبل زمن لا بأس به من بدء نيكسون بملاحقة هيس.

ولقد قيدت وكالة أمن الجيش الوصول إلى فينونا تقييداً شديداً، ويبدو أنه حتى الرئيس ترومان لم يُسْمَحْ له بالاطلاع على ذلك السرّ. غير أن هوفر مدير مكتب التحقيقات الاتحادي، كان مطلعاً عليه كما يظهر، لأن عملاءه كانوا يعملون إلى جانب موظفي رابطة المقاييس الأمريكية أثناء تفكيكهم لرموز الشيفرة تدريجياً.

وحسب السجل المتاح، فإن وكالة المخابرات المركزية الحديثة الولادة آنذاك، لم تكن مشتركة في الأنشوطة المباشرة التي انقضّت على فينونا. غير أن رئيس هيئة الأركان المشتركة، عمر برادلي، كانت لديه صلاحية إطلاع «أي شخص آخر في السلطة»، حسبما يراه مناسباً. ولا ندري إن كان ذلك قد شمل

الرئيس السابق لمكتب الدراسات الاستراتيجية، وليام دونوفان، الذي كانت منظمته في ذلك الوقت قد حُلَّتْ. ومع ذلك فربما بقي دونوفان مطلعاً على المكتشفات، بسبب كونه شخصية بارزة، وليس على الأقل لأنه هو الذي زوّد الجيش بالأداة التي مكنته من البدء في تفكيك الشيفرة السوفييتية في المقام الأول ـ وكانت تلك الأداةُ كتابَ شيفرة سوفييتيّاً محترقاً جزئياً، تم إنقاذه من ميدان إحدى معارك الحرب العالمية الثانية ـ.

فإذا كان دونوفان مطلعاً على معلومات ضارة بهيس من وثائق فينونا، فإن هناك احتمالاً قوياً بأن يكون آلن دالاس قد اطلع على الأمر كذلك[15]. فإن كان ذلك قد حدث، وإن كان قد أطلع نيكسون على القضية كما قيل ـ فربما كان في ذلك ما يفسر ثقة نيكسون بنفسه أثناء ملاحقته لهيس. فالتلميحات الكثيفة من عالم المخابرات الأمريكية، ومعها المعلومات التي كان نيكسون يتلقاها من مكتب التحقيقات الاتحادية، ربما تكون قد جعلت نيكسون يشعر بأنه يستطيع أن يلاحق القضية بأمان إلى أبعادٍ تتجاوز ما كانت الأدلة المتوفرة تبرّره[16].

(15) لم يكن دالاس مستمراً في اتصاله المنتظم مع دونوفان فحسب، بل كانت له اتصالاته الخاصة به مع مَشَاهِدِ قضية هيس. ففي سياق عمله في مكتب الخدمات الاستراتيجية في أوروبا كانت له تعاملات مستفيضة مع نويل فيلد، شريك هيس، الذي استغفل دالاس. وقيل بأن دالاس قد انتقم لذلك سنة 1949، بتغذية السوڤييت بمعلومات مفادها أن فيلد كان جاسوساً أمريكياً على طول الخط؛ وهكذا انتهى المطاف بفيلد إلى قضاء ثماني سنوات في سجن شيوعي وراء الستار الحديدي (موزلي، مصدر سبق ذكره، ص 276 و506؛ ستيوارت ستيڤن في كتاب **عملية عنصر الانشقاق**، نيويورك: ج. ب. ليبينكوت، 1974، ص 85 ـ، و97 ـ وما يليها).

(16) حتى كتابة هذه السطور، لم يكن من المعروف على وجه اليقين مدى التقدم الذي تم إحرازه في فك رموز وثائق ڤينونا VENONA بحلول آب / أغسطس سنة 1948، عندما بدأ تحقيق نيكسون في قضية هيس. وفي مقابلة لأغراض هذا الكتاب قال روبرت لامفير، العامل في مكتب التحقيقات الاتحادي أن رسالة آليز ALES (انظر صورتها في الصفحة المقابلة 175. لم يتم فك رموزها حتى سنة 1955. ومع ذلك فإن وثيقة نُسِخَتْ لمصلحة لامفير من بين وثائق المكتب المذكور في أيار / مايو سنة 1950 تشير إلى الرسالة، قائلة إنها ربما تشير إلى هيس. وقد علم المؤلف من متحدثة باسم وكالة المخابرات المركزية أن الوثائق المتاحة تشير إلى أن من المحتمل أن تكون رموز الرسالة قد حلّت في ربيع سنة 1950. ومن الواضح أن هذين الشخصين مخطئان. وقد حصل المؤلف على نص للرسالة بموجب قانون حرية المعلومات، وهو يحمل عنوان **سري للغاية ـ الأجمة**، وإشارة إلى أن هذه =

وسواء أكان الآخرون يتلاعبون بنيكسون، أم كان دافعه هو طموحه المفرط، فقد كانت قضية هيس نموذجاً ومثالاً لحياته العملية كلها، وبرزت فيها مواضيع عديدة:

- التضليل، لنفسه وللآخرين. فبينما جاءته القضية بالشهرة، فإنه لم يستطع أن يقاوم المبالغة في دوره فيها. وقد قال روبرت ستريبلينغ، المحقق الرئيسي في «هْوَاكْ» عن الرواية الواردة في كتاب **ست أزمات**: «هراء محض! فالسيد نيكسون ليس هو الذي حلّ قضية هيس». أمّا الصحافي والتر تورهان، الذي كان صديقاً حميماً لنيكسون، فقد قال: إن نيكسون لم يقم بتطوير المعلومات في القضية، «بل إن المعلومات قد أعطيت له».
- إدمان الخداع: ففي سنة 1974، كتب تورهان متأملاً في رسالة إلى صديق له في مكتب التحقيقات الاتحادي: «لقد تطورت فيه نقطة ضعف، للقيام بلعبة «عسكر وحراميّة» في قضية هيس. ولعل هذا جعله يقر ووترغيت».
- رغبة انتقامية في معاقبة كل من لا يفعل ما يريده. فقد شهَّر نيكسون بالقاضي صاموئيل كوفمان، الذي ترأس محاكمة هيس الأولى التي انتهت بعجز المحلفين عن الوصول إلى قرار، وطالب بالتحقيق في أهليته للخدمة على منصة القضاء، كما أراد ملاحقة رئيس المحلفين بتهمة الانحياز المزعوم إلى اليسار.

= كلمة رمزية مشفورة لمادة فينونا VENONA، وهي لم تستخدم إلاَّ سنة 1949. وحسب رأي المؤلف نايجل ويست، في سنة 1999، فإن هناك طريقتين فقط للاستئصال المتعمد تستخدمان عند الإفراج حديثاً عن الوثائق السرية، وإحداهما هي «الإزالة المنتظمة لكل الإشارات الدالة على أول تاريخ لبدء تداول تلك الوثائق [ضمن أجهزة المخابرات]» (مقابلة مع لامفير: روبرت لامفير، من بيلمونت إلى لاد، 15 أيار / مايو 1950؛ ووثيقة من مكتب التحقيقات الاتحادي، قدمتها إلى المؤلف المتحدثة باسم وكالة المخابرات المركزية: مقابلة مع إيليا غيلشر، من المكتب الصحفي للوكالة، بعد استشارة الموظفين الذي فكوا رموز فينونا VENONA «الأجمة COPSE»: 30 آذار / مارس 1945، رسالة من واشنطن إلى موسكو، تم الحصول عليها بموجب قانون حرية المعلومات، قدمها إلى المؤلف شخص يدعى جون لوينثال ـ وفيها ملاحظة تقول «إن كلمة الشيفرة «COPSE» لم تستخدم إلاَّ سنة 1949»).

- الوقوع تحت هاجس النخبة من الجامعيين من المنطقة الشرقية للولايات المتحدة، الذين اعتبرهم العدوَّ الأساسي. فتحدث عن حفل عشاء باذخ حضره أثناء النظرة في القضية فقال: «لم يستطيعوا أن يتحملوا تورط واحد من جماعتهم، مثل هيس، في قضيةٍ من هذا النوع. . . وكانت مواقفهم كلها هراء وسفاسف، ولكن هذا هو ما تعيّن عليَّ أن أكافح ضده».
- تصوّره لنفسه كرجل مستهدف. فقد قال أثناء حملة سنة 1952: «إن أبناء العاهرات هؤلاء مصمّمون على النيل منّي. . . لقد حاولوا القضاء عليّ، وسيحاولون القضاء على أيّ شخص له أي علاقة بقضية هيس». وفي الوقت نفسه، كان مصمّماً على النيل من آخرين، من آديلاي ستيفنسون إلى إدوارد كيندي.
- الميل إلى الاستشاطة غضباً، ولوم الآخرين عند جريان الرياح بما لا تشتهي سفنه. فعندما بدا لوهلةٍ ما أن أوراق اليقطينة على وشك الانكشاف باعتبارها خديعة مضلّلة، صرخ في وجه نيقولاس فازانا، المحامي المستأجر للمساعدة في التحقيق في جانب تشيمبرز من القضية: «إنها كلها غلطتك! فما الذي ستفعله بشأنها؟» وصارت لهجته بذيئة، بحيث ظنّ فازانا وستريبلينغ معاً، أنه كاد يصاب بهستيريا لا سبيل إلى السيطرة عليها.
- تحميل نفسه فوق طاقتها، وتعريضها مع أسرته إلى ضغطٍ لا يطاق. فقد اعترف فيما بعد أنه حتى في وقت مبكر من قضية هيس: «كنت أقضي وقتاً يمتد إلى ثماني عشرة ساعة أو عشرين في مكتبي كل يوم. وتعمدت أن لا أحصل على أي وقت للراحة أو الانقطاع. . . وكنتُ «حقيراً» لا يمكن العيش معه في البيت أو مع أصدقائي. فكنت نزقاً حادّ الطبع. . . وفقدت الاهتمام بالطعام وكنت أترك وَجَباته. . . وصار الإخلاد للنوم أصعب فأصعب». وأثناء قضية هيس بدأ نيكسون يستعمل الحبوب المنومة للمرة الأولى. ولكنها لم تكن المرة الأخيرة.

واستذكرت والدتُه عطلةَ نهاية أسبوع، عندما جاء مع بات لقضائها في منزل آل نيكسون الكبار، في المزرعة في بنسلفانيا: «لم يكن يدخل حتى لتناول العشاء. فقد ظل يذرع أرض الباحة من زاوية إلى أخرى. فذهبت إليه وقلت له إنه إذا لم يتخلَّ عن مسألة هيس كلها، فلن يبقى على وجه الأرض طويلاً. ولم أنس وجهه الشاحب ومنظره الكالح المُضْنَى...».

وحتى بعد انقضاء ثلاثين سنة، عندما كانت جولي تؤلف كتاباً عن أمها، بات نيكسون، وجدت أنها لا تتحدث عن واقعة هيس إلاً على مضض وبعد تمنّع. فقد كانت تجد في انغماس زوجها في تلك القضية، «امتصاصاً أغرقه إلى حد يكاد يكون مرعباً» وكانت هي، وحتى والداه، يصحبونه مراراً في زيارة تشيمبرز وعائلته، وبذلك بدأت علاقة استمرت طيلة فترة احتلال نيكسون لمنصب نائب الرئيس. فكان تشيمبرز يُسْتَقْبَلُ في منزل آل نيكسون في واشنطن. وكان نيكسون وبات يجدان طريقهما إلى المزرعة، ليغدقا «علينا بعض رعايتهما المحِبَّة» على حد قول تشيمبرز، حتى صار أطفال تشيمبرز، كما يستذكر أبوهم، يعتبرون نيكسون «نيكسي، الحنون والطيب».

ومع ذلك، وبينما ظل تشيمبرز زمناً طويلاً يعتبر نيكسون بَطَلَهُ المفضل، فإن المراسلات المفرج عنها حديثاً، تُظْهِرُ أنه هو الآخر قد أدرك عيوب نيكسون. فقد كان يعتقد أن نيكسون ينقصه الاقتناع السياسي الحقيقي، أو الرؤية، وكان يؤمن بأن نيكسون أقل من موالٍ لأصدقائه القدامى. وكان حكمه النهائي عليه هو: «إنني أشفق عليه».

كانت قضيةُ هيس واقعةً أبرزت آل نيكسون، وفترةً من النجاح غير المتصوَّر، ومع ذلك كانت نذيراً بمستقبل مظلم. وكانت بات تتذكرها باعتبارها «وقتاً صعباً بالنسبة لنا». وحتى قبل أن ينغمس زوجها بقضية هيس، كانت قد أخبرت ابنتها جولي بأنها تشعر «بسخط عميق» على الطريق التي كان زواجهما آخذاً في سلوكها. وسرعان ما تعرض زواج نيكسون لأزمة. وفي غضون ثلاثة أعوام، سيسعى نيكسون للحصول على المعونة من طبيب نفسي.

TOP SECRET [redacted] VENONA

MGB

From: WASHINGTON

To: MOSCOW

No: 1822

30 March 1945

Further to our telegram No. 283[a]. As a result of "[D% A.'s]"[i] chat with "ALES"[ii] the following has been ascertained:

1. ALES has been working with the NEIGHBORS[SOSEDI][iii] continuously since 1935.

2. For some years past he has been the leader of a small group of the NEIGHBORS' probationers[STAZhERY], for the most part consisting of his relations.

3. The group and ALES himself work on obtaining military information only. Materials on the "BANK"[iv] allegedly interest the NEIGHBORS very little and he does not produce them regularly.

4. All the last few years ALES has been working with "POL'"[v] who also meets other members of the group occasionally.

5. Recently ALES and his whole group were awarded Soviet decorations.

6. After the YaLTA Conference, when he had gone on to MOSCOW, a Soviet personage in a very responsible position (ALES gave to understand that it was Comrade VYShINSKIJ) allegedly got in touch with ALES and at the behest of the Military NEIGHBORS passed on to him their gratitude and so on.

No. 431 VADIM[vi]

Notes: [a] Not available.

Comments:

[i] A.: "A." seems the most likely garble here although "A." has not been confirmed elsewhere in the WASHINGTON traffic.

[ii] ALES: Probably Alger HISS.

[iii] SOSEDI: Members of another Soviet Intelligence organization, here probably the GRU.

[iv] BANK: The U.S. State Department.

[v] POL': i.e. "PAUL," unidentified cover-name.

[vi] VADIM: Anatolij Borisovich GROMOV, MGB resident in WASHINGTON.



9

كلما ألقى رجل بنظرة متشوقة إلى منصب،
يبدأ شيء من العفن بالتسلّل إلى سلوكه.

توماس جيفرسون، في سنة 1799

في شباط / فبراير 1950، في عطلة نهاية أسبوع صادفت ذكرى ميلاد لينكولن، صعد رجل مخمور إلى طائرة في واشنطن بمقاطعة كولومبيا. وكان يحمل في حقيبته زجاجة ويسكي ومسودة غير مشذبة لخطاب. كان ذلك هو السناتور جوزيف مكارثي في طريقه، لإلقاء خطاب في نادي نساء مقاطعة أوهايو بمدينة ويلنغ في فرجينيا الغربية. كان ذلك هو المجال الوحيد، الذي استطاعت أن تجده له اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، لإلقاء خطاب حملته الانتخابية. وكانت نساء ويلنغ الطيبات يتوقعن منه أن يتحدث عن قضايا اجتماعية. فكان ما حصلن عليه بدلاً من ذلك هو الخطاب اللعين سيِّئ الصيت، الذي زعم فيه أن وزارة الخارجية مخترقة بالشيوعيين كأنها غربال، وهو الزعم الذي أطلق محاكم التفتيش الأمريكية. فقد اقتُطِعَتْ فيه فقراتٌ بكاملها حرفياً من خطابٍ عن هيس، كان ريتشارد نيكسون قد ألقاه في مجلس النواب قبل ذلك بأسبوعين. قال مكارثي: «إن الشيء الذي يجب تذكره. . . هو أننا لا نتعامل مع جواسيس يقبضون ثلاثين من الفضة لسرقة مسودة مخطّط لسلاح جديد. بل إننا نتعامل مع نمط من النشاط أخبث من ذلك بكثير، لأنه يسمح للعدو بتوجيه سياستنا وتشكيلها». وكان نيكسون قد حذّر في خطابه: «إن الدرس الأكبر. . . هو أننا لا نتعامل فقط مع عملاء للتجسّس يقبضون

ثلاثين من الفضة، للحصول على مسودة مخطّط لسلاح جديد. . . بل إن هذا نمط من النشاط أخبث بكثير، لأنه يتيح للعدو أن يوجه سياستنا ويشكلها».

وعندما تحدى المراسلون مكارثي أن يكشف عما لديه من معلومات ثابتة موثوقة، كان جوابه نموذجياً كعادته. فصرخ في وجوههم: «اسمعوا يا أبناء الزنا. إنني لن أخبركم بأي شيء. . . فلدي دلو مليء بالقاذورات، وسوف أستخدمه حيث يعطيني أكبر فائدة». ورغم أن اتهاماته كانت متهورة وغير دقيقة إلى درجة لا أمل فيها، فإن مكارثي سرعان ما كان يركب موجة عالية، كبطل لليمين متوجه لاصطياد الشيوعيين.

ولقد صرّح نيكسون في مذكراته، أنه وجد مكارثي «محبوباً بصورة شخصية، ولو أنه متهور على نحو غير مسؤول. وفي النهاية شعرت بالأسف عليه، كرجل كانت حماسته وتعطشه للشهرة، يقودانه وآخرين إلى الدمار». وفي كتابه **ست أزمات**، الذي نشر بينما كانت المكارثية ما تزال موضوعاً حساساً إلى حد جارح، لم يذكر مكارثي مرة واحدة. صحيح أن مكارثي كان آخذاً بالافتضاح تدريجياً كمدمن كحول وغشاش، ولذا فإن نيكسون ـ الذي كان نجمه عندئذٍ آخذاً في الصعود إلى مكانة بارزة تتطلب منه أن يظهر بمظهر المسؤول ـ تصرف بحكمة فأبعد نفسه عن حالات الشطط لدى السناتور مكارثي. غير أن الرجلين سيظلان مترابطين إلى الأبد من الناحية التاريخية.

وقد تعرف إلى مكارثي للمرة الأولى بوبي بيكر، الذي صار فيما بعد مساعداً لليندون جونسون. وكان آنئذٍ ساعياً في مجلس الشيوخ. فتصادق الاثنان بحيث كانا يذهبان معاً إلى حلبات السباق. كما كان بيكر يلتقط المعلومات عن طريق زوجته دوروثي، التي كانت تعمل عند نيكسون وعند السيناتور بات مكرّان، اليمينيّ المتعصب الذي كان مكارثي يتزلّف إليه كثيراً. فاستنتج بيكر أن «مكارثي صديق حقيقي حميم جداً» لنيكسون. وفي انتخابات سنة 1952، بذل نيكسون أقصى جهده لشن حملة، لمصلحة الرجل الذي سماه

«صديقي العزيز» بعد زمن طويل من افتضاح كون غضبة مكارثي لا تزيد على تعبئة الأحقاد في حملة صيد ومصادرة للناس في غير طائل. وقد توصل إلى الاستنتاج نفسه تقريباً، صحافيون كبار مثل ستيورات آلسوب، وإريك سيفاريد، ووالتر كرونكايت، أي على حد تعبير كرونكايت سنة 1996 أن نيكسون كان «في العصبة العقائدية الإيديولوجية نفسها مع مكارثي وأتباعه» وحتى حليف نيكسون، توم ديوي، صنَّفه على أنه «مكارثي محترم».

وعندما كان نيكسون نائباً للرئيس، حضر زفاف مكارثي سنة 1953. وفي المجالس الخصوصية، لم يهتز ولاء نيكسون لمكارثي رغم كل ما ارتكبه الأخير. وفي سنة 1995 استذكر الدكتور هتشنيكر الطبيب النفسي الذي كان يزوره نيكسون آنذاك ـ في أوج الفترة المكارثية ـ عندما أعرب الدكتور عن شجبه للسناتور، أصيب نيكسون بصدمة فبدا عليه الذهول وهو يصرّ: «ولكن مكارثي صديقي».

ولم يتحرّك نيكسون علناً لانتقاد مكارثي إلاَّ في سنة 1953، ولم يفعل ذلك إلاَّ بعد أن حثّه عليه الرئيس آيزنهاور. فرأى في ذلك روي كوهن، صديق مكارثي الحميم، موقفاً انتهازياً يسجله نيكسون لخدمة مطامحه الخاصة، وقال: «عندما قرروا في آخر الأمر أن يتخلصوا من مكارثي، كان نيكسون هو الشخص الذي اختاروه لهذه المهمة، فقد كان مستعداً للانقلاب على أصدقائه المحافظين، وذبحهم من الوريد إلى الوريد ـ واحد، اثنان، ثلاثة... كان نيكسون ممتازاً كرجل بَلْطَة».

ويأتي تعليق مماثل على العلاقة النيكسونية ـ المكارثية من أحد قادة الاتحاد السوفييتي، ولكنه تعليق يتسم بالتبصر وحدة الإدراك، حتى عند أخذ مصدره في الحسبان. فقد قال نيكيتا خروشيف لزائر أمريكي في الستينيّات: «عندما بدأ نجم مكارثي بالأفول، أدار نيكسون له ظهره. وهكذا فإن نيكسون دمية **بلا مبادئ**، ومن أخطر الأنواع».

في سنة 1954، طلب نيكسون من زميل له يدعى جيمس باسيت، أن

يتناول معه العشاء في مطعم مفضل في واشنطن، هو «لاسال دي بوا». فشرب ثلاثة كؤوس من الجنّ، وأتبعها بآخر من النبيذ الأبيض مع المحار، وقهقه لنكتة قذرة، ثم راح يتحدث عن مكارثي بفظاظة: «لعل الوقت قد حان كي نتخلص منه». وقد لاحظ باسيت في مذكراته أنه في تلك المحادثة نفسها «قال ر. ن [ريتشارد نيكسون] إنه مع الرئيس مئة في المئة، وسيفعل أي شيء مطلوب. أي شيء على الإطلاق!» ورغم ذلك، فعندما كان نيكسون هو الموظف المترئس للجلسة عندما أنهى مجلس الشيوخ حركات مكارثي الشاذة الغريبة بعد ذلك ببضعة أشهر، استخدم حقه المتميز لتحلية قرص الدواء المرّ، فشطب كلمة «يشجب» من نص الاقتراح بإدانة مكارثي. وكان نيكسون كذلك أحد المشيعين لجنازة مكارثي عندما مات من شرب الخمر في سنة 1957.

ذات يوم في سنة 1950، وجدت عضو كونغرس من كاليفورنيا نفسَها، تتلقى تحذيراً عن نيكسون من رئيس مجلس النواب الموقّر، سام رايبورن. فقد كان رايبورن يرى أنه «أقرب شيء لمكارثي في الولايات المتحدة»، ولذا حذّر زميلته أن «لا ترتكب أية أغلاط». ولقد جاء ذلك التحذير في وقته، لأن عضو الكونغرس كانت هي هيلين غاهاغان دوغلاس، التي كانت عندئذ على وشك الدخول في معركة، تنافسه فيها على مقعد في مجلس الشيوخ الأمريكي.

وكان ترشيح نيكسون لمجلس الشيوخ من الناحية العملية، إعادة لحملته سنة 1946 ضد فورهيس ـ بل كان فيها هذه المرة استخدام أشد فظاظة للحيل، والأحابيل القذرة والخطابات الملتهبة. وكانت تكتيكاته تعكس حقيقة كونه يعرف بالضبط، لماذا قرّر خوض الانتخابات ضد النائب دوغلاس. فقد أخبر صديقاً له بأن «مجلس النواب يقدم طريقاً مفرط البطء نحو القيادة، فخاطرتُ بكل شيء دفعةً واحدة».

وقد زعم كايل بالمر، الصحافي المتمرس في معالجة أمور السلطة، وإبراز رجالاتها في **لوس آنجيلوس تايمز**، أنه هو الذي غرس فكرة مجلس الشيوخ في ذهن نيكسون. ومن المؤكد أن **التايمز** ومعظم صحافة كاليفورنيا

قدمت له دعماً غير مشروط. فمن بين اثنتي عشرة صحيفة في الولاية، قدمت تسعٌ التأييدَ لنيكسون. ولم تنشر **التايمز** صورة واحدة للنائب دوغلاس طيلة الحملة. وقام قطب الصحافة، وليام راندولف هيرست، الذي كان يدير معظم الصحف الأخرى، بتدبير أمر زرع المقالات المؤيدة لنيكسون. «ونُظِّمَت» رسائل مرصوفة بعناية، لتوضع في أعمدة الرسائل إلى المحررين. وبدأ البحث عن أي صور لدوغلاس قد تساعد على وصمها بأنها يسارية.

وكانت دوغلاس، في التاسعة والأربعين، نجمة سابقة في برودواي، ومغنية أوبرا، وقد بدأت حياتها العملية ديمقراطية يسارية، وكانت مؤيدة للبرنامج الجديد [وهو برنامج تشريعي وإداري وضعه الرئيس الأمريكي فرنكلين روزفلت من أجل الإنعاش الاقتصادي والإصلاح الاجتماعي أثناء فترة الكساد الكبير في ثلاثينيات القرن العشرين: المترجم] وصديقةً لإليانور روزفلت. وبينما كانت ضد الشيوعية بصراحة بارزة، فإنها كانت أيضاً مؤيدة للجم أطماع الشركات الكبرى، التي لم تكن على مستوى مواجهة عملية نيكسون، التي كان يديرها، كَرَّةً أخرى، موراي تشوتينر.

فإلى جانب المهمات الأخرى، كان تشوتينر هو الدماغ المخطِّط لهجوم دعائي كاسح في ميدان العلاقات العامة، شبيه بالذي قاده في حملة انتخابات الكونغرس سنة 1946. كانت هناك طائرات تكتب اسم نيكسون في الجوّ فوق سواحل كاليفورنيا. وراح منطاد صغير يمطر شوارع مدينة لوس آنجيلوس، بقصاصات صغيرة من الورق تعد الناخبين، بأنهم إذا أجابوا نداء الهاتف بالعبارة السحرية «صوّتوا لنيكسون»، وكانت المكالمة آتية من مقرّ قيادة حملته، فإنهم يمكن أن يربحوا جوائز وفيرة:

> ساعاتٍ كهربائية، وغلاياتِ قهوة مصنوعةً من زجاج مقاوم للحرارة، مع وحدات تسخين - وأدواتٍ لتحميص الخبز من صنع جنرال إليكتريك - وخلاطات ملح وفلفل من الفضة، وأطقم للسكر والزبدة والقشطة، وأواني للزبدة والحلويات، إلخ إلخ.

وكان الجمهوريون فخورين على وجه الخصوص، بإعلان من أربع صفحات يشبه صورة كبيرة مطوية في قلب مجلة **لايف**. وقال تشوتينر مبتسماً «ليس سوى الصور من الناحية العملية». وتم تسويق نيكسون بطريقة هجومية، باعتباره «أمريكياً متحمساً» و«المثل الكامل للرجل غير العادي».

وكانت صحيفة **لوس آنجيلوس ديلي نيوز**، قد وصمت دوغلاس بلقب السيدة القرنفلية. وتم طبع أكثر من نصف مليون منشور نيكسونيّ معادٍ لها على ورق قرنفلي. وزعم تشوتينر في العلن أن لون الورق كان مصادفة، وأن هذا اللون كان هو الوحيد المتاح. أمّا في مجالسه الخاصة، بصحبة زملائه الجمهوريين فكان يقول: «كل ما هنالك أن هذا اللون قد أعجبنا كما يبدو»، ثم يبتسم بتهكّم.

وأمسك مؤيدو نيكسون بنشرات دوغلاس الإعلامية بالألوف وأغرقوها في المحيط. وفي الوقت نفسه أنتجوا دعاية دوغلاسية مزورة، يُزْعَمْ أنها صادرةٌ عن «العصبة الشيوعية للنساء الزنجيات»، وهذه طريقة موثوقة مؤكدة المفعول لتنفير الناخبين البيض من الطبقة الوسطى.

وراحت مجموعات طيّارة من المفارز النيكسونية، تطارد دوغلاس في مواعيد خطبها وتضايقها في كل موقف. وأثناء خطاب في جامعة كاليفورنيا الجنوبية، أطلق «طلبةٌ» خراطيمَ مياهٍ أغرقت المرشحة الديمقراطية. وقيل بأن أحد متزعمي تلك المفارز كان باتريك هيلينغز، الشاب الذي قدّر له بعد ذلك بوقت قصير، أن يصبح من أزلام نيكسون المقربين. وكان هناك آخر يدعى جو هولت، انضم فيما بعد إلى موظفي نيكسون. وفي بعض الأحيان تحولت المنافسة إلى صدام عنيف. فمنظم حملة دوغلاس في سان دييغو، أزيح بالقوة من الشوارع على أيدي سُوّاقٍ آخرين. وتعرضت هي نفسها للقذف بالحبر الأحمر، وحتى بالحجارة، وبدأت تتنقّل مع حرّاس شخصيّين.

ولجأ الديمقراطيون أيضاً إلى أساليب تثير التساؤل والشبهة، ولكنها

حدثت متأخرة في الحملة وكانت بصورة أساسية محاولة للرد على ضربات الخصم. فقد كان هناك طالب يدعى دِكْ تاك، تخصّص فيما بعد بالمقالب الهزلية المعادية لنيكسون[1]، انتحل صفة رجل جاء ليمهد الجوَّ لخطابٍ سيلقيه نيكسون، ثم عمل على ألاّ يحضر إلى الموعد المحدّد سوى حفنة ضئيلة من الناس. وزعمت بات نيكسون، التي راحت تتجوّل مع زوجها أثناء إلقائه لخطبه السياسية في الأماكن المختلفة، أن أعضاء النقابات العمالية كانوا كثيراً ما يمنعونه من الكلام. وفي إحدى المرات قلب العاملون الغاضبون في حملة دوغلاس سيارةً عاملةً في حملة نيكسون.

وأخيراً حاولت دوغلاس أن ترد على ضربات نيكسون، باتهامه بأنه **«هو ذو اللون الأحمر»**؛ غير أن تلك كانت وسيلة هراء من السفاسف لم تنجح، وبالحديث عن «الشباب الجمهوريين ذوي القمصان السوداء» للتلميح بأنهم فاشست. ولم تكن مثل تلك المحاولات خاطئة وعنيدة فحسب، بل كانت بلا

---

(1) على مدى العقدين التاليين، حصل تاك على لقب أمير المهرجين في السياسة المحلية في الولايات المتحدة. ورغم أن نيكسون ومساعديه قد اعتبروه أثناء فضيحة ووترغيت نموذجاً لأحابيل الديموقراطيين القذرة، فإن مقالب تاك الهزلية كانت شديدة الاختلاف عن عمليات الجمهوريين أثناء رئاسة نيكسون. صحيح أن تلك المقالب كانت مزعجة للجمهوريين إلاّ أنها كانت في جوهرها مجرد مداعبات فكاهية. بل إن مدير اتصالات نيكسون، هيرب كلاين قد اعتبر عمله من «المخابرات المشروعة» ووصف نشاطاته بأنها من نكات المزح المسلية أكثر منها خبيثة، وكان يعتبر تاك صديقاً. وأثناء حملة سنة 1956، عندما كان نيكسون في سان فرانسيسكو، خرج تاك ليلاً وألصق لافتات نيكسون الدعائية على شارات الطرق المصممة لإرشاد سيارات النفايات. وأظهر ضوء النهار أن العبارة الملصقة بهذه الطريقة صار نصّها «ألقوا نيكسون في المزابل!» وفي سنة 1968، استأجر تاك عدداً من النساء اللواتي يظهر عليهن الحمل بوضوح ليحملن لافتات كتب عليها: «نيكسون هو المسؤول». ولم يكن نيكسون هو الهدف الوحيد لتاك. فقد قام ذات مرة بإقناع إحدى المضيفات على طائرة الزعيم الجمهوري باري غولدووتر بأن تقدم له خياراً من المشروبات هو «القهوة، والشاي، والشوكران [نبات يستخرج من ثمره شراب سام]» (مقال بعنوان «أمير المهرجين» في صحيفة **غلوب** في بوسطن، عدد 30 أيلول / سبتمبر 1973). ومساعدو نيكسون، في **الواشنطن بوست** 17 حزيران / يونيو 1997؛ و«أمسية مع دِكْ تاك» مذاعة ومسجلة على شريط موجود في مكتبة الكونغرس؛ والمصدر السابق نفسه، 1956: ديڤيد هالبرستام في كتابه: **الأوديسة غير المكتملة لروبرت كيندي**، طبع لندن: باري وجنكينز 1968، ص 71؛ وكلاين: كلاين (مصدر سبق ذكره) ص 139، 145؛ والنساء في كتاب هالبر ستام المذكور أعلاه، ص 72؛ وغولدووتر (في المصدر نفسه).

معنى، لأنه لم يكن بوسع أي شيء يستجمعه الديمقراطيون، أن يتغلب على حجم الدعاية التي كان يضخّها الجانب النيكسوني.

وحسب رواية مؤيدي دوغلاس، فإن الأيام الأخيرة من الحملة قد جاءت بموجة طاغية من المكالمات الهاتفية من مجهولين، تماماً كما حدث في الحملة ضد فورهيس، يطرح فيها المتحدث المجهول سؤالاً: «هل تعرف أن هيلين دوغلاس شيوعية؟» ثم يغلق السماعة. وقد زُعِمَ فيما بعد أن تلك كانت عمليةً كثيفةً، شملت الولاية كلها وانطوت على أكثر من نصف مليون مكالمة.

أمّا رواية بات نيكسون عن الحملة، التي نشرت فيما بعد في قصة عائلية بسيطة في صحيفة **ساترداي إيفنينغ بوست**، فقد أوحت، دون أن تصرّح مباشرة، بأن زوجها كان يومئذٍ تنقصه الأموال. فكتبت تقول: «أعارنا صديقٌ سيارةَ ستايشن واغون مستعملة، فصبغناها بشعارات كبيرة. . . وبواسطتها كسبنا كاليفورنيا». ولقد كانت لدى عائلة نيكسون سيارة ستايشن واغون قطعوا بواسطتها مسافات شاسعة، ولكنها كانت جديدة عمرها لا يزيد على بضعة أشهر، وقد جاءت مع سائقها. أما الصديق الذي قدمها وهو هنري كيرنز، فقد كان واحداً من مؤيدي نيكسون الأثرياء.

ومرة أخرى تلقى نيكسون دعماً مالياً ثقيلاً من الوسطاء، الباحثين عن السلطة من تجارة النفط، فقد كان يروج للسياسة النفطية، التي تخدم مصالحهم على أفضل وجه. وكان أحد المؤيدين تاجر سيارات آخر هو هنري هالدمان، والد الرجل الذي صار رئيساً لأركان البيت الأبيض في عهد نيكسون.

ولتمويل هذه الحملة، طُرِحَت الشبكةُ خارج الولاية، بين عمالقة النفط في تكساس. وسرعان ما رحّب اثنان منهما بنيكسون في دِلْ تشارو، وهما كلينت مورتشيسون، وسِيدْ ريتشاردسون. وكانت دل تشارو هذه منتجعاً باذخاً في كاليفورنيا، يملكه مورتشيسون وقد استذكر مديره آلان ويتوير: «لقد تحدثنا مع نيكسون كأنه آذن المكتب».

وكانت تعمل في لجنة نيكسون المالية دانا سميث، ووريثة ثروة من تجارة الأخشاب، ومحام من باسادينا قدر له في غضون عامين أن يكون في وسط الضجة، التي كادت تكلف نيكسون منصبه كنائب للرئيس، وهي فضيحة الأموال النقدية التي قدمها رجال الأعمال في كاليفورنيا لنيكسون من وراء الكواليس.

وكانت هناك أيضاً أموال غير مشروعة: خمسة آلاف دولار من مدبّر أمور غير شريف، انتهاكاً لقواعد المجلس، قام بتسريبها لنيكسون السناتور أوين بروستر من ولاية مين، وخمسة وسبعون ألف دولار انتزعت بالقوة، وَلَيِّ الذراع من أسرة المقامرات على يد رجل العصابات مايكي كوهين(*).

ولا يمكن معرفة كميات الأموال التي تم صَبُّها في حملة نيكسون. فالأرقام المتاحة في مكتبة نيكسون توحي بأن الحملة تلقت ما يزيد على مائتي ألف دولار. غير أن ذلك قد يكون جزءاً صغيراً من المبالغ الحقيقية. فلوحات الإعلان وحدها، حسب حسابات تشوتينر، كلفت «نحو خمسين ألف دولار». وتشير بعض التخمينات إلى أن النفقة الحقيقية، قد تكون تراوحت بين مليون دولار وما يقرب من مليونين، وهذه مبالغ هائلة بمقاييس ذلك الزمن، أيّاً كان الصحيح منها. فقد جمع مؤيدو نيكسون أموالاً بلغ من كثرتها، أنهم راحوا يوزعون نقوداً على المرشحين الجمهوريين في انتخابات أخرى. وعلى عكس ذلك كانت حملة السيدة دوغلاس، عرضة للافتقار إلى درجة أنها لم تستطع في إحدى المناسبات أن تدفع أجرة طابعي كراسات الدعاية.

وفي مثل هذا الوضع، أثناء اهتياج المشاعر المعادية للشيوعية، سنة 1950 والحرب الكورية في شهورها الأولى، وضحاياها الأمريكيون يتزايد عددهم يومياً، كانت «السيدة القرنفلية» محكوماً عليها بالسقوط. ومع ذلك لم يتصرف

(*) كما هو موصوف في الفصل السادس.

نيكسون كأنه يتوقع النصر. وفي يوم الانتخاب جلس على الشاطئ مع بات تحت رذاذ المطر، ثم ذهب إلى السينما وحده. وخرج منها «متأكداً من أننا قد هُزِمنا»، ولكنه لم يعلم سوى أنه فاز بنصر مبين.

واستخف نيكسون في مذكراته بحقيقة كون معركة عضوية مجلس الشيوخ، قد أكسبته لقباً التصق به طوال حياته الباقية بعد ذلك، وهو لقب «دِكْ المخادع»[2]. فلم يذكر شيئاً عن التمويل الضخم، ولا عن وابل النيران التي أطلقتها أجهزة الإعلام لمصلحته من جانب واحد، ولا عن المضايقات المتعمدة التي نظمها مؤيدوه. وكتب بدلاً من ذلك بلهجة حزينة هادئة عن المضايقات الديمقراطية، جاعلاً نفسَه الطرفَ الذي استهدفه الهجوم[3].

ولقد تحمل نيكسون نفسُه المسؤولية النهائية عن الحملة ضد دوغلاس. فقد تذكره تشوتينر على أنه كان «ساعياً إلى الكمال... وجنرالاً يطلب الدقة المطلقة والتنسيق المخطّط بعناية في كل حركة...» وقال توم ديكسون، الذي كان يتنقل معه في الماضي كمذيع في إحدى محطات الراديو، وكرجل مهمته تسخين المشاهد بإثارة الحماس: «كان نيكسون يعلم بكل ما يجري». واستذكر ديكسون في مقابلة أجريت معه ومع زوجته سنة 1997، كيف كان نيكسون

(2) إن لقب «دِكْ المخادع» قامت بصياغته صحيفة صغيرة في ربيع سنة 1950 وهي **الإنداباندانت ريفيو**. وفيما بعد تبناه أنصار دوغلاس. وهو لم ينتشر حتى أواخر أيلول / سبتمبر من تلك السنة، عندما أعادت الصحيفة استخدامه في إحدى افتتاحياتها. (ميتشيل، مصدر سبق ذكره، ص 184 وما يليها، ودوغلاس، مصدر سبق ذكره ص 328).

(3) من الروايات المدعمة بالبحث الجدي المفصل عن حملة سنة 1950 رواية روجر موريس في كتابه **نيكسون: صعود وسقوط سياسي أمريكي**. كما أن كتابه عن الفترة كلها من مولد نيكسون حتى تعيينه نائباً للرئيس هو مصدر ثمين، على الرغم من الاعتراض على بعض جوانب أعمال موريس من قبل الأستاذ إيروين غيلمان من جامعة تشابمان بمدينة أورانج في كاليفورنيا، وذلك سنة 1999 في كتابه: **المنافس** ولم يتم طبع كتاب غيلمان إلاّ بعد أن كان بحث المؤلف قد قطع شوطاً كبيراً إلى درجة أنه لم تعد هناك حاجة للمتابعة المستقصية لهذا الموضوع، لأن انتقاد غيلمان لموريس يبدو صاخب اللهجة وغير حاسم نسبياً. وإن إجراء مقارنة دراسية متخصصة بين هذين المؤلفين ستُعْتَبَرُ من الإضافات المرغوب بها إلى أدبيات هذه المرحلة. انظر قائمة المراجع للحصول على تفاصيل عن هذين الكتابين.

يطالب بمستمعين «صارخين في هتاف صاخب سعيد» قبل صعوده إلى المنصة. وكان يؤخر مواجهة الجمهور أحياناً، حتى يستعيد صوابه من نوبة غضب كانت تبدو لديكسون، شديدة العنف إلى حد «يخرجها عن السيطرة». وفي سنة 1946، كان ديكسون قد صوت لمستخدِمه (نيكسون)، أمّا في سنة 1950، فقد جعله سلوك نيكسون في الحملة يشعر بخيبة أمل إلى درجة أنه لم يصوّت لأحد.

وهناك شهادة أخرى تشير إلى أن نيكسون شخصياً، كان يفضل الهجمات الخبيثة على دوغلاس. وهي شهادة تأتي من مذكرات مساعدٍ صحافي كان ينتقل معه أثناء الحملة، هو وليام آرنولد. فهو يتذكر رد فعل مستخدِمه نيكسون عندما قيل له، إن منافسته قد أدلت بملاحظاتٍ «فيها شيء من المذمّة» عنه في خطابٍ لها، فسأل: «أقالت ذلك؟ حسناً، سوف أخصيها» فعلق آرنولد على ذلك متهكماً، بأن مثل هذا العقاب سيكون صعباً، ما دامت دوغلاس امرأة، فَرَدَّ نيكسون بلهجة لاذعة وسريعة: «لا يهمني ذلك، سأفعل على أية حال».

وكان نيكسون هو الذي هبط بلهجة المنافسة التي كانت في الحضيض أصلاً، عندما أخبر مستمعيه أن دوغلاس «قرنفلية اللون حتى سراويلها الداخلية»، بل لقد لجأ إلى التشهير الجنسي ليلطّخ سمعتها، ملمحاً إلى أنها نامت مع الرئيس ترومان. وكان حريصاً على أن يدلي بهذه التصريحات في تجمعات بعيدة عن الصحافة، أو على الأقل بعيداً عن ذلك الجزء الضئيل من الصحافة الذي كان يعارضه. كما كان متحرزاً من اللطخات العرقية العنصرية. فقد كان زوج دوغلاس، الممثل ميلفين دوغلاس، قد ولد باسم هِيسلْبِرْغ، لأب يهودي. وعندما قام المتطرف جيرالد سميث بوخز السيدة ليستفزّها بتعييرها بزواجها من يهودي، نأى نيكسون بنفسه عن ذلك.

غير أن حملة المكالمات الهاتفية النيكسونية التي كانت تشمل أسئلة تبدأ بعبارة: «هل تعلم؟» كان فيها همسات عن ارتباطات دوغلاس اليهودية. كما

كان نيكسون يشير إلى منافسته أحياناً باسم «هيلين هيسلبرغ» بطريقة ماكرة، إذْ لم تكن هي ـ ولا زوجها ـ يستخدمان هذا الاسم، ثم يعود نيكسون إلى التصحيح لنفسه، وكأن الإشارة كانت زلّة لسان غير مقصودة. وقد فعل ذلك في مناظرته الوحيدة التي ظهر فيها مع دوغلاس على المنصة، ولكنه لم يفعل إلاً بعد أن غادر خصومه الاجتماع.

ومع وصول الحملة إلى أوج جيشانها، وأثناء زيارة قصيرة لنيويورك، جلس نيكسون يحتسي الويسكي في ساعات الصباح الأولى مع الصحافي كاتب العمود موراي كيمبتون، الذي قيض له أن يستذكر كيف قال نيكسون، إنه يكره إنهاء الحياة السياسية لهيلين دوغلاس، لأنه كان معجباً بها كثيراً. وبعد ذلك بسنوات عندما طلب الناشرُ البريطانيُّ ديفيد دوغلاس من نيكسون أن يفسر أساليب حملته تلك، قيل إنه «أطرق برأسه إلى الأرض وفي عينيه نظرة من الأسف العميق المتواضع»، ثم أوضح: «أريدك أن تفهم. لقد كنتُ آنئذٍ شاباً حديث السن»[4]. في سنة 1950 كان نيكسون في السابعة والثلاثين وقد مضى على عضويته في مجلس النواب أربع سنوات من الأقدمية.

وفي تلك السنة أصبح عضواً في مجلس الشيوخ. واستمر نجمه في الصعود. ومع ذلك، وعلى رغم نجاحه كله، وربما بسبب ذلك النجاح، كان نيكسون قد بدأ يفقد توازنه.

---

(4) قال الناطق باسم نيكسون فيما بعد إنه «ليس هناك أساس من الحقيقة» لما كتبه آستور (ستيفن آمبروز: **نيكسون: تثقيف سياسي**، المجلد الأول، نيويورك: سايمون وشوستر 1987، ص 459، وكذلك روجر موريس في كتابه: **ريتشارد ميلهوس نيكسون: صعود سياسي أمريكي**، نيويورك: هنري هولت 1990، ص 617).

10

كانت صورته الذكورية الهشة عن نفسه تدفعه نحو الأقوياء والخشنين، وإلى ذروة السلطة القصوى للرئاسة

الدكتور هتشنيكر، المختص بالأدوية الجسدية ـ النفسية والعلاج النفسي الذي كان ريتشارد نيكسون يستشيره

كان أثر التوتر قد بدأ يظهر على نيكسون، قبل وقت طويل من وصوله إلى مجلس الشيوخ. كانت هناك ساعات العمل اليومية العشرون أثناء قضية هيس، والوجبات الغذائية التي فاتته، ورفضه أن يأخذ وقتاً مستقطعاً للراحة. وقد جعله ذلك كله نَزِقاً حاد الطبع مع زملائه، وكذلك دنيئاً نكداً مع أسرته. وعندما واجهته مصاعب في النوم، راح يلجأ إلى الأقراص المنومة. ولم تؤدِّ الحملة ضد هيلين دوغلاس إلاّ إلى دفعه إلى حدود أبعد.

وأثناء عضويته في مجلس الشيوخ ظل يعمل بشكل مفرط غير سويّ، وعندما كانت سكرتيراته يغادرن في نهاية ساعات العمل، كان يستمر في المساء. وكثيراً ما كان يترك الذهاب إلى البيت للعشاء، إذا ذهب على الإطلاق. وقال إيرل تشابمان، الصديق الذي وثقت به بات، إن نيكسون كان يشتغل «حتى ساعات الفجر الأولى. . . وكان إذا انتهى من عمله في وقت مبكر، فربما يعود إلى البيت، ولكنه كان في كثير من الأحيان يتكوّم على الأريكة، للحصول على بضع ساعات من النوم. ثم يتناول إفطاراً خفيفاً ويحلق، ويذهب مباشرة إلى غرف مجلس الشيوخ. . .».

وبعد شهر أو اثنين من جدول العمل الشديد القسوة، بدأ نيكسون يصاب

بآلام ملحّة في ظهره ورقبته. ولم يستفد من الأطباء الذين استشارهم في أول الأمر، ووجد نفسه يقلّب صفحات كتاب عن المرض الجسدي ـ النفسي ألح عليه لقراءته سناتور كاليفورنيا السابق، شريدان داوني. وكان عنوانه **إرادة الحياة**، لمؤلفه الدكتور آرنولد هتشنيكر، وهو كتاب سهل القراءة، ومن أفضل الكتب مبيعاً، وقد كتب للقراء «الواقعين في براثن صراع حاد»، وفيه تأكيد على «تفاعل النفس البشرية وردود الفعل الجسدية».

وقد وصف أحد الأكاديميين هتشنيكر بأنه «ذو أسلوب يجمع بين مدرستي بافلوف وفرويد». وقد صرح هو نفسه بأنه يعامل المرضى «كأنهم أطفالي». وكان من بين زبائنه المشهورين على مدى سنوات، كما قيل، ممثلات سينمائيات كإليزابيث تايلر، وسيلستي هولم وريتا هيوارت، والكاتب القصصي إيريك ماريا ريمارك. وكان هتشنيكر مهاجراً نمسوياً تخرج في برلين بعد وقت قصير من نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان يعمل في نيويورك منذ سنة 1936.

وبينما كان يمارس الطب الداخلي، فقد كان مهتماً في بواكير حياته العملية، بطريقة تأثير الاضطرابات العقلية والعاطفية على الصحة. وبحلول سنة 1951 كان هذا الموضوع قد صار نقطة التركيز الأساسية في عمله. فتخلى عن الطب الداخلي تماماً بحلول سنة 1955، ليتخصّص حصراً كطبيب نفسي، يشتغل في ما أسماه «المعالجة ذات التوجه التحليلي النفسي للمشاكل العاطفية»[1].

(1) قال الدكتور هتشنيكر إن تركيزه على العلاقة بين الظواهر الجسدية والنفسية قد بدأ في تشاريتي، في مستشفى جامعة فردريك ويلهيلم في برلين حيث كان يتلقى تدريبه كطبيب. وفي الولايات المتحدة يستطيع أي طبيب أن يتخصص في العلاج النفسي. غير أن الحصول على مصادقة مجلس إدارة العلاج النفسي والعصبي التابع للرابطة النفسية الأمريكية يتطلب ممارسة العلاج النفسي لمدة سنتين على الأقل. ولم يكن لدى هتشنيكر مثل هذه المصادقة. فقد كان عضواً في رابطة الأطباء الأمريكيين، وعضواً في الجمعية الأمريكية للطب النفسي ـ الجسدي وزميلاً في أكاديمية الطب النفسي ـ الجسدي. (بحث قام به المؤلف؛ **الواشنطن بوست**، عدد 20 تشرين الثاني / نوفمبر 1973؛ وكتاب روجر رابوبورت المعنون **الأطباء المتفوقون**، طبع شيكاغو، مطبعة بلايبوي، 1975، ص 155).

وحسبما قال أحد الذين أجروا مقابلة مع الدكتور هتشنيكر، فقد كانت لديه «مسحة من الحماس التبشيري تشبه ما لدى بيلي غراهام، والتفاؤل المرح الشبيه بمزاج نورمان فنسنت بيل، والمعتقدات النفسية أو الروحية لجين ديكسون، ولهجة تذكّر المرء بالممثل بيتر سيلرز في دور الدكتور سترينجلاف». وكان نيكسون، كما رأينا، يربط نفسه بغراهام وبيل معاً، وكان ـ حسب رواية مساعد مقرب منه ـ، يصدق تنبؤات ديكسون، المنجّم الشعبيّ العرّاف.

وفي كتاب **إرادة الحياة**، يعالج هتشنيكر سلسلة من الإصابات التي يعاني منها البشر، كالإرهاق المزمن، والتوتر المفرط، والقروح، والأرق، والعجز عن الحب، والنزعة العدوانية، والعقم في الرجال والبرود في النساء. وعند قراءة الكتاب، اتخذ نيكسون خطوة قيض لها أن تؤدي إلى علاقة طويلة من الثقة بالطبيب، وإلى إحراج سياسي في وقت لاحق. فطلب من إحدى أمينات سره الجديدات، وهي روز ماري وودز، أن تتحدث مع هتشنيكر بالهاتف لتسأله عما إذا كان مستعداً لقبول مريض خاص جديد. وكانت وودز قد بدأت في خدمة نيكسون بولاء قيض له أن يعطيها ذات يوم، دوراً سيّئ الصيت في ملحمة ووترغيت؛ فأخبرتْ هتشنيكر أن رئيسها كان في الحقيقة «مهتماً بشيء في كتاب **إرادة الحياة** يتصل به».

وهكذا حدث، ربما في أوائل خريف سنة 1951، أن ذهب نيكسون إلى نيويورك، وقدم نفسه للدكتور هتشنيكر في عيادته المثيرة للإعجاب في 829 بشارع بارك الظليل. وكانت زوجة الطبيب تعمل كموظفة استقبال في ذلك اليوم، فدخلت إلى الغرفة الداخلية لتعلن وصول السناتور الشاب، قائلة إنه يبدو «متوتراً جداً». وقدر لنيكسون أن يزور هتشنيكر مرات عديدة في تلك السنة الأولى وفي السنوات الأربع التالية.

ومنذ سنة 1952، عندما صار نائباً للرئيس، كان نيكسون يصل، عند زيارته ـ وقد قام بخمس زيارات للطبيب في تلك السنة ـ علانية في سيارة

الليموزين الرسمية، وبصحبة حرس من الشرطة السرية. غير أنه في سنة 1955، عندما بدأ هتشنيكر يتخصّص في المعالجة النفسية وحدها، صار نيكسون يشعر بالقلق من العلانية. وعندما أشار والتر وينشل إلى تلك الزيارات إشارة دسّ خبيث في أحد أعمدته الصحافية، صار نيكسون يستشير لعلله الجسدية طبيباً عسكرياً في واشنطن.

وفي ذلك الوقت كان قد أقام مع هتشنيكر علاقة وثيقة، بحيث كانا يلتقيان بشكل خصوصي كلما جاء نيكسون إلى نيويورك. واستذكر الطبيب: «أتذكر أنني ذهبت إلى جناحه في فندق والدورف، وسمعته يغني بسعادة، وهو في الحمّام، فقلت لنفسي، آهَا، إن علاجي ينجح».

واستمرت هذه اللقاءات السرية طيلة الخمسينيات، وقال هتشنيكر إن نيكسون عندما كان يتصل به هاتفياً: «لم يكن يقول أبداً (عندي مشكلة)، بل يقول: أيمكن أن نتناول الإفطار معاً؟ فأذهب إليه. كان محتاجاً إليّ. كانت تلك حالة تحول، ونوعاً من الثقة. كان يأتي إليّ عندما كانت لديه قرارات يتخذها، أو عندما يكون هناك شيء سيحدث قريباً، وكان يزعجه أو يقلقه.

ولم يكن نيكسون يكشف دائماً عمّا يدور في خَلَدِهِ. فبعد زيارة قام بها سنة 1952، أصيب هتشنيكر بالذهول، عندما عَلِمَ من الصحافة عن احتمال اختيار مريضه، كنائب لآيزنهاور في الانتخابات الرئاسية. ولا بد أن تلك القضية كانت أبرز ما في ذهن نيكسون أثناء تلك الاستشارة، ولكنه لم يذكرها. غير أنه في وقت لاحق من تلك السنة، عندما كان واقعاً في شبكة الادعاءات، بأنه تلقى أموالاً بشكل سرّيّ - فضيحة التمويل -(*) حاول الوصول إلى الطبيب على نحو مسعور.

«خرجت لبرهة وجيزة ذات يوم، وعندما رجعت قالت لي زوجتي (أين

(*) انظر ص 253.

كنت؟) لقد ظل مكتب السناتور يتصل بك كل عشر دقائق. وكانوا يمسكون بالخطّ، فكانت آخر مكالمة لهم قبل ذلك ببضع دقائق، ولكن السيد نيكسون لم يستطع الانتظار. . . وعلمت لاحقاً باتهامات التمويل السرّيّ».

وقام الطبيب النفسي بعدد من الرحلات لرؤية نيكسون في مكتبه بواشنطن. وفي إحدى الدعوات على الغداء أذهلَ السناتورَ بإعلانه، أنه يعتقد أن جو مكارثي ووزير الخارجية جون فوستر دالاس كليهما مختلّين عقلياً. وكتب نيكسون في مذكرةٍ سنة 1959 إلى روزوودز: «الدكتور هتشنيكر. . . أريده أن يأتي إلى هنا. . . تأكدي منّي عما إذا كنتُ أريد ذلك قبل أن نذهب في عطلتنا». وفي السنة التالية، أثناء الحملة ضد جون ف. كينيدي، كانت هناك دعوة أخرى.

وفي أوائل سنة 1961، وفي غضون أسابيع من تسليم الجمهوريين البيتَ الأبيض، عاد نيكسون إلى عيادة الطبيب. وفي السنة التالية استشار هتشنيكر قبل محاولته الكارثية للفوز بمنصب حاكم ولاية كاليفورنيا، بعد أن تجاهل نصيحة الطبيب له بأن لا يرشح نفسه. وكانت هناك صحافية تصادف أنها تسكن في البيت المجاور للمبنى، الذي تقع فيه مكاتب الدكتور هتشنيكر في بارك آڤينيو، واسمها هارييت فان هورن، فاستذكرت مشاهدتها «لسحنة نيكسون الكالحة» أثناء مروره من تحت ظلّة الرواق. وتذكرت الصحافيّة: «سألتُ موظفَ البناية ذات مرة: هل يزور السيد نيكسون أصدقاء في الشقة رقم 829؟) فجاء الجواب: (كلاّ. إنه يأتي لرؤية الطبيب النفسي)».

غير أن مساعدي نيكسون اهتموا بقطع العلاقة عملياً أثناء فترة رئاسته، رغم أنه قدر للطبيب أن يزور البيت الأبيض مرتين، المرة الأولى لمناقشة جرائم العنف، والثانية بعد الغزو الأمريكي لكمبوديا سنة 1970. وكان الطبيب يأمل منذ زمن طويل، أن يقوم نيكسون بإخراج أمريكا من ڤيتنام بسرعة. وقد نقل عنه صديقٌ قوله: «إن أسلوب بافلوف قد ساعده على غسل دماغ نيكسون لجعله

شخصاً أفضل». فقد كان يعتقد أنه يستطيع أن «يحوله إلى حمامة» في جنوب شرقي آسيا. ولكن الرحلة الثانية أخفقت. وكما هو مذكور في السياق فيما بعد، فقد أنهى نيكسون الاجتماع بخيبة أمل بعد بضع دقائق. وكان هناك عدد آخر من الاجتماعات خارج البيت الأبيض، ولكنها كانت لا تتم إلاّ عندما كان نيكسون يشعر أنه يستطيع أن يتجنب الانكشاف، ليس من قبل الصحافة فحسب، بل من قبل مساعديه أنفسهم.

وفيما بعد، عندما استقال نيكسون من رئاسة الولايات المتحدة، قام الطبيب بزيارته في سان كليمنت. وعندئذٍ بدا نيكسون «كشخص معترِفٍ بأخطائه» كما أعتقد هتشنيكر. وقد التقيا للمرة الأخيرة سنة 1993، عندما طلب نيكسون من الطبيب أن يرافقه في تشييع جنازة زوجته بات. وقد جلس، بناء على طلب نيكسون، في المقاعد المخصّصة للعائلة. ولم يحضر الطبيب جنازة الرئيس السابق نفسه في السنة التالية، لأنه ـ حسب تعبيره ـ لم يبق له شخص يقدم له المساعدة.

وفيما عدا بعض التعليقات الحذرة، لم يتحدث الدكتور هتشنيكر علناً عن مريضه عبر السنين. وكان يتجنب وضع اسم نيكسون على وصفاته الطبية، ويبعد اسمه عن دفتر مواعيده، والظاهر أنه لم يطالب بدفع أجوره. ورغم أنه قيل إن الطبيب كان أقل حذراً في مجالسه الخصوصية ـ فيما عدا النتف التي كانت تتناثر وتتسرب في حفلات العشاء بصورة جانبية ـ فقد كان الطبيب حريصاً على حماية نيكسون كما تتطلب الأخلاق الطبية.

غير أنه في سنة 1995، أعطى المقابلة الأولى من ثلاث مقابلات مطولة لهذا الكتاب. وقال هتشنيكر إن الرئيس السابق، عند اقتراب نهاية حياته كتب له تفويضاً بأن يكتب عن علاقتهما، مفترضاً أن هتشنيكر سيعيش بعده. ولا بد أنه قد بدا أن من المعقول أن لا يحدث ذلك لأن الطبيب كان عندئذ يخطو نحو سن التسعين. ومع ذلك مات نيكسون قبله فعلاً. وكتب هتشنيكر مسودة

مخطوطة عن تجاربه مع مريضه، رغم أنه احتفظ بها في بيته غير مطبوعة. فقد شعر، كما قال، بأنه مرغم «على حذف الكثير».

كانت حيويته مذهلة وهو في السابعة والتسعين، يمثل شهادة حية على نصيحته ذاتها عن كيفية تحقيق الحياة الطويلة، فاستقبل الشخص الذي أجرى المقابلة معه في كونّيكتكوت الشمالية ذات الآجام الخضراء. وأجاب عن الأسئلة في مكتبته المرصعة بالتحف والطرائف، المجمعة عبر حياة مهنية طويلة، ومن بينها صورٌ لريتشارد نيكسون، موقع عليها سنة 1977 بعبارة «تقديراً للصداقة»، وفيلةٌ عاجيّة مهداة إليه من نيكسون. وبعد ذلك، في جلسة على الشرفة لتناول شاي مخلوط بالويسكي الإيرلندي، تحدث متدفقاً بلغته الإنكليزية التي تشوبها لكنة ألمانية ثقيلة، عن السياسي الذي كانت له به صلة حصرية مقصورة عليه.

واقتصر الدكتور هتشنيكر في حديثه على ما هو مقبول أخلاقياً. فلم يقل شيئاً يذكر عن زيارة نيكسون الأولى سنة 1951. وقال إن الشكوى الأولية لمريضه كانت من شعوره «بشيء من العصبية، وسرعة الغضب والانفعال، وقلة النوم المريح. فأعطيتُه مهدئاً خفيفاً وطلبتُ منه أن يعود بعد أسبوعين».

غير أن نيكسون لم يكن قد سافر من واشنطن إلى نيويورك، للحصول فقط على وصفة ضد الأرق. ففي جواب مقتضب عن سؤال طرحته مجلة **نيوزويك**، أفلتت من هتشنيكر ذات مرة عبارةٌ فحواها، أن «نيكسون كان يتساءل إن كان هناك سبب عاطفي» لما كان يضايقه جسدياً. وقال نيكسون بدوره بعد سنوات إنه كان يعتقد دائماً، بوجود صلة مباشرة بين الصحة البدنية والصحة العقلية.

وقد كشف الطبيب بعد سنوات، أن الاكتئاب كان أحد جوانب مشكلة نيكسون. وتحدثت بات نيكسون عن كون زوجها «مكتئباً أكثر مما تتذكر طيلة حياتها» في وقت مبكر من الحملة الانتخابية لسنة 1956. واستذكر الصحافي

البارز هاريسون سالزبوري، العامل في صحيفة **النيويورك تايمز** اجتماعاً في أوائل سنة 1960، وهي سنة الحملة بين نيكسون وكيندي، مع رجل أعمال كان قد خدم مع نيكسون في الحرب العالمية الثانية، ممن كانوا ـ كمعارفه الآخرين في الخدمة ـ يعرفونه باسم نِكْ. فسأله رجل الأعمال: «قل لي، أما يزال نِكْ يزور طبيبه النفسي ذاك في نيويورك؟»، ثم شرح لسالزبوري المندهش أن في حياة نيكسون «مرتفعات ومنخفضات قاسية»، وأنه لم يكن من السهل انتشاله من الحفرة عندما كان يصاب بالاكتئاب، كما كان الحال عندما كان رجل الأعمال يتحدث مع سالزبوري، كما قال[2]. وكان لين غارمنت، زميلُ نيكسون من منتصف الستينيّات غيرَ غريب عن العلل والأمراض، فقال إن نيكسون كان يعاني من «اكتئاب شديد».

وأخبر هتشنيكر المؤلفَ بأن مريضه، كان في بادئ الأمر محجماً عن الحديث عن نفسه، ولكنه صار أكثر انفتاحاً بصورة تدريجية. وكما قال الطبيب، فإنه كان يتفاخر «باجتذاب مرضاه إلى المعالجة». وقد تمكن في آخر الأمر من بناء ثقة، كانت كافية لجعل نيكسون يقول، بعد مضي أربع سنوات على علاقتهما، بأنه «يستطيع في الحقيقة أن يقول لي كل شيء وهو يشعر بالأمان». ولم يصل الطبيب إلى حد جعل نيكسون يقبل دورةً كاملةً من العلاج النفسي، ولكن يبدو أنهما وجدا أرضية وسطيَّة يقيمان عليها علاقتهما المتبادلة.

وفي وقت مبكر، عند نهاية الجلسة الثانية، كما قال هتشنيكر، تأكد لديه أن حدة ذكاء مريضه وثقته بنفسه إزاء العالم الخارجي، كانت قناعاً يخفي وراءه «كوابح مثبطة عميقة الجذور». وبدأ يعتقد أن نيكسون «لغز غامض، ليس بالنسبة لي فحسب، بل وبالنسبة لنفسه. وكان عليّ. . . أن أحاول أن أفهم ما الذي يحرك دوافعه القوية، وكذلك لكوابحه المثبطة ـ وهذا من المفارقات ـ».

(2) صار سالزبوري يعرف الدكتور هتشنيكر جيداً، ولكن يبدو أن ذلك لم يحدث إلاّ بعد لقائهما في سنة 1960 (هتشنيكر: **الدافع إلى السلطة**، مصدر سبق ذكره، ص 18، 182 وما يليها، 267).

وكما توحي معلومات أخرى، فإن هتشنيكر كان يعتقد أن فرانك نيكسون كان رجلاً «متوحشاً وقاسياً»، يضرب أبناءه ويعامل زوجته «بوحشية». وبينما اعتبر الطبيب ذلك عاملاً هاماً جداً في تكوين نيكسون، فإن قلب المشكلة، حسب اعتقاده، كان هنّا نفسَها، وقال هتشنيكر: «من الناحية السريرية، بدأت المشكلة بالأم، فقد كانت أم نيكسون **شديدة** التدين إلى درجة، أنه كان واقعاً في الفخ بعدة طرق. لا أقول إنه كان متديناً في الحقيقة، ولكنه كان موالياً لأمه بصورة كلية، وكأنه إنسان آلي، إن شئت التعبير. وحتى آخر أيّامه، كما تعلم، ظل يركع ليصلي كل يوم. فقد كان مختنقاً تماماً. لقد كانت أمه في الحقيقة هي سبب سقوطه».

وبينما توفي والد نيكسون سنة 1956، فقد عاشت أمه حتى سنة 1967 وتوفيت قبل سنة من انتخاب ولدها رئيساً. وفي سنة 1960، أثناء معركته الفاشلة ضد كيندي، كانت أم نيكسون ما تزال شديدة النشاط. وكان هتشنيكر يعتقد أن أداء نيكسون في المناظرة المتلفزة آنذاك ـ وكذلك خطابه المتلفز الكاشف عن نفسه قبل ذلك في سنة 1952، عندما أجاب على الاتهامات بالتمويل غير المشروع ـ كان متأثراً بفكرة رؤية أمه له. وقال هتشنيكر: «كنت مقتنعاً بالعلاقة بين الوقوف أمام آلة التصوير، والوقوف أمام والدته. . . واضرب وجه الأم الوحيد المنتقد المراقب للعيوب، بعدد العيوب التي يراها الملايين، وعندئذ تستطيع أن تتفهم على نحو أفضل، سرّ ارتباك نيكسون على شاشة التلفزيون. . . أعتقد أن وجه أمه القديسيّ ونظرتها الصارمة، قد دحره أكثر من أي عاملٍ آخر. . . كان يريد أن تعتقد أنه كامل. فكانت تلك هي مشكلته».

وبالنظر إلى الوراء، كان هتشنيكر يشك في وجود «مشاعر بالذنب» عند نيكسون بسبب اتباعه للسياسة، بأسلوب أبيه الانتقامي بدلاً من السير على

الطريق «القديسي» لأمه. وقد شعر الطبيب بأن رغبة نيكسون المتقدة الحماسة، هي أن يتمكن ذات يوم من أن يقول لِهَنَّا: «أمّاه، لقد حقّقت السلام. وأنا الآن جدير بك».

وفي سياق مناقشة علاقة نيكسون بأمه، أثار المؤلف إمكانية تعرض نيكسون للمعاناة في وقتٍ ما من العقم الجنسي. فقد كانت هذه هي الحالة حسب رواية جيمس باسيت، الذي صار منذ سنة 1952 شديدَ القرب من نيكسون إلى حد غير عادي، باعتباره مساعده الصحافي ـ ونديمه على الشراب ـ.

فأنكر هتشنيكر أن يكون قد عالج نيكسون من العقم. غير أنه ذكر أن مريضه «كان يصبح مراهقاً في الرابعة عشرة من عمره، ويحمرّ وجهه، ويتلعثم» كلما أثيرت قضايا الجنس. وتحدث الطبيب قليلاً عن بات نيكسون. فقد علم منها بشكل مباشر «كم كانت تحتقر السياسة. كانت تريد حياة بسيطة. . . وأن تكون ربة بيت. ولكنه لم يتمكن من ذلك، لأنه كان يريد أن يكون في وسط المعمعة». فمن جهة، كان هتشنيكر يعتبر بات «سيدةً رائعة. . . ومخلصة الولاء. . .» قدمت لزوجها دعماً وتشجيعاً بلا حدود. ومن جهة أخرى قال إن نيكسون كان يعتبرها «شَمْسَهُ» إلى درجة لم تكن كلها صحيّة. وقال الطبيب إن نيكسون «كان وفيّاً لها، ولكن ذلك كان يشبه العلاقة مع أمه. . . من جانب واحد. وقد صار شديد الاعتماد عليها».

وعند الضغط بإلحاح حول مشكلة العقم المزعومة، أبدى هتشنيكر تردّداً، ثم قال مستنداً إلى مرتكز نفسي مألوف: «لكل ولد انطباع عن أمه كمثل أعلى، وما لم يقم بإغراق ذلك المثل، فإنه لن يستطيع ممارسة الجنس». وعند سؤاله عمّا إذا كان يطبق ذلك المبدأ على علاقة نيكسون مع بات، ردّ هتشنيكر: «لا أستطيع أن أقول ذلك»، ولكنه أضاف: «إذا كانت امرأة تشبه الأم، وكانت

قديسة، فإنك لا تمارس معها الجنس. وهذا هو أقصى ما أستطيع الذهاب إليه». ورفض أن يقول المزيد عن هذا الموضوع.

وفي كتاب **إرادة الحياة**، الذي شجع نيكسون على استشارة هتشنيكر للمرة الأولى، يقترح المؤلف وجوب تسمية أواخر القرن العشرين «عصر الازدواجية»، فقد كتب أن «الازدواجية» في الطب النفسي اصطلاح يعني: «أن توجد داخلنا في الوقت نفسه عواطف متناقضة تجاه الشيء، أو الشخص نفسه» وعند هتشنيكر، فإن ذلك يفسر أكثر الجوانب ظلاماً ونزوعاً إلى التدمير عند الإنسان. وكان يعتقد أنه لو فهم إنسان العصر الحديث ذلك لما بقي لديه أي عذر لـ «عدم النضج العاطفي».

وقال الطبيب إن مفهوم الازدواج يعالج دفعة واحدة، الإشارات المتواصلة إلى وجود «نيكسون قديم» و«نيكسون جديد». ويفسر هذا المفهوم لهتشنيكر «السلوك المتناقض لنيكسون الذي يكاد يكون، تطهرياً مع نيكسون ذي اللغة البذيئة غير المتورعة والانفجارات الغاضبة. فهو انعكاس مباشر لشخصيتي والديه المتناقضتين... ونحن جميعاً نحكم بما نرى. غير أن ما لم تكن رؤيته ممكنة، هو الولد التابع لطائفة المرتعدين الذي له أم «قديسيّة» وأب غاضب، والمليء بأنواع الجوع والصراعات غير المعروفة في أعماق نفسه الداخلية، والتي صارت فيه «شعوراً بالرسالة» لافتاً للأنظار». وهناك رأي أقل تعاطفاً، إلى حدٍّ ما تشارك فيه هتشنيكر مع المدعوين على العشاء ذات ليلة كثرت فيها الثرثرات في سنة 1965، حسب رواية وسيط الضغط والمصالح وينتر - بيرغر، الذي كان حاضراً. فقد قال الطبيب ليلتئذٍ: «إن نيكسون أسعد ما يكون عندما لا تكون لديه مسؤولية، أو عندما تكون لديه المسؤولية كلها. فعندما لا تكون لديه مسؤولية، لا يمكن انتقاده لأي شيء، وعندئذ يستطيع أن يرتاح ويكون ولداً صغيراً. أمّا عندما تكون لديه المسؤولية كلها فإنه يشعر أن له الحق في ممارستها كما يراها مناسبة هو وحده، ولا يستطيع أن يتحمل التعرض للنقد

لأي شيء على الإطلاق. فذلك عندما يقول أو يفعل أشياء قصيرة النظر، وأتلقى أنا مكالمة هاتفية»[3].

وهكذا كان نيكسون، ورغم ابتعاده عن العلاج، استمر في استخدام الطبيب كنوع من المحافظة الطبّيّة على الحياة، كي يُسْتَشارَ في أوقات الأزمات.

ولقد فزع نيكسون من قرار هتشنيكر، حصر ممارسته في المعالجة النفسية وحدها سنة 1955. فقد كان شديد الوعي إلى أن الصحف، إذا بدأت في التحقيق فلن يكون من المحتمل أن تصمد أمامها ذريعته الهشَّة في أنه يستشير الطبيب لعلل جسدية محضة. ذلك أن «من الأسلم للسياسي أن يذهب إلى بيت للدعارة بدلاً من مقابلة طبيب نفسي»، كما قال هتشنيكر نفسه ذات مرة بلهجة حزينة. ومن أجل حماية نفسه، راح نيكسون يبذل قصارى جهده لشجب الطبّ النفسي في العلانية وفي السر. فقال لأحد الكتّاب سنة 1966: «إن الناس يهتمون بالجانب النفسي هذه الأيام، لأنهم يعتقدون أن عليهم أن يعيدوا تقويم أنفسهم على الدوام... إن هذا النوع الطفولي من تحليل الذات شيء لم أفعله في حياتي قَطّ».

كان روجر إيلز منتجاً تلفزيونياً استُؤجِرَ للقيام بما يبدو مقابلة عفوية تلقائية مع نيكسون من أجل حملته سنة 1968. وقد استذكر إجراء مكالمة هاتفية مع مساعد لنيكسون، ليخبره عن المشتركين في لجنة المقابلات في أحد العروض. وكان كل شيء يسير على ما يرام ـ فقد كان لديهم رجل أسود، ومحرّر أخبار، وأناس مهنيون آخرون، حتى قال إيلز إنه قد حجز مكاناً لـ «طبيب يهودي من

---

(3) في الشهادة أمام لجنة القواعد التابعة لمجلس الشيوخ سنة 1973، بعد نشر رواية وينتر ـ بيرغر عن أحاديث الطبيب غير الرسمية، شجب الدكتور هتشنيكر هذه الرؤية، ووصف تعليقات وينتر ـ بيرغر بأنها «محاولة متعمدة لإيذاء الناس». غير أنه يبدو أن الطبيب كان ثرثاراً مهذاراً في ما يختص بعلاقته بنيكسون. فكان في بعض الأحيان يعتقد أنه يدلي بأحاديث خاصة. ويميل المؤلف (الذي التقى وينتر ـ بيرغر) إلى تصديق روايته (هتشنيكر: **الدافع إلى السلطة**، يستشهد بالشهادة التي أدلى بها أمام لجنة القواعد بمجلس الشيوخ، ص 20 وما يليها).

فيلادلفيا، طبيب نفسي». وقد رفض المساعد، لين غارمنت، هذه الفكرة على الفور، فقال إيلز لزميل له: «يا ليسوع المسيح! إنك لن تصدق هذا، ولكن نيكسون يكره الأطباء النفسيين. ويبدو أن في نفسه شيئاً ضدهم، فهم يجعلونه عصبياً، آه لو أنك سمعتَ لين على الهاتف! هل سمعته؟ لو أنني سمعت صوت شخص يتحوّل إلى اللون الأبيض لكان ذاك هو. لقد قال إنه لن يشارك في المقابلة. ولكن يظهر أن نيكسون لم يكن ليسمح لشخص من هذا النوع، حتى بالدخول إلى الغرفة نفسها. وهكذا ألغى إيلز الطبيبَ النفسيَّ وخرج للبحث عن سائق سيارة أجرة، ليظهر في العرض بدلاً منه.

وقبل ذلك بثلاث سنوات، في محادثة في الهزيع الأخير من الليل مع غارمنت، كان نيكسون قد قال إنه مستعد لفعل أي شيء، كي يبقى في الحياة العامة «ما عدا زيارة طبيب نفسي». وفي رأي غارمنت أن ذلك كان «علامة أكيدة، في كلام نيكسون، ظهرت بالرغم منه، على أنه قد زار طبيباً نفسياً بالفعل». ولم يعلم غارمنت شيئاً عن الدكتور هتشنيكر إلاً في وقت لاحق.

وظل نيكسون قلقاً حول وصمة «الطبيب النفسي» حتى بعد استقالته. وحسب رواية الطبيب، فقد ظل نيكسون حريصاً على إخفاء طبيعة لقائهما في سان كليمنت. فنصحه بلهجة تآمرية: «قل فقط إنك جئت لزيارة صديق قديم».

وضغط نيكسون على هتشنيكر بالتأكيد له أن كشف علاقتهما، سيجعل الناس يعتقدون أنه «لا بد أن يكون أبله» أو «مخبولاً»، ولقد كان من سخرية القدر بالطبع أن عدداً كبيراً من الناس، قد خطرت في بالهم هذه الفكرة بالذات، حتى دون معرفتهم بالعلاقة المذكورة. والتعليقات التالية، التي أدلى بالكثير منها أناس لا يمكن اتهامهم بالعداء لنيكسون، تشكّل جوقة من الهواجس متناغمة بشكل مذهل، ليس هناك ما يضاهيها في تقويم الحالة العقلية لأي رئيس آخر في التاريخ الأمريكي.

فجورج كريستوفر، العمدة السابق لسان فرانسيسكو وأحد كبار

الجمهوريين في كاليفورنيا، استذكر أن «نيكسون كان مكتئباً قبل زمن طويل من انتخابات سنة 1962، فكان مزاجياً ومنطوياً على نفسه. فلم يكن هناك شيء يكرهه المرء فيه في مثل تلك الأوقات. بل كان نيكسون في حالة عقلية رهيبة، أعتقد أن شخصاً آخر في مكانه ربما كان سيودي بنفسه».

أمّا كينيث أودونيل، الصديق الموثوق لجون كيندي فقد كان أكثر فظاظة، فقال: «لم يكن جون فيتزجيرالد كيندي يثق أبداً في استقراره العقلي». وقد انزعج جيمس كوبلي، أحد المؤيدين الرئيسيين لنيكسون، وناشر صحيفة **سان دييغو يونيون**، عندما رأى المناظرة التلفزيونية بينه وبين كيندي. فكتب إلى زميل له: «كان التعبير الظاهر على وجه نيكسون شديد الجدية، ولكن إلى حدٍّ جعله يبدو كأنه مجنون أو مختلّ».

كما أدرك الصحافيون عدم استقرار نيكسون، فكتب إيريك سيفاريد في سنة 1960، مشيراً إلى «نوبات اكتئابه الأسود. فهذه الحالات المزاجية قد تستغرق ساعة أو حتى أياماً. عندما يشعر أن الظروف تعاكسه». وكتب والتر كرونكايت: كان يبدو أحياناً فاقداً لتوازنه حقاً. فقد كنت ضيفاً في حفل عشاء رسمي في إحدى المناسبات، عندما رأيت عينيه تتركزان على حلية معمارية في السقف عند الحافة، ثم شرعتا في متابعتها عبر ذلك الجانب من الغرفة، ثم عبر الجانب المجاور، حتى إلى الجانب الذي خلفه، ثم عادتا على طول الجدار التالي إلى مكان البداية. وقد كان يخيل للمرء أن نيكسون آخذ في متابعة وحش غريب متطفل في دورانه حول الغرفة، ولكنني لم أستطع أن أرى أي شيء هناك. . .».

وتحدث روبرت غرين، كبير محرّري **نيوزدي** عن «لحظات من طراز هاملتيّ»، مضيفاً أنه «كان هناك نوع من الخصال، أو انعدام الخصال في نيكسون، في ما يخصّ استقراره العقلي، يجعله ينجرف إلى مواقع وعرة لا

يجد حوله فيها أي شخص. . .». وكان جون ليندسي العامل في **نيوزويك**، يعتبر نيكسون «صندوقاً ماشياً من الدارات الكهربائية الصاعقة».

وأثناء فضيحة ووترغيت وصل القلق إلى ذروته. فاعتقد جون هيربرز، العامل في **النيويورك تايمز**، أن نيكسون «كان يتصرف بطريقة غريبة، دلت بوضوح على أنه غارق في متاعب عميقة، فكانت أعماله غريبة الأطوار، تنذر بالشؤم على نحو جعل الناس يتكهنون». وقال هنري هبارد، من **نيوزويك**، أنه في إحدى اللحظات اعتقد الموظفون الصحافيون في البيت الأبيض أن الرئيس قد «فقد صوابه». وكما هو وارد بالتفصيل فيما بعد، فإن تيب أونيل ـ زعيم الأغلبية في مجلس النواب ـ، والمدعي الخاص آرتشبالد كوكس قد شعرا بقلق مماثل من حالة الرئيس.

وقد وجد أحد الرجال الذين عاشوا قريبين من نيكسون، أكثر من أي شخص آخر عدا أفراد أسرته المباشرة أن الرئيس كان «شديد الاكتئاب»، وكان ذلك الرجل عميلاً للشرطة السرية في البيت الأبيض. كما أن الحنجرة العميقة، المصدر الذي كان وود وورد وبرينشتاين ينقلان أقواله في **الواشنطن بوست**، قال لوود وورد إن نيكسون كان يعاني من «نوبات اكتئاب خطرة».

ولقد استنتج ثيودور وايت أن «ما انهمك فيه الرجال في البيت الأبيض، هو تدبير أمور شخصية غير مستقرة. فها هنا كان زعيم العالم الحر في حالة من التمزق شبه الكامل». واستذكر المدعي العام ريتشارد كلايندينست الاجتماع الذي تقرّرت فيه استقالة المدعي العام: «كانت شهقات نحيبه وأسلوبه الذاهل المضطرب تبدو كلها عميقة وحقيقية. . . كان ريتشارد نيكسون رئيساً لبلدي، وكان في خطر؛ فإذا كان في خطر، فإن بلدي مهدّد».

أمّا خليفة كلايْنِدْيِنْسْت، إيليوت ريتشاردسون، فقد قال عنه نائب الرئيس، سبيرو آغنيو إنه كان يعتقد أن نيكسون كان «آخذاً بفقدان السيطرة،

عاطفياً وعقلياً». وكان وليام ساكسبي، خليفة ريتشاردسون كمدعٍ عام، يعتقد أن أعمال نيكسون لم تكن «أعمال رجل عاقل».

وأمّا آليكساندر بترفيلد، أمين سرّ مجلس الوزراء، وأحد كبار الموظفين الذين يؤدون مختلف المهام، فقد أذهله في وقت مبكّر هَوَسُ نيكسون بالتفاصيل، وهو هَوَسٌ كان بعيداً عن التناسب تماماً مع أحجام الأمور. فلم يكن من المعقول أن يأخذ نيكسون وقتاً أثناء رحلة إلى يوغوسلافيا، كي يملي رسالة عن «التسهيلات اللعينة لغرفة الاستراحة التي كانت لدينا في مجمع التسوّق». وقد شخّص بترفيلد ذلك على أنه سلوك «خارج عن المعتاد» في «أغرب رجل رأيته في حياتي... إنه لرجل غريب، غريب».

وحتى هالدمان، حارس البوابة، وافق فيما بعد على أن نيكسون كان «أغرب رجل التقى به في حياته». وأمّا جون إيرليكمان فقد أبلغ لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ في سنة 1973: ـ «من المراقبة القريبة، أستطيع أن أشهد بأن الرئيس ليس مصاباً بجنون الارتياب من الآخرين (البارانويا)، ولا غريب الأطوار، ولا مضطرباً نفسياً حول موضوع المتظاهرين [المعارضين لحرب ڤيتنام] ولا مفرط التحسّس من النقد». ولكنه عندما سئل بعد ثلاث سنوات إن كان سيعطي مثل ذلك التقييم نفسه، أجاب باقتضاب جاف: «كلا، لن أفعل» وأضاف يقول عن الرجل الذي خدمه بولاء وقتاً طويلاً: «كان هناك جانب آخر، كالجانب المسطح المظلم من القمر».

وأمّا هنري كيسنجر، الذي كان في البداية مستشاراً للأمن القومي، ثم وزيراً للخارجية فيما بعد، فقد كتب عن نيكسون في مذكراته بشيء من التعاطف، ومع ذلك ظلت الجوانب الأكثر غرابة في طبيعة نيكسون، تطلّ في مذكرات كيسنجر بين فينة وأخرى، فهو يستذكر في وصفه لاحتفال تمّ ترفيعه فيه إلى منصب وزير الخارجية سنة 1973، أن «نيكسون كانت تحركه شياطينه، فقد تراوحت ملاحظاته وقت حلف اليمين من اللامبالاة الباردة إلى الغرابة

الشاذة»، فمن بين أشياء أخرى ظلّ نيكسون يتابع موضوع شعر كيسنجر، معلقاً عليه بلا توقف، وكيف أنه كان أول وزير خارجية بعد الحرب العالمية الثانية لا يفرق شعره. وفي أحيان أخرى كان كيسنجر يخرج من مكتبه بعد مكالمة هاتفية مع نيكسون ـ وكان قد أوصى موظفيه بمراقبة تلك المكالمات ـ ليحرك عينيه بشكل دائري ويسألهم: «هل سمعتم ما قاله ذلك الرجل المجنون؟».

قبل شهور قليلة فقط من الانضمام إلى إدارة نيكسون سنة 1968، كان كيسنجر ضيفاً على العشاء في منزل فون برودي، أستاذة التاريخ في جامعة كاليفورنيا في لوس آنجيلوس، ومؤلفة كتاب لقي المديح والقبول عن توماس جيفرسون. فاستذكرت برودي أن كيسنجر «كهرب ضيوفنا بإخبارهم أن نيكسون قد أمضى أربع سنوات على أريكة الطبيب النفسي».

وبعد ذلك بعشر سنوات، عندما شرعت برودي في تأليف كتابها عن نيكسون[4]، طلبت إجراء مقابلة مع كيسنجر، وذكّرته بتعليقه على جلسات نيكسون المفترضة مع المحلّل النفسي. غير أن كيسنجر آنذاك، وقد خدم على قمة الحكومة ثماني سنوات، لم يعد يرغب في مناقشة مثل تلك المواضيع. وقد أشار آخرون أيضاً إلى تلقي نيكسون العلاج على يد محلّل نفسي، وكان منهم جيمس باسيت، الذي عمل مساعداً صحافياً له فترة طويلة، وهربرت كاتشر، محامي رابطة المحللين النفسيين بنيويورك، وكان كاتشر يشير بالتأكيد إلى معالجٍ آخر غير الدكتور هتشنيكر. فهل تغلب نيكسون إذن في فترةٍ ما على خوفه من المحلّلين؟ وإن كان ذلك صحيحاً، فمن هو الطبيب النفسي المقصود؟

إن الأدلة الشحيحة حول الموضوع، تشير إلى أن الطبيب الآخر كان

(4) إن كتاب فون برودي المعنون: **ريتشارد نيكسون: تشكيل شخصيته** تم طبعه في سنة 1981، بعد موت مؤلفته بالسرطان في أوائل تلك السنة. وقد وجه إليه نقد كثير لتركيزه أكثر من اللازم على التفسير النفسي لحياة نيكسون. ومع ذلك فإن في الكتاب بحثاً ثميناً. وتبقى ملفات برودي، المحفوظة في مكتبة ماريوت بجامعة يوتاه، أداة لا يستغني عنها أي باحث يعمل في موضوع نيكسون (فون برودي، **ريتشارد نيكسون: تشكيل شخصيته**، طبع نيويورك، نورتون، 1981).

امرأة. ويستذكر الدكتور هتشنيكر أنه قد سمع عن ذلك، ولكنه قال إنه لم يعلم شيئاً عن هوية تلك المحلّلة. وقال روبرت فينتش، مساعد نيكسون وصديقه من أيامه المبكرة في الكونغرس، إنه قد سمع أيضاً أن نيكسون قد تلقى علاجاً على يد «طبيبة نفسية في نيويورك». وتختلف المصادر في المدينة التي حدث فيها ذلك بين نيويورك ولوس آنجيلوس. غير أن الاقتراح هو أن المعالجة حدثت بعد اندحار نيكسون في انتخابات سنة 1962، لمنصب حاكم ولاية كاليفورنيا، فقد كان ذلك أخفض حضيض في حياته العملية في فترة ما قبل وصوله إلى منصب الرئيس. كما أن التسلسل التاريخي، وما نعرفه عن استخدامه للدكتور هتشنيكر، تشير إلى أنه، إذا كان قد زار محلّلاً، فقد كان في ذلك الوقت، عندما كان مقيماً في لوس آنجيلوس.

وقد استذكر الأستاذ فوستر شيروود، الرئيس السابق لجامعة كاليفورنيا في لوس آنجيلوس، أن محلّلة نفسية قد استشارته في إيداع ملفات عن نيكسون. وعندما قوبل من أجل هذا الكتاب وهو في سن الثمانين، قال إنه لا يستطيع تذكر اسم تلك المحلّلة. وتشير معلومات أخرى إلى أنها ماتت في أواخر الستينيّات. وقد باح كاتشر بهوية المحلّلة لأخيه ليو، ولكنه استحلفه على كتمان السر. والأخوان كاتشر ميتان الآن. وإلى هنا ينتهي الأثر، باستثناء تفصيل وحيد أخير. فبينما رفض ليو كاتشر أن يكشف اسم المحلّلة، فقد قال إنها كانت «شديدة الانزعاج» لإمكانية وصول نيكسون إلى سلطة عظمى ذات يوم[5].

(5) هذا النص مستقىً من مذكرات المؤرخة فون برودي عن مقابلتها مع ليو كاتشر، شقيق هربرت كاتشر، الذي هو مصدر الرواية. وقد أشار ليو إلى أن المحللة كانت امرأة. وقد وصلت إلى برودي رواية مفزعة أكثر، وذلك من دانييل إلسبرغ، ناشر أوراق البنتاغون. فقد استشهد إلسبرغ في إحدى المراحل بكلام ليو كاتشر الذي أشار إلى أن المحللة النفسية لنيكسون قالت له إنه «مصاب بجنون العظمة والارتياب في الآخرين، بشكل حاد، وأنه مسيطر على نفسه جيداً ولكنه متطرف في مواقفه، ويخشى من وجوده في موقع السلطة» وفي غياب ما يؤيد هذا الوصف، استخدم المؤلفُ الروايةَ التي قدمها كاتشر إلى برودي. وكان ليو كاتشر يبدي اهتماماً خاصاً بالعلاج النفسي، فقد كان يحمل شهادة دكتوراه في علم النفس من جامعة كولومبيا. وباعتباره صحافياً، كانت له تجربة مباشرة مع نيكسون. فقد كان واحداً من =

وقد أدلى هتشنيكر، كما قيل، بتعليقات مماثلة عن نيكسون، ولكنه لم يعبر عنها علناً على الإطلاق. ولكن وجود مثل هذا القلق لديه لا يوحي بالطبع، أنه كان يعتبر نيكسون مصاباً بمرض عقلي. وقال الطبيب للمؤلف إن نيكسون «لم تكن لديه أعراض خطيرة لمرض نفسي. فلم يكن مصاباً باضطراب نفسي، وليس له تاريخ مرضي. ولكن كانت فيه نسبة كبيرة من الأعراض العصبية».

وبعد ستة أشهر من فوز نيكسون بالرئاسة، في سنة 1969، وبعد ظهور قصة في الصحافة عن استشارات المريض المشهور، ردّ هتشنيكر بمقالة طويلة في مجلة **لوك** كتب فيها: «خلال فترة معالجتي للسيد نيكسون بكاملها، لم ألمس فيه أي علامة على مرض عقلي... وبعد انتخابه رئيساً، شعرت بالتأكيد على اعتقادي... بأن ريتشارد نيكسون لا يملك القوة فحسب، بل يملك أيضاً الخيال ووضوح الهدف، اللذين أعتقد أنهما شرطان يلزم توفرهما في الزعيم الناجح».

ولعل الطبيب كان يدين نيكسون بالمديح الباهت. وكان عنوان مقالته في **لوك** هو: «الصحة العقلية لقادتنا». وكانت رسالته ـ التي تكرّر أحد مواضيع هتشنيكر القديمة ـ هي وجوب طلب «نوع من شهادة الصحة العقلية»، من جميع البالغين الشباب كشرط مسبق لسعيهم للحصول على أي منصب سياسي مسؤول.

وعلى ما في هذا الاقتراح من غرابة، حتى في سنة 2000، فإن هتشنيكر لم يكن وحيداً في التمسك بهذا الرأي. فالدكتور لورنس كوبي، الرئيس السابق

= الصحافيين الكثيرين الذين طوّرُوا قصةَ الصندوق السري (المفتوح لمصلحة نيكسون) سنة 1952، وقد أخضعه مكتب التحقيقات الاتحادي للتحقيق فيما بعد. وقال في سنة 1975: «لقد استحوذت عليّ الهواجس بسبب ذلك الرجل على مدى خمسة وعشرين سنة. وموقفه بالنسبة إلى الأخلاق يشبه الموقف من الألوان لدى شخص مصاب بعمى الألوان». (ملاحظات مكتب التحقيقات الاتحادي عن مقابلة مع دانييل إلسبرغ، وليو كاتشر؛ كتاب فون برودي المذكور أعلاه عن نيكسون، ص 275).

لجمعية المحلّلين النفسيين بنيويورك، كان قد قال سنة 1972، إنه يفضل «تدقيقاً طبياً حريصاً في كل مرشح لمنصب هام، بما في ذلك الفحص النفسي. . . ولعل من الممكن أن يُعْهَدَ بهذه المهمة إلى المعاهد الصحية الوطنية، أو المعهد الوطني للصحة العقلية، أو منظمة كالأكاديمية الطبية في نيويورك، أو بعض كلياتنا الكبرى المفترض أنها عصيّة على الفساد».

وفي المقالة المنشورة في **لوك**، عاد هتشنيكر إلى صيغة مفضلة، مشتقة من تجارب بافلوف على الكلاب، التي حدّد فيها أربع فئات من الشخصيات في ما يتعلق برد الفعل على الضغط:

1) النوع القوي القابل للاهتياج.

2) الحيوي.

3) الهادئ الرابط الجأش.

4) الضعيف المُحْبَط.

وطَبَّقَ هتشنيكر هذه الفئات على البشر، فقال إن النوعين الأول والرابع هما «الأكثر احتمالاً للانهيار تحت الضغط، ولذا فإنها تصبح خطرة في مراكز المسؤولية الاجتماعية، وبالتأكيد السياسية. ويمثل رجال النوع الثاني أكثر القادة المرغوب فيهم، لأنهم يظهرون ردود فعل مسيطراً عليها عند تعرضهم للضغط».

وقد كتب هتشنيكر بلهجة فيها أمل في سنة 1969، أن نيكسون «قد يتضح أنه زعيم من النوع الثاني، أي الشخصية المسيطرة والمتكيفة. . .» وفي سنة 1995، عند إجراء مقابلة معه من أجل هذا الكتاب، اعترف بأن نيكسون كان في الواقع من النوع الأول، أي أنه شخص «يفرغ شحنته العدوانية كي يشعر بالتحسن». وهذا «شيء صحي بالنسبة لشخص لا يستطيع العيش مع التوتر الداخلي. ولكنه يدل على عدم النضج». وفي كتابه **الحافز إلى السلطة**، الذي

نُشِرَ بعد استقالة الرئيس، كتب الطبيب إنه على الرغم من ضغط المنصب، فإن نيكسون «لم يتعرض لانهيار عصبي».

كيف فسّر هتشنيكر دور نيكسون في ووترغيت وانهيار رئاسته؟ كتب الطبيب، الذي لم يُعْرَفْ عنه أنه رأى مريضه على مدى شهور كثيرة: «لستُ في موقع يمكنني من تقديم جواب. وأرغب في التعبير عن أملي في أنه سيمكن قول كل شيء عند نقطة معينة في التاريخ».

ولعل القصة الحقيقية لهتشنيكر ـ نيكسون لن تُرْوى بكاملها على الإطلاق. ولقد كان الطبيب ما يزال حياً، في السنة الثانية بعد المئة من عمره، عندما ذهب هذا الكتاب إلى المطبعة. غير أنه صار مقعداً في كرسي بعجلات، وفاقداً القدرة على الكلام على إثر سقطة في منزله في كونّيكتيكوت. والسجلات الخاصة باتصالات نيكسون مع هتشنيكر في خمسينيّات القرن العشرين، المختزنة في سجل المحفوظات الوطنية، محجوبة بشكل صحيح على أساس الحفاظ على أسرار علاقة الطبيب بمريضه. وإذا كانت هناك سجلات هامة عن فترة لاحقة، محفوظة في مكتبة نيكسون، فليس من المحتمل أن يتم الإفراج عنها في المستقبل المنظور[6].

ولقد تساءل بعض المراقبين الأذكياء، من الرجال الذين تابعوا حياة نيكسون العملية من بدايتها إلى نهايتها، عما إذا كان أي رجل يدفع نفسه إلى قمة السلطة في أمريكا يستطيع أن يصل إلى هدفه ويبقى طبيعياً بشكل كلّي ـ مهما كانت هذه الكلمة غير مناسبة ـ.

ولقد قال الدكتور بول سميث، العميد السابق لكلية وِيتْيِيرْ: «إن عبء

(6) لا يشير نيكسون إلى الدكتور هتشنيكر في مذكراته، رغم الأدلة التي لا تقتصر على رعاية الطبيب له، بل تشمل الصداقة الطويلة بين الرجلين. بل يكتب نيكسون بطريقة تفنيديّة استنكارية أن بعض الصحافيين قد استنتجوا أنه «قد فقد عقله» أثناء أزمة ووترغيت، وراحوا يتساءلون «عما إذا كنت أخضع لعلاج ورعاية نفسية». (مذكرات ريتشارد نيكسون، ص 961 وما يليها).

الرئاسة الرهيب يفعل أشياء للذهن. وأنا أعرف أن عملية التفكير قد يثبطها الحمل العقلي الزائد تثبيطاً مخيفاً. . . ولعل نيكسون قد تعرض لمعاملة سيئة. لا أدري، فلعله أساء معاملة نفسه. . .».

وكان جون إيرليكمان يعتقد أن المرشح للرئاسة «ليس كالأمريكيين العاديين. فالتطلع يتطلب تضحية هائلة. . . فالمرشحون بشر مهجنون انتُزِعت منهم المباهجُ والعواطف والتجارب الطبيعية في الحياة، لن يتمكنوا من دخول السباق دون أن يشغل تفكيرهم أي شيء سواه. . . ثم، عندما يتم انتخاب أحدهم، نتعجب من رجل البيت الأبيض الذي هو مختلف عنّا على نحو غريب. . . إن الأمر كله لا يؤدي إلى شخص متكامل».

وقال لين غارمنت: «لقد كانوا ـ كلهم تقريباً ـ غرباء الأطوار. أقصد أنهم **أغرب الناس**. وتصوّرْ أن يعرّض المرء نفسه لهذا كله كي يصبح رئيساً للولايات المتحدة. وباستثناء معظم الذين ورثوا المنصب ـ جورج واشنطن، وهاري ترومان، وجيرالد فورد، الذين تبين أنهم رجال ذوو شخصيات مثالية، ولياقة (بالنسبة للسياسيين) وشجاعة ومنطق سليم ـ فإن كثيرين منهم كانوا شديدي الغرابة. فالذين شنوا حملات رئاسية لا بد أنهم كانوا أغرب الأمريكيين. فحياتهم خليط من الكذب والغش، والنبل والوطنية، والجبن. فهناك نوع من الصبغي الرئاسي، أي نزوع في الناس الذين يصبحون رؤساء يجعلهم شديدي الغرابة، وقد تصادف أن ريتشارد نيكسون كان واحداً من أغرب الناس شديدي الغرابة هؤلاء».

وقد علق هنري كيسنجر على ذلك بقوله: «لا يستطيع المرء في أعمق أغوار نفسه أن يكون متأكداً قطّ من أن ما يجده مثيراً للقلق في نيكسون، قد لا يكون كذلك انعكاساً لعيب مكبوت في داخل المرء نفسه».

أما المدعي العام السابق إليوت ريتشاردسون، فإنه بعد سنوات من تجربته الجارحة أثناء ووترغيت، لم يجد صعوبة في التوفيق بين موهبة نيكسون وطاقته

العقلية من جهة، وهشاشته الإنسانية من جهة أخرى؛ فقال: «يمكنك القول باطمئنان إنه ما كان ليصبح رئيساً، لو لم يكن لديه ذلك الجوهر الأساسي من انعدام الشعور بالأمان. ويمكنك أن تقول إنه ليس من المحتمل، أن يصبح أي إنسان بكامل صحته رئيساً للولايات المتحدة، إلاَّ بالصدفة...».

11

إن بيب ريبوزو رجل ذو شخصية عظيمة ونزيهة

ريتشارد نيكسون في مذكراته

كان جزء من وصفة الدكتور هتشنيكر لنيكسون في وقت مبكر، هو التمتع بعطلة للاستجمام تحت الشمس. فتوجه نيكسون إلى فلوريدا حيث بدأت علاقة وُصِفَتْ بكلمات بوب فينتش، بأنها «قدمت علاجاً للتخلص من التوتر». وهي علاقة حافظ عليها نيكسون حتى وفاته. وكان متكتماً فيها بادئ الأمر إلى درجة، أنه لم يرد أي ذكر لها في **النيويورك تايمز** لمدة تقرب من عشرين سنة. وكما ظل جورج ريدي، المراسل الصحافي في الكونغرس، يقول لفترة طويلة بعد أن انتهت الرئاسة، إن تلك العلاقة ظلت «أهم لغز غامض لم يحلّه أحد في حياة نيكسون».

كان ذلك الصديق الجديد هو تشارلس غريغوري (بيب) ريبوزو، الكوبي الأمريكي المولد المشتغل بالمضاربات العقارية والتاجر العديم الضمير، و ـ بالنسبة لنيكسون ـ صاحب الخصال الكثيرة الأخرى.

والظاهر أن الصداقة قد بدأت، بمكالمة هاتفية عاجلة طارئة من السناتور الديمقراطي عن ولاية فلوريدا، جورج سماذَرْزْ، إلى محافظ مدينة ميامي السابق ريتشارد دانر. قال سماذَرزْ متحدثاً من واشنطن: «إن دِكْ على شفا انهيار عصبي، وكلنا قلقون عليه».

وكان سماذرز قد انتخب عضواً في مجلس النواب مع نيكسون في نفس

الوقت، وانتقل الاثنان فيما بعد معاً إلى مجلس الشيوخ. وكان سماذَرزْ من الجناح اليميني في الحزب الديموقراطي، إلى درجة أنه أرسل معلومات إلى نيكسون [الجمهوري]، حول كيفية تمكينه من دحر زميلته الديمقراطية هيلين دوغلاس. وكان سماذَرزْ كذلك بارزاً في الوسط الاجتماعي بواشنطن، حيث عرف بلقب جورج الرائع، بسبب نجاحه مع النساء. وعندما لجأ إليه نيكسون المرهق طلباً لمساعدته، شَحَنَه سماذرز على قطار إلى فلوريدا. وكان دانر أحد الأصدقاء الذين أوكل سماذرز إليهم أمر العناية بنيكسون، فاستذكر كيف وصل نيكسون إلى ميامي، مرتدياً معطف مطر ثقيلاً «كأنه ريفيٌّ أخرق من الشمال». فأخذه دانر للمعالجة عند طبيب مختص بتقويم العظام. فأوصى الطبيب بدوره بتعريض نيكسون للشمس وهواء البحر. وهكذا حدث، في كانون الأول / ديسمبر 1951 على ما يبدو[1]، أن صعد نيكسون للمرة الأولى على متن قارب

---

(1) هناك شيء من الشك حول التاريخ؛ فنيكسون في مذكراته يحدده بسنة 1951، غير أن رسالة شكر في أوراقه كنائب للرئيس، وهي أول ملاحظة معروفة من نوعها، تحمل تاريخ 9 كانون الثاني / يناير 1952. أما المقابلات مع ريبوزو، ودانر، وعضو آخر من دائرة أصدقائه هو سلون ماكراي، فهي تحدد أول لقاء بين نيكسون وريبوزو في فترة مجلس الشيوخ المبكرة، في سنة 1950 أو 1951. ومع ذلك فإن مقابلة المؤلف مع سماذرز، ومقابلة سنة 1972 مع دانر وصديق آخر، هو جون مادالا، الموظف السابق في مكتب التحقيقات الاتحادي، توحيان بأن زيارات نيكسون لميامي قد بدأت في وقت مبكر، سنة 1948، عندما اشتد تعب نيكسون من متابعة قضية آلجر هيس، بل أبكر حتى من ذلك.

وحسب رواية دانر ومادالا فقد كانت هناك عدة رحلات مبكرة كهذه كان نيكسون خلالها يخرج بالقارب إلى عرض البحر مع ريبوزو، وصاحب الفنادق تاتيم ووُفُوردْ. وقد استنتج جيف غيرث، الصحافي الذي أجرى مقابلات سنة 1972، بأن التاريخ المتأخر لتلك الزيارة الأولى، أي سنة 1951 قد تم اصطناعه على نحو ملفق لإخفاء تواجد نيكسون في ميامي واتصالاته مع الأشخاص المرتبطين بالجريمة المنظمة منذ أواخر الأربعينيات، وهي فترة كانت فيها بعض أرقى فنادق ميامي تحت سيطرة المافيا، كما كشف عن ذلك تقرير لجنة كيفوفر، وتم نشر ذلك بصورة بارزة. وكان أحدها هو فندق ووفورد، كما يشير إلى ذلك غيرث. غير أن البحث الذي أجري لمصلحة هذا الكتاب لا يشير إلى علاقة تاتيم ووفورد بفندق ووفورد، الذي كان يملكه جون وأوليفر ووفورد.

ولأسباب ليس أقلها رسالة الشكر التي بعث بها نيكسون في كانون الثاني / يناير 1952، يميل المؤلف إلى تحديد تاريخ اللقاء الأول بين نيكسون وريبوزو في أواخر سنة 1951. ولا يعني ذلك إنكار وجود علاقات لنيكسون بفلوريدا تضعه في مكان لصيق بالجريمة المنظمة على نحو غير صحيّ. فتلك العلاقات مبحوثة في هذا الفصل فيما بعد (**مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 247؛ وكتاب =

يعود لصديق آخر، كان سماذَرزْ قد أعدّه للاهتمام بنيكسون كذلك، وهو بيب ريبوزو.

ولم تكن نتيجة تلك المقابلة جيدة، فقد استذكر سماذرز: «بعث لي بيب برسالة بعد تلك الزيارة قال فيها، (يا جورج، إيّاك أن ترسل لي ذلك الأبله ابن الزانية نيكسون إلى هنا مرة أخرى. إنه لا يعرف كيف يتكلم، ولا يشرب، ولا يدخن، ولا يطارد النساء، ولا يعرف كيف يلعب الغولف، ولا يعرف كيف يلعب التنس... ولا يعرف حتى كيف يصيد السمك)».

غير أن «ابن الزانية» عاد إلى فلوريدا في غضون ثلاثة أشهر، وكان ريبوزو عند ذاك قد انفتح عليه بشيء من الدفء. فقال سماذَرزْ بلهجة صارمة كالحة: «لا أريد أن أقول إن مستوى محبة بيب لنيكسون، كان يتزايد مع تزايد ارتفاع منصب نيكسون، ولكن لهذا المستوى علاقة كبيرة بالمنصب». ومنذ ذلك الوقت فصاعداً راح الاثنان يتمتعان بإجازاتهما معاً بلا تغيير، ورغم أن بات كانت كثيراً ما تذهب معهما، ورغم أن ريبوزو أصبح يمثل شخصية العم بالنسبة لبنات نيكسون، فقد صار نيكسون يقضي معه وحدهما وقتاً متزايداً.

وظل هذا الصديق الفلوريدي موجوداً على الدوام، لدعم نيكسون في كل المراحل الهامة في طريقه السياسي: في فلوريدا بعد انتخابات سنة 1952، التي جعلته نائباً للرئيس، وبعد نكسة الجمهوريين الكبرى سنة 1958، وفي فندق الآمباسادور بلوس آنجيلوس سنة 1960، عندما وصل نبأ هزيمته أمام جون فيتزجيرالد كينيدي. وفي سنة 1962 عندما رشح نيكسون نفسه لمنصب حاكم

= روجر موريس، ص 655؛ وريبوزو؛ **ميامي هيرالد**، عدد 1 تشرين الثاني / نوفمبر 1973؛ وسماذرز، مقابلات جورج سماذرز؛ دانر ومادالا؛ مقالة بقلم جيف غيرث في صحيفة **صاندانس**، مجلد تشرين الثاني / نوفمبر ـ كانون الأول / ديسمبر 1972؛ وكذلك كيفوفر: اللجنة الخاصة للتحقيق في الجريمة المنظمة في التجارة في ما بين الولايات، التابعة لمجلس الشيوخ في الكونغرس الحادي والثمانين، واشنطن ـ مقاطعة كولومبيا، مطبعة حكومة الولايات المتحدة، 1950، التقرير المرحلي، ص 7 وما يليها؛ ونعي أوليڤر ووفورد في صحيفة **ميامي نيوز**، 11 تشرين الأول / أكتوبر، 1978، وإدراج اسم تاتيم ووفورد [من نادي تاتيم للتزحلق على الأمواج] في دليل المدينة لسنة 1953).

كاليفورنيا، كان ريبوزو هناك ليواسيه في محنة اندحاره. وسافر حول العالم مع نيكسون في سنوات التيه في منتصف الستينيّات، واحتفل معه بعد وصوله إلى البيت الأبيض سنة 1968. وكتب نيكسون خطاب افتتاح رئاسته وهو مع ريبوزو في فلوريدا. ويشير إحصاء تقريبي إلى أن ريبوزو كان بجانب نيكسون يوماً من كل عشرة أيام طيلة بقائه في منصب الرئاسة.

ولقد صارت تلك الصداقة وثيقة إلى درجة أن ريبوزو كانت لديه عملياً، حرية الدخول إلى البيت الأبيض ساعة يشاء، وكان له فيه رقم هاتف خاص به. كما كان يطير في طائرة السلاح الجوي رقم واحد، مرتدياً معطف الطيران المرموق المنقوش عليه ختم الرئاسة. ويشترك في جولات اليخت الرئاسي البحرية مع نيكسون وكيسنجر، وينتقي الأفلام لنيكسون كي يتفرج عليها في كامب ديڤيد.

ورغم صلة الصداقة الحميمة هذه مع الرئيس، فقد استطاع ريبوزو أن يحافظ على نوع نسبي من عدم البروز. ثم جاءت ووترغيت فصار فجأة في مركز الادعاءات، بإساءة استخدام تبرعات الحملة الانتخابية، وهدايا المجوهرات لبات نيكسون، وأموال الرشاوى الرئاسية السريّة. ومع ذلك استطاع أن يظل قريباً من نيكسون، تحت غطاء عميق كلما كان ذلك ممكناً. فكان يتسلل إلى البيت الأبيض دون أن تضع الشرطة السرية اسمه في سجل الزيارات، وإلى جناح نيكسون في الفندق أثناء رحلة إلى أوروبا، مستخدماً اسماً مزوراً.

وكان ريبوزو واحداً من أوائل مَنْ نصحوا نيكسون، بأنه ربما كان الأفضل له أن يستقيل[2]. وكثيراً ما كان ينضم إليه بعد ذلك في منفاه في كاليفورنيا،

(2) قال ريبوزو لصحيفة **ميامي نيوز** في منتصف حزيران / يونيو سنة 1974 إنه قد نصح نيكسون بأنه ربما كان من الأفضل أن يستقيل، ومع ذلك فحسب رواية الرئيس في مذكراته كان ريبوزو مستمراً في محاولاته لإقناعه **بعدم** الاستقالة، حتى أول آب / أغسطس 1974، عندما صار الموقف أضعف من ذي قبل بحيث لم يعد الدفاع عنه ممكناً (**ميامي نيوز** 18 حزيران / يونيو 1974؛ كتاب **بات نيكسون**، ص 398، **ومذكرات نيكسون**، ص 1058).

حيث ظل من مرافقيه المقربين طيلة سنوات إعادة تأهيل نيكسون، حتى جلس ـ حسبما تقول إحدى الروايات ـ إلى جانب سريره أثناء مرضه الأخير في سنة 1994.

وأمّا المناسبة التي أشار فيها على نيكسون بأن يستقيل فيستذكرها بقوله: «قلت لنفسي: (ما الذي يفعله غلام تافه مثلك يا بيب، متحدثاً مع رئيس الولايات المتحدة بهذه الطريقة؟)». وهذا سؤال يظل قائماً: فمن هو بيب ريبوزو، وما الذي يفسر اقترابه الحميم من ريتشارد نيكسون، الرجل الذي كان سيئ الصيت تقريباً في مجال انعدام الأصدقاء المقربين لديه؟

ولد تشارلس غريغوري ريبوزو في السنة نفسها التي شهدت ولادة نيكسون [1913]. ولم يستخدم هذا الاسمَ قطّ إلاّ كغطاء في العمليات التجارية. فقد كان بيبي منذ طفولته، بعد أن كان أحد إخوته التسعة يجد صعوبة في نطق كلمة «بيبي» (وكان الجميع يلفظونها بيبي ما عدا نيكسون، الذي كان يناديه باسم بيب). وكان أصغر أطفال عائلة كوبية مهاجرة تعيش في تامبا (في ولاية فلوريدا، على مدخل خليج المكسيك). وكانت في مظهره وسامة لاتينية أكسبته لقب «أجمل الأولاد مظهراً» في تصويت مدرسته الثانوية، ولكنها لم تكسبه شيئاً آخر يفيده في انطلاق حياته العملية، عند وصوله إلى سن البلوغ في فترة الكساد الأكبر.

وبينما تابع زملاؤه الأغنى منه دراستهم الجامعية، فقد عمل ريبوزو مدة سنة كمضيف في شركة طيران بان آميركان، طائراً عبر الخطوط الكاريبية، ثم عمل في مضخة غاز، وسائقاً لسيارات سياحيّة قبل أن يبدأ أول مشاريعه التجارية، في محطة ريبوزو لخدمات السيارات وإمداداتها وهو في الثالثة والعشرين. وبعد أن تفرع عمله ليشمل التجارة المربحة في تجديد الإطارات أثناء الحرب العالمية الثانية، برز في سنة 1945 كرجل غنيّ ذي موارد مادية[3].

(3) كان هناك ضبط صارمٌ لتوزيع الإطارات ببطاقات التموين بسبب النقص الحادّ في المطاط أيام =

وبحلول سنة 1951 كانت تلك الموارد قد تنامت كثيراً، فقد أسس ريبوزو مغسلة ملابس ذاتية الخدمة، وشرع يشتري ويبيع الأراضي. وقد بدأت مضارباته العقارية بطريقة صغيرة في محطة الغاز التي يملكها، حيث راح يلصق إعلانات عقارية على لوحة الإعلان. ثم شكل نقابات مع أصدقائه لشراء قطع الأرض غير المستصلحة، ومن ثم بيعها بأرباح ضخمة عندما بدأت ميامي تتوسع. كما أدار ريبوزو شركتين ماليتين في وقت كان فيه قانون فلوريدا، يسمح بفرض فوائد ربوية ابتزازية مرتفعة. وكان رجل أعمال عنيداً لا يرحم: فهناك حكم صادر لمصلحته سنة 1953، يظهر أنه احتجز مقعد طفل في سيارة، ودراجة صغيرة ذات ثلاث عجلات، ولعبة طفل على شكل سيارة شحن من زوجين عجزا عن تسديد دَيْنٍ له بقيمة 150 دولاراً.

وفي ذلك الحين كان ريبوزو قد راح يبرز في مجتمع ميامي. واستذكرت امرأة عرفته بعد الحرب مناسبةً طُلِبَ فيها من ريبوزو أن يشترك ـ كتكميلٍ للعدد ـ في حفلة باذخة لعلية القوم. وكانت المضيفة العصبية لذلك الحفل، تتوقع منه أن يبدو «بمظهر عامل مرآب»، أو قوّاد أو راقص مستأجر مبهرج، فتنفست الصعداء عندما شاهدته يحضر إلى الحفلة بمظهر نظيف لا عيب فيه، و«بغرائز لطيفة». وعندما صار نيكسون رئيساً فيما بعد، أوكل إلى ريبوزو مهمة شراء

= الحرب العالمية. وقد تمكن الذين تحايلوا على التعليمات من جني أرباح هائلة. وقام عدة أشخاص لهم صلة بريبوزو، ـ ومنهم فرانك، والد جورج سماذرز ـ بإدارة التموينات في منطقة ميامي بطريقة مضادة للقواعد. وكان مكتب إدارة التسعير في واشنطن هو الذي ينفذ التعليمات، وكان ريبوزو قد توسع في السنة نفسها وفتح فرعاً في العاصمة وصار من أكبر العاملين في مجال تجديد الإطارات في المنطقة. وكان نيكسون يعمل رئيساً للتفسيرات القانونية للمديرية التي يشمل عملها ضبط حصص الإطارات. ولقد حاول الباحثون أن يعثروا على صلة تربط نيكسون بريبوزو في تلك الفترة ولكنهم فشلوا. وكان يجري تدمير روتيني منظم لكثير من سجلات مكتب إدارة التسعير ذات الصلة (فأثناء الحرب كان ريبوزو يعمل كملاح جوي مدني يطير في خدمة آمرية النقليات في الجيش، تاركاً إدارة تجارة الغاز والإطارات لواحد من إخوته). (روجر موريس، ص 237؛ ووايزمن، مصدر سبق ذكره، ص 255 **وصاندانس**، عدد تشرين الثاني / نوفمبر ـ كانون الأول / ديسمبر 1972، ص 35؛ ومجلة **لايف** عدد 31 تموز / يوليو 1970).

ملابسه. فقال أحد جيران ريبوزو: «إن البدلات الزرقاء هي شارة الاحترام لكل منهما. ذلك أن بيب هو نوعية نيكسون من الناس».

غير أن صديق نيكسون، كانت له من وراء هذا النجاح الظاهري قصة شخصية حزينة. فقد بدأت حياته الغرامية بكارثة، واستمرت على ذلك المنوال زمناً طويلاً. ففي سنة 1931، في سن الثامنة عشرة تابع ريبوزو «صداقة شديدة حميمة» مع دونالدغان، الشاب الموسر، بالتسرع في الزواج من أخته المراهقة كلير. وقد أوضحت كلير بعد أربع سنوات أثناء النظر في دعوى تفريقهما أنها لم توافق على الزواج، إلاً بعد إلحاح شديد لا ينتهي من ريبوزو، وعلى شرط أن لا يعلن زواجهما، وأن لا يعاشرها معاشرة الأزواج على الإطلاق. وقالت إن الزواج لم يتم تنفيذه قطّ.

وفي أوائل الأربعينيّات تزوجت كلير ثانيةً، وأنجبت طفلين ولكن ريبوزو ظل عازباً. وعندما عادت وحدها إلى ميامي بعد أن قُتِلَ زوجها في الحرب، عاد ريبوزو لخطبتها، فتزوجا مرة أخرى وفشل زواجهما أيضاً، إذ غادر ريبوزو بيت الزوجية بعد سنتين فقط. وقال أحد الذين عرفوا الزوجين كليهما: «من يدري لماذا؟ لعل بيب كان أملس مداهناً متملقاً أكثر من اللازم. ولعل كلير كانت شديدة السيطرة والتحكم... ولعل بيب بعد أن تمكن في آخر الأمر من مضاجعة كلير، قد شعر بأنه قد أثبت رجولته. وكان ذلك هو كل ما أراده».

وتزوجت كلير مرة ثالثة ثم ماتت وهي شابة. وقد سارع ريبوزو المخلص لها لزيارتها للمرة الأخيرة وهي على فراش موتها. وابتعد عن الزواج بعد ذلك حتى منتصف عمره، عندما دشن ما سمته **نيوزويك** علاقة «مطهرة» مع سكرتيرة محاميه، قيل إنها كانت «تجسيداً متجدداً» لزوجته السابقة[4]. وقالت زوجة

(4) كانت هذه هي جين لوك، التي عملت عند توماس ويكفيلد، محامي ريبوزو وشريكه في العمل. وكانت مطلقة تعيش مع أمها وولديها اللذين كانا كثيراً ما يرافقانها في مواعيدها مع ريبوزو. فتعرفت على نيكسون، وقامت بزيارة البيت الأبيض، وكانت تدعم زوجها والرئيس، وعاشت بعد موت ريبوزو =

شقيق كلير، التي ظلت على اتصال بريبوزو، في سنة 1996: «لقد أُمِرْتُ أن لا أتحدث عن هذه الأشياء».

وفي سنة 1951، عندما تصادق الرجلان لأول مرة، كان ريبوزو قد انتهى لتوه من تطليق كلير للمرة الثانية. وكان نيكسون مصاباً بإرهاق وقلق دائمين. وتشير الروايات الواصفة لأوقاتهما المبكرة معاً إلى علاقة غريبة. فرحلاتهما البحرية التي تواصلت عبر السنين كانت لافتة للنظر، بكثافة الصمت الذي يلفها بصورة رئيسية. فقد قال جورج سماذرز: «كان نيكسون يخرج على متن قارب بيب، ثم ينزل في زاوية، ومعه إضمامة ورق أصفر، فيجلس منعزلاً يدون الملاحظات، فلم يكن يصطاد السمك إطلاقاً. ولم يكن ينبس ببنت شفة. لقد كان فيه شيء من الحمق وغرابة الأطوار في الحقيقة».

واستذكر سلون ماكير، زميل ريبوزو من أيام المدرسة وشريكه في الأعمال التجارية، أنه انضم إلى نيكسون وريبوزو في جولة في قناة مائية داخلية، لمدة ثلاث ساعات نحو قلعة لودرديل، فأمضى نيكسون الرحلة بكاملها في صمت مطبق، ورأسه بين يديه. وعندما حاول الضيف في آخر الأمر أن يبدأ حديثاً، همس له ريبوزو مقاطعاً في لهفة: «صه! إنه غارق في التأمّل». وانتهت الرحلة دون أن ينطق أحد بكلمة. وقال ماكير: «كنا نقيم حفلات شواء في بيت ريبوزو. وكان معظم مدعويه رجالاً. وكان كل شخص ينهمك في الشراب والكلام. ولم يكن من الغريب أو غير المعتاد أن ينعزل نيكسون في غرفة أخرى، ويعكف على عزف البيانو. كان يريد أن ينفرد بنفسه، فقد كان منطوياً على نفسه بشدّة...».

= في سنة 1998 (مقابلات، جيك جيرنيغان، ودون بيرغ وسلون ماكراي؛ صحيفة **البوسطن غلوب**، 4 تشرين الأول / أكتوبر 1970؛ ومجلة **ليديز هوم جورنال**، عدد تشرين الثاني / نوفمبر 1973 أعلاه؛ و**ميامي هيرالد**، عدد 7 تشرين الأول / أكتوبر 1971، وكذلك عدد 14 تشرين الأول / أكتوبر 1973؛ ومجلة **نيشن**، عدد 12 تشرين الثاني، 1973).

وذات مرة وصل هوك مارون، المصرفيّ الذي عمل مع ريبوزو في صفقات عديدة، إلى منزل ريبوزو بينما كان نيكسون في زيارة له. وكان قد التقى وزوجته بنيكسون من قبل، فقال له مرحباً. ولكن نيكسون لم يعترف بوجودهما وجلس في صمت وقد أدار وجهه بعيداً عنهما، وظل كذلك حتى غادرا بعد ذلك بساعة.

ومع مرور الزمن، راح نيكسون يشاهَدُ أكثر فأكثر وحيداً مع ريبوزو ـ في خان جامايكا والمقصف الإنكليزي على خليج كي بسكين ـ فانطلقت الشائعات، وتواصلت في عناد الفكرةُ القائلةُ بأن بينهما علاقة جنسية شاذة، لأنهما كانا رجلين بينهما علاقة وثيقة حميمة، ولأن ريبوزو كان، كما وصفه مذيع الأخبار دان راذار «يبث إحساساً بشهوانية كبيرة. . . [فكانت فيه] جاذبية مغناطيسية. . . [بـ] عينين جميلتين».

وقد استمرت الشائعات والأقاويل عن ريبوزو على مدى عشرات السنين. فقيل إن مضيف طيران عمل معه ذات مرة قد زعم بأنه كان على علاقة جنسيةٍ به دامت زمناً طويلاً. وقال أحد كبار السن من سكان ميامي إن ريبوزو كان «بالتأكيد»، عضواً في مجموعة من ذوي العلاقات الجنسية الشاذة في ميامي. ولكن ماذا عن ريبوزو ونيكسون؟ يقال إن آليكساندر هيغ، آخر رئيس أركان للرئيس، كان يقلد حركات يد ريبوزو المائعة، ويتفكّه بنكاتٍ حول علاقة جنسية شاذة بين الرجلين.

والواقع أن هناك معلوماتٍ كثيرةً تشير إلى عكس هذا كله. فنورمان كاسبر، الذي كان يحقّق في حالات التهرب من الضرائب لمصلحة هيئة الضرائب الداخلية، يستذكر أنه أراد التحقّق من صحة الشائعات بإرسال امرأة إلى ريبوزو. فعادت وهي تؤكد أنه ليس شاذاً. واستذكرت أنطوانيت جيانكانا، ابنة رجل العصابات أن ريبوزو طلب منها الخروج معه في موعد: «فشربنا بضعة

كؤوس. . . ثم صعدت معه إلى جناحه في الفندق». وقالت جون هيتشكوك، إحدى عشيقات جون ف. كيندي، إنها نامت مع ريبوزو.

وتمتلئ مجموعات المراجع المحفوظة في دور الصحف، بقصاصات عن ريبوزو «زير النساء» «في رفقة النساء الجميلات»، وهو «يشاهَدُ مع مجموعة متنوعة من ذوات الجمال المهيب في علب الليل في ميامي». وكانت قصصُ حفلات العربدة الماجنة في الدارات الباذخة، والجزر المنعزلة التي يستضيفها ريبوزو، واسعةَ الانتشار في واشنطن. وقال جورج ريدي: «كان ريبوزو سيِّئ الصيت اشتهر بحفلاته الصاخبة الحمراء المليئة بالكثير من النساء والكثير من الشراب، وقد وُصِفَت لي مشاهد منها كانت تشبه حفلات التهتك الجماعي الماجن في عهد لوكولّس» [لوشيوس ليسنيوس لوكولّس» (110 ـ 57 ق. م) جنرال وقنصل روماني جمع ثروة طائلة وراح ينفقها في القصف والعربدة ببذخ شديد: المترجم].

غير أنه يبدو أن الجنس بالنسبة لنيكسون وريبوزو، كان مادة للأحاديث غير المتكلفة والنكت العملية أكثر من كونه مادة للعمل والفعل. فهناك أشرطة مسجلة في البيت الأبيض لا تزال مكتومة، يتحدث فيها نيكسون ببذاءة مع ضيوفه من الذكور عن تقاطيع أجساد ممرضاتهم. وكان يسأل ضباط الشرطة السرية العاملين لديه ـ وأشهر من ذلك سؤاله للمذيع التلفزيوني روبرت فروست أثناء مقابلة معه ـ عما إذا كانوا «قد ارتكبوا بعض أعمال الفجور» خلال عطلة نهاية الأسبوع.

وفي مقابلة تلفزيونية نادرة حكى ريبوزو، كيف قام ونيكسون بخداع صديق عن طريق الحصول على ساقين مطاطيتين قابلتين للنفخ، «ملونتين بلون الجلد بحيث تبدوان طبيعيتين تماماً» وتركاهما بارزتين من تحت ملاءة سرير. ثم قاما بتصوير الصديق وهو يحوم حول ذلك السرير في ذهول. وتقول رواية

أخرى للقصة لم يناقشها ريبوزو علناً إن هذا المقلب العملي، كانت فيه دمية لامرأة بالحجم الكامل، ولها مهبل.

ويستذكر شرطي سري كان يتنقل مع نيكسون أيام تقاعده، كيف شاهد نيكسون ومعه ريبوزو يقومان بإقناع امرأة شابة في أحد منتجعات البحر الكاريبي، بأن «تخرج من كوخها عارية النهدين، وتضع نفسها على مبعدة من نيكسون، ولكن من مسافة تمكّنه من النظر إليها. وكان ريبوزو في مياه البحر التي لم يكن ارتفاعها يتجاوز الخصر، وهكذا نزلا إلى الماء بحيث صار على مستوى أنفيهما، فاستخدما الماء لتغطيتهما كأنهما تمساحان بحيث يتمكنان من اختلاس النظر إلى الفتاة على الشاطئ... وقد استمعت إليهما يتحدثان بعد ذلك، فلم يستطع أي منهما أن يعترف للآخر بأنه كان يختلس النظر إلى حلمتي ثدييها أو إلى جسدها، بل راحا يتحدثان عن قدرتها على التكلم بست لغات، أو شيء من هذا القبيل. فلم يكن كل منهما صريحاً مع الآخر». وعند جون ليندسي، المراسل السياسي لمجلة **نيوزويك**، فإن مثل هذه القصص توحي بأن نيكسون وريبوزو ،قد «تجمّد نموّهما عند مرحلة المراهقة» في ما يتعلق بالجنس.

وبغضّ النظر عن مسائل الجنس، فإن درجة العلاقة الحميمة بين الرجلين كانت لافتة للنظر فعلاً. فقد كان بوبي بيكر الصديق المقرب الموثوق به لليندون جونسون، يعرف ريبوزو وأصدقاءه. ولم يكن يقصد بث شائعات جنسية، عندما وصف نيكسون وريبوزو بأنهما كانا «على علاقة وثيقة كأنهما عاشقان».

وعند هيرب كلاين، الذي عرفهما سنوات طويلة، فإن العلاقة كانت «عهداً وثيقاً من أيام الصبا». ولقد كان الحديث في البيت الأبيض أيام رئاسة نيكسون، يشير إلى أنه بعد أَخْزَى اندحار شائن حاق به في انتخابات منصب

حاكم كاليفورنيا سنة 1962، «أمسك بيدي ريبوزو، وتعاهدا على الصداقة الأبدية مهما حدث». وذات مرة، في حفلة عشاء في واشنطن، كانت تجلس إلى جانبهما صحافية انحنت تحت الطاولة لتستعيد شوكة سقطت منها، فأذهلها أن ترى نيكسون وريبوزو وقد تلاصقت يداهما المتماسكتان. وهذه علاقة حميمة من النوع النادر حقاً بين الذكور في العالم الغربي كله.

غير أن العلاقة كانت تبدو لكثير من المراقبين، كما وصفها جون إيرليكمان «ذات جانب واحد». فكان الممثل الهزلي جاك بار، الذي طالما رآهما معاً، يرى في ريبوزو تابعاً مخلصاً لنيكسون مثل طونطو وسانشوبانزا. أما المرأة التي تزوجها ريبوزو في آخر الأمر، وهي جين لوك فقالت ـ ولم تكن مازحة تماماً ـ «الأشياء المفضلة عند بيب هي ريتشارد نيكسون، فقطته، ثم أنا». وكان جيك جيرنيغان، وهو من المقربين يعتقد أن ريبوزو «كان يحب نيكسون أكثر من أي شخص آخر. بل كان يعبد نيكسون، وكان نيكسون هو إلهه. . . يَسُوعَهُ الصغير». وأضاف وليام سافاير سياقاً إلى هذا التفسير بقوله: «كان بيب يعبد نيكسون، ويكره أعداء نيكسون».

وكان لآخرين، ومن بينهم بات نيكسون، موقف لاذع أكثر من عبادة ريبوزو لنيكسون. فقالت في تعليق نادر في خشونته الصريحة: «إن بيب كالإسفنجة، فهو يمتص أي شيء يقوله دِكْ. . . ودِكْ يحب ذلك». بينما استهان تشارلس كولسون بريبوزو، فوصفه بأنه لا يزيد على كونه «الكلبَ الذي تتحدث إليه عندما تشعر بأنك ترغب في الكلام».

وحتى في سنة 1970، أثناء رحلة جوية على متن طائرة السلاح الجوي رقم واحد بعد زيارة لإيرلندا، كان نيكسون يتحدث مع ابنة عمه ياسمين ويست. فأطل من الشباك متأملاً في شرود ثم، كما تَذَكَرَتْ «قال بصوت هادئ وهو يذكر حقيقة، ولا يتذمّر ولا يطلب عطفاً: «ليس لي صديق في هذا العالم

كله». فسألته ويست: «ولا ريبوزو؟»، فأجاب بأن ريبوزو ليس «سوى شريك في لعبة غولف»[5].

قال ريبوزو أثناء فضيحة ووترغيت: «إن أي شخص عرفني يعلم أنني لست رجلاً غامضاً. كل ما هنالك أنني منطوٍ على ذاتي... وعلاقتي برجال السياسة هي علاقة اجتماعية في حقيقتها... فأنا لا أقدم للرئيس مشورة أو نصيحة حول أية قضية سياسية». والواقع أنه مهما كانت حقيقة علاقة ريبوزو بالساسة الآخرين ـ وقد كانت له صداقات مع عدة أعضاء في مجلس الشيوخ، بمن فيهم السناتوران اللذان صارا رئيسين، كيندي وجونسون ـ فإنه قد لعب دوراً سياسياً إلى حد كبير في حياة نيكسون العملية.

ولا يمكن أبداً البتّ في التفاصيل الدقيقة لمدى تورط ريبوزو، ولكن لدينا لمحات من بعض أنشطته. ففي سنة 1960، بذل الخصوم السياسيون لجون فيتزجيرالد كيندي، جهوداً لم تنجح في حينها لتدمير صورته الصحيّة كربّ أسرة. وشملت تلك الجهود إرسال وثائق إلى نيكسون تشير إلى أن خصمه، كان يخفي زواجاً سابقاً من مطلّقةٍ في بالم بيتش. واستذكر نيكسون في وقت لاحق أن «كيندي كان شديد الإهمال... تماماً مثل كلينتون».

ولقد استذكر أحد المساعدين في اجتماع استراتيجي في حملة سنة 1968، لانتخابات الرئاسة في لونغ آيلاند أنه «في الخلف، على كرسي وراء نيكسون، كان يتربع رجل داكن البشرة مبتسم لم يقدمه لنا أحد... وكان ذلك هو تشارلس ريبوزو». وفي عيد الميلاد الذي سبق مطلع تلك السنة، كان نيكسون قد طار بمفرده إلى فلوريدا، ليقرر ما إذا كان سيرشح نفسه لمنصب

---

(5) من الغريب أن نيكسون لا يشير إلى ريبوزو في مذكراته إلاَّ لماماً، رغم الوقت الطويل الذي أمضياه معاً. غير أنه يعترف عدة مرات بأنه «صديقه» ويقول عنه في إحدى الفقرات إنه «واحد من ألطف وأكرم الرجال الذين التقيت بهم... وهو صاحب شخصية واستقامة ونزاهة عظيمة». (**مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 247، 967، 964).

الرئاسة. ولقد اتخذ قراره بصحبة رجلين هما المبشر الإنجيلي بيلي غراهام، وريبوزو.

ولقد قدم ريتشارد دانر (وهو أحد أولئك الذين بادروا في البداية إلى الجمع بين نيكسون وريبوزو) شهادةً خطية، مقرونة بحلف اليمين أثناء التحقيق في فضيحة ووترغيت. وكانت شهادته تتألف من مئة وخمسين صفحة، خُصِّصَ جزءٌ كبيرٌ منها لمضاربات ريبوزو ومناوراته وألاعيبه. وهي تصف سياسياً ذكياً يجمع المال ويشتغل بمعرفة نيكسون وتفويضه ـ وليس أقل عملياته هو ما يتعلق بتبرعات الملياردير هوارد هيوز ـ.

وكان المساعدان الأكبران لنيكسون يتذكران مدى تغلغل نفوذ ريبوزو. فقال إيرليكمان: «لم يكن بيب أنانياً، ولكنه لم يكن منكراً لذاته على نحو كلّيّ... وقد فكرت فيه بادئ الأمر على أنه شجيرة مزروعة في إناء، تقف في الزاوية. ولكنه كان أكثر من ذلك بكثير. ـ كان له نفوذ سياسي». واستذكر بوب هالدمان: «أرسل لي نيكسون بيب ريبوزو ذات مرة ليعَظِنَي. وعلى فنجان قهوة، بدأ بيب بطرح الموضوع الذي جاء من أجله، فقال لي إن الرئيس يشعر أنني سأقوم بوظيفتي على نحو أفضل لو أنني كنتُ أكثر مداورة، وأكثر دبلوماسية، وأقل مواجهة للأمور بشكل مباشر... سلسلة كاملة من محاضرات ديل كارنيجي الأخلاقية».

وتكشف أشرطة البيت الأبيض المفرج عنها حديثاً، أن ريبوزو قد اقترح شخصاً من شأنه التعهد بتقديم تبرع ضخم للحملة الانتخابية ـ اعتقدَ نيكسون أنه «ربع مليون دولار على الأقل» ـ لقاء منصب سفير. وقد استخدم نيكسون ريبوزو كهمزة وصل مع متحدث بالهاتف، كان قد عرض عليه أن يقدم له «البضائع» المضرّة بسمعة خصمه، المرشح للرئاسة في انتخابات سنة 1972 عن الحزب الديموقراطي، وهو إدموند موسكي. كما طلب من ريبوزو أن يتصل سراً بمعسكر [المرشح الثالث] جورج والاس.

وقد استمع نيكسون إلى أفكار ريبوزو حول الحرب الڤيتنامية وسياستها، في مكالمة هاتفية واحدة على الأقل، نقلت نصوصها أمينات السرّ. واستخدم ريبوزو في نقل آرائه إلى هنري كيسنجر، وكان الرئيس نفسه مخموراً عندئذٍ. وكان ريبوزو قد انغمس في سياسة حوض الكاريبي زمناً طويلاً ـ فقد كانت له صلة باثنين على الأقل ممن اشتركوا في عملية السرقة، واقتحام المبنى في ووترغيت[6] ـ وهي علاقة أقلقت وزير الخارجية. فكتب كيسنجر يقول: «كان ريبوزو يكره كاسترو بعاطفة لاتينية عنيفة». وكانت صداقة نيكسون له «تضمن أن [الرئيس]، سيتعرض باستمرار لسماع الحجج الداعية إلى اتخاذ نهج متشدّد. فما كان له أن يظهر ضعيفاً أمام صديقه القديم». وقد لاحظ كيسنجر أن وجود ريبوزو إلى جانب نيكسون، «لم يكن في العادة يؤدي إلى أكثر الأفكار هدوءاً».

كما لاحظ هالدمان أن نيكسون في البيت الأبيض، كان «منفعلاً متوجساً على الدوام» كلما ورد ذكر اسم ريبوزو. ولا غرو، فقد كان ريبوزو أكثر بكثير من شريك في لعبة الغولف، وأكثر بكثير من صديق اجتماعي. كان شخصاً معرفته خطرة، ويعود سبب ذلك جزئياً إلى الطريقة التي ساعد فيها على إغناء نيكسون من جهة، وإلى ارتباطاته ـ من جهة أخرى ـ بالشخصيات المشبوهة، بما في ذلك أعضاء مجموعات الجريمة المنظمة.

---

(6) في وقت مبكر، منذ سنة 1961، قام ريبوزو بمرافقة السفير الأسبق وليام باولي في مهمة سرية لمقابلة رافائيل تروخيلّلو، دكتاتور جمهورية الدومينكان، قبل مدة قصيرة من اغتياله. ويشير تحقيق أجرته صحيفة **نيوزداي** إلى أنه كان متورطاً في عمليات سرية سبقت غزو خليج الخنازير. وكان اثنان من المتهمين باقتحام ووترغيت، وهما برنارد باركر ويوجينو مارتينيز، يشتغلان في مؤسسات عقارية تعمل في صفقات الممتلكات لمصلحة كل من نيكسون وريبوزو وبعد ثلاثة أيام من عملية الاقتحام قال نيكسون لهالدمان إنه سوف يتصل هاتفياً بريبوزو ليطلب منه تجميع بعض الكوبيين المعادين لكاسترو كي يجمعوا أموالاً «للأولاد» الذين ألقي القبض عليهم. (تروخيلّلو؛ وليام تيرنر ووارن هينكل، كتاب **السمكة حمراء**، طبع نيويورك، هاربر وراو، 1981، ص 192؛ صحيفة **نيوزداي**، عدد 6 تشرين الأول / أكتوبر 1971؛ والمتهمون، في كتاب من تحرير سكوت، وهوتش وستيتلر، مصدر سبق ذكره، ص 372 وما يليها، ووليام تيرنر: «انتقام ريتشارد نيكسون وشبكة الأولاد القدامى»، مخطوطة لم تنشر، ص 61؛ وريتشارد نيكسون، هالدمان في كتاب **غايات السلطة**، مصدر سبق ذكره، ص 24).

كتب نيكسون في شيخوخته: «في الوقت الذي لم يكن لدي أبداً حافز لمراكمة الثروة، فإنني أكنّ احتراماً عظيماً لمن لديهم مثل هذا الحافز، لأنني أستطيع أن أرى الأشياء القيّمة المستحقة للجهد، التي يفعلها كثير من الأغنياء بأموالهم. . . لم أكن أريد أبداً ثروة أكثر مما أحتاج إليه لتقديم حياة مريحة لنفسي ولأسرتي». وقد وصف ريبوزو بدوره صديقَهُ بأنه «شخص لا يعني المال له أي شيء»، وأضاف: أعتقد أن نيكسون لم يوقع بنفسه صكاً على الإطلاق. وقال جيمس باسيت إن نيكسون «كان يحتقر المال ولكنه يحب أن يعيش جيداً. . . فلم يكن لديه وعيٌ حقيقي بالمكان الذي يأتي منه المال. . . فذلك لم يكن يعنيه في شيء لقد كان نيكسون، ساذجاً إلى أبعد حدود السذاجة حول المال». ومع ذلك فقد لاحظ باسيت أن ريبوزو كان «مشغِّلاً داهيةً لعيناً. . . [وأنه] عندما أخذت ثروات بيب تتسع، اتسعت معها حاجته إلى رعاية الحكومة». ولاحظ زميل آخر أن نيكسون كان يعتمد على الأصدقاء لنصحه بشأن الاستثمار. ولم يذكر سوى اثنين من أمثال هؤلاء الناصحين، فكان أحدهما هو ريبوزو»[7].

وفي الخمسينيّات، عندما كان نائباً للرئيس، فإن نيكسون الذي كان العالم يراه هو الرجل الذي يذهب إلى فلوريدا بحثاً عن الراحة والاستجمام فقط. وكان يتغدى مع ريبوزو في مطعم دون خوليو في ميامي، أو يتناول كأساً أو كأسين من البيرة من إبريق شخصي، حفر عليه اسماهما في المقصف الإنكليزي. أمّا خلف الكواليس، وبينما كانت مصالح ريبوزو آخذة في

---

(7) كان الصديق الآخر هو روبرت آبلانالب، المليونير الذي طوَّر الصمَّام الهوائي وأسَّس شركة الصمَّامات الدقيقة. وقد أصبح من المقربين لنيكسون بعد انتخابات سنة 1960، فقد قام باستئجار نيكسون كمحام له أثناء سنوات الضياع في ستينيَّات القرن العشرين، وكان يرحِّب به بانتظام في مخبئه بجزر البهاما. وقد تم التحقيق في دور آبلانالب في صفقات الممتلكات ذات الصلة بشراء سانت كليمنت، وذلك أثناء تحقيقات فضيحة ووترغيت، ولم يستجب لطلب إجراء مقابلة معه لأغراض هذا الكتاب (رسائل المؤلف سمرز إلى آبلانالب في 30 كانون الأول / ديسمبر 1996 و18 شباط / فبراير و31 تموز / يوليو و17 تشرين الأول / أكتوبر 1997؛ **ومجلة نيويورك تايمز** عدد 13 كانون الثاني / يناير 1974، ص 12، ورون كيسلر: «آبلانالب استأجر نيكسون كمحام»، (مقطع منتزع من عدد غير مؤرخ من **الواشنطن بوست**).

الاتساع، فقد قيل إنه كان يعطي لنيكسون حصته من بعض الصفقات. [ولعلّ ذلك يذكر المرء بما كانت تفعله الملكة إليزابيث الأولى في القرن السادس عشر، إذ كانت تشتم القراصنة الإنكليز علناً، عندما ينهبون الذهب الأمريكي من الأساطيل الإسبانية الآتية من الدنيا الجديدة، وتموّل حملاتهم سرّاً لتشاركهم في غنائمهم! المترجم].

وحسب رواية مصدر منفذ للقوانين، وأحد مخبري مكتب التحقيقات الاتحادي، فقد كان للرجلين استثمارات مشتركة في بعض المصالح في كوبا ما قبل كاسترو. وحسب رواية هوك مارون، زميل ريبوزو في الأعمال المصرفية، فإنهما كانا شريكين في ملكية نزل في مدينة كورال غيبلز (في جنوب غرب ميامي)، وضع ريبوزو اسمه على وثائق ملكيته، كواجهة اختفى وراءها نيكسون. بل لقد قصّ مارون حكاية مضحكة عن الليلة التي وقف فيها الاثنان في باحة وقوف السيارات، وراحا يعدّانها لأن ريبوزو كان يشكّ في أن مدير النزل، كان يكذب عليه حول كمية العمل التشغيلي الذي يقوم به في النزل.

وعندما ظهرت مثل هذه الحكايا الصحافية أثناء رئاسة نيكسون، وهي حكايات يبدو أن من المرجح أن مارون كان هو مصدرها، أمر مكتبُ نيكسون رجلين يعملان في الخفاء ـ وهما هوارد هَنْت وبرنارد بيكر، اللصان اللذان ضُبِطَا فيما بعدُ متلبسَيْنِ في ووترغيت ـ بالبحث عن معلومات مضرّة بسمعة مارون. فاكتشفا بدلاً من ذلك أن هذا الصيرفيّ كان يعتبر في الأسرة المالية رجلاً لا يرقى أدنى شك إلى نزاهته، بينما لم يكن أحد «يفكر في أي شيء طيب» عن ريبوزو. ولم يكن هذا هو التقرير الذي سعى البيت الأبيض للحصول عليه.

وفي سنة 1958، أثناء تفجر فضيحة فساد على مستوى عال في صفوف الجمهوريين[8]، أخبر ريبوزو صحف فلوريدا إلى أي مدى كان نيكسون «منكراً

(8) كانت تلك هي الفضيحة التي حاقت بشيرمان آدامز، المساعد المقرب للرئيس آيزنهاور، الذي طُرِد من وظيفته سنة 1958 بسبب اتهامه بالتدخل لمصلحة صاحب مصنع منسوجات، لقاء هدايا وخدمات =

لذاته»، وأنه كان دائماً يصرّ على دفع فواتيره بنفسه. وأكّد في إصرار: «لن يثبتوا أيّ شيء ضد ذلك الولد». وقال جورج سماذرز: «في رأيي أن نيكسون لم يكسب دولاراً واحداً قطّ من مصدر غير شريف طوال حياته».

وفي سنة 1960، بعد أن خسر نيكسون أمام كينيدي، وذهب إلى عالم النسيان، حسب ثروته الشخصية على أنها لم تزد على خمسين ألف دولار، تتكون في معظمها من بيته ومن راتبه التقاعدي الاتحادي. وبعد ذلك بسنة أو سنتين، باعتباره محامياً ناجحاً، أخبر صديقاً له في فرح بأن لديه ما يكفي لجعله يتبرع للأعمال الخيرية، بأحد عشر ألف دولار في فترة واحدة لا تزيد على اثني عشر شهراً. وبعد ذلك بثماني سنوات، عندما تم انتخابه رئيساً، فإن استثماراته في العقارات ـ مضافاً إليها راتبه كمحامٍ ودخله كمؤلف ـ قُدِّرت حساباته بقيمة قدرها 307141 دولاراً، أي ما يعادل مليوناً ونصف مليون دولار بقيمة عملة هذه الأيام.

وفي تلك الأثناء، هناك في أقاصي فلوريدا كان ريبوزو قد صار فاحش الثراء. ففي سنة 1964، أقام مؤسسته المالية الخاصة به، وهي مصرف كي بيسكين. وهكذا راح نيكسون، باعتباره نائبَ رئيس سابقاً، يلوّح بمعول ذهبي في المؤسّسة الجديدة (إذْ كان يملك باحة وقوف السيارات التابعة للمصرف) وفتح فيه حساب الادخار رقم واحد. وصار المصرف مزاراً مقدساً لنيكسون تزين صوره جدرانه، ويقبع تمثال نصفيّ له بابتسامةٍ لطيفة عند كوّة صندوق الخزينة. كان مصرفاً صغيراً مقره في بناية من الآجر والزجاج لا صِفَةَ لها، يميل

= وربما يكون نيكسون قد شعر بأنه مضطر إلى دعم آدامز لأنه كان واحداً من مؤيديه القلائل؛ وكان آدامز قد تعرّض للاتهام بالفساد لأول مرة أثناء قيام مجلس الشيوخ بالتحقيق في المتاجرة بالنفوذ على يد موراي تشوتينر، صديق نيكسون الحميم. (الارتباطات: بيرز بريندون، في كتاب **آيك: حياته وعصره**، طبع نيويورك، هاربر وراو 1985، ص 519 وما يليها، و361؛ وهربرت بارمر في كتاب **آيزنهاور والحملات الصليبية الأمريكية**، طبع نيويورك، ماكميلان 1972، ص 519 وما يليها).

الأثرياء المحليون إلى التردّد عليها حفاة بلا كلفة، بينما يوزع الموظفون على الأطفال ذرة مشوية وعرائس من الحلوى.

وكان ريبوزو نفسه، ـ بصفته رئيساً، ومديراً، ومالكاً رئيسياً لأسهم المصرف ـ يشاهَدُ أحياناً وهو عاكف على العمل في مكتبه في آخر الرواق. وعلى جدار المكتب الخارجي المواجه للجمهور علقت لوحة حمراء وبيضاء وزرقاء، تمثل العلم الأمريكي وقد نقشت عليها عبارة تقول: «هذا عَلَمُنا: كن فخوراً به. وكان ريبوزو يذهب إلى عمله قائداً سيارة كبيرة خضراء من طراز لينكولن كونتينانتال رقم رخصتها على اللوحة «ميامي 1». وقد ألصقت عليها لافتة كتب عليها: «القضية الوحيدة هي أمريكا».

وعلى الرغم من الترحيب الشعبيّ الذي كان المصرف يقدمه، فإن مصرف كي بيسكين هذا لم يكن مكاناً يذهب إليه رجل الشارع ليحصل على قرض. فقد أظهر مَسْحٌ أجري فيما بعد أنه احتل المكان قبل الأخير، من بين 687 مصرفاً في فلوريدا في عدد القروض التي أصدرها. ذلك أن مصرف ريبوزو كان بالدرجة الأولى مكاناً يختزن الأموال أو يساعد في تحريكها.

وعندما حان وقت افتتاح المصرف، كان قد مضى وقت طويل على قيام ريبوزو بتغيير اختصاصه، ليصبح المضاربة في العقارات، مع اهتمام خاص بالجزر الصغيرة المنعزلة، والأماكن المنخفضة المطلّة على المحيط [الأطلسي] على مبعدة من ميامي وفي الأرخبيل الكاريبي. وقال سماذرز «كان بيب يحبّ الأملاك. فلم يَرَ جزيرةً لم يقع في غرامها». وكان من الجزر التي استولت على خياله بصورة خاصة، فِيشَرْ آيلاند وهي مائتا آكر من استثمارات المضاربة على مبعدة من شاطئ ميامي، (الآكر مقياس أمريكي للمساحة يعادل نحو أربعة آلاف متر مربع).

وقد كتب نيكسون في مذكراته: «بعد انتخابات سنة 1968، قررت أن أبيع كل حصصي وأسهمي. فقد اعتقدت أن الأمر يستحق اتخاذ إجراء إضافي، كي

أتجنب حتى الظهور بمظهر من لديه مصالح متنازعة». فاقترح ريبوزو شراء حصص نيكسون بسعر ثلاثة دولارات لكل حصة، وثارت ثائرته عندما قام مارون، أكبر مالك فردي للحصص في المشروع كله، بتقديم عرض ابتدائي بدولار واحد للحصة. وهو السعر الذي كان نيكسون قد دفعه في الأصل ثمناً لحصصه. وقبل نيكسون دولارين لكل حصة، مما جعله في ذلك الحين حامل الأسهم الوحيد الذي حصل على ضعف ما استثمره.

وحسب روايته اللاحقة، وضع الرئيس معظم أمواله الناجمة عن بيع حصصه، في شراء «بيتين في فلوريدا وثالث في كاليفورنيا». وكانت تلك البيوت قصوراً سكنية، اشتهرت باسم «البيوت البيضاء» الجنوبية والغربية، وهي المجمع الرئاسي في موطن ريبوزو في كي بِسْكين، وسان كليمنت في كاليفورنيا الجنوبية.

وقام ريبوزو بتنظيم شراء مجمع كي بسكين، وكان شريكاً صامتاً في شركة الاستثمارات التي اشترت سان كليمنت. فقد كانت الضيعة البالغة مساحتها ثمانية وعشرين آكراً، أغلى من أن يستطيع نيكسون تمويل شرائها وحده. وهكذا اهتم بالأمر ريبوزو ومعه صديق ثان هو روبرت آبلانالب، ملك المال الذي يلفّ شخصيتَه ضبابُ الغموض. فقد أدت سلسلة من عمليات البيع، والرهن، والتخلي عن الحق القانوني في الملكية، إلى جعل نيكسون هو المالك ـ من الناحية التقنية ـ لتلك الدارة الباذخة، والبنايات الخارجية المحيطة بها، ونحو ستة آكرات، رغم أنه يتمتع بحق استعمال العقار بأكمله. كما اشترى ريبوزو داراً في إحدى الضواحي الفاخرة الخصوصية للعاصمة واشنطن، دخلت فيها وانطوت عليها ـ ثانيةً ـ متاهةٌ متعرجةٌ من التدابير المالية، ووضعها تحت تصرف ابنة نيكسون، جولي وزوجها، وقد رفض الزوجان البوح بمقدار الأجرة التي يدفعانها، فلم يقولا شيئاً يتعدى وصفها بأنها «معقولة».

وفي أوائل أيام رئاسة نيكسون، كما استذكر جون إيرليكمان، عبّر ريبوزو

عن قلقه من كون أمور الرئيس المالية الشخصية لا تُدَارُ بشكل جيد. وقد اعترض مساعدو الرئيس المقربون على ترك الإشراف عليها لريبوزو بصورة كاملة، ولكنه سرعان ما سيطر على جميع أموال نيكسون. وقد أخبر المحقّقين فيما بعد: «إذا كان هناك شيء اعتقدتُ أن نيكسون ينبغي أن يملكه، فقد كنت أبادر للقيام بالحصول عليه دون أن يدري بذلك. فما كان ليزعج نفسه بالاهتمام بالمشاكل المالية. إذ إنه لم يفعل ذلك طوال حياته».

ولقد لاحظ إيرليكمان أن نيكسون كان يقول له مراراً وتكراراً «ساعد بيب في مشاكله الشخصية»؛ بمعنى المساعدة في وزارة الداخلية بخصوص معضلة عقارية هنا، وقليل من المساعدة لأقاربه هناك. فإذا تذمّر أيّ شخص من المحاباة، فإن مساعدي نيكسون كانت لديهم توجيهات ناعمة منه، بأن عليهم أن يشيروا إلى أن «بيب مختلف: إنه يعالج قضايا الرئيس الشخصية».

ولقد بَدَا لفترةٍ، حتى عندما صارت الرئاسةُ نفسُها، موضعَ شبهة تحت ضغط فضيحة ووترغيت، أن صديق الرئيس كان منيعاً وبمنأىً عن الهجمات. ثم عندما أدى تحقيق لا علاقة له به تقوم به مصلحة ضريبة الدخل إلى اكتشاف كنز دفين عائد من مئة ألف دولار على شكل أوراق نقدية من فئة المئة دولار قابعة في صندوق إيداع في بنك ريبوزو، تحطمت صورة الصديق البريء الحميد غير المهتم بالسياسة، فصارت شظايا بعد كل العناية التي بذلت لترسيخها. فتعرض كل جانبٍ من شؤون ريبوزو للفحص بتدقيق لا هوادة فيه، مع التركيز على إساءة استخدام أموال التبرعات الانتخابية، وقبول الأموال لقاء أنواع من الحظوة والمحاباة تبذلها وزارة العدل، وتوزيع أموال للصمت عن ووترغيت، والتحويل المزعوم لأموال الحملة الانتخابية إلى إخوة نيكسون وسكرتيرته الشخصية(*).

(*) إن المئة ألف دولار، التي كانت قد جاءت من الملياردير هوارد هيوز، هي عامل أساسي هام في فضيحة ووترغيت الملحمية الطابع، وسوف يقدم عنها تقرير أكثر استفاضة فيما بعد.

وكما ذكر مجلس الشيوخ في تقريره الرسمي، فإن ريبوزو قد عرقل تحقيقه الرسمي، بل إنه قد غادر البلاد في إحدى المراحل كي يتجنب المزيد من الاستجواب. وفي تلك الأثناء حاول نيكسون أن يخرب تحقيقات مصلحة الضرائب الداخلية. وفي سنة 1996 قال آندي باروفي، الذي كان مشرفاً على مخابرات المصلحة المذكورة، إن فريقه قد استنتج أن «البيت الأبيض كان يتلاعب بالتحقيق» الذي اضطلعت به تلك المصلحة. وعندما استدعي إلى اجتماع في مكتب مدير مخابرات مصلحة الضرائب في واشنطن، عَبَّرَ هو ووكيلُهُ الرئيسيُّ عن رأيهما في أن هناك، غشاً وتحايلاً في اثنتين على الأقل من الاستمارات الضريبيَّة لنيكسون نفسه. ولم ينس بَارُوفي أبداً الصدمة التي أصابته من ردّ فعل رؤسائه، الذين غادروا الغرفة بكل بساطة. وقوبلت محاولات استئناف المحادثة بحلقات فارغة وصمت حادّ ذي مغزى.

ولقد أكد مصدرٌ أعلى وأكبرُ في المصلحة المذكورة، أُجريت معه مقابلة لأغراض هذا الكتاب، الطريقةَ المخزيةَ التي تمت بها عرقلة قضية ريبوزو، فقال: «لقد كلفتُ بمراجعة ملف القضية بأكملها. وقد أمسكنا ريبوزو على نحو أساسي في تهم واضحة، وصريحة ومباشرة بالإدلاء ببيانات كاذبة مزيفة. كانت قضية ضُبِطَ فيها دون أي التباس. وأعتقد أن صفقة قد عقدت مع البيت الأبيض لقتل ذلك التحقيق».

وبالمثل تم إجهاض جلسات مجلس الشيوخ للاستماع إلى قضية ريبوزو. وفي نهاية المطاف، فإن المدعي الخاص، بعد مسيرة تحقيقٍ تناثرت فيها إشاراتٌ وأدلةٌ واعدة، ولكنها مؤدية إلى طريق مسدود مخيب للآمال، لم يقرّر أن ريبوزو بريء، ولكن ـ حسب نص كلمات التقرير المنشور والمنتقاة بعناية ـ أن «الأدلة غير كافية لدعم الإدانة». وهكذا نجا ريبوزو من الملاحقة القضائية، وادعى الرئيس السابق في مذكراته أن صديقه قد تمت «تبرئته»، وكتب نيكسون

أن ريبوزو «قد تحمل مضايقات غرفة تعذيب معاصرة من الاضطهاد السياسي، ولم تكن جريمته سوى أنه صديق لريتشارد نيكسون».

إن هناك عدداً من الحقائق والأدلة البارزة، التي تعطي سياقاً لهذه الصداقة الموازية لصعود نيكسون وسقوطه. وقد يكون بعضها صغيراً، ولكن مجموعها المتراكم يعطيها مغزى. كانت هناك قدرة ريبوزو على الحصول على محاباة تجارية بطرق ملتوية، بدءاً من سنة 1962 عندما طلب قرضاً اتحادياً لمساعدته على دفع ثمن صفقة عقارية. وبعد أن رفضت إدارة المشاريع الصغيرة طلبه مراراً، ولأسباب وجيهة، تمت الموافقة عليه بصورة مفاجئة، بعد أن تم شدّ بعض الخيوط في واشنطن وميامي. وانتهى الأمر بالموظف المعنيّ في ميامي وهو يملك حصصاً في فيشرز آيلاند ـ وأسهماً في المشروع عندما تم افتتاح مصرف ريبوزو. وكانت هذه هي المرة الأولى في سلسلة من الفرص، تم تتويجها باستخراج أموال حكومية لتطوير مركز تسوّق للتجار الكوبيين اللاجئين.

واستذكر أحدُ أعضاء مجلس إدارة المشاريع الصغيرة، سلوكَ ريبوزو أثناء اجتماع عقد سنة 1967، حول مركز التسوق المذكور فوصفه بأنه كان «ذا طبع سريع الانفجار، ويقذف بالأسماء جزافاً» وكان من بين الأسماء التي ذكرها «صديقه الحميم» ريتشارد نيكسون. وهكذا فاز ريبوزو وشريكه بالصفقة وحققا أرباحاً ضخمة. وكان الرجل الذي جاء به لتنظيم الدكاكين هو إدغاردو بوتاري، الوزير السابق في حكومة باتيستا. وقد عُيِّن فيما بعد في وظيفة مرتفعة الراتب في وزارة الصحة، والتعليم والرفاهية، بعد أن ترأس تجمع الكوبيين المؤيدين لنيكسون في الانتخابات الرئاسية سنة 1968.

وفي أوائل أيام رئاسة نيكسون، كانت الحكومة تشتري الجزر في خليج بِسْكِينْ، الذي تم تحديده كمنطقة أملاك وطنية عامة، وقال موظف في سلاح الهندسة كان معنياً بالأمر، إنه قد أُبْلِغَ بأن ريبوزو «صديق لأناس في أماكن

علياً»، وأنه يجب «معاملته برفق». وبقي صهر ريبوزو مسؤولاً عن واحدة من الجزر، براتب من الحكومة الاتحادية.

وعندما قدمت مجموعة تجارية غير مرتبطة بريبوزو، طلباً لفتح مصرف ثانٍ في كي بسكين، أثناء رئاسة نيكسون، رُفِضَ طلبها مرتين من قِبَل الوكالة الاتحادية المنظمة للمصارف. وكان ريبوزو قد أشاع أنه معترض. ولكنه عندما قدمت مجموعة من شركائه **هو** طلباً لفتح مؤسسة ادخار وإقراض، حصلت على الموافقة.

وكانت الادعاءات الأكثر إثارة، تتعلق بكميات الأموال التي راكمها نيكسون بمساعدة ريبوزو، ومن أين جاءت وإلى أين انتهى بها المطاف، غير أن التدليل المادي على هذه الادعاءات كان أصعب بكثير. فقد علم عامة الناس أثناء ووترغيت أن الثروة الصافية للرئيس، كانت تعادل 307000 دولار عندما تسلم السلطة. فضاعفها ثلاث مرات خلال خمس سنوات قضاها في البيت الأبيض، فوصلت إلى ما يقرب من مليون دولار. وفي الوقت نفسه زادت ثروة ريبوزو عما كانت عليه بسبعة أضعاف، من 673000 دولار في أواخر سنة 1968 إلى 4,5 ملايين دولار.

غير أنه كانت هناك شكوك في أن نيكسون، يملك من المال أكثر مما هو معترف به علناً. ويبدو من المؤكد أن ريبوزو كان يحتفظ بأموال لنيكسون أكثر وأعلى مما هو معروف، وذلك على أساس جذاذات من المراسلات الباقية، وتعليقات نيكسون نفسه لمساعديه، وبعضها ما يزال محفوظاً، مسجلاً على أشرطة البيت الأبيض[9].

---

(9) عندما كان نيكسون على وشك طرد بوب هالدمان وجون إيرليكمان من خدمته قال لهما إن من الممكن تدبير الأموال بسهولة كأجرة لأتعابهما القانونية: «فهناك طريقة نستطيع بها إيصال المال إليكما... ألفان أو ثلاثة آلاف دولار، هاه؟... ولن تكون هناك مضايقة... ولم أكن أنوي استخدام هذه الأموال أبداً... كما أخبرت بيب... وتأكدوا من أن الناس... الذين تبرعوا بالأموال... سوف... آه... يلقون الحظوة»، وقد استخدمها...». (كتاب ج. آنطوني لوكاس: **الكابوس**، طبع نيويورك، =

وفي مقابلة مع نيكسون قبيل وفاته، كشف أمين صندوق حملاته الانتخابية، موريس ستانس: «قال لي بيب: (لقد أقمتُ صندوق أمانة لعائلة ريتشارد نيكسون من أموال مصرفي لرعاية العائلة. إنها أموال عزلتها جانباً)، كان ذلك من كرم بيب» وقال ستانس إنه لم يعرف مدى حجم ذلك الصندوق، الذي علم بأمره في سنة 1968.

وفي حادثة أخرى، ظهر دليل على أن نيكسون استخدم مبلغ 4652 دولاراً من أموال حملة عام 1968، التي كان يحتفظ بها ويحرِّكها بيب ريبوزو لشراء قرطين من البلاتين المرصَّع بالماس، لبات نيكسون من هاري وينستون صاحب محل المجوهرات الاجتماعي بنيويورك. وقد خصص نيكسون مقطعاً في مذكراته للتنفيذ الغاضب للاتهامات بالفساد الموجهة ضده. ولكنه ظل صامتاً عن الواقعة، فلم ينكرها.

وقام نيكسون وريبوزو كلاهما، بإنكار قصة نشرها الصحافي صاحب العمود جاك آندرسون، وأشار فيها إلى أنهما يملكان أموالاً مخبأة في سويسرا، فأنكرا ذلك بصوت عال، فقال نيكسون إن الرواية «مزورة بكاملها»، ونبذها ريبوزو على أنها «تعادل في دقتها معظم الأشياء الأخرى، التي سمعت بها عن كتابات السيد آندرسون». والحق أن كثيراً من الأشياء الدفينة التي استخرجها آندرسون عن نيكسون على مدى سنوات، ثبت أنها صحيحة أو على الأقل قريبة من الصحة. وهناك معلومات جديدة بأن نيكسون قد احتفظ فعلاً بأموالٍ خارج أمريكا، سيتم الكشف عنها في هذا الكتاب.

غير أن الجانب الأكثر إثارة للشبهات في علاقات ريبوزو، هو التواجد المتغلغل في كل مكان للجريمة المنظمة. ورغم أن نقطة الضعف والخراب في

= بنغوين، 1988، ص 366، مستشهداً بمحتويات شريط البيت الأبيض المسجل في 17 نيسان / إبريل 1973؛ وكتاب هالدمان **غايات السلطة**، مصدر سبق ذكره، ص 384؛ وانظر رواية ريتشارد نيكسون نفسه في **مذكراته**، ص 827).

كتب التحقيق، هي إلقاء الاتهامات على عواهنها بالربط بين الناس ـ «فلان كان يعرف، وفلان كان على علاقة بفلان» ـ فإن الارتباطات في هذه الحالة تستحق أن تلقى عليها نظرة فاحصة.

لقد كان النمط واضحاً منذ وقت مبكر. فالرجل الذي جاء بنيكسون إلى لقائه الأول مع ريبوزو، ريتشارد دانر، يشار إليه في العادة فقط باعتباره من العملاء السابقين لمكتب التحقيقات الاتحادي، أو المدير السابق لمدينة ميامي. فقد شغل هاتين الوظيفتين، ولكنهما كانتا لطختين في سجّله. وعمل دانر كذلك في خدمة رابطة أصحاب فنادق الشاطئ في ميامي، عندما كانت عدة فنادق كبيرة تحت سيطرة عصابات المافيا ـ ولا سيما مِيِيَرْ لانسكي، وأخيه جيك، القادمين من نيويورك، وجو آدونيس القادم من ديترويت ـ. وكان دانر مقرباً بشكل خاص من رئيس تلك الرابطة، المقامر إيب آلينبرغ. وقد تم طرده كمدير مدينة، بعد اتهامه بأنه «تلاعب بالطرفين ضد الوسط» في أعقاب تنازع العصابات على السيطرة على الشرطة المحلية. وسرعان ما اتهم دانر بعد ذلك بتلقي رشوة من العصابات المنظمة، أثناء إدارته لحملة جورج سماذرز في انتخابات الكونغرس.

وكان سماذرز أثناء رحلات نيكسون المبكرة إلى فلوريدا، يدبّر له أمر الإقامة في دارات على الساحل في كي بسكين التي تملكها أسرة ماكل، التي كان أفرادها في ذلك الحين من المشتركين في استثمار تنمية الأراضي مع شركاء مِيير لانسكي، ومن بينهم مايك كوبولا الملقب بالزناد. وقد بقي نيكسون على علاقة ودية مع أسرة ماكل عبر السنين.

وبعد مضي عقد من الزمن على نشوء الصداقة بين نيكسون وريبوزو، عندما كان نيكسون بعيداً عن السياسة مؤقتاً، جاء في تقرير للمخابرات مقدم إلى دائرة شرطة ميامي على لسان مخبرٍ من العصابات قوله، إن ريبوزو يدير عصابة لابتزاز الأموال بالقمار من داخل مشروعه لتنظيف الملابس بتشغيل آلات تعمل

بقطع العملة. وقال المخبر إن ريبوزو يقف في هذه العملية «كواجهة لنائب الرئيس السابق، نيكسون». ولم يتم تأكيد ذلك التقرير، ولكنه يشكل جزءاً من صورة أكبر. فقد كانت شخصيات الجريمة المنظمة حاضرة ومتواجدة في مشاريع ريبوزو العقارية والمصرفية.

فوالتر فريدريك أحد حملة أسهم الشركة المسيطرة على فيشرز آيلاند، حيث اشترى نيكسون أرضاً، كان مُهَرِّبَ سكَّرٍ مداناً. وكان ريبوزو شريكاً في ملكية جزيرة أخرى قريبة من جزيرة فيشر، مع مقامر آخر اسمه ريتشارد فينتشر، كان عضواً سابقاً في مجلس الشيوخ عن ولاية فلوريدا. وكانت مصادر تنفيذية قانونية قد قالت إن فينتشر هذا، كان واجهة لأحد شركاء ميير لانسكي في عمليات مقامرة على الصعيد الوطني[10]. وقد كشفت سجلات مكالماته الهاتفية في سنوات لاحقة، مكالمات مع شركاء لزعيمي العصابات كارلوس مارسيلو وسانتو ترافيكانتي. وكان فينتشر يَتَبَجّح بالقول: «إن بيب صديق حميم جداً لي».

ومن أجل تمويل المشتريات من فيشر آيلاند، اقترض نيكسون أموالاً من مصرف ريبوزو ومئة ألف دولار إضافية من بنك سيتي ناشنال في ميامي. وكان العضو البارز في مجلس إدارة سيتي ناشنال، ماكس أوروفيتز، قد أشير إليه في مذكرة لوزارة العدل، على أنه حصل على ملايين الدولارات عن طريق مصرف ساحل ميامي نيابةً عن لانسكي. وقد دين بالاحتيال في سندات مالية، اشتركت فيها مصارف سويسرية، في السنة التي تم فيها انتخاب نيكسون رئيساً.

وفي السنة نفسها، عندما قام ريبوزو بتنظيم تطوير مركز التسوق الكوبيّ في ميامي، اختار شركة بوليزي للإنشاءات من أجل بنائه. وكان آلفريد («بيغ

(10) إن الشخص المرتبط بلانسكي هو جيل بيكلي، الذي ظهر اسمه في دفتر فينشر للعناوين الرمزية المشفرة في سنة 1966، وبعد ذلك بعامين كان زملاء بيكلي في عصابات المافيا قد دينوا في قضية كبرى لسرقة أسهم شركات برز فيها اسم ريبوزو بطريقة جدلية مثيرة للخلاف، كما هو مذكور لاحقاً في هذا الفصل (مولدي، في كتاب **التدخل**، مصدر سبق ذكره، ص 292 وما يليها؛ وصيفاكيس، مصدر سبق ذكره، ص 314).

آل») بوليزي، الذي يترأس الشركة، من زعماء العصابات في أيام تحريم بيع المسكرات وصناعتها (فيما بين سنتي 1920 و1933). فقد كان رئيساً لعصابة كليفلاند، ووصل إلى درجة من البروز في الزعامة بحيث كان ـ حسب ما ورد في تقرير لمكتب التحقيقات الاتحادي ـ عضواً في مجلس المافيا الأكبر، الذي سبق اللجنة. وكان أيضاً يعمل مع مبير لانسكي، وقد سُجِن سنة 1943، لتهريب المشروبات الكحولية بين كوبا والولايات المتحدة، ولمخالفته التسعيرة المحدّدة أيام الحرب، ولتهربه من الضرائب. وفي الخمسينيات استدعته لجنة كيفوفر بسبب ملكيته لفندق ساندزْ، وهو أحد فنادق ساحل ميامي التي كانت تسيطر عليها المافيا آنذاك. وكان بوليزي مرتبطاً كذلك بتهريب المخدرات. وقد أورد مكتب مكافحة المخدرات اسمه حتى في سنة 1964، باعتباره: «واحداً من أكبر رجال العصابات السريّة نفوذاً في الولايات المتحدة».

وفي سنة 1952، وقّعت أخت زوجة ريبوزو عريضة لم تنجح للحصول على عفو اتحادي لبوليزي. وذكرت مع آخرين وقّعوا على تلك العريضة، أنها كانت دائماً تعتبر بوليزي «رجلاً ذا شخصية أخلاقية جيدة». وفي سنة 1965، فشلت محاولة لريبوزو للحصول على رخصة، لاستملاك محطة وقود أخرى لجعلها من الأملاك العامة. وكان بوليزي واحداً من سبعة مواطنين فقط وقّعوا عريضة، تدعم طلب ريبوزو في وقت كان فيه ما يزال متورطاً في براثن العصابات. وقد استمع مكتب التحقيقات الاتحادي الذي كان يراقب هواتف العصابات آنذاك، إلى أحد قادة المافيا يصرّ على أن الطريقة الوحيدة لحل نزاع داخلي هو مقابلة بوليزي.

وفي سنة 1967، بينما كان نيكسون يهيئ للحملة التي ستوصله إلى سدة الرئاسة، جعله ريبوزو يقف لصورة دعائية مع دونالد بيرغ، أحد زبائن مصرف ريبوزو العاملين في تنمية العقارات، ومالك خان جامايكا إنْ، حيث كان نيكسون كثيراً ما يتعشى. وكان نيكسون قد عرف بيرغ منذ جاء إلى المنطقة

للمرة الأولى، وكان يدرك أن القصد من الصورة، هو تعزيز الجهود المبذولة لبيع قطع أرض، تابعة لشركة كيب فلوريدا للتنمية العقارية التي يملكها بيرغ. وقد تم تداول الصورة في أنحاء البلاد فكانت مفيدة لهما معاً. وقال بيرغ إن نيكسون «أبرز المنتَجَ وكأنه صابون على شاشة التلفزيون. فقد هبط الناس على حين غرة واكتشفوا أن كي بيسكين جزيرة فردوسية». أما نيكسون، فقد استطاع بدوره أن يشتري قطعتي أرض في كيب فلوريدا، بنصف ثمن قطعتين مجاورتين لهما. وحصل ريبوزو، هو الآخر، على شريحة من الأرض كصفقة بثمن مخفض[11].

وقد قام نيكسون وريبوزو كلاهما، بتأجيل تسجيل شرائهما لقطعتي الأرض من بيرغ إلى ما بعد عدة سنوات. فلم يقم نيكسون بإتمام التسجيل بصورة نهائية، إلاَّ بعد سنتين من توليه منصب الرئاسة، إذْ أن إحدى القطعتين قد استغرقت طيلة ذلك الوقت، حتى تخلصت من رهونها السابقة على يد شريك للانسكي، وزعيم نقابة سائقي سيارات الشحن (رجل العصابات الفاسد) جيمي هوفا. وتخلص نيكسون من الأرض آخر الأمر في سنة 1972، في أعقاب انكشاف المعلومات غير المرغوب فيها عن ترتيبات الصفقة. وتوقف أيضاً عن تناول العشاء في خان جامايكا إنْ، وقيل إن ذلك كان بناء على طلب رجال الشرطة السرية، بعد أن تلقوا تقريراً عن خلفيّة بيرغ[12]. غير أنه ظل صديقاً حتى سنة وفاته (1994).

ولقد تورط ريبوزو ومصرفه في قضية مستندات مالية، أثارت مزيداً من

(11) نقلت صحيفة نيوزداي عن بيرغ في سنة 1971 قوله إن نيكسون «قد حصل على حسم كبير». كما أن نائب رئيس الشركة، فرانسيس ساراليغوي، قال إنه كان ينبغي إعطاء الموقع لنيكسون مجاناً. وفي المقابلة لأغراض هذا الكتاب، أنكر بيرغ، أن يكون نيكسون قد حصل على صفقة خاصة (**نيوزداي**، عدد 13 تشرين الأول / أكتوبر 1971؛ والمقابلة مع دونالد بيرغ).

(12) اعترف بيرغ بأنه تفاوض مع شريك للانسكي يدعى لوتْشِيسْلَرْ حول صفقة كان مخططاً لها في جزر البهاما. انظر المرجع في الفصل العشرين، والحاشية الرابعة على الفصل المذكور، (بيرغ يعترف: **نيوزداي**، عدد 13 تشرين الأول / أكتوبر 1971).

التساؤلات حول نزاهته في سنة 1968. وكانت القضية تتعلق بالتعامل مع أسهم شركة IBM، المودعة لديه كضمانة إضافية لقرض، وهي أسهم اتضح أنها كانت مسروقة من مؤسسة سمسرة بنيويورك. وكان من بين اللصوص والمحتالين المتورطين في هذه القضية، شركاء لكل من طوني «فاتس» ساليرنو وجيل «الدماغ» بيكلي، وهم من المتواطئين بدورهم مع مبير لانسكي، الذي صار اسمه معروفاً آنئذٍ.

وقد أثار دور ريبوزو في تلك الصفقة عدداً من الأسئلة المقلقة. فلماذا قدم قرضاً فورياً لزبون مستقبلي غريب ومن ولاية أخرى، دون طرح أي سؤال عن تاريخ القروض والائتمانات لذلك الشخص؟إن هناك طرقاً نمطية روتينية لإجراء مثل هذا التدقيق. ومع ذلك، فإنه عندما أجرى مكالمتين في آخر الأمر، كانتا لرئيس المنتجعات ـ الرجل الذي يدير جزيرة الفردوس في جزر البهاما، وإلى شقيق نيكسون، دون، رجل الأعمال.

ولماذا قام ريبوزو، حتى بعد أن زاره اثنان من عملاء مكتب التحقيقات الاتحادي، لإجراء استعلامات حول تلك الأسهم، بكتابة تزكية دافئة للرجل الذي قدمها كضمانة إضافية، وقال في تلك التزكية: «لقد سار كل شيء على ما يرام حتى الآن بالنسبة لنا معاً. . .»؟

ولماذا كان رد ريبوزو غريباً إلى هذا الحد، عندما حاول محقّق إحدى شركات التأمين أن يخبره بأن الأسهم كانت مسروقة؟ فقد زعم في بادئ الأمر أنه شديد الانشغال إلى درجة أنه لا يستطيع مقابلة المحقّق المذكور، وألغى موعدين وعندما حدث اللقاء فعلاً، أثار ريبوزو ريبة كبيرة فكتب المحقّق في تقريره: «لا أعتقد أن السيد ريبوزو كان يعطيني كل المعلومات. . . ويبدو لي أن هذه صفقة مشبوهة وإني لأشكّ في أن السيد ريبوزو يعي ذلك».

هل أخبر ريبوزو المحقّق كذباً وزوراً بأنه كان قد باع تلك الأسهم، بينما

قام في الحقيقة ببيع الرصيد الباقي من حصصها بعد ذلك اللقاء بأكثر من أسبوع؟[13]

وأخيراً، فلماذا تمت تسوية المقاضاة في الدعوى بطريقة، تجنبت تعريض ريبوزو لتعقيدات إضافية؟ فقد تم إنهاء دعوى مدنية رُفِعَتْ ضد البنك بعد يوم واحد على يد جيمس كينغ، قاضي المحكمة المحلية الأمريكية، الذي كان الرئيس نيكسون قد عينه قبل ذلك بوقت قصير.

ولقد أجريت لأغراض هذا الكتاب مقابلةٌ في السجن مع آلفين كوتز، المقامر الذي يعيش في واشنطن، والذي سجن في عهد نيكسون الرئاسي لنقله سندات مالية مسروقة. فأكد كوتز أن الدور الحقيقي لريبوزو ومصرفه، شيء يعرفه الجميع في الأوساط الإجرامية، قبل زمن طويل من ذيوع قصة الأسهم المسروقة: «لقد كان بيب ومصرفه مَنْفَذاً لهذه الأشياء. وكان ذلك شيئاً معروفاً جيداً في دوائر الجريمة المنظمة».

وكان فنسنت تيريزا في ذلك الحين، الرجل الوحيد الرفيع المكانة في المافيا الذي تحول إلى مُخْبِرٍ حكومي، فاعترف فيما بعد أنه قد اشترك في عملية التحايل في أسهم الـ IBM. فأخبر هيئة التحقيق الخاصة بووترغيت، أنه قد استخدم مصرف ريبوزو في قبض أرباح مجموعة أخرى من الأسهم المسروقة، وشهد محتال سارق للأسهم يُدعى لويس ماستريانا، أمام لجنة فرعية للتحقيقات تابعة للكونغرس، بأن قضية الأسهم المسروقة التي ذاعت شهرتها قد «جاء بها

(13) أقام ريبوزو الدعوى على **الواشنطن بوست** بخصوص قصة سرقة الأسهم، التي برز فيها تأكيد مستقى من جورج رايلي، محقق التأمينات، بأن ريبوزو كان قد قبض مبلغ **91500** دولار من الأسهم، حتى بعد أن أشعره المحقق بأنها مسروقة. ولكن ريبوزو أنكر أن المحقق قد أبلغه بذلك، وادعى بأن الصحيفة تشهّر به وطالب بتعويضات قدرها عشرة ملايين دولار، وبعد عشرة أعوام من التقاضي انتهت القضية بأن تبرّع ريبوزو **والواشنطن بوست** بمبالغ لم يكشف النقاب عنها لنوادي الأولاد في أمريكا. ونشرت الصحيفة بياناً توضح فيه «نواياها» من نشر ذلك المقال. ولم يكسب ريبوزو أية تعويضات **الواشنطن بوست**، عدد 25 تشرين اوول / أكتوبر 1973؛ وصحيفة **ميامي هيرالد**، عدد 6 تشرين الثاني 1983؛ ومقابلة مع رون كيسلر.

تيريزا». وقال إنه قد ذهب بنفسه إلى مصرف كي بسكين وأجرى معاملات مع ريبوزو. وعندما سُئِل عما إذا كان ريبوزو واعياً بعلاقاته بالمافيا قال: «لا أدري. ولكنني كنت قد فهمتُ بأنه سيأخذ موقداً حاراً إذا أنت أعطيته إياه».

واعترف ماستريانا في شهادته بأنه قد اشتغل مع رجل العصابات في واشنطن، المدعو جونيسلين، الذي كان كوتز مرتبطاً به بشكل وثيق، وكذلك مع فنسنت (جيمي ذي العيون الزرق) آلو، أحد كبار الباقين من الذين شاركوا ميير لانسكي زمناً طويلاً. وعندما سئل آلو هذا عن ريبوزو في مقابلة نادرة سنة 1997، استخدم نفس الصورة المجازية التي كان ماستريانا قد استعملها من قبل فقال: «إن الجميع يعرفون أن ريبوزو من شأنه أن يَقْبَلَ أخذ موقد حارّ»، وأضاف فيما بعد أنه «كان هو الشخص الذي يلتقط المال لنيكسون»(*).

واستذكر وليام غالينارو، كبير المحققين في لجنة التحقيقات الفرعية التابعة لمجلس الشيوخ، «كنا نهيئ استدعاءً لبيب ريبوزو ونستعد للذهاب إلى مصرفه... كنا نطارده. فقد كان يحتفظ هناك بسندات مالية مغشوشة، مسروقة... وعندما بدأنا نجري تحقيقاتنا في هذا الأمر، أخبره أحدهم بذلك كي يحترس لنفسه. وسرعان ما علمنا أنه قد باع تلك الأسهم المسروقة. وتلك بحد ذاتها جريمة. وكان يجب القبض عليه وإيداعه السجن على ارتكابها. فبالنسبة لرجال المافيا كان ريبوزو صيرفياً صديقاً».

وفي وقتٍ ما أثناء الستينيّات قام الذين يراقبون الجريمةَ المنظمةَ في وزارة العدل. وفي مكتب التحقيقات الاتحادي بابتكار تصنيفات للمجرمين، ومجرمي الظلال والحواشي، وشركاء المجرمين. وكان شارلي ستانلي، الوكيل السابق من وكلاء مكتب التحقيقات الاتحادي، متخصصاً بالجريمة المنظمة في منطقة ميامي. فقام بتحديد صفة ريبوزو بأنه «شخصية مشاركة في الجريمة المنظمة،

(*) إن عنصر لانسكي مشروح في الفصل الثاني عشر.

من غير الأعضاء». وهذا تصنيف ينطبق على الأشخاص المصممين على إقامة ارتباط هام، وعن معرفة وقصد مع «الأعضاء الكاملين» في لاكوزانوسترا[14].
[عبارة إيطالية معناها الحرفي: «قضيتنا»؛ تطلق على أعضاء العصابات المنظمين في جميع أنحاء الولايات المتحدة. ويتألف تنظيمهم المتوارث من عوائل محلية مستقلة، يُعْتَقَدُ أن لها علاقة هامة مع مافيا صقلية: المترجم].

وبمثل هذه العلاقة الوثيقة، التي أقامها نيكسون مع ريبوزو لفترة بمثل هذا الطول، لا يمكن أن يكون جاهلاً جهلاً مطبقاً بارتباطاته، ومن المؤكد أنه لا يمكن أن يكون غير واع بقربه من عالم الجريمة المنظمة. وهو عالم وَعَد نيكسون أن يكافحه بكل قوة منذ توليه منصب الرئاسة. ومع ذلك اختار ريبوزو ليكون أقرب المقربين الحميمين إلى نفسه.

إن بعض المادة المتعلقة بريبوزو في هذا الفصل، قد تم كشفها في أواخر سنة 1971، على يد فريق من المحقّقين الصحافيين التابعين لصحيفة **نيوزداي**، الصادرة على الساحل الشرقي للولايات المتحدة. وقد فاز ذلك الفريق بجائزة بوليتزر. وبينما كان الصحافيون يهيئون سلسلة أبحاثهم، فوجئوا بالأبواب تغلق في وجوههم في الوكالات الحكومية، وبأن عملاء مكتب التحقيقات الاتحادي، قد سبقوهم في الوصول إلى الأشخاص الذين سيقابلونهم،

---

(14) أكد تقرير لمكتب التحقيقات الاتحادي سنة 1973 أن المكتب «ليست لديه معلومات ضارة» عن ريبوزو. غير أن على المرء أن يأخذ في الحسبان أن ريبوزو كان في ذلك الحين قد مضى عليه وقت طويل من الانهماك في مراسلات مليئة بالتملق والمداهنة مع هوفر رئيس المكتب المذكور ـ وكان ريبوزو يوقع رسائله باسم «بيب»، وكان صديقاً شخصياً حميماً لكينيث ويتاكر، العميل الخاص المسؤول عن فرع المكتب في ميامي. وللحصول على معلومات عن موقف مكتب التحقيقات الاتحادي برئاسة هوفر تجاه الجريمة المنظمة، انظر كتاب المؤلف بعنوان: **رسمي وسري: الحياة السرية لجون ادغار هوفر** («لا معلومات ضارة»: SAC ميامي إلى المدير بالوكالة، في 3 أيار / مايو 1973، وثيقة مكتب التحقيقات الاتحادي المرقمة 4 ـ 112974 ـ 62؛ ريبوزو وهوفر: مراسلاتهما في 14 و20 كانون الثاني / يناير 1959، و2 و11 كانون الأول / ديسمبر 1964، و14 تموز / يوليو 1969، ووثائق مكتب التحقيقات الاتحادي المرقمة 1 ـ 9436880 و4185 ـ 109811 ـ 62 و3 ـ 112973 ـ 62؛ وSAC «صديق»؛ وSAC ميامي إلى المدير بالوكالة، أعلاه).

لتحذيرهم من التصريح لهم بشيء. وقام عملاء المكتب المذكور ومعهم رجال الشرطة السرية، بإجراء مسح استطلاعي لمراسلي صحيفة **نيوزداي**.

وتعرضت الصحيفة لإجراءات انتقامية قاسية بعد نشر نتائج تحقيقها. وعُزِلَ مراسلها في البيت الأبيض فقاطعه السكرتير الصحافي للرئيس، ومنعه من تغطية زيارة نيكسون للصين، [وهي أول زيارة قام بها رئيس أمريكي لذلك البلد منذ قيام الصين الشعبية سنة 1949]. ومن خلف الكواليس أُرْسِلَت الأوامِرُ، لإجراء سَبْرٍ ضريبي على ناشر الصحيفة وكبار محرريها. وكان الرئيس نفسُه وراء مثل هذه الإجراءات. وكان وليام سافاير، الكاتب السابق لخطابات نيكسون، يعتقد أن «رد فعل نيكسون أسوأ من أحمق. . . فنيكسون لم يكن يستطيع التحمل عندما كان الأمر يتعلق بهجوم على بيب».

وفيما بعد، عندما شرعت صحيفة **إيفنينغ نيوز** بنشر تقارير عن ريبوزو، قال أحد مساعدي البيت الأبيض إن نيكسون غضب من ذلك النشر غضباً مريراً. وقال ذلك المساعد إنه لم ير أي خطأ في سلوك ريبوزو.

ولقد كان هناك بالطبع رؤساء آخرون اعتمدوا على أشخاص موثوقين لديهم. فكان هاري هوبكنز موثوقاً عند روزفلت، وكان هاري فوغان موثوقاً عند ترومان. وكان للرئيسين المذكورين صحبة جورج آلين. وكان لكل من آيزنهاور وكيندي أشقاء. فكان الرجال الواقفون إلى جانبهم يخدمونهم كمستشارين، ومهرجي بلاط، وكثيراً ما كانوا لا يفعلون شيئاً سوى الإنصات لرؤسائهم في صبر. ولكن أحداً منهم لم يترك وراءه مثل هذا الشعور بانعدام المعنى الملموس، أو مثل هذا الإحساس القوي بأنه مجرم هارب من العدالة كما فعل بيب ريبوزو.

وقال جورج سماذرز: «إنك عندما تتناول موضوع بيب وريتشارد نيكسون، فإنك تعالج قضية اثنين من أكثر الناس سرية وتكتماً، وتحفظاً وخوفاً من كل مَنْ يحتمل أن تتعرف عليهم طيلة حياتك». وكان روبرت فينتش يعتبر

ريبوزو «واحداً من أكثر الرجال صمتاً في تاريخ الولايات المتحدة». وحسب رواية مساعد آخر في البيت الأبيض، فإن «بيب يستطيع أن يتحمل اقتلاع أظافره واحداً بعد الآخر، دون أن يكشف أي شيء عن الرئيس، سوى البديهيات الشائعة المعروفة لدى الجميع»[15].

وفي سنة 1952، بينما كانت علاقة نيكسون بريبوزو آخذة في التوثق والتعزيز، راح الطموح السياسي يسيطر على نيكسون كالهاجس، وهو طموح كان مصدر إلهامه يتباعد شيئاً فشيئاً عن المفاهيم الصارمة التي نشأ عليها. لقد صار غاطساً أكثر فأكثر في وحول الأسرار التعيسة الخسيسة التي لا يمكن البوح بها. وأدى ذلك، في أسوأ حظ ممكن، إلى جعل ريبوزو صديقاً مناسباً له تماماً. ذلك أن «بيب» ـ كما قال وليام سافاير ـ «لن يبوح بشيء على الإطلاق».

(15) في سنتي 1996 و1997 كتب المؤلف إلى ريبوزو يطلب مقابلة لأغراض هذا الكتاب. وكان قد عانى من نوبة قلبية فأرسل رسالة يعتذر فيها عن إجراء المقابلة. وفي سنة 1971، عندما كان ريبوزو بصحة جيدة، رفض التحدث مع مراسل صحافي كان يقوم بتحضير سلسلة المقالات في صحيفة **نيوزداي** التي استشهد بها هذا الفصل. وقد توفي بيب ريبوزو في سنة 1998 (رسائل المؤلف إلى ريبوزو في 25 أيار / مايو 1996، و20 شباط / فبراير 1997، والرسالة الهاتفية من مكتب ريبوزو إلى المؤلف في 7 آذار / مارس 1997).

12

إن كل ما عليك أن تفعله في بلدنا هذا، هو أن تقول الحقيقة للناس، فلا تخفي عنهم أي شيء

ريتشارد نيكسون، أيلول | سبتمبر 1952

كتب ستيفن هيس، المساعد في رئاستي آيزنهاور ونيكسون كليهما: «عند ريتشارد نيكسون، الغاية هي السلطة». فلم يقنع عندما أصبح نائباً وهو في الثالثة والثلاثين، ولا سناتوراً في مجلس الشيوخ في سن السابعة والثلاثين. ولم يتوقف السياسي القادم من كاليفورنيا عن هجمته للارتفاع أعلى.

كان واضحاً أن النشاط التشريعي ليست له أولوية عنده. فلم يكد يحتل مقعده في مجلس الشيوخ، حتى بدأ يذرع أرجاء البلاد جيئة وذهاباً لإلقاء الخطب. فكان له تسعة وأربعون خطاباً في سنة 1951، ثلاثة منها فقط في الولاية التي هي موطنه ومسقط رأسه. وفي جولته أبرز لنفسه صورةً وصفها إيرل مازو، بأنها تشبه في جزء منها بطلاً ثورياً، وفي الجزء الآخر واعظاً يهدّد بيوم القيامة. وقد أوضح نيكسون القصد من هذه الرحلات في رسالة إلى موطنه بعث بها إلى هيرمان بيري، مدير مصرف وِيتْيِيرْ الذي كان أولَ مَنْ حَثَّهُ على دخول معترك السياسة: «إن بضعة أصدقاء في ولايات أخرى قد يثبت أن لهم قيمة كبيرة في المستقبل».

والواقع أن سماسرة السلطة على المستوى الوطني، قد بدأوا يرون في نيكسون آنذاك رجلاً يمكن أن يعمل كطليعة ورأس حربة، لعودة الحزب

الجمهوري إلى الميدان بعد عقدين من الانجراف والاندحار. كانت تيارات التاريخ على وشك أن تتلقفه لتقذفه إلى وسط اللجّة، إلى جانب الرجل الذي كان نيكسون، كضابط صغير في الأسطول، قد رآه قبل ذلك بست سنوات يسير في استعراض عبر مانهاتن، بوصفه البطل الظافر في الحرب العالمية الثانية.

كانت المصالح التجارية الأمريكية الكبرى قد راحت منذ سنة 1948، تتقرب من الجنرال دوايت آيزنهاور، الذي كان عندئذ القائدَ الأعلى لمنظمة معاهدة شمال الأطلسي، وكان آيزنهاور قد اجتمع سراً بنيكسون قبل ذلك بسنتين، ليطلع منه على ملخص لقضية هيس ومدى انتشار الشيوعية المحلية. وكان نيكسون حاضراً سنة 1950، في اجتماع تحدث فيه آيزنهاور في أيكة بوهيميا، وهي مكان لتجمعات غريبة في إحدى غابات الأشجار الحمراء الكبيرة في كاليفورنيا، اعتاد الأغنياء أن يلتقوا فيها لتفحص مؤهلات الساسة الواعدين ليصار إلى رعايتهم. وعندما التقى الرجلان مرة أخرى في باريس، بعد مضي ستة أشهر على عضوية نيكسون في مجلس الشيوخ، ناقشا قضايا لم يكن من المحتمل أن يختلفا عليها. وشعر نيكسون بوجود شيء من «الترفع» في شخصية الجنرال. غير أنه قدر له بمرور الوقت أن يشعر بأنه «ليس سوى صبيّ من أزلام آيك»[1] يلعب دوراً رسمه له آيزنهاور. وعلى أية حال، كانت تلك بداية الصلة بينهما آنذاك.

وقبل شهرين من مؤتمر الحزب الجمهوري سنة 1952، قام حاكم نيويورك توماس ديوي باستدعاء نيكسون إلى فندق روزفلت في مانهاتن. وكان ديوي قد اشترك مرتين في التنافس على الترشيح لمنصب الرئاسة من قبل. وكان ينظر إلى الشاب نيكسون بعين الحظوة والتفضيل منذ زمن طويل. وفي ذلك الحين كان ديوي قد أصبح من كبار صناع الملوك، (أي أصحاب القرار في تسمية زعماء الحزب الجمهوري وقادته).

---

(1) مثل الشخص الذي يقع في غلطة مضحكة. ربما كان نيكسون يقصد أنه اضطر إلى تلقي النقد التوبيخي.

وفي جناحه في الطابق الرابع والعشرين من الفندق، كشف لنيكسون عن «إمكانية أن يصبح نائباً للرئيس». وفي وقت سابق من ذلك المساء، وبعد خطاب مثير ألقاه نيكسون في عَشَاء سياسي، أخرج ديوي من فمه حامل السجاير المعروف عنه كعلامة بارزة في شخصيته، ومدّ يده ليصافح ذلك الشاب وينصحه: «عدني بأن لا تسمن، وبأن لا تفقد حماستك، وستصبح رئيساً ذات يوم». ولم يكشف أي من الرجلين التفاصيل الدقيقة لمحادثتهما في تلك الليلة. ولكن التكهن اللاحق يوحي بأن ديوي، قد أغرى نيكسون بمنصب نائب الرئيس، شريطة أن يغوي وفد كاليفورنيا بتحويل ولائه إلى آيزنهاور في المؤتمر. وكان ذلك ينطوي على خيانة، ولكن نيكسون وافق على ذلك.

فقبل ذلك الاجتماع مع ديوي بعدة أسابيع، كان نيكسون قد وقع تعهداً ملزماً من الناحية القانونية، بدعم ترشيح حاكم كاليفورنيا إيرل وارن لمنصب الرئاسة. أمّا بعد لقائه مع ديوي فقد شرع في إرسال، استبيان بالبريد إلى أربعة وعشرين ألف كاليفورنيّ، بكلفة تقرب من ألف دولار أحيلت إلى الحكومة بصورة غير قانونية كي تدفعها. وقد صيغت عبارات الاستبيان بطريقة ماكرة، وهي تستعلم عمن يفضله المرسل إليهم كمرشح عن الحزب الجمهوري لانتخابات الرئاسة. فقد أوحت كلمات الأسئلة المرسلة بالبريد، إيحاءً قوياً بأن ترشيح وارن محكوم عليه بالفشل المحتوم. وفي المؤتمر في شيكاغو، انهمك نيكسون وموراي تشوتينر في التآمر لاجتذاب ولاء الوفود لآيزنهاور وهما واعيان تماماً بالضرر الذي يلحقانه بوارن.

وتصرَّف وارن بترفُّع وعزة نفس آنذاك. ولكنه لم ينس تلك الخيانة على الإطلاق. وقال الكاليفورنيّ جون روثمان، القيّم على أروع مجموعة من المحفوظات الشخصية النيكسونية، والمؤيد لنيكسون على امتداد زمن طويل: «لقد كره نيكسون. وقد جاءت أكثر اللحظات مرارة في حياة وارن العملية في سنة 1969، عندما كان عليه ـ بصفته رئيس القضاة ـ أن يحلّف نيكسون اليمين

الدستورية كرئيس. وقال وارن في شيخوخته، عندما لم تعد تعنيه المجاملات الحزبية، وعندما كان نيكسون يغوص غارقاً تحت أمواج فضيحة ووترغيت: «إنه مخادع حقير... غشاش، كاذب، محتال... لقد خدع الشعبَ الأمريكي»[2].

وعندما برز آيزنهاور كمرشح جمهوري للبيت الأبيض في مؤتمر سنة 1952، كتب قائمة بستة مرشحين محتملين لمنصب نائب الرئيس، فكان اسم نيكسون على رأسها. وبعد جلسة في غرفة عابقة بالدخان، وبدعم حساس الأهمية من توم ديوي، تم اختيار نيكسون كمرشح لذلك المنصب لمرافقة آيزنهاور. وكان مستلقياً بسرواله القصير في غرفته بالفندق، عندما وصله الخبر الذي قيل إنه قد أصابه «بدهشة جهنمية».

وكان قد أمضى الليلة السابقة لذلك حتى ساعات الفجر الأولى، وهو يتجادل مع زوجته حول ما إذا كان عليه أن يقبل الترشيح. فقد كانت لدى بات «أفكار أخرى» تشير إلى إحجامها. واستدعي تشوتينر في الرابعة صباحاً لإقناعها بتغيير رأيها. وعندما انتهى تشوتينر من الكلام قالت: «أظن أنني أستطيع أن أتدبر أمري من خلال خوض حملة أخرى». ولكنها كانت مذعورة من ذلك الاحتمال.

وقُدِّر لبات أن تزعم فيما بعد أنها قد فوجئت هي الأخرى، عندما سمعت في اليوم التالي بخبر ترشيح زوجها، وكانت تتناول غداءها. فاستذكرت: «لقد سقطت لقمة الشطيرة من فمي تماماً». ثم انضمت إلى زوجها على منصة

(2) قبل أن يتوفى وارن بأربعة أشهر في سنة 1974 أخبر آلدن ويتمان، العامل في **النيويورك تايمز**، أنه يعتقد أن نيكسون هو «أكثر الرؤساء استحقاقاً للشجب» في تاريخ الأمة، لأنه لم يسئ استخدام السلطة فحسب، بل غدر بالشعب الأمريكي وخان ثقته كذلك. وبعد وفاة وارن سنة 1974، نُشِر تقرير بأنه كان في مرضه الأخير قد مُنِعَ من دخول مستشفى بِتِيسْدا البحري، الذي كان يعنى بأبرز المواطنين الأمريكيين وحسب رواية القاضي آرثر غولدبرغ، فإن «عدم قيام نيكسون بأي عمل» إزاء هذه القضية ربما كان هو السبب في ذلك. إذ أن وارن، باعتباره قاضياً متقاعداً، كان بحاجة إلى موافقة البيت الأبيض كي يقبله مستشفى بِتِيسْدا (ميللر كمحرِّر لكتاب: **تحطم الرئيس**، مصدر سبق ذكره، ص 536).

النصر، مع تعليمات تلقتها بأن تبتسم لآلات التصوير. وفي تلك الليلة في واشنطن اقتحم المصورون بيت نيكسون، وتجاوزوا حاضنة الأطفال، وأصروا على إيقاظ ابنتيه النائمتين لتقفا مع والديهما أمام عدسات التصوير.

ولم تكن بداية حملة آيزنهاور ـ نيكسون تبشر بالنجاح. فبينما كان الجمهور يهتف لتحية الجنرال، أمسك نيكسون بمعصم الرجل الكبير ورفع ذراعه فوق رأسه وكأنه مدير أعمال ملاكمٍ ما. ولم يكن ذلك هو أسلوب آيزنهاور، وقد ظهرت كراهيته لذلك من التعبير الذي ارتسم على وجهه. فكانت تلك المحادثة بداية علاقة طويلة صقيعية البرودة.

وفي الأسبوع التالي ارتسمت على غلاف مجلة **تايم**، صورة لنيكسون محسنة على نحو مثالي. فكانت الأولى من ست وخمسين مرة ظهر فيها على تلك الشاكلة. وكان هذا رقماً مذهلاً. وقد قيل للقراء إن الاختيار قد وقع عليه لأنه شاب، ولأنه أثبت قدرته على اجتذاب الأصوات، ولأنه «كافح الفساد في الحكومة». كانت إدارة الرئيس ترومان قد ضربتها كالطاعون، سلسلةٌ من الفضائح المتعلقة بالاحتيال على مصلحة الضرائب، ووقائع ابتزاز الأموال من العمال، والمتاجرة بالنفوذ، والتباطؤ في مقاضاة ديمقراطيين من ذوي المناصب العليا، مما قدّم للجمهوريين موضوعاً جاهزاً يطرحونه في الانتخابات. فقال آيزنهاور للناخبين: «عندما ينتهي هذا الأمر، فإن الخبراء في العمليات الحكومية المشبوهة والرديئة والزائفة، سيكونون في طريقهم عائدين إلى مخابئ الأشباح، وسراديب السياسة الأمريكية المظلمة التي جاؤوا منها». ثم، وفي غضون شهرين من المؤتمر الجمهوري، انفجرت فضيحة فساد أحاطت بنيكسون نفسه.

وقد ظهرت الادعاءات أول الأمر، في قصة بقلم ليوكاتشر في صحيفة **النيويورك بوست** في منتصف أيلول / سبتمبر [1952]، مع عنوان يشهق بالاتهام: صندوق أمانة سرّيّ يموله رجال أغنياء يحفظ لنيكسون مستوى معيشة

يفوق طاقة راتبه. وكان كاتشر وثلاثة صحافيين آخرين قد أجروا تحقيقاً قام على أساس، معلومات أصلية من مؤيدي إيرل وارن الذين كانوا يشعرون بالمرارة. فأثبتوا أن مؤيدين أغنياء من كاليفورنيا قد زودوا نيكسون بألوف الدولارات، لتعزيز راتبه من مجلس الشيوخ. وقال دانا سميث المحامي الوكيل عن الشركة التي جمعت المال، وأودعته في مصرف في باسادينا إن المبلغ قد وصل إلى نحو ثمانية عشر ألف دولار[3]. وأوضح سميث هذا أن المال قد استخدم لتعويض نيكسون عن «نقص أمواله الشخصية»، وكنفقات مكتب ـ شملت إرسال خمسة وعشرين ألف بطاقة تهنئة بعيد الميلاد ـ وإنتاج مواد لإذاعتها في الراديو والتلفزيون، وأجور رحلات جوية، وتكاليف فنادق.

وعند إعلام نيكسون بالقصة قبل نشرها، استجاب لذلك بعدم مبالاة ظاهرة. فقال إن الشائعات عن تصرفات غير لائقة هي «خاطئة كلها»؛ فذلك المال لم يكن سوى «أموال سياسية. . . تم استخدامها لدفع النفقات». وزعم أنه لا يعرف أسماء المتبرعين، ولم يتمتع أي واحد منهم بحظوة أو محاباة خاصة. وأوصل الشخصَ الذي أجرى المقابلة معه، وهو كاتب العمود الصحافي المحافظ النزعة، بيتر إديسون، بالمسؤول عن تنظيم الأموال، دانا سميث[4]. وكان نيكسون قد أخبر زملاءه بشكل سرّيّ أن الاتهامات «ليس فيها ما يدعو للقلق».

---

(3) أخبر سميث الصحافيين بأن المبلغ كان 16000 دولار، أما الرقم الذي استُخدِم فيما بعد، والذي راجعه المحاسبون والمحامون الذين استأجرهم الجمهوريون، فكان 18235 دولاراً، أعطي بكامله تقريباً لنيكسون وتم صرفه. وتم جمع مبلغ 11000 دولار أخرى منذ انتهاء المؤتمر. وكان هذا المبلغ ما زال مودعاً (تقرير برايس ووترهاوس في مجلة **يو آس نيوز آند وورلد ريبورت**، عدد 3 تشرين الأول / أكتوبر 1952.

(4) يذكر نيكسون في مذكراته أنه قد طلب من إديسون أن يتصل هاتفياً بسميث، وكأنه يريد الإيحاء له بأن نيكسون «ليس لديه ما يخفيه» كما ذكر إديسون في مقاله. ولقد كان أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت نيكسون يسمح بنشر هذه المعلومات في ذلك الحين، كما ذكر إديسون هو «تفنيد الشائعات حول أموره المالية». وبما أن تلك الشائعات كانت متداولة منذ شهور، فلعل نيكسون قد هيأ سميث مسبقاً لتلقي مثل تلك المكالمة كخدعة لاستباق قصص صحافيين أقل مودة لنيكسون. وقدر له أن يمتدح قصة =

غير أن قصة كاتشر قد تكشفت عن ضجة مثيرة. ففي حملة كان الجمهوريون يطبّلون فيها ويزمّرون لاستقامتهم في مقابل فساد الديمقراطيين، كان مثل ذلك الكشف يشكل عبوة حارقة. وفي غضون أيام، بينما كان آيزنهاور ونيكسون يتنقلان في أنحاء البلاد في قطارات منفصلة أثناء الحملة الانتخابية ـ وكان هذا في تلك الأيام من العوامل التي تجعل الاتصال صعباً ـ صارت المسألةُ فضيحةً كبيرةً كاملةً يستحيل تجاهلها.

ولم يسارع آيزنهاور للدفاع عن نيكسون، ولكنه أمره بدلاً من ذلك بتقديم كشف فوري، موثق بشكل كامل عن كمية الأموال التي تلقاها وكيف صرفها. وقال في مؤتمر صحافي إن الجمهوريين ينبغي أن يكونوا «نظيفين مثل ضرس كلب الصيد».

وفي منتصف الطريق عبر أمريكا ادعى نيكسون أن القضية كلها لطخة شيوعية لتلويثه. وعندما ضويق بالأسئلة ألقى باللوم على «جمهور آلجر هيس». ووجد آيزنهاور نفسَه بدوره في مواجهة احتجاجات حاشدة، وشرعت بعض الصحف تدعو نيكسون للانسحاب من الانتخابات. وبعد أربعة أيام من انفجار الأزمة قام ديوي بإعلام نيكسون من نيويورك، بأن معظم مستشاري الجنرال يعتقدون أن عليه أن يستقيل.

وفي وقت متأخر من اليوم ذاته اتصل به آيزنهاور نفسه، وحثه على الظهور على شاشة التلفزيون الوطني ليخبر الجمهور «بكل شيء». فسأل

= إديسون بوصفها «موضوعية» بالمقارنة مع ما وصفه «بالخيال الجامح» لقصة **النيويورك بوست**. وقدر لإديسون أن يتم التلاعب به بالطريقة نفسها تماماً بعد ذلك بعشرة أعوام، عندما قدمت له رواية نيكسون عن قصة على وشك الانفجار حول قرض قدره (205000) دولار مقدم من هوارد هيوز إلى شقيق نيكسون، دونالد. وعندئذ صنَّفه مساعدو نيكسون باعتباره «صديقاً». وحسب رواية المساعد الصحافي هيرب كلاين فإن نيكسون «قرّر أن تلك هي أفضل طريقة لنزع الفتيل الصاعق من قصة كهذه». (**مذكرات نيكسون**، ص 93؛ وكتابه المعنون **ست أزمات**، مصدر سبق ذكره، ص 754؛ وصحيفة **شيكاغو ديلي نيوز**، عدد 18 أيلول / سبتمبر 1952؛ وميزو، مصدر سبق ذكره، ص 106 وما يليها؛ وكلاين، مصدر سبق ذكره، ص 415؛ وميهيو وهاك، مصدر سبق ذكره، ص 84).

نيكسون عما إذا كان الجنرال عندئذ سيعلن رأيه في القضية؟ فكان جلّ ما استطاع آيزنهاور أن يعده به هو كلمة «ربما». وكانت مشاعر الغضب واليأس تنتاب نيكسون، وتعتمل في نفسه بشكل متراوح أياماً وليالي، فانفجر بكلمات كالسياط: «أيها الجنرال، في مثل هذه القضايا يأتي وقت يتعين عليك فيه إمّا أن تفرغ ما في أمعائك، أو تخرج من المرحاض. إن المعضلة العظمى هنا هي عدم البتّ». فبقيت أعصاب آيزنهاور باردة أمام هذه الوقاحة، وكرّر طلبه لنيكسون أن يظهر على شاشة التلفزيون، وبعد ذلك سيبتّ في الأمر.

وفي 23 أيلول / سبتمبر، بعد خمسة أيام من انفجار الفضيحة، ذهب نيكسون إلى استديوات شركة الإذاعة الوطنية في لوس آنجيلوس، ليقدم أداء يعتمد عليه نجاح حياته العملية، أو تحطمها، وكان ذلك ما عرف فيما بعد باسم خطاب تشيكرز. وكان من المقرّر أن يتحدث لمدة نصف ساعة في أفضل أوقات البث التلفزيوني، بعد **استعراض ملتون بيرل** مباشرة، من الصالة التي كانت تؤوي برنامجين شهيرين هما **ساعة كولغيت الهزلية** و**هذه هي حياتك**.

وقدر لنيكسون بعد زمن طويل من تلك الواقعة، أن يصرّ على أنه لم يقم بأي تمرين لتجربة أدائه، والتدرب على حركاته أو تعابير وجهه. غير أن أحد الشهود ذكر أنه ـ بتحريض من مخرج محترف ومنفذي إعلانات ـ قد تدرب على وقفاته وابتساماته. وفي حديث لاحق مع موظفين إعلاميين، اعترف نيكسون بأنه قد أجّل بثّ ذلك الخطاب يومين، كي يتسنى له «حشد المشاهدين المستمعين» ولقد احتشد ستون مليون أمريكي ليشاهدوا ويسمعوا، وقد ارتبطوا بأكثر من ثمانمئة محطة تلفزيونية في تلك الليلة. فقال نيكسون ضمن خطابه، إنه لم يصرف سنتاً واحداً من الثمانية عشر ألف دولار، موضوع الخلاف على أغراض استعماله الشخصي، بل كانت كلها نفقات سياسية. فالصندوق المذكور لم يكن سراً. ولم يتلق أي متبرع أي «اعتبارٍ فيه محاباة» تزيد عما يتلقاه أي مواطن عادي. وقد قرّر محاسبون ومحامون مستقلون، أن نيكسون لم يربح

شيئاً ولم يخرق أي قانون. ثم توجه نيكسون بعد ذلك إلى قلوب الناس العاديين وقدم لهم كشفاً بحياته، بدءاً من طفولته التي أمضاها في ظروف متواضعة، و«أمه وأبيه» اللذين اشتغلا بجهد شاق، ثم «أفضل ما حدث لي» ـ أي زواجه. وكانت بات جالسة على مقربة منه طيلة وقت البث، بوجه لا حراك فيه كلما انتقلت إليها آلة التصوير لتنقل ردّ فعلها. وكانت عيناها مثبّتتين عليه وهو يخبر الأمة بأن «بات ليس عندها معطف فرو. ولكن لديها معطفاً جمهورياً محترماً من القماش، وأنا أقول لها دائماً إن منظرها جميل مهما كان ما تلبسه». وَأَجْرَىٰ حساباً بدخلهما الذي بدا أنه تافه، وبالرهون على منزليهما في كل من واشنطن وكاليفورنيا، وسيارتهما الأولدزموبيل من طراز سنة 1950.

ثم جاءت لحظة العزف على أوتار القلوب التي أعطت ذلك الخطاب اسمه المعروف، عندما اعترف نيكسون أن عائلته قد قبلت هدية بعد انتخابات مجلس الشيوخ الأخيرة، هي كلبٌ صغير مسترخي الأذنين ناعم الشعر أرسله لابنتيه رجل من تكساس. وكان أبيض وأسود وقد أطلقت عليه تريشيا اسم «تشيكرز»، ثم تابع يقول: «وكما تعلمون فإن أطفالي، مثل كل الأطفال، يحبون الكلاب. وأريد أن أقول الآن، إنه مهما قيل عن هذا الكلب فإننا سنحتفظ به».

وعندما اقترب من الجزء الأخير من خطابه التفت إلى الاستشهاد بقول لأبراهام لينكولن: «لا بد أن الله قد أحب الناس العاديين ـ إذْ أنه صنع منهم أعداداً كبيرة». (وقال نيكسون فيما بعد أنه تذكر ذلك القول بالمصادفة، ولكنه كان في الحقيقة قد تحدث بالهاتف قبل ذلك مع اثنين من أساتذته في كلية وِيتّيير، ليطلب منهما بعض العيّنات من أقوال لينكولن). وقادته تلك الإشارة إلى السياسة: إلى الأموال التي يتمتع بها خصم آيزنهاور، آديلاي ستيفنسون، الذي «ورث ثروة» وهكذا كان من الواضح أنه ليس واحداً من الناس العاديين؛ وإلى ترومان، الذي فشل في تنظيف الفساد وفضح الشيوعيين، والذي لم يكن

يصلح لمنصب الرئيس؛ ثم عاد إلى ورطته نفسها: «لا أعتقد أنه ينبغي عليّ أن أغادر، لأنني لست ممن يغادرون، وبالمناسبة فإن بات ليست هي الأخرى ممن يغادرون. فهي بعد كل شيء تدعى باتريشيا رايان، وقد ولدت يوم عيد القديس باتريك(*)، وكما تعلمون فإن الإرلنديين لا يغادرون».

ثم جاءت الخاتمة: «ولكن القرار يا أصدقائي ليس بيدي... إنني سأسلّم إلى اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري هذه الليلة، ومن خلال هذا البث التلفزيوني القرار الذي هو في أيديهم ليبتّوا فيه. فلندعهم يتخذون القرار... ومهما حدث، فإنني سوف أتابع النضال، وسأشن حملاتي في طول أمريكا وعرضها حتى نطرد المنحرفين والشيوعيين، ومن يدافع عنهم إلى خارج واشنطن وتذكروا أيها الناس، إن آيزنهاور رجل عظيم. أيها الناس، إنه رجل عظيم. وكل صوت لآيزنهاور هو صوت لما هو صالح لأمريكا». وكان ما يزال مستمراً في الحديث، مشيراً بيديه إلى المشاهدين عندما تلاشت صورته. وعندما أدرك أن وقت البرنامج قد انتهى تعثر بإحدى آلات التصوير، فجمع ملاحظاته ثم ألقى بها إلى الأرض، ودفن رأسه في ستائر المسرح وهو يتمتم لمستشاره التلفزيوني: «لقد فشلت، لقد خرّبت المسألة... دعنا نخرج من هنا لنتناول مشروباً سريعاً. إنني محتاج إليه».

ولكنه لم يفشل. إذ هطلت رداً على خطابه أربعة ملايين برقية كالطوفان، غالبيتها العظمى لمصلحته. وكان كثير منها حماسياً، يصف نيكسون بأنه «رجل عظيم» و«مليء بالحيوية»، بل و«لينكولن العصر الحديث» وتلقى هو وبات المدائح. وكانت هناك امرأة لديها معطفان من الفرو فقدمت أحدهما لِبَاث. وأرسلت امرأةٌ أخرى خمسة وعشرين دولاراً كانت قد ادخرتها كجزء من ثمن معطف كانت تريد شراءه لنفسها.

(*) ليس تماماً. انظر ص 72.

لقد عزف نيكسون على وتر شعبي حساس له قيمته. فقال أحد كتّاب الأعمدة الصحافية إنه قد «عرّى نفسه أمام الدنيا كلها لتراه، وجاء بزوجته، وأطفاله، وسجل خدمته العسكرية في الحرب إلى المعمعة. . . إن ذوي الثقافة الرفيعة قد يسخرون. ولكنني أرى أن هذا الأداء قد اقترب من إعطاء الجمهوريين، وجهاً إنسانياً أكثر من أي شيء تعيه ذاكرتي».

وشاهد آيزنهاور ذلك الخطاب مع زوجته مامي في فندقه في كليفلاند بولاية أوهايو. وما إن وصل إلى نهايته حتى كانت مامي تجهش بالبكاء، شأنها شأن كثيرين غيرها. وأدرك الجنرال مدى تأثيره فأرسل برقية تهنئة لنيكسون، وكان من سخرية القدر أنها ضاعت وسط سيل البرقيات. وخرج ليخبر مؤيديه أنه قد أعجب بشجاعة نيكسون، وأنه سيتخذ قرار بإبقائه شريكاً له حالما يتمكنان من اللقاء.

وفي لوس آنجيلوس سمع نيكسون بهذا التأخير الجديد، فاستشاط غضباً وكتب رسالة استقالة اعترضها موراي تشوتينر فمزقها. ولم تهدئه سوى سلسلة من المكالمات الهاتفية المتملقة من موظفي آيزنهاور، فوافق على أن يطير ليلتقي بالجنرال في فيرجينيا الغربية. ولدى وصوله كوفئ بصعود آيزنهاور إلى طائرته لتحيته شخصياً بمصافحة قوية وبعبارة: «أنت ولدي». وهكذا انتهت الأزمة. وفي تلك الليلة صادقت اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري مرة أخرى، على ترشيح نيكسون نائباً للرئيس وعلى اعتباره «أمريكياً عظيماً حقاً».

وتفرج المراسلون عندما راحت أزرار آلات التصوير تُكْبس، بينما انفجر نيكسون باكياً ودفن وجهه في كتف سناتور أمريكي من زملائه[5]. أمّا في ويتيير، فقد تذكر أستاذه الذي درّبه على التمثيل المسرحي، كيف علّمه ذات مرة أن يبكي «بدموع غزيرة» عن طريق التركيز على تَوَضّع عقدة في حنجرته،

(5) كان ذلك هو السناتور وليام نولاند من ولاية كاليفورنيا.

فقال: «كنت أميل إلى أن أقول لنفسي: (هذا هو ممثلي!) ولكنه كان أداءً تمثيلياً صادقاً». ثم سارع الأستاذ إلى القول: «ليس هناك شيء إجرامي أو غير أخلاقي في كون المرء ممثلاً جيداً».

وبعد ذلك بثلاثين سنة قال برايس هارلو، صديق نيكسون: «بين عشية وضحاها، حوّل شيئاً سلبياً للغاية، إلى شيء إيجابي. فكم من الناس تعرف أنهم قادرون على ذلك؟ لقد كان مذهلاً».

وحتى «تشيكرز» صار بطلاً بحد ذاته. وطوال أسابيع بعد الخطاب أغرق محبو الكلاب عائلة نيكسون، بأطواق العنق وبطانيات الكلاب المنسوجة بالأيدي، وطعام للكلاب يكفي لمدة سنة. وهكذا عاش ذلك الكلب كحيوان مدلّل لتريشيا وجولي أول الأمر، ثم وحتى بعد دفنه في مقبرة بايد ـ آ ـ وي بنيويورك، كرمزٍ باقٍ لانتصار نيكسون. وفي سنة 1997 قيل بأن جثة الكلب ستنبش ويعاد دفنها في قبر الرئيس السابق وزوجته، على أرض مكتبة نيكسون.

ولم يكن آيزنهاور يفكر في «تشيكرز» عندما أعلن، أثناء أزمة الأموال أن على الجمهوريين، أن يكونوا «نظيفين مثل ضرس كلب الصيد». ولكن نيكسون كان يفكر في ذلك الكلب عندما وافق بعد تلك الواقعة بأيام قلائل، على اقتراح بأن يقوم أفراد موكبه الذين عايشوا تلك الأزمة بتشكيل مجموعة تسمى «نظام ضرس كلب الصيد»، على أن تترأسه بات، ويكون نيكسون نائباً لها. وقد أرسل نيكسون في وقت لاحق إلى كل عضو حلقةَ مفاتيح، تتدلّى منها شظية من العاج تمثل ضرسَ كلب نظيف، وصورةً لنيكسون نفسه موقعةً بخطه ومنقوشاً عليها ثلاثة أحرف .I.N.C، هي اختصار للشعار السري للنظام، الذي هو عبارة باللاتينية فحواها: «لا تدع أبناء الزنا يسحقونك».

وقدر لنيكسون أن يستمر في كل سنة، حتى سنة وفاته، بتذكير الناس بالذكرى السنوية لانتصاره في سنة 1952. وفي سنة 1992 عندما كان من المقرر أن يظهر بيل كلينتون، المرشح الديمقراطي في برنامج «60 دقيقة» للإجابة على

الادعاءات بأنه قد خان زوجته، شبّه بعضهم ظهوره ذاك بخطاب تشيكرز. فلم يوافق نيكسون على ذلك، بل قال: «إن أي مقارنة مضللة. . . فقد كان الحق إلى جانبي».

ولكن: هل كان ذلك حقاً؟ لقد حلّت أزمة الأموال لمصلحة نيكسون إلى حدّ ما، بسبب المناشدة العاطفية في خطابه، ولأن الصحافة لم تقدم تغطيةً لائقة للادعاءات الأصلية. إذْ إن مسحاً لسبعين صحيفة يومية في ثمان وأربعين ولاية قد كشف أن تلك الصحف جميعاً ـ باستثناء سبع منها فقط ـ قد أخّرت نشر قصة الأموال بعد أن ظهرت على صفحات **النيويورك بوست**، وعندما قرّرت نشرها في آخر الأمر لم تفسح لها مجالاً يذكر. ذلك أن **لوس آنجيلوس تايمز** التي كانت قد تحمست لتأييد نيكسون سياسياً منذ البداية، نشرت القصة، مع عنوان ورواية منحازين لتأييد إنكار نيكسون لها. وحذت حذوها الغالبية العظمى من الصحف، التي مالت إلى دعم الجانب الجمهوريّ بلا تحفّظ أو انتقاد.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن ردّ نيكسون على الادعاءات الموجهة ضده كان أقلّ من دقيق. فلم يكن صحيحاً أنه لم يصرف «سنتاً واحداً» من تلك الأموال لاستعماله الشخصي. فقد كشف أحد المتبرعين الذين أجرت الصحافة مقابلة معهم، أن النداء للتبرع قد قام على أساس أن آل نيكسون بحاجة إلى بيت أكبر، وأنهم «في حالة شديدة من الفقر بحيث ليس عندهم خادمة». وكان نيكسون قد وضع عشرين ألف دولار بالفعل كدفعة أولى، لشراء بيت في واشنطن ثمنه أربعون ألفاً، واستأجر خبير زخرفة داخلية ليعيد تجهيزه على طراز رفيع. بل إنه اعترف لأحد المراسلين أنه بدون تلك الأموال، فإنه ما كان ليقدر على تقديم الدفعة الأولى. (وقد حصل آل نيكسون على خادمة متفرغة للعمل عندهم طيلة الوقت).

وعَلّقت تقاريرُ لاحقةٌ تعليقاتٍ رئيسيةً على تزايد إثراء أسرة نيكسون الموسعة، بما في ذلك حقيقة شقيقه دونالد ـ الذي كان آنذاك يدير بقالية والديه

السابقة، ومعها مطعم يدخل إليه الزبائن بسياراتهم ـ يتحدث عن فتح مطعم جديد على أرض تابعة لأحد المتبرعين لريتشارد.

وفي خطاب تشيكرز قام نيكسون أيضاً بتضخيم الزعم، بأن كل سنت من النقود المتبرع بها قد صرف على بنود كان يرى، أنها ينبغي ألاّ توضع على كاهل دافعي الضرائب. غير أن هذا الدفاع يتجاهل حقيقة أن تلك الأموال قد صرفت على مشتريات، ما كان يمكن قانونياً تحميل عبئها لدافعي الضرائب أساساً. وكان قد أخبر أحد الصحافيين أنه عندما كان في واشنطن لم يكن لديه دخل سوى راتبه من مجلس الشيوخ. ولم يكن ذلك صحيحاً: فبالإضافة إلى النقود التي جاءت من أموال التبرعات للحملة، كان نيكسون قد كسب 6611,45 دولاراً كأجور لكتابة الخطب ـ أي ما يعادل 44000 دولار بأسعار اليوم، وما يعادل أيضاً نصف راتب عضو في مجلس الشيوخ في تلك الأيام ـ وذلك كله في سنة 1951 فقط.

أمّا أموال التبرعات الانتخابية التي اعترف بها نيكسون وتم تدقيق حساباتها رسمياً، فلعلها كانت في حقيقة الأمر لا تمثل الصندوق الوحيد الموجود، أو كل الأموال التي تم تجميعها. فعندما قابل الصحافيون دانا سميث، المسؤولة عن تنظيم الصندوق قبل أن تنفجر القصة على صفحات الصحف، لاحظ واحد منهم على مكتبةِ قطعةً من الورق معنونةً: «صندوق نيكسون رقم 2». واكتشف صحافي آخر أن دانا سميث قد دفعت فاتورة لنيكسون مستخدمة شيكات مسحوبة من حسابين: هما صندوق الأمانة، وحساب خاص. وتم الإبلاغ في وقت لاحق بعد ذلك أنه كانت هناك **ثلاثة** حسابات منفصلة.

ولم يتم التحقيق في هذه الأدلة أبداً، ولا في الملاحظة التي أبداها أحد المتبرعين للصندوق أمام صحافي وقال فيها: «لقد مضى علينا زمن طويل ونحن ندفع حساباته حتى الآن». ولم يكن أحد يعلم آنذاك أن نيكسون، كما هو

مكشوف في هذا الكتاب(*)، كان قد أعلم مؤيديه، في وقت مبكر، منذ سنة 1946 أنه لا يستطيع أن يعيش على راتبه من الكونغرس، وأنه يحتاج إلى «أكثر من ذلك بكثير» حتى يضاهي ما هو متوقع أن يحصل عليه من عمله كمحام. فكان رد داعميه من كبار رجال الأعمال، كما وصفه موظف الشركات المالّي وليام آكرمان، هو التزامهم بدعمه مالياً لأجل طويل.

وفي سنة 1952، كما كانت الحال في السنوات السابقة، كانت القوة المحركة خلف حملة نيكسون تتمثل في موراي تشوتينر. وبعد ذلك بسنوات طويلة اعترف تشوتينر أن الصندوق كان من بنات أفكاره، مع دانا سميث. فقد كان يرى فيه «مصدراً ضرورياً للمال الذي يحتاج إليه نيكسون كي يحدث تقدماً في حياته العملية».

وكان المتبرعون الستة والسبعون المعروفون يمثلون، كما وصفتهم **النيويورك تايمز**، «سجلاً مختصراً لشخصيات رجال الأعمال الأثرياء، وذوي النفوذ في كاليفورنيا الجنوبية». وقيل بأن غالبيتهم كانوا من العصبة، أولي القوة من أصحاب الملايين البارزين المتنفذين، الذين ينتمي معظمهم إلى عالم العقارات، ويليهم أقطاب النفط، والصناعيون.

فلماذا مدوا أيديهم إلى جيوبهم؟ كان منظم الصندوق، سميث، صريحاً بشكل لطيف في كشف دوافعهم، عندما قابل الصحافيين للمرة الأولى قبل أن تنفجر الفضيحة، وتبدأ عملية لملمة أضرارها. فقال عن نيكسون: «لقد أدركنا أن راتبه كان غير لائق إلى درجة يرثى لها، بالنسبة لشخص سوف نستخدمه ليسوّق لنا حرية الأعمال، والمشاريع ويقنع بها شعبه في كاليفورنيا. . . ذلك أن [إيرل] وارن لم يتطوع لتسويق نظام المشاريع الحرة. ولكن دِكْ فعل بالضبط ما أردناه منه».

(*) انظر ص 108.

كما لم يتشكك أحد في بعض تأكيدات نيكسون الأخرى: زعمه بأنه لم يطلب أحد من المتبرعين أفضلية خاصة، ولم يتلق مثل هذه الأفضلية بالمقابل. ومرة أخرى كان ذلك الطرحُ للموضوع أقلّ من الحقيقة. فاستدراج الأموال كان قد بدأ في غضون أسبوع من انتخاب نيكسون سناتوراً في مجلس الشيوخ. وكان اثنان من رجال النفط استجابوا لطلب نيكسون، هما تايلر وودوورد ووليام آندرسون اللذان فشلت محاولاتهما، للحصول على ترخيص بالحفر بحثاً عن النفط في أرض تابعة للحكومة في كاليفورنيا. وكان من بين المتبرعين رجل صناعي يعمل في تصنيع منتجات الألبان هو آلفورد غورملي، وكان يطالب بفرض قيود على الأجبان الأوروبية المستوردة. وكان هناك آخرون من بينهم المدير التنفيذي لمؤسسة ادخارات وقروض جوزيف كريل، ومورغان آدامز (رئيس شركة رهون)، والأخوان روان (من سماسرة العقارات) وكانوا جميعاً من أصحاب الحملات الصاخبة ذات الصوت المسموع، ضد مشاريع السكن التي ينفذها القطاع العام.

وفي غضون أشهر من الوصول إلى مجلس الشيوخ، كان نيكسون يقدم لائحة مصممة بالضبط للسماح بنوع التنقيب عن النفط، الذي كان وودوورد وآندرسون يطلبانه. وصَوَّتَ لمصلحة فرض قيود صارمة على تجارة منتجات الألبان مع أوروبا، على عكس سجله المعتاد في تأييد تقديم المساعدة إلى تلك القارة. وكان مرتفع الصوت في معارضة مشاريع السكن العامة. وصوّت لمصلحة تعديل لائحة ضريبية تحابي روابط القروض وإنشاء المساكن[6].

(6) في 21 آب / أغسطس سنة 1951، صوّت نيكسون لمصلحة لائحة قانونية خاصة بتحديد قواعد الإقامة، كما كانت تريد شركات النفط، وفي الشهر التالي صوّت ضد تخفيض التعويض عن نضوب الآبار من 27 في المئة إلى 14 في المئة. وكما في الماضي فقد تحمّس بقوة في دعم جهود شركات النفط للوصول إلى نفط المياه الإقليمية (على مبعدة من السواحل) عن طريقة مؤسسات لا تخضع للقوانين المالية والضريبية للبلاد. أما في ما يتعلق بصناعة منتجات الألبان فإن على المرء أن يلاحظ أن نيكسون عندما صوّت بالطريقة التي أرادها غورملي وغيره من منتجي الألبان، فإنه لم يلبِّ طلب المتبرّع الدانمركي المولد توماس نودسن، الذي كان يأمل أن ترفع الولايات المتحدة الحصة المحددة على =

ولقد قال نيكسون في خطاب تشيكرز «وفي ما يتعلق بالمتبرعين لهذا الصندوق، فإنني لم أتحدث حتى بمكالمة هاتفية نيابة عنهم مع أي وكالة من الوكالات». وهنا ـ أيضاً ـ كان يتجنب الحقيقة. ففي شباط / فبراير سنة 1952 قيل إنه تحدث بالهاتف مع وزير القوة الجوية، توماس فِينْلَتَرْ، كي يرتب مقابلة لرئيس شركة هاموند الصناعية. وكان العرض الذي قدمته تلك الشركة للحصول على عقد بنصف مليون دولار قد رُفِضَ في السابق، ولكنه قُبِلَ بعد تلك المكالمة بقليل.

ولم يكن من المعروف عن ذلك الصناعي أنه قد تبرّع لصندوق نيكسون، ولكنه سرعان ما صار زبوناً مسجلاً لدى المؤسسة القانونية التي كان دانا سميث شريكاً فيها[7].

وكان سميث صديقاً لنيكسون، بل كثيراً ما استضافه في بيته فلم يقم بإدارة الصندوق فحسب، ولكنه هو وشريكه في المؤسسة القانونية كانا من جملة المتبرعين. وقد تلقى نوعين من الأفضلية والمحاباة من نيكسون، وكلاهما يلقيان ظلالاً من الشك على زعم نيكسون بأنه لم يتحدث بالهاتف، «ولم يذهب إلى أي وكالة» بالنيابة عن داعميه الماليين. وكانت إحدى هاتين الواقعتين حالةً من السلوك المشبوه، بينما تشير الأخرى إلى خداع خطير.

ولم تكد تمضي ستة أشهر على عضوية نيكسون في مجلس الشيوخ، حتى كتب إليه سميث يطلب المساعدة في مشكلة ضريبية طال أمدها، وهي

= الأجبان المستوردة من الدانمرك. (النفط: نص عمود صحافي لدرو بيرسون في الحقل G281,DPP، في صحيفة **نيو ريبابليك**، عدد 29 أيلول 1952؛ نودسن: لورنيتزز، مصدر سبق ذكره، ص 189 وما يليها).

(7) قدر لنيكسون أن ينكر أنه قد اتصل هاتفياً مع فينليتر. ولكن درو بيرسون قد لاحظ بصورة خاصة أن بحثه قد أثبت حصول المكالمة بالتأكيد (برقية توماس هارينغتون إلى درو بيرسون، بما في ذلك رسالة من ريتشارد نيكسون في 3 تشرين الثاني / نوفمبر، ورسالة درو بيرسون إلى هاري هويت في 4 تشرين الثاني / نوفمبر سنة 1952، في الحقل G281,DPP).

نزاع مع مصلحة الضرائب ينطوي على أكثر من نصف مليون دولار. فحصلت تلك الرسالة على نتائج شملت اجتماعاً مع نيكسون في واشنطن، ومكالمة هاتفية أجراها مساعد نيكسون الإداري مع محام لمصلحة الضرائب، لترتيب مقابلة مدتها نصف ساعة فكانت حصيلة ذلك، إحراز «تقدم» لسميث نحو حل مشاكله الضريبية، بحيث تم التوصل إلى تسوية في آخر الأمر.

وفي أوائل آب / أغسطس 1952، كان نيكسون قد كتب نيابة عن سميث إلى وزارة الخارجية، فكانت تلك مداخلة شفاعة غريبة، إذ إن القضية كانت تتعلق بأحد ديون القمار، وكازينو تديره المافيا في هافانا، عاصمة كوبا، ونزاع لم يكن سميث متورطاً فيه وحده، بل ومعه نيكسون نفسه.

وكانت رسالة نيكسون، حسب رواية وزارة الخارجية، تذكر أن سميث «عضو يتمتع باحترام عال في هيئته الاجتماعية» وأن «السناتور سيقدر أي شيء تستطيع السفارة عمله لمساعدة السيد سميث في مشكلته». وقد أرفق بتلك الرسالة خطاب من سميث نفسه يشرح طبيعة المشكلة، ففي شهر أبريل / نيسان الماضي [1952]، وأثناء زيارة لكازينو سان سوسي في هافانا، خسر سميث أربعة آلاف ومائتي دولار ـ أي ما يزيد على خمسة وعشرين ألف دولار بأسعار هذه الأيام ـ عندما كان يمارس لعبة رمي الزهر. فكتب عندئذ شيكاً لتسديد خسائره، ولكنه أوقف صرفه في وقت لاحق. وكانت إدارة الكازينو تفكر في رفع دعوى قضائية لاستعادة المال.

وبما أن الرسالة جاءت من سناتور، فقد لقيت اهتماماً. وفي هافانا عالج موضوعَها السفيرُ بنفسه. فأمر الدبلوماسيين المحليين بالاستجابة فوراً، في غضون ساعات إن أمكن. وتبين سجلات وزارة الخارجية أنهم فعلوا. فقد حصلوا على رأي قانوني من محام خارجي، للإجابة عن تساؤلات سميث عما إذا كانت اللعبة المذكورة قانونية في كوبا، وعما إذا كان سميث سيعتبر مسؤولاً

عن تسديد الدَّيْن بموجب القانون الكوبي. فكان جواب المحامي عن السؤالين كليهما بنعم[8].

وفي وقت لاحق، عندما ظهر أن نيكسون قد ضغط على الحكومة لمساعدة صديقه، راح موظفوه يقلّلون من أهمية القصة. فاعترف أحد مساعديه أنه هو الذي كتب الرسالة، بينما أصرّ في الوقت نفسه أنها «خدمة عادية روتينية لناخب» في دائرة السناتور. وبعد ذلك بفترة أخرى زعم مكتب نيكسون، أن الرسالة كتبتها ووقعت عليها في الحقيقة إحدى السكرتيرات ـ وهذا إن صحّ إجراء غريب ـ وأن نيكسون لم يعلم بأنها قد أُرْسِلَت، بل إنه لا يعرف عن هذه القضية أي شيء على الإطلاق. كان موظفو مكتب نيكسون يفعلون كل ما بوسعهم، لإبعاده عن مشاجرة سميث في سان سوسي، وذلك لسبب وجيه.

ففي 30 تشرين الأول / أكتوبر، أي بعد شهر من نجاة نيكسون من أزمة صندوق الأموال الانتخابية، وقبل أيام قليلة فقط من موعد الانتخابات الرئاسية [لسنة 1952]، أضافت صحيفة **سانت لويس بوست ديسباتش** واحداً من التفاصيل المثيرة إلى القضية، فقالت إن نيكسون كان مع صديقه سميث في الكازينو في هافانا ليلة حدوث واقعة المقامرة. وقالت الصحيفة في روايتها إنه بينما كان الرجلان «في ميامي في رحلة جمعت بين السياسة والاستمتاع بالعطلة، وكانا يقيمان في نادي يخوت كوارتر دِكْ الشديد الخصوصية في خليج القراصنة (بابريتس كي)، «فقررا القيام بزيارة إلى هافانا» وهي رحلة بالطائرة تستغرق ساعة. ولمعالجة القضية المحرجة حاول سميث تسوية النزاع، بأن

(8) غير أن إدارة الكازينو قد فشلت في دعواها ضد سميث في الولايات المتحدة. فقد زعم أن الديون غير قابلة للاستيفاء بموجب القانون الأمريكي، وبموجب القانون الكوبي، على عكس مشورة محامي السفارة (**نيويورك تايمز**، 30 كانون الثاني / يناير، 1963؛ روجر موريس، ص 941، ومذكرة درو بيرسون في 26 أيلول / سبتمبر، 1952، الحقل G281,DPP؛ والعمود الصحافي لبيرسون في 29 تشرين الأول / أكتوبر، 1962).

عَرَضَ أن يدفع نصف مبلغ الدَّيْن. غير أن مُشَغّل الكازينو، نورمان روثمان، كان يصرّ على الدفع الكامل.

وعندما التقطت هذه القصةَ، أوساطٌ إعلاميةٌ أخرى، طلب نيكسون سحبها على الفور. وأفاد بأنه لم يذهب إلى هافانا طيلة السنوات العشر الماضية (إشارة إلى رحلته في إجازة مع زوجته سنة 1941)[*]. وقدر له أن يزعم في وقت لاحق أنه كان (في الوقت المذكور في النزاع) في جزر هاواي.

وبينما يذكر نيكسون في إنكاره أماكن تواجده «من 14 آذار / مارس حتى نهاية نيسان / أبريل»، فإنه ليس من الواضح بالضبط متى وقع سميث في المتاعب في هافانا. كما أن صحيفة **البوست ديسباتش**، لم تحدّد التاريخ بدقة أكثر من «آذار / مارس أو أوائل نيسان / أبريل». وعلاوة على ذلك فإن هناك تضارباً في المعلومات عن تاريخ كتابة سميث للشيك وتاريخ إيقافه لصرفه»[9].

وفي هذه الأثناء تشير دراسة جديدة إلى أن الأدلة على أن نيكسون كان

(*) انظر ص 81.

(9) إن الإنكار، الذي استشهدت به مجلة **لوك**، لم يعطِ تفاصيل التوثيق الذي كان يفترض أنه متوفر. كما أن المصادر المنشورة عن رحلة هاوايي لا تحسم القضية، رغم أن من الواضح أن نيكسون قد وصل إلى هونولولو في الرابع من نيسان / إبريل. ولم يستطع المؤلف أن يعرف على وجه اليقين كم بقي هناك. وفي هذه الأثناء فإن المعلومات المتوفرة عن شيك سميث الملغى لا توضح تاريخ زيارة نيكسون لهافانا. وقد أشارت صحيفة **سانت لوي ديسباتش** إلى أن الشيك قد كتب في 15 نيسان / إبريل بينما نقلت **النيويورك تايمز** عن سميث قوله بأنه قد أوقف صرف الشيك في 4 نيسان / إبريل، ومن الواضح أن ذلك مستحيل القبول من حيث التسلسل التاريخي. بل إنه ليس من الواضح إن كان سميث هو الذي كتب الشيك عندما كان في هافانا؛ فإحدى الوثائق تشير إلى أنه ربما يكون قد فعل ذلك فيما بعد، في فلوريدا. وفي غياب التوثيق الكامل عن تحركات نيكسون، ومع وجود الشهادات البشرية القوية بأنه كان في هافانا، فإن من المعقول الاستنتاج بأنه ربما كان هناك إمّا في آذار / مارس أو نيسان / إبريل (**لوك**: مجلة **لوك**، عدد 24 شباط / فبراير 1953؛ وهوايي: صحيفة **هونولولو آدفيرتايزر**، عدد 5 نيسان / إبريل 1952؛ وكتاب جوناثان إيتكن عن **حياة نيكسون**، ص 198، 529 الحاشية 19، نقلاً عن رسالة جاك دراون المؤرخة في 30 نيسان / إبريل؛ وكتاب **بات نيكسون**، ص 112؛ والشيك: **سانت لوي ديسباتش**، عدد 30 تشرين الأول / أكتوبر؛ و **ميامي هيرالد**، عدد 26 أيلول / سبتمبر 1952، **والنيويورك تايمز** في 30 كانون الثاني / يناير 1953؛ هل كُتِبَ الشيك في فلوريدا؟؛ ورسالة توماس غاديس إلى درو بيرسون في 28 أيلول / سبتمبر الحقل 1952 DPP ,G 281).

موجوداً في هافانا مع سميث هي أدلة لا يمكن تفنيدها بسهولة. إذ أن المراسل الذي كتب القصة المنشورة في **سانت لويس بوست ـ ديسباتس**، ثيودور لينك، كان صحافياً متميزاً وراءه ثلاثون سنة من الخبرة والمؤهلات ذات الصلة بعمله. وكانت مقالاته التي نشرها قبل ذلك بقليل عن الفساد في مصلحة ضريبة الدخل، قد أدت إلى استقالة المدعي العام في إدارة الرئيس ترومان، وأكسبت صحيفتَه جائزةَ بوليتزر. وقد امتدحته لجنة كيفوفر لمكافحة الجريمة المنظمة، لتزويده إياها بأدلة حيوية الأهمية ضد «العالم السفلي، والساسة المتواطئين، ورجال تنفيذ القانون الفاسدين». وكانت له كذلك صلات واسعة بعالم الإجرام في ميامي، وبشريحة المافيا المتورطة بالدرجة الأولى في إدارة كازينوات القمار في كوبا.

وتكشف المعلومات المتاحة حالياً عن أن لينك قام، قبل أن يكتب قصته، بمقابلة مدير نادي يخوت كوارتر دِكْ، المدعو وارن فريمان. فأكد فريمان أنه كان، مع ريتشارد دانر، الصديق المشترك لنيكسون وبيب ريبوزو، في «رفقة» نيكسون وسميث أثناء زيارتهما تلك. وكان نيكسون معروفاً باستغلال كرم ضيافة الآخرين، وتركهم في العادة يلتقطون الفواتير لتسديدها. فأكد فريمان لـ «لينك» أن نيكسون قد رافق سميث إلى هافانا فعلاً.

وبشكل منفصل حدّد لينك خمسة شهود، قالوا إنهم رأوا نيكسون مع سميث في كازينو سان سوسي. فلم يفرط في الشراب ولا في المقامرة، بينما كان سميث «يتعثر مخموراً».

وبعد أن تذمّر نيكسون من القصص الي روت أنه كان في هافانا، أرسلت إليه **البوست ديسباتش** مراسلها لينك لإجراء مقابلة معه. فقال إنه قد تبين له أن نيكسون كان منزعجاً «بصورة رئيسية، لأن صحيفتين أخريين قد ألمحتا بأن رحلة القمار تلك كانت فيها بعض الفتيات. ولم تكن صحيفتنا قد ذكرت أي نساء. فوافق نيكسون على أن كل الحقائق التي طبعناها كانت صحيحة».

غير أنه كان من رحمة السماء بنيكسون أن تلك الحقائق المطبوعة، لم تتضمن العنصر المشؤوم الكامن في قلب قصة الرحلة إلى كوبا، وهو الجريمة المنظمة.

بعد سنتين من انتخابات سنة 1952، بينما كان نيكسون قد أمضى زمناً لا بأس به من فترته الأولى كنائب للرئيس، التقى مشغّل كازينو سان سوسي المدعو روثمان، بالمدعي العام لإحدى مقاطعات بنسلفانيا، هو راس كوبرستون وأفاد أمامه «بشكل قاطع» أن نيكسون كان فعلاً في هافانا في فترة واقعة دانا سميث، وأنه كان يقامر. وبعد ذلك أيضاً، وفي مقابلة مع ضباط تنفيذ القانون الذين كانوا يحققون في سلسلة من القضايا، قال روثمان إنه بينما كتب سميث الشيك مثار النزاع مسحوباً من حساب أموال انتخابية لنيكسون منذ سنة 1950، فإن نيكسون كان هو الذي خسر المال في تلك الليلة.

وكان مما يثير القلق أكثر، تأكيد روثمان أنه قد تَسَتَّر على نيكسون فقال لأحد الصحافيين كذباً وزوراً في سنة 1952، بأن نيكسون لم يكن مع سميث. وزعم أنه في الشهور التي تلت، حمى نيكسون بتجنب الإدلاء بشهادته في دعوى أقيمت على سميث. ورداً على ذلك أرسل له نيكسون رسالة شكر عن طريق زميل له من أعضاء مجلس الشيوخ(10).

ولقد كان نورمان روثمان لاعباً هاماً في جهاز الجريمة المنظمة الذي يدير المقامرات في هافانا. فكان الكازينو الذي يديره، السان سوسي، أرقى قصر لألعاب القمار في كوبا، بموقعه في قلب نادي مقاطعة ريفية هي موطن النخبة من أُسَرِ العاصمة. وقبل أسابيع قليلة فقط من حادثة دانا سميث، كان الدكتاتور

(10) يطلق روثمان على عضو الكونغرس اسم «جونسون» فقط. وقد عمل النائب جوستين جونسون في الكونغرس من سنة 1943 إلى سنة 1957، وكان جمهورياً من كاليفورنيا (تسمية روثمان: نورمان روثمان، الأمن الداخلي، كوبا، 26 حزيران / يونيو 1961، في ملفات مكتب التحقيق الاتحادي عن عصابات المافيا المعروفة باسم (كوزا نوسترا) المقدمة إلى لجنة المجلس المنتخبة لبحث موضوع الاغتيالات، والمفرج عنها في سنة 1968؛ مجموعة جون فيتزجيرالد كيندي، المحفوظات الوطنية).

فولجينسيوباتيستا قد عاد إلى استلام السلطة. وكانت المافيات الأمريكية التي تملكه، وتملأ حساباته في المصارف السويسرية، قد راحت تزدهر قبل ذلك. أمّا عند عودته إلى الحكم فإنها سيطرت من الناحية العملية على كوبا.

وإذا كان لأمثال دانا سميث أو ريتشارد نيكسون رغبة في تذوق عينات من أجود أنشطة الحياة الليلية الباذخة في هافانا، فإن السان سوسي وفندق ناسيونال كانتا هما المكانين الجديرين بالزيارة. فقد كان الأثرياء الذين تقع السان سوسي تحت رعايتهم، ومعظمهم من الأمريكيين العابرين إليها من فلوريدا في رحلات ترفيهية، يتعشون ويرقصون ويقامرون على فسحة من الأرض مساحتها خمسة وعشرون آكراً، يغطيها اخضرار النبات الاستوائي الخصب الممرع، وتنشر فوقها الألوف من أشجار النخيل وجوز الهند الشاهقة. وكان روثمان يدير المكان لحساب الإخوة مانارينو، من بنسلفانيا، اللذين كانا يرتبطان بنوع من العلاقة الفضفاضة مع رجل المافيا في فلوريدا المدعو سانتو ترافيكانتي، ولكنهم كانوا دائماً مشدودين شداً إلى العقل المدبر لأعمال المنظمة، ميير لانسكي. وكان لانسكي، عن طريق شقيقه جيك هو السلطة القوية في فندق ناسيونال.

ففي كوبا وفي ما هو أبعد منها في الساحة، كان لانسكي قد صار أقوى الشخصيات نفوذاً في إبعاد الجريمة المنظمة، عن الأساليب القديمة في الابتزاز بالإيذاء والعنف، واتجه بها إلى اختراق الأعمال التجارية المشروعة والسيطرة عليها بالحنكة والدهاء، ودخول الدوائر الرسمية بأساليب معقدة وأنيقة. وعند سبر غور ارتباطات نيكسون المحتملة بالقمار وكوبا ـ وعلى وجه الدقة بواقعة دانا سميث المحرجة، يبرز اسم لانسكي مرة أخرى، كما برز في العلاقة مع بيب ريبوزو.

ولعل أوثق الدراسات عن لانسكي هي التي كتبها الصحافي الإسرائيلي أوري دان، بالاشتراك مع زميلين له في السبعينيّات، عندما كان لانسكي يعيش في منفى مفروض عليه بالقوة في تل أبيب. وفي هذا الكتاب الذي يقوم على

مقابلات حصرية مع لانسكي وصديقه الحميم القديم جوزيف ستاتشر، يلقي أولئك الصحافيون ضوءاً جديداً على قضية دانا سميث. وهو ضوء ما كان ليسرّ نيكسون ولا منظم صندوق أمواله. فقد علما أن لانسكي كان يعرف سميث «بصورة جيدة جداً»، إلى درجة أنه اتصل به بعد سنوات طويلة، أثناء أول مناقشة لمحاولة اغتيال كاسترو[11]. وقد قيل للمؤلفين أيضاً أن نيكسون كان واحداً من مجموعة من الرجال، الذين رافقوا سميث إلى هافانا في السنة التي أصابه فيها الحظ السيِّئ العاثر. وكان من بين رجال المجموعة دِكْ دانر، شريك ريبوزو، وتوحي معلومات أخرى بأن ريبوزو نفسه كان في تلك الرحلة.

وقال نورمان كاسبر، الذي كان يعمل في السابق في مصلحة الضرائب: «إن الصداقة الوثيقة حقاً بين نيكسون وريبوزو بدأت في كوبا. وكان كاسبر مؤيداً للجمهوريين، وقد التقى بريبوزو في الإطار الزمني ذي الصلة، وكان يقوم بدراسة بعض الخلفيات لمصلحة ريبوزو بين حين وآخر. وقد حصل على هذه المعلومات من الحديث مع صديق مقامر، كان كثيراً ما يتردّد على هافانا أثناء فترة حكم باتيستا. فقال ذلك المقامر المدعو آرتش هورنر، إنه رأى نيكسون وريبوزو معاً في هافانا في فندق ناسيونال في مطلع الخمسينيات. واستذكر كاسبر في مقابلة أجريت معه سنة 1999: «أظن أن هورنر كان جالساً إلى المائدة نفسها، أو إلى مائدة قريبة منها»، لأنه وصف مراقبته لنيكسون. فقد كان نيكسون يقامر بشكل ثقيل. وقال هورنر إنه قد علم من قريب له يعمل في كوة

(11) كان لانسكي، حسب رواية شريكه المقرب جوزيف ستاتشر، من أوائل الذين اقترحوا اغتيال كاسترو، وناقش الموضوع مع المتصلين به من وكالة المخابرات المركزية في وقت مبكر، منذ سنة 1959. وقال ستاتشر إن هذا كان هو الوقت الذي أبدى فيه لانسكي رد فعل استجاب فيه لدانا سميث والسناتور سماذرز، على أمل جعل الإدارة «تقبل خطته للاغتيال». وحسب رواية الزعيم الكوبي المنفي أنطونيو دي فارونا، فإن لانسكي قد ناقش «تدمير كاسترو» في اجتماع في ميامي. وقال نورمان روثمان من جانبه إنه قد شارك أيضاً في مناقشات حول قتل كاسترو. (الأوائل: إيزنبرغ، ودان ولانداو، مصدر سبق ذكره، ص 257؛ فارونا، روثمان: لجنة مجلس النواب المنتخبة لبحث الاغتيالات، المجلد العاشر، ص 171، 183، ومراسلات مايكل أيوينغ؛ ومقابلة مع جيري هيمنغ).

الصندوق، أن نيكسون قد خسر ألوف الدولارات ـ وأعتقد أنه قال خمسين ألف دولار ـ وأن بيب قد التقط الشريط المعلّم عنها. لقد قام بانتشال نيكسون وإنقاذه».

وهناك شهادة مفرج عنها حديثاً يظهر أنها تبدّد كل شك في أن نيكسون، الذي نشأ نشأة صارمة بين ظهراني طائفة المرتعدين، كان منغمساً في المقامرة. ففي سنة 1967، ظهر ماثلاً أمام لجنة تحقّق في القمار في جزر البهاما، رجل يدعى ماكس كورتني كان أحد ثلاثة أشخاص سيِّئي السمعة مختصين بالابتزاز في مراهنات سباق الخيل، وقد عُرِف عنهم أنهم كانوا يعملون لمصلحة لانسكي. وكانت شهادته أمام اللجنة، تتعلق بمحاولة لانسكي إعادة بناء إمبراطورية كازينواته المفقودة في كوبا على جزر البهاما. وكان كورتني قد استأجره شريكٌ للانسكي كي يدير له أحد كازينوات القمار في ناصّو (عاصمة جزر البهاما وأكبر مدنها)، وقد قال كورتني ذلك بصورة عابرة، وقد تم استئجاره نظراً لكثرة عدد زبائنه من الأمريكيين «من نائب الرئيس السابق وما دون». وفي سنة 1967 لم تكن عبارة «نائب الرئيس السابق» تعني سوى نيكسون.

وفي مقابلة حديثة، قدم محقّق سابق آخر مزيداً من الادعاءات عن خلفية ريبوزو، وكذلك زعماً رهيباً مروعاً عن نيكسون وجماعة لانسكي في كوبا.

قال جاك كلارك، رجل المباحث السابق الذي عمل في مكتب الخدمات الاستراتيجية، وهو مصدر معلومات عن الجريمة المنظمة في تلك الفترة: «كان ريبوزو متورطاً في مقامرات لانسكي. وكان لانسكي يدير مقامرات غير مشروعة في هارلانديل وفورت لوداردیل، والمناطق الواقعة في شرقي ميامي. وكان ريبوزو متورطاً فيها. وكانت علاقته لصيقة بلانسكي. . . وفي سنة 1951، بينما كنت أقوم بتحقيق في منطقة ميامي، عندما لفت أحد أصحاب الفندق نظري إلى ريبوزو، وهو على مضمار السباق وقال لي: (إنه واحد من أزلام لانسكي. إننا نحاول إبقاء اليهود [المجرمين اليهود] خارج لوداردیل. وريبوزو

يعمل قوّاداً لهم). . . وعندما فحصت عن اسمه للتدقيق مع شرطة ميامي، قالوا لي إنه صاحب مشاريع ومقامر وقريب جداً من ميير».

وهناك وثيقة أفرج عنها مكتب التحقيقات الاتحادي سنة 2000، تنقل عن أحد المخبرين تأكيده على تورط ريبوزو، مع نيكسون وآخرين، في مشاريع أعمال في كوبا أثناء فترة حكم باتيستا. وحسب رواية ذلك المخبر فإن «ريبوزو يعمل كواجهة للمال الإيطالي».

وخلال الخمسينيات فيما بعد، يستذكر كلارك أنه عثر بالصدفة على اسم نيكسون بينما كان يقوم بعملية تحقيق سرية بدون إذن، بتفتيش وثائق في مكتب فندق ناسيونال في هافانا، في ما يخص تحقيقاً لا علاقة لنيكسون به. «كنت في مكتب الحسابات، أبحث عن معلومات عن شخص يبدأ اسمه بحرف P. وكنت أفتش في الملف حسب الحروف الهجائية، فلم أستطع العثور على ذلك الاسم؛ وعدت لتصفح الملف مرة أخرى. . وفجأة طالعني اسم «نيكسون». فألقيت عليه نظرة سريعة ثم اختطفته. فتبين لي منه أنه عندما كان نيكسون ينزل في فندق ناسيونال، الذي يملكه لانسكي، كانوا يكرمونه مجاناً طيلة فترة بقائه فيدفعون فاتورته. وكان ينزل في جناح الرؤساء، حتى قبل أن يكون شيئاً مذكوراً في الحقيقة. وكان الشخص الذي يوقع على السجلّ، والذي يعطي تفويضاً بإكرام نيكسون هو جيمي (ذي العينين الزرقاوين) آلو[12].

وقد جاء فنسنت آلو، المعروف دائماً باسم جيمي، من نيويورك، التي جاء منها لانسكي. ثم أصبح تابعَ لانسكي المؤتمن الموثوق. وسرعان ما علمتْ أخوّةُ الإجرام، أنه كلما استخدم آلو أمراً فإن ذلك الأمر صادر من

(12) في مقابلة لغرض هذا الكتاب، لم يتذكر كلارك التاريخ على الوثيقة التي سرقها. فقبل انتخابات سنة 1960، عندما كان يعمل لحساب الديمقراطيين والجمهوريين على حدّ سواء، قدمها لروبرت كيندي. وكانت الوثيقة تظهر أن نيكسون قد نزل في فندق ناسيونال، وكان حسابه مدفوعاً، حسبما ذكر كلارك. ولم يستخدم كيندي المعلومات.

لانسكي نفسه. وعندما أجريت مقابلة مع آلو في هوليوود بفلوريدا سنة 1997، وكان في الرابعة والتسعين ولكنه ظل نشيطاً ومتمتعاً بحيويته، قال إنه كان يتعامل بالأموال لمصلحة نيكسون. وكان آلو مشاركاً في إدارة فندق ناسيونال. وماذا عن الأفكار القائلة بأن نيكسون كان على علاقة بلانسكي؟ اعترف آلو بهذه العلاقة قائلاً: «لقد التقى به في هافانا في الأيام القديمة الخالية، التي كان يعني بها ـ كما أوضح ـ خمسينيات القرن العشرين. ولم يشأ أن يقول المزيد».

وعندما قام هانك مسيك، المتخصّص القديم بالجريمة المنظمة، باستخدام علاقاته برجال العصابات، لم يزيدوا على أن قالوا له إن لانسكي قد «تأثر» بواقعة المقامرة، التي تورط فيها نيكسون ودانا سميث في هافانا. وقال شريك لانسكي المقرب منه جوزيف ستاتشر إنه في سنة 1948، كان لانسكي وشارلس «المحظوظ» لوشيانو، «يأملان بلهفة شديدة أن يفوز توم ديوي بالرئاسة لمصلحة الجمهوريين». وقال ستاتشر: «إن مير وتشارلي كانا متأكدين أن ديوي سيقبل منهما دعماً مالياً، ويسمح لهما في المقابل بإدارة أنشطتهما في المقامرة دون كبير تدخل». وكتب مسيك: «عند تقييم نيكسون، لن يعجز لانسكي عن الملاحظة بأن جون ديوي النيويوركي ـ بعد أن تخلى عن طموحاته الذاتية ـ كان هو الذي رعى ترشيح نيكسون لمنصب نائب الرئيس في سنة 1952»[13].

وليس معروفاً أكثر من ذلك عن موقف لانسكي من نيكسون، لأن لانسكي لم يشرح الأمور بالتفصيل في مقابلاته مع كتّاب سيرة حياته

(13) كان ديوي قد بنى لنفسه سمعة كمدع خاص مكافح للجريمة في ثلاثينيات القرن العشرين. ولم يَرَ مؤلف هذا الكتاب أي دليل على أنه كان فاسداً قطّ. غير أنه كانت له على المدى البعيد علاقة اجتماعية مع المليونير لويس روزنتيال، تاجر الخمور الذي كان متورطاً بعلاقة مع المافيا، ومع لانسكي على وجه التحديد. وقيل فيما بعد إن ديوي قد اشترك في جهود لمساعدة جيمي هوفا، الزعيم المنحرف المحتال لسائقي الشاحنات، على البقاء خارج السجن (غير فاسد: بلوك، مصدر سبق ذكره، ص 189؛ وروزنتيال: المراسلات بين ديوي وروزنتيال، السلسلة 5، الحلقة 163، أوراق ديوي، جامعة روتشيستر، وكتاب سمرز **سري ورسمي**، مصدر سبق ذكره، ص 248؛ وهوفا: بلوك، مصدر سبق ذكره، ص 133، 310).

الإسرائيليين، وهم الكتّاب الوحيدون الذين وثق بهم. غير أن لدينا فكرة عن حُكْم من واحد آخر من أعلى قادة المافيا، عندما كانت انتخابات سنة 1952 آخذةً في الاقتراب. ففي شيكاغو، كان سام جيانكانا، القوةُ الآخذةُ في الصعود آنئذ في عالم اتحاد رجال العصابات على الصعيد الوطني، يراقب السباق مراقبة وثيقة عن كثب. وعندما سئل عما إذا كان يؤيد المرشح الديمقراطي، آديلاي ستيفنسون لم يزد على أن ضحك، كما يستذكر أخوه تشاك. فقال جيانكانا عندئذٍ: «أحب الفائز. أحب آيك [آيزنهاور]، ولكنني أحب شريكه، نيكسون، أكثر... إنني سأحترس في مراهناتي. فلدينا تبرعات تسهم في الحملات الانتخابية على الجانبين كليهما: فرجالنا في كاليفورنيا يدعمون نيكسون، و[جيك] آفري(*) يعتني بستيفنسون».

وهذا النوع من الكلام يذكّر بمراقبات مكتب التحقيقات الاتحادي للمحادثات الهاتفية لرجال العصابات، حول تفضيلاتهم السياسية وقتَ انتخابات سنة 1960، وحول ما كانوا يأملون به من جون ف. كينيدي. أمّا في سنة 1952، فقد كان زعماء الحزبين كليهما يعرفون اللطخة المحتملة من ربط خصومهم بدعم رجال العصابات. وفي سنة 1952 علم آدلاي ستيفنسون أن نيكسون قد تلقى تمويلاً في كاليفورنيا منذ بداية حياته السياسية عن طريق رجل العصابات مايكي كوهين، الذي كان مسؤولاً أمام لانسكي(**). وحسب ما ورد في أحد تقارير مكتب التحقيقات الاتحادي، فإن ستيفنسون «أرسل مبعوثاً إلى كوهين كي يحاول الحصول على القصة ليستخدمها في حملته، ولكن كوهين رفض ذلك لأن إعطاء القصة سيكون (كالوشاية)». ولكنه لم يكن خجولاً ولا متمنّعاً فيما بعد، كما هو وارد في فصل سابق، عندما كان في السجن ويأمل بالرحمة واللين في ظل إدارة جديدة.

(*) كان جيك آفري مدبّراً للأمور السياسية في شيكاغو، مع علاقات وثيقة بالجريمة المنظمة، وبِلانْسكي في لاس فيغاس.

(**) انظر ص 119.

ولقد جادل نيكسون وبعض كتاب سيرته بأنه نجا في تلك السنة، ليس بفضل الحظ، ولكن لأنه ـ ببساطة ـ كان رجلاً بريئاً، وضحية لطخات متنوعة وجهتها إليه اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي. صحيح أن الديمقراطيين استغلوا كل فرصة للتشهير بسمعته، مشيرين على وجه الخصوص إلى أنه يقبل الرشوة. وربما يكونون قد فعلوا ذلك في بعض الأحيان بدون دليل وجيه. غير أن المعلومات المتاحة الآن، وهي معلومات من مصادر جيدة لا تحركها دوافع سياسية، تشير إلى أن نيكسون كان فاسداً حقاً[14].

(14) قبل انتخابات الرئاسة سنة 1952، تم تحرير رسالة إلى **النيويورك بوست** قيل بأن كاتبها هو نائب رئيس شركة يونيون أويل، وفيها إشارة إلى دفعة مزعومة لنيكسون في سنة 1950 قدرها خمسون ألف دولار. وكان المفروض أن هذه الأموال قدمتها صناعة النفط والمرتبطون بها. ولم تستطع الصحيفة أن تتأكد من كون الرسالة وثيقة أصلية وصحيحة، فلم تنشر شيئاً، بينما أشار إليها دْرُو بيرسون بصورة مواربة بعد الانتخابات. وقد استنتجت لجنة فرعية تابعة لمجلس الشيوخ فيما بعد أنها كانت مزورة. أما مجلة **لوك**، فقد ربطت القضية بحملةٍ من «التزويرات، والتهم المزيفة والشائعات» شارك فيها الرئيس ترومان بنفسه (**النيويورك تايمز**، العددان 10 و12 شباط / فبراير، 1953، ومجلة **لوك**، عدد 24 شباط / فبراير 1953؛ ونسخ من وثائق في الحقل رقم G 281, DPP؛ وآبل كمحرر لكتاب سبق ذكره، ص 237، 238 و239).



13

ينبغي على كبار المسؤولين في الحزبين كليهما، أن يضربوا مثلاً في اللياقة والأخلاق، يتجاوز الحد الأدنى الذي يتطلبه القانون

ريتشارد نيكسون، تشرين الأول / أكتوبر 1952

في 2 تشرين الثاني / نوفمبر، قبل يومين من انتخابات الرئاسة، قام درو بيرسون، عدو نيكسون الدائم، بشوكتين في الدقيقة الأخيرة من خطابه التلفزيوني، وكانت كل منهما تتشكك في قدرة نيكسون على قول الحقيقة. وكانت الأولى تافهة أشارت إلى أن المرشح حاول أن يجتذب أصوات الإيرلنديين، فزعم زوراً أن زوجته ولدت في يوم عيد القديس باتريك. أمّا الثانية فكانت ادعاءً أخطر من ذلك بكثير، ولكنها ضاعت في غمرة الاهتياج الذي أثاره انتصار الجمهوريين، وكانت عن علاقة نيكسون بمشبوهٍ منفيٍّ من رومانيا يدعى نيقولاي مالاكسا.

كان مالاكسا شخصاً صغير الحجم جداً وشديد الثرثرة، ورجلَ أعمال وصفقات احتيالية فيها براعة سحرية، وهو ديني سياسياً [نسبة إلى هاري هوديني (1874 ـ 1926) الساحر الأمريكي الذي عُرِفَ باستعراض، عمليات إفلاته من القيود والأصفاد والجنازير أمام حشود من المتفرجين: المترجم]. فقبل الحرب كان في رومانيا شبيهاً بآلفريد كرابّ في ألمانيا، فكان ملكاً لصناعة الفولاذ، وله مصالح تراوح من أنابيب النفط وعربات القطارات إلى المدافع بعيدة المدى، والذخائر والمتفجرات. وقد جاء إلى الولايات المتحدة في سنة 1946، خارجاً ناجياً بنفسه من أوروبا ما بعد الحرب، والاستيلاء الشيوعي على رومانيا كي

يستعيد أرصدته الموجودة في الولايات المتحدة، ليعود إلى ميادين الأعمال التجارية الدولية الكبرى. ولكي يشتغل على نحو فعال، كان من اللازم أن يحصل على إذن بالإقامة والبقاء في الولايات المتحدة، فكان هذا مطلباً اتضح أنه عقبة كأداء أدت في آخر الأمر إلى تدخل ريتشارد نيكسون في الأمر بطريقة غريبة.

ورغم أن كثيراً من الملفات الرسمية عن مالاكسا لا تزال مكتومة، فإن ما هو متاح يوضح أنه كان هناك قلق واسع الانتشار من السماح بدخوله إلى الولايات المتحدة. وينعكس ذلك في التقارير النابعة من وكالة المخابرات المركزية، ووزارة الخارجية، وإدارة الخدمات العامة، وأخيراً فيما لا يقل عن خمسة وعشرين من أدراج الملفات في إدارة الهجرة والتجنس. وحسب عبارات تقرير استعلامي خاص لهذه الإدارة الأخيرة، فإن مالاكسا «له سمعة غير طيبة في معاملاته التجارية. فهو موصوف بأنه سياسي انتهازي»، وقيل إنه «قدم تبرعات واسعة النطاق للحزب الشيوعي [الروماني] ورشا العديد من المسؤولين الحكوميين الرومانيين قبل دخوله إلى الولايات المتحدة. . . [و]موقفه إزاء الولايات المتحدة تلوّنه مصالحه المالية هنا وتؤثر عليه بشدة».

ولم يكن القلق متركزاً على سمعته التجارية فحسب. فقد لاحظ تقرير إدارة الخدمات العامة بقسوة، أن مالاكسا كان «متعاطفاً مع النازيين عندما كانوا مسيطرين على رومانيا». وقيل إنه كان على علاقة مع الرجل الثاني بعد هتلر، هرمان غورنغ وأخيه آلبرت. والأسوأ من ذلك، حسبما ورد في برقية ألمانية صادرة وقت الحرب وتم الاستيلاء عليها، أن مالاكسا كان «هو الدعامة المالية لمرتزقة الفرقة الأجنبية المعروفين باسم الحرس الحديدي».

كانت حركة الحرس الحديدي في رومانيا مدعومة من قِبَل فرع المخابرات الأجنبية لمنظمة القمصان السود الألمانية (SS)، وهي منظمة إرهابية معادية لليهود. وكان هناك شاهد يعمل في مقر قيادتها، فأخبر إدارة الهجرة

والتجنس، أن مالاكسا كان بالفعل، أحد المصادر الكبرى لتمويل الحرس الحديدي المذكور. وحسب رواية مصادر أخرى فإن أولئك الحرس كانوا يستخدمون قصره، كقاعدة لهم عندما حاولوا القيام بانقلاب سنة 1941، الذي قتل فيه آلاف من اليهود، بعضهم بعد تعذيب لا يمكن وصفه[1].

وذات مساء في آب / أغسطس سنة 1951، بينما كان مالاكسا يكافح للتعمية على ماضيه ـ وقد أصاب موظفي الهجرة بالإحباط برفضه الإجابة عن أسئلتهم ـ اتصل أحد محاميه هاتفياً من نيويورك بتوماس بيولي في وِيتْيير بولاية كاليفورنيا. وكان بيولي محامي عائلة نيكسون، وصديقها الذي وظف نيكسون في مؤسسته القانونية بعد تخرجه في كلية الحقوق مباشرة سنة 1937، واستمر في دعم صعوده السياسي منذ ذلك الحين. وكان مالاكسا بحاجة إلى من يمثله في كاليفورنيا، بخصوص مصنع لخطوط الأنابيب كان قد شرع في إقامته في تلك الولاية، كما شرح المحامي، وطلب من بيولي أن يتولى هذا العمل. وقد زُعِمَ فيما بعد، أن اختيار المؤسسة القانونية الوحيدة ذات الصلة بنيكسون في كاليفورنيا، كان مصادفة محضة.

ورغم أن نيكسون نفسه لم يكن له نشاط في المحاماة منذ ما قبل الحرب، فقد كانت المؤسسة ما تزال تحمل اسم بيولي، ونوب، ونيكسون. وحتى عندما أسقطت المؤسسة اسمه بالفعل، فقد زودته بمكتب في مبنى بنك أمريكا كي يستخدمه عند تواجده على الساحل الغربي. وسرعان ما تم تسجيل شركة مالاكسا الجديدة لخطوط الأنابيب، وهي شركة الأنبوب الغربي (ويسترن

---

(1) فشل كاتب العمود الصحافي درو بيرسون في الحصول على دعم عصبة مكافحة التشهير للادعاء بأن مالاكسا كان معادياً للسامية. غير أن مالاكسا قد اعترف، وهو حالف لليمين أثناء دعوى قذف وتشهير مقامة ضد بيرسون، بأنه ـ أي مالاكسا ـ كان قد دفع أموالاً لأحد زعماء تلك العصبة، وهو الحاخام بول ريتشمان، كي يساعده في حل مشاكل هجرته إلى أمريكا. وعندما دُعيت القضية إلى المحاكمة، قام محامو مالاكسا بسحب دعواهم ضد بيرسون ووافقوا على دفع التكاليف القانونية التي تجشمها (بيلات، مصدر سبق ذكره، ص 17 وما يليها؛ ومذكرة بيرسون إلى محرري الصحيفة في 5 حزيران / يونيو 1962، الحقل رقم G 192, 2/3 DPP).

تيوب)، باعتبارها مقيمة في جناح المكتب نفسه، بالغرفة رقم 607. وقام الروماني بتعيين بيولي، وهيرمان بيري ـ وهو صديق عائلي آخر لنيكسون ـ في مجلس إدارة ويسترن تيوب المذكورة.

ولكن ويسترن تيوب هذه لم تقم ببناء أي مصنع، ولم تنتج أنبوباً واحداً. وحتى توم بيولي اعترف فيما بعد أن المشروع كله لم يتجاوز عملية «خلط الأوراق». وحسب رواية جون شيلي النائب عن كاليفورنيا في الكونغرس بعد ذلك بسنوات، فإن الشركة كانت على ما يبدو «عملاً احتيالياً كاملاً، ومنصة قفز للدخول إلى الولايات المتحدة». ولقد كان نيكسون هو الذي قام بتركيب تلك المنصة.

وحتى قبل اتصال مالاكسا بمكتب بيولي، كان نيكسون قد حاول، بلا نجاح أن يقدم مشروع لائحة، خاصة بقانون من شأنه السماح للروماني بالبقاء في الولايات المتحدة. وبعد ذلك بأشهر، عندما جاءت مبادرة الأنبوب الغربي (ويسترن تيوب)، كتب نيكسون على ورق يحمل شعار مجلس الشيوخ، رسالة إلى رئيس إدارة منتجات الدفاع، يجادل في أن دعم المشروع «مهم استراتيجياً واقتصادياً، لكل من كاليفورنيا، والولايات المتحدة كلها». وبعد ذلك بأسبوع أعطى المدير موافقته، مما ضمن للشركة ولمالاكسا معاملة تفضيلية، ومزايا ضريبية ضخمة.

واستمر نيكسون يقطع أشواطاً بعيدة في جهوده، لمساعدة مالاكسا في مصاعبه مع إدارة الهجرة. فأجرى مكالمة شخصية بنفسه مع رئيس موظفي إدارة الهجرة والجنسية، هوارد بلوم، وعمل مع صديقه بات هيلنغز، الذي كان عضواً في الكونغرس آنذاك، مرة أخرى على إدخال تشريع خاص، لضمان حصول الروماني على إقامة دائمة. وعندما رُفِضَ طلبُ مالاكسا للعودة إلى الدخول إلى أمريكا بعد فترة تغيب في الخارج، ألغى المدعي العام، وليام

روجرز قرار سلطات الهجرة وسمح له بالدخول ثانية. وكان روجرز أحد المرتبطين بنيكسون بعلاقة وثيقة[2].

وكان نيكسون، كعضو في مجلس الشيوخ، قادراً على الوصول إلى أفضل المعلومات وأوثق المصادر. فلماذا بذل - في حالة مالاكسا - مثل هذه الجهود الشاقة لمساعدة رجل أعمال أجنبي غنيّ له مثل تلك السمعة المشبوهة؟ إن الجواب المتاح الآن، والذي لم يُذَعْ على الناس في حياة نيكسون على الإطلاق، هو أن مالاكسا قد اشترى الحظوة لدى نيكسون برشوة ضخمة.

لقد بقيت ملفات عمل دْرُو بيرسون، وبعضها مطبوع، وبعضها على شكل أوراق ملاحظات بخط يده المدوّن على عجل، بين أوراق ذلك الصحافي في مكتبة ليندون جونسون. وهي تكشف عن أن بيرسون كان يحقّق في دورين في القضية لعبهما كل من فرانك ويزنر، الذي عمل في رومانيا كوكيل لإدارة الخدمات الاستراتيجية (التي كانت سلف وكالة المخابرات المركزية) عند نهاية الحرب، وآليكساندر كريتزيانو الدبلوماسي الروماني السابق. وبالقرب منهما،

(2) إن موقف نيكسون اللطيف الرقيق من المنفيين من رومانيا من ذوي السجلات البغيضة أيام الحرب العالمية الثانية لم يكن قاصراً على مالاكسا. ففي سنة 1955، عندما كان نائباً لرئيس الجمهورية، وجه الدعوة إلى مهاجر يدعى فيوريل طْرِيفا، كان يصف نفسه بأنه أسقف في الكنيسة الأرثوذكسية الرومانية في المنفى، كي يقدم الصلاة الافتتاحية لمجلس الشيوخ الأمريكي. وحسب رواية مركز سيمون فيزينتال، فإن طْرِيفا هذا كان مرتبطاً بالنازيين، ومتورطاً في تقتيل يهود رومانيا في الحرب العالمية الثانية. وقد وصفه معهد دراسات الإبادة الجماعية بأنه كان «المحرض الأول» على مذبحة اليهود سنة 1941، وهي المذبحة التي اتُّهِمَ فيها مالاكسا كذلك. وقد طُرِد طْرِيفا من الولايات المتحدة في آخر الأمر سنة 1984 بسبب خلفياته (صلاة طْرِيفا: بلوم، مصدر سبق ذكره، ص 116؛ ومركز فيزينتال: هارون بريتهارت، في رسالته من مركز فيزينتال إلى المؤلف في 25 أيار / مايو 1999؛ ومعلومات خلفية: أصول معهد دراسات الإبادة الجماعية، تأليف ريتشارد كورن، محفوظات كورن، في موقعه على الشبكة الدولية، 1997؛ و«الذكرى السنوية العاشرة لوفاة رئيس الأساقفة فاليريان»، تحرير المبجل فاسيل هاتيغان، 14 كانون الثاني / يناير WWW. roga. org؛ لوفتوس وآرونز، مصدر سبق ذكره، ص 203، بلوم، مصدر سبق ذكره، ص 114 وما يليها؛ طرده من الولايات المتحدة: **النيويورك تايمز**، عدد 2 شباط / فبراير، و15 آب / أغسطس، 1984).

على مذكرة مطبوعة، كان هناك اسم قسطنطين فيزويانو، الذي عمل وزيراً لخارجية رومانيا.

وفي الملف أيضاً، في أجوبة مهيأة للاستخدام في دعوى تشهير أقامها مالاكسا، ولم تصل إلى المحاكم أبداً، لاحظ بيرسون أنه كان قد توصل إلى تقرير لوكالة المخابرات المركزية أثناء عمله في التحقيق. وقد أضاف يقول في الوثيقة نفسها: «وقد تلقيت رسالة من مجهول بأن نيكسون قد تلقى مئة ألف دولار كتبرع سياسي لحملته الانتخابية من مالاكسا. . . ولم أستطع إثبات ذلك بطريقة ترضيني، ولذا فإنني لم أضمنها في أيٍّ من أعمدتي الصحافية».

وبقي هذا الدليل، الدامغ لنيكسون إن صحّ، قابعاً بين أوراق بيرسون، فلم يره أحد، ولم يُطْبَعْ أو يُنْشَرْ طيلة أكثر من ثلاثين سنة، في سجلات لم تفتح إلاّ بناء على طلب من مؤلف هذا الكتاب. واليوم، على ضوء المعرفة المعاصرة بنشاط المخابرات الأمريكية، ومقابلات أجريت حديثاً مع أحد ضباط وكالة المخابرات المركزية من العجائز المتقاعدين، تبدو الأدلة التي كان يلاحقها ذلك الصحافي مفهومةً ومعقولةً حقاً.

فالظاهر أَنَّ أسلوبَ عمل مالاكسا كان يقوم في الأساس على قوة الرشوة. فبعد وقت قصير من مجيئه إلى الولايات المتحدة، يقال إنه اشترى سيارتي كاديلاك، وما قيمته اثنا عشر ألف دولار من المجوهرات من محلات كارتيير في نيويورك. فشحن إحدى سيارتي الكاديلاك إلى وزير المواصلات والأشغال العامة الشيوعي في رومانيا، والثانية إلى رئيس البعثة الرومانية في واشنطن. أمّا المجوهرات فكانت هدية لآنا بوكر، وزيرة خارجية رومانيا. وتقول إحدى الروايات إن دخوله نفسه إلى الولايات المتحدة قد تحقّق بناءً على وعد، بدفعةٍ إلى أحد كبار ضباط مكتب الخدمات الاستراتيجية.

وسواء أكان مثل هذا الإغراء قد لعب دوراً أم لا، فإن من المحتمل أن مكتب الخدمات الاستراتيجية، ومن بعده وكالة المخابرات المركزية كانا

متورّطَيْن مع مالاكسا. فقد كان ويزنر، ضابط مكتب الخدمات الاستراتيجية المذكور في أوراق بيرسون، من الملتزمين بالحرب الباردة التزاماً عاطفياً حماسياً. ولدى عودته إلى الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية، ترأس إمبراطوريته الخاصة به، للعمل السري ضمن وكالة المخابرات المركزية. وكانت قوانين الهجرة في الولايات المتحدة، تمنع دخول مجرمي الحرب. ولكن ويزنر هو الذي استخدم نيقولاي مالاكسا.

وكانت لدى آخرين في الوكالة المذكورة هواجس، ومخاوف حول اللجوء إلى مثل ذلك الرجل[3]. ففي سنة 1952، في الأشهر التي سبقت الانتخابات الرئاسية، كان من بينهم عدة ضباط في قسم البلقان. وكان رئيس فرعه في تلك السنة هو غوردون ماسون، وهو من العاملين القدماء في المخابرات في رومانيا فيما بعد الحرب، وكان يموّل عدة قياديين رومانيين في المنفى، ومن بينهم كريتزيانو وفيزويانو، الدبلوماسيان السابقان، اللذان يظهر اسماهما في المذكرات القديمة لبيرسون، الصحافي كاتب العمود. وقد أخبر ماسون مؤلف هذا الكتاب في سنة 1999، أن وكالة المخابرات المركزية قد علمت من هذين الدبلوماسيين، أن مالاكسا قد رشا ريتشارد نيكسون.

وحسب رواية ماسون فإن الرشوة كانت بمبلغ مئة ألف دولار ـ بالضبط كما علم بيرسون من مصدره قبل ذلك بعشرات السنين. وقد دفع مالاكسا تلك الرشوة بطريقة كادت تكون قاتلة لنيكسون، إذ كتب بها شيكاً أودعه في حساب نيكسون في وِيتِّيِر بكاليفورنيا، ويكاد يكون من المؤكد أنه وضعها في فرع بنك

(3) إن ليمان كرباتريك الذي كان مدير العمليات، تحت إمرة فرانك ويزنر في مديرية العمليات التابعة لوكالة المخابرات المركزية قد أشار على مديرية خدمات الهجرة والتجنيس الأمريكية، بصورة رسمية، أن مالاكسا «شخص يعتبر بلا وازع ولا ضمير. . . فهو نوع خطر من الرجال. . .» (**الواشنطن بوست**، عدد 16 تشرين الثاني / نوفمبر 1979؛ وجون رانيلا في كتابه **الوكالة**، طبع نيويورك، سيمون وشوستر، 1986، ص 191).

أمريكا حيث كان نيكسون، ومؤسّسة برولي القانونية، وشركة خطوط أنابيب مالاكسا، يتشاركون في العنوان نفسه.

وكاد إيداع الشيك يتحول إلى كارثة، كما شرح ماسون، لأن أحد أمناء الصندوق في البنك كان مهاجراً رومانياً على اتصال بالزعيمين المنفيين كريتزيانو وفيزويانو. وكان هذان الديبلوماسيّان السابقان يشمئزان من مالاكسا. فعندما أخبرهما أمين الصندوق بالأمر، جعلاه يزودهما بصورة فوتوغرافية للشيك؛ فنقلاها إلى ماسون في وكالة المخابرات المركزية، فكتب هذا تقريراً رفعه إلى رئيس قسمه، الذي أخذه بدوره إلى ويزنر، الذي صرخ مذهولاً: «يا ليسوع المسيح! إن من الأفضل لنا أن نقابل آلن دالاس». وهكذا رفع ويزنر التقرير إلى الأعلى عن طريق التسلسل.

وكان آلن دالاس حديث التعيين كمدير للعمليات في الوكالة، وكان بالطبع مؤيداً صلباً لنيكسون. ولكنه لم يوقف التقرير - إذْ أن وكالة المخابرات المركزية بيروقراطية، تجري فيها عمليات بشكل آلي روتينيّ كباقي البيروقراطيات - وهكذا وصلت الوثيقة الحارقة إلى الرجل المتربع على القمة نفسها، مدير المخابرات المركزية، والتر بيدل سميث.

فاستدعي ماسون، باعتباره كاتب التقرير، إلى اجتماع في مكتب المدير. وكان سميث (الذي يلقبه زملاؤه «بالخنفساء» Beetle) قد عمل كرئيس أركان لآيزنهاور أثناء الحرب العالمية الثانية. ولم ينس ماسون انفجار غيظه عندما جوبه بالدليل الدامغ على رشوة نيكسون. «وكان سميث رجلاً يستطيع أن يشتم ويلعن بثلاث لغات، وفي كل جملة تقريباً. وكان ذا طبع عنيف كذلك. فتصرف كما لو أنني كنتُ أحاول شخصياً إسقاط آيزنهاور، فطلب مني ومن هيرمان هورتون [رئيس قسم أوروبا الجنوبية في الوكالة]، أن نأتي بكل نسخة من كل بند في هذه القضية إليه شخصياً. وانتظر في مكتبه ريثما عدنا وجمعنا له

كل شيء. وكان واضحاً أنه سيتولى القضية من تلك النقطة. وأنها لن تصل إلى أي مكان. فقد شطبت القصّة من السجلات تماماً».

وحسب رواية ماسون، فإن أيّاً من تلك الموادّ ـ وليس أقلها نسخة الشيك ـ لم تُشَاهَدْ بعد ذلك قطّ. فلم يقم هو ولا رئيسه هورتون بعمل نسخ منها. وقال ويزنر لماسون فيما بعد: «أعتقد أن الخنفساء Beetle قد رمى بها في المرحاض جميعاً».

وقال ويزنر أيضاً أن الرئيس ترومان قد علم بالواقعة، وطلب بيدل سميث بالهاتف ليسأله عنها. واستنتج ماسون أن القصة ربما تكون قد وجدت طريقها إلى ترومان، نتيجة لتسريبها من قبل الرومانيين المنفيين العاملين في قسم البلقان، الذين شعروا بالإحباط لأن حيلتهم قد فشلت ـ وكانت مصممة من وجهة نظرهم للإيقاع بمالاكسا، وليس بنيكسون ـ. غير أن المعلومات، بدون الإثبات الورقي، كانت بلا فائدة، قنبلة بدون صاعق التفجير.

هل يمكن تأكيد هذه القصة، أم أنها افتراء آخر للتشهير بنيكسون كما زعم في وصف الاتهامات بالفساد، التي لاحقته طوال حياته العملية؟ إن الرجل الذي كان رئيساً لماسون، هيرمان هورتون، ميت، وكذلك ويزنر، ودالاس، وبيدل سميث، وكذلك الرومانيان المنفيان اللذان عملا مع ماسون، فيزويانو وكريتزيانو. وعندما تم الاتصال بأرملة فيزويانو في سنة 1999، لم تتذكر سوى أن زوجها ناقش «مشكلة مالاكسا».

ولقد قدم ماسون، الذي يبدو شاهداً يمكن تصديقه، تفصيلاً آخر. فقال إن القصة كان فيها شيكان في الحقيقة. فالمئة ألف دولار كانت، كما فهم، ستستخدم للمساعدة في تمويل مشروع جديد لدونالد، شقيق نيكسون. أما الشيك الثاني، بمبلغ أصغر بكثير، وهو خمسة آلاف دولار، فكان تبرعاً لحملة نيكسون الانتخابية سنة 1952. وينفي ماسون الفكرة القائلة بأن المئة ألف دولار قد يكون القصد منها في الحقيقة أن يستخدمها دونالد. «لا أعتقد أن مالاكسا

كان حتى يعرف شقيقَ نيكسون. . . لقد كانت هذه هدايا لنيكسون نظير استخدام نفوذه».

وإذا كان دونالد متورطاً حقاً في قضية مالاكسا، فإن في ذلك إرهاصاً غريباً مخيفاً بواقعة مماثلة، حدثت بعد ذلك بأربع سنين هي قصة «القرض» المكون من 205000 دولار قدمها الملياردير هوارد هيوز ـ وبحجة مساعدة دونالد نيكسون، مرة أخرى ـ سنة 1956(*) وكان هذا مبلغاً ضخماً في الخمسينيات، وكان من شأنه أن يصبح مصدر حرج كبير لنيكسون في حملتين انتخابيتين في المستقبل. وكانت هناك تبرعات أخرى من هيوز قدمت سراً قبل رئاسة نيكسون وأثناءها وبعدها، ستصبح من أكثر العناصر إضراراً بسمعته في فضيحة ووترغيت.

ولقد اقترب إلى حد خطير افتضاح أمر المئة ألف دولار، التي زُعِمَ أن مالاكسا قد دفعها سنة 1952 ـ وهي تعادل أكثر من نصف مليون دولار بالأسعار الحديثة ـ. فلو استطاع درو بيرسون أن يجد دليلاً مادياً يثبت المعلومة التي وصلته من مجهول، لنشر القصة. ومثل هذه القصة، مشفوعة بالادعاءات حول الصندوق السري كانت بالتأكيد، ستجعل آيزنهاور يتخلى عن نيكسون كمرشح شريك له، حتى ولو ثبت أن الاتهامات لم تكن صحيحة، وهو احتمال ما يزال قائماً.

أما نيقولاي مالاكسا، فقد تجنب الطرد، واستمر يعيش في الولايات المتحدة، مستكناً ببذخ مترف في عنوان بالشارع الخامس (ڤيف آفينيو) بنيويورك، حتى أواخر الستينيّات. ولم يورد نيكسون اسمه في مذكراته.

وفي يوم الانتخابات، 4 تشرين الثاني / نوفمبر 1952، أدلى نيكسون بصوته في مسقط رأسه ببلدة وِيتْيِيرْ، وصعد إلى سيارة شرطة، واختفى طيلة

(*) انظر ص 327.

ذلك النهار. وقد تكشف فيما بعد أنه فعل ما كان قد فعله قبل ذلك بسنتين مع بات. ولكنه في هذه المرة كان مصحوباً فقط بوليام روجرز، الذي صار وزيراً لخارجيته أيام رئاسته فيما بعد. فأمضى الوقت على الساحل. كانا قد اشتريا سراويل رياضية قصيرة للسباحة، واشتركا في لعب الكرة مع فريق من البحارة من كامب بندلتون.

وفي ذلك المساء، أوقظ نيكسون من غفوته، ليعلم أن الناخبين قد أعطوا لبطاقة آيزنهاور ـ نيكسون نصراً تاريخياً يشبه في ضخامته انزلاقاً أرضياً. وأعلنت مجلة **تايم** فيما بعد، أن المعركة، قد جرت حول «قضايا أخلاقية مُتَسَامِية». وفي غضون أيام، عندما بدأ الهتاف بالتلاشي والانحسار، انطلق نيكسون وبات إلى فلوريدا، وإجازة استضافهما فيها بيب ريبوزو.

فقاما، مرة أخرى، بزيارة نادي كوارتر دِكْ لليخوت، الذي كان نقطة انطلاق نيكسون في رحلته المزعومة، للمقامرة في كوبا في الربيع السابق. غير أن الإحراج الوحيد في هذه الرحلة الجديدة جاء، عندما التقط مصورو النادي صورة لنائب الرئيس وهو يصطاد في المحيط. فبدا في بعض اللقطات وهو يصارع لجذب سمكة ضخمة إلى الشاطئ ـ ولم تكن في الحقيقة سوى تذكار منفوخ محشو، أزيل عن جدار النادي ورُبِط بصنارته كنكتة. وسرعان ما هرع ريبوزو لاستعادة نسختي الصورة مع مسودة الفلم. فقد صار نيكسون شخصية «هامة»، ورجلاً يجب معاملته باحتشام ووقار.

غير أنه، بالتسرع في خطاه ليصبح سمكة سياسية كبيرة، اكتسب أعداء دائمين كان بعضهم يشمئز منه بعنف غير مألوف حتى في عالم السياسة. فقبل ذلك بسنتين، وبعد مراقبة أساليب نيكسون ضد هيلين دوغلاس، أصيب آفريل هاريمان، المساعد الرئاسي الديمقراطي، بالقرف. وبعد ذلك بوقت قصير، عندما أدرك أن نيكسون كان معه من بين المدعوين إلى حفل عشاء في واشنطن أعلن: «إنني لن أتناول الخبز مع هذا الرجل!»، واستدار ليغادر المكان.

وعندما أقنعته المضيفة بالبقاء، أطفأ جهاز الاستماع في أذنيه، وجلس طيلة الوجبة دون أن ينطق بكلمة واحدة. وبعد ذلك بعقدين من الزمن، عندما كان هاريمان سياسياً عجوزاً، ظل الموضوع الدائم على مائدة عشائه هو أهمية إسقاط نيكسون.

وكان سلوك نيكسون سنة 1950، قد جرح مشاعر الكبار والصغار على حد سواء. فقالت إليانور روزفلت: «ليس لدي احترام لنوع الشخص الذي يستغلّ الأمور، فيعمل أشياء يعرف أنها غير صحيحة. . . إن أي شخص يريد الفوز إلى درجة أنه يسعى إليه بتلك الأساليب، لا يملك الشخصية التي أحترمها في الحياة العامة». أما الشاب جون ف. كيندي، الذي كان صديقاً لنيكسون في الكونغرس، والذي كان قد تبرع لحملته سنة 1950 رغم أنه كان يمثل الحزب الجمهوري المعارض للديموقراطيين، فقد اعترف فيما بعد: «لقد تبرعت لنيكسون فعلاً. وكانت تلك أكبر غلطة حمقاء لعينة ارتكبتها في حياتي».

وبينما كان الانتقاد الديمقراطي متوقعاً، فإن التعبير عنه بتلك الطرق المسمومة لم يكن مألوفاً. فقد أعلن روجر كنت، رئيس الديمقراطيين في ولاية نيكسون ـ كاليفورنيا ـ: «إنه مستعد لخداع أي شخص وتدمير سمعته، إذا ارتأى أن ذلك يخدم مصلحته». وعرّف آدلاي ستيفنسون العالم الذي يعيش فيه نيكسون (نيكسونلاند)، بأنه «عالم من الفضائح والرعب، والشائعات الخبيثة، والأقلام المسمومة، والمكالمات الهاتفية المجهولة، والهياج المستعجل، والتدافع العنيف ـ عالم التحطيم والكسر والخطف، وعمل أي شيء في سبيل الفوز». أما إيمانويل سيلر عضو الكونغرس القديم عن نيويورك، فكان يرى أن نيكسون «ساذج، وأحمق، وسخيف، وسيِّئ الانسجام»، وشخص عاجز عن تجميع تزكيات تكفي لاشتراكه في المكتبة المحلية.

وعلى عكس الملايين الذين هزّهم وأثر فيهم خطاب تشيكرز، فإن كاتب العمود الصحفي القوي والتر ليبمان، قد اعتبره «أكبر تجربة مهينة اضطر بلدي

إلى تحملها». واستنكره جورج بول، الذي صار فيما بعد نائباً لوزير الخارجية بوصفه «شيئاً مثيراً للغثيان»، وخطاباً مليئاً بتفاهات تدعو للتقيؤ، وكانت تلك إشارة مرحاضية ردّد صداها آخرون. واستهجن «وقفته المنافقة في الرثاء لنفسه والسعي لربط نفسه بالأمريكيين المسحوقين المساكين الذين تثقلهم الديون والهموم العائلية».

وأكد عضو الكونغرس عن ولاية فلوريدا، كلود بابر أن الخطاب كان «أبرع تمثيل تهريجي غوغائي رأيته في حياتي. فقد كان من المخيف تقريباً أن يفكر المرء في مدى خطورة [نيكسون] وقوة الاستقبال الذي لقيه خطابه الذي كان مليئاً بالثقوب، غير أنها قد أخفيت ببراعة». وأما نورمان ريدليتش، الذي صار فيما بعد عميداً لكلية الحقوق في جامعة نيويورك، فقد رأى في الخطاب أنه «كُتَيّب للمهرجين الغوغائيين» يقوم على مفاهيم وضيعة. فكتب في مجلة نيشن: «قبل كل شيء، لا تناقش الشيء الذي دعيت لتقدم حساباً عنه للشعب الأمريكي... ولا تُثِر مسألة ما إذا كان صحيحاً، ومن الحق أن تأخذ أموالاً من أناس لهم مصلحة في التصويت لك. اخلق مقاييسك الأخلاقية الخاصة بك، ثم الفت النظر إلى مدى تصلبك في الالتزام بها... وإذا كان الناس بلهاء إلى الحد الذي تتصوره، فإنك قد تصبح ذات يوم رئيساً للولايات المتحدة».

وكانت إحدى تشنيعات نيكسون الساخرة من الرئيس المنتهية ولايته، هاري ترومان خطيئة لم يسامحه عليها أحد. ففي آركنساس، قبيل موعد الانتخابات، كان نيكسون قد ضم ثلاثة أشخاص معاً هم، الرئيس ترومان وآدلاي ستيفنسون ووزير الخارجية دين آتشيسون وسماهم «خونة». وظل هناك خلاف حول ما قاله بالضبط. فأصرّ نيكسون على أنه قال إن الثلاثة خونة، ليس لبلدهم، بل «للمبادئ السامية التي يؤمن بها كثيرون من الديموقراطيين الأمريكيين»[4]. ومهما كانت الحقيقة، فإن لفظة «خونة» المنطوق بها في وقت

(4) حسبما جاء في برقية لوكالة آسوشييتد بريس في تشرين الأول / أكتوبر 1952، فإن نيكسون قد =

كان يشهد جيشاناً حول الولاء للوطن، هي التي ظلّت تعتمل آثارها في نفس ترومان. يضاف إلى ذلك أن نيكسون قد تجرأ في خطاب آخر على تسميته «واحداً من أولئك المحتالين»، ثم حاول التراجع عن هذه التسمية كما تراجع عن كلمة «خونة». وقد أخبر ترومان كاتب سيرة حياته بأنه نادراً ما حمل حقداً شخصياً، ولكن نيكسون كان واحداً من الشخصين الاثنين فقط اللذين لا يطيقهما[5]: «إنك لا تستطيع أن تنسى أشياء من هذا القبيل. . . ونيكسون كاذب متقلب لعين، والناس يعرفون هذا عنه». ولم يكن ترومان متأكداً أبداً مما إذا كان نيكسون قد قرأ الدستور. غير أنه أضاف: «ولكنني أقول لك إنه إذا كان قد قرأه، فإنه لم يفهمه»[6].

= ذكر بالفعل أن ترومان، وآتشيسون وستيفنسون هم «خونة للمبادئ العليا التي يؤمن بها كثير من الديمقراطيين الأمريكيين». وزعم أن لديه شريطاً مسجلاً يؤكد ذلك. رغم أن المؤلف لم يستطع أن يهتدي إلى مكان وجود مثل هذا الدليل. وقد أكدت ميرل ميللر، كاتبة سيرة حياة ترومان أنه في غياب مثل هذا الدليل الاليكتروني تبقى أقوال نيكسون في الحقيقة غير مؤكدة، تماماً مثل كلمات جوزيف مكارثي الدقيقة في شهر شباط / فبراير 1950، عندما ادعى أن الشيوعيين قد اخترقوا وزارة الخارجية الأمريكية. وكتبت ميللر تقول: «إن هذا لا يهم في الحقيقة، فكلمة «خونة» كانت هي الشائعة الاستعمال آنذاك». ـ ولم يغفر ترومان لنيكسون أبداً استعماله لتلك الكلمة. (ميللر في كتابها: **حديث صريح**، مصدر سبق ذكره، ص 179 في الحاشية؛ **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 112).

(5) إن الرجل الآخر الذي قال ترومان إنه لا يطيقه هو حاكم ولاية ميزوري، لويد ستارك، الذي تزلف إليه متملّقاً للحصول على دعمه ثم انقلب عليه أثناء حملة انتخابات مجلس الشيوخ (ميللر: **حديث صريح**، مصدر سبق ذكره، ص 178).

(6) رفض ترومان حتى دخول مجلس الشيوخ أثناء حضور نيكسون. وكان مستمراً في الهجوم عليه في خطبه بعنف في سنة 1960. وخلف الكواليس في مسرح شوبرت بنيويورك، في عيد الميلاد سنة 1963، اتخذ نيكسون طريقه إلى ترومان وصافحه. فقبل ترومان تلك الإشارة، ولكنه قال: «إلى الجحيم بهذا الأمر» عندما طالبه أحد الصحافيين بتكرار المحاولة؛ بيد أنه سمح لنيكسون بأن يحضر له مشروباً في عشاء في غريدنديرون بواشنطن بعد ذلك ببضعة أشهر. وفي سنة 1969، عندما كان ترومان في الرابعة والثمانين، وكان نيكسون رئيساً، جاء نيكسون إلى مكتبة ترومان في ميزوري ليقدم للرئيس الأسبق البيانو الذي كان سلفه يستعمله ذات مرة في البيت الأبيض. ثم جلس إلى البيانو وعزف عليه «فالس ميزوري»، ولعله لم يكن يعي أن ترومان يكره ذلك اللحن. وعندما انتهى نيكسون من العزف، استدار ترومان إلى زوجته وهمس لها بصوت مرتفع بلهجة مسرحية: «ماذا كان ذلك العزف؟» (رفض ترومان دخول مجلس الشيوح: وكالة يونايتد بريس إنترناشنال، 28 تشرين الأول / أكتوبر 1958؛ وسنة 1960: صحيفة **هيوستن بوست**، عدد 11 تشرين الأول / أكتوبر 1960؛ المصافحة: **نيوزويك**، 6 كانون =

وعندما صار نيكسون نائباً للرئيس، راح كثير من الأمريكيين ينظرون إليه باحتقار. فقد نفروا منه لأنه قد وَقَرَ في أذهانهم، أنه يمثل في السياسة شيئاً بغيضاً وغير نظيف. وقد كتب الناقد المسرحيّ فرانك ريتش في **النيويورك تايمز** في سنة 1994: «مثل عدد غير قليل من أبناء جيلي الأمريكيين، لقد تعلمت أن أحتقر ريتشارد نيكسون في نحو الوقت نفسه الذي تعلمت فيه أن أردّد قسم الولاء». وكان ريتش عندئذ في منتصف الأربعينيّات من عمره.

وكالمعتاد، رفض نيكسون التهم الموجهة إليه سنة 1952، باعتبارها تلطيخات خبيثة. وكتب بعد ذلك بسنوات: «كانت غريزتي تدفعني إلى المقاومة. وسرعان ما رحت أشعر بتشابه، مع وصف تيدي روزفلت للرجل الواقف في الحلبة، (وقد تلطخ وجهه بالتراب والعرق والدم)». وقد استخدم هذا الاقتباس كثيراً أثناء حياته العملية، وكان يحب تصوير نفسه على أنه المصارع المحصور تحت الضغط، يقاتل ضد أخطار وتحديات ثقيلة[7].

ولكن، في ذروة متاعبه أثناء حملة سنة 1952، وفي غرفة في فندق باركلي بنيويورك، كان نيكسون يبدو كئيباً ـ بل مصاباً بجنون الارتياب ـ أكثر من

= الثاني / يناير 1964؛ وأسوشيتيد بريس، صورة فوتوغرافية في كانون الأول / ديسمبر 1963؛ المشروب: **كنساس سيتي تايمز**، عدد 28 نيسان / إبريل 1964؛ وروبرت فيريل في كتابه **هاري س. ترومان**، كولومبيا، مونتانا: مطبعة جامعة ميزوري، 1994، ص 392؛ والفالس: المصدر السابق نفسه، وميللر: **حديث صريح**، مصدر سبق ذكره، ص 358).

(7) كان الصراع في «الحلبة» صورة ظل نيكسون يستخدمها سراً وعلانية على امتداد فترة طويلة من الزمن: في حوار في الهزيع الأخير من الليل مع لين غارمنت؛ وفي عشاء في البيت الأبيض على شرف مامي آيزنهاور، وفي خطابه في البيت الأبيض مودعاً عشية استقالته من منصب الرئيس. وقد استقى من أقوال ثيودور روزفلت اقتباساً مطولاً في صفحة الواجهة من كتابه المعنون: **في الحلبة**، المنشور في سنة 1990. (غارمنت، مصدر سبق ذكره، ص 85؛ وملاحظات في حفل عشاء لتكريم مامي داوْد آيزنهاور في عيد ميلادها الخامس والسبعين، في 27 أيلول / سبتمبر، 1971، مقتبسة في كتاب **الأوراق العامة للرؤساء**، طبع سنة 1971، في واشنطن ـ مقاطعة كولومبيا، مكتب مطبعة حكومة الولايات المتحدة، 1973؛ **ومذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 1076، 1089؛ نيكسون، **الحلبة**، مصدر سبق ذكره، وانظر سافاير، مصدر سبق ذكره، ص 364).

كونه شجاعاً أو مصارعاً. فقال لمساعده روبرت ستريبلنغ، الذي عمل معه على الإيقاع بآلجرهيس: «يا ستريب إن أبناء العاهرات أولئك مصمّمون على النيل منّي. . . لقد حاولوا الإيقاع بي، وسيحاولون الإيقاع بكل من كانت له يد في قضية هيسْ». ومن وراء الخطابة الصارخة، لم يكن نيكسون جيد الصمود تحت الضغط.

وقالت بات لإحدى المجلات في خريف تلك السنة: «كلما زادت سخونة القتال السياسي، زادت برودة نيكسون كما يبدو. . . إن دِكْ نادراً ما يفقد هدوء طبعه». والحقيقة أن العكس كان هو الصحيح. فقد اعترف نيكسون بتطاير غضبه كالشرر المفاجئ، قائلاً إنه ورث ذلك عن أبيه، وأطلق عليه اسم انفجار طبعه، بينما كان مساعدوه يتذكرون انفجار طبع إرلندي ـ أسود في أعقاب كل أزمة.

وكان المساعدون هم الذين يتحملون وطأة مثل هذه الانفجارات. وقد ظل كلٌّ من هيرب كلاين وبات هيلينغز، زمناً طويلاً يتذكران ليلة عيد جميع القديسين، عشية 31 تشرين الأول / أكتوبر سنة 1952، عندما شاهدا ما وصفه كلاين بأنه «عرض كامل لانفلات غضبه السريع».

وفي إحدى المناسبات في هوليوود، لاحظ نيكسون أن المدرج كان نصف ممتلئ فقط. كان هناك نجوم كبار مثل جون واين وجين راسل، ولكن مئات المقاعد ظلت خالية. وعند العودة إلى الفندق انفجر نيكسون: «لعنة الله عليكم! لعنة الله عليكم! كيف تحرجونني هكذا بحق الجحيم؟» وراح يصرخ على هيلينغز: «إن من الممكن أن تخسرونا الانتخابات بهذه الطريقة، عليكم اللعنة!» وكان موراي تشوتينر حاضراً. وقد رأى مثل هذه الانفجارات من قبل؛ وكان سلوك نيكسون هو سلوكه نفسه بعد خطاب تشيكرز. وقد بدا لكلاين «غاضباً كأي رجل شاهدته طيلة حياتي». وظهر بالنسبة لهيلينغز أنه قريب من العنف إلى حد مخيف.

وكان نيكسون يقول إن على القائد، «التزاماً بأن لا يفقد السيطرة على طبعه في مكان عام»، فكان غضبه في العادة ينفجر خلف أبواب مغلقة. غير أنه بعد تجمع في جنوب كاليفورنيا، تعرف على امرأة من نشطاء الحزب الديمقراطي، ظلت تلاحقه بمضايقاتها طويلاً، فيقال إنه مشى إليها وصفعها على وجهها[8]. ولم تصل هذه الواقعة إلى الصحافة، وسارع مساعدوه المذعورين إلى إبعاده عن المكان.

ولقد كان أتباع نيكسون في حملة سنة 1952، يلجأون إلى العنف أحياناً بالفعل. ففي أوريغون اندلع شجار عندما ابتعد قطاره مباشرة، في أعقاب خطاب غاضب في وجه تجمهر شعبي كان يتهم نيكسون بالفساد. وقد استذكر تشارلس بورتر، الذي صار فيما بعد عضواً ديموقراطياً في الكونغرس: «اندفع الجمهور كموج صاخب يلوح بقبضات الأيدي، لقد كنت ساخطاً لأنه كان لنا الحق في التواجد هناك لنعبّر عن رأينا. فكان هذا ما صنعه نيكسون».

وقبل الانتخابات بيومين، في لونغ بيتش، هدّد نيكسون منتقديه الصارخين بالسجن. وقيل إن «عصابة من الأجلاف الغلاظ» في موكبه، انهالت بالضرب المبرح على أشخاص تحدوه ورفعوا شعارات معادية له. فكتبت الصحافة عن «أساليب فظة» استخدمتها «عصابة من ثمانية أشخاص قساة ذوي

---

(8) كانت النشيطة زيتا ريملي عدوة دائمة لنيكسون منذ سنة 1946، وقيل بأنها قد علمت بجملة مكالمات هاتفية من مجهولين لمصلحة نيكسون أثناء انتخابات الكونغرس. وفي سنة 1952 راحت تمطر بمعلوماتها كاتبَ العمود الصحافي درو بيرسون، فكان من بينها الادعاء أن نيكسون قدم بيانات مزورة ليحصل على استثناء ضريبي مخصص للمحاربين القدماء. فنشر بيرسون القصة، ولكنه نشر تراجعاً عنها عندما اتضح له أن الذي قدم البيانات المذكورة كان ريتشارد نيكسون آخر، ومن غرائب الصدف أن اسم زوجته كان بات أيضاً. وقد ظل غضب نيكسون مشتعلاً بحيث ذكر تلك القصة في مذكراته سنة 1978. أما ريملي فقد ظلت من جهتها تروي القصة في سنة 1980. وقالت إنها قد جاءتها في سياق عملها كنائبة للمقوّم أو المخمّن في مقاطعة لوس آنجيلوس (المكالمات من مجهولين: الفصل الخامس، الحاشية الأولى أعلاه، المعلومات: رسالة من ريملي إلى درو بيرسون في 7 تشرين الأول / أكتوبر 1952، في الحقل رقم G 281, DPP؛ الاستثناء الضريبي: **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 109، وكتاب فون برودي عن نيكسون، ص 236؛ ومقابلة مع زيتا ريملي، أجرتها فون برودي، أوراق فون برودي).

عضلات» كانت تتنقل مع المرشح. وشكا المسؤول الديموقراطي ريتشارد روغان من وقوع حوادث في ثلاث مدن: فقد تعرض للضرب بالأيدي سائق لستيفنسون في بوربانك. وتلقى حامل إحدى اللافتات أذىً جسيماً في غليندايل. وتعرض للرفس واللكمات رجلٌ كان يوزع منشورات في باسادينا.

ولأسباب واضحة كان من النادر أن يمكن ربط نيكسون بأساليب العنف وَكَيّ الأذرع التي اتبعها مؤيدوه. ولكنه عندما كان يفقد رباطة جأشه علانية كان تورطه كثيراً ما يظهر واضحاً للعيان. فقد خاطب أحد مضايقيه صارخاً: «عندما يتم انتخابنا، فسوف نعتني جيداً بأمثالك!» ثم أصدر أمره قائلاً: «حسناً، أيها الأولاد، ألقوا به خارجاً!».

وبعد ذلك بعدة سنوات، عندما كان نائباً للرئيس وقع حادث مماثل. وعندما صرخ أحد مضايقيه: «أخبرنا بقصة الكلب، يا دِكْ!» طوقه أعضاء معروفون من حزب نيكسون. وعندما رفع صوته مرة أخرى واقترب من المنصة، صار وجه نيكسون «أبيض شاحباً من الغضب» وطلب من الشرطة والمحققين السرّيّن أن يعتقلوا ذلك المشاغب، جيمس هيفي، وراح يقرّعه بخطابٍ توبيخي رنان أمام الجمهور عشر دقائق. ثم عاد ثانيةً فأصدر أمره، وقيل بل صرخ: «ألقوا به خارجاً!» فأقام هيفي بعد ذلك دعوى مدنية مدعياً أنه تعرض للإهانة العلنية، والضرب المبرح، ورضوض في ذراعيه وبدنه(9). ومثل هذه الوقائع لم تحظ بأي اهتمام وطني عام، مثلها مثل وقائع عنيفة أخرى حدثت فيما بعد.

وكان الغضب والميل إلى العنف أحياناً يتراوحان مع نوبات اكتئاب وبكاء. فالأيام السبعة الجيدة التوثيق عن أزمة الصندوق السري والأموال الانتخابية أظهرت ملامح حالات من العواطف المتأرجحة. ففي اليوم الأول،

(9) لا يعرف المؤلف حصيلة الدعوى.

عندما شاهد عناوين الصحف للمرة الأولى وهو على متن قطار الحملة، انهار في كرسيه مهدود القوى جسدياً إلى درجة اضطرار بعض مؤيديه لمساعدته في العودة إلى مخدعه ليختلي بنفسه، وقال أحد مرافقيه «إنه كاد يحتاج إلى عناية مشدّدة، وكاد الناس يضطرون إلى إبعاده عن القطار». وفي الساعات المبكرة من اليوم الثالث، كان يشعر، حسب وصفه بنفسه «بوطأة الإرهاق والاكتئاب كاملة». وبعد ذلك بساعات بدا عليه أنه «مهزوز تماماً، وقانط وجزع. . . منفعل، ونزقٍ سريع الغضب». وفي اليوم الرابع كان واهن العزيمة، مغتماً، «ومستعداً للتخلي عن كل شيء». وظهر لصديقه منذ زمن طويل، جاك دراون «وقد تعرض لهرم عمر بأكمله». وظن مدراء حملته «أن من المتصوَّر أنه يوشك على الانفجار».

وفي وقت متأخر من اليوم نفسه وصلته برقية من هنّا نيكسون تقول: «ليكن عندك إيمان: (أمك)» فراح ينتحب علناً. وقد استذكر باتريك هيلينغز: «عندما جئته بتلك الورقة الصفراء، انهار وأخذ يبكي. فظننت أن من الأفضل أن أترك الغرفة وأعطيه فرصة ليتمالك نفسه. . . وعندما فتحت الباب ثانية كان دِكْ جالساً على مقعد جلدي ضخم، وقد فرد ذراعيه، وذراعاه تتدليان بتلك الطريقة التي تميزه. . . فعرفت أنني في حضرة اليأس الكلّيّ».

ومنذ ذلك الحين استسلم نيكسون للدموع: دموع بعد خطاب تشيكرز، ودموع على متن طائرته أمام مراسلي الصحف المُحْرَجين، عندما جاءه آيزنهاور ليقول له: «أنت ولدي» والدموع العلنية المشهورة على كتف السناتور وليام نولاند، بعد ذلك بساعة أو نحوها. وقال تشوتينر فيما بعد إنه كان «بصراحة قلقاً على حالة دِكْ العقلية أكثر من القلق على الحزب. وعندما كان نيكسون يستعد للطيران إلى لوس آنجيلوس لإلقاء خطاب تشيكرز، بذل محاولات هائجة مسعورة للاتصال هاتفياً بالدكتور هتشنيكر[10].

(10) كان نيكسون في سنة 1952 كثيراً ما يلجأ إلى ويتاكر تشيمبرز للحصول على دعمه ومشورته، =

وكانت بات داعمة لزوجها طيلة الحملة رغم هواجسها، فأدت دور الزوجة المصلحة كما كان الجمهور يتوقعه منها في الخمسينيات. فكانت تثرثر مطيعةً عن الحياة المنزلية، وعن خزانة ملابسه وملابسها، وعن دروس الخياطة التي تتلقاها، وزياراتها لحدائق الحيوانات، والنزهات العائلية أيام الأحد في الطابق الذي يقع فيه مكتب زوجها. وأما دورها في حملاته فقالت عنه: «أطوف معه وأتحدث إلى النساء» وزعمت أنها «تحب ذلك العمل حباً حقيقياً»، وأن مستقبلاً في السياسة «يثيرها بشكل كبير».

وحسب رواية نيكسون، فإنه عندما وقعت أزمة الصندوق، كانت هي التي حثّته على عدم الاستقالة، وعلى الاستمرار في الكفاح والمعركة وقبل الخطاب تماماً، عندما شعر بأنه لن يستطيع تنفيذه، كانت هي التي أصرّت عليه: «بل تستطيع طبعاً»، ثم قادته إلى المذياع، وهي التي قالت له بعد ذلك إن خطابه كان «عظيماً». غير أنه عندما انتهى كل شيء، بعد اجتماع المصالحة مع آيزنهاور، عادت بالسيارة إلى الفندق مع زوجها في صمت مطبق.

ولم ينجم عن الأزمة إلاّ زيادة هواجس بات وشكوكها، فانتحبت: «لماذا؟ لماذا يتعين علينا أن نظل نتحمل هذا كله؟» وكانت زوجة جاك دراون، التي راحت تواسيها تظن أنها كانت تبدو «كقطة صغيرة مليئة بالجراح والرضوض». وبعد ذلك بثلاثين سنة، عندما طلبت منها ابنتها جولي أن تناقش موضوع الصندوق السري، أدارت وجهها إلى الجدار دقائق طويلة قبل أن تجيب. واستذكرت جولي: «لقد كان في عينيها ألم شديد إلى درجة أنني لم أطق النظر إليها».

= وكان أفضل شهوده في قضية هيس. ولقد كان ذلك اختياراً غريباً، إذا أُخِذ في الحسبان أن تشمبرز كان مشهوراً عنه أنه شخصية غير مستقرة. (دي توليدانو كمحرر لكتاب: **ملاحظات من تحت الأرض**، مصدر سبق ذكره، ص 87؛ **ومذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 102؛ شخصية غير مستقرة: أنظر فينشتاين، كتاب: **شهادة الزور**، مصدر سبق ذكره. وراجع بشكل خاص: الميول الانتحارية).

وكتب نيكسون في السبعينيات: «لقد عرفت كم آلمتها تلك القصة ومدى عمق الجرح الذي أصاب كبرياءها وعزة نفسها. وعرفت أنها منذ ذلك الوقت، رغم أنها عملت كل ما في وسعها لمساعدتي ومساعدة حياتي العملية، فقد كرهت السياسة وراحت تحلم باليوم الذي أتركها فيه وراء ظهري...».

ثم كانت هناك أمه. فقد لعبت هنّا نيكسون دوراً غير عادي في أزمة الصندوق، دوراً كان من المؤكد أن معظم الأبناء البالغين سيعتبرونه تدخلاً فظيعاً. كانت في واشنطن تجلس في البيت مع الطفلتين اللتين كانتا في السادسة والرابعة من عمريهما، عندما انفجرت القصة في الصحف. فتضاءل زوجها فرانك، كولدها، منغمساً في نوبات بكاء. فبدأت هنّا سلسلة مكالمات هاتفية مع بات، وبرقية إلى ولدها، ثم ألّفت برقية أخرى إلى الجنرال آيزنهاور نفسه، وكان نصّها:

> إنني واثقة أن الحقيقة المطلقة ستظهر في ما يتعلق بهذا الهجوم على ريتشارد. وعندئذٍ فإنني متأكدة أنك ستنقاد إلى الحق في قرارك لوضع ثقتك المطلقة بنزاهته وأمانته. أطيب التمنيات من واحدة عرفت ريتشارد أكثر من أي شخص آخر.
>
> أمّه: هنّا نيكسون

وقد قرأ آيزنهار البرقية على الملأ علناً، وبصوت عالٍ ليلةَ رَحَّبَ بعودة نيكسون إلى الحظيرة.

وبعد ذلك بأربعة أشهر، في 19 كانون الثاني / يناير 1953، بينما كانت أسرة نيكسون مجتمعة على عشاء خاص عشية افتتاح عهد الحكم، أخذته أمه جانباً وأعطته قطعة ورق صغيرة تحمل الرسالة التالية:

إلى ريتشارد
لقد قطعت شوطاً بعيداً
ونحن فخورون بك دائماً ـ
أعرف أنك ستحافظ
على علاقتك بخالقك كما ينبغي أن تكون
لأن ذلك ـ رغم كل شيء ـ هو
كما تعلم، أهم شيء في هذه الحياة.
مع حبّ أمك

فكتب نيكسون عن هذه المذكرة: «وضعتها في محفظتي، ولا أزال أحملها منذ ذلك الحين. وسرعان ما انضمت إليها مذكرة أخرى مختصرة إلى نفسه كتبها بناءً على طلب بات. وفيها وعد بأن يتقاعد من العمل السياسي، عند نهاية فترة حكمه الأولى كنائب للرئيس في سنة 1956. وقد كتب التأكيد بخط يده. وكأنما ليطمئنها بأنه لن يخلف وعده. و«لكن» ـ كما كتبت بات بعد سنين «الأشياء اتخذت في مسارها منعطفاً آخر».

واستخدم نيكسون إنجيلاً عائلياً قديماً متوارثاً، جاءت به أمه عند افتتاح عهده بِقَسَم اليمين كنائب للرئيس. وباعتباره من طائفة المرتعدين، فقد كان له الحق في أن يستبدل بكلمة «أقسم» كلمة «أؤكد» ـ إذ إن طائفة المرتعدين لديهم اعتراض على حلف أي يمين ـ ولكنه اختار أن ينطق بالصيغة القياسية، وبحضور والديه في مكان قريب تلا اليمين: «أنا ريتشارد نيكسون، أقسم جادّاً بأنني سأدعم الدستور وأحافظ عليه...».

وقد استقرت يده على مقطع من موعظة الجبل: «طوبى لصانعي السلام؛ لأنهم أبناء الله يدعون»، وربما كان القصد منها، الموافقة على المبدأ التوجيهي لطائفة المرتعدين، مبدأ السلام في المركز. ومن المؤكد أن نيكسون قيض له في السنوات التالية، أن يؤكد أن أعمق رغبة في حياته كانت تحقيق السلام بين

الأمم. وفي السنوات الثمانية التي خدم فيها آيزنهاور كنائب للرئيس، قدر له أن يسافر عبر العالم أكثر ممّا فعل أي زعيم أمريكي آخر، فكدّس معرفة واسعة بالقضايا الدولية لا يعادله فيها أحدٌ في عصره.

وفي سن الأربعين، كان نيكسون أصغر نائب رئيس خلال مدة تقرب من قرن. وفي ذلك اليوم الذي افتتح فيه عهده في كانون الثاني / يناير، اعتقد رئيس الشرطة السرية المكلف بحمايته، أن النظرة التي ارتسمت على وجهه كانت تعبّر عن شعور غير سويّ بالقوة والأهمية.

ومع ذلك، وحتى في ذلك الوقت المبكر كانت هناك بعض النذر. فبعض الذين سيبرزون في عاره المخزي في المستقبل، كانوا قد عبروا من ممر طريقه. فقبل ذلك ببضعة أشهر، عندما وصل إلى الاستديو لإلقاء خطاب تشيكرز، كان من بين الجمهوريين الشباب الهاتفين له هـ. ر. هالدمان، الذي كان عندئذ في الخامسة والعشرين. وكان أبوه تاجر السيارات هنري هالدمان من المتبرعين للصندوق السري إيّاه. وفي أثناء الحملة كانت لدى مراهقة تدعى لوسي شتاينبرغ الجرأة، لطلب مقابلة معه عندما زار مدرستها الثانوية في فيرجينيا. وسوف تصبح معروفة أكثر تحت اسمها بعد الزواج: لوسيان غولدبرغ. ذلك أن ما تَكَشَّفَ عنه عملها كجاسوسة جنسية للبيت الأبيض، قد أعطاها دوراً صغيراً في مسرحية ووترغيت الأسطورية. وفي سنة 1998، في مهمة لا تختلف عن مهمتها الأصلية كثيراً، أدارت عملية فضح مُغامرات الرئيس كلينتون الجنسية مع مونيكا لوينسكي.

ولعل سنة 1952، أيضاً قد شهد التقاء نيكسون بلاعب من لاعبي ووترغيت أكثر أهمية بكثير، هو إدوارد هوارد هنت. وكان عندئذ ضابطاً شاباً في وكالة المخابرات المركزية، فجاء إلى مائدة نيكسون في مطعم هارفي بواشنطن، وناقش قضايا سياسية برهة قصيرة، وترك بطاقته بعد أن كتب على قفاها بسرعةٍ العبارةَ التاليةَ بخطّه، قبل نحو عشرين سنة من الوقت الذي قيض

له فيه أن يقود الغارة على مقر قيادة الحزب الديموقراطي في بناية ووترغيت: «أنا وزوجتي نريد أن نشكرك على العمل الرائع الذي تقوم به من أجل بلدنا»(*)(11).

وفي وظيفته كنائب للرئيس، ترأس نيكسون رسمياً حفلة حلف اليمين للسناتور الأمريكي الجديد عن ولاية نورث كارولاينا، سام إيرفن. كان ذلك هو الرجل الذي وصفه الرئيس نيكسون، بصوته المسجل على أشرطة ووترغيت بأنه «كتلة غائط عتيقة»، وهو الرجل الذي كان رئيساً جليلاً مهيباً للجنة التحقيق في ووترغيت، التي عينها مجلس الشيوخ، فكسب عواطف الملايين وهو يترأس عملية الخراب الذي حاق بريتشارد نيكسون.

أمّا في مطلع الخمسينيات، فقد شعر إيرفن «بشيء من البرود» تجاه الشاب الذي ترأس حفلة اليمين بصورة رسمية. ذلك أنه لم يحبّ ما سمعه عن أساليبه الانتخابية.

(*) انظر صورتها على الصفحة التالية.

(11) لقد أشير في واحدة على الأقل من السير التي كتبت عن حياة نيكسون إلى أن هانت، الذي خدم في مكسيكو سيتي من نحو سنة 1950 إلى سنة 1953، أعطى بطاقته لنيكسون عندما زار المكسيك في أواخر سنة 1952، عندما كان نائباً للرئيس. وهناك نسخ من البطاقة عليها ملاحظة مكتوبة بخط اليد تقول: «ريتشارد نيكسون: لقاء في المكسيك، 1952؟» وهي موجودة في ملفات الزيارة المكسيكية ومراسلات هوارد هانت في أوراق نائب الرئيس في أرشيف المحفوظات الوطنية. غير أن هانت قال في مقابلة لأغراض هذا الكتاب إنه كان قد أوصل تلك البطاقة إلى نيكسون في وقت أبكر من ذلك نسبياً: عند اللقاء به في مطعم هارفي. (رحلة المكسيك وملف مراسلات هانت: أوراق نيابة رئاسة الجمهورية في المحفوظات الوطنية؛ ومقابلة مع هوارد هانت، وكتاب هانت المعنون من **تحت الستار**، مصدر سبق ذكره، ص 127، وانظر روجر موريس، ص 865).

S ok MB

E. Howard Hunt, Jr.

Attaché

Embassy of the United States of America

Mexico City.

(over)

My wife and I want to thank you for the magnificent job you're doing for our country.

Howard Hunt



14

وسيم وكريم، وسيم وكريم

مضبوط التوقيت دائماً، ومحب وطيب:

ويقوم بواجبه، وفيه دعابة ومزاح

بحيث يجعل النّهار يبدو مشمساً، ويساعد الآخرين على العيش،

وهو مستعد لتقديم حياته لوطنه الحبيب ذلك هو أبي

قصيدة جولي نيكسون لأبيها، كتبتها سنة 1956،

عندما كانت في الثامنة، وكان نائباً للرئيس

ذات مساء، في سنة 1954، بعد كؤوس المارتيني وشرائح اللحم في مطعم الدوق زيبرت بواشنطن، غاص نيكسون وسط صفحة المقعد الوثير المعطم بالذهب في «لِيمُوزِينِهِ» الرسمية، فقال وهو يربّت على التنجيد ويتحدث بلهجة مَنْ أخذ منه التعب والسأم: «هذا هو الشيء الوحيد الذي أحبه في هذه الوظيفة اللعينة. وفيما عدا هذا، يستطيعون أن يأخذوها... فلا حاجة لي بها...».

بعد ثمانية عشر شهراً من ولايته، تحول شعوره غير السوي بالعظمة وبأهمية منصبه كنائب للرئيس إلى جزع قانط كئيب. وكان مرافقه في الليموزين في تلك الليلة هو جيمس باسيت، الصحافي السياسي المعار من **لوس آنجيلوس ميرور**، الذي قدر له أن يدير علاقاته الصحافية وجدولة مواعيده على مدى سنوات لاحقة. وكان باسيت، البحار القديم الذي يرتدي نظارة، أكبر من نيكسون بثلاثة أشهر فقط، وقد خدم كمستشار، ومُرَجِّع للأصداء السياسية،

ونديم على الشراب. وتقدم رسائله إلى زوجته وِيلْما في موطنه لمحات حميمة نادرة من حياة نيكسون الخاصة.

وعندما التقى باسيت نيكسون لأول مرة، قبل ذلك بست سنوات فقد ظنه «متوتراً بهدوء» ولكنه دمث، فاستخدم الفرق الضئيل بين عمريهما على سبيل التنكيت، ليدعو نيكسون «يا بُنيّ» ولكنه راح يتأمل الآن [في سنة 1954] في أنه لا يكاد يعرفه. فكتب إلى زوجته أن نيكسون صار «أكبر رجل شاب رأيته في حياتي. . . وأحياناً أشعر بأنني طفل لعين عندما أكون إلى جانبه».

وكان نيكسون يفضل أن يقوم بعمله الحقيقي، لا في مقر قيادته الباذخ الاحتفالي، أو جناحه الوظيفي في مجمع مجلس الشيوخ، بل في الغرفة رقم P 55 - في مبنى الكابيتول، التي لم يكن يعرف كيفية العثور عليها إلاّ قليلون. وبينما كان باسيت يحترم «مَلَكَة تمييزه وقدرته»، فقد كان يرى أنه قد أصبح أكثر توتراً من ذي قبل. «إن الرجل لا يستريح ولا يسترخي قَطّ ـ أعتقد أنه يتلقى السياسة عبر مساماته، كما تتلقى أوراق الشجر اليخضور».

وقال نيكسون لباسيت إنه واحد من الساسة الذين يملكون «ماء الثلج في عروقهم»، ولكنه كان يُظْهِرُ أحياناً «مسحةً عاطفيةً لا شعورية». وقد كتب باسيت: «التقيت به للغداء في مكانٍ ما في الجزء العلوي من مدينة واشنطن، وكان يحمل معه رزمة ملفوفة بالورق بطريقة خرقاء غير بارعة، فأوضح لي «إنها دمية»، رغم أنني لم أكن قد سألته. وعندئذٍ سألته: (أهي لجولي أم لتريشيا؟) فعبس وقال: «كلاّ، بل هي لطفلة صغيرة كسيحة، حدث أن قرأتُ عنها في الصحيفة هذا الصباح، وهي في مستشفى خيري. قالت الصحيفة إنها تريد دمية. وهكذا فإنني سآخذ هذه الدمية إليها بعد أن ننتهي من وجبتنا».

وبما أن باسيت كان دائماً رجلَ علاقات عامة، فقد اعتقد أن الهدية ستبدو جيدة في الصحافة. ولكن نيكسون رفض ذلك تماماً، فهدّد باسيت: «إذا سرّبت أي شيء من هذا للصحف، فسوف أقطع خصيتيك».

وكان نيكسون يبدو لباسيت شخصاً وحيداً، مع ميل إلى «التراجع أعمق فأعمق إلى داخل قوقعته، التي تكاد تكون صوفية»، فنادراً ما كان يذهب إلى بيته في المساء. وبما أن باسيت كان يعيش في واشنطن، بعيداً عن زوجته وعائلته، فقد كان نيكسون يتصل به بشكل ارتجالي في التوّ واللحظة ليدعوه إلى العشاء. وفي مثل تلك اللحظات المتصلة بحالات «مزاجه المستوحش المتوحد»، كان نيكسون يتخلى عن شيء من تجهمه الكالح، وتزمته الصقيعي وينادم باسيت على الشراب.

وتثبت رواية باسيت أن كتابات نيكسون عن الشراب في السنوات اللاحقة، والتي تحمل مسحة من التقوى، ومزاعم الموالين له بأنه لم يكن يشرب إلاّ نادراً كلها مليئة بالنفاق. فباسيت لم يكن غريباً عن الشراب الكحولي، فكان يستذكر لياليهما المخمورة: «طلبنا جولة جديدة من شراب جيبسون الجاف (نوع من المارتيني المتبّل بقطعة من البصل المخلّل) (وتمتم نيكسون عابساً بأن ذلك الطلب (غلطة عظمى)) ثم شربنا جولة ثانية. وبعد أن استرخى ر. ن. [ريتشارد نيكسون] بحماسة، فطلب جولة ثالثة بنشاط، وبدا أن مخاوفه القاتمة قد فارقته. ثم تناولنا شراب بينو إنغلنوك المصنوع بكاليفورنيا، وتناولنا معه محاراً وسمكاً مخبوزاً من نوع البامبانو... ثم في كاديلاك ر. ن. الرائعة أخذنا جولة أدت بنا إلى مكان يدعى مارتينز في جورجتاون القديمة، وهو مقصف يشبه الصالون، فتلذّذنا بأكلةٍ من لحم البقر المطعّم بالحبوب، والملفوف، ومشروبات عظيمة من خمر مايكلوب... ثم تناولنا الويسكي الاسكتلندي. فشرب ر. ن. كأسين سريعتين بشكل ثقيل وفوري، مما رفع معنوياته وعدّل مزاجه الغريب».

وكان الشراب أحياناً من الملامح البارزة في يوم العمل. وهذا مقطع آخر مِنْ وَصْفِ باسيت: «وصلنا إلى الغداء في وقت أبكر من المعتاد، وبحثنا في مكتبه عن إبريق من الويسكي الاسكتلندي. فلم نجد سوى فصيلة من الجنود

الهالكين على شكل تماثيل. ثم وصل ر. ن. تتبعه روز وودز وهي محملة بصندوق صغير، تقبع فيه كل ضروريات جلسة سمر وانشراح محترمة في منتصف النهار».

في سنة 1952، وهي السنة التي كتبت فيه مجلة **تايم** أن نيكسون نادراً ما يتناول شراباً»، كان الساحر المالي للحزب الديموقراطي كارمين بيلّلينو قد زاره، فاستذكر: «في نحو الخامسة مساء، ذكر نيكسون أنها ساعة الكوكتيل، فسحب درج مكتبه واستخرج منه زجاجة ويسكي، ونادى رُوزْ وُوذْزْ كي تجلب ثلاثة كؤوس. وبعد أن صب الويسكي في الكؤوس قدم إلينا شراباً بلا ثلج...».

وفي الخمسينيات، تلقى نيكسون نصيحة من إلمر بوبست، القطب الثري المتاجر بالمواد الصيدلانية، بأن يضع زجاجة من الويسكي الاسكتلندي في حقيبته إذا أراد أن يتجنب فقدانها. وكتب يقول: «إن الويسكي، وربما الجنّ [شراب مسكر قوي] هما عاملان مساعدان في المزج بين الذاكرة الحافظة والحقائب». ويبدو أن نيكسون قد أحب شراب الجن؛ ويستذكر بوبست كيف أنهما تظاهرا ذات مرة بطلب شراب من المياه الغازية العادية، كي يتجنبا مضايقة رجل دين كان بصحبتهما، وكيف أن عامل المقصف الجيد التدريب كان يضيف الجنّ خلسةً إلى شرابهما.

وقد أمضى باسيت معظم وقته مع نيكسون في سنة 1954، حيث ظهر مقال مبنيّ على مقابلة مع نائب الرئيس جاء فيه، أنه «لا يشرب أبداً عندما يكون منهمكاً في معالجة مشكلة». غير أن روايات باسيت تؤكد أن نيكسون، مثل البشر العاديين الآخرين، كان يتعاطى الكحول بالضبط عند مواجهته لأي قضية صعبة.

وكان الشراب يؤثر عليه بسهولة، بل ازداد تأثيره بمرور الزمن. ويذكر

باسيت أنه أمضى معه «أغرب ساعتين مثيرتين للاهتمام» في أواخر الخمسينيات، عندما «راح يبوح بكل شيء بعد بضع كؤوس من الويسكي». وذكر باسيت، كما ذكر آخرون أنه «بعد كأسين من المارتيني كان ينطلق في الثرثرة. . . وبعد كأسين من الشراب يفقد الاتزان، وينتقل من موضوع إلى آخر بسرعة خيل السباق».

وكان نيكسون يتصرف أحياناً بطريقة محرجة أمام علية القوم دون أن يبالي. فيستذكر باتريك هيلينغز أمسية قضياها مع أسرة آيزنهاور، قبيل بدء ولايته كنائب للرئيس: «شرب نيكسون كأساً أو كأسين أكثر من اللازم. ولكن أثرها لم يظهر عليه في الحقيقة إلاَّ بعد النزول في المصعد. وعندئذٍ أذهل الجميع عندما قبّل الحائط وصرخ بأعلى صوته: «إنني أحب تلك المامي [إشارة إلى مامي ـ زوجة آيزنهاور]. . إنها لا تبالي بأي أحد ولو بمقدار بولة ـ ولا براز غائط!».

ربما يكون نيكسون قد أحب مامي فعلاً، ولكن علاقته مع آيك [آيزنهاور] ظلت غامضة مزدوجة.

في بداية إدارة آيزنهاور، أطلق بعضهم على نيكسون لقب «الولد الخادم لآيك». ولم تكن هذه التشنيعة مفاجئة لأن منصب نائب الرئيس في الولايات المتحدة كان من الناحية التقليدية اسماً طناناً، ولكن صاحبه بدون سلطة حقيقية. وكان آيزنهاور بحاجة إلى نيكسون لإبقاء اليمين في الحزب الجمهوري إلى جانبه. ولم يكن الجانب الأقل في مهمة نيكسون، هو المساعدة على احتواء الطائش الغريب الأطوار جو مكارثي. كما أن آيزنهاور، الذي كان عندئذ في الثالثة والستين، كان محتاجاً إلى شخص أصغر سناً ليحمل عبء شن الحملات الشاقة، والسفر إلى البلدان الأجنبية. فتولى نيكسون كل هذه المسؤوليات. وكانت رحلاته الطويلة إلى الخارج أساس خبرة اكتسبها في

السياسة الخارجية، فظلّت أكثر الجوانب إيجابية في تراثه كله. ولكن الشيء الذي لم يرغب به آيزنهاور، هو أن يلعب نيكسون الدور الذي تصورته له مجلة **لايف** في وقت مبكر، وهو دور «مساعد الرئيس».

وبينما ظلّ كل من الرجلين مهذباً تجاه الآخر في العلن، فإن آيزنهاور بذل كل ما يستطيع لإبقاء نيكسون على مبعدة. وقد استذكر ليندون جونسون، الذي كان قوة صاعدة في مجلس الشيوخ آنذاك، مدى غضب آيزنهاور عندما حاول نيكسون، بتحفظ وهدوء، أن يؤثر في السياسة. وحسب رواية جيمس رستون، الصحافي في **النيويورك تايمز**، فإن آيزنهاور «ببساطة، لا تهمه وجهة نظر نيكسون في الأشياء» لأنه، كما قيل، يعتبره «غير ناضج» وقد ظل آيزنهاور يصفه كذلك حتى في أواخر الستينيّات، عندما بلغ نيكسون الخمسين من عمره.

وكان بعضهم في البيت الأبيض يعتبرون نيكسون عبئاً أكثر مما هو رصيد. وكان هذا الازدراء متبادلاً. فعندما كان نيكسون يتعاطى الخمر سراً مع باسيت، كان يتحدث باحتقار عن «شاربي الشاي» المحيطين بالرئيس. فكان يستهزئ بمجلس الوزراء ويصفهم بأنهم «بلهاء». غير أنه عندما تحدث في التلفزيون ليساعد في إبعاد البيت الأبيض عن جو مكارثي، ابتسم لعدسة التصوير كما طلب منه آيزنهاور.

وقبيل ذلك الخطاب، عندما كان يعبّ كؤوس البوربون مع باسيت، أبدى ملاحظة تبدو لنا اليوم مليئة بسخرية القدر في أصدائها البعيدة الأثر. فقد استذكر باسيت أنه قال في اكتئاب أنه «يحبّ أن يدسّ سرّاً جهاز تسجيل في مكتب الرئيس، ليلتقط بعض تلك العبارات الحميمة الدافئة العفوية التي يطلقها الرجل الكبير من صميم قلبه، ثم يستمع إليها، ويطلقها للصحافة. . .». ومن الغرائب أنه قبل عشرين سنة من تركيب نيكسون لجهاز تسجيل سري في البيت الأبيض

أثناء رئاسته، كان آيزنهاور قد ركّب مثل هذا الجهاز في المكتب البيضاوي، يمكن تشغيله بكبسة زر خفيّ تحت طاولة مكتبه.

ولقد حثّ آيزنهاور كبار زملائه ـ بحضور نيكسون ـ على تسجيل مكالماتهم الهاتفية، قائلاً: «إنكم تعرفون، أيها الأولاد، أن ذلك شيء جيد، عندما تتحدثون مع شخص لا تثقون به، فليكن هناك تسجيل لذلك. فهناك أشخاص لا أثق بهم في واشنطن، وأريد أن أحمي نفسي، بحيث لا يستطيعون فيما بعد أن يرووا عني شيئاً غير ما قلته». وحسب رواية أحد كتاب سيرة حياة نيكسون، فإن آيزنهاور كان «بشكل يكاد يكون دائماً يشغّل آلة التسجيل عندما يتحدث مع نيكسون»[1].

وتظهر نسخة من أحد هذه التسجيلات، مدونة في حزيران / يونيو سنة 1954، توبيخ آيزنهاور لنائبه على خطاب هاجم فيه السياسة الخارجية للديموقراطيين. فقال الرئيس لنيكسون بصراحة قاسية إنه أخطأ فهم الحقائق، وأضرّ بمحاولات البيت الأبيض لبناء دعم لموقفه من الحزبين على حد سواء. وبعد أن وعد نيكسون رئيسَه بأن يكون أكثر حذراً وحرصاً في المستقبل، أصيب بحالة اكتئاب إلى درجة أن باسيت ظن أن معنوياته قد «تدنت إلى مستوى أكثر انخفاضاً من بطن حيّة». وفي المذكرات يوحي نيكسون بأنه كانت له علاقة زمالة مع آيزنهاور. غير أنه أخبر هالدمان سراً بأنه «التقى دوايت د. آيزنهاور على انفراد ست مرات فقط طيلة فترتي رئاسته...».

وفيما عدا القضايا السياسية، تعرض نيكسون لحالات عديدة من الإهانة وعمليات الإذلال الصغيرة. فقد كان آيزنهاور يحب الغولف، وكثيراً ما كان

(1) إن تسجيلات آيزنهاور في المكتب البيضاوي، وقد تمت على أشرطة ناقلة لما يملى عليها، ذات نوعية رديئة وكثيراً ما تكون غير مفهومة. ولم تذكر سوى محادثة مفهومة واحدة مع نيكسون، هي المشار إليها في النصّ. (آسوشييتيد بريس، 24 تشرين الأول / أكتوبر، 1979؛ وستيفن آمبروز: **تثقيفُ سياسيٍّ**، ص 334، الحاشية، ومراسلات ساندرا فلاشتاين مع دوايت ستاندبيرغ، مسؤول المحفوظات في مكتبة دوايت د. آيزنهاور الرئاسية، آب / أغسطس، 1999).

يمارس هذه اللعبة في نادي الشجرة المحروقة النخبوي المتميز في ريف ميريلاند. وكان نيكسون متفرجاً أكثر من كونه رياضياً. ولكنه قرر أن يمارس الغولف بقوة ونشاط. وقيل بأنه على الرغم من أنه كان يلعب بحماسة مسعورة، فقد كانت تنقصه المهارة أو اللمسة السحرية، بل قيل إنه كان يغش في اللعب أحياناً، بأن يرمي الكرة بعيداً عن الأماكن الوعرة، وفي الممرات السالكة.

وذات مرة، أثناء جولة مع باسيت، ذهب نيكسون إلى نادي الشجرة المحروقة بينما كان آيزنهاور يلعب. «فضرب نيكسون الكرة أولاً من على ركام الرمل، وكانت ضربة متذبذبة مرتعشة قذفت بالكرة إلى ما بين الأشجار. فأصاب ما مجموعه ستة أهداف. ثم جاء دور الآخرين، وفي ذلك الوقت كان آيك وفريقه يلاحقوننا بشكل قريب جداً، وبعد مناوشات خفيفة فاز الفريق الرئاسي. . . فتناولنا غداءنا على إحدى الموائد الجماعية الطويلة. . . وجلس الرئيس إلى المائدة المجاورة، وكان يبتسم، ويضحك، ويلقي بالنكت مع جماعته هو الأربعة».

واستذكر والتر طورهان: «اشتكى إليّ نيكسون من أن آيك لم يكن يلعب الغولف معه، أعتقد أنه لم يكن لاعباً جيداً. فقد كان آيك يلعب مع المحترفين»[2]. ولم توجه إليه دعوات للعب «البريدج» مع الرئيس، ولا لحضور الأمسيات الاجتماعية الساهرة في الجزء الخاص من البيت الأبيض[3]. وبعد مضي أربع سنوات على رئاسة آيزنهاور، وقف نيكسون يتفرج، بينما كان آيزنهاور يصطحب ضيوفه إلى الداخل في مزرعته في غيتيسبيرغ. فقال لأحد

(2) حسب رواية إيرل مازو، كان آيزنهاور يدعو نيكسون أحياناً إلى مضمار الغولف. ولكن كاتباً آخر هو فرانك هولمان، الذي كان يعرف نيكسون جيداً، يقول عكس ذلك، ويبدو أنهما كانا يمارسان اللعبة معاً في بعض الأحايين أثناء رئاسة آيزنهاور الثانية (مازو: مازو، مصدر سبق ذكره، ص 196؛ هولمان: سيفاريد كمحرر، مصدر سبق ذكره، ص 140، وانظر ستيفن آمبروز: **تثقيف سياسي**، ص 428).

(3) يشير نيكسون في مذكراته بالفعل إلى زيارته إلى مقر أسرة آيزنهاور في أوائل سنة 1956، ولكن يبدو أن زيارته تلك كانت بصفته فرداً في مجموعة (**مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 168).

مرافقيه بمرارة: «هل تعرف أنه لم يَدْعُنِي إلى ذلك البيت مطلقاً حتى الآن؟»[4].

وتحدث نيكسون إلى الدكتور هتشنيكر، الطبيب النفسي، عن سخطه. وحسب رواية الدكتور فإن «آيزنهاور كان دائماً يأمر نيكسون بتعديل ربطة عنقه، أو رفع كتفيه إلى الأعلى، أو أن ينطق، أو يقفل فمه».

وكان الكاتب المحافظ الميول رالف دي توليدانو، يعتقد أن آيزنهاور كان «سادياً تماماً» تجاه نيكسون، [السادي هو الذي يتلذّذ بتعذيب الآخرين وإذلالهم]. «كان يقاطع نيكسون في الحديث كي يستمتع بالمقاطعة فقط... فكان نيكسون يعود من البيت الأبيض، وهو على حافة الانفجار بالدموع، رغم أنه لم يكن يظهر عواطفه».

ولم يكن الرئيس وحده هو الذي يزدري نيكسون في ذلك الوقت. ففي ربيع سنة 1954، تلقى صدّاً من كلا المؤسستين التعليميتين، اللتين كان قد تفوق فيهما من قبل. ففي خطوة هي الأولى من نوعها على الإطلاق في تاريخ جامعة ديوك، رفضت الهيئة التدريسية اقتراحاً بمنحه درجة الدكتوراه الفخرية في القانون. وعندما دعا المسؤولون إلى اجتماع آخر على أمل قلب ذلك القرار، رفضت الهيئة التدريسية للمرة الثانية. وبعد ذلك بأسابيع، عندما ألقى نيكسون خطاب الافتتاح في كلية ويتيير، الكلية الأمّ التي تخرج منها، شكّل الطلبة صفين للاستقبال: أحدهما للطلبة الذين رفضوا مصافحته، والآخر للمستعدين لتحيته، فلم يكن في المجموعة الأخيرة إلاّ طالبان، وأعلنت أمّه أنها «تشعر بالألم».

وفي تلك الأثناء لم يصادقه في واشنطن إلاّ قليلون. وفي حفلة أقامها نيكسون، استذكرت مراسلة شبكة كولومبيا الإذاعية CBS، نانسي ديكرسون أنه

(4) حسب إحدى الروايات، فإن آيزنهاور قد شعر بسخط نيكسون. وبناء على مبادرة من زوجة آيزنهاور، تم ترتيب جولة روتينية لآل نيكسون في منزل آل آيزنهاور في غيتيسبرغ (كوستيللو، مصدر سبق ذكره، ص 230).

«كان مضيفاً غير مريح، يختفي من حين لآخر، ليعود ويحث ضيوفه على تناول مشروب آخر، في محاولة قوية مفتعلة لإظهار مودّته. فلم يكن ذور المضيف سهلاً عليه».

وقد وجدت باتريشيا آلسوب، الزوجة الإنكليزية لكاتب العمود الصحافي ستيوارت آلسوب، أن نيكسون وزوجته كانا «يابسين، عديمي الحيوية... يصعب على المرء كثيراً أن يحادثهما»، عندما دعتهما إلى إحدى أمسياتها الاحتفالية. «لم يرقص نيكسون سوى مرة واحدة، وكانت معي. فكان راقصاً فظيعاً. أما زوجته بات فلم ترقص أبداً. ولم يبقيا في الحفلة سوى نصف ساعة. فكأنه كان لدينا دميتان صغيرتان، أو كأنّ مُوَجِّهَ المدرسة قد ظهر فجأة ليباغت الراقصين. وتنفستُ الصعداء حين انصرف نيكسون».

أمّا زوجها ستيوارت آلسوب، فقد لاحظ أن نيكسون كان كثيراً ما يشعل في الناس شرارة كراهية تكاد تكون تحسسية، وقد شمل ذلك كثيراً من الجمهوريين. وقد لاحظ ذلك الصحافي أن أولئك الذين لم يعتقدوا أن نيكسون يستحق هالة، كانوا ينسبون إليه أظلافاً مشقوقةً وذيلاً؛ بل إن آلسوب قد نحت كلمة لوصف هذه الحالة قُدِّر لها أن تظل مزمنةً أربعين سنة، وهي كلمة «نيكسونوفوبيا» (الخوف من نيكسون).

وعند نهاية حملة انتخابات الكونغرس سنة 1954، كانت معنويات نيكسون قد وصلت إلى الحضيض. فقال بشكل سري في مجالسه الخاصة: «أنا مُتعَب، متعَب حتى العظام». وقال لتشوتينر: «إن قلبي ليس في هذا العمل. لقد انتهيت من السياسة» وأكد لزوجته بات أنه سيتقاعد بعد انتهاء ولايته كنائب للرئيس. وراهنه باسيت على عشرة دولارات أنه سيرشح نفسه لولاية ثانية فقبل الرهان. ثم جاءت الحادثة المفاجئة، غير المتوقعة، التي غيرت رأيه.

ذات مساء من أيلول / سبتمبر 1954، وكان قد عاد إلى بيته للتو من حفل زفاف بواشنطن، عندما علم بأنه قد يصبح رئيساً للولايات المتحدة في غضون

ساعات. ففي كولورادو البعيدة، وبعد يوم كامل من السفر، والعمل، وإدخال كرة الغولف في سبع وعشرين حفرة، أصيب آيزنهاور بنوبة قلبية. وعندما أُعْلِمَ نيكسون بالهاتف أجاب: «آه يا إلهي! ما مدى خطورة الحالة؟» ثم صمت طويلاً حتى ظن مساعده أن المكالمة الهاتفية قد انقطعت. وعندما تكلم في آخر الأمر، أشار إلى أن كثيرين قد شفوا تماماً من إصابات الوريد التاجي. ووافق على البقاء بجانب الهاتف لانتظار المزيد من الأخبار.

لقد كان الصعود إلى سدة الرئاسة دائماً، هو الهدف المنطقي لكفاح نيكسون. أما وقد داهمه هذا الاحتمال، وهو ما يزال في الثانية والأربعين، فقد صعقه الذهول. وقد استذكر فيما بعد: «جلستُ وحدي عشر دقائق كاملة. وحتى هذا اليوم لا أستطيع أن أتذكر الأفكار التي جالت في ذهني. ولعل الوصف الدقيق الوحيد هو أنني كنتُ في حالة صدمة مؤقتة... وأدركت مدى ضخامة المسؤولية التي هبطت عليّ. كانت كأنها وزن مادي عظيم، أبقاني مشدوداً إلى الأسفل على الكرسي».

وحسب روايته، فقد استعاد صوابه بسرعة، وواجه الأزمة. ولكن أصدقاءه اعتقدوا أن ردّ فعله كان أقل توازناً: «كان صوته أجشَّ ومشحوناً بالعاطفة، وظل يردّد مراراً: «إنه لأمر فظيع، إنه لأمر فظيع!»... كان يحاول الحفاظ على رباطة جأشه، ولكنه كان في شبه صدمة. كانت عيناه محمرّتين، ووجهه ذابلاً وشاحباً... وقد هَرِمَ كأنه كبر عدة سنوات أثناء تلك الأشهر الثلاثة، وذلك حسب تقديره هو، وتقدير الذين كان يعمل معهم كذلك».

وقد عوفي آيزنهاور بالطبع، ولكنه لم يعد إلى واشنطن إلاّ بعد شهرين تقريباً. وفي تلك الأثناء كان نيكسون يترأس، اجتماعات مجلس الوزراء ومجلس الأمن القومي.

وأكد رئيس أركان آيزنهاور، شيرمان آدامز أن نيكسون «كان يميل إلى الوراء ليتجنب مظهر من يتولى سلطة رئاسية». غير أن كاتب سيرة حياة جون

فوستر دالاس، من جهة أخرى، قد استنتج أن آدامز ووزير الخارجية قد كافحا «لإبقاء السيطرة في أيدٍ موثوقة، ولتجنب إعطاء سلطة سياسية لطموح كريتشارد نيكسون». وقيل بأن آدامز كان «يفعل كل ما يستطيع لتحجيم السيد نيكسون».

وقد حدثت لآيزنهاور أزمتان صحيتان أخريان خلال رئاسته، وهما عملية في أمعائه في السنة التالية، ونوبة قلبية صغرى أثرت في قدرته على النطق سنة 1957. وقد لاحظ المستشار الاقتصادي كلارنس راندال بعد اجتماع لمجلس الوزراء ترأسه نائب الرئيس، أثناء وجود آيزنهاور في المستشفى للمرة الثانية، أن نيكسون «لم يكن شديد الجودة في ترؤسه للاجتماع، بل لقد ترك المناقشة تفلت من كل سيطرة. . .» وكتب أحد المشاركين في الاجتماع نفسه ملاحظة مرّرها إلى زميل له قال فيها: «سوف أصلي لشفاء الرئيس أكثر من أي وقت مضى».

وقد لاحظ نيكسون أن الوضع الناجم عن إصابة آيزنهاور بالنوبة القلبية سنة 1955 هو الذي جعل نيكسون يتردّد في عزمه على ترك السياسة، فقد حسب أن آيزنهاور إذا لم يرشح لولاية ثانية، «فسوف أكون الشخص التالي للترشيح لمنصب الرئيس». وقد أرعب هذا الاحتمالُ أناساً كثيرين. وعندما سُئِلَ رئيس الحزب ليونارد هول، عما سيفعله الجمهوريون في حالة وفاة آيزنهاور، أجاب بنوع من الدعابة القاتمة: «سوف نرشحه على أية حال. فليس في الدستور ما ينصّ على أن الرئيس يجب أن يكون على قيد الحياة».

وبينما راح آيزنهاور الآخذ في التعافي، يفكر في ما إذا كان يتعين عليه أن يواجه حملة لإعادة انتخابه، تحدث طويلاً مع أمين سره الصحافي، جيمس هاغرتي عن خلفائه السياسيين. فكانت لديه قائمة من أربعة أشخاص اعتبرهم «مؤهلين عقلياً للرئاسة»، ولم يكن اسم نيكسون موجوداً في تلك القائمة القصيرة. وقال آيزنهاور لكاتب خطبه إيميت هيوز: «لقد راقبت دِكْ فترة

طويلة، وهو لم ينضج، وهكذا فإنني لم أستطع أن أقتنع **بأنه** من نسيج رئاسي».

وفي وقت لاحق، أثناء اجتماع التقيا فيه وجهاً لوجه، قال آيزنهاور لنيكسون إنه إذا رشح نفسه لولاية أخرى فإنه يعتقد أنه قد يكون من الأفضل لنيكسون أن يتولى منصباً وزارياً، بدلاً من أن يكون شريكاً له كنائب رئيس. وقد أصرّ كثيرون فيما بعد على أن آيزنهاور، لم يفعل أكثر من أن يعرض على نيكسون منصة صعود إلى السلطة السياسية، هي الأفضل له على المدى البعيد، غير أن آيزنهاور ربما كانت لديه، ببساطة، تفضيلات أخرى. وتعكس الملاحظاتُ المدونةُ عن اجتماع مع لين هول مناقشةً جرت حول «إخراج نيكسون من الصورة»، وانتهت بإصدار الرئيس تعليماته لهول أن يلتقي بنيكسون ولكن «كن لطيفاً معه جداً. . . جداً» والواقع، أن آيزنهاور ظل غير ملتزم بشيء على مدى عدة أشهر بعد ذلك.

ولقد وصف نيكسون والمقربون منه ردَّ فعله إزاء ازدواجية آيزنهاور، بأنه كان «عذاباً أليماً» و«ألماً مبرحاً لا يوصف»، و«واحداً من أعظم الآلام والكروب في حياته العملية كلها» و«ضراوة بالغة»، وقالت بات نيكسون إن هذا الأمر قد أصاب زوجها «بأكبر اكتئاب تذكرته عنه طيلة حياتها».

وقد برز سبب إضافي لتردّد آيزنهاور في ترشيح نيكسون إلى جانبه لولاية ثانية في اجتماع معه في نيسان / أبريل، عندما عالج نيكسون، حسبما تقول الملاحظات المعاصرة ما أسماه «قضية أخرى. . . حالة موراي تشوتينر». فقد برزت الارتباطات الإجرامية لشريك نيكسون هذا، للمرة الأولى قبل أربعة أيام من اقتراح آيزنهاور على نيكسون، أن يتخلى عن منصب نائب الرئيس لقاء منصب وزاري. وتبع ذلك تكشف أمور أخرى، بعضها استدعى تدخل مكتب التحقيقات الاتحادي. وثارت ضجة حول مقال يصف تشوتينر بأنه «همزة وصل نيكسون بالعالم السفلي»، وذكرت **الواشنطن بوست** زعم تشوتينر الكاذب بأنه

لم يتصل بنيكسون منذ أن صار نائباً للرئيس. وشرعت لجنة من الكونغرس تحقّق في الأمر(*).

لم يقتصر تهديد فضيحة الصندوق السري على نيكسون وحده، بل هددت الحملةَ الانتخابيةَ الجمهوريةَ بكاملها. فقد ملأت الأشياءُ التي تكشفت عنها قضية تشوتينر، الرئيسَ بهواجس تنذر بالشر. كان آيزنهاور يريد تطمينات من نيكسون بأن الاتهامات لا أساس لها. وكان يحتاج إلى جعل السجلّ يظهر بأن تلك التطمينات قد أعطيت. وبعد إتمام ذلك فقط سمح لنيكسون بأن يعلن للصحافة أنه سيكون مرشحاً لولاية ثانية معه. وكسب باسيت رهان العشرة دولارات. فقد صار نيكسون مرشحاً مرة أخرى. ومرة أخرى تحمل عبء الحملة، فانطلق في جولة هائلة بكفاءة واندفاع، فقطع مسافة اثنين وأربعين ألف ميل، واقتحم المناطق الريفية بخطبه السياسية في ست وثلاثين ولاية في أقل من شهرين. وكان هناك شيء من التجديد، باستخدامه طائرة في الحملة من طراز DC - 6B، أطلق عليها لقب طائرة دك نيكسون الخاصة. وبينما هو يتنقل بين المدن، كان يقبع في حجيرته الخاصة، منشغلاً بقصاصات الأوراق والملاحظات، لتفصيل الخطاب المقبل أو التالي، ومواد صحافية للاستهلاك لا قيمة لها، تشكل جزءاً من النصوص المكرّرة في الخطب طيلة الجولة الانتخابية كلها، مرتبة كي تناسب المكان المقبل أو المحطة التالية.

كانت بعض أيام الحملة تبدأ في السابعة صباحاً، وتنتهي في الثالثة صباحاً من اليوم التالي، كي تعود للبدء مرة أخرى في السابعة صباحاً. وكانت بات تتنقل مع زوجها، وقد وصفتها الصحافة بأنها «مرحة دائماً، فلا تشعر بالتعب أو السأم أبداً». وأخبرت الصحف قرارها بأنها كانت تجمع له حاجاته، وتهتم بأن تكون لديه دائماً سترة منزلية للعمل، و«بدلات مكوية يظهر بها على الملأ خلال النهار وهي في أحسن حال». وعندما أصيب نيكسون بالتهاب في حنجرته، تابع

(*) انظر تفاصيل الموضوع الكاملة في الفصل السادس.

جولاته بمساعدة المضادات الحيوية، ورشاش الكورتيزون للحنجرة. وعندما كان يفقد صوته، كانت بات تخطو نحو المذياع لتكمل له خطابه.

وكان مقر قيادة نيكسون الطائر يعج بالموظفين في المنطقة المخصّصة للعمل، فكان هناك مدير جولة، ومساعدون صحافيون، وسكرتيرات، وآلات كاتبة، ومكائن استنساخ. وكانت تسبقه هيئة من الموظفين تمهد له الطريق، وتهيِّئ له الجو في كل محطة جديدة. فكان من بين أعضائها بوب هالدمان، وهو شاب في الثلاثين من عمره يعمل بالإعلانات التجارية، وقد حصل على إجازة يتغيب فيها عن مكان عمله لدى ج. والتر طومسون وفي هذه الجولة، كما استذكر فيما بعد، صار هالدمان «أقرب إلى نيكسون من مجرد ناخب عادي طارئ»، وقيض له في وقت لاحق أن يصبح رئيساً لهيئة أركانه.

وحالما ركب الجمهوريون الموجة إلى النصر في تشرين الأول / أكتوبر من تلك السنة [1956]، اختفى موراي تشوتينر من المشهد كله. فقد تم إخفاؤه عن أنظار الناس منذ أن برزت عنه تلك العناوين السلبية في الصحافة في الربيع الماضي، وقيض له أن يعمل على مدى سنوات بعد ذلك من خلال الظلال ومن وراء الكواليس فقط.

وحتى بعد نجاة نيكسون من لطخة عار تشوتينر، زلت به قدمه في مصيدة أخرى. وفي هذه المرة كانت المخاطر المراهن عليها ـ وأرقام الدولارات ـ أعلى من أي شيء مضى. كما كان الخطر الداهم والأذى اللاحق على المدى البعيد رهيباً. ومع ذلك كان نيكسون يبدو منجذباً إلى هذه العلاقة الجديدة، وقدر له أن يعود إليها حتى ألحقت به واحداً من أخطر جراحه في ووترغيت. وكانت الجاذبية القاتلة في هذه القضية هي اليد الداعمة، والأموال التابعة للرجل الذي أطلق عليه أحد أعظم مؤرخي أمريكا المؤهلين لقب «أقوى وأخطر القطط السمينة كلها»[5]، وهو هوارد هيوز.

---

(5) كان المؤرخ هو هربرت بارميت، المؤلف لسبع سير سياسية، منها واحدة بعنوان: **ريتشارد** =

في سنة 1956، بينما راح آيزنهاور يماطل في البتّ في ما إذا كان نيكسون سيُعْطَى منصب نائب الرئيس مرة أخرى، كان هيوز قد وصل إلى سن الخمسين. وهو الوريث المدلّل لتكساسي اخترع آلة ثورية للحفر بحثاً عن النفط، أصيب بالصمم، والوسواس المرضي، والإدمان على المخدرات، وكان ثنائي الجنس في علاقته بالذكور والإناث. وكان غريب الأطوار إلى حدّ الإصابة باضطراب عقلي كان واضحاً عليه حتى في ذلك التاريخ. وكان أيضاً ألمعيّاً، وذا رقم قياسي في السفر الجوي، وصانع أفلام غزير الإنتاج، ومالكاً للخطوط الجوية عبر العالم TWA، وأحد كبار المتعاقدين مع وزارة الدفاع الذين يعملون بصورة أساسية من كاليفورنيا. وكانت لديه ثروة تقدر آنذاك في حدود 350 مليون دولار، مما جعله واحداً من أغنى الرجال على هذا الكوكب.

وكان هوارد هيوز أيضاً مجرداً من الضمير والأخلاق، يهتم قبل كل شيء بإنفاذ إرادته. وعندما استقصى محققو مجلس الشيوخ، إهداره وتبذيره لملايين الدولارات من الأموال الحكومية أثناء الحرب العالمية الثانية، كشفوا أدلة كثيفة ومتواترة على شراء النفوذ. وكان أحد أهداف هيوز هو إليوت ابن الرئيس روزفلت. وفي سنة 1944، عندما كان هاري ترومان نائب الرئيس على طريق الحملة الانتخابية، للرئيس المريض فرانكلين ديلانو روزفلت، ذهب هيوز بنفسه إلى فندق بالتيمور في لوس آنجيلوس كي يعطي ترومان تبرعاً نقدياً. وبعد ذلك بأربع سنين أرسل مبعوثاً إلى نيويورك، ومعه خمسة وعشرون ألف دولار نقداً لتوماس ديوي، الخصم الجمهوري لترومان.

كان هيوز معادياً متحمساً للشيوعية، ولكنه في ما عدا ذلك لم يكن يهتم بالسياسة. ذلك أن نوح ديتريش، كبير مساعديه على مدى اثنين وثلاثين سنة،

= نيكسون وأمريكته (بوسطن: ليتل، براون 1990)، ولا سيما في الصفحة 402. وكما في الماضي، فإن المؤلف مدين للأستاذ بارميت لمساعدته.

لم يعرف أبداً ما إذا كان رئيسه جمهورياً أم ديموقراطياً. فلم يكن للانتماء الحزبي أي أهمية عند هيوز، ما دام يستطيع أن يجعل السياسيين ينحنون لإرادته.

وكان يتبجّح بالقول: «أستطيع شراء أي رجل في العالم»، ويعمل بموجب هذا المبدأ. وقال ديتريش بعد سنوات: «كان يعتقد أنه يستطيع أن يشق طريقه إلى الحظوة بعمليات شراء الذمم. فكان يقول دائماً: «لكل رجل ثمن». وكان على استعداد لعرض ذلك الثمن... فكان يموّل أعضاء المجلس البلدي في لوس آنجيلوس، والمشرفين على المقاطعات، وعمداء البلدات، وشيوخ الولايات، وأعضاء الجمعيات، والمدعين العامين في المناطق، والحكام، والنواب، وأعضاء مجلس الشيوخ، والقضاة، أَجَلْ، ونواب الرؤساء...».

قال نيكسون في مقابلة مسجلة معه في سنة 1988: «لم ألتقِ بهيوز على الإطلاق»، معترفاً أنه لم يتحدث مع الملياردير هاتفياً سوى مرتين. وكان قد ذكر هذا الزعم نفسه سنة 1972 أمام بوب هالدمان، مضيفاً أن إحدى المكالمتين كان موضوعها اقتراح هيوز عليه أن يستخدم طائرة 707 النفاثة المتفوقة، لإثارة إعجاب السوفييت في زيارته لموسكو سنة 1959.

ويكاد يكون من المؤكد أن نيكسون كان يكذب حول مدى علاقته بهيوز. فقد ذكرت آديلا روجرز سانت جونز، الكاتبة القديمة التي كانت تؤيد نيكسون وتشير عليه في الخمسينيات، أنها هي التي عرّفت كلاً منهما على الآخر. وكانت علاقتها بنيكسون تعود إلى أيام شبابه، عندما كان ينقل البقاليات والخضروات إلى مزرعة زوجها الأول بالقرب من وِيتّيِيرْ. وقال دونْ، ابن شقيق نيكسون، دونالد في سنة 1996: «كان هيوز صديقاً قديماً لوالدي.» واستذكر أنه التقى بهيوز وهو صبيّ: «كان شخصاً غريب المنظر، طويلاً، هادئاً، يقود سيارة شيفروليه بيضاء ذات بابين... وكان أبي معتاداً على اللقاء به في أماكن وقوف السيارات وما شاكل...».



OFFICE OF THE VICE PRESIDENT

WASHINGTON

January 23, 1959

File

MEMORANDUM

TO: RN

FROM: JDH

I spoke with Howard Hughes and relayed your message.

He was most happy and enthusiastic over seeing you in California.

He cannot come East at this time. I'll arrange an appointment when your California plans are firm.

أمّا هيرب كلاين، المساعد الصحافي لنيكسون لفترة طويلة، فقد أخبر مؤلف هذا الكتاب أن نيكسون قد «التقى بهيوز شخصياً» لأول مرة إمّا في الأربعينيّات أو في الخمسينيّات. غير أنه إن كان هناك توثيق لتلك العلاقة فقد أزيل من الملفات المتاحة منذ زمن طويل. ولكن هناك مذكرة تنمّ عنها باقية في سجلات نيكسون كنائب للرئيس في أرشيف المحفوظات الوطنية (انظر صورة طبق الأصل لها على الصفحة 322). وهي مكتوبة في 23 كانون الثاني / يناير، سنة 1959 من قبل المساعد العسكري لنيكسون، دون هيوز (وهو ليس من أقارب هوارد)، ونصّها كما يلي:

«لقد تحدثت إلى هوارد هيوز ونقلت إليه رسالتك. فكان شديد السعادة والحماسة لرؤيتك في كاليفورنيا. فهو لا يستطيع المجيء إلى الشرق في هذا الوقت. وسأدبر موعداً عندما تصبح خططك في كاليفورنيا ثابتة».

وقال الجنرال هيوز عن هذه المذكرة في مقابلة أجريت معه حديثاً: «لا أتذكر ماذا كان موضوعها، وحسبما أتذكر، فإن هوارد هيوز قد طلب نائب الرئيس على الهاتف. فتحدثنا، ثم وصلني رئيسي [نيكسون] بالهاتف، وقدمني إليه. وقال له: «في أي وقت تريد أن تصلني، تحدث بالهاتف مع دون هيوز»... وقد تلقيْتُ ثلاثَ مكالماتٍ أو أربعاً من هوارد هيوز... فكان شديد التهذيب جداً، وكان له صوت عالٍ طنّان، ولكنه مكبوح، وشديد التوسل... وأعتقد أنه كان يريد أن يشعر أنه يستطيع الاتصال كلما أراد...».

وكان نوح ديتريش أقرب المقربين إلى هيوز آنذاك بالتأكيد، فقال إن الملياردير قد دعم نيكسون منذ بداياته، عندما رشح نفسه لعضوية مجلس النواب في الكونغرس سنة 1946، وأسهم في التبرع لكل حملة تلت ذلك التاريخ. كما قدم مبالغ كبيرة للاستخدام الشخصي لنيكسون وأفراد عائلته. أما نيكسون، فقد بذل بدوره كل ما في وسعه لامتداح هيوز على الإجراءات التي كان يتخذها ضد صانعي الأفلام الذين كان يعتقد أنهم شيوعيون، وقال: «إن

موقف هيوز يستحق الاهتمام والتأييد من جميع الناس الذين يؤمنون بضرورة محق كل قوى التخريب الهدامة».

وبحلول سنة 1954، حسب رواية تشاك جيانكانا ـ شقيق سام، زعيم المافيا في شيكاغو ـ كان هيوز يخبر شركاءه، أن نائب الرئيس نيكسون قد صار أليفاً داجناً «يأكل من يده». غير أن أول دليل مفصل على مساعدة هيوز وسخائه المالي، يعود إلى سنة 1956، أثناء فترة انعدام اليقين الطويلة التي لم يكن معروفاً أثناءها ما إذا كان نيكسون، سيصبح المرشح الشريك لآيزنهاور مرة أخرى لولاية ثانية.

ففي تموز / يوليو من تلك السنة، قام هارولد ستاسِنْ، الحاكم السابق لولاية مينيسوتا، ومساعد الرئيس لشؤون نزع السلاح، بعقد مؤتمر صحافي أعلن فيه أن استبياناً للرأي تمّ إجراؤه بصورة خاصة، قد أظهر أن كريستيان هيرتر، حاكم ولاية ماساشوسيتس، سيكون أكثر جاذبية من ريتشارد نيكسون بكثير كمرشح لمنصب نائب الرئيس. وحث سْتَاسِنُ الحزبَ الجمهوريَّ على تأييد هيرتر، ودعا نيكسون إلى التنحي جانباً. ونجم عن مبادرته هذه نشوء ما صار يعرف بحركة التخلص من نيكسون.

وبعد سنوات طويلة، استخفّ نيكسون بهذا الجهد، قائلاً إنه كان من عمل «المفكرين بأحلامهم وتمنياتهم»، والذين «كان باستطاعته أن يظل مترفعاً عنهم». غير أنه في ذلك الحين لم يكن مترفعاً أبداً. فقد استذكر باتريك هيلينغز أنه «أصيب بالذعر». وسرعان ما بدأت حركة معاكسة لحشد التأييد لنيكسون، تدعمها عملية سرّيّة يموِّلها هوارد هيوز.

وبعد برهة قصيرة من مؤتمر ستاسن الصحافي، رنّ جرس الهاتف في مكتب واشنطن التابع لروبرت آ. ماهيو وشركاه، وهي شركة تعرض القيام «بتحقيقاتٍ خاصة»، وهذا تعبير اصطلاحي ينم عن مجموعة كبيرة متناثرة من أنواع الخدمات المشبوهة. فماهيو، الذي كان عندئذٍ في التاسعة والثلاثين، قد

عمل كعميل سري لمكتب التحقيقات الاتحادي أثناء الحرب، ثم صار آنذاك مستخدماً براتب شهري لدى وكالة المخابرات المركزية. وقد قال فيما بعد إن دوره كان هو القيام «بالمهام المستحيلة» (بل يقال إن أعماله بالفعل هي التي أوحت بعنوان المسلسل التلفزيوني: **مهمة مستحيلة**).

كانت الوكالة تعهد إلى ماهيو بأنواع المهمات، التي تحتاج إلى إبقائها «قابلة للإنكار»، وهي أنشطة تراوح من تقديم خدمات جنسية لبعض الساسة الأجانب، إلى إيقاع آخرين في مصايد جنسية ضارة بسمعتهم لتستخدم كسلاح ابتزاز، كما تتضمن التنصت غير القانوني، وتخطيط الاغتيالات. وكان قد عمل بطلب من نيكسون، في عملية سرِّيَّة ضد ملك النفط اليوناني آرسطو أوناسيس(*)، كما كان قد مضى عليه وقت وهو يؤدي بعض المهام لمصلحة هوارد هيوز.

وقد بدأ العمل لهيوز على نحو عادي مبتذل ومملّ. فقد طلب الملياردير تحريات عن الزوج الأول للمرأة التي كان على وشك الزواج منها، وهي الممثلة جين بيترز. وسرعان ما وصلت بعد ذلك تعليمات بالتجسّس على آفا غاردنر، لاكتشاف من الذي كانت تواعده. ثم، في أعقاب نجاح ماهيو في التخلص من مبتزّ محتمل، تحدث إليه هيوز هاتفياً ليعرب عن رضاه وارتياحه. فوصف ماهيو ذلك بقوله: «ومنذ ذلك الحين، أصبحت رجل هوارد». وقد حل محل ديتريش في آخر الأمر فخدم هيوزَ خمسة عشر سنة. غير أن ذلك قد سبقته أولاً مهمة ضمان فشل ستاسن في إزاحة نيكسون عن الترشيح كشريكٍ لآيزنهاور.

وقد تم تمويل هذه العملية لإيقاف ستاسن من جيب هيوز، بعد طلب من «قياديين جمهوريين» لم تُذْكَر أسماؤهم. فاستجاب ماهيو باستئجار عميل سرّيّ

(*) انظر الصفحة 412.

ليتظاهر بأنه متطوع، ثم يخترق مقر قيادة ستاسن بهذه الصفة. وبذلك علم هذا العميل المدسوس، أن ستاسن يخطّط للكشف عن استطلاع جديد للآراء في المؤتمر، وأنه سيكون استطلاعاً مزيفاً، كما زعم ماهيو، مرتباً عمداً ليميل ضد نيكسون. ومن أجل استباق خطة ستاسن، استخدم ماهيو أموالَ هيوز لإجراء استطلاع خاص به، يظهر منه أن نيكسون ليس متخلفاً أبداً، بل هو متقدم جداً ككاسب للأصوات.

وفي تلك الأثناء، كان اختراق مكتب ستاسن قد جاء بذخيرة أكثر. وقد ذكر ماهيو في السبعينات أنه «تم وضع (غطاء) على سلة مهملات ستاسن، وكانت نتيجة ذلك الغطاء. . . حسناً لنقل أنها غيّرت اتجاه المدّ». وعندما سئل عن المعلومات التي تم العثور عليها في تلك السلة، هزّ ماهيو رأسه قائلاً: «لن يكون في مصلحة أي شخص مناقشتها». غير أن ستاسن بدوره ظل يلحّ بعد سنوات طويلة أن «القصة الكاملة ليس من الممكن روايتها بَعْدُ».

وانتهى مؤتمر سنة 1956 بانتصار كامل للقوى النيكسونية. وجاءت الذروة بعد دقائق من إمتاع ستاسن للصحافة بالاستطلاع غير المؤاتي لنيكسون، عندما جعله سناتور أمريكي يبدو أحمق بإعلان النتائج الاستطلاعية المعاكسة التي قدمها ماهيو. فاستسلم ستاسن وانتهى به الأمر إلى الثناء على ترشيح نيكسون باسم الحفاظ على وحدة الحزب.

وقال ماهيو في سنة 1996: «لقد علم نيكسون بما فعلته من أجله، ولكنه لم يعبر عن أي عرفان. . . ولقد رأيته في اليوم التالي لدحرنا تهديد ستاسن؛ فلم يقل حتى كلمة أشكرك». أمّا هيوز فقد فرح بدوره لهذه العناية الجديدة بنيكسون. فقال ماهيو عن ذلك متأملاً: «لم يكن السبب هو اعتقاده أن نيكسون يؤدي عملاً جيداً، بل كان سبب فرحه هو شعوره بأن نائب الرئيس مطواع».

وفي كانون الأول / ديسمبر 1956، بعد بضعة أسابيع فقط من إعادة آيزنهاور ونيكسون إلى البيت الأبيض، قدم هيوز نوعاً من المساعدة مختلفاً.

وبينما ظلت واقعة ستاسن سراً مكتوماً نحو عشرين سنة، فإن هذا التدخل الجديد سرعان ما تم تسريبه، مما ألحق ضرراً لا يمكن حصره بآمال نيكسون السياسية وسمعته على المدى البعيد. وحسب رواية نوح ديتريش، فإن نيكسون قد جلب الكارثة على نفسه.

قال ديتريش إن المسألة، بدأت بمكالمة هاتفية إلى مكتب هيوز الرئيسي في لوس آنجيلوس من فرانك ووترز، أحد محامي المليونير. ونقل عنه ديتريش قوله على الهاتف: «انظر يا نوح، إن نيكسون يستمر في الإلحاح عليّ. . . إن شقيقه دون يعاني من مصاعب مالية في مطعمه في ويتيير. ويريد منا نائب الرئيس أن نساعده». فسأل ديتريش:

ـ «نساعده بأي طريقة؟».

ـ «إنه بحاجة إلى مبلغ نقدي. الواقع إنه بحاجة إلى مائتين وخمسة آلاف دولار».

وحتى ديتريش، المعتاد طويلاً على إسراف هيوز، صعقه هذا المبلغ المدوّخ: ذلك أن 205000 دولار في سنة 1956، كانت تعادل ما قيمته اليوم 1,25 مليون دولار. فقال: «هذا شيء لن أتحمل المسؤولية عنه». فعلى الرغم من أنه كان يوزع بانتظام، نحو نصف مليون دولار سنوياً لأغراض سياسية، فإن هذه الأموال كانت تخرج في العادة في مبالغَ صغيرةٍ نسبياً. ولم يحدث قطّ أن ذهب مثل هذا المبلغ الهائل إلى فرد واحد. فأوضح ديتريش أن على هيوز نفسه أن يفوضه بدفع مثل هذا المبلغ الضخم، وقد فعل بعد ذلك: «اتصل بي هيوز في صباح اليوم التالي وقال لي: «لا يهمني حجم هذا المبلغ قيد أنملة. بل إنني أريد أن أفعل ذلك لأن فيه فرصة لتعزيز علاقة».

والعلاقة الوحيدة التي كان لدى هيوز دافع لتعزيزها، هي العلاقة مع ريتشارد نيكسون. فلن يكون هناك أي مكسب على الإطلاق، من تخصيص مثل هذا المبلغ لمصلحة **دونالد** نيكسون، رجل الأعمال من المستوى المتوسط

المتهيج الحماسة، والشديد الطموح إلى حد مفرط والمستمر أبداً في الشروع في خططٍ تتسم بالمبالغات الحمقاء المتكلفة. كان رئيساً لأعمال نيكسون المتحدة، وهي مشروع تجاري يتألف من مطعم يدخل إليه الناس بسياراتهم، وفيه أكلة متميزة تدعى نيكسونبيرغر، ودكان البقالة الذي كان يملكه والداه، ومقهى ـ وكلها في ويتيير ـ وكان منهمكاً في بناء مطعم آخر يُدْخَلُ إليه بالسيارات اسمه مطعم نيكسون في آناهايم. وكان أيضاً غارقاً في ديون كبرى، جعلته يواجه الإفلاس إن عجز عن الحصول على تمويل كبير.

وكما وصف ديتريش هذه المسألة: «كانت طبخة تفوح منها رائحة كريهة». بل لقد انزعج ديتريش أكثر، عندما أُمِرَ بتسجيل مبلغ الـ 205000 دولار في الحساب على أنها قرض. فشركة هيوز للآلات لم يكن من عادتها تقديم القروض، دع عنك القروض لرجال أعمال لا علاقة لهم أبداً بأعمال النفط أو الطيران. وبالإضافة إلى ذلك، كانت ضمانات هذا القرض، هي صكوك ملكية قطعة أرض خالية، ورخصة محطة غازولين تعادل أقل من نصف قيمته. ولذا فإن معاملة تجارية من هذا النوع مع شقيق نائب رئيس الولايات المتحدة، تقوم بها شركة تمسك بمقاولات حكومية كبرى، من شأنها أن تبدو مشبوهة جداً.

وكان ديتريش يحب نيكسون، وقد صوّت له ولكن القلق بلغ به حداً، جعله يطير إلى واشنطن ومعه تحذير. فأبلغ نيكسون: «أنا أشعر بأنني مضطر إلى إخبارك بأن هذا القرض، إذا صار معروفاً لعامة الناس فإنه قد يعني نهاية مستقبلك السياسي». فلم يقلق نيكسون، بل أجاب: «يا نوح، أسرتي تأتي قبل مستقبلي السياسي، ودُون يريد هذا، فهو مضطر إلى الحصول عليه من أجل بقائه».

وتم تنفيذ القرض حسب الأصول، ولكن تحت شروط من السرية خارقة للعادة. وعلى الورق لم تقدمه شركة هيوز للآلات، ولكن قدمه محامي هيوز، وهو فرانك ووترز، السياسي الجمهوري السابق، وصديق الأخوين نيكسون

كليهما. فأعطى المال لوالدة نيكسون، التي قدمته بدورها كقرض لأعمال نيكسون المتحدة. وبعد أشهر، ومن أجل دفن المعاملة على نحو أعمق، تم نقل العمل الورقي من اسم ووترز إلى اسم محاسب ليس موظفاً عند هيوز.

واختفت تلك النفقة النقدية الضخمة، التي صرفها هيوز في غضون أسابيع من وصولها إلى يد دونالد نيكسون. ومهما يكن ما حدث لتلك الأموال ـ التي كان مفروضاً أنها قد استخدمت لخدمة ديون قديمة ـ فإن أعمال نيكسون المتحدة استمرت في الغرق في بحر من الحبر الأحمر. فبذل ديتريش محاولة أخيرة لإنقاذها من الغطس إلى الأعماق، أولاً بطلب موافقة ريتشارد نيكسون على استدعاء محاسبين ليعيدوا تنظيم أعمالها. وعندما قاوم دونالد مقترحاتهم سافر ديتريش إلى واشنطن مرة أخرى لمقابلة نائب الرئيس. فصدّه ريتشارد نيكسون قائلاً: «اسحب المحاسبين... إن أخي يريد أن يريدها بطريقته الخاصة». وهكذا غرقت شركة أعمال نيكسون المتحدة بالفعل بعد ذلك بأسبوعين، تماماً كما تنبأ لها المحاسبون.

وكان من المحتمل أن يظل قرض هيوز سراً إلى الأبد، لولا الخطوات نفسها التي اتخذت لإخفائه. وبحلول سنة 1960، بينما كان نيكسون وكينيدي يصطرعان على احتلال البيت الأبيض، اختلف المحاسب المحتفظ بالصكوك مع موظفي هيوز، وبما أنه كان ديموقراطياً، فقد سرّب القصة إلى معسكر كينيدي، الذي ضمن سماع الصحافة بها. فلم يتحرّر نيكسون بعدها أبداً من فضيحة قرض هيوز. فقد أعيد فتح التحقيق فيها مراراً وتكراراً، في سنوات 1960 و1962، و1968، و1972.

وعندما كان نيكسون يُسْأَل، كان رده إمّا الاستهانة بالقرض، أو الزعم بأنه لم يكن متورطاً فيه. فأخبر صحافياً: «لم تكن لي يد في تقديم ذلك القرض. كان لشقيقي... وقد كتبت والدتي الملكية باسم الدائنين، ففقدت كل ما لديها...» وليس هناك من دليل على أن هنّا نيكسون «فقدت كل ما كان

لديها». ورغم أن قطعة الأرض الخالية المستخدمة كضمانة إضافية، قد تَمَّ تحويلُ ملكيتها في آخر الأمر إلى أتباع هيوز، فقد احتفظت ببيتها وممتلكاتها الأخرى. والواقع أن شروط قرض هيوز تخلّت «عن كل الحقوق في تأكيد أي مطلب أو ادعاء بالنقص ضدّ هنّا نيكسون».

أمّا إصرار ريتشارد على أنه لم يلعب أي دور في تلك المعاملة، فإن الإشارات إلى عكس ذلك وفيرة. كان أحد الموقعين على تأجير قطعة الأرض الخالية، الذي تم تنفيذه قبيل تقديم القرض، مشهوراً بشخص اسمه وليام ريدجلي. وكان موظفاً بمكتب الإنفاق في مجلس الشيوخ بواشنطن، حيث كان يقع مكتب نائب الرئيس. وبالإضافة إلى ذلك فإن نيكسون لم يكتف بالتستر على ما دار بينه وبين ديتريش، بل تستر كذلك على تفاصيل أخرى تضرّ بسمعته. فأثناء اجتماع حول القرض، خرج أحد محامي هيوز كي «يتحدث بالهاتف مع دِكْ»، وعاد ليقول إنه قد تحدث «مع مساعد لنائب الرئيس». وفيما بعد، كان يشار إلى نيكسون في تقارير هيوز ومراسلاته باسم شيفرة رمزي هو «القسم الشرقي» أو «الشرق». وقال أحد المحاسبين بعد ذلك بزمن طويل: «لم يكن هناك أي التباس. كان ذلك الاسم الرمزي يعني نائب الرئيس».

وطار نيكسون فيما بعد إلى كاليفورنيا لمناقشة إعداد وثائق، نقل الملكية المنصوص عليها كضمان للقرض، «لإثبات وضع يعود إلى والدته فيه ريعُ بيع أصل من الأصول الرأسمالية». وكان شريكه القانوني توماس بيولي، هو الذي أعدّ الوثائق التي ضمنت أن هنّا نيكسون لن تدفع ضريبة على الصفقة. وأخيراً فإن مكتب مندوب الشركة في لوس آنجيلوس، كان يحتوي على قائمة بأسماء أصحاب الحصص المفترضين في أعمال نيكسون المتحدة، وكان أحد الأسماء الواردة في تلك القائمة هو اسم ريتشارد م. نيكسون.

فمن الذي استفاد من الصفقة؟ عندما كانت أعمال دونالد نيكسون تتعثّر، حسبما قال ديتريش، اقترح دونالد الارتباط بشركة حليب كارنيشن. وعندما

انهارت تجارته في آخر الأمر، عُيِّن في وظيفة مربحة كموظف علاقات عامة تنفيذي بشركة كارنيشن المذكورة، التي كان رئيسها آلفورد غورملي أحد المتبرعين لصندوق نيكسون، ومن ثم فقد كان السناتور نيكسون يستجيب لضغطه بشأن حصص الحليب النسبية(*).

هل استفاد نيكسون شخصياً من قرض هيوز؟

عندما تم الاتصال بفرانك ووترز، محامي هيوز، سنة 1996، رفض الحديث عما إذا كانت الـ 205000 دولار لم تذهب إلى أعمال دونالد، بل إلى أخيه نائب الرئيس، وقال: «لن أجيب. إنه ميت. لقد انتهى. وآمل أن يكون في أحضان الله».

غير أن جواباً مختلفاً جاء من آرنهولت سميث، المليونير السخي من سان دييغو الذي كان يعرف نيكسون من طفولته، وظل طويلاً من أكرم مؤيديه. فقال: «أعتقد أنها كانت لريتشارد في الحقيقة، لمساعدته على العيش. فقد كان رجلاً فقيراً نسبياً».

وراح بعض أعداء نيكسون الديموقراطيون يتكهنون في مجالسهم الخاصة، أين ذهب جزء من تلك الأموال على الأقل. ففي غضون شهر من الموافقة على قرض هيوز، اشترى نيكسون بيتاً جديداً كبيراً في واشنطن، كان يملكه ذات يوم المدعي العام السابق هومر كامينغز. وقيل إنه دفع خمسة وسبعين ألف دولار لبيت ريفي ضخم، ذي ست عشرة غرفة من طراز تيودور، (نسبة إلى السلالة التي حكمت بريطانيا بين سنتي 1485 و1603)، يقع وسط محيط أخضر من الأشجار ويطل على حديقة عامة. وزعم نيكسون أنه قد اشتراه بفضل رهنٍ وحده، ولا فضل لسواه. ومع ذلك فقد قيل إنه تمكن من ذلك قبل بيع بيته الأصلي الموجود.

(*) انظر ص 264.

فهل كوفئ هوارد هيوز على سخائه؟ كان بعض المراقبين يعتقدون ذلك. فقد كانت مصلحة الضرائب الداخلية تعيق جهود الملياردير لإعلان معهد هيوز الطبي، مؤسسة خيرية تستحق بتلك الصفة الحصول على مكانة الإعفاء من الضرائب. فقد كان ذلك المعهد، المعلَن بأنه يقدم ملايين الدولارات «لمكافحة الأمراض والآلام الإنسانية»، متهرباً من الضرائب. وكانت نسبة 84 بالمئة من دخله الهائل لا تذهب للبحوث الطبية، بل إلى جيب هيوز. وبعد شهرين من تقديم هيوز ذلك القرض لنيكسون، عكست مصلحة الضرائب الداخلية قرارها. وبما أن ملفاتها محفوظة بإحكام وتكتم، فليست هناك طريقة لمعرفة سبب ذلك التغيير في توجهها.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان هيوز، في الأشهر التي سبقت القرض، قد ألزم شركته ـ على عكس مشورة كبار موظفيه ـ بأكبر طلب لشراء الطائرات في تاريخ الطيران، بما تزيد قيمته على أربعمئة مليون دولار من طائرات الركاب النفاثة وتجهيزاتها. وقد تمت تلك النفقة الضخمة، التي كانت تمثل ما هو أكبر من قيمة أصول الشركة وموجوداتها، في وقت كانت فيه شركة طيران هيوز عبر العالم TWA، تخسر من مواقعها وتتراجع أمام منافسيها وتُظْهِرُ خسارة. ولكن في الشهر الذي تم فيه قرض هيوز لنيكسون أعطى مجلس إدارة علوم الطيران المدني، رخصة لخطوط عبر العالم TWA للحصول على قروض هائلة، بطريقة تناقض قيوده المعتادة. وفي الأشهر التالية، أعطيت الشركةُ المذكورةُ طرقاً جوية محلية ودولية جديدة، وسمح لها بزياداتٍ في أسعار بطاقاتها كان قد طال تأجيلها. وكان المدير الجديد، الذي عين للشركة بعد ذلك بوقت قصير، واحداً من داعمي نيكسون مالياً.

هل أثر ريتشارد نيكسون في هذه التطورات، أم أنها لم تكن سوى فرص محظوظة لهيوز؟ ذلك أن ديتريش ـ مثلاً ـ كان واحداً من الناس الذين وجدوا شيئاً من الغرابة، في عكس مصلحة الضرائب الداخلية لقرارها حول المعهد

الطبي. فتساءل: «هل حصل هوارد على صفقة؟... تستطيع أن تستخرج استنتاجاتك بنفسك»، ذلك أن هيوز «لم يكن بالتأكيد محباً للإنسانية. فليس من شك في أن قصده الخفي الكامن في أعماق تفكيره، كان أن يجعل نائب رئيس الولايات المتحدة مديناً له بالعرفان»[6].

فحتى بعد كارثة قرض سنة 1956، عجز نيكسون عن مقاومة مِنَن هيوز وأفضاله المالية. كانت تلك حماقة تعادل في ضخامتها، حماقة الرئيس كلينتون في التسعينيّات، بانغماسه في العبث الجنسي بعد زمن طويل من تصنيفه كزير نساء، مع معرفته بأن أعداءه كانوا يرون في مغازلاته نقطةَ ضعفه القاتلة مثل كعب آخيل. ومع ذلك فبينما نجا كلينتون من عواقب قضية مونيكا لوينسكي، فإن حاجة نيكسون المستمرة إلى أموال هيوز، قدر لها أن تكون من العوامل الكبرى لسقوطه.

«أنا ريتشارد ملهوس نيكسون، أقسم جاداً بأنني سأؤيد دستور الولايات المتحدة وأدافع عنه...» في كانون الثاني / يناير 1957، بينما أخذ نيكسون يردّد على مسامع الشعب الأمريكي تعهده الافتتاحي، أخلف وعده لزوجته بعدم ترشيح نفسه، كانت تلك هي المرة الأولى، ولكنها لم تكن الأخيرة. ومنذ أن أعطى ذلك الوعد، تغير زواجهما على نحو لا هوادة فيه.

فصورة بات المخلصة التي رآها الناس، ظلت بات تحافظ عليها لتبدو أمامهم زوجة متفانية. فقبلت كل العناوين والألقاب التي أطلقت عليها: ربة بيت العام المتميزة، والدة العام، الزوجة المثالية للأمة. فقد كانت بالفعل صخرة، مساندة دائماً، واقفة إلى جانب نيكسون دائماً. وراحت تشارك بأنشطة

(6) للاطلاع على مناقشة للقرض تحتج ضد الارتياب في كونه قُدِّمَ في مقابل تدخل نيكسون لمصلحة هيوز، أنظر سيرة نيكسون بقلم ستيڤن آمبروز (ص 597 وما يليها؛ وكذلك وزارة العدل، بيان صادرة في 27 تشرين الأول / أكتوبر، 1960، ملف قرض هيوز لنيكسون، وملف الحملة الرقمي 804، في الحقل ,92 WSPF, NA).

تافهة دون أن يبدو عليها السأم، وصافحت ألوف الأيدي، ووزعت أقلام حبر سائل نُقِش عليها اسمها «باتريشيا نيكسون». وتشاطرت مع الصحافة بعض الحقائق السخيفة: مثل كون خزانة ملابسها للحملة تضم خمسة فساتين، وست بذلات، وزوجين من الأحذية، وثماني قبعات، ولكن بدون حقيبة أوراق، لأنها ليست سوى الزوجة. وقال نيكسون لابنته جولي بعد سنوات: «كانت لها ميزات ممثلة عظيمة، تكون في أحسن أحوالها وهي على المسرح».

ولكن بات في خصوصياتها ـ بمعزل عن الناس ـ كانت محبطة خائبة الأمل على نحو يتزايد باطراد. وقد كتبت إلى صديقتها هيلين دراون: «أود لو أقوم بعمل إضافي، بدلاً من كل التسكع غير المفيد والمتوقع مني القيام به. وفي مؤتمر سنة 1956 أفلتت منها عبارة جاء فيها أنها تستطيع التفكير «بأي عدد من الأشياء التي أفضّلها على السياسة». وكان نيكسون واعياً لسخطها، بل إنه قد أَسَرَّ لآيزنهاور بأنه يعاني «مشكلة خطيرة مع زوجته»، فأخبر الرئيس بأنه إذا لم تتقبّل بات فكرة البقاء في واشنطن «فسأجد صعوبة في عمل **أي شيء**».

كانت قد مرّت سنتان منذ أن صُدِمَ روبرت بيير بوينت، من شبكة كولومبيا الإذاعية CBS لرؤية مدى عزلتها وترفعها، عندما شاهد لديها «رعباً مقيماً في الأعماق» من عمل أي شيء قد يعيق مطامح نيكسون. أما الآن (1957) فقد بدأت ترد الضربات. وتحدث الزوار عن رؤية بات «تفقد السيطرة على طبعها». وعلق المقربون الداخليون على «انفجار طبعها الذي كان نادراً ولكنه عنيف». وكان الأب كرونين، الوسيط بين نيكسون ومكتب التحقيقات الاتحادي أثناء قضية هيس، قد أصبح كاتب خطاباته الرئيسي. وذات مرة، عندما ألقى نيكسون أحد الخطابات بطريقة سيئة، كما يستذكر كرونين، فإن «بات فتحت عليه أبواب الجحيم أمام الموظفين».

وقال كرونين: «ذات يوم أرسلني دِكْ إلى بيته في الضواحي، للحصول على بعض أوراق أحتاج إليها على عجل. وكنت أعرف الأسرة جيداً، وقد

دعيت إلى هناك للعشاء. وكنت أحب ابنتيه. ولكنني عندما قرعت الباب، فتحته بات وقالت: «كلاّ. لا يمكنه أن يعود إلى هنا بإرسال القسيس!» فرجعت إليه وقلت له: «ما هذا الذي ورّطتني فيه؟» فقال: «آه، لم أظن أنها ستقول أي شيء لك **أنت**. إن لدينا مشكلة صغيرة الآن». ولكنني لاحظت عندئذ أن نيكسون لم يكن يذهب إلى بيته في الليل. بل كان يحتفظ بغرفة فندق في المنطقة. . . وكان، ببساطة، يعيش هناك».

ولعل هذه هي الفترة التي طارت أثناءها هنّا نيكسون عبر القارة لإنقاذ الموقف، كما تستذكر ابنة عم نيكسون ياسمين ويست. وقد جاءت، لا لتكون مع ابنها، بل مع بات، التي «لم تكن تكلمه».

وقد أخبر جيمس باسيت زوجته في رسالة بعثها إليها في موطنه: «كانت بات في نوبة من نوبات غضبها. ولن يصدق ذلك أحدٌ آخر في الولايات المتحدة». وقد لاحظ باسيت الزوجين على طائرة الحملة الانتخابية: «كانا يجلسان على الجانبين المتقابلين من الممر، أو أبعد من ذلك. ثم عندما تبدأ الطائرة في الدوران الحائم استعداداً للهبوط، كانا يجتمعان معاً، ويرتديان على وجهيهما ابتسامة «بات ودك». ويضع ذراعيه حولها من أجل المصورين».

وفي أواخر سنة 1956، عاد نيكسون من رحلة إلى أوروبا مقترحاً تبنّي طفل لاجئ. فرفضت بات.

وبعد شهور عثر باسيت على نيكسون، ومعه زميل له من كبار الوزراء، وباقة من ست نساء في مطعم منعزل في ميريلاند. فاختفى الزميل مع واحدة منهن. أما نيكسون، الذي كان مخموراً، فقد رفض عرض باسيت لإيصاله إلى بيته، وقال إن الفتيات سيعتنين به.

وكان باسيت يعتقد أن نيكسون ينظر إلى النساء باعتبارهن «جنساً مختلفاً. . . ملحقاً زائداً»، وأنه كان لديه «ازدراء كلّي للعقلية الأنثوية». وكان في جعبته ذخيرة من النكات البذيئة. وكانت المفضلة منها ـ كما كان أحد

موظفيه يعرف جيداً ـ تتعلق برجل له نشاط حصان الاستيلاد، يرغم زوجته على معاشرته اثنتي عشرة مرة كل يوم. فلما احتجت في آخر الأمر بأنها تعبت ولم تعد تتحمل المزيد ـ وهنا بيت القصيد ـ أطلق عليها زوجها الساخر لقب «الأست الميت!» واستذكر باسيت أنه ذات صباح في قطار الحملة الانتخابية خرج نيكسون من عربته ومعه بات، في طريقهما إلى الإفطار، ثم نظر إلى زوجته أمام مساعديه «وفي عينيه التماعة غريبة، وصرخ: «أست ميت!» فلم يضحك أحد.

وأثناء حملة سنة 1956 نفسها، أصيب والد نيكسون، الذي كان شرساً، بمرض خطير. كان فرانك نيكسون في الخامسة والسبعين، يعاني من مرض في كليتيه، ومن تصلب الشرايين، وقرحات نازفة، فأرسل خبراً من ويتيير بأنه يريد أن يرى ولده. ولم يكن نيكسون قادراً على الذهاب إلى كاليفورنيا في بادئ الأمر. ولكن، بناء على نصيحة أحد أمناء سره، استطاع أن يكتب رسالة خاصة لأبيه تبدأ بعبارة: «والدي العزيز»، بدلاً من بدايته المعتادة: «والدتي ووالدي العزيزين» وأثناء مؤتمر الحزب الجمهوري، أصيب أبوه بانفجار أحد شرايين بطنه وراحت حالته تتدهور بسرعة.

وبعد ترشيح نيكسون نائباً للرئيس، هرع إلى أبيه على الفور وهو على فراش الموت. وكتب بعد سنوات: «سأظل دائماً أتذكر آخر مرة رأيته فيها. فطلب مني أن أحلق له ذقنه، لأنه كان من الوهن بحيث لا يستطيع أن يحلقها بنفسه. وعندما انتهيت من حلاقتها له قال إنه يشعر بتحسن، فقلت له: سأراك في الصباح، فقال: لا أظن أنني سأكون هنا في الصباح. فقلت له: عليك أن تستمر في الكفاح يا أبتاه. فكانت آخر كلماته لي: عليك أنت أن تستمر في الكفاح يا دك. ومات في اليوم التالي. . .» وأثناء حراسة الجثمان المسجى، كانت والدة نيكسون تستقبل المعزين وتطلب منهم أن يوقعوا في سجل الزوار، وأن يتفحصوا سجادة مربعة حمراء كان ابنها قد وقف عليها، عندما حلف

اليمين الدستورية كنائب للرئيس في سنة 1953، وتقول لهم إنه أرسلها إليها. وعندما سمحت هنّا بدخول مندوبي الصحف، بناء على اقتراح ولدها، قال لهم نيكسون إنه قد نهض عند الفجر ليخبز لهم فطيرة تفاح.

وعندما كان باسيت جالساً مع نيكسون في عطلة نهاية ذلك الأسبوع، وأبوه في النزع الأخير في الطابق العلوي، بدا له نيكسون منقطعاً عن آلام أبيه على نحو غريب. وقد استذكر باسيت: «كنت أسمع الأنفاس المتحشرجة والضجة التي تشبه الصرير. ولم يكن ذلك كله يقلق نيكسون. ولكنه أقلقني، بينما كان هو منهمكاً في التخطيط لحملته...».

وبعد موت فرانك نيكسون، في 4 أيلول / سبتمبر 1956، منع نيكسون المصورين من تصوير حداد العائلة في الجنازة. وأعلن أن «هذا حزن شخصي خاص تماماً». غير أنه في غضون أسابيع قليلة، عندما عاد إلى منابر الخطابة، راح يطلب عطف الناخبين المواسين له على ذلك الحزن دون أن يرفّ له جفن.

وفي بوفالو بولاية نيويورك، في 16 تشرين الأول / أكتوبر، افتتح نيكسون خطابه بكلمة «كان والدي...» ثم، بعد توقف قصير كأنه يحاول السيطرة على عواطفه، تابع يقول: «أتذكر أن والدي أخبرني منذ زمن طويل: دِكْ، يا دِكْ، إن بوفالو مدينة جميلة. ولعلها كانت مدينته **المفضّلة!**» وعندما انتقل إلى مدينة روتشيستر، ثم إلى مدينة إيتاكا ـ ثلاثة تجمعات سياسية في غضون أربع وعشرين ساعة ـ قيل إنه بدأ خطابه بالجملة نفسها عن «مدينة أبيه المفضلة»، فلم يغيّر فيها سوى اسم المدينة.

وفي إيتاكا، انفجر غاضباً عندما تلقى أسئلة من طلاب جامعة كورنيل أثناء عرض تلفزيوني، فقال لأحد مساعديه بصوت كالفحيح: «أبعدوني عن هؤلاء الوحوش!»، ثم غادر موقع التصوير بسرعة. وقد بلغ من انزعاجه أنه عندما وصل إلى المطار، تقيّأ على حافة المدرج قبل أن يصعد إلى الطائرة. وما أن صار في الجو حتى فقد سيطرته كلياً. وراح يصرخ موبخاً الموظفين أمام

الصحافة، ومهدّداً بأنه «سيقطع خصيات» الذين وضعوا البرنامج ـ وكانت تلك عبارته المعهودة التي يكثر من تكرارها ـ، ثم صرخ في وجه تيد روجرز، المساعد التلفزيوني الموالي له، والذي رتب أمر ظهوره على الشاشة قبل ذلك بأربع سنوات، ليفند الاتهامات حول الصندوق السري: «يا ابن الزانية! أنت الذي وضعتني مع ذوي الأدبار القذرة أبناء العاهرات الليبراليين؛ لقد حاولتَ أن تدمّرني! . . .» ثم ألقى بنفسه على روجرز، حتى اضطر أحد المراسلين إلى الإمساك به وإبعاده عنه. وخلال تلك الجولة نفسها قيل إن نيكسون قد لكم رجلاً آخر في وجهه.

إن أي مرشح سياسي يكون في العادة مرهقاً عند نهاية الحملة. غير أن نيكسون كان مشوشاً في توجهاته بشكل غير عادي. ففي كنتكي ظل يشير إلى الوقت بكلمة «هذه الليلة»، بينما كان الوقت في الصباح الباكر. وبعد ساعات، في إيلينوي، ظن أنه قد وصل لتوه من تكساس. وفي أوهايو، عندما صعد إلى طائرة في مدرج مهجور، استدار لتحية جمهور لم يكن له وجود على الإطلاق. ولاحظ جيمس رستون في **النيويورك تايمز** أن المراسلين، كانوا منهمكين في تحليل نفسية نيكسون منذ المؤتمر الجمهوري.

وقد أصيب بوب هالدمان بصدمة، أثناء مراقبته لنيكسون في ذلك المؤتمر. فاستذكر: «أمام الستائر الرمادية اللون في غرفة فندق بسان فرانسيسكو، وقف دِكْ نيكسون وسط مجموعة من المندوبين الجمهوريين، فاقتربت منه وأنا أستمع إليه في فزع، فكانت أول فكرة خطرت ببالي أنه ربما كان مخموراً. كانت عباراته لا تكاد تكون مفهومة؛ واستمر يثرثر وحده بكلمات تدور حول نفسها، بينما راح مَنْ حوله ينظر بعضهم إلى بعض متعجبين مستغربين. . .».

كانت الثرثرة بغمغمة غير مفهومة من خصائص نيكسون، عندما يكون مرهَقاً أو تحت الضغط والتوتر، سواء أكان مخموراً أم صاحياً. وقد أقلق ذلك

باسيت، الذي كان يعرف نيكسون معرفةً جيدةً. فقال له في الليلة التي أفلت فيها زمامه بعد العرض التلفزيوني في إيتاكا: «إن ما يرعبني كالجحيم هو أنك تترك غضبك ينفجر إلى عنان السماء حول شيء تافه لا أثر له كهذا. فما الذي ستفعله بحق الله لو كنت رئيساً ووجدت نفسك في وضع سيِّئ بشكل حقيقي؟».

فقال نيكسون إنه سينظر في المسألة. وكان ذلك بعد بضعة أشهر فقط من علمه بأن الدكتور هتشنيكر، مستشاره الطبي في نيويورك، قد قرّر التخصّص بالمعالجة النفسية وحدها. وكان ذلك الخبر قد أقلقه وضايقه، لأن مغزاه هو أن أي موعد يطلبه منه في المستقبل سيكون محرجاً له، وستصبح لقاءاته مع هتشنيكر أقل، وتتم في العادة في أماكن خاصة لا يدري بها أو يطلع عليها أحد.

وكان نيكسون قد كتب إلى بيب ريبوزو عندما اشتدت الحملة الانتخابية: «لدي شعور بأنني سأطلب إحدى وصفات ريبوزو المشهورة، وهي «العلاج بالراحة» بعد أن تنتهي هذه المعركة». وقد فعل، فاتجه نازلاً إلى كي بسكين بعد الانتخابات مباشرة.

كان ريبوزو موجوداً على الدوام.

15

هل «يستمتع» الإنسان بالأزمات؟...
إنّي لأجد صعوبة خاصة في الإجابة عن هذا السؤال

ريتشارد نيكسون، في سنة 1962

عند حلول صيف سنة 1957، كان الزائرون لبيت نيكسون الجديد يتفرجون على عدد وفير من العجائب الأجنبية. لوحات تصويرية من اليابان على جدران غرفة الجلوس، وشمعدانات نحاسية من كوريا على المائدة. وتمثال لبوذا من القرن الثالث الميلادي، يقبع في مكتبة نيكسون، أهداه إياه ملك أفغانستان؛ وصندوق من خشب الساج مطعم بعروق اللؤلؤ الناعمة القزحية الألوان قالت بات: «أهدتها لي مدام تشان كاي ـ شيك»، وسجادة فاخرة في غرفة الجلوس هدية من شاه إيران، كرمز مبكر لسخاء قيض له أن يدوم سنوات طويلة، وطاولتي قهوة مطليّتين بورنيش اللّك من أرض لم تكن معروفةً للأمريكيين بعد، تدعى ڤيتنام.

وكانت بات تخبر الضيوف أن هذه الهدايا رموز تقدير سياسية من أربعين أمة. وقدر لعدد البلدان أن يرتفع إلى خمسين قبل نهاية الولاية الثانية لنائب الرئيس، حيث سيكون نيكسون قد طاف في أسفاره مع زوجته حول العالم كله. فقد زارا بلاداً لم تطأها من قبلُ قدم رئيس أو نائب رئيس أمريكي. إذ إنهما كانا «سفيرين فوق العادة»، وتلك فكرة اختمرت في ذهن دوايت آيزنهاور.

فقد سأله الرئيس في سنة 1953: «ماذا ستفعل هذا الصيف؟ ثم اقترح عليه رحلة إلى الشرق الأقصى. فتقبل نيكسون هذه المهمة بلهفة وأخذ مهمته على محمل الجدّ. وكانت كل محطة في الرحلة يسبقها تلقي معلومات مفصلة. فكان هناك تحليل كامل أثناء الطريق لشخصية كل حاكم أو عاهل. وفي كل بلد كان الدبلوماسيون يتلقون تحريضاً على إبعاد نيكسون عن حفلات الكوكتيل الرسمية، والجمع بينه وبين المواطنين العاديين، الذين كانوا يتراوحون من رجال الأعمال والمفكرين إلى العمال والفلاحين المزارعين.

وقيض لنيكسون أن يتذكر تلك الرحلة باعتبارها أول خطوة، لحصوله على خبرة بالقضايا الأجنبية قد يكون من شأنها ذات يوم، بعد أن يتمزق باقي سمعته ويتلاشى، أن تمكنه من ارتداء معطف «السياسيّ الكبير». كما أنها كانت إرهاصاً مسبقاً ينذر، في بلد بعد بلد، بما يعتبره الكثيرون الآن أخطاء نيكسون السياسية في مستقبله، وحماقاته الشخصية.

ففي إندونيسيا تعشى نيكسون وبات ـ كما استذكر فيما بعد ـ «من أطباق فضية، على ضوء ألوف المشاعل، بينما كان الموسيقيون يعزفون على شاطئ بحيرة تغطي مياهها براعم زهر النيلوفر». وكانت هدايا الرئيس سوكارنو لنيكسون تشمل بعض الحلى العاجية المغروسة في سترة كويتية عليها شارات النبالة، لعل الرئيس الأندونيسي كان قد تلقاها كهدايا من الأمير، فأعاد إهداءها لضيفه الأمريكي.

وقال نيكسون فيما بعد أن «غرور سوكارنو المزعج» قد غاظه وضايقه، رغم أن مفهوم نيكسون للعظمة قيض له ذات يوم، أن يجعل الحواجب ترتفع في بلاده نفسها استنكاراً. أما روعة الزخارف والشارات على ملابس مرافقه في زيارة للهند، فقد ألهمته أن يأمر بتصميم أزياء روريتانية مزخرفة للحرس والخدم، الموظفين في البيت الأبيض [نسبة إلى روريتانيا: المملكة الأسطورية الخيالية في قصة آنطوني هوب **سجين زندا**: المترجم]. وفي الهند، في سنة

1953، لم ينسجم نيكسون مع رئيس الوزراء نهرو، ولا مع ابنته، التي صارت رئيسةً للوزراء فيما بعد: إنديرا غاندي. وعندما أتبع نيكسون زيارَته لباكستان بتأييد المساعدة الأمريكية للباكستانيين، كان حكم نهرو عليه هو إعطاؤه لقب «نذل بلا مبادئ». ومن جهة أخرى فقد انسجم نيكسون جيداً مع الجنرال الذي صار زعيماً لباكستان بعد ذلك بوقت قصير، وهو أيوب خان.

وكانت تعليقات نيكسون عن إنديرا غاندي ـ كما قدر لكيسنجر أن يصفها فيما بعد ـ «ليست صالحة للطبع دائماً». فقد كان يحتقرها ولا يثق بالتصريحات السياسية الهندية. وكان نيكسون حليفاً لباكستان في حرب سنة 1971 بينها وبين الهند، حتى بعد مقتل مليون بنغالي وتشريد ملايين أخرى في معارك طاحنة مع الجيش الباكستاني. وقبل أن تنتهي تلك الحرب، كان نيكسون قد فكر في استخدام أسلحة نووية في حال تدخل الصين والاتحاد السوفييتي في الصراع.

وكان من المواضيع الحيوية ذات الأولوية عند نيكسون، الانفتاح على الصين سنة 1971، وقد دخلت فيه الصين كوسيط. ففي سنة 1953 كان نيكسون الشاب قد زار جزيرة الصين الوطنية تايوان، ضيفاً مكرماً على الجنرال تشان كاي شيك، وقال إنه لن يتم الاعتراف بالصين الحمراء، وشجع الانطباع بأن الولايات المتحدة تشجع آمال تشيانغ في إعادة غزو البرّ الصيني. غير أن الناس سرعان ما سمعوه يقول في حفلة أقيمت في عيد ميلاد السيد المسيح في واشنطن: «سوف أذهب ذات يوم إلى الصين. . . إلى البر الصيني». وبعد عقدين من الزمن قدر له أن يكون الاختراق الصيني على يديه واحداً من أروع إنجازاته التي لا تنكر كرئيس.

وفي سنة 1953 ذهب نيكسون كذلك إلى إيران، حيث التقى بالشاه، صاحب الجلالة الإمبراطورية محمد رضا بهلوي. ورغم أنه أصبح بسرعة «صديقاً شخصياً»، حسب كلمات نيكسون نفسها، فإنه لم يذكر اسم بهلوي في مذكراته إلاّ مرة واحدة، وبصورة مقتضبة. وليس هناك ذكر لحقيقة أن لقاءهما

جاء في غضون أشهر قليلة من عودة الشاه إلى العرش بمساعدة العملية آجاكس، وهي الانقلاب الذي دبرته وكالة المخابرات المركزية، لإبقاء إيران الغنية بالنفط تحت التأثير الغربي بشكل محكم. ولا يناقش نيكسون كذلك الطريقة التي قام بها ـ على إثر زيارة شخصية أخرى وهو رئيس ـ بتكريس الشاه حارساً للمصالح الغربية في المنطقة كلها (مع أنه حاكم طاغية له شرطة سرية وحشية). ثم إن نيكسون سلّح الأكراد بناء على طلب الشاه، وأعطاه أحدث أنواع السلاح الأمريكي، دون أي تشاور مسبق مع رؤساء هيئة الأركان المشتركة، ولا مع وزارة الخارجية. وهذا عمل شبّهه جورج بول، المساعد السابق لوزير الخارجية بعملية «إعطاء مفاتيح أكبر مخزن للمشروبات الكحولية لشخص ثبت أنه مدمن». ولا تزال العواقب السلبية لذلك تتردّد أصداؤها حتى اليوم.

ولم يكن أقل الأشياء التي أهملتها مذكرات نيكسون، هو مدى سخاء الشاه الشخصي. فالهدايا التي يقدمها رؤساء الدول الأجنبية إلى القادة الأمريكيين يجب ـ بموجب القانون ـ أن يسلمها هؤلاء القادة إلى حكومتهم الأمريكية. ولكن بعد أن ترك نيكسون منصبه، تم إدراج ما لا يقل عن اثنتي عشرة هدية من هدايا الشاه في عداد «المفقودات». كما قيل إن الشاه قد تبرع بمئات الألوف من الدولارات، وفي رواية أكثر من مليون دولار لحملة نيكسون الانتخابية سنة 1972.

وليس في المذكرات عن الفلبين شيء يذكر، مع أنها كانت في خط سير رحلاته في سنة 1953، ولا إشارة واحدة عن الشخص الذي صار رئيساً للفلبين فيما بعد، قطب اللصوصية البارون ـ الدكتاتور فرديناند ماركوس، رغم أن هناك روايات شتى عن تبرع ماركوس وزوجته إيميلدا ـ إيميلدا ذات الألوف من الأحذية، بمبلغ يتراوح بين ربع المليون دولار والمليون الكامل لحملات نيكسون السياسية. كان دافع ماركوس بسيطاً. فكما قال الأستاذ ستانلي كتلر

المؤرِّخ، والمتخصِّص بنيكسون: إنه كان «يشتري النفوذ»، تماماً كما كان يفعل الشاه.

وقد احتج نيكسون بعد سنوات بأن هناك سبباً جيِّداً لجعل الولايات المتحدة، تقيم تحالفات مع مثل هؤلاء الطغاة. وجادل بطرح السؤال: «أتريدون الشيوعية هناك؟» عندما سُئِل عن العلاقات مع إيران الشاه وفيلبين ماركوس. «إنهما دولتان متسلطتان ولكنهما تهدِّدان جيرانهما، وهما من أصدقائنا. أما الدول الشمولية الشيوعية فهي تهدِّد جيرانها، وهي ليست صديقة لنا».

كان الهدف السياسي الجدِّي لجولة نيكسون سنة 1953 م، هو البتُّ في أفضل طريقة لإيقاف الزحف الشيوعي إلى الأمام في آسيا. فمهما كانت الخلافات بين آيزنهاور ونيكسون، فقد كانا متشاركين في أن أمريكا ليس بوسعها أن تكون انعزالية، وأن من الجوهري لها أن تحتوي القوى المعادية. وفي الخمسينيَّات كان ذلك يعني القوى الشيوعية. غير أن الجهد بالنسبة لنيكسون كان ينطوي على أكثر من الاحتواء المجرَّد، فقد ظلَّ زمناً طويلاً يدعو إلى «توجه الولايات المتحدة إلى الهجوم في الصراع العقائدي» من أجل تجنُّب حرب عالمية أخرى، ومن أجل «تحقيق السلام والأمن في عصرنا». فقد كانت المعركة مع الشيوعية على رأس جدول أعماله، عندما حلَّقت طائرته المعروفة باسم كونستيليشين التابعة لسلاح الجو حول آسيا، إلى كوريا ـ التي كانت قد بدأت لتوِّها تستقر في مأزق الطريق المسدود الذي سُمِّي سلاماً ـ ثم إلى الملايو، ولاوس، وكمبوديا. . . وإلى فيتنام.

وفي ذلك الحين، لم يكن يستطيع تحديد موقع الهند الصينية على الخارطة إلاَّ قليلون من الأمريكيين. فالحرب المستعرة فيها كانت صراعَ أناس آخرين. ولم يتنبَّأ إلاَّ قليلون بأن قوات الاستعمار الفرنسي، ستسقط في اندحارٍ مخزٍ على أيدي مقاتلي هوشي مِينْهْ. وقد تذكَّر نيكسون جلوسه مع الإمبراطور

بَاوْ دايْ في دارة ضخمة شمالي سايغون، بينما «كان الخدم الحفاة يخطون إلى الداخل دون ضجة، حاملين صينيات فضية عليها الفواكه الطازجة وكؤوس الشاي». وقد تنبأ باوْ دايْ نبوءة تحقَّقت فيما بعد عندما قال: «إذا تقسَّمت فيتنام، فسوف نخسرها كلها في آخر الأمر».

وفي رحلة ميدانية في فيتنام، مرتدياً ملابس القتال وخوذة، قال للضباط الفرنسيين والمجندين الإلزاميين الفيتناميين الذين معهم، إنهم «يقاتلون على آخر تخوم الحرية وثغورها نفسها»، وأن الشعب الأمريكي «يؤيِّد قضيتهم ويكرِّم بطولتهم». وطار عائداً إلى بلاده معتقداً أنه إذا قدر للفرنسيين أن يغادروا فيتنام، فإنها وجيرانها «سوف تتهاوى مثل القش أمام الإعصار الشيوعي». فَقَبِلَ نظريةَ الدومينو قبولاً لا انتقاد فيه، وهي النظرية التي سيكون من شأنها في قابل الأيام بعد ذلك أن تحرِّك سياسة أمريكا الخارجية، فتودي بحياة ألوف الأمريكيين وملايين الفيتناميين.

وبعد وقت قصير من عودة نيكسون إلى واشنطن، عندما واجهت أمريكا أول قرار جدِّي حول فيتنام، كان مؤيداً قوياً لاتخاذ إجراء عنيف. فقد انحصر عشرة آلاف من خيرة مغاوير فرنسا في قطاع آخذ بالتقلُّص في ديان بيان فو، تحت هجوم لا هوادة فيه من قوة شيوعية كبيرة. وبينما كانت الولايات المتحدة تموِّل 80 بالمئة من كلفة المجهود الحربي الفرنسي، وتقدِّم للفرنسيين نحو مئتي خبير[1]، فقد تعرَّض آيزنهاور لضغط لاستخدام القوة لإنقاذ المحاصَرين الفرنسيين. واستذكر نيكسون: «كان الأولاد [يقصد كبار مساعديه] يشدِّدون حرارة الضغط عليّ». غير أن الرئيس كان ينقصه تأييد الكونغرس وحلفاء أمريكا، فلم يتدخل.

وفي نيسان/إبريل سنة 1954 م، أثناء خطاب في الجمعية الأمريكية

---

(1) ارتفع الرقم إلى سبعمئة أثناء رئاسة آيزنهاور (مانشستر، مصدر سبق ذكره، ص 918، ولكن أنظر كارنو، مصدر سبق ذكره، ص 267).

لمحرِّري الصحف، سئل نيكسون عن رأيه فيما يتعيَّن على الولايات المتحدة أن تفعل، إذا انسحب الفرنسيون من ڤيتنام. فأجاب بأن محنة العالم الحر تدعو لليأس، وأن التراجع من آسيا شيء لا يمكن التفكير فيه. وتابع يقول: «وإذا كنا مضطرين ـ من أجل تجنُّب ذلك ـ إلى المخاطرة الآن بإرسال أولادنا الأمريكيين إلى هناك، فإني أعتقد أن على السلطة التنفيذية، أن تتخذ الموقف السياسي غير الشعبي وتواجه الأمر وتفعل ذلك، وأنا شخصياً سأؤيِّد مثل هذا القرار».

وبتلك الكلمات صار نيكسون واحداً من أوائل كبار الساسة المنتخبين، وربما أولهم جميعاً في الإعلان بصراحة، عن تأييده لإنزال قوات برِّية أمريكية على أرض ڤيتنام.

ورغم أن الملاحظات أبديت على أساس أنها ليست للنشر، فقد حدَّدت الصحافة الغربية نيكسون على أنه مصدرها. وسرعان ما تبعتها الصحف الأمريكية بعناوين كبرى. وبما أن نيكسون كان قد اتبع خطاً مثيراً للجدل والخلاف، ونظراً لأن جمهور مستمعيه كان يتألَّف من صحافيين، فما كان بوسعه أن يتوقع غير ذلك منهم. ولقد افترض بعضهم أن نائب الرئيس كان يطيِّر بالون اختبار، نيابة عن آيزنهاور لتجربة ردِّ الفعل لدى عامة الناس. ومع ذلك فإن السجل يوحي بأنه كان يعبِّر عن رأيه الخاص، وانعكس ذلك في تعليقاته. وبالإضافة إلى ذلك، توضح رسالة كتبها مساعده جيمس باسيت في اليوم التالي، أن نيكسون قد جاء إليه «متوقعاً منه الثناء عليه والإمساك بيده»، للتباهي به بعد «حديثه الصريح». فقد كان نيكسون «يعرف أن ذلك سوف يسبِّب ضجة». وأخبر باسيت زوجته أن نيكسون «قد فعل ذلك عمداً (كما أخبرني لتوِّه بالهاتف) لكي يثير شيئاً من التفكير. . .» وأن حديث نيكسون عن إرسال قوات أمريكية إلى ڤيتنام كان «من بنات أفكاره الخاصة».

وخلف الكواليس، كان الأميرال آرثر رادفورد، رئيس هيئة الأركان المشتركة قد اقترح مساعدة الفرنسيين، بضربات جوية توجهها قاذفات أمريكية.

وقد أطلق على الخطة اسم «نسر الجِيَف»، وكانت تشمل خياراً خاصاً، هو استخدام ثلاثة أسلحة نووية تكتيكية. فكان رد فعل آيزنهاور على تلك الفكرة هو قوله: «لا بدَّ أنكم مجانين أيها الأولاد. إننا لا نستطيع أن نستخدم هذه الأشياء الرهيبة ضد آسيويين للمرة الثانية خلال أقل من عشرة أعوام. يا إلهي. . .» ولكن كان من بين الذين أيَّدوا ذلك الخيار النووي: نيكسون وآخرون، منهم جنرال القوة الجوية كيرتس ليماي، الذي قُدِّر له فيما بعد أن يتبنَّى الدعوة إلى ضرب فيتنام الشمالية بالقنابل «لإعادتها إلى العصر الحجري».

وبمرور الأيام بدا أن الانحدار الفرنسي في ديان بيان فو محتوم، فشرع نيكسون يتحدَّث في مجالسه الخاصة عن الحاجة إلى «غرس شيء من **الشجاعة** في نفوس الناس. بينما ظلَّت نظرة آيزنهاور أكثر برودة. فقال في اجتماع في البيت الأبيض «ستستمر الشمس في الشروق، ولن تكون ديان بيان فو نهاية العالم». . . إن الأمر ليس بهذه الأهمية».

وفي جلسة مصارحة بلا تحفظات، أثناء المنادمة على الشراب مع جيمس باسيت في محل ديوك زيبرت، جادل نيكسون في أن أفضل أمل هو في إقامة حلف في حوض المحيط الهادي «حتى بدون البريطانيين المتقاعسين» - واستخدام الصينيين الوطنيين إذا صدرت عن الصين الحمراء تهديدات. «وعندئذ، بحق الله، سوف يتعيَّن علينا أن نستخدم القنبلة الذرية. اسمع كلامي جيِّداً. . .».

وبعد سقوط ديان بيان فو، وبعد إشعار آيزنهاور لفرنسا أنه لن يتدخل، وبعد انقسام فيتنام إلى شطرين بموجب اتفاقية جنيف، ظلَّ نيكسون أحد المروِّجين لهجوم ينطوي على إنزالات برمائية، وقوات برِّية. وقدر لآيزنهاور أن يكتب فيما بعد أنه كان يعتبر التدخل الأمريكي من جانب واحد، «ليس أقل من حماقة محضة». وقُدِّر لسبعة أعوام أن تمضي بعد ذلك قبل أن يلتزم جون ف. كيندي بإرسال آلاف مؤلَّفة أخرى من «الخبراء» إلى ڤيتنام الجنوبية، فكان

ذلك هو الفصل الأول في مأساة الحرب الأمريكية في ڤيتنام، وهي حرب قُدِّر لنيكسون أن يؤيِّدها طويلاً.

وفي تلك الأثناء ظلَّ نيكسون يشدِّد بجهد غير عادي على إظهار، أنه شخصياً يملك «الشجاعة» لمواجهة الشيوعيين بجسارة. وفي سنة 1958 م، كادت جولته في أمريكا اللاتينية، التي وُصِفَتْ بأنها رسالة حسن نية، تكلِّفه حياته. فقد كانت خطته هي زيارة ثمانية بلدان، وإلى جانبه زوجته بات، في وقت تزايد فيه الغليان هناك، بتشجيع من موسكو. وبعد عقد من مناطحة فكرة الشيوعية في الولايات المتحدة، كان على نيكسون أن يواجه البعبع الحقيقي.

وفي بادئ الأمر، في أورغواي، لم يواجه شيئاً أسوأ من مشاغبات الطلاب، ولافتات كتبت عليها عبارة «أخرج من هنا يا نيكسون!» و«استعماري!» وادعاءات بأنه مسعِّر حروب وصديق للطغاة. ثم بعد أن واجه المحتجين، وناقش القضايا الجوهرية في باراغواي التي يحكمها آلفريدو ستروسنر ـ مطالباً بالحرية السياسية، قرَّر متزعمو الحركات الشيوعية أن يجابهوه بعنف.

وتلقَّى تحذيراً من كون المتظاهرين، يعتزمون منعه من زيارة جامعة سان ماركوس في ليما عاصمة بيرو، فقرَّر أن يجابههم مباشرة. ولم يكن يرافقه سوى مترجمة ورئيس الشرطة السرية المكلَّف بحمايته. فترك سيارته وتقدَّم نحو حشد من ألفين من الطلبة الغاضبين، وصرخ: «أحبُّ أن أتحدَّث إليكم». ثم سألهم بصوتٍ علا فوق هدير الشتائم الذي قابله: «لماذا أنتم خائفون من الحقيقة؟» فبدأت الحجارة تتطاير، وكسر واحدٌ منها ضرسَ أحد رجال الشرطة السرِّية، وانحرف قليلاً عن كتف نيكسون. وعندما تراجعوا إلى سيارتهم المفتوحة، وقف نيكسون ويداه فوق رأسه وكأنه مقاتلٌ منتصرٌ فاز بجائزة، وهو يصرخ «جبناء!. . . أنتم أسوأ أنواع الجبناء!» بينما ابتعدت به السيارة.

وفيما بعد، عندما عاد إلى فندقه، راح الناس يقذفون الفواكه والأحجار

الصغيرة. وقد تذكَّر منهم رجلاً «ذا شخصية غريبة مخيفة. . . [وله] عينان بارزتان إلى الخارج» بصق في وجه نيكسون تماماً. وعندما تلقى رسالة تعاطف من آيزنهاور، أجاب عليها بأن الإصابات الوحيدة هي «بذلتان من بذلات بِنْ فريمان لن أستطيع ارتداءهما ثانية».

واستذكر نيكسون أنه بعد ذلك «حيَّاه مواطنو مدينة ليما تحية الأبطال». واعتبر تلك الواقعة نصراً، واستشاط غضباً عندما قيل له إن موظفي وزارة الخارجية، يعتقدون أنه قد أحرج الحكومة المضيفة، ونجم عن ذلك الإضرار بالعلاقات بين الولايات المتحدة وبيرو.

ولكن الدراما الحقيقية العنيفة حدثت في فنزويلا. فمنذ اللحظة التي خرج فيها نيكسون وزوجته باسمين من طائرتهما، كان واضحاً أن الشيوعيين عازمون على شن هجوم عنيف. فبينما وقف الزوجان في انتباه أثناء عزف السلام الوطني، بدأت جماعة من الدهماء في إحدى الشرفات تمطرهما برشاش من البصاق، وتذكَّر نيكسون أنه «راح يصيب وجوهنا وشَعْرَنا. ورأيت بذلة بات الحمراء البرَّاقة تصير داكنة من لطخات البصاق المخلوط بالتبغ البنِّيِّ الملوَّن». فوقفا وتحمَّلا الإهانات، ثم وجدا طريقهما بصعوبة إلى سيارات ليموزين منفصلة، للاتجاه في موكب إلى المدينة.

وفي أخشن ضواحي العاصمة، كان الشيوعيون قد أعدُّوا سلسلة من الكمائن. وقال أحد المراسلين إن ما وقع بعد ذلك كان «يشبه مشهداً من الثورة الفرنسية». فقد انهال على الموكب أولاً وابلٌ من الحجارة، ثم واجهه جمهور من الرعاع الفقراء، يلوحون باللافتات والهراوات. فشقَّ موكب نيكسون طريقه من خلالهم، ولكنه اصطدم بحاجز آخر، وما إن تدبَّر أمر النجاة منه حتى انسدَّت الطريق أمامه ثانية. ولم يكن الهتاف هذه المرة «أخرج يا نيكسون!» ولكن: «الموت لنيكسون!» ولقد كاد ذلك يتحقَّق؛ إذْ أن نيكسون تذكَّر:

جعلني منظر السيارة من الداخل أفكِّر في دبَّابة مجهَّزة ومستعدة للقتال. . . فقد تمزَّق العلمان الفنزويلي والأمريكي من على مقدمة السيارة. . . ورأيت أننا كنا محاصرين في الحقيقة. . . فمن الدروب والشوارع الفرعية، تدفَّقت جماعات الرعاع الصارخين بالمئات، وهم يقذفون الحجارة ويلوحون بالعصيِّ وقطع الأنابيب الفولاذية. . . واصطدم حجر كبير بنافذة السيارة المضادَّة للتبعثر وظلَّ ملتصقاً بها، بينما أصاب رُشاشُ الزجاج عين وزير الخارجية.

كان الغوغائيون يريدون إسالة الدم. . . ولقد كدتُ أصاب بمرضٍ جسديٍّ من رؤية الهياج الجامح في عيون مراهقين من الفتية والفتيات الذين لم يكونوا أكبر بكثير من ابنتي تريشيا ذات الاثنتي عشرة سنة، فكان رد فعلي شعوراً بالكراهية المطلقة لمثيري الشغب الشيوعيين الغلاظ القساة الذين كانوا يدفعون بالأطفال إلى مثل هذا الموقف غير المعقول. . . وبدأ واحد من زعمائهم ـ وهو نموذج للسفاحين الأجلاف ـ يضرب النافذة المجاورة لي بقضيب حديد كبير.

وقال نيكسون فيما بعد إن ذلك الرجل كان يبدو له، شبيهاً بخليط من غيرهارت إيزلر، ويوجين دنيس وشيوعيين آخرين رآهم في الماضي. كان بالطبع قد رأى إيزلر ودنيس، وكلاهما يساريان أمريكيان، في الجو الهادئ لغرفة التحقيق في الكونغرس[2]. أما في كراكاس فإن السفَّاح ذا الأنبوب الحديدي نجح في فتح ثقب في نافذة السيارة. وجرح الزجاجُ المتطايرُ مترجمَ نيكسون وعميلَ الشرطة السرية، وخدش نيكسون في وجهه. وبدأ القضيب الحديدي يتجه بوخزاته نحو نيكسون من خلال الثقب في النافذة.

واستذكر نيكسون: «ثم سمعنا المهاجم يصرخ بأمر. فبدأت سيارتنا تهتز. فعرفت ما الذي كان يجري. كانت خدعة مألوفة من الدهماء في جميع أنحاء العالم أن يهزوا سيَّارة ما، ويقلبوها ثم يشعلون فيها النار. ومرَّ بذهني في لحظةٍ خاطرٌ هو إدراكي بأننا قد نتعرَّض للقتل. . .».

---

(2) لقد مثل إيزلر ودنيس أمام لجنة النشاط المعادي لأمريكا التابعة لمجلس النواب، وقد وجهت لهما معاً تهمة احتقار الكونغرس، وكان الاتهام ضد إيزلر بناء على تحريض شخصي من نيكسون (كوت، مصدر سبق ذكره، ص 90 وما يليها، 210؛ الإشارة إلى إيزلر: أنظر ص 132.

كان ذلك ممكناً حقاً لولا أن مفرزة أمن فنزويلية، أزالت الحاجز من أمامهم، ومكَّنتهم من متابعة طريقهم[3]. وابتعدت ليموزين نيكسون وماسحات زجاجها ترفرف، لتنظيف شلال البصاق على زجاجها الأمامي.

لم يصب أحد بأذى خطير. وقد تعرَّضت السيارة المقلَّة لبات، للهجوم أيضاً. ولكنها لم تصب بأذى. وبعد ست سيارات في الموكب أصيبت السكرتيرة روز وودز بجروح سطحية طفيفة من الزجاج المتطاير. وبناءً على نصيحة مساعده الأمني من الشرطة السرِّية، والمترجم، وهو مقدَّم في الجيش الأمريكي، تخلَّى نيكسون عن خططه لحفل وضع إكليل من الزهور، وتوجه إلى مقر إقامة السفير الأمريكي. وسرعان ما كان الفريق كله يرتاح حول كؤوس من الجنِّ المسكر، والشراب المنشِّط والخبز المحمَّص بالجبن والكافيار في ضيافة زوجة السفير الأمريكي.

وقد أثبتت المخابرات فيما بعد أن نيكسون لو تابع طريقه، وذهب إلى حفلة وضع إكليل الزهور لواجه قنابل كوكتيل المولوتوف، التي عُثِرَ على أربعمئة منها مصفَّفة بأناقة قرب قبر سيمون بوليفار، [الثائر الأمريكي اللاتيني المعروف باسم المحرِّر (1783 ـ 1830)، لأنه حرَّر كولومبيا وفنزويلا وإكوادور من الاستعمار الإسباني، ولا تزال «بوليفيا»، التي ساعد في تحريرها، تحمل

---

(3) كتب نيكسون في مذكراته بازدراء وسخرية عن الجهد الأمني الفنزويلي، معطياً سائق شاحنة الصحافة فضلَ تدبير عملية الهرب من الجمهور الحاشد. وقال مترجمه العسكري، المقدم والترز، إنه لم يعرف مَن الذي أزاح الحاجز الذي كان يسد الطريق، والذي كان يتكون من سيارات متلاصقة واقفة عبر الطريق. وفي سنة 1998 قال جاكوب استرلاين، المدير السابق لمحطة وكالة المخابرات المركزية إن جورج مولدونادو، رئيس جهاز الأمن الفنزويلي قد عمل بمبادرة منه على تنظيم عملية الإنقاذ. ولاحظ إيرل مازو، الذي كان حاضراً أن «جنوداً» قد جاؤوا للنجدة، كما فعل دنيس مكارثي، موظف الشرطة السرية، نقلاً عن زميل له كان شاهداً على تفاصيل ما حدث في كاراكاس (نيكسون: **ست أزمات**، مصدر سبق ذكره، ص 219؛ **ومذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 191؛ ووالترز: والترز، مصدر سبق ذكره، ص 332؛ **مقابلات**، جاكوب إسترلاين، مازو، مصدر سبق ذكره، ص 235؛ دنيسى مكارثي وفيليب سميث: **حماية الرئيس**، طبع نيويورك: مورو، 1985، ص 46).

اسمه: المترجم]. وقد كتب ي. إ. بوغمان، رئيس الشرطة السرية بعد سنوات: «لا أعتقد أن الشعب الأمريكي يعرف كم كان السيد نيكسون وزوجته قريبين من الموت». وقال جاكوب إسترلاين رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية في كاراكاس: «لقد كان على وشك أن يُسْحَقَ بشكل لعين».

وفي ذلك المساء أصدر الرئيس آيزنهاور، أوامره بتنفيذ العملية «ريتشارد المسكين»، بتحريك ألف من جنود البحرية، والمظليين، وست مدمِّرات، وطرَّاد، وحاملة طائرات باتجاه فنزويلا. ولم تكن هناك حاجة إليها. فقد انتقل نيكسون إلى المطار في اليوم التالي في قافلة مشدَّدة الحراسة، وطار إلى بلاده ليلقى استقبال الأبطال في واشنطن، حيث حياه في المطار الرئيس، ومجلس الوزراء، وكبار أعضاء الكونغرس وجمهور راح يهتف له.

فكانت اللافتات التي رآها تحمل عبارات مثل: «لا تَدَعْ أولئك الشيوعيين ينالون منك يا دِكْ» و«الجبن الشيوعي يخسر ـ وشجاعة نيكسون تفوز». وسرعان ما تشكَّل على يد نيكسون نادٍ من المشاركين القدماء في تلك الرحلة إلى أمريكا اللاتينية، على غرار جماعة سنِّ الكلب التي كانت قد تألَّفت للاحتفال بنجاته من أزمة الصندوق السرِّي من قَبْلُ. وأطلق على ذلك النادي اسم نادي الروك آند رول، في إشارة مفترضة إلى محاولة قلب سيارته. وحَيَّاهُ الأعضاءُ في الاجتماع الأول، بأغنية مسائية على غرار لحن أغنية «الأخ جاك» الذي اجتاح فنزويلا وبيرو، ولكن كلمات أغنية التحية المذكورة كانت تقول: «تسقط فنزويلا!» و«يعيش نيكسون!».

وقد وضعت تلك الرحلة نيكسون في «حلبة» رجل الفعل، بحيث راح يستوحيها ويستلهمها كثيراً. ذلك أنه بعد أن خرج منها سالماً، سيطرت عليه فكرة أن كل شيء قد انتهى إلى خير بفضله، وأنه كان **هو** المسيطر طيلة الوقت. ويتفق الشهود على أن نيكسون قد أظهر شجاعة بالفعل. أمَّا ما إذا كان قد أظهر سيطرة حقيقية أو حكمةً في التصرُّف، ورباطة جأش كالتي يأمل بها المواطن في

القائد، فتلك مسألة أخرى. ويكمن الجواب جزئياً في تعليقاته المشحونة على تلك الجولة.

قال عن الليلة التي سبقت مواجهته للمشاغبين البيروفيين: «لم أنم إلاّ قليلاً كنت أشعر أن فترة القلق المحيِّر هذه ترهق الأعصاب أكثر مما سيفعل العمل في الغد. وكان ذلك جزءاً من تناذر إرهاصات الأزمة. . . ولا يخاف المرء في وقت كهذا، لأنه يغلق المنافذ أمام أي فكرة للخوف بعملٍ واعٍ تقوم به الإرادة. . .».

وقال عن اللحظة التي اختار فيها أن يوبِّخ المحتجين، ويعيِّرهم بأنهم جبناء: «شعرت بالإثارة في المعركة. ولكنني كنت مسيطراً على طبعي سيطرة تامة عندما سلقت الغوغاء بلسان حاد». واستذكر الوقت الذي بصق فيه متظاهر على وجهه مباشرة: «لقد كان ذلك اختباراً رهيباً للسيطرة على الطبع». وقال إنه في المواقف الصعبة والقاسية يبقى «بارد الأعصاب متعمقاً في التحليل». «عندما يحاول أحدهم الإضرار بك أو النيل منك، فإن طريقة إيذائه ليست أن تغضب، بل أن تتعامل معه بترفع وأَنَفَة».

ومع ذلك، وحسب روايته المتناقضة نفسها، فإنه كان بعيداً عن «البرودة». فقال عن الباصق ذي العينين البارزتين المنتفختين: «شعرت بحافزٍ لا يكاد يقاوَم لتمزيق الوجه الذي أمامي إرباً إرباً». واعترف بأنه لم يمنعه من ضرب ذلك الرجل سوى تدخل الشرطي السرِّي. وحتى عندئذٍ فإنه قال: «شفيت غليلي بزرع رفسة صحية في قصبة ساقه. ولم يكن هناك شيء فعلته طيلة ذلك اليوم أرضاني أكثر من تلك الرفسة».

وفقد نيكسون السيطرة على طبعه عدة مرَّات أثناء الرحلة. حدثت المرة الأولى في بيرو، عندما استدعى اثنين من موظفي وزارة الخارجية ـ وكانا نصف عاريين، لأنهما كانا منهمكين بالاستعداد لحفل عشاء رسمي ـ كي يوبِّخهما لأنهما أشارا بصورة سرِّية خاصة، إلى أن أعماله قد ينجم عنها ضرر

دبلوماسي. وفي كاراكاس، عندما تَحَدَّتْ سيارته الغوغاء، فإنه صبَّ جام غضبه على وزير خارجية فنزويلا «من فوهتي الخرطوش معاً»، لمحاولة الوزير شرحَ سياسة حكومته إزاء المظاهرات. وبعد ذلك، كما استذكر مساعده العسكري دون هيوز، فإنه أعطى قادة حكوميين آخرين «أبشع توبيخ لعين»، و«ثارت ثائرته» عندما أخبر أن آيزنهاور، كان يحشد القوات استعداداً لعملية إنقاذ محتملة، لأن البيت الأبيض لم يَسْتَشِرْهُ أولاً (والواقع أن البيت الأبيض ما كان بوسعه أن يفعل ذلك لأن الاتصالات كانت قد أُصيبت بانقطاع مؤقت. . .).

أما «الترفع» الذي عزاه نيكسون لنفسه، فقد امتدَّ ليشمل أيضاً موقفه من بات التي طالت معاناتها. فلم يقم بأية محاولة لحمايتها بينما كانا واقفين، طيلة عزف السلام الوطني الفنزويلي تحت وابل من البصاق. ثم أصرَّ على أن تسير سيارتها خلف سيارته مباشرة، فخرق بذلك القاعدة الجوهرية للشرطة السرِّية، التي تقضي بأن عملاءها المرافقين، هم وحدهم الذين يجب أن يكونوا في السيارة اللاحقة. وقال رئيس الشرطة السرية بوغمان: «لقد بقيت في ذهني ملاحظة أبداها السيد نيكسون من تلك الواقعة الرهيبة. فقد قال العميل المرافق للسيد نيكسون داخل سيارته بعد أن عاد موكب نائب الرئيس إلى التحرُّك: «آمل أن تستطيع السيدة نيكسون أن تخرج من هذا المأزق». فردَّ السيد نيكسون: «إنْ لم تخرج منه، فلا حيلة لنا».

وقُدِّر نيكسون أن يزعم أنه هو الذي «اتخذ قراراً قيادياً» بتنفيذ المناورة التي خلَّصت الموكب من لحظة الخطر العظمى، وأنه بعدئذ قد اتخذ «قراراً قيادياً آخر» أدَّى إلى تجنُّب المزيد من المشاكل عند ضريح بوليفار. غير أن الروايات الأخرى تشير إلى أنه لم تكن له يد في القرار الأول، وأنه عمل بناء على نصيحة في القرار الثاني.

واستعمل نيكسون لغة حربية مماثلة، لوصف كيفية تأثير الحوادث فيه.

فكتب يقول: «ما إن تنتهي المعركة حتى يبدأ دفع الثمن بالإرهاق العاطفي، والعقلي، والجسدي». ففي بيرو، شعر أنه «منهك حتى النضوب» بعد تجربة لم تستغرق سوى ساعتين. وكان «مُعْتَصَراً» بعد واقعة كراكاس، بحيث حصل على «نومة قيلولة ما بعد الظهر، لأول مرة بعد اثنتي عشرة سنة من الحياة العامة». وأوضح: «إن رد فعلي على الضغط، والتحدِّي، والصعوبة الكبرى يحدث فيه نوع من التأخر الكيميائي. . . وبعد أن تنتهي أزمة مثل هذه، أشعر بهبوط هائل، وإرهاق، وكأنني خارج من معركة».

وكانت المفارقة الساخرة، التي قدر لها أن تكون لها مفارقات مماثلة تتكرَّر طيلة حياة نيكسون، هي أنه هو الذي جلب على نفسه تلك المحنة في أمريكا اللاتينية. فقد قال رئيس الشرطة السرِّية بوغمان عن الواقعة التي اقتربت كثيراً من الخطر في كراكاس: «كان بالإمكان تجنبها كلِّياً، فكنت قد تلقَّيت تقريراً عن مدى خطورة الأوضاع، ولم أكن أريد لنائب الرئيس أن يقوم بالرحلة. ولكن صوتي ذهب كصرخة في واد، وكنت كمن يتحدث في برميل». فتجربة نيكسون «لم تخفِّف من تهوُّره كما يبدو».

أما الرجل الذي قدَّم المعلومات المسبقة عن كراكاس، وهو رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية هناك، جاكوب إسترلاين فقد حاول بشكل يكاد يكون يائساً أن تُلْغَى تلك الزيارة. فقبلها بأسابيع، أظهر الاستطلاع «برهاناً لا ينازَع»، مسجلاً على شريط، بأن الشيوعيين المحليين كانوا يخطِّطون لقتل نيكسون. فطار إسترلاين إلى واشنطن بمبادرة شخصية منه، لتقديم تلك المعلومات الاستخبارية إلى آلن دالاس، مدير وكالة المخابرات المركزية ولتحذير نيكسون. فقال دالاس: «إنه قرار سياسي. فنيكسون ذاهب إلى هناك وليكن ما يكون». وقال أحد مساعدي نيكسون لإسترلاين: «لا تحشر أنفك اللعين في هذا الأمر».

وعشية الرحلة، عندما كان نيكسون في بوغوتا ـ المحطة السابقة

لكراكاس ـ بذل إسترلاين محاولة أخيرة لإيقاف الزيارة[4]. فقد قام دالاس، وهو صديق لنيكسون، بإخبار إسترلاين مرة أخرى، بأن نيكسون قد استمر في رحلته «لأغراضه السياسية الخاصة به». واستذكر إسترلاين: «إن ذلك قد أثار حفيظتي على نيكسون. فقد أدركت أنه مندفع وراء طموحه، طموحه العنيد المصمِّم على أن يصبح رئيساً».

ولم يكن تصميم نيكسون على إظهار شجاعته كافياً بالتأكيد، كمبرِّر لتعريض حياة الآخرين لخطر شديد، وكذلك التأثير المشكوك فيه لتلك الجولة على علاقات أمريكا الخارجية. وأشار ستيوارت آلسوب إلى أن «من الواضح أن امتلاك الشجاعة لا يؤهل بحد ذاته رجلاً لمنصب الرئاسة». وكان جيمس رستون أقل لطفاً عندما وصف الجولة، بأنها «ممارسة وطنية لخداع الذات» وبأن «رد الفعل على رحلة نيكسون كان تقليدياً»، حيث «تم تحويل اندحار وطني إلى نصر سياسي شخصي عن طريق الكلام. . .» فقد حرَّض نيكسون فعلياً على الشغب بهدف البحث عن نصر سياسي. وكان ذلك نمطاً كرَّره نيكسون طيلة حياته العملية.

وأثناء حملة الانتخابات الرئاسية سنة 1960 م، أمر الشرطةَ السرِّية بالحدِّ من إجراءات الرقابة والسيطرة، على الجماهير المحتشدة في غرينز بورو في كارولاينا الشمالية، بطريقة «جعلت استراتيجيتنا الوقائية بلا فائدة»، حسبما قال رئيس الشرطة السرية بوغمان وكانت النتيجة، كما جاء في تقرير عميل للمخابرات في الميدان، هي أن «الحشد المنظم تدهور على الفور إلى معمعة من العراك الصاخب، والشجار الخشن على نحو متزايد».

---

(4) لقد اعترف نيكسون فيما بعد أنه تلقى، في وقت مبكر وفي الدقيقة الأخيرة، تحذيرات، ولكنه قال إن القرارات الأمنية «تقع خارج اختصاصي». ومن الواضح أن قرار الذهاب إلى كاراكاس كان قد اتخذه نيكسون بنفسه كليّاً. (**مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 186؛ ونيكسون: **ست أزمات**، مصدر سبق ذكره، ص 186، وص 210 وما يليها، وروفوس يونغبلود: **عشرون سنة في الشرطة السرية**، طبع نيويورك: سيمون شوستر، 1973، ص 69).

وفي سنة 1970، قَبْلَ تجمع في كاليفورنيا، تلقى المراسلون معلومات عن احتمال حدوث مشاكل. فكان نيكسون تعمّد أن يعيد مشهد المجابهة في ليما، إذ صعد إلى غطاء مقدمة سيارته أعطى إشارة النصر على حرف 7 بإصبعيه السبابة والوسطى، لحشد من الطلبة المحتجين على حرب ڤيتنام. فبدأت الحجارة والقذائف تتطاير، وسط فرح مساعدي الرئيس نيكسون. وقال جيمس رايتسون، رئيس تحرير **ساكرامانتوبي**: «لقد بدا كأن نيكسون قد تعمّد استفزاز ذلك الحشد الغاضب. فكان المشهد شبيهاً بكاراكاس، الواقعة التي يحبّ أن يتفاخر بها متبجّحاً».

في 23 تموز / يوليو 1959، طار نيكسون إلى مطار أجنبي آخر، كانت «العداوة المنذرة بالشر» فيه تُذَكِّرُهُ بوصوله إلى كاراكاس. غير أنه في هذه المرة لم يتجمع حشدٌ ليصرخ بالشتائم: بل لم يكن هناك أي حشد على الإطلاق. وأسرع الموكب في طريقه وسط شوارع تكاد تكون خالية، ولم يكد العابرون من المارّة يديرون رؤوسهم. وفي مقر إقامة السفير الأمريكي، تم إطلاع نيكسون على المعلومات عن الوضع في غرفة جلوس صغيرة، اُعْتُبِرَتْ هي المكانَ الوحيد الخالي من سماعات مخبأة. كان قد وصل إلى موسكو، في أهم مهمة كلف بها كنائب للرئيس.

وبالنسبة للأمريكيين المشاركين في تلك الرحلة فإنها كانت، على حد قول ملتون، شقيق الرئيس آيزنهاور: «رحلة محفوفة بالأمل، والغموض، والخوف». فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ونزول الستار الحديدي على أوروبا الشرقية، لم يتحوّل الاتحاد السوفييتي إلى تهديد عسكري فحسب، بل صار أرضاً مجهولة ممتنعة لا يصل إليها الأمريكيون. وكان البلدان على مدى سنين يقعقعان بأسلحتهما النووية ويخوضان حرباً متطاولة من التجسّس والدعاية.

فقبل ذلك بأقل من ثلاث سنوات، بعد قمع موسكو الدامي للثورة الهنغارية، كان آيزنهاور قد أرسل نيكسون إلى النمسا المجاورة، ليقدم له تقريراً

عن أزمة اللاجئين المجريين. فانتقل في عربة تِبْن إلى الحدود تماماً، وشاهد بؤس اللاجئين، وأطلق على رئيس الوزراء السوفييتي نيكيتا خروشيف لقب جزار بودابست. أما الآن (سنة 1959)، فعلى الرغم من أن مناسبة الرحلة إلى موسكو كانت لافتتاح معرض للمنتوجات الأمريكية، وكان ذلك بحد ذاته اختراقاً انفتاحياً، فقد كان التحدي الحقيقي هو التقاؤه بخروشيف.

وقُدِّر لنيكسون، حسبما هو معهود عنه، أن يشعر بأنه «معبأ ومشحون وجاهز للمعركة». فقبل أن يغادر واشنطن تلقى معلومات مستفيضة من وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية، وتحدث مع كل شخص استطاع العثور عليه ممّن قابلوا الزعيم السوفييتي. ثم تصفّح أعمال ماركس، ولينين، وستالين، بل وتعلّم قليلاً من اللغة الروسية ـ بصحبة زوجته بات ـ. وفي موسكو، في الليلة التي سبقت اجتماعه بخروشيف، لم يستطع النوم.

وفي العناوين الصحافية والأدبيات الشعبية المعاصرة لتلك الواقعة وما تلاها، تم تصوير المقابلة بين البلشفي العجوز، ورجل أمريكا المعادي للشيوعية، على أنها مواجهة عنيفة فيها دقٌّ على الصدور. فقد تحدث خروشيف بشيء من الوعيد الخشن الصاخب، وهزّ إصبعه مهدداً في وجه نيكسون، الذي ردّ عليه بالمثل. وفي جولة من أولى المبادلات بينهما، وجّه خروشيف نقداً عنيفاً ومستمراً لقرار الكونغرس الأمريكي حول الأمم الأسيرة، الذي دعا إلى دعم جميع الشعوب الواقعة تحت الحكم السوفييتي، فقال عنه «إن رائحته عفنة مثل براز حصان طازج التغوّط. فلا شيء له رائحة أسوأ من ذلك!» فردّ عليه نيكسون بأنه يعرف من التجربة أن براز الخنازير له رائحة أسوأ. فرد عليه خروشيف بأنه قد اشتغل بتجريف البراز البشري.

واستمر هذا النوع من الجدل، للاستهلاك المحلي العام في المعرض الأمريكي. ففي عرض يوضح التطور العجيب لأشرطة الفيديو، تنازع الرجلان مرة أخرى أمام عدسة تلفزيون. فتفاخر خروشيف بأن الاتحاد السوفييتي،

سيتفوق على أمريكا تكنولوجياً في غضون سبع سنوات. وقال لنيكسون: «إنك لا تعرف عن الشيوعية شيئاً سوى الخوف منها». وأرهبه بالصياح العابس، وتطاول عليه بكلمات بذيئة ـ رغم أنه لم يسمعها سوى عدد قليل من الأمريكيين الحاضرين آنذاك ـ فقال له باحتقار: «اذهب وضاجع جدتي. . .» فسال عرق نيكسون بغزارة، ولم يجد طريقة فعالة للردّ على هذا التهجم، فشعر بأنه قد خسر الجولة.

واستعاد نائب الرئيس رباطة جأشه في استعراض مطبخ «البيت الأمريكي النموذجي»، وهي زيارة رتّبها وكيل صحافي شاب يدعى وليام سافاير، وقد صار فيما بعد من كتاب الأعمدة البارزين، ثم ـ أثناء رئاسة نيكسون ـ كاتب خطابات في البيت الأبيض. وكانت الصحافة السوفييتية آخذة في السخرية من المعرض، فزعمت أنه لا يمثل بيت عامل نموذجي إلاَّ بمقدار، ما يمثله قصر بكنغهام في إنكلترا أو تاج محل في الهند. فدحض نيكسون حجج خروشيف، ثم ألقى عليه محاضرة في العبث والخطر الناجمين عن محاولة أمة فرض إرادتها على أمة أخرى.

وتظهر الصور مشهداً يبدو فيه نيكسون، وهو يعطي إشارات صارمة ويوجه إصبع اتهام واخزٍ إلى صدر الزعيم السوفييتي. فلم يعد نيكسون يتخذ موقف الدفاع، دع عنك الرضوخ للصراخ. وكان هاريسون سالزبوري، أحد المراسلين الحاضرين القلائل، الذين يتحدثون بالروسية والذين عرفوا ما كان يقوله خروشيف. فكان انطباعه عن المحصلة أنها كانت «تقديماً قديراً ولافتاً للأنظار قام به كل من الرجلين لوجهة نظره. . . ولقد أدهشتني طريقة صمود نيكسون».

وبعد بضع ليال، وأمام حضور أمريكيين، ألحق نيكسون بنفسه الخزي. وقد استذكر ملتون، شقيق آيزنهاور، سلوكه لدى عودته من مقابلة بثها التلفزيون السوفييتي. «رجع مضطرباً ومنزعجاً بشدة. . . وكان عصبياً بصورة رهيبة. . .

فشرب نحو ستة كؤوس من المارتيني قبل أن يجلس للعشاء. . . وحالما جلسنا، شرع يطوف حول المائدة ليسأل كل واحد عن رأيه بخطابه على الشاشة. واستمر يقاطع كل شخص بسؤاله: هل سمعتني أقول هذا؟ هل سمعتني أقول ذلك؟ ثم بدأ يستخدم لغة مهينة، حسناً ليست مهينة، ولكن فيها شتائم بذيئة وسط حضور مختلط. . . كان شخصية غريبة».

واستذكر الموظف الأمريكي فلاديمير تومانوف: «لم تزعجني حقيقة كونه قد أفرط في الشراب بكأسين أكثر من اللازم، بقدر ما أزعجتني حقيقة كونه ضارياً لئيماً. . . يملأه الغضب، والعداء، ومدح الذات والغطرسة». ولقد كان من الأمور المثيرة للقلق، أن نيكسون كان يفرط في الشراب فيعجز عن السيطرة على نفسه. كما أن انهياره تحت الضغط لم يكن يبشر بخير، في رجل له طموحات وتطلعات رئاسية. وعندما عاد ملتون آيزنهاور إلى واشنطن، أبلغ أخاه بما شاهده في تلك الليلة.

غير أن نيكسون العلنيّ لم يؤذ نفسه على مرأى من الملأ في الاتحاد السوفييتي. ربما تذكره خروشيف باحتقار، باعتباره «رجل أعمال أمريكياً نموذجياً من الطبقة الوسطى» و«ابن زانية»، كما زعم أنه فعل ما في وسعه فيما بعد لمساعدة جون ف. كيندي على هزيمته في السنة التالية. وعلى عكس ذلك، اعتقد كثير من الأمريكيين أن أداء نيكسون في رحلته السوفييتية قد أكسبه أصواتاً.

وكان الثريّ إلمر بوبست قد كتب له رسالة قبل أن يغادر إلى موسكو، نصحه فيها أن تكون المهمة الأولى في تلك الرحلة، «أن تضع قبضتك تحت أنف خروشيف وتصبح رئيساً للولايات المتحدة. ولعل إشارته المتوعدة بإصبعه إلى الزعيم السوفييتي، كانت نتيجة تخطيط مسبق لحملته الانتخابية المقبلة، بقدر ما هي ناجمة عن الحقد.

وكانت هناك عناصر أخرى مفتعلة ومدبرة في زيارة نيكسون لموسكو.

فكان بعض المشاركين فيها هامّين عند نيكسون بطرق قد لا يتفهمها أو يقدرها الخارجيون. فقد عمل نيكسون بالاقتراح الذي وصل إليه عن طريق الهاتف من «السيد توماس»، المعروف أيضاً باسم المليونير المؤيد له: هوارد هيوز بأن يتم نقل الوفد الأمريكي في تلك الرحلة على متن أحدث الطائرات الأمريكية، بما في ذلك إحدى النفاثات من طراز 707 التي تملكها شركة هيوز للخطوط الجوية عبر العالم TWA. وقد سجلت تلك الطائرة رقماً قياسياً في طيرانها إلى موسكو، وحصلت على دعاية شعبية كثيفة في مقابل ذلك(*)(5). وكان معه في الرحلة رئيس تلك الشركة، تشارلس توماس، أحد المتبرعين لصندوق نيكسون.

ومما لم يُذْكَر من تفاصيل قصة زيارة نيكسون إلى موسكو مبادرته بالنيابة عن شركة بيبسي كولا. فقد كان صديقه دونالد كيندال، مدير العمليات الخارجية لتلك الشركة، قد أوصاه مسبقاً بأن يأتي بخروشيف إلى جناح الشركة في المعرض. وقد استذكر كيندال «كان عليّ أن أضع زجاجة بيبسي في يدي خروشيف، وكان عليَّ أن ألتقط له صورة».

وقد لبّى له نيكسون هذا الطلب حسب الأصول. فقدم كيندال زجاجة البيبسي للزعيم السوفييتي، وسأله إن كان يريدها كما هي مصنعة في نيويورك، أم يفضلها مصنوعة من مياه موسكو المحلية. وكما هو متوقع، فقد أجاب خروشيف بأنه يفضل النسخة المحلية. وفي تلك الأثناء حصل كيندال على الصورة التي رغب فيها لزعيم الكتلة الشيوعية وهو يمسك بيده الشراب الذي يرمز إلى المجتمع الأمريكي «المتعفن». وتم توزيع تلك الصورة حول العالم لتصبح من الملامح الكبرى في حملة البيبسي الدعائية. فلم يقتصر أثرها على

(*) حول مكالمة هوارد هيوز انظر ص 321.

(5) تم ربط شركة الخطوط عبر العالم (TWA) وطائرتها خمس مرات في صحيفة واحدة، هي **النيو أورليانز تايمز ـ بيكايون**. (تايمزبيكايون، أعداد 8 و9 و17 و19 و20 آب / أغسطس، سنة 1959).

تسجيل نصر على الكوكا كولا، منافستها في السوق، بل لقد عززت مكانة كيندال في حياته العملية تعزيزاً ضخماً، وأقامت رابطة طويلة الأمد من المنافع المتبادلة مع نيكسون [ويذكرنا هذا بمحاولة شركة ناسيت في الستينيات إقناع الزعيم الكوبي الثائر، فيدل كاسترو، بحلاقة لحيته الشهيرة بإحدى شفراتها لقاء خمسة ملايين دولار، فرفض: ـ المترجم].

وصارت مقابلة خروشيف إحدى المعالم البارزة في طريق نضوج ريتشارد نيكسون. فقد خطا فوق المسرح العالمي مع أكبر عدو تخشاه أمريكا، وصمد في مواجهته. وكانت الكلمات التي فاه بها تجسيداً للتفكير الذي قدر له أن يوجه سياساته سنوات طويلة مقبلة، وأن يحدّد المواقف التي صاغت السياسة الخارجية لرئاسته ولبلده في النصف الثاني من القرن العشرين.

وكان نيكسون قبل طيرانه إلى موسكو مباشرة قد أصدر أمراً صارماً إلى كتّاب خُطَبِه بالامتناع المطلق عن استخدام عبارة «نحن نؤيد مبدأ التعايش السلمي». وكتب إلى روبرت كوشمان، مساعده لشؤون الأمن القومي: «أخبرهم جميعاً بعدم استعمال هذه العبارة أبداً. . . وكل من يفعل ذلك سيتم ترحيله على الطائرة التالية».

وقبل أن يغادر روسيا، شرح موقفه في حديث إلى الشعب السوفييتي لم يسبق له مثيل من سياسي أمريكي، فقال: «إن مبدأ التعايش السلمي بالنسبة لي سلبي تماماً وغير ملائم. فالتعايش معناه أن العالم يجب أن ينقسم إلى معسكرين متعاديين بينهما جدار من الكراهية والخوف. إن ما نحتاج إليه اليوم هو عالم واحد، لا عالمان، عالم تختار فيه الشعوب المختلفة الأنظمة السياسية والاقتصادية التي تشاء. . . فليكن بيننا تنافس سلمي».

«لقد تنبأ السيد خروشيف بأن أحفادنا سيعيشون في ظل الشيوعية. . . ونحن لا نعترض على قوله إن ذلك سوف يحدث. بل نعترض فقط إذا حاول جعله يحدث. وهذا جوابي له. إنني لا أقول إن أحفادكم سيعيشون في ظل

الرأسمالية. إننا نفضل نظامنا. ولكن جوهر اعتقادنا ذاته هو أننا لا نفرض، ولن نحاول أن نفرض نظامنا على أي أحد آخر. . . بل ينبغي أن يكون لكم، أنتم وجميع الشعوب على هذه الأرض الحق في اختيار نوع النظام الاقتصادي والسياسي الذي هو أنسب ما يكون لمواجهة مشاكلكم الخاصّة، بدون أي تدخل خارجي. وأتعهد لكم أنني سأكرس أفضل جهودي في السنوات المقبلة لقضية السلام. . .».

وعندما اختير مرشحاً للرئاسة بعد ذلك بسنة، أعاد ترتيب حشو الكلام من أجل الاستهلاك المحلي. فقال لزملائه الجمهوريين: «عندما يقول السيد خروشيف أن أحفادنا سيعيشون في ظل الشيوعية، دعونا نقول إن أحفاده سيعيشون في حرية». وهكذا غاب عن هذا الكلام تأكيده أن واشنطن لا ترغب في فرض نظامها على أية أمة أخرى. وغاب عنه أيضاً وعده بعدم فرض أي تدخل أجنبي».

ورغم أن نيكسون ربما كان مخلصاً على وجه العموم عندما خاطب الشعب السوفييتي، فقد كانت هناك استثناءات هامة للتأكيدات التي قدمها لهم، وأولها أمم أمريكا اللاتينية وحوض الكاريبي، وهي منطقة تعتبرها أمريكا الفناء الخلفي لدارها. ذلك أن ما لم يكن بوسع أمريكا أن تجعل الآخرين يرونها تفعله بالتدخل السافر المكشوف في تلك البلدان راحت تسعى لتحقيقه بالضغط، والتآمر، والعمل السرّيّ عند الضرورة.

وقبل زيارة موسكو بخمس سنوات، تلقى عميل شاب لوكالة المخابرات المركزية علماً بمهمة جديدة يضطلع بها رئيس فرع الحرب النفسية في الوكالة. وكان اسمه هوارد هانت (أحد لصوص ووترغيت فيما بعد). فقال: «لقد جعلني المصدر الذي أخبرني أحلف له يميناً على كتمان السر». ثم كشف أن مجلس الأمن القومي برئاسة آيزنهاور ونيكسون قد أمر بإسقاط النظام الشيوعي في غواتيمالا». وقد جادل البعض حول أن حكومة غواتيمالا لم تكن شيوعية

في الحقيقة، ولكن كانت لديها الجرأة التي جعلتها تستولي على بعض الممتلكات الهائلة لشركة الفواكه المتحدة، وهي شركة الموز التي يملكها الأمريكيون[6]، وهكذا تولت وكالة المخابرات المركزية إسقاطها في أوائل صيف سنة 1954.

كانت عملية ماكرة نفذت بكثير من الخداع، وبشيء قليل نسبياً من سفك الدماء. وكان الرئيس آيزنهاور مسروراً، فاستدعى كبار ضباط الوكالة إلى البيت الأبيض ليشرحوا له كيف قاموا بالمهمة. وفي ذلك الصباح، عندما أطفئت الأنوار من أجل عرض بعض اللويحات، حدثت مع أحد الضباط مقابلة غريبة.

استذكر ديفيد فيليبس، أخصائي الدعاية: «انفتح بابٌ بالقرب منّي. وفي الظلام لم أستطع أن أتبيّن سوى الظل الشبحيّ للشخص الذي دخل الغرفة؛ وعندما أغلق الباب، عاد الظلام ثانيةً. ولم أستطع تمييز ملامح الرجل الواقف إلى جانبي. وقد طرح عدداً من الأسئلة همساً: (من ذلك الشخص؟ من الذي اتخذ ذلك القرار؟) وكنت متضايقاً بشكل غامض. فقد كانت أسئلة ذلك الشخص المجهول إلى جانبي ملحاحة، ماكرة. . . ثم أُشْعِلَتْ الأضواء. وابتعد ذلك الرجل عني. كان ريتشارد نيكسون، نائب الرئيس».

وبعد ذلك بست سنوات، قدر لفيليبس، وهانت، وأعضاء آخرين من فريق مؤامرة غواتيمالا، أن يجتمعوا ثانية في واشنطن، في بناية رثة مهلهلة لوكالة المخابرات المركزية قبالة النصب التذكاري لأبراهام لينكولن هذه المرة. كانوا يعلمون أن هناك مشروعاً جديداً قد أخذ طريقه إلى التنفيذ، ولكن لم يكن أحد قد أخبرهم بما ينطوي عليه. وعندما طرحت عليهم فرصة إعطائهم ثلاثة

---

(6) إن إيفان توماس، في كتابه الصادر سنة 1995 عن الرؤساء الأوائل لوكالة المخابرات المركزية، يعرض الرأيين كليهما: إن رئيس غواتيمالا جاكوبو آربينز كان يعتبر نفسه شيوعياً ويؤوي الشيوعيين، أو أنه لم يكن سوى مصلح لا يشكل أي خطر أمنيّ. وكان من مؤيدي الرأي الأخير، كريستوفر آندرو، في كتابه عن المخابرات الصادر سنة 1995 أيضاً (توماس، مصدر سبق ذكره، ص 112، و370 الحاشيتان 7 و8؛ وآندرو، مصدر سبق ذكره، ص 206).

تخمينات ليعرفوا سبب استدعائهم، كان لدى فيليبس جواب جاهز، فقال إن السبب هو كوبا، وكوبا، ثم كوبا».

كان فيدل كاسترو قد تولى السلطة في هافانا في يوم عيد رأس السنة سنة 1959. فوعد في خطاب النصر بأن ثورته لن تكون كأحداث سنة 1898 «عندما جاء الأمريكيون الشماليون ونصّبوا أنفسهم سادةً على وطننا». وعندما زار كاسترو واشنطن بعد ذلك بأربعة أشهر، كان المسؤول الكبير الذي اختاره آيزنهاور لمقابلته هو نيكسون، الذي استذكر أنه أصبح، منذ ذلك الوقت فصاعداً «أقوى الدعاة وأكثر إلحاحاً» لبذل الجهود من أجل إسقاط النظام الكوبي الجديد، وإحلال نظام تقبله واشنطن في مكانه.

وأدت تلك الجهود في آخر الأمر بالطبع إلى الغزو الفاشل في خليج الخنازير. غير أن ذلك الفشل العسكري الذريع في عملية قام بها منكودو الحظ من المهاجرين والمنفيين الكوبيين، ولكن تنظيمها تم على أيدي وكالة المخابرات المركزية، سيحدث في سنة 1961 في مطلع فترة رئاسة كينيدي. غير أن مقدماته كانت قد وقعت قبل ذلك خلال سنة من المؤامرات القذرة بإشراف إدارة آيزنهاور ـ نيكسون. ولم يكن أقل الجوانب المظلمة التي ينعدم فيها اليقين في قلب القصة الكوبيّة مسألة ما إذا كان نيكسون متورطاً في: محاولات اغتيال كاسترو التي أشرفت عليها أمريكا.

16

كانت كوبا ألماً عصبياً لنيكسون... عصباً فجاً عارياً

هنري كيسنجر

«لعل الاستحواذ هي الكلمة الصحيحة»: هكذا قال جيمس شليسينغر، المدير الثاني لوكالة المخابرات المركزية في أيام رئاسة نيكسون، وكان يتحدث في سنة 1996 محاولاً وصف الإلحاح الذي ضغط به نيكسون، وهو رئيس، على الوكالة لإطلاعه على سجلاتها حول خليج الخنازير. وحسب رواية بوب هالدمان، فإن نيكسون، بمجرد أن تولى السلطة طلب «كل الحقائق والوثائق التي تملكها وكالة المخابرات المركزية... أي تقريراً كاملاً عن المشروع كله. وكان «مكتئباً بالفعل» عندما لم يصله شيء ممّا طلب.

وبعد ذلك بسنتين جدد جهوده بتشديد أكثر. وتشير الأشرطة المسجلة في البيت الأبيض وحدها إلى أنه قد طلب وثائق خليج الخنازير «لاطلاعه الشخصي» أربع مرات في أربعة أسابيع. وفي أيلول / سبتمبر سنة 1971 كان محبطاً وغاضباً، فأمر جون إيرليكمان بالضغط على الوكالة للحصول على المواد: «إبدأ بهذا العمل الآن مباشرة... لا أريد مناقشة الأمر. إن من حقنا الحصول على الحقائق... وسأحصل عليها».

وفي سجلات إيرليكمان المكتوبة بخط يده عن اجتماعات البيت الأبيض، يشير إلى الرئيس بالحرف الإغريقي π (الذي يعادل بالإنكليزية الحرف

P لكلمة president، أي الرئيس. ويشار إليه في السطور التالية بالحرف العربي ر ـ رمزاً لكلمة «رئيس»):

خليج الخنازير

أمر ر. لوكالة المخابرات المركزية

يجب أن يحصل ر. على الملف **الكامل** بتمامه

وإلاَّ...

يجب عدم كتمان أي شيء.

أما ريتشارد هيلمز، مدير المخابرات المركزية في الجزء المبكر من رئاسة نيكسون، فلم يكد يكون بوسعه أن يرسل محفوظات الوكالة عن المشروع الكوبي التي يصل حجمها إلى ثلاثين ألف صفحة. كما أنه لم يقم بتسليم أية واحدة من الدراستين الداخليتين اللتين تولدتا ضمن وكالة المخابرات المركزية منذ سنة 1961[1]. ولكن ما قام به فعلاً في زيارة إلى المكتب البيضاوي هو تسليم نيكسون تقريراً مختصراً أعده عقيد بحري كان قد أعير إلى الوكالة

---

(1) قال نيكسون في مذكراته إن هيلمز «قد رفض أن يعطي إيرليكمان تقارير الوكالة الداخلية». وهناك أربعة تقارير رئيسية تحليلية تمت كتابتها فيما بعد حول محاولات إسقاط كاسترو. وقد بقي استعراض ليمان كيركباتريك، المفتش العام لوكالة المخابرات المركزية، للعملية الكوبية، سراً مكتوماً حتى تم الإفراج عنه سنة 1998، بموجب قانون حرية المعلومات إثر دعوى أقامها سجل المحفوظات الوطنية. أما تقرير سنة 1967 حول مؤامرات اغتيال كاسترو، الصادر أيضاً من مكتب المفتش العام فقد كشف النقاب عنه بحيث لم يعد سرّيّاً في سنة 1994. غير أن تاريخ غزو خليج الخنازير الذي قام بتجميعه مؤرخ الوكالة جاك فايفر في منتصف سبعينيات القرن العشرين لا يزال سرّاً مكتوماً، رغم أن بعض مقابلات فايفر مع موظفي الوكالة صارت متاحة. ولقد كان بوسع هيلمز، مدير الوكالة، أن يقدم للرئيس نيكسون تقرير كيركباتريك، والدراسة الخاصة بمحاولات اغتيال كاسترو لو أنه اختار ذلك أو لو أن نيكسون ألحّ في طلبها. فحسب رواية هيلمز فإن «نيكسون لم يخبرني فيما بعد أبداً أنه لم يَتَلَقّ ما طلبه». (التقارير: **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 515، كورنبلوش، مصدر سبق ذكره، وتوماس: **أفضل الرجال**، مصدر سبق ذكره، ص 344 وما يليها، إشارة إلى التقارير بصورة كاملة؛ هيلمز: باورز، مصدر سبق ذكره، ص 327، ومقابلة مع هيلمز، ورالف ويبر، **أساتذة التجسس**، ويلمينغتون، ديلاوير: شركة كتب SR، 1990، ص 270).

المذكورة في أيام خليج الخنازير. وقد شكا الرئيس في مذكراته بأن ما أعطاه إياه هيلمز كان «غير كامل... إذْ أن وكالة المخابرات المركزية تحمي نفسها، حتى من الرؤساء».

وقد يكون هذا تقييماً دقيقاً. ولكن السؤال يبقى: لماذا بالضبط كان نيكسون حريصاً كل هذا الحرص على تفحص ما لدى الوكالة عن خليج الخنازير؟ إن أحد الأسباب هو أنه أراد الوصول إلى أي شيء قد ينعكس بصورة سيئة على الأخوين كيندي. فمنذ سنة 1968 كان نيكسون يقول إن ترشيح روبرت كيندي لمنصب الرئاسة في تلك السنة يقدم «فرصةً لتوجيه الاتهام إلى عهد حكم جون ف. كيندي وليندون ب. جونسون بأكمله، عوداً إلى فضيحة خليج الخنازير».

وفي سنة 1971، عندما كان نيكسون يحثّ مساعديه على الكشف عن موادّ يحتمل أن تضر بسمعة سَلَفَيْه، كانت واقعة خليج الخنازير تتصدر قائمة أولوياته[2]. وبعد ذلك بسنتين، بينما كانت فضيحة ووترغيت تحيط به، طلب الملف مرة أخرى. وفي تلك الأثناء، خرج محاميه فريد بوجارت في الهزيع الأخير من الليل لإقناع الصحافي بالتخلي له عن معلوماتٍ أخرى عن خليج الخنازير يفترض أنها مؤذية لآل كيندي[3].

(2) تصادف الضغط في سنة 1971 مع مذكرة من تشارلس كولسون إلى هالدمان. فقد أبلغ كولسون أن هوارد هانت، الذي لعب دوراً كبيراً في مشروع خليج الخنازير عندما كان موظفاً في وكالة المخابرات المركزية قد قال له: «لو عُرِفَت الحقيقة لدَمَّرَتْ كيندي». وبعد ذلك ببضعة أيام بدأ هانت يعمل في البيت الأبيض، مكلفاً بمهام من بينها الحفر بحثاً عن وحل لتلطيخ سمعة الرئيس كيندي. وكان أحد مشاريعه ينطوي على تزوير سلسلة من البرقيات تشير إلى أن إدارة كيندي كانت وراء مصرع الرئيس الفيتنامي نغودينه دييم سنة 1963. («لو عُرِفت الحقيقة...»: رسالة كولسون إلى هالدمان، في 2 تموز / يوليو 1971، نص مستخرج من المذكرة، مفرج عنه في تشرين الثاني / نوفمبر 1994، من المحفوظات الوطنية، تحت الرمز E، المجلد السابع، ص 700؛ والمهام: تسجيلات أشرطة البيت الأبيض في 18 أيلول / سبتمبر، 1971، وهانت: **تحت الغطاء**، مصدر سبق ذكره، ص 147؛ ودييم: في المصدر نفسه، ص 179).

(3) إن الصحافي اليوناني المهاجر إلياس ديمترا كوبولوس، الذي أدت مقابلته مع الأميرال آرلي بورك =

غير أن الدراسة الوثيقة توحي بأن إصرار نيكسون كان وراءه أكثر من سوء النيَّة الرئاسية. ذلك أن مذكراته التي تكشف أحياناً أكثر مما كان ينوي البوح به، تشير إلى «حاجته الإلزامية الحتمية» إلى الحصول على الحقائق عن خليج الخنازير. فلماذا كان من الضرورة الحيوية له أن يرى الملفات، بعد عقد من الفشل العسكري الذي اعترف الرئيس كيندي علناً بمسؤوليته عنه بعد كل شيء؟ وما هو أساس «الانشغال» و«القلق» اللذين لاحظهما عليه جون إيرليكمان؟

ويتذكَّر هالدمان في سنة 1969م، أثناء المحاولة الأولى لانتزاع السجلات من هيلمز، كيف اندفع إيرليكمان إلى مكتبه ليبلغه عن تطور شاذ وغريب فقال ـ مستخدماً لقبه المفضل لنيكسون ـ : لقد أمرني الراهب المجنون للتوِّ أن **أنسى** الآن كل شيء عن وثيقة وكالة المخابرات المركزية... وعليَّ أن أتوقَّف وأمتنع عن محاولة الحصول عليها». وقد جاء هذا الانقلاب المفاجئ بعد وقت قصير من «محادثة طويلة، سرِّية» أجراها نيكسون مع ريتشارد هيلمز. فما الذي جعله يتراجع على هذا النحو المفاجئ؟

يشير شريط مسجَّل في البيت الأبيض سنة 1971 م، إلى أن ما كان يقلقه هو وجود مادة في تقارير كوبا يمكن أن يُثْبِتَ أنها مؤذية له. فقد أخبر كلاً من هالدمان وإيرليكمان وجون ميتشل وتشارلس كولسون «أن القضية... سوف تثار بدون شك مع مرور الزمن ـ ذلك الشيء الكوبيِّ. قولوا لهيلمز... إنني أريد هذا... كي نحمي أنفسنا في المآزق...» وبعد أسابيع أبدى إيرليكمان ملاحظة بعد أن حضر الجلسة التي تسلَّم فيها هيلمز بعض المواد: «إن الغاية من طلب الرئيس للوثائق لا بدَّ أنها رغبته في أن يكون على اطلاع تام كي يعرف ما

= إلى إزعاج الرئيس كيندي، حدث المؤلفَ عن زيارة بوجهارت إلى شقته في الهزيع الأخير من الليل في حزيران / يونيو 1973. وقد خشي بوجهارت من وجود أجهزة تنصّت، فأقنع ديمتراكوبولوس بالخروج والتحدث معه بينما هما يسيران حول المبنى. كان يريد ملف ديمتراكولولوس عن بورك لأن بورك كان رئيس العمليات البحرية أيام غزو خليج الخنازير. ولكن ديمتراكوبولوس رفض المساعدة. (مقابلة مع ديمتراكوبولوس).

الذي يتجنَّبه. . . » فلماذا اعتقد نيكسون أن «الشيء الكوبي» كان من المحتم أن يُثار؟ وما هو الشيء الموجود فيه، والذي كان يحتاج إلى حماية نفسه منه، أو إلى «تجنبه»؟

عندما أُجريت مقابلة مع إيرليكمان سنة 1997 م، كان ما يزال محتاراً بشأن هذه القضية. كان يشعر على الدوام بأن هناك سرّاً، ولكنه لم يستطع أن يعرف كنهه أبداً. غير أن مذكرته عن المحادثة التي طلب فيها نيكسون منه أن يعود إلى الإلحاح على هيلمز تقدم تلميحاً: «كان متورِّطاً في خليج الخنازير. . . تورُّطاً عميقاً. . . ».

ولقد كتب هالدمان في مذكراته: «يظهر أن نيكسون كان يعرف عن أصل واقعة غزو كوبا أكثر من أي شخص آخر تقريباً». كما أنه تذكَّر رد فعل هيلمز بعد ووترغيت، عندما أراده نيكسون أن يقنع مدير وكالة المخابرات المركزية بالمساعدة في التعمية على دور البيت الأبيض في عملية اقتحام مبنى ووترغيت على أساس أن تلك العملية قد يتم ربطها على نحوٍ ما بخليج الخنازير(*). فقد حدث «اضطراب عظيم في الغرفة»، كما استذكر رئيس أركان نيكسون، إذ «اشتدَّت قبضة هيلمز على ذراع كرسيه وانحنى إلى الأمام وهو يصرخ: «خليج الخنازير لا علاقة له بهذا. وخليج الخنازير لا يعنيني. . . ، وبقيت جالساً هناك. وقد صدمت صدمة هائلة من رد فعل هيلمز العنيف. ومرة أخرى رحت أتساءل **ما هو الديناميت** الكامن في **واقعة خليج** الخنازير؟»(**)(4).

(*) كانت هذه الخدعة، المشروحة في فصل لاحق، هي موضوع شريط «المسدس المليء بالدخان»، أي الدليل الدامغ، المسجل في 23 حزيران / يونيو 1972. فكان اكتشافه هو القشة الأخيرة التي أدت إلى استقالة نيكسون.

(**) التأكيد من هالدمان في مذكراته.

(4) استذكر هيلمز طرح هالدمان لقضية خليج الخنازير ولكنه أنكر أنه قد انفعل وصرخ. وقد اعتقد كاتب سيرة هيلمز، وهو توماس باورز أنه ربما يكون قد فقد الصبر، ذلك أنه قد تعرض للضغط والإلحاح بشأن هذه القضية على امتداد فترة طويلة (باورز، مصدر سبق ذكره، ص 476، الحاشية رقم 57).

قبل ستة أعوام من غزو خليج الخنازير، في كانون الثاني/ يناير سنة 1955م، كان نيكسون قد كتب إلى بيب ريبوزو يشكره على هداياه في عيد الميلاد ـ «الزوميّات [شراب من عصير الفاكهة ومزيج من الخمور المختلفة]، والرّمّ المخلوط بالكوكا، وهلام الجوافة [حلوى رجراجة من السكر المطبوح بعصير الفاكهة]» ـ ويعده بإرسال جدول زمني لرحلة يعتزم القيام بها إلى هافانا. فقد ظلَّ نيكسون زمناً طويلاً يولي كوبا اهتماماً خاصاً. إذ أنه ذهب إلى هناك مع بات بُعَيْدَ زواجهما وأحبَّها إلى درجة أنه راح يتحدَّث عن الانتقال إلى هافانا ليمارس فيها المحاماة. ثم كانت هناك زيارته، أو زياراته المزعومة إلى كازينوات القمار التي كانت تديرها المافيا في الجزيرة قبل أن يصبح نائباً للرئيس. وذات مرَّة، كما هو مذكور في هذا الكتاب، قيل بأن المجرمين الذين يديرون واحداً من تلك الكازينوات قد دفعوا عنه فاتورة الحساب(*).

وفي سنة 1955 م، كما في زيارات نيكسون السابقة لذلك العام، كان الرجل المسيطر على السلطة في كوبا هو فولجينسيو باتيستا. وقبل ذلك بأعوام ثلاثة، وبعد فترة من النفي عاشها في فلوريدا، عاد الدكتاتور إلى الاستيلاء على السلطة ثانية وهو في الرابعة والخمسين. وكان قد علَّق الضمانات الدستورية، وحلَّ الأحزاب السياسية، ووعد الناس بالنظام والنزاهة. ولكن الواقع الفعلي أن السنوات السبع التي بقيت له في الحكم كانت عجافاً، ساد فيها الطغيان والبؤس الاقتصادي لأغلبية الكوبيين. ومن أجل الحفاظ على هيمنة باتسيتا راحت قوات شرطته وجيشه تغتال الناس كما يحلو لها. وقيل إن ألوف الضحايا قد هلكوا.

وكان الفساد أوضح الملامح البشعة لحكم باتيستا، فقد انتشر على نطاق هائل. فكان الدخل للفرد الواحد في الريف منخفضاً بطريقة مزرية يرثى لها، وكانت الخزينة الكوبية قد أفرغت عملياً، بينما كان الدكتاتور يخفي في المصارف الخارجية ملايين لا حصر لها. وقد جاء معظم تلك الثروة من المافيا

(*) انظر الصفحتين 81 و274.

الأمريكية، التي كان يترأسها في هافانا المدعو مِيِيَرْ لانسكي. كان لانسكي وباتيستا قد عقدا صفقة أعمال فيها منفعة متبادلة، يتم فيها للمجرمين الأمريكيين إدارة كازينواتهم ونواديهم الليلية، ويبتزُّون الملايين من جيوب المبذِّرين الأمريكيين القادمين للسياحة والاستجمام، وفي المقابل يرسل لانسكي كل شهر - في وقت الظهيرة - مبعوثاً يدخل من باب جانبيٍّ للقصر الجمهوري ومعه حقيبة فيها مبلغ 1,280,000 دولار أمريكي. ويستذكر محامي رئيس عصابات المافيا أن باتيستا ولانسكي «كانت علاقتهما وثيقة جداً جداً - كأنهما إخوان».

وقد جاء في المذكرة المختصرة التي تلقاها نيكسون قبل رحلته إلى هافانا في سنة 1955 م: «لعل استمرار باتيستا في السلطة شيء جيِّد للولايات المتحدة. فموقفه ودِّي. . . وهو معجب بطريقة الحياة الأمريكية ويؤمن بحرِّية العمل التجاري». ولاحظت المذكرة أن المشاريع التجارية الأمريكية - من النوع المشروع - لها أكثر من ستمئة مليون دولار مستثمرة في كوبا. وكما قال الملحق البحري الأمريكي في ذلك الحين: «إن باتيستا دكتاتور. ولكنه دكتاتورنا».

وقبل أن يغادر نيكسون، تلقى رسالة فيها نداء عاطفي حارّ من خمسين من الكوبيين البارزين الهاربين من «غضب الطاغية» باتيستا ليعيشوا في الولايات المتحدة. وتوسلوا إليه أن لا يغمض عينيه عن أكثر من مليون عاطل عن العمل، وأن يحاول زيارة السجناء السياسيين وأن يتحدث مع زوجات وأمهات المقتولين غيلة. وكتبوا يقولون: «نرجوك يا سيد نيكسون أن تكون البوق الناطق باسم العدالة». وبدلاً من ذلك فإن نيكسون عند وصوله إلى هافانا بدت صداقته لباتيستا متجاوزة حتى أعراف المجاملات الدبلوماسية. فأعلن عن سروره لوجوده في بلد «يقاسمنا الأفكار المثالية الديموقراطية نفسها عن السلام، والحرية، وكرامة الإنسان». وفي داخل اجتماع خاص لمجلس الوزراء لدى عودته إلى بلده، لم يعطِ أي تلميح عن عدم موافقته للنظام الحاكم في تلك

الجزيرة، بل أخبر آيزنهاور وكبار زملائه أن الدكتاتور «رجل رائع لافت للنظر جداً. . . ازدادت حكمته بتقدم السن. . . وهو راغب في عمل شيء لكوبا وليس لباتيستا. . . كما أنه مهتم بالتقدم الاجتماعي. . .».

وقال نيكسون إن باتيستا قد أثار إعجابه كرجل «ثقّف نفسه بنفسه. . . وصار قارئاً نهماً». ولعل الدكتاتور قد أخبره بأنه منهمك في قراءة الكتاب المعنون: **يوم أطلقت النار على لينكولن**، فقد كانت تلك ملاحظته الاستهلالية المفضلة عند افتتاح الحديث مع زوّاره الأمريكيين جميعاً. غير أن زاده الحقيقي الثابت من القراءة كان «القصة» اليومية التي يهيئها له مساعدوه، عن المعلومات ذات النكهة الحادة الفاتحة للشهية عن أحدث محتويات تنصتهم على خطوط الهاتف. أما في المساء فكان باتيستا يحب التفرج على أفلام دراكولا وبوريس كارلوف [ممثل أمريكي، 1887 ـ 1969، عرف عنه تقمصه لأدوار الشخصيات الشريرة والوحشية في أفلامه مثل فرانكنشتاين سنة 1931: المترجم].

وأخبر نيكسون مجلس الوزراء أن باتيستا قد ادعى أنه «سيتولى أمر القضاء على الشيوعيين». وقبل ذلك بسنتين كان قد سجن محامياً في السابعة والعشرين يدعى فيدل كاسترو، مع شقيقه راؤول بعد هجوم فاشل على أحد معسكرات الجيش. وبعد زيارة نيكسون، شعر باتيستا بالثقة بسبب قوة الدعم الأمريكي له، فأطلق سراحهما.

وفي غضون أقل من سنة، انطلق الأخوان كاسترو، وشي غيفارا مبتدئين بمجموعة من اثني عشر رجلاً فقط، في حملة طاحنة من حرب العصابات والمغاوير انتهت بانهيار قوات باتيستا عشية رأس السنة سنة 1959. فهرب باتيستا تحت جنح الظلام مع أسرته وأقرب أتباعه، ومعهم ـ حسب رواية عميل المخابرات المركزية الذي حكى قصة الهرب ـ «عددٌ هائل من الحقائب المحشوة بالنقود وليس بالملابس. وبعد ذلك ببضعة أيام دخل فيدل كاسترو

إلى هافانا، وأعلن في أول خطاب مطول له أنه سوف يعرف متى يغادر، ثم بدأ حكماً حديدياً قيض له أن يستمر أكثر من أربعين سنة.

وفي كل الروايات لقصة كوبا ظلّ هناك رجلان لم يوجد لدوريهما توثيق يذكر وبقيت التقارير عنهما ناقصة مبتسرة. وكلاهما كان يريد الموت لفيدل كاسترو من أول لحظة صعد فيها إلى السلطة. وقد قاما في مراحل مختلفة بالتحريض عليه وتآمرا بنشاط لاغتياله. والاغتيال عندما يرتكبه قادة أمّةٍ ما ضد قادة أمة أخرى هو ـ حسب وصف لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي ـ «يكاد يرقى إلى عمل من أعمال الحرب لا يتفق مع المبادئ الأمريكية، ولا مع النظام الدولي، ولا مع الأخلاق». إن ما يمكن إعادة تركيبه من أعمال هذين الشخصين يوحي بأنهما قد أثرا ـ أو حاولا التأثير ـ على ريتشارد نيكسون.

كان الرجل الأول منهما هو مِيِيَرْ لانسكي، الذي قيل عنه طويلاً إنه مرتبط إمّا بنيكسون أو ببيب ريبوزو[*]. وقد استشاط لانسكي غضباً، ومعه زعيم المافيا الآخر الناشط في كوبا، من استيلاء كاسترو على السلطة. ولا غرو، فقد ضاعت منهما إمبراطورية القمار التي بنياها بشق الأنفس على مدى سنوات طويلة، وضاعت بطريقة زادت من اشتعال غضب لانسكي على نحو خاص.

وبينما أغلق الثوار المنتصرون الكازينوات في بادئ الأمر، فإن كاسترو تفاوض فيما بعد مع المافيا، ثم سمح باستئناف نشاطها في القمار. وبعد أشهر اعتقل شقيق لانسكي فترة قصيرة ومعه عدد من شركائه قبل أن يطردهم من البلاد. فاستمرت المقامرات بعض الوقت، ولكن تحت إشراف صارم، مع تدمير عملي لسيطرة المافيا على الأرباح وأخيراً أغلقت الكازينوات دفعة واحدة بصورة دائمة[5]. فرأى لانسكي في ذلك خدعةَ غَدْرٍ من كاسترو. وتلك في عرف المافيا إهانة عقوبتها الموت.

(*) انظر الإشارات إلى لانسكي آنفاً.

(5) في وقت سابق، وقبل أن يتسلم كاسترو السلطة، قال لمراسلة صحيفة **باري ماتش**، إنريك مينسيه، =

وتقول إحدى الأساطير الشائعة إن لانسكي قد رصد مليون دولار ثمناً لرأس كاسترو. وبعد ذلك بسنوات، عندما سأله صحافي عن ذلك رفض الإفاضة في الحديث، قائلاً: «لقد جاء في عدد من الناس بعدد من الأفكار، وبالطبع كانت لدي اقتراحاتي الخاصة كذلك. . . ولا أعتقد أنني يجب أن أخوض في هذه التفاصيل. . .» ولكن واحداً من المقربين إليه على نحو حميم زمناً طويلاً قدم بعض التفاصيل المفقودة. وهو جوزيف ستاتشر، الذي قال: «أشار ماير إلى وكالة المخابرات المركزية بأن بعض أتباعه ممن بقوا في الجزيرة، أو من أولئك العائدين إليها لِتَوِّهِمْ، قد يغتالون كاسترو. . .» وحاول إقناع عملاء الوكالة بأنه يستطيع إزاحة فيدل.

ولكن الوكالة تريثت في مراهناتها، إذ أنها كانت قد تصرَّفت على نحو ناعم دمث، تجاه كاسترو في الأشهر التي سبقت الثورة. فسهَّلت مرور إمدادات الأسلحة، بل أرسلت عميلاً لها للانضمام إلى الثوار في الجبال[6]. وأثناء السنة الأولى من حكم كاسترو، لم تكن واشنطن قد اقتنعت بعدُ بأنه شيوعي. ولذلك فإن الوكالة ـ حسب رواية ستاتشر ـ رفضت اقتراح الاغتيال الذي قدمه لانسكي في وقت مبكر. وتكشف ملفات مكتب التحقيقات الاتحادي أنه، بالمِثْل، قد تجاهل تحذير المافيا من تنامي التهديد الشيوعي في كوبا. وفي تلك الأثناء، حاول لانسكي نهجاً آخر: هو الاتصال بنائب الرئيس، نيكسون.

= إنه سوف يسمح باستمرار لعب القمار، ولكن للسياح الأجانب فقط. وفي مقابلة إذاعية قبل الثورة كان كاسترو قد أعلن أنه «ميال» إلى نفي مشغلي الكازينو، بل إلى قتلهم بالرصاص. (مينيسيه، مصدر سبق ذكره، ص 58؛ ولاسيه، مصدر سبق ذكره، ص 252).

(6) في مقابلة جرت سنة 1996، قال روس كروزييه، الموظف السابق في وكالة المخابرات المركزية إن كاسترو وشي غيفارا معاً كانا يعرفان أنه يعمل مع الوكالة. وقيل لكروزييه ـ من مصدر يعتقد أنه موثوق ويعتمد عليه ـ أنه كان من بين الذين طاروا إلى كوبا لتقييم كاسترو شخصية ذات أهمية في الوكالة، هو ج. س. كينغ رئيس قسم نصف الكرة الغربي فيها. وفيما بعد، كما هو موصوف في هذا الفصل، راح كينغ يفضل اغتيال كاسترو (مقابلة مع روس كروزييه، ولكن أنظر دور نشز وفابريسيو، مصدر سبق ذكره، ص 94).

فاتبع في ذلك الطريقة المنطقية، كما قال ستاتشر، بطلب إسداء مِنَّة ومعروف، باحثاً عن الوصول إلى نيكسون عن طريق دانا سميث، المقامر من كاليفورنيا الذي كان قد تورط في المتاعب عندما كان في كازينو سان سوسي في هافانا ـ ومعه نيكسون كما قيل ـ قبل ذلك ببضع سنوات. كما اتصل بالسناتور جورج سماذَرْزْ، الصديق المشترك لكل من نيكسون وريبوزو. كان يعلم أن رسالة من لاسكي عن طريق أيٍّ من الرجلين، ستصل إلى نيكسون رأساً[7].

أمّا الرجل الآخر الذي أغضبه استيلاء كاسترو على السلطة فكانت شخصيته من نوع مختلف جداً. كان ثريّاً، ومن كبار الدبلوماسيين السابقين، تؤهله مكانته العالية للوصول الفوري إلى الرئيس آيزنهاور، وإلى وكالة المخابرات المركزية على أعلى مستوى، وإلى نيكسون. كان ذلك الشخص هو وليام باولي، المتآمر الدولي العتيق ذو السنوات الثلاث والستين. فبعد أن كسب ثروة من المتاجرة بالعقارات في فلوريدا، وثروة أخرى في أعمال الخطوط الجوية في كوبا والصين، فقد احتل مناصب عليا في وزارتي الدفاع والخارجية، وعمل مرتين سفيراً في أمريكا اللاتينية. وكان جمهورياً صلباً يميني الميول سبق له التبرع للحملات السياسية لكل من دوايت آيزنهاور ونيكسون. وكان يعتبر آلن دالاس، مدير وكالة المخابرات المركزية، صديقاً شخصياً. وكان مظهر ملابسه المعتادة، من البدلة البيضاء وقبعة القش العريضة الحافة، يوحي بأنه مالك مزرعة من عصرٍ آخر.

ترعرع باولي في كوبا. وكان يتحدث الإسبانية بشكل ممتاز. وكان يملك خط باصات هافانا، وشركة الغاز. وقد جعل همّه تغذية علاقاتٍ شخصيةٍ مع

(7) قال سماذرز إنه قد ناقش اغتيال كاسترو مع الرئيس كينيدي سنة 1961. وقال كينيدي للجنة تابعة لمجلس الشيوخ إنه لم يوافق على الفكرة. وقد أخبر سماذرز مؤلفَ هذا الكتاب سنة 1994 أن كينيدي في الواقع قد وافق على الفكرة، وأن شقيقه روبرت كان على وعي بالمؤامرات اللاحقة التي اتفقت فيها وكالة المخابرات المركزية مع المافيا (مجلس الشيوخ الأمريكي، **مؤامرات الاغتيال**، مصدر سبق ذكره، ص 123 وما يليها؛ وسمرز: **ليس في حياتك**، مصدر سبق ذكره، ص 188).

كل من الرئيس باتيستا، ودكتاتور جمهورية الدومينكان المجاورة، رافائيل تروخيلّو. وقدر لباولي في المستقبل بعد ذلك أن يختار بيب ريبوزو رفيقاً له في رحلة لمحاولة إقناع تروخيلّو بالتنازل عن السلطة. وقبل أيام قلائل من هرب باتيستا، كان باولي قد طار إلى هاڤانا ـ بعد مناقشات مع الرئيس آيزنهاور، ورئيس قسم نصف الكرة الغربي في وكالة المخابرات المركزية، ج. سي. كينغ ـ لإقناعه بالتخلي عن السلطة.

وعند تلك النقطة كان الهدف هو احتواء الأضرار. وعندما أخذت الأحداث تتصاعد خارجة عن السيطرة، كان أمل باولي أن تحل محل باتيستا لجنة عسكرية، أو أي بديل يميني ذي جدوى لكاسترو. وقدر لباولي أن يزعم أنه اكتشف أن كاسترو شيوعي قبل سنوات عديدة. ورغم أن قصته عن كيفية اكتشافه هذا ربما كانت غير صحيحة، فإن الحقائق لم تكن تهمه عندما يتعلق الأمر بمكافحة الشيوعية[8]. كان باولي قد تورط في حملة التضليل التي رافقت انقلاب وكالة المخابرات المركزية في غواتيمالا سنة 1954؛ وخدم فيما بعد كعضو في لجنة أوصت بخلق «منظمة عدوانية سرية، نفسية، سياسية شبه عسكرية تكون أكثر فعالية، وأكثر قسوة عند الضرورة من التنظيم الذي يستخدمه العدو [الشيوعي]».

وبعد الثورة الكوبية، شرع باولي الغاضب يتحدث عن تدبير قتل كاسترو. فقال لأحد معارفه في ميامي: «اعثر لي على شخص واحد، رجل واحد فقط يستطيع أن يقوم بالعمل وحده، ويقتل كاسترو. وسأدفع له أي شيء، أي شيء تقريباً». وفيما تلا ذلك من الشهور والسنوات قدر له ـ كما

(8) زعم باولي أنه كان قد سمع الشاب كاسترو يتحدث كما لو أنه شيوعي، في سنة 1948، عبر برنامج إذاعي أيام الثورة العنيفة التي عُرِفَت باسم بوغوتازو في كولومبيا. غير أن تمحيصاً رسمياً للأمر لم يعثر على أي مشاركة شيوعية في تلك الاضطرابات. (إذاعة؟: ماريولازو، **فشل السياسة الأمريكية في كوبا،** نيويورك: مطبعة توين سيركل، 1968، ص 144؛ غير صحيح؟ جِييَرْ، مصدر سبق ذكره، ص 94).

قالت ابنة أخيه للمؤلف ـ أن «يغرق حتى حاجبيه» في جهود الولايات المتحدة لإسقاط كاسترو. وكان أحد اتصالاته الهامة في ذلك الجهد هو ريتشارد نيكسون.

ذات مساء ماطر في عطلة لنهاية الأسبوع في نيسان / أبريل سنة 1959 التقى نيكسون وكاسترو في واشنطن. كان الزعيم الكوبي الذي لم يمض عليه في السلطة سوى ثلاثة أشهر، ومعظم الناس يمتدحونه كمقاتل أطاح بدكتاتور قاسٍ، قد أذهل أمريكا منذ وصوله. فقد سحر ألوف الناس بلحيته، وسيجاره الذي يصل طوله إلى عشرة إنجات، وبزّته العسكرية. وقد رحّب به جمهور من خمسة وثلاثين ألفاً هتفوا له في تجمع بالحديقة المركزية (سنترال بارك) بنيويورك. ذلك أنه بدا لعامة الناس خليطاً من جورج واشنطن، وبيلي غراهام [المبشر الديني المتحمس الذي طاف حول العالم] وبارنوم وبيلي [صاحبي أكبر سيرك استعراضي أمريكي ناجح في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر: ـ المترجم]. أما بالنسبة لساسة العاصمة الأمريكية، وموظفيها البيروقراطيين ورجال أعمالها فقد كان كاسترو لغزاً غامضاً ما يزال.

وكان كاسترو، قبل مغادرة هاڤانا، يتحسّس مأزق احتمال لقائه بآيزنهاور. فقد كان يأمل أن يراه، وكان في الوقت نفسه مع ذلك قلقاً من أن لقاءه قد يبدو «بيعاً لمبادئه» وتخلياً عنها ـ كما هي الحال في النوع الذي يحتقره كاسترو من حكام أمريكا اللاتينية ـ وكان ما حدث هو أن آيزنهاور تعمد البقاء خارج المدينة، فتعين على كاسترو أن يتدبر أمره مع نائب الرئيس. وقد تذمّر كاسترو فيما بعد: «لم يَدْعُنِي رئيس الولايات المتحدة حتى لشرب فنجان قهوة. بل أرسلوا لي نيكسون. . .» وكان الكوبي قد رفض دعوة للالتقاء بنيكسون في بيته. وقَبِلَ بمكتب نائب الرئيس على تلّة الكابيتول. وادعى نيكسون فيما بعد أن أقلّ شيء كان يرغب فيه في عطلة نهاية الأسبوع تلك هو الالتقاء «بالدكتاتور الكوبي الجديد».

فإذا أخذ المرء في الحسبان الصراع المتطاول الذي كان ينتظر الطرفين فإن اللقاء بين أبرز أمريكي معادٍ للشيوعية وبين الثائر المثير للريبة والتوجس كان تاريخياً. فقد جلسا يتحدثان ثلاث ساعات تحت نجفة كانت ذات يوم معلقة في البيت الأبيض أيام جيفرسون ـ وحدهما، لأن كاسترو قد قرر أن إنكليزيته كافية للتفاهم بدون مترجمين.

وقد رأى نائب الرئيس أن كاسترو كان يبدو «عصبياً ومتوتراً» «فقد كان يبدو كثوريّ ويتحدث كأستاذ كلية مثالي. . .» ووجد كاسترو بدوره «أن نيكسون كان يبدو شاباً على نحو غريب، يكاد يشبه المراهقين، ليس في المنظر بل في السلوك. . . وهو سطحي نوعاً ما»، رغم أنه لم يكن عدائيّاً. وقال نيكسون إنه قد تحدث إلى كاسترو «مثل عمّ هولندي»، بصرامة ولكن بلطف. ويشير تقريره الطويل، الذي كتبه لآيزنهاور ودالاس بعد المقابلة بوقت قصير، إلى أنه ألقى محاضرة على الكوبي بالطريقة الأبوية التي كثيراً ما كان تجرح زوار واشنطن من أمريكا اللاتينية.

وقدر لكاسترو أن يتذمر: «ابن الزانية نيكسون، لقد أساء معاملتي»، موضحاً قصده في حديث في تلك الليلة مع قسطنطين كانغلز، المحامي الذي كان يمثل كوبا في الولايات المتحدة. قال كاسترو: «لم ينظر نيكسون إلى عيني رأساً، بل كان ينظر في الهواء إلى الأعلى، وإلى الجدار، وإلى كل مكان. ولكنه لم ينظر إليّ. لم أطلب مالاً. ولكنني قلت فعلاً إننا بحاجة إلى المساعدة. فقال لي إنني شخص ممتاز أدخل إصلاحات جيدة كثيرة، ثم قال إننا يمكن أن نلتقي ونتحدث مرة أخرى خلال ستة أشهر تقريباً. ستة أشهر! كان يعلم أن كوبا مفلسة، وأن باتيستا قد نهب خزينتها. فكان الشيء الذي قاله لنا يعني عملياً أن نذهب ونموت جوعاً».

واستذكر كانغلز في سنة 1999: «لم يكن كاسترو يعتقد أن نيكسون مهتم

بالمساعدة، بل اعتقد بأنه يريد أن تنزل بكوبا كارثة اقتصادية بحيث يقوم شعبها بإسقاط كاسترو. وأن نيكسون لا يريد له إلاّ أن يسقط».

وقال بوب ستيفنسون، موظف الخارجية الذي كان ينتظر في الخارج إن الرجلين خرجا من اجتماعهما «وقد وضع كل منهما ذراعيه على كتفي الآخر». أما دين راسك، الذي كان يرأس مؤسسة روكفلر آنذاك، فقد استذكر أنه شاهدهما على شاشة التلفزيون، وسمع نيكسون يقول: «إننا سنعمل مع هذا الرجل»[9]. غير أن نيكسون قد اتخذ خلف الكواليس موقفاً آخر. فضرب على ركبته وقال لستيفنسون إن كاسترو ليس لديه أي فهم للديموقراطية. ووراء الأبواب المغلقة مع مساعديه هيرب كلاين والجنرال هيوز قال إن كاسترو «شيوعي على نحو مباشر تماماً، وسيكون في خطر حقيقي». وأخبر صديقه الكاليفورني المقرب جاك دراون أن كاسترو «شيوعي متفانٍ سيصبح شوكة في خاصرتنا جميعاً»[10].

وفي حديث مع رئيس كوستاريكا السابق خوزيه فيغرز علق نيكسون بأن كاسترو قد ترك لديه «انطباعاً رهيباً». واستذكر فيغرز أن نيكسون قد «اعتبر فيدل مجنوناً، وكان مذعوراً منه على نحو جهنمي. لقد رأيت ذلك في عينيه».

وفي تلك الأثناء استطاع كاسترو أن يقنع آخرين في الحكومة الأمريكية، ومنهم جيري درولر، كبير الخبراء في الشيوعية في أمريكا اللاتينية لدى وكالة المخابرات المركزية بأنه ليس شيوعياً فأعلن درولر بفرح بعد الاجتماع به أن «كاسترو ليس فقط غير شيوعي، بل إنه مناضل قوي ضد الشيوعية».

---

(9) إن الصحافي آندرو سان جورج، الذي كان يعرف كاسترو، والذي كتب عن كوبا كثيراً بشكل مستفيض، كان حاضراً عند خروجهما من مكتب نيكسون. وهو يستذكر أيضاً أن نيكسون قال كلاماً بهذا المعنى فحواه أن الولايات المتحدة ستتمكن من العمل مع كاسترو (مقابلة مع آندرو سان جورج).

(10) إن أولئك المقتبسة أقوالهم أشاروا إلى أن نيكسون قد شعر بالتأكيد أن كاسترو شيوعي من لحظة مقابلته له. غير أنه قد اقترح في تقريره إلى آيزنهاور، وكذلك في رسالة خاصة إلى محرر صحيفة **ميامي نيوز**، أنه يعتقد أن «من الممكن أن يغير كاسترو موقفه. (ستيڤن آمبروز: **نيكسون: تثقيف رئيس**، ص 516).

أما كون كاسترو ملتزماً أم غير ملتزم بالشيوعية في ذلك الحين فإن سؤال لا يعرف الإجابة عنه إلاً هو. وهناك بعض الأدلة التي تشير إلى أنه عندما التقى بنيكسون كان يحاول أن يشق طريقه الخاص به، على اختلاف مع الشيوعيين المتحمسين مثل شقيقه راؤول. بل إن اليساريين الكوبيين كانوا قد أخبروا المتصلين السوڤييت بهم أنهم يشكّون في أن كاسترو أداة في يد **الأمريكيين**. وفي التسعينيّات أصرّ دبلوماسي سوڤييتي سابق أن كاسترو لم يتجه نحو موسكو أو يتصل بها إلاً بعد سنة من التقائه بنيكسون.

ويجادل البعض في أن كاسترو إنما كان يريد استخدام الشيوعية كأداة في أسلوبه الشخصي لحكم الفرد الواحد. فقد كان معادياً للأمريكيين بشكل عصبي. غير أن ذلك لا يعني بالضرورة أنه كان شيوعياً.

وقد كتب نيكسون في تقريره عن كاسترو إلى آيزنهاور: «إن الحقيقة التي نحن متأكدون منها هي أنه يملك المؤهلات غير المحددة التي تجعل منه قائداً للرجال... ويبدو أنه مخلص، فإمّا أنه ساذج إلى حد لا يصدّق حول الشيوعية، أو أنه خاضع لتنظيم شيوعي محكم الانضباط، وتقديري يرجح الحالة الأولى... ولكن نظراً لأنه يملك القدرة على القيادة... فليس لدينا خيار سوى أن نحاول على الأقل توجيهه نحو الاتجاه الصحيح».

وخطّ آيزنهاور بقلمه على تقرير آخر عن زيارة كاسترو عبارة «سنتفحص هذا الأمر في غضون سنة». وفي الأشهر التالية فإن تصرفات كاسترو ـ مضافاً إليها تأثيرات كل من وليام باولي، وآلن دالاس، ونيكسون ـ قد ساعدت آيزنهار على حزم أمره واتخاذ موقف. ذلك أن الزعيم الكوبي استولى على المشاريع التجارية في كوبا، وهي أعمال تمثل استثمارات قدرها مليار دولار، وبدأ بتسليح الثوار في بلدان أمريكية لاتينية أخرى. فشرع نيكسون يحث مجلس الأمن القومي بالتركيز على أن الوقت قد حان «لاتخاذ بعض الإجراءات

الدراماتيكية العنيفة والمفاجئة. . . للتوضيح بأننا لن نسمح لأحد بأن يعاملنا باستفزاز وفظاظة. . . ».

وحسب رواية روبرت كيث غراي، الوزير السابق في الحكومة الأمريكية: «لم تكن هناك أسرار تنفيذية بين آيزنهاور ونيكسون». ولعل جزءاً من السبب يكمن في الطريقة التي عمل بها نيكسون أثناء مرض الرئيس، فجعله ذلك يرى نفسه وكيلاً له ينوب عنه عند غيابه. وهكذا حضر نيكسون مائتي اجتماع لمجلس الأمن القومي، وترأس ستة وعشرين منها. وكان العميد روبرت كوشمان، مساعده لشؤون الأمن القومي، يأتي إليه بتقرير مخابرات كامل في كل صباح.

وكان موظفو وكالة المخابرات المركزية قد اكتشفوا أن نيكسون عند جلوسه في مكان آيزنهاور في اجتماعاتهم كان «تلميذاً متحمساً وله قابلية» لشؤون المخابرات. واستذكر واحد منهم أنه كان «لديه اهتمام كبير بالجانب الآخر، المفترض بأنه عاطفي حالم، من عمليات التجسس. . . كطفل يريد أن يعرف ما الذي يكمن وراء خدع الساحر الوهمية. فكان اهتمامه منصباً على الأساليب والتفاصيل. . . مثل كيفية فتح الرسائل وإعادة ختمها دون ترك أية علامات، أو كيفية العثور على جهاز تنصت، أو نقله أو تركيبه. . . ».

وطَفِقَتْ الوكالة تعامل نيكسون على أنه «صديقها لدى البلاط» واهتمت بالتأكد من استلامه لتقارير المخابرات بتدفق منتظم. وهذا يفسر لماذا كان ماريون بوغز، نائب الأمين التنفيذي لمجلس الأمن القومي، عند محاولته القيام بواجبه في إعلام موظفي نيكسون ببواطن الأمور، يكتشف أن أولئك الموظفين «لم يكونوا يرون أن من المناسب الإفاضة في الحديث معنا». ذلك أن خط نيكسون المباشر في الاتصال بأجهزة المخابرات الأمريكية كان يجعل مثل ذلك الحديث شيئاً لا ضرورة له».

وفي اجتماع مجلس الأمن القومي في 16 كانون الأول / ديسمبر (1959)، قال مدير وكالة المخابرات المركزية آلن دالاس إن الوقت قد حان للقيام «بعدد من الأشياء في الجانب السري المكتوم» في كوبا. وخلف الكواليس، كان نيكسون ينصت أيضاً لمشورة وليام باولي، الذي قد جادل منذ البداية بأنه ينبغي قتل كاسترو. وقبل ذلك بأيام قليلة فقط، كان ج. س. كينغ، صديق باولي ذو المركز الرفيع في وكالة المخابرات المركزية قد أرسل إلى دالاس قائمة من «أربعة عمال موصّى بها». وكان أحدها قد وافق عليه دالاس، وهو اقتراح «النظر بصورة كاملة في تصفية فيدل كاسترو... لأن كثيراً من المطلعين يرون أن اختفاءه يعجل بسقوط الحكومة الحالية». فكان ذلك أول إشارة رسمية مسجلة إلى طريق الاغتيال. وهكذا قدر لفكرة اغتيال رجال معينين من الزعماء الأجانب أن تطرح في جلسات مجلس الأمن القومي، ولو كان ذلك تحت مسميات مخففة مثل «إزاحة...» أو «التخلص من...» على سبيل المثال. ولم تُسْتخدم كلمةُ «اغتيال» على الإطلاق.

وأطلق آيزنهاور كلاب الحرب الخفيّة على كاسترو، بطريقة عامة فضفاضة، في اجتماع عقد في آذار / مارس 1960. كان دالاس قد أخبره أنه ليس هناك أمل في العيش مع الزعيم الكوبيّ، فوافق الرئيس على خطة كانت وكالة المخابرات المركزية قد أمضت شهوراً في إعدادها. ولم تكن تدعو إلى الغزو ـ فذلك شيء كان سيأتي في وقت لاحق ـ بل إلى خلق قوة شبه عسكرية مؤلفة من المنفيّين، وشبكة مقاومة داخل كوبا، وتشكيل قيادة معتدلة قادرة على الحلول محل نظام كاسترو عند إسقاطه، وأطلقت الوكالة المذكورة على تلك المؤامرة اسم عملية بلوتو ـ على اسم إله الموتى عند الرومان. وأعطت كاسترو اسم الشيفرة المعنون أ. م. / السفاح[11].

---

(11) زعم هوارد هانت في كتاب صادر سنة 1973 أن وكالة المخابرات المركزية لم تستخدم اسم الشيفرة «بلوتو» ـ وفكر بأنه ربما كان اسماً استخدمه البنتاغون. غير أن اسم بلوتو كان لا يزال مستخدماً =

وبالنسبة لنيكسون، كانت عملية بلوتو منصة قفز محتملة نحو الرئاسة، وهي الهدف الذي كان يحركه أكثر من إسقاط أي دكتاتور في حوض الكاريبي. وقد قيل لتوماس ماكوي، أحد رجال الوكالة الذين كلفوا بمهمة في هذا المشروع، إن هناك «ضغطاً كبيراً آتياً من البيت الأبيض للانتهاء من هذا العمل بحلول شهر تشرين الأول / أكتوبر 1960، بحيث لا يصبح موضوعاً يُضْطَرُّ نيكسون إلى الخوض فيه في حملته الرئاسية».

وكان نيكسون يرى أن الجهد المعادي لكاسترو يمكن أن يعمل لمصلحته أو ضد مصلحته. فإذا لم يتم البتّ فيه وإنهاؤه، فإنه سيكون ضارّاً لفرص الجمهوريين في الفوز بانتخابات الرئاسة. أما إذا تمت معالجته بنجاح، وفي الوقت المناسب، فإنه سيكون شديد الفعالية في الحصول على الأصوات. وعلى الرغم من تشديد آيزنهاور على ضرورة إبقاء بلوتو تحت غطاء من الكتمان الشديد الإحكام، فقد تحدث نيكسون عن الخطط مع أربعة من موظفيه. فأخبر مساعده الصحافي هيرب كلاين بأن إسقاط كاسترو سيكون «ورقة رابحة حقيقية». وقال كلاين في سنة 1997: «كان يريد للعملية أن تتم في شهر تشرين الأول / أكتوبر [1960]. ولم يعرف دور نيكسون فيها بالضبط أحدٌ سواه بالذات، مع مساعده الجنرال كوشمان».

وقد اعترض بعض المعلقين على فكرة كون نيكسون من المحركين الأساسيين في مشروع كوبا، دع عنك كونه طرفاً في مؤامرات لاغتيال كاسترو. فكتب جاك فيفر، مؤرخ وكالة المخابرات المركزية في تقرير داخلي: «لا يستطيع أي خيال مهما تمدد أن يزعم أن نيكسون كان المهندس المعماري الذي خطط لغزو خليج الخنازير». ربما. ولكن بلوتو لم تتطور إلى خطة غزو إلاّ في الأشهر الأخيرة من رئاسة آيزنهاور. وقد لاحظ فيفر فعلاً أن نيكسون وكوشمان

= في سياق تعابير وكالة المخابرات المركزية سنة 1986 ـ من قبل المؤلف جون برادوس. (هانت، **أعطنا هذا اليوم**، مصدر سبق ذكره ص 214؛ وبرادوس، مصدر سبق ذكره، ص 178 وما يليها).

قد حضرا عشرات الاجتماعات التي بحثت في العملية بلوتو، وقال: «كان لنائب الرئيس اهتمام عظيم بتقدم الوكالة في تنظيم إسقاط كاسترو».

وقال فيليب بونزال، آخر سفير أمريكي في كوبا بصراحة مباشرة إن نيكسون «كان واحداً من أوائل المشرفين. . . وبمعنى ما فإنه كان أبا العملية» لإسقاط كاسترو. ويبدو أن نيكسون كان في مجالسه الخاصة خلف الأبواب المغلقة يزعم أنها مبادرته. ذلك أن رئيس كوستاريكا، فيغرز، الذي كانت الوكالة تأمل في استخدام بلاده للتدريب السرّي على تلك العملية، قد تكررت زياراته إلى واشنطن كثيراً طيلة سنة 1960. وقال: «أخبرني نيكسون بأنه قد أمر وكالة المخابرات المركزية بأن تحضّر لغزو كوبا، وتحدث هاتفياً مع آلن دالاس» وقال له: (يجب إسقاط كاسترو. إبذل في ذلك أقصى جهد ممكن). . .»[12] وقال سام هالبيرن، أحد كبار المشتغلين القدامى في الوكالة إنه قد تكوَّن لديه الانطباع أن نيكسون قد أصبح «بطريقة ما» هو موظف البيت الأبيض المختص بالعمل في مشروع كوبا. وقال آليكساندر هيغ سنة 1998: «لقد فهمت أن نيكسون كان رأس حربةٍ لآيزنهاور. . .»[13].

وكان ضابط الوكالة الذي أدار عملية بلوتو هو جاكوب إسترلاين، الذي كان قبل ذلك بسنتين قد التقى بنيكسون في رحلته إلى فنزويلا فاكتشف أن نائب الرئيس كان «مراقباً ثقيلاً لحوحاً» لفعاليات وكالة المخابرات المركزية، عن

---

(12) قال فيغيرز ذلك سنة 1977 في مقابلة مسجلة على شريط مع المحرر السياسي لمجلة **نيو ريبابليك**، وهو كِينْ بُوذ. وأضاف أنه «صار يعتقد أن آيزنهاور لم يكن يعلم أن نيكسون قد أمر بإجراء التحضيرات. . .» غير أن من الواضح أن الرئيس كان يعرف بأمر الخطط، ولو بشكل تنفيذي عام على الأقل. إن المحادثات مع بود تجعل المؤلف يستنتج أن فيغيرز كان يقصد أن آيزنهاور لم يكن يدرك بالضبط طبيعة التورط العملي لنيكسون في تلك المؤامرات. (**نيوريبابليك**، عدد 23 نيسان / أبريل 1977).

(13) بدأ هيغ يتورط في القضايا الكوبية ويتصل بالموظفين ذوي العلاقة العسكرية والاستخبارية في وقت متأخر نسبياً. فباعتباره مساعداً عسكرياً لوزير الجيش، راح يشتغل مع العائدين من قوة الكوبيين المهاجرين التي اندحرت في خليج الخنازير. وبعد ذلك خدم هيغ بوظيفة آخر رئيس لأركان البيت الأبيض في عهد آخر رئاسة لنيكسون.

طريق مساعده كوشمان. واستذكر هوارد هانت، ضابط الاتصال بزعماء الكوبيين في المنفى، لقاء غداء مع كوشمان وإسترلاين في صيف سنة 1960. وحسب رواية هانت، فإن كوشمان قد وصف نيكسون بأنه «المعماري الرئيسي. . . والمدير المتزعم» للمشروع وشدد على أن نيكسون لا يريد أن يحدث أي خطأ في العملية، قائلاً لهانت أن يطلبه هاتفياً في الليل أو النهار إذا احتاج إلى «تدخل على مستوى عال»(14).

وصار واضحاً لكثيرين في ذلك الصيف أن نيكسون بدأ يفقد صبره إزاء التأخير في التعامل مع كوبا. فكان يسأل كوشمان ـ مشيراً إلى موظفي الوكالة وعملائها: «كيف حال أوضاعهم بحق الجحيم؟» و«ماذا يفعل الأولاد في المؤسسة؟» و«ما الذي يفعلونه على وجه الأرض بحيث يستغرق كل هذه الشهور؟» ولم تكن لدى نيكسون أية خبرة عسكرية تذكر، فكان يتحدث كما لو كانت عملية بلوتو لا تنطوي على أكثر من شيء «من التدرب على استخدام البنادق». أما آيزنهاور، المحترف القديم. فكان يحث على توخي الحذر. وقال عنه كوشمان بجفاف فيما بعد: «كان يعرف الأخطار. ولم يكن يعرفها نيكسون».

وبحلول شهر أيلول / سبتمبر، فإن تراسي بارنز، أحد كبار رجال الوكالة العاملين في مشروع كوبا، وجد نفسه في مواجهة زميل له يسأله: «لماذا العجلة؟. . . ولماذا نشتغل في هذا الأمر بكل هذه المشقة؟» كان بارنز يعلم، وكذلك كوشمان أن نيكسون هو الذي يمارس الضغط، بعد أن تركز اهتمامه على طموحاته الرئاسية.

ولخيبة أمل مخططي الوكالة، الذين كانوا يأملون في أن يستبدلوا بكاسترو كوبيين تتجه أفكارهم إلى الديموقراطية، فإن نيكسون راح يتلقى المشورة حول

---

(14) توكيداً لرواية هانت، فإن جاك فايفر، مؤرخ وكالة المخابرات المركزية، قد أشار إلى هذا اللقاء أيضاً، وجعل تاريخه في أواخر حزيران / يونيو، بينما وضعه هانت في تموز / يوليو. (ملاحظات عن مقابلة مع فايفر، أجرتها فون برودي، أوراق فون برودي).

القضية من وليام باولي. ذلك أن هذا المحافظ الفلوريدي، الذي كان يلقى أيضاً اهتماماً واحتراماً من آيزنهاور، دأب على تشجيع فكرة اليمينيين المتطرفين من المنفيين. بل إن ريتشارد بيسيل، الرئيس العام للجهد الكوبي لوكالة المخابرات المركزية، راح يتفكه قائلاً: «إن آيك ونيكسون وباولي لا يعلمون... ولكننا نحن الثوريين الحقيقيين». وكان رجاله يماطلون المنفيين المتطرفين، الذين اشتكوا لباولي، فقام هذا بدوره بالضغط على نيكسون من أجل قضيتهم.

وقد تورط نيكسون في إحدى مؤامرات اليمين بطريقة توحي بولعه بالأحابيل العملية الخادعة التي تجاوزت ما هو مسموح به لمسؤول منتخب ـ وهي التخريب الاقتصادي على نطاق واسع، قيل بأنه ستلحق به فيما بعد مؤامرة اغتيال. وقد جمعت تلك المؤامرة بين نيكسون وماريو غارسيا كوهلي، وهو منفي كوبي في منتصف العمر كان ممولاً وسياسياً بارزاً قبل سقوط باتيستا. وقد ركز كوهلي تركيزاً خاصاً على إحداث اضطراب في الاقتصاد الكوبي، وكان هذا موقفاً يتمشى مع مواقف نيكسون، وباولي، ووكالة المخابرات المركزية، بصورة كلية.

كان آلن دالاس، مدير وكالة المخابرات المركزية، شديد الحماسة في اهتمامه باقتراح قدمه إيان فليمنغ في حفل عشاء بواشنطن. وكان فليمنغ هذا مؤلف قصص جيمس بوند التجسسية. فقال إن إحدى الطرق لتقويض استقرار كاسترو هي إغراق كوبا بالعملة المزوّرة. وسرعان ما راح نيكسون، في اجتماع لمجلس الأمن القومي، يحث على شن حرب اقتصادية، قائلاً إن الولايات المتحدة إذا عجزت عن القيام بعمل كاسح وسريع فلن تُعْرَفَ باسم العم سام، بل سرعان ما سيطلق عليها اسم العم المغفّل.

وانجذب كوهلي بصورة طبيعية نحو نيكسون. وتقول إحدى الروايات إن أول من أخذه تحت جناح رعايته عند وصوله إلى فلوريدا لم يكن سوى بيب ريبوزو، الذي كان كوبياً أمريكياً قال عنه هنري كيسنجر فيما بعد إنه كان «يكره

كاسترو بعاطفة أمريكية لاتينية عنيفة». وقال ابن كوهلي، ماريو الأصغر، إن أباه كان على اتصال بنيكسون في غضون أشهر من وصوله[15].

وجاء الاتصال الذي صار نقطة ارتكاز أساسية في حزيران / يونيو 1960، وقد هندسه السناتور أوين بروستر، الجمهوري المحافظ الذي كان قد أخضع للتحقيق بتهمة تزويد نيكسون بتمويل غير مشروع لحملته الانتخابية. وكان من بين الذين تورطوا بالتوسط مارشال دِيغْزْ، وهو محام من واشنطن، وموظف سابق في الخزانة ظل على اتصال بنيكسون زمناً طويلاً في قضايا تتعلق بالمخابرات. وقد التقى نيكسون بكوهلي، ثم وصله بآلن دالاس. وتبعت ذلك سلسلة من الاتصالات بعملاء وكالة المخابرات المركزية.

كان على كوهلي أن ينظم طبع مبالغ هائلة من العملة الكوبية المزورة (البيزو)، بمساعدة شركاء أقوياء. وفي صيف سنة 1960 وجد مساعد نيكسون بوب كوشمان نفسه على متنَ طائرة مع دالاس، باتجاه فلوريدا لمناقشة «خطة لطبع سندات دَيْنْ كوبيّة» مع باولي.

غير أن عميل وكالة المخابرات المركزية المكلف بتأليف قيادة موحدة معادية لكاسترو رأى في كوهلي عقبة في وجه مهمته. فقد كانت تعتريه أوهام العظمة فيتخيل نفسه «رئيساً في المنفى»، وكانت نزعته اليمينية شديدة التطرف إلى درجة أنها لا تتمشى مع المعتدلين الذين أرادتهم الوكالة في تحالفها في المنفى. فلم يتفق نيكسون معه في ذلك، بل وصف كوهلي بأنه «الاحتمال الناضج المناسب تماماً لقيادة الكوبيين». وقدر له أن يظل متحمساً له بعد ذلك بثلاث سنوات، عندما سبّب له تزويره في آخر الأمر متاعب مع القانون.

---

(15) قال كوهلي الأصغر، الذي صار من نشطاء المهاجرين الكوبيين إن أباه جعل نيكسون يتدخل لمصلحته في سنة 1959 عندما كان يواجه مصاعب في الحصول على تأشيرة دخول إلى الولايات المتحدة. فجاءته التأشيرة في غضون أربع وعشرين ساعة من اجتماع أبيه مع نيكسون (مقابلة مع الدكتور ماريو غارسيا كوهلي الأصغر).

وضمن نيكسون لكوهلي الحصول على مشورة قانونية مجانية، وكتب إلى القاضي المسؤول عن محاكمته يناشده الرأفه به. وقال لزميل له: «بدلاً من إرسال المنفيّ إلى السجن، ينبغي أن يعطوه ميدالية». وحسب رواية أحد الشهود فإن نيكسون قد أخبر كوهلي بأن «كل شيء سيكون على ما يرام» إذا استطاع أن يؤخر إجراءات المحكمة بالهرب أثناء إطلاق سراحه بكفالة والاختفاء عن الأنظار فترة. ففعل، ولكنه ألقي القبض عليه في آخر الأمر وأودع السجن على أية حال.

ولعل نيكسون قد ساعد كوهلي ليس لأنه كان يخشى افتضاح دوره في قضية لم تظهر في المحكمة، وهي التآمر على الاغتيال. فقد روى ابن كوهلي واقعة غير عادية حدثت في تشرين الأول / أكتوبر سنة 1960، بعد أن قامت وكالة المخابرات المركزية بإبعاد نيكسون عن كوهلي، وعندما كانت سياسة الولايات المتحدة تتحول من دعم حرب عصابات إلى خطط للغزو المباشر. فتحدث كوهلي الأصغر عن مكالمة هاتفية مع والده، تمت من أجهزة هاتف عمومية وجرى تصميمها بهذه الطريقة لأسباب أمنية، وصف فيها كوهلي الأب لقاءً مع نيكسون في نادي الشجرة المحروقة في ميريلاند(16).

وحسبما جاء في إفادة قدمها كوهلي الابن بعد حلف اليمين، فقد وافق نيكسون في ذلك الاجتماع على «تصفية قادة الكوبيين [المنفيين] الذين وافق عليهم اليساريون، في وقت غزو الجزيرة على أيدي المجموعات المنفية المدربة بإشراف وكالة المخابرات المركزية. وقد قُدِّم هذا الوعد لقاء أن يضمن والدي استخدام منظمته السرية داخل كوبا، وقوة المقاتلين المدربين التابعة له

---

(16) كان نيكسون بالفعل يستخدم مضمار الغولف في نادي الشجرة المحترقة وهو المكان الذي قدر له فيما بعد أن يصبح بالصدفة مسرح أول محاولة لإخفاء أمر فضيحة ووترغيت. (كلاين، مصدر سبق ذكره، ص 360؛ وليدي: **الوصية**، مصدر سبق ذكره، ص 344).

والمؤلفة من 300 ـ 400 رجل في جبال إسْكَامْبَاري»[17]. وعند مقابلة كوهلي الأصغر في سنة 1996 كرر ادعاءاته، قائلاً إنه كان من الواضح أن نيكسون قد وافق على إعدم أيٍّ من القادة الكوبيين المنفيين الذين يعتبرهم كوهلي يساريّين. «وكانت الطريقة التي وافق فيها نيكسون على ذلك بقوله: (عندما تذهب إلى كوبا، إذا اضطررت إلى التخلص من شرذمة من الشيوعيين فافعل. وإن كان هناك قادة يساريون فاقتلهم ثم أعلن على الملأ أنهم قاتلوا إلى آخر رجل). . .».

وقال كوهلي الأصغر أنه كان من المفهوم أيضاً بشكل «مطلق» أن فيدل كاسترو، وأخاه راؤول، وشي غيفارا ينبغي قتلهم في حالة الغزو. وقال: «إن جزءاً من واشنطن قد وافق على ذلك. وهو جزء نيكسون. وكان كثيرون في وكالة المخابرات المركزية ضد هذه الخطة».

ولقد ظهرت تفاصيل مؤامرات الولايات المتحدة لقتل كاسترو على شكل نتف ضئيلة مبعثرة منذ أن تم الكشف عن وجودها على يد لجنة تابعة لمجلس الشيوخ في منتصف سبعينيّات القرن العشرين. وكان جزء كبير من التحقيق يتركز على ما إذا كان الرئيس كينيدي وأخوه روبرت يعلمان بخطط الاغتيال، وإلى أي مدى. ولكن: هل كان نيكسون متورطاً كذلك؟ بل أكان واعياً حتى بوجود تلك الخطط؟ هذا سؤال أساسي، وقد ظل مهملاً كثيراً حتى الآن.

---

(17) هناك إفادة بالمعنى نفسه، تحمل توقيع روبرت مورو، الذي زعم أنه كان مقاولاً متعهداً عند وكالة المخابرات المركزية. وقد ألقي القبض عليه مع كوهلي سنة 1963 بتهمة التزوير، وقال في المحكمة بعد ذلك إنه لا ينازع في صحة الاتهام. وفيما بعد، قام مورو بنسج حكايته في كتب، وسَّع فيها تورطه إلى حد الافتراض بأنه كان مطلعاً على التآمر المزعوم لاغتيال كينيدي. ولا يجد المؤلفُ كتبَ مورو هذه جديرة بالتصديق في هذا المجال. غير أن الملاحق فيها مصدر مفيد حول الوثائق العامة ذات الصلة. (مقابلات مع المرحوم روبرت مورو أجراها الأستاذ جون وليامز؛ روبرت مورو في كتابه **الخيانة**، طبع نيويورك: وارنر، 1976، وكتابه **المعرفة المباشرة**، طبع نيويورك، شركة S.P.I. لنشر الكتب، 1992).



17

إن التصميم على قتل زعيم أجنبي... ليس علامة عقم أخلاقي وسياسي فحسب، بل إنه تأكيد متغطرس على حق أمة ما في التحكم بمصائر الإنسانية كلها.

هاري روزيتسك، ضابط محترف
في وكالة المخابرات المركزية

إن محاولة البتّ في شخصية الذي خوّل وكالة المخابرات المركزية بمحاولات اغتيال زعماء أجانب «تشبه محاولة إلصاق حلوى هلاميّة على الجدار»، كما قال والتر مونديل سنة 1975 عقب تشكيل مجلس الشيوخ لجنة تحقيق في أعمال المخابرات. وأضاف أنه يعتقد «أن المقصود من النظام أن يعمل بهذه الطريقة، فتصدر الأوامر بعمل الأشياء وعند افتضاحها لا يمكن اعتبار أي شخص مسؤولاً عنها».

ومع ذلك، فقد حددت تلك اللجنة الخطوط الأساسية (ولو بشكل غائم غامض) لخطط الوكالة لاغتيال ثلاثة زعماء أجانب. فأرسلت السموم إلى الكونغو سنة 1960 لقتل رئيس الوزراء باتريس لومومبا، رغم أنه لقي حتفه في آخر الأمر على أيدي أبناء بلده. وأرسلت الأسلحة إلى جمهورية الدومينيكان سنة 1961، إلى المنشقين الساعين إلى إسقاط الدكتاتور رافائيل تروخيلّو، ولعلها قد استخدمت في اغتياله. أما كاسترو فقد حاولت الوكالة تكراراً أن تغتاله على مدى خمس سنوات، بدءاً من أيام حكم آيزنهاور ونيكسون في سنة 1960.

وعندما انتهت لجنة المخابرات من عملها لم يكن أحد من الرؤساء الذين خدموا في الفترة موضوع التحقيق حيّاً كي يجيب عن أسئلتها. ولم تقدم اللجنة عن مكتشفاتها تقريراً رسمياً «يتهم الرؤساء». غير أنه برغم إنكار أصدقاء آيزنهاور المقربين، استمع مجلس الشيوخ إلى شهادة تشير إلى أنه قد وافق على خطة قتل لومومبا[1]. فقال ماريون بوغز، أمين السر التنفيذي لمجلس الأمن القومي، في مقابلة أجريت معه لأغراض هذا الكتاب، إن آيزنهاور قد ناقش أيضاً إمكانية اغتيال كاسترو. غير أن الرئيس قد رفض الفكرة في آخر الأمر، ولكن لأسباب عملية ذرائعية محضة. وأوضح بوغز: «كان رأي آيزنهاور دائماً هو: (لماذا يقوم أي شخص باغتيال رئيس كوبا كاسترو؟ إننا عندئذ سنواجه في مكانه أخاه، الذي هو أسوأ منه)»[2].

(1) أخذت اللجنة في الحسبان شهادةَ روبرت جونسون، الموظف السابق في مجلس الأمن القومي، الذي استذكر أن آيزنهاور قال شيئاً في اجتماع للمجلس المذكور «فهمت منه أنه أمر باغتيال لومومبا». وفي الجزء التالي من الشهادة، بدا جونسون كأنه يتراجع عن تلك الإفادة، ولكنه أكد أيضاً «المأزق الأخلاقي العميق» الذي تعرض له بمناقشة قضايا علم بأمرها تحت شروط من السرية والكتمان. وفي مقابلة لأغراض هذا الكتاب، أعاد جونسون التأكيد أنه يعتقد أن آيزنهاور قد أمر بقتل لومومبا، أو على الأقل وافق على ذلك. وقال موظفو وكالة المخابرات المركزية بدورهم إن التآمر على قتل لومومبا قد وافق عليه الرئيس، أو أن الموافقة قد جاءت «من أعلى المستويات»؛ وهذا يعني شيئاً واحداً. وفيما عدا ما هو مشمول في النص الرئيسي، لا يُعْرَفُ شيء يُذْكَرُ عن موقف آيزنهاور إزاء التآمر على كاسترو. أما جاكوب إسترلاين، ضابط وكالة المخابرات المركزية الذي كان يدير العملية «بلوتو» والذي كان بذلك هو المسؤول عن الموافقة على إنفاق مبالغ العمليات التي تزيد على خمسين ألف دولار، فقد استذكر أنه تحدى طلبين لصرف مبلغ مئة وخمسين ألف دولار في سنة 1960. وقد استحلفه زميله الذي قدم الطلبين يميناً للمحافظة على السرية، وأوضح له أن الأموال مطلوبة لمشروع اغتيال كاسترو، الذي أَذِنَ به ووافق عليه «رئيس الولايات المتحدة». ولم يكن إسترلاين يعرف إن كان زميله المذكور صادقاً ويقول الحقيقة. (جونسون: مقابلة مع روبرت جونسون؛ ومجلس الشيوخ الأمريكي: **مؤامرات الاغتيال**، مصدر سبق ذكره، ص 55 وما يليها؛ «أعلى المستويات»، المصدر نفسه، ص 65 وما يليها؛ وأنظر أيضاً ستيفن آمبروز مع ريتشارد إيمرمان، **جواسيس آيك**، طبع غاردن سيتي، نيويورك: دابل داي، 1981، ص 93، وما يليها؛ وإسترلاين: مقابلة مع جاكوب إسترلاين أجراها غاس روسو، 1998.

(2) يتقبل كثيرون الآن أن الأخوين كينيدي، اللذين قدر لهما أن يموتا غيلةً، كانا قد وافقا فيما بعد على التآمر لاغتيال كاسترو. وكانت هناك تكهنات ملحّة دامت زمناً بأن اغتيال كينيدي كانت له صلةٌ من نوعٍ ما بالمؤامرات على كاسترو. أما ليندون جونسون، الذي يبدو أنه قد علم بالمؤامرات بعدما خلف كينيدي، فقد مات قبل أن تبدأ لجنة مجلس الشيوخ تحقيقها بوقت غير طويل. وفي سنة 1974، =

أما آلن دالاس، مدير وكالة المخابرات المركزية وقت الشروع في مؤامرات القتل فقد أكد في مذكراته أن الوكالة «لم تنفذ أي عمل ذي طبيعة سياسية. . . بدون الموافقة الأصولية من مستوى سياسي عال في الحكومة، **خارج وكالة المخابرات المركزية**»(*). وأكد موظفون كبار في الوكالة الشيء نفسه. فاستنتجت لجنة مجلس الشيوخ أن «التخويل من خارج الوكالة باغتيال كاسترو لا يمكن، حسب الشهادة، أن يكون قد جاء إلاً من الرئيس آيزنهاور [أو] من شخص يتحدث باسمه. . .»[3].

= في اجتماع لمحرري **النيويورك تايمز**، قال الرئيس فورد إنه يتوقع أن تعثر لجنة روكفلر المشكلة للتحقيق في أعمال وكالة المخابرات المركزية، على مواد يمكنها «أن تسوّد سمعة كل رئيس أمريكي بدءاً من ترومان». فسأله أ.م. روزنثال، المحرر الإداري **للتايمز**: «مثل ماذا؟» فردّ عليه فورد: «مثل الاغتيالات! ولكن هذا ليس للنشر!» وقد التزمت **التايمز** بهذا التقييد فلم تنشر هذا الكلام. غير أن الخبر سرعان ما تسرب. ولاحظ المؤلف أن عبارة «كل رئيس بدءاً من ترومان» تشمل نيكسون بوضوح، فكتب إلى الرئيس السابق فورد يسأله عما إذا كان يعرف إن كان نيكسون مطلعاً على أسرار خطط اغتيال كاسترو عندما كان نائباً للرئيس، وما إذا كان يعرف أية خطط اغتيال تم تدبيرها أثناء رئاسة نيكسون، فرد فورد بما يأتي:

(1) لا أعرف على وجه التحديد عن أي اطلاع للرئيس نيكسون على خطط للاغتيال.

(2) لا أعرف إن كان الرئيس نيكسون قد اطلع وهو نائب للرئيس آيزنهاور على أسرار أية خطط لاغتيال كاسترو أو زعماء كوبيين آخرين.

(3) عندما أصبحت رئيساً، لم أطلع على أية خطط محددة تم تدبيرها أثناء رئاسة نيكسون.

فطلب المؤلف توضيحاً، فرد عليه فورد قائلاً: «لقد كنت دقيقاً في تحديد كلماتي. ولا أنوي مراجعتها أو الإضافة عليها. وأرجوك أن تقبل كون ردّي نهائياً». وهذا قد يشير إلى أن فورد لم يكن يعرف شيئاً عن الوضع عندما كان نيكسون نائباً للرئيس، ولكنه حصل على معرفة محددة بخطط اغتيال أو عمليات أثناء رئاسة نيكسون (للاطلاع على تورط كيندي الظاهري في المؤامرات على كاسترو وتشعباتها المحتملة، **أنظر** ـ ضمن أشياء أخرى ـ مقالات المؤلف عن جوديث إكسنر في **النيورورك دايلي نيوز**، أعداد 6 و7 و8 تشرين الأول / أكتوبر سنة 1991، وكتابه **ليس في حياتك**، مصدر سبق ذكره، ص 187 وما يليها و247 وما يليها و305 وما يليها؛ وكذلك فورد: دانييل شور: **تنظيف الهواء**، طبع نيويورك: بيركلي، 1978، ص 144؛ والمراسلات بين فورد والمؤلف: رسالتا المؤلف، في 6 كانون الأول / ديسمبر 1996 و1 نيسان / إبريل 1997، ورسالتا فورد في 4 آذار / مارس و26 تشرين الثاني / نوفمبر، 1997).

(*) التوكيد من دالاس نفسه.

(3) يلاحظ تقرير مجلس الشيوخ أن التفويض ربما يكون قد جاء من المجموعة الخاصة (أو اللجنة 5412) وهي هيئة مكونة من «ممثلين مكلفين» للرئيس ولوزيري الدفاع والخارجية المكلفين بدراسة =

وأمّا موظف الوكالة المكلف بالعمليات المعادية لكاسترو، وهو نائب رئيس التخطيط ريتشارد بيسل فقد أخبر اللجنة أنه لم يناقش خطط الاغتيال مع أي من مسؤولي الإدارة، لأنه قد اعتمد على قيام المدير دالاس بذلك والحصول على التخويل»[4]. وقال بعد سنوات: «لم أعلم بالضبط على الإطلاق بما كان يحدث على المستويات الأعلى منه، ولم أستسفر عن ذلك على نحو خاص... فلم يكن أحد ليتوقع الحصول على جواب إيجابي، على موافقة صريحة من الرئيس».

وكان دالاس، مثل آيزنهاور، قد مات عندما شرعت اللجنة في التحقيق. وكانت أجوبة رؤساء الوكالة الذين شهدوا أمامها بالفعل، مثل بيسل وهيلمز ترتكز على المبدأ المعتم أن وكالة المخابرات المركزية، كانت في ما يخص الاغتيال، تتصل بالبيت الأبيض على أساس هزّة الرأس وغمزة العين وليس على أساس التفويض المباشر. وقال هيلمز: «أعتقد أننا جميعاً كان لدينا شعور بأننا مستخدمون مأجورون لإبقاء هذه الأمور خارج المكتب البيضاوي». وبهذا الشرط، شهد بأن مؤامرات موت كاسترو كانت معروفة «لدى جميع ذوي المناصب الحكومية العليا تقريباً».

ولم يكن حياً وموجوداً للشهادة في سنة 1975 سوى رجل واحد خدم على أعلى مستوى سياسي، وكان له تورط خاص في قضايا كوبا في السنة التي

= العمليات المقترحة والموافقة عليها. وكان نيكسون يطلع، في المناسبات بين فترة وأخرى على الأقل، على مداولات المجموعة الخاصة. (المجموعة الخاصة: آندرو، **لاطلاع الرئيس فقط**، مصدر سبق ذكره، ص 212؛ إطلاع ريتشارد نيكسون: ملاحظات عن مقابلة مع جاك فايفر أجرتها فون برودي، أوراق فون برودي).

(4) في الشهادة أمام لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ، قال بيسيل إنه يعتقد أن دالاس «ربما» يكون قد تحدث مع آيزنهاور عن المؤامرات التي اشتركت في تدبيرها وكالة المخابرات المركزية مع المافيا، وهو «يظن» أن الرئيس قد أعطى تفويضاً بذلك، «ربما بشكل صامت فقط». وذلك بناء على معرفته بأسلوب دالاس في تشغيل عملياته. وهذا يتناقض مع تقرير **للنيوزويك** عن مقابلة مع بيسيل نُقِلَ فيها عنه قوله *بأنه كان متأكداً من أن دالاس لم يخبر أحداً في البيت الأبيض*. (مجلس الشيوخ الأمريكي، **مؤامرات الاغتيال**، مصدر سبق ذكره، ص 111؛ **ونيوزويك**، عدد 11 كانون الأول / ديسمبر 1995).

بدأت فيها مؤامرات الاغتيال. وهو ريتشارد نيكسون، الذي كان قد أرغم على ترك منصبه في السنة السابقة [1974]، وكان قابعاً في عزلته في سان كليمنت بكاليفورنيا. ومع ذلك لم تتمكن اللجنة من مساءلته عن هذا الموضوع.

ومن المؤكد أن الشيوخ قد سعوا إلى جعله يدلي بشهادة كاملة. غير أنه على مدى شهور من المفاوضات، أصرّ على حقّه في الامتناع عن الإجابة عن أسئلة معينة باستخدام التعديل الخامس ضد تجريم نفسه، وحق موظف السلطة التنفيذية بكتمان أسرارها. كما أنه تذرع بسوء حالته الصحية التي تمنعه من المجيء إلى واشنطن كي يتم استجوابه، رغم أنه كانت قد التقطت له صورٌ حديثة وهو يمارس لعبة الغولف. وفي آخر الأمر أُقْنِعَ نيكسون فقط بالإجابة، خطّيّاً، على عدد من الأسئلة المتفق عليها. ولم يكن أي واحد منها يتعلق بكوبا، أو بمؤامرات ضد كاسترو على وجه التحديد. وفي سنة 1996 قال جو دنين، محامي اللجنة الذي حمل الأسئلة إلى سان كليمنت، إن ذلك الترتيب كان حلاً وسطاً بين ما هو كامل من جهة وبين موافقة على مضض على إجراء استجواب مكتوب. أما الشيء الكامل فهو أن يدلي نيكسون بشهادته كالناس الآخرين ويجلس ثماني ساعات يخضع فيها للاستنطاق وهو حالفُ اليمين، وهذا ما لم يكن ليحدث. . . فكان ذلك هو آخر إجراء تستطيع اللجنة أن تقوم به في اللحظة الأخيرة. فقد كان تقريرها جاهزاً للذهاب إلى المطبعة. وكان هناك ضغط هائل يشبه إنذاراً مكتوباً على الجدار بطريقة هازلة: «(إن لم يكن بوسعكم عمل الشيء بصورة صحيحة، فاحصلوا عليه مكتوباً)».

وقال السناتور السابق غاري هارت، الذي عمل في تلك اللجنة: «كان يجب استجواب نيكسون. غير أنه كان رجلاً يعيش معزولاً في المنفى ولم نكن نؤمن في الحقيقة أنه سيخبرنا بما يعلم، سواء أكان حالفاً لليمين أم لم يكن. . . وكنا نؤمن إيماناً محتوماً كإيمان المستسلم للقدر أننا ـ حتى ولو قمنا بالتحركات

اللازمة ـ فإن من الأرجح أننا لن نحصل من نيكسون على اعتراف يُجَرِّمه. . .».

وكان أحد الأسئلة التي اتفق عليها بالتفاوض، يمس بالفعل مسألة ما إذا كانت اعتبارات الأمن الوطني تبرّر مخالفة القانون، إذا طلب ذلك الرئيسُ أو مسؤولٌ رفيع، فأجاب نيكسون بطريقة اعتبرها رئيس اللجنة «خبيثة وخطرة». إذ أكد أن بعض الأعمال التي تعتبر غير قانونية مبررة إذا قام بها «العاهل» أو صاحب السيادة، مستشهداً على ذلك بمفهوم نيكسوني غريب خاص به عن السلطة الرئاسية. وتابع يقول: «إن اغتيال زعيم أجنبي ربما كان له ما يبرره أثناء الحرب العالمية الثانية لأنه كان يعني منع المزيد من الفظائع النازية[5]. ولكنه زعم أن اغتيال زعيم أجنبي هو عمل لم يكن لدي قطّ أي سبب للنظر فيه».

وعلى الرغم من اهتمامه الطويل الأمد بكوبا، فإنه لم يُضَمّن مذكراته أية إشارة إلىٰ المؤامرات على كاسترو، رغم أن اكتشافها قد وصل إلى عناوين الصحف قبل زمن غير طويل من صدور كتابه. وهكذا كان من الواضح أنه قد تجنب الاضطرار إلى إنكار لعب دور فيها. فلم يشر إلى هذه القضية إشارة مباشرة، إلاّ في مقابلة أجرتها معه سنة 1986 مجلة لم يلاحظها أحد. إذ قال عندئذ: «لقد أذهلني سماعي بأنه كانت لديهم مؤامرات اغتيال. لقد أذهلني ذلك حقاً. ولعل هذه هي الطريقة التي يعملون بها. . . إنه لعالم غريب، أليس كذلك؟» غريب فعلاً، إذا أخذنا في الحسبان ما يستطيع المرء أن يعيد تركيبه الآن من التداخل المتشابك بين المؤامرات على كاسترو سنة 1960، وما هو معروف عن تورط نيكسون في المسائل الكوبية.

ولقد تلقت المؤرخة فون برودي رواية شفوية سنة 1978 من الدكتور جاك

---

(5) بعد ذلك بسنة، وأثناء مقابلة تلفزيونية مع ديفيد فروست، اقترح نيكسون أن الرئيس روزفلت لو أمر باغتيال هتلر قبل الحرب العالمية الثانية، لأدى ذلك الفعل إلى «مطالبة قوية» للسلطات الدستورية. (فروست، مصدر سبق ذكره، ص 185).

ڤايفر، الذي كان آنئذ مؤرخ وكالة المخابرات المركزية، في أعقاب مراجعته لملفات الوكالة عن نيكسون وكوبا. وتشير ملاحظات برودي إلى أنه في شهر كانون الثاني / يناير سنة 1960، بعد أن قام ج. س. كينغ، رئيس نصف الكرة الغربي في الوكالة، بطرح اقتراح «إزالة» كاسترو لأول مرة، جاء سؤال في أحد الاجتماعات من الجنرال كوشمان، مساعد نيكسون: «إذا كنتم بحاجة إلى إدخال مجموعات من القتلة المأجورين إلى كوبا فَلِمَ لا تفعلون؟».

وفي آذار / مارس من تلك السنة تلقى نيكسون شخصياً شرحاً حول «استخدام القتلة المأجورين». أما ما الذي ستفعله مجموعات القتلة فليس مدوناً في الملاحظات. ولكن تعريف القاموس «للقاتل المأجور» هو أنه رجل «يُسْتَأْجَر... لتصفية الخصوم»[6]. وفي مناسباتٍ لاحقة في الشهر نفسه، ناقش وليام باولي، صديق نيكسون، عملية قتل «شخص ما» داخل كوبا مع رئيس برنامج تدريب الكوبيين المنفيين التابع لوكالة المخابرات المركزية.

وفي آذار / مارس أيضاً، وفي حفلة عشاء، اقترح فيها المؤلف إيان فليمينغ إغراق كوبا بالعملة المزيفة، قدم حلاً للمشكلة الكوبية ألطف من الاغتيال، فقال إنه يرى أن السخرية يمكن أن تكون طريقة جيدة كأية طريقة أخرى في نسف استقرار نظام كاسترو. فإذا أمطروا بوابل من الإنذارات الدعائية، بأن هناك بقايا ترسبات مشعة تستقر في لحاهم ومن شأنها أن تجعلهم عقيمين، فإن أتباع كاسترو ـ بل والقائد الأكبر نفسه ـ سيسارعون إلى حلاقتها. ومع ذهاب أفضل رمز للثورة، فإنها سوف تتلاشى.

(6) يقول **قاموس وبستر الأكاديمي** (طبعة سنة 1980) أن «الأجير» كلمة تشير أيضاً إلى شخص يُسْتَأْجَرُ «لإرهاب» خصم، وكان ذلك هو المعنى الذي قصده جون إيرليكمان عندما وصف أمر نيكسون باستئجار «فرق من المرتزقة» أثناء حملة الانتخابات لضرب المشاغبين ضرباً مبرحاً. غير أنه في ما يتعلق بالعملاء المرسلين إلى كوبا، فمن المؤكد أن الكلمة كانت تشير إلى «تصفية» الخصوم بدلاً من ترويعهم. (إيرليكمان، مصدر سبق ذكره، ص 33؛ مقابلة مع جون إيرليكمان).

وفي أعقاب هذا الاقتراح الأحمق الغريب، بدأت وكالة المخابرات المركزية أشهر خططها المعادية لكاسترو. وراح فنيّو الوكالة يبحثون على نحو جادّ كيف يمكن أن يلصقوا بكاسترو مزيلاً للشعر نسائياً يعمل عن طريق الفم أو يمتصه الجلد، وهل يمكن أن يفعل فعله إذا تم نثره على شكل مسحوق غباري في حذاء القائد الكوبيّ، عندما يترك حذاءه للتلميع أثناء رحلة له في بلد أجنبي؟ لن نعرف جواباً، لأن كاسترو ألغى رحلته المذكورة.

كما ركّز باحثو الوكالة اهتمامهم على كيفية لغم طعام كاسترو ـ أو صندوق من سيجاره المفضل، من علامة مونتي كريستو رقم واحد ـ بمادة كيميائية مدوخة تفقده التوجه، وتجعله يبدو أحمق أثناء واحدة من خطبه الشديدة الطول. ويقول التاريخ الداخلي للوكالة إن هذه المؤامرات الشهيرة بسخافتها قد تم شرحها لنيكسون. غير أن الشيء المضحك في غرابته وسخفه تحول إلى شيء قاتل، عندما طُلِبَ من مكتب الخدمات الطبية في الوكالة أن يلوث صندوقاً من سيجار مونتي كريستو بمادة سامة «شديدة الفعالية إلى درجة أن الشخص الذي يضع السيجار في فمه سيموت على الفور». وبحلول الوقت الذي صار فيه السيجار المسموم جاهزاً، كانت السياسة الثابتة هي اغتيال كاسترو.

وفي نيسان / أبريل قدم هوارد هانت أربع توصيات في تقرير رفعه إلى مسؤوليه في وكالة المخابرات المركزية. وكانت أولاها: «اغتالوا كاسترو قبل الغزو أو عند حدوثه (مهمة للوطنيين الكوبيين)». ولكن هانت أنكر فيما بعد معرفته إن كانت الوكالة قد أخذت باقتراحه، وقال للمؤلف سنة 1996: «أنا نفسي لم أسمع بالمؤامرات أبداً حتى كشفت عنها لجنة تشيرتش». غير أنه حسب رواية تشارلي كولسون، مساعد نيكسون، فإن هانت كان قد أخبره بمحاولات قتل كاسترو قبل ذلك بزمن طويل. وفي سنة 1974 كذلك، في مذكرة داخلية مختلسة من شركة أبناء ج. ب. بوتنام على يد مصدر تابع

للوكالة، عندما كانت تلك الشركة على وشك طبع المجلد الثاني من مذكراته، نقل على لسان هانت قوله بأنه قد «أوصى بقتل كاسترو، **وخطّط** للعملية»[(*)][(7)].

وفي مقابلة المؤلف سنة 1996، أكد هانت أن اقتراحه بقتل كاسترو قد نوقش في اجتماعه مع الجنرال كوشمان، مساعد نيكسون، في حزيران / يونيو (سنة 1960)، وقال إنه أثار الموضوع «وكأنه يلقي به في بئر». ومن المنطقي الاستنتاج أن كوشمان قد مَرَّرَ المعلومات إلى نيكسون، فهذه هي مسؤوليته على أية حال.

أما ملف الوكالة عن وليام باولي، الذي كان يريد موت كاسترو، كذلك، فهو يتضمن وثيقة وضعت فيه بعد أسبوعين فقط من اجتماع هانت ـ كوشمان. وهي رسالة خاضعة لرقابة ثقيلة، مرسلة إلى آلن دالاس، يبلغه فيها باولي عن عرض قدمه له أحد الكوبيين المتصلين به للتعاون في عملية اغتيال كاسترو. وبعد ذلك بخمسة أيام، في 18 تموز / يوليو (1960)، كتب باولي إلى نيكسون: «إنني على اتصال بموظفي دالاس بشكل يومي تقريباً، والأشياء آخذة في التشكل بصورة جيدة ومعقولة. فالقضية مشكلة دقيقة جداً، ويجب اتخاذ كل الحرص الممكن لمعالجتها بطريقة لا تترك آثاراً ضارة على أمتنا، ولا على حملتنا السياسية».

وقد وردت نصيحة في كتيب تدريب للوكالة تنص على أنه «بالنسبة لعملية اغتيال سرية، فإن الحادثة المفاجئة المدبرة هي أكبر الأساليب فاعلية». وبعد

(*) التوكيد من المؤلف.

(7) ذكر الصحافي تاذ زولك، كاتب سيرة حياة هانت أن هانت قد شارك في مؤامرة لاحقة لاغتيال كاسترو (سنة 1964). وحسب رواية زولك، فإن هانت قد تم تعيينه في مرحلةٍ ما في مكتب آلن دالاس، وطلب منه أن يساعده في كتابة مذكراته. وكان دالاس مطلعاً على المؤامرات المعادية لكاسترو. (زولك: تاذ زولك، **جاسوس بالإكراه**، طبع نيويورك: فايكنغ 1974، ص 95 و97؛ دالاس مطلع: كروز، مصدر سبق ذكره، ص 552).

يومين من رسالة باولي إلى نيكسون، استجابت قيادة وكالة المخابرات المركزية لاقتراح من قبطان إحدى طائرات الخطوط الجوية الكوبية، ذكر فيه أنه يستطيع تدبير حادثة يقتل فيها راؤول شقيق كاسترو. فأرسلت برقية تُشْعِرُ محطة هاڤانا التابعة لوكالة المخابرات المركزية بأن «إمكانية تصفية القادة الثلاثة الكبار يجري النظر فيها بجدية في مقر القيادة». وتقدم للقبطان المذكور وعد بإعطائه عشرة آلاف دولار إذا نجح في قتل راؤول. وبعد بضع ساعات وردت برقية ثانية تلغي هذه الرسالة، ولعل السبب في ذلك يعود جزئياً إلى مخالفتها نصاً من نصوص التدريب في كتيب الوكالة المذكور وهو أن «تعليمات الاغتيال ينبغي أن لا تكون مكتوبة أو مسجلة قَطّ».

وكان الأمر بتنفيذ تلك الخطة المجهضة أو الملغاة قد صدر من صديق باولي، رئيس القسم ج. س. كينغ وتراسي بارنز، الرجل الثاني المختص بشؤون كوبا في مقر قيادة الوكالة، والشخصية الهامة في عملية إغراق كوبا بالعملة المزورة، والتي كان نيكسون من المطلعين عليها.. وقد أُعْلِمَ بها أيضاً جاكوب إسترلاين، الرئيس الميداني لعملية بلوتو، وضابط الارتباط بمكتب نيكسون.

وفي تلك الأثناء، وفي سنة 1960 أيضاً تم التخطيط لمؤامرة أكثر غرابة. فقد كان أليكساندر رورك، الشريك المقرب لباولي، قد أمضى شهوراً في تدريب فتاة داكنة الشعر لا يتعدى عمرها العشرين سنة، تدعى ماريتا لورينز، وكان أبوها قبطاناً بحرياً ألمانياً وأمها أمريكية، فكانت فيها مواصفات فريدة تؤهلها للمشاركة في مؤامرة اغتيال كاسترو. ففي السنة السابقة، أثناء زيارة إلى هاڤانا على متن باخرة ركاب يقودها أبوها، التقت بكاسترو الذي كان عندئذ في الثالثة والثلاثين. وسرعان ما استدعيت للعودة إلى كوبا، وأدّت بعض المهام المكتبية لكاسترو وصارت عشيقة له. وفي غضون أسابيع كانت حاملاً ـ من

كاسترو، حسب روايتها ـ[8]. غير أن الغرام سرعان ما انتهى بطريقة غير سعيدة، وانتهى المطاف بالآنسة لورينز في نيويورك، تحاول استرداد عافيتها من عملية إجهاض فاشلة، وتتعرض لمضايقات متواصلة من عملاء أمريكيين مصممين على أن يجعلوا منها ما أسماه أحد المراسلين الصحافيين «ماتاهاري الحرب الباردة في حوض الكاريبي».

وكان رورك، صديق باولي، عميلاً سابقاً لمكتب التحقيقات الاتحادي، ويبدو أنه متعاون بشكل وثيق مع وكالة المخابرات المركزية، وقد ملأ ذهن الآنسة لورينز بأفكار عن الدين والخطيئة، حتى انتهى به الأمر إلى إقناعها، حسب كلماتها «بأنني إذا قمت بتصفية فيدل، فسوف تستقيم أموري مع الله» وقد زعمت أنها قد التقت في فلوريدا في صيف تلك السنة، بضابط من وكالة المخابرات المركزية يعرفه المقاتلون ضد كاسترو باسم إدواردو. وكان ذلك هو الاسم الذي يستخدمه هوارد هانت. وبعد ذلك بسنوات، زعمت لورينز أنها متأكدة من أن إدواردو هو نفسه الرجل الذي رتب اقتحام بناية ووترغيت.

وقد عرّفها رورك على فرانك ستورجيس كذلك، وقد قدر له هو الآخر أن يفتضح أمره كأحد اللصوص في ووترغيت. وكان بحاراً سابقاً قاتل إلى جانب كاسترو ذات مرة في الجبال، ثم انقلب إلى عدو لدود له. وقالت لورينز

---

(8) حسب رواية جون كوب، التي عملت مع لورينز في مكتب كاسترو في هافانا، فإن كاسترو لم يكن هو الذي أنجبت لورينز طفلها منه، بل إن والد طفلها كان أحد كبار مساعدي كاسترو العسكريين، وهو النقيب خيسو يانيز بيليثِيِة. وقالت إن كاسترو قد أمضى أوقاتاً حميمة مع لورينز، ولكنه لم يتصل بها جنسيّاً قطّ. وحسبما ترويه وثيقة في ملفات وكالة المخابرات المركزية، تستقي من ملاحظات لآليكساندر رُورْكْ، فإن كوب كان لها دور هام في قيام لورينز بإجهاض نفسها. وقالت كوب في مقابلة حديثة إنها قد عارضت الإجهاض. (كوب، الإجهاض: جون نيومان، **أوزوالد ووكالة المخابرات المركزية**، طبع نيويورك: كارول وغراف، 1995، ص 110 وما يليها نقلاً عن وثائق وكالة المخابرات المركزية ومقابلة مع كوب أجراها جون نيومان؛ وملاحظات رورك: تقرير قسم المقاولات المحلية في وكالة المخابرات المركزية إلى رئيسه، في 22 كانون الثاني / يناير 1964، ملفات جون فيتزجيرالد كيندي، المفرج عنها في كانون الثاني / يناير 1994، ص 2 في المحفوظات الوطنية).

إن رورك وستورجيس هما اللذان أقنعاها بالعودة إلى هاڤانا ـ في ربيع سنة 1960 على ما يبدو ـ مسلحة بكبسولتين من السمّ. وكانت مهتها هي دسّهما في أحد مشروبات كاسترو. وكان السم بلا رائحة ولا طعم، كما أكد لها المتآمرون، ويأتي الموت (بعد تناوله) بسرعة.

غير أن العملية فشلت، كما قدر لجميع مؤامرات اغتيال كاسترو أن تفشل، بطريقة كأنها منتزعة من فلم، عاطفي مثير. فقد خَشِيَتْ لورينز من التفتيش في المطار، فخبأت الكبسولتين في قارورة مرهم بارد. وعندما اجتمعت بكاسترو في فندق هاڤانا المحررة ـ الذي هو الهيلتون القديم ـ شعرت بأنها «ممزقة بين مشاعر الحب والالتزام». وخلف باب الحمام المغلق استخرجت الكبسولتين من قارورة المرهم البارد، لتجدهما في حالة هلامية ودهنية بحيث لا يمكن دسّهما في قهوة كاسترو دون أن يلاحظهما أحد. فخافت الفتاة ورمتهما في مجرى المرحاض وعادت إلى الغرفة لتنظر إلى عشيقها وهو نائم. وعادت إلى ميامي في صباح اليوم التالي، لتواجه غضب المشرفين الأمريكيين عليها وسخريتهم.

أمّا ستورجيس، الذي كان قد أخبر لورينز بأن مهمّتها عملية تدعمها وكالة المخابرات المركزية، فقد أكد بعد سنوات طويلة أنها قد أُرْسِلَتْ فعلاً إلى كوبا ومعها السمّ. وبالإضافة إلى ذلك، ففي مذكرة مرسلة في تشرين الأول / أكتوبر سنة 1960، وجه إدغار هوڤر ـ مدير مكتب التحقيقات الاتحادي ـ تحذيراً إلى الوكالة بأن خبر عمليةٍ مقبلة لقتل كاسترو قد تسرب، وفحواه أن «فتاة»، لا تتوفر أوصافها، ستضع «قرصاً» في شيء من شراب كاسترو أو طعامه»[9].

(9) إن البحث في قصة لورينزو ينطوي على مصاعب مركبة، ليس أقلّها أن لورينز نفسها هي واحدة من تلك الشخصيات المليئة بالزخرفات المعقدة في الملحمة الكوبية، وقد قامت بتوسيع قصتها على مدى سنوات بحيث راحت تضم عناصر لا يصدقها معظم المحققين. ومن أكثرها لفتاً للأنظار القصة التي نسجتها للربط بين بعض الشخصيات الهامة في حكاياتها وبين اغتيال الرئيس كينيدي. غير أن المشهد الموصوف في هذا النص تدعمه الأدلة. إذ أن وجود نوع من العلاقة بين لورينزو وكاسترو تدعمه =

وقد تكشف فشل لورينز، أيضاً، عن وجود علاقة لنيكسون بتلك المؤامرة. ذلك أن سجلات وكالة المخابرات المركزية التي أفرج عنها سنة 1994 تتضمن مادة عن جُون كوب، وهي امرأة أمريكية عملت في كوبا إلى جانب لورينز، وكانت على علم بإجهاضها. وفي ربيع سنة 1960، تعرضت كوب هذه لإغراء عميل للوكالة لها بالعودة إلى الولايات المتحدة، حيث خضعت للاستجواب، ثم للمراقبة بينما كانت تلتقي وتتحدث مع أناس غارقين في التورط بالمؤامرات على كوبا. فكان من بينهم ماريتا لورينز، وروورك، وذلك قبل وقت غير طويل من مغادرة لورينز إلى هاڤانا في مهمتها الاغتيالية، وتظهر في ملف الوكالة وثائق عن وليام باولي لها علاقة بالمؤامرة. وكانت وثيقة أخرى، مؤرخة بعد أسبوع من قيام وكالة المخابرات المركزية بإعادة كوب من كوبا، تحمل إشارة تدل على أنها خارجة في الأصل من مكتب نيكسون، على طاولة الجنرال كوشمان.

وعندما كانت كوب تشتغل في مكتب كاسترو، عملت مساعدة لمديره خْوَان أورطا. وكان أورطا هذا في قلب المؤامرة التالية لاغتيال كاسترو، وهي

= صور فوتوغرافية لهما معاً، وكذلك تصريحات كل من جون كوب وفرانك ستورجيس. وكان أول مراسل صحافي أبلغ عن مهمة لورينزو لاغتيال كاسترو، وهو بول مسكيل، من صحيفة **نيويورك دايلي نيوز**، قد وجد قصتها قابلة للتصديق. أما غايتون فونزي، أحد المحققين المتشددين في لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ، فكان يعتقد أن لورينزو كانت صادقة في نقاط كثيرة، وغير صادقة في نقاط أخرى. وكان نائب رئيس مجموعة التحليل الأمني في وكالة المخابرات المركزية، جيري براون، قد أخذ قصتها على محمل الجدّ في تقرير له من ست صفحات. وقد أذهله التشابه بين رواية لورينزو ومذكرة هوفر، مدير مكتب التحقيقات الاتحادي التي رفعتها إلى وكالة المخابرات المركزية في تشرين الأول / أكتوبر 1960، التي أشار فيها إلى تسريب خبر عن خطة لاستخدام فتاة لتسميم شراب كاسترو. (القصة الموسعة: فونزي، مصدر سبق ذكره، ص 93 وما يليها، ولورينزو، مصدر سبق ذكره؛ والصور الفوتوغرافية: **النيويورك دايلي نيوز**، عدد 13 حزيران / يونيو 1976، ولورينزو، مصدر سبق ذكره، وفونزي شاهد الوثيقة ذات الصلة؛ مسكيل، **نيويورك دايلي نيوز**، عدد 20 نيسان / إبريل 1975، وعدد 13 حزيران / يونيو 1976؛ فونزي: مصدر سبق ذكره، محادثة مع المؤلف، ونص منقول جزئياً عن مقابلة مع ماريتا لورينزو أجراها فونزي، في 3 شباط / فبراير 1976، المحفوظات الوطنية؛ وبراون: تقرير غير مؤرخ [يعود إلى فترة أواخر السبعينيات] إلى رئيس مجموعة التحليل الأمني برقم D 02016 في الحقل 2، المفرج عنه من قِبَل وكالة المخابرات المركزية سنة 1993، المحفوظات الوطنية).

المؤامرة الأفضل توثيقاً بين جميع المحاولات: المؤامرات التي اشتركت فيها الوكالة مع المافيا.

وفي آب / أغسطس سنة 1960 ـ كما أثبتت لجنة مجلس الشيوخ الخاصة بالتحقيق في أعمال المخابرات ـ كانت الوكالة قد شرعت في التآمر مع زعماء المافيا لاغتيال كاسترو، بعلم آلن دالاس وبتفويض منه، حسب رواية اثنين من كبار الضباط المتورطين. وكان الشخصان الرئيسيان المكلفان بالاتصال من جانب المافيا، وهما سام جيانكانا ـ من شيكاغو ـ وسانتو ترافيكانتي، من فلوريدا، يملكان مصالح في كازينوات هافانا للقمار وعصابات ابتزاز المال بالتهديد. وكانت تلك الكازينوات لا تزال عاملة في ذلك الوقت، ولو تحت قيود مشدّدة، وكان ترافيكانتي يسافر إلى الجزيرة بانتظام من فلوريدا. وبعد أن التقيا بضابط كبير من الوكالة ـ حيث قدم جيانكانا نفسه باسم سام غولد، وترافيكانتي باسم جو، الساعي ـ وافق رجلا المافيا هذان على البحث عن شخص ما بين مرافقي كاسترو ليقوم بالقتل.

وعمل فنّيو وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على تحسين نوعية السم الذي اختاروه ـ وهو البوتولين مرة أخرى ـ كي يصلوا به إلى درجة الكمال، فجعلوه هذه المرة على شكل يذوب في الشراب، ويؤدي إلى «نتيجة يمكن التنبؤ بها على نحو مؤكد». واستقر رأي رجال المافيا على أورطا باعتباره أفضل مرشح للقيام بدور القاتل. فهو كرئيس لمكتب كاسترو لديه إمكانية الوصول اللازمة، أو هكذا اعتقدوا، فقد كان معروفاً عنه قابليته للفساد، إذ إنه كان قد أخذ رشوات سرية من أصحاب الكازينوات في الماضي. ولم تصل الأقراص إلى أورطا إلاّ في شباط / فبراير 1961، في أوائل أيام رئاسة كينيدي، وفي ذلك الوقت كان قد طُرِدَ من عمله[10].

---

(10) لجأ أورتا إلى السفارة الفنزويلية في أوائل نيسان / إبريل 1960، ولقي في آخر سنة 1964 ممراً =

وبعد ذلك، أعطيت الأقراص إلى أنطونيو دي ڤارونا، وهو رئيس وزراء سابق، كان عندئذ من الشخصيات الهامة في قيادة الكوبيين في المنفى. وكان من بين داعميه مالياً مييَرْ لانسكي وسانتوترا ڤيكانتي. وقد زعم ڤارونا أنه على اتصال بشخص يعمل في مطعم يقصده كاسترو في هاڤانا. غير أن الزعيم الكوبي كان قد توقف عن تناول طعامه هناك ـ في واحدة أخرى من النكسات الغريبة السخيفة التي حاقت بالمتآمرين ـ. وكما قدر لبقائه زمناً طويلاً أن يؤكد ويثبت، فقد عاش كاسترو حياة مسحورة وتمتع بأمنٍ جيد جداً. وقد أعيد إحياء مؤامرات المافيا المشتركة مع الوكالة في السنة التالية. غير أنها كانت آخر مؤامرة يتم الشروع فيها، بينما نيكسون ما يزال في منصب نائب الرئيس[11].

وكان ڤيرونا يتشاور مع هوارد هانت بانتظام. وكان مع ضابط الوكالة المتورط في عمليات المافيا على اتصال مع وليام باولي. وبالطبع فقد كان هانت وباولي على اتصال منتظم مع نيكسون أو موظفيه، وهناك أدلة أخرى، بعضها غير محدد وبعضها محدد، تشير إلى ارتباط نيكسون بمؤامرات الوكالة ـ المافيا.

ومن المحتمل أن أول اقتراحات للاغتيال قد جاءت إلى وكالة المخابرات

= آمناً لمغادرة كوبا (المفتش العام لوكالة المخابرات المركزية، **المؤامرات لاغتيال كاسترو**، مصدر سبق ذكره).

(11) استخدمت فارونا مرة أخرى عند إحياء المؤامرات المشتركة بين وكالة المخابرات المركزية وبين المافيا في سنة 1962. وقد تم تزويده بأقراص سامة وأسلحة، ولكن بدون نتيجة، مرة أخرى. ولعل سبب نجاة كاسترو من مؤامرات التسميم هو كون الوسيط ترافيكانتي، زعيم المافيا، قد خدع وكالة المخابرات المركزية. وقد نقل فرانك راغانو، محامي ترافيكانتي، عنه قوله سنة 1967: «كانت المخابرات المركزية مهووسة بهذا الحديث الجنوني عن التسميم. إنهم مخبولون. لقد أعطوني بعض الأقراص لقتل كاسترو. فرميتها في المرحاض ببساطة. وقد دفعوا لنا كثيراً من المال، ولم يكن أي أحد ينوي أن يقوم بأي شيء. كانوا يريدون قتله فعلاً». (فارونا: المفتش العام لوكالة المخابرات المركزية: **المخابرات لاغتيال كاسترو**، مصدر سبق ذكره؛ «القتل الفعلي»: فرانك راغانو وسيلوين راب، **محامي المافيا**، طبع نيويورك: تشارلس سكريبنرز، 1994، ص 209).

المركزية من المافيا[12]. فقد ذكر ڤارونا أنه التقى في صيف سنة 1960 مع لانسكي، الرأس المدبر الحقيقي وراء عصابات الابتزاز المالي في كوبا، والمجرم الذي قيل إنه قد اقترح اغتيال كاسترو عقب سقوط باتيستا مباشرة. وقيل أيضاً إن هناك اتصالات مبدئية أخرى بالوكالة قام بها نورمان روثمان، الرجل الذي كان يدير كازينو سان سوسي. وكما هو موصوف في فصل سابق(*)، فإن روثمان هذا كان قد لعب دوراً مركزياً في فضيحة تعاطي القمار التي تورط فيها نيكسون وأحد أصدقائه، وادعى أنه تستّر على نيكسون. ولذا كان يرى أن نيكسون مدين له بالجميل.

وتتناثر بين أوراق نيكسون كنائب للرئيس، مقاطع مقتضبة من رسائل متبادلة بطريقة شبه مشفرة، يبدو أنها عن كوبا. وهي تشمل، على سبيل المثال، ملاحظة من باولي تشير إلى «المشكلة التي نعاني منها إلى الجنوب من ميامي». كما يضم أحد الملفات رسالة إلى نيكسون من مارشال ديغز، صلة الوصل بين نائب الرئيس والزعيم الكوبيّ المنفيّ ماريو كوهلي. وهي مؤرخة في 29 تموز / يوليو سنة 1960. وتتحدث عن البقاء «على اتصال وثيق بالجنرال في ما يتعلق بالوضع في حوض الكاريبي. . . إن السناتور بروستر وشركاءه على اطلاع كامل على كل ما تم عمله. وهم مستعدون إذا أمكن إيجاد المخرج

---

(12) كما اعترف المفتش العام في جملته الافتتاحية، فإن تقريره عن مؤامرات اغتيال كاسترو هو «في أفضل الحالات تاريخ غير مكتمل». وربما لن تتم معرفة متى وكيف ومَنْ اقترح ماذا على مَنْ. وقد استذكرت دوريس ميراج، إحدى أمينات السر في وكالة المخابرات المركزية، أن ريتشارد بيسيل، الرئيس العام للعمليات الكوبية، «كانت ترد إليه مكالمات من المافيا، ولكنه كان يرفض تلقّيها. ولا أعرف حتى كيف كانوا يحصلون على رقم هاتفه الداخلي». وقد وصل عرض خطّي بقتل كاسترو من جو بونانو، أحد زعماء المافيا، بطريقة غامضة. وبينما كان بيسيل يجفل مراراً من هذه الاتصالات المباشرة، فقد كتب في مذكراته التي نشرت بعد وفاته: «إن المافيا كانت تبدو شريكاً معقولاً» («غير مكتمل»: المفتش العام لوكالة المخابرات المركزية، **المؤامرات لاغتيال كاسترو**، مصدر سبق ذكره، ص 1، ميراج: توماس، مصدر سبق ذكره، ص 234، «معقولاً»: ريتشارد بيسيل، **تأملات في الحرب الباردة**، طبع نيوهافن بولاية كونتيكيتكوت: مطبعة جامعة ييل، 1996، ص 157).

(*) انظر ص 269.

المحتمل». فقال نيكسون في رده، إن مقترحات السيد ديغز قد «تم تمريرها إلى الموظفين المسؤولين لينظروا فيها».

وفي أول آب / أغسطس، كتب أمين سرّ ديغز إلى الجنرال كوشمان يقدم له «السيد ك. هـ. (جيم) بولي، الذي يتمتع بعلاقة سرية للغاية مع كل من السناتور السابق بروستر والسيد ديغز حول قضايا ناقشاها معكم ومع نائب الرئيس: نيكسون».

وأدى البحث في أوراق بروستر إلى العثور على مظاريف فارغة تحمل اسم بولي ـ فقد قيل بأن السناتور السابق قد نظّف أوراقه قبل موته ـ ولكن البحث قد فشل في الكشف عن شخصية بولي هذا بالضبط. غير أنه حسب رواية رجل مباحث سابق، كان يعمل في وكالة المخابرات المركزية، فإنه قد عمل «في واشنطن كرجل اتصال بين عصابات المافيا وبين لانسكي وتراڤيكانتي». فإن كان ذلك صحيحاً، فإن تاريخ تقديم بولي إلى مساعد نيكسون حول القضايا الكوبية يكتسي أهمية تجعله ذا مغزى. ذلك أن الرسالة قد كتبت قبل أيام قليلة، أو أسابيع قليلة كحد أقصى، من شروع الوكالة بالعملية التي أدت إلى اتصالاتها بزعيم المافيا تراڤيكانتي حول قتل كاسترو[13].

---

(13) إن كلمة Pulley تظهر بتهجئات متنوعة شتى في ملف مراسلات ديغز، وفي أوراق بروستر، وفي كتب روبرت مورو، فهي تارة تكتب Pulley، وتارة Pullay، وطوراً Polley. ولعل التهجئة Pulley صحيحة، كما وردت في رسالة التقديم إلى كوشمان. وهناك ملف عن Pulley في سجلات نيكسون عندما كان نائباً للرئيس، يشير إلى اتصال في سنة 1959. وقد كتبت إحدى الملاحظات على ورق يحمل عنوان: الأمريكيون من أجل العمل الدستوري. وهذه مجموعة من المحافظين كان مجلس إدارتها يضم في عضويته رئيس شركة الفواكه المتحدة، وهي شركة أمريكية يحتقرها ثوار حوض الكاريبي. وكان المرحوم تشارلي ماكهورتر، مساعد نيكسون، الذي قام بتصنيف بعض المراسلات المتصلة بهذا الأمر، قال للمؤلف إنه لا يتذكر Pulley. أما روبرت مورو، الذي ألقي القبض عليه مع ماريو غارسيا كوهلي في قضية تزوير البيزو الكوبي، فقد سُئِل عن Pulley قبل وقت قصير من وفاته سنة 1998، فقال إنها اسم مستعار، وكان يبدو أنه يربطه باسم مايرون «مايكي» وينر، وهو صاحب مجموعة ضاغطة من أجل مصالحها من نيوجيرسي. وقد برز وينر في تحقيق مجلس الشيوخ مع أمين السر السابق للأكثرية، بوبي بيكر، بخصوص دفعات مالية مشبوهة، وتقديم خدمات «فتيات الحفلات» للمسؤولين ـ

غير أنه بالإضافة إلى الأدلة الكاشفة والموحية، هناك اتصالات مباشرة أكثر دلالة بكثير. فقد كان نيكسون منذ زمن طويل على معرفة برجل هام متورط في التآمر المشترك بين الوكالة والمافيا، بل كان نيكسون قد قام بتوجيه ذلك الرجل في عملية سرية سابقة. كان ذلك هو روبرت ماهيو، العميل السري السابق لمكتب التحقيقات الاتحادي، الذي تحول إلى محقق خصوصي استخدمه الملياردير هوارد هيوز، وكذلك وكالة المخابرات المركزية، عندما كانت تحتاج إليه.

وقد شبه ماهيو ذات مرة بالممثل الأمريكي الساخر الشهير و. س. فيلدز (1880 ـ 1946) وهو يقوم بدور النصاب المحتال. وقد استخدمته الوكالة كهمزة وصل بينها وبين رجال المافيا. وكان هو أول من أجرى الاتصال مع المافيا بخصوص المؤامرات على كاسترو. ونظم اجتماعات حِول هذا الأمر وحضرها على مدى فترة طويلة. وقام بنقل رزم من أوراق النقد وحبوب السمّ. وكانت لديه معرفة شاملة بالمؤامرات أكثر من جميع الذين تورطوا فيها. وكان يتقاسم المعلومات عن تلك الأنشطة مع هوارد هيوز، الذي كان يعتقد أن الخطة المشتركة بين الوكالة والمافيا «فكرة جيدة تماماً».

وكانت لماهيو علاقات متعددة الجوانب بنيكسون. وكانت مؤسسته التي تعمل في حقل العلاقات العامة والاستشارات الإدارية والتحقيقات، تحمل اسم ماهيو وكينغ وشركاهما. وكان «كينغ» في هذه الشراكة يشير إلى بوب كينغ،

= الحكوميين. وقد تحدث تقريرٌ للجنة القواعد عن «جرائم وينر التي لم تخضع لأية قيود ولا رقابة بوليسية». وتستحق الملاحظة هنا رسالة مؤرَّخة في 30 آذار / مارس 1961 مرسلة من ويغز إلى بروستر قبيل غزو خليج الخنازير. وهي تشير إلى «ماريو» الذي كان «جاهزاً للانطلاق»، وإلى طلب مساعدة من «صديقك جو». ويبدو من المحتمل أن «ماريو» الوارد اسمه في هذه الرسالة كان زبون ديغز، ماريو غارسيا كوهلي، وأن من المعقول الافتراض بأن «جو» اسم يشير إلى ترافيكانتي، الذي كان يستخدم هذا الاسم في اتصالاته مع وكالة المخابرات المركزية (انظر مراجع النص الرئيسي لتحديد أماكن المواد عن ديغز وبروستر؛ وينز: **الواشنطن بوست**، عدد 4 كانون الأول / ديسمبر، 1964، و**الواشنطن بوست والنيويورك تايمز**، وكذلك **الواشنطن إيفننغ ستار**، عدد 1 تموز / يوليو 1965).

وهو موظف سابق آخر في مكتب التحقيقات الاتحادي، كان على علاقة حميمة مع كل من ريتشارد وبات نيكسون منذ الحرب العالمية الثانية. وكان متخصصاً في مكافحة التجسس. وقد مارس ضغطاً لمصلحة نيكسون كي يلعب دوراً كبيراً في مجلس الأمن القومي، وعمل كأحد كبار مساعديه أثناء حملته الانتخابية عندما كان مرشحاً لمنصب نائب الرئيس، من أجل «الحماية»، كما وصف نفسه. وكان من المساعدين الهامين أثناء حملة انتخابات سنة 1956. وكان نيكسون يصفه أحياناً بأنه «ذاته الأخرى» وهذا في العادة موضع اعتزاز كان محجوزاً لبيب ريبوزو، الذي كان كينغ مقرباً عنده ولصيقاً به كذلك.

وحتى عندما ترك كينغ مكتب نيكسون رسمياً لينضمّ إلى ماهيو، فقد ظل يعمل لمصلحة نيكسون. وعاد ليتبع خطاه على طريق حملته الانتخابية سنة 1960، وبذلك كان حليفاً لماهيو ـ وقريباً من نيكسون ـ في وقت حياكة المؤامرات المعادية لكاسترو.

وكانت علاقة ماهيو الأخرى بنيكسون هي قيامه بعمل سري قبل ذلك بأربع سنوات بناء على طلب هوارد هيوز، ولكن بالنيابة عن نيكسون، من أجل نسف معارضة ترشيح نيكسون مرة ثانية كشريك لآيزنهاور(*). وقبل ذلك، في ما له دلالة كبيرة في المؤامرات على كاسترو، كان قد اضطلع بعمل سري بناء على توجيه من نيكسون، في عملية ناجحة ضد الثري اليوناني المالك لأساطيل النقل البحري، أرسطو أوناسيس.

ففي تموز / يوليو 1954 تشير محاضر جلسات مجلس الأمن القومي إلى أن الرئيس آيزنهاور قد تساءل «عما إذا كانت الولايات المتحدة، بكل قوتها ونفوذها، عاجزة عن (تحطيم) أوناسيس». وكان قلقه نابعاً من اتفاق وشيك مع ملك العربية السعودية يجعل أوناسيس مسيطراً على جميع شحنات النفط

(*) انظر واقعة هارولد ستاسين، ص 324.

السعودية تقريباً. وقد قرر مجلس الأمن القومي اتخاذ «كل الإجراءات المناسبة» لإفشال الصفقة.

وهكذا وجد ماهيو نفسه مُسْتَدْعىً ـ مع زميل له ـ إلى مكتب الرئيس. وقد استذكر زميله، المدعو جون جيريتّي «دخل نيكسون وأعطانا التفاصيل الكاملة **للمهمة المستحيلة**، وقال لنا: «أعرف أنكما ستكونان حريصين. ولكن عليكما أن تفهما أنه على الرغم من أن هذه قضية أمن وطني ذات أهمية رهيبة، فإنه لا يَسَعُنا أن نعترف بكما إذا حدث أي خطأ)... وكنت أحسّ أن نيكسون يستمتع بما يقوله لنا. فقد كان يحب هذه الأنواع من العمليات»[14].

وتبعت ذلك سلسلة من الأحابيل القذرة. كان هناك فريق من رجال الشرطة السريين العاملين بإمرة ماهيو في جناحٍ في النادي الوطني الجمهوري. فوضعوا أجهزة تنصت على الهاتف في مقرّ شركة أوناسيس بنيويورك[15]. وتمت مضايقة مالك السفن بدعاوى قضائية، ووصفه بأنه كاذب ومحتال وخائن في قصص زُرِعَتْ زَرْعاً في الصحافة العالمية. وبعد رحلة قام بها ماهيو إلى جده لإقناع الملك بأن أحد كبار موظفيه قد تلقى رشوة في العملية، مزّق السعوديّون عقد أوناسيس[16].

---

(14) ليس واضحاً ما هو المدى الذي دُفِعت إليه العملية المعادية لأوناسيس على يد الحكومة الأمريكية، وشركات النفط الأمريكية، وستافروس نياركوس، منافس أوناسيس التجاري. وقد زعم غريتّي، شريك ميهيو أن نيكسون «كان يدير الأمر، ولكنه لم يكن أكثر من واجهة لشركات النفط المتعددة الجنسيات. وعليك أن تتذكّر أن وظائفه الرئيسية كانت تجميع التبرعات الانتخابية للجمهوريين». وحسب رواية مصادر درُو بيرسون، فإن نيكسون كان قد تلقى دعماً كثيفاً من المصالح النفطية الأمريكية في حملة انتخابات سنة 1952. (بيرسون: آبيل كمحرر، مصدر سبق ذكره، ص 228 وما يليها).

(15) كان من بين أعضاء الفريق لُوْ راسل، الذي كان قد عمل مع نيكسون أثناء قضية هيس، والذي قدر له أن يرتبط بعد ذلك بواقعة اقتحام ووترغيت ذات يوم، وكذلك هوراس شماهل، المحقق المرتبط بالمخابرات الذي قيل بأنه اعترف بالتورط في عملية إلصاق التهم بآلجر هيس، انظر ص 73 (وثيقة غير مؤرّخة من مكتب ميداني بواشنطن تابع لمكتب التحقيقات الاتحادي، وتحمل الرقم FBI 10520653، تقرير العميلين مورغان وكيلوغ، في 23 تشرين الأول / أكتوبر 1958، ورقمه مكتوم).

(16) من المفارقات أن أوناسيس أعطى سنة 1970 عقداً كبيراً لشقيق نيكسون دونالد، الذي كان يعمل =

وفي سنة 1992، أضاف ماهيو ملاحظة صقيعية لاحقة لهذه الواقعة. فبعد أن أطلع نيكسون على ما جرى، أبدى نيكسون تعليقاً نهائياً استذكره ماهيو. فقال في لهجة هامسة: «إذا اتضح أننا مضطرون إلى قتل ابن الزنا، فلا تفعلوا ذلك على أرض أمريكية». واقترح ماهيو أن نيكسون ربما قال ذلك لمجرد «الكلام، كي يبدو شيئاً دالاً على القسوة والشدة...».

أمّا المؤامرات على كاسترو، فقد أكد ماهيو أنه «ليس لديه سبب للاعتقاد» أن نيكسون كان على علم بها. وعندما قوبل شريكه بوب كينغ لأغراض هذا الكتاب لم يتذكر شيئاً على الإطلاق. غير أن الرجلين كليهما قد تحدثا وهما يعلمان أن اثنين من رجال المافيا المتورطين في الخطة، قد لقيا ميتةً عنيفةً أثناء التحقيق فيها. وعثر على جثة أحدهما مقطعة وأجزاؤها طافية في برميل زيت[17]. وقد أوضح ماهيو: «أنا واحد من آخر الناس الأحياء الذين

= عندئذ مع شركة ماريوت، من أجل تقديم التموين الداخلي على متن طائرات خطوط الشركة الأولمبية. وكان الوسيط في تلك الصفقة هو توماس باباس، صديق نيكسون الذي رتّب إيصال التبرعات النقدية اليونانية غير القانونية لحملة نيكسون سنة 1968. غير أن باباس قد فشل في إقناع أوناسيس بالتبرع لحملته سنة 1972 (عقد دونالد: **النيويورك تايمز**، عدد 4 حزيران / يونيو 1970، **والواشنطن بوست**، عدد 16 شباط / فبراير 1972؛ باباس، 1968: كتلر، **حروب ووترغيت**، مصدر سبق ذكره، ص 205 وما يليها، ومقابلات مع إلياس ديمتراكوبولوس، وأوناسيس، 1972: رسالة من غراتسوس إلى دورسن، 7 كانون الأول / ديسمبر، ومن جون دوكاس إلى وليام مايتون، ملف مجلس الشيوخ، الحقل 11 [باباس، أوناسيس] قوة هيئة الادعاء الخاص في ووترغيت).

(17) عُثِر على سام جيانكانا مقتولاً بالرصاص سنة 1975 عندما حان دوره كي يمثل للاستجواب أمام لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ. أما سانتو ترافيكانتي، الذي شك بعضهم في أنه هو الذي أمر باغتياله فقد مات بأسباب طبيعية في سنة 1987. وعندما أشار ماهيو إلى التقطيع كان يتحدث عن جون روسيلي الذي استخدمه كي يجمع وكالة المخابرات المركزية، وجيانكانا وترافيكانتي معاً. وقد عُثِر على جثة روسيلي وقد قطعت منها الساقان بالمنشار، محشورة في برميل نفط في سنة 1976، بعد وقت قصير من إدلائه بشهادته أمام لجنة المخابرات المذكورة أعلاه. وكان من المقرر أن يشهد مرة أخرى. وقد اعتقد محاميه، ليزلي شير أن هيئة الادعاء الخاصة في ووترغيت، التي استجوبت روسيلي هي الأخرى، كانت تشك في أن الحافز المحرض على عملية الاقتحام في ووترغيت هو الخوف من كون الديمقراطيين قد علموا بتورط نيكسون في المؤامرات على كاسترو. (الموت: سمرز، **ليس في حياتك**، مصدر سبق ذكره، ص 365؛ شير ورابيليه وبيكر، مصدر سبق ذكره، ص 307).

يعلمون حقيقة ما جرى في تدبير عملية اغتيال كاسترو. إنني غير متأكد حول الكيفية التي أريد أن أنتهي بها. ولكنني متأكد تماماً من أنني أريد أن يكون جسدي قطعة واحدة عندما أنتهي».

وفي المقابلة التي أجرتها المجلة مع نيكسون وقال فيها إنه «ذُهِلَ» عندما علم بمؤامرات الاغتيال، أعلن أيضاً أنه قد أذهله «كل هذا الكلام عن «صرعة» السموم»[18]. ومع ذلك فإن تصديق زعم نيكسون حول عدم معرفته أي شيء عن خطط الاغتيال في سنة 1960 يتطلب قبول سلسلة طويلة من المستحيلات أكثر مما ينبغي، مثل عدم معرفته بأية واحدة من تلك المؤامرات عن طريق أي واحد من المتورطين فيها، ممن كان له أو لمساعده الجنرال كوشمان علاقة بهم من نوعٍ ما: آلن دالاس، ووليام باولي، وهوارد هانت، وج. إدغار هوڤر، وهوارد هيوز، وماريو كوهلي وشركائه المشرفين على ماريتا لورينز وجون كوب، وفوق كل شيء بوب كينغ وروبرت ماهيو[19].

أما أولئك الذين يبقون غير مقتنعين بأن نيكسون كان مطلعاً على مؤامرات الاغتيال، فربما يعيدون النظر على ضوء بعض المعلومات الجديدة. فإذا كان صحيحاً ما قاله بيير سالينغر (السكرتير الصحافي السابق للرئيس كيندي) سنة 1997، فإن نيكسون لم يكن على اطلاع على مؤامرات الوكالة ـ المافيا فحسب، بل إنه قد أَذِنَ بها.

(18) كما هو منقول في **نيوزويك** (عدد 19 أيار / مايو 1986)، كان نيكسون قد أشار إلى «**العصيّ المسمومة**». وليس لهذا معنى مفهوم. غير أن المؤلف يخمن أنه قد استخدم كلمة «شْتِيكْ» بلغة اليِدش والتي تعني «المادة» باللهجة السوقية الأمريكية.

(19) إن روبرت غيدس مورتون، الذي كان يرأس عملية تعبئة زجاجات البيبسي كولا في كوبا، لم يقتصر دوره، كما قيل، على كونه همزة وصل هامة في خطة الغزو التي أعدتها وكالة المخابرات المركزية فقط، بل كان متورطاً أيضاً في مؤامرات اغتيال كاسترو. وكان مورتون من رعايا بريطانيا. وقد حبسه النظام الكوبي، ولكنه أطلق سراحه سنة 1963، بعد تدخل دبلوماسي. وبما أنه كان نائب رئيس شركة البيبسي، فلعل صديق نيكسون، دونالد كيندال، رئيس العمليات الخارجية للشركة المذكورة، قد علم شيئاً عن هذه المؤامرات، وربما يكون قد ناقشها هو الآخر مع نيكسون. (لويس ويازيجيان، مصدر سبق ذكره، ص 171؛ ومارتينو، مصدر سبق ذكره، ص 139 وما يتبعها كلها).

فقد قال سالينغر إنه قد أجرى أحاديث مطولة مع ماهيو في سنة 1968، عندما كان يحاول استدراج هوارد هيوز ـ رئيس ماهيو ـ لدفع تبرع لحملة روبرت كيندي الانتخابية الرئاسية: «كنت أعرف ماهيو جيداً. وقد أخبرني عندئذ عن اجتماعاته بالمافيا. وقال إنه كان على اتصال بوكالة المخابرات المركزية، وأن الوكالة كانت على اتصال بنيكسون، الذي طلب منهم أن يمضوا قدماً بذلك المشروع. . . فقد كان نيكسون هو الذي جعل ماهيو يعقد اتفاقاً مع المافيا في فلوريدا لقتل كاسترو.

وهكذا يتضح معنى إلحاح نيكسون الشديد الجموح ـ أيام رئاسته ـ على الحصول على ما توفر لدى وكالة المخابرات المركزية من مواد عن خليج الخنازير، خاصة على ضوء أحداث لم تعرض على الناس بتسلسلها من قَبْلُ أبداً. ومنها مكتشفات أصلية عثر عليها تيري لينزر، ومارك لاكريتز، كبيرا المستشارين القانونيين في لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ، ولكنهما لم يتابعاها إلى ما هو أبعد.

وفي 18 كانون الثاني / يناير سنة 1971، في منتصف رئاسة نيكسون الأولى، حملت الصحف في طول البلاد وعرضها قصة مثيرة. فقد قام كاتب العمود الصحافي جاك آندرسون، خليفة درو بيرسون، بتقديم كشف وقائع مذهلة في دقتها عن المؤامرات على كاسترو. وذكر اسم ماهيو مباشرة، وأَبْلَغَ القرّاءَ بأن خطط الاغتيال قد بدأت تحت حكم آيزنهاور ونيكسون، واستمرت حتى قبيل اغتيال كيندي. ثم أثار آندرسون إمكانية صقيعية رهيبة: ذلك أن بعض المطلعين على التآمر قد ارتابوا في أن تكون خطط الاغتيال قد استفزّت الزعيم الكوبي للردّ بالمثل، باغتيال كيندي[20].

---

(20) حصل آندرسون على معلوماته من جون روسيلي، رجل المافيا في كاليفورنيا الذي استخدمه ماهيو للاتصال بزعماء المافيا. وتحت ضغط سلطات تطبيق القانون والهجرة، قرر روسيلي البوح بقصة المؤامرات، مع التركيز على دوره «الوطني» فيها، على أمل أن تخفف السلطات شيئاً من الضغط =

وفي اليوم نفسه، في البيت الأبيض، كتب بوب هالدمان مذكرة داخلية يطلب فيها معلومات عن هوارد هيوز، وعن ماهيو، وعن اتصالات ماهيو بلورانس أوبراين، رئيس اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي، والذي كان يعمل مستشاراً عند هيوز[21]. وفي عصر اليوم التالي، بعد نشر مقالة آندرسون الثانية عن المؤامرات، قام المدعي العام، جون ميتشل، بطلب ماهيو على الهاتف.

وكان ماهيو يتعرض في ذلك الحين لضغط كي يَمْثُلَ أمام هيئة المحلفين الكبرى في ما يتصل بملاحقة قانونية حول قضية قمار في لاس فيغاس. وكان ـ حتى ذلك الحين ـ قد أنكر معرفته بقصة التآمر على كاسترو، ولكنه اعتقد، حسبما قال، إن الأمور «قد تخرج بسهولة شديدة عن نطاق سيطرته» بوجود هيئة المحلفين والصحافة. وهكذا جاء إلى واشنطن، وأخبر ميتشل، سراً، «القصة الكاملة للتآمر على كاسترو»[22]. واستذكر أنه عندما انتهى من روايته كان ميتشل

= عليه. فالتقى مع آندرسون في 11 كانون الثاني / يناير. وقد حاولت وكالة المخابرات المركزية بالفعل أن تتدخل لمصلحة روسيلي فيما بعد. فلم يتم إبعاد رجل عصابات المافيا، كما كان يبدو محتملاً، ولكنه دخل السجن فعلاً وبقي فيه ما يقرب من ثلاثة أعوام. وخفف القاضي الحكم عليه بعد سماعه مناشدة ذكر فيها دور روسيلي في مؤامرات وكالة المخابرات المركزية. وكما ذكر في الحاشية 17 أعلاه، فقد تم اغتيال رجل المافيا بطريقة وحشية في سنة 1976 بعد أن أدلى بشهادته عن المؤامرات. (رابيليه وبيكر، مصدر سبق ذكره، ص 296 وما يليها).

(21) بسبب علاقة نيكسون الضارة بسمعته مع هوارد هيوز فقد كان نيكسون مهتماً من قبل بأن لا تتم ملاحقة قضية تحقيق مع هيوز كانت مصلحة الضرائب الداخلية تقوم بتمحيصها. وبالمقابل، فقد ضغط نيكسون في طلب معلومات من المصلحة المذكورة عن لورانس أوبراين، المساعد السابق المقرّب من جون فيتزجيرالد كيندي، الذي كان نيكسون يعتبره أكثر النشطاء السياسيين الديمقراطيين فعالية. وفي وقت متأخر، في يوم 14 كانون الثاني / يناير قال لهالدمان إن الوقت قد حان «لتحميل أوبراين مسؤولية علاقته مع هيوز». وكانت استجابة هالدمان هي إيصال رسالة الرئيس، كلمة كلمة، إلى مستشار البيت الأبيض جون دين. (خلاصة القلق السابق لريتشارد نيكسون: إيمري، مصدر سبق ذكره، ص 28 وما يليها؛ ريتشارد نيكسون، 14 كانون الثاني / يناير؛ ريتشارد نيكسون إلى هالدمان، 14 كانون الثاني / يناير، 1971، هالدمان الحقل 140، في المحفوظات الوطنية.

(22) كما هو مذكور رسمياً، فإن ملفات وزارة العدل حول المؤامرات على كاسترو تكون من تقارير نجمت عن واقعة تنصت على الهاتف سنة 1960 شارك فيها جيانكانا وماهيو، وتنطوي تكملتها على =

«يرتعش». وعندئذ عرض عليه المدعي العام صفقة: فبدلاً من المثول أمام هيئة محلفين كبرى في ما يختص بقضية لاس فيغاس، يقابله أحد كبار موظفي وزارة العدل. وفي هذه الجلسة الرسمية لم يعرض ماهيو بالتفصيل لعمله لدى وكالة المخابرات المركزية. وقد استذكر: «لقد طمأنتهم بأنني أنوي الحفاظ على كلمتي وصيانة أسرار مهمتي».

وفي تلك الأثناء، تَمَّ، على وجه السرعة، تكليف ويل ويلسون، مساعد المدعي العام، بالنظر في أي شيء تحتفظ به وزارة العدل عن الاتصالات بين الوكالة والمافيا. وقدر له فيما بعد أن يخبر محققي ووترغيت بأن البيت الأبيض، الذي كان نيكسون قابعاً فيه كرئيس، كان يأمل في اكتشاف دليل يثبت أن الأخوين كيندي كانا هما اللذان حاولا قتل كاسترو. لأن مثل هذا الخبر كان سيضرّ بشقيق كيندي الباقي، إدوارد، في حال ترشيحه للرئاسة في انتخابات سنة 1972. غير أن معلومات ماهيو ـ مع أي شيء قد يعثر عليه في الملفات ـ كانت تشكل تهديداً للرئيس الحاكم، نيكسون، بقدر تهديدها لآل كيندي[23].

وفي غضون ثلاثة أيام من محادثة ماهيو الهاتفية الأولى مع ميتشل، أرسل محقق البيت الأبيض، جون كولڤيلد، المذكرة التحذيرية الأولى في سلسلة مذكرات. كان كولڤيلد ـ وهو شرطي سابق التقى بنيكسون لأول مرة عندما كان يعمل في الأمن أثناء الحملات الانتخابية ـ قد اُتُّهِمَ بالاستجابة لطلب هالدمان للمعلومات عن هيوز، وماهيو، والزعيم الديمقراطي أوبراين.

= اعتراضات وكالة المخابرات المركزية على الملاحقات القضائية وخلاصة مكتوبة في سنة 1962 وموجهة إلى المدعي العام روبرت كيندي. (مجلس الشيوخ الأمريكي، **مؤامرات الاغتيال**، مصدر سبق ذكره، ص 77 وما يليها، و130 وما يليها).

(23) كان ماهيو متورطاً طيلة المرحلة الأولى من التآمر المشترك بين وكالة المخابرات المركزية والمافيا، والتي استمرت من آب / أغسطس 1960 إلى إذار / مارس 1961. وحسبما جاء في تقرير المفتش العام للوكالة فإن ماهيو لم يكن يعرف شيئاً عن المرحلة الثانية من التآمر، التي بدأت في نيسان / إبريل 1962 (مجلس الشيوخ الأمريكي، **مؤامرات الاغتيال**، ص 74 وما يليها، و83 وما يليها؛ المفتش العام لوكالة المخابرات المركزية، **المؤامرات لاغتيال كاسترو**، مصدر سبق ذكره، ص 120).

أشار كولڤيلد في مذكرته الأولى إلى أن ماهيو وأوبراين كانا على علاقة وثيقة، منذ ما قبل أيام حكم كيندي. وفي مذكرته الثانية حذّر من أن «مجسّات ماهيو تطال كثيراً من المجالات الحكومية الشديدة الحساسية، وكل منها مشحونة بفضائح محتملة من النوع الذي شرع آندرسون بالكشف عنه... وقبل اتخاذ أي إجراء... ينبغي علينا أن نأذن بإجراء تحليل في العمق لكل المعلومات المتوفرة (لدى وكالة المخابرات المركزية، ومكتب التحقيقات الاتحادي ومصلحة الضرائب)... فهنا يوجد خطر جدّيّ من انفجار فضيحة مضادة».

كما أن مذكرة أخرى من مذكرات كولڤيلد، أرسلت في غضون أيام من التقاء ماهيو مع ميتشل، أثارت قضية «أنشطة ماهيو المكتومة... مع الوكالة في أوائل الستينيّات». إذْ إن هناك «مخاطر هامّة من التعمق في الخوض في مستنقع هذه القضية»، كما أكد كولڤيلد، كما أن ملاحقة أوبراين فيها خطر احتمال «كشف بعض فضائح الجمهوريين الدفينة في خزائنهم». وبعد ذلك بثلاث سنوات، عندما سئل كولڤيلد عن ذلك، طلب أول الأمر أن يتكلم بعيداً عن السجلات. وبعد مناقشة سرّيّة خاصة، اعترف بأن إشارته إلى «الأنشطة المكتومة» كانت تتصل بما تكشف من التآمر على كاسترو. وكان الذي سأله هما مستشارا لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ، لينزنر ولاكريتز.

وكان لينزنر ولاكريتز من الروّاد الطليعيين في تحقيقات ووترغيت. فبعد عثورهما بالصدفة على المؤامرات (التي لم تكن معروفة في ذلك الحين لدى عامة الناس سوى عن طريق المزاعم الواردة في مقالات آندرسون) وجدا نفسيهما بسرعة أمام عراقيل تَسُدّ الطريق. فعندما طلبا معلومات من وكالة المخابرات المركزية لم يتلقيا شيئاً. وعندما طلبا من سام إيرڤن، رئيس لجنة

ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ، استدعاء شهود هامّين، رفض إيرڤن طلبهما. وهكذا تُرِكَ المحامون نهباً للإحباط وخيبة الأمل، لا يستطيعون شيئاً سوى التخمين والرجم بالظنون حول آثار ما تم اكتشافه.

وكان لدى نيكسون سبب وجيه للخشية من افتضاح دوره في المؤامرات الكوبية. فالمعلومات المرصوفة هنا توضح على نحو سافر، لماذا جدّد مطالبته بملفات وكالة المخابرات المركزية عن خليج الخنازير في سنة 1971، في أعقاب مقالات آندرسون والذعر الذي أثاره ماهيو. من المؤكد أنه كان يأمل أن تحتوي تلك الملفات على أشياء محرجة للأخوان كيندي. ولكنه في الوقت نفسه كان يعلم أن سجلات الوكالة قد تحتوي على مواد ضارة بسمعته هو. كان نيكسون بحاجة إلى مشاهدتها، كما أوضح لإيرليكمان، كي يعرف ما الذي «يتفاداه» من أجل «حماية» نفسه.

وبعد أربع سنوات من انهيار الرئاسة، قُدِّر لهالدمان أن يضيف بعداً جديداً مفاجئاً للغز قلق نيكسون من «خليج الخنازير». فقد كتب هالدمان في مذكراته: «يبدو أن نيكسون في كل إشاراته تلك إلى خليج الخنازير كان يشير في الحقيقة إلى اغتيال كيندي».

ولقد عكف الباحثون على هذا المقطع من مذكرات هالدمان، وكأنه ورقة بارجمنت جديدة تم العثور عليها في لفافات البحر الميت[24]. ولعله لم يكن

(24) استخدم أوليفر ستون فكرة كون «خليج الخنازير» شيفرة ترمز إلى اغتيال كيندي في فلمه المعنون «نيكسون» سنة 1995. وبعد ذلك بوقت قصير، ذكر الكاتب كريستوفر ماثيوز أن هالدمان قد أنكر هذه النظرية. وعندما كان ماثيوز في مرضه الأخير، قال إن هالدمان قد زعم أن النظرية لم تكن له، بل هي نظرية جوزيف دي مونا، الذي تعاون معه في تأليف الكتاب. وقد تكرّر هذا الإنكار من قبل إيفان توماس، العامل في مجلة **نيوزويك**، في قصة على غلافها تنتقد الفلم السينمائي الذي أنتجه ستون. غير أن هالدمان كتب في ملاحظة على طبعة كتابه الثانية «الشعبية» أنه قد «عمل بالتعاون مع دي مونا من البداية وحتى الطبعة الأخيرة، وكان أسلوب الكتابة هو أسلوب دي مونا. أما الآراء والاستنتاجات فهي لي في جوهرها». وكان دي مونا قد أصرَّ على أن هالدمان كان هو المسؤول **فعلاً** عن المقطع المثير للجدل والخلاف، وكتب يقول: «إنه لمما ينافي العقل والطبيعة التفكير في أن بوب هالدمان، من =

أكثر من تكهنات مؤلفه ـ ولكنه مع ذلك مثير. ففي فقرات لاحقة يوحي هالدمان بأنه في الاتصالات المتبادلة مع الوكالة حول خليج الخنازير، كان نيكسون ينخس الوكالة حول حقيقة فشلها ـ بعد مصرع كيندي ـ في إعلام لجنة وارن بالمؤامرات على كاسترو.

فإذا كان الزعيم الكوبي قد قرر الانتقام، كما تكهن هالدمان، فإن مؤامرات الولايات المتحدة لقتله «ربما تكون قد تسببت في مأساة كيندي». فقد اقترح هالدمان أن وكالة المخابرات المركزية أرادت «على نحو يائس أن تخفي

= بين الناس جميعاً، يسمح لأي كان أن «يخترع» معلومات أو نظريات مغلوطة كي تطبع في كتاب يحمل اسم هالدمان... وقد نجت «النظرية» من مسودات لم تقل عن خمس، ومن أدق عمليات التحرير والمراجعة التي عرفها البشر، أجرى خلالها هالدمان تغييرات مستفيضة من كل نوع، ومن أدق التفاصيل. فإذا كانت النظرية غير صحيحة، فلماذا لم تحذف؟ ويلاحظ دي مونا في تفسيره لهذا الإنكار أن هالدمان كان شديد الانتقاد لنيكسون في كتابه **غايات السلطة** (1978)، فأمضى بقية حياته يتنصل من الجوانب السلبية في ذلك الكتاب. ويستطيع مؤلف هذا الكتاب أن يسهم في الحوار، إذ أنه قد تحدث بنفسه مع هالدمان سنة 1989. فبعد مقابلة رسمية طويلة ركَّزت على مشروعي آنذاك، وهو كتاب عن جون إدغار هوفر، أثرت نقاطاً ظلَّت تلهمني زمناً طويلاً، بما فيها تفسير غزو خليج الخنازير. وعندئذ لم يتنصل هالدمان من ذلك المقطع ولكنه أوضح أنه لم يكن سوى تكهن منه. وأما بالنسبة لإيرليكمان، فإن إلحاح نيكسون على الحصول على المواد التي في حوزة وكالة المخابرات المركزية عن تلك الواقعة قد ظلَّت لغزاً محيراً له. وبما أن هالدمان من عادته دائماً التركيز على التفاصيل، فإنه يبدو من غير المحتمل أن يسمح بإدخال مادة لا يوافق عليها. فقد كان اهتمامه بالدقة واضحاً أثناء حواري معه. وإن رأيي في أن ذلك المقطع كان تكهناً بناه هالدمان على اطلاعه، يدعمه تحليل الباحث بول هوتش، الذي كان ـ مثل هالدمان ـ قد ناقش الموضوع مع دانييل شور، المراسل السابق لشبكة كولومبيا الإذاعية (CBS) (ستون: إيريك هامبورغ كمحرر: **نيكسون: فلم من إنتاج أوليفر ستون**، نيويورك، هايبيريون، 1995؛ ص XV؛ ماثيوز: صحيفة **سان فرانسيسكو إكزاميز**، عددا 6 و21 كانون الأول / ديسمبر، 1995؛ وتوماس: مجلة **نيوزويك**، عدد 11 كانون الأول / ديسمبر، 1995؛ والطبعة الشعبية ذات الغلاف الورقي من كتاب هالدمان وجوزيف دي مونا، **غايات السلطة**، نيويورك: دِلْ، 1978، ص 422؛ دي مونا: مقابلة مع جوزيف دي مونا أجرتها جولي زيغلر لحساب المؤلف. وفاكس إلى المؤلف من الدكتور غاري آغويلار في 8 كانون الأول / ديسمبر 1995؛ وانظر أيضاً صحيفة **الواشنطن بوست**، عدد 15 شباط / فبراير 1978 حيث تنقل عن دي مونا قوله قبل ذلك بأعوام: «إنك لا تكتب شيئاً **من أجل** هالدمان. فقد أجرى تغييرات في كتابي من أوله إلى آخره، فأعاد كتابته، وراجعه، ونقحه، وحرَّره...»؛ وهرتش: رسائل إلى ديفيد مارويل، مجلس مراجعة سجلات الاغتيال، 6 كانون الأول / ديسمبر، وإلى الدكتور آغويلار في 23 كانون الأول / ديسمبر 1995، قُدِّمت إلى المؤلف).

هذه الإمكانية المظلمة الرهيبة». غير أن ما لم يقله هالدمان، ومع ذلك فإنه محتمل، هو أن نيكسون كان يحاول باستماتة يائسة، بالقدر نفسه، أن يبقي المؤامرات على كاسترو سرّاً مكتوماً.

وقد أبدى ذراع نيكسون اليمنى ملاحظة إضافية ظهرت في كتابه مباشرة، بعد افتراضه حول مغزى إشارات نيكسون إلى خليج الخنازير. فقد استذكر هالدمان ردّ فعل نيكسون، عند وصولهما إلى البيت الأبيض، عندما اقترح عليه هالدمان استخدام سلطة الرئاسة لإعادة فتح التحقيق في موت كيندي: «لقد شعرت أننا سنكون في موقع يمكننا من الحصول على كل الحقائق، ولكن نيكسون رفض طلبي».

أكان نيكسون يشعر بوخز ضمير الشخص الناجي؟ إن هذا ممكن جدّاً، حتى ولو كان قد اطلع على أوائل المؤامرات على كاسترو، دع عنك كونه عاملاً فعالاً فيها. لقد تحدث إيرليكمان ذات مرة عن «عقدة التثبيت على هاجس كيندي». فقد كان هاريسون سالزبوري، الصحافي العامل في **النيويورك تايمز**، يعتقد أن «هناك شيئاً ما حول نيكسون وكيندي ليس عقلانياً». لعله ليس عقلانياً، ولكنه مفهوم في رجل مسكون بالهواجس إلى هذا الحدّ.



18

لقد شعرت بالانسحاق تحت وطأة مغزى العبء الحقيقي الرهيب الذي كان يستجلبه في المنصب الذي يريده... ولو كان رجلاً عظيماً وحيوياً لاعتقدت أن شعوري يجب أن يكون: «نعم، ينبغي أن يحصل عليه...»، غير أنه لم يكن لديّ مثل هذا الشعور... بل شعرت بالفزع، والإشفاق المتزايد.

ويتاكر تشيمبرز، بعد غداء مع نيكسون
قبل حملته الرئاسية في سنة 1960

كان قد مضى ثلاث عشرة سنة على لقاء نيكسون وكينيدي في حفلة كوكتيل أقيمت لأعضاء الكونغرس الجدد سنة 1947. فقد مشى كينيدي، المُسْمَرُّ اللون الأشعث الشعر، بخفة انسيابية لتحية القادم الجديد الأنيق النشيط من كاليفورنيا. وكان نيكسون عندئذ «نجم الحفل» بفضل انتصاره الانقلابيّ على جيري فورهيس. أمّا كينيدي، الذي مهدت له ملايينُ أبيه الطريقَ إلى مجلس النواب، فكان قد ولد وترعرع نجماً قائماً بذاته.

كانا «مثل زوج غير منسجم من مساند الكتب»، حسب وصف نيكسون، تفرق بينهما الأرضية الخلفية في تلك اللحظة، ولكن لا تفرقهما السياسة. فقد عُيِّنا في لجنة العمل معاً، وسرعان ما وجدا نفسيهما على منصة واحدة، يخاطبان عمال الفولاذ المشاكسين في بنسلفانيا. وبعد ذلك راحا يتحدثان عن لعبة البيسبول على وجبة طعام في مطعم محلي يشبه حافلة القطار، ويستعيدان ذكرياتهما عن أيام خدمتهما في الأسطول في عربة نوم مشتركة وهما عائدان بالقطار إلى واشنطن.

وكان عريف الحفل في مناقشات تلك الأمسية، قد انبهر بما بدا له «صداقة أصيلة» بين الرجلين. وقد بدآ يتلاقيان كي يقارنا تجاربهما، وظلاّ يتحدثان ذات مرة حتى الهزيع الأخير من الليل في منزل إحدى شقيقات كيندي. وقد احتفظ نيكسون بكتابين أعطاه إياهما زميله في ذلك الحين وقد كتب عليهما: «إلى دِكْ من صديقه جون ف. كيندي».

واستذكر نيكسون: «في تلك السنوات المبكرة كنا نرى نفسينا كخصمين سياسيين، ولكن ليس كغريمين سياسيّين. وكنا نتشاطر صفة واحدة... كان خجولاً وقد جعله ذلك أحياناً يبدو كأنه مترفع متشامخ. ولكنه كان خجلاً متولداً من غريزة الحفاظ على الخصوصيات وكتمان العواطف. فكنتُ أتفهم هذه الصفات لأنني كنت أشاطره إياها».

ولكن ذلك لم يكن كافياً للتعامل مع إشارة من كيندي لم تكن خجولة على الإطلاق. فقبل أن يغادر نيكسون في أول رحلة له إلى أوروبا، زاره زميله النائب الشاب عن ماساشوسيتس ومعه أرقام هواتف ثلاث نساء شابات في باريس. وقد استذكرت سكرتيرة نيكسون أنه كان يشعر «بالحرج الشديد» إلى درجة أنه لم يأخذ تلك الأرقام معه[1].

وعندما وصل تبرع بالعملة الأخرى التي يملك منها آل كيندي الشيء الكثير، أي الأموال النقدية، قَبِلَهُ نيكسون. فبأمر من الأب المحافظ، توجه كيندي إلى مكتب نيكسون في سنة 1950 ومعه تبرع من أجل إسقاط السناتورة

(1) كما هو موصوف في مكان آخر، فقد تلقى نيكسون معلومات جنسية ضارة بسمعة كيندي أثناء حملة انتخابات سنة 1960، وقيل بأنه كان يأمل في استخدامها. وتوضح أشرطة البيت الأبيض أن نيكسون قد حاول بإلحاح أثناء رئاسته أن يضبط إدوارد كيندي متلبساً مع امرأة ليست زوجته. وقال في شيخوخته عن علاقات سلفه النسائية: «كان جاك هو البادئ أصلاً بالمضايقات الجنسية، وقد أفلت كيندي بمغامراته؛ ولا أعتقد أن كلينتون يستطيع الإفلات كذلك. رغم أن لديه نفس الـ... وهنا فترة صمت، ومحاولة لتقليد لهجة ماساشوسيتس ـ (القوة)» (حاول بإلحاح: هالدمان ودي مونا، مصدر سبق ذكره، ص 60؛ «المضايقات»: كراولي في كتابها **نيكسون في الشتاء**، مصدر سبق ذكره، ص 329؛ «القوة»: مونكا كراولي: **نيكسون خارج السجل**، طبع نيويورك: راندوم هاوس، 1996، ص 33).

هيلين غاهاغانا دوغلاس. وقد أنكر نيكسون فيما بعد أنه قد تسلّم المال. ولكنه اعترف في مذكراته بأن كينيدي قد أعطاه مظروفاً فيه ألف دولار. ولقد قدر لجون ف. كينيدي أن يعترف يوماً بأن مساعدته لتقدم حياة نيكسون العملية السياسية بذلك التبرع كانت «أكبر غلطة حمقاء».

أما في ذلك الحين، فقد كانت المودّة بين الرجلين تبدو أصيلة وحقيقية. فلقد ظهر لوليام آرنولد، مساعد نيكسون، أنهما «صديقان لصيقان». وأرسل كينيدي مفكرة بخط يده يتمنى فيها لنيكسون «كل أنواع الحظ الطيب» عندما تم اختياره كشريك لآيزنهاور في الانتخابات. كما قام نيكسون بالتزكية لرعاية طلب عضوية كينيدي «صديقه الشخصي» لعضوية نادي الشجرة المحروقة. ووجه كينيدي إلى نيكسون دعوة إلى حفل زفافه على جاكلين بوفييه، وعند نهاية الخمسينيات كانا يحتلان الغرفتين 361 و362 في بناية مكتب مجلس الشيوخ، يواجه كل منهما الآخر عبر الممرّ.

غير أن العلاقة بالنسبة لكينيدي لم يكن لها أي معنى سوى حُسْنِ ٱلْمَوَدَّة. ففي عشاء مقتصرٍ على ذوي الخلفية المعتبرة من الصحافيين المنتقين في سنة 1958، قدم كينيدي بشيء من الحرص تقويماً لنيكسون بأنه «شخص ذو قدرة حقيقية هائلة... وهو في أعماقه أكثر محافظة مما يبدو عليه في ظاهر الموقف الذي يتخذه... لأسباب اللياقة العملية». وتقدم مقابلةٌ تاريخية شفوية مع السناتور السابق جورج سماذرز دليلاً على ما كان يراه في زميليه:

بدأ سماذرز بالقول: «كان إعجاب نيكسون بكينيدي أكبر من إعجاب كينيدي بنيكسون...» أما السطور التالية فكانت قد حذفت ذات مرة في النصّ المكتوب المتاح للباحثين، غير أنها أعيدت بعد طلب قدمه المؤلف إلى مكتبة كينيدي. وهذا هو نصّ المقطع بعيداً عن مقصّ الرقيب:

«لقد أخبرني نيكسون عدة مرات أنه معجب بجاك. وأنا أعلم بالمصادفة أن ذلك الشعور لم يكن متبادلاً. ولا أعتقد أن جاك كان يقدر نيكسون تقديراً

عالياً أبداً، سواء لقدراته أم كرجل ذي شخصية عظيمة القوة. . . بل كان يشعر أن نيكسون شخص انتهازي تماماً».

وفي حديث مع صحافي في سنة 1959 جرى في الخلف وليس للنشر، أضاف كينيدي ملاحظة أخرى عن نيكسون، قائلاً: «يبدو أنه ذو شخصية منفصمة، وهو سيِّئ جداً في العلن، ولا أحد يحبه». وعلى عكس هذا الموقف، كان نيكسون يبتعد عن نفوره المعهود من عصبة اللبلاب [رابطة من ثماني جامعات في شمال شرق الولايات المتحدة هي براون، وكولومبيا، وكورنل، ودارتموث، وهارڤارد، وبرنستون، وبنسلفانيا وييل، تعتبر نفسها زبدة النخبة. وقد جاء اسمها من نبتة اللبلاب المتسلقة التي تغطي جدران كلياتها العتيقة العريقة: المترجم] عندما يتعلق الأمر بكينيدي، المتخرج من هارڤارد. وكان يبدو أنه مذهول إلى حد التجمد بشخصية نائب ماساشوسيتس. ويستذكر تيد ريردون، مساعد كينيدي: «عندما كان جاك يبدأ بالحديث، فإن الصبي ديكي كان يتطلع إليه. . . بنظرة ملؤها الهيبة والاحترام والرهبة». أما ثيودور وايت، الذي أرّخ يوميات أربع حملات انتخابية، فقد كان يرى أن كينيدي يمارس على نيكسون «السحر نفسه الذي يمارسه الحاوي على الحيّة».

فقد تربى نيكسون على كبت عواطفه وتجنب إظهارها. ومع ذلك فقد بدا عليه التأثر بشكل واضح عندما أصيب كينيدي بمرض خطير. ذلك أن متاعب الظهر المزمنة، مشفوعة بنقص في الإدرنالين لم تكن الأدوية الطبية قد توصلت إلى تخفيف وطأته في ذلك الحين، قد جعلت كينيدي شبه عليل في أيامه الأولى في الكونغرس[2]. وفي سنة 1954، بعد عملية في العمود الفقري، خشي

(2) كان كينيدي يعاني من اضطرابات في الغدة الكظرية، وهي إصابة مزمنة كان يمكن أن تصبح قاتلة لو لم تتم السيطرة عليها بدواء كان جديداً آنذاك. وعلى الرغم من انتشار الشائعات فترة طويلة عن تلك الإصابة فقد ظلت سراً مكتوماً عن عامة الناس حتى بعد مرور سنوات كثيرة على وفاته في سنة 1963 (سمرز، **ليس في حياتك**، مصدر سبق ذكره، ص 9).

الأطباء على حياته. ولم يكن نيكسون مدركاً لمدى خطورة الحالة عندما وصل إلى المستشفى، ليعلم أن كينيدي قد تلقى الطقوس الأخيرة. فأسرع عائداً إلى ليموزين نائب الرئيس وغاص في مقعده باكياً، وقال وهو ينتحب لعميل في الخدمة السرية: «إن ذلك الشاب المسكين سيموت. إن جاك المسكين الشجاع سوف يموت. يا إلهي، لا تدعه يموت!».

وعندما عوفي كينيدي، حرص نيكسون على وضع سلة من الفواكه مع رسالة تقول: «مرحباً بعودتك!» على طاولته عندما عاد إلى العمل. كان جناح نيكسون الرسمي أقرب قليلاً من مكتب كينيدي إلى طابق مجلس الشيوخ، فوضعه تحت تصرف كينيدي. «كان معجباً بجاك إعجاباً حقيقياً»، كما كان ريردون يعتقد. وقال جاك دراون صديق نيكسون لزمن طويل إنه «كان يحب كينيدي حقيقة». ولاحظ شقيقه إدوارد نيكسون أنه «كان يحبه» كما قال للمؤلف.

وفي سنة 1960، قيض للرجل الذي أحب كينيدي أن يواجهه في ميدان المعركة السياسية، متنافساً معه على أعلى الرهانات كلها. وبعد الصراع الذي تلا تلك المواجهة، قدّر للحب أن يتحول إلى سخط وخيبة أمل، وشيء هو أقرب ما يكون إلى الكراهية في شخص عرف الحب ذات مرة.

«إن القوى القائمة بالأمر في كاليفورنيا ـ وأصحابها أقوياء حقاً، ولا سيما الناشرون ـ قد قررت أنه لن يقف شيء في وجه وضع ديك نيكسون المخادع في البيت الأبيض» ـ هكذا ورد نصّ ملاحظة في مفكرة درو بيرسون، كتبها قبل ثلاث سنوات من ترشيح نيكسون لمنصب الرئاسة، وقد دوّنها بعد جلسة ثرثرة مع جيم باسيت، محرر إحدى صحف لوس آنجيلوس، عندما لا يكون معاراً لنيكسون ليعمل معه في حملاته. وكانت «القوى» التي أشار إليها بيرسون تشمل نورمان ودوروثي (باف) تشاندلر، ناشري جريدة **لوس آنجيلوس تايمز**. وكان آل تشاندلر الذين أيدوا نيكسون على طول الخط، هم الذين توجه إليهم يطلب

نصيحتهم سنة 1959: هل يفعل ما يتوقعه منه الجميع ويرشح نفسه للبيت الأبيض؟

قال للزوجين تشاندلر أثناء مشاركتهما الشراب: «إن عليَّ أن أقرر». فناقشا معه الموضوع على مدى ساعات. وقال نيكسون إن البديل هو الخروج من السياسة، وكسب أموال حقيقية. وعند حلول الساعة الثالثة صباحاً، كانت السياسة هي التي فازت. فأعلن نيكسون: «إن عليّ أن أفعلها، فالوقت ملائم». وكانت بات إلى جانبه أثناء الحديث، بات التي ظلت مؤيدة له، والتي قطعت ثلاثمئة ألف ميل إلى جانبه أثناء عمله نائباً للرئيس، والتي كانت متلهفة على إعطاء أسرتها وقتاً من نوعية أفضل. وعندئذ قالت: «أود لو أنك لا ترشح نفسك». ولكنه ـ حسب رواية باف تشاندلر ـ «لم يُعِرْهَا أي اهتمام على الإطلاق».

وهكذا قرّر نيكسون ترشيح نفسه. ولكن مزاجه كان غريباً بالنسبة لرجل على وشك أن يدشن عملاً يتطلب جهداً عظيماً. واستذكر الأب كرونين، الذي كان موضع ثقة نيكسون وكاتباً لخطاباته منذ أيام قضية هيس، أنه «هبط مسترخياً ولم يعد متواجداً عندما يبحث عنه أي أحد، بما في ذلك أنا نفسي، طيلة أكثر من ستة أشهر. كان هناك خطأ ما، بحيث تستطيع القول بأنه كان خائفاً من الفوز. وأشك في أن من المحتمل أن الجواب سيكون هو أن هناك شخصية شيزوفرانية منفصمة، ليس بالمعنى التقني، بل ربما بالمعنى العام الفضفاض».

وفي تموز / يوليو 1960، بعد خمس عشرة سنة من اختياره لخوض انتخابات عضوية الكونغرس كمحارب قديم شابّ خدم في الأسطول، وصل إلى شيكاغو ليسمع ترشيح حزبه له لدخول البيت الأبيض. وكانت بات هناك. وقد كتبت شكوكها منذ زمن طويل كزوجة مطيعة. بينما كانت أمه تنظر إليه مزهوة به، وهي في الخامسة والسبعين آنذاك. كان قد مضى عليها أسابيع طويلة وهي تعطي مقابلات تمتدح فيها فضائل ابنها، لأشخاص يوافق عليهم نيكسون.

وقد قبعت هنّا على كرسيها كطائر صغير في قاعة المؤتمر الفسيحة القديمة، في انتظار لحظة نيكسون الكبرى.

وفي أيام الصراع والتجاذب السياسي الثلاثة التي سبقت الترشيح، لم يكد نيكسون يذوق طعم النوم. وقد سمع لين هول، رئيس لجنة الجمهوريين السابق موسيقى صاخبة ذات ليلة، فدخل غرفة نيكسون ليجده في نشوة غيبوبة في ملكوت آخر، وقد «أخذه الحال» فراح يدير بإشارات يديه نفخ الأبواق وقرع الطبول الراعدة في سيمفونية **«الاستهلال» 1812**. وبعد ذلك بوقت قصير، عندما رشحته الأغلبية الساحقة، ألقى خطاباً راح يعتبره الأكثر تأثيراً طيلة حياته العملية كلها. فبالإضافة إلى الكلمات الطنانة عن «بناء أمريكا أفضل»، أعطى نبوءة دقيقة عن انهيار الاتحاد السوڤييتي: «عندما يقول السيد خروشيف إن أحفادنا سيعيشون في ظل الشيوعية، دعونا نقول إن أحفاده سيعيشون في ظل الحرية». وفي زمنٍ تصاعد فيه التوتر العالمي، قدم نائبُ الرئيس (الرحّالة الذي طاف حول العالم) نَفْسَهُ باعتباره رجلَ الخبرة الذي تستطيع أمريكا أن تعتمد عليه.

وقبل ذلك بأحد عشر يوماً، كان جون كيندي قد أدار وجهه صوب مغرب الشمس في مدرّج لوس آنجيلوس، وألقى خطاب قبول ترشيح المؤتمر الوطني للحزب الديموقراطي له، فوجه فيه نداءه للانطلاق إلى أفق جديد للستينيات. وعلى الجهة الأخرى من القارة في واشنطن، بينما كان نيكسون يتابع ذلك الخطاب على شاشة التلفزيون، أدرك أنه قد قلّل من شأن خصمه. كان قد تنبأ قبل ذلك ببضعة أشهر، أمام جلسة «بوكر» مع تيب أونيل، رئيس الكونغرس السابق: «ليس لكيندي أية فرصة للفوز بالترشيح. إنني سأخوض المعركة ضد [ليندون] جونسون. ولن تكونوا قادرين على إيقافه». غير أن كيندي قد أوقف جونسون، الذي كان عندئذ قد صار شريكه في الترشيح كنائب رئيس ـ وهذه خطوة أثارت جدلاً وخلافاً ـ. وقدر لبات هيلينغز، مستشار نيكسون، أن يستذكر فيما بعد في اكتئاب: «إننا لم نظن أن كيندي شخصية من

الوزن الثقيل. فلم نعتقد أنه سيعمل بمثل تلك الطاقة الكبيرة المجهدة...».

وقد اهتزّ نيكسون على نحو خطير وهو يرى كيندي يشق طريقه متقدماً في الانتخابات الأولية، بفضل سحر شخصيته والأموال التي سفحها أبوه بسخاء لا هوادة فيه. وكتبت روث بوكانان، زوجة رئيس المراسم في البيت الأبيض في مفكرتها: «إن دِكْ قلق بشأن فوزك. بترشيح الديموقراطيين، وهو متأكد من أن هذا هو الرجل الذي يتعين عليه أن يهزمه. وهو لا يشعر بالارتياح كثيراً إزاء هذا الأمر». وسرعان ما اعترف نيكسون «إن أي شخص لا يدرك أننا سنخوض معركة حياتنا كلها، لا بد أنه غارق في تدخين الأفيون».

وكانت المعركة التي تلت ذلك تدور حول الأسلوب أكثر منها حول القضايا نفسها. فأبلى نيكسون بلاء حسناً في الحالات التي كان يفهمها أكثر من غيرها، في المدن الصغيرة حيث كان السكان المحليون يستمتعون بالاستعراضات والمواكب الزاهية الألوان، وخفقان الأعلام الأمريكية، و«فتيات نيكسون»، وهن مجموعات من الشابات في ملابس جميلة، كانوا يشحنونهن من موقع إلى آخر. وحتى في الأماكن الصديقة المؤيدة لنيكسون، لم يكن يفيده في شيء أن يلحّ على الفكرة القائلة، بأن كل شيء على ما يرام في أمريكا مع انتهاء سنوات آيزنهاور. وقد لاحظ جيمس ريستون أن نيكسون كان على ما يبدو يقول: «اعتدلوا في جلستكم أيها الناس الأكابر. إن كل شيء رائع تقريباً... ولكن مشكلته الوحيدة هي أن موضوعه الأساسي يعطي في محصلته صورة للعالم، لا يستطيع أي رجل جيد الاطلاع، أن يأخذها على محمل الجد لحظة واحدة». كانت الأمة الأمريكية تعاني من ركود وكساد كبيرين طيلة العامين المنصرمين.

إن الحملة الانتخابية جهد ضخم متوحش، يدفع حتى الشباب المتمتعين بكامل صحتهم ولياقتهم إلى أقصى حدود طاقاتهم الجسدية والعقلية. وسرعان ما اتضح أن نيكسون قد فقد الكثير من وزنه وبدا عليه الضنى والإرهاق. أما

كيندي الذي كان شبه عليل، فقد صمد في سياق الحملة متمتعاً بصحة أفضل بكثير.

وعن طريق الفريق الصحافي لنيكسون، حُشِرَت زوجتُهُ حشراً في دور النجمة، فبدت أنحف من المعتاد وقد استنزفها الإرهاق. أما جاكي كيندي فنادراً ما كانت تظهر على طريق الحملة الانتخابية، لأنها كانت حاملاً. فظهرت صورها على صفحات المجلات الوطنية وهي تشع شباباً وسحراً وجاذبية. فلاحظ ثيودور وايت أن رؤية الجمهور «لوجه بات الشاحب الذي يكاد يذيبه الضنى» وهي تتبع زوجها «مستسلمة للسأم والإرهاق» لم يخدم قضية نيكسون في شيء. وعندما لاحظ وايت نيكسون وقد تدلى رأسه مسترخياً من الإعياء، «وفمه نصف مفتوح من الارتخاء المتعب» لم يشعر إلاً بالرثاء والأسى للرجل وزوجته».

كان هاريسون سالزبوري، الصحافي العامل في **النيويورك تايمز**، قد أعجب بنيكسون في روسيا. أما في تلك السنة [1960]، فقد صار أكثر انتقاداً له. «لقد راقبته وهو يغلق يديه في قبضتين مزمومتين، ويشد فكّه في تصلب، ويجر ساقيه المتيبستين ليلقي بنفسه على الحواجز في المطارات ليشرع في مصافحة الناس. كان متوتراً مثل زنبرك الساعة المشدود... بلا راحة».

وزمجر نيكسون غاضباً في وجه مجموعة من المتظاهرين المعتصمين ضده في ميتشغان: «لقد تعرضت للمضايقة على أيدي خبراء، فلا تحاولوا أن تشاغبوا ضدي وإلاً فسوف نتكفل بكم... إنني لم أستأجركم، فابتعدوا من هنا تماماً. هل تفهمون؟» وفيما بعد، أمر مساعده الصحافي هيرب كلاين أن يعلن بأن المحتجين كانوا «عصابة مشاغبين» من اتحاد عمال السيارات، رغم أنه لم يكن لديه دليل على ذلك. بل لقد اعتقد بعض المراسلين أن معسكر نيكسون

هو الذي استأجرهم من أجل تقويض الدعم العمالي لكيندي. ولحسن حظ نيكسون فإن عبارة «سوف نتكفل بكم»، بما تضمنته من تهديد، لم تصل إلى الصحف.

وبينما لم يفقد كيندي السيطرة على أعصابه أمام الناس أبداً، فقد صار نيكسون معروفاً بنوباته العصبية. فكتب ويلارد إدواردز في **الشيكاغو تريبيون** «إن مزاج نيكسون الناري المتفجر مشهد رهيب». وفي الطريق إلى مينيابوليس بدأ إجابة عن سؤال حول الحقوق المدنية في هدوء. ثم استذكر فيليب بورتر، مراسل **البالتيمور صَنْ** أنه «انفجر فجأة وفقد السيطرة... فراحت شفتاه ترتجفان، وازرقّ وجهه في شحوب»[3].

وقال جاك شيروود، شرطي الحماية السري الأقرب إلى نيكسون: «كان ينفجر عندما تصبح وطأة الحملة عليه أثقل مما ينبغي». واستذكر هالدمان يوماً شعر فيه نيكسون بخيبة الأمل من جدول سيِّئ، أثناء جولة له بالسيارة في آيوا «وكان دون هيوز، مساعده العسكري، في المقعد الذي أمام نيكسون مباشرة، وفجأة بدأ نيكسون يرفس ظهر ذلك المقعد بقدميه كلتيهما على نحو لا يُصَدَّق... ولم يشأ أن يتوقف عن ذلك... وهكذا راح مقعد هيوز السيِّئ الحظ يندفع إلى الأمام بطريقة خشنة ومفاجئة، بينما كان نيكسون يفرغ شحنة غيظه. وعندما توقفت السيارة في بلدة صغيرة وسط اللامكان، خرج هيوز المصفرّ الوجه من السيارة بصمت، وبدأ يمشي على الطريق إلى خارج البلدة. كان يريد الابتعاد عن نائب الرئيس بأكبر مسافة يستطيع قطعها...»[4].

---

(3) أضاف إدواردز أن نيكسون كان أحياناً يشتم ببذاءة «مثل رقيب في الجيش». ومن المفارقات أن نيكسون، الذي قدر لشتائمه على أشرطة ووترغيت أن تخلق ضجة كبرى ذات يوم، كان قد قال وهو مرشح في انتخابات الرئاسة سنة 1960 إن الرؤساء لا ينبغي أن يستخدموا «لغة المجتري» (**كانساس سيتي تايمز**، عدد 13 تشرين الأول / أكتوبر، 1960).

(4) في سنة 1996 أكد هيوز أن هذه الواقعة قد حدثت كما هو موصوف (مقابلة مع الجنرال هيوز أجراها غاس روسو).

كان نيكسون يجلس وحده منحنياً في مؤخرة طائرة الحملة، محاولاً أن يتجنب الحديث مع السياسيين الآخرين، ومع موظفيه أنفسهم، «يخربش» بلا نهاية في أوراق مذكراته الصفراء، يكتب الخطب ويعيد كتابتها. وبينما كان يستذكر في تبجّح أنه قد عكف على تلك الأحاديث بنفسه، فقد كان مساعدوه يعتقدون أن استخدامه لكُتّاب الخطب القديرين كان فيه هدر وتضييع، فقد قال أحدهم بمرارة: «لقد مسخنا جميعاً إلى مجرد موظفين كُتّاب».

وبعد أن عين نيكسون مجلساً من المستشارين الخبراء ذوي التجربة والحنكة، تجاهلهم وأصرّ على اتخاذ أصغر القرارات بنفسه. فقال جيم باسيت، الذي أصبح مدير التخطيط إن نيكسون «كان يريد أن يكون هو الفرس والفارس معاً». وبدون سبب استراتيجي وجيه، وعد نيكسون بأن يأخذ حملته إلى كل واحدة من ولايات الاتحاد. فجعله ذلك الالتزام يهرع إلى آلاسكا القليلة السكان قبل يومين فقط من موعد الانتخابات. وقد قال له مستشاروه إن رحلته لا معنى لها ولا جدوى منها، لأن تلك الولاية لا تملك في آخر الأمر سوى ثلاثة أصوات انتخابية. ولكن نيكسون لم يستمع. فكتب باسيت إلى زوجته ويلما: «لقد حصر دِكْ نفسه وحصرنا معه في زاوية مستحيلة».

وتذكر باسيت انفجارات «الغضب الرهيب» التي كان نيكسون بعدها «يحبس نفسه في غرفته». كما كتب إلى زوجته: «لا أريد حتى أن أضع على الورق كل أفكاري عن هذه الحملة. لقد عملنا أشياء كثيرة بطرق خاطئة، وضيَّعنا كثيراً من الوقت وانفجرنا بالغضب كثيراً... ومن القمة إلى القاعدة يتفق الجميع على أن الشخص المسؤول، ولعله المسؤول الوحيد عن ذلك هو المرشح نفسُه. فعندما يصرّ المستوحدون على وحدانيتهم، ويتجنبون النصيحة، بل يرفضونها رفضاً قاطعاً، فعندئذٍ يجب أن يعانوا من العقوبات كلها... وعندما يتعب ذهنه ويصبح طبعه نزقاً، فإن وحدته المنعزلة تتضخم إلى حد رهيب. وهذا شيء مخيف، أليس كذلك؟».

وكانت الضربة التي وجهها نيكسون لنفسه فآذته أكثر من غيرها هي قراره بمناقشة كيندي على شاشة التلفزيون. فقد صارت المقابلات وجهاً لوجه على الهواء مباشرةً ممكنةً، للمرة الأولى في سنة 1960، في أعقاب تغيير في قانون الإذاعة. فقبل كيندي على الفور عندما ألحّت الشبكات على المناقشة بعد مؤتمر الحزب الديموقراطي ـ إذْ إنه رأى في التلفزيون «الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الناس». ولهذا السبب بالذات أراد مستشارو خصمه رفض الفكرة. وقد وافقهم نيكسون على الرفض في بادئ الأمر، قائلاً لمدير حملته لين هول: «لا داعي للمناقشات اللعينة!»[5].

ثم، وبدون إشعار لزملائه بكلمة، غير رأيه وصرّح علناً بأنه سوف يتناقش مع كيندي. فكاد مساعده الصحافي كلاين «يسقط أرضاً» عندما سمع الخبر. وهكذا هبطت تلك «الغلطة الشنيعة» ـ كما سمّاها باسيت ـ «على المجنّدين للحملة الانتخابية وكأنها قضاء لا يُرَدّ من العلي القدير». وعندما طلب لين هول من نيكسون أن يوضح الأمر «اكتفى بالنظر إلى السماء ولم يحر جواباً. وبدأ المطر بالهطول. . . بينما ظل [نيكسون] واقفاً هناك ينظر إلى السماء».

كانت له سمعة كمحاور فعال، تعود إلى أيام تلمذته في المدرسة. وقيل إنه بعد أن استمع إلى خطاب كيندي في المؤتمر أبدى ملاحظة قال فيها:

(5) كان نيكسون في كتابه **ست أزمات**، وفي مذكراته يكتب وكأنه لم يتشكك أبداً في ضرورة محاورة كيندي. فلم يشر إلى التردد الذي ذكره آخرون من المشاركين في ترتيب الحوار. ولعلّ إعلانه المفاجئ بأنه سيتحاور مع كيندي كان يعكس تأثير آرثر بيرنز، مستشار آيزنهاور الاقتصادي وأحد المقربين الموثوقين من نيكسون، فقد اقترح عليه أن يتحاور معه «مرة واحدة فقط، وبذلك يتم القضاء على ذلك الشاب اللطيف من هارفارد. . .» ولقد قال بيرنز في الثمانينات: «ما كان يمكن أن أقدم مشورة أسوأ من تلك». وكان هناك مساعدون آخرون، منهم موراي تشوتينر، أشاروا على نيكسون بعدم المشاركة في ذلك الحوار (كتب ريتشارد نيكسون: نيكسون: **ست أزمات**، مصدر سبق ذكره، ص 323؛ **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 216؛ مرةً واحدةً فقط»: مقابلة مع آرثر بيرنز، في كتاب من تحرير مركز ميللر، مصدر سبق ذكره، ص 151؛ وتشوتينر: كاتشر، مصدر سبق ذكره، ص 165).

«أستطيع أن أتحدى هذا الرجل. . . فقد أبليت بلاءً حسناً مع خروتشيف. وسوف أحطم كيندي». وكان موضع التردد الوحيد عند نيكسون، كما قال لباسيت، هو أنه «كان يخشى أن يضرب ذلك الصبيّ كيندي بقسوة شديدة في المناقشة الأولى، وبذلك تومض في أذهان الناس فكرة التعاطف مع المهزوم. . .».

ثم عاد نيكسون إلى المماطلة، محاولاً تغيير طريقه، ولكن بعد فوات الأوان. فأرسل مساعديه كي يقترحوا على جانب كيندي «شروطاً لن يقبلوها». ولكن أسلوب هذا التكتيك لم ينجح. إذْ إن كيندي كان قد أعطى المفاوض باسمه، ليونارد راينش «توجيهاً واحداً، واحداً فقط، هو: (تأكد من أن المرشح الجمهوري لن يفلت من الصنارة)». وبعد أسابيع من المساومة وجد نيكسون نفسه ملتزماً، ليس بمناقشة واحدة، بل بأربع مناقشات، تبدأ في أواخر أيلول / سبتمبر.

وتلا سوءَ التقدير حول المناقشات تَعرُّضُ نيكسون لسوء الحظ، فالمرض، ثم سوء التقدير مرة أخرى. فقد تجاهل نصيحة رجال الحماية السرية له حول ضبط الحشود المتجمهرة، فوجد نفسه ذات يوم على طريق حملته وسط ما وصفه أحد كبار رجال الحماية بأنه «معمعة مجنونة خشنة صاخبة». فانتقل إلى جمهور حاشد آخر، بحيث تمّ دفعه بقسوة على باب الليموزين، مما أصاب ساقه بالأذى. وبعد بضعة أيام، أثناء مقابلة تلفزيونية أجراها معه جاك بار، أجفل نيكسون وتقلص وجهه من الألم بصورة واضحة أمام المشاهدين، عندما وضع بَارْ يَدَهُ على ركبته. وبعد ذلك بوقت قصير شخّص طبيبٌ في مستشفى والتر ريد حالَتَهُ بأنها إصابة مسمومة، بلغ من حدتها أنه قد يواجه احتمال بتر ساقه، إن لم يخضع لعلاج مكثف، مع الرقاد في السرير أسبوعين. وكانت خسارة يوم واحد في حملة رئاسية تعني نكسة؛ أما الخروج من اللعبة أسبوعين فكان بالنسبة للمرشح كابوساً.

ولم يساعده الرئيس. فعندما سُئِل آيزنهاور في مؤتمر صحافي أن يذكر فكرة واحدة من أفكار نيكسون تصادف أنه تَبَنّاها كان جوابه: «إن أمهلتموني أسبوعاً فقد تخطر ببالي واحدة. إنني لا أتذكر». كانت تلك زلة لسان فقط، أو أفكوهة طريفة على أسوأ الاحتمالات. ولكنها أصابت نيكسون بضرر فادح في الصحافة[6]. واتصل الرئيس به هاتفياً ليعتذر، ولكنه لمس «نقصاً في الدفء لدى نائبه عندما زاره في المستشفى». وقد صادق آيزنهاور فعلاً فيما بعد على ترشيح نيكسون. ولكنه تلقى بدوره نصيحة طبية بأن لا يشارك في الحملة الانتخابية نيابة عنه. كان قلب آيزنهاور قد بدأ يضطرب مرة أخرى[7].

وحتى سنة 1991، كان نيكسون ما يزال يتذمر من أن آيزنهاور كان «ابن زانية خشناً قاسياً... فلم يوافق على ترشيحي سنة 1960 حتى اضطر إلى ذلك اضطراراً مطلقاً في آخر لحظة. فكان ذلك مدمراً لحملتي... ولم يكن في الحقيقة أخلصَ عمل دالٍّ على الولاء يمكن القيام به». وكان آيزنهاور من جانبه

(6) عندما طلب من نيكسون أن يعلق على تعليق آيزنهاور أثناء المحاورة الأولى مع كينيدي، قال: «لعلها ملاحظة فكهة». غير أن الصحافي والتر تروهان قال إن نيكسون قد أخبره سراً بأنها كانت «أقسى جرح تلقاه من آيزنهاور». («فكهة»: نص محاورة نيكسون ـ كينيدي، 26 أيلول / سبتمبر 1960، والنص في التقرير النهائي للجنة التجارة التابعة لمجلس الشيوخ، أعلاه، ص 81؛ «الدعابة»: تاريخ روبرت فينتش الشفوي، جامعة كولومبيا، ص 58؛ «أقسى»: تروهان، مصدر سبق ذكره، ص 368 وما يليها).

(7) هناك دراسة صدرت سنة 1992 عن المشاكل الصحية للرؤساء الأمريكيين تميل إلى تأييد رواية نيكسون في مذكراته بأن زوجة آيزنهاور مامي وكذلك طبيبه الشخصي قد حثّاه في سنة 1960 على أن يؤثر على الرئيس كيلا يشارك في شن حملة لمصلحة نيكسون. وتوضح مفكرة الطبيب، الدكتور هوارد سنايدر، أن آيزنهاور كان يعاني من مشاكل خطيرة في نبض قلبه وضغط دمه في ذلك الحين، وأن سنايدر كان قلقاً بشأن الضغط الإضافي الذي قد ينجم عن شن الحملات.

وأثناء حملة سنة 1968، عندما كان آيزنهاور في السابعة والسبعين وصحته تزداد سوءاً باطراد، كان نيكسون يخشى من موت الرئيس السابق قبل أن يدعمه. غير أنه أوصل إليه رسالة، فأدلى آيزنهاور من المستشفى بتصريح كريم لمصلحته أمام المؤتمر. (المرض سنة 1960: **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 222؛ روبرت غيلبرت: **الرئاسة القاتلة**، طبع نيويورك: بيسك بوكس، 1992، ص 115، مستشهداً بمفكرة سنايدر الطبية عن آيزنهاور ـ ولكن انظر ساتاير، مصدر سبق ذكره، ص 623؛ دعم نيكسون سنة 1968: غولد ووتر، مصدر سبق ذكره، ص 216؛ وكالة آسوشييتد بريس، 18 تموز / يوليو، 1968؛ نص الدعم: أوراق جون ف. روثمان؛ وكتاب **بات نيكسون**، ص 242).

محتقراً لنيكسون في أواخر أيام حملة سنة 1960. وقد عبر عن ذلك فيما بعد بقوله: «لعنة الله على هذا الأمر. إنه يبدو لي مرشحاً خاسراً!. . . فعندما كنت أجد لديّ ضابطاً مثله في الحرب العالمية الثانية، كنت أسرّحه».

وعندما خرج نيكسون من المستشفى، تجاهل النصائح ثانيةً وأغرق نفسه في سلسلة لا تنتهي من الأسفار الطويلة، فلم ينجم عن ذلك سوى سقوطه فريسة لحمّى هائجة تتراوح مع نوبات برد، بعد أن زار تسع مدن في جولته. وقال إيرليكمان، الذي بدأ عمله مع نيكسون لأول مرة في تلك السنة، إنه كان «يلجأ أحياناً إلى الأقراص أو إلى الخمر» كي تساعده على النوم. وذات ليلة عُثِرَ عليه غاطساً في كرسي، غارقاً في سبات بلغ من عمقه أن أحد مساعديه خشي أنه في غيبوبة. وقيل بأن نيكسون ـ الذي كان عندئذٍ في السابعة والأربعين ـ يعاني من ارتفاع في ضغط الدم وفي مستويات الكولسترول. وأنكر طبيبه ذلك، قائلاً إن الشيء الوحيد الذي يشكو منه هو حمى الهشيم.

وفي يوم الأحد، الخامس والعشرين من أيلول / سبتمبر 1960، انعطفت قافلة نيكسون إلى شيكاغو من أجل المناقشة التلفزيونية الأولى الحساسة الأهمية مع كيندي، التي كان مقرراً لها أن تصل إلى سبعين مليون مواطن، والتي كان مقرراً إجراؤها في مساء اليوم التالي. وفي جناح مغلق في فندق آمباسادور إيست، عقد كيندي اجتماعاً استراتيجياً استغرق طيلة صباح ذلك اليوم، ثم استراح على وجبة الغداء، وتسلل لإلقاء خطاب مريح ليس فيه مشقة؛ واستمتع بقيلولة، ثم ترأس من على فراشه جلسة تخطيط نهائية. وقبيل بدء البث على الهواء، قيل إن كيندي خصص ربع ساعة من الوقت لإحدى المومسات.

وعلى عكس ذلك، أمضى نيكسون معظم ذلك اليوم معتكفاً وحده في غرفته في فندق بيك ـ كونغرس. وقد زعم فيما بعد أنه أمضى في دراسة

المذكرات والتقارير خمس ساعات، ولكن بوب فينتش، كبير مساعديه، قال إنه «رفض الاستعداد رفضاً كلياً. وقد بقينا نضغط عليه كي يتحاور أخذاً وعطاءً مع أحد من الموظفين... أو يفعل أي شيء. فإنه لم يفعل شيئاً سوى أنه أخبرني أنه يعرف كيف يتحاور...» أما جيم شبلي، الذي صار فيما بعد رئيساً لمجلة **تايم**، والذي أعدّ البحث لنيكسون، فقد استذكر أنه «لم يلقِ حتى نظرة واحدة على المادة». وقد تحدث نيكسون بالفعل مع وليام روجرز، المدّعي العام، الذي اقترح عليه أن يعامل كينيدي معاملة «الولد الطيب» في المناقشات. وتجاهل نصيحة مستشاره التلفزيوني، تِيدْ روجرز، بأن يطلي وجهه ببعض مساحيق المكياج. ثم، في طريقه إلى الاستديو، صدم ركبته الموجوعة بباب السيارة مرة ثانية.

وعندما وصل كينيدي من أجل المناقشة، حيّاه دون هيويت، مخرج شبكة كولومبيا الإذاعية CBS، الذي قدر له فيما بعد أن يحقق شهرة متميزة على رأس فريق برنامج عنوانه **ستون دقيقة**. كان المرشح الديموقراطي أسمر اللون، بصحة جيدة، بتفصيلة ملابس لائقة، تجعله صورة من «آدونيس الشاب». أما نيكسون، من جهة أخرى، فقد كان يبدو رهيباً. كان قد فَقَدَ عشرةَ أرطال من وزنه أثناء مكوثه في المستشفى. وكانت ملابسه تتدلى عليه بصورة فضفاضة. وكانت سحنته رمادية مثل بذلته، واتضح أن ذلك اللون لم يكن مناسباً للون الستارة الخلفية.

وعندما سمع نيكسون أن كينيدي قد رفض المساحيق، رفضها هو الآخر للمرة الثانية، ثم، عندما قبل كينيدي بعض مسحوق الطلق المعطر لتخفيف قتامة بشرته الضاربة إلى حمرة داكنة، أرسل نيكسون في طلب مرهم حلاقة لتخفيف الظل المعتم لسحنته هو الآخر. ولكن ذلك لم ينتج عنه سوى زيادة الشحوب على باقي وجهه حتى بدا كالشبح. وعندما لاحظ أن روبرت كينيدي يحدق به،

سأله إن كان مظهره يبدو ملائماً، أجابه شقيق المرشح الديموقراطي: «إنك تبدو هائلاً يا دِكْ! لا تغيّر أيَّ شيء!».

كان نفور نيكسون من المساحيق، كما أخبر أحد موظفي هيئة الإذاعة البريطانية من قبل، قد بدأ بعدما «قام فنان مكياج هاوٍ برشّ نفخة مسحوق في عينه فكاد يصيبها بالعمى». وبعد ذلك راح أحد مساعديه العسكريين يبعد فناني المكياج عنه، ويستعمل بنفسه شيئاً من المساحيق أحياناً[8]. وفي تلك الأثناء، قدم المساعد الصحافي كلاين توضيحاً محدداً لذلك الرفض المصيري في أيلول / سبتمبر 1960. كان نيكسون قد سمع أن كينيدي قد سخر قبل ذلك بوقت قصير من زميله الديموقراطي هيوبرت همفري، لوضعه غشاءً ثقيلاً من المساحيق عند ظهوره على شاشة التلفزيون. وقال كلاين «فكان ذلك بالنسبة لنيكسون مما يجعله يبدو مثل [همفري] تنقصه الرجولة والفحولة، وكان نيكسون يحب التباهي برجولته».

ومع اقتراب وقت البث، أزعج كينيدي الرجل الذي كان يفكر فيه كصديق، بأن تجاهله ببساطة. وعندما وقف الرجلان أمام المصورين، أبدى المنتج هيويت ملاحظة للاستظراف بقوله: «أفترض أن كلاً منكما يعرف الآخر» فتصافح الغريمان بلا دفء. وبينما تراجع كينيدي إلى غرفته، راح نيكسون يخطو على المسرح بشيء من العصبية. ولم يكد ينظر إلى خصمه عندما رجع.

وبدأت ردود الفعل المجفلة منذ بداية البرنامج. فعبرت كاتبة العمود

---

(8) كان نيكسون قد استسلم للمسات التجميلية منذ وقت مبكر، سنة 1954، وكان مكتبه يصدر نموذجه التجميلي إلى المراسلين، وهو خليط من التظليلين 22 و23 حتى وقت متأخر، سنة 1957. غير أنه في العام التالي، عندما زار لندن، كان يقاوم لمسات التجميل. فرفض خدمات موظفي التجميل في هيئة الإذاعة البريطانية، قائلاً إن مساعده العسكري سيهتم بها إذا دعت الضرورة، إلى أن قيل له إنه قد يتسبّب في إضراب الفنيين في التلفزيون (1954: باسيت، مخطوطة لم تنشر، أعلاه، 13 آذار / مارس، 1954؛ وكذلك مقابلة في سنة 1958 ومراسلة مع ليونارد ميال).

الصحافي دوريس فْلِيسُون عن دهشتها بقولها: «لقد خسر نيكسون هذه الجولة! لقد جلس هناك متمدداً وكأن سحّاب سرواله مفتوح تقريباً». وتأمّل ثيودور وايت في ذلك المشهد وقال فيما بعد: «لعله ليست في السياسة الأمريكية صورة تحكي قصة أزمة وواقعة أفضل من تلك اللقطة الشهيرة، التي أبرزتها العدسة لنائب الرئيس وهو نصف مترهل، وقد اختلط مسحوق حلاقته بالعرق المتصبّب على وجهه، وجحظت عيناه بسوادهما الشديد في محجريهما، وتدلى فكّاه، واللحم المترهل الذي يكسو فكه الأسفل، ووجهه الممتلئ بالتوتر».

وكان رد فعل خصوم نيكسون هو الذهول والفرح الشديد. ورأى فيه ريتشارد غودوين، مساعد كينيدي: «رجلاً منقطعاً بشكل غريب عن تصريحاته الذكية المحنكة المنطقية... يُقْحِمُ على شفتيه ابتسامةً مفتعلةً لا علاقة لها بكلماته، بحيث بدا نيكسون وكأنه مدرب كرة قدم خاسرٌ استدعيَ للمثول أمام مجلس الأمناء على فريقه، أكثر مما بدا قائداً للعالم الحر». وصرح عمدة شيكاغو، ريتشارد دالي: «يا إلهي! لقد حنّطوه حتى قبل أن يموت».

ولم تكن صدمة أصدقائه بأقلّ من ذلك. فكتب قطب الصحافة جيم كوبلي إلى كلاين في اليوم التالي: «لقد كاد مظهره يشبه رجلاً مجنوناً أو مضطرباً». وتحدثت أمه هاتفياً مع سكرتيرته روز وودْز، المصابة بالصدمة، هي الأخرى، فسألتها: «هل ريتشارد مريض؟» وقالت بات إنها «لا تستطيع أن تتخيل لماذا ظهر هكذا»، ثم أقلعت في أول طائرة متجهة إلى شيكاغو للانضمام إلى زوجها.

وبعد ساعة انتهت المناقشة، وعاد نيكسون إلى فندقه بالسيارة مع كلاين. كان مرهقاً وصامتاً، ولكنه بدا معتقداً بأنه قد أبلى بلاءً حسناً. وقال كلاين: «لم يُشْعِرْهُ أي واحد منا بخيبة الأمل في ذلك المساء». ولكن بات فعلت ذلك، فيما بعد.

أمّا في المعسكر الديموقراطي، فبينما كان المساعدون يحتفلون فرحين، اكتفى كيندي بالابتسام، قائلاً بهدوء: «لقد كان الأمر على ما يرام». ولكنه قال على الهاتف بشكل خصوصي وهو يتحدث مع لوهاريس، المستفتي المستطلع للآراء: «أعرف أنني أستطيع التغلب عليه! أعرف أنني أستطيع التغلب عليه!».

وقد اعتقد بعض الناس الذين سمعوا المناقشة في المذياع ولم يشاهدوها في التلفزيون، أن نيكسون كان ناجحاً، بل إنه حطم كيندي. وفي استطلاع لغالوب أجاب ثلاثة وأربعون بالمئة ممن استُطْلِعَتْ آراؤهم، بأنهم يعتقدون أن كيندي خرج من المواجهة فائزاً، بينما لم يؤيد فوز نيكسون سوى ثلاثة وعشرين بالمئة[9]. وكتب راسل بيكر في وقت لاحق: «في تلك الليلة، حلّت الصورة محل الكلمة المطبوعة باعتبارها اللغة الطبيعية للسياسة».

وهكذا حدث انعطاف في تيار الانتخابات بوضوح ملحوظ في سنة 1960. وشرعت الجماهير بالخروج لتأييد كيندي بأعداد لم يسبق لها مثيل. وفي المناقشات الثلاث المتبقية، مع الماكياج الجيد، ومع تحصن نيكسون بأربعة أكواب من الحليب يومياً ـ حسب أوامر الطبيب، كي يستعيد ما فقد من وزنه ـ كان أداء نيكسون فعالاً[10]. غير أنه جاء بعد أن وقعت الواقعة وحصل الضرر.

---

(9) من بين الذين استُطْلِعت آراؤهم قال 29 بالمئة إن المرشحين قد خرجا من المحاورة متعادلين، وكان 5 بالمئة غير متأكدين (تيودور هـ. وايت: **صناعة رئيس**، طبع نيويورك: آثينيوم، 1962، ص 294).

(10) بعد كارثة المحاورة الأولى مع كيندي، استشار نيكسون خبيراً في التجميل، رغم أنه كان يفضل طراز حلاقته الكسولة. بل إنه أضفى بعض اللمسات التجميلية على وجهه عند ذهابه إلى حفل زفاف أحد أصدقائه عندما علم أن الحفلة سوف تُصَوَّر تلفزيونياً. وقبل حملة سنة 1968 قال إنه يريد أن يستأجر موظف التجميل التابع لجوني كارسون، مضيف البرنامج التلفزيوني الحواريّ. وحسب رواية بوّاب الكونغرس، وليام «فيشبيت» ميللر، فإن نيكسون قد طلى وجهه بطبقة كثيفة من المواد التجميلية وهو في طريقه لإلقاء خطابه في الكابيتول عن حالة الاتحاد فكتب ميللر: «كنت أرثي لحاله، فقد كان عصبياً. وكان العرق يتصبّب على شفته العليا... فكان يلعقه بدلاً من مسحه بمنديل». ولتقليل عرقه إلى الحد الأدنى، كان يخفض درجة حرارة المكيف إلى أقصى حد في خطاباته المتلفزة «من جانب المدفأة» =

وقال هنري كابوت لودج، شريك نيكسون المرشح كنائب له، بعد مشاهدته للمقابلة الأولى: «إن ابن الزانية ذاك قد كلفنا الانتخابات».

وفي اليوم الذي تلا تلك المواجهة الأولى، طار نيكسون إلى ممفيس ليقابل سيدة عجوزاً بدا عليها أنها لطيفة أمام جمهور حاشد من الناس. كانت تحمل زرّاً نقش عليه اسم نيكسون بحروف كبيرة، وعلى وجهها ابتسامة ترحيب. فخطت إلى الأمام كي تعانقه. وبينما راحت آلات التصوير تدور، قالت له بصوت عال ولهجة لاسعة: «لا تقلق يا بنيّ. لقد تغلّب عليك ليلة أمس، ولكنك ستفوز عليه في المرة المقبلة...».

ولم يكن حجم الكارثة قد دخل في روع نيكسون بعد. فكان هذا آخر ما يريد أن يسمعه على الملأ، وأمام عدسات مصوري التلفزيون. فبدا عليه التشتت والحيرة، حتى لمح في وسط الحشد وجهاً معروفاً، هو وجه دِكْ تاك، أحد الباحثين العاملين في حملة كيندي. وكان يحمل جهاز تسجيل ويتبع الزعيم الجمهوري في تجواله علناً، ويقدم المعلومات إلى فريق كيندي. ولم يعترض أحد على ذلك. غير أن تاك كان في الوقت نفسه يخطط دائماً للمشاغبة على شكل مزحٍ سياسي تهريجي، يقصد منه إحراج نيكسون وإغضابه. وكان يصرّ أن تلك الأعمال التهريجية كانت بمبادرة شخصية منه فقط(*).

= في البيت الأبيض. وفي سنة 1968، قال مستشاره التلفزيوني روجر إيلز: «إنك إذا وضعته أمام عدسة التلفزيون فستقع في مشكلة، لأن منظره غريب ومضحك، إذ يبدو كأن شخصاً ما قد علقه في مقصورة طوال الليل». وقال نيكسون سنة 1968 لإيرف كوبسينيت: «إذا كان البلد يريد وجهاً جديداً، فإني هالك» (استشار خبيراً: وايز، **سياسة الكذب**، مصدر سبق ذكره، ص 376؛ يفضل حلاقته الكسولة: **ساترداي إيفننغ بوست**، عدد 25 شباط / فبراير، 1967؛ الزفاف: مقابلة مع نورما موليغان، أجرتها فون برودي، أوراق فون برودي، إشارة إلى زفاف ابن وليام روجرز؛ كارسون، **ساترداي ريفيو**، عدد 16 كانون الأول / ديسمبر 1967؛ في الكابيتول: ميللر، مصدر سبق ذكره، ص 342؛ «إلى جانب المدفأة»: هالبر ستام: **الخمسينيات**، مصدر سبق ذكره، ص 731؛ إيلز: وايز، **سياسة الكذب**، مصدر سبق ذكره، ص 377؛ ريتشارد نيكسون، كوبسينيت: مجلة **لوك**، عدد 5 آذار / مارس، 1968).

(*) لمزيد من التفاصيل عن أعمال تاك، انظر الحاشية 1 في الفصل التاسع.

قال سالينغر، المساعد الصحافي لكيندي، لزميله هيرب كلاين، المساعد الصحافي لنيكسون: «إن ما ينبغي أن يكون لدينا هو حملة نزيهة جداً، وبدون أعمال غير أخلاقية من أيٍّ من الجانبين». فوافق معه كلاين على هذا الرأي. وتحدث بشأنه مع نيكسون. وكما يخبرنا سالينغر فإن الحزبين قد اتفقا معاً على أن يكون سلوكهما مُنْصِفاً.

والحقيقة أن الجانبين معاً قد استخدما حيلاً قذرة تتدرّج من العمل التهريجي إلى العمل اللئيم الخبيث. فقبل المناقشة الثانية، ابتكر الجمهوريون طريقة لتجنّب ظهور نيكسون يغطيه العَرَقُ مرة أخرى. واستذكر سالينغز أنه عندما وصل الفريق الديموقراطي، «كان المرء بحاجة إلى سترة سميكة مقلنسة، أو معطف من الفراء في ذلك المكان اللعين. . . فقد حاولت مجموعة نيكسون أن تجمد الاستديو!» فهرع مساعدو كيندي إلى القبو السفلي، وأرهبوا بواباً بصياحهم حتى أوصلهم إلى جهاز تنظيم الحرارة، فرفعوا درجة الحرارة إلى أعلى قدر ممكن. وعند الوصول إلى النصف الثاني من المناقشة، كان نيكسون قد أخذ يجفف وجهه بمنديل.

وفي تلك السنة، تكونت لدى الكثيرين انطباعات عن شخصية نيكسون بأنه لا يخلع قفازيه أبداً، سواء أكان ذلك متعمداً أم عفوياً؛ وبأن هذا هو نيكسون «الجديد»، وليس السياسي المقاتل في الأزقة الضيقة، الذي اعتادوا رؤيته من قبل. أما كيندي فقد بدا وكأنه السير غالاهاد، الفارس الشهم صاحب الآفاق الجديدة. وكانت الصورة الحقيقية أكثر تعكيراً.

ومارس الجانبان لعبة التجسس، حتى ضد بعض أعضاء الحزب لدى كلٍّ منهما. فجون إيرليكمان، المشارك في الحملة للمرة الأولى، لعب دور السائق لنيلسون روكفلر، منافس نيكسون في الحزب الجمهوري، قبل انعقاد المؤتمر. وكانت مهنة السائق هذه غطاءً لمساعد إيرليكمان على جمع المعلومات.

وقد استذكر إيرليكمان: «كان أتباع كيندي في الحقيقة أفضل منا بكثير في تدبير

الأحابيل القذرة. فكان موظفو حملة نيكسون يشعرون دائماً أن الجانب المنافس متفوق عليهم بأساليبه. وزعم نيكسون في مذكراته أنه قد جُوبِهَ «بأعتى جماعة لا ترحم من النشطاء السياسيين تم حشدها لحملة رئاسية على مدى التاريخ».

أما ڤكتور لاسكي، الذي وصف نفسه بأنه «كاتب حرٌّ مستقلّ» وإن كان في الحقيقة صديقاً قديماً لنيكسون ويعمل كواجهة له، فقد كتب يقول: «وكانت أقذر الأحابيل كلها في سنة 1960 هي الطريقة التي تلاعب بها أتباع كينيدي بـ(القضايا الدينية) من أجل منفعتهم السياسية»[11]. فقد كان كينيدي بالطبع كاثوليكياً. ولم يكن أحد من أتباع هذا المذهب قد انتُخِبَ رئيساً مِن قبلُ على

---

(11) إن لاسكي معروف جيداً من خلال كتابيه: **جون فيتزجيرالد كينيدي: الرجل والأسطورة، ولم تبدأ الفضيحة بووترغيت**، المطبوعين سنة 1977، حيث طبّل فيهما «للخطايا الكثيرة التي ارتكبها أعداء ريتشارد نيكسون بحقه». فخلف واجهة الصحافي النظامي، كان لاسكي على علاقة حميمة بنيكسون بحيث يدعوه «دك» منذ وقت مبكر، سنة 1949، أيام واقعة هيس. ويستذكر دوايت شابان أنه قد عثر عليه في سنة 1962 في غرفة عابقة بدخان السيجار مع موراي تشوتينر «مثل صورة كلاسيكية منتزعة من الغرفة الخلفية لقاعة تاماني». وقد أسهم الإخوة روكفلر بمبلغ ستين ألف دولار لدعم نشر سيرة حياة مثيرة للجدل والخلاف عن قاضي المحكمة العليا آرثر غولدبرغ، عندما رشح نفسه لمنصب حاكم ولاية نيويورك سنة 1970. وقال هالدمان بصوته المسجل على أحد أشرطة البيت الأبيض سنة 1971: «إذا لم يطبعه أي شخص آخر، فإن لاسكي سوف يطبعه». وقد أشارت مذكرات كثيرة من البيت الأبيض إلى زرع القصص مع لاسكي. وقد عرضت عليه لجنة إعادة انتخاب الرئيس نيكسون في سنة 1972 عشرين ألف دولار كي يكتب الخطاب. وفي كانون الثاني / يناير، 1975، عندما بدأ نيكسون يقوم بأولى خطواته المترددة للخروج من حمأة عار ووترغيت، كان لاسكي واحداً من الذين طاروا إلى كاليفورنيا للاحتفال بعيد ميلاد نيكسون. وعن طريق لاسكي صارت لوسيان غولدبيرغ جاسوسةً لنيكسون في المعسكر الديمقراطي. وهي التي قدر لها أن تكسب شهرة رهيبة في فضيحة كلينتون الجنسية سنة 1998. («الخطايا الكثيرة»: لاسكي، مصدر سبق ذكره، على الغلاف الخلفي؛ «دك»: ليفيت وليفيت، مصدر سبق ذكره، ص 135 وانظر روجر موريس، ص491؛ دي توليدانو، كمحرر: مصدر سبق ذكره ص13؛ شابان: ستروبر، كمحررين: **نيكسون**، مصدر سبق ذكره، ص 340؛ غولدبيرغ: ميللر، كمحرر، **تحطيم الرئيس**، مصدر سبق ذكره، ص 503؛ «إذا لم يطبعه أحد»: هالدمان، رسالة إلى ميتشل ـ نيكسون في 6 تموز / يوليو، 1971، أشرطة البيت الأبيض؛ 1972 مذكرة تيتل ـ كيكلايتر في 6 حزيران / يونيو 1973، مكتب التحقيقات الاتحادي، الملف رقم WFO 139166؛ زرع القصص: شور، مصدر سبق ذكره، ص 183؛ و1975: قصاصة صحافية غير محدَّدة، مؤرَّخة في 17 حزيران / يونيو 1975، فيرا غليزر؛ لوسيان غولدبيرغ: **الواشنطن بوست**، عدد 4 شباط / فبراير 1998؛ ومايكل إيزيكوف، **فضح كلينتون**، طبع نيويورك: كراون، 1999، ص 191).

الإطلاق. وكان نيكسون من المرتعدين، أي أنه كان ينتسب إلى مذهب أقلية وقد أعلن تفاخره بأنه قد قاوم كل الجهود لاستغلال العامل الديني. ثم زعم أن جماعة كيندي «جعلوا الدين قضية بشكل متكرر رغم نداءاتهم أنه لا ينبغي أن يكون كذلك» من أجل اجتذاب ودّ المصوّتين من أتباع مذهبهم الكاثوليكي».

وفي وقت لاحق ربط الزعم باستخدام الديموقراطيين للمغالطات المخادعة، بطوفان من رسائل الكراهية المعادية للكاثوليك، التي أرسلت إلى الكاثوليك من قبل أناس مجهولين. وقال روبرت كيندي إن معسكر نيكسون قد أنفق مليون دولار على مثل هذه الدعاية المعادية للكاثوليك. فردّ عليه لاسكي ونيكسون بأن إرسال تلك الرسائل قد نظمه «أحد بلطجية بوبي نفسه»، أي شخص مشاغب مأجور يعمل لإثارة التعاطف الكاثوليكي مع كيندي[12]. وفي تلك الأثناء جاء من تكساس ادعاء بأن مؤيدي نيكسون في حملتيه السابقتين في سنتي 1946 و1950 كانوا يقومون بمكالمات هاتفية مجهولة. وقبل إنهاء المكالمة كان المتحدث المجهول يسأل: «هل تصوّت لكاثوليكي؟» أو «هل تريد أن يتأمّر البابا على الرئيس؟».

وإذا كان موقف نيكسون العلني من القضية الدينية لا غبار عليه، فإنه لا يمكن قول ذلك عن زعيمين بروتستانتيّين بارزين كانا من شركائه المقربين. فالوزير المحافظ نورمان فنسنت بيل، الذي كان نيكسون صديقاً له منذ الحرب

---

(12) استشهد لاسكي بمقالة في **الناشنال ريفيو**، فقال إن الموجة الأولى من الرسائل قد نظمها شخص من أتباع كيندي يدعى بول كوربين. وقد كرر نيكسون هذا الادعاء في مذكراته. وقد قام آرثر شليسينغر، كاتب سيرة حياة كيندي، بوصف كوربين هذا بأنه «وغد فاسق متوحش... ملحق لصيق بعمليات روبرت كيندي السياسية... عُرْضَةٌ لخلط الحقائق وإعادة تنظيمها». ولم يحاول المؤلف التدقيق في مقال الناشنال ريفيو. ولكن يبدو له أن كوربين كان قادراً على ارتكاب مثل هذه التجاوزات. غير أنه ينبغي أن يلاحظ القراء أن الرسائل المذكورة لم تكن موجَّهة ضد نيكسون، بل ضد ديمقراطي آخر هو هيوبرت همفري، أثناء المرحلة الأولية من حملة الانتخابات. (لاسكي، مصدر سبق ذكره، ص 35؛ ومذكرات ريتشارد نيكسون، ص 775؛ وشليسينغر، **روبرت ف. كيندي**، مصدر سبق ذكره، ص 196 وما يليها).

العالمية الثانية، وضع اسمه على بيان يعبر عن تحفظات جدية خطيرة حول انتخاب رئيس كاثوليكي. وردّ نيكسون على ذلك في البرنامج التلفزيوني **«التق بالصحافة»**، فقال إنه لا يعتقد أن الدين ينبغي أن يكون موضوعاً «رئيسياً»، وانتقد عمل بيل. وقد كتب فيما بعد: «لقد قررت أن من غير الإنصاف أن أهاجمه شخصياً».

كان بيل قد دعم نيكسون، وطلب من المبشر الإنجيلي بيلي غراهام، شريك نيكسون في لعبة الغولف والمؤيد له منذ زمن طويل، أن يفعل الشيء نفسه. وكان غراهام في مذكراته ذا موقف غامض ملتبس عند معالجته هذا التعقيد، معترفاً فقط بأنه قد أشار «إشارات مُقَنَّعة» إلى ما يفضله، وأنه قد شارك في تجمع مؤيد لنيكسون. والحقيقة أنه عندما رفض غراهام طلب كيندي منه التوقيع على تعهد بعدم جعل الدين قضية، أشار الناطق باسمه إلى أن الكاثوليك في إسبانيا كانوا يصلّون من أجل تحطم خطة غراهام. وبعد ذلك بيومين، تحدث المبشّر من أوروبا قائلاً إن الدين سيكون بالفعل من «الموضوعات الكبرى»، وأضاف أنه يجب أن لا يقترع أحد على أساس أي المرشحين «أكثر وسامة وجاذبية»، فكانت تلك إشارة أقل من حاذقة.

وقبل ذلك بأشهر كان غراهام قد وصف نيكسون بأنه «قد يكون أفضل الرجال تدرّباً في التاريخ على مهمة الرئيس الأمريكي. وهو بالتأكيد في كلّ حالٍ، أنجح سيد مسيحي مهذب» وقدر لغراهام أن يعيد تقويمه لنيكسون بعد ووترغيت. فكتب عندئذٍ: «إنني لأتساءل عما إذا كنتُ قد بالغتُ في روحانيته في ذهني».

وعلى جبهة أخرى، راح كل من الجانبين ينقّب بحثاً عن معلومات عن الحياة الجنسية للمرشح المنافس. وفي سنة 1960 وصلت إلى الصحافة للمرة الأولى، شائعات عن كون بات نيكسون كان لها زواج سابق(*). وبحث

(*) انظر ص 74.

الديموقراطيون عن قذارات في غرفة نوم نيكسون، بدون جدوى، ولكن بنتيجة مضحكة.

فقد استذكر لويد كاتلر (الذي صار فيما بعد مستشاراً في البيت الأبيض للرئيس كلينتون) أنه قام «متطوعاً بعمل تحقيقي صغير مع بيل باغز، محرر صحيفة **ميامي نيوز** وشريك كينيدي، وكان باغز، حسبما قال كاتلر «مهتماً على وجه الخصوص بحفلات نهاية الأسبوع، التي اعتاد نيكسون على حضورها في بيت بيب ريبوزو في كي بسكين. . . فعثر بيل في ميامي على بعض بغايا الهاتف اللواتي زعمن أنهن حضرن مثل تلك الحفلات. وكانت المسألة كلها ستصبح قصة جيدة جداً عن نيكسون، حتى علمنا أن من بين الذين كانوا يترددون على ذلك البيت كثيراً السناتور كينيدي. وهكذا أسقطنا تلك القصة. ولم نكتشف أبداً ما إذا كان السيد نيكسون قد صعد إلى الطابق العلوي. . .».

وكانت أكثر الاكتشافات ضرراً، كما يعرف العالم اليوم، ستكون عن كينيدي. وقد قال نيكسون في سنة 1992: «كنت على علم بالأمر في حينه. . . وأخبرني بيب بالمزيد عنه فيما بعد. . . ولكن بالطبع لم يكن بوسعنا استخدامه». ولم يكن مصادفة أن يعرف نيكسون «بعض الشيء» إذ أن وثيقة من مكتب التحقيقات الاتحادي تكشف عن كون مساعد لصديقه المدعي العام وليام روجرز، كان قد طلب على وجه الدقة معلومات جنسية محددة عن كينيدي، من مدير ذلك المكتب إدغار هوڤر.

فاستجاب هوڤر، الذي كان يعتبر نيكسون أحد أزلامه المنضوين تحت جناح حمايته على مدى زمن طويل. فأضاف مزاعم جنسية إلى مادة البحث السياسي التي كان يقدمها. وكان أحدها الزعم الثابت أن كينيدي كان قد تزوج سراً، ولفترة قصيرة، من مطلقةٍ شابةٍ في فلوريدا قبل زواجه من جاكلين. وكان مساعد نيكسون روبرت فينش يعتقد أن القصة «قابلة للتوثيق»، وبعد سنوات عديدة قام المؤلف سيمور هيرش في سنة 1997 بإبراز «شاهد» هو واحد من

أقرب الأصدقاء لكيندي، فأكد بصورة قاطعة أن حفل الزفاف قد حدث بالتأكيد. ولو استطاع رجال نيكسون تأكيد الإشاعة سنة 1960، لأنهت تلك الفضيحة في دقائق، محاولة كيندي الوصول إلى البيت الأبيض[13]. فقد كان ملف هوفر يحتوي معلومات كثيرة أخرى عن حياة كيندي الجنسية المتواصلة النشاط، من عبثه مع امرأة لها علاقات مفترضة مع النازيين أثناء الحرب العالمية الثانية، حتى مغامراته الأحدث، بما في ذلك علاقته الغرامية مع أمينة سر مجلس الشيوخ، واستخدامه للبغايا.

وعندما علم كيندي أن تفاصيل حياته الخاصة قد تنكشف، بحث عن وزير سابق في حكومة آيزنهاور، هو ماكسويل راب. واستذكر راب أن كيندي جاءه غاضباً ليقول له: «إن نيكسون واللجنة الوطنية للجمهوريين مضطلعون بمهمةٍ عنّي. إنهم يحاولون تدميري، وجاكي متضايقة تماماً... يجب إيقاف عملهم هذا». وطلب كيندي من راب أن يقول للجانب الجمهوري أن يوقف «نشر الأخبار عن خياناتي الزوجية». وعندما ذهب راب لرؤية نيكسون، أنكر أي تورط له، زاعماً أن المذنب هو مدير حملته الانتخابية لين هول. وقال نيكسون فيما بعد إن فريقه قرر عدم نشر الاتهامات الجنسية لأنها «ستعطي نتائج معاكسة». وتقول رواية أخرى إن نيكسون كان في الحقيقة متلهفاً على تسريب

---

(13) إن زعم «الزواج الأول» - بأن كيندي قد تزوج فتاة مجتمع بارزة في فلوريدا تدعى دوري مالكولم سنة 1947 - قد نشأ من وجود بند في فكرة عن تاريخ أسرة مالكولم مطبوع طبعة خاصة. وقد ذكر ذلك البند ببساطة مباشرة وصريحة أن واحداً من أزواجها الكثيرين كان «جون ف. كيندي، بن جوزيف ب. كيندي، الذي كان ذات مرة سفيراً في إنكلترا». وهناك أدلة متناقضة عما إذا كانت هذه المعلومات قد وصلت إلى مدير مكتب التحقيقات الاتحادي هوفر أثناء حملة انتخابات سنة 1960، أم أثناء رئاسة كيندي، سنة 1961. وفي سنة 1997 قام شارلس سبولدنغ، صديق جون كيندي المقرَّب، بإخبار المؤلف سيمور هيرش أن ذلك الزواج من مالكولم قد حدث فعلاً، وأنه قد «أزال أوراق الزواج» بناء على طلب كيندي. ولكن مالكولم قد أنكرت أنها تزوجت من كيندي. ورغم وجود مشاكل في رواية سبولدنغ - فقد كان في السابعة والتسعين عندما أجريت معه المقابلة، وكان يعاني من بعض حالات فقدان الذاكرة لفترات قصيرة - فقد كانت هناك أدلة أخرى أقنعت هيرش بأن قصته قابلة للتصديق. (هيرش، مصدر سبق ذكره، ص 326 وما يليها).

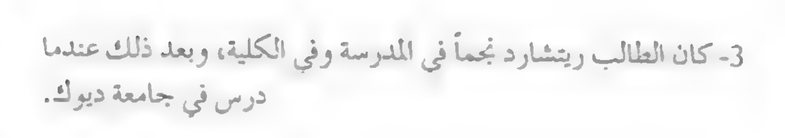


1- والد نيكسون، فرانك، ووالدته هنّا، يوم زفافهما سنة 1908 وقد وصف نيكسون أمه بأنها «قديسة».



2- ريتشارد، في التاسعة من عمره، (واقفاً إلى اليسار)، أثناء اللعب مع ثلاثة من إخوته الأربعة ـ وقد قدّر لاثنين منهما موت مبكر.





3- كان الطالب ريتشارد نجماً في المدرسة وفي الكلية، وبعد ذلك عندما درس في جامعة ديوك.



4- ريتشارد (إلى اليسار) مع أمه وشقيقيه هارولد ودونالد. ومن هذين الأخيرين، قدر البقاء لدونالد فقط.

5- مع حبه الأول، اوْلاَ وِيلْتْش - وقد تركته لتتزوج من رجل آخر.



6- بات رايان، بعد زواجها من نيكسون سنة 1940 ـ وقد قدر لعلاقتهما أن تتعرض لهزات عنيفة.

7- مَنْ كان مقدراً لهم أن يصبحوا الأسرة الأولى: نيكسون وبات وابنتاهما، تريشيا (إلى اليمين) وجولي (إلى اليسار)، في أوائل أيامهم في واشنطن.

ELECT

RICHARD M.
NIXON
WORLD WAR II VETERAN
YOUR
CONGRESSMAN

MR. AND MRS. RICHARD M. NIXON AND PATRICIA

New, Progressive, Representation in Congress

RICHARD M. NIXON

8- دعاية الحملة التي ساعدت نيكسون على الفوز في انتخابات الكونغرس لأول مرة.

10- رجل العصابات ميكي كوهين (إلى اليسار) التقى بنيكسون، وزعم أنه جمع أموالاً من أُخوّةِ الإجرام في حملتين انتخابيتين.





9- موراي شوتينر (إلى اليسار) المخطِّط الاستراتيجي لحملات نيكسون الانتخابية ـ وكان المبدأ الموجه له: «إضربهم، واضربهم، واضربهم مرة أخرى».



11- ماير لانسكي (إلى اليمين). «لو كنت ماير لانسكي، فيمن تستثمر؟ في سياسي يدعى كِلاَمَنْس لينغويني؟ أم في ولد بروتستانتيّ لطيف من وِيتيرْ، في كاليفورنيا؟»



12- آلجر هيس خائن شيوعي أدلى بشهادة زور، أم ضحية مكيدة مدبّرة؟

13- بعد إبراز أوراق اليقطينة، عاد نيكسون على نحو مفاجئ لافت للنظر من جولة بحرية. فقد أضفت عليه قضية هيس بروزاً وطنياً.

14- في سنة 1950: في الطريق إلى مقعد في مجلس الشيوخ الأميركي.



16- نيكسون يستجم.. في المسكن الإقليمي لبيب ريبوزو في كي بسكين، الذي أصبح موقعاً «للبيت الأبيض» في فلوريدا.



15- الدكتور آرنولد هتشنيكر، المعالج النفسي في بارك آفينيو. لقد طمس أتباع نيكسون الحقيقة عن علاقتهما.

17- صديقان حميمان حتى النهاية. قال نيكسون إن ريبورو كان «شخصية عظيمة» والواقع أنه كان ذا علاقات بعالم الإجرام.



18- خطاب «تشيكرز» في سنة 1952 ـ عندما ناشد نيكسون الأمة أن تصدق أنه بريء من الجرائم المالية التي نُسِبت إليه.

19- نيكسون يبكي على كتف أحد كبار زملائه عندما علم أنه سيبقى مرشحاً لمنصب نائب الرئيس مع آيزنهاور.



20- نيكسون مع آيك ـ أصبح نائباً للرئيس في سن الأربعين.



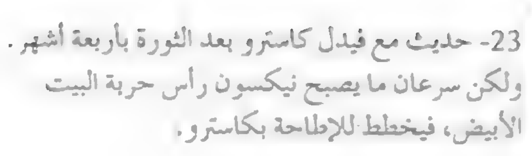
21- زيارة لصيقة بالمتاعب في كاراكاس، حيث أفلت نيكسون ـ و لم يكد ـ من جمهور من المشاغبين اليساريين.





22- مع دكتاتور كوبا باتيستا، سنة 1955.
«إنه معجب بطريقة الحياة الأمريكية».





23- حديث مع فيدل كاسترو بعد الثورة بأربعة أشهر.
ولكن سرعان ما يصبح نيكسون رأس حربة البيت الأبيض، فيخطط للإطاحة بكاسترو.

24- يتحاور مع جون ف. كيندي على شاشة التلفزيون ـ كارثة في العلاقات العامة.



25- عند اندحاره على يد كيندي بهامش ضيق. وقد اعتقد نيكسون بأن الفوز قد سُرقَ منه. وهكذا بدأ لديه غيظ حارق على آل كيندي استمر زمناً طويلا.



26- الاندحار الثاني، في الانتخابات لمنصب حاكم كاليفورنيا في سنة 1962. « لن يعود لديكم نيكسون كهدف لرفساتكم».



27- العائلة فيما بعد. لقد قيل إن نيكسون ـ بعيداً عن عدسات التصوير ـ شرب الخمر حتى ثمل، واعتدى جسدياً على بات».



28- العودة إلى الصعود. أصبح نيكسون محامياً من الدرجة الأولى في نيويورك. ولكنه كان قد بدأ يخطط لاستعادة عافيته السياسية.



29- أثناء سنوات الضياع، في هونغ كونغ مع مضيفة فندق هيلتون ماريانا ليو ـ المرأة الوحيدة ـ عدا بات ـ التي ارتبط اسمها باسمه.





31,30- هوارد هيوز: الملياردير الذي أقرض دونالد، شقيق نيكسون (إلى اليسار) مبلغ 205,000 دولار. فهل كان، في الواقع، يشتري نفوذا لدى نائب الرئيس؟

33,32- جسر الجباية في جزيرة الفردوس، مصدر دخل سري لنيكسون؟ جيمس كروسبي (إلى اليمين) مالك الجزيرة المرتبط بعصابات المافيا، والذي صار متبرعاً هاماً لحملة نيكسون الانتخابية سنة 1968



34- في مطعم راسبوتين بباريس. كان من بين أصدقاء نيكسون رجل الأعمال عدنان خاشوقجي، الذي اعترف بأنه قد أعطى ابنتيْ نيكسون مجوهرات قيمتها تقدر بالألوف. فهل تبرع أيضاً بمليون دولار لحملته الانتخابية سنة 1972؟



35- صورة فوتوغرافية مثيرة للنزاع في مجلة لايف التقطت في فلوريدا سنة 1969. هل الرجل الواقف خلف ريبوزو (والمشار إليه بسهم) هو تاجر الذهب والفضة الذي زعم أنه أكسب نيكسون والحزب الجمهوري ملايين الدولارات في صفقات احتيال استفاد فيها من معلومات داخلية؟ أم أنه شرطي سري؟

خيانة في حرب فيتنام؟

36- قالت آنا شينو إن نيكسون طلب منها أن تحمل رسائل إلى ثيو، رئيس فيتنام الجنوبية أثناء حملة سنة 1968 الانتخابية.



37- استقبل الرئيسُ جونسون نيكسونَ في البيت الأبيض بعد انتخابه. ولكن قيل بأن جونسون كان يعتقد أن نيكسون خرّب مبادرته السلمية.

38- في الطريق إلى النصر سنة 1968 ـ الوقفة التي صارت علامة مسجلة.



39- كانون الثاني/يناير 1969: تدشين نيكسون في منصب الرئيس السابع والثلاثين للولايات المتحدة.

القصص، ولكنه لاَنَ بعد أن أقنعه هوڤر وباري غولد ووتر أن ذلك سيكون خطأً. (ومن المفارقات الساخرة أن النساء قد اقترعن في انتخابات سنة 1960، لمصلحة نيكسون بأعداد أكبر من اللواتي اقترعن لمصلحة خصمه الوسيم).

وكان هناك مجالان آخران من الأحابيل القذرة ألقيا بظلالهما التي تنبئ مسبقاً بفضيحة ووترغيت. فقد اقتحم متطفلون مكاتب طبيبي كيندي الاثنين في نيويورك، بحثاً عن دليل على إصابته باضطراب الغدة الكظرية على ما يبدو. وقد وقعت هذه الحوادث في وقت كان فيه الجمهوري النيويوركي وليام كيسي (الذي صار فيما بعد مديراً لوكالة المخابرات المركزية تحت حكم الرئيس ريغان) يبحث في حالة كيندي الصحية نيابة عن أتباع نيكسون. وحسب رواية المساعد الجمهوري السابق جيمس هيومز، فقد تمّ اقتحام مكتب حملة نيكسون أيضاً قبيل الانتخابات، وسرقت منه ملفات. ولكن الصحف ـ كما قال هيومز ـ لم تعبأ بهذه القصة واعتبرتها مجرد «جزء من اللعبة».

وكان التنصت الإليكتروني هو الاعتداء المزعوم الآخر في حملة انتخابات سنة 1960، حسب رواية مؤيدي نيكسون. غير أن في هذا الادعاء نقطة ضعف خطيرة، لأن الجانب الجمهوري لم يثبت هذا الزعم إلاّ بعد ووترغيت، وفي وقت ضُبِطَ فيه رجال نيكسون أنفسُهُم وهم يركّبون أجهزة تنصّت على هواتف الديمقراطيين. ففي تموز / يوليو 1973، عندما كانت فضيحة ووترغيت قد انفجرت على الملأ بشكل مكشوف، أدلى جورج بوش، رئيس اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، ببيان مطوّل أشار فيه إلى أن الشخصيات الرئيسية في حزبه كانت «تحت المراقبة وموضوع التجسس» في سنة 1960. وأكد بوش (الرئيس المقبل للولايات المتحدة) آنذاك أن التجسس كان يديره «أحد أزلام كيندي، وهو... كارمين بلّلينو». وفي ذلك الحين (1973) لم يكن بلّلينو أقلَّ من المحقق الرئيسي في لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ.

وقد بنى بوش هذا الادعاء على تصريحات خمسة من المحققين

الخصوصيين زعموا أنهم كانوا يعلمون بأنشطة بللينو في سنة 1960، عندما كان يعمل لمصلحة روبرت كينيدي. وقال واحد منهم، هو جون ليون، إن بللينو قد جعله يتجسّس على آلبرت هيرمن، أحد كبار المسؤولين في اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري «باستخدام وسيلة إليكترونية معروفة باسم «الأذن الكبيرة»، بتسليطها على نافذة السيد هيرمَنْ مِنْ نقطة ملائمة قريبة». ونقل ليون عن شريكه إدْ جونز قوله إنه قد ركّب أجهزة تنصت في هواتف ثلاثة قساوسة بروتستانتيين مشتبه في توزيعهم نشرات معادية للكاثوليك.

وفي أكثر المزاعم إثارة ومفاجأة، استذكر ليون محادثة مع زملائه في اليوم التالي للمناقشة التلفزيونية الأولى بين نيكسون وكينيدي، فاتفقوا ـ كما قال ـ على أن كينيدي «قد فاز في تلك المناقشة كلها» وعلى أنه كان «مستعداً لها تمام الاستعداد» واستنتج من حديثه مع جونز ومع عضو آخر في المجموعة هو أوليڤر آنجيلون، العميل السابق لمكتب التحقيقات الاتحادي، أنهما «قد نجحا في تركيب أجهزة تنصت على مجال عمل نيكسون أو التجسس على هواتفه، قبل المناقشة التلفزيونية».

وكان جونز متخصصاً في الإليكترونيّات. فاعترف بأنه قد عمل لبللينو في عمليّتي استطلاع أثناء حملة سنة 1960، ولكنه أنكر قيامه بأي تركيب لأجهزة تنصت. ونقل آنجيلون عن بللينو قوله إن القساوسة البروتستانت قد تعرضت هواتفهم للتجسس، ولكنه أنكر أي مشاركة له في العملية. وقد أنكر مرة أخرى في سنة 1999، عندما قوبل من أجل أغراض هذا الكتاب[14]. أمّا بللينو من

(14) إن التصريحات عن أعمال التجسس والتنصت الديمقراطية المزعومة هي عناصر في قصة متشابكة. فالشرطيان السرّيان غير المذكورين في النص الرئيسي هما الموظف الاتحادي السابق جون فرانك ومفتش الشرطة السابق في واشنطن جوزيف شيمون. وقال فرانك إن بللينو كان بالفعل يدير التحقيقات للجنة حملة كينيدي الانتخابية سنة 1960، وأنه قد أعطاه بعض المهام ولكنه لا يتذكّر ما هي. وقال شيمون إن آنجيلون قد طلب مساعدته في عملية تنصت على مؤيدي نيكسون كان مقرها في فندق واردمان بارك بواشنطن. ومن المثير للاهتمام أن يلاحظ المرء أن فرانك كان شريكاً لهوراس شماهل، المحقق الخصوصي الذي قيل بأنه قد ساعد في إلصاق التهمة بآلجر هيس. وكان شيمون شاهداً =

جهته فقد اعترف بأنه قد أمر بالمراقبة البصرية، ولكن ليس بتركيب أجهزة التنصت أو التجسّس.

ولعله لم يعد ممكناً البتّ في حقيقة هذا الأمر. فاللجنة الفرعية التي شكلها مجلس الشيوخ لسبر غور هذه الادعاءات، لم تعثر على دليل يبرهن على حدوث تنصت إليكتروني. غير أن نيكسون قد أعلن مراراً وهو في سدة الرئاسة أنه «مقتنع بأن التنصت على المكالمات الهاتفية كان سلاحاً هاماً في ترسانة كيندي أثناء حملة سنة 1960». وظل في شيخوخته يتحدث عن كيفية «تعرضه لجميع أنواع الأحابيل القذرة التي راح ضحيةً لها». وقال إن روبرت كيندي كان «هو الأسوأ. فقد تنصت بشكل غير قانوني على عدد أكبر من الناس ـ وكان هو البادئ باستعمال هذا الأسلوب ـ أكثر مما فعل أي شخص آخر. لقد كان ابن زنا».

وقد لامست مجسات المافيا كلاً من كيندي ونيكسون. فوالد كيندي كوّن جزءاً كبيراً من ثروته بالتواطؤ مع رجال العصابات أثناء تطبيق قانون منع صنع المسكرات وبيعها (1920 ـ 1933). وتشير معلومات مؤكدة إلى أنه، وكذلك ابنه السياسي، قد استخدما علاقاتهما بالمافيا كمنصة للوثوب إلى السلطة سنة 1960، ولقد سمع رجال مكتب التحقيقات الاتحادي مكالمة هاتفية لزعيم

= في قضية مؤامرات اغتيال كاسترو التي اشتركت فيها وكالة المخابرات المركزية مع المافيا. وكان بللينو ذات مرة يشترك في مكتب مع روبرت ماهيو، إحدى الشخصيات المركزية في تلك المؤامرات المشتركة على كاسترو، كما أنه أحد مساعدي هوارد هيوز. إن هذه التداخلات المتشابكة للشخصيات في ادعاءات التنصت سنة 1960 غريبة ومثيرة للفضول. وربما لن يعرف أحد أبداً حقيقة أعمالهم ودوافعهم بشكل كامل. وتوضح أشرطة البيت الأبيض أن هالدمان ونيكسون قد ناقشا استغلال «بعض الإشارات إلى بعض عمليات التنصت المحتملة لحساب كيندي سنة 1960». منذ وقت مبكر في شباط / فبراير 1973، قبل أشهر من ظهور تلك الادعاءات. (فرانك ـ سيمون: التقرير والإفادة، في الحقل 120، أوراق كورف، جامعة براون؛ فرانك ـ شماهل: انظر ص 73، الفصل الثامن، الحاشية 10؛ شيمون، المؤامرات: مقابلة مع جوزيف شيمون؛ هوغان، **الأشباح**، مصدر سبق ذكره، ص 279؛ ماهيو ـ بللينو: ماهيو، مصدر سبق ذكره، ص 40؛ ريتشارد نيكسون ـ هالدمان: أشرطة البيت الأبيض، 6 أيلول / سبتمبر 1973، **إساءة استخدام السلطة**).

المافيا في شيكاغو، سام جيانكانا، وهو يناقش «التبرعات» التي قدمها رجال العصابات أثناء الانتخابات الأولية الحيوية الأهمية. وبعد سنوات، زعمت جوديث كامبيل، عشيقة كيندي، أنه قام بمخاطرات فاضحة للحصول على مساعدة جيانكانا، والتقى به شخصياً في السرّ مرتين على الأقل.

كانت لعبة كيندي ذات خطورة خاصة، لأن شقيقه روبرت كان ملتزماً بملاحقة الجريمة المنظمة، ولا سيما بإسقاط جيمي هوفا، الزعيم الفاسد المحتال لاتحاد سائقي الشاحنات الثقيلة. وعندما استمر في تلك الملاحقة باعتباره مدعياً عاماً، ثارت ثائرة زعماء المافيا إلى درجة أن بعض الناس ـ بمن فيهم لجنة الاغتيالات التابعة لمجلس النواب ـ قد ارتابوا بأن المافيا كانت وراء اغتيال الرئيس كيندي سنة 1963.

وكان نيكسون كذلك مكشوفاً ومعرضاً لتأثيرات المافيات. وقد قيل لمؤلف هذا الكتاب إنه قبل بدء الحملة الانتخابية سنة 1960، سرّب أحد المخبرين إلى روبرت كيندي وثيقة تشير إلى أن أزلام مِييَرْ لانسكي، قد دفعوا فاتورة نيكسون عند زيارته لكوبا(*). فلم يستخدم شقيق المرشح الديموقراطي تلك المعلومات، ربما لأن أخاه نفسه قد عرّض سمعته للخطر في كوبا أيضاً عندما كان لانسكي يتدبر أمر جمعه بالنساء هناك. وكان زعيم المافيا في فلوريدا، سانتو ترافيكانتي، المطلع على تلك الواقعة، يحتقر كيندي ويفضل نيكسون. واستذكر «سانتو» هذا أن محاميه «كان يعتبر نيكسون سياسياً واقعياً محافظاً وليس «متحمساً متعصباً»، وأنه لن يقسو عليه وعلى أصدقائه من رجال العصابات. فلم تكن المافيا تخشى شيئاً من نيكسون».

«سوف نتبرع لنيكسون أيضاً. . . سوف نوزع مراهناتنا على الجانبين لنتوقّى الخسارة. تماماً كما فعلنا في كاليفورنيا عندما كان نيكسون مرشحاً

(*) انظر ص 274.

لعضوية مجلس الشيوخ. . . فأنتم لا تعرفون ما الذي سيفعله كيندي بحق الجحيم إذا تم انتخابه. أما مع نيكسون، فأنتم تعرفون أين تقفون». هكذا تكلم جيانكانا قبل انتخابات سنة 1960، حسب رواية أخيه تشاك[15]. ويقال إن جيانكانا أضاف إلى ذلك قوله: «إن مارسيلو وأنا سنقدم لحملة نيكسون مليونَ دولار».

وقيل بأن كارلوس مارسيلو، زعيم المافيا في نيو أورليانز وجزء كبير من الولايات المتحدة الجنوبية، قد دفع تبرعاً ضخماً لنيكسون في تلك السنة. وحسب رواية رجل قال إنه كان حاضراً عندما تداولت الأيدي هذه الأموال، فإن مارسيلو قدم التبرع المذكور في شهر أيلول / سبتمبر في اجتماع في لافاييت، بولاية لويزيانا. وقال الشاهد: «كنت هناك تماماً، أستمع إلى المحادثة. وكان مع مارسيلو حقيبة رصّ فيها مبلغ نصف مليون دولار نقداً، وكانت الحقيبة ذاهبة إلى نيكسون. . . أما نصف المليون الآخر فكان سيأتي من رجال العصابات في نيوجيرسي وفلوريدا». وتصل قيمة النصف مليون آنذاك إلى ثلاثة ملايين دولار بأسعار هذه الأيام.

وقد سُلِّمت الحقيبة الحاوية على نصف مليون دولار إلى جيمي هوڤا، زعيم اتحاد سائقي سيارات الشحن الثقيلة. أما الشاهد الذي قال إنه قد رأى الصفقة فهو إدوارد بارتين، شريك هوڤا المقرب منه، والذي تحول فيما بعد إلى مخبر، وأصبح شاهد الادعاء الأساسي الذي قدّمته وزارة العدل ضد هوڤا. فأخبر محققَ الوزارة، والتر شريدان، أولاً عن ذلك

(15) حسب رواية الكتاب الصادر سنة 1992 بعنوان **الخداع** من تأليف تشاك، شقيق جيانكانا، وسام ابن أخيه (الذي هو ابنه في التعميد)، فإن جيانكانا قال كلمات بهذا المعنى في أواخر تشرين الأول / أكتوبر 1960 في مطعم نوروود هاوس الذي يملكه «ميو» في شيكاغو. وقد اجتذب هذا الكتاب انتقاداً مبرراً بسبب ادعاءاته حول اغتيال كيندي. ولكن مقابلة مع سام جيانكانا (ابن الأخ والمؤلف المشارك) قد شجعت شعور المؤلف بأن بعض الأجزاء الجوهرية في صميم الكتاب تعكس ذكريات حقيقية أصلية لتشاك جيانكانا (مقابلة مع سام جيانكانا).

التبرع، ثم روى القصة في وقت لاحق على شريط مسجل أمام مايكل إيوينغ، موظف الكونغرس المتخصص بالجريمة المنظمة[16]. وحسب رواية بارتين، فإن زعيم المافيا كان يأمل أن ينتزع تعهداً بأن إدارة نيكسون ـ إذا فاز ـ لن تطرده من البلاد، وهذا شيء حاول روبرت كيندي أن يقوم به فعلاً في السنة التالية.

ويتشابك تورط هوفا المزعوم بشكل متناغم مع معلومات أخرى على نحوٍ يؤثر على سمعة نيكسون. فهو يوضح توضيحاً مركزاً ومقلقاً تبادلاتٍ جرت في الأشهر السابقة بين نيكسون، وعضو كونغرس سابق صديق له، وهوفا. كان عضو الكونغرس السابق، أوكلي هانتر، قد التقى مع هوفا في فندق آميركانا على شاطئ ميامي قبيل عيد الميلاد في سنة 1959. وفي الغرفة الخصوصية لهانتر ـ وبعد أن خلع كل من الرجلين سترته كي يرى كل منهما أن الآخر لا يحمل جهاز تسجيل ـ ناقشا «برنامج العمل السياسي» لاتحاد سائقي سيارات الشحن الثقيلة.

وقد تحدث الرجلان بحرص وحذر، كما أوضح هانتر فيما بعد لنيكسون في رسالة تبدأ بعبارة «عزيزي دِكْ» فقال هانتر لهوفا إن نيكسون «ليس شاهراً سكيناً ضده، ولا يكنّ له تحاملات حقد». ووافق بأنه لا يمكن لأي شخص «أن يُنْتَخَبَ رئيساً للولايات المتحدة بدون دعم قوي بين صفوف الحركة

(16) قام مايكل إيوينغ، الذي ظل زمناً طويلاً يعمل كمساعد لشؤون الموظفن لدى السناتور هارولد هيوز من ولاية آيوا، بمقابلة بارتين في سنة 1977 بناء على توصية من والتر شريدان. فبقيت رواية بارتين منسجمة مع ما كان قد قاله لشريدان في الستينيات، باستثناء أن شريدان كان قد نقل عنه أنه قد سمى مبلغاً هو في الأصل أقل من خمسمئة ألف دولار. وكان من بين الحاضرين أيضاً أثناء تسليم النقود إرفنغ ديفيدسون، صاحب مصلحة الضغط من واشنطن، حسب رواية بارتين. وكان ديفيدسون، الذي أنكر فيما بعد أن مارسيلو كان حتى على معرفة بهوفا، هو الذي رتب الاجتماعات بين هوفا وأوكلي هانتر (انظر ص 214: من النص الإنكليزي لهذا الكتاب)؛ وقال شريدان فيما بعد إنه حدَّد مكان معلومات تؤكِّد تبرع مارسيلو، عندما كان يعمل في وزارة عدل كيندي. (مقابلة ومراسلات مع إيوينغ مولدي: **حروب هوفا**، مصدر سبق ذكره، ص 108، 260).

العمالية». ثم سأل هوفا عمّا «يتوقعه من الحكومة» وعمّا «يستطيع أن يقدمه للمرشحين السياسيين الذين يفضلهم».

ورداً على ذلك، شكا هوفا من أن وزارة العدل، التي كانت آنذاك في يد المدعي العام وليام روجرز، شريك نيكسون، كانت تضايقه بدعاوى «ليس فيها سوى الإزعاج». وطلب إزاحة قاضٍ كان ينظر في قضية فساد مرفوعة ضده. ثم قال إنه يستطيع مساعدة نيكسون في سنة 1960 بتوليد تأييد له في صفوف المسؤولين المحليين لاتحاد سائقي الشاحنات، وبتوجيه نقد خشن قاس إلى الزعماء الديموقراطيين البارزين.

وقد فعل هوفا ذلك بالضبط. فهاجم كيندي بمجرد إعلان ترشيحه. وبعد اجتماع آخر مع هانتر في المؤتمر الوطني للحزب الجمهوري، تابع هجومه على كيندي بلا هوادة طيلة فترة الحملة، وخاصة في الأسابيع التي تلت تسليمه مبلغ النصف مليون دولار إلى جماعة نيكسون كتبرع من المافيا. وفي ذلك الوقت بالذات، قال أحد مساعدي نيكسون لمراسل صحافي «يمكنك التأكد من أنه لا نائب الرئيس ولا الحزب الجمهوري سيتحالفون مع أناسٍ من أمثال السيد هوفا». وخلف الكواليس، وفي توقيت كاد يتصادف تماماً مع تبرع مارسيلو، قامت وزارة العدل في حكومة آيزنهاور ـ نيكسون، بإيقاف فوري ومفاجئ لعملية ملاحقة هوفا في دعوى الفساد المرفوعة ضده، والتي كان قد شكا أمرها إلى هانتر. ولقد أعيد إحياء تلك الدعوى بعد انتخاب كيندي. وقد اعتقد المحقّق شريدان بأنه «كان من الواضح أن المدعي العام، وليام روجرز، لم يشأ أن يخلف وراءه ما يمكن أن يبدو كدعوى ثابتة لجيمي هوفا. وهكذا بقي الدَّيْنُ السياسيّ في ذمة نيكسون لجيمي هوفا غير مُسَدَّد».

غير أنه قدر لذلك الدين أن يُسَدَّد أثناء رئاسة نيكسون، عندما كان هوفا في السجن محكوماً عليه بالحبس ثلاث عشرة سنة عن جرائمه، ثم ـ بعد المزيد

من الرشاوى المزعومة ـ، أصدر نيكسون أمره بإطلاق سراحه بعد أن أمضى من مدة الحكم خمس سنوات فقط.

وفي سنة 1960 لم تظهر أية تقارير عن مساعدات من الجريمة المنظمة لأي من المرشحين. وبدلاً من ذلك، وبفضل سوء الحظ وسوء التقدير مرة أخرى، خرج هيكل عظمي آخر متدحرجاً من خزانة نيكسون. فقبل موعد الانتخابات بستة أسابيع، وبينما كان إدوارد كينيدي يشن الحملة للدعاية لأخيه في كاليفورنيا، تلقى مكالمة هاتفية من محامٍ قال إن لديه «شيئاً ساخناً» يريد أن يقدمه له. وبعد بضعة أيام، في اجتماع في مطار لوس آنجيلوس، قدم ذلك الرجل إلى الشاب كينيدي صفحة واحدة من الورق، فيها مسودة اتفاقية يطلب فيها من آل كينيدي أن يدفعوا نصف مليون دولار في مقابل إيصالهم إلى «بحث» عن «قرض متنكر بقناع ضعيف». وقال المحامي إن معلوماته «قد تؤثر على نتيجة الانتخاب». فردّ عليه كينيدي بقوله: «لا أدري إن كنا سنستخدم هذه أم لا»، ثم وضع الاتفاقية في جيبه ومضى. كان قرض هيوز، هدية الـ 205000 دولار التي قدمها المليونير هوارد هيوز قبل ذلك بأربع سنوات ـ إلى دونالد نيكسون في الظاهر، ولكن بتواطؤٍ من شقيقه ريتشارد ـ يوشك أن يطفو على السطح وينكشف.

ووصل خبر المقابلة في المطار إلى محامٍ ثانٍ يدعى جيمس ماكينيري، وهو من أصدقاء كينيدي المقربين، وشاء القدر أن يكون محامياً للمحاسب الذي عمل كوسيط للتغطية على تورط هيوز في ذلك القرض. ولعلها كانت مصادفة، ولعلها لم تكن، فقد كان قد وقع في يد ذلك المحاسب قبل وقت قصير، ملف ضخم كامل عن تلك القضية[17]. فوضعه تحت تصرف ماكينيري، الذي أوصله

(17) كان المحاسب، فيليب رينر قد اختير في سنة 1957 كرجل واجهة يمكن إخفاء الأصل الحقيقي للقرض وراء اسمه. وكان آنذاك يتقاسم مكاناً مكتبياً مع مؤسسة هيوز القانونية العائدة لجيمس آرديتو وفرانك ووترز. وبحلول سنة 1960 كانت شركة آرديتو ـ ووترز قد فسخت، وكان رينر وآرديتو =

إلى آل كيندي، الذين مرّروه بدورهم إلى صحيفة صديقه لهم هي **السانت لويس بوست ديسباتش**.

وتبعت ذلك مهزلة خطايا. فقد حدث أن مراسلاً لتلك الصحيفة كان يحقّق في تلك القصة في كاليفورنيا، فنسي محفظة تحتوي على وثائق عن ذلك القرض في استديو لأحد المصورين. وسرعان ما راح الناس يتداولون صوراً عن تلك الوثائق في جميع أنحاء المدينة. ووجدت المادة طريقها في آخر الأمر إلى مجلة **التايم**، التي عهدت إلى خمسة أشخاص بالبحث في القصة. كما عمل أتباع كيندي على التأكد من وصولها إلى أيدي المنتقم الدائم من نيكسون، دْرُو بيرسون.

وفي تلك الأثناء أصدر هوارد هيوز أوامره إلى رجله النخبوي المختار لمواجهة المصاعب، روبرت ماهيو، كي يهرع إلى المساعدة في إنقاذ نيكسون من «الحرج الهائل». وكان ماهيو قابعاً في فندق بيل إير، مع نسخة هيوز من السجلات، فظنّ أنه قد عثر على حلّ. فتوجّه إلى «زاوية التعاطف». فعرض على مراسلي صحيفة **البوست ديسباتش** أجزاء من الملف تظهر أن أمّ نيكسون قد رهنت كل ممتلكاتها الدنيوية كضمان للقرض. وقال إنه إذا تم طبع القصة فسوف يضطر هيوز إلى أخذ «جميع أصول تلك السيدة المسكينة».

ولم يتأثر محررو الصحيفة بهذه الحجة فقط، بل أقلقهم طبع مثل هذه المعلومات الحارقة في وقت متأخر من الحملة الانتخابية فترددوا. فلم ينشروا القصة. وكان من الممكن أن لا ينشروها لولا أن نيكسون نفسه أصيب بالذعر

= مشتبكين في خصام مرير. وفي آب / أغسطس 1960، حسب رواية رينر، نُقِلَت إلى منزله الوثائق الكاملة للقرض المُعْطى لدون نيكسون، مع ملفاتٍ أخرى، كان قد تركها وراءه في مكتب آرديتو. ولكن آرديتو بدوره أخبر الشرطة أن مكتبه قد تعرض للسرقة. وقد تكهنت أرملته في سنة 1996 أن رينر قد اختلس المواد ليبيعها إلى فريق كيندي. (صحيفة **ريبورتر**، عدد 16 آب / أغسطس، 1962؛ مقابلة مع: كلير آرديتو).

في وقت لاحق. واستذكر ماهيو أن «نيكسون قد اعتقد بسذاجة أنه يستطيع السيطرة على «تصاعد» القصة إذا كان هو الذي يطلقها». وهكذا قرّر ـ من جانب واحد، كما أكد مساعده الصحافي كلاين ـ أن يقدم روايةً مبتسرة متلاعباً بها للقرض إلى بيتر إِدْسُن، المراسل الصديق نفسه، الذي كان قد استخدمه قبل سنوات لاستباق الفضائح عن صندوق التمويل السري، الذي أقامه مؤيدو نيكسون الأغنياء.

واعترف إدسون فيما بعد: «لقد جعلوا مني مغفلاً». فقد كانت القصة التي سُرِّبت إليه مشوهة تشويهاً كاملاً، إذ لم يرد فيها أي ذكر لتورط هيوز في القرض، ولا لاسم ريتشارد نيكسون. فكان ذلك استفزازاً جعل دْرُو بيرسون يتجه إلى الصحافة بعد كل شيء. فَذَكَرَ اسمي الرجلين معاً. ثم ـ بينما كان نيكسون مصرّاً على إنكار التهم ـ اعترف أخوه دونالد بأن هيوز كان هو مصدر الأموال. وفي تلك الأثناء قال المحاسب المتورط في القضية، إن القرارات الكبرى الخاصة بترتيب القرض قد اتخذها ريتشارد نيكسون. وقد تكشف هذا كله في أول تشرين الثاني / نوفمبر، قبل ستة أيام فقط من موعد الانتخابات.

وقدر لنيكسون أن يخبر هالدمان وبيب ريبوزو أن الضجة التي أثارتها قصة هيوز هي في اعتقاده العامل الأكبر الذي أدى إلى هزيمته على يد جون كيندي. وكان روبرت كيندي يعتقد ذلك أيضاً. أما جون فيتز جيرالد كيندي فإنه في الأسابيع الختامية للحملة، تخلى عن كل تظاهر بمشاعر الصداقة نحو زميله القديم في الكونغرس. وقد سمعه كاتب الخطب ريتشارد غودوين يقول عن نيكسون: «إنه قذر، كذاب، ابن عاهرة، وشخص خطر جداً».

ولقد انطفأت فضيحة هيوز بسرعة تعادل سرعة اشتعالها. فلم يشعر جماعة كيندي إلاً بصعود قصير المدة في حظوظهم. وأعلن جورج غالوب، محلّل استطلاع الآراء الشهير، أن الجانبين متقاربان بحيث لا يمكن ترجيح كفة أحدهما، أو كما قالت مجلة **تايم** فإن التقارب بينهما يشبه المسافة بين صبيّ

وبين قمع البوظة في يده». وبعد خطوة أخيرة من السفر المرهق، والرحلة الدونكيشوتية إلى آلاسكا، عاد نيكسون في آخر الأمر إلى موطنه في وِيتِّيِرْ من أجل يوم الانتخاب.

وحالما أدلى بصوته مع بات، وابتسم لعدسات المصورين، تجنب المراسلين وهرع إلى الجنوب على الطريق المحاذي لساحل المحيط الهادي إلى المكسيك، حيث تناول شطيرة ملفوفة بالتوابل الحارة وزجاجة من البيرة في مدينة تيخوانا الحدودية. وقيل إنه صلّى في طريق العودة فيما سماه: «أحد الأماكن الكاثوليكية المفضلة لديَّ»، وهي كنيسة تبشيرية صغيرة في سان خوان كابيسترانو.

وفي ذلك المساء، جلس نيكسون في الجناح الملكي في فندق الآمباسادور في لوس آنجيلوس، ليتفرج على انتخابات حبست الأنفاس بغموض نتائجها حتى اللحظة الأخيرة. فعزل نفسه أمام جهاز التلفزيون، وقبل زيارات متفرقة من بات، وابنتيه، وعدد قليل من شركائه المقربين، منهم موراي تشوتينر وريبوزو.

وبحلول الساعة الحادية عشرة مساءً بتوقيت كاليفورنيا، أخذ نيكسون يعتبر حظه في الفوز «بعيداً». وفي الحادية عشرة والنصف أخذ يستعد للإدلاء بتصريح. فقال لابنته تريشيا: «أخشى أننا قد خسرنا يا عزيزتي». وفي الثانية عشرة والربع، أمام عدسات المصورين في غرفة النوم في الفندق، أعلن لمؤيديه أنه «إذا استمر الاتجاه الحالي»، فإن كينيدي سيفوز. فلم يعترف بالهزيمة علناً وشفوياً[18].

وشاهد ملايين المتفرجين بات واقفة إلى جانب نيكسون وهو يتكلم،

(18) عَبَّرَ نيكسون عن اعترافه بالهزيمة في برقية إلى كينيدي في اليوم التالي. (نيكسون: **ست أزمات**، مصدر سبق ذكره، ص 398).

بينما هي تكافح لتمنع نفسها من البكاء. ثم انهارت وفاضت دموعها على وجهها. وحالما ابتعدا عن مجال عدسات التصوير، أسرعت مبتعدة عن زوجها نحو غرفة نومها الخصوصية المنفصلة. واستذكرت ويلما، زوجة جيم باسيت بعد ذلك بوقت قصير، أنها بينما كانت تمشي على طول القاعة، انفتح باب غرفة بات فجأة «وامتدت يدٌ نحيلة بادية العظام وسحبتني إلى الداخل». كانت بات تنتحب وهي تقول: «الآن، لن يتسنّى لي أن أكون السيدة الأولى». لم تكن قد أرادت أن يخوض زوجها تلك الانتخابات، ولكنها كانت بادية الذهول والاضطراب إزاء مشهد الهزيمة. وفي تلك الأثناء، كان نيكسون يتجول في الممرات حتى الهزيع الأخير من الليل. كان ما يزال هناك فرصة لفوزه.

وعندما جاءت النتيجة، كانت أرقامها شديدة التقارب إلى درجة أنه لم يستطع أي شخص أن يتحملها باتزان أو رباطة جأش. فقد صار كيندي رئيساً بـ49,71 بالمئة من الأصوات الشعبية في مقابل 49,55 بالمئة لمصلحة نيكسون. فقد حصل كيندي على 303 أصوات انتخابية، مقابل 219 صوتاً انتخابياً لنيكسون. فإذا ترجمت هذه إلى أرقام فإن كيندي يكون قد فاز بهامش ضئيل لم يتعدَّ 113057 صوتاً من مجموع يقارب 69 مليون شخص شاركوا في الاقتراع. ولو أن 28000 مقترع من تكساس صوتوا بطريقة مختلفة، مع 4500 مقترع في إيلينوي، لأحدثوا تغييراً في الأصوات الانتخابية لمصلحة نيكسون، بما يكفي لانتخابه رئيساً[19].

وثار على الفور تشكيك بحدوث غش في عملية الانتخاب. وركّز المتشككون في النتائج على ولاية إيلينوي، التي كانت من أواخر الولايات في ظهور نتائجها. فقد كان تحول 4480 صوتاً فقط من نيكسون إلى كيندي هناك،

(19) للاطلاع على أفضل تحليل للأرقام، انظر الملحق «أَلِف» في كتاب تيودور وايت: **صناعة الرئيس**: 1960.

كفيلاً بحرمان الرجلين معاً من أية أغلبية انتخابية، وإلقاء مسؤولية البتّ في هوية المنتصر منهما على كاهل مجلس النواب[20]. وجاءت من إيلينوي شائعات بأن بعض المقترعين الشرعيين قد حرموا من التصويت، وعن وجود أصوات بأسماء مقترعين وهميين لا وجود لهم، وعن وجود تلاعب في فرز الأصوات وتعدادها، وحتى صور فوتوغرافية لمقترعين تُدَسُّ الأموالُ في أيديهم بعد التصويت. أما دالي، عمدة شيكاغو، النموذج الأصيل لسمسار السلطة وتجارة النفوذ، فكان قد قال لكينيدي: «بشيء قليل من الحظ، وبمساعدة حفنة من الأصدقاء المقربين، فإنك ستفوز بآيلينوي» وجاءت مكالمته الهاتفية هذه بينما كانت الأصوات تتأرجح في الميزان.

وكما هو موثق إلى الأبد، في دراسة ريتشارد ماهوني المتقنة في سنة 1999 لآل كينيدي تحت عنوان **أبناء وإخوة،** فإن أولئك «الأصدقاء» كانوا رجال المافيا المحليين. وقدر لزعيمهم جيانكانا أن يتبجّح فيما بعد بقوله: «لولاي لما وصل كينيدي إلى البيت الأبيض». وبينما كان هذا التفاخر منتفخاً أكثر مما ينبغي، فإن شقيق زعيم المافيا، تشاك، استذكر كيف أن «رجال المافيا وقفوا بطريقة تهديدية إلى جانب صناديق الاقتراع، حيث أوضحوا للمقترعين المحتملين أنهم يريدون أن تنصَبّ الأصوات لمصلحة كينيدي كلها. . . وقد كسرت كثير من الأذرع والسيقان قبل إغلاق الصناديق». وزعم مايكي كوهين، الذي كانت له ارتباطات بمافيا شيكاغو: «أعرف أن أناساً معيّنين في منظمة شيكاغو كانوا يعلمون أنه يتعين عليهم إنجاح كينيدي». ولقد تمت سرقة منصب الرئاسة في شيكاغو في الحقيقة وبدون أي شك، على يد جهاز الحزب الديموقراطي». وحتى روبرت بلاكي، أستاذ القانون في نوتردام، الذي عمل

(20) كانت هناك أيضاً ادعاءات بالغش في أصوات الاقتراع في تكساس. وإنَّ تغيراً في 4491 صوتاً فقط في ميزوري، أو تغيرات طفيفة في تعدادها في نيومكسيكو وهاواي ونيفادا كان يمكن أن تؤدي إلى تغيير النتيجة. وللاطلاع على دراسة للتغيرات المحتملة، انظر ويكر، مصدر سبق ذكره، ص 251 وما يليها).

ذات مرة في وزارة عدل حكومة كيندي استعمل كلمة «السرقة» لوصف النصر الديموقراطي في إيلينوي.

غير أن الوضع لم يكن مائلاً إلى جانب واحد دون سواه. فلعل الجمهوريين أيضاً قد غشّوا في الانتخابات، ولو لم يؤدّ غشّهم إلى نتائج سعيدة كالتي حققها غش الديمقراطيين. وبعد سنوات من ذلك الحين، كتب توم ويكر في **النيويورك تايمز**: «ليست القضية في كون نتيجة الانتخابات قد سُرِقَتْ من نيكسون، بل في أنها **ربما** تكون قد سُرِقَتْ، ما دامت الأرقام متقاربة إلى هذا الحدّ. ولقد كان لدى الجمهوريين أسباب وجيهة كثيرة تجعلهم يعتقدون أنها قد سُرِقت **فعلاً**».

وعلى مدى أيام قلقة عديدة، خشي الديموقراطيون أن يطعن نيكسون بالنتائج. ولكنه لم يفعل. وزعم فيما بعد أنه قد اختار أن لا يفعل لأنه «لم يكن يستطيع أن يعرّض البلد لمثل هذا الوضع» ورغم أن البعض قد اعتبر هذه الحالة هي «أحرج ساعة» في حياة نيكسون، فقد زعم صديقه رالف دي توليدانو أن العكس هو الصحيح، إذْ قال: «كان نيكسون يشعر بالمرارة. وقد ناقشت الأمر معه... وكان هو الذي ضغط مصرّاً على إجراء تحقيق، فكان آيزنهاور هو الذي قال: «كلاّ. إن ذلك سيمزق البلاد»، وفي ذلك الحين ثارت ثائرة نيكسون ومَنْ حوله تماماً على آيزنهاور». وقال توليدانو إن انتحال نيكسون لنفسه فضلَ الامتناع عن تحدي فوز كيندي، كان «أول مرة أضبط فيها نيكسون متلبساً بما يمكن أن تسميه كذبة».

ولقد قَبِلَ نيكسون، في مجالسه الخاصة، أن كيندي قد هزمه. وفي سن الثمانين، شرع يقول: «لقد خسرت»، ثم سارع يضيف: «حسناً، لم أخسر في الحقيقة... فقد كان كل من حولي، بمن فيهم السيدة نيكسون، يعتقدون أن نتيجة الانتخابات قد سرقت، وأنّ عليّ أن أطالب بإعادة تعداد الأصوات». وفي الوقت نفسه كان نيكسون مشتّتاً ممزّقاً، واستذكر مدير حملته لين هول أنه «شرع

ينتحب فلم يستطع أن يتوقف. . . فاضطررنا إلى سحبه إلى خارج الغرفة». وبعد أيام، في فلوريدا، كان هيرب كلاين يعتقد أن رئيسه «مصاب باكتئاب تام. . . إلى درجة أنه كان يجد صعوبة في حمل نفسه على الكلام».

وارتفعت معنوياته إلى حدٍّ ما عندما جاء كينيدي بطائرة مروحية إلى بالم بيتش لرؤيته، بناء على تحريض أبيه الذي اقترح عليه أن يصلح علاقاته مع الناس باسم الوحدة الوطنية. وقد زعم نيكسون فيما بعد، أن كينيدي قد عرض عليه منصباً في الخارج ولكنه رفض ذلك. غير أن كينيدي قد أنكر هذه القصة. وفي المجالس الخصوصية لم يزد الرئيس المنتخب على أن هزّ رأسه وقال: «لقد كان من حسن حظنا أنه فشل». وقال لأحد أصدقائه القدامى: «لو لم أفعل شيئاً لهذا البلد، لكان يكفي أنني قد أنقذته من دِكْ نيكسون».

وبالنسبة لنيكسون، كانت تلك بداية مشاعر سخط ظلت تغلي في نفسه طوال حياته. وقيض له أن يكتب: «كانت لدي حكمة وحذر مَنْ احترق بسلطة آل كينيدي وأموالهم. . . فأقسمت أن لا أخوض أية انتخابات مرة أخرى وأنا محروم من أية ميزة، بكوني مكشوفاً وعرضة للعطب على أيديهم ـ أو على يد أي شخص آخر ـ على مستوى التكتيكات السياسية».

غير أنّ أحد مساعديه لفترة طويلة كان له رأي مختلف: «لم يخسر دِكْ تلك الانتخابات». . . بل «إن دِكْ قد نسف فرصة الفوز» كما قال ذلك المساعد لثيودور وايت، شريطة إبقاء كلامه هذا خارج نطاق السجلات. وقال آخر متأملاً: «لعل دِكْ لم يكن أبداً مخلوقاً ليصبح زعيماً منذ البداية أصلاً».

وقبل سنتين من انتخابات سنة 1960، كانت المؤلفة مارغريت هالسي قد كتبت مقالة فيها نبوءة غريبة في مجلة **النيوريبابليك** تتطلع فيها إلى اليوم الذي قد يصبح فيه نيكسون رئيساً، وفي تلك الحالة، كما قالت: «سيقوم كثير من الناس بصورة آلية بتطوير نوع من الأخلاق الانتقائية. فيكون لديهم مجموعة قيم أخلاقية ـ هي التي تعلموها كأطفال واعتادوا عليها طيلة حياتهم ـ يستخدمونها

للحكم على أنفسهم وأصدقائهم. وتكون لديهم مجموعة أخرى، ذات مستوى أقلّ بكثير، للحكم على رئيس الولايات المتحدة».

بعد وقت قصير من ووترغيت، التقى تشارلس كولسون بمساعد كيندي السابق كينيث أودونيل مصادفة في أحد المطارات، فسأله أودونيل: «كيف كنت تطيق العمل من أجل نيكسون على الإطلاق؟ إن جون فيتز جيرالد كيندي لم يكن يثق أبداً بقواه العقلية». وحسب رأي بنيامين برادلي، المحرر السابق **للواشنطن بوست**، فإن كيندي راح يعتبر نيكسون «مريضاً» و«مختلّ العقل» وعندما كان يتحدث عنه بطريقة أقل خشونة، كان يقول إنه يعتقد أن خصمه السابق «لم يكن يعلم من هو».

ولعل تعليقات كيندي كانت تقوم على أساس أكثر من الملاحظة الشخصية، إذ إن استخدام نيكسون للمعالج النفسي النيويوركي الدكتور هتشنيكر كاد ينكشف سنة 1960. فقد أخبر جوزيف كيندي صديقةً له أن جماعته لديهم «ملف كامل» عن هذه القضية. وكان فرانك سيناترا على اتصال بكيندي الكبير، ويشن الحملات الانتخابية لمصلحة ولده. فحاول أن يبثّ دعاية علنية لتقرير محقّق خاص يكشف كون نيكسون مريضاً من مرضى هتشنيكر. وقد أشار والتر وينشيل، كاتب عمود الشائعات، إلى شيء من هذا القبيل من طرف خفيّ. وقبل الانتخابات بيومين، بينما كان الطبيب جالساً في بيته مع زوجته، تلقى مكالمة هاتفية من مراسلٍ لوكالة الأسّوشييتد بريس، أراد أن يعرف إن كان نيكسون «بصحة جيدة». فتخلص منه هتشنيكر.

وكان الذين يلاحظون نيكسون في تلك السنة قلقين حول قدرته على مواجهة الضغط. فقد كتب ثيودور وايت: «كان نقص وجود تركيب فكري شامل، ورؤية شخصية للعالم ينبغي أن يملكهما رجال الدولة الكبار، هو الذي يفسر كثيراً من تلك الحالات التي انهار فيها نيكسون تحت الضغط». وقالت والدته نفسها: «إن الرئاسة بالطبع مسؤولية عظمى، إلى درجة أنني كثيراً ما

أتساءل عما إذا كان باستطاعة أي رجل أن يصمد ويبقى تحت ضغط ذلك المنصب. غير أنني أثق بريتشارد. . . ».

ولقد وجد نيكسون يوم تدشين رئاسة كيندي في كانون الثاني / يناير سنة 1961 «واحداً من أصعب أيام حياتي». فجلس حتى انتهت خطبة خصمه السابق، ثم ذهب إلى بيته. وفي تلك الليلة، مع علمه أن باستطاعته استخدام الليموزين الرسمية بضع ساعات فقط، طلب من سائقه أن يأخذه في جولة أخيرة حول واشنطن. ولم يعد لديه مرافقة من الشرطة السرية. وعندما أراد أن يدخل إلى مكتبه في مجلس الشيوخ كي يلقي من نافذته نظرة أخيرة على المتنزه الظليل وجده مغلقاً. كان نفوذ منصب نائب الرئيس وسلطته ـ مهما كان نوعهما ـ قد أخذا في التلاشي.

واستذكر نيكسون: «فتحت الباب، وخرجت إلى الشرفة المطلة على الباحة الغربية لمبنى الكابيتول. . . فلم تظهر لي بمثل الجمال الذي بَدَتْ عليه في هذه اللحظة أبداً. وظهر النصب التذكاري لواشنطن عاري الوضوح وخلفه السماء المضيئة الرمادية، واستطعت أن أرى في المدى البعيد تمثال لينكولن. . . وفكرت في التجارب الكبرى طيلة الأعوام الأربعة عشر الماضية. وها قد انتهى ذلك كله الآن. . . ».

ثم أوصلته السيارة إلى بيته عَبْرَ شوارعَ يكسوها الثلج، ويخنقها زحام السيارات الحاملة ضيوفاً متجهين إلى الحفلات التدشينية المقامة للترحيب بانتصار رجل آخر، الانتصار الذي كان نيكسون يعتقد أنه ينبغي أن يكون هو صاحبه.

وفي اليوم الأخير من المنافسة، بينما كان جون كيندي على متن طائرةِ حَمْلَتِهِ، سأله أحد الصحافيين كيف سيتحمل وقع نبأ خسارته للانتخابات، فردّ عليه: «أقول لك شيئاً واحداً. لن يكون الوقع عليَّ كشدة وقع الخسارة على

نيكسون» . كان كينيدي يعتقد أن الخسارة ستكون «ضربة رهيبة» لنيكسون، لأنه ليس لديه الكثير من «الطاقات الداخلية» .

وحتى قبل بدء الحملة، قام مراقب أكثر تعاطفاً مع نيكسون بوزن هذا الاحتمال. وكان ذلك المراقب هو ويتاكر تشيمبرز، الذي كتب في رسالة إلى صديق له: «إفترض أن فرصة الفوز قد فاتته. إنني لا أستطيع أن أتصور ما الذي ستفعله به الهزيمة» .

19

إنه لا يستطيع أن يتمالك نفسه. بل يجب أن تكون لديه حملة عنيفة...
وهكذا قلت لكلبنا تشيكرز هذا الصباح: «حسناً يا تشيكرز.
ها نحن أولاء ننطلق ثانية. فأنا مرة أخرى زوجة مرشح،
وفخورة بكوني كذلك».

بات، سنة 1962، قبل بضعة أسابيع
من ضرب زوجها إياها ضرباً مبرحاً، كما قيل.

كانت الأضرار الناجمة عن خسارة نيكسون للانتخابات الرئاسية سنة 1960 تتجاوز النطاق السياسي. وفي سنة 1961 حصل الصحافيون الباحثون عن قصة ذات اهتمام إنساني على أكثر ممّا كانوا يتوقعون. ففي يوم تحميل الأثاث بالشاحنات استعداداً لعودة الأسرة إلى كاليفورنيا، هرعت بات خارجة من البيت على حين غرة. «كانت تصرخ كالجنيّة»، كما استذكر توم كيلي، مراسل الصحيفة الواشنطنيّة **الديلي نيوز**، وأضاف: «كانت فاقدة السيطرة تماماً؛ وشعرها مشعث، وجهها محمرّ، وعيناها متوحشتان».

واكتشف كيلي وزميل له من وكالة أسوشييتد بريس بسرعة أنهما كانا هدف اهتياج بات. فقد وقفت تلعنهما، وتزعم أن الصحافة المعادية قد سبّبت هزيمة زوجها، حتى ظهر نيكسون نفسه. وقال كيلي: «لقد انفجرت في التوّ واللحظة. واضطر نيكسون إلى سحبها إلى داخل البيت وهو يعتذر لنا بلا توقف...».

كانت هذه بات كما لم يرها الجمهور على الإطلاق. بات الشاعرة بمرارة

تجربة السنة المنصرمة. وحتى قبل الحملة كانت قد قالت: «لقد تخليت عن كل شيء أحبه» وكانت تشير إلى فقدان الحرية الشخصية والخصوصية الحميمة للحياة العائلية، واستذكرت ابنتها جولي فيما بعد: «لقد كان وقع الهزيمة على أمّي أشدّ منه حتى على أبي». وبعد سنوات كانت بات ما تزال تصرّ: «لقد فزنا في سنة 1960. ولكن الانتخابات سُرِقَت منا».

وقالت جولي إن الأشهر التالية كانت «نقطة تحول في موقف أمّي إزاء السياسة. لقد خيّبت سنة 1960 أملها وشتّتت أوهامها بطريقة لا رجعة فيها». ولكن ما لم تكشف عنه جولي هو ما لاحظه مقربون آخرون: وهو أن كثيراً من هياج بات كان موجهاً ضد زوجها، الزوج الذي تجاهل مناشداتها له بترك السياسة. فحتى عندما كان نيكسون في المستشفى بعد إصابة ركبته، لم يندّ عن بات شيء يشير إلى أي تعاطف معه. ولاحظ جيم باسيت في رسالة له إلى أهل بيته أن «بات، التي تظن أن دِكْ يمضي وقتاً رائع المرح في المستشفى، تمرّ بواحدة من «أزماتها» المزاجية... ولن يصدّق ذلك أي شخص آخر في الولايات المتحدة. أليس كذلك؟

وفي أوائل سنة 1961، وقبل مغادرة العاصمة، أخذ الزوجان عطلة في جزر البهاما، كانا قد خططا لاستمرارها شهراً، ولكن نيكسون قطعها بعد أسبوعين. واستذكر: «صار الكلام السطحي الضحل، وانعدام الاهتمام بمواضيع ذات أهمية، مدعاة لإصابتي بالسأم أكثر فأكثر... فلم أكد أتحمل الانتظار قبل العودة إلى العمل».

وأمضت بات وابنتاها الأشهر الستة التالية في واشنطن «في موطن الإهمال» على حد وصفها، بينما بدأ نيكسون عمله مع مؤسسة قانونية في لوس أنجيلوس. واستذكر أنه قد استأجر «شقة عازب صغيرة». كي يكون «وحده»، حيث تَعَلَّمَ أن يهيِّئ لنفسه عشاءات تلفزيونية ـ دون أن يذكر أنها كانت في عنوان خاص في مكان باذخ نخبويّ في مقابل فندق الآمباسادور.

وعندما وصل باقي أفراد العائلة إلى كاليفورنيا، سكنوا بادئ الأمر في دارة مستعارة، ثم في بيت بنوه في بيل إير. وكان هذا البيت الجديد يطل على منظر عام للمدينة، وفيه أربع غرف نوم، ومكتبة، وجناح للضيوف وللخدم، وبركة سباحة، وحمام لكلّ يوم من أيام الأسبوع. وكان من بين الجيران الجدد لآل نيكسون: غروتشو ماركس [الممثل الهزلي الشهير، 1890 ـ 1977]، ودينا شور، والممثل سيزار روميرو.

وكان الأكثر إثارةً للاهتمام من البيت نفسه، هو خلفيّة كلفة العقار وملكيته. كان السعر النظامي المدوّن للبيت وقطعة الأرض 104250 دولاراً، أي نحو ستمئة ألف دولار بمعدل أسعار هذه الأيام، ولكن نيكسون لم يدفع سوى خمسة وثلاثين ألف دولار، لأنه كان ـ حسبما أوضح الوكيل العقاري ـ «شخصية شهيرة ستزيد المبيعات».

وكانت منطقة التطوير التي يقع فيها العقار من أملاك قطب النفط التكساسي كلينت مورتشيسون، أحد المتبرعين للحملات الانتخابية، وكان قد أمضى زمناً طويلاً في التقرب إلى نيكسون بالهدايا، واستضافته في دارته الباذخة المنعزلة في جنوب لوس آنجيلوس. وكان مورتشيسون قد اشترى ذلك العقار بتمويل من صندوق تقاعد اتحاد سائقي الشاحنات، وسرعان ما صارت تلك الصفقة موضوع تحقيق جنائي. وقبل بضعة أشهر فقط من شراء نيكسون البيت بالطبع، كان زعيم الاتحاد المذكور، هوفا، هو الرسول الذي حمل من المافيا تبرعاً ضخماً لصندوق حملة نيكسون.

وقُدِّر لنيكسون بعد ذلك أن يقول لتشارلس كولسون: «بعد ثماني سنوات في واشنطن، غادرت البيت الأبيض وفي حساب ادخاري 38000 دولار ومعي سيارة أولدْزموبيل عمرها أربع سنوات. فلا ترتكب مثل تلك الغلطة». فإذا كان هذا الحساب صحيحاً، فإن نيكسون قد حسّن وضعه المالي بسرعة. ففي سنة 1946، كان إيرل آدامز، أحد كبار الشركاء في مؤسسة قانونية ممتازة في لوس

آنجيلوس، وأحد مؤيديه الأصليين، قد ضمن له وظيفة إذا فشل في الحصول على مقعد في الكونغرس. أما وقد فشل نيكسون في الحصول على ألمع جائزة سياسية، فقد وفى له آدامز بوعده، وأعطاه منصباً راتبه مئة ألف دولار في السنة، مع نسبة مئوية كبيرة من أي عمل تجاري يأتي به للمؤسسة، وكان له كذلك دخل من كتابة العقود. فكانت قيمة ما حصل عليه من العقد الأول وحده خمسين ألف دولار.

وكانت هذه الأموال ثروة حقاً في سنة 1961. وبعد اثني عشر شهراً وتوظيفه لكبير خَدَم يدعى ريڤز ـ وهو لقب قريب اللفظ من كلمة Jeeves التعجّبية ـ في المنزل، وبعد أن اشترى سيارة ذات سقف متحرك لتنقله في تحركاته بلوس آنجيلوس، استطاع نيكسون أن يقدم لعائلته أخباراً أفضل من ذلك كله. كان قد كسب 350000 دولار في تلك السنة، أي ما يعادل مليوني دولار اليوم، أي أكثر من مجموع دخله طيلة عمله كسياسي منذ سنة 1946. فكان رد فعل بات أن رفعت ذراعيها إلى الأعلى وهتفت: «هِلّلويا!».

كان كل شيء على السطح يبدو على ما يرام بالنسبة لآل نيكسون، في أواخر صيف سنة 1961. وقال الأصدقاء إنهم لم يروا بات مرتاحة وسعيدة في الظاهر كما بدت لهم آنئذٍ. غير أن صديقة مقربة هي الكاتبة آديلا روجرز سانت جون، التي كانت زمناً طويلاً موضع ثقة الزوجين، سمعت ـ من غير قصد ـ مشاجرة حارقة بينهما. فسمعت بات تهدد نيكسون: «إذا رشحتَ نفسك لمنصب [سياسي] مرة أخرى، فسوف أقتل نفسي».

وبما أن سانت جونز ظلت مقربة من العائلة سنوات، فقد كان التهديد يبدو حقيقياً من وجهة نظرها. ومع ذلك فإن الترشيح لمنصب سياسي كان هو ما ينويه نيكسون بالضبط[1].

---

(1) كانت سانت جونز تعرف نيكسون منذ طفولته. وقد وصفها في سنة 1962 بأنها كانت صديقة ومستشارة مقربة منذ سنة 1947. (انظر ص 321، ونيكسون، **ست أزمات**، مصدر سبق ذكره، ص XI).

لم يترك نيكسون السياسة في الحقيقة أبداً. ولم تتركه السياسة وشأنه. ففي غضون أربع وعشرين ساعة من مغادرة منصب نائب الرئيس، عندما اتجه في إجازة إلى جزر البهاما، كان مضيفاه: مساعد سابق لوزير الدفاع، وأحد أقطاب تجارة الأملاك العقارية. وقد سمّاها نيكسون في مذكراته: بيركينز ماكغواير وليندساي هوبكنز، دون أن يُعَرِّفهما على وجه التحديد. والواقع أن ماكغواير كان يملك شركة النقل الجوي الجنوبية، وهي «خط طيران الأشباح»، إذ إنها ظلت شهوراً تنقل بعثات وكالة المخابرات المركزية في الحرب السرية ضد كاسترو، بينما كان هوبكنز مدير مشاريع زنيث التقنيّة، الشركة الدمية الرئيسية التي كانت تقدم غطاء لعملية وكالة المخابرات المركزية الكثيفة المعادية لكاسترو في فلوريدا.

وبعد ذلك بأشهر ثلاثة، وعلى مائدة شراب في منزل نيكسون بواشنطن، أخبره آلن دالاس في ذهول واضطراب أن مشروع كوبا على وشك الانتهاء بكارثة في خليج الخنازير. وفي اليوم التالي، تركت ابنة نيكسون، تريشيا، وكانت عندئذ في الخامسة عشرة، رسالة إلى جانب الهاتف في الصالون: «اتصل بك ج. ف. ك. [جون فيتز جيرالد كيندي] لقد عرفت! لن يطول به الوقت حتى يقع في متاعب ويستنجد بك لمساعدته».

وليس لدينا سوى رواية نيكسون عمّا دار بين الرجلين عندما ناقشا كوبا في المكتب البيضاوي فيما بعد. ويذكر كاتب لسيرة حياة نيكسون، شاهد دفتر ملاحظاته التي دونها نيكسون في ذلك الوقت، أنه قد كتب على رأس الصفحة أن كيندي قد «نطق (الكلمة الدالّة على النجاسة المغلظة) ست مرات!» كان الرئيس ثائراً على ما اعتبره تأكيدات وتطمينات لا فائدة منها، كانت قد قدمت له حول الغزو، فأطلق على تلك العملية الفاشلة «أسوأ تجربة في حياتي».

ولا تذكر رواية نيكسون المنشورة القضايا التي لا بدّ أنه قد تم البحث فيها، بما في ذلك الأنشطة السياسية للمنفيين الكوبيين التي كان نيكسون

يتعاطاها، وأنشطة وكالة المخابرات المركزية التي كان مطلعاً على أسرارها. وأقل من هذا كله، لم يذكر المؤامرات لقتل كاسترو، التي ربما كان الرجلان معاً، عارفين بها.

وبعد مغادرة البيت الأبيض، أجرى نيكسون مكالمات هاتفية عديدة مع زملائه الجمهوريين يرجوهم فيها، بل يهددهم، أن لا يهاجموا كينيدي حول عملية خليج الخنازير. وليس من المحتمل أنه قد فعل ذلك في غمرة نوبة من مشاعر الزمالة، بل إنه كان يعلم جيداً أن الفضح الكامل للقرارات السيِّئة، والمغامرات الفاشلة، والمؤامرات التي أدت إلى خليج الخنازير، سوف تشير إلى أن لها أصولاً بدأت في عهد الإدارة السابقة، وأن نيكسون كان متورطاً فيها.

غير أنه مهما كانت المخاطر المحتملة، فإن نيكسون سرعان ما وجد فرصة لانتقاد سياسة كينيدي إزاء كوبا. فعلى المدى القصير، اكتفى بالتصريح علناً بأن الولايات المتحدة «ينبغي أن لا تبادر إلى البدء بشيء في العالم إلاَّ إذا كنّا على استعداد لإنهائه». ثم تحول بعد ذلك إلى القول بأن «جاك عالج القضية الكوبية بطريقة سيئة». أما في مذكراته، فقد أصرّ على أن كينيدي هو الذي «حكم على العملية بالفشل المحتوم» بحجبه المساعدة الجوية عنها. وحتى غاية سنة 1992 استمر يهاجم الرئيس الميت حول الموضوع بطريقة غريبة لا تفسير لها. فقد تساءل: «هل تعتقد أنه طرح خطة خليج الخنازير أمام الكونغرس؟ أو خططه لإسقاط كاسترو؟ لقد كانت هناك أموال تداولتها الأيدي في هذا الأمر، فلا تخدع نفسك».

وبعد موت آيزنهاور، انهال عليه نيكسون باللوم كذلك. فقد قيل إنه أخبر كيسنجر في مذكرة سنة 1970، أن آيزنهاور «ترك كوبا تتسرّب لتضيع في قنوات المجاري». وقدر له أن يذكر بعد ذلك بستّ سنوات، إنه كان سيستخدم أية قوة

ضرورية للفوز «ربما في الشهر الأخير من سنة 1960. . . لقد كنت متشدداً تجاه كوبا وأردت الشروع في العملية بلا تأخير».

وكانت الطريقة الوحيدة لتقديم «القوة الضرورية للفوز» هي القيام بغزو أمريكي شامل واسع النطاق ـ ربما باستخدام نحو ستين ألف جندي ـ وكان يتعين إجراء تخطيط مسبق لمثل هذه العملية، كان يجب البدء به قبل ذلك بأسابيع كثيرة[2]. ولأسباب سياسية كثيرة يبدو أن هذا الخيار قد رُفِضَ، وربما كان نيكسون هو الوحيد الذي لم يرفضه. فقد استذكر فيما بعد أنه قال لكينيدي بعد خليج الخنازير، أنه لو كان رئيساً لوجد «تبريراً قانونياً مناسباً» ـ أي ذريعة ـ لمهاجمة كوبا. فردّ عليه كينيدي إنه لا يستطيع استفزاز الاتحاد السوڤييتي بمثل هذا العمل.

وقيل بأن الانتقاد لكيفية إدارة كينيدي لخليج الخنازير كان قوياً على نحو خاص في أوساط وكالة المخابرات المركزية. وإذن، فإنّ مما يفتح العين والذهن على أشياء كثيرة أن يكتشف المرء أن الرجل الذي ترأس تحضيرات الوكالة، وترأس فريق العمل في كوبا، وهو جاكوب إسترلاين، لم يوجه لوماً على الفشل إلى كينيدي، بقدر ما وجهه ضد ريتشارد نيكسون.

فقد قال إسترلاين سنة 1975 في مقابلة مسجلة على شريط من أجل الاستخدام الداخلي لتاريخ الأحداث في وكالة المخابرات المركزية خلف أبواب

---

(2) لم يزد عدد أفراد القوة التي جمعتها وكالة المخابرات المركزية من المنفيين الكوبيين بحلول نيسان / إبريل 1961 على ألف وأربعمئة رجل كي تغزو بهم خليج الخنازير على غرار عملية إنزال مشاة ـ في مواجهة جيش كاسترو المؤلف من اثنين وثلاثين ألفاً، يضاف إليهم مئتا ألف من رجال الميليشيات غير النظامية. وفي منتصف كانون الأول / ديسمبر 1960 لم يكن عدد أولئك المجندين المنفيين يزيد على خمسمئة. وكان قرار التحول من التدريب على حرب العصابات إلى غزو للمشاة قد اتُخِذ قبل ذلك بشهر واحد فقط (قوة المنفيين في نيسان / إبريل 1961، كورنبلوه كمحرر: **خليج الخنازير**، مصدر سبق ذكره، ص 277؛ قوات كاسترو: تورنبول هيغينز، **الفشل الكامل**، طبع نيويورك: نورتون، 1987، ص 70؛ منتصف كانون الأول / ديسمبر 1960: وايدن، مصدر سبق ذكره، ص 55؛ قرار التحول: كورنبلوه كمحرر، **خليج الخنازير**، ص 277).

مغلقة: «إن من الخطأ التشفي بجون كيندي أكثر من اللازم». وفي ذلك الوقت، وكذلك في مقابلة معه سنة 1998، قام رئيس فريق العمل في كوبا سابقاً بتخطئة نيكسون، لأنه وضع الدوافع السياسية الأنانية قبل الأولويات العملية. وأوضح إسترلاين «لقد نزلت المعلومات إلينا عن طريق دالاس» بأن نيكسون كان هو الذي «ألغى الجدول الزمني». ففي الأسابيع التي سبقت انتخابات نيكسون ـ كيندي (التي جرت في تشرين الثاني / نوفمبر 1960)، كان مدربو وكالة المخابرات المركزية ما يزالون يعملون على تسريب فرق من المغاوير إلى منطقة في كوبا يحتمل أن يتلقوا فيها دعماً شعبياً قوياً، وحيث كان من المأمول أن يتمكنوا من البدء في قاعدة تصعد منها موجة ثورة مضادة تطيح بنظام كاسترو.

وقال إسترلاين: «وكان من الممكن أن تفشل الخطة، ولكنها ما كانت ستصير كارثة كبرى. بل كانت ستصبح شيئاً صغيراً آخر. . . ولكن قيل لي إن نيكسون قد فكّر هكذا: «حسناً، إن من الأفضل أن ينتظروا إلى الانتخابات قبل أن يقوموا بعمل من هذا القبيل». . . ولعل نيكسون قد اعتقد أن القيام بذلك العمل ـ وخاصة إذا لم ينجح ـ سيجعل الغبار الناجم عنه والمتساقط منه يترك أثراً سلبياً على آماله الرئاسية. . . ثم بعد أن خسر الانتخابات، فقد شعروا بأنهم لم يعودوا يعرفون إن كانوا يريدون ذلك العمل أم لا. فكانت النتيجة في النهاية، أنه ظل يتصاعد ويتحول إلى كوابيس أصبحت خليجَ الخنازير، التي دفنوها عندئذٍ في حجر كيندي واعتبروه المسؤول عنها[3].

(3) في سرد تاريخي صادر سنة 1998 بناء على آخر الوثائق المفرج عنها، فإن العمل المدعوم أمريكياً ضد كوبا قد تطوَّر على النحو التالي في القسم الأخير من سنة 1960: بدأ الحديث عن التحول من خطط حرب العصابات إلى عملية برمائية محتملة في أواخر الصيف، عندما ظهرت أيضاً أولى المؤامرات الموثقة المشتركة بين وكالة المخابرات المركزية والمافيا لقتل كاسترو. فهناك برقية من مقر قيادة الوكالة إلى الميدان تصف لأول مرة خطة لإنزال ألف وخمسمئة رجل في عملية غزو، مؤرَّخة في 31 تشرين الأول / أكتوبر. وتبع ذلك بعد أربعة أيام أمر بتغيير عمليات التدريب لتنسجم مع المفهوم الجديد. وتم إبلاغ التغيير لمجموعة آيزنهاور الخاصة في 8 ـ 9 تشرين الثاني / نوفمبر، الذي تصادف أنه =

وظل نيكسون يشكو في شيخوخته الحاقدة: «بالطبع لم يقم أحد بمساءلة الرئيس كيندي» عن خليج الخنازير. كما لم يقم أحد بمساءلة نيكسون نفسه

= يوم الانتخابات. وتم إبلاغ كيندي باعتباره رئيساً منتخباً. وتولى عملية الإبلاغ مدير وكالة المخابرات المركزية آلن دالاس ونائبه بيسل، في 18 تشرين الثاني / نوفمبر، وكذلك الرئيس آيزنهاور المنتهية ولايته، في 6 كانون الأول / ديسمبر. وتم تكثيف التدريب وتصعيده في كانون الثاني / يناير 1961 تمهيداً للغزو المقترح، في الأسابيع التي سبقت تدشين عهد كيندي.

وقد ثار غضب نيكسون، عندما قام كيندي، قبل الانتخابات بأسابيع، بمهاجمة الإدارة الجمهورية مراراً لتقديمها دعماً غير كاف للمنفيين الكوبيين المعادين لكاسترو. وفي وقت لاحق اتهم نيكسون كيندي بأنه قد تعمَّد وضعه في موقف حرج عندما وجه اتهاماً لا أساس له، بينما كان يعرف من اطلاعه على الأسرار أنه كانت هناك خطط جاهزة لإسقاط كاسترو، وكان يعرف أيضاً أن نيكسون لم يكن قادراً على تفنيد الاتهام بدون المسّ بالأمن الوطني. وبدلاً من ذلك فإن نيكسون في آخر محاورة متلفزة له مع كيندي قال للجمهور الأمريكي بأن اقتراح كيندي الإطاحة بكاسترو يدل على «انعدام الشعور بالمسؤولية إلى أخطر حدّ»، ويؤدي إلى خطر مواجهة رهيبة مع الاتحاد السوفييتي. وحتى مع أخذ الاعتبارات الانتخابية في الحسبان، فإن في كلام نيكسون تحريفاً للحقائق ما دامت عمليات الإطاحة بكاسترو كانت قد وصلت إلى ما هي عليه بالضبط. وقد دافع نيكسون عن استراتيجيته هذه في كتابه **ست أزمات**، باعتبارها خطوة ضرورية لحماية خطط الحكومة السرية. وقال في مقابلة لاحقة إن «الموقف **السياسي** هو فقط الذي كان قابلاً للإنقاذ. . .» وفي سنة 1995 قال المساعد الصحافي هيرب كلاين إن اتهامات كيندي بشأن كوبا قد أغاظت نيكسون في حينها «إلى درجة أنه كان من الصعب تحضيره للمحاورة التالية». وكان مستمراً في الصراخ المتفجر حول هذا الموضوع وهو رئيس بعد أحد عشر عاماً من تلك الواقعة، كما يتضح من الأشرطة المسجلة في البيت الأبيض. أما ما الذي عرفه كيندي مسبقاً عن خطط إسقاط كاسترو، وممَّن عرفه، فإن هذا يبقى موضوعاً للنقاش. ومن سخرية القدر أن اتهام نيكسون لوكالة المخابرات المركزية بأنها أعلمت كيندي بالمؤامرة الكوبية ربما كان في غير محله. فهناك أدلة على أن كيندي حصل على معلوماته من مصدر آخر. وعلى أية حال، فإن خطط الوكالة كانت غير آمنة بشكل ميؤوس منه. (السرد التاريخي سنة 1998: كورنبلوه كمحرر، **خليج الخنازير**، مصدر سبق ذكره، ص 275 وما يليها؛ ريتشارد نيكسون المغتاظ: نيكسون، **ست أزمات**، مصدر سبق ذكره، ص 353 وما يليها [لطبعة الشعبية ذات الغلاف الورقي]؛ **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 220؛ مقال بقلم نيكسون في مجلة **ريدرز دايجست**، عدد تشرين الثاني / نوفمبر 1964، وانظر ويكر، مصدر سبق ذكره، ص 232؛ وكلاين، مصدر سبق ذكره، ص 94؛ «السياسي فقط»: صحيفة **واشنطن ستار**، عدد 26 نيسان / إبريل، 1978؛ «شديد الغيظ»: **سان دييغو يونيون تريبيون**، عدد 19 كانون الأول 1995؛ مستمر في الصراخ المتفجر: شريط البيت الأبيض المسجل يوم 23 حزيران / يونيو 1972 (نقله روبرت لام على ورق لمصلحة المؤلف)، وانظر 5 تموز / يوليو 1971، شريط البيت الأبيض، كتاب ستانلي كوتلر المعنون **إساءة استخدام السلطة**، ص 23؛ ما الذي عرفه كيندي: ستروبر كمحررين، **كيندي**، مصدر سبق ذكره، ص 325؛ هيرش، **كاميلوت**، مصدر سبق ذكره، ص 175 وما يليها؛ ويبر، مصدر سبق ذكره، ص 17؛ غروز، مصدر سبق ذكره، ص 507، **سان دييغو يونيون**، عدد 25 آذار / مارس 1962).

عنها بالطبع. وقد يغيّر التاريخ ذلك يوماً ما، إن كانت السجلات الكاملة لوكالة المخابرات المركزية قد حُفِظَتْ سليمة. وإلى أن نعرف المزيد، فإن الشيء المسمى خليج الخنازير، الذي أقلق نيكسون وهو في سدة الرئاسة، ينبغي أن يترك بصمة على سمعته بنفس القدر الذي لطخ سمعة جون ف. كيندي على الأقل[4].

غير أن امتيازات الحياة في الطبقة العليا من المحامين، سرعان ما ضعفت وشحبت عند نيكسون، مما أشعره بشيء من السأم. وقد استذكر: «وجدت صعوبة في التركيز. فكان خلق الكثير من الحماسة يكاد يكون مستحيلاً». فقد

---

(4) لم يستطع نيكسون أبداً أن يتغلب على استحواذ كوبا على تفكيره. وعندما صار رئيساً سنة 1969، أمر وكالة المخابرات المركزية على الفور بتنشيط العمل السرّي ضد كاسترو في وقت كان فيه ذلك العمل آخذاً في التناقص تمهيداً لطيّه. وسعى لاستصدار تشريع لمنع الأمريكيين من مساعدة الاقتصاد الكوبي. وفي سنة 1970، عندما اكتشف الاستطلاع الأمريكي ما بدا أنه إنشاء قاعدة بحرية سوفييتية في كوبا، مما أثار قلقاً حقيقيّاً، طلب نيكسون معلومات فورية من الوكالة حول «**أي نوع** من النشاط الذي سيغيظ كاسترو». وفي سنة 1971، قدمت وكالة المخابرات المركزية شحنة من فيروس الحمى للخنازير الإفريقية إلى العاملين ضد كاسترو، فقام هؤلاء بتهريب الشحنة إلى كوبا. وتبع ذلك انتشار الوباء في غضون ستة أسابيع، مما استدعى ذبح نصف مليون خنزير لتجنب ذلك الوباء. وفي العام نفسه، وقف نيكسون لالتقاط صورة مع أسرة كوبيّ منفيّ هوجمت سفينته وأسرت من قبل زورق حربي تابع لكاسترو. وتشير الشهادة أيضاً إلى أن وكالة المخابرات المركزية كانت متورّطة في سنة 1971 أيضاً في مؤامرة لاغتيال كاسترو أثناء زيارة له إلى شيلي. وفي ذلك العام كذلك تحوَّل هوارد هانت، العميل السابق للوكالة، إلى واحد من متآمري البيت الأبيض في ووترغيت، وأخبر شركاءه أن هنالك «فريقاً آخر للاغتيال» يجري إعداده في إسبانيا. وقال شريكه في اقتحام ووترغيت، المدعو برنارد بيكر، إن هانت قد «ذكر شيئاً عن التخطيط لمرحلة ثانية من خليج الخنازير في وقت بدء ولاية نيكسون الثانية تقريباً». (ريتشارد نيكسون، تنشيط: ريموند غارتهوف، **الانفراج والمجابهة**، طبع واشنطون، مقاطعة كولومبيا: مؤسسة بروكينغز، 1985، ص 88، الحاشية 37؛ التشريع: إيرليكمان، مصدر سبق ذكره، ص 142؛ «**أي** نوع من العمل»: كيسنجر، **سنوات البيت الأبيض**، مصدر سبق ذكره، ص 142؛ حمى الخنازير: **نيوزداي**، عدد 9 كانون الثاني / يناير 1977؛ ومجلة **نيشن**، عدد 9 آذار / مارس 1998؛ خطاب كاسترو إلى المؤتمر البرلماني الدولي الثامن والستين، 15 أيلول / سبتمبر 1981 [إصدار الحكومة الكوبية]؛ ريتشارد نيكسون واطلاعه على خطط الغزو: فونزي، مصدر سبق ذكره، ص 137؛ هانت حول «الفريق»: ملاحظات عن مقابلة مع هوارد ليبينغود: وإشارة في المذكرة إلى: مقابلة مع باركر، 13 أيلول / سبتمبر، 1973، الحقل 99، قوة هيئة الادعاء الخاص في ووترغيت، المحفوظات الوطنية؛ مقابلات مع برنارد بيكر وهوارد هانت [وإنكار هذا الأخير]).

افتقد الحياة في واشنطن إلى درجة أنه طلب الحصول على تقرير أسبوعي عما كان يدور في العاصمة. وباعتباره رئيساً فخرياً أو اسمياً للحزب الجمهوري، فقد راح يذرع البلاد جيئة وذهاباً وهو يلقي الخطب. كما أنه شرع في تأليف كتاب.

كان عنوان الكتاب **ست أزمات**، وهو سيرة ذاتية تروي وقائع حياته السياسية، من قضية هيس إلى هزيمته على يدي كينيدي، حيث يقدم صورة ذاتية لنفسه كمقاتل ضد مصاعب جمة وعقبات كأداء. وعندما أنتج الكتاب، زعم في مقدمته أن عملية التأليف كانت جهداً كابوسياً شاقاً يرقى إلى مصافّ «الأزمة السابعة في حياتي». وعندما أُخْبِرَ أحد المراسلين عن جلسة واحدة استمرت أسبوعاً كاملاً «أحاط فيه نيكسون نفسه بأنواع البقالة، ورزم الأوراق الصفراء الطويلة، وجهاز تسجيل، ولفافات الأشرطة» كتب ذلك المراسل بشيء من الرهبة عن «جهد نيكسون العنيف في ضبط نفسه بشدة».

وفي الطبعة الجديدة لكتاب **ست أزمات**، الصادرة سنة 1990 أعطى نيكسون اثنين من زملائه فضل تقديم «مساعدات بحثية في تحرير الكتاب». ولكنه أعطى الانطباع بأن معظم الكتابة تمّ على يديه. وكان أحد هذين الزميلين هو آلڤين موسكو مساعده الخاص السابق، فقال في سنة 1998: «لقد استؤجرتُ، فكتبتُ الفصولَ الخمسةَ الأولى، من مجموع فصول الكتاب الستة. ولم يشأ نيكسون أن يراجع كل واحد منها... والكلام بيني وبينك، فقد شعرتُ أنني وقعت. لقد انتظر منّي كتابة الشيء بأكمله، ثم عاد إليه فأدخل فيه كثيراً من تعابيره النيكسونية... وقد كتب الفصل السادس بنفسه حقاً، وهو الفصل الخاص بانتخابات سنة 1960».

كما زعمت صديقة نيكسون، آديلا روجرز سانت جون، أنها قامت بكثير من الكتابة. وبعد ذلك بسنوات، عندما طلب المؤلف سيمور هيرش من نيكسون أن يكتب له تعريفاً لتقديم أحد كتبه، اتصل به ناطق باسم نيكسون

هاتفياً للتعبير عن أسفه، قائلاً: «إن السيد نيكسون لا يكتب تعليقات إلاّ على كتبه نفسها، الكتب المكتوبة لأجله».

لم يُكْتب **ست أزمات** من أجل العائدات المالية فحسب ـ وقد تلقى نيكسون عليه دفعة أولى قدرها 345000 دولار من دولارات سنة 1962، ووافق على أنها كانت «أكثر من اللازم، في الحقيقة» ـ ولكنه كُتِبَ مع النظر بحنكة إلى التوقيت. فقد كان من المقرر نشره في ربيع سنة 1962، وعرضه على أنه يمثل «الحكمة والشجاعة الناضجتين لسياسي أمريكي عظيم». مع إرساله إلى الكتاب السياسيين في جميع أنحاء كاليفورنيا، في الوقت الذي عزم فيه نيكسون على الشروع في حملة سياسية جديدة. فقد استبعد أي تظاهر بأن عمله في المحاماة كان أكثر من بديل مؤقت آنذاك، وبدأ بترشيح نفسه لمنصب حاكم كاليفورنيا ضد حاكمها الديموقراطي إدموند («بات») براون.

فإذا كان له أن يعود إلى حلبة السياسة في ذلك الحين، فإن انتخابات كاليفورنيا كانت هي الخيار الوحيد المجدي أمامه. ومع أخذ السوابق الحديثة في الحسبان، فإن الرئيس الجالس في منصبه كان من المحتمل أن يعاد انتخابه. وهكذا فقد كان من الحمق أن يخطط لترشيح نفسه مرة أخرى ضد كينيدي في انتخابات سنة 1964. فكان التنافس على منصب حاكم أكثر الولايات سكاناً، الولاية التي كانت قد صوتت بهامش صغير لمصلحة نيكسون في انتخابات الرئاسة سنة 1960، هو السباق الوحيد الذي يلوح في الأفق والذي يستحق أن يخوضه.

وكان نيكسون قد ذكر إمكانية ترشيح نفسه لمنصب الحاكم أثناء إجازته، بعد تدشين رئاسة كينيدي. وكان القطب الصيدلاني الثري إلمر بوبست، قد حذر نيكسون، بينما كانا يتجولان في حوض الكاريبي على متن يخت بوبست، من أن المنافسة على منصب حاكم كاليفورنيا لن تقدم له شيئاً لمساعدته في الوصول إلى هدفه النهائي، وهو الرئاسة. ومع ذلك، فقد عاد نيكسون إلى بيته ليجد في انتظاره رسالة من ويتاكر تشيمبرز ـ تبين أنها الأخيرة، إذْ إن تشيمبرز

توفي في صيف السنة (1961) ـ تحثه على ترشيح نفسه. كما أن توم ديوي، حصان الحرب العتيق، شجعه كذلك. أما زملاؤه القدامى فقد كانوا منقسمين حول هذا الموضوع.

واستشهد هيرب كلاين باستطلاعات رأي كانت تشير إلى أن نيكسون سيفوز على براون، بينما قال له جيم باسيت إنه سيكون «فاقداً عقله إذا رشح نفسه». وأنه في كاليفورنيا سترجح عليه كفة خصمه حول قضايا محلية بينما تتركز خبرته في القضايا الخارجية، وأن الهيئة التشريعية الديموقراطية سوف «تقطع خصيتيه». فلم يعبأ نيكسون بالتحذيرات. وقال باسيت إنه قد بدا له أن فكرة احتمال الخسارة لم تخطر ببال نيكسون.

وقالت بات نيكسون فيما بعد: «بقدر ما أستطيع تحديد موقفي تقريباً فقد كان: (دعنا نمتنع عن ترشيح أنفسنا! دعنا نبقى في البيت. دعنا نكون عائلة لها خصوصيتها)». واستذكرت أن مشاعرها قد تبدلت عندما لفّت ابنتُها تريشيا (ذات الخمسة عشر ربيعاً) ذراعيها حول أبيها وقالت: «هيا يا أَبَتِ ـ **دعنا نُرهِمْ!**» وبالطبع لم يَرِدْ ذكرٌ علني لبات التي قالت إنها سوف تنتحر إذا عاد نيكسون إلى السياسة. وكان أقرب تعبير قدّمه قريبٌ لها عن تلك العاطفة هو قول أخيها توم: «قالت لي بات إنها ستخلع حذاءها إذا رشح دِكْ نفسه لمنصب الحاكم». ولم يتذكر نيكسون سوى أن بات قد وعدت: «إذا رشحتَ نفسك فلن أخرج لأخوض الحملة من أجلك...»[5].

وهناك روايات مختلفة عن رد فعلها أثناء عشاء في مطعم في أواخر أيلول / سبتمبر 1961، في الليلة التي صرح فيها نيكسون علناً بأنه سيرشح نفسه. فقد استذكرت كارول، زوجة بوب ڤينش أن بات قالت فجأة: «إنني واقعة في المصيدة، فإلى أين أستطيع الذهاب؟ وتقول رواية أخرى إنها هربت إلى غرفة الاستراحة باكية.

(5) إن روايات نيكسون عن هذا النقاش العائلي ليست منسجمة تماماً مع بعضها بعضاً.

وعلى عكس ذلك، فإن خصم براون كان يستمتع بالصراع الذي سيواجهه. وعندما أعلن نيكسون ترشيحه، قال الحاكم براون: «إنني أرحب بفرصة مواجهة ريتشارد نيكسون في حملة ستعيده مرة أخرى وإلى الأبد إلى الحياة الخاصة». ومهما كانت ميزات براون الخاصة، فقد قدر له أن يستفيد من أخطاء خصمه المتحدّي. وراح نيكسون يصرخ في خطبه ضد أخطار الشيوعية المحلية. وهي صرخة حرب جوفاء فات أوانها، واعتمد في شن حملته إلى حد كبير على قوة خبرته في السياسة الدولية، بينما كان أكثر اهتمام أهالي كاليفورنيا بقضايا ولايتهم الداخلية. وتحدث عن «الفوضى» في حكومة الولاية، بينما لم يكن هناك إلاّ قليلون يستطيعون أن يروا ما هو خطأ فيها.

وانتشرت الأخبار بأن نيكسون يحتقر «الناس الصغار» في ولايته. فقد قال لمراسل كان يرثي له ويواسيه عندما كان الحضور ضعيفاً في أحد التجمعات الريفية: «هذا ما يتعين عليك أن تتوقعه من أمثال هؤلاء الفلاحين المحليين الأجلاف العاهرين». وعندما نُصِحَ بالمجيء للتحدث مع ممثلي صحيفة محلية كان رده: «إنني لن أكلف نفسي عناء العرق في سبيلهم» وقال محرر صحيفة **ساكرامانتو بي** بلهجة جافة: «إن مثل هذه الأشياء التي بدرت من نيكسون قد نفّرت الناس منه».

وقد انغمس الديموقراطيون والجمهوريون على حد سواء في ممارسة الأحابيل القذرة والتهجمات الشخصية، سواء الصغيرة منها أم الخطيرة، ونبش الاتهامات القديمة أحياناً. فكرّر الديموقراطيين إلحاحهم على ذكر التعهد الذي وقعه نيكسون عندما اشترى واحداً من بيوته. وهو تعهد عنصري يلزمه بعدم بيعه إلى «الزنوج، . . . والأرمن، واليهود، والعبرانيين، والفارسيين، والسوريين. . .» فكان هذا شرطاً لا يمكن الدفاع عنه، غير أنه كان مألوفاً وشائعاً إلى درجة كافية في ذلك الحين. وكان بعض القياديين من الحزب الديموقراطي قد وقعوا اتفاقات مماثلة. وفي تلك الأثناء، راحت الصحافة

تتساءل عن ظروف شراء نيكسون لبيته في بيل إير، مشيرة إلى تورّط اتحاد سائقي الشاحنات الثقيلة في تلك العملية.

وألقى الرئيس كيندي بثقله وراء بات براون، وشنّ حملة من أجله. وخلف الكواليس كان أتباعه ينبشون قاذورات نيكسونية لها علاقة بكاليفورنيا. وفي تلك الآونة بالذات، استطاع أحد موظفي براون، مسلّحاً بتفويض من كيندي على ما يبدو، أن يصل إلى رجل العصابات مايكي كوهين في سجن الكاتراز. فوقّع هذا بياناً يعترف فيه بأن أموال المافيا قد ساعدت في انتخاب نيكسون في حملاته السابقة[6].

وعادت الحملة كذلك إلى قضية قرض هيوز. ورغم أن موظفي وزارة عدل كيندي كانوا قد أجروا تحقيقاً، ولكنهم نبذوا إمكانية الملاحقة بالدعوى ضد إعطاء الملياردير أموالاً لشقيق نيكسون، فإن ديموقراطيّي كاليفورنيا وجدوا طرقاً لاستخدام ذلك ضد نيكسون. وفي حشد في المدينة الصينية (تْشَايْناتاوْنْ)، عندما وقف المرشح الجمهوري مع أطفال صينيين رافعين لافتة كتب عليها بالإنكليزية: «مرحباً بنيكسون» كان نيكسون يساعد خصومه في نصب كمين له. فتحت عبارة التحية، وبالحروف الصينية التي يستطيع السكان المحليون فهمها، كانت هناك رسالة مختلفة جداً تقول ما نَصُّه: «وماذا عن قرض هيوز؟» وظهرت الصورة في الصحف في اليوم التالي، ومعها ترجمة لتلك العبارة المكتوبة باللغة الصينية. كان دِكْ تاكْ، الديموقراطي صاحب الأحابيل والمقالب الطريفة المتواجد في كل مكان، يمارس حيله تلك مرة أخرى.

وعندما قام توم برادِنْ، الذي كان براون قد عينه في منصب بمجلس التربية والتعليم، بإثارة قضية هيوز أمام مجموعة من أصحاب الصحف تحدى

(6) انظر الفصل السادس. قد تم تسريب قصة نيكسون ـ كوهين إلى كاتب العمود الصحافي درو بيرسون سنة 1962، ولكنه لم يستخدمها حتى سنة 1968.

نيكسون خصمه «أن يقف كرجل ويتهمني بسوء التصرف». فصرخ نيكسون في وجهه: «افعلها يا سيدي!» والظاهر أنه كان يأمل في تكرار تأثير خطاب تشيكرز. ولكن براون لم يردّ على هذا التحدّي. فوجد نيكسون نفسَهُ مضطراً إلى مناقشة القضية ثانية بعد ذلك ببضعة أيّام في برنامج **التقِ بالصحافة**.

واستنتج نيكسون في آخر الأمر، أن قرض هيوز كان من أكبر العقبات التي حالت دون انتخابه حاكماً لكاليفورنيا. بينما اعتقد براون أن تلك القضية قد أعطته ميزة هامة. وبعد ذلك بسنوات، عندما صار نيكسون رئيساً، وجد توم بْرَادِنْ الوقح نفسه عرضة للتدقيق على أيدي مصلحة الضرائب الداخلية سنة بعد سنة. فلم يعتقد أن ذلك يحدث مصادفة.

وقد أنكر الحاكم براون علناً أن يكون «قد قال أي شيء» عن قضية هيوز «سوى ما يحكى في الأحاديث العرضية العابرة». ولم يكن ذلك صحيحاً، حسب رواية خبير إليكتروني أجريت معه مقابلة في سنة 1999، وكان على اتصال مباشر مع براون حول الموضوع. وقد طلب الخبير عدم الكشف عن هويته، لأنه ما يزال يعمل لمصلحة الوكالات الاتحادية أحياناً. غير أنه ثبت أنه مصدر جدير بالثقة[7]. ففي سنة 1962 كان من بين زبائنه عسكريون، وساسة، وعدة شركات كبيرة، بما فيها منظومة هيوز. وقد استذكر ذلك الخبير: «ربما حدث في أواخر صيف تلك السنة أني تلقيت مكالمة هاتفية من موظف عالي المستوى في حملة براون الانتخابية. فقام بتدبير اجتماع في فندق بالتيمور بلوس آنجيلوس. وقبل الشروع في الحديث قدمني إلى الحاكم براون نفسه، فقال لي براون: «إنك قادم بتزكية جيدة. أريدك أن تعرف أن حديثك مع [هذا الموظف الكبير] يشبه حديثك معي بالذات».

---

(7) ظل المؤلف على اتصال بمصدره قرابة عشرين عاماً. وقد أكدت عمليات التدقيق وتقاطع المعلومات صحة خلفيته وخبرته، واقتنع المؤلف بأنه رجل نزيه ومستقيم. وبغضّ النظر عن الاعتبارات المهنية، فإنه يتجنب العلانية.

«ثم غادَرَنا براون. وتحدثتُ مع ذلك الموظف. كانوا يريدون أقذاراً تلوث نيكسون. ويريدونني على وجه التحديد أن أوصلهم إلى أي شخص عند هيوز، لديه معرفة مباشرة بتورط نيكسون في قرض هيوز. فقلت إن ذلك يمكن أن ينطوي على دفع أجور باهظة، فقال لي: «إن معي عشرين ألف دولار هنا الآن، وأستطيع أن أزيد عليها عشرين ألفاً أخرى ـ كلاّ، لنجعل ذلك خمسين ألفاً».

غير أن ما لم يكن أتباع براون يعرفونه هو أن خبير الإليكترونيات كان في ذلك الوقت بالذات منهمكاً في إعداد عمليات «دفاعية» لمصلحة ريتشارد نيكسون وبعض أقرب مساعديه إليه. وكان قد التقى بنيكسون في مقر قيادة الجمهوريين في شارع ويلشاير المظلل بالأشجار، وكان يقوم بمسح مكتبهم ـ وكذلك منزل نيكسون في بيل إير ـ لإبطال مفعول أية أجهزة تنصت كل يوم تقريباً.

وبدلاً من مساعدة حملة براون، قام هذا المختص بإعلام موظفي هيوز بالتحقيقات التي يجريها الديموقراطيون. وعندما اكتشف أتباع براون الولاء الحقيقي لذلك الخبير، كان الأوان قد فات. فقد تم تهريب أحد رجال هيوز الهامّين المطلعين على قرض نيكسون إلى خارج المدينة. واستذكر الخبير المختص «أن الناس المحيطين بالحاكم قد ثارت ثائرتهم عندما علموا أنني قد خدعتهم».

وأثناء العمل لمصلحة الجمهوريين، اكتشف خبير الإليكترونيات أن شكوك الجمهوريين كان لها ما يبررها: وأن مقر نيكسون كان يجري التجسس عليه بالفعل، ليس من قبل الديموقراطيين المحليين، بل بتوجيه من روبرت كيندي.

واستذكر المختص في مقابلة سنة 1999: «كان هناك صندوق هاتف إلى جانب بناية الجمهوريين، وعندما كنت أفحصه بين حين وآخر، كنت أتعمّد أن أترك أحد البراغي مرتفعاً قليلاً، أو أي شيء آخر كعلامة لنفسي تمكنني من أن أعرف، من نظرة واحدة، ما إذا كان أي شخص آخر قد عبث بالصندوق منذ

زيارتي الأخيرة له. ولقد رأيت ذات يوم أنه كان قد فُتِحَ. فعثرت على جهاز الإرسال المزروع فيه على الفور. كانت هناك آلتا تنصّت، إحداهما مركبة على هاتف هالدمان».

ولقد أكد مساعد الحملات الانتخابية الجمهورية السابق آلڤين موسكي أن هواتف الجمهوريين كان يتم فحصها بإشراف جون ديڤيز، صديق نيكسون الذي كان موظفاً تنفيذياً مسؤولاً في شركة باسيفيك تليفون آند تلغراف. وتَذَكَّرَ موسكو أنه تم العثور على جهاز تنصت.

وقال خبير الإليكترونيات: «ورصدنا الأشخاص الذين كانوا يزرعون تلك الأجهزة، فكانوا يراقبون البث من داخل سيارة. ولفترة، استخدمنا أجهزتهم لتغذيتهم بكمية كبيرة من المعلومات التضليلية المزيفة، التي لم تكن سوى تفاهات. ثم تمكنا من ملاحقتهم عندما طاروا شرقاً. وافترضت أن أشرطتهم كانت معهم. وتمكنا من متابعتهم على متن الطائرة. فكان هناك أناس ينتظرونهم بسيارة في واشنطن. ثم لاحقناهم حتى مكان بوبي كيندي في فيرجينيا تماماً، ورأيناهم يدخلون من البوابات».

وارتأى نيكسون وكبار موظفيه ضرورة عدم الكشف علناً عن تجسس الديموقراطيين. وقال خبير الإليكترونيات: «ورغم أننا كنا نملك براهين كثيرة، فقد قال موراي تشوتينر إن آخر شيء يريده هو الدخول في شجار علني مع آل كيندي. ولنتذكر أن آل كيندي كانت لهم آنئذٍ شعبية كبيرة».

واستذكر خبير الإليكترونيّات خيبة أمله لإبقاء تلك الاكتشافات طيّ الكتمان سنة 1962: «يا للقاذورات الغائطية التي كيلت لنيكسون أثناء رئاسة كيندي! كنا نعرف أن آل كيندي كانوا يموّلون ذلك. كانوا يضعون الأموال وراء شحنات التلطيخ ضد نيكسون... ولكننا لم نكن قادرين على استخدام أيّ شيء من هذا القبيل. ويا لها من سخرية، عندما يستذكرها المرء الآن! فها هم أولاء الإخوة كيندي يتنصّتون على نيكسون سنة 1962، وفي سنة 1974 يسقط

نيكسون ويضيع بسبب التنصّت. . . فلا عجب إن كان يشعر بمثل هذه المرارة. . .».

وقدر لنيكسون أن يزعم ذات يوم في محادثة مسجلة على شريط في المكتب البيضاوي: «لقد تجسسوا علينا سنة 1962 أثناء الترشيح لمنصب الحاكم. فكانت أعمالهم من ألعن ما خلق الله على الإطلاق!» وكانت رواية رجل الإليكترونيات أول تأكيد ذي مصداقية لذلك الزعم.

وعلى ذلك الشريط نفسه في البيت الأبيض، نقل نيكسون عن السناتور باري غولدووتر أنه قد وضع ووترغيت في سياقها عندما قال: «من أجل خاطر المسيح، إن كل واحد يتجسس على كل واحد آخر!» وحتى سنة 1994 ظل نيكسون يتذمر ـ وهو في الحادية والثمانين ـ من كونه راح «ضحية لكل أنواع الأحابيل القذرة ـ كل شيء، من أجهزة التنصت على أيدي بوبي كيندي وجونسون، وتدقيق حسابات مردوداتي الضريبية بإيعاز من كيندي ـ حتى فهمت كيف يمارسون اللعبة»[8].

وبالطبع فإن التأكيد أن «كل واحد يفعلها» ليس تبريراً لمثل هذا الاستطلاع. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كان لدى نيكسون في سنة 1962 سببٌ وجيه لعدم فضح حقيقة أنه قد ضبط الديمقراطيين يتجسسون عليه، لأنه، مع مساعديه، كانوا يمارسون «اللعبة» نفسها بطرق أخرى.

كان الرجال الذين سيشتهرون بسمعتهم السيئة في ووترغيت، في

---

(8) أشار نيكسون إلى عمليات التنصت التي أجراها مكتب التحقيقات الاتحادي (باعتبارها متميزة عن المتجسسين الخصوصيين الآخرين) فقال كيسنجر سنة 1973: «كان بوبي [روبرت] كيندي أعظم المتنصتين جميعاً. . . كما قال لي هوفر. . . «لقد جعلني بوبي كيندي أتنصَّت على الجميع؟ وعلى فكرة، أذكر عَرَضاً أنني لست في تلك القائمة». وهذه واحدة من عدد كبير من أمثال هذه الإشارات إلى عمليات التنصت الديمقراطية، المتضمنة إصرار نيكسون ـ مستشهداً مرة أخرى بجون إدغار هوفر ـ بأن هاتف حملته الانتخابية قد زُرِعت فيه أجهزة تنصت سنة 1968. («المتنصت الأعظم»: 1 حزيران / يونيو 1973، بند، **إساءة استعمال السلطة**، ص 561، وانظر المصدر نفسه، ص 92؛ طائرة الحملة الانتخابية سنة 1968: على سبيل المثال، في المصدر نفسه، ص 198).

السبعينيات، آخذين في التجمع حول نيكسون منذ سنة 1962: فقد ترقّى هالدمان إلى رتبة مدير الحملة. أما جون إيرليكمان، الذي كان يشتغل بشكل مؤقت كرجل دعاية سنة 1960، فقد صار بعد سنتين عضواً كاملاً في الفريق. وكان مدير تمويل نيكسون هو موريس ستانس، الذي اعترف بعد ووترغيت بانتهاك أحكام قوانين تمويل الحملات الانتخابية. وأما هربرب كالمباخ ـ الذي سيذهب إلى السجن ذات يوم بسبب التلاعب في أمور مالية ـ فقد جيء به سنة 1962 لإدارة الجزء الجنوبي من الولاية. وقد استؤجر رون زيغلر كمساعد صحافي للمرة الأولى. وأما روز وودز فقد صارت تلقب رسمياً بالفتاة فرايدي التابعة لنيكسون [لعل ذلك كان تشبيهاً لها بالرجل الذي عثر عليه روبنسون كروزو فجعله خادماً له، وأسماه فرايدي]. وأعيد تشوتينر إلى الفريق باعتباره «متطوعاً» ـ رغم أنه في الحقيقة كان يعمل كمخطط استراتيجيّ هام ـ على الأمل المفترض بأن يكون دوره قد نُسِيَ في التحقيق، بفضيحة تبادل النفوذ التي نظر فيها الكونغرس سنة 1956. وقد حذّر أحد الناخبين بات براون من أن تشوتينر يتحدث في مجالسه الخاصة عن الشروع في «حملة كراهية ضد الحاكم».

غير أن أول القاذورات التي راحت تتطاير في الحملة كانت مهلكة، من بين صفوف الجمهوريين. فقد اتهم حاكم كاليفورنيا السابق، غودوين نايْتْ، نيكسون بأنه حاول إخراجه من الميدان بوعده بمنصب رئيس قضاة كاليفورنيا إذا فاز نيكسون بمنصب الحاكم. وعندما أنكر نيكسون التهمة جاء نايت بشهودٍ أفادوا بأنهم سمعوا هذا العرض يقدمه مبعوث لنيكسون؛ ثم قال نايت للصحافة: «لا أريد أن أسمي السيد نيكسون كاذباً. ولكنه لا يقول الحقيقة».

وكانت الخدع الخفيّة ضد براون تنطوي على دعاية مزورة تتهم براون بأنه ليّن في مواجهة الشيوعية. واستطاع نيكسون أن ينكر كتيباً فيه صورة تظهر الحاكم خاضعاً لخروشيف متملقاً له، وكانت الصورة مصنوعة بالتلاعب

ومزورة، فزعم نيكسون أن ذلك الكتيب كان من صنع أحد المتطرفين. غير أن الكتاب ظل متوفراً في منافذ البيع الجمهورية.

وأظهرت صورة مزورة أخرى براون وهو يصفق للدعوة إلى قبول الصين الشيوعية في الأمم المتحدة. وكانت في الحقيقة صورة للحاكم وهو يتفرج على محاولة طفل كسيح أن يمشي. وكانت هذه الخدعة مصنوعة على يد جماعة كوّنها وموّلها أتباع نيكسون. (والواقع أن براون كان قد سجل موقفاً يعارض قبول الصين في الأمم المتحدة). وعندما أقام الديموقراطيون دعوى في المحكمة حول هذه القضية أوقف أحد القضاة توزيع الكتيب الذي ظهرت فيه تلك الصورة.

وكانت هناك تلفيقة أخرى ثقيلة كثيفة غير قانونية افتُضِحَت وأوقفت في وقت متأخر من الحملة. فقد خلق الجمهوريون لجنة مزيفة أطلقوا عليها اسم «لجنة الحفاظ على الحزب الديموقراطي في كاليفورنيا»، وشنّوا حملة من الرسائل الدعائية البريدية مصممة لإقناع الديموقراطيين المحافظين بالتصويت لنيكسون. وذلك عن طريق تسفيه منظمة للحزب الديموقراطي أصيلة وحقيقية، وهي المجلس الديموقراطي لكاليفورنيا، الذي كان يؤيد إعادة انتخاب كل المسؤولين الديموقراطيين، بمن فيهم الحاكم براون. وقد تحدث مرسل تلك الرسائل عن «سيطرة يسارية على قيادة كاليفورنيا السياسية» وزعم زوراً أن تسعة من كل عشرة ديموقراطيين مسجلين كانوا يرفضون المجلس الديموقراطي لكاليفورنيا، ويصبون التبرعات صبّاً لمكافحته.

وعندما اكتشف الديموقراطيون هذه الخديعة، وجعلوا أحد القضاة يوقفها مرة أخرى، كان نصف مليون نسخة من تلك الرسائل، من مجموع تسعمئة ألف، قد أرسل بالبريد فعلاً. وكان من الواضح أن الجمهوريين اعتبروا ذلك سلاحاً هاماً، إذْ إن كلفة هذا الجهد، التي بلغت سبعين ألف دولار، كانت البند

الأكبر بين كل نفقاتهم المعلنة المبلغ عنها. غير أن ما لم يعرفه أحد في ذلك الحين، هو مدى تورط نيكسون شخصياً في ذلك الاحتيال.

وبعد ذلك بسنة، عندما استجوب هالدمان في دعوى قضائية ديموقراطية حول تلك الرسائل، سئل عما إذا كان نيكسون قد راجع الخطة المرسومة، فأجاب «لا أظن ذلك». غير أن رئيس شركة العلاقات العامة التي أنتجت تلك المواد، استذكر أنه قد قام بمراجعة مسوداتها مع نيكسون وهالدمان في منزل الأول في بيل إير. فقرر القاضي أن هالدمان قد كذب في شهادته وهو تحت القسم، كما قيض له أن يفعل مرة أخرى بعد ووترغيت.. وأعلن في حكمه أن الرسائل قد تمت «مراجعتها، وتعديلها، والموافقة النهائية عليها من قبل السيد نيكسون شخصياً».

ولكن تواطؤ نيكسون، وكذلك شهادة الزور التي أدلى بها هالدمان لم يلقيا شيئاً من الاهتمام العلني في ذلك الحين، لأن الجمهوريين فاوضوا بهدوء على تسوية. وقد قَبِلَ روجر كنت (رئيس فرع الحزب الديموقراطي في الولاية) تلك الصفقة بسبب ارتفاع كلفة ملاحقة القضية. أما نيكسون من جانبه فلم يشعر بأي شيء من الخزي والعار. وقد تحدث عن القضية في ذروة فضيحة ووترغيت، كما يتضح من الأشرطة المسجلة في البيت الأبيض، فقال عن كنت: «هل تتذكرون في سنة 1962؟... لقد أقام ذلك الدُّبُر الصغير الدعوى علينا...».

وكانت رسائل نيكسون الاحتيالية تحتوي على استبيان للرأي يطلب من مستلمي الرسائل ملأه وإرساله بالبريد. غير أن الإمساك به متلبساً في سنة 1962، ثَبَتَ أنه لم يكن رادعاً يجعله يرعوي عن تجربة حيل مماثلة في سنة 1972. ذلك أن شريطاً مسجلاً آخر من أشرطة البيت الأبيض، يكشف المداولة التالية بين نيكسون وتشارلس كولسون:

كولسون: حسناً، لقد قمنا بخديعة قذرة صغيرة هذا الصباح.

نيكسون: بالطبع، يجب على كل شخص أن يقول: (إننا نتوقع أن يُظْهِر استطلاع هاريس للرأي تقدماً بعشر نقاط عند انتهاء الاستطلاع. هل هذا ما فعلتموه؟

كولسون: ما فعلناه هو أننا جعلنا شخصاً ما. . . يتصل هاتفياً بغاري هارت ويخبره بأن نتيجة الاستطلاع الشاملة سوف تظهر تقدماً [لخصمنا بتسع عشرة] نقطة، وسيكون ذلك خبراً عظيماً لماكغفرن [المرشح الديموقراطي لانتخابات الرئاسة كمنافس لنيكسون سنة 1972]، لأنه يتقدم بسرعة. وآمل أن يخرج ويعقد مؤتمراً صحافياً، ويتحدث عن ذلك قبل أن يتصدر الأمر اللعين نشرات أخبار يوم الاثنين. . .

وتبعت تلك المداولة ضحكات، ثم:

كولسون: إنها ستلطمه بقسوة. يا يسوع، ستلطمه بقسوة!

نيكسون: إضربوهم بقسوة على الدوام، هذا صحيح.

في سنة 1962 أسهم أعداء نيكسون القدامى، نيكيتا خروشيف وفيدل كاسترو، إسهاماً غير مباشر في الفوز الانتخابي للحاكم براون. ذلك أن إرسال خروشيف الصواريخ إلى كوبا (وهو العمل الذي أطلق عليه: «رمي قنفذ على سروال العم سام الداخلي») قد فجّر أسوأ أزمة نووية في العالم، وأبعد مواجهة نيكسون ـ براون عن صدر الصفحات الأولى للصحف.

والواقع أن نيكسون كان آنئذٍ يزحف مقترباً في الشعبية من براون حسب استطلاعات الرأي. أما في 22 تشرين الأول / أكتوبر، وبينما جلس نيكسون في فندق إيد جووتر إِنْ في أوكلاند [بولاية فلوريدا] يستمع إلى خطاب كيندي المتلفز إلى الشعب الأمريكي، فقد قرر أن حملته قد حكم عليها بالفشل المحتوم. وفي صباح يوم الانتخاب، بعد ذلك بيومين، عندما سأله كاتب الخطب ستيڤن هيس إن كان لا يزال يعتقد أنه سيخسر، أجاب: «نعم». فاقترح عليه هيس بأنه قد يكون مخطئاً، فردّ نيكسون «لستُ مخطئاً».

وسهر معظم تلك الليلة يرقب النتائج تتالى في فندق بڤرلي هيلتون بلوس آنجيلوس، في الجناح الرئاسي الذي آوى من قَبْلُ كلاً من ترومان، وآيزنهاور، وكيندي في الأيام الخالية. وكان نيكسون يرتدي مِبْذَلاً (الروب)، مما قد يعطي للوهلة الأولى انطباعاً بالاسترخاء. ولكن، تحت قميصه وربطة عنقه المزرّرين إلى الأعلى بإحكام ضاغط، كما كتب فيما بعد: «كان علينا أن نلعب أدوارنا في تلك المسرحية الكئيبة المملة حتى الختام».

وقد اتضحت النتيجة بما فيه الكفاية عند منتصف الليل. وفي الرابعة صباحاً أوى نيكسون إلى فراشه. وعندما استيقظ وطلب القهوة في الثامنة تقريباً، علم بأنه قد خسر بفارق 297000 صوت من مجموع ستة ملايين ورقة انتخابية ألقيت في صناديق الاقتراع. ودخل عليه مساعده الصحافي هيرب كلاين ليراه ومعه مسودة تصريح يسلّم فيه بخسارته. فكان نيكسون يبدو «مرهقاً شاحباً. . . في حالة سيئة».

وعندما قيل له بأن الصحافة في انتظاره لمقابلته، لم يزد على أن حدّق أمامه ثم شتم الصحافيين بكلمة بذيئة. وعندما أخبره مساعدوه أنه ينبغي عليه الإدلاء بالاعتراف التقليدي بالهزيمة، كرّر تلك الكلمة البذيئة مثنى وثلاثاً، وأضاف بلهجة نهائية حاسمة: «إنني لن أنزل إلى هناك. وليذهب أبناء الزنا أولئك إلى الجحيم!» وتم الاتفاق على أن يغادر نيكسون الفندق من مدخله الخلفي، بينما يتحدث كلاين إلى المراسلين. واستذكر كلاين: «لم يكن في حالة يتسنّى له معها أن يفعل أي شيء آخر».

أمّا ما حدث بعد ذلك فقد استذكره صديقه بات هيلينغز: «فجأة اندفع هيكل ريتشارد نيكسون إلى داخل الغرفة بعنف كالقذيفة، ودفع كلاين عن المنصة عملياً. كان غاضباً، وكان ذلك واضحاً تماماً. . .» وكان هالدمان قد حثّه على أن يقول للصحافة «أن تذهب للجحيم». وانفلت نيكسون متدفقاً في خطاب متواصل لم يقدر لأحد أن ينساه أبداً، وهو الخطاب الذي اشتهرت فيه

عبارته: «النقطة الأخيرة». وكان ذلك هو الوقت الذي قال فيه للمراسلين: «لن تروا نيكسون بعد الآن كي يكون عرضة لضرباتكم ورفساتكم، لأن هذا ـ أيها السادة ـ هو آخر مؤتمر صحافي لي. . .».

ثم أعلن أن «كل العاملين في الصحافة» قد أبهجتهم خسارته ومن هناك انتقل فجأة إلى التأكيد أنه «ليست لديه شكاوى حول التغطية الصحافية». ومن هناك، عبر إشارات ملتوية إلى العقود مع وزارة الدفاع، وكوبا، والاقتصاد، والحاكم براون، استدار عائداً إلى الصحافة و«المتعة» التي حصلت عليها بمهاجمته طيلة الست عشرة سنة المنصرمة. وقال إنه يأمل أن خطابه سيجعل أجهزة الإعلام «تضع مراسلاً وحيداً لمواكبة الحملة وكتابة تقرير عما يقوله المرشح بين الحين والآخر».

ولقد كان نيكسون غاضباً على الصحافة سنة 1960، رغم أن الغالبية العظمى من الصحف التي من عادتها أن تدعم مرشحاً قد أيدته آنذاك. وكان مستاءً بشكل خاص سنة 1962 لأن **اللوس آنجيلوس تايمز**، التي طالما كانت بوقاً له، قد غيرت سياستها وصارت أكثر توازناً. فمساعده الصحافي، هيرب كلاين، الذي كان عاملاً بنفسه في الميدان الإعلامي، لم يكن يعتقد أن التغطية الصحافية بصورة عامة كانت متجنية على نيكسون أو غير منصفة له في تلك السنة. وفي سنة 1997 استذكر موريس ستانس، جامع التبرعات، تلك الحادثة، فقال إنه يعتقد أن هجومه على الصحافة كان «سخيفاً».

وفي اعتقاد غلادوين هيل، الصحافي في **النيويورك تايمز**، فإن «ما كان صدمة لأعصاب المراسلين هو شعورهم بالانزعاج، لأنهم أرغموا على أن يكونوا شهوداً على عمل مرعب من الكشف عن الذات والانفجار المتشنج لهذه المرارة ضد كثير من الناس، بعد أن ظلت حبيسة في داخل نيكسون زمناً طويلاً. ورغم أن نيكسون بدا واضحاً ـ فلم تكن كلماته مغمغمة أو متلعثمة،

وكان أسلوبه اللغوي منتظماً متساوقاً ـ، فإن حديثه الذاتي المنفرد كان مزيجاً متنوعاً من التناقضات الفصامية. . .».

وعند نهاية خطابه قال لكلاين: «لقد رفستهم في أدبارهم تماماً. كان يجب أن يقال لهم ذلك كله. لعنهم الله». ثم ركب السيارة التي كانت بانتظاره وتوجه إلى بيته في بيل إير، ولكنه انطلق وحده بعد ذلك بفترة قصيرة. فلم يعرف أحد لماذا غادر، ولا إلى أين ذهب. واستذكر كلاين: «لقد غيرنا أصدقاءنا في غمرة اليأس. ولكنه عاد أدراجه إليّ في آخر الأمر».

وفي ذلك المؤتمر الصحافي «الأخير» اعتقد المراسل المحلي جاك لانغوث أن نيكسون كان يشبه «شخصاً من النوع الذي تراه إذا ذهبت إلى مقصف في الشارع الثامن بنيويورك في السابعة صباحاً، يتحدث إلى نفسه، وهو في حالة إرهاق شديد، غير أنه عاجز عن النوم لشدة تعبه». وقد استنتج هذا المراسل وزملاؤه الصحافيون أن نيكسون كان مخموراً، وقد جعلتهم مقتضيات الكياسة والاحتشام يحذفون من تقاريرهم أي شيء عن حالته الجسدية.

وبعد ذلك بسنوات، فإن غلادوين هيل عزا ذلك الأداء إلى «التأثيرات السيئة المحرضة الناجمة عن الحبوب المسكنة المختلطة مع الخمر التي كان يتعاطاها نيكسون». ولم يعترف مساعدوه الموالون له سوى أنه قد تناول «كأساً أو كأسين من الويسكي الاسكتلندي». في الليلة السابقة لخطابه، وكأساً مخففاً بالماء في الصباح.

ولكن جون إيرليكمان كان أكثر صراحة. فقد كان يعلم أن رئيسه «يلجأ أحياناً إلى الحبوب أو إلى الخمر». وفي ليلة الانتخاب علم من زملائه أن ذلك كان أحد تلك الأحيان. واستذكر أن «نيكسون بدأ يستقبل هزيمته بشيء من «المراهم»، ولكن ليس بروح رياضية أو بطريقة لائقة. فقرر هالدمان وآخرون أنه نظراً لتدهور حالته، فلن تكون هناك مقابلات أمام عدسات تصوير

التلفزيون. . . ومع انصرام تلك الأمسية استنتجت أن مرشحنا كان مخموراً تماماً». وقال إيرليكمان إن محاضرة نيكسون أمام مندوبي الصحافة جاءت «بعد ليلة من الإغراق في الشراب، والأرق، والأسى. . .».

كان الأرق مشكلة مزمنة طويلة الأجل عند نيكسون. وحتى عند بداية حملته فقد اعترف: «كنت متعباً أكثر من التعب الذي حاق بي عند نهاية حملة سنة 1960. . . وأصبحت نَزِقَ الطباع في البيت». أما مدى هذا النزق فلم يكشف أثناء حياته. غير أن البحث الذي أجري لأغراض هذا الكتاب يوحي بأن نيكسون قد هاجم زوجته جسدياً بعد خسارته في سنة 1962.

وعندما وقفت بات، دامعة العينين، مرة أخرى إلى جانب زوجها المدحور، شعر كثيرون بالعطف عليها. وفي اليوم التالي، وجدت بتسي كرونكايت (زوجة المحلل الإخباري في شبكة كولومبيا الإذاعية CBS نفسَها في حفل غداء مع مجموعة من الصديقات الجمهوريات، فقالت إحداهن: «لقد شعرت بالأسى لحالة بات في الليلة الماضية». فردت عليها بتسي كرونكايت: «إنني أشعر بالأسى لحالها في كل ليلة».

وعند بداية الحملة، أمضى جون إيرليكمان بعض الوقت مع بات وابنتيها على يخت في جولة بين جزر سان خوان، على مبعدة من فانكوڤر. واستذكر: «لقد تحدثنا عن أشياء كثيرة. فقد كنا متقاربين، وأعتقد أنني استطعت أن أقرأ جيداً طريقة تحرك الأسرة. لم تكن بات سعيدة بترشيحه. بل كانت تجر قدميها متباطئة في المشاركة بحملته. وكانت تتحدث عن رغبتها في أن تكون لها حياة مستقرة، وبيت والطفلتان في المدرسة».

أما رونالد زيغلر، حامي ذكريات آل نيكسون، فيستذكر أيضاً «التوتر» بين الزوجين في هذه الفترة. وأمّا هوارد سيلي، الذي كان يعرف بات قبل ذلك بسنوات في ويتْيِيرْ، فقد وجد نفسه جالساً بجوارها في حفل غداء في تلك السنة (1962)، وقد قال مؤخراً: «لن أنسى الطريقة التي قالت بها (إني أكره السياسة

تماماً)، ففي الأيام الأولى كانت تظنها شيئاً عظيماً. ولكن الأشياء صارت فظّة «خشنة». وفي العلن كانت بات تلعب دورها، فتمثل «التدفق بالحماسة» وتقول للمراسلين: «إن قلوبنا في السياسة، ونحن سعداء بالعودة إلى معتركها».

وكان نيكسون يسمّي بات «سلاحه السرّي». وفي إشارة إلى سَمِيّها «بات» براون [خصمه الديموقراطي، حاكم كاليفورنيا]، أطلق عليها لقب «بات الجديدة»، المقدر لها قريباً أن تسكن في عاصمة الولاية. ولكن ريتشارد بيرغولز العامل في صحيفة **لوس آنجيلوس تايمز** راقبها وهي تقوم بحركات دورها، فأعلن أنه يعتقد أنها «ليست سوى قطعة أثاث، موضوعة هناك، وشخصية تضع على وجهها تلك النظرة الولهانة وتبتسم وهي تستمع إلى الخطاب نفسه للمرة الخمسين. . . كان من الواضح أنها متوترة وَجِلَة. ولقد كنا نتألم جميعاً عندما تتألم. وكان يسيء معاملتها على الدوام».

وانتشر الخبر عن لحظة بشعة أثناء رحلة بالطائرة من سان فرانسيسكو. كانت بات تجلس بمعزل عن زوجها وهو يتحدث مع آخرين، فسألت إن كانت تستطيع أن تنضم إليهم على كأس شراب. فقيل إن جواب نيكسون كان أن نبح في وجهها «أبقي فمك الـ. . . مغلقاً!».

وفي غمرة ضباب الهزيمة، عندما كان نيكسون مخموراً في جناحه في بيڤرلي هيلتون، كان مساعدوه منشغلين بمنعه من النزول إلى الأسفل، قيل إن بات جلست وحدها، تنتحب في هدوء في غرفة مجاورة. ومثلما تعمدت الصحافة أن لا تذكر شيئاً عن حالة نيكسون الجسدية بعد خروجه تحت تأثير السُّكر، فإنها لم تذكر شيئاً كذلك عن واقعة تعرضت لها بات.

وقد أقلقت تلك الواقعة جاك توبين، مراسل **اللوس آنجيلوس تايمز** الفائز بالجوائز، الذي كان قد افتتح مقالة حديثة آنذاك، بإشارة إلى بيت نيكسون في عقارات تراوزديل وعلاقة تلك العقارات باتحاد سائقي الشاحنات المليء بالفساد. وعندئذٍ، بعد أن أنهى زوجها خطابه التوبيخي وتوقفت آلات التصوير،

عن الدوران «أصيبت بات بهياج مسعور». وفي تكرار للمشهد الصاخب يوم خروجها من بيتها في واشنطن، كما يتذكر توبين، بدأت «تصرخ في وجهي بشتائم بذيئة، وظلت تقول: «أنت السبب في هذا!»[9].

وحالما سارعت السيارة بنقل نيكسون وزوجته بعيداً في آخر الأمر، إلى بيتهما في تراوزديل، قيل إن بات قد غاصت ذابلة بصمت في المقعد الخلفي. ومنذ تلك النقطة فما بعدها يفتقر تسلسل الأحداث إلى الوضوح. فحسب رواية المساعد الصحافي كلاين، انسلّ نيكسون خارجاً من البيت بعد ذلك بوقت قصير، وصعد إلى سيارته، ثم اختفى ساعات كثيرة. وكان ذلك على ما يبدو ضمن الإطار الزمني الذي سوف تصفه ابنته جولي ـ التي كانت وقتها في الرابعة عشرة ـ ذات يوم في كتابها عن أمها.

فقد قدر لجولي أن تكتب إن بات كانت تتفرج على التلفزيون في حجرتها الصغيرة عندما عرض التلفزيون خطاب نيكسون الذي فيه عبارات «لترفسوه». وعند النقطة التي هاجم فيها الصحافة صرخت بات «مرحى!». واستذكرت جولي أنه عندما عاد أبوها إلى البيت «كنا ننتظر بالدموع في الرواق عند الباب الأمامي. وتكلمت أمي أولاً. فقالت في انكسار، «أواه، يا دِكْ» فغلبته عاطفته إلى درجة جعلته يندفع خارجاً إلى الباحة الخلفية. وكان ذلك المساء هو المرة الأولى والوحيدة التي استسلم فيها والداي لعواطفهما في الوقت نفسه، ولقد أذهلني ذلك وأذهل شقيقتي تريشيا...».

إن الحياة المنزلية للساسة على القمة نادراً ما تكون متفقة مع ما تعتبره

---

(9) كان المرحوم جاك توبين، الذي عرفه المؤلف، صحافياً تحقيقياً بارعاً، يعمل طيلة تلك الفترة مع زميله جين بليك، في تحقيق حول أنشطة جيمي هوفا، زعيم اتحاد سائقي سيارات الشحن، على الساحل الغربي، ولا سيما إساءة استخدامه لصندوق تقاعد أعضاء ذلك الاتحاد، كي ينشر التحقيق في صحيفة **التايمز ـ ميرور**. وكان شراء بيت نيكسون هو بداية القصة التي نشرتها **التايمز** في 17 أيار / مايو، 1962. وقد أدّى منظر توبين بحد ذاته عندما التقيا في مطار بعد ذلك بأعوام، كافياً لإطلاق انفجار آخر من الصراخ والشتائم من فم بات.

معظم الأسرة طبيعياً. غير أن ما أذهل الطفلتين في ذلك الأربعاء الحزين من تشرين الثاني / نوفمبر 1962 ربما كان شيئاً لم تتعلماه في طفولتهما على الإطلاق.

كان بوب فينتْشْ صديق نيكسون الحميم على مدى سنوات طويلة، وقد أصبح فيما بعد عضواً في مجلس الوزراء. فاعترف بحذر، ذات مرة، أنه كان يشاهد نيكسون أحياناً وهو في سورة الغضب الهائج. وهو غضب «غير عقلاني في كونه أوسع من الحادثة التي أثارته». وقدر لكاتب الخطب وليام سافاير أن يكتب عن قابلية نيكسون «للغضب العميق المظلم الجامح» وكان لبات طبع متفجّر كذلك.

واستذكر مساعدٌ آخر ليلةً في الستينيات، عندما كان نيكسون يستمتع بكأسين من الڤودكا ـ المارتيني، فقال: «يا إلهي. هذه المارتيني عظيمة. ولكن يجب عليك أن لا تشرب منها أكثر من كأسين».

فسأله المساعد: «ولم لا؟».

فأجاب نيكسون: «بعد أكثر من كأسين، تتشاجر مع زوجتك».

ولعل ملاحظة نيكسون العفوية العابرة كانت أكثر من مجرد مبالغة في كلام روتيني عادي مألوف، إذ إن الشائعات عن سوء معاملته لبات جسدياً ظلت متداولة في واشنطن سنوات. وقد عثر محققان مستقصيان من المراسلين الصحافيين على مثل هذه القصص. ولكن أيّاً منها لم تكن في ذلك الوقت موثوقة المصادر بصورة كافية كي تكون جديرة بالنشر. وبينما كان بوب وود وورد يؤلف كتابه: **الأيام الأخيرة**، بالاشتراك مع كارل بيرنشتاين، وهي روايتهما عن نهاية رئاسة نيكسون، أُخْبِرَ وود وورد عن حادثة افتُرِضَ فيها أن نيكسون آذى زوجته بصورة سيّئة كانت كافية لطرحها في المستشفى[10]. أما

(10) حذفت هذه المعلومات من كتاب **الأيام الأخيرة**، ربما لأن الصحافيين لم تكن لديهم مصادر كافية =

سيمور هيرش، ففي أثناء إعداد دراسته عن هنري كيسنجر في كتابه المعنون: **ثمن السلطة**، علم من مصادره عن ثلاثة حوادث مزعومة عن ضرب الزوجة.

فقد قيل له إنه بعد وقت قصير من استقالة نيكسون من الرئاسة، هاجم بات في منزلهما بسان كليمنت. وحسب رواية المصدر، فقد كانت هناك ضرورة لنقلها إلى غرفة طوارئ قريبة. وقد قال هيرش لمؤلف هذا الكتاب إن الطبيب الذي عالجها قد أكّد القصة.

غير أن أقوى رواية جديرة بالاهتمام الملحّ عن مثل هذه الإساءة تتصل بهزيمة سنة 1962، وهي تأتي من مصادر كثيرة. فقد قال الحاكم بات براون بعد ذلك بسنوات: «وصلنا خبر في إحدى مراحل الحملة أنه قد ضربها ضرباً مبرحاً كالجحيم». وقد استخدم اللغة نَفْسَها في وصف الحادثة أَحَدُ كبار مساعدي براون، وهو فرانك كالين، قائلاً إنه قد سمع بأن نيكسون ضرب زوجته «ضرباً جهنمياً» بعد اندحاره.

وبعد سنوات كذلك، حكى مراسل محلي سابق في منطقة لوس آنجيلوس، هو بيل فان بيتين، عن تجاربه عندما كان يغطي حملة انتخاب حاكم كاليفورنيا فقال إن نيكسون كان «سكّيراً، رهيباً عدوانياً، حقيراً عند سكره. ويصبح بغيضاً في الليل عند النزول في الفنادق على الطريق». ولقد «ضرب نيكسون بات بشكل سيِّئ... بلغ من سوئه أنها لم تستطع الخروج في اليوم التالي»، وذلك إمّا في الليلة التي سبقت خطاب «لترفسوه» أو بعدها ـ وهو المعقول أكثر حسب رأي هذا المؤلف ـ.

وقيل لفان بيتين: «إن هذا قد حدث من قبل. وكان المساعدون مثل

= حول الموضوع في ذلك الحين. كما أن سكوت آرمسترونغ، الذي عمل كموظف في لجنة إرڤين، وفي البحث لأغراض الكتاب المذكور، قال في مقابلة سنة 1980 إنه قد سمع أن «نيكسون ضرب بات ضرباً مبرحاً». (مقابلات أجراها كل من بوب وودوورد وكارل برينشتاين، وديفيد أوبست، وملاحظات عن مقابلة مع سكوت آرمسترونغ أجرتها فون برودي، أوراق فون برودي).

هالدمان، وروبرت فينتش، أو إيرليكمان يضطرون أحياناً إلى الدخول إلى الغرفة ليتدخلوا. وفي تلك الليلة بالذات، حدثت اهتياجات صاخبة في الهزيع الأخير، في ساعة شيطانية غير رحمانية، واضطر أحد المساعدين إلى المسارعة بالدخول لسحب نيكسون بعيداً عن بات. كان وجهها مليئاً بالكدمات. وقد أصيب الجميع بصدمة هزتهم هزاً».

إن فان بيتين متوفًّى. وروايته كما هي مسرودة هنا تأتي من صديق حكاها له بيتين في أوائل الثمانينيّات من القرن العشرين. غير أن عناصر منها تتشابك وتتداخل مع تعليقات لاحقة لجون إيرليكمان بأن تعاطي نيكسون للخمر كان يتركه «شديد الاضطراب» وقال إن الكحول كانت تجعل رئيسه «عرضة لخبال السكر أكثر من الرجل العادي». وأضاف بعد بضع سنوات: «ولم أكن في مركز يسمح لي بأن أطلب منه التوقف». و«لكنني لم أكن أريد استثمار وقتي في حملة صعبة كان احتمال خسارتها كبيراً، لأن المرشح لم يكن مالكاً زمام نفسه تماماً. . . فإذا كان يريدني أن أعمل له فقد كان عليه أن يبتعد عن الخمر».

وأثناء تأليف هذا الكتاب، جاء أول تأكيد ذي مصداقية للضرب المزعوم سنة 1962، من جون سيرز، المساعد السابق لنيكسون، والذي ارتقى إلى التميز السياسي. كان سيرز، الذي هو في مطلع ستينيات عمره الآن، قد لَفَتَ نظرَ نيكسون كمحامٍ شاب بعد مدة من انتخابات حاكم كاليفورنيا. وصار شخصيةً هامة في عودة نيكسون في سنة 1968، وانضم إلى نيكسون في البيت الأبيض كمخطط استراتيجي يعمل بإمرة إيرليكمان. وعمل بعد ذلك مديراً لحملة رونالد ريغان الانتخابية، ثم عمل مع جماعات القوى الضاغطة في أروقة الكونغرس[11]. وفي أيام الشباب، كان سيرز يتطلع إلى نيكسون كأنه والده

(11) لم تكن العلاقة على ما يرام بين سيرز، والمدعي العام جون ميتشل، الذي يبدو أنه كان يعتقد أن سيرز يسرِّب المعلومات للصحافة. وقد قرَّر أن يغادر البيت الأبيض بعد تسعة أشهر فقط، في تشرين الأول / أكتوبر 1969. وقد ظهر فيما بعد أن سيرز قد خضع للتنصت والتجسس أثناء تلك الفترة، ربما =

تقريباً. وفي سنة 1997 كان ما يزال يناقش سيرة رئيسه السابق بإعجاب غير قليل.

وقد استذكر سيرز في مقابلة أجريت معه سنة 1997 أنه عندما التقى الزوجين بدا له زواجهما «غريباً». وقد بدت له بات «امرأة قوية. وكان رأيها السياسي الغالب عليها هو أنها تكره السياسة. أما هو فقد كان من شأنه أن يرشح نفسه لأي شيء».

ثم روى سيرز ما عَلِمَهُ عن سوء معاملة نيكسون الجسدية، فقال إن محامي الأسرة «أخبرني بأن نيكسون قد ضربها في سنة 1962، وأنها قد هددت بتركه بسبب ذلك... إنني لا أتحدث عن مجرد لطمة. لقد سوّد عينها... وقد سمعت عن ذلك من بات هيلينغز. [صديق نيكسون وشريكه القديم] وكذلك من محامي الأسرة. وحدد سيرز هوية ذلك المحامي بأنه كان والر تايلور، الذي كان في سنة 1962 شريكاً كبيراً في مؤسسة آدمز ودوق وهيزلتاين، وهي المؤسسة التي انضم إليها نيكسون بعد هزيمته أمام جون ف. كيندي.

وكان تايلور، ابن رئيس شركة نفط «يونيون أويل»، قريباً من نيكسون بالتأكيد. فقد كان أبوه، ريس، واحداً من المؤيدين السياسيين الأصليين لنيكسون. وبعد قرض هيوز سيِّئ الصيت لشقيق نيكسون، كان ريس قد أقام محطة خدمات ليونيون أديل على قطعة الأرض التي قدمتها هنّا نيكسون كضمانة، مما زاد قيمة تلك الأرض بشكل كبير. وكان قد قدم أيضاً طائرة خاصة لتطير بنيكسون إلى أحد الاجتماعات الطقوسية للسماسرة الذين يتعاطون السلطة السياسية في البستان البوهيمي Bohemian Grove في كاليفورنيا الشمالية.

وكان والر تايلور، الابن، مسؤولاً عن الجمع بين نيكسون والشاب

= بسبب شكوك ميتشل. (إيرليكمان، مصدر سبق ذكره، ص 27، الحاشية؛ وايز، **الدولة البوليسية الأمريكية**، مصدر سبق ذكره، ص 56 وما يليها).

دونالد سيغريتيّ، الذي ساء صيته فيما بعد لتورطه في ووترغيت. وقيل إنه عمل أثناء رئاسة نيكسون كحامل حقيبة، قام بنقل ستين ألف دولار نقداً من متبرع ثري كان يأمل بأن يشتري لنفسه منصب سفير[12].

وهناك رسالة في سنة 1960، تكشف عن تزويده نيكسون بمعلومات سرية عن المؤتمر الوطني للحزب الديموقراطي، وتثبت أن تايلور هذا كان يعرف بات. وكان لوكانون، الصحافي البارز الذي حصل على معرفة مستفيضة بنيكسون أثناء سنواته في كاليفورنيا، قد قال إن تايلور هو «الرجل الذي ينبغي على المرء أن يتحدث معه» حول المشاكل في الزواج النيكسونيّ. «فقد كان يعرف بات. ومن شأنه أن يعلم عن ذلك الكثير».

وكما فهم سيرز من تايلور، فإن عملية الضرب الجسدي في سنة 1962 لم تكن واقعة منعزلة. ذلك أن المعاملة الزوجية السيئة متكررة بشكل يكاد يكون دائماً حقاً. وقد أدرج عالم نفسي استشاره المؤلف قائمة بالخصائص النموذجية الدائمة للأزواج الذين يسيئون معاملة شركاء حياتهم. فهم في العادة ـ ولكن ليس دائماً ـ من الرجال. ويميل المسيئون إلى أن تكون لديهم نظم من المعتقدات «جامدة، وغير شخصية، وغير مناسبة للتعامل مع الضغط والتوتر»، و«قيم تحترم النمطيات الجنسية الجامدة الصارمة». وهم يعتقدون أن «الاعتداء وسيلة من وسائل البقاء»، فليجأون إلى إساءة المعاملة جسدياً عندما يشعرون بأنهم «محشورون في زاوية، وعاجزون عن السيطرة على الوضع». كما أنهم «يتوقعون أن يلومهم الآخرون، ويصدروا عليهم الأحكام، أو يرفضوهم».

---

(12) كان المتبرع هو فرانسيس كيلوغ، القطب البارز في صناعة التعدين. وقد استذكر روبرت وينتر بيرغر، عضو جماعة الضغط السياسية بواشنطن، أنه رافق تايلور إلى مكتب كيلوغ، وحصل من هناك على خمسة وستين ألف دولار نقداً؛ وقال تايلور إن خمسة وأربعين ألفاً منها ستذهب إلى نيكسون رأساً. وكان كيلوغ يريد منصب سفير في إفريقيا، ولكنه اضطر إلى القبول بمنصب مساعد وزير الخارجية لشؤون اللجوء والهجرة، الذي قيل إنه يحمل عنوان سفير (وينتر بيرغر، مصدر سبق ذكره، ص 249 وما يليها).

ومن الإنصاف القول بأن نيكسون تنطبق عليه هذه الصورة إلى درجة أو أخرى ـ بما في ذلك احترام النمطيات الجنسية الجامدة الصارمة (فحتى في سنة 1970 وجه توبيخاً علنياً لامرأة متميزة من الجهاز الصحافي للبيت الأبيض لارتدائها بنطلوناً بدلاً من الفستان). وكما كتب توم ويكر في **النيويورك تايمز** عن نيكسون في ذروة الحملة الانتخابية في سنة 1962: «إنه أميل إلى المحافظة والانطواء على الذات، ومعرفته شديدة الصعوبة، إذ إنه لا يزال مندفعاً بحافز داخلي طاغٍ نحو السلطة، والانتقام الشخصي وإثبات الذات، وعلى وعي مؤلم بالهنات والنواقص. إنه رجل قد فرض على نفسه سيطرة ذاتية هي من الجمود الصارم بحيث تكاد تكون خفية غير منظورة».

في المذكرات التي كتبتها جولي نيكسون عن أمها، استذكرت كيف انتهى اليوم الذي تلا انتخابات سنة 1962: «استلقت أمي على سريرها، وقد عتَّمت الغرفة بإغلاق مصاريعها، وبكت أمامنا لأول مرة نستطيع تذكرها. فجلست أنا وأختي تريشيا على الأرض إلى جانب السرير، وبكينا أيضاً».

وفي ذلك المساء قام أصدقاء عائليون بأخذ ابنتي نيكسون إلى بيتهم بضعة أيام لإبعادهما عن ذلك الجوّ. وقالت جولي: «عندما رجعنا، بدا والداي في حالة طيبة». ولكن «كان هناك حزن»، كما قالت تريشيا لنيكسون نفسه فيما بعد، عندما سألها عن ذكريات مراهقتها أيام انتخابات سنة 1962، «وقد استمر ذلك الحزن سنوات».

وقد استذكر آرنهولت سميث، رجل الأعمال من سان دييغو، وأحد أوائل مؤيدي نيكسون، أمسية في أوائل ستينيّات القرن العشرين عندما كان نيكسون يتهيّأ لعقد اجتماع وطلب منه إبعاد بات من طريقه. وقال سميث: «لم تكن بات تشعر أنها بصحة جسدية طيبة، بل وأسوأ من ذلك. . . من الناحية العقلية. فأرسل لي دِكْ رسالة قال فيها (هل تستطيع من فضلك أن تأخذها وتخفيها عن عيون الناس، كما يقال، ودعها تريح ذهنها وما إلى هنالك؟).

وفي تلك الليلة أخذ سميث بات إلى العشاء في «**شيتو**»، وهو يخت كان ذات يوم من ممتلكات رئيس المكسيك. وعندما جلسا إلى مائدة طويلة في غرفة الطعام المبطنة بالخشب الممدد، انفجرت بات قائلة: «يا آرني، هل سيتوقف هذا المسلسل على الإطلاق؟» وقال سميث: «كانت تشعر بأنها محطمة، بمعنى أنهم عندما حطموا نيكسون، فقد حطموها».

بل راحت تتحدث عن الطلاق. وتابع سميث يقول: «أعتقد أنها كانت ستطلقه لو لم يوافق على البقاء بعيداً عن السياسة. غير أن نيكسون كان يريد أن يستمر. وما كان ذلك ممكناً بدونها. إذ كان عليه أن تكون له زوجة، حسب المواصفات المطلوبة في المرشح بالتمام والكمال، وكان عليها أن تضحي بمشاعرها من أجل الاستمرار معه على طريقه»[13].

واستذكر جون سيرز أن تايلور، محامي العائلة، قد أخبره عن مناقشات جرت بشأن الطلاق بعد واقعة الضرب المزعومة سنة 1962. «ولعلها وضعت شيئاً من المسافة بينهما. ولكنهما توصلا إلى نوع من الترتيب... كما يفعل الناس المتزوجون. ولكن الفكرة كانت هي إتاحة فرصة لها للراحة، بحيث يعيشان هذا النوع الآخر من الحياة فترة من الزمن. على أنها لن تعترض، وسوف تسير معه إن أراد العودة للعمل في السياسة وترشيح نفسه، ما دام لن يحدث شيء كتلك الواقعة مرة أخرى. ولكنه حدث...».

فقد أخبر جيمس باسيت أصدقاء له أنه حدث في قرابة هذا الوقت أن نيكسون «شرع يبحث عن علاج في نيويورك»، لأنه «كان مكتئباً... فقد تضاءلت حياته الجنسية إلى درجة جعلته يطلب المساعدة». وقيل بأن باسيت قال إن أحد أسباب ذلك الاكتئاب هو العجز الجنسي. إذ إن نيكسون شوهد

(13) في كتاب **الأيام الأخيرة**، روى وودوورد وبرينشتاين أن بات كانت تريد الطلاق من نيكسون بعد اندحاره في سنة 1962، وكتبا عن «رفضها السماح له بالاقتراب منها منذ ذلك الحين». («وودوورد وبرينشتاين، **الأيام الأخيرة**، مصدر سبق ذكره، ص 173).

وهو يدخل مكتب الطبيب النفسي الدكتور هتشنيكر أثناء تلك الفترة. وفي سنة 1995، عندما وقع الطبيب تحت ضغط أسئلة ملحّة عما إذا كان مريضه قد عانى من مشاكل جنسية، أنكر ذلك في بادئ الأمر، ثم تحدث عن تلك المشاكل بالتفصيل ولكن بطريقة مواربة(*).

وكانت سكرتيرة نيكسون، روز وودز، هي التي ترتب مواعيده مع الدكتور هتشنيكر. وكانت آنذاك في أوائل الأربعينيات من عمرها. وكانت شديدة الولاء لرئيسها، ولا تتسامح مع أي شخص لا يؤمن بمصيره السياسي. وذات مساء، كما قال باسيت، وُجِدَتْ هي ونيكسون معاً في مكتبه، وبينهما طاولة ممدودة للعشاء والشموع مشتعلة. وقال باسيت «إن روز كانت جالسة على الأريكة بكامل ملابسها وزينتها» وأن نيكسون كان «في الحقيقة آخذاً بمغازلتها».

ويكاد يكون من المؤكد أن هذا المشهد الصغير الحزين لم يكن له أي مغزى سوى الشعور المتبادل بينهما بالوحدة الموحشة. وقد استذكرت نانسي، زوجة موراي تشوتينر أنها قد سمعت بأن وودز كانت ذات مرة واقعة في غرام نيكسون. فاعتقدت أن ذلك «هو نوع الأشياء التي تحدث لأي شخص يعمل عند شخص واحدٍ مدةً طويلة». ووافق باسيت أيضاً على أن العلاقة ظلت أفلاطونية حالمة، «كعلاقة عذراء المعبد التي تعمل للكاهن الأعلى فيه».

كان آيزنهاور قد قال في أحد مجالسه الخصوصية: «إن هذا الرجل لن يكون رئيساً؛ فالناس لا يحبونه». وفي تشرين الثاني / نوفمبر سنة 1962 حكمت عليه مجلة **تايم** قائلة: «إن حياة نيكسون العامة قد انتهت، ولن تحييها إلاّ معجزة». وقبل ذلك بسنتين كان نيكسون قريباً من الحصول على منصب الرئيس. أمّا الآن [في سنة 1962]، كما قالت **النيويورك تايمز**، فقد كان «غير

(*) انظر ص 198.

منتخب، وغير مأسوف عليه، ومحامياً غير مُسْتَخْدَم». وعبّر عن حالته هذه صديقه برايس هارلو بقوله: «لقد تم إسقاطه وتُرِكَ على أنه ميّت».

وشعر الرئيس كيندي بالشماتة عند سماعه خبر اندحار نيكسون. وعلى متن طائرة السلاح الجوي رقم واحد، في الطريق إلى جنازة إليانور روزفلت، راقبت الصحافية ماري ماكفوري كيندي أثناء جلوسه مع رئيس المحكمة العليا، إيرل وارن، عدو نيكسون القديم. واستذكرت أنهما «ألصقا رأسيهما معاً وهما يتفحصان القصاصات ويتضاحكان كأنهما تلميذان في المدرسة».

وقال كيندي للمنتصر، وهو الحاكم براون، في مكالمة هاتفية مسجلة في البيت الأبيض: «لقد حَوَّلتَهُ إلى مستشفى للمجانين»، فردّ عليه براون: «لقد أعطيتني التعليمات، وأنا أتبع أوامرك». فقال الرئيس: «يا إلهي. إن خطابه الأخير. . . يبيّن أن مكانه هو الأريكة». (يقصد عيادة الطبيب النفسي).

فوافقه براون على ذلك وقال: «إنه شخص غريب الأطوار. . . وأعتقد حقاً أنه مضطرب نفسياً. . . إنه رجل قدير، ولكنه مخبول. . . مثل كثيرين من هؤلاء المصابين بالبارانويا» [جنون الارتياب في الآخرين].

وكان الرئيس قد قال بعد سماعه خطاب «لترفسوه»: «لا أحد يستطيع أن يتحدث هكذا ويكون طبيعياً».

ولقد اعتقد نيكسون أيضاً أن حياته العملية قد انتهت. فقال لبيلي غراهام: «لقد انتهيتُ. فبعد اندحارين متلاحقين مباشرين، لم يعد من المحتمل أن يتم ترشيحي لأي شيء مرة أخرى، أو إعطائي فرصة ثانية». وكان موراي تشوتينر، الذي عرفه منذ البداية، صوتاً وحيداً في التنبؤ بعكس ذلك، إذْ قال: «سيكون من الصعب عليَّ أن أتصور نيكسون مُبْعَداً عن المشهد الأمريكي».

وعندما كان تشوتينر يقول ذلك، كان نيكسون في إجازة في جزر البهاما، بدون بات في بادئ الأمر، ولكن مع خلّه الحميم بيب ريبوزو. كانت زوجته ـ

بغض النظر عن تعاستها الأخرى ـ قد شَكَتْ له من وضعها المالي، ولعلها تذكرت وعداً كان نيكسون قد قطعه على نفسه، قبل ذلك بسنوات طويلة، عندما كانا في طور التودد والمغازلة. فعندما قدمت له بات هدية في عيلاد ميلاده، أرسل لها بطاقة شكر وعدها فيها بأن يدفع لها أربعة مليارات دولار «عندما أبلغ الخمسين من عمري، أو قبل ذلك إذا سمحتِ لي».

وفي سن التاسعة والأربعين في سنة 1962، وهو في أخفض حضيض، بدأ يولي ميزانيته في البنك اهتماماً جدياً. وحسب رواية عدد من المصادر، فإن المكان الذي اختاره لعطلته في سنة 1962 سوف يصبح التربة التي يغرس فيها بذرة مستقبله. كان ذلك المكان جزيرةً تدعى الفردوس Paradise.



20

لقد اتهمتني أجهزة الإعلام... بتكديس أكوام من النقود السائلة...
وكانت هذه الاتهامات باطلة... فلم يكن لدي حافز لمراكمة الثروة...

ريتشارد نيكسون، سنة 1990

إنها قطعة ضيقة من الأرض، مجمل مساحتها ستمئة آكر [الآكر نحو أربعة آلاف متر مربع]. ولا يفصلها عن عاصمة جزر البهاما، ناسو، سوى خمسمئة ياردة من المياه. ولقد ظلت طيلة مئتي سنة أرضاً ذات شجيرات خفيضة في الغالب الأعمّ، بقعة مهملة خصصها المستعمرون البريطانيون كموقع لتنفيذ أحكام الإعدام. كما أنهم قاموا برعي الخنازير هناك، وهكذا أطلقوا عليها اسم «هوغْ آيلاند» ـ أي جزيرة الخنزير ـ. وبحلول منتصف الستينيّات من القرن العشرين، كانت قد أصبحت جوهرة مهيبة في حوض الكاريبي، بقعة لقضاء الإجازات مبهرجة مزوّقة، فيها كازينو وفندق متعدد الطوابق مزود بمصعد. وفي عالم الجريمة الأمريكي أطلق عليها بعضهم اسم جزيرة مِيِيَرْ، على اسم زعيم المافيا مِيِيَرْ لانسكي، الذي كان يعتبر جزر البهاما موقعاً مثالياً يحيي فيه إقطاعية القمار التي حرمه منها فيدل كاسترو. غير أن اسمها الجديد كان من الناحية الرسمية هو جزيرة الفردوس Paradise Island، وصارت حلم واحدٍ من أغنى أغنياء أمريكا، بل حماقته.

ففي حوالى 1960، كان هَنْتِنْغْتُونْ هارتفورد، الذي ورث سلسلة بقاليات A & P، قد قرر أن يحيل الجزيرة إلى أرض عجائب استوائية لقضاء الإجازات والعطلات. كان وهو في سن الخمسين خليعاً، فاسقاً، مدلّلاً، حزيناً، ولكنه

كان راعياً مشهوراً للفنون، فأراد بهذه الصفة أن يغيّر الفردوس بذوق حلو عذب.

وبعد إنفاق خمسة وعشرين مليون دولار، صار للجزيرة فندق صغير له لون بوظة الفريز أو الفراولة، محاط ببرك أسماك تظللها أشجار النخيل. وصار هناك مطعم للمتأنقين في اختيار مآكلهم، ومقهى المارتينيك، وميدان للغولف، وإسطبل لركوب الخيل، وساحات للتنس. وكان هناك دير إسباني من العصور الوسطى، كان قد شحنه إلى فلوريدا وليام راندولف هيرست [1863 ـ 1951، باني أكبر إمبراطورية للنشر في العالم ومالك 28 من الصحف الكبرى] فتم نقله إلى الجزيرة بشق الأنفس، حيث أعيد نصبه على قمة تل صغير. وصارت تطالع الزائرين تماثيل لهرقل، وجوزفين ـ زوجة نابليون ـ والرئيس تيودور روزفلت، ومستكشف مجاهل إفريقيا المعروف ديڤيد ليفينغستون، وفاوست بصحبة الشيطان.

إلى هذا المنتجع الغريب جاء نيكسون، بصحبة بيب ريبوزو، في تشرين الثاني / نوفمبر سنة 1962 بعد اندحاره في كاليفورنيا. (وجاء معهما في الرحلة أيضاً شخص لم يكن متوقعاً كثيراً هو جون ديفيز، الممتلئ الجسم، موظف شركة الهاتف الذي كان قد ساعد في كشف المتنصتين الديموقراطيين أثناء الحملة الانتخابية). وقد حيّا هنتنغتون هارتفورد المجموعةَ في المطار، ونقلهم إلى جزيرة الفردوس بزورقه البخاري.

وكان المليونير قد أُعْلِمَ بأن هؤلاء الضيوف محتاجون إلى خلوة. فكان هذا طلباً تسهل تلبيته لأن فندقه كان آنئذٍ خلواً من الضيوف. فقد كان فندقاً نخبوياً انتقائياً يصعب الوصول إليه، إلى درجة أنه قد أثبت أنه غير مربح على نحو ميؤوس منه. ومع ذلك فإن نيكسون وصديقيه لم يتلقوا أية فاتورة قَطّ.

وقيض لديفيز أن يستذكر فيما بعد، أن نيكسون قد أمضى كثيراً من وقته

في الفردوس وحيداً «غارقاً في تفكير عميق». وقال آخرون إنه كان من الواضح جداً أنه غارق في اليأس.

واستمرت مجموعة نيكسون مستفردة بالفندق لنفسها، حتى جاءت بات مع الطفلتين في عيد الشكر. ثم وصلت الشخصية التلفزيونية، جام بار وأسرته في رحلة مجانية نظمها له موظفو العلاقات العامة عند هارتفورد. وكان بار قد أجرى مقابلة مع نيكسون، وكان يأمل في إجراء مقابلة أخرى. ولكنه في هذه المرة صمت عشرين سنة قبل أن يصف النيكسون الذي قابله في جزيرة الفردوس.

استذكر بار أنه «كان رجلاً حزيناً، مكتئباً، شخصية وطنية يرثى لها كأتعس من رأيت في حياتي. وكان يتعاطى الخمر بشكل ثقيل. وقد رقّ قلبي لأسرته. . . كان نيكسون يجلس متفكراً في حسرة، وينطق بين الحين والآخر ببضع كلمات فيها تجديف وتدنيس للمقدسات. . .».

أما خادم هارتفورد وقاضي حاجاته عموماً، سي آلتر، الذي صدرت إليه الأوامر بأن يسهر على راحة نيكسون، فقد وجد أنه «نكد المزاج. . . وأنا مزهو بنفسي لأنني ممثل هزلي فكاهي هاوٍ جيد جداً، ولكنني لم أستطع أن أنتزع منه ضحكة».

ومع ذلك، أرسل نيكسون إلى هارتفورد فيما بعد علبة سجائر فضية مزخرفة بالحفر على سبيل الشكر. وقدر لنيكسون أن يعود إلى الفردوس في مزاج أكثر مرحاً بعد ذلك بخمس سنوات، في كانون الأول / ديسمبر 1967، بصحبة مجموعة من رجال الأعمال، والأرستقراطيين، وعارضات الأزياء، طاروا إلى احتفال باذخ سخيّ، ثم مرة أخرى إلى احتفال مماثل بعد ذلك ببضعة أسابيع، حيث بدا منظره غريباً متنافراً وسط باقة ممن تسميهم الصحافة الشعبية المصورة «ذوي الجمال».

كانت أشياء كثيرة قد تغيرت على جزيرة الفردوس في تلك السنوات الخمس. وكانت الحفلات التي حضرها نيكسون مخصصة للإعلان عن افتتاح فندق وكازينو باذخين جديدين. ولم يعد الضيوف يصلون بالقوارب، بل بسيارات الليموزين، عبر جسر أنيق فوق القناة الممتدة بين الجزيرة وناسو. وقد ظهر هارتفورد. ولكنه لم يكن حاضراً في حفل الافتتاح. ولم يذكر نيكسون أي شيء في مذكراته عن هذه المناسبة، بل إنه لم يذكر الجزيرة على الإطلاق، وكان لذلك سبب وجيه.

كان رجال الأعمال المشبوهون ذوو النظر الثاقب، قد سيطروا على زمام الأمور من المليونير الغريب الأطوار بحلول سنة 1967. وزعم البعض أن الكازينو الجديد لم يكن بدون ارتباطات مع مِييَرْ لانسكي. وحتى ملكية الجسر إلى الفردوس كانت تنطوي على مصرف سويسري تحيط به الشبهات. كانت هناك أكثر من شبهة إجرام حول الجزيرة، وهي شبهة سرعان ما ستقع على نيكسون وريبوزو، وتذهل المحققين في ووترغيت وتشعرهم بخيبة الأمل.

ولقد أصبح من الحقائق التاريخية الراسخة أن القمار وما يتصل به من خطايا، قد وصل إلى جزر البهاما على يد المافيا الأمريكية في أعقاب ثورة كاسترو في كوبا. ففي سنة 1962 التقى لانسكي بشركائه ـ وهم شقيقه جيك، وتشارلس (تشارلي النصل) ثورين، ومايكل («مايك الزناد») كوبولا، ودينو سيلليني، وماكس كورتني، وفرانك ريتر ـ وذلك في فندق فونتنبلو في ميامي، لمناقشة فتح كازينو على جزيرة البهاما الكبرى.

وللتغلّب على حقيقة كون القمار غير قانوني في جزر البهاما[1]، كان

---

(1) قبل الستينيات، لم يكن يسمح بتشغيل الكازينوات إلاّ لاثنين من «النوادي»، وفي فترة ازدحام موسم السياح فقط. وكان أحدهما، وهو النادي البَهامِيّ، يقع في ضواحي ناسو؛ أما الآخر فكان على جزيرة كات كاي. وقد أظهر نيكسون اهتماماً بزيارة كات كاي في سنة 1959. وقُدِّر لِبِيبْ ريبوزو أن يشتري الجزيرة سنة 1983. وكان نيكسون يقضي عطلاته فيها في أوقات لاحقة (ناديان فقط: ماهون، مصدر سبق ذكره، ص 60، ريتشارد نيكسون 1959: رسالة من ريتشارد نيكسون إلى إلمر بوبست في 18 =

لانسكي قد عرض رشوة قدرها مليونا دولار على رئيس مجلس إدارة تنمية الجزر. وكانت المحاماة مهنة ذلك الرئيس، «فرفض» ولكن ليقبل مبلغاً قريباً من ذلك «كأجور قانونية» لقاء ترتيب استثناء من قانون منع القمار(2).

وحسب تقريرٍ لأحد مخبري وزارة العدل، فإنه عند فتح الكازينو في جزيرة البهاما الكبرى، سرعان ما اتضح أنه يدار على طريقة المافيا:

> أفاد م م ت ـ 2 أن مدراء الموائد الخضراء يستخدمون قداحات سجائر ذهب رقيقة لها قعر مزور مركب فيه مغناطيس من أجل السيطرة على عجلات الروليت... وتستخدم هذه القداحات أيضاً في ألعاب النرد... حيث يتم حشو الزهر... و«دستي» بيترز المُتْرِب في غرفة الإحصاء كل ساعة، وعندما ينخفض الرصيد في البنك يصدر بيترز أوامره لجميع موزعي أوراق اللعب كي يبدأوا «بأخذ» اللاعبين.

ومع ازدهار اثنين من هذه الكازينوات، سرعان ما بدأ عملاء الولايات المتحدة يراقبون دان («دستي») بيترز وهو يطير من جزر البهاما إلى ميامي مرتين أسبوعياً. وفي كل رحلة كان يتجه إلى مصرف ميامي بيتش، حيث يودع ثلاثمئة ألف دولار، ثم يلتقي بأحد الأخوين لانسكي في فندق فونتنبلو. ولقد راحت هذه الأعمال تولد أموالاً بلغ من كثرتها أنها بحلول سنة 1967 بدأت تجد طريقها

= كانون الأول / ديسمبر 1959، ملفات المراسلات، السلسلة 320، الحقل 90، 90؛ تقرير لجنة التحقيق في تشغيل عمليات الكازينوات في فريبورت وناسو، ناسو، جزر البهاما: 1967، ص 65؛ ريبوزو: **الميامي هيرالد**، عدد 14 أيار / مايو، 1984؛ ومقابلة مع جيك جرنيغان؛ نيكسون يقضي عطلاته: **الناسيو تريبيون**، عدد 28 كانون الثاني / يناير 1986).

(2) أدلى السير ستافورد ساندز، البهامي الأبيض ورئيس مجلس الإنماء، بشهادة أمام لجنة التحقيق في عمليات المقامرة في جزر البهاما سنة 1967 قال فيها إن لاسكي زاره سنة 1960 أو 1961 وعَرَض شيكاً مصدَّقاً بمليوني دولار إذا استطاع السير ستافورد أن يحصل له على ترخيص لكازينو. وقال السير ستافورد إنه رفض عرض لاسكي. وعقد فيما بعد اجتماعات مع شركاء لاسكي المتورطين في إدارة كازينو تُشَغِّله المافيا تم فتحه سنة 1962 بموافقته ـ وأرباحه الكثيرة منه على شكل أتعاب قانونية (انظر النصّ). وبعد إخضاع عمل الكازينو ودور السير ستافورد فيه للتحقيق، قام بتصفية ممتلكاته في جزر البهاما وانتقل إلى إسبانيا. (صحيفة **ناسا تريبيون**، عدد 25 آب / أغسطس، 1967؛ هانك مسيك، **نقابات في الخارج**، طبع لندن: مكميلان، 1969، ص 224).

إلى المصارف، مرسلة بالبريد على شكل رزم مغلفة بصناديق بيرة من الكرتون أو الورق المقوى.

وعلى جزيرة الفردوس، على بعد 150 ميلاً عبر المحيط الأطلسي إلى الجنوب، ثارت ثائرة هنتنغتون هارتفورد عندما علم أن القمار قد سُمِح به على جزيرة البهاما الكبرى. ولما كان منتجعه كارثة مالية، فقد تقدم هو الآخر بطلب رخصة للقمار وإذْنٍ بإقامة جسر فوق القناة بين جزيرته والعاصمة ناسو. غير أن الرئيس الفاسد للتنمية في الجزيرة ـ وهو نفسه الذي سمح للكازينوات التي تدعمها المافيا ـ رفض طلب هارتفورد.

وفي آخر الأمر تمت الموافقة على رخصة تشغيل كازينو في الفردوس في سنة 1966، ولكن بموجب ترتيبات تجارية تجنبت هارتفورد وتمت من وراء ظهره. ذلك أن رئيس التنمية لم يأذن بالعمل إلاً بعد أن أُدْخِلَ في العملية المدعوُّ والاس غروفز، المحتال المدان ذو العلاقات مع مافيا لانسكي، على أن يتقاسم غروفز هذا معظم الأرباح مع شركة يديرها رجل أعمال أمريكي يدعى جيمس كروسبي(3) ـ وهذا عامل له صلة شديدة بالعلاقة النيكسونية ـ. وكان

(3) كانت الشركة التي ترأسها كروسبي عندما اشترى أملاكاً في جزيرة الفردوس هي شركة ماري كارتر المتحدة للدهانات. وقد باعها في سنة 1968 وأسس شركة المنتجعات الدولية. وفيما بعد أقامت هذه الشركة الدعوى على مجلة **رولنغ ستونز**، متهمة إياها بالتشهير بها في مقال كتبه هوارد كوهن بعنوان: «شركاء سرير غرباء ـ العلاقة بين هيوز ونيكسون ولاسكي: التحالف السري لوكالة المخابرات المركزية من الحرب العالمية الثانية إلى ووترغيت». وفي آخر الأمر نشرت المجلة المذكورة تراجعاً عن اتهاماتها قالت فيه فيما بعد: «بناء على الأدلة المتوفرة الآن، فإن المجلة مقتنعة بأن المنتجعات لم تكن واجهة لماير لانسكي، ولا للجريمة المنظمة، ولا لوكالة المخابرات المركزية. كما أنها لم تسمح للجريمة المنظمة وموظفيها بسحب عائدات القمار، ولم تقم بتسريب الأموال لجماعة الثورة المضادة في كوبا، ولم تتبع طرقاً أخرى لتبييض الأموال من عمليات سرية». وليس هناك شيء من المعلومات الهامة في هذا الفصل مأخوذ من مقال رولنغ ستونز.

وهناك وثيقة لوكالة المخابرات المركزية مفرج عنها سنة 1998، تتعلق بموضوع شركة المنتجعات المتحدة، مؤرخة في 18 آب / أغسطس، 1976، وقد نصت على أن: «شركة المنتجعات الدولية المتحدة كانت مثار اهتمام موظفي التغطية والتجارة، DO في سنتي 1972 و1973». كما تلاحظ أن مؤسسة والاس غروفز، التي كانت في بادئ الأمر شريكاً مع شركة ماري كارتر للدهانات في=

كروسبي هذا سيقيم أيضاً الجسرَ إلى الجزيرة. وهو ضروري ولازم لإيصال المقامرين إلى الكازينو.

كان كروسبي خريج جامعة جورجتاون، وابن نائب سابق للمدعي العام الأمريكي، وهكذا بدا محترماً بما فيه الكفاية، عندما انتقل إلى جزر البهاما لبدء العملية التي صارت «المنتجعات الدولية» فيما بعد، وهي إمبراطورية مكونة من فندق وكازينو. غير أن التفحص الدقيق يثير تساؤلات حول ارتباطاته وشراكاته. وبينما اهتم كروسبي بإبعاد غروفز عن عملية الفردوس، فإنه لم يفعل ذلك في الواقع إلاّ بعد أن تكشفت علاقة غروفز بالمافيا في مجلة **لايف**. وفي الوقت نفسه، فإنه تابع بهدوء مشروعاً عقارياً مع رجل آخر من أزلام لانسكي[4].

= شراء جزيرة الفردوس، كانت هي «موضوع الـ O.S في الملف رقم 473865» وكانت كذلك مثار اهتمام مكتب المحامي العام للانتفاع بمؤسسة غروفز كمستشار أو موظف محتمل لأحد مؤسسات مشروع WUMUTUAL. وتشير معلومات إضافية في هذا الملف إلى أن غروفز هذه كانت على علاقة مع ماير لانسكي». وتوضح وثائق أخرى للوكالة أنه قد تم طلب «موافقة على تغطية أمنية» في ما يتعلق بمؤسسة غروفز في شهر كانون الأول / ديسمبر 1965، قبل وقت قصير من شراء جزيرة الفردوس على يد ماري كارتر وغروفز. فتمت الموافقة على هذه التغطية ولم تُلْغَ حتى نيسان / إبريل 1972. (ماري كارتر أصبحت المنتجعات: تقرير لِحَمَلَة أسهم شركة المنتجعات الدولية، غير مؤرَّخ [1969؟]، مجموعة التكتل، وانظر ماهون، مصدر سبق ذكره، ص 77؛ والدعوى والتراجع: صحيفة **رولنغ ستونز**، عدد 28 نيسان / إبريل 1983، إشارة إلى المقالة في الصحيفة نفسها، في عدد 20 أيار / مايو 1976؛ وماهون، مصدر سبق ذكره، ص 42؛ وثيقة وكالة المخابرات المركزية 1998: جيري ج. براون، نائب الرئيس، مجموعة التحليل الأمني، موجهة إلى رئيس مجموعة التحليل الأمني، 18 آب / أغسطس 1976؛ سجل وكالة المخابرات المركزية برقم 10212 ـ 10408 ـ 104، سلسلة JFK، المفرج عنها تحت رمز FOIA؛ ووثائق أخرى للوكالة عن غروفز: المخابرات المركزية / الموافقة العملية وقسم الدعم، مكتب الوثائق الأمنية، «الموضوع: والاس غروفز»، 30 كانون الأول / ديسمبر، 1965 و26 كانون الثاني / يناير و8 نيسان / إبريل، 1966 و12 نيسان / إبريل 1972: مجموعة بلوك: غروفز وماري كارتر للدهانات: **النيويورك تايمز**، 17 كانون الثاني / يناير 1979.

(4) كانت الخطة العقارية، التي انهارت في آخر الأمر، تنطوي على بناء مجمعات مشتركة على جزيرة الفردوس. وكان «رَجُل لانسكي» المشترك في المشروع هو لو تشيسلر، وهو شريك كَنَديٌّ لغروفز. وكان تورُّط تشيسلر مع رجال العصابات يعود إلى أوائل الأربعينات من القرن العشرين. وقد التقى مع لانسكي لتخطيط عمليات تشغيل كازينو في جزر البهاما. انظر الفصل الحادي عشر، الحاشية 12 (العقارات: ماهون، مصدر سبق ذكره، ص 208؛ «رَجُل لانسكي»: بلوك: مصدر سبق ذكره، ص 43 وما يليها؛ مسّيك، **النقابة في الخارج**، مصدر سبق ذكره، ص 130، اللقاء مع لانسكي: **ناسو تريبيون**، عدد 18 نيسان / إبريل 1967).

ولقد قام آلان بروك، أستاذ إقامة العدل في جامعة ولاية بنسلفانيا[5]، بدراسة كاملة ومستفيضة لحياة كروسبي العملية، فاستنتج أن «الأموال التي تكدست لتمويل مشاريع جزيرة الفردوس وصلت إلى نحو 33 مليون دولار، كان يبدو أن نسبة 63 في المئة منها آتية من (مصادر غريبة مشبوهة) أو عن طريقها، وبعضها له صلة مباشرة بالجريمة المنظمة. . .».

وحتى بعد ذلك بسنوات، قدر للمحامين من قسم تطبيق قوانين ألعاب القمار في نيوجيرسي، أن يعارضوا إعطاء ترخيص بممارسة القمار لكروسبي وشركته، مستشهدين «بعلاقاته مع أشخاص وتنظيمات من ذوي السمعة السيئة»، وعلى وجه الدقة والتحديد بسجلاتهم على جزيرة الفردوس[6].

---

(5) كان الأستاذ آلان بلوك مستشاراً للجنة المنتخبة لبحث الجريمة، التابعة لمجلس شيوخ ولاية نيويورك، ورئيس تحرير مجلة دورية تبحث في علم الإجرام. وقد أَلَّف تسعة كتب عن الجريمة المنظمة، شملت واحداً عنوانه: **سادة الفردوس: الجريمة المنظمة ومصلحة الضرائب الداخلية في جزر البهاما**، طبع نيو برونزويك، نيوجيرسي: ترانسآكشن، 1991. وقد تمَّت مقابلته لأغراض هذا الكتاب، ووَضَعَ ملفَّه تحت تصرُّف المؤلف.

(6) كان بيتر، شقيق جيمس كروسبي موظفاً في الشركة المسجلة في سجلات المحكمة باعتبارها الشركة القابضة لشركة جيمس كروسبي، وهي ماري كارتر للدهانات. وكان لبيتر كروسبي شركاء في الجريمة المنظمة، وقد دين سنة 1960 وسجن بتهم الاحتيال البريدي، والاحتيال في السندات المالية، وبيع سندات مالية غير مسجلة. وتبعت ذلك قضايا مماثلة، في سنتي 1969 و1971، عندما دين مرة أخرى، بانتهاك قانون شركات الأعمال الصغيرة، وقد اختفى بينما كان مطلق السراح بسند كفالة وأدرج اسمه في قائمة المجرمين الهاربين. وكان يعيش في نيوجيرسي عند وفاة أخيه في سنة 1986. وفي سنة 1973، شهد لويس ماستريانا، محتال الأسهم والسندات، أنه وجون لومباردوزي، شقيق زعيم مافيا نيويورك الحامل للاسم نفسه، قد التقيا مع بيتر كروسبي في جزر البهاما لمناقشة إحدى عمليات الاحتيال التي اتهم بها كروسبي. وكما هو وارد في الفصل الحادي عشر، كان ماستريانا واحداً من الذين قالوا إنه كانت لهم معاملات مع ريبوزو، صديق نيكسون. وقد أثيرت الشكوك حول نزاهة ريبوزو بسبب تعامله مع سندات مسروقة. وفي تلك القضية أعطى ريبوزو اسم جيمس كروسبي باعتباره أحدَ الذين استشارهم بخصوص تلك السندات. وكان الشخص الآخر هو دونالد نيكسون. (الشركة القابضة: صحيفة **ميامي بيتش صَنْ**، عدد 29 كانون الثاني / يناير، 1970؛ الجرائم: جوناثان كويتني، **مؤامرة قلم الحبر**، طبع نيويورك، نوبف، 1973، ص 98، 294؛ **وشركة مانهاتن المتحدة**، شباط / فبراير 1987؛ شهادة ماستريانا: **محضر جلسات اللجنة الفرعية الدائمة للتحقيقات، لجنة العمليات الحكومية، (الجريمة المنظمة**: السندات المالية، والسرقات والاحتيالات)، مجلس الشيوخ الأمريكي، الكونغرس الثالث والتسعون، الجلسة الأولى، القسم الثاني، 18 أيلول / سبتمبر، 1973، ص 146 وما يليها؛ انظر =

وعندما تغيرت ملكية الجزيرة سنة 1966، كان مسؤول في وزارة العدل قد عبر عن رأيه في مذكرة صارت مشهورة الآن، فقد كتب يقول: «إن الجو يبدو مؤاتياً لقيام لانسكي بتجميع القشطة من على سطح الحليب». كان الأمر يبدو كذلك بالتأكيد.

وكان أول مدير لكازينو على جزيرة الفردوس هو إيدي سلليني، الذي منعته حكومة البهاما في آخر الأمر من دخول الجزر. وفي ذلك الحين كانت شركة كروسبي قد نقلته إلى فلوريدا. ولكن ذلك لم يحدث إلاّ بعد أن ساءت سمعته. وزعم موظفو الشركة أن سيلليني كان بريئاً، وأن التشهير به لم يكن له سبب سوى كون شقيقه دينو مساعداً للانسكي. ومع ذلك فإن إيدي سيلليني كان قد عمل في اثنين من كازينوات لانسكي من قَبْلُ في كوبا، ولوحق قضائياً في عملية تصفية لأوكار القمار في ولاية كنتكي.

وبعد ستة أشهر من حضور نيكسون لحفل افتتاح كازينو الفردوس، قامت مصلحة الضرائب الداخلية بمقاضاة كل من لانسكي ودينو سيلليني بتهمة إدارة رحلات للمقامرين إلى الجزيرة. وكان أول شخص من رجال العصابات يخرق قانون الصمت لدى المافيا هو فنسينت تيريزا، فشهد بأن لانسكي ودينو سيلليني كانا متورطين في كازينو الفردوس حتى سنة 1971 (وكان تيريزا هو الذي سمّىٰ الفرودس «جزيرة ماير»)[7]. وقال مفتش في كازينو الفردوس وعميل سابق لمكتب التحقيقات الاتحادي متخصص في جرائم الكازينوات، إن أتباع لانسكي الموثوقين «ظلوا يملون» أوامرهم على جماعة كروسبي حتى سنة 1973.

= أيضاً شهادة باتسي ليبارا في القسم الثالث، ص 454، 472؛ استشارة ريبوزو لجيمس كروسبي، **الواشنطن بوست**، عدد 25، تشرين الأول / أكتوبر 1973).

(7) بينما حاول أحد موظفي المنتجعات أن يدمغ فنسنت تيريزا بأنه كاذب، فإن مستشار الحكومة إدوار هارينغتون، الذي صار فيما بعد المدعي الأمريكي في بوسطن، أعلن أنه شاهد صادق. وقد دين عشرون متهماً على أساس شهادة تيريزا. (ماهون، مصدر سبق ذكره، ص 233).

وليس من الواضح متى تورط نيكسون بالضبط مع كروسبي وأوساط القمار في الكاريبي. ولكنه كان ماثلاً في عملية ترويج لكروسبي في سنة 1960، عندما كان مرشحاً لمنصب رئيس الولايات المتحدة. وكان كروسبي يروّج لأسلوب جديد في الإعلان. فقد استخدم كروسبي وسيلة تسمى أداة العرض السماوية، لعرض صورة هائلة الحجم لنيكسون، وسدادة زجاجة بيبسي كولا ـ برفقة شخصية غير متوقعة، هي نجمة الأفلام الفرنسية بريجيت باردو ـ على جانب ناطحة سحاب في مانهاتن.

وكان مدبّر أمور لانسكي في جزر البهاما، لو تشيسلر، قد تبرع بأموال نقدية لحملة نيكسون الانتخابية في تلك السنة، بل وتجول معه في رحلاته. أما الطيار الذي كان ينقل نيكسون أثناء تلك الحملة، فقد تابع عمله كأجير عند تشيسلر. وأما سي آلتر، الذي كان يعنى بنيكسون وهو على جزيرة الفردوس بعد اندحاره في انتخابات حاكم كاليفورنيا سنة 1962، فقد كان أكثر من مضيف، وكانت معرفته بنيكسون وريبوزو معاً أكثر من عابرة.

كان فرانك سميث، الوكيل المحترف السابق لمكتب التحقيقات الاتحادي قد أرسل لتطهير كازينوات البهاما. فوصف آلتر بأنه «رجل عصابات» على علاقة مباشرة «بأتباع ماير لانسكي منذ أيامهم القديمة. . . [حيث كان] رجل إيدي سيلليني». وكان الأستاذ بلوك، الخبير بجرائم جزر البهاما قد كتب أن آلتر «قد استحق سمعته كمفسد».

وكان آلتر قد التقى بلانسكي في الشهر الذي سبق وصول نيكسون إلى جزيرة الفردوس، بخصوص الجهود المبذولة للحصول على ترخيص لكازينو على الجزيرة. وكان في حينه واقعاً في مشاكل ومتاعب في الولايات المتحدة، بسبب جرائم كان من شأنها فيما بعد أن جعلت المسؤولين يعارضون اشتغاله في أي كازينو. فقد لوحق بتهمة خرق قوانين المشروبات الكحولية في مخزن كان يديره في نيويورك، فحاول تجنب الاتهامات برشوة الموظفين، بمن فيهم

القاضي. كما حاول الوصول إلى السناتور جاكوب جاڤيتز في نيويورك، على أمل استخدام «نفوذه السياسي في الحزب الجمهوري».

وبدلاً من أن ينأى نيكسون وريبوزو بنفسيهما عن مثل هذا الشخص المشبوه، فقد أقاما علاقة معه. فزاراه في مخزن مشروباته في نيويورك في غضون أسابيع من رحلة سنة 1962 إلى جزيرة الفردوس، وبينما كان لا يزال متورطاً في مشاكل مع القانون. والتقى آلتر مع نيكسون في السنوات التالية. ووجد نيكسون وقتاً لزيارته عندما كان في المستشفى. وصارت علاقة آلتر بريبوزو وثيقة إلى درجة آن آلتر سُمِحَ له بدخول البيت الأبيض في فلوريدا - وهو مجمع نيكسون - ريبوزو - في ذروة فضيحة ووترغيت.

وفي مصرف ريبوزو في كي بسكين، حيث أدار آلتر صفقات كثيرة، كان يلقى عناية خاصة. إذْ إن ريبوزو قال لأحد كبار معاونيه: «إن آلتر صديق لنا، فعامله جيداً».

ومثل هذه الرعاية المفرطة من ريبوزو مفهومة، سواء أكانت بصدد المعروف الذي كان مديناً به لآلتر أم لاهتمامه بالسرية والكتمان. وحسب رواية فرانك سميث، العميل السابق لمكتب التحقيقات الاتحادي، فقد «كان ريبوزو ونيكسون كلاهما مشارك في المفاوضات» من أجل الترخيص للكازينو على جزيرة الفردوس. فإن كان ذلك صحيحاً، فإنه دور مشبوه لرجل لديه تطلعات رئاسية.

ولقد كان من شأن تلك العلاقة على جزيرة الفردوس أن تقدم أموالاً بالغة الأهمية، لحملة نيكسون الناجحة التي أوصلته إلى البيت الأبيض سنة 1968. ذلك أن آلتر، الذي استمر في العمل هناك بعد استيلاء كروسبي على الفردوس، أخذ زمام المبادرة. واستذكر: «كنت أعرف أناساً كثيرين. وشعرت أن باستطاعتي تقديم نيكسون لهم. فتحدثت مع كروسبي وقلت له: (أعتقد أن هذه لن تكون صفقة سيئة بالنسبة لك) ثم تحدثت هاتفياً مع بيب وقلت له: (إن

كروسبي قد يكون مهتماً بهذه الحملة). فرتبنا لقاء، فاجتمع كروسبي مع بيب في مقر بيب، بعد ساعات الإغلاق».

ثم التقى نيكسون نفسه بكروسبي. وهكذا أسهم صاحب الكازينو بتبرع قدره مئة ألف دولار لحملة سنة 1968. ووصل مبلغ مماثل على الأقل، وربما أكثر من ذلك، من أصدقاء كروسبي(8).

وقد وجد نيكسون وقتاً في صيف تلك السنة للعودة إلى جزيرة الفردوس كي يتعشى مع وليّ نعمته. ثم حضر بعد ذلك حفلة على «**كوسا غراند**»، وهو اليخت الفاره الباذخ الذي وضعه كروسبي تحت تصرف الحفل أثناء المؤتمر الوطني للحزب الجمهوري.

وأثناء رئاسة نيكسون، قام بنفسه بمرافقة كروسبي في جولة بالبيت الأبيض. وفي تلك الأثناء أعلن صاحب الكازينو أن جيمس غولدن، الذي كان قد خدم نيكسون كمساعد خاص ورئيس للأمن، قد انضم إلى موظفيه. وصار موظفو الشركة الداخليون المطلعون على بواطن الأمور يعرفون غولدن بصفته «رجل نيكسون». واستذكر إيرليكمان «كثيراً من حركات الذهاب والمجيء» في المكتب البيضاوي بخصوص تقديم العون لشركة كروسبي، وكان ريبوزو هو الوسيط.

وقام ريبوزو وبعض مساعدي البيت الأبيض بزيارة جزيرة الفردوس أثناء فترة الرئاسة، إلاّ أن نيكسون لم يفعل، بناء على نصيحة رجال الشرطة السرية. وقد عبرت عن ذلك مجلة **بارونز** بلهجة لاذعة: «إن رؤساء الولايات المتحدة لا

---

(8) لقد تبرع أحد هؤلاء الأصدقاء، وهو ريتشارد بيستل، متعهد المباريات الرياضية في نيويورك، بسبعة عشر ألف دولار. وكان بيستل هذا قد ساعد في تشكيل عمليات كازينو كروسبي. وقد لاحقته لجنة السندات والمبادلات المالية بتهمة الاحتيال. وفي مطلع السبعينيات كان أول من أثار اهتمام الممول روبرت فيسكو بشراء جزيرة الفردوس. (التبرع: NACLA مجلة **لاتن آميركان إمباير ريبورت**، عدد تشرين الأول / أكتوبر 1972؛ ساعد في تشكيل. . . : **وول ستريت جورنال**، 5 تشرين الأول / أكتوبر (؟)، 1972؛ لاحقته: روبرت هاتشيسون، مصدر سبق ذكره، ص 264).

يترددون على أماكن لعب القمار متسكعين». وبدلاً من ذلك، اجتمع نيكسون بكروسبي على جزيرة أخرى من جزر البهاما[9].

وفي سنة 1968، في مهرجان افتتاح كازينو الفردوس، أدلى نيكسون بملاحظة قال فيها إن الجزيرة «يمكن أن تكون واحدة من أهم مشاريع الاستثمار الأمريكي في الخارج». ولعلها قد أثبتت أيضاً أنها مصدر مربح لدخل وفير له.

«لقد كان نيكسون رجلاً جذاباً انتهى به الأمر ـ ومعه جيم كروسبي ـ إلى معاملتي بطريقة قاسية ظالمة». هكذا زعم هنتنغتون هارتفورد، الذي انتهى به المطاف بعد سنوات طويلة إلى إقامة دعوى على كروسبي لحرمانه من شريحته في الفردوس. وقد أقام الدعوى على وجه الخصوص حول الأرباح من الرسوم المفروضة على مستخدمي الجسر الواصل بين الجزيرة والبر الرئيسي. وهنا يحوم لغز غامض.

كان رسم العبور دولارين ـ وهو سعر ابتزازي مرتفع في تلك الأيام ـ وبذلك كان الجسر يحقق عائدات هامة. فقد استرجع كلفته بحلول سنة 1969، وراح منذ ذلك الحين فصاعداً يغلّ مبلغاً يراوح بين مليون ومليون ونصف مليون دولار كل سنة. فإذا أخذ المرء بالرقم الأقل فإن الجسر كان يولد بأسعار هذه الأيام ما يقرب من خمسة ملايين دولار[10].

---

(9) قام هنري كيسنجر بزيارة جزيرة الفردوس، كما فعل المساعد الصحافي رون زيغلر. وسافر كروسبي مع كيسنجر كي يلتقي مع نيكسون على جزيرة غراندكاي، التي يملكها روبرت آبلانالب، صديق الرئيس. وكان آبلانب يختلف إلى كازينو الفردوس، وقيل إنه خسر مبالغ كبيرة على موائد القمار هناك. (كيسنجر: **النيويورك تايمز**، عدد 21 كانون الثاني / يناير، 1974؛ مذكرة غير مؤرخة، من وارين آدامز إلى جون سابليتش، تقرير فيديلفاكتس، أعلاه، ص 545، نقلاً عن إذ وود روف، مدير العلاقات العامة لمشاريع الفردوس؛ زيغلر: المصدر السابق نفسه؛ كروسبي، غراندكاي، آبلانالب: **النيويورك تايمز**، عدد 21 كانون الثاني / يناير، 1974).

(10) ذكر مقال في مجلة **بارونز** سنة 1977 أن الدخل السنوي للجسر كان «نحو مليون». وقد حصل المؤلف على بعض الأرقام من سي آلتر، الذي كان يدير الجسم سنة 1967، بينما قال مدير الأمن في جزيرة الفردوس، بول شيلي، إن الجسر قد جمع مبلغاً إجمالياً وصل إلى ثمانية عشر ألف دولار في ثلاثة أيام عند عطلة نهاية الأسبوع. (**بارونز**، عدد 26 أيلول / سبتمبر، 1977؛ مقابلة مع سيمور =

وتكشف فيما بعد أن 80 بالمئة من أسهم ذلك الجسر، كانت في يد مجموعة مؤلفة من كروسبي نفسه، وزميل له مرتبط بشركة مقرها في فلوريدا تدعى بنغويت كونسوليديتد، ومؤسسة تجارية آنغلو ـ كندية. أما العشرون بالمئة الباقية فكان يملكها «عدد من الأشخاص» يمثلهم مصرف سويسري.

وكان هنتنغتون هارتفورد قد قال في وقت مبكر إن لديه «سبباً يجعله يعتقد» أن أحد أولئك الأشخاص «صديق حميم للرئيس نيكسون. وزعم في مجالسه الخاصة أنه يعرف بوجود أرصدة كثيفة كدسها نيكسون في مصرف سويسري. أما كروسبي فقد أنكر من جانبه أن نيكسون أو ريبوزو كانا مستثمرين سرّيّين في الجسر، ولكنه رفض تحديد هوية حملة الأسهم المكتومة أسماؤهم. وتشير المعلومات المتوفرة الآن أن ادعاء هارتفورد كان أكثر من تخمين متهور لا أساس له سوى خيالات مليونير كان يعتقد أنه وقع ضحية عملية احتيال وخديعة.

أمّا فرانك سميث، الموظف السابق في مكتب التحقيقات الاتحادي، الذي ربط نيكسون وريبوزو في التخطيط لكازينو الفردوس، فقد ذكر أيضاً أنهما كانا طرفاً في المفاوضات بشأن بناء ذلك الجسر. ونظراً لأن سميث كان معاوناً سابقاً لرئيس شركة بنغويت الموحدة المذكورة أعلاه، فقد كان في موقع جيد يمكنه من امتلاك مثل هذه المعلومات.

وكذلك كان آلان بتلر، مؤسس مصرف بتلر في ناسو، الذي ظل فترة من الزمن شريكاً للمموّل الوغد المحتال روبرت فيسكو. وقد كان لدى فيسكو سبب للاطلاع على شؤون جزيرة الفردوس: فلقد حاول أن يشتريها. وقال بتلر إن أحد المصارف المالكة للجسر كان هو المصرف الاسمي لنيكسون،

= آلتر؛ مذكرة إلى ملف مخبر مصلحة الضرائب الداخلية TW - 24 [المعروف بأنه نورمان كاسبر]، في 7 تشرين الثاني / نوفمبر، 1973، أوراق كاسبر، وبحث لمصلحة المؤلف قامت به الباحثة كاترين كيلي في مدينة ناسو).

وريبوزو، وطرف ثالث. وعندما طرحت أسئلة شفوية على البيت الأبيض أيام إقامة نيكسون فيه رئيساً حول هذه التأكيدات، جوبهت بنفي قاطع. كما أن استعلاماً خطياً مكتوباً ظل بلا جواب[11].

وقد لقي أحد المراسلين حظّاً أوفر سنة 1987 في مقابلة أجراها مع المدعي العام، جون ميتشل، الذي كان واحداً من أقرب المقربين إلى الرئيس السابق. فعندما سئل إنْ كان يعلم أَنَّ هناك ممتلكات لنيكسون في بلد خارجي، ولا تخضع لقوانين الضرائب في ذلك البلد، أجاب أنه لا يعرف سوى «ما كان يتلقاه من حصته في جسر جزيرة الفردوس». فسأله المراسل وهو مذهول عما إذا كان يمزح. ولكن ميتشل هزّ رأسه وقال ببطء: «كلاّ. لقد كان نيكسون يملك الجسر».

إن قصة نيكسون مليئة بالشائعات عن أرباح حصل عليها بطرق غير مشروعة. ولقد سقطت قذائف منها كثيرة على الذين اضطلعوا بتحقيقات ووترغيت. وقد استذكر كارل فيلدباوم، المدعي العام في مجموعة الادعاء الخاصة بووترغيت: «إننا لا نتحدث عن عشرين [شائعة] في الأسبوع. بل نتحدث عن عشرين في اليوم». وحتى مع العمل على مدار الساعة فلم يكن هناك ما يكفي من الوقت أو المال لمتابعة كل شيء. ومن بين أمثال هذه الأدلة ادعاء مالي خطير ظل لغزاً بلا حلّ، رغم أنه كان كما يبدو «يشكل أساساً

(11) كان الشريك الثالث، حسب رواية بتلر، هو السناتور جورج سماذرز، الصديق المتبادل لكل من نيكسون وريبوزو. وقد استذكر آليكساندر هيغ، آخر رئيس لأركان نيكسون في البيت الأبيض، أن الرئيس قد أمره أن ينشر بيانات إنكار في مجلتي **تايم ونيوزويك** وقد قام روبرت هاتشيسون (وهو حجة في قضية فيسكو) بتوجيه تحقيق مكتوب عن نيكسون وملكية الجسر إلى البيت الأبيض، فلم يحصل حتى على رد شكلي صوري. (سماذرز: هاتشيسون، مصدر سبق ذكره، ص 282؛ آليكساندر هيغ: مقابلة مع آليكساندر هيغ في كتاب: **نيكسون، تاريخ شفوي لرئاسته** من تأليف جيرالد س. ستروبر وديبورا هارت ستروبر، مصدر سبق ذكره، ص 427؛ هاتشيسون: هاتشيسون، مصدر سبق ذكره، ص 282.

صالحاً لإجراء تحقيق» كما أبلغ فيلدباوم رئيسه. ولكن البحث الجديد اليوم قد كشف عن قصة خارقة للعادة.

بدأت هذه القصة ذات يوم معتدل منعش الطقس في فلوريدا، بعد بضعة أسابيع فقط من تدشين ولاية نيكسون كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية سنة 1969، عندما كان الرئيس الجديد يتجول في خليج بسكين على قارب ريبوزو المسمى «**كوكولوبو**». وكان ريبوزو قد أخبر أعضاء نادي اليخوت أنه يخشى «أن يلتقط أحد صورة خاطفة أثناء وجود نيكسون على متن القارب». ولقد ثبت أنه كان لمخاوفه هذه ما يبررها. فقد كان جورج سيلك، مصور مجلة **لايف**، *مختبئاً في الطابق السفلي على متن أحد القوارب في الميناء، وآلة تصويره مخبأة* في حقيبة مصنوعة من القماش المتين.

وحالما خطا نيكسون إلى الشاطئ مع الكثير من مرافقيه، نهض سيلك وبدأ يلتقط الصور. وبعد ثوان خاطفة هرع إليه رجال الشرطة السرية راكضين وقد شهروا أسلحتهم. وقد استذكر ذلك المصور في سنة 1997 أن تلك كانت لحظة مخيفة. ولكن نتيجتها كانت صورةً نادرةً لنيكسون في ملابس عَرَضِيَّة مبتذلة غير رسمية ـ وشيئاً آخر لعله أكثر إثارة للاهتمام بكثير، شيئاً ما كان يستطيع سيلك أن يخمنه في ذلك الحين.

وبعد تلك الواقعة بأربع سنوات، في حزيران / يونيو سنة 1973، تلقى مراسل لصحيفة **سياتل بوست إنتليجنسر** يدعى مايكل بكلي وشاية هاتفية عن تاجر معادن نفيسة يدعى ديڤيد سيلبرمان زعم المتكلم المجهول في الهاتف أنه «متورط في صفقات ذهب كبرى مع موظفي لجنة إعادة انتخاب الرئيس والبيت الأبيض». وزعم المتكلم أن بين أوراق سيلبرمان «مجلة **لايف**، العدد المؤرخ في 21 شباط / فبراير سنة 1969، الذي يتضمن عدة صور فوتوغرافية. . . من بينها واحدة يظهر فيها نيكسون، وريبوزو، وسيلبرمان يمشون على رصيف الميناء».

وانهمك بكلي في التحقيق شهوراً. فعلم أن سيلبرمان كان مهرباً معروفاً ينقل الذهب والفضة عبر الحدود الكندية. وعندما لحق به بكلي، اعترف له سيلبرمان أنه قد عمل لمصلحة ساسة من كلا الحزبين، ولكنه أنكر معرفته بالرئيس أو ريبوزو. وعندما جوبه بالصورة في مجلة **لايف**، اعتذر وتوجه نحو هاتفه. ولدى عودته أنكر أن يكون قد رأى تلك الصورة في حياته.

وكان سيلبرمان آنذاك في منتصف الثلاثينيات من عمره. وكانت مهنته هي المتاجرة بالسلع حسب عمله مع شركته الخاصة به، والمعروفة باسم «شركة المعادن الأمريكية المتحدة». وكان أصدقاؤه المقربون منه يعرفون أنه رجل يعيش على الهامش، ويستمتع بالمغامرات والمخاطرات، خارقاً القواعد والقوانين. واستذكرت زوجته كيف وضع كومة من قضبان الذهب ذات مرة على شكل هرم على مائدة المطبخ. وكانت سكرتيرته على علم برحلات رئيسها إلى البنوك السويسرية. وهي رحلات كان سيلبرمان يرفض مناقشتها بالتفصيل. وفيما بعد عثرت ابنته بين أشيائه على أرقام خمسة وعشرين حساباً في المصارف السويسرية.

وكان عددٌ من خلطاء سيلبرمان، وبعضهم له خلفيات مشبوهة كذلك، ومن هنا يأتي ترددهم في الحديث عن أعماله لغرض التسجيل بصورة رسمية، ومع ذلك تحدثوا عن علاقاته بكازينوات لاس فيغاس، والمافيا، ومصرف في فلوريدا مرتبط بمِيِيَرْ لانسكي.

وفي الوقت نفسه كانت زوجته، إيلسي، تعتقد أن زوجها لديه «قانون للنزاهة الأخلاقية خاص به». وقالت سكرتيرته دي آن هيل: «لقد كان لغزاً غامضاً، شديد الذكاء، كتوماً، مراوغاً، ومع ذلك يمتلك جاذبية اجتماعية آسرة، واهتماماً لطيفاً بالناس. ورغم أنني كنت ساذجة، فقد شعرت معه أن عليّ أن أهتم بحراسة قفاي لئلا يطعنني في الظهر غدراً». وبعد سبع سنوات من فضيحة ووترغيت، أرسل سيلبرمان إلى السجن مدى الحياة، بعد إدانته بقتل

مرافِقَةٍ لموظف جمهوري محليّ زعم أن سيلبرمان قد غشّه في صفقة ذهب.

وكان سيلبرمان نفسُه جمهورياً ظل يتحدث بعد عشرات السنين عن نيكسون بإعجاب. وقد قام شريك له يَعْتَبِرُ أحدَ الأقارب القريبين للرئيس السابق صديقاً له، بإخبار مكتب التحقيقات الاتحادي أن «سيلبرمان تلقى كمية كبيرة من النقود السائلة من هربرت كالمباخ [محامي نيكسون وجامع الأموال له] ليحولها إلى شهادات ذهب. . .» وقال آخر إنه علم ـ ولكن ليس من سيلبرمان مباشرة ـ أن سيلبرمان «كانت له علاقة عمل تجارية مع ريبوزو».

ويتذكر الذين كانوا قريبين من سيلبرمان ذات مرة أنه قد عرض صورتين مؤطرتين، إحداهما تحمل توقيعاً وتظهره مع نيكسون في أثناء نشاط غير معروف. أما الأخرى، التي وضعها في منزله مع أشياء أخرى تستحق الجمع، فكانت نسخة من الصورة المأخوذة في كي بسكين سنة 1969 والمنشورة بمجلة **لايف**. وهي تُظْهِرُ نيكسون **بوضوح**، مرتدياً جاكتة دافئة ملتصقة بجسمه جيداً، مع ريبوزو إلى جانبه بملابس سوداء وهم يمشون على طول رصيف الميناء. وخلفهم ثلاثة رجال، اثنان منهم يرتديان قميصي بولو أبيضين من الوَبَر، وواحد بقميص مفتوح الرقبة، وسترة فضفاضة داكنة اللون (انظر الصورة رقم 35).

وقد أجريت مقابلة لأغراض هذا الكتاب مع اثنين من أصدقاء سيلبرمان فتذكرا إشارة سيلبرمان إلى الصورة وهو يقول بشكل عابر عفوي أنها اْلْتُقِطَتْ في كي بسكين وأنه واحد من الرجال الظاهرين فيها خلف نيكسون. ولم يزد أي تفصيل على ذلك، كما أن واحداً من أصدقائه لم يستغرب على أي نحو خاص. وقال جاك كاسينيتو، زميله السابق: «كان منفتحاً بخصوص بعض الأشياء، وشديد التكتم حول أشياء أخرى».

وتتذكره إيلسي عندما وضع الصورة في إطار. فكانت هي وابنتها كاثي يعتقدان أنها تشبهه، بينما كانت أمه تعتقد أن الذي في الصورة هو ابنها فعلاً.

ولاحظت سكرتيرتُهُ الشبهَ أيضاً. وقد افترض المؤلف بشكل صحيح أن اثنين من الرجال الظاهرين في مؤخرة الصورة هما من الحرس المرافقين من الشرطة السرية، فاتصل بموظف الشرطة السرية السابق آرت غودڤري، الذي كان يترأس مفارز الأمن المخصصة لهذه المهمات. فاتضح أنه يعرف تلك الصورة لأنه وضعها في إطار على جداره كذلك.

وقال غودڤري إنه هو الرجل الواقف خلف نيكسون على اليسار، وأن الرجل ذا القميص الأبيض هو زميله الشرطي بوب جيمسون، وأن الرجل ذا النظارات الداكنة والجاكتة كان ـ قولاً واحداً ـ شرطياً ثالثاً اسمه إيرل مور. وعندما تم الاتصال بمور في منزله بفلوريدا قال إنه فعلاً الشخص المرتدي الجاكتة.

ومع ذلك فقد تصرف مور على نحو غريب. فبعد أن وافق على إرسال صورة فوتوغرافية التقطت له أثناء الفترة نفسها، غيّر رأيه فجأة. وعند الاتصال به ثانية رفض مرة أخرى وأغلق سماعة الهاتف في وجه محدّثه. وكان غودڤري من جانبه قريباً على نحو غير عادي من نيكسون وريبوزو معاً. وبعد التقاعد، قام بزيارة الرئيس المجلل بالخزي والعار في سان كليمنت سنة 1974، وشاهد معه سباق الجائزة الكبرى للسيارات في لونغ بيتش. بل إن ريبوزو طلب من غودڤري أن يشتغل عنده. وحتى سنة 1994 كان غودڤري عضواً في مجموعة شباط / فبراير. وهي رابطة للموالين الثابتين الصامدين لنيكسون.

كان شعار النبالة للشرطة السرية يثير الإعجاب بحق، بشجاعة أعضائها وكفاءتهم في حماية الرؤساء جسدياً، ولكنه لم يخلُ من إثارة النزاع الخلافيّ أثناء رئاسة نيكسون. وكان أشهر أبطالها، روفوس يونغبلود، الذي تلقى ميدالية على شجاعته أثناء اغتيال كيندي، قد ترك الخدمة بغضب، متهماً مساعدي نيكسون المقربين باستغلال المؤسسة وجعلها في خدمة مصالحهم «مثل ديزني لاند». فقد سمحت المؤسسة باستخدامها لأغراض سياسية وخاصة، كالتجسس

على منافسي نيكسون مثل إدوارد كيندي وجورج ماكغفرن، واستطلاع أحوال شقيقه دونالد.

وقدر للنيويورك تايمز أن تكتب عن «إفساد نيكسون للشرطة السرية»، وعن وجود «علامات مثيرة للقلق بأن المؤسسة الأمنية صارت تقدم الخدمة لشخصه على أي تقليد من تقاليد الخدمة العامة». وزعم إدوارد مورغان، نائب المستشار السابق في البيت الأبيض، أنه حاول تحويل المؤسسة المذكورة إلى «شرطته السرية» الشخصية. واستذكر جون إيرليكمان: «لقد أقلقني هذا الأمر. فالشرطة السرية كانت نادراً ما ترفض طلباً للرئيس. بل إن منتسبيها كانوا شديدي الرغبة في إرضائه».

ويمكن أن يبقى ولاء رجال الشرطة السرية للرؤساء ثابتاً بعد وقت طويل من مغادرتهم مناصبهم، وفي مناطق نائية عن مهماتهم الرسمية. ففي سنة 1992 عُرِضَت على أحد كبار الموظفين الأمنيّين السابقين صورة صحافية تظهره مع الرئيس كيندي في شيكاغو، اقترح بطريقة غريبة ومضحكة أن الصورة قد تكون ملفقة أُلْصِقَ فيها رأسُهُ بجسم شخص آخر. وكان سياق تلك المقابلة سؤالاً عن نشاط كيندي مع إحدى عشيقاته[12].

وضمن هذا السياق ليس المرء بحاجة إلى قبول تأكيدات موظفي الشرطة السرية السابقين، حول الصورة المزعوم أنها تظهر نيكسون مع مهرب الذهب ديڤيد سيلبرمان ـ خاصة عندما تذكر وثيقة عن القضية في ملف مكتب

(12) كان العميل السابق جيرالد بين قد رافق كيندي في زيارة إلى شيكاغو في نيسان / أبريل سنة 1961؛ وعندما سئل عن تلك الزيارة في سنة 1962، (لأن جوديث إكسنر، عشيقة الرئيس السابقة ذكرت أن كيندي قد التقى في تلك المناسبة سرّاً مع الزعيم المحلي للمافيا، سام جيانكانا)، لم يكتفِ بالزعم بأنه لا يعرف شيئاً من هذا الادعاء، بل قال إنه قد نسي الزيارة نفسها. وقد ارتقى في المناصب حتى صار رئيس مفرزة حراسة البيت الأبيض أيام رئاسة كيندي، ثم رئيساً لرابطة رجال الشرطة السرية السابقة. وقد وبّخت تلك الرابطة أربعةً من عملائها السابقين لأنهم ناقشوا حياة كيندي الخاصة مع الصحافي سيمور هيرش (بحث قدمه مارك آلين للمؤلف).

التحقيقات الاتحادي بصراحة قاطعة، أن سيلبرمان هو فعلاً الرجل الظاهر في تلك الصورة.

وفي سنة 1997 استطاع المؤلف أن يقابله. فوجده عندئذٍ شخصاً ضعيفاً محدودباً يبدو أكبر من سنواته الثمانية والخمسين، في سجن كاليفورنيا الذي يقضي فيه حكم السجن المؤبد[13]. فكان سيلبرمان في بادئ الأمر محجماً عن الكلام على الإطلاق مصرّاً على أنه ليس في وارد «نبش الوحل». وقد تذكرت صديقة له أنه قد قاوم الحديث إلى المراسلين الذين كانوا يضغطون عليه في الماضي، لأنه لم يكن يريد أن يؤذي نيكسون. كما أنه بدا عصبياً حول مناقشة ريبوزو. ومع ذلك فقد قال إن هناك قصة تحكى، وهي «أكثر إثارة للاهتمام من أي شيء يمكنك أن تحلم به».

وأخيراً، تحدث سيلبرمان بالفعل، وهو جالس في غرفة الزوار في السجن. كان موجوداً حقاً على رصيف الميناء في فلوريدا مع نيكسون عندما التُقِطت تلك الصورة التي نُشِرَتْ في مجلة **لايف**. وشرح كيفية حدوث ذلك اللقاء. فقد سافر سيلبرمان إلى فلوريدا بناء على طلب آلفريد سيلكس. وهو ثري من سان فرانسيسكو تعرف عليه عن طريق والده. وطارا إلى ميامي وتابعا رحلتهما إلى كي بسكين من أجل لقاء على الغداء مع نيكسون وريبوزو. وتذكر كيف قال بعصبية ـ بعد أن قدمه سيلكس باسم ديڤيد سيلبرمان ـ: «يمكنك أن تدعوني ديف». فردّ نيكسون بوجه لا أثر فيه للابتسام: «وأنت يمكنك أن تدعوني السيد الرئيس». فضحك الجميع.

وبعد الغداء انفرد ريبوزو فترة قصيرة مع سيلبرمان. وشرع يتحدث عن المال فقال: «لقد سمعت أنك تشتغل بالأعمال المصرفية» وأشار بيديه إلى وضع كلمة «المصرفية» بين قوسين صغيرين. كان من الواضح أن ريبوزو يعرف

(13) كانت هناك مقابلات هاتفية كثيرة مع سيلبرمان، وزيارتان إلى السجن، ومراسلات مستفيضة من سنة 1996 إلى سنة 2000.

بأن سيلبرمان يعمل في تبييض الأموال، وأشار إلى معرفته بصفقة محددة كان سيلبرمان متورطاً فيها. وبالإضافة إلى ذلك لم يقل ريبوزو أي شيء آخر يوضح لماذا يهتم هو أو نيكسون بزائرهما.

وبعد وقت قصير انضم الرجلان، مصحوبين بموظفي الشرطة السرية، إلى نيكسون في رحلة على متن قارب ريبوزو. وتذكر سيلبرمان المصور الذي ظهر عندما نزلوا إلى الشاطئ وكيف سبب وجوده إجفالاً وفزعاً لفترة قصيرة. فأعطى أحد رجال الشرطة السرية سيلبرمان نظارةً شمسيةً ليرتديها، ربما لجعل التعرف عليه أصعب. ثم انتهت الزيارة.

ولم يكن في ما قيل في ذلك اليوم أي شيء خطر أو ضار. وعاد سيلبرمان إلى سان فرانسيسكو وهو محتار. وقال سيلكس فيما بعد أن نيكسون وريبوزو قد أعجبا به، وأنه سوف يسمع منهما المزيد.

وبعد ذلك بسنتين كاملتين، في صيف سنة 1971، كما قال سيلبرمان، تلقى رسالة تطلب منه أن يلتقي مع بول لاكسولت، الحاكم الجمهوري الحديث التقاعد لولاية نيفادا في كازينو فندق هارّا ببلدة رينو. فوافق سيلبرمان على ذلك. وفي سياق مناقشتهما سأل لاكسولت ـ وكأنه يتحدث بشكل نظري افتراضي ـ عما يعتقد سيلبرمان أنه سيحدث إذا أغلقت الولايات المتحدة «نافذة الذهب».

وعند طرح المسألة ببساطة، فإن هذه الخطوة سوف تعني توقف الولايات المتحدة عن استبدال الدولارات بالذهب مع البلدان الأخرى حسب سعر ثابت. وهذا إجراء عنيف مرسوم لإنقاذ الدولار كعملة في لحظة مشحونة باحتمال وقوع كارثة. وكانت ـ كما هو متوقع ـ ستفجر حركة ارتفاع ضخم في سعر الذهب في الأسواق العامة. فقال سيلبرمان للاكسولت إن أي شخص لديه معرفة مسبقة بمثل هذا القرار وعلم بكيفية الاشتغال في هذا المجال المالي، ستتاح له فرصة تكوين ثروة. وعندئذ كشف له لاكسولت أن لديه مثل هذه

المعرفة المسبقة، وطلب من سيلبرمان أن يأتيه بخطة لاستغلال ذلك والاستفادة منه.

ثم راحت الأحداث تتحرك بسرعة. ففي اجتماع ثانٍ قدم لاكسولت لسيلبرمان حقيبة فيها 251000 دولار نقداً. منها 180000 دولار لاستثمارها في خطة الذهب، و35000 دولار كأجر على خدماته. وفي غضون أيام قلائل بدأ سيلبرمان يشتري سندات ذهب مستقبلية من خلال مصرف كندي، في وقت بدا ذلك كأنه استثمار لا معنى له ولا فائدة فيه ما دامت أسعار الذهب ساكنة جامدة. غير أنه عندما أُغْلِقَتْ نافذةُ الذهب بالفعل، ثبت أن العكس هو الصحيح: فقد ذهب سيلبرمان إلى كندا وحصد من استثماره ذاك أكثر من عشرة ملايين دولار[14].

واتبع سيلبرمان تعليمات كان قد تلقاها سلفاً، كما زعم، فنقل الأموال النقدية السائلة في صناديق كرتونية في القسم الخلفي من سيارة شحن من طراز دودج، وعبر بها إلى الولايات المتحدة عند نقطة حدود قوس السلام في ستيت بارك بولاية واشنطن، حيث أشارت له نقطة الجمارك بالدخول ـ فكان ذلك أسهل عبور مرّ به في تجارب حياته كلها. وعند بقعة محددة مسبقاً في شمال

---

(14) يبدو هذا مبلغاً غريباً غير مألوف للرجل العادي. ومن الواضح أنه رغم أن سعر الذهب تضاعف ثلاث مرات في السنة التي أعقبت إغلاق نافذة الذهب، فإن ضرب مبلغ الاستثمار الأصلي، الذي كان (180,000) دولار، في ثلاثة، كان يعني تحقيق ربح بسيط قدره (360,000) دولار، وليس مبلغ العشرة ملايين دولار التي زعمها سيلبرمان. ويكمن تفسير ذلك في إشارة سيلبرمان إلى شراء «سندات الذهب المستقبلية». فحسب رأي خبير استثمار استشاره المؤلف، فإن عائدات على هذا المستوى تكون مفهومة حقاً عند المتاجرة بمستقبل السلع. وهذه «المتاجرة بالمستقبل» هي اتفاق لشراء أو بيع كمية ثابتة من أصل ثابت في تاريخ محدد في المستقبل أو عند حلول ذلك التاريخ بسعر يتم الاتفاق عليه في يوم عقد الاتفاق. غير أن المشتري لا يدفع الثمن الكامل، بل «هامشاً» منه متفقاً عليه على شكل إيداع. ومن المحتمل أن يكون سيلبرمان قد دفع هامشاً صغيراً ضئيلاً لم يزد على دولار واحد لكل أونصة (وحدة وزن تساوي 28,25 غراماً أو 31,1 غراماً)، وبما أنه كان يعرف ـ دون غيره ـ أن سعر الذهب سيزداد بشكل هائل عند إغلاق نافذة الذهب، فقد أمّن لنفسه أرباحاً ضخمة على الهامش الذي دفعه عند عقد الاتفاق. (مقابلة ومراسلة مع بيتر ميتكاف).

سياتل، غيّر سيارته مع سائق آخر كان بانتظاره. وقال إنه علم فيما بعد أن الأموال قد «ذهبت إلى حيث يفترض فيها أن تكون»، وكان يعتقد دائماً أنها وصلت إلى الحزب الجمهوري.

ولم يكن لدى سيلبرمان أي برهان على قصته. فليس هناك أي أثر وثائقي. ولم يشأ أن يكشف عن هوية الشخص الذي أعطاه التعليمات المفصلة بخصوص عبور الحدود وتسليم النقود السائلة. أما بو لاكسولت، الذي صار فيما بعد سناتوراً أمريكياً وصديقاً حميماً للرئيس ريغان، فقد أجاب على رسالة من المؤلف سنة 1999، فقال متحدث باسمه إن الحاكم السابق «لا يتذكر» أنه التقى بسيلبرمان، ووصف الادعاء بنقل الأموال النقدية وتسليمها بأنه «كله خيال محض».

وكانت هناك ادعاءات في الماضي تربط لاكسولت بالجريمة المنظمة، فقد لعب دوراً في محاولة مبكرة لإيصال تبرع نقدي سري إلى نيكسون من المليونير هوارد هيوز. وفي غضون أشهر قليلة من الواقعة التي زعمها سيلبرمان، وجه لاكسولت نداء شخصياً إلى نيكسون ناشده فيه أن يفرج عن جيمي هوفا، زعيم اتحاد سائقي الشاحنات الثقيلة المسجون، الذي وصفه بأنه «سجين سياسي».

وانتهت قصة سيلبرمان كما ابتدأت، بإشارات مباشرة إلى نيكسون. فقال إنه في أواخر سنة 1973 أو أوائل سنة 1974 طُلِبَ منه أن يسافر إلى سان كليمنت لمقابلة نيكسون. وجاء الاستدعاء بينما كانت رئاسة نيكسون تنزلق إلى الكارثة وسط الانكشافات الهائجة المثيرة لفضيحة ووترغيت، وبعد الوشايات الهاتفية لمكتب التحقيقات الاتحادي عن سيلبرمان ـ كما تُظْهِرُ الملفات ـ. ويستذكر المهرب ذهابه بالسيارة إلى البيت الأبيض الغربي، وكيف تم اصطحابه من البوابة، حيث انتظر قليلاً، ثم قابل نيكسون في مكتبه. ويتذكر أن الغرفة كانت صغيرة نسبياً، ولها مصاريع ربما كانت بُنِّيَّةَ اللون، وهي تواجه المحيط الهادي.

وكان نيكسون يبدو منهكاً تماماً، فأخبر سيلبرمان أن هناك «مشكلة» وقد تكون هناك متاعب وأن سيلبرمان قد يخضع للاستجواب. وقال سيلبرمان إنه سأل الرئيس: «بخصوص ماذا؟ إنني لا أعرف أي شيء». وبدا أن ذاك كان هو الجواب الصحيح، إذْ إن نيكسون شكره على خدماته وقال له إن «الحزب» سيكون ممتنًا له.

وحسب رواية سيلبرمان فإنه التقى بنيكسون مرة أخيرة، بعد السقوط. ففي سنة 1976 أو 1977 طلب منه أن يحضر تجمعاً صغيراً على مائدة عشاء في سان كليمنت. وكان لاكسولت من بين الضيوف الذين ربما لم يزد عددهم على دزينة. ولم يتبادل سيلبرمان مع نيكسون سوى بعض كلمات المجاملة القصيرة. ولكن نيكسون أذهله باستذكاره للتفاصيل الشخصية: مثل اسم زوجة سيلبرمان، وعدد أطفاله. وفي نهاية تلك الأمسية، عاد إلى بيته.

ما مدى مصداقية قصة سيلبرمان؟ إن إغلاق نافذة الذهب، وهو إجراء لا يمكن اتخاذه إلاّ بأمر تنفيذي من الرئيس، هو قضية للسجل التاريخي. لقد ظلت هذه الإمكانية موضوعاً للشائعات مدة من الزمن. واتخذ نيكسون القرار برغم نصيحة كبار مستشاريه. وكما تنبأ بول فولكر، وكيل وزارة الخزانة في اجتماع مع الرئيس، فإن المضاربين بالذهب استغلوا الفرصة «للحصول على بعض الأرباح». وبالفعل، فقد ارتفع سعر الذهب كثيراً نتيجة لذلك.

وقد حثّ سيلبرمان المؤلف على الاتصال بآلفريد سيلكس، رجل الأعمال الذي زعم أنه أخذه لأول اجتماع له مع نيكسون. غير أن سيليكس كان قد مات. وقالت أرملته إنه لم يصل إلى علمها أنه كان على أي اتصال مع الرئيس. غير أنها أكدت أن زوجها كان يعرف سيلبرمان، كما كانت تعرفه صديقة متبادلة للرجلين كليهما[15].

(15) قال سيلبرمان إنه يعتقد أن سيلكس، الذي كان يمتلك سلسلة من دكاكين بيع الملابس الرسمية الجاهزة للرجال، قد زار الصين في وقت زيارة نيكسون نفسه. ولم يكن سيلكس على قائمة الذين =

ولقد كان نيكسون موجوداً بالفعل في سان كليمنت في أواخر سنة 1973 *وأوائل سنة 1974، وهي الفترة التي أشار إليها سيلبرمان*[16]. *وأكد أحد كبار* المساعدين السابقين، أن غرفة مكتب نيكسون كانت مرتبة حسبما وصفها سيلبرمان، بما في ذلك مصاريعها. وهذا تفصيل لم يستطع المؤلف أن يعثر عليه في أي كتاب.

أما الزيارة المزعومة الثانية، فقد استذكرت صديقة سابقة لسيلبرمان ـ وبدون مناقشة الأمر معه على ما يبدو، أنه كان قد دعاها للانضمام إليه في مناسبة اجتماعية في سان كليمنت، وكان ذلك مرة أخرى ضمن الإطار الزمني ذي الصلة. فرفضت دعوته لأنه كان لديها التزام آخر. كما قالت. ولكنها تذكرت وصف سيلبرمان لتلك الأمسية فيما بعد، وقوله إن لاكسولت كان موجوداً.

وهناك ثلاثة شهود عثر عليهم المؤلف ـ وهم السكرتيرة السابقة، وأحد أبناء عمومة سيلبرمان، وصديقة أخرى له ـ واستذكروا إشارة سيلبرمان إلى

= رافقوا نيكسون إلى الصين في تلك الزيارة المشهورة سنة 1972. ولم يكن من الممكن التدقيق في أسماء المشتركين في الزيارة التالية التي تمت أثناء رئاسة فورد. وقالت أرملة سيلكس إنها لا تعرف شيئاً عن مرافقة زوجها لسيلبرمان إلى فلوريدا للالتقاء بنيكسون. وقال سيلبرمان في تلك الأثناء إنه قد تلقى تعليمات من وسيط، ومع ذلك رفض الكشف عن هوية ذلك الشخص. وبعد تكرار استجواب سيلبرمان، راح المؤلف يشكّ في أنه كان يستخدم اسم سيلكس كخدعة لتجنب تحديد هوية الوسيط. (الصين، قائمة بأسماء زوارها سنة 1972: آن كولينز ووكر، **الصين تنادي**، طبع ميريلاند: ماديسون بوكس، 1992، ص 411).

(16) كان نيكسون في سان كليمنت من 26 كانون الأول / ديسمبر، 1973، إلى 11 كانون الثاني / يناير، 1974. وليس في الدفاتر الرسمية لإقامته تلك أية إشارة إلى سيلبرمان، ولكن تلك السجلات ليست شاملة أو حاسمة. ففيها بنود تحوي ملاحظات مثل: «لم نتلقَّ أي سجل عن أنشطة الرئيس بعد الساعة 39/ 12 بعد الظهر». أو «ذهب في نزهة مع السيد ريبوزو عصر أمس... ولا أظن أن الرئيس يريد الإبلاغ عن ذلك». (ومن الواضح أن ريبوزو كان موجوداً معظم ذلك الوقت). ويستذكر لاديسلاس فاراغو، المرشح المحتمل لكتابة سيرة حياة نيكسون الرسمية النهائية، أنه قد طُلِبَ منه أن يستخدم اسماً مستعاراً عند زيارة سان كليمنت في فترة مبكرة من منفى نيكسون. (فكرة الرئيس اليومية، وجداوله الزمنية، WA، مقابلة مع لاديسلاس فاراغو أجرتها فون برودي، أوراق فون برودي).

اتصاله بنيكسون وريبوزو، وصفقة مالية، في أوائل سنة 1974، ومرة أخرى في السنوات التالية. فإذا كانت رواية سيلبرمان صحيحة، فقد كان يحكي عن نتفٍ منها بصورة خاصة منذ زمن طويل.

وإلى هنا ينتهي هذا الخطّ بالذات من الآثار والأدلة. ولكن القصة لا تقف وحدها كواقعة منعزلة.

قبل بضعة أشهر فقط من خديعة سيلبرمان الاحتيالية، وعبر القارة في فلوريدا، انتقلت مطلّقة ثرية تدعى آليزابيث نيوويل، تملك أسرتها صحيفة في إنديانا[17]، إلى شقة في بناية متعددة الطوابق ذات مصعد في كي بسكين. ومن نوافذ مأواها الجديد، حيث تنبسط الجزيرة أمامها كانت تستطيع أن ترى مصرف كي بسكين الذي يملكه بيب ريبوزو. واستذكرت في سنة 1998: «قررت أن أنقل أموالي إلى هناك، وبما أن أفضل أصدقاء رئيس الولايات المتحدة كان يديره، فكيف يمكن أن يكون ذلك المصرف أي شيء سوى أنه أمين؟ وما الخطأ الذي يمكن أن يقع؟» وكان كما وصفته نيوويل، «جمهورياً جيداً».

وقد تكشفت الأمور عن وقوع أشياء كثيرة ضارة بالنسبة لنيوويل. فقد قُدِّر لجزء كبير من رأسمالها أن يختفي بلا قدرة على استرجاعه، وأن تجد نفسها مثقلةً بمعلومات عن الرئيس كان من الأسلم لها لو لم تعرفها.

ففي المصرف وضعت أعمالها التجارية في يدي نائب الرئيس المسؤول عن قسم الأمانات، فرانكلين دي بوير. وقد أخبر المحقّقين فيما بعد أنه قد حصل على هذا المنصب الرفيع على أساس استجابته لإعلان نشر في الصحيفة المحلية فحسب. وقال إن ريبوزو كان يعتقد أنه «أنزه رجل التقيت به على الإطلاق».

(17) صحيفة **كوكومو تريبيون**، التي تخدم إنديانا الوسطى.

والواقع أن زوجة دي بوير كانت قد عرفت ريبوزو لمدة عشرين سنة. وكان هو قد التقى به قبل سنة من حصوله على الوظيفة[18]. وقد لا تكون هناك صلة لكونه متعرفاً أيضاً على جيمس كروسبي، صديق ريبوزو الذي كان يدير كازينو جزيرة الفردوس، وعلى شريكه الرئيسي، الذي كان يشاطر دي بوير غرفته في الكلية. وقد اعترف بأنه قد التقى بكروسبي لأول مرة «في الأيام الخوالي، عندما كنت في وول ستريت». وكان كروسبي وشريكه كلاهما يملك حسابين في مصرف كي بسكين[19].

وفي نيويورك، قبل استئجار ريبوزو له بأقل من سنة، كانت لجنة السندات المالية والحوالات المتبادلة، قد منعت دي بوير من العمل كسمسار بتهمة بيع أسهم غير مسجلة واختلاس أكثر من ثلاثمئة ألف دولار من شركة عامة[20]. وقبل ذلك بسنتين كان سوق الأوراق المالية بنيويورك قد طرده،

---

(18) ربما كانت هناك صلة بين دي بوير ونيكسون نفسه تعود إلى ما قبل أيام رئاسته. وكان نيكسون محامياً في نيويورك في منتصف الستينيات، فقام بتزكية عدة زبائن للمموّل الإيطالي مايكل سيندونا. وكانت مؤسسة دي بوير الأمنية، بايروالد ودي بوير هي التي تمثل سيندونا في نيويورك. وقد عرض سيندونا التبرع بمليون دولار لحملة نيكسون الانتخابية سنة 1972، وهو مبلغ كان المفروض أنه لم يُقْبَلْ. وقد أشرف على جهود الحصول على الأصوات الأمريكية ـ الإيطالية لمصلحة نيكسون. وقيل بأن سيندونا كان الصيرفيّ الرئيسيّ لعصابات المافيا الصقليّة. وقد تلقى فيما بعد حكماً أمريكياً بالسجن بتهمة الاحتيال، ودين في إيطاليا بالإتجار في المخدرات وارتكاب جريمة قتل، ومات متسمماً بالسيانيد بينما هو موقوف. (قام ريتشارد نيكسون بتزكية: لويجي دي فونزو، **صيرفيّ القديس بطرس**، طبع نيويورك: فرانكلين واطس، 1983، ص 152؛ سيندونا، دي بوير: ملف ستيڤن هابرفيلد إلى هيوز ـ ريبوزو، 10 كانون الثاني / يناير، 1974، الفرق المكلف بجمع تبرعات للحملة الانتخابية، مقابلة في الملف 804، هيئة الادعاء الخاص في ووترغيت، المحفوظات الوطنية؛ جوديث ديني إلى الملفات، 15 آب / أغسطس 1975، ملف دي بوير، الحفل 98، هيئة الادعاء الخاص في ووترغيت، المحفوظات الوطنية؛ مليون دولار: ستانس، **حالات الإرهاب**، مصدر سبق ذكره، ص 186؛ أشرف على الجهود: بيني ليرنوكس، **بالمصارف نثق**، طبع غاردن سيتي، نيويورك: آنكوربريس، 1984، ص 188؛ الجرائم، الموت: شيم، مصدر سبق ذكره، ص 321).

(19) كان الشريك هو أ. ج («جاك») ديفيس، الذي كان عندئذٍ رئيسَ شركة كروسبي. (دي بوير، شهادة أمام الجلسة التنفيذية، إيرڤن رئيس لجنة مجلس الشيوخ المختارة للتحقيق في أنشطة حملة الانتخابات الرئاسية، المحفوظات الوطنية، 8 آب / أغسطس، 1973، ص 52 وما يليها).

(20) سدد دي بوير المال فيما بعد، حسب رأي لجنة السندات والمبادلات المالية. وقد وافق على استنتاجات اللجنة، دون أن يعترف بالادعاءات. (**الواشنطن بوست**، عدد 3 تشرين الأول / أكتوبر، 1973).

لإدلائه ببيانات مزورة ورفضه تقديم شهادة. وقد انتهى به المطاف فيما بعد إلى السجن لملئه وثائق تسجيل مزيفة في فلوريدا.

وبعد وقت قصير من صيرورة آليزابيث نيوويل زبونة في المصرف، أخذت تلتقي مع دي بوير اجتماعياً. وقد استذكرت بأسى: «كان ذا شخصية جذابة ووسيم المظهر. وكنت عزباء، وافترضت أنه أعزب كذلك. وبدأنا نلتقي على العشاء مرتين أو ثلاثاً في الأسبوع. وكان مثيراً للسأم، وليس من النوع العاطفي أو الخيالي. ولكنه عندما يقع تحت تأثير الشراب يصير ثرثاراً أكثر. فيتحدث أكثر مما ينبغي».

وكان لديه أشياء مفزعة يقولها وهو مخمور يهذي. وتذكرت نيوويل: «كنا في مطعم في ميامي. وكان يتبجح بطريقة ما بأنه سيخبرني بما كان يجري في المصرف. فقال: (لقد استأجروني لأنهم يريدون تنفيذ المهمات؛ وهم يعرفون أنني أعرف كيف أقوم بذلك؛ وأخبرني أنه يستطيع أن يقول لي ما الذي يجري في المصرف بخصوص نيكسون، والأموال غير المشروعة، والمال الذي كان يأتي لنيكسون. ففي البداية كانت تلك أموالاً غير مشروعة للحملات الانتخابية تتسلل عبر جزر البهاما. وفيما بعد كانت تذهب مباشرة إلى محفظة نيكسون».

وقد فزعت نيوويل مما سمعته، أو بالأحرى من الخطر المحتمل الذي قد تتعرض له بمعرفتها لهذه الأشياء. وبعد أن حثها ابن أخيها الموظف في إحدى الصحف على تشاطر هذه المعلومات مع شخص موثوق طيب السمعة في أسرع وقت ممكن. فتحدثت مع مراسل تلفزيوني موثوق لشبكة ABC شريطة كتمان هويتها. ثم تحدثت ـ في وقت لاحق ـ مع محققي ووترغيت. وقد ظل اسمها مكتوماً حتى الآن، ومعه مذكراتها وملاحظاتها التي كانت قد دونتها في حينها، والتي زودت المؤلف بها.

وتم تشجيعها على الابقاء على الصلة. فاستمرت في مقابلة دي بوير.

فحدثها عن خطوط هاتفية مباشرة من المصرف إلى البيت الأبيض. وعن التبرعات السرية لنيكسون: ومنها مبلغ غير مسمى من هوارد هيوز، ونصف مليون دولار من مجلة ريدرزدايجست، وثلاثمئة ألف من شركة بيبسي كولا. فتكوّن لديها أنطباع بأن إمدادت الأموال لنيكسون كانت «بلا نهاية».

وحسب رواية دي بوير، كانت الخزائن تمتلئ بالأموال غير المشروعة من متبرعين يسافرون إلى جزيرة الفردوس و«يخسرون» أموالاً هناك في الكازينو، ومن ثم تعاد تلك الأموال إلى الولايات المتحدة. وقال إن ناقلي تلك الأموال كان منهم مدير الكازينو، جيمس كروسبي، وسي آلتر صديق نيكسون وريبوزو منذ سنة 1962.

وقال إذ ووُدْرَفْ، رجل العلاقات العامة في الفردوس، إنه حسب «معلوماته واعتقاده» فإن «مبالغ كبيرة من المال من الكازينو كانت تحوّل إلى مصرف بيب ريبوزو. وقد استذكر ريتشارد ستيرنز، أمين صندوق الكازينو، لقاءه مع آلتر بعد ساعات العمل في المصرف، ليتسنى له تبديل الأوراق النقدية من فئة العشرين دولاراً بأوراق من فئات أكبر[21]. وقال ستيرنز إن كل المعاملات مع آلتر كانت تتم بتعليمات شخصية من ريبوزو. كما أن دي بوير أخبر المحققين أن إرشادات ريبوزو حول كيفية التعامل مع آلتر كانت: «هناك أشياء كثيرة لا تطرح أسئلة بشأنها. فقط أتركه ليفعل ما يشاء». وقد صنّف دي بويرُ آلترَ على أنه «رجل حقيبة».

وبناء على طلب صلة الوصل بين محطة تلفزيون ABC والسيدة نيوويل، فقد أجرت هذه بعض محادثاتها الأخيرة مع دي بوير بوجود آلة تسجيل تحت طاولة القهوة ـ وحارس يقف في مكان قريب[22]. وقد نجم الحوار التالي عن محاولتها لجعله يكرر بعض ادعاءاته:

---

(21) زعم آلتر فيما بعد أن تحركات أمواله لم تكن لها علاقة إلاّ بتمويل دكان الهدايا التي كان يملكها على جزيرة الفردوس (**النيويورك تايمز**، عدد 21 كانون الثاني / يناير، 1974).

(22) تملك إليزابيث نيوويل وصلاً بثلاثة أشرطة أعطتها إلى هيئة الادعاء الخاصة لووترغيت، وسجلاً =

دي بوير: إنك تتجاوزين الحد قليلاً أكثر مما ينبغي. وأنا مضطر إلى دفعك إلى الوراء، حسناً؟... إنني أعمل للسيد ريبوزو، والسيد آبلانالب[23]، والسيد نيكسون.

نيوويل: أنت تعمل للسيد نيكسون؟

دي بوير: نعم، أنا أعمل للسيد نيكسون ـ وهذا ليس من شأنك. وأنا أتقاضى راتباً كبيراً منهم خارج نطاق المصرف على قيامي بهذا العمل. وهذا ما يحاول أبناء الزنا أولئك أن يثبتوه.

نيوويل: وما هو عملك، للسيد نيكسون؟

دي بوير: مَنِ الذي تعتقدين أنه يدير المحفظات الخاصة لهؤلاء الناس في المصرف؟... فإذا قمت بهذه الأعمال للناس ـ كما تعلمين ـ إنني أتقاضى راتباً أكبر مما يدفعه لي المصرف، وذلك من أجور أقبضها منهم.

وقال بوير إنه بهذا الراتب: «فإنني لا أخرج وأبول على وجوههم». وأكد أنه قد حلف يميناً للمحافظة على الكتمان، وسأل: «عندما يقول شخصان أنا مرتبط معهما مباشرة: (هذه هي السياسة التي أريدك أن تتمسك بها، فما الذي تفعلينه؟) هل أذهب خارجاً إلى هناك وأقول له، تبّاً لك، يا نيكسون».

وعندما ارتفع ضغط التحقيق في ووترغيت على ريبوزو، وعلى المصرف، وعلى دي بوير نفسه بصفة خاصة، صار هذا الأخير عصبياً وحث نيوويل على نسيان كل شيء قاله لها. ونصحها إذا تعرضتِ للاستجواب: «قولي دائماً: (لا أتذكر)». وفيما بعد، عندما جابهه المحققون بأقواله التي

= لكيفية التصرف بالأشرطة اعتباراً من كانون الأول / ديسمبر، 1973. أما قصة تهريب الأشرطة من مكاتب هيئة الادعاء الخاص بعد مذبحة ليلة السبت فهي مروية في الفصل الثاني والثلاثين. (13 تشرين الأول / أكتوبر، 1973، وصل يحمل توقيع كارل فيلد باوم، في ملف نيوويل زُوِّد به المؤلف، وجون غالوس إلى فيلدباوم، في 10 كانون الأول / ديسمبر، 1973، ووصل يحمل توقيع آرثر كوينْ، في 3 شباط / فبراير، 1973، الحقل 6، ملفات هيوز ـ ريبوزو، هيئة الادعاء الخاص في ووترغيت، المحفوظات الوطنية).

(23) الإشارة هي لروبرت آبلانالب، قطب المشاريع الجوية، وصديق ومؤيد لنيكسون على مدى سنوات كثيرة.

نقلتها عنه نيوويل، ادعى أن ذلك كله كان تلفيقاً، وقال: « فلا تسألوني لماذا قلته».

وكان دي بوير قد قال لنيوويل: «إذا اكتشفوا هذا كله، فسوف يذهب ريبوزو إلى السجن، ويضطر نيكسون إلى الاستقالة». ولكنه أضاف: «إنه مدفون بشكل عميق جداً إلى درجة أنهم لن يعثروا عليه أبداً».

إن «دفن المال عميقاً» يعني في العادة إخفاءه في حساب مصرفيّ سرّيّ، غالباً ما يكون في الخارج، وهو بالتحديد بعيد عن متناول اكتشافه على أيدي سلطات الضرائب الأمريكية. وقُدِّرَ لنيكسون أن يقول لديڤيد فروست أثناء مقابلة معه سنة 1977: «إنني لا أملك حسابات في مصارف أجنبية، ولم تكن لي مثل هذه الحسابات من قبل. فليس لي أي شيء من هذا القبيل. ليس لي موجودات أو أصول في أماكن أجنبية على الإطلاق». ومع ذلك، فحتى قبل أن يغرق في الفضائح، كانت قد برزت للعيان، فترةً قصيرةً كالوميض، أدلةٌ على أنه يملك أصولاً في الخارج فعلاً.

حدث ذلك نتيجة للعملية المسماة «الرياح التجارية»، وهي عملية تحقيق قامت بها مصلحة الضرائب الداخلية على مدى اثنتي عشرة سنة، واستهدفت أشخاصاً كانوا يخبئون أموالهم في جزر البهاما. وكان رأس الرمح في المشروع هو ريتشارد جاف، الموظف الذي كان مقره في فلوريدا، ويعمل في شعبة المخابرات التابعة لمصلحة الضرائب الداخلية تحت إمرة روبرت كيندي عن عمله ضد المافيا، ثم صارت ـ حتى سنة 1988 ـ تحت إمرة جانيت رينو، التي كانت عندئذ المدعية العامة لولاية فلوريدا، ثم فيما بعد في منصب المدعي العام للولايات المتحدة. ومن أجل عملية «الرياح التجارية» أقام جاف شبكة معقدة للمعلومات قدر لها أن تخترق عصابات المافيا، ومهربي المخدرات، والمهتمين بتنمية الكازينوات، وشخصيات هوليوود، والمصرفيين الفاسدين.

وذات يوم في خريف سنة 1972، عند نهاية ولاية نيكسون الرئاسية

الأولى تمكن نورمان كاسبر، البالغ من العمر إحدى وخمسين سنة، وأحد العاملين الأساسيين الهامين عند جاف، من الوصول إلى مؤسسة مالية مشبوهة في ناسو. وكان كاسبر مخبراً ذا خبرة عميقة، ومعروفاً في مصلحة الضرائب الداخلية بلقب TW - 24 و«TW» معناها Trade Winds أي «الرياح التجارية». وكانت المؤسسة المقصودة هي «كاسيل بنك آند تْرَاسْتْ كومباني»، في شارع *فردريك*.

وقد وقع كاسيل بنك تحت الشبهات لأن مهرب مخدرات كان يستخدمه لإخفاء أمواله. وكانت هناك إيداعات نقدية تتدفق على مصرف في ميامي بدون أي اسم أو هوية تعريف، ومن ثم تتابع طريقها من هناك إلى أقبية كاسيل المغلقة في جزر البهاما. وأرادت مصلحة الضرائب قائمة بحملة حسابات الآخرين في ذلك المصرف. فكان ذلك مطلباً صعباً عزيز المنال حقاً. ولكن المخبر 24 - TW استطاع أن يلبيه.

فبفضل الاستخدام الماكر لاتصالاته، وبذريعة أخفت علاقته بمصلحة الضرائب، وجد كاسبر نفسه مقاداً إلى غرفة صغيرة للمؤتمرات، ومتروكاً وحده ليتصفح وثائق ذات صلة بمطلبه الظاهري. فراح يسرح بصره في الرفوف دون أمل كبير وهو يبحث عن ضالّته الحقيقية، ثم عثر ـ تحت قدميه مباشرة، وتحت كومة من النشرات المطبوعة والمطوية ـ على «قائمة جديدة طازجة بأسماء الزبائن مطبوعة بآلة IBM وصل سمكها إلى ما يقرب من أربعة إنجات (عشرة سنتيمرات)، مثقبة ومطوية كما تخرج من الآلة. ونظرت إلى الباب، فكان مغلقاً. . . فمددت يدي إليها وبدأت أتصفحها».

وقَلِقَ كاسبر من احتمال مجيء أحد موظفي المصرف في أي لحظة، فمرّ بنظره على مئات الأسماء في تلك القائمة. كان كثير منها أسماء شركات. وكان هناك آخرون من المجرمين المعروفين، مثل رجل عصابات الابتزاز في لاس فيغاس، مُو دَالْتِيزْ. ثم جاءت الصدمة الكلّية. واستذكر كاسبر: «كان أحد أوائل

الأسماء التي شاهدتها هو اسم ريتشارد نيكسون. . . فيا للمفاجأة! فقد سحب ذلك الاسم الرياح من شراعي وأطفأ حماستي. وعندما حدث ذلك جلست هناك، وهدأت قليلاً. . .» كان ذلك البند على القائمة مثيراً للقلق، ليس على الأقل لأنه كان كاملاً بما في ذلك الحرف المختصر من الاسم الأوسط له «ريتشارد م. نيكسون» بل ومعه رقم الحساب كذلك.

فأبلغ كاسبر رئيسه، العميل جاف، بخبر اكتشافه هذا، شفوياً. واستمر التحقيق الأوسع. وعندها أراد جاف نسخة من القائمة الكاملة. وسرعان ما أستطاع كاسبر أن يدبر ذلك الأمر ـ بفضل خدعة مخابراتية تشبه لعبة العباءة والخنجر، كانت تنطوي على الفصل بين أحد موظفي المصرف وبين حقيبته بينما كان يتعشى مع امرأة جذابة ـ. وقام موظفو مصلحة الضرائب بتصوير تلك الوثيقة صفحة صفحة.

كان على تلك النسخة، وعلى واحدةٍ أخرى ظهرت فيما بعد، أكثر من ثلاثمئة اسم، من بينها ناشر مجلة بلاي بوي، هيو هفنر، وناشر مجلة بنتهاوس، بوب غوشيوني، والممثل توني كيرتس، وأعضاء فريق رقص الروك المسمى كرْيدَنْسْ كلْيِرْووتر رِيفايْفَالْ، وليونارد هول، الرئيس السابق للحزب الجمهوري والصديق الحميم لنيكسون فترة طويلة. أما عن «ريتشارد م. نيكسون» نفسه، فلم يعد هناك أي أثر.

ويشير تقرير داخلي لمصلحة الضرائب، أنه منذ المشاهدة الأولى، فإن ذلك البند «تم تطهير سجلات كاسيل كلها منه أو أنه أخفي بطريقة أخرى». وأثبت التحقيق أن السجلات قد تم نقلها فعلاً على عدة مراحل أو إتلافها. وكما لاحظ كاسبر فإن من المؤكد أنه كان من الجنون أصلاً وضع اسم نيكسون الصريح المكشوف على القوائم. ومع بروز ووترغيت في الأخبار بعد بضعة أشهر من اختراق كاسبر للسجلات، فإن إزالة اسم نيكسون كانت عملية احتراس وقائية واضحة.

ولم تظهر القصة ظهوراً قصيراً وعلنياً إلاّ بعد مرور زمن طويل، بعد فترة غير قصيرة من استقالة نيكسون. وحتى عند ظهورها فإن الطريقة كانت مواربة[24]. وعند ذلك واجه مدير مصرف كاسيل دعاوى وإجراءات مطالبة باسترداده، فقال إن ورود اسم نيكسون «غير محتمل... بل مستحيل في الحقيقة» على القائمة التي كانت مصلحة الضرائب قد حصلت عليها. (ولم يكن أحد بالطبع قد ادعى ذلك). أما رئيس المصرف السابق، (الذي فقد رخصته وأغلق أبوابه في سنة 1977) فله طريقة إنكار أخرى في مقابلة مع المؤلف. قال صاموئيل بيرسون: «أنا متأكد بشكل مطلق أن نيكسون الذي قرأ ذلك الأبله اسمه كان شخصاً أسودَ من جزر البهاما».

غير أن هذه الفكرة المثيرة للاهتمام لا تثبت أمام التدقيق. فاسم نيكسون ليس غير مألوف في البهاما. ولكن البحث الكامل الذي شمل قوائم المقترعين القديمة، ودليل الهاتف، والمقابلات الشخصية، لم يسفر عن وجود اسم ريتشارد م. نيكسون بين السكان[25]، وعلاوة على ذلك، فقد كان القانون نفسه

(24) ظهر اكتشاف كاسبر على أجزاء في تحقيقات مجلس النواب سنة 1975 في قضية الإشراف على عمليات مصلحة الضرائب الداخلية، المذكورة سابقاً.

(25) إن قائمة المصوتين البهاميين أظهرت حقاً شخصين باسم نيكسون سنة 1972، والاسم الأول لأحدهما ريتشارد. وكان الأول يشتغل منجّدًا ويدعى هنري ريتشارد نيكسون، وقد توفي سنة 1981. ولم يكن ابنه يعلم أن أباه كان له حساب في كاستيل، ولكن الغريب أنه استذكر أن والده قد تم أخذ صورة له في الشركة ذات مرة على أنه **هو** الرئيس المعروف ريتشارد نيكسون. وكان المنجّد يوقع اسمه «هنري ر.» ولم يسبق له أن استعمل اسم «ريتشارد» قطّ. وكان هناك أيضاً شخص يدعى كينغ ريتشارد نيكسون، يعمل خادمًا سابقًا لضابط بحري بريطاني. وقد استذكر أن مخدومه الضابط المذكور قد فتح له حساباً في مصرف ظنه أول الأمر مصرف كاستيل، رغم أن صديقاً له كان يعتقد أنه مصرف نيو بروفيدانس، في المبنى نفسه. غير أن هذا الحساب النيكسوني قد تم فتحه في الخمسينيات، عندما لم يكن أيٌّ من هذين المصرفين موجوداً بَعْدُ. بالإضافة إلى أن مخدومه ما كان ليقدر على فتح حساب في أي من المصرفين لأنه غادر قبل أن يبدآ بالعمل. وكان هذا النيكسون يوقع باسم «كينغ ريتشارد نيكسون» أو «كينغ ر. نيكسون». وليس في جزر البهاما آخرون مرشحون لهذا الدور. ورغم أنه ليس سهلاً أن يقرر المرء الآن عدد الأشخاص الذين كانوا يحملون اسم ريتشارد م. نيكسون في الولايات المتحدة سنة 1972، فإن من المؤشرات على شيوع هذا الاسم أنه في عملية تدقيق تمت سنة 1999 تم حصر أحد عشر شخصاً يحملونه (حملة اسم نيكسون في جزر البهاما: بحث ومقابلات أجراها نيكي كيلي؛ تدقيق سنة 1999 : (WWW. switchboard.com.).

يمنع مواطني جزر البهاما من امتلاك حسابات في مصارف لا تخضع لقوانين الضريبة المحلية مثل مصرف كاسيل.

ويؤكد مقال ظهر في صحيفة محلية في ناسو سنة 1972، أن المصرف المذكور كان ـ كما استذكر موظف مصلحة الضرائب ـ منهمكاً في نقل سجلاته إلى كمبيوتر جديد، في ذات الوقت الذي عثر فيه كاسبر على اسم نيكسون ورقم حسابه. وقال الرجل المسؤول عن تلك العملية(وهو كندي يدعى آلان بيكرتون) في سنة 1997، إنه كان على وعي بهويّة جميع زبائن المصرف. غير أنه عندما سئل عما إذا كان أحدهم هو النيكسون المعروف، رفض أن يجيب، بل قال: «أنا لست مستعداً لمناقشة هذا الأمر أبداً، وسواء أكان يتعلق بريتشارد نيكسون أو رئيس وزراء كندا، فلن يكون من شأني أن أناقش الأمر معك. . .».

ولم تحلّ هذه القضية بشكل مرضٍ على الإطلاق، بل ضاعت في معمعة الاضطراب المقلق الذي وقع ضمن مصلحة الضرائب الداخلية[26]. فقام الموظفون ذوو المناصب العليا فيها بإيقاف تحقيق جاف، ونسفوا الغطاء الساتر له في عملية التجميد هذه. فقد حدثت مشاجرة داخلية استغرقت زمناً طويلاً، مع تلميحات مظلمة شريرة عن كون مفوض مصلحة الضرائب، دونالد آليكساندر، موالياً لنيكسون الذي كان هو مَنْ عينه في منصبه، وأن اسم مؤسسته القانونية قد ظهر على بطاقة مفهرسة في مكتب مصرف كاسيل. وشجب آليكساندر مثل هذه الهجمات واعتبرها أساليب تلطيخ يتبعها «كذابون مجهولون لا وجوه لهم».

(26) اعتبرت مذكرةٌ ختاميةٌ موجهة إلى المدعي الخاص في ووترغيت أن ادعاء وجود حساب لنيكسون في مصرف كاستيل «ربما كان بلا أساس». غير أن تحقيق هيئة الادعاء في هذه القضية كان مبتسراً وسطحيّاً وغير كامل. فلم يتعاون كاسبر مع التحقيق، وكذلك مايكل وولستونكرافت، الموظف البارز في المصرف، بل رفض موظفو الادعاء حتى النظر إلى الوثائق المختلسة بحجة أنه تم الحصول عليها بطريقة غير مشروعة. (بول مايكل إلى هنري روث، 16 تشرين الأول / أكتوبر، 1975، ص 91، 235 وما يليها، هيئة الادعاء الخاص لووترغيت IH - R]، المحفوظات الوطنية).

ثم حدث انعطاف غريب أخير غير متوقع، هو رد فعل الرجل الذي عثر على اسم نيكسون في الأساس لأول مرة وتجاربه التالية. وبدلاً من أن يطنطن نورمان كاسبر باكتشافه عند الإدلاء بشهادته أمام لجنة مجلس النواب، فقد غامر بإبداء رأي زعم فيه أن ذلك الاسم قد يكون قد وصل إلى القائمة، لأن أحد الناس «أخذ يعبث بعد أن شرب كؤوساً من المارتيني. . . أكثر مما ينبغي». وهذا تفسير غير مفهوم، ولكن ينبغي تفسيره في سياق كون اللائحة المطبوعة قد أثارت قلق كاسبر، لأن «بعض جيراني كانوا متورطين»، كما قال للجنة التحقيق.

أمّا ما قصده بكلمة «جيران» فقد ظهر في سنة 1996 في محادثةٍ مع المؤلف، حالما بدأ كاسبر، وهو رجل نزيه يحظى باحترام كبير في صفوف زملائه بمصلحة الضرائب، يتخلى تدريجياً عن حذره وتحفظه. فقصته الكاملة مليئة بالمفارقات وسخريات القدر. فقد كان يسكن في كي بسكين قبل زمن طويل من عمله كموظف في مصلحة الضرائب الداخلية. وقد عرف كلاً من نيكسون وريبوزو شخصياً. والتقى بنيكسون عندما نزل في فندق كي بسكين، بل لقد اعتنت ابنتا نيكسون ببنات كاسبر على الساحل، كما التقى مع بات نيكسون وأعجب بها كثيراً. وكان كاسبر في الحقيقة جمهورياً محافظاً، وله نشاط كان كافياً في إحدى المراحل لجعله يخدم في اللجنة المحلية للحزب الجمهوري.

وكان كاسبر كذلك يعتبر ريبوزو «صديقاً طيباً جداً» فقد التقى الرجلان في مطلع الخمسينيّات. بل إن كاسبر كان قد أجرى تدقيقاً في خلفيات بعض المستخدمين المحتملين، الذين كانت هناك نيةٌ لتشغيلهم في مصرف كي بسكين. كما عمل عند ريبوزو حتى سنة 1969، قبل وقت غير طويل من استئجاره من قِبَلِ مصلحة الضرائب الداخلية. ولقد كان ما اكتشفه هو آخر شيء يتوقعه أو يرغب في العثور عليه. وكما أخبر المؤلف: «لم أكن أريد أن أصدّق هذا الأمر».

وبعد أن أدلى كاسبر بشهادته في واشنطن، اتصلت به سكرتيرة ريبوزو لتقول له إن رئيسها يريد أن يراه على وجه السرعة. فتشاور مع زملائه في مصلحة الضرائب، ثم وافق على الالتقاء بريبوزو في مكتبه. كان صديق الرئيس يريد أن يعرف إن كان كاسبر قد رأى فعلاً حساب نيكسون في مصرف كاسيل. فأجاب كاسبر بأنه لم يَرَ سوى قائمة أسماء الزبائن. وعندئذٍ قال له ريبوزو إن محامياً لنيكسون قد ذهب إلى جزر البهاما ووجد برهاناً «لا يُدْحَض» على أنه ليس هناك مثل هذا الحساب. ثم أبرز له ذلك المحامي، الذي كان ينتظر في غرفة مجاورة، وجعل كاسبر يحكي قصته مرة أخرى.

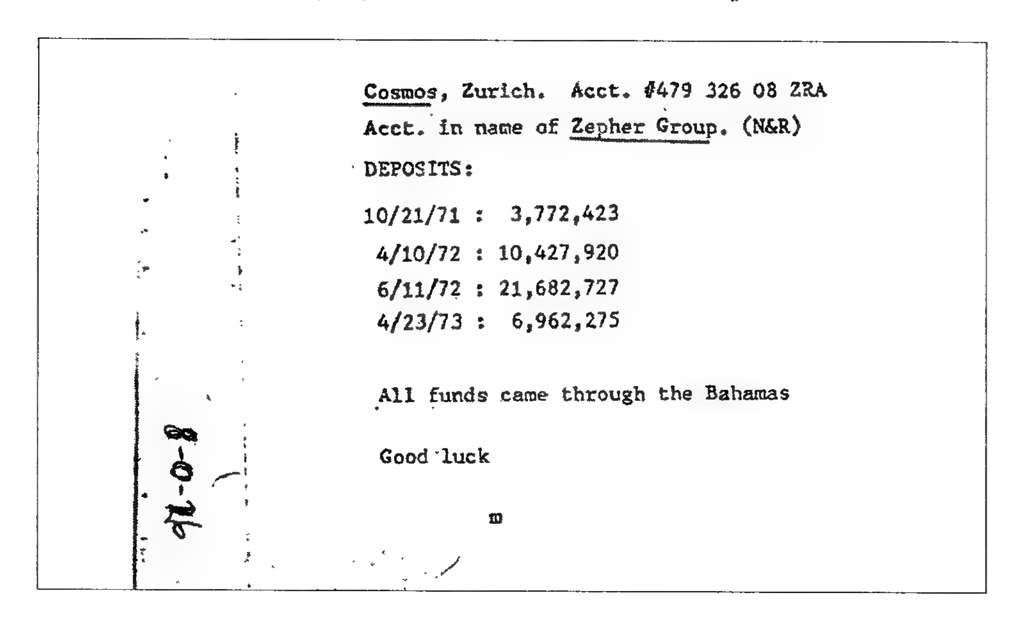
وقال ريبوزو لكاسبر إن نيكسون «غاضب جداً»، ثم سأله عن أوضاعه المالية نفسها. وعندما أجاب كاسبر بأنها ليست مزدهرة، أعرب ريبوزو عن «فزعه»، وقال إنه «يأمل أن يتحسن الوضع». وبعد أسبوع من ذلك اللقاء عاد ليتصل به، ليس من أجل أي شيء على وجه التحديد، وقال مرة أخرى إنه يأمل أن «يتحسن وضع كاسبر المالي في المستقبل القريب».

وعلى الفور قام كاسبر بتقديم بلاغ عن هذه المحادثات شفويّاً وكتابيّاً لضابط الارتباط بمصلحة الضرائب. وقد بقي لها سجل محفوظ.

إذا كانت لنيكسون ممتلكات في الخارج، في أماكن لا تخضع فيها لقوانين الضرائب الأجنبية. . فكم كانت قيمتها؟ إن القائمة الأصلية بأسماء الزبائن لم يظهر عليها بالطبع سوى اسم ورقم حساب. ورغم أن الحقيبة التي «استعيرت» من موظف المصرف كانت فيها القائمة التي **لم** يظهر فيها اسم نيكسون، فإنها كانت تحتوي أيضاً على سجلات مصرف كاسيل وحسابات مضارباته وسمسراته، ونسخ من دفاتر «الأستاذ» التجارية، ومراسلات مستفيضة تظهر كيف كانت تدار الاستثمارات.

وكان كاسبر حاضراً عندما شرع مصورو مصلحة الضرائب بالتقاط الصور لتلك الأوراق والسجلات. وقد تم تزويده ببعضها من أجل عمله. وكانت من

بينها هذه الوثيقة، التي زود بها كاسبرُ المؤلّفَ، والتي لم تُنْشَر من قبلُ أبداً:



Cosmos, Zurich. Acct. #479 326 08 ZRA
Acct. in name of Zepher Group. (N&R)

DEPOSITS:

10/21/71 : 3,772,423
4/10/72 : 10,427,920
6/11/72 : 21,682,727
4/23/73 : 6,962,275

All funds came through the Bahamas

Good luck

m

فإذا أُخِذَتْ هذه الوثيقة حسب قيمتها الاسمية ـ وليس هناك سبب يدعو إلى الشك مما يقوله كاسبر عن أصلها ـ فإنها مذكرة مطبوعة على ما يبدو تلخص أربعة إيداعات في مصرف كوزموس بسويسرا. وهي لا تشير إلى كون المبالغ المدرجة تمثل دولارات أمريكية أم فرنكات سويسرية، فإذا كانت بالدولارات، فإن إجمالي ما هو مودع في المصرف السويسري يصل إلى مبلغ هائل هو 42845345 دولاراً. وإذا كانت الأرقام تشير إلى فرانكات سويسرية ـ كما يبدو على الأرجح ـ فإن ما يعادلها من الدولارات هو مبلغ 11175642 دولاراً أمريكياً[27].

ويظهر أن التعليق الذي يذكر أن المبالغ المودعة قد تدفقت عبر جزر

(27) سواء أكانت المبالغ التي ذُكِرَ أنها مودعةٌ باسم «مجموعة زفير (N & R)» بالدولارات الأمريكية أم بالفرنكات السويسرية ـ والأخيرة هي الأرجح ـ فليست هناك طريقة الآن لاكتشاف الكيفية التي تم بها الاحتفاظ بالمبالغ. فإذا كان المصرف يديرها فقط، بدلاً من استخدامها بالطريقة العادية لأغراض القروض، فإنها لن تظهر في كشوفه الإحصائية المنشورة. (مقابلة ومراسلات مع بيتر ميتكاف).

البهاما، هو ملاحظة أو مذكرة بين موظفي المصرف. أما العبارة «حظاً سعيداً» فليست موضَّحَة. كما أن هوية الكاتب «m» غير مؤكدة[28].

وبالطبع فإن الاهتمام بهذه الوثيقة يدور حول سؤال واحد فقط هو: هل الحرفان الأولان N & R بين قوسين يشيران إلى نيكسون وريبوزو؟

إن استخدام الأحرف الأولى يتمشى مع اثنين من ترتيبات ريبوزو التجارية. فقد كانت هناك شراكة عقاريّة له مع المصرفي سلون ماكير فكانت معنونةً: ممتلكات R & M. كما كانت هناك شركة كوّنها ريبوزو مع صديق نيكسون بوب آبلانالب فصارت استثمارات B & C ويظهر أن حرف B كان يرمز إلى بوب وحرف Cيرمز إلى تشارلس Charles (وهو الاسم الأول لريبوزو، الذي نادراً ما كان يستخدم).

وحسب رواية كاسبر، فإن وثيقة N & R المذكورة أعلاه كانت واحدة من مواد كثيرة من حقيبة كاسيل اقتسمها مع هرشيل كليسنر، المحامي الرئيسي للجنة الفرعية للشؤون التجارية والنقدية التابعة لمجلس النواب. وكان كليسنر، الذي طور علاقات داخل الأسرة المصرفية السويسرية، يعتقد أن تلك الأحرف رموز تشير حقاً إلى سجل من الممتلكات الضخمة لنيكسون وريبوزو في مصرف أجنبي.

وقد بدا كاسبر في بادئ الأمر نادماً على سماحه للمؤلف برؤية وثيقة كوزموس، فأصبح يدافع عن نيكسون بحماسة كبيرة. فقال وهو جالس في غرفة الجلوس في منزله المتواضع في فلوريدا: «لن أوضح أي شيء لعين. لم يُقْتَلْ أحد. فدع هذا الأمر وشأنه. لقد تعرض الرجل إلى ما يكفي من المشاكل، وهناك أشياء من الأفضل نسيانها» وهكذا أوضح كاسبر ـ الذي هو

(28) من الممكن تصور كون «م» هو مايكل وولستونكرافت، نائب رئيس مصرف كاستيل، وأمين سره، والرجل الذي اكتُشِفَت وثيقة كوزموس في حقيبته.

الآن في سبعينيات عمره ـ أنه عازم على أخذ القصة معه «إلى المحرقة» [بعض الناس في الغرب يفضلون أن تحرق جثثهم بعد الوفاة بدلاً من الدفن: المترجم].

غير أنه عاد فاعترف فيما بعد، أن مصدراً في مصرف كاسيل قد «أشار» له إلى أن «N & R» كانت ترمز بالفعل إلى نيكسون وأقرب أصدقائه. وعندما أثار كاسبر هذه القضية مع موظفةٍ أخرى، «أغلقت فمها بصمت رهيب لا يمكنك تصديق شدة إحكامه».

ووثيقة المصرف السويسري، أو معظم المعلومات الواردة فيها، تضاهي الوثيقة التي قدمها مصدر آخر. ففي ثمانينيات القرن العشرين، قام وريث مؤسسة A & P، هنتنغتون هارفود، أثناء اجتماعه في منزله بمانهاتن مع أحد المراسلين، بإبراز قطعة ورق عليها رقم الحساب في مصرف كوزموس نفسه، وثلاثة من المبالغ الأربعة المودعة المذكورة في الوثيقة التي صادرتها مصلحة الضرائب من تلك الحقيبة.

وفي سنة 1996، رفض هارتفورد، العجوز المريض، أن يناقش القضية، قائلاً: «هل تريد أن تسوّد اسم نيكسون؟ لا تفعل. لا أعتقد أنه كان سيئاً إلى هذا الحدّ. ولماذا أهتمّ إن كان لنيكسون حساب في مصرف سويسري؟

ويكاد يكون من المؤكد أن هارتفورد قد حصل على معلوماته عن الإيداعات، من المحققين الذين اشتغلوا في الدعوى القضائية التي رفعها ضد شركائه في جزيرة الفردوس(*). وتشير المعلومات المتاحة إشارة قوية إلى علاقة لجزيرة الفردوس بمصرفي كاسيل وكوزموس، على حد سواء.

ولقد كانت بعض أسهم شركة جيمس كروسبي، التي اشترت الجزيرة من هارتفورد، مودعةً في مصرف كاسيل. وفي الوقت نفسه، كانت الفروع التابعة

(*) انظر هذا الفصل، ص518.

لمصرف كوزموس تملك عشرين بالمئة من الأسهم في جسر جزيرة الفردوس، الجسر الذي قيل بأن نيكسون كان يملكه جزئياً[29].

وفي السنة التي خُطِفت فيها تلك الحقيبة، كان مصرف كوزموس مؤسسة مصرفية سويسرية خاصة راسخة الجذور، تعمل من مكتب غير بارز للعيان في الطابق الرابع، على مبعدة من شارع باهنهوف، في زيوريخ. وبينما لم يكشف عن صفقاته ومعاملاته شيئاً يذكر، فإن أنشطته الرئيسية قد وصفت بأنها «أعمال تجارية في الولايات المتحدة». وكان من بين مدراء هذا المصرف في وقت مبكر روبرت آندرسون، وزير الخزانة في أيام حكم آيزنهاور. وقد دين فيما بعد بتهم ترتبط بمصرف آخر يعمل في بلد أجنبي، بعيداً عن متناول قوانين الضرائب فيه[30]. وكانت لكوزموس مكاتب فرعية في نيويورك، في بارك آفينيو، وفي جزر البهاما.

وقد أجرى المؤلف تحقيقاً في هذه القضية قاده إلى زيارة وكيل نيابة المنطقة الأسطوري في مقاطعة نيويورك، روبرت مورغنثاو. وعندما كان مورغنثاو مدعياً عاماً أمريكياً في ستينيّات القرن العشرين، كان سوطَ العذابِ الماحقِ للجريمة المنظمة، وعدواً لِمِيِيَرْ لانسكي على وجه الخصوص، وأوّلَ

---

(29) كانت شركة كوزموس القابضة، AG, Zug، في سويسرا تملك عشرة أسهم، بينما يملك رئيسها هـ. ي. رايدركنخت ثلاثة أسهم، وشركة كوزموس المساهمة في نيويورك تسعة أسهم. (قائمة حملة أسهم شركة الجسر على جزيرة الفردوس، الحقل B 78, E, NA).

(30) في سنة 1987 حُكِمَ على آندرسون بالسجن شهراً وبالإقامة الجبرية في منزله خمسة أشهر بتهمة التهرب من الضرائب، وإدارة مصرف غير مشروع، بعيد عن الشاطئ لا يخضع للضرائب والقوانين المالية في حوض الكاريبي. وقبل أن يصبح وزيراً للمالية سنة 1957، أكمل عقد صفقة مع مجموعة من رجال النفط كانت مُصَمَّمةً لتدر عليه ما يقرب من عشرة ملايين دولار وتؤثر على سياسته في منصبه. غير أن آيزنهاور كان معجباً بآندرسون. وقيل إنه كان يفضله كمرشح لمنصب الرئاسة سنة 1960 بدلاً من نيكسون. (الحكم بالسجن: **نيويورك تايمز**، عدد 16 آب / أغسطس، 1989؛ والصفقة النفطية: **الواشنطن بوست**، عدد 16 تموز / يوليو، 1970؛ سانفورد أونغار، **وكالة المخابرات المركزية**، طبع بوسطن: ليتل، براون، 1975، ص 272؛ وتشارلس آشمان، **كونالي**، طبع نيويورك: مورو، 1974، ص 83؛ كان آيك يفضل: **فون برودي**، ص 351، 355).

واحد من كبار منفذي القانون الأمريكي يسبر أغوار أسرار الحسابات المصرفية السويسرية. فكان هذا طريقاً أدى به في خاتمة المطاف إلى فقدان وظيفته.

وفي سن شارفت على الثمانين، بينما هو يخطو في مكتبه الذي يشبه الكهف في مانهاتن السفلى، استذكر أنه عندما كان يحقق في عدة قضايا «استمر اسم نيكسون في الظهور تكراراً»[31]. وقال مورغنثاو: «كنا ننظر في ما يجري على جزيرة الفردوس. فقادنا ذلك إلى نيكسون. ولم يكن لدينا تحقيق مفتوح عنه. فقررنا أن نفتح تحقيقاً». وعندما أَطْلَعَ المؤلفُ مورغنثاوَ على الوثيقة التي تُظْهِرُ حسابات «N & R» في مصرف كوزموس كان رد فعل وكيل النيابة قوياً. لم يكن قد رأى تلك الوثيقة من قبلُ على الإطلاق، ولكن تحقيقه كان قد قاده إلى ذلك الاتجاه بالضبط. كانت عنده معلومات عن زيارة قام بها نيكسون لمحام باريسي، خبير في مساعدة الناس على فتح حسابات مصرفية سويسرية. قال مورغنثاو: «ليس لدي شك في أنه قد استخدم كوزموس. ولعله استخدم شيئاً آخر أيضاً. ولكن من المؤكد أنه استخدم ذلك المصرف».

وعندما صار نيكسون رئيساً، كان المدعي الأمريكي لنيويورك يعمل مع لجنة العملة والعمل المصرفي، التابعة لمجلس النواب لصياغة قانون جديد، كان سيجعل تشغيل حسابات سرية في الخارج أصعب بكثير على المواطنين الأمريكيين وشركاتهم. غير أن نيكسون أزاح مورغنثاو عن منصبه قبل وقت طويل من تحقيق ذلك. وتمت الإزاحة رغم الاحتجاجات من كبار الجمهوريين

---

(31) أشار مورغنثاو إلى ماكس أوروفيتز، الذي دين بجرائم تتعلق بسندات مالية تورط فيها مع مصرف سويسري. وقد طال الاتهام في قضيته كلاً من لوثْيِيسْلر، أحد أتباع لانسكي ومن المتبرعين لحملة نيكسون، وماكس كورتني، ناشر كتاب لانسكي الذي شهد بصورة عابرة أن نيكسون كان من بين زَبَائِنِه البارزين. وكان مورغنثاو أيضاً هو الذي أدان بيتر كروسبي، شقيق جيمس كروسبي، مدير كازينو القمار في جزيرة الفردوس ـ وهو من أكبر المتبرعين لنيكسون وصديق ريبوزو ـ بتهمة التحايل في قضية أسهم وسندات. (مقابلة مع أوروفيتز: روبرت مورغنثاو؛ وولر، مصدر سبق ذكره، ص 91 وما يليها، 118؛ وصحيفة **نيوزداي**، عدد 11 تشرين الأول / أكتوبر، 1971؛ بلوك، مصدر سبق ذكره، ص 37، 43، 123، 189؛ تشيسلر ـ كورتني، المصدر نفسه، و ـ إشارة إلى كورتني ـ، أنظر ص 127).

والديمقراطيين على حد سواء. وفي آخر الأمر، تم إقرار القانون الجديد الذي يحدّ من استخدام الحسابات المصرفية الأجنبية، في سنة 1972، ولكن بشكل مخفف.

وأدت مقابلة المؤلف مع مورغنثاو إلى إعادته إلى موضوع مصلحة نيكسون المالية في جسر جزيرة الفردوس المفروضة عليه الرسوم. وقال وكيل النيابة مورغنثاو: «لقد جئنا بموظفي كوزموس، الفرع الأمريكي لكوزموس للمثول أمام هيئة المحلفين الكبرى، حيث سُئلوا عمّن يملك 20 في المئة من الاستثمار في جسر جزيرة الفردوس. فقالوا: نحن نملكها). فسألناهم: (هل قمتم باستثمار آخر للأسهم المباشرة؟ فلم يستطيعوا أن يخبرونا بأي استثمار من هذا القبيل قاموا به على الإطلاق. وليس لدي أي شك في أنهم كانوا يحتفظون بذلك لريتشارد نيكسون. هل كنتُ قادراً على إثبات ذلك ؟ كلاّ. هل أنا متأكد منه؟ نعم!»

وأفلس بنك كوزموس سنة 1974. ومن حيث الرواية التاريخية، فإن آثار هذا المسلسل تنتهي هنا، باستثناء مادة تلقاها وكيل النيابة مورغنثاو في البريد في سنة 1997. وهي قصاصة ورق وحيدة مرسلها مجهول[32]، ونصها:

حساب نيكسون المصرفي السويسري
Bank Cantrade, Bleicherweg 30, Zurich 8039
رقمه 362360 ـ 051 اعتباراً من أوائل سنة 1970

فرع من UBS
Baerwald & Debeoer Florida (Rebozo)

(32) إنه إرسال المذكرة المغفلة من التوقيع، في وقت متأخر مثل 26 تموز / يوليو، 1997 كان الدافع إليه بلا شك هو المقال الذي ظهر في صحيفة **النيويوركر** حول مورغنثاو. وقد نقل هذا المقال عن مورغنثاو قوله: «لقد كنت أعتقد دائماً أن [نيكسون] لديه حسابات مصرفية سويسرية». (**النيويوركر**، عدد 28 تموز / يوليو 1997؛ مقابلة مع جيمس تروب).

وترمز UBS إلى مصرف الاتحاد السويسري، أكبر مصارف سويسرا، المتخصص في إدارة الاستثمارات للزبائن الفرديين الخصوصيين. أما بنك كانتريد، الذي هو جزء منه، فقد ظل يذكر في إعلاناته حتى سنة 1998 ـ «ولاء مطلق لزبائننا». . . ثقة في التوجه، والأداء، والاستمرارية».

ورغم أن هذه الرسالة جاءت من مجهول، فإن إشارتها إلى بيروالد ودي بوير مثيرة للاهتمام. إذ كانت تلك هي مؤسسة السندات المالية التي يديرها فرانكلين دي بوير، الموظف المسؤول عن الأمانات في مصرف ريبوزو، والرجل الذي قال إنه يدير «محفظات خاصة» لكل من نيكسون وريبوزو.

وهكذا وصلت قصة أموال نيكسون السرية المزعومة هذه إلى دائرة مكتملة. فإذا كانت الرسالة التي تلقاها مورغنثاو في آخر تسعينيات القرن العشرين مجرد خيال ومشاغبة تخريبية، فإن الذي ركّبها بهذه الطريقة خبير متمكن من فنّه. وعلاقة دي بوير غامضة مطموسة لم تُفْضَحْ في أي مكان حتى طباعة هذا الكتاب.

وأخيراً فإن الرجل الذي قام بجمع الأموال لنيكسون في ثلاث حملات انتخابية، والشديد الولاء له بشكل صلب، قد تسربت منه بعض التفاصيل المثيرة للاهتمام قبيل موته. قال موريس ستانس في مقابلة أجريت معه سنة 1997: «كان ريبوزو شخصاً لطيفاً جداً، حلو المعشر. . . وقد قال لي: (لقد أقمت صندوق أمانة لعائلة نيكسون ـ لرعاية أسرته؛ إن الأموال الوحيدة التي تم تخصيصها لنيكسون جاءت عن طريق سخاء بيب. وبيب هو الذي أخبرني بذلك».

وقال ستانس إن الصندوق، الذي يعتقد أنه قد أقيم في سنة 1968 لم يعرف به أحد من عامة الناس على الإطلاق. ولم يعرف ستانس نفسه مقدار ما

وُضع فيه[33]. ومعنى ذلك أنه قد شُرِع فيه قبل سنوات من الإيداعات الكبيرة الأولى في مصرف كوزموس في زيوريخ تحت الاسمين «N & R» [نيكسون وريبوزو]، بموجب الوثيقة التي وقعت في أيدي موظفي مصلحة الضرائب.

كان الفندقيّ السويسري راؤول دي جندر قد التقى بنيكسون بينما كان يعمل في الولايات المتحدة. وقد عاد إلى سويسرا فيما بعد، ليصبح مديراً لفندق دولدر غراند بزيوريخ. وكان معجباً بنيكسون، الذي تملأ صوره مكان عمله الحالي. ويحتفظ دي جندر بذكريات عزيزة عن مقابلاتهما الأخرى. وقد استذكر أنه طيلة الثمانينيات كان نيكسون يسافر إلى سويسرا في كل سنة، أحياناً بصحبة بات، وغالباً بصحبة ريبوزو.

(33) إن جوناثان إيتكين، كاتب السيرة الذاتية لنيكسون، والمقرب منه والواصل إليه إلى حد استثنائي غير مألوف، يشير بدون أي توضيح إلى استفادة الرئيس السابق، في سنة 1978، من مدفوعات «في حساب (الشريك الصامت)» في مصرف ريبوزو. (جوناثان إيتكين، ص 543).

21

لقد تبخر بقنابل نووية سياسية ست مرات، وبُعِثَ حياً بيده نفسها.
لقد أحيا نفسه بالتنفس الأصطناعي في فمه بنفسه.

برايس هارلو، صديق نيكسون ومستشاره

مهما كان من أمر المستقبل وحظوظه، فقد زعم نيكسون أنه تعرض لأوقات عصيبة من الناحية المالية بعد اندحاره في انتخابات سنة 1962. كانت بات «تناكده متذمّرةً بخصوص محنتهما»، حسبما روى مصدر قريب من العائلة. وكانت تريد الخروج من كاليفورنيا. فكانت تلك خطة تناسب نيكسون جيداً، حتى عندما وعدها مرة أخرى بأنه لن يرشح نفسه ثانية لأية وظيفة عامة أبداً. وفي غضون شهر من خسارته لمنصب حاكم كاليفورنيا أمام بات براون، التقى مع مقربيه الحميمين في جناح بفندق والدورف آستوريا بنيويورك، ليناقش كيفية إبقاء نفسه لاعباً فعالاً في الميدان السياسي. والواقع أن نيويورك بَدَتْ هي المكان الوحيد الذي قد يكون بعثه فيه ممكناً.

ولهذا الغرض كان نيكسون يريد وظيفة محامٍ في مانهاتن، وظيفة من شأنها أن تدرّ عليه دخلاً سنوياً قدره ربع مليون دولارٍ، وتتركه حرّاً يستغل وقته كما يحبّ. وقال أحد مساعديه: «كان عليه أن يتملك كعكته، المال، ويأكلها كذلك، فيتابع اهتمامه بالسياسة الخارجية».

وتشير إحدى الروايات إلى أن ريبوزو هو الذي وضع نيكسون في مثل هذا المركز، بالتعاون مع إدْ بول، وريث شركة دوبونت، وإيدي رِيكِنْبِيكرْ،

الطيار المتفوق في الحرب العالمية الأولى. وهناك رواية أخرى ـ هي التي أَدَامها نيكسون ـ تقول إن الذي رتّب ذلك هو قطب المواد الصيدلانية إلمر بوبست. وعلى أية حال، فقد صار نيكسون من كبار الشركاء في مؤسسة قانونية بنيويورك، عُرِفَتْ منذ ذلك الحين باسم مؤسسة نيكسون، ومادج، وروز، وغاثري، واليكساندر.

وكان مقر هذه المؤسسة في وول ستريت، وقد رسخت لها منذ وقت طويل سمعةٌ بأنها أكبر المدافعين عن المؤسسات التجارية العملاقة، ووصفها هيو سايدي في مجلة **لايف** بأنها مكانٌ فيه «الوجوه الداخلية آمرة مسيطرة، ولكنها في الغالب الأعم من الحالات، لا يمكن التعرف عليها. . . والحديث هناك يدور عن الشركات والدولارات». ومحامو هذه المؤسسة يخدمون زبائنهم بحراسة أموالهم من الضرائب، وبالتفاوض في قضايا السندات، وإدارة الأملاك العقارية. بل إن الشركة موجودة بالدرجة الأولى أساساً للمضاربة في الأموال الكبرى في السوق [وغالباً بأساليب غير قويمة].

ومع ضمان عرض العمل المربح هذا في اليد، عثر آل نيكسون على منزل يناسب مكانتهم، وهو شقة في الجانب الشرقي الأعلى ثمنها 135000 دولار، تطل على متنزه سَنْتْرالْ بارك، في جوار منزل حاكم ولاية نيويورك، نيلسون روكفلر[1]. ومع ابنتيهما، ومانولو وفينا سانشيز، الخادم الخصوصي الاسباني، ومدبرة المنزل، اللذين كانا قد أصبحا جزءاً دائماً من أفراد الأسرة[2] ـ وكلبهم

---

(1) قدر مصدر آخر ثمن الشقة بـ 425000 دولار. (جيل تروي، مصدر سبق ذكره، ص 178).

(2) كان الزوجان سانشيز من مواليد إسبانيا، ولكنهما ظلا يعيشان في كوبا حتى أصبحا منفيين بعد استيلاء كاسترو على الحكم. وبدآ يشتغلان لآل نيكسون سنة 1961، وقدر لهما أن يبقيا في خدمتهم إلى ما بعد استقالة نيكسون بزمن طويل. وفي سنة 1968، قطع نيكسون جدول أعمال حملته الانتخابية المحمومة كي يظهر راعياً لهما عندما طلبا الحصول على الجنسية الأمريكية. وبعد أن تقاعدا وعادا إلى وطنهما الأم إسبانيا، نحو سنة 1980، حل محلهما في الخدمة زوجان صينيّان. (ريموند برايس: **مع نيكسون**، طبع نيويورك: فايكنغ، 197، ص 14؛ بريانت مع ليتون، مصدر سبق ذكره، ص 251؛ مقابلة مع إدوارد نيكسون؛ الإسبانية: مذكرات ريتشارد نيكسون، ص 291؛ الصينيان: **نيويورك**، 9 حزيران / يونيو، 1980).

تشيكرز الذي كان قد شاخ ـ انتقل آل نيكسون إلى الشرق في حزيران/ يونيو سنة 1963. فلم يُقِمْ لهم أحدٌ حفلةَ وداعٍ في كاليفورنيا.

وقدر لبات أن تصف إقامتهم في نيويورك بأنها «إجازة امتدت ستة أعوام». فقامت بتزيين الشقة على الطريقة «الريفية الفرنسية»، بألوان كلها أصفر وذهبي خفيف رقيق، وأعادت تركيب غرفة النوم الرئيسية ذات السريرين. أما «معاطفها القماشية الجمهورية» فقد انضمت إليها معاطف فراء المنك في خزانة ثيابها الواسعة. وأرسلت ابنتها إلى شابان، المدرسة الخاصة الراقية لفتيات الطبقات الاجتماعية العليا. وسوف تدخلهما إلى الحفلات الاجتماعية للمرة الأولى في الوقت المناسب. وعلى الرغم من مثل هذه الاستجابة للمتطلبات الاجتماعية، فلم يكن من السهل الترحيب بنيكسون في قلعة المؤسسة الراسخة القائمة في الشرق. واستذكر أحد معارفه محاولة لتجميع ضيوف لحفلة عشاء: «ببساطة، لم يكن أولئك الناس يريدون الذهاب إلى العشاء مع نيكسون».

وقدم نيكسون طلباً للانضمام إلى نقابة المحامين في نيويورك، فتمّ له ذلك بعد إجابة عن سؤال بامتداح ضمانات الدستور ضد إساءة استخدام السلطة. وبدأ يشتغل في الطابق الرابع والعشرين في مكتب مؤسسة نيكسون ومادج وروز، جالساً إلى طاولة عتيقة، تزينها منفضة سجائر نائب الرئيس، وطاقم أقلام كان قد أهداه إياه آيزنهاور. وبانضمام اسم «نيكسون» الجديد إلى المؤسسة كشريك، حصلت المؤسسة على نوع من النفوذ. وقام داعمون أقوياء، من أمثال دون كيندال من شركة البيبسي، وبوب آبلانالب من شركة الصمامات الدقيقة، بنقل أعمالهم وقضاياهم القانونية إلى مؤسسة نيكسون ومادج وروز.

وبدأت المؤسسة وزبائنها بالتناغم مع سياسة نيكسون. وكان ملتون روز، أحد كبار الشركاء، قد قاد عملية ترويج التجارة الأمريكية في أمريكا اللاتينية بعد الاضطرابات التي حدثت أثناء جولة نيكسون هناك وهو نائب للرئيس. وكانت

المؤسسة قد مثلت مالك السفن ستافروس نياركوس أثناء صراعه مع آرسطو أوناسيس للسيطرة على الطرق البحرية لشحن النفط، وهو صراع أداره نيكسون من واشنطن(*). وقام آرنهولت سميث، المصرفي الفاسد في سان دييغو، باستخدام مؤسسة نيكسون ومادج وروز للدفاع عنه في إحدى القضايا. ولعله ليس من باب المصادفة أن تكون حكومة فيتنام الجنوبية من زبائن المؤسسة أثناء عمل نيكسون فيها.

ومن المكتب في شارع برود، كتب نيكسون إلى قاضٍ يلتمس الرأفة لماريو غارسيا كوهلي، اليمينيّ المنفي ـ الذي كان متورطاً في المتاعب في مواجهة اتهامات بالتزوير ـ والذي كان نيكسون قد فرضه ذات مرة على وكالة المخابرات المركزية باعتباره الزعيم المحتمل لكوبا الحرة. كما عمل لاستعادة ملايين الدولارات التي طالب بها أقارب رافائيل تروخيللو، دكتاتور جمهورية الدومنيكان الذي اغتيل؛ فقد قيل بأن ثلاثين مليون دولار قد اختفت في حادث تحطم طائرة كان على متنها الداعم المالي الأساسي لكوهلي[3].

وقُدِّر لأعمال المؤسسة أن تقتضي وجود نيكسون في دالاس في يوم اغتيال جون كينيدي. وبغضّ النظر عن المجاملات العلنية، فإن العلاقة بين الرجلين ظلت مشوبة بسخائم الحقد والضغينة. كان كينيدي قد قال في مجالسه الخاصة عن كتاب **ست أزمات** وهو يهاجم الطريقة المحلاّة المصطنعة التي وصف بها نيكسون أسرته في سياق ذلك الكتاب: «إنه يشعرني بالغثيان. إنه ابن زناً رخيص». وكانت عبارة «أبناء زنا» هي أيضاً التي استخدمها نيكسون من جانبه في وصف آل كينيدي، بينما كان يتألم مجروحاً من تدقيقات الضرائب التي راح يعتقد أنهم أمروا بها وسلطوها عليه.

(*) انظر ص 421.

(3) كان لويس برلانتي مقاولاً ثرياً من فلوريدا. وقد هلك في حادث تحطم طائرة في آب / أغسطس، 1963، وقيل إنه كان عندئذ يحمل أكثر من نصف الـ 53 مليون دولار التي سَرَّبَها إليه تروخيللو. وكان برلانتي قد موّل خطة كوهلي لتزوير البيزو الكوبي (هنكل وتيرنر، مصدر سبق ذكره، ص 201).

وقبل الاغتيال بخمسة أشهر، تصادف أن كان الاثنان في روما في الوقت نفسه. وكان مع كل منهما موعد للقاء البابا المنتخب حديثاً آنذاك، بول الرابع. وعندما علم نيكسون أن زيارة الرئيس قد استغرقت ثلاثين دقيقة، اتصل بالقنصل العام الأمريكي ليصرّ على أن يستغرق لقاؤه بالبابا «تلك المدة نفسها بالضبط». وقبل إنهاء الزيارة الرسمية، اتصل الرئيس هاتفياً بنيكسون في فندقه. واستذكر نيكسون أنه «كان يريد فقط أن يقول لي: مرحباً». ولم يتحادث الرجلان بعدها قطّ.

وفي الصباح الباكر من يوم 22 تشرين الثاني/ نوفمبر(1963)، كان نيكسون في جناحه في فندق بيكر في دالاس، منهمكاً في إنهاء عمل يومين لمصلحة شركة بيبسي، في مؤتمر لصناع الزجاجات[4]. وفي مدينة تجيش بالمشاعر الملتهبة المعادية لكيندي، لم يستطع نيكسون أن يقاوم خلط العمل التجاري بالسياسة، فقال للصحافيين المحليين: «سأفعل كل ما بوسعي لإخراج آل كيندي من السلطة» وقيل إن كيندي قد انزعج من هذا التعليق الذي كان الأخير في عدد من الانفجارات النيكسونية، بينما كان يستعرض الصحف في صبيحة ذلك اليوم الأخير من حياته. وقد يكون لاحظ، أو لم يلاحظ، أنه إلى جانب النقد، عبّر نيكسون عن أمله في أن تقدم دالاس لكيندي «استقبالاً لطيفاً».

وطار نيكسون على متن رحلة تجارية قبل ساعتين ونصف ساعة فقط من وصول كيندي إلى دالاس على متن طائرة السلاح الجوي رقم واحد. وما إن

(4) قدر لنيكسون أن يخبر مكتب التحقيقات الاتحادي ولجنة وارن أنه كان في دالاس لمدة يومين قبل اغتيال كيندي. ولكنه تعمد أن يذكر أنه كان هناك ما يزال في صبيحة يوم الاغتيال نفسه. فكان ذلك تعتيماً نيكسونياً غريباً، يستدعي سخرية سوداء عندما ظهرت الحقائق، ولا سيما في أذهان ذوي التفكير التشكيكي المصابين بمرض الارتياب في الآخرين (تقرير جون مالون، مساعد مدير مكتب التحقيقات الاتحادي عن مقابلته مع ريتشارد نيكسون، 28 شباط / فبراير 1964؛ في وثيقة المكتب المذكور رقم NY 10538431، وأنظر المعروض 1973 للجنة وارن، ماتيوز، مصدر سبق ذكره ص 274، نقلاً عن رسالة ريتشارد نيكسون إلى اللجنة في 4 آب / أغسطس 1964).

وصل نيكسون إلى نيويورك، حتى كان كيندي يحتضر. وقبل أن يعرف نيكسون بخبر الاغتيال، راح يلقي بالمزيد من الأشواك المعادية لكيندي أمام مجموعة من المراسلين في المطار، حيث وقف بمرح لعدسات المصورين ثم استدعى سيارة أجرة. وفي الطريق إلى قلب المدينة كانت السيارة متوقفة عند ضوءٍ أحمر، عندما هجم رجلٌ ليسأل السائق إن كان سمع الخبر: لقد اطلق الرصاص على الرئيس. وفي منزل نيكسون في مانهاتن أخبره بواب وهو يبكي أن الرئيس قد مات. فهرع إلى شقته ليجد ابنتيه تتابعان المأساة وهي تتكشف على شاشة التلفزيون.

وبعد ذلك بدقائق معدودة، وصل الكاتب ستيفن هيس ليجد نيكسون «مهزوزاً جداً بالصدمة. وقد تناول صحيفة دالاس الصباحية، التي كانت فيها قصة عن المؤتمر الصحافي الذي كان قد عقده هناك بالأمس. وتحدث فيه عن ضرورة أن يبدي أهل دالاس احتراماً لخصومهم السياسيين . . . . وكان يقول لي بالنتيجة: «كما ترى، فإنه لم تكن لي يد في خلق هذا». كان يشعر بقلق كبير آنذاك من كون كيندي قد اغتيل على يد شخص يمينيّ، وأنه سوف يُتَّهَمُ ـ بطريقةٍ ما ـ بإطلاق موجة من الكراهية السياسية».

وبينما كان هيس يستمع، أجرى نيكسون مكالمة هاتفية مع مدير مكتب التحقيقات الاتحادي، إدغار هوفر، الذي قال له إنه يعتقد أن القاتل المزعوم، لي هارفي أوزوالد كان في الحقيقة يسارياً، مما ترك نيكسون مرتاحاً إلى حد ما. إذْ كان ردّ فعله، كما استذكر هيس، هو قوله: «هكذا كنت سأضيع، لولا فضل الله».[5]

---

(5) في وقت لاحق، وفي إفادات أمام مكتب التحقيقات الاتحادي ولجنة وارن، ادعت مارينا، أرملة أوزوالد أن زوجها كان في وقت سابق ينوي قتل نيكسون. وكانت روايتها عن الواقعة مشوشة ومضطربة إلى حد ميؤوس منه، ولم يكن نيكسون في دالاس في الوقت المقصود، وهو شهر نيسان / إبريل من سنة 1963. وبينما اعتبرت لجنة وارن هذه القصة «غير ذات قيمة ولا تثبت للسبر»، أوردها =

وفي تلك الليلة كتب نيكسون إلى جاكلين كيندي مستذكراً أنه وزوجها كانا «صديقين شخصيين». وحضر الجنازة في واشنطن[6]، وإلى جانبه بات، وبعد ذلك بسنة، في مقال في **ريد دايجست**، امتدح نيكسون «الذكاء الحادّ لخصمه السابق، وحكمته وحيويته العظيمتين».

غير أن البغضاء المريرة بقيت. ففي الثمانينيّات عزا شعور الأمة بالخسارة في موت كيندي إلى «الأساطير». وقد جادل في أن منجزات كيندي لم تكن «كامنة في ما عمله، بل في الرجل، والأسلوب». وقال هالدمان إن نيكسون «لم يكن يحب الرئيس القتيل ولا يحترمه».

وعندما وصل نيكسون بدوره إلى البيت الأبيض، استذكر موظفٌ سابقٌ في الشرطة السرية: «كان يبدو لنا أحياناً أنه يبذل أقصى ما في وسعه ليحتل مكانه كشهيد إلى جانب جاك كيندي. وفي أول ولاية له كانت الليموزين المفضلة عنده من طراز SS100x، فأعاد سيارة لينكولن كونْتِينانْتالْ الزرقاء الداكنة التي يصل وزنها إلى نحو أربعة أطنان، وهي من النوع الذي قتل كيندي فيه».

وتشعب عن المأساة شيء هام آخر لنيكسون. إذ قال زميله لين غارمنت: « لقد تدخل التاريخ. فقد كان لمصرع كيندي نتيجة تعكس سخرية القدر، هي إعادة إحياء ريتشارد نيكسون كشخصية سياسية وطنية عامة». وكان نيكسون قد أحس بالفرصة على الفور. وعندما توقف هيس مرة أخرى عند شقته في صباح اليوم التالي، وجده متكوماً مع زعماء الجمهوريين «وهم عاكفون على تقييم

= نيكسون وكررها على أنها حقيقة في مذكراته التي نشرها سنة 1978. (سكوت. مصدر سبق ذكره، ص 289 وما يليها؛ سيلفيا ميغر: **شركاء بعد الواقعة**، طبع نيويورك: فينتاج، 1976؛ و**مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 252).

(6) طبع نيكسون نص رسالته بكاملها إلى جاكلين كيندي، وصورة من ردها في مذكراته. وفي سنة 1971، بينما كان نيكسون رئيساً، وجهت بات نيكسون الدعوة لجاكلين وأطفالها لإطلاعهم على عرض خاص لصور كيندي في البيت الأبيض. وقد تأثرت أرملة كيندي بدفء الترحيب من آل نيكسون. (**مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 502؛ ستيفن آمبروز: **انتصار سياسي**، المجلد الثاني، ص 416؛ ماتيوز، مصدر سبق ذكره، ص 293).

كيفية تأثير ذلك الحدث على خلق إمكانيات لترشيح نيكسون لمنصب الرئيس.

وعندما سئل نيكسون في برنامج «استعراض آرثرغودفري» عما إذا كان يخطط لترشيح نفسه سنة 1964 أجاب: «انني لا أتولى منصباً، ولذا فليبق الأمر مطروحاً في الساحة».

وسرعان ما راح نيكسون يقول لأصدقائه: «لو كان عملي القانوني هو كل ما أملك، للقيت حتفي عقلياً في سنتين، وجسدياً في أربع سنين. فليس لي حياة سوى في السياسة...».

وفي زيارة إلى معرض نيويورك العالمي، استذكرت ابنته جولي أنها حذرت جمهورياً «أن لا يطرح موضوع السياسة مع أمي». غير أنه ما إن تم ترحيل بات وابنتيها إلى أوروبا لمدة شهر، حتى انهمك نيكسون في التحضير لحملة سنة 1964.

وبينما كان دوره المعلن هو الحياد، فقد حاول أن يضع نفسه في موقع بديل لباري غولد ووتر. وعندما فشل ذلك المخطط، ألقى خطاباً شديد النجاح في المؤتمر. وحتى عندما هبطت البالونات الحمراء والبيضاء والزرقاء على غولد ووتر الذي تم ترشيحه، ولكنه كان في الطريق إلى أسوأ هزيمة للجمهوريين في ثلاثين سنة، كان كثيرون يتحدثون عن نيكسون كزعيم للجمهوريين في المستقبل.

كانت الآلة السياسية قد عادت إلى العمل، وعرف نيكسون ما هي الصورة التي سيقدمها عن نفسه ليكسب مواطنيه. وكانت هي الصورة التي راوده الأمل بأنها ستكون تراثه: هي صورة رجل السياسة الدولية بامتياز. وفي رحلة ليلية إلى أوروبا، وبعد عدة كؤوس من المارتيني، قدم نيكسون رداً فورياً على صديق تساءل لماذا يريد على الاطلاق أن يرشح نفسه لمنصب الرئيس مرة أخرى، فقال:

«لأنني أعرف ما الذي يدور في أذهان الشيوعيين السفلة، ولكنهم لا يعرفون عقليتي، إنني أعتقد حقاً أن في استطاعتي أن أفعل شيئاً. أعتقد فعلاً أنني قادر على تقديم إسهام في صنع السلام».

وكان لين غارمنت، زميل نيكسون في المؤسسة القانونية، ديمقراطياً «يحط من قدر نيكسون بشكل تلقائي». أما الآن(1964)، فقد انضم إلى معسكر نيكسون، وذات ليلة في فلوريدا سنة 1965، وفي فترة حميمة نادرة فتح نيكسون ـ على ما يبدو ـ قلبه لغارمنت.

فبعد العشاء مع إلمر بوبست، توجه الرجلان إلى بيت حديث البناء وضع تحت تصرفهما. ثم خشي نيكسون أن يستغل بُناةُ ذلك البيت وجودَه لأغراض الدعاية، فأمر السائق بالعودة إلى ممتلكات بوبست. وكانت البوابات مغلقة ـ فقد كان الوقت بعد منتصف الليل ـ فدخل نيكسون وغارمنت بالتسلق فوق الجدار.

واستذكر غارمنت: «لم نكن نريد إيقاظ إلمر، وهكذا عثرنا على بيت بِرْكَةِ السباحة، حيث كان يوجد سريران للتخييم. وكان رأس نيكسون بارزاً فوق الأغطية، ولكنه لم يستطع أن ينام ـ فقد كان مصاباً بأرق مزمن ـ فاستمر يتكلم. فتكلم مدة لا بد أنها زادت على الساعة، بلهجةٍ فيها حزن وتصميم، عن الأشياء التي تعني عنده الكثير. فقال إنه إذا لم يستطع العيش في السياسة فكيف يعيش ؟ وكنا نتحدث عن ترشيح نفسه لمنصب الرئيس. وقال إنه إذا لم يستطع أن يلعب دوراً على هذه الجبهة أو على غيرها، فإنه سرعان ما سيموت.

وقال غارمنت: « كانت تلك مناجاة داخلية، إذ كان نيكسون يتحدث إلى نفسه ليجتلب النوم. فأعلن نيكسون أنه «مندفع بمثالية أمه المسالمة، والأهمية العميقة للشؤون الخارجية. . .كان مستعداً لعمل أي شيء، وتقديم أي تضحية، كي يتمكن من استخدام مواهبه وخبرته في صنع السياسة الخارجية».

وكما لاحظ المؤرخ مايكل بيشلوس، كان نيكسون «عاطفياً حالماً ومدافعاً متحمساً عن نظرية الرجل العظيم في السياسة». ومن بين جميع زعماء العالم الذين درس سيرهم، كان هناك واحد يبجّله فوق الآخرين جميعاً، وهو شارل ديغول. وعندما أعلن نيكسون عن انتقاله إلى نيويورك، قال إن باريس ستكون قاعدة عملياته الثانية. وفي غضون أسابيع قام برحلة إلى هناك، وقام بزيارة مجاملة إلى ديغول، الذي كان قد التقى به لأول مرة في واشنطن سنة 1960. وكان قد مضى على الجنرال خمس سنين في فترة حكمه غير العادية التي امتدت إحدى عشرة سنة، وهي فترة كانت له فيها على أمته سلطة أكبر مما تمتع به أي زعيم فرنسي منذ نابوليون الثالث.

وجلس ديغول مع نيكسون على مصطبة قصر الإليزيه، فشرع ديغول يتحدث عن القضايا العالمية. فقال إنه ينبغي على الولايات المتحدة أن تتفاوض مع الصين، وحثّ على تحسين علاقاتها مع السوفييت، وعرّف نيكسون على اصطلاح لم يكن قد سمع به من قبل، وهو «الانفراج». وأهم من هذا كله أن ديغول رفع كأسه ليشرب نخباً لم ينسه ضيفُه قَطّ. فقد أعلن أن نيكسون سيعود ذات يوم ليخدم بلده «وهو في منصب أعلى».

وكسبت ثقةُ الرجل العجوز إخلاص ضيفه الدائم. وقد تطلع نيكسون بإعجاب إلى ديغول في جنازة كيندي. وكان يزوره في كل رحلة له لباريس بينما كان خارج السلطة. وأرسل إليه مبعوثاً أثناء حملته سنة 1968 لدخول البيت الأبيض. والتقى به كذروة لأول زيارة قام بها إلى أوروبا وهو رئيس.

وكان هنري كيسنجر يعتقد أن الاحترام بين الرجلين متبادل. أما الجنرال فيرنون والترز، الذي قام بالترجمة بينهما، فقال إن ديغول عامل نيكسون «كَنِدٍّ مساوٍ له». على أن نيكسون كان ينظر إلى ديغول «بهيبة»، كما قال هالدمان. وعندما كتب نيكسون عن ديغول، كان يشير إليه باسمه الكامل، شارل آندريه

جوزيف ماري ديغول. فقد كان نيكسون يعتقد أن ذلك الاسم يرنّ بأصداء من شارلمان، إمبراطور القرن الثامن، شارل العظيم، وبلاد الغال الرومانية ـ «بالضخامة، والمجد، والعظمة».

ولاحظ نيكسون بلا تردد أن الزعيم الفرنسي لم تكن له حاجة باستخدام النظام البرلماني، وأنه كان يعتقد «أن أعضاء البرلمان يمكن أن يشلّوا العمل، ولا يستطيعون البدء به».[7] ونقل عن ديغول قوله: «إن السلطة تُسْتَمدّ من الامتياز والنفوذ. . .ولا يمكن أن يوجد امتياز ونفوذ بدون غموض».

وقيل إنه ليس في مكتبة نيكسون كتاب أكثر استخداماً، وأكثف امتلاءً بالتعليقات من مذكرات ديغول المطبوعة سنة 1960 بعنوان **حدّ السيف**. وقد وضع نيكسون خطوطاً تحت مقاطع مثل قول ديغول: «إن الشخصيات القوية. . . غالباً ما تنقصها الجاذبية السطحية التي تكسب شعبية.» وكذلك: «إن رجال العمل العظماء. . . بدون استثناء، يملكون إلى حد كبير خاصية الانطواء على أنفسهم».

وفي سنة 1960، في السنة التي قابل فيها ديغول، نظرت نانسي ديكرسون، العاملة في شبكة إذاعة كولومبيا، إلى آل نيكسون وهم يصعدون إلى طائرة «كأنهم أسرة ملكية تقوم بزيارة رسمية إمبراطورية». فاعتقدت أن نيكسون كان حتى في ذلك الحين «يدرس ديغول، ويحاول تقليده». وهذا ما كان يعتقده روبرت فينتش، وكذلك بوب هالدمان.

---

(7) قال جون إيرليكمان: «إن ريتشارد نيكسون، ببساطة، لم يكن يريد أن يصرف ذلك النوع من الوقت الذي يتطلبه كسب صداقة هؤلاء الناس [الكونغرس]». وكان نيكسون يزدري وزراءه ويطلق عليهم اسم «المهرجين». وقد استذكر هالدمان أنه لم يكن «يعرض أي أمر للتصويت أبداً، بل ولم يكن يهتم بالنتيجة». وقد سُمِعَ صوتُهُ مسجلاً على شريط كُشِفت محتوياتُه سنة 1998 وهو يقول: «فليذهب مجلس الوزراء والآخرون إلى الجحيم». (ببساطة، لم يكن يريد: مقابلة مع جون إيرليكمان في مركز ميللر، كمحررين: مصدر سبق ذكره، ص 133؛ ريتشارد نيكسون: مجلس الوزراء، كمحررين، ستروبر: **نيكسون**، ص 88 وما يليها، **الواشنطن بوست**، عدد 27 كانون الأول / ديسمبر 1998).

وقد لاحظ رئيس الأركان، هالدمان، بعد جلسة مع نيكسون بعد وصوله إلى البيت الأبيض: «أنه يشعر بأنه يجب أن يكون مترفعاً، متسامياً لا سبيل إلى الوصول إليه، غامضاً، أي ديغول. . .» وبعد وقت قصير من وفاة ديغول كتب هالدمان: «ناقشنا مسألة العلاقات العامة. . . وخاصة بعد وفاة ديغول، أتيحت لنا فرصة لبناء شخصية الرئيس باعتباره القائد العام **الأوحد**. . .»

وأثناء زيارة رسمية إلى باريس، امتدح نيكسون علانيةً شخصية معلمه ديغول، فوصفه بأنه «عملاق بين الرجال» أما وزير الدفاع، جيمس شليسينغر، الذي أيّد القول بأن نيكسون كان يحاول تقليد ديغول، فقال بلهجة جافة في مقابلة معه سنة 1997، أن الفرق يكمن ههنا: إذْ أن نيكسون كان شخصية محنكة، تجري الحسابات، ولكنه لم يكن عملاقاً. ربما كان يحب أن يكون أكثر تعملقاً. ولكنه كان عاجزاً عن أن يكون ديغول».

ولكي يقيم نيكسون لنفسه مكانة رجل الدولة العالمي الأستاذ، بدأ برنامجاً مطولاً للأسفار. ففي سنة 1963، أثناء ما كان يفترض أنه إجازة عائلية، التقى بالإضافة إلى ديغول، بالزعيم الإسباني فرانكو، والرئيس المصري جمال عبد الناصر، ووزير دفاع إيطاليا ووزير خارجية بريطانيا، ومستشار ألمانيا الغربية آديناور. وعند طوافه في برلين وراء جدارها الحديث البناء، أرسل تقريراً إخبارياً عن جولته يشهق بلهجة صحف الإثارة الشعبية التي تحبس الأنفاس: «بينما كنا نسير في الشارع بحثاً عن سيارة أجرة، مشى إلينا شخص كالشبح وقال: «هل معكم سيجارة؟. . . ثم التفت حوله وقال لنا: «إن أملنا الوحيد هو في الأمريكيين».

واستذكر شارلس ويلر، مراسل هيئة الاذاعة البريطانية الذي عمل مرشداً لنيكسون في القطاع الشرقي، كيف قفز نيكسون من السيارة في طريق ستالين الفرعي، ليوزع على المارة بطاقةً له كتب فيها «نائب رئيس الولايات المتحدة»،

وهو منصب كان قد مضى على فقدانه سنتان. وبالنسبة لويلر المذهول، بدا نيكسون «غريباً. . . مجنوناً بشكل كليّ».

وبعد ذلك بسنتين، بينما كان في فنلندا، قرر ـ بناءً على نزوة مفاجئة أن يقوم برحلة في القطار من هناك إلى موسكو، تستغرق عشرين ساعة. وقد عثر عليه الصحافي الكندي ديفيد ليفي وهو يتناول الغداء في مطعم فندق سوفستكايا «جالساً على مائدة طويلة يتجشأ ويتأوه على سمكة كافيارية محاطة بمرق هلاميّ ومشروبات من صنع جورجيا السوفييتية». وعندما علم أن ليفي كان يعرف العنوان الخاص لنيكيتا خروشيف، الذي كان قد أزيح «وانتهت شخصيته» قبل ذلك بستة أشهر، طلب أن يؤخذ على الفور إلى الرجل الذي سبق أن قابله في تلك المواجهة المشهورة.

وعندما اتضح أن المرأة العجوز الواقفة على باب شقة خروشيف غير متعاونة، اكتفى نيكسون بترك رسالة قصيرة كتبها على قصاصة ورق على عجل. وفي اليوم التالي، انهمك في حوار ـ مشهور أيضاً، حسب رواية كاتب سيرته المعروف عادة بالاتزان، جولز ويتكفر ـ مع أحد المسؤولين في جامعة موسكو. كما أنه «تحرش بشرطي فطرح عليه أسئلة غبية».[8] وقد رأى المراسلون الأمريكيون الموجودون في العاصمة السوفييتية أن سلوكه كان غريباً ومضحكاً، ومع ذلك كتبوا عنه في تقاريرهم. وبذلك حقق نيكسون ما كان يريد: وهو الدعاية لنفسه في بلده.

واستمر في جولته حول العالم خمس سنوات، فطاف في أوروبا، وأمريكا اللاتينية، وإفريقيا، وآسيا، وآسيا على وجه الخصوص، حيث كانت أمريكا آخذة في الغوص في وحول الحرب الفيتنامية. فقطع في تلك الرحلات ما مجموعه 225000 ميل (نحو 350000 كيلومتر) وفي إحدى سفراته العشر إلى

---

(8) في سنة 1967، عاد نيكسون إلى موسكو ثانية، وإلى حديقة سوكولينكي مكان لقائه مع خروشيف سنة 1959. ولم يكن غرضه من تلك الزيارة واضحاً. (ويتكفر، مصدر سبق ذكره، ص 194).

اليابان، أصيب بالتهاب وريد في ساقه كان من شأنه أن يوشك على قتله فيما بعد، أثناء رئاسته.

وقدر له أن يزعم في وقت لاحق أنه كان «يقوم بهذه العملية كلها برأسمال غير كاف، وبالدرجة الثانية، وأحياناً على متن طائرات تجارية مع راكب واحد، وأحياناً وحده تماماً. . . . وفي ما يتعلق بالخلوة، فقد كنت آخذ المقعد الداخلي، وأضع أي شخص راكب معي في المقعد الخارجي، ثم أفتح حقيبتي، وأتعمد تناسيه. . .»

ولم يكن هذا الوصف دقيقاً. فرفيقه في كثير من تلك الرحلات الجوية كان أعزّ أصدقائه، بيب ريبوزو، ودفعت **رِيدَرْز دايجست** أو شركة البيبسي كثيراً من أجور الأسفار. وكان نيكسون يمثل تلك الشركة كمحامٍ من الشخصيات الهامة في افتتاح مصانع الزجاجات. ولم يكن أيٌ من هذين الراعيين بخيلاً، ومن المؤكد أن شركة البيبسي حصلت على مردود لاستثمارها. وفي روما، تعمد نيكسون أن يخاطب الصحافة وهو يرتشف ذلك المشروب على نحو لافت للنظر. وأثناء ظهوره في برنامج تلفزيوني، مدَّ أحد الخدم يده من أمام نيكسون ليدير زجاجة بيبسي بحيث تواجه علامتُها التجاريةُ عدسةَ التصوير.

غير أن التقافز حول العالم من أجل شركة البيبسي لم يكن قريباً من العظمة الديغولية التي كان نيكسون يتطلع إليها. وقال هيو سايدي في مجلة **لايف**: «لم يكن أحد يبدي أي اهتمام به. وكان بعض مدراء مكاتبي يقولون إنه كان يأتي إلى المدينة ـ بصفته نائبَ رئيس سابقاً ـ، ويطلب مقابلة رئيس الدولة، سواء أكان في كوالا لامبور، أم في الجزائر، أم في مكان آخر بعيد. وفي كثير من الحالات، كانوا يرفضون مقابلته. كان شخصاً من الماضي. ولم يكونوا يحبونه كثيراً.

«ولكنه لم يهتم بذلك. . . وعندما وصل إلى البيت الأبيض، كان يعرف

كأيّ زعيم في كل بلد في العالم، لأنه في مكان ما على امتداد الخطّ كان ينتهي به الأمر كمنبوذٍ في معيّة شخصٍ أجنبي ما. . . وبعد ست سنوات أو اثنتي عشرة سنة يُنْتَخَبُ ذلك الشخص رئيساً أو رئيس وزراء، فيصبح صديقاً لنيكسون. . . وهكذا كسب من وراء هذه العملية في آخر الأمر».

ووراء طاولة نيكسون في مكتبه بنيويورك، كانت هناك طاولة أخرى، تحتوي على سلسلة مصفوفة من الصور الفوتوغرافية الموقعة للكبار والعظماء. فكان للملوك شرف المكان، ومنهم ملكة إنكلترا، وملكا بلجيكا وتايلاند، وأمبراطور إثيوبيا، وشاه إيران. وكانت هناك وقفات لنيكسون إلى جانب آيزنهاور ـ وعلى نحو غير متوقع نسبياً ـ صورة موقع عليها بعبارة «أطيب الأفكار» من آلبرت شفايتزر [1875 ـ 1965، فيلسوف وطبيب وموسيقي فرنسي أسس مستشفى تبشير في الغابون سنة 1913 وقضى هناك معظم حياته، وله مؤلفات كثيرة في الفلسفة وعلم اللاهوت. نال جائزة نوبل للسلام سنة 1952: المترجم] في موئله، للمصابين بالجذام في غرب إفريقيا. وكان على الطاولة أيضاً كتاب عن طائفة المرتعدين، متروك في مكان بارز لا يمكن أن تخطئه أعين الزائرين.

وقال أحد مساعديه فيما بعد متأملاً: «كان هذا هو مسرح نيكسون المعدّ بعناية لكسب المتشككين».

غير أن العمل الشاق المحض، وليس محاولة زخرفة الواجهات، هو الذي جلب لنيكسون المكافآت الحقيقية. فخلال فترة ثمان وأربعين ساعة في خريف سنة 1966، مثل الرجل الذي لم يكن مرشحاً أمام المحكمة العليا بصفته القانونية كمحام، ثم طار إلى سان فرانسيسكو ليعطي مقابلات تلفزيونية، ثم اتجه بالسيارة شمالاً إلى أوكلاند كي يلقي خطاباً في اجتماع سياسي، ثم جنوباً إلى بالوآلتو لحضور اجتماع للبحث في التخطيط، ثم ـ بعد ثلاث ساعات من

النوم ـ كانت هناك مقابلات تلفزيونية آخرى، وإفطار عمل لتجميع الأموال، ورحلة جوية، فمؤتمر صحافي، فتجمع لدعم زميل جمهوري، ورحلة جوية أخرى، ومؤتمر صحفي آخر، فالمزيد من التلفزيون، ثم رحلة جوية آخرى وتجمع آخر، فانتقال آخر بطائرة في رحلة قصيرة، ثم ـ بعد ليلة قصيرة ثانية ـ رحلة العودة الطويلة إلى الساحل الشرقي.

وكان نيكسون قد اندفع بأسلوب هجومي لينفث ناراً في المؤمنين بالحزب الجمهوري في انتخابات منتصف فترة الرئاسة، لإنقاذ الحزب من عار هزيمة سنة 1964، فحصل على نصر كاسح. وفي يوم الانتخاب، ومع ورود معظم النتائج، احتفل مع زملائه في إلْ موروكو، النادي الليلي في نيويورك. وقال هيرب كلاين: «لم يسبق لي قطّ أن سمعت نبرة السعادة في صوته أكثر مما أحسست بها في تلك الليلة [وكان نيكسون قد تحدث إليه بالهاتف]. كان واضحاً أنه يعلم أنه قد صارت لديه منصة انطلاق لمحاولة أخرى للفوز بالرئاسة».

وكان نيكسون يرفض حتى مناقشة احتمال ترشيح نفسه لانتخابات سنة 1968. وبقي غير ملتزم حتى بعد الفوز الكبير، والاستراحة التي أمضاها في عيد الشكر مع ريبوزو، وبعد أن قال المقربون السياسيون منه إنهم يريدون تنظيم لجنة تدعو لانتخابه رئيساً. وفي السنة التالية، عندما دخل القوائمَ منافسون آخرون ـ جورج روني، ونيلسون روكفلر، وممثل سينمائي سابق يدعى رونالد ريغان ـ ظل نيكسون يترقب وينتظر. فعلى مدى قرنين من الزمن تقريباً لم يسبق لرجل هُزِمَ في انتخابات الرئاسة الأمريكية، ثم حُرِمَ من إعادة الترشيح في المحاولة التالية، أن تم ترشيحه بعد ذلك مرة أخرى على الإطلاق، دع عنك أن يتم انتخابه فعلاً.

وفي أيلول/ سبتمبر 1967 توفيت أمه هَنّا. كانت تعاني في بيت استراحة للمسنين، ولا يظهر عليها أنها تتعرف على زوارها منذ أن أصيبت بنوبة قلبية

قبل ذلك بأربع سنوات. وحسب رواية نيكسون، فإن آخر حديث له معها كان في المشفى سنة 1962، بعد أن خضعت لعملية خطيرة، وبعد أن هزمه بات براون، وهو يستذكر أنه انحنى على سريرها آنئذٍ وحثّها: «لا تستسلمي يا أماه». وزعم أنها ردت عليه بأن رفعت نفسها إلى الأعلى وقالت له: «يا ريتشارد لا تستسلم **أنت**. لا تدع أحداً يقول لك إنك انتهيت». فكانت نصيحتها تكاد تتطابق مع نصيحة أبيه له وهو على فراش الموت سنة 1956 حسبما رواها: «يا دِكْ، استمر في القتال».

وحسبما يروي نيكسون، فإنه بعد ثلاثة أشهر من وفاة والدته، جلس أمام نار المدفأة ليدون ملاحظاته عما إذا كان سيرشح نفسه لمنصب الرئيس أم لا. فكان نص أول سطر كتبه، كما افترض: «لقد قررت شخصياً عدم ترشيح نفسي» ثم، بعد أن دوّن أسباب عدم الترشيح، كتب: «كل هذا لا يهمني في شيء»[9].

وفي عيد الميلاد في تلك السنة (1967)، كما يقول نيكسون، استشار عائلته، وأعطى «وزناً كبيراً» لما يعتقدونه. فقالت له ابنته جولي، التي كانت آنذاك في التاسعة عشرة: «إن عليك أن تفعل ذلك، من أجل البلد»، وقالت تريشيا التي كانت في الحادية والعشرين: «إن لم تفعل يا أبتِ، فلن يكون لك شيء تعيش من أجله». واستذكرت جولي وهي تتلو من مفكرتها المؤقتة: «كان أبي مكتئباً جداً. ولم أكن قد عرفت عنه الاكتئاب من قبل أبداً. . .»

ولا نستطيع أن نعرف ما الذي فكرت به بات. غير أنها تحدثت في مقابلة

---

(9) يستخدم الكاتب عبارة «يُفْتَرَض» لأن على الباحثين أن يأخذوا على محمل الثقة أن مفكرات نيكسون اليومية في حينها أو الملاحظات الشخصية التي يشير إليها أحياناً هي كما هي واردة في مذكراته. وفي سنة 1998، قالت سوزان نولتي، مسؤولة المحفوظات في مكتبة نيكسون، للمؤلف: «إن المذكرات هي ملكية خاصة لتراث الرئيس، وليست هناك خطط في الوقت الراهن لكشفها على الملأ». ونظراً لسجل نيكسون وسوابقه في عدم توخّي الصدق الكامل، فإن المؤلف يلاحظ إمكانية كون الاقتباسات المشار إلى محتواها ليست حقيقية (رسالة سوزان نولتي إلى المؤلف في 23 آذار / مارس، 1998).

أجريت معها فيما بعد عن «الرعب» الذي عاشته في الماضي، وأنها شعرت أنها لا تستطيع أن تعيشه مرة أخرى بتكرار التجربة. غير أنه حسب رواية جولي، فإن العيش كأمّ نيويوركية كان قد بدأ يصبح بغيضاً وتافهاً ومملاً لأمّها نوعاً ما. فكانت تصاب بقلق وعدم استقرار أحياناً، كما أسرّت بذلك إلى إحدى صديقاتها. وتذكرت جولي أثناء جولة متمهلة في شارع ماديسون المشجّر العريض، أن أباها كان قد قال إن «أمها بحاجة إلى شيء تفعله».

وكان تصميم بات على تجنب السياسة قد انكسر فعلاً سنة 1966، عندما عملت بهدوء في توجيه المكالمات الهاتفية للناخبين تحت اسم «الآنسة رايان». وكانت قد سألت ابنتيها في تلك السنة إن كانتا تعتقدان أنها «خذلت أباهما؟» غير أنها بعد ذلك ببضعة أشهر كانت تقول لجولي «بصراحة تامة، وبصوت يكاد يكون خلواً من أي لهجة» إنها لا تستطيع أن تواجه منافَسَة رئاسية أخرى.

وكان نيكسون قد ناقش موضوع زواجه قبل ذلك بوقت قصير مع شقيقه إدْ، وقال له: «لم يكن في حياتي سوى بات، ولا حاجة لي بأحد غيرها». والواقع أن نيكسون رجل العائلة كان، قبل ذلك بوقت قصير، قد ترك مقاييسه تنزلق قليلاً.

أثناء مؤتمر سنة 1964، بينما كان نيكسون يتعاطى الخمر مع مجموعة من الجمهوريين في جناحه بفندق سانت فرانسيس، صار، حسب وصف جون إيرليكمان، يتحدث «بصوت احتفالي عال». وفي نهاية الأمسية بعد أن انسلّ معظم الآخرين مبتعدين، بدأ يتحرش على نحو فظّ غير لائق بإحدى العاملات في الحملة، وكانت في عشرينيّات عمرها. واستذكر إيرليكمان أنه «كان ثملاً، ففقد لياقته. فشعرت الفتاة بحرج شديد، وشعرنا جميعاً بالحرج. وأخيراً نجت الشابة من تحرشات نيكسون وخرجت»[10].

---

(10) حسب رواية إيرليكمان، فإن المرأة المقصودة هي شيلي سكارني، إحدى المشتغلات القديمات =

أما آرنهولت سميث، الذي عرف نيكسون منذ طفولته، فقد استذكر واقعة حدثت أثناء حفلة أخرى في كاليفورنيا: «كنت أبحث عن زوجتي - ويااللعجب! - لم أستطع أن أجدها. ويبدو أن دِكْ كان قد سحبها بمناورة إلى المغاسل. وكانا يشربان خمراً غازيّة في كأسين طويلتين. وأخيراً عثرت عليهما واضطررت إلى جرّها إلى الخارج جرّاً. وكان السُّكْرُ قد أخذ منه كل مأخذ، فصرخ: «إننا لا نفعل أي شيء، إننا لا نفعل أي شيء!». . . كان نيكسون شيئاً رهيباً حقاً عندما يشرب حتى الثمالة».

وقال سميث: «كانت بات امرأة رائعة، ولكنها شديدة التزمت. كانت كالملكة فكتوريا. وأعتقد أنه حاول تغيير هذه الخصلة فيها. . . وكان يشتط أحياناً فيجهل».

وخلال هذه الفترة، شرع نيكسون يهتم بامرأة صينية في أوائل الثلاثينات من عمرها. وظلت هذه العلاقة مكتومة عن الناس حتى سنة 1976، عندما كشفت **النيويورك تايمز** أن كاتب التحقيقات الاتحادي قد حقق في تقارير عن علاقة غرامية بين نيكسون وماريانااليو، المضيفة السابقة في فندق هلتون في هونغ كونغ. وبفرحة التشفي عينت **الناشنال إنكوايَرَرْ** فريقاً كاملاً من المراسلين لمزيد من الحفر والاستقصاء، ثم نشرت عن القضية قصتين طويلتين فيما بعد.

وكان هذا الوضع قد بدأ يطفو على السطح بِلَطْمَةٍ أمنية في سنة 1967. وقال دان غروفر، الممثل السابق لمكتب التحقيقات الاتحادي في هونغ غونغ، للمؤلف: «جاء لمقابلتي أحد ضباط الاتصال بي من وكالة حكومية أمريكية أخرى ذات صباح، وقال لي إن إحدى مصادره، وهي مارياناليو، كانت تلتقي

= في حملة نيكسون الانتخابية، وموظفة الاستقبال في البيت الأبيض لاحقاً، وقد تزوجت بات بوكانان، مساعد نيكسون الذي صار مرشحاً رئاسياً فيما بعد. وعندما تم الاتصال بالسيدة بوكانان سنة 2000، قالت إنها لا تذكر تلك الحادثة (**النيويورك تايمز**، عدد 21 شباط / فبراير، 1971؛ باتريك بوكانان، **منذ البداية تماماً**، طبع واشنطن - مقاطعة كولومبيا: ريجنسي غيتوي، 1990، ص 259).

بنيكسون. وقال إنه يعتقد أنني ينبغي أن أكون مطلعاً على ذلك. . . وقال إنه يعلم أن نيكسون قد تلقى ملخص تقرير سري للغاية عن جمهورية الصين الشعبية، وأن ذلك يجعل اتصاله مع ليو مخاطرة».[11]

وحسب رواية محامي ليو، فإن سجلات مكتب التحقيقات الاتحادي تؤكد أنّ اتصالاتها مع نيكسون قد أثارت الفزع والتنبه، وأن نيكسون نفسه وُضِعَ تحت المراقبة في هونغ كونغ، إلى درجة أنه تم تصويره من خلال نافذة غرفة نومه بآلات تصوير ليلية تعمل بالأشعة تحت الحمراء. وكان غروف يعتقد أن ذلك تمّ على أيدي البريطانيين ـ فقد كانت هونغ غونغ مستعمرة بريطانية ـ بناء على طلب وكالة المخابرات المركزية.

وقد أشارت الروايات الصحافية الأولى، إلى أنهما كانا قد التقيا لأول مرة في أواخر خمسينيات القرن العشرين، عندما كان نيكسون نائباً للرئيس، وكانت ليو في زيارة إلى واشنطن مع مجموعة من هونغ كونغ. ومن المؤكد أنهما التقيا مرات متكررة فيما بين سنتيّ 1964 و1967، عندما كان نيكسون يقوم برحلات سنوية إلى هونغ كونغ. وقالت ليو **للنيويورك تايمز** إنها تعتقد أنها قد التقت به في جميع زياراته عدا واحدة. وفي سنة 1967، عندما كانت في المستشفى، أرسل نيكسون لها ورودا.

وفيما بعد، عندما صار رئيساً لم تكتفِ ليو بالانتقال إلى الولايات المتحدة، بل أقامت بادئ الأمر في مسقط رأس نيكسون، ببلدة ويتْيِر. وكان الذين زكّوها للإقامة، يشملون رجل أعمال كان نيكسون قد أقام عنده في هونغ

(11) إن جانب مكتب التحقيقات الاتحادي من هذه القصة، بما في ذلك الزعم بأن هوفر قد استخدم الواقعة كي يمارس بها ضغطاً على نيكسون كرئيس، مشروح بتفصيل أطول في كتاب المؤلف عن هوفر. (سمرز: **رسمي وسرّي**، مصدر سبق ذكره، ص 371 وما يليها، 376، وثيقة ملاحظات، من المدير إلى SAC في سان فرانسيسكو، 18 آب / أغسطس، 1976، في مكتب التحقيقات الاتحادي برقم 8 ـ 40947 ـ 105).

كونغ، وضابط هجرة من فترة حكم نيكسون. وحسب إحدى الروايات فإن ليو اجتمعت بنيكسون في البيت الأبيض مرتين.

ونقلت **الناشنال إنكوايرر** عن ليو حديثها عن خروجها مع نيكسون في «عدة مواعيد» في هونغ كونغ، وعن رقصها معه على متن يخت. وقيل إنها قالت: «كنت أعلم أنه يهتم بي، لأنني رغم تحذيري المتواصل له، أصرّ على رؤيتي والالتقاء بي لنكون وحدنا معاً. . . وأتيحت لنا فرص كثيرة للمعاشرة ـ فقد كنا وحدنا في غرفته بالفندق ست مرات أو سبعاً على الأقل ـ ولكنني لم أسمح بحدوث ذلك. . . فقد كان لديه حياة عملية هامة وزوجة وأسرة يتعين عليه أن يفكر بها. . .»

وفي وقت لاحق، أقامت ليو دعوى على **الإنكوايرر** بشأن بعض جوانب قصتها. فقامت الصحيفة بتسوية أمور معها خارج المحكمة. وقالت إن محاميها نفسه قد نصحها بعدم ملاحقة القضية، وحذّرها من أن تقارير الصحيفة كانت «صحيحة»[12]. وعند التحري عنها والوصول إليها سنة 1996 في لوس آنجيلوس حيث كانت تعمل نادلة، قدمت الرواية التالية عن العلاقة.

كانت قصتها، بالإنكليزية المكسرة والصينية، مقدمةً بجمل قصيرة مقتضبة، وبكلمات ذات مقطع واحد، وبتمنّع واضح. فذكرت كيف أنها عندما هربت من الصين الشيوعية أيام مراهقتها المتأخرة، تدرجت في العمل حتى صارت المضيفة الرئيسية في أوبييمْ دِنْ «عرين الأفيون»، وهو واحد من مقاصف متعددة في هيلتون هونغ كونغ. وقالت إن رجل الأعمال المحلي هارولد لي، قدمها هناك إلى نيكسون.

---

(12) قابل المؤلف كثيرين ممن اشتركوا في تغطية قصة صحيفة **الإنكوايارَز** سنة 1976. وقد استذكر آل كومز (الذي يعمل في المحاماة اليوم) وجيري هات مقابلتهما المشتركة مع ليو. واستذكر هانت أن ليو قد تحدثت في بادئ الأمر «بحرية». (مقابلات مع آل كومز وجيري هانت، وبرايان ويلز، ومالكولم بلفور، وبرنارد سكوت، وشيلي روس، وجون كاتشر، وجون ساوث، وروبرت سميث).

وفي المقابلة التي أجريت معها لأغراض هذا الكتاب، تحدثت ليو عن مقابلتين فقط مع نيكسون، فاستذكرت بابتسامة: «لقد كان لطيفاً وهادئاً. سأقول لك فقط إنه كان ناعماً ولطيفاً. . . .فلم يهجم علي بشكل كلي، كما تعرف. . . . ولم يكن وسيماً إلى حد كبير؛ بل كان أحد جانبي وجهه أكبر من الآخر! . . .وأعطاني زجاجة عطر شانيل رقم 5 وأعطاني بطاقته. وقال لي أن آتي إلى نيويورك وألقاه. . .».

وقد قام مكتب دعاية الهيلتون بتصوير نيكسون ومضيفة المقصف معاً سنة 1966. أما الاجتماع الثاني، وكان خاصاً وسريّاً فقد حدث عندما دعاها نيكسون ـ عندما كان في المدينة مع ريبوزو ـ ومعها مضيفة تدعى تيريزا، إلى جناحه في فندق ماندرين.

وقالت ليو: «انتهينا من عملنا وذهبنا إلى الفندق. وذهبنا إلى غرفتهما. وكان لديهما مقصف هناك. فتناولنا شراباً ووجبة خفيفة، بينما شربا مارتيني أو شيئاً آخر، لا أتذكر. أما أنا فقد شربت كولا. وكان السيد ريبوزو شديد الهدوء، لا يتكلم كثيراً. وغادرنا المكان في نحو الثانية صباحاً، على ما أذكر. كان علينا أن نلحق المعدّية الأخيرة. . .»

وأصرت ليو في مقابلتها الحديثة هذه على أن صلتها بنيكسون كانت «تقتصر على الحديث»، ولم تكن تنطوي على الجنس، ولا على علاقة غرامية. وقالت: «لا أريد أن أتكلم عنها» ثم عادت تكرر بإلحاح واضح: «لا أريد أن أتكلم عنها». ولم تكن قد حضرت الجنازة بعدُ، عندما توفي نيكسون. ولعل حضورها كان غريباً ما دامت علاقتها بالرجل لم تتجاوز الحدّ الأدنى، وقد ذهبت فيما بعد لزيارة قبره.[13]

(13) في حديث مع محامي ليو، أنكر نيكسون أيضاً أي تورط جنسي. وقال إنه كان يعرف ليو «بصورة سطحية عابرة» (**سان فرانسيسكو إكزاميز وسان فرانسيسكو كرونيكل**، عدد 8 شباط / فبراير، 1981).

وليس هناك مزيد من التفاصيل لتضاف إلى هذه الرواية سوى ملاحظة أن نيكسون قد أعرب سرّاً وعلانيةً عن تقديره للنساء الصينيات. وحسبما يقول مايكي زيفرين، أحد معارف نيكسون الاجتماعيين في لوس آنجيلوس، فإنه أثناء عشاء في مطعم آنِينْبِرْغ،[14] «شرب أكثر من اللازم، فبدأ يتحدث عن جمال الصينيات، وكيف أنهن أجمل من غيرهن بكثير. وكان يفعل ذلك أمام بات، واستمر يثرثر بلا انقطاع عن الخصائص التي يقدرها بالذات. . .»

وفي كانون الأول/ ديسمبر، 1967، عندما جعل نيكسون «الترشيح أو عدم الترشيح» موضوعاً لمناقشة عائلية في يوم عيد الميلاد، أعلنت بات أنها «مستسلمة لوجوب مساعدته». ثم أضافت فيما بعد: «مهما فَعَلْتَ، فإننا سنكون محيطين بك»، وذلك على ذمّة نيكسون. وفي الأشهر التالية، عندما بدأ حملته فعلاً، حافظت بات على كلمتها، مقدمةً تعليقاتها القياسية المبتذلة البالية لأجهزة الإعلام. كانت بات «متطوعة»، «تدير له مكتبه» و «تستمتع بوقت رائع». وبالغت مجلة **نيوزويك** بإطرائها باعتبارها «حلم رجل الحياة العامة، شريكة حياة تبدو بلا أنانية، وشديدة الكفاءة. . . ومظهرها وذوقها يمثلان أوساط الناس التقليديين الأمريكيين. . . الذين يركزون اهتمامهم على الوطن، والأسرة، والولاء، والانضباط وطاعة النظام».

وكانت الحملة، كالمعتاد، اختباراً لقدرة بات على التحمل، ومناسبة للقيام بالحركات، وهي مجمدة بين الذكريات السيِّئة، والأمل في المستقبل. وعندما صفق لها الجمهور في عرض تلفزيوني، شوهدت وهي تصفق أيضاً بلا شعور كأنها لوح زجاج، وفي بعض التجمعات لم تكن سوى ملحق هامشي، بحيث إنه لم يقدمها باسمها أحد.

---

(14) كان القطب البارز في عالم النشر والتر آنِنبيرغ صديقاً شخصياً لنيكسون فترة طويلة. وقد عمل سفيراً للولايات المتحدة في لندن أثناء فترة رئاسته (مجلة **فورتشون**، عدد حزيران / يونيو 1970، **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 977).

وقد أدرك بعض ذوي البصيرة من الصحافيين ما وراء الواجهة. فكان جون أوزبورن، من مجلة **نيوريبابليك**، يعتقد أن بات يبدو عليها أنها تكره المشاركة في الحملات: «فقد أعطاها السيد نيكسون علناً سبباً لتلك الكراهية. . . فعلى منصة بالقرب من لوس آنجيلوس، وبطريقة بلغ من فظاظتها القاسية أنها لم تكن لتخفى على أحد، تجاهل وجودَها تماماً. . . وفي ساجينو بولاية ميشيغَنْ، لم تسمعه عندما استدعاها للعودة إلى منصة مؤقتة، ثم قفزت كأنها جُلِدَتْ بالسوط عندما جَأَرَ صارخاً: «يا بات! »

وقد رثى لها وأشفق عليها غاري ويلز، من صحيفة **الإنكوايَرَرْ** وهو يلاحظ كيف أجابت عندما سئلت عن شعورها وهي على الطريق مرة أخرى، فقالت: «إنني أحب ذلك، فالمرء يلتقي بكثير من الأصدقاء القدامى». ولكن ويلز استذكر: «ولقد راقبت يديها بينما كانت تقول ذلك. كانت كل واحدة من يديها المكسوتين بالنمش تلتقط اليد الأخرى، وهي تعبث بقفازيها، وكل منها تحاول أن تهدئ ارتجاف الأخرى».

وفي بعض المناسبات الشديدة الندرة كان قناعها ينزلق: قالت بات بلهجةٍ مليئةٍ بالسأم وهي تصف عشرات الطلبات التي كانت تتلقاها لإجراء مقابلات مع المجلات النسائية: «إنني أقول لهم ما يريد قراؤهم أن يسمعوه. وفي رحلة جوية من دنفر إلى سان لويس، حاولت بكل جهدها أن لا تقول شيئاً لغلوريا شْتَايْنَمْ، التي كانت في مهمة ـ كما قيل في السابق ـ لمجلة **نيويورك** غير أن شتاينم ألحّت في طلب أشياء أكثر من الأجوبة الناعمة المعتادة التي ليس لها أية نكهة محددة. وعندما سألتها إن كانت قد أحبت جميع القصص التي كُتِبَتْ في الحملات السابقة، أجابت بات: «نعم، بالطبع، إنني لا أعترض على ما كُتِب. . . فقد كان معظمكم ـ أيها الصحافيون ـ لطفاء جداً». واستذكرت شتاينم أنها قالت لها: في تلك الحالة فإنك «الشخصية الوحيدة التي التقيت بها طيلة حياتي ـ بما في ذلك نفسي ـ مِمّن أحبوا كل شيء كُتِبَ عنهم». وعندئذ

أومضت رَفَّةُ انزعاج وراء عينيها البندقيتّي اللون، فكانت تلك أول إشارة دالة على الحياة واليقظة.

«كلا، إنها لم تشعر بالسأم من المشاركة في الحملات... وهي تحب المسرح، ولا سيما مسرحية **سيدتي الجميلة**، وقد شاهدت مسرحية **مرحباً يا دوللي!** ثلاث مرات... أشعر أن في العالم ما يكفي من الجدّية والخطورة دون أن نراها على خشبة المسرح».

وتابعت بات تقول: «هناك فجوة بين الأجيال في أسرتنا، فقبل مدة قصيرة لم تذهب تريشيا وجولي إلى واحدة من حفلاتهما. فسألتهما: «ألَسْتُما خارجتين؟» فقالتا: «كلاّ، بل إننا نفضل أن نتناول العشاء معك ومع أبينا». وقالت بات إن «مامي آيزنهاور كانت هي أكثر امرأةٍ إثارةً لإعجابها في التاريخ، لأنها كانت تعني الشيء الكثير للشباب».

وعندما استمرت شتاينم في سبر أغوار تفاهات بات وابتذالها، كوفئت بانفجار «سلسلة من الغضب والسخط» على شبابها المحروم، والغضب من ريتشارد نيكسون: «كانت هناك أشياء قالتها عن زوجها لا أستطيع أن أجد طريقة لائقة في ذوقها لذكرها» واستذكرت شتاينم: «ولكنها أرادتني أن أقولها. فبات لم تكن تحب ما تعمله، ولم تحب الحملة والعمل فيها. ولم تحب العالم الذي كانت فيه، العالم الذي خلقه لها نيكسون...».



22

إنني أميل إلى الاعتقاد أن عملية الجمهوريين في سنة 1968 لها صلة بفضيحة ووترغيت سنة 1972. فعندما واجه الرجال أنفسهم انتخابات سنة 1972، كانت هناك ذكريات عن مدى تقارب الأصوات الذي قد يحدث في الانتخاب، والفائدة الممكنة من الضغط إلى الحد الأقصى ـ أو تجاوزه.

والت روستو، المساعد الخاص للأمن القومي
للرئيس الأسبق جونسون، 1973

قبل شهور من إعلان نيكسون أنه سيرشح نفسه لمنصب الرئيس في سنة 1968، كان مساعدوه يستخدمون اسماً رمزياً مشفّراً لقائدهم في الاتصالات المكتبية. فكانت التسمية DC ذِكْراً مباشراً لليقين حول هدفه النهائي.

واعتباراً من مطلع السنة الانتخابية عمل نيكسون في حملته بجدّيّةٍ شديدة وألمعية. كان هناك مقر قيادة لحملة عنوانها اختيار نيكسون رئيساً، وقد فتح أبوابه منذ زمن طويل في بناية قديمة لمصرف في واشنطن. غير أن القلب الحقيقي للعملية كان المكتبَ القانوني للمرشح في نيويورك. وطيلة السنة الماضية، كان ذلك المكتب قد عمل كإدارة تجنيد لقواته المحتشدة من المساعدين، والمستشارين وكتّاب الخطب، وكلهم في انتظار الانطلاق.

وحتى قبل أن يعلن نيكسون ترشيحه رسمياً، نشرت الصحافة صورةً لشباب لامعين يرتدون بذلات وأطلقت عليهم اسم «فريق نيكسون الجديد». وقد تغيب عنهم بوب هالدمان وجون إيرليكمان، اللذان كانا ما يزالان على

الساحل الغربي، ينتظران بداية العمل الجادّ؛ وكذلك موراي تشوتينر، اللاعب الهام الذي كان من التعقل عدم الإعلان عنه؛ والقوة الجديدة للمركز: جون ميتشل.

كان ميتشل، ذو الوجه المنتفخ الخدين والغبب تحت الفك الأسفل، والغليون الذي هو علامة مسجلة، قد أصبح مالكاً لعدة ملايين من الدولارات من عمله كمحام متخصص في السندات البلدية. فكان زبائنه من بائعي السندات، بينما كانت مؤسسة نيكسون هي الضامن الموقّع على تلك السندات. فكانت هذه المصلحة المشتركة هي التى أدت إلى اندماج الشراكتين (ولعله ليس من قبيل الصدفة أن تكون للشراكة المؤلفة على هذا النحو صلة بفرانكلين دي بوير، السمسار الوسيط الذي زعم فيما بعد أنه كان يدير محفظة سرية لنيكسون في مصرف ريبوزو[1]. وقد كشف دي بوير النقاب عن استخدام ريبوزو لميتشل لشراء سندات في نيوجيرسي.)

وكانت خبرة ميتشل في إدارة التمويلات العامة هي التي أعطته تقديماً مفيداً أدخله إلى عالم السياسة. وكان صلباً صارماً ولكنه ناعم الكلام، بحيث إن الصحافة لم تقدره حق قدره، وظلت تصفه بأنه «فارغ»، حتى بعد سنة 1968. ولكن نيكسون، الذي أعطاه لقب «قائدنا ضد الجريمة وانتهاك القوانين»، قام فيما بعد بتعيينه مدعياً عامّاً للولايات المتحدة. وبهذه الصفة قدر له أن يترأس التخطيط الأولي لعملية اقتحام مبنى ووترغيت، وأن يذهب إلى السجن فيما بعد، عند إدانته بتهمتي الشهادة المزورة وعرقلة العدالة.

وذهب نيكسون إلى الانتخابات الأولية في نيوهامبشاير ببراعة جراحية، فدخلها في آخر لحظة ممكنة في أواخر كانون الثاني/ يناير (1968) وفاز بعدد

---

(1) غير أن دي بوير عندما خضع لاستجواب لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ، أنكر اتصاله بميتشل شخصياً. (شهادة دي بوير، الجلسة التنفيذية، 8 آب / أغسطس، 1973، ص 5، الحقل C - 28, E, NA).

من الأصوات زاد عما حصل عليه أي مرشح رئاسي في الانتخابات الأولية في تاريخ الولاية. ثم انتصر في خمس ولايات أخرى، كان آخرها فوزه البالغ الأهمية على رونالد ريغان في أوريغون.

وكان إيرليكمان على متن الطائرة الانتخابية أثناء المنافسة في أوريغون، فشعر بالارتياح وبالإعجاب بأداء المرشَّح نيكسون. وكان في الماضي، كما قيل سابقاً، يشعر بالقلق من تعاطي نيكسون للخمر، إذْ كان يعتقد أنه من الخطورة بحيث «يكلفه أي فرصة للعودة إلى الحياة العامة». ولم يوافق على الاشتراك في حملة سنة 1968 إلاَّ إذا وعد نيكسون بالامتناع عن الخمر. فردّ نيكسون «بأخذ تعهد صارم» بذلك على نفسه. وهو تعهد لم يره إيرليكمان يخرقه طيلة تلك الحملة.

وكان «النيكسون الجديد» الذي راح الخبراء يكتبون عنه يبدو أكثر سماحة، ومرتاحاً مع الصحافة، وأقل غضباً، وأقل إظهاراً للاندفاع. فقدم نفسه ليس كمرشح فقط، بل كرجل واثق من نفسه كذلك يطالب بتاجٍ يستحقه. وأعرب ثيودور وايت عن اعتقاده بأن «نيكسون له وزن وحضور وذلك كله ظاهر للعيان... فهو مرشح يستهدف الرئاسة».

وكان نيكسون يشاهد التلفزيون عندما أعلن روبرت كيندي عن ترشيح نفسه. وحسب رواية كاتب الخطب ريتشارد والين، فإن نيكسون كرر قوله مرتين أو ثلاثاً: «إننا نستطيع التغلب على ابن الزانية الصغير هذا». وكما استذكر إيرليكمان، فإن نيكسون هزّ رأسه لحظة طويلة، ثم قال: «لقد شاهدنا لِتَوِّنا بعض القوى الرهيبة تنطلق من عقالها. إن شيئاً سيِّئاً سينجم عن هذا».

وغمغم نيكسون متذمراً عندما انطلقت جهود كيندي: «لماذا يصير بوبي حقيراً إلى هذا الحدّ، ولماذا يتعين عليَّ أن أكون لطيفاً إلى هذا الحد؟» والواقع أنه رحب بإمكانية ترشيح روبرت عن الحزب الديمقراطي، معتقداً أن ذلك يقدم

له فرصة لإدانة الديمقراطيين بأثر رجعي «يعود تماماً إلى أيام غزو خليج الخنازير». وكما استذكر والين، فإنه كان «يريد أن يهزم واحداً من آل كينيدي».

أما «الشيء السيّئ» الذي تنبأ نيكسون بحدوثه آخر الأمر، فقد وقع في حزيران / يونيو، باغتيال كينيدي في مطبخ فندق الآمباسادور بلوس آنجيلوس، بعد شهرين فقط من اغتيال مارتن لوثر كينغ. وكان نيكسون قد حضر جنازة كينغ، ولكنه قلق فيما بعد من كون الاغتيال «غلطة خطيرة» قد تكلفه أصواتاً للبيض بالغة الأهمية في الجنوب. وكان موت روبرت كينيدي «مأسوياً» لنيكسون، حسب رواية شقيقه إذْ. وقد حضر تلك الجنازة أيضاً، ثم توجه إلى جزر البهاما والاستراحة مع ريبوزو وأصحاب جزيرة الفردوس.

وبعد شهرين، طار إلى ميامي لحضور المؤتمر الوطني الجمهوري حيث وصل بطريقة باذخة تصادفت مع أفضل أوقات البث التلفزيوني. فغنّت له فتيات الحملة: «نيكسون هو المطلوب!» وهنّ مجتمعات أمام مدخل الهيلتون. وسرعان ما فاز بالترشيح.

وصار على نيكسون أن يختار شريكاً. فكان من الأشخاص الخارجيين عضو كونغرس تكساسي شاب اسمه جورج بوش. كما أن العضو الجمهوري الأقدم، جيرالد فورد، ظن أنه موضع بحث للترشيح كنائب للرئيس[2]. غير أن نيكسون كان قد ركّز منذ زمن طويل على سبيرو آغنيو، حاكم ولاية ميريلاند[3]. وقد ارتفعت شهقات عدم التصديق من قاعة المؤتمر عند إعلان هذا الخيار.

---

(2) كان نيكسون قد فكر في فورد كشريك له مرشح لمنصب نائب الرئيس في انتخابات سنة 1960. (مقابلة مع روبرت فينتش؛ مركز ميللر كمحررين، مصدر سبق ذكره، ص 259).

(3) في وقت مبكر في أيار / مايو، أثناء رحلة جوية إلى بورتلاند، بولاية أوريغون، كان قد غذّى ديفيد برودر، مراسل **الواشنطن بوست**، بفكرة أنه إذا تم ترشيحه، فسيكون شريكه المرشح معه لمنصب نائب الرئيس هو آغنيو (كراوس، مصدر سبق ذكره، ص 91).

ولم يكن لآغنيو أي مؤهل ظاهر سوى كونه وسطياً معتدلاً وإن اعتقد البعض أن «دون المتوسط» كانت الصفة الأنسب له. وسارع الديموقراطيون إلى استغلال هذا الاختيار، بعرض إعلانات تجارية مسجل عليها صوت ضحك متطاول يُسْمَعْ فوق شعار: «آغنيو نائباً للرئيس». وبعد سنوات، قدر لنيكسون أن يعترف بأنه قد اختار آغنيو شريكاً له وهو يعلم أنه فاسد. وكان ذلك هو العيب الذي أدى في آخر الأمر إلى استقالة آغنيو.

وألقى نيكسون خطابَ قبولٍ ملأه بالعاطفة الوطنية، والنداءات بالمصالحة في الداخل وصنع السلام في الخارج. غير أن أكثر عناصره رسوخاً في الذاكرة كانت إشارته إلى حلم طفل ـ يعني نفسه ـ هو ابن أب كادح وأم لطيفة من طائفة المرتعدين، على طريقه لتحقيق الحلم الأمريكي (وكان هناك مقطعان من الخطاب لم تتضمنهما المقتطفات التي أوردها نيكسون منه في مذكراته. فقد أخبر أتباعه أن «احترام القانون لا يمكن أن يأتي إلاّ من أناس يضعون القانون في قلوبهم وعقولهم..». و«دعونا نُلْزِمْ أنفسنا بالحقيقة، نراها كما هي، وبالعثور على الحقيقة، والنطق بالحقيقة، وعيش الحقيقة. فهذا ما سنفعله».

وبين المؤتمر ويوم الانتخاب، ظل الجمهور يرى نيكسونَ الواثق من نفسه، الفعّال، الذي تدعمه منظمة شديدة التدقيق في التفاصيل. وقدَّر للحملة أن تولّد كتاباً ألفه جو ماكغينيس بعنوان **بَيْعُ الرئيس**. ولقد بِيْعَ نيكسون فعلاً، على يد وكالة إعلانات نيويوركية، ومنتجين تلفزيونيين من شبكة إذاعة كولومبيا، ومشرف مبدع من مؤسسة ج. و. طومسون[4]. وقد جاء بوب هالدمان بالطبع من زريبة تلك المؤسسة.

وفي بادئ الأمر، كان نيكسون يتحدث مع الصحافة برحابة صدر أكبر،

(4) إن كتاب **بيع الرئيس** (طبع نيويورك: سيمون وشوستر) لمؤلفه جو ماكغينيس، قد نشر لأول مرة في سنة 1969. وكان المنتجان التلفزيونيان هما فرانك شكسبير وروجر إيلز؛ وأمّا «المشرف المبدع» فكان هاري تريفيليان.

ونبذ التلفزيون كوسيلة تلاعب. وقد اعتقد ماكغينيس أنه «كان يخشى التلفزيون. بل كان لديه نصف توقع بأنه خدعة شرقية ليبرالية، وطريقة إضافية أخرى لجعله يبدو سخيفاً». غير أن رجال التلفزيون غيّروا رأيه، فوجد رجال الصحافة المكتوبة أنفسهم متروكين للمقابلات «ذات المطبات الثلاثة» في الوقت بين اقتراب طائرة الحملة من مكان الهبوط، ووصولها إلى نهاية المدرج. واستنتج ماكغينيس أن فريق نيكسون التلفزيوني «سيطر عليه، وعلى الجوّ المحيط به. فكأنهم لم يبنوا رئيساً، بل قبة رصد فلكي لا تهب فيها الريح أبداً، ولا ترتفع فيها درجة الحرارة ولا تنخفض، ولا تقفز الكرة على نحو خاطئ أو غير منتظم..». فلم يتركوا فرصة لتكرار كوابيس مناقشات سنة 1960 مع كينيدي. وقد تأكد مدراء نيكسون التلفزيونيون من فرض رقابتهم وقيودهم المتشددة كلما اضطر نيكسون للظهور على شاشة التلفزيون في بث حيّ ومباشر.

وقد مورست هذه السيطرة حتى على رمز الحزب، أي الفيل. فقد تم إفساد تجمع جمهوري في سنة 1960، عندما تغوط فيلٌ حقيقي بشكل مقرف أمام منصة المتكلم دون أي أخذ باعتبارات اللياقة. ولذلك فقد ورد في كتيّب مطبوع للمسؤولين عن تهيئة الاجتماعات لنيكسون سنة 1968، تعليمات بإعطاء جميع الفيلة العاملة في الحملة حقناً شرجية استباقية.

وبينما كان المرشح الديموقراطي، هيوبرت همفري ممثلاً هو الآخر من قبل وكالة إعلانية في شارع ماديسون، فإن الفرق كان في التمويل. كان لدى الجانب النيكسوني أموال أكثر بكثير لإنفاقها على الدعاية، ضعف ما كان لدى الديموقراطيين في الحقيقة. ولاحظ رايْ برايس، مساعد نيكسون، أن الاستجابة كانت للصورة، وليس للرجل..»..

وفيما بعد، كتب كاتب الخطب ويلر يقول في أسى «لقد شعرت بالخزي لأنني كنت برفقة مروجي بضائع مستواهم دون المتوسط» فبالنسبة له، كان

الرجال المحيطون بنيكسون «مجموعة من البشر الآليين من الدرجة الثانية، رجالاً خطرين بدون أية معتقدات سياسية جادة». وقد انسحب والين، ولكنه كان استثناء.

وكتب هيو سايدي بعد رحلة على **تريشيا**، طائرة القيادة في أسطول نيكسون الانتخابي المكون من ثلاث نفاثات: «مع نيكسون هناك أساليب السلوك الجيد، والقمصان البيضاء، والحقائب ذات الخطّ الرفيع. والمرشح يتم تمشيطه، والحلاقة له، وتدبيغه، وكيّ ملابسه، وإلباسه منظر الجدّيّة. . . ونيكسون يقيم، جسدياً وكذلك عاطفياً، فوق المعركة تماماً».

وعلى عكس ذلك، كما كتب سايدي فإن «همفري يتصبب عرقاً، ويخلع سترته، ويردّ صارخاً على المستهترين من الييّيين، ويتجنب الطماطم المقذوفة. ويتصارع عند كل محطة مع المشاكل العنصرية وقضايا الحرب والخروج على القانون. وقد تبدو معمعته مليئة بالدخان والقرف، ولكنها حقيقية وغير مصطنعة».

والتقى والتر كرونكايت مع نيكسون آخر، نيكسون اضطجع على أريكة وبيده كأس خمر، وراح يتحدث «لغة الشوارع المخلوطة بالألفاظ القذرة». كان هذا النيكسون من نوع لم يكن من شأن الناس الخارجيين أن يروه أو يسمعوه. على الأقل حتى بعد بضع سنوات، عندما ظهرت نصوص التسجيلات على أشرطة ووترغيت، تتخللها وتكتنفها عبارة: «تم حذف الحشو التجديفي».

ولاحظ سايدي بالفعل بعض الهفوات العلنية مثل: «تسرّع نيكسون أكثر من اللازم في إظهار ابتسامة يبدو للحظة عابرة أنه لا يقصدها». وقد اعتقد والين أنه «لم يكن أحد منا يستطيع أن يقول بثقة ما هو الشيء الذي يشعر تجاهه نيكسون بعاطفة جارفة، إن كان هناك أي شيء من هذا القبيل أصلاً. . . كنا جميعاً مهرّبين للخمور نخدم زبوناً لا يمكن التنبؤ بذوقه ونوع ظمئه. فكان كل

ما نستطيع عمله، هو أن نترك عيّنات من خمورنا غير المشروعة على عتبة بابه».

والغريب أن نيكسون كان يسخر من الناخبين على ما يبدو. . يهزأ بالناس الذين كانوا قادرين على ضمان انتصاره. فكان يتذمر في مجالسه الخاصة: «لم يتغير شيء في عشرين سنة. فأنت مضطر إلى وضع لافتة تقول إنك مع كذا وضد كذا، وأين تقف من القضايا. والنساء يحببن ذلك على نحو الخصوص. وهن لا يملكن أبسط فكرة عمّا يعنيه ذلك. ولكن الناخبين تعلموا أن يتوقعوه». وكان والين يعتقد أن المرشح لا يهدف إلى ما هو أعلى من «الموقع المتوسط الأقل تعرضاً لأي هجوم محتمل».

ولم يتغير بعض الأساليب التكتيكية. فالنيكسون العلني كان يحثّ على الاستماع إلى المحتجين لأنهم «قد يكون لديهم ما يقولونه مما هو جدير بأن يُنْصَتَ له». وفي الوقت نفسه كان النيكسون السرّي يقول لموظفيه: «اضربوا غريبي الأطوار والملتحين في باحات الحرم الجامعي. أريد أن أرى العنيفين يُطْرَدون».

واستذكر رجل الاستعدادات المسبقة رون ووكر: «كنت أنا الشخص الذي أطال لحيته ولبس شعراً مستعاراً وذهب إلى تلك الاجتماعات للتحريض. . . كنت أخلق جميع أنواع المشاكل. . . فكنت أحصل على آلة استنساخ، وأقف في الحمّام في منتصف الليل أطبع الموادّ المعاكسة التي تخرب عليهم تحركاتهم».

وكان ووكر في سيارة القيادة في موكبٍ لنيكسون في نيوجيرسي، عندما وصل نداء بالراديو يحذر من «صعوبة محتملة مع متظاهرين» كان مؤيدو همفري أمام الموكب يهزون بأيديهم ملصقات تصور امرأة سوداء ضخمة حاملاً، وشعاراً يقول: «نيكسون هو المطلوب». للسخرية من شعار حملة الجمهوريين.

وأوضح ووكر: «كنت أريد إنزال تلك الشعارات قبل وصول نيكسون إلى هناك. فذهبنا بكل بساطة واقتلعناها. وسقطت جميع النساء السود على الأرض. . . وكانت النساء جالساتٍ هناك، ولافتاتهن مرميّة، وظللن يقتلعن شظايا الأخشاب من أيديهنّ أسبوعاً. . . ولا أسمي هذا حيلاً قذرة، بل أميل أكثر إلى تسميته حرب مغاوير غير نظامية، كما تعلم».

واستذكر إيرليكمان أن حلّ مشكلة المحتجين عند نيكسون كان أن «يأمرني أن أطلب من الشرطة السرية معاملة المشاغبين بقسوة وخشونة. وعندما كان نيكسون يُبَلَّغُ بأن الشرطة السرية (التي كانت توضع تحت تصرف كل مرشح منذ اغتيال روبرت كينيدي)، ترفض هذا الطلب، كانت لديه خطة أخرى يلجأ إليها. «كان يريدني أن أخلق نوعاً من زمرة الترويع السريعة المتنقلة التابعة لنا» كي تتصرف بقسوة وخشونة مع المشاغبين بإنزال لافتاتهم، وإسكاتهم. . . لقد كان يوافق على أساليب ليّ الأذرع بالقوة الباطشة.

واستذكر ووكر، رجل الاستعدادات المسبقة مواجهة أخرى، في نيوجيرسي كذلك، عندما كان الخصوم يشوّشون على تجمع: «فقلت: دعونا نخرجهم! وكان عندي حُجَّابٌ هم رجال شرطة ومطافئ خارج أوقات دوامهم يعملون إلى جانبنا. فحصل ضربٌ ومشاجرات وأبعدنا أولئك الأشخاص عن المدخل بحيث تمكن ضيوفنا من الدخول». بل لقد كان فريق نيكسون أحياناً يدفع نقداً لإسكات الخصوم بالقوة.

وفي الوقت نفسه كان أتباعه ينتقلون إلى الهجوم. فقد كانت هناك حافلات مليئة بأتباع نيكسون تلاحق همفري من تجمع إلى تجمع للمشاغبة عليه، ومحاولة إغراق خطاباته بصراخهم. وكانت هناك حيل تضليلية أخرى أكثر ذكاء وخفاء. كانت هناك آلة TWX على طائرة نيكسون تنتفض حيَّةً ثلاث مرات يومياً لتبث رسائل من جاسوس مزروع في معسكر همفري. وكان أتباع همفري يعرفونه كصحافي تابع لمؤسسة هيرست يدعى سيمور فريدين، وهو

شخص ودود يتقن الغش في لعبة البوكر، ولا يتحدث عن عمله بشيء يذكر، وهو مخبر قديم لوكالة المخابرات المركزية، كان يتلقى ألوف الدولارات من الجمهوريين ليقدم لهم بالهاتف تقارير عن الديمقراطيين، يبلغها إلى سكرتيرة في مكتب موراي تشوتينر، فكان تشوتينر يحرّر رسائله، ثم يبثها إلى طائرة نيكسون.

وكان اسم فريدين الرمزي المشفر في سنة 1968 وكذلك في سنة 1972، هو «صديق تشابمان». وكان صانع الملوك (الذي يتمتع بنفوذ عظيم في الحزب الجمهوري لاختيار المرشحين للمناصب السياسية) توم ديوي، يستخدم ذلك الاسم للاتصالات المكتومة بنيكسون منذ سنة 1952. وعند بدء حملة سنة 1968، ومن أجل الاختفاء عن الصحافة، سجل نيكسون نفسه في فندق باسم تشابمان. وكان الجاسوس المزروع في معسكر همفري هو جاسوسه.

وهكذا فإن الرجل الذي وعد الأمةَ بالحقيقة كان يتحدث في مجالسه الخصوصية وكأن الخداع هو عدّته وعتاده. وكانت هناك مناسبة كان فيها نيكسون في طريقه لاجتماع مع قادة كنيسة المورمون، فقال لجون سيرز أن لا يصدق كلمة واحدة مما كان على وشك أن يقوله، لأنه كان لاستهلاكهم المحلي فقط. وفي مناسبة أخرى، كان نيكسون «مزيَّتاً تزيتياً جيداً» فكانت لديه نصيحة إلى لين غارمنت، إذْ قال لذلك الشاب: «إنك لن تنجح في السياسة أبداً، لأنك ـ ببساطة ـ لا تعرف كيف تكذب».

وفي اجتماع عقد في وقت مبكر من الحملة، أعلن نيكسون بصراحة فظة ودون مواربة: «المال له أهمية» وكانت له أهمية بالطبع ـ على نحو خطير ـ فموضوع التبرعات للحملة ـ ما هو قانوني منها وما هو غير قانوني، وما هو مقبول أخلاقياً وما هو غير مقبول ـ يبقى موضوعاً خلافيّاً مثيراً للجدل، ولعله أشد المواضيع إثارة للخلافات في الانتخابات الأمريكية حتى يومنا هذا.

وقد أنفق جانب نيكسون، بموجب حساباته نفسها، مبلغ 36,5 مليون

دولار على حملة سنة 1968. فكانت أكبر نفقات في تاريخ المنافسات الرئاسية، وأعطت الجمهوريين ميزة أساسية. ولعل جانب همفري كان تحت تصرفه أقل من نصف ذلك المبلغ من المال.

وكان نيكسون يتصرف كما لو أنه ليس مهماً مَنْ يتبرع بالمال، ولا إنْ كان مقدماً على أساس توقع امتيازات وخدمات في المستقبل، ولا كيف يتم إيصال ذلك المال. وقد زعم أنه كان «يرفض دائماً» قبول التبرعات بنفسه. غير أن و. و. كيلر، رئيس شركة فيليبس للبترول، اعترف بأنه في سنة 1968 أوصل رزمة تحتوي على خمسين ألف دولار «شخصياً إلى نيكسون في شقته بنيويورك». ولم يظهر هذا الكشف إلاً بعد أن تعرضت رئاسة الشركة إلى دعوى أقامها حملة الأسهم على شركة فيليبس، على أساس أن هذا التبرع ـ ومبلغ آخر يصل إلى ضعفه في انتخابات سنة 1972 ـ كان مخالفاً للقانون الذي يمنع تبرع الشركات.

كان الوقت مبكراً في حملة سنة 1968، عندما قبل نيكسون مئة ألف دولار من جيمس كروسبي، صاحب كازينو جزيرة الفردوس. وعلى الرغم من المصدر المشبوه، فقد استذكر موريس ستانس، رئيس التمويل أن نيكسون «بلغ ذروة السعادة» ولم يفعل سوى أن أمر بإيصال المال في أربعة وثلاثين شيكاً شخصياً إلى أربع وثلاثين لجنة انتخابية مختلفة، من أجل مراعاة المطلب القانوني، بأن تكون التبرعات الفردية للجان المحلية محدودة بمبلغ خمسة آلاف دولار. وفي الوقت نفسه، فإن هذه الخدعة بالطبع مَوّهت هوية المتبرع الحقيقي.

وقيل بأن آرنهولت سميث، صيرفيّ سان دييغو الذي تتذكره بات باعتباره «واحداً من أوائل مؤيدينا» قد تبرع شخصياً بربع مليون دولار في سنة 1968. وبلغ إجماليّ التبرعات التي ولّدها أربعة أضعاف ذلك المبلغ. وقدم شريكه الناشر جون آليسيو ستة وعشرين ألف دولار. وفي ليلة الانتخاب، كان سميث

جزءاً من دائرة نيكسون الداخلية في أبراج والدورف[5] . (*وقدر لسميث وآليسيو* كليهما أن يذهبا إلى السجن بسبب تهربهما من الضرائب، ولكن ذلك لم يحدث إلاّ بعد جهود سرّيّة بذلها البيت الأبيض في أيام حكم نيكسون للتدخل من أجلهما)[6] .

ولم يكن مستغرباً أن يعمل بيب ريبوزو كجامع أموال، ووسيط مالي موثوق بشكل متبادل، ورجل حقيبة. وكان هو الذي نظم تبرع كروسبي. وعندما تبرع الإخوة ديفيز، أصحاب سلسلة بقاليات وين ـ ديكسي، بمبلغ خمسة وسبعين ألف دولار، كان ذلك أول قسط من التبرعات النقدية وصل في ظرف إلى عنوان ريبوزو في بيته.

وقبل أشهر من بدء الحملة، كان ريبوزو قد رافق نيكسون إلى إنكلترا، وانضم إليه في زيارة إلى بيت ج. بول غيتي الكبير الباذخ، حيث أبديا إعجابهما بمجموعة ذلك الملياردير من لوحات روبينز، وتِيتْيَان، ورينوار. وكتب ريبوزو فيما بعد يقول كيف سُحِرَ الجميع وفتنوا من روعة العشاء الذي أقامه غيتي. وفيما بعد، عندما طلب نيكسون تبرعاً من غيتي، وتوسط بينهما ريبوزو، استجاب غيتي حسب الأصول. وكان ريبوزو أيضاً هو الوسيط الرئيسي الهام في الدفعات النقدية، التي كان على نيكسون في ذلك الحين أن يكون أذكى من أن يقبلها لو كان أعرف بمصلحته، وهي دفعات من هوارد هيوز.

---

(5) استفسر المساعد الصحافي هيرب كلاين عما إذا كان سميث مع نيكسون ليلة إجراء الانتخابات. غير أن سميث أصرّ في مقابلته مع المؤلف على أنه كان حاضراً، كما ذكرت التقارير. (كلاين، مصدر سبق ذكره، ص 37؛ ومقابلة مع آرنهولت سميث).

(6) لقد استذكر ديڤيد ستوتز، العميل السابق لمصلحة الضرائب الداخلية الذي صار فيما بعد مدعياً لمقاطعة سان دييغو، أنه تلقى مكالمة هاتفية من جون كولفيلد من البيت الأبيض. فقال كولفيلد إنه يحدثه باسم إيرليكمان، وطلب من كولفيلد أن يطير إلى واشنطن ومعه كل المعلومات التي يملكها عن آليسيو وسميث ـ بدون أن يخبر رؤساءه. وقد تلقى ستوتز المكالمة وكان معه زميل له يستمع إليها، وطلب من كولفيلد أن يدون الطلب خطياً. ثم انقطع الخط الهاتفيّ تماماً. (مقابلة مع ديڤيد ستوتز، مجلة **رامبارتس**، عدد تشرين الأول / أكتوبر 1973).

جزءاً من دائرة نيكسون الداخلية في أبراج والدورف[5]. (وقدر لسميث وآليسيو كليهما أن يذهبا إلى السجن بسبب تهربهما من الضرائب، ولكن ذلك لم يحدث إلاّ بعد جهود سرّيّة بذلها البيت الأبيض في أيام حكم نيكسون للتدخل من أجلهما)[6].

ولم يكن مستغرباً أن يعمل بيب ريبوزو كجامع أموال، ووسيط مالي موثوق بشكل متبادل، ورجل حقيبة. وكان هو الذي نظم تبرع كروسبي. وعندما تبرع الإخوة ديفيز، أصحاب سلسلة بقاليات وين ـ ديكسي، بمبلغ خمسة وسبعين ألف دولار، كان ذلك أول قسط من التبرعات النقدية وصل في ظرف إلى عنوان ريبوزو في بيته.

وقبل أشهر من بدء الحملة، كان ريبوزو قد رافق نيكسون إلى إنكلترا، وانضم إليه في زيارة إلى بيت ج. بول غيتي الكبير الباذخ، حيث أبديا إعجابهما بمجموعة ذلك الملياردير من لوحات روبينز، وتِيتْيَان، ورينوار. وكتب ريبوزو فيما بعد يقول كيف سُحِرَ الجميع وفتنوا من روعة العشاء الذي أقامه غيتي. وفيما بعد، عندما طلب نيكسون تبرعاً من غيتي، وتوسط بينهما ريبوزو، استجاب غيتي حسب الأصول. وكان ريبوزو أيضاً هو الوسيط الرئيسي الهام في الدفعات النقدية، التي كان على نيكسون في ذلك الحين أن يكون أذكى من أن يقبلها لو كان أعرف بمصلحته، وهي دفعات من هوارد هيوز.

---

(5) استفسر المساعد الصحافي هيرب كلاين عما إذا كان سميث مع نيكسون ليلة إجراء الانتخابات. غير أن سميث أصرّ في مقابلته مع المؤلف على أنه كان حاضراً، كما ذكرت التقارير. (كلاين، مصدر سبق ذكره، ص 37؛ ومقابلة مع آرنهولت سميث).

(6) لقد استذكر ديفيد ستوتز، العميل السابق لمصلحة الضرائب الداخلية الذي صار فيما بعد مدعياً لمقاطعة سان دييغو، أنه تلقى مكالمة هاتفية من جون كولفيلد من البيت الأبيض. فقال كولفيلد إنه يحدثه باسم إيرليكمان، وطلب من كولفيلد أن يطير إلى واشنطن ومعه كل المعلومات التي يملكها عن آليسيو وسميث ـ بدون أن يخبر رؤساءه. وقد تلقى ستوتز المكالمة وكان معه زميل له يستمع إليها، وطلب من كولفيلد أن يدون الطلب خطياً. ثم انقطع الخط الهاتفيّ تماماً. (مقابلة مع ديفيد ستوتز، مجلة **رامبارتس**، عدد تشرين الأول / أكتوبر 1973).

قال هوارد هيوز لنائبه روبرت ماهيو: «عليك أن تتذكر أنني أنا، هوارد هيوز، أستطيع أن أشتري أي رجل في العالم. . .».

وقدم جدول أعماله في مذكرة مكتوبة بخط أنيق (أنظر صورتها أدناه)، وقال فيها: إنني مصمم على انتخاب رئيس من اختيارنا هذه السنة. رئيس سيكون مديناً بعمق، ويعترف بمديونيّته. . . وبما أنني مستعد لتخطي كل الحدود في سبيل ذلك، فأعتقد أننا ينبغي أن نكون قادرين على اختيار مرشح وحزب يعرفان حقائق الحياة السياسية». وكتب هيوز فيما بعد: «إذا اخترنا نيكسون، فإنني متأكد أنني أعرف أنه يعرف حقائق الحياة»[7].

I am determined to elect a president of our choosing this year and one who will be deeply indebted, and who will recognize his indebtedness.
Since I am willing to go beyond all limitations on this, I think we should be able to select a candidate and a party who knows the facts of political life

If we select Nixon, then he, I know for sure, knows the facts of life

كان ذلك الملياردير الغريب الأطوار منعزلاً متصومعاً في جناحه على قمة فندق خان الصحراء (دَزَرْتْ إِنْ Desert Inn) في لاس فيغاس، وكان آنئذٍ في الثانية والستين، وقد مضى عليه زمن طويل في ذلك التصومع، وكان مضطرباً

(7) إن مذكرات هيوز، التي تم تداولها فيما بعد والاستشهاد بها بطريقة مبعثرة، يمكن الوصول إليها على أفضل وجه في كتاب مايكل دروسنين: **المواطن هيوز**. أما بالنسبة للمؤلف، فإن أفضل رواية هي **أوراق هيوز**، من تأليف إيلين دافنبورت وبول إيدي، لأنها تعتمد بشكل كلي تقريباً على شهادات معطاة تحت القسم ومعروضات. (أنظر قوائم المصادر والمراجع).

ومدمناً على الأدوية الموصوفة، ولكنه مستمر في التلاعب والمناورة.

ولم يكن هيوز يهتم أين يتفضل بسخائه. فقد فوّض ماهيو في تلك السنة نفسها [1968] أن يعرض مليون دولار على ليندون جونسون (والتقى ماهيو بالرئيس، ولكنه قرر أن لا يجازف بعرض هذه الرشوة عليه) وأن يأخذ خمسين ألف دولار لهيوبرت همفري (وقد زعم ماهيو أنه أوصل ذلك المبلغ، وإن كان همفري قد أنكر ذلك). غير أن نيكسون كان هو المرشح المفضل عند هيوز. وقد كتب بعد فوز نيكسون في الانتخابات الأولية: «أريدك أن تذهب لرؤية نيكسون باعتبارك مبعوثي السرّي الخاص. إنني أشعر أن هناك إمكانية حقيقيةً بالفعل لانتصار جمهوري هذه السنة...».

وعندما أرسل هيوز ماهيو إلى جونسون، كانت تعليماته له أن يركز على طلبين أولين أساسيين. فللتعويض عن الخسائر الهائلة التي تجشمها من الميزانية الكارثية لإنتاج الطائرات المروحية، كان يريد لحرب ڤيتنام أن تستمر. كما كان يريد وضع نهاية للتجارب النووية في صحراء نيڤادَا، إذ كان ذلك أحد الهواجس الأكثر عقلانية من بين الأفكار المستحوذة عليه. وكانت مطالب هيوز تتغير بمرور الزمن، إلاّ أن مطالبه الأساسية عند القاعدة ظلت كما هي. كان يريد الرئيس، أي رئيس يتصادف فوزه، أن يكون «مديناً له».

أمّا كم دفع هيوز نقداً لنيكسون مباشرة، وكيف تم نقل المال، ومتى، وعلى يد مَنْ فتلك مسائل تتخللها وتتغلغل في ثناياها عمليات تضليل والتباس وخداع تجعلها خارج نطاق الانكشاف(8). غير أن من بين الحقائق اليقينيّة في

(8) بغضّ النظر عن الأموال السرية التي دفعت نقداً، قدم هيوز متبرعاً مشروعاً سنة 1968: وهو خمسون ألف دولار، عن طريق الحاكم لاكسالت، موزعة على سبعة عشر شيكاً دفعت لسبع عشرة لجنة انتخابية. وكان دونالد جاكسون، الموظف في حملة نيكسون الانتخابية، قد طلب رسمياً مساعدة مالية في آذار / مارس من تلك السنة. وتم دفع الخمسين ألف دولار في تشرين الأول / أكتوبر. (التبرع المشروع: من ستيڤن هابرفيلد إلى ملف هيوز ـ ريبوزو في 20 آب / أغسطس 1974، تبرعات الحملة، الملف 804، الحقل 111، هيئة الادعاء الخاص في قضية ووترغيت، المحفوظات الوطنية).

الأمر، هي أنه حتى قبل أن يبدأ هيوز بِغَرْفِ المال وسكبه، كان نيكسون قد اتصل به طالباً دعماً مالياً. وكان الرجل الذي عهد إليه بإجراء الاتصال هو ريتشارد دانر، المدير السابق لمدينة ميامي، الذي كان قد جمع بين نيكسون وريبوزو قبل ذلك بسنوات. وتشير مفكرة دانر لسنة 1968 إلى اتصاله المستمر بالرجلين، سواء عن طريق الهاتف أم بصورة شخصية. وقد شهد فيما بعد أنهما طلبا منه في أحد الاجتماعات المبكرة أن يتصل بهيوز.

وقد ضحك هيوز بصوت عالٍ عندما تلقى الطلب، ثم أمر ماهيو أن يرتب إيصال خمسين ألف دولار نقداً، أي ما يكاد يعادل ربع مليون دولار بقيمة أسعار هذه الأيام. غير أنه تبعت ذلك تأجيلات طويلة لأن ريبوزو ونيكسون كليهما صار عصبياً. وقد تراجع ريبوزو عن تسلم إحدى الدفعات خوفاً من احتمال قيام أحد الوسطاء بكشف الخطة، ولقد تصادف أن كان ذلك الوسيط ديموقراطياً.

وبعد الانتخابات بوقت قصير، أقلع ماهيو بطائرة شخصية خاصة نفاثة إلى بالم سبرنغز ومعه النقود، على أمل أن يتمكن لاكسولت، حاكم نيڤادا، من ترتيب لقاء له مع نيكسون في حفل استقبال. غير أن نيكسون أرسل خبراً بأنه «لا وقت لديه» للقاء. ومهما تكن أسبابه، فإنه من المؤكد أنه كان سيتجنب هذه المقابلة لو عرف أن جماعة هيوز يريدون إيصالاً موقعاً عن استلام التبرع، كما استذكر ابن المبعوث ماهيو.

ولكن ماهيو ودانر نفذا مهمتهما، بعد مضيّ فترة على تسنم نيكسون سدّة الرئاسة، بتسليم الأموال مباشرة إلى ريبوزو. وتذكر دانر كيف قام ريبوزو ـ بعد تسلمه رزم الأوراق النقدية من فئة المئة دولار، والبالغ مجموعها خمسين ألف دولار ـ «بإلقائها على الفراش وعدّها... لم يتصفحها بتوريقها أو تقسيمها إلى كميات [ولكنه] أعادها إلى ظرفها ووضعها في حقيبته اليدوية. وكانت كل رزمة قد جاءت مربوطة بلفافتها من مصرف في لاس فيغاس، إذْ أنّ مصدر النقود كان

كازينو يملكه هيوز. وعندما انتهت العملية، قام ريبوزو ودانر يمشيان الهوينى متجهين إلى نيكسون لإجراء حديث ودّيّ معه في غير كلفة.

واعترف ماهيو كذلك بتسليم ريبوزو دفعة ثانية من خمسين ألف دولار، كانت تنطوي على وصول بسيارة ليموزين يقودها سائق، وتسليم النقود بصمت كامل، يتبعه تناول كؤوس من الجنّ والمارتيني مع مكعبات الثلج، ثم عشاء باذخ سخيّ في مطعم محليّ. وقال إنه لم يذكر سبب الاجتماع، ولا فعل ذلك ريبوزو.

ولئن كانت عمليات التسليم قد نفذت بدِقّة ورِقّة فلمٍ من أفلام السينما الهادئة المتقنة الناعمة، فإن الروايات التي حكيت عنها فيما بعد ـ أثناء تحقيقات لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ ـ قد جاءت على شكل مسرحية هزلية صاخبة ملأى بالسخرية. ذلك أن الشهود لم يستطيعوا تقديم قصتهم بشكل مباشر بلا مواربة في ما يتعلق بوقت تسليم الدفعات، وما إذا كانت قد نُقِلَتْ إلى سان كليمنت، أم إلى بنك ريبوزو، أم إلى منزله، ومَن الذي كان حاضراً وفي أية عملية نقل.

ولاحظ المحققون توقيت التبرعات باهتمام. فقد تداخلت إحداها زمنياً مع شراء هيوز لشركة إير ويست، وتلك صفقة كانت تتطلب موافقة مجلس الطيران المدني، وكذلك موافقة الرئيس نيكسون نفسه ـ بسبب ما تنطوي عليه من ممرات الطيران الأجنبية ـ. وكان هيوز قد قال إنه يعتمد على «قدرة ماهيو السياسية» لتحصيل المصادقة على القرارات.

وتبيّن أيضاً أن دانر قد التقى مع جون ميتشل ثلاث مرات أثناء فترة رئاسة نيكسون الأولى، عندما كان ميتشل، بصفته مدعياً عاماً، في مركز يخوله المنح والمنع لتمكين هيوز أو عدم تمكينه من الاستيلاء على فندق آخر في لاس فيغاس. فقد كان هذا الأمر ينطوي على خرق لقانون منع الاتحادات

الاحتكارية. وقد أعطى ميتشل موافقته ضد نصيحة كبار مستشاريه. وقد حدث بعد واحد من هذه اللقاءات، أن أصدر هيوز أوامره بتسليم الخمسين ألف دولار الثانية إلى ريبوزو، مع التوضيح «بوجوب تسديد التزامات سياسية معينة».

ففيم استخدمت تلك الأموال؟ لقد قدر للتحقيقات في وقت لاحق في المستقبل الكشف عن بند في مفكرة دانر مدون بعد الانتخابات مباشرة، يعكس مكالمة هاتفية عن «مشروع بيت». وتبعت ذلك مكالمات أخرى حول الموضوع نفسه، رغم أن دانر زعم أنه لم يعد قادراً على استذكار ما كانت تشير إليه تلك الملاحظة الواردة في مذكراته عن «مشروع البيت». غير أن ما حدث هو أن المكالمات لرجل الحقيبة العامل لمصلحة هيوز، قد تزامنت مع خطط نيكسون المبكرة لشراء بيت مجاور لبيت ريبوزو في كي بسكين، وهو المسمى بيت فلوريدا الأبيض.

وأدت الجهود الخارقة لمحققي مجلس الشيوخ، لاكتشاف مصير أموال هيوز إلى الشك في أنها قد استخدمت لدفع مستحقات مثل أجور المعماريين، وإعادة تشكيل طراز البناء، وإقامة بركة سباحة فيه، وحتى وضع حُفرٍ للكرات في المرج الأخضر لمضمار ملعب الغولف الذي يليق بآرنولد بالمر [الذي كان أول لاعب أمريكي يفوز ببطولة الغولف أربع مرات متتالية في السنوات 1958 و1960، و1962 و1964] بسعر 213 دولاراً و57 سنتاً لكل حفرة. وقد انتهت آثار دروب المتاهات المتشعبة التي سلكتها تلك الأموال، عندما رفض ريبوزو إبراز سجلاته المالية.

واستذكر هربرت كالمباخ، محامي نيكسون، قول ريبوزو له إن قسماً من أموال هيوز قد ذهب إلى شقيقي نيكسون، دونالد وإدوارد، وإلى سكرتيرته روز وودز. ولكن الشقيقين وريبوزو أنكروا ذلك، بينما قالت روز وودز إنه لم يكن

لها أي علاقة بقضايا الأعمال التجارية لرئيسها. بل زعم ريبوزو أنه لم يمس أموال هيوز قَطّ، وأنه أعادها إليه في آخر الأمر[9].

وبينما كان لدى المحققين أدلة ثابتة على دفعتي هيوز المكونة كل منهما من خمسين ألف دولار نقداً فحسب، فإن بعضهم شكّ في أن الإجمالي الحقيقي كان أعلى من ذلك بكثير. ففي أذار/ مارس سنة 1970، أثناء اجتماع في نيويورك، طُلِبَ من ماهيو أن يتصل هاتفياً بمساعدٍ لهيوز من هاتفٍ عمومي يعمل بقطَع العملة. وبعد لحظات، بينما كان ماهيو عاكفاً على جهاز الهاتف في كشك مجاور، أنصت مذهولاً إلى ذلك المساعد وهو يتلو عليه، بل يهمس همساً، رسالةً من هيوز: «إذهب إلى كي بسكين، واعرض على نيكسون ـ عن طريق ريبوزو ـ مليونَ دولار». وقد استذكر ماهيو أن أمل هيوز كان يكمن في أن رشوة بهذا الحجم ـ تمثل الرقم نفسه الذي كان في ذهن هيوز لعرضه على الرئيس جونسون قبل ذلك بسنتين ـ ستكون كفيلة بإقناع نيكسون بوقف التجارب النووية في نيڤادا.

وكانت هذه المهمة، كما قال ماهيو، فظيعة وشائنة إلى درجة أنه اقتصر على التظاهر بالتحرك لأدائها مع دانر. فطار إلى فلوريدا، ثم ماطلا بضعة أيام، متظاهرين بأن ريبوزو غير موجود، وانتظرا حتى انصرف اهتمام هيوز إلى مواضيع أخرى.

وفي الآونة الأخيرة، زعم مستخدم آخر عند هيوز يدعى جون ماير أن دفعة بمليون دولار قد تم نقلها فعلاً إلى ريبوزو، سنة 1969، وقال ماير إنه قد

(9) أثناء التحقيق في ووترغيت، قدر لريبوزو أن يستخرج مئة ألف دولار نقداً من خزانة، قائلاً إنها أموال هيوز، وأنها بقيت كما هي لم تمسّ منذ أن استلمها. ولكن دراسة معقدة لأوراق العملة في ذلك الصندوق جعلت لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ ترتاب في ذلك الزعم (لجنة مجلس الشيوخ المنتقاة، برئاسة سام إيرڤن، للتحقيق في أنشطة الحملات الانتخابية، التقرير، ص 944 وما يليها؛ ووثيقة مكتب التحقيقات الاتحادي رقم 112974 ـ 62).

شاهد النقود «مكونة من أوراق من فئة المئة دولار . . . مرتبة بشكل أنيق، على صفّين، في كل منهما خمسة آلاف ورقة» في حقيبة كبيرة بيد زميل له. وقد التقط ريبوزو الدفعة من غرفة في فندق مطار ميامي، ثم يبدو أنه خاف من وجود أكثر من شاهد، فغادر على عجل.

وقد أنكر حدوثَ هذه الواقعة كلٌّ من ماهيو والرجل الذي سُمِّيَ ساعياً[10]. صحيح أن ماير ليس شاهداً يُعْتَمَدُ عليه. فقد طُرِدَ من عمله بعد تورط في عمل تجاري مسيء للسمعة مع شقيق نيكسون، دونالد، فهرب إلى كندا طريداً تلاحقه مصلحة الضرائب الداخلية بتهمة التحايل. ومع ذلك يبقى السؤال: في هذا المعرض الحافل بالمفسِدين والمفسَدين، والرجال الذين يعانون من مرضٍ مناسبٍ تماماً هو فقدان الذاكرة، أو الذين كانوا يكذبون ـ بكل بساطة ـ أي الروايات **يمكن** أن تكون جديرةً بالتصديق؟

ولقد قدر لتقرير مجلس الشيوخ حول هذه القضايا أن يقول بلهجة جافة ذات يوم: «هناك أدلة تشير إلى احتمال وجود أكثر من دفعتين من دانر لريبوزو. والطريقة الوحيدة للتوفيق بين الشهادات المتضاربة، هي الاستنتاج بأنه كانت هناك أكثر من دفعتين من الأموال».

ولتجنب أكثر الأسئلة حرجاً ومضايقة من لجنة مجلس الشيوخ، هرب ريبوزو في آخر الأمر من البلاد لفترة في سنة 1974. ولقد ذكر التقرير أن «السيد ريبوزو أصرّ على رفض فتح السجلات التي يسيطر عليها هو أو مصرفه. . . وَوَضَعَ نفسَه خارجَ متناول اللجنة بسفره إلى أوروبا. . .» وبحلول وقت عودته ـ كما كان يعلم جيداً ـ لن يعود لدى اللجنة وقت لإصدار مزيدٍ من الاستدعاءات.

(10) إن رجل هيوز الذي زعم ميثير أنه قد نقل المليون دولار كان كين رايت، رئيس المعهد الطبّيّ التابع لهوارد هيوز. (ميثير، مصدر سبق ذكره، ص 46).

ولاحظت اللجنة كذلك أنه «لسوء الحظ فإن الرئيس لم يستغل الفرصة لتوضيح أو شرح القضايا التي تثيرها هذه الصفقات والمعاملات أو علاقته مع ريبوزو».

تشير الأدلة إلى أن يد ريبوزو كانت مغموسة في كل شيء مشبوه وله مساس بنيكسون وبالأموال، وليس أقلها المال الأجنبي، الذي هو من المجالات المحرّمة.

ومن هذه مجالٌ تورط فيه نيكسون وعدنان خاشقجي، رجل الأعمال السعودي الفاحش الثراء، الموصوف عادة بأنه «تاجر سلاح»، وإن كان قال ذات مرة أنه يفضل أن يُعْرَفَ بأنه «رابط». وفي سنة 1997، أثناء مقابلة أجريت معه في بيته الباريسي، استذكر أن علاقته مع نيكسون بدأت في سنوات التيه عندما كان نيكسون خارج السلطة ـ فقد قام شريك لبول غيتي بتعريف كل منهما على الآخر ـ واستمرت خلال فترة رئاسته، وبعد سقوطه، بلقاءات تواصلت إلى ما قبل وفاة نيكسون بوقت قصير[11].

وكان خاشقجي قد راح يتقرب من نيكسون في سنة 1967، بوضع طائرة تحت تصرفه ليطوف بها الشرق الأوسط بعد حرب حزيران / يونيو. وبعد ذلك سرعان ما فتح خاشقجي حساباً في مصرف ريبوزو بفلوريدا عن طريق استخدام وسيط. وأوضح للادعاء العام في ووترغيت أنه قد فعل ذلك «لاجتذاب الحظوة عند ريبوزو» للحصول على مدخل إلى الرجل الذي قد يصبح رئيساً، ولمتابعة الصفقات التجارية. وقال خاشقجي للادعاء أيضاً إنه لا يعتقد أن ريبوزو كان «ذكياً جداً، ولا واسع الاطلاع بما يكفي تقريباً لجعله يخدم كناطق فعال».

---

(11) يبدو أن هناك رجلين قد اشتركا في ذلك التقديم الأول: وهما جون بوشنا، شريك غيتي، وصديق نيكسون جون شاهين، الذي كان يعمل في صناعة النفط وتجارته أيضاً. (مقابلة مع عدنان خاشقجي، وأنظر بول مايكل إلى الملفات، 13 آب / أغسطس، 1975، إشارة إلى المقابلة مع خاشقجي، الحقل 95، هيئة الادعاء الخاص لووترغيت).

وعلى عكس ذلك، فقد أخبر المؤلفَ بأنه وجد ريبوزو «لطيفاً جداً، وكتوماً جداً، كما تعلم، من النوع الذي يمكنك أن تثق به. . .».

وقد تكاثرت الشائعات حول سخاء خاشقجي بعد ووترغيت. ولكن موظفي الادعاء كانوا «حذرين» في استجوابهم، بسبب ارتباطات الشاهد العالية المستوى في الحكومة السعودية؛ فأكد خاشقجي أنه تبرع بثلاثة وأربعين ألف دولار في سنة 1968، ليس على شكل إسهام نقدي، بل لتمويل إنتاج تسجيل لخطابٍ نيكسونيّ. كما اعترف بإرساله خمسة عشر ألف دولار أخرى عن طريق وسيط. وقال للمؤلف: «كنتُ أخشى أن أفسد صداقتنا بالمال».

وقال خاشقجي معقباً على حالتين سحب فيهما من رصيده في بنك ريبوزو مئة ألف دولار في كل مرة، دون أي شرح أو توضيح أثناء حملة انتخابات سنة 1972: «أعلم أن هذا يبدو مريباً». وقد أبلغ الوسيطُ الذي كان الحساب باسمه أن سجلاته المالية لذلك العام ـ ولذلك العام فقط ـ قد سرقت في عملية سطو قبل خمسة أيام فقط من استقالة نيكسون من منصبه كرئيس.

وقال خاشقجي في سبعينيات القرن العشرين: «لو أن نيكسون طلب مني مليون دولار لأعطيته إياها». غير أنه أضاف أن نيكسون وريبوزو لم يطلبا منه مالاً قطّ. وذكر المؤلف هذه الإنكارات للمساعد الديمقراطي الأسبق بيير سالينجر، الذي كانت له في السنوات اللاحقة علاقة ودية لطيفة مع نيكسون وخاشقجي كليهما، والذي تصادف أن التقى به المؤلف في غضون ساعات من مقابلته للسعودي.

وحسب رواية سالينجر، فإن المليون دولار كانت هي بالضبط ما تلقاه نيكسون سنة 1972. فقد قال سالينجر: «ظهر عدنان في واشنطن، وعقد اجتماعاً سرّياً مع نيكسون، وقال لي فيما بعد إنه قد أعطى مليون دولار للمساعدة في الحملة. . .».

ومن المعروف أن خاشقجي كان قد اجتمع بنيكسون في قارب ريبوزو المنزلي في فلوريدا بعد انتخابات سنة 1968، وحضر حفلتي تدشين رئاسة نيكسون في بداية فترتي حكمه. وعندما طلقته زوجته الأولى، ثريا، حاول محاموها أن يستدعوا نيكسون ليسألوه عن «هدايا المجوهرات لأفراد عائلته». وفي سنة 1997 قال خاشقجي إنه قدم مجوهرات قيمتها ستون ألف دولار لابنتي نيكسون، وتبرع بعد ذلك بمائتي ألف دولار لمكتبة نيكسون. فإذا كان ذلك صحيحاً، فإنه لم يكسبه سطراً واحداً من الذِّكْر في مذكرات نيكسون[12].

كان على نيكسون أن يتجنّب خاشقجي، ليس فقط لأنه شخصية مشبوهة بل لأن قبول المال أو الهدايا منه أثناء حملة، أو الوقوع في شبهة قبول ذلك، كان شيئاً خطراً لأنه ضد القانون. فقد كان، ولا يزال، من الإجرام أن يقوم سياسي أمريكي باستدراج أو قبول تبرعات من مواطن أجنبي أو حكومة أجنبية أو حزب سياسي أجنبيّ. ومع ذلك، ومهما كانت حقيقة العلاقة الخاشقجية، فإنه يبدو أن نيكسون قد ارتكب تلك الجريمة بالضبط ـ في ظروف لا يمكن القبول بها ـ في سنة 1968.

إلى جانب بات نيكسون وبناتها في مؤتمر الحزب الجمهوري سنة 1968، جلس رجل لم يتعرف عليه إلاَّ قليلون. كان صامتاً لا يَشِي وجهه بأي تعبير. كان ذلك هو توماس باباس، البالغ من العمر ثمانية وستين سنة، الأمريكي ـ اليوناني الواسع الثراء. وكانت له علاقات دولية قوية. وكان ذا سخاء عظيم لمن ينالون الحظوة عنده.

---

(12) كان جوناثان إيتكن، وهو كاتب سيرة نيكسون المفضل، والعضو السابق في حزب العموم البريطاني عن حزب المحافظين (والذي سجن سنة 1999 لإدلائه بشهادة زور) قد ذكر أن خاشقجي كان واحداً من عدة رجال أعمال استكشفوا «صفقات تجارية خاصة في الخارج» مع نيكسون بعد استقالته. (وينبغي أن يلاحظ المرء أن إيتكن كانت له علاقة بعائلة الخاشقجي: فقد أنجب طفلاً من ثريا خاشقجي). (أحد رجال الأعمال: جوناثان إيتكن، ص 540؛ شهادة الزور: **النيويورك تايمز**، وصحيفة **التايمز** [اللندنية]، عدد 9 حزيران / يونيو، 1999، أنجب طفلاً: **الصنداي تايمز** اللندنية، عدد 10 كانون الثاني / يناير 1999).

وكان باباس مهاجراً بدأ حياته العملية، مثلما فعل نيكسون، في مخزن بقالية العائلة. فبنى سوقاً مركزية شاسعة ومؤسسة تجارية لاستيراد الأغذية، ثم عاد إلى اليونان ليؤسس إمبراطورية نفط، وفولاذ، ومواد كيميائية. وكان يجمع الأموال للحزب الجمهوري منذ عشرينيات القرن العشرين، وكان قد عرف نيكسون من أيام آيزنهاور. فقد كانت الصور الممهورة بتوقيع نيكسون تزين جدران مكتبه. وكان ضيفاً منتظماً في حفلات عشاء البيت الأبيض، وقد حضر حفل زفاف تريشيا، وتبرع بخمسين ألف دولار لمقصورة بِاَسمَيْ تريشيا وجولي في مركز كيندي للفنون التمثيلية.

وكما وصفه نيكسون علىٰ أشرطة البيت الأبيض المسجلة، فإنه كان «باباس الطيب العجوز». وكان ذلك أثناء ووترغيت، بينما كان باباس يقدم أموال الرشوة لشراء الصمت عن لصوص اقتحام مبنى ووترغيت، وكان يشار إليه في شيفرة هواتف البيت الأبيض باسم «الإغريقي حامل الهدايا». والواقع أن باباس كان قد قدم قبل ذلك بكثير هديةً ماليةً ضخمة، باعتباره مساعد رئيس اللجنة المالية سنة 1968، ولكن ليس بدون تلقي حظوة في المقابل.

وكما رأينا، فإن اختيار نيكسون لآغنيو كشريك له في منصب نائب الرئيس، بدا في حينه غير مفهوم. وفي مقال افتتاحي شهير تكهّنت **الواشنطن بوست** أن هذا الاختيار سوف يسجل في التاريخ «كأغرب تعيين سياسي منذ أن سمّى الإمبراطور الروماني كاليغولا حصانه قنصلاً». أما وقد كشف المزيد الآن عن العلاقة الباباسية فإن ذلك القرار يبدو أقل غموضاً.

فقد كان والد آغنيو الإغريقي مهاجراً، هو الآخر، وقد كان اسمه عند ولادته تيودوروس آناغنو ستوبولوس، وجاءت عائلته من قرية في منطقة بيلوبونيسيا، قرب قرية باباس نفسها. وقال المليونير إنه «زكّى سبيرو بكلمة طيبة» في المؤتمر، وقد اعترف نيكسون نفسه بأن باباس قد أثّر على اختياره.

وكان قراراً ترك أثراً طيباً على المجتمع اليوناني ـ الأمريكي في الولايات المتحدة، وفي اليونان نفسها.

ولكن لماذا اختير آغنيو من بين المرشحين الأحقّ بهذا المنصب جميعاً؟ إن الجواب يكمن بشكل يكاد يكون مؤكداً في تجمع الأحداث في اليونان؛ والاستجابة السياسية لنيكسون، وآغنيو، وباباس، وـ مرة آخرى ـ الأموال القذرة.

ففي ربيع سنة 1967 استولت عصبة عسكرية على السلطة في مسقط رأس الديمقراطية. فجمدت الحريات المدنية والأحزاب السياسية، وفرضت رقابة على الصحافة، وحبست المنشقين عليها. وعُذِّبَ كثيرٌ من المسجونين في أحد المرافق التي لم تكن تبعد عن السفارة الأمريكية سوى خطوات. وعند كثير من الأمم صار ذلك النظام الوحشي منبوذاً ينبغي تجنبه. وأبقت إدارة جونسون على علاقاتها معه، لأسباب استراتيجية، ولكنها خفضت شحنات الأسلحة.

وكانت العصبة الحاكمة تأمل في قبول أكثر في ظل إدارة نيكسون. وكان سبيرو آغنيو هو الذي أرسل أول إشارة إلى أن ذلك سيكون كذلك. غير أن الطريقة التي فعل بها ذلك عجلت في اكتشاف سرّ، وهو سرٌّ ـ لو أنه كشف في حينه ـ لكان من المحتمل أن يمنع انتخاب نيكسون رئيساً، بل إن اقتراب السر من الافتضاح، كان نتيجة الغضب والتصميم لدى منفيّ إغريقي واحد بمفرده.

كان الياس ديميتراكوبولوس، الذي هو اليوم في أوائل سبعينيات عمره، قد عمل طيلة حياته صحافياً لصحف أمريكية وكذلك في الصحافة اليونانية. وفي ذلك الحين، ومنذ ذلك الحين، نظراً لأنه كثيراً ما كتب تقارير تنتقد كبار المسؤولين الأمريكيين، فقد تعرض لتحقيق هجومي عدواني، ولكنه كان يخرج دائماً دون أي جرح في سمعته[13]. وفي واشنطن، اعتادت الشخصيات

(13) في الولايات المتحدة، كان ديمتراكوبولوس يعيل نفسه بصورة رئيسية، ليس كصحافي، بل =

السياسية من اليمين واليسار على احترامه، وكذلك فعل زملاؤه الصحافيون. وعلق روبرت نوڤاك، كاتب العمود الصحافي بقوله: «كانت معلوماته شديدة الدقة. وأنا أعتبره مصدراً ممتازاً ومن الدرجة الأولى».

وبحلول الوقت الذي صار فيه نيكسون وآغنيو مرشحين سنة 1968، كانت قد مضت سنةٌ على وجود ديميتراكوبولوس في الولايات المتحدة، بعد أن فضل الهرب من اليونان على إسكات الرقابة له هناك. وقد انطلق من مقره الضيق في فندق فيرفاكس بواشنطن، ليعمل بتصميم على إسقاط العصبة الحاكمة في اليونان. ومع وجود مرشح أمريكي ـ إغريقي لمنصب نائب الرئيس، فقد كان من الواضح أنه من المهم له معرفة ما هو موقف آغنيو من ذلك النظام الحاكم في اليونان. وفي بادئ الأمر بدا له أنه ليس هناك من سبب يدعو إلى الفزع.

وكانت لويز غور، مالكة فيرفاكس، ورئيسة لجنة حملة نيكسون ـ آغنيو في ولاية آغنيو، وبذلك كانت جمهوريةَ الميولِ لا غبار على أوراق اعتمادها، هي التي عرّفت ديميتراكوبولوس على آغنيو. فاجتمع به ثلاث مرات في أواخر سنة 1967 وبدايات سنة 1968، وكانت كلها اجتماعات مشجعة للصحافي

= كمستشار لمؤسسة سمسرة في سوق وول ستريت. وقد أخبرَ المؤلفَ بتوسطه بين الهيئات الرسمية الإغريقية والأمريكية، على مدى سنوات طويلة، ودعم ادعاءاته بوثائق وفيرة. أما القلق بشأنه، ومحاولات إسكاته فهي مشروحة في الفصل الثلاثين، الحاشية 20. وعلى الأقل فقد ثبت أن محاولتين علنيتين لتشويه سمعة ديمتراكولوبوس كانتا مزيّفتين، أولاهما عندما نشر كاتب العمود الصحافي جيمس كيلباتريك تراجعاً مُهِيناً في سنة 1972 والثانية عندما ثبت زيف قصة ألّفها ديڤيد بايندر، المشتغل في **النيويورك تايمز**، سنة 1977. وقد استشهد بايندر بمصدر من وكالة المخابرات المركزية، وبسجلاتها. ولكن بعد أن خاض ديمتراكوبولوس معركة لتبرئة سمعته اعترفت الوكالة بأن المعلومات لم تكن دقيقة. (كيلباتريك: **الواشنطن ستار**، عددا 30 تموز / يوليو، و10 آب / أغسطس، 1972؛ بايندر: **النيويورك تايمز**، عدد 6 كانون الأول / ديسمبر، 1977؛ صحيفة **الغارديان** اللندنية، 5 كانون الثاني / يناير، 1978؛ **والواشنطن بوست**، 5 كانون الثاني / يناير، 1978؛ و3 أيلول / سبتمبر، 1979؛ **ونيوزداي**، 7 أيار / مايو 1984، وأنظر ملاحق محاضر جلسات لجنة الاستخبارات المنتقاة، التابعة لمجلس النواب الأمريكي، اللجنة الفرعية الخاصة بالإشراف، في الكونغرس الخامس والتسعين، الجلستان الأولى والثانية، كانون الأول ـ ديسمبر / كانون الثاني ـ يناير / نيسان ـ إبريل 1978، وأنظر جوزيف غولدن، **صالح للطبع**، طبع نيوجرسي: لايل ستيوارت، 1988، ص 292 وما يليها).

اليوناني. وفي كانون الثاني / يناير قال آغنيو إنه يأمل أن يرى قريباً حكومةً منتخبةً تعود إلى السلطة في اليونان. وعندما التقى به غورْ وديميتراكوبولوس قبل نحو شهرين من الانتخابات، أكد لهما أنه ـ كمرشح لمنصب نائب الرئيس ـ ينوي البقاء على الحياد. ثم على حين غرة، وفي الأسبوع نفسه، أدلى بتصريح علني متعاطف مع العصبة الحاكمة في اليونان.

كان الانقلاب صدمة، خاصة بسبب التشجيع القوي الذي قدمه للدكتاتورية اليونانية. فكتبت لويز غور إلى ديميتراكوبولوس تسأله: «ماالذي جرى؟ لماذا قال لنا آغنيو شيئاً ذات يوم، ثم شيئاً آخر في اليوم التالي؟... ما الذي جعله يغير رأيه؟ ـ أو بالأحرى مَنْ! وما الذي ستفعله؟»

وكان ما فعله ديميتراكوبولوس، بعد هجوم عنيف على آغنيو، هو ما كان يتقنه أكثر من أي شيء آخر: فقد استخدم شبكة اتصالاته لاكتشاف ما كان يجري. فكان ما عرفه يضرّ بسمعة نيكسون ضرراً هائلاً. وهكذا علم الصحافي المنفي من مصادره، أنه بين شهري تموز / يوليو وتشرين الأول / أكتوبر تلقت حملة نيكسون مبالغ كبيرة من المال من الدكتاتورية اليونانية. كانت هناك دفعات منفصلة إجماليها 549000 دولار، أي ما يقرب من 2,75 مليوني دولار بأسعار هذه الأيام. وقد اكتشف ديميتراكوبولوس كيف تمت تلك الدفعات بالضبط.

فقد علم أن المصدر الأصلي لتلك الأموال هو وكالة المخابرات السرية اليونانية KYP[*]، وهي منظمة أسستها ودربتها ونظمتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية. وقد أمر بتلك الدفعات نائب مدير الوكالة اليونانية، ميكاليس روفوغاليس، فتم تمريرها نقداً بأوراق مالية ذات فئات كبيرة، صادرة من بنك اليونان المركزي، إلى توماس باباس، المؤيد الفعال للنظام غير الشرعي[14]. وقام باباس شخصياً بنقل الأموال إلى الولايات المتحدة.

(*) كنيريكي يبيرشيا بليروفوريون، أي: هيئة المخابرات المركزية.

(14) بغضّ النظر عن الاتصالات اليونانية، فإن باباس لم يكتم حقيقة أنه قد تعاون مع وكالة =

وتأكدت دقة معلومات ديميتراكوبولوس بعد سنوات، على يد مدير آخر لوكالة المخابرات اليونانية جاء فيما بعد، هو كوستاس تسيماس، وعلى يد هنري تاسكا، الذي عينه نيكسون سفيراً في اليونان[15]. أما تفاصيل كيفية إتمام الدفعات، التي قدمها ديميتراكوبولوس إلى لجنة تابعة لمجلس النواب، فلا تزال محفوظة في أرشيف الكونغرس.

وعند الكشف عن هذه المعلومات قبل بضعة أسابيع فقط من الانتخابات الرئاسية سنة 1968، كانت مشحونة باحتمال إحداث تدمير سياسي. فاتصل الصحافي اليوناني بالأطراف المرجّح أن تكون لها مصلحة في كشف الفضيحة: وهم أتباع همفري الديمقراطيون. وعن طريق عدو نيكسون القديم في كاليفورنيا، الحاكم بات براون، رتب موعداً مع لورانس أوبرايان، رئيس اللجنة الوطنية للديمقراطيين. فالتقى به أوبرايان مرتين. كما التقى به موظفوه خمس

= المخابرات المركزية. ففي أوائل سنة 1967 تم التعرف على صندوق أمانة باباس الخيرية في بوسطن باعتبارها قناة لتسريب أموال الوكالة المذكورة إلى أمريكا اللاتينية. وفي صيف سنة 1968 قال لصحيفة يونانية مؤيدة لنظام الجنرالات الانقلابيين: «لقد كنت أعمل لوكالة المخابرات المركزية في أي وقت تطلب فيه مساعدتي». (صندوق الأمانة: **البوسطن غلوب**، عدد 31 تشرين الأول / أكتوبر، 1968؛ «كنت أعمل»: **الواشنطن بوست**، عدد 16 تموز / يوليو 1975، مشيرةً إلى مقابلة مع باباس في صحيفة **أبوغيفماتيني**، 18 تموز / يوليو 1968).

(15) كان هنري تاسكا، الذي عرفه نيكسون منذ سنوات، يستضيف باباس ويكرمه بانتظام. وكان مقرّباً من العصبة العسكرية الحاكمة في اليونان. ففي سنة 1975، بعد أن كان نيكسون قد سقط، ولم يعد تاسكا سفيراً، قابله محامي لجنة الاستخبارات المنتقاة التابعة لمجلس النواب الأمريكي، حول قضايا أخرى بصورة رئيسية. وقال المحامي فيما بعد للمؤلف إن تاسكا قال له أثناء تلك المقابلة «إن العقداء كانوا عصبيين بحلول سنة 1968 من احتمال فوز الديمقراطيين، وتحوّل السياسة الأمريكية ضدهم. فكانوا يريدون التبرع لحملة نيكسون. ولكن كيف؟ كان عليهم أن يسرّبوا المال تسريباً. وهذا ما فعله باباس ـ وبعمله هذا عزّز علاقته بإدارة نيكسون». وقال تاسكا لمحامي لجنة مجلس النواب «إن أتباع نيكسون كانوا مسرورين للحصول على الأموال». وقد تمكن المؤلف سيمور هيرش من الحصول على تأكيد إضافي للادعاء بأن أموال العسكريين الحاكمين في اليونان قد وصلت إلى نيكسون، وجاء هذا التأكيد في مقابلة مع أحد كبار موظفي وزارة الخارجية. (خلفية تاسكا: كتلر، **ووترغيت**، مصدر سبق ذكره، ص 206؛ **بوسطن صنداي غلوب**، عدد 14 تشرين الثاني / نوفمبر، 1971؛ مصدر من وزارة الخارجية: سيمور هيرش: **ثمن السلطة**، طبع نيويورك:ساميت، 1983، ص 138 وما يليها؛ ومحادثة للمؤلف مع سيمور هيرش).

مرات[16]. فأثارت إعجابهم نوعية معلوماته، ولكنهم لم يكونوا متأكدين من كيفية التعامل معها.

كان أوبرايان يريد ما يؤكدها. ولم يكن ذلك ممكناً إلاّ بإرسال مساعدين إلى اليونان لمقابلة مصادر ديميتراكوبولوس أو بإحضارهم إلى واشنطن. وفي الأيام المحمومة الأخيرة للحملة، لم يكن أي من هذين العملين يبدو ممكناً. غير أن أوبرايان أطلع المرشح الديمقراطي هيوبرت همفري على ملخص القضية، كما جرى إطلاع الرئيس عليها بدوره.

وكان أمل الديمقراطيين هو أن يطلب جونسون من ريتشارد هيلمز، مدير وكالة المخابرات المركزية، عن طريق خطه المباشر مع المخابرات اليونانية، أن يؤكد أن الدكتاتورية اليونانية كانت تموّل نيكسون حقاً. ومع ذلك لم يتخذ جونسون أي إجراء، واكتفى أوبرايان بنصف إجراء. فاستشهد بتقرير صحافي - كان من بذار ديميتراكوبولوس أيضاً - يقول بأن أموالاً من العصبة الحاكمة في اليونان كانت تصل إلى نيكسون عن طريق باباس، وأصدر أوبرايان البيان الصحافي التالي: «يجب أن يوضح السيد نيكسون والسيد آغنيو علاقتهما مع توم باباس، وأن يَدَعا الشعب الأمريكي يعرف ما الذي يجري.» وفي غمرة ضجيج العد التنازلي للانتخابات، لم يكد أحد يلاحظ هذا البيان. وردّ عليه نيكسون وآغنيو بعدم الردّ.[17]

---

(16) كان مساعد أوبراين الأكثر تورطاً في هذه المبادلات، حسب رواية ديمتراكوبولوس، هو إيرا كابنشتاين. فقد كان حاضراً في الاجتماعين مع أوبراين. وكجزء من الاحتراس ضد التنصت على الهاتف، كان يزور ديمتراكوبولوس في فندق فيرفاكس، مراراً وتكراراً.

(17) في سنة 1975، وفي أعقاب تجدد الادعاءات في الصحافة، أنكر آغنيو معرفته بأية تبرعات من حكام اليونان العسكريين لحملة نيكسون سنة 1968. وعرض أن يشهد بذلك أمام لجنة الاستخبارات المنتقاة التابعة لمجلس النواب. ولكنه لم يفعل أبداً، وقيل إن سبب امتناعه هو الضغط الذي مارسه عليه وزير الخارجية هنري كيسنجر بشأن القضية كلها. وفي مقابلات أجريت في سنتي 1988 و1989 زعم أغنيو أنه لم يكن يعرف ديمتراكوبولوس، ولا أي شيء عن أموال إغريقية لحملة سنة 1968. غير أنه في مقابلة سنة 1989 عاد واعترف حقاً أنه قد التقى مع ديمتراكوبولوس (**النيويورك تايمز**، عدد 1 آب / =

ومع ذلك، ففي الشهور والأعوام التالية، استمر ديميتراكوبولوس بمحاولة إخراج القصة إلى العلن، رغم محاولات إسكاته. وهكذا كان نيكسون قد سلّم رهينة أخرى للحظ.

ولقد تكهن المؤرخون حول الأسباب التي جعلت جونسون لا يفعل شيئاً بخصوص تلك المعلومات التي جاءه بها أوبرايان عن تمويلات العصبة. ومن التوضيحات المقنعة، أن الرئيس كان في ذلك الوقت بالذات منشغلاً بقضية أهم وأرجح، وهي كفاحه لإخراج الولايات المتحدة من حرب ڤيتنام. وفي ذات اليوم الذي كان فيه أوبرايان يتحدى نيكسون علناً حول توم باباس، كان جونسون يواجه معلومات سرية استخبارية حول ڤيتنام هي ـ لو ثبتت دقّتها ـ أكثر إضراراً بنيكسون وآغنيو حتى من الفضيحة الإغريقية.

ويعود تورط نيكسون في ڤيتنام إلى ما قبل ذلك بكثير، وهو مليء بالغموض، بعضه فيه إثارة محضة، وبعضه من أخطر ما يمكن أن يكون.

= أغسطس 1975؛ **ميامي نيوز**، عدد 2 آب / أغسطس 1975؛ **نيويورك تايمز ماغازين**، عدد 26 تشرين الأول / أكتوبر 1975؛ ملاحظات ستانلي كاتلر ونصوصه المنقولة عن المقابلات مع سبيرو آغنيو، أوراق كاتلر؛ مقابلة مع ديمتراكوبولوس).



23

كم جندياً أمريكياً ماتوا في هذه الأرض؟
كم فيتنامياً ينامون مدفونين تحت الأشجار والأعشاب؟
والآن يجمع كأس الشراب الأصدقاء في سلام.
وعندما يرفع العجائز كؤوسهم
تسيل على وجناتهم الدموع.

من قصيدة لمقاتل الفيتكونغ السابق فان لي،
أعطاها لمراسل شبكة كولومبيا الإذاعية مورلي سيفر، 1989

لم يكن الرقيب هوُلِيسْ كِيمُونْزْ، ملاّح الطائرة المروحية، واحداً من الأمريكيين الذين زاد عددهم على ثمانية وخمسين ألفاً، ممن هلكوا في الصراع الڤيتنامي[1]. وعندما عاد إلى وطنه، بعد ما خَدَمَ في كتيبة الطيران رقم 145، لم يكن يتحدث عن الحرب إلاّ نادراً. غير أن زوجتيه السابقتين كلتيهما قد استذكرت أنه قد ذكر لها مقابلة مع ريتشارد نيكسون. كانت تلك «مهمة» كما قال. ولكنه رفض أن يناقش تفاصيلها.

وفي سنة 1984 كان كيمونز في بيته في أوريغون مع زوجته الثانية، غابي،

(1) تشير آخر الأرقام المتوفرة إلى مصرع 47375 جندياً أمريكياً في المعارك، وموت 10796 آخرين خارج ميدان القتال: أي ما مجموعه 58153 وفاة. وكان عدد الجرحى في المعارك 153303 جنود. وقال ناطق باسم سفارة فيتنام في واشنطن نقلاً عن تقرير لحكومته سنة 1996 إن عدد الفيتناميين الذين قتلوا في تلك الحرب قد «زاد على ثلاثة ملايين». وأشارت رويتر إلى «نحو ثلاثة ملايين». (سبنسر تاكر كمحرر، **موسوعة الحرب الفيتنامية**، المجلّد الثالث، سانتا باربارا، كاليفورنيا: ABC - Clio، 1998، ص 1093، وأرقام قدمتها المحفوظات الوطنية، في وزارة الدفاع الأمريكية، والسفارة الفيتنامية في واشنطن العاصمة ـ مقاطعة كولومبيا).

فلاحظ إعلاناً في الصحيفة قرأ فيه، أن تاجر تواقيع على الساحل الشرقي كان مستعداً لشراء تواقيع ورسائل كتبها أناس مشهورون. فقال كيمونز لزوجته: «إن عندي شيئاً»، ثم نبش صفحة من دفتر مذكرات قديم، مخربش عليه بحبر أخضر باهت اللون على عجَل:

إلى هوليس كيمونز

مع تقديري لحمايته في رحلتي بالمروحية في فيتنام

من

ريتشارد نيكسون

وردّ كيمونز على تاجر التواقيع، وفي آخر الأمر، بعد أن حكم التاجر على تلك الكتابة الخطّية بأنها أصلية، اشترى، قطعة الورق من كيمونز بمئة دولار. وأثناء تلك العملية أخبره كيمونز بقصة لافتة للنظر. قال ذلك الجندي السابق إن نيكسون وقّع له على دفتر المذكرات أثناء رحلة إلى ڤيتنام الجنوبية في نيسان / أبريل سنة 1964. وكان كيمونز أحد ملاحي المروحية الأربعة المكلفين بالطيران به في جولة أثناء الزيارة، التي حدث في سياقها شيء غير عادي للغاية، حسب رواية كيمونز.

كان الملاحون قد تلقوا تعليماتهم من قائد الوحدة، المقدم هيوز، ومن الرائد شْرِيكْ، الذي كان سيقود مروحية نيكسون. وقيل لكيمونز وزملائه الطيارين إن المهمة سرية يجب عدم الكشف عنها لمدة عشرين عاماً. وكانت تلك بالضبط هي المهلة التي انتظر فيها كيمونز قبل أن يحكي قصته.

قال إنه قبل الثامنة من صباح اليوم الثاني من الرحلة، صعد نيكسون إلى الطائرة المروحية مرتدياً زياً عسكرياً لا يحمل بطاقة اسم. فطاروا أولاً إلى فونك بينه (ترافقهم طائرتان أخريان)، وهي عاصمة مقاطعة إلى الشمال الغربي من سايغون. وهناك التقى نيكسون «بقسيس كاثوليكي يدعى الأب وَا». وحسب

رواية كيمونز، فقد كان وَا «شخصاً فريداً له اتصال مع الفيتكونغ. . . فكان هو الوسيط الذي بادل بالذهب أسرى أمريكيين. . . وتم ترتيب مكان لقاء لليوم التالي».

وقال كيمونز إنه في اليوم التالي تم الإقلاع بنيكسون أولاً إلى آن لوك، وهي مدينة قرب حدود ڤيتنام الجنوبية مع كمبوديا، ومن ثم إلى فسحة في الغابة. وقال كيمونز لتاجر التواقيع: «وهناك التقى نيكسون مع ملازم من الفيتكونغ، واتفق على الثمن لإعادة خمسة أسرى أمريكيين. وتم الاتفاق على موقع التبادل، وغادر الملاحون عائدين إلى سايغون. . .».

في وقت لاحق من ذلك اليوم نفسه، حسب رواية كيمونز، حملت طائرة مروحية على متنها صندوقاً مليئاً بالذهب ـ الذي كان عملة كثيرة التداول في جنوب شرقي آسيا في تلك الأيام ـ وأقلعت إلى «فومي كريك»، داخل كمبوديا.[2] «وعند نقطة التبادل، أُخْرِجَ خمسة جنود أمريكيين بسرعة وخشونة من الغابة، يصحبهم عدة جنود مسلحين. وأُنْزِلَ صندوق الذهب فتفحصه ملازم الفيتكونغ، وتم التبادل. وغادر الملاحون والأسرى المنقَذون على الفور إلى سايغون حيث أُرْسِلَ [الأسرى الذين تم افتداؤهم] إلى المستشفى».[3]

ولقد زار نيكسون ڤيتنام الجنوبية حقاً في نيسان / أبريل سنة 1964. وتتحدث قصاصات الصحف القديمة عن إقامة لمدة يومين، من 1 نيسان /

(2) إن الموقع الكمبودي مكتوب في كراسة جامع التواقيع المصورة على هذه الشاكلة Phumi Kriek. ولكن تهجئته على الخريطة التي رآها المؤلف هكذا Phumi Krek.

(3) إن هذا الاستشهاد هو من أكمل نسخة من قصة كيمونز، التي جمعها تاجر التواقيع مارك فارداكيس من محادثاته مع كيمونز. وبالإضافة إلى العبارات المكتوبة بخط يد نيكسون، فإنها متوفرة في متحف فوربز بنيويورك. وقد دفع فارداكيس مئة دولار لكيمونز ثمناً لتلك العبارات، وباعها بخمسمئة دولار لتاجر آخر هو بول ريتشاردز الذي باعها بدوره لمتحف فوربز بخمسة وعشرين ألف دولار. (مقابلات مع مارك فارداكيس، وغابرييل كيمونز (زوجة كيمونز الثانية)، وجيرارد ستودولسكي، زميل المرحوم بول ريتشاردز).

أبريل إلى 3 مِئهُ، فيما قال عنه في حينه أنه «رحلة عمل خاصة» لبيبسي كولا عبر قارة آسيا. والواقع ـ كما اعترف في مذكراته فيما بعد ـ أنها كانت رحلة سياسية لتقصّي الحقائق. وكانت واحدة من عدة رحلات قام بها وهو خارج المنصب. ولكن، هل هناك أي صحة في الرواية عن الأسرى الأمريكيين، والفيتكونغ، وقضبان الذهب؟

لقد قال مارك فارداكيس، تاجر التواقيع الذي اشترى قصاصة ورق كيمونز الحاملة توقيع نيكسون، إنه قد حاول مراراً ـ عن طريق مكتب نيكسون ـ أن يجعله يؤكد القصة أو ينفيها. ففي الماضي، وحول قضية أخرى، كان نيكسون قد بذل مساعدته لفارداكيس. أما في هذه المرة، فإن مكالماته الهاتفية ورسائله ظلت بلا جواب. وأخبر فارداكيس المؤلف: «لقد عوملت بجفاء، فلم أحصل على أي تعاون على الإطلاق».

وفي سنة 1985، عندما حصلت مجموعة فوربْسْ على قصاصة المذكرة لمجموعتها من التواقيع الرئاسية، ظهرت قصة عن الحادثة المزعومة في **النيويورك تايمز**. وبدوره، لم يلقَ مراسل **التايمز** أي مساعدة عندما اتصل بمكتب نيكسون. وفي آخر الأمر سُئِلَ نيكسون نفسُهُ عن القضية، وجاء السؤال من المؤرخ هربرت بارميت. فأجاب نيكسون على أسئلة خطية مقدمةٍ إليه سلفاً، فردّ أولاً بما يناقض تأكيداته نفسها في ذلك الحين قائلاً: «إن الرحلة كانت سياسية محضة. إذ أنني لم أذهب أبداً في رحلة إلى فيتنام لأغراض تجارية». ثم عندما ضُغِطَ عليه بإلحاح حول المزاعم المحددة ذاتها قال: «إنها لقصة رائعة، ولكنها مزورة كليّاً. . . وقد سمعتُ بها».[4]

ولم يكن بارميت واثقاً أي الروايات يصدّق. فذكّر المؤلف: «تذكر أن

(4) رداً على استفسار خطّي مكتوب من المؤلف مرفق بتقرير **النيويورك تايمز** حول هذه القضية، قامت مكتبة نيكسون بإخبار المؤلف سنة 1998 أنه ليس هناك «تأكيد لذلك التقرير في الملفات المتوفرة هنا». (موظفة المحفوظات سوزان نولتي في رسالة إلى المؤلف مؤرَّخة في 2 شباط / فبراير 1998).

نيكسون كان أستاذاً يتقن فن الخداع. . . . فكل شيء ينبغي التعامل معه بحذر».

إن نظرة موضوعية فاحصة باردة تفشل في تكذيب قصة ذلك الملاح. فعندما كان نيكسون في فيتنام سنة 1964، كان يتنقل بطائرة مروحية ـ وكان في موكبه خمس مروحيات ثقيلة التسليح ـ لزيارة قرى محيطة بسايغون.[5] ولم تكن هي المواقع التي سماها كيمونز. ولكن ليس في السجلات المتاحة ما يستبعد إمكانية عقده الاجتماعات أو اللقاءات السرية التي يزعمها كيمونز.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن هناك أدلة على نزاع بين دبلوماسيين أمريكيين وضباط عسكريين حول رحلة نيكسون في ذلك اليوم. فهناك مذكرة إلى مجلس الأمن القومي كتبت بعد ذلك بوقت قصير، تشير إلى «واقعة نيكسون والمروحيات السيئة الحظ». وفي هذه المذكرة، التي نشرتها وزارة الخارجية سنة 1992، حاشية تذكر أن نائب قائد القوات الأمريكية في فيتنام آنذاك، الجنرال وليام ويستمورلاند «رافق نيكسون. . . في استخدام يبدو أنه غير مرخّص به للطائرات المروحية».

وتشير سجلات أخرى إلى أن هنري كابوت لودج، السفير الأمريكي في فيتنام الجنوبية، وشريك نيكسون المرشح كنائب له في الانتخابات الرئاسية سنة 1960، قد طلب من أحد كبار المساعدين أن «يبقي عينه مفتوحة» على نيكسون أثناء الزيارة. فأمر المساعد مايك دَنْ: «إصعد معه في المروحية. لا أريده أن يبقى وحده مع أي شخص آخر أبداً، إلاّ وأنت موجود هناك لتسمع ما يقال له وما يقوله هو». وقد نُقِلَ عن دَنْ، الذي فشل في الانضمام إلى المجموعة في

(5) زار نيكسون قريتين في دلتا نهر الميكونغ بالقرب من سايغون، هما تَانْ آنْهْ وفوُ مَايْ (التي يجب عدم الخلط بينها وبين فوماي التي تبعد عن العاصمة أميالاً كثيرة). (**لوس أنجيلوس تايمز**، عدد 3 نيسان / إبريل، 1964؛ **وباسيفيك ستارز آند سترايبس**، عدد 5 نيسان / إبريل، 1964).

الطائرة المروحية قوله إن ويستمورلاند هو الذي أبعده[6]. ولم نستطع أن نحلّ معضلة سبب انفصاله عن مجموعة نيكسون حلاً كاملاً على الإطلاق.

إن المذكرات والملاحظات التي كتبها الرائد بول شريك، أحد الضابطين اللذين سماهما كيمونز مِمّن أصدر التعليمات إلى ملاحي المروحيات، توضح أنه قاد طائرة نيكسون فعلاً. غير أنها لا تشير إلى العملية السرية التي وصفها كيمونز. ولم يكن بالإمكان إجراء مقابلة مع شريك؛ ومثل كيمونز، توفي في أوائل تسعينيات القرن العشرين. غير أن الضابط الآخر المسمى، وهو المقدم جون هيوز، كان حياً ما يزال، فقدم معلومات تثير الفضول.

فقد استذكر قائد الكتيبة أنه التقى بنيكسون وتنقل به في جولة متعددة المواقف، هي «الجزء الظاهر من الرحلة».[7] وقال هيوز إنه كلف «أفضل

(6) ليس واضحاً ما الذي جرى بالضبط عندما حاول دَنْ أن يصعد إلى الطائرة المروحية مع نيكسون في 2 نيسان / إبريل. ودَنْ مقدمٌ ليست في خدمته أية شائبة، ومع ذلك اتهم فيما بعد بأنه أخبر لودج «بقصد الخداع» أن ويستمورلاند هو الذي منعه من الانضمام إلى فريق نيكسون. وقد برّأه المفتش العام للجيش من هذه التهمة ومن تهمة أخرى لا علاقة له بها. وتشير مذكرات ويستمورلاند والمراسلة مع دَنْ أن لودج قد منع قيادة الجيش من نقل صحافيين بالطائرات المروحية لتغطية زيارة نيكسون العلنية إلى القريتين. ومن الواضح أنه كانت هناك خلافات خطيرة بين الموظفين الأمريكيين وكبار قادة الجيش آنذاك. (الاتهامات ضد دَنْ: لودج إلى دَنْ، ونصيحة إلى دَنْ حول حقوقه بموجب المادة 31 ب؛ ولودج إلى الجنرال هارولد جونسون، في 2 تموز / يوليو، ولودج إلى دَنْ، في 2 تموز / يوليو، ودَنْ إلى لودج، في 16 كانون الأول / ديسمبر، 1964، ورسالة العقيد فيكتور بومان إلى لودج، بلا تاريخ، والجنرال جونسون إلى لودج في 26 شباط / فبراير، ولودج إلى الجنرال جونسون، في 10 آذار / مارس، ولودج إلى دَنْ، في 30 تشرين الثاني / نوفمبر، 1965؛ زالين غرانت: **في مواجهة العنقاء**، طبع نيويورك: نورتون، 1991، ص 213؛ ومقابلات مع ماري دَنْ [أرملته] وآلان دَنْ [ولده] وتاريخ شفوي لمقابلة مع جون مايكل دَنْ، مكتبة ليندون بينز جونسون الرئاسية؛ والشجار حول الصحافة: أوراق هنري كابوت لودج، جمعية ماساشوسيتس التاريخية؛ ولیام ویستمورلاند **جندي يقدم تقريره**، طبع غاردن سيتي، نيويورك: دابلداي Doubleday، 1976، ص 67؛ الخلافات، المصدر نفسه، ص 67 وما يليها؛ كارناو، مصدر سبق ذكره، ص 341).

(7) استذكر هيوز أنه ألصق على معطفه زرّاً قديماً من سنة 1960 عليه شارة نيكسون ـ لودج من أيام حملتهما الانتخابية تصادف أن كان معه في فيتنام. وراح ينكّت عليه مع نيكسون، كما استذكر الربان بول شريك في مفكراته حول تلك الواقعة أيضاً (مقابلة مع جون هيوز، ومسودة رواية بول شريك، التي قدمها ابنه تيري).

رجاله» بالمهمة، وكان من بينهم كيمونز الذي عمل إمّا كرئيس للملاحين، أو مشغّل للبندقية التي على الباب. ولم تكن لديه معرفة مباشرة بالقصة التي حكاها كيمونز ـ عن اللقاء مع الفيتكونغ وافتداء الأسرى ـ ولكنه يدرك أن جزءاً من المهمة كان عمليةً سرّيّة.

قال هيوز بحذر: «تلك عملية كان يديرها ذوو القبعات الخضر. وكل ما أعرفه عنه هو أن ذوي القبعات الخضر أخذوا نيكسون في مهمة. . . . وكان ذلك كله سراً مكتوماً لم يكن لي إليه سبيل. لقد عرفت أنه كان يخرج من أجل شيء غير عادي. . . . ولم أهتم بفكرة قيامه بذلك. وقد خرج منها حياً. ولم يُصَبْ أحد بالرصاص. فلم تكن هناك ثقوب في الطائرة. لقد كانت تحركاتي قريبة من ذوي القبعات الخضر المشهورين ـ والمعروفين باسمهم الرسمي «القوات الخاصة التابعة للجيش الأمريكي» ـ المنتشرين بقوة في أنحاء فيتنام الجنوبية عند قيام نيكسون بزيارته، وكان لهم معسكران قرب حدود كمبوديا في المنطقة التي جرى فيها تبادل الأسرى الذي وصفه كيمونز. وكانوا يعملون مع قوات أخرى في ذلك العام(1964) تحت مظلة مجموعة العمليات الخاصة، التي كان البنتاغون مرجعها المباشر. وكان هناك برنامج جديد من المهمات السرية وافق عليه الرئيس جونسون قبل ذلك بشهرين، ينطوي على ما وُصِفَ بِلُغةٍ مهذبة بأنه «مشاريع تدميرية»؛ باستخدام مرتزقة فيتناميين وصينيّين لشن غارات كوماندوز فدائية صاعقة في كمبوديا، وفيتنام الشمالية، ولاوس.[8]

---

(8) إن OPLAN - 34 A، التي أصدرها وزير الدفاع روبرت مكنمارا في كانون الأول / ديسمبر 1963 قد أدّت إلى نمو أكبر وحدة عسكرية سرية منذ مكتب الخدمات الاستراتيجية أثناء الحرب العالمية الثانية. فراحت تعمل باسم مجموعة العمليات الخاصة، أي SOG، وهي تسمية مركبة من الأحرف الأولى من عبارة Special Operations Group؛ وهو اختصار تم الاحتفاظ به لأسبابٍ أمنية عندما تغيَّر اسمها إلى مجموعة الدراسات والملاحظات Studies and Observations Group (بلاستر، مصدر سبق ذكره، ص 23).

وكان الجنرال ويستمورلاند، الذي رافق نيكسون في جزء من جولته على الأقل، واحداً من حفنة من كبار الضباط، غير التابعين لمجموعة العمليات الخاصة، الذين اطلعوا على تلك العمليات. أما الوسيط، الذي تذكّره كيمونز باسم الأب وا، فيكاد يكون من المؤكد أنه إشارة إلى ضابط - قسيس مسلح ببندقية واسمه نغويين لاوهوا، المشهور بتنظيمه المقاومة ضد الفيتكونغ تحت رعاية إدوارد لانسديل، الموظف الأسطوري لوكالة المخابرات المركزية، والذي كان من روّاد العمليات السرية في جنوب شرق آسيا. وكان لانسديل على علاقة شخصية حميمة وثيقة بنيكسون.

ولقد كشف البحث كذلك أمراً صادراً إلى القوات الأمريكية الخاصة، مؤرخاً في يوم وصول نيكسون، يأمر وحداتها «بوقف أنشطتها في نطاق خمسة كيلومترات من الحدود الفيتناميّة - الكمبودية». وكان الأمر صادراً عن «اللواء/ رئيس وزراء جمهورية فيتنام». وهو رئيس وزراء فيتنام الجنوبية، اللواء نغويين خانْ. وقد التقى خانْ ووزير خارجيته بنيكسون على العشاء أثناء زيارته. فهل أُمِرَت القوات الخاصة بتجنب القتال لإبقاء نائب الرئيس الأمريكي السابق بعيداً عن الأذى - بالقدر المستطاع - أثناء تفاوض سرّي؟

وفي تلك الأيام المبكرة من الحرب، فُقِدَ بعضُ الموظفين الأمريكيين فعلاً. ومع ذلك فإن السجلات الحكومية، التي تعرضت لتدقيق شديد في تسعينيات القرن العشرين، بسبب الإدعاءات بوجود أسرى أحياء باقين في أيدي العدوّ، لا تعكس أي تبادل أو أفتداء للأسرى في سنة 1964.[9] ولذا فإن رئيس

(9) حسب سجلات وزارة الدفاع، فُقِد اثنان وستون أمريكياً في جنوب شرقي آسيا من سنة 1961 إلى نيسان / إبريل 1964. وقد عاد بعضهم أحياء عبر السنوات، واستعيدت بعض الجثث. ولا تشير السجلات المطبوعة إلى تسليم أسرى فيما بين كانون الثاني / يناير، وأيار / مايو 1964. وقد أدرج اسم رجل خرج حيّاً على أنه «هارب». (الوثيقة المرجعية لمكتب أسرى الحرب والمفقودين في المعارك، التابع لوزارة الدفاع، **الموظفون الأمريكيون المفقودون في جنوب شرق آسيا**، آذار / مارس 1998).

التحليل في مكتب وكالة مخابرات الدفاع بخصوص قضايا أسرى الحرب / المفقودين أثناء العمليات، سيجويك طوريسون، قد استنتج في سنة 1999 أن رواية كيمونز كانت خيالية بعيدة عن الواقع.

فكيف يمكن إذن تفسير المكونات الكثيرة للواقعة، والتي تتمشى مع إدعاءات كيمونز؟ وهل كان كيمونز سيسمّي الرائد شْرِيكْ وقائده السابق، المقدم هيوز، اللذين كانا على قيد الحياة عندما أدلى كيمونز بادعاءاته، لو علم أن من المحتمل أن يكذباه ويتحديا قصته؟ ولماذا أقرّ المقدم هيوز، في المقابلة التي أجريت معه من أجل هذا الكتاب، بأن ذوي القبعات الخضر قد أخذوا نيكسون فعلاً في مهمة «سرّية»؟

في وقت زيارة نيكسون سنة 1964، كانت فيتنام ما تزال حرباً صغيرة في بلد ناءٍ، بعيدة عن الاهتمامات اليومية في الولايات المتحدة. وتلك السنة مات 146 أمريكياً هناك، وأصيب 1039 بجراح. وبعد أربع سنوات، عندما كان معدل عدد القتلى الأمريكيين في سنة 1967 قد وصل إلى ألف قتيل في الشهر، آخذين في التزايد، صارت فيتنام هي القضية الأساسية في الانتخابات الرئاسية.

وبالنسبة لنيكسون، الذي كان من المؤكد تقريباً أنه يواجه فرصته الأخيرة للوصول إلى البيت الأبيض، أثارت تلك الأزمة الوطنية سؤالاً صعباً: فباعتباره المرشح الذي يقدم نفسه خبيراً في القضايا الخارجية، وصاحب خبرة قديمة من رحلات إلى جنوب شرق آسيا أكثر من أي سياسي آخر، ما هي السياسة المقنِعة التي يمكن أن يقدمها للأمة بشأن فيتنام؟

كان نيكسون مؤيداً دائماً للخطّ الذي اتبعه الزعماء الأمريكيون منذ ترومان وحتى جونسون، وهو أن تأييد نظام فيتنام الجنوبية تبرره الفكرة القائلة بأن انهياره سيتبعه استيلاء الشيوعيين على المنطقة بكاملها. وقبل ذلك بأربع عشرة سنة كان نيكسون من أوائل الذين حثوا الحكومة «على المجازفة الآن بإرسال

الجنود الأمريكيين إلى هناك». بل كان في ذلك الوقت مستعداً لاستخدام أسلحة نووية في فيتنام(*).

وحتى سنة 1992، ظل نيكسون يعتقد أن الرئيس كيندي كان على حق في إرسال ستة عشر ألف «مستشار»، مع دعم جوي وبحري، مما شكّل الخطوة الأولى إلى داخل ذلك المستنقع الموحل[10]. وكان نيكسون آنذاك يحث على

(*) انظر ص 348.

(10) رغم احتمال موافقة نيكسون سراً على قرار كيندي بإرسال مستشارين إلى فيتنام، فإنه قد بذل كل ما في وسعه وهو رئيس لإلقاء اللوم على كيندي في تورط الولايات المتحدة في فيتنام. ففي أيلول / سبتمبر 1971 قال في مؤتمر صحافي «إن الطريقة التي دخلنا بها فيتنام كانت من خلال إسقاط دييم وتواطئنا في اغتيال دييم». ويبيّن شريط مسجّل في البيت الأبيض أفرج عنه حديثاً أنه قال لبيلي غراهام إن كيندي «كان البادئ في هذا الأمر اللعين بكامله. فقد قتل دييم وأرسل أول ستة عشر ألف جندي مقاتل إلى هناك بنفسه... أترى يا بيلي، إن الشيء الهام هنا هو موافقة كيندي، - ويتعين عليَّ أن أقول أيضاً - موافقة صديقنا لودج، على اغتيال دييم... فذلك هو الذي فتح علينا هذا الباب اللعين».
كانت تعليقات نيكسون نموذجية في كشفها عن حقده الدفين على آل كيندي، ولكنها شوّهت الحقائق. وكان الرئيس نغو دينْهْ دييم، الذي جاءت به إلى السلطة مناورات وكالة المخابرات المركزية في سنة 1954، يلقى دعماً من إدارة آيزنهاور، التي أرسلت إليه أول سبعمئة مستشار. أما إدارة كيندي فقد دعمت دييم أيضاً في بادئ الأمر. غير أن المستشارين العسكريين الستة عشر ألفاً لم يكونوا جنوداً مقاتلين. ولم يكن قد مات منهم سوى 195 فرداً بحلول سنة 1963. فلم يتم نشر قوات مقاتلة حتى سنة 1965. ويشير ثقل الأدلة الراجح كما هو منعكس في معظم تصريحات كيندي العلنية حول الموضوع إلى أنه كان يرغب في تجنب المزيد من التورط الأمريكي، وإعادة المستشارين إلى بلدهم. وفي خريف سنة 1963، مع انزلاق فيتنام إلى حمأة الفوضى، وفقدان المستبد دييم لزمام السيطرة، استنتج مساعدو كيندي أن الولايات المتحدة لم تعد قادرة على العمل معه. وقد تواطأ الرئيس كيندي والسفير هنري كابوت لودج فعلاً مع الجنرالات الذين أطاحوا به في 2 تشرين الثاني / نوفمبر، 1963. وقد اعترف كيندي بصوته المسجل بقصد تدوين مذكراته على شريط أفرج عنه سنة 1999: «إن علينا أن نتحمّل جزءاً كبيراً من المسؤولية». وشجب الطريقة التي تعامل وزملاؤه بها مع الاتصالات الأخيرة مع سايغون. ولكن ليس هناك دليل على أن كيندي قد وافق أو شجّع على **اغتيال** دييم وأخيه، اللذين سبّب خبر مصرعهما له صدمةً وفزعاً.
وقد أغضب خبر الانقلاب نيكسون، الذي كان جون ريتشاردسون، زميله من كلية ويتيير، مديراً لمحطة وكالة المخابرات المركزية في سايغون في ذلك الحين. وفي أيلول / سبتمبر 1971، بعد أيام فقط من انفجار الموضوع المذكور أعلاه، كان تشارلس كولسون، صديق نيكسون المقرَّب، والموثوق، قد بدأ يحاول أن يجعل مجلة **لايف** تنشر قصة اغتيال دييم. ولم تكن المجلة مقتنعة بالأدلة بشكل كافٍ أبداً كي تفعل ذلك. ولكن مراسلها قد عُرِضَت عليه «برقيات» تشير إلى أن كيندي أعطى الأوامر برفض =

وجوب تخصيص الولايات المتحدة كل الموارد الممكنة لتحقيق النصر. وفي تلك الأيام الحماسية، قبل أن تبدأ الإصابات والضحايا في التصاعد، لم يكن وحيداً. فقد كان روبرت كينيدي أيضاً واثقاً بأن بلده «سوف ينتصر».

وفي سنة 1964، بعد الرحلة إلى فيتنام التي زُعِمَ أن نيكسون تفاوض فيها

= قبول لجوء دييم، مما ختم على مصيره من الناحية العملية. ولم تكن تلك البرقيات في حقيقتها إلاّ تزويرات لفقها مستشار البيت الأبيض هوارد هانت، الذي صار بعد ذلك واحداً من مقتحمي بناية ووترغيت. وزعم نيكسون فيما بعد أنه لم يكن يعرف شيئاً أبداً عن محاولة التزوير. ولكن شريطاً مسجلاً في البيت الأبيض أفرج عنه حديثاً يبين أن إيرليكمان لم يكن متفقاً مع ذلك الزعم. فقد قال لنيكسون: «إن ما أتذكره هو أن هذا الموضوع قد نوقش معك جيداً». («الطريقة التي دخلنا بها إلى فيتنام»: شليسينغر، **الرئاسة الإمبراطورية**، مصدر سبق ذكره، ص 262، نقلاً عن **النيويورك تايمز**، عدد 17 أيلول / سبتمبر 1971؛ «بدأ هذا الأمر اللعين بكامله»: **الواشنطن بوست**، عدد 27 كانون الأول / ديسمبر، 1998، نقلاً عن شريط البيت الأبيض المسجل في 8 آذار / مارس، 1971؛ مناورات وكالة المخابرات المركزية: شيهان، مصدر سبق ذكره، ص 134؛ دعم آيزنهاور: المصدر نفسه، وكارنو: مصدر سبق ذكره، ص 235؛ وجون نيومان: **جون كينيدي وفيتنام**، طبع نيويورك: وارنر، 1992؛ المستشارون: مانشيستر، مصدر سبق ذكره، ص 918، ولكن انظر كارنو، ص 267؛ القتلى الـ 195: إحصائيات وزارة الدفاع، أرشيف المحفوظات الوطنية؛ الجنود المقاتلون: كارنو، مصدر سبق ذكره، ص 431 [كانوا كتيبتين من رجال البحرية، نشرتا لحماية مطار دانانغ]؛ نوايا كينيدي: نيومان، مصدر سبق ذكره؛ روبرت ماكنمارا مع برايان فان دي مارك في كتاب **التأمل في الماضي**، طبع نيويورك: تايمز بوكس، 1995، ص 86؛ مساعدو كينيدي، الانقلاب: المصدر نفسه، ص 41 وما يليها؛ وايز، **سياسة الكذب**، مصدر سبق ذكره، ص 175 وما يليها؛ بول، مصدر سبق ذكره، ص 370؛ هنري كابوت لودج، **للإعصار عيون كثيرة**، طبع نيويورك: و. و. نورتون، 1973، ص 208 وما يليها، وانظر على وجه الخصوص رواية جديدة عند غرانت، مصدر سبق ذكره، ص 191؛ اعتراف كينيدي: **سان فرانسيسكو إكزامينر**، عدد 28 تشرين الثاني / نوفمبر 1998؛ مذكرات جون فيتزجيرالد كينيدي، المفكرة المسجلة في يوم 4 تشرين الثاني / نوفمبر 1963؛ الكاسيت م ـ الوجه الثاني، التسجيلات الرئاسية، مكتبة جون كينيدي؛ فزع كينيدي: المصدر نفسه؛ مكنمارا وفان دي مارك، مصدر سبق ذكره، ص 84؛ كارنو، ص 326؛ ريتشاردسون: برادوس، مصدر سبق ذكره، ص 246؛ غضب ريتشارد نيكسون: ملحق برسالة ريتشارد نيكسون إلى دوايت آيزنهاور، 5 تشرين الثاني / نوفمبر، 1963؛ سلسلة الأسماء الخاصة لفترة ما بعد الرئاسة، الحقل 14,DDEL؛ مجلة **ريدرز دايجست**، عدد آب / أغسطس، 1964؛ ستيفن آمبروز: **انتصار سياسي**، ص 30 وما يليها؛ كولسون، **لايف**: التقرير النهائي للجنة مجلس الشيوخ المنتقاة للتحقيق في أنشطة الحملات الرئاسية، ص 125 وما يليها، والمجلد التاسع، ص 3672؛ **الواشنطن بوست**، عدد 19 تموز / يوليو، 1974؛ أصرّ نيكسون: 8 أيار / مايو 1973؛ ستانلي كتلر: **إساءة استخدام السلطة**، ص 416، وانظر مذكرات ريتشارد نيكسون، ص 844؛ إيرليكمان لم يوافق: شريط البيت الأبيض المسجل في يوم 28 نيسان / إبريل 1973، **إساءة استخدام السلطة**، ص 371).

على إطلاق سراح أسرى أمريكيين، راح ينادي بوجوب «عدم الحصول على أي شيء أقل من النصر». وعندما تصاعدت أعداد القتلى الأمريكيين إلى المئات، راح يتهم إدارة جونسون بأنها«تنقصها إرادة الانتصار. . .الانتصار لأمريكا ولشعوب جنوبي شرقي آسيا».

وبحلول سنة 1965، كانت واشنطن قد زجّت في المعمعة بمئتي ألف جندي، بمن فيهم قوات مقاتلة للمرة الأولى، واضطلعت بأول ضرب استراتيجي بالقنابل لفيتنام الشمالية. وراح نيكسون ينادي «بالنصر على المعتدين»، مجادلاً بأنه لا يمكن سحب القوات الأمريكية حتى يصبح الجنوب قادراً على الدفاع عن نفسه. وأخذ يزعم «أننا قد انتصرنا فعلاً» على الجبهة العقائدية. وعارض الحديث عن تسوية بالتفاوض، مصرّاً مرة أخرى على أنه «لا بديل للنصر».

وفي سنة 1966، مع اتساع مستويات التورط إلى أربعمئة ألف، وفشل القصف المتزايد في تحقيق الأثر المنشود، راحت الشكوك تنتاب وزير الدفاع، روبرت مكنمارا، بشأن استراتيجية الحكومة، فنصح جونسون «بتخفيض مستوى التورط العسكري على المدى البعيد، مع الضغط من أجل إجراء محادثات». وشرع الرئيس ديغول، الذي كان نيكسون معجباً به كثيراً، يدعو إلى الانسحاب الأمريكي، كما حث نيكسون على ذلك بشكل سري خاص في ذلك الحين، وفيما بعد.

أما القطب الثري إلمر بوبست، المقرب من نيكسون على نحو حميم إلى درجة إن ابنتي نيكسون كانتا تسميانه «العم إلمر» فقد كان يرى في الحرب «كارثة لا يخفف منها شيء». وقد كتب إلى نيكسون: «يجب أن نوقف هذه الحرب، إذْ لا فائدة من الاستمرار في تقتيل وتقطيع أوصال ألوف من البشر الذين لهم الحق في الحياة. إن علينا أن نواجه العالم والقول إنه لأسباب إنسانية

فقط، فإننا نرغب في إنهاء هذه الحرب التي لا تتعرف على إله، وبدون أن نضطر إلى دسّ مئات أخرى من الفيتناميين في أحشاء الأرض».

وفي تلك السنة، بينما كان نيكسون مقيماً عند بوبست، قال لـ «لين غارمنت» إنه «مدفوع بمثالية أمه المسالمة». غير أنه في رحلة أخرى إلى فيتنام، دعا إلى عدم الاقتصار على إرسال عددٍ هامشيّ [من القوات]. . . بل إلى إرسال ما هو أكثر من الكفاية. . . » وبَدَا أنه يتأرجح بين سياسة وأخرى، فيدعو ذات يوم إلى زيادة عدد القوات، ويحذر في يوم آخر من «الانزلاق من المنصة إلى لجة البحر» بإرسال عدد أكثر من اللازم. وكرر نيكسون قوله إن الصراع الفيتنامي سوف يذكر في التاريخ على أنه «الحرب التي تعيّن خوضها لمنع الحرب العالمية الثالثة».

وفي سنة 1967، الذي سبق سنة الانتخابات، قُتِلَ في الحرب أكثر من أحد عشر ألف أمريكي، مع عدد من المقاتلين الفيتناميين قدر بمئة ألف. كما قتل أو جرح نحو خمسين ألف مدنيّ. وقدر للقوات الأمريكية أن يرتفع عددها حتى يقرب من نصف مليون قبل نهاية تلك السنة.

وعند هذه النقطة، قرر وزير الدفاع مكنمارا أن «التصعيد يهدد بجعل دوامة الحرب تدور بطريقة خارجة عن السيطرة». فقال لجونسون إن الجهود الأمريكية قد آذت الشيوعيين، ولكنهم لا يزالون قادرين على الإبقاء على وتيرة هجماتهم. فلم تظهر على العدو أية علامة تدل على انهياره تحت ضغط القصف. واقترح مكنمارا السيطرة على العسكريين ولجمهم واعتماد موقف أكثر مرونة للمساومة. وفي الوقت نفسه، فإن ريتشارد هيلمز، مدير وكالة المخابرات المركزية، قال لجونسون إن مخاطر القبول بالفشل في فيتنام «ربما تكون محدودة وقابلة للسيطرة أكثر مما أشارت به معظم الحجج السابقة».

وبالإضافة إلى ذلك، أبلغ مكنمارا بأن «الحرب الأخرى»، أي الصراع لكسب قلوب السكان الفيتناميين وعقولهم، كانت تسير على نحو سيئ كذلك.

فقد كان الفساد متفشياً. وكان السكان بلا تعاطف. ولم تكن مثل هذه الهموم لتزعج نيكسون أو تضايقه. وفي زيارة أخرى إلى سايغون في تلك السنة، ردّ بتهكم وصلافة عندما طلب مسؤول أمريكي مساعدته في تشجيع إجراء انتخابات حقيقية أصيلة في فيتنام الجنوبية. فقال: «آه، بالتأكيد، وبشرف، نعم، بنزاهة، **ما دمت أنت ستفوز**».

ثم غمز بعينه وضرب على ركبته.

وعلى عكس ماكنمارا وآخرين في واشنطن، ظل نيكسون مسرفاً في تفاؤله العاطفي حول نتيجة الحرب، فأعلن: «يمكن القول الآن إن دحر القوات الشيوعية في فيتنام الجنوبية أمر محتوم. والسؤال الوحيد هو متى يتم ذلك؟» وعندما ضربت القاذفات الأمريكية أهدافاً داخل المنطقة العازلة على الحدود الصينية، وهي منطقة كانت في السابق خارج حدود الحرب، قال نيكسون إن الوقت مناسب لممارسة «ضغوط كثيفة». وقال مكنمارا لجونسون: «إن معظم الأمريكيين لا يعرفون كيف وصلنا إلى ما نحن فيه... فالجميع يريدون أن تنتهي الحرب ويتوقعون من رئيسهم أن ينهيها، وإلاّ». وفي الداخل، كانت الاحتجاجات الشعبية الحاشدة قد بدأت على نحو جادّ ـ فقد تظاهر عشرون ألفاً وزحفوا على البنتاغون [مبنى وزارة الدفاع الخماسيّ الأضلاع] في خريف سنة 1967. وكان نيكسون قد دعا إلى وضع حدود تقيد الاحتجاج، وأيّد الدعوة إلى طرد أستاذ قال إنه يرحب بانتصار شيوعي. وبحلول ذلك الوقت، كان حتى الجمهوريون المتطرفون ذوو الميول الصقريّة مسكونين بهواجس وشكوك حول النزاع.

ولم يكن أي سياسي قادراً على أن يتجاهل بسلام مثل هذا التنامي السريع للرأي العام في صفوف الشعب. وقد استمع نيكسون في أيلول/سبتمبر 1967، عندما نصحه كاتب الخطب ريتشارد والين بأن لا يزور فيتنام مرة أخرى، إذا

كان كل ماسيفعله هو العودة كي يستمر في رفع صوته تأييداً للحرب. فألغى نيكسون زيارته. وقال لوالين: «إن المرونة هي أول مبادئ السياسة».

ومنذ ذلك الحين فصاعداً حتى وقت الانتخابات، لم يصبح نيكسون مرناً بشأن فيتنام بقدر ما أصبح مُعْتِماً، غامضاً. وفي اجتماع سري مع والين، راح يفكر بطرق تجعل نبرة صوته عن الحرب تبدو مختلفة عن نبرة جونسون. فاعتقد أنه يجب عليه التوقف عن الحديث حول البحث عن «نهاية مشرفة للحرب». فصرخ: «ما الذي يعنيه ذلك بحق الجحيم؟» ومع ذلك فقد قدر لشعار «السلام مع الشرف» أن يصبح في آخر الأمر هو موضوع نيكسون الطويل الأجل. وبعد ذلك بأكثر من خمس سنوات، بينما هو رئيس، سيزعم أنه حقق ذلك الهدف بالذات.

وقال نيكسون لوالين، سرّاً، إنه لو كان في البيت الأبيض لهدّد فيتنام الشمالية بالأسلحة النووية. غير أنه في تلك الأثناء طلب من كاتب خطبه أن ينتج شيئاً فيه «نغمة متفائلة، تجعل الآمال ترتفع» وبلغة تشير إلى المرونة. وهكذا أنتج والين وزميله راي برايس مسودّة بعد مسودّة. وعندما سلّم والين مذكرة تشير إلى أن الحرب كانت «فشلاً ذريعاً» وأن الأمة كانت «حبيسة غلطة هائلة»، لم يردّ نيكسون على هذا.

وبدلاً من ذلك، راح يدعو في العلن مرة أخرى بأساليب أخشن وأقسى ضد فيتنام الشمالية «حفاظاً على مصلحتنا القومية» ووصف آخر هجوم شيوعي، هجوم رأس السنة القمرية في التقويم الفيتنامي بأنه «جهد يمثل آخر سهم في جعبتهم». وعاد إلى إثارة احتمال أن يؤدي النزاع الفيتنامي إلى الحرب العالمية الثالثة. ثم اتخذ موقفاً أفزع الجميع، بمن فيهم موظفوه.

وهكذا أعلن نيكسون لمستمعيه في آذار/مارس 1968 أنه: «إذا لم تنتهِ هذه الحرب في تشرين الثاني/نوفمبر فإنني أقول إن للشعب الأمريكي مبرراً

لانتخاب قيادة جديدة. وإنني اتعهد أن تنهي تلك القيادة الجديدة الحرب وتفوز بالسلام في المحيط الهادي». وقد كتب كاتب الخطب والين فيما بعد أنه «لم يكن وراء ذلك التعهد شيء سوى غريزة نيكسون ببذل جهد إضافي لتسويق نفسه. . .».

واستذكر ديفيد هالبرستام، العامل في **النيويورك تايمز**، أن نيكسون قد استخدم هذه الخدعة مراراً «وهو يلمس جيب صدره وكأن الخطة موجودة هناك في سترته بالضبط، موحياً بإنه إذا قال ما فيها فقد يعرض سِرِّيَّتَهَا للخطر. وكما قال نيل شيهان، زميل هالبرستام، فإن نيكسون قد أعطى عامة الناس انطباعاً بأن لديه مثل تلك الخطة، وكان ذلك هو المهم.[11]

ولفترة بعد خطبة «التعهد»، بدا لمساعديه أنه على وشك قول شيءٍ ذي معنىً عن فيتنام. وقد أسند نيكسون قدميه إلى طاولة في مقر قيادة الحملة، وأخبر والين أنه سيبدأ بالحديث بشكل مادي ملموس عن «هذه الحرب الغبية». وقال إنه من الحيوي تقييد الصين وإقناع السوفييت ـ الذين كانوا مع الصين يزودون فيتنام الشمالية بالأسلحة ـ بأن اندحاراً أمريكياً سوف يشجع بيجينغ ويزيد في مخاطر وقوع مجابهة بين القوى العظمى.

وبينما كانت مسودة خطاب نيكسوني تصاغ حسب هذه الخطوط والتوجهات، غيّر الرئيس جونسون المشهد السياسي، فقد أعلن مبادرة سلام على شكل وقف موقت للغارات، وأذهل الجميع تقريباً بقوله إنه لن يرشح نفسه ليعاد انتخابه لفترة رئاسية أخرى. وألغى نيكسون خطابه موضحاً أنه سيمتنع عن التعليق على الحرب أثناء استمرار وجود آمال في حدوث اختراق سلمي.

---

(11) لقد أبدى نيكسون بالفعل الملاحظة التي فيها «تعهد» أمام جمهور من المستمعين في نيوهامبشاير. وتشير مذكرةٌ في ملفات اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري إلى أنه قد قال لأحد المراسلين الصحافيين: «لديَّ خطة لإنهاء الحرب». أما الزعم بأنه قال إن لديه خطة «سرّيّة»، فالظاهر أنه صرَّح بها في تقرير لوكالة يونايتد بريس أنترناشنال خرج من بوسطن (انظر التحليل في كتاب بارميت، **نيكسون**، مصدر سبق ذكره، ص 506 وما يليها).

وأسقط في يد والين وهبطت روحه المعنوية، إذْ استنتج أنه بالنسبة لفيتنام، كما لقضايا أخرى كثيرة، فإن رئيسه لا يوجهه اعتقاده واقتناعه بقدر ما توجهه غريزة البقاء في الوسط، «أي التقسيم العملي الانتهازي للفروق على طول خط مرسوم في وسط الناخبين.

. . . كان هدف نيكسون هو العثور على الأرضية الوسطى الأقل تعرضاً للهجوم كي يثبت موقفه فيها».

غير أن انسحاب نيكسون إلى الصمت الذي لاذ به كي يبدو كأنه تأييد وطني للرئيس، بدا لوالين أنه ليس أكثر من «ضربة سياسية منفذة بألمعية، وتَخَليّاً ساخراً عن الالتزام الأخلاقي لرئيس مقبل كان يتعين عليه أن يعرّف الشعبَ على آرائه. ولكن السياسة لا تفرض عقوبات على المناورات التي تنجح، وقد نجحت مناورة نيكسون بشكل ممتاز».

وقال نيكسون لوالين وزملائه سراً: «لقد توصلت إلى الاستنتاج أنه ليست هناك طريقة لكسب الحرب. ولكننا لا نستطيع أن نقول ذلك بالطبع. والواقع أننا ينبغي أن نبدو كأننا نقول العكس، فقط لنبقى على درجة من التأثير وقوة المساومة».

وفي ذلك الصيف من سنة 1968، وأثناء جولة على ساحل المحيط مع هالدمان، تحدث نيكسون عن إخافة فيتنام الشمالية لإرغامها على المشاركة في محادثات السلام. فقال: «إنني أسميها «نظرية الرجل المجنون» يا بوب. أريد الفيتناميين الشماليين أن يعتقدوا أنني قد وصلت إلى النقطة التي قد تجعلني أفعل **أي شيء** لإيقاف الحرب. إننا سوف نسرّب لهم القول: «من أجل الله، إنكم تعرفون أن نيكسون مهووس بالشيوعيين. ونحن لا نستطيع تقييده عندما يكون غاضباً ـ وقد وضع يده على الزرّ النووي» ـ وسيكون هو شي مينه نفسه في باريس خلال يومين مستجدياً السلام».[12]

---

(12) تشكّكت المؤرّخة جون هوف في ما إذا كان نيكسون قد ناقش فعلاً نظرية الرجل المجنون مع =

وفي مقابلة مع نيكسون سنة 1984، زعم أنه لا يتذكر أنه أدلى بمثل هذه الملاحظة. ومع ذلك فإن تشارلس كولسون قد استذكر بالمثل أن نيكسون، كرئيس، قد أمر كيسنجر بأن يُحَذِّرَ السفيرَ السوفييتي آناتولي دوبرينين أن «الرئيس قد فقد حواسّه، وأنك لا تدرى إن كنتَ قادراً على ضبطه، وأنه قد يبدأ في استخدام أسلحة خطيرة في فيتنام الشمالية، بحيث يصعّد الحرب بطريقة دراميّة مفاجئة».

وقال كولسون إن نيكسون «جلس في المكتب البيضاوي يضحك بشكل خافت بينما قام كيسنجر بتنفيذ المهمة». وتتماشى هذه الرواية مع واقعة وصفها كيسنجر في مذكراته، فقال إن نيكسون قد أخبره في خريف سنة 1969 أن «ينقل إلى دوبرينين أن الرئيس قد «خرج عن السيطرة» بخصوص فيتنام». وزعم كيسنجر أنه قد اعتبر ذلك شيئاً ناتجاً عن اضطراب نيكسون المفترض، وعدم استقراره.

غير أن كيسنجر كان، قبل ذلك بثلاثة أشهر، قد أرسل الرسالة نفسها بالواسطة، عندما كان لِينْ غارمنت على وشك المغادرة في رحلة إلى موسكو، فأمره كيسنجر أن يعطي السوفييت «انطباعاً بأن نيكسون «مجنون» إلى حدٍ ما ـ وأنه ذكي إلى حد هائل، ومنظم جيداً ولديه تجربة وخبرة بالتأكيد. ولكنه في لحظات الضغط المتوتر أو التحدي الشخصي، يصعب التنبؤ بتصرفاته، ويصبح قابلاً لارتكاب أكثر الأعمال الوحشية دموية». ونفذ غارمنت المهمة، فأخبر أحد كبار مساعدي بريجينيف أن نيكسون «شخصية مفككة بشكل حادّ. . . وأنه

= هالدمان، وكان حدسها أن تلك العبارة قد ظهرت في الأصل عند كيسنجر. غير أن شكوك هوف تبدو مبالغاً فيها إذا أخذنا في الحسبان دقة هالدمان المتميزة المعهودة والشهادة الإضافية في هذا الاتجاه الواردة في الفقرات التالية من هذا الكتاب. ولاحظ في هذا الصدد أيضاً أن سيمور هيرش يخطئ في تاريخ الحوار الخاص بنظرية الرجل المجنون في كتابه لمجموعة من المتناقشين في ما بعد أن الحوار قد جرى في صيف سنة 1968. (هوف، مصدر سبق ذكره، ص 177 وم يليها، 398؛ هيرش، مصدر سبق ذكره، ص 52؛ هالدمان ودي مونا، مصدر سبق ذكره، ص 121؛ ومقابلة مع هـ. ر. هالدمان في مركز ميللر كمحررين، مصدر سبق ذكره، ص 82).

مصاب بشيء غير قليل من البارانويا (جنون الارتياب في الآخرين). . . وأنه يصير عند الضرورة جزاراً بارد القلب»[13]. وكان من سخرية الأقدار، كما تأمل المساعد السابق في أسىً في سنة 1997، أن كل شيء نقله إلى الروس قد ثبت أنه «صحيح على وجه العموم».

وفي غضون أسابيع من الثرثرة مع هالدمان حول «الرجل المجنون»، غيّر نيكسون نغمته كلياً عندما تحدث مع السناتور الجمهوري مارك هاتفليد، الملتزم بمعارضة الحرب، فأرضاه حتى كتب هاتفيلد بعد ذلك إلى مواطن قلق: «لقد قدم لي تأكيدات أنه لا يرى في هذه الحرب تهديداً عسكرياً. . .بل نمواً متورماً ناجماً عن البؤس والمظالم في فيتنام الجنوبية. . .وأن المطعن الحقيقي ضد الشيوعية لن يكون بالقنابل والبنادق وحدها، بل بمعركة أشد فاعلية ضد المظالم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تحرم الناس حقهم الأساسي في الغذاء الكافي، وظروف المعيشة المناسبة والكرامة الإنسانية اللائقة. . . .ولقد استنتجت أن ريتشارد نيكسون يمثل أعظم أمل للسلام».

وعندما اطمأن هاتفيلد واقتنع من تلك المناقشة، أعلن أن نيكسون هو مرشحه لمنصب الرئيس، لأنه وجده رجلاً لديه «بديل سلمي موثوق ويمكن تصديقه». وقال نيكسون لهالدمان إنه «الرجل الوحيد في هذا البلد» القادر على إنهاء الحرب، وأن هذه مهمة سوف يحققها في السنة الأولى من رئاسته. وقبل ذلك كان قد أخبر أحدَ زواره أنه سيتم ذلك في ستة أشهر.

وفي أواخر ربيع سنة 1968، قال نيكسون في إحدى مقابلاته: «ليس هناك بديل لاستمرار الحرب. إن علينا أن نوقفها بالنصر، وإلاّ فإنها ستبدأ من جديد». فهل كان يعتقد حقاً أن النصر ممكن؟ لقد قال ميلفين ليرد، وزير دفاعه

(13) لاحظ نيكسون في مذكراته، بموافقة ظاهرة أن أحد أسرى الحرب العائدين قد أخبره بأن «الفيتناميين الشماليين كانوا يعتقدون في الحقيقة أن الرئيس فاقد لصوابه ومخبول العقل تماماً. وقال إن من الجوهري تماماً أن يعتقدوا ذلك». (**مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 864).

الأول، للمؤلف في سنة 1998: «أعتقد أنه بدأ بهذه الطريقة. فقد شعر أنه يستطيع أن يكسب...»[14]

وإذا كانت لدى نيكسون فكرة مُقْنِعَةٌ عن كيفية كسب الحرب أو حتى إنهاء التورط الأمريكي في فيتنام، فإن الشعب الأمريكي لم تتح له أية فرصة للنظر فيها أبداً. فعندما بدأ العدّ التنازلي للانتخابات، شعر السناتور هاتفيلد بالقلق لأن موقف المرشح الحقيقي من فيتنام ظلّ غير واضح. فقال: «في العملية الديمقراطية، ينبغي أن لا يُرْغَمَ الناخبون على الذهاب إلى صناديق الاقتراع وقد رسموا شارة الصليب بأصابعهم (كناية عن الدعاء والتمنيات)؛ وأن لا يُرْغَموا على الإيمان الأعمى بأن الرجال الذين سيصوتون لهم، سيشاطرونهم آراءهم حول معظم القضايا الهامة في الانتخابات».

كان ذلك إلى حد كبير هو المأزق الذي وجد الناخبون أنفسهم يواجهونه في تشرين الثاني/نوفمبر. ولم يعرف سوى الناس الداخليّين المطلعين، أنه في الأيام الأخيرة التي سبقت الانتخابات تماماً، تلقى الرئيس جونسون معلومات سرية دامغة تشير إلى أن نيكسون وشريكه المرشح آغنيو كانا يمارسان لعبة سياسية بحياة مئات الألوف من الرجال، الأمريكيين وكذلك الفيتناميين. ولو أُعْلِنت تلك المعلومات على الملأ في ذلك الحين، فمن المؤكد أنها كانت ستدمّر آمال نيكسون الرئاسية بضربة واحدة، آنذاك وإلى الأبد.

هذه قصة ظلت معلقة زمناً طويلاً بين ظلال ماضي نيكسون وعار رئاسته، نصف محكيّة، بموجب أدلة جزئية، ومستغَلَّةٍ على الأغلب من قبل مصادر حزبية منحازة، ومع ذلك لم تجد لها حلاً كاملاً على الإطلاق. وقد نجا من

---

(14) قال ليرد للمؤلف إن نيكسون كان عند بدء رئاسته يعتقد أنه قادر على كسب الحرب «بدون فتنمة». وقال ليرد «إن نيكسون لم يكن لديه برنامج على الإطلاق»، وأضاف أنه أقنع نيكسون بأن يمضي قدماً في الفتنمة، في آذار / مارس أو نيسان / إبريل سنة 1969 (مقابلة مع ميلفين ليرد، وانظر ستيفن آمبروز، **انتصار سياسي**، ص 277).

الخزي الكامل على سلوكه المشين طيلة بقائه على قيد الحياة، ومع ذلك فإن الأدلة تشير إلى خطيئة ومصلحة ذاتية تسخر بكل شيء وتهزأ بكل القيم، أسوأ من كل الجرائم التي قدر لها فيما بعد أن تصل إلى عناوين الصحف.

وتدور وقائع هذه القصة حول محاولة الرئيس جونسون، في الأسابيع التي سبقت انتخابات سنة 1968، إقناع الشيوعيين والفيتناميين الجنوبيين بحضور محادثات سلام لعلها تنهي الحرب. وكان تحقيق ذلك يعني التغلب على اعتراضات الجانبين المعقدة. فهل يقبل الشيوعيون بالجلوس مع الجنوب؟ وهل يقبل الجنوب بالجلوس مع كل من الشمال والفيتكونغ، التي هي نظرياً حركة مقاتلين، ولكنها منبوذة من الجنوب باعتبارها صنيعة الشماليين؟

وفي الخريف، بعد جهود دبلوماسية طويلة وصبورة، اقتنع جونسون بأنه تم العثور على صيغة. فتغلب على شكوكه، وبدعم من القائد الأمريكي الجنرال كرايتون آبرامز، قرر أخيراً اتخاذ الخطوة الجوهرية اللازمة لضمان تعاون فيتنام الشمالية. وفي 31 تشرين الأول/ أكتوبر، ورغم الأدلة على أن فيتنام الجنوبية قد لا تتمشى مع ذلك الخط، فقد أمر بوقف الغارات على الشمال.

ولو بدأت المحادثات بالفعل لكانت هناك فرصة ـ ومن المستحيل الذي لا معنى له أن يجادل المرء بمدى جودة تلك الفرصة أو ضآلتها ـ لإنهاء الحرب الفيتنامية على نحو سريع، غير أن المحادثات لم تبدأ لأن الرئيس الفيتنامي الجنوبي ثيو أعلن، بعد ذلك بيومين، أن حكومته لن تشترك فيها.

كان لدى ثيو عدد وافر من الأسباب لعدم الحضور، ليس أقلها أن احتمال بقاء نظامه على المدى الطويل، كان معدوماً عملياً إذا انسحب الأمريكيون[15] ـ

---

(15) إن أسباب ثيو للتملص من المشاركة في محادثات سنة 1968 ملخصة بإتقان من قبل الأستاذ ستيفن آمبروز في المجلّد الثاني من سيرته التي ألّفها عن حياة نيكسون. ولقد قدر لنيكسون، ولهنري كيسنجر أن يحاولا صياغة حجة مقنعة بأن نظام ثيو كان قادراً على البقاء، حتى بعد تسوية سنة 1973، والانسحاب الأمريكي، فقط لو أن الكونغرس الأمريكي لم يرفض استخدام القوة الأمريكية =

وهذا احتمال لم يكن مستساغاً ولا معترفاً به عادةً في تلك الأيام ـ غير أن احتمال فك الأمريكيين لاشتباكهم، ومتى يتم ذلك، سيعتمد على مَن يكون في البيت الأبيض.

وكان الرئيس جونسون، المقترب من نهاية عهده، سرعان ما سيصبح غيرَ ذي صلة. ومن وجهة نظر ثيو، فقد كان هيوبرت همفري، خليفةُ جونسون الديمقراطي المحتمل، إمكانيةً سيئة. ذلك أنه كان قد أخبر الرئيس الفيتناميَّ الجنوبيَّ، بصراحة فظة، أن إطالة أمد المساعدة الأمريكية «لم تكن واردة عنده أبداً». وكان همفري قد وعد علناً كذلك بوقف قصف الشمال، وتحدث عن تخفيض عدد القوات الأمريكية. وكان ثيو قد أخبر مساعداً مقرباً لديه، أن نظامه مع نيكسون من جهة أخرى، ستتاح له «فرصة».

وفي الأسابيع التي سبقت الانتخابات، اتخذ نيكسون موقفاً تظاهر فيه أنه المرشح الذي يضع موضوع الحرب فوق السياسة الحزبية، «كون البلد فوق الحزب» كما قال قبل وقف الغارات، فإن الجهدَ المبذول لتحقيق السلام يحظى بتأييده الكامل. وقال للناخبين «إن السعي للسلام أهم من أن يستخفّ به أحد فيجعله سياسة كالمعتاد». وأشار إلى آغنيو، الجالس بالقرب منه في تجمع في حديقة ماديسون سكوير، وطمأن الأمة أنه ونائبه لن يدليا بأية ملاحظات قد تعطل المفاوضات. وقال للجمهور الحاشد: «لا هو ولا أنا سندمر فرصة السلام».

وبالطبع لم يقل نيكسون ولا آغنيو في العلن أي شيء يخرج المفاوضات عن مسارها. غير أن المهم والمؤثر هو ما فعلاه في السرّ. ذلك أنه يبدو من

= ويقلّص المساعدة العسكرية الأمريكية (آمبروز: المجلد الثاني من سيرة حياة نيكسون، والمعنون: **انتصار سياسي**، ص 215؛ حُجّة نيكسون ـ كيسنجر: مذكرات ريتشارد نيكسون، ص 889؛ كيسنجر: **سنوات البيت الأبيض**، مصدر سبق ذكره، ص 1470، كيسنجر: **الجَيَشان المضطرب**، مصدر سبق ذكره، الفصل الثامن).

الواضح الآن أن نيكسون، مع جون ميتشيل، وعن طريق وسيط أو أكثر، لم يكتفِ بتشجيع الرئيس ثيو على الاعتقاد أنه سيحصل على صفقة أفضل من إدارة نيكسونية، بل لقد حثه بالفعل على مقاطعة المحادثات. وكانوا مستمرين في هذا التحريض على ما يبدو، إلى ما قبل الانتخابات بثلاثة أيام فقط، عندما أدت آمال السلام التي أنعشها إعلانُ جونسون عن وقف الغارات، إلى رفع شعبية همفري وتقدمه في استطلاعات الرأي[16].

ولقد ذكر ستيفن آمبروز، أستاذ التاريخ في جامعة نيو أورليانز، هذه التهمة بعبارة بليغة وبارعة الايجاز، فكتب يقول: «في السرّ اتصل نيكسون بالرئيس ثيو في محاولة لإغراق احتمالات السلام». أما كلارك كليفورد، الذي كان قد حل محل مكنمارا كوزير للدفاع، فكان رأيه أن عمل نيكسون «ربما كان حاسماً في إقناع ثيو بتحدي الرئيس جونسون»[17].

وفي ذلك الوقت، ولكي يبدد نيكسون الشائعات حول دوره، بعث إلى جونسون رسالة عن طريق السناتور جورج سماذرز يؤكد له فيها أنه «لا صحة أبداً في هذا الادعاء كله». أما في مذكراته فقد تعامل مع التهمة بعدم ذكرها كلياً.

---

(16) أعطى استطلاع غالوب نيكسون 44 بالمئة، فجعله متفوقاً على همفري الذي حصل على 36 في المئة في 21 تشرين الأول / أكتوبر. وبحلول يوم 2 تشرين الثاني / نوفمبر، أي بعد يومين من وقف الغارات، كان تفوقه قد تقلّص إلى نقطتين فقط، 42 في المئة له، مقابل 40 بالمئة لمنافسه همفري. وحسب استطلاع لو هاريس، كان همفري قد تجاوز نيكسون عند هذه النقطة. (تيودور هـ. وايت، **صنع رئيس، 1968**، ص 445 وما يليها؛ آمبروز: **انتصار سياسي**، ص 212؛ ولكن انظر **صنع رئيس، 1968**، ص 446).

(17) قدّر لجونسون أن يكتب في مذكراته أنه «لم يكن لديه سبب يجعله يعتقد أن المرشح الجمهوري نيكسون نفسه كان متورطاً في هذه المناورة، ولكن عدداً من الأشخاص الناشطين في حملته كانوا متورطين». ويتفق المؤلف مع المؤرخ هربرت بارميت، الذي يعتقد أن جونسون كان «مخادعاً»، لأنه كان «يعرف أكثر مما يريد، أو يستطيع البوح به». فلكي يكون صادقاً ونزيهاً، فقد كان عليه أن يكشف ما علمه من مصادر المخابرات، وبعضه ما يزال سرّاً مكتوماً حتى يومنا هذا. وفي سنة 1971، عندما تم نشر مذكرات جونسون، فإن فضح نيكسون كان معناه فضح رئيس حاكم كان هو نفسه ما يزال يتصارع مع الطريق المسدود في فيتنام («ليس لديه سبب»: جونسون، مصدر سبق ذكره، ص 518؛ «مخادع»: بارميت، **نيكسون**، مصدر سبق ذكره، ص 521).

ولم تظهر حقائق هذه الواقعة إلاّ على نحو تدريجي. فلم يحصل الباحثون على حق الوصول إلى الظرف المؤشر عليه بالحرف«X» إلاّ في سنة 1995، وفيه مجموعة منقحة من الوثائق حول هذه القضية مودعة في مكتبة جونسون. وكانت معها في الأصل توصيةٌ بأن تبقى مختومةً لمدة خمسين عاماً. وقد أُفرِجَ للمؤلف عن الوثائق ذات الصلة في مكتب التحقيقات الاتحادي في سنة 1999. ومع هذه الوثائق، وأول الدراسات البحثيّة، ومقابلات جديدة مع أحد الأبطال الهامين لهذه الواقعة، فقد ظهرت صورة أكمل[18].

كانت الشخصية الهامة في هذه الواقعة هي آنا شينو، الأرملة الصينية الأصل والمولد لكلير شينو، البطل الأمريكي في الحرب العالمية الثانية.[19] وبحلول سنة 1968 عندما كانت في الثالثة والأربعين، كانت مكانتها قد رسخت كمضيفةٍ واشنطنية ثرية، تعيش في شقة بكتلة مبنى ضخم جديد يدعى ووترغيت. وكانت منغمسة بعمق في قضايا جنوب شرقي آسيا، وتتمتع بوصول منتظم إلى الزعماء الإقليميين مثل التايواني شيان كاي تشيك والفلبيني فرديناند ماركوس. وقد تفحص المؤلف رسالة تعود إلى سنة 1966، وتشير إلى أنها ربما

---

(18) إن إكمل دراسة هي: «امرأة من عالمين: آنا شينو والدبلوماسية غير الرسمية في الولايات المتحدة ـ العلاقات الآسيوية، 1950 ـ 1990»، أطروحة دكتوراه من سنة 1997 من تأليف كاترين فورسلند، التي كانت آنذاك في جامعة واشنطن في سانت لويس، بولاية ميزوري. كما أن كتاب **شبكة متداخلة**، المنشور سنة 1998 لمؤلفه وليام بندي، المساعد السابق لوزير الخارجية لشؤون آسيا الشرقية، جاءت فيه أشياء جديدة. أما محتويات المظروف المجهول «X» فقد أشار إليها الأستاذ روبرت دالك في كتابه عن سيرة حياة ليندون جونسون، الذي نشره سنة 1998 بعنوان **العملاق المعطوب** (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد). (بندي: وليام بندي، مصدر سبق ذكره؛ مقابلات ومراسلات مع بندي؛ وثائق مكتب التحقيقات الاتحادي: مكتب التحقيقات الاتحادي: الوثيقة رقم 1204905 ـ HQ ـ 190، المفرج عنها مع تنقيحات، كانون الأول / ديسمبر 1999).

(19) في سنة 1941 أسَّس الفريق كلير شينو مجموعة المتطوعين الأمريكيين، وهي هيئة الطيارين الأمريكيين التي عرفت باسم «النمور الطائرة»، التي ساعدت في الدفاع عن الصين وبورما ضد اليابانيين. وقد اندمجت سنة 1942 مع قوة المهام الجوية العاملة في الصين، التي أصبحت فيما بعد القوة الجوية الأمريكية الرابعة عشرة، تحت إمرة شينو. وعند تقاعده بعد الحرب، كان له دور فخري مع خط النمور الطائرة للشحن الجوّي. وكانت زوجته آنا نائبة رئيس العمليات الدولية التابعة للخط المذكور.

كانت على شيء من الاتصال بوكالة المخابرات المركزية في تلك السنة.[20]

وكانت شينو قد انضمت إلى القضية الجمهورية سنة 1960، وبحلول سنة 1968، كانت قد أصبحت نائبة رئيس اللجنة الوطنية المالية للحزب الجمهوري، ورئيسة مشاركة للنساء المؤيدات لنيكسون ـ آغنيو. وكانت قد التقت بنيكسون في أوائل الخمسينيات، عندما زار تايوان وهو نائب للرئيس. وفي سنوات التيه، عندما صارت فيتنام قضية أمريكية طاغية البروز، بقيا على اتصال.[21] وكانت لشينو اتصالات على أعلى مستوى بحكومة سايغون، وآراء قاسية متشددة حول كيفية التعامل مع هانوي. وكان توجهها، كما تبينه الرسائل الباقية إلى نيكسون، هو أن زيادة القصف هي الطريقة إلى إرغام الشمال على «الانحناء للسلام».

وكانت مؤامرات سنة 1968، قد بدأت في الحقيقة في السنة التي سبقتها. فبينما كانت شينو تتجول في آسيا، تلقت سيلاً من البرقيات تطلب منها أن تزور نيكسون في نيويورك. وقد التقى بها في المطار روبرت هيل، الجمهوري المتخصص في السياسة الخارجية، ورافقها إلى شقة نيكسون في الشارع

---

(20) في رسالة من هونغ كونغ سنة 1966، كتبت آنا شينو أنه عندما سألها المتصلون بها من وزارة الخارجية عن «عملها» قالت إنها سائحة. غير أن استفساراً لاحقاً من «همزة وصلها الأمريكية» قد «جعل (الوكالة) تعيسة جداً» (يشير الخبراء بشكل واسع إلى وكالة المخابرات المركزية باسم الوكالة). وقد استذكرت شينو في مطبوعة حديثة، وكذلك في محادثة مع المؤلف أن زوجها المرحوم كانت له علاقة بالوكالة، غير أنها أنكرت أن تكون هي نفسها قد عملت للوكالة على الإطلاق. (رسالة في سنة 1966: من آنا شينو إلى «توم» [يكاد يكون من المؤكد أنه توماس كوركوران، مدبِّر الأمور السياسية في واشنطن ومرافق شينو الدائم]، بتاريخ 10 آب / أغسطس 1966، حصل عليها المؤلف؛ الزوج: صحيفة **وورلد جورنال** (تايوان)، 21 ـ 26 نيسان / إبريل، 1994).

(21) حسب رواية باتريك هيلينغز، صديق نيكسون، فإن نيكسون حاول أن يبعد شينو عنه في إحدى زياراته لتايوان في وقت متأخر، سنة 1967. ومع ذلك فإنه استمر على اتصال بها في سنتي 1967 و1968. وفي أيلول / سبتمبر 1968 كان يكتب لها مستخدماً الاسم الأول لكل منهما (دك ـ آنا) ـ أي برفع الكلفة. وقد تكهنت كاترين فورسلند، الباحثة التي تعتبر حجة في كل ما يتعلق بآنا شينو في دراستها، بأن نيكسون كان يحطّ أحياناً من قدر شينو كنوع من المناورة السياسية. (هيلينغز: جون إيتكن، ص 365؛ فورسلند، مصدر سبق ذكره، ص 14 وما يليها؛ «دِكْ ـ آنا»: المصدر نفسه، ص 28).

الخامس (فيفث آفنيو). وبينما كان هيل ينتظر في غرفة أخرى، قدمها نيكسون إلى جون ميتشيل.

ووافقت شينو في ذلك اليوم على تقديم المشورة لنيكسون حول فيتنام في الأشهر التالية، بالعمل عن طريق هيل، والسناتور جون تاور، من تكساس. وعند انتهاء الاجتماع قال لها نيكسون: «عندما نعمل الأشياء، فإن من الأفضل إبقاءها سراً». واستذكرت شينو أنه بدا لها حتى في ذلك الحين «تآمريّاً»

وفي تموز/ يوليو من السنة التالية، عندما أخذت الانتخابات تقترب، ذهبت شينو إلى شقة نيكسون مع بْوِي دْيِيمْ، سفير فيتنام الجنوبية، في زيارة وثّقها الاثنان في مذكراتهما. وقد أشارت مذكرة باقية داخلية مما يتداول بين الموظفين، موجهة إلى DC وهو اسم نيكسون المستعار في الحملة، إلى أنه «يتعين إبقاء تلك الزيارة سرية جداً بشكل مطلق [هكذا]». فعلّق نيكسون على المذكرة بخط يده على نحو سريع: «يجب ذلك. ولكنني لا أرى كيف ـ مع وجود الـ S.S. [الشرطة السرية]، إن كان ممكناً [إبقاؤها سراً]، فإن ر.ن. يحب أن يرى. . . .»

وكان نيكسون قد أخبر شينو أنه يريد «إنهاء هذه الحرب بالنصر»، فكان ذلك شعوراً كرره دائماً في الاجتماع معها ومع بْوِي دييم. واستذكرت شينو أنه قال لبوي دييم: «إذا تم انتخابي رئيساً تالياً، فيمكنك أن تطمئن أنني سأجتمع برئيسكم وأجد حلاً لكسب الحرب». وكان نيكسون قد التقى مع ثيو في سايغون في السنة السابقة. أما الآن (سنة 1968) فقد أخبر سفير ثيو بأن شينو ستكون «صلة الوصل الوحيدة بيني بين حكومتكم. فإن كانت لديك أية رسالة لي، فأرجوك أن تعطيها لآنا، وهي ستوصلها إليّ، وسأفعل من جانبي الشيء نفسه. . .»

وحسب رواية شينو، فإنها التقت بالرئيس ثيو أكثر من مرة في تلك السنة في سايغون. فشكا من ضغط إدارة جونسون عليه لحضور محادثات السلام،

وقال لها: «أفضل كثيراً أن تجري محادثات السلام بعد الانتخابات عندكم». وطلب منها أن «تنقل هذه الرسالة إلى مرشحكم». ففعلت. وكان الرئيس ثيو يرسل لها رسائل بين الحين والآخر عن طريق السفير دييم. كما أنه استخدم رسلاً آخرين، من بينهم عقيدٌ من ضباط أركانه، والظاهر أنه لم يكن يثق بسفيره ثقة كاملة.[22]

وفي الأسابيع التالية، اجتمعت شينو مع نيكسون وميتشيل عدة مرات أخرى في نيويورك. فطلبا منها إعلام سايغون بأنه إذا صار نيكسون رئيساً، فستحصل فيتنام الجنوبية على «صفقة أفضل». وقالت للمؤلف: «وقد أوصلت تلك الرسالة».

وعندما سئلت عما إذا كان نيكسون وميتشيل يحاولان عقد صفقة لكسب الانتخابات، هزت شينو رأسها موافقة وقالت: «لقد رتبا تلك الصفقة للفوز في الحملة. فشهوة السلطة تتغلب على كل تعقل».

«كان ذلك كله سرياً جداً»، حسب وصف شينو. وكان جوّ التآمر متغلغلاً في كل مكان. فاستذكر بُوِي دييم أن ميتشيل في اجتماع تموز/يوليو «كان صامتاً. فلم يقل كلمة واحدة». ولاحظت شينو أنه كان قلقاً باستمرار من التنصت على الهاتف، وظل يغير رقم هاتفه الخاص، وفي تلك الأثناء قالت شينو لنيكسون إنه يمكن الوصول إليها دائماً عن طريق روبرت هيل، المسؤول

(22) كان في المظروف المجهول «X» مذكرة مغفلة من التوقيع، لعل كاتبها هو والت روستو، تقول: «إن الضرر قد وقع عن طريق ثيو في سايغون، من خلال أمريكيين من مستوى مُتَدَنٍّ». وهناك أدلة في مكان آخر من هذه المادة المنقحة، على أن البيت الأبيض قد أمر بإجراء تحقيقات في أمريكيين آخرين غير شينو. وقد أخبرت شينو المؤرخَ هربرت بارميت بأن «القصة الكاملة بعيدة عن المعرفة. وبأن هناك رسائل أكثر سرِّية قد نقلها سعاة باليد من واشنطن إلى سايغون، وليس عن طريق السفير دْيِيمْ. غير أن شينو رفضت أن تسمي السعاة الآخرين عندما سُئِلَت عنهم». (مذكرة مغفلة: 4 تشرين الثاني / نوفمبر، 1968، المظروف المجهول «X»، أعلاه؛ القصة بعيدة عن المعرفة: بارميت في كتابه: **نيكسون**، مصدر سبق ذكره، ص 522).

الحزبيّ الذي كان قد رتب اجتماعهما الأول، أو عن طريق روز وُودْزْ، أو عن طريق امرأة جمهورية بارزة أخرى، هي باتريشيا هِيتْ.

وفي الأسابيع التي سبقت الانتخاب، مع وجود إيقاف وشيك للغارات وقبول لمحادثات السلام، رفع نيكسون صوته علناً بتأييد الرئيس جونسون. غير أنه كان يغلي ويجيش بالسخط في السرّ، كما اعترف بعد سنوات. أما اليوم، فإن أي قراءة موضوعية لملاحظات جونسون ومحاضر جلساته في ذلك الخريف، تكشف عن رئيس متردد أكثر من اللازم أحياناً في التقدم، وعلى نحو لا يتقبله ذوق مساعديه أنفسهم، ولكنه مخلص إخلاصاً حقيقياً أصيلاً لقضية السلام. غير أن نيكسون كان مقتنعاً بأن مبادرة السلام كانت ـ جزئياً على الأقل ـ خدعة سياسية مصممة لترجيح كفة الانتخابات لمصلحة همفري.

وقد أذكت شينو ذلك السخط، إذْ يظهر أنها طارت إلى مدينة كانساس للقاء نيكسون في 16 تشرين الأول/ أكتوبر، وهو نفس اليوم الذي شرح فيه جونسون لنيكسون وللمرشحين الآخرين خططه بشأن فيتنام، وحثهم على الحذر والتحفظ في تصريحاتهم العامة والعلنية.[23] وقد حملت شينو معها عرضاً مطولاً مكتوباً يعبر عن استنكار وقف الغارات الذي انتشرت عنه الشائعات، ويوصي بنهج طويل الأجل حيال الصراع. وفي اليوم نفسه تلقى آغنيو بلاغاً ملخصاً عن الوقف المقبل للغارات، صادراً من مصادر غير مسمّاة. وبعد ذلك بيومين التقت شينو بسفير فيتنام الجنوبية مرة ثانية. وبعد بضعة أيام كان هناك اجتماع آخر مع ميتشيل.

وفي ذلك الحين، كانت هي وميتشيل على اتصال بالهاتف بشكل يكاد

(23) كان من المعتقَد سابقاً أن شينو لم تفعل شيئاً سوى إرسال رسالة إلى نيكسون في مدينة كانساس. ومع ذلك فإن في مفكرتها بنداً يقول «16/ 10، للقاء ر. نيكسون في مدينة تكساس، MO [روجر موريس]». (الإشارة إلى الرسالة: سافاير، مصدر سبق ذكره، ص 90، والتفاصيل عند فورسلند، مصدر سبق ذكره، ص 29 وما يليها).

يكون يومياً. وقد حثّها ميتشيل بقوله: «اتصلي بي من هاتف يعمل بدفع النقود. ولا تتحدثي من مكتبك». وعندما تفكهت حول التنصت على الهاتف، لم تسرّه النكتة. وقالت إن رسالة ميتشيل كانت هي نفسها على الدوام: إذا أُعْلِنَت المحادثات، فإنه من الحيوي إقناع الرئيس ثيو أن لا يشارك فيها.

وفي الأسبوع الأخير من تشرين الأول/ أكتوبر سنة 1968 أرسل السفير، بوي دييم رسالتين مشفّرتين باللاسلكي من واشنطن إلى سايغون. وكانت الأولى تلاحظ، كما كتب في مذكراته، إن «الكثير من الأصدقاء الجمهوريين اتصلوا بي وشجعونا على الوقوف بصلابة. . .» أما الثانية ـ وهذه، مرةً أخرى، هي رواية بوي دييم ـ فقد ذكر فيها أنه «على اتصال منتظم بموكب نيكسون».

وقد وعد السفيرُ السابقُ المؤلفَ بإطلاعه على النص الكامل لِتَيْنك الرسالتين، ولكن لم يبرزهما أبداً. ويبدو أنه من المؤكد تقريباً أن نسخته المنشورة من البرقية الثانية، كانت تمريناً في الحدّ من الأذى. فقد كانت الرسالة الفعلية أكثر إثارة للقلق، حسب رواية أمين السر التنفيذي لوزارة الخارجية، المرحوم بنيامين ريد.

وتستشهد مذكرات ريد بأن السفير قد نقل إليهم أنه «قد شرح موقفنا الصلب بطريقة سرية لأصدقائنا الحزبيين». وأنه «يخطط للتمسك بذلك الموقف». وقد قال بوي دييم لسايغون إنه «كلما طال مأزق الطريق المسدود كان ذلك أكثر ملاءمة لنا». ومن المحتمل «أن يواجه جونسون صعوبات في ليِّ يدنا قسراً». كما نصح السفير سايغون بأن نيكسون، إذا تم انتخابه، سيرسل مبعوثاً لمقابلة الرئيس ثيو، وسينظر في زيارة سايغون بنفسه قبل تدشين عهده.

ولقد كان قلق جون ميتشيل من المراقبة الإليكترونية للاتصالات مبرراً أكثر مما كان يعلم. فقد كانت وكالة الأمن القومي تعترض مسار برقيات فيتنام الجنوبية وتفك رموز شيفرتها، ومن هنا جاء توصل وزارة الخارجية إلى النصّ الحقيقي لرسالة السفير حول «الأصدقاء الحزبيين». وفي تلك الأثناء، كانت

وكالة المخابرات المركزية تتابع السفيرَ نفسهَ، وقد حاولت تركيب أجهزة تنصت في مكتبه ومقر إقامته.

وفي سايغون، كانت الوكالة قد نجحت في تركيب جهاز في مكتب ثيو نفسه في القصر الجمهوري. وفي الأسبوع الذي أرسلت فيه رسالتا السفارة، سُمِعَ ثيو يقول: «سوف يزاح جونسون وهمفري. وعندئذ سيتمكن نيكسون من تغيير موقف الولايات المتحدة».

وقد أُعْلِمَ الرئيس جونسون في وقت لاحق برسالتي السفارة اللتين تم اعتراضهما. وبالإرسال من جهاز التنصت في مكتب ثيو. ولكن كان هناك المزيد على الطريق. ففي ساعات الفجر من يوم 29 تشرين الأول/أكتوبر، بعد اجتماع استغرق طول الليل، قرر فيه جونسون في آخر الأمر إيقاف الغارات، جاءت الأخبار المخيفة، فقد تراجع الرئيس ثيو، وانتحل المعاذير ليتجنب إلزام سايغون بمحادثات السلام.

وبعد ذلك بربع ساعة، أخبر الرئيسُ أكبرَ مستشاريه، وزيري الخارجية والدفاع، ورئيسَ هيئة الأركان المشتركة، ومديرَ وكالة المخابرات المركزية بتطور آخر، بشيء يمكن أن «يهزّ العالم».

فبالإضافة إلى البرقيات الفيتنامية الجنوبية التي تم اعتراضها، كانت عند نيكسون معلومات جديدة من مصدر بشري عن «تواطؤ» نيكسون ـ حسب وصف جونسون نفسه ـ مع نظام ثيو. فمن آليكساندر ساخس، الصيرفي البارز في وولْ ستريت كان ذات يوم مستشاراً للرئيس روزفلت، وصل خبرٌ بأن نيكسون «يحاول إحباط الرئيس بتحريض سايغون على تصعيد طلباتها». فقد كان «يتخذ موقفاً علنياً يقصد منه. . . العرقلة، إنهم يحرضون سايغون على أن تكون صعبة القياد».

وصرخ الرئيس جونسون في مستشاريه: «لقد صار الأمر مفهوماً». وطوال الساعات والأيام التالية، وسط الغضب المتزايد، راح البيت الأبيض

يحاول أن يعيد سايغون إلى الحظيرة، وفي الوقت نفسه، يحاول أن يكتشف بالضبط ما الذي كان الجانب النيكسوني يحاول فعله. فأمر جونسون مكتبَ التحقيقات الاتحادي بالتنصت على السفارة الفيتنامية الجنوبية ومراقبتها مادياً، وبعد ذلك بيوم، أمر بمراقبة آنا شينو، بعد أن شوهدت تدخل مقر البعثة.

وفي مساء اليوم الحادي والثلاثين من الشهر نفسه، أثناء مؤتمر دعي له المرشحان للرئاسة لإطلاعهما على قرار وقف القصف والغارات، ألقى جونسون تلميحاً ثقيلاً بأنه واعٍ بالمؤامرات لتقويض جهوده. فلم يفعل نيكسون شيئاً سوى الانضمام إلى المعارضين في وعد الرئيس بتأييده الكامل.

غير أن الذعر والحركات التمثيلية الدرامية دبّت في صفوف معسكر نيكسون. وبدأ ميتشيل يقوم بحركات استنطاق موظفي الحملة ـ الذين لم يكن أحد منهم يعلم شيئاًـ فسألهم إن كان أي واحد منهم «على اتصال بأي سفارات». ثم قام «بطمأنة» موظفي الاتصال بالإدارة أن جماعته لم يتحدثوا مع الفيتناميين الجنوبيين.

واكتشفت شينو فجأة أنها لم تعد قادرة على الوصول إلى ميتشيل. فقد تأكد أقرب مساعدي نيكسون عندئذٍ من التنصت الذي كان يخشاه دائماً، ولذا راح يتجنب الاتصال المباشر بها. غير أنها في تلك الليلة، بينما كانت توشك على الانتهاء من عشائها في فندق شيراتون بارك، استُدْعِيَتْ إلى الهاتف.

كان ميتشيل على الطرف الآخر، وفي صوته توتر، يطلب منها أن تحدثه على خط أكثر أمناً. وعندما فعلت، التقط السماعة بعد أول رنّة لجرس الهاتف، وقال: «يا آنّا، إنني أتحدث باسم السيد نيكسون، إنه من المهم جداً أن يتفهم أصدقاؤنا الفيتناميون موقفنا الجمهوري، وآمل أن تكوني قد وضّحت ذلك لهم. . .أتعتقدين أنهم قد قرروا فعلاً أن يذهبوا إلى باريس؟»

كان رجل نيكسون قد أدرك أن الادارة تعمل على مدار الساعة، لجعل ثيو

يغير رأيه، فأراد ميتشيل أن يتأكد من أنه باقٍ على تصلّبه في رفضه.[24] وقد استجاب ثيو لذلك حسب الأصول. وفي 2 تشرين الثاني/ نوفمبر، قبل ثلاثة أيام فقط من موعد الانتخاب، صرّح علناً أن بلاده لن تشارك في محادثات السلام بموجب الشروط الراهنة.

وفي الولايات المتحدة في تلك الأثناء، وجد نيكسون طريقة ماكرة ملتوية ليلمح بأن وقف الغارات كان سابقاً لأوانه، ومصمماً كخديعة محضة لمساعدة الديمقراطيين على الفوز في الانتخابات. وقد فعل ذلك بجعل كبار مساعديه يطلقون الاتهامات، ثم الزعم بأن آراء المساعدين متعارضة مع رأيه. وكانت تلك كذبة مفضوحة، فالمراسلون المتواجدون على طائرة الحملة، كانوا قد رأوا نيكسون بالفعل وهو يعطي تعليماته للمساعدين الذين أدلوا بتلك الملاحظات.

ومع اشتداد غضب الرئيس جونسون، ذكّره والت روستو، مساعده لشؤون الأمن القومي، بأنه لا يزال هناك انعدام لأي دليل ملموس على أن نيكسون متورط شخصياً في الحبكة مع الرئيس ثيو(فموظفو مكتب التحقيقات الاتحادي الذين كانوا يراقبون آنا شينو ـ مثلاً ـ لم يكونوا يعرفون أي شيء عن اتصال ميتشيل بها في فندق شيراتون بارك في الهزيع الأخير من الليل. وبينما رأوها تدخل الفندق وتغادره، وتبعوها حتى بيتها في تلك الليلة إلى مبنى ووترغيت، فإنه لم تكن لديهم طريقة لمعرفة المحادثة الضارة الخطيرة التي أجريت عبر هاتف مأمون). وبالنسبة لعامة الناس، بقيت الأشياء هكذا منذ ذلك الحين: شك قوي جداً بعملية غدر، ولكن بدون دليل حاسم ـ فيما عدا تصريحات آنا شينو ـ.

---

(24) رذت شينو في كتابها المنشور سنة 1980 بإخبار ميتشل بأنه ليس من الحكمة «محاولة التأثير على الفيتناميين». ويبدو هذا متناقضاً مع مقابلاتها مع المؤلف، المستشهد بها آنفاً، والتي ذكرت فيها أنها أُمِرَت أن تخبر الفيتناميين بأنهم سيحصلون على صفقة أفضل مع وجود نيكسون في البيت الأبيض (عدم «محاولة التأثير»: شينو، مصدر سبق ذكره، ص 190).

غير أن الوضع يتغير مع الإفراج عن ملف مكتب التحقيقات الاتحادي سنة 1999، إذْ أن وثيقتين هامتين جديدتين تكسوان الإشاعة القديمة بالحقيقة وتضعانها في سياقهاـ وتقربان الذَّنْبَ من نيكسون وآغنيو كثيراً.

ففي 2 تشرين الثاني/نوفمبر (1968)، أدى التنصت على هاتف السفير بْوِي دييم إلى مكسب في آخر الأمر، فقد أبلغ المكتب الميداني لمكتب التحقيقات الاتحاد (انظر صورة التقرير في ص 642).

> أن شينو اتصلَتْ بالسفير الفيتنامي بوي دييم وأفادته أنها تلقت رسالةً من رئيسها(ولم تعرّف هويته أكثر من ذلك) أرادها أن تعطيها للسفير شخصياً. وقالت إن الرسالة هي الطلب من السفير «أن يصمد، فنحن سنفوز» وأن رئيسها قال أيضاً «اصمدوا. إنه يفهم كل شيء». وكررت القول بأن هذه هي الرسالة الوحيدة[.] «قال من فضلك أخبر رئيسك أن يصمد». وأفادت أن رئيسها قد اتصل للتوّ من نيو مكسيكو.

كان سبيرو آغنيو قد توقف أثناء الحملة في آلبوكيرك، بنيو مكسيكو، في ذلك اليوم. وبالتزامن مع تحركات آنا شينو.[25]

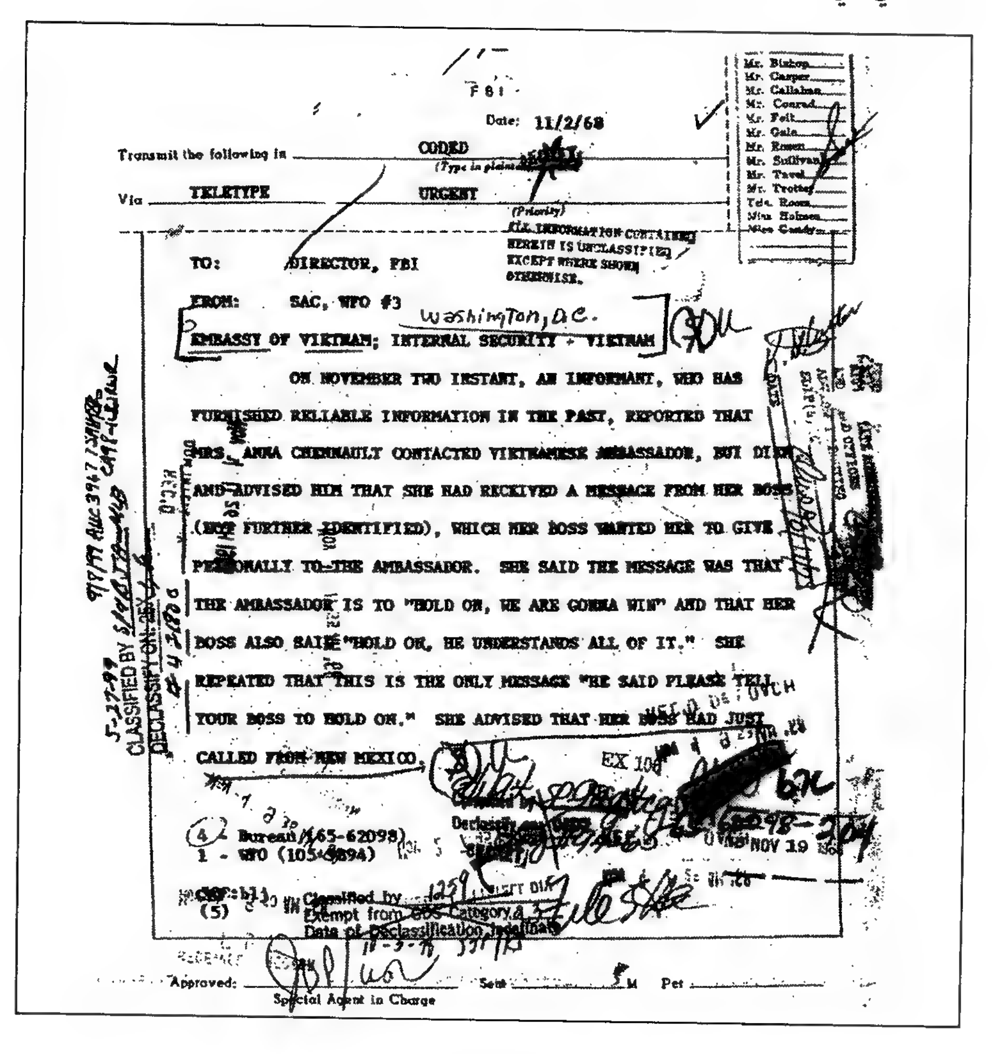
وبعد أيام، عندما هدأت الأمور، أمر جونسونُ مكتبَ التحقيقات الاتحادي بمراقبة كل المكالمات التي يقوم بها فريق آغنيو. ولسوء حظه فإنه لم يتلقَّ خدمة جيدة. ذلك أن مدير المكتب، إدغار هوفر، المؤيد لنيكسون منذ

---

(25) جاء في تقرير من والت روستو إلى الرئيس جونسون بعد عشرة أيام من الواقعة أن «المكالمة الهاتفية مع السيدة حدثت في الساعة 41/1 ظهراً بالتوقيت المحلي لشرق الولايات المتحدة...». وكان آغنيو قد وصل إلى آلبوكيرك في الساعة 15/1 ظهراً بالتوقيت الشرقي. ويقول تقرير آخر لروستو، اعتماداً على استطلاع مكتب التحقيقات الاتحادي، بأن شينو غادرت شقتها بواشنطن في الساعة 45/1 ظهراً بالتوقيت الشرقي. وفي محاولته لإعادة بناء تسلسل الأحداث للرئيس، أشار روستو إلى أنه قد تلقى «الأوقات الجديدة لتحركات آغنيو. ذلك أن التقرير الأولي لمكتب التحقيقات الاتحادي كان يحتوي على توقيتات متناقضة. كما ورد فيه توقيت أبكر ـ 30/1 ظهراً ـ لمغادرة شينو لها. (روستو بعد عشرة أيام: من روستو إلى الرئيس، 12 تشرين الثاني / نوفمبر، 1968؛ الإشارة إلى روستو وشينو 45/1 ظهراً: من روستو إلى الرئيس، 2 تشرين الثاني / نوفمبر، 1968، وثيقة مكتب التحقيقات المرقمة 266 ـ 62098 ـ 65).

أمدٍ طويل، وصاحب العلاقة الودية مع شينو، كان قد حذّرها من كونها تحت المراقبة. وأخبرها أن المكتب كان - بأكبر قد مستطاع - يتظاهر «مجرد تظاهر» بإطاعة أوامر جونسون.

وعندما وصل الأمز إلى مكالمات آلبوكيرك، فإن هوفر ومساعدته كارتادي لوتش قد ضمنا جَعْلَ التحقيق مقتضباً وغير كامل. وفي آخر الأمر، عندما أدرك الرئيس أنهم يماطلونه، أمسك بالسماعة بنفسه وأمر دي لوتش: «احصلي لي على المعلومات. وليكن ذلك بسرعة لعينة».



FBI

Date: 11/2/68

Transmit the following in CODED
(Type in plaintext or code)

Via TELETYPE URGENT
(Priority)

ALL INFORMATION CONTAINED HEREIN IS UNCLASSIFIED EXCEPT WHERE SHOWN OTHERWISE.

Mr. Bishop
Mr. Casper
Mr. Callahan
Mr. Conrad
Mr. Felt
Mr. Gale
Mr. Rosen
Mr. Sullivan
Mr. Tavel
Mr. Trotter
Tele. Room
Miss Holmes
Miss Gandy

TO: DIRECTOR, FBI

FROM: SAC, WFO #3 Washington, D.C.

EMBASSY OF VIETNAM; INTERNAL SECURITY - VIETNAM

ON NOVEMBER TWO INSTANT, AN INFORMANT, WHO HAS FURNISHED RELIABLE INFORMATION IN THE PAST, REPORTED THAT MRS. ANNA CHENNAULT CONTACTED VIETNAMESE AMBASSADOR, BUI DIEM AND ADVISED HIM THAT SHE HAD RECEIVED A MESSAGE FROM HER BOSS (NOT FURTHER IDENTIFIED), WHICH HER BOSS WANTED HER TO GIVE PERSONALLY TO THE AMBASSADOR. SHE SAID THE MESSAGE WAS THAT THE AMBASSADOR IS TO "HOLD ON, WE ARE GONNA WIN" AND THAT HER BOSS ALSO SAID "HOLD ON, HE UNDERSTANDS ALL OF IT." SHE REPEATED THAT THIS IS THE ONLY MESSAGE "HE SAID PLEASE TELL YOUR BOSS TO HOLD ON." SHE ADVISED THAT HER BOSS HAD JUST CALLED FROM NEW MEXICO.

EX 108

4 - Bureau (65-62098)
1 - WFO (105-6894)

(5)

Classified by
Exempt from GDS Category
Date of Declassification Indefinite

CLASSIFIED BY
DECLASSIFY ON: 25X

NOV 19

Approved: Special Agent in Charge Sent M Per

ومن هذا الركام المخلوط، والملفات التي لا تزال خاضعة للرقابة جزئياً، تبرز للعيان حقيقتان: الأولى هي أن سجلات الهاتف تُظْهِرُ أن مساعداً لآغنيو في آلبوكيرك، وهو نفسه المساعد الذي كان مسؤولاً عن إطلاع آغنيو على التطورات في فيتنام، قد أجرى مكالمةً خلال التوقف مع شخص يدعى «السيد هيتْ» في مقر قيادة نيكسون ـ آغنيو.

كان روبرت هيت، أحد المسؤولين في اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، هو الذي يتولى الدفع لرجل الهواتف الذي استخدمه نيكسون أثناء حملته لينظف الهواتف من أجهزة التصنت، والذي أدار هجوماً عدوانياً لغرس أجهزة تنصت أيام رئاسة نيكسون. وقُدِّر لاسمه أن يظهر أيضاً في تحقيق ووترغيت لعلاقته بعمليات مشبوهة لنقل أموال نقدية. وكما ذُكر آنفاً، فإن زوجته، باتريشيا هيل، الرئيسة المشاركة للجنة الحملة، وصديقة نيكسون الموثوقة من أيام وِيتْيِيرْ، كانت واحدة من الناس الذين أسمتهم شينو في السابق، كواحدة من الوسطاء المحتملين، إنْ رغب نيكسون في إرسالة الرسائل إليها.

غير أن أهم اكتشاف قد أرسله روستو، مساعد شؤون الأمن القومي، إلى الرئيس جونسون عندما تجمعت لديه كل الحقائق، بعد عشرة أيام من التوقف في آلبوكيرك. وفي مذكرة مختصرة يشار فيها إلى شينو على أنها «السيدة»، وإلى آغنيو على أنه« السيد في آلبوكيرك» أبلغ روستو أنه كانت هناك مكالمة طُلِبَتْ فيها شينو.[26] وبالاضافة إلى ذلك، وعلى عكس تحليل سابق، فإن آغنيو نفسه كان لديه وقت وفير يكفي لإجراء المكالمة.

---

(26) قالت شينو للمؤلف ولباحث آخر إنها لا تتذكر أنها تلقت مكالمة هاتفية من نيومكسيكو. وتكهنت بأنه إن كان قد سمعها أحد تشير إلى نيومكسيكو، فلعلها كانت تقصد أن تشير إلى **نيوهامبشاير**، الولاية التي هي موطن روبرت هيل، أحد الذين رشحتهم لنيكسون كمرسال وسيط. غير أن السجل الوثائقي [519] يبدو أجدر بالثقة في هذه القضية من ذاكرة شينو (باحث آخر: محادثة مع كاترين فورسلند).

وتشير المعلومات الجديدة إلى سياق منطقي للأحداث في تلك الأيام. ففي أعقاب إعلان ثيو عن رفضه الانضمام إلى محادثات السلام، كما تأمّل الجانب النيكسوني، واجه ثيو ضغطاً متجدداً من إدارة جونسون الثائرة الغضب. وفي أعقاب ذلك الإعلان أيضاً، وصلت إلى شينو من آغنيو في آلبوكيرك تعليمات بأن عليها أن تحث الفيتناميين الجنوبيين على البقاء مصممين على موقفهم.

وكما كشف جهاز التنصت على السفارة الفيتنامية الجنوبية، فإنها أطاعت وأوصلت الرسالة إلى الرئيس ثيو بأن عليه أن «يصمد» لأننا «سوف نفوز»: أي أن نيكسون سيفوز في الانتخابات وسوف يعطي فيتنام الجنوبية ـ كما وعد ـ صفقةً أفضل.

مِمَّنْ نبعت الرسالةُ أصلاً؟ في وقت سابق، كان روستو قد خَمَّنَ في تقرير إلى الرئيس جونسون أن آغنيو كان «يعمل» بالنيابة عن طرف آخر. وبينما لا يزال التقرير خاضعاً جزئياً للرقابة، فإن افتراض مساعد الأمن القومي واضح بما فيه الكفاية. فآغنيو وشينو لم يكد أحدهما يعرف الآخر. ولذا فإن شريك نيكسون لم يكن يعمل بالنيابة عن أحد سوى نيكسون.[27]

وأخيراً فإن هناك حالات تنصت لم تكن معروفة من قبل لدى عامة الناس، تربط نيكسون نفسَهُ بِشِينو. ففي 7 تشرين الثاني/نوفمبر، بعد

---

(27) لقد كان نيكسون هو الذي هاتَفَ جونسون، وليس العكس، كما يقال في كثير من الأحيان. وبعد التحدُّث مع الرئيس، قام إيفريت ديركسين، زعيم الأقلية في مجس الشيوخ بتمرير خبر يقول إنه «يجب عمل شيء ما بسرعة لتهدئة أعصاب الرئيس». وحسب رواية وليام سافاير، فإن ديركسين قد اعتقد أن جونسون «كان على وشك أن ينفجر، ويفضح محاولة حملة نيكسون إحباط جهود السلام بتحريض الرئيس ثيو على مقاطعتها. وذُكِرَ اسمُ آنا شينو». وكانت الرسالة شديدة الإزعاج إلى درجة أن نيكسون أوقظ من نومه، ووافق على مكالمة جونسون بالهاتف (ريتشارد نيكسون يتصل هاتفياً: فورسلند، مصدر سبق ذكره، نقلاً عن مصادر ليندون بِينْز جونسون، بما فيها وحدة عمليات الاتصال؛ سافاير، مصدر سبق ذكره، ص 93، و**مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 120، المناقضة ـ على سبيل المثال ـ لويتكوفر، مصدر سبق ذكره، ص 442؛ يجب عمل شيء ما»: سافاير، مصدر سبق ذكره، ص 93).

الانتخابات، سُمِعَتْ شينو على أجهزة تنصت مكتب التحقيقات الاتحادي، في محادثة مع السفارة الفيتنامية الجنوبية. فقد طلبت السفير في بادئ الأمر، لتقول «إنها قد «اتصلت لتوّها» وأنها ستتكلم بالهاتف فيما بعد. وسرّبت كلمةً بأنها قد تحدثت «إليه»، وأنها كانت «تتحدث مع فلوريدا»، وأن عليها أن تجري بضع مكالمات أخرى قبل أن تستطيع الحركة».

ويبدو أن شينو والسفير قد تغدَّيا معاً في ذلك اليوم في مطعم لوبروفنسال في واشنطن، ثم تحادثا بالهاتف مرة أخرى في المساء. وعندئذ أخبرت بْوِي دييم بالرسالةِ من الرئيس ثيو إلى «رئيسنا» بأنه كان على ما يرام [هكذا]. ثم لاحظ تقرير مكتب التحقيقات الاتحادي أنها قالت:

> إن الشخص الذي ذكرته لدييم، الذي قد يفكر «بالرحلة» قد ذهب في إجازة هذا المساء، وسوف يعود صباح يوم الإثنين، وفي ذلك الوقت ستكون على اتصال مرة أخرى وسيكون لديها مزيد من الأخبار لدييم. . . فهم ما يزالون يخططون الأشياء ولكنهم لا يدَعَوُن الناسَ يعرفون أكثر من اللازم، لأنهم حريصون على تجنب إحراجك، وإحراج أنفسهم، وإحراج الحكومة الأمريكية الحالية.

ولم تسمّ شينو «رئيسها». ولكن هويته واضحة. وكانت الرسالة من ثيو رسالة تهنئة للرئيس المنتخب، الذي كان بالفعل قد غادر إلى فلوريدا ليرتاح من وعثاء الحملة ومتاعبها. كان رئيس شينو هو نيكسون نفسه.

قبل ثلاثة أيام من الانتخابات، لم تكن هذه الأدلة الدامغة قد تكشفّت كلها. غير أن ما كان الرئيس جونسون يملكه في يده منها، كان كافياً لجعله يثور ويستشيط.[28] وعندما علم نيكسون بغضبه، حدثه بالهاتف ليلاً وأنكر كل شيء

(28) في مقابلة جرت سنة 2000، أصرَّت آنا شينو للمؤلف أن آغنيو كان متورِّطاً في الموضوع الفيتنامي، وكان على اتصال مع نيكسون حول موضوع احتمال حدوث انفراج في محادثات السلام. ويشير نيكسون في مذكراته إلى محادثة مع شريكه في الحملة الانتخابية ـ في مطلع تشرين الأول / أكتوبر ـ أطلعه فيها آغنيو على معلومات تلقاها عن هذا الأمر من دين راسك، وزير خارجية جونسون. =

إنكاراً صلباً. فأصرّ على أن آنا شينو قد تصرفت من تلقاء نفسها. وقيل فيما بعد أنه عند نهاية المكالمة، «انهار نيكسون وأصدقاؤه على أنفسهم من الضحك...».

غير أن ضحكهم كان سابقاً لأوانه. وقد استذكر مساعد جونسون، جو كاليفانو، أن «جونسون كان متأكداً في قرارة نفسه وعقله أن نيكسون قد خان وطنه.... ولم تؤدّ إنكارات نيكسون كلها إلى زعزعة اقتناع الرئيس....كان ذلك شيئاً مريعاً...وأخيراً، الآن، في الساعات الأخيرة، كان جونسون يرغب بشكل يائس أن يفوز همفري في الانتخابات».

ولمساعدة همفري على إدامة صعود شعبيته في اللحظة الأخيرة في استطلاعات الرأي، أعطاه جونسون الفرصة لفضح قضية شينو بإطلاع أحد مساعدي همفري شخصياً على نشاط الجانب النيكسوني. وعندما أَعْلَمَ المساعدُ بدوره همفري بذلك على طائرة الحملة، ثارت ثائرته، على غير المعتاد، فصرخ غاضباً: «بحق الله، عندما ننزل فسوف أشجب ثيو. سوف أشجب نيكسون، سأفضح هذا الشيء كله»، ثم التفت إلى زميل له ودمدم هادراً: «ما نوع الشخص الذي ينغمس في شيء كهذا؟».

غير أن الأمر انتهى بعدم قيام همفري، ولا جونسون، بكشف ما عرفاه. فقد قلق همفري من كون تلك المعلومات السرية غير واضحة على نحو كاف ـ وقت حصوله عليها ـ بحيث تشكّل قضيةً مُقْنِعَة. كما حذره مساعدوه أن فضح هذه المعلومات على الملأ قد يبدو كأنه خدعة انتخابية، فيعطي نتائج عكسية. وبناء عليه، فقد لجأ همفري إلى جونسون، قائلاً له «لعلك تريد أن تعتبر أن عليك واجباً لكشف هذا للشعب الأمريكي.

= وفي 24 تشرين الأول / أكتوبر، في تجمع حاشد في سانت لويس، قال آغنيو إنه كان هناك «توقع تام» لحدوث تطور في محادثات السلام في باريس (أصرّت شينو: مقابلة معها في آذار / مارس، سنة 2000، آغنيو أطلع نيكسون: **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 324؛ آغنيو / سانت لويس؛ جول ويتكوفر، **الفرسان البيض، صعود سبيرو آغنيو**، طبع نيويورك: راندوم هاوس، 1972، ص 270).

وإلى وقت متأخر، حتى عشية يوم الانتخاب، كانت الأخبار من البيت الأبيض أن قضية شينو «يحتمل جداً أن تنسف السقف من فوق السباق السياسي». غير أن مستشاري جونسون قرروا أن الأوان قد فات، وأن الخطر على مصالح الولايات المتحدة يحمل ضرراً محتملاً أكبر من اللازم، بحيث إنه ينبغي عدم كشف ما كان يجري. وإذا خرج نيكسون منتصراً، فما الذي ستفعله فضيحة شينو الفظيعة لجدواه كرئيس جديد قادم؟، وما الأثر الذي ستتركه على الرأي العام الأمريكي حول الحرب؟ بل إن هاري مكفرسون، مساعد جونسون، قد استذكر أنهم قالوا له: «إنك لا تستطيع كشف هذه الأشياء وإظهارها على السطح، لأن البلد سيقع في متاعب رهيبة».

وكان هناك سبب آخر لبقاء الغطاء محكماً على الفضيحة: فبعد الانتخابات بثلاثة أيام، كان جونسون ما يزال يفكر بإطلاق صافرة الفضيحة ضد نيكسون. وبدلاً من ذلك، كما استذكر روستو، فإن الرئيس «بحث بشكل فعّال عن تعاون نيكسون، وحصل عليه... في نقل خبر يفيد بأن الرئيس المنتخب يرغب أن ينطلق الفيتناميون الجنوبيون في التحرك نحو التفاوض مع هانوي».

وكما حدث كثيراً في الحياة العملية، فقد كان نيكسون بحاجة ماسّة ويائسة لتجنب الافتضاح. ولذا فإنه تخلى عن الرئيس ثيو وخدعه، كما توقع جونسون وهمفري كلاهما. فأرسل «كلمة قوية» إلى سايغون بأن عليها أن تعكس اتجاهها وتحضر محادثات السلام رغم كل شيء.

وهكذا «صُعِقَت» آنا شينو عندما وجدت نفسها مطالَبَةً بقبول خط نيكسون الجديد، فسألت جون ميتشيل بذهول: «ما الذي يجعلك تغير رأيك على هذا النحو المفاجئ تماماً؟».

فأجاب ميتشيل: «يا آنا، إنك لستِ جديدة على السياسة. هذه السياسة، سواء أحْبَبْتِها أم كرهتِها».

فخرجت شينو بشكل عاصف وهي مشمئزّة، لكي تلاحقها مضايقات

المكالمات الهاتفية من مساعدي نيكسون الآخرين. وفي البدء حثّوها على إرسال الإشارة المتغيرة إلى سايغون، وعندما اتضح أنها لن توافق على ذلك أبداً، بدأ أتباع نيكسون يخشون من احتمال فضحها للقصة الحقيقية.[29] فتم إرسال سلسلة من المبعوثين ليتوسلوا إليها أن لا تتحدث إلى الصحافة.

وظلت شينو تدفع استفسارات المراسلين عنها زمناً طويلاً بعد ذلك لسبب جزئي ـ كما زعمت ـ هو خوفها على سلامتها.[30] وفيما بعد، أثناء حفلة في البيت الأبيض، شكرها نيكسون بإسراف على مساعدتها في الانتخاب، فقالت باقتضاب فظّ: «لقد دفعتُ ثمناً باهظاً بالتأكيد». فأجابها: «نعم. إنني أقدر ذلك، فأنا أعرف أنك جنديّة جيدة».

وفي تلك الأثناء استمر الجنود الحقيقيون بالقتال في فيتنام. وفي الأسابيع الخمسة الأخيرة المؤدية إلى الانتخابات قُتِلَ 960 أمريكياً. وكما هو الحال

(29) قالت شينو إن هيرب كلاين، وتوم إيفانز، زميل نيكسون في مؤسسة المحاماة، وروبرت هيل، وعضو مجلس الشيوخ إيفريت ديركسين وجون تاور قد ضغطوا عليها جميعاً كي لا تتكلّم. (شينو، مصدر سبق ذكره، ص 193 وما يليها؛ مقابلة مع هيرب كلاين).

(30) ظلّت شينو زمناً طويلاً دون أن تكشف عما عرفته، ولكن ليس مدهشاً أو مستغرباً أن أتباع نيكسون كانوا عصبيين. فقبيل تدشين رئاسة نيكسون سنة 1969، قابلها توم أوتيناد، المراسل الصحافي الذي كان يتابع القصة، فقالت له: «إنك ستوقعني في متاعب كثيرة... إنني لا أستطيع أن أقول أي شيء... تعال واطرح عليَّ هذا السؤال بعد حفل تنصيب الرئيس. إننا نمر بأوقات شديدة الحساسية... إنني أعرف الكثير، ولا يسعني أن أقول سوى أقل القليل». وفي أيلول / سبتمبر 1969 أكدت: «إن كل ما فَعَلْتُه أثناء الحملة، كان الجمهوريون ـ بمن فيهم السيد نيكسون ـ على علم به». وفي سنة 1974 وسعت هذا التصريح بقولها: «من الحادثة الأولى [مع الفيتناميين الجنوبيين]، أوضحت لهم أنني أتحدَّث باسم نيكسون...» وبحلول سنة 1979، بعد زمن طويل من سقوط نيكسون في حمأة العار، كانت قد بدأت تعطي المزيد من التفاصيل. ذلك أن الإنكار الشامل الكامل من الجانب النيكسوني قد أزعجها، ولكنها قالت مستسلمة: «لقد كانت حملة شريرة ضارية جداً. فالسياسة لعبة شديدة القسوة». وفي سنة 1981 قال توم كوركوران: «لقد استغل الناس شينو بطريقة فاضحة، ولا سيما نيكسون، فأنا أعرف بالضبط ما قاله نيكسون لها، ثم راح يتنكّر لها جاحداً». (مقابلة في كانون الثاني / يناير سنة 1969: **بوسطن غلوب**، 6 كانون الثاني / يناير، 1969؛ مقابلة في أيلول / سبتمبر، 1969: **واشنطونيان**، أيلول / سبتمبر، 1969، مقابلة سنة 1974: هاو وتروت، مصدر سبق ذكره، ص 48؛ مقابلة سنة 1979: **واشنطن ستار**، 20 آب / أغسطس 1979؛ كوركوران: **الواشنطن بوست**، 18 شباط / فبراير 1981، كلام تستشهد به كاترين فورسلند، مصدر سبق ذكره، ص 52، الحاشية).

دائماً، فإن الإصابات الفيتنامية كانت تفوق الخسائر الأمريكية بكثير رغم أنها ليست موثّقة بالجودة نفسها.

ولا يمكن اعتبار نيكسون مسؤولاً عن انهيار مبادرة جونسون السلمية. إذْ كان الاحتمال الأرجح هو أن يمتنع الرئيس ثيو عن حضور المحادثات على أية حال، حتى بدون ضغط من الجمهوريين. غير أن تدخل نيكسون سراً ليتعمد إحباط جهود السلطات الأمريكية، كان شيئاً معيباً لا يمكن الدفاع عنه. كما أن الطريقة التي ورّط فيها نفسه تظل إلى هذا اليوم بلا دفاع.[31]

كان ريتشارد هولبروك، ممثل الولايات المتحدة اليوم في الأمم المتحدة، دبلوماسياً شاباً في سنة 1968، وعضواً في وفد واشنطن إلى المفاوضات الفيتنامية في باريس. وقد قام مؤخراً بالتحقيق في واقعة شينو أثناء اشتراكه في تأليف كتاب عن مذكرات وزير الدفاع الأسبق كليفورد. فقال في سنة 2000: «إلاّ إن ما فعله أتباع نيكسون ربما كان انتهاكاً للقانون. فقد تدخلوا بشكل كثيف ومباشر وسرّيّ في مفاوضات دبلوماسية كبرى. . . .لعلها واحدة من أهم المفاوضات في تاريخ الدبلوماسية الأمريكية. ولم يكن لهم أي عذر يبرر هذا التصرف. . .»

وحسب رواية كاليفانو، مساعد جونسون، فإن جونسون قد استنتج من تلك التجربة أن نيكسون «كان رجلاً تسيطر عليه شهوة السلطة إلى درجة أنه مستعد لخيانة مصالح الأمن القومي لبلده، وتقويض سياسته الخارجية، وتعريض حياة جنوده الشباب إلى الخطر، في سبيل الفوز بالمنصب».

(31) عبَّر اثنان من مساعدي نيكسون الأكثر صراحة عن الفزع. وكتب وليام سافاير: «لم تكن تلك أروع ولا أدقّ ساعات السياسة الأمريكية». وقد تحدث هيرب كلاين إلى المؤلف عن دوره المذكور بعد الانتخابات ـ عندما تحدَّث هاتفياً مع شينو ليحذرها بوجوب البقاء صامتة هادئة ـ فقال إن ذلك «لم يكن شيئاً أفتخر به». وقال إنه برَّر هذا التصرف لنفسه بأن الجانب النيكسوني كان يعتقد أن هناك دوافع سياسية وراء مبادرة جونسون السلمية. (سافاير، مصدر سبق ذكره، ص 91؛ شينو، مصدر سبق ذكره، ص 193؛ مقابلة مع هيرب كلاين).

وفي سايغون، جلس الرئيس ثيو قابعاً أمام جهاز تلفزيون يراقب نتائج الانتخاب. وقيل إن الدوائر الحكومية في فيتنام الجنوبية شربت الشمبانيا الفرنسية نخب انتصار نيكسون. وتبجّح أحد المسؤولين: «لقد فعلناها. لقد ساعَدْنا في انتخاب رئيس أمريكي».(32)

غير أن مؤامرات الأسابيع المنصرمة، كانت لها عاقبة غادرة خبيثة مأسوية. فقد شعر ثيو أن نيكسون مدين له، وعليه أن يسدّد ذلك الدَّيْن. وكان من سخرية القدر، بالإضافة إلى ذلك، أن الرئيس الفيتامي الجنوبي تحدى نيكسون فيما بعد، تماماً كما تحدى جونسون من قبلُ في سنة 1968. فقد راح يماطل في اللحظة العصيبة، ليحرم نيكسون من اتفاقية سلام تسبق الانتخابات الرئاسية لسنة 1972.

وحسب رواية مساعد سابق من المقربين، فإن ثيو حضر أول اجتماع له مع الرئيس نيكسون باحثاً عن «نوع من الاعتراف بالجميل لدوره في مساعدة نيكسون على الفوز». فحصل عليه، رغم أن نيكسون كان قد شرع يتحدث

---

(32) في غضون أسبوعين من انتهاء انتخابات الرئاسة سنة 1968، كتب درو بيرسون عن «تقارير غير مؤكدة عن قيام زعماء فيتنام الجنوبية حتى بتسريب أموال نقدية إلى ممثلي حملة نيكسون الانتخابية». وهي فكرة ربما كانت معقولة وقابلة للتصور على ضوء الأدلة التي أثبتت أن نيكسون أخذ أموالاً من الدكتاتورية اليونانية في ذلك العام. (انظر الفصل الثاني والعشرين). وقد كتبت ريناتا آدلر، مستشارة لجنة مجلس النواب للتحقيق في توجيه الاتهام إلى الرئيس، بصورة مطوّلة تقترح فيها أن تلك كانت هي الحالة أيضاً بعد ذلك بأربع سنوات، في حملة سنة 1972 وأنها تشكّل السرّ الأعظم لرئاسة نيكسون. ولاحظت أن لجنة الأعمال المصرفية، التابعة لمجلس النواب، قد اكتشفت مبالغ ابتزازية كان المستوردون الفيتناميون يضطرّون إلى دفعها للمصدرين الأمريكيين في حسابات مصرفية سويسرية. وتساءلت لماذا هرع مساعدو نيكسون، عندما تعمّقت أزمة ووترغيت، إلى إعادة مبلغ ثلاثين ألف دولار كان مواطن من الفيليبين قد تبرّع بها - عن طريق آنا شينو. وتبدو فرضية آدلر قائمة على الاستنتاج، لا على الأدلة. فقد أنكرت شينو من جانبها أية معرفة بتبرعات انتخابية من حكومة سايغون. (بيرسون: **الواشنطن بوست**، عدد 17 تشرين الثاني / نوفمبر، 1968؛ آدلر: **أطلانطيك**، عدد كانون الأول / ديسمبر، 1976، **نيويورك ريفيو أوف بوكس**، عدد 2 (؟) كانون الأول / ديسمبر، 1977؛ مقابلة مع ريناتا آدلر؛ الثلاثون ألف دولار: لجنة مجلس الشيوخ للتحقيق في أنشطة الحملات الانتخابية، برئاسة السناتور سام إيرفن، القسم الأول، ص 721؛ القسم الثالث والعشرون، ص 11155؛ ستانس، **المرعبات**، مصدر سبق ذكره، ص 371).

علانيةً عن سحب القوات. وهكذا فإن الرجل الذي تحدث عن إنهاء الحرب في غضون ستة أشهر إلى سنة، راح يعطي تطمينات في السرّ. واستذكر ثيو: «لقد وعدني بثماني سنوات من التأييد القويّ، أربع سنوات من الدعم العسكري أثناء فترة رئاسته الأولى، وأربع سنوات أخرى من الدعم الاقتصادي أثناء فترة رئاسته الثانية».

وقدر للحرب الفيتنامية في ظل حكم نيكسون أن تستمر مستعرة الأوار أربع سنوات مليئة بالعذاب الأليم. وأن يُجَرَّ إلى أتونها بشكل سرّيّ بلدٌ ثانٍ هو كمبوديا، التي أغرقها في آخر الأمر طوفانُ ثورةٍ قُدِّر لها أن تبتلع حياة ما يقرب من مليوني إنسان. وكرر نيكسون معاقبته لفيتنام الشمالية بغارات متطاولة ومدمرة أكثر من أي شيء حدث من قبل.

فَتَحْتَ إدارة نيكسون، وباسم البحث عن سلام مشرف، هلك 20763 أمريكيّاً آخرين ـ أكثر من ثلث إجمالي عدد القتلى أثناء فترة التورط الأمريكي بكاملها. وجُرِحَ 111230 أمريكياً وقُتِلَ 109230 جنديّاً فيتنامياً جنوبياً، وكذلك 496260 من جنود العدو الشيوعي، وألوف غير معروفة يخطئها الحصر من المدنيين الأبرياء.

ولقد حاول بعض المعلقين ـ ومنهم نيكسون ـ القول إن تمديده للصراع كان له ما يبرره، وأن الكفاح قد منع سقوط بلدان أخرى من جنوبي شرقي آسيا في قبضة الشيوعية. وظل نيكسون في شيخوخته يصرّ على أن حكومة ثيو كانت ستبقى لو لم يقم الكونغرس في آخر الأمر بسحب التمويل والدعم.

ولكن الحجة لمصلحة العكس تبدو قوية طاغية كذلك. فبالنسبة للرجال والنساء الذين لا يُحْصَى عددهم ممن خدموا في فيتنام، أو الذين راقبوا الحرب كدبلوماسيين أو كصحافيين، لم يكن النظام الجنوبي الفاسد ـ حسب رأيهم ـ يستحق أبداً التضحيات التي قدمت باسم الديمقراطية. وفي الميدان، على بعد

آلاف الأميال من منابر الكلام في واشنطن، كان كثيرون، ومنهم مؤلف هذا الكتاب، يقدرون في سنة 1969 أن آفاق بقاء فيتنام وحدها كانت من الناحية العملية صفراً.

وعند مثل هؤلاء النقّاد، فإن العار لا يقتصر على كون الكفاح بلا جدوى، بل إنه جاء لأن «كسب» السلام المشرف ـ كما وصفه نيكسون لم يكن ـ بأية طريقة ذات معنى ـ أكثر جدارة بالتضحيات من التسوية التي بدت ممكنة لو نجحت مبادرة جونسون السلمية سنة 1968.

وكان هناك شيء آخر يشكّل ـ إن صحّ ـ خيانةً تعادل خطورتُها نسفَ جهد السلام. ذلك أن هنري كيسنجر، الذي كان على وشك تحقيق الشهرة كمستشار للأمن القومي ثم كوزير للخارجية قدم تقويماً ساخراً لموقف الإدارة بعد بضعة أشهر من اجتماعه بنيكسون. فقد قيل إنه قال لزائرٍ له: «أوافق على أن الحرب غلطة، وأعتقد أنه من الواضح الآن أننا ماكان ينبغي أن نذهب إلى هناك أبداً، ولا أرى كيف يمكن أن ينجم أي شيء جيد(عن تلك الحرب). ولكننا لا نستطيع أن نفعل ما توصي به وننسحب ببساطة، لأن ناخبي رئيسنا المؤيدين له سيتساقطون وينفضّون؛ فهم شعبه الذي يؤيد المجهود الحربي: والجنوب؛ والديمقراطيون ذوو الياقات الزرقاء في الشمال. إن ناخبي نيكسون يقفون وراء المجهود الحربي. فلو انسحبنا من فيتنام الجنوبية، فستقع كارثة على الصعيد السياسي تصيبنا هنا، في الوطن.

وبالنسبة لنيكسون في تشرين الثاني/ نوفمبر سنة 1968، كانت الكارثة ما تزال بعيدة. فما كان لديه ـ أخيراً ـ هو النصر السياسي آنئذٍ ـ ولو أنه لم يكد يحصل عليه.

24

هذا هو الحلم الأمريكي في الحقيقة، حيث يستطيع الناس ذوو الظروف المتواضعة، أن يصعدوا إلى أعلى السلّم من خلال العمل الشاق وحده.

بات نيكسون، 1968

لبّى الشعبُ الأمريكيُّ حاجةَ نيكسون للفوز في تشرين الثاني/ نوفمبر سنة 1968، ولكن بتذمر وضغينة. كان آخر استطلاع للرأي أجرته مؤسسة هاريس، عشية الانتخاب، يعطي همفري تقدماً من ثلاث نقاط. ولم يكن أي من الرجلين يأمل في الحصول على أغلبية واضحة.

وعلى متن طائرة الحملة، بينما كان نيكسون في طريقه إلى نيويورك لينتظر نتيجة التعداد وفرز الأصوات، صَدَمَ بات وابنتيه بالاعتراف «يمكن أن نخسر». وتناول غداءه مع بيب ريبوزو، ثم عزل نفسه في مقصورته الخاصة بقية الرحلة.

كان نيكسون يخشى أن تُسْرَقَ منه نتيجةُ الانتخاب، كما اعتقد أنها كانت قد سُرِقَتْ على يد جون كينيدي سنة 1960، ولذلك نظم عملية«عين النسر» المصممة لإحباط الخديعة في شيكاغو على يد عمدتها الديمقراطي دالي. وكان مساعدٌ سابق لمديرمكتب التحقيقات الاتحادي يدير العملية «نزاهة». بمراقبة المشهد الوطني العام. وحتى الساعات الأخيرة ظل نيكسون قلقاً. وعندما جاء الخبر عن معضلة أوقفت التعداد في تكساس، أناب عنه هالدمان «ليكتشف ما الذي يجري هناك بحق الجحيم».

وجلس نيكسون وحده في جناحه في أبراج والدورف، عالياً فوق مانهاتن، وسهر حتى الهزيع الأخير من الليل الطويل. ورفض أن يتفرج على التلفزيون وحكمائه المثرثرين. فاعتمد على رقاع حسابية عن النتائج كان هالدمان يأتيه بها كل ربع ساعة. وراح يخربش حساباته على عجل على رزمة أوراقه الصفراء. ودخّن السيجار، فاستهلك خمسة منه تلك الليلة.

وكان شعور نيكسون بانعدام الأمن كبيراً إلى درجة أنه حثّ همفري على الموافقة على أنه، إذا تقاربت الأصوات في النتيجة إلى حد الاضطرار إلى إرسالها إلى مجلس النواب للبت فيها، فإن الفائز في التصويت الشعبي ينبغي أن يحصل على تأييد الخاسر. فرد عليه همفري بجفاء أنه سوف «يتمسك بالدستور». وقد اعتقد الصحافي توم ويكر أن اقتراح نيكسون كان إرهاصاً ينبئ بما «كان مقدراً للأمة أن تشهده في وقت لاحق في ووترغيت» ـ عدم الصبر على الاجراءات الدستورية والاستعداد للالتفاف عليها في بعض الحالات.[1]

وفي ساعات الفجر، ومع إيحاء الأرقام بفوز نيكسون، ولكن مع تأخر ظهور نتيجة ولاية إيلينوي، حاول أن يسحق خصمه بعنف. فأرسل إليه يقول: «قولوا لهيوبرت أن يكف عن اللعب. لقد كسبنا إيلينوي، فدعونا نُنْهِ هذا الأمر». وكان ذلك خرقاً للعادة ولأصول اللياقة، فثارت ثائرة معسكر همفري.

وفي الجناح، في القاعة، جلست بات وابنتا نيكسون طيلة ظهور النتائج منعزلات وقد تجاهلهن الجميع. وأثناء التوقف في إيلينوي، غلب على بات التوتر العصبي، فهرعت إلى الحمام حيث تقيّأت.

ثم انتهى الأمر، وأعلنت إيلينوي تأييدها لنيكسون، فاعترف همفري

---

(1) كان توم ويكر أحد كبار المراسلين وكتاب العمود الصحافي في **النيويورك تايمز**. وقد تتبع حياة نيكسون العملية. وألّف كتاباً عنوانه: **واحد منا: ريتشارد نيكسون والحلم الأمريكي**، ونَشَرَه سنة 1991 (نيويورك: راندوم هاوس).

بهزيمته فعلاً. وفاز نيكسون بهامش ضئيل: 43,40 بالمئة من الأصوات الوطنية، مقابل 42,72 بالمئة لهمفري، بينما حصل على الباقي جورج والاس، حاكم آلاباما ومرشحون هامشيون. ورغم أن عدد الأمريكيين الذين صوتوا في هذه الانتخابات قد زاد على ناخبي سنة 1960 بأربعة ملايين، فقد نقص عدد الأصوات التي تلقاها نيكسون بأكثر من مليوني صوت عما ناله سنة 1960 عندما وقف ضد كيندي. ومع ذلك فقد فاز في سنة 1968.

وفي ذلك الصباح، قام بيب ريبوزو باستدعاء بيلي غراهام إلى جناح نيكسون. ووقف نيكسون، وبات، وتريشيا، وجولي، والمبشر في دائرة، وقد تماسكت أيديهم، بينما قدم غراهام الشكر على «خطة الله من أجل البلد»، وعلى «التراث الروحي لوالدة نيكسون».

ثم نزلوا إلى قاعة الاحتفالات في والدورف، حيث وقفت العائلة المتعَبَة إلى جانبه، وبكت روز وودز وهي تتنفس الصعداء، وخطب نيكسون في الجمع المحتشد، فقال إن هدفه الكبير كرئيس هو «جمع شمل الشعب الأمريكي». ولم يذكر فيتنام، ولكنه أخبر غراهام سرّاً أن أمريكا كانت «على حافة الانتصار» ـ ما دام القصف مستمراً.

وفي المنزل في ذلك المساء، استعدت النساء للسفر في إجازة إلى فلوريدا، بينما اعتكف نيكسون في غرفة مكتبته. وسرعان ما تدفقت إلى مسامعه عبر الأبواب المزدوجة، أصوات الأبواق والأدوات النحاسية لواحدة من مقطوعاته الموسيقية المفضلة، وهي التي عنوانها **النصر في البحر**، من تأليف الموسيقار الأمريكي ريتشارد رودجرز [1902 ـ 1979]. وفي وقت لاحق، عندما صعد إلى الطائرة مع بات، أدارها حوله دورة تشبه حركات رقص الباليه. ولاحظ موظفوه أن الطائرة، التي تكرم الرئيس جونسون بإرسالها إليه، كانت هي طائرة السلاح الجوي رقم واحد. وهي نفسها النفاثة التي كانت قد حملت جثمان جون ف. كيندي في نعش من مدينة دالاس، قبل ذلك بخمس سنوات.

وكانت زخارف المنصب بادية للعيان. والناس الذين اعتادوا مخاطبته باسم «السيد نيكسون» أو«دِكْ» بدأوا يجربون تسميته «السيد الرئيس». أما بالنسبة لحراسه من الشرطة السرية، الذين تضاعف عددهم آنئذٍ، فقد صار يُعْرَفُ بالاسم الرمزي المشفور «الضوء الكشاف». وصارت بات تُعْرَفُ باسمٍ مماثل هو «ضوء النجم».

كان هذا ما تلهف عليه نيكسون زمناً طويلاً. ومع ذلك، فقد اعتقد هالدمان، الذي كان يراقب رئيسه ويستمع إليه، أنه «شعر بأن إمكانية انتخابه كانت شديدة الغرابة».

ولم تكن الأيام والأسابيع التالية تشبه بالضبط ما أريد لعامة الناس أن يعتقدوا، وكانت مليئة بالنُّذُر.

وصرخ إيرليكمان: «يا للهراء!»، مستذكراً التقارير الصحافية التي زعمت أن الرئيس المنتخب كان متوارياً وراء موظفيه و «مغطى» بالحقائب المنتفخة، يقوم بعمل كثير. ولقد عقدنا اجتماعين بالفعل، ولكننا تُرِكْنا وشأننا كي نؤلف الحكومة. . .فكيف جمع نيكسون موظفي البيت الأبيض وغيرهم؟ والجواب على ذاك السؤال هو : «إنه لم يفعل ذلك جيداً». كانت عملية تعيين الموظفين أثناء فترة الانتقال من عهد جونسون عمليةً «خَرِبة».

وقد احتقر أتباعُ نيكسون المكاتب الخاليةَ التي وضعت تحت تصرفهم في واشنطن. ورتبوا لأنفسهم أماكن في فندق بيير في مانهاتن. وقد صُدِمَ موريس ستانس، أمين صندوق الحملة الانتخابية، الذي سرعان ما أصبح وزيراً للتجارة، من التسهيلات السخية والتكاليف التبذيرية الباذخة»، أكثر من المبلغ الاتحادي المخصص لهذه الأغراض بمليون دولار.

وعندما ثبت عدم جدوى ملف جاهز بأسماء الموظفين المحتمل تعيينهم، وافق نيكسون على خطة سخيفة ومضحكة. فقد خرجت رسائل إلى كل شخص

مدرج اسمه في قاموس التعريف بالشخصيات وهم نحو ستين ألفاً، تطلب توصياتهم حول كيفية ملء ألفي وظيفة حكومية.

وبدأت عملية الاختيار على نحو غريب. فبعد أقل من أربع وعشرين ساعة على الانتخابات، عرض نيكسون على إيرليكمان بشكل عابر منصب المدعي العام، رغم أنه لم تكن لديه سوى خبرة محدودة كمحام. فكان رأيه أن الفكرة «سخيفة». وصار بدلاً من ذلك مستشاراً في البيت الأبيض، وهي وظيفة استذكر عن ممارستها «أنه لم يقم بأي عمل قانوني روتيني نظامي». بل أخذ يقدم المشورة حول السياسة المحلية.

أما وظيفة المدعي العام. فقد ذهبت إلى مدير الحملة، جون ميتشيل. ذلك أن راعي نيكسون، توماس ديوي، قد شمّ بأنفه أن جون ميتشيل «قد يكون أفضل محامي سندات وضمانات في نيويورك، ولكنه ليس سياسياً». غير أنه خدم ـ كما يروي أحد الكتب المرجعية ـ بصفة «ذراع نيكسون السياسية اليمنى، فقد كان يتقن الإرغام ويعمل كصولجان برق صاعق، ومستشاراً وموضعَ سِرّ موثوق...»

ولم ينضم ميتشيل إلى نيكسون والموظفين الآخرين في فلوريدا على الفور بعد الانتخابات. وأوضح وهو دامع العينين أنه قد اضطر إلى الذهاب «للعناية ببعض الأشياء مع مارثا». كانت زوجته الزئبقية التي لم يكن نيكسون يطيقها، والتي أدت حالات عدم احتراسها إلى تسويد سمعته، وكانت لديه منذ ذلك الحين مشاكل مع إدمان الكحول.

وفي انتقاء هالدمان كرئيس لأركان البيت الأبيض، كان ذهن نيكسون منصرفاً إلى نصيحة كان آيزنهاور قد قدمها له ذات مرة: وهي أن كل رئيس يحتاج إلى سفيه (ابن زانية). وكان هالدمان آنذاك في الثانية والأربعين، وقد كسب أشرطة ترفيعه كمنظم حملة شديد الكفاءة. فصار هالدمان، حسب روايته نفسها «السفيه الكامل ابن الزانية» المدافع عن نيكسون.

ولقد خُدِعَ ثيودور وايت بالأسلوب الهادئ لرئيس الأركان الجديد، فظنه «شخصاً لطيفاً طيب المعشر منفتحاً تماماً على الآخرين». وقبل أن يترك هالدمان مؤسسة ج. والتر طومسون ليلتحق بنيكسون، كان قد أشرف على حسابات شركات سفن ـ آب، وصاني فلاش، وبلُوتشيب ستامبس، ومنتجات والت ديزني. وكان «حلمه الكبير»، حتى بعد سنة 1968، هو أن يصبح ذات يوم على رأس إمبراطورية ديزني. ولكن بقاءه مع نيكسون جعله ـ حسبما استنتج وايت ـ «يسبح في اللجّة أبعد من اللازم، متجاوزاً العمق الطبيعي لحدود طاقته».

وصارت الصيغة التي عُرِفَتْ عن هالدمان فيما بعد، هي أنه واحدٌ من «نازيّي» نيكسون، مع إيرليكمان.[2] ورغم أن هالدمان كان المساعد الأقرب إلى العرش، فإنه من الناحية الإنسانية كان له مع نيكسون نوع غريب من «اللاّ علاقة». وخلال سنوات علاقتهما الثلاث عشرة، لم يتناولا العشاء معاً، بصحبة زوجتيهما، بشكل عفوي غير رسمي، سوى مرة واحدة. وقال هالدمان بعد سنوات: «إنه لم يكن ينظر إلي كشخص، ولا حتى كإنسان، على ما اعتقد، وحتى هذا اليوم، فإنه لا يعرف كم طفلاً عندي، ولا أي شيء آخر عن حياتي الشخصية. ذلك أنه لم يسألِ أبداً. . .».

وقال هالدمان: «لقد شاهدت فيلم «حرب النجوم» بعد ظهوره بوقت قصير. وكان فيه إنسان آلي، ماكنة معدنية تصدر أصواتاً غريبة وتعمل ما يأمرها به عقلٌ يشبه الحاسوب. ومن وجهة نظر نيكسون، هكذا كنتُ أنا. وكنتُ ماكنةً جيدةً بين يديه». وفي آخر الأمر قام نيكسون بتعيين هالدمان «جلاداً عالي المقام»، بحيث راحت هذه «الماكنة الجيدة» تثير الذعر في نفوس زملاء هالدمان في البيت الأبيض.

---

(2) كانت أسرة هالدمان في الحقيقة من أصل سويسري. (مايكل مدفد، **رؤساء الظل**، نيويورك: تايمز بوكس، 1979، ص 306).

وبعد الفوز بالرئاسة، تخلص نيكسون من كثير من أصدقائه وأتباعه. فهيرب كلاين، الذي كان الناس يتذكرونه كواحد من أنزه الشخصيات في موكب نيكسون، تم تجاوزه كسكرتير صحافي لإعطاء هذا المنصب للمدعو رون زيغلر، وهو شاب أصغر سناً منه بكثير، وقد جيء به من الوكالة التي كان يعمل فيها هالدمان، وهي وكالة قديمة للإعلانات. وقد ظل زيغلر هذا موالياً لنيكسون إلى النهاية، بل وإلى ما بعد النهاية. وكان المراسلون الصحافيون يعرفونه باسم «زيغزاغ» Zikgzag» (أي المتعرج) بسبب موهبته في طمس الحقائق والالتفاف حولها.

وبناء على أوامر هالدمان، ولكن بموافقة نيكسون، فحتى روز وودز المخلصة، نُبِذتْ إلى غرفة السرداب الأرضي، بعيداً عن المكتب البيضاوي. وفي إحدى المراحل عندما سمعت بهذا الخبر، رفضت أن تتكلم مع نيكسون، بل سمحت لنفسها في سورة غضبها باستخدام ألفاظ شتمٍ بذيئة. وبذلك سجلت موقفاً. وبينما حصل هالدمان على مكتب مجاور للرئيس، حصلت روز وودز على مكتب قريب كذلك.

وراحت مناصب البيت الأبيض تمتلئ، واحداً بعد الآخر، بشباب نظيفين مستقيمين على ما يبدو، مِمّن يوافق عليهم هالدمان. فتاجر المواد التجميلية، جيب مغرودر، جيء به كمساعد خاص. ودوايت تشابين، الصنيعة الأخرى من نتاج ج. والتر طومسون، جيء به لتشغيل هواتف المكتب البيضاوي والاهتمام بحاجات نيكسون الشخصية. وكان يعتقد أن رئيسه سيصبح «أعظم رئيس في التاريخ». أما المحامي توم هيوستن، الذي كان يكمل خدمته في مخابرات الجيش، فقد تم تجنيده للعمل في لجنة الأمن. وصار محامٍ شاب من مؤسسة نيكسون القانونية، يدعى غوردن ستراخان، مساعداً شخصياً لهالدمان.

وكان من بين الواصلين المتأخرين المحامي تشارلس كولسون، وهو بحار

سابق صار مقرّباً حميماً لنيكسون، وحسب وصفه لنفسه «متعصباً لنيكسون يرفع بيده البيرق تحت شعار «اضربوا رؤوسهم» المعادي للصحافة ولأي توجه ليبرالي»؛ وكذلك جون دين، المستشار الذي قدر لنيكسون أن يصفه بأنه «يهوذا وخائن. . . » عندما أفشى أسرار ووترغيت للجنة مجلس الشيوخ.

وقد وصف أبو كولسون ابنه بأنه «مُوالٍ وحشي أثيم»، واستذكر زملاء جون دين لهفته الأولية على «إرضاء الرئيس» بادئ الأمر. وقُدِّر لهيوستن أن يتكلم فيما بعد بشيء من المغالاة كما يفترض المرء، عن استعداد موظفي نيكسون الشباب لتنفيذ الأوامر بدون أي تساؤل، فقال إنه «لو طلب منهم نيكسون تأميم سكك الحديد فسيؤممون سكك الحديد. ولو طلب منهم إبادة اليهود، لأبادوا اليهود».

وفي المستقبل سيتوصل هالدمان وإيرليكمان إلى الرأي القائل بأن مثل هذه الطاعة غير المشروطة كانت مفتاح الفضائح التي دمّرتهم جميعاً. وقال إيرليكمان إن نيكسون كان معتاداً على إصدار الأوامر البلاغية الطنانة. . . . وكان حوله أناس لا يعرفون الفرق، مثل نوعية البحارة، الذين كانوا يقدمون التحية بأن إيرليكمان وهالدمان، على عكس زملائهما، كانا يعرفان متى يتجاهلان أوامر نيكسون الأكثر حمقاً ومغالاة.

وتم الترويج لإعلان نيكسون عن أسماء وزراء حكومته باعتباره حدثاً من الأحداث الكبرى في ميدان العلاقات العامة. غير أن ذلك لم يهيج حماس أحد. وقد أعطى الأولوية لتحويل السياسة الخارجية، ولكن التعيينات الوزارية، حتى في منصب وزير الخارجية، لم يكن لها صلة بذلك. كان نيكسون يعتبر السياسة المحليةَ «مدعاةً للسأم» وكان قد قال في السنة المنصرمة التي سبقت فوزه: «لقد كنت أعتقد دائماً أن هذا البلد يستطيع أن يدير نفسه بنفسه محلياً بدون رئيس. فكل ما تحتاج إليه هو حكومة كفوءة لإدارة البلد داخلياً. فأنت تحتاج إلى رئيس من أجل السياسة الخارجية. . . ».

ولقد خرج دانييل باتريك موينهان (الذي عِيِّن مساعداً لشؤون المدن والمراكز الحضرية) من أول اجتماع له مع نيكسون مذهولاً من اعترافه الجاهز بالفجوات الهائلة في معلوماته. غير أن العكس كان هو الصحيح في معرفة نيكسون بالجغرافيا السياسية، وهذا أمر يتفق عليه حتى أقوى منتقديه. كان ينوي أن يشكل السياسة الخارجية بنفسه. وكان ذلك يعني إعطاء أولوية لتعيين مساعد لشؤون الأمن القومي. فعيَّن في هذا المنصب هنري كيسنجر، الذي كان في السادسة والأربعين من عمره آنذاك.

ولقد كان التواطؤ بين السياسي والأستاذ تاريخياً. ولكن بداياته كانت غير متوقعة، أو غريبة. ذلك أن كيسنجر، كمحاضرٍ في برنامج الدراسات الدفاعية في هارفارد، كان قد أعلن كراهيته لنيكسون على وجه الخصوص. وبينما نَبَذَ همفري أثناء الحملة الانتخابية ووصفه بأنه «مهرج»، فقد اعتبر الحزبَ الجمهوريَّ «بلا أمل»، ونيكسون «أخطر مرشح لمنصب الرئيس من بين جميع الناس». فهو «لا يصلح كرئيس» وهو «كارثة» إذا تم انتخابه فسوف يسبّب نكبة قومية. وقد عبّر كيسنجر عن مثل هذه الآراء على الرغم من أنه كان قد عقد أول اجتماع له مع نيكسون في السنة المنصرمة وقال إنه وجده «ألطف. . . وأكثر تفكيراً» مما كان يتوقع.

وكان كيسنجر قد لعب لعبته ببراعة على الجانبين مقابل الوسط في الأشهر التي سبقت الحملة الانتخابية. فقد اتصل بمستشار همفري للسياسة الخارجية، زبغنيو بريجنسكي، قائلاً إنه «يكره» نيكسون وعارضاً أن يضع بين أيدي الديمقراطيين «ملفات قاذورات» عنه، وهو اقتراح لم ينفذه أبداً. وبعد ذلك بوقت قصير، حسب رواية نيكسون ومستشار حملته للشؤون الخارجية، فإن كيسنجر قد سرّب إلى الجمهوريين ما كان يعرف عن محادثات السلام الفيتنامية.

وبعد الانتخابات بوقت قصير، تحدث كيسنجر بالهاتف مع الصحافيّة

غلوريا شتاينم ليسألها إن كان عليه أن يعمل لنيكسون إذا دُعِيَ لذلك وتساءل إن كان من الأفضل «أن يحاول جعل الأشياء أقل سوءاً بالعمل من الداخل؟» فجعلته شتاينم يوافق على كتابة قطعة لمجلة نيويورك المعنونة «مشكلة التعاون». فلم يتابع هذا التكليف أبداً لأن نيكسون عرض عليه منصباً بالفعل، فَقَبِلَهُ.

وسرعان ما راح كيسنجر يأخذ طريقه إلى الاجتماعات الصباحية في البيت الأبيض وهو يدمدم بالألمانية: «صباح الخير يا هرّ هالدمان!» ليجيبه هذا بقوله «صباح الخير يا هر هاينز!» وكان أمام كيسنجر قضية التشابك المتطاول في المفاوضات الفيتنامية، واختراق الطريق المسدود إلى الصين، والعلاقة المعقدة مع نيكسون، والشهرة الدائمة.

وشقَّ جون إدغار هوفر طريقه، هو الآخر إلى فندق بيير ليتم تثبيته كمدير لمكتب التحقيقات الاتحادي، وهو المنصب الذي كان قد شغله طيلة أربع وأربعين سنة، وليلعب على مخاوف نيكسون. وهكذا زعم لنيكسون أنه أثناء التحقيق في تدخل الجمهوريين بمبادرة السلام الأمريكية في فيتنام، أمر الرئيس جونسون المكتبَ المذكورَ بتركيب جهاز تنصت في طائرة حملة نيكسون. وليس هناك دليل على أن هذا الأمر قد نُفِّذ. وقد أعلن كارتادي لوش، مساعد هوفر السابق أن رئيسه تعمد تزوير الحقائق. غير أن نيكسون صَدَّق ما قيل له. وقدر له أن يثير هذه القضية مرة بعد مرة أثناء فضيحة ووترغيت، على أمل إظهار كون الديمقراطيين مذنبين كذنب أتباعه في الجرائم الإليكترونية.

وفي سياق مماثل، نصح هوفر نيكسون أن لا يجري أي مكالمات عن طريق لوحة مفاتيح البيت الأبيض، وحذره قائلاً: «سيكون هناك رجال صغار لا تعرفهم، منهمكين في التنصت». وزعم أن الاتصالات الرئاسية، التي كان يشرف عليها سلاح الاشارة في الجيش غير آمنة. وقال: «إن على الرئيس أن يعلم أنه إذا تحدث على تلك الخطوط فإنه من المحتمل أنه سيكون مراقباً».

ومنذ اكتشاف جهاز التنصت في مقر حملة نيكسون سنة 1962، ظل التجسس الإليكتروني يقلقه بشكل دائم(*). وكان هناك متخصص قديم في التمديدات الهاتفية، مستنفر طيلة الحملة يتفحص الأجهزة بحثاً عن أدوات تنصّت في مكتب نيكسون القانوني بنيويورك، وكذلك في مكاتب المساعدين، والمؤتمر الجمهوري، وفي كل فندق يستخدمه المرشح في طول البلاد وعرضها.[3]

وكان القلق من أجهزة التنصت يشغل بال نيكسون حتى في ما يختص بالأعمال غير السياسية ـ إن صحّ أن يتمكن المرء من القول إنه انفصل عن السياسة في أي وقت على الإطلاق. فقبل سنة أو نحوها من انتخابات سنة 1968، قال نيكسون لنائب رئيس شركة البيبسي أثناء رحلة إلى القاهرة: «دعنا نبتعد إلى زاوية نضمن فيها عدم تنصّت أحد علينا». واستذكر صديقه بات هيل قلقه بعد زيارة للبيت الأبيض أيام حكم جونسون سنة 1966: «صعدنا إلى ليموزين البيت الأبيض لنتجه إلى المطار. وسألت نيكسون عما حدث في الطوابق العليا. فقال لي: «صه! صه!» وأشار إلى سقف السيارة موحياً بأنه ملغوم بجهاز تنصت. وهكذا لم نقل شيئاً حتى وصلنا إلى المطار».

ولقد تأكدت هذه المخاوف كلها من اجتماع مع جونسون بعد الانتخابات. وقال نيكسون سنة 1991: «كان جونسونِ منشغل الفكر بتفاهات التسجيل ولن أنسى اليوم الذي دعاني فيه إلى البيت الأبيض بعد فوزي في الانتخابات. . . .فكان من أول الأشياء التي عملها أن أراني أدوات التسجيل التي كان كيندي قد ركّبها تحت الأَسِرَّة. فقد جلس جونسون على الأرض،

(*) انظر ص 483.

(3) إن رجل التمديدات والخبير الإليكتروني جون راغان قد استأجره روبرت هيت، الموظف الجمهوري الذي ظهر مع زوجته باتريشيا في واقعة تخريب محادثات السلام الفيتنامية على يد آنا شينو، كما هو مفصل في الفصل السابق. (وايز، **الدولة الأمريكية البوليسية**، مصدر سبق ذكره، ص 12).

ورفع غطاء السرير وأشار بيده إلى ما تحته، وقال: «يا دِكْ إن هذه الأجهزة يشغّلها انطلاق الصوت تلقائياً». كانت تسيطر على جونسون فكرة تسجيل كل شيء. وقد ركّب أجهزة تسجيل في الغرف كلها».

ولم يكن التجسس في البيت الأبيض بمثل هذه الأجهزة شيئاً جديداً فقد بدأ منذ سنة 1940، عندما أمر روزفلت بتركيب أجهزة تسجيل بدائية في مكتبه وجهاز هاتفه. ولم يستخدم ترومان هذه المعدات. ولكنها ظلت قائمة في أماكنها. أما آيزنهاور، الذي كان مولعاً بعمليات التسجيل السرّية يمارسها من أيام خدمته في الجيش، فقد استخدم مِمْلاةً (أداة تسجل ما يُمْلَى عليها) مخبأة لتسجيل ما يقال في بعض الاجتماعات.

وأما جون ف. كيندي فقد أمر الشرطة السرية بتركيب ميكروفونات متعددة في المكتب البيضاوي، وفي غرفة مجلس الوزراء، وفي أماكن أخرى تقوم بتغذية راجعة لأجهزة تسجيل في غرفة تخزين مقفلة. فكان جهاز الهاتف في غرفة نوم الرئيس ملغوماً بجهاز تنصت. ولكن أحدث دراسة لهذا الموضوع لا تشير إلى مكروفونات يشغلها الصوت مركّبة«تحت الأسرّة» كما وصف نيكسون.

ولقد تم تفكيك جهاز التسجيل الذي ركّبه كيندي بعد ساعات من اغتياله. ولكن جونسون أدخل نظاماً رهيباً خاصاً به. وحسب رواية بيل غولي، المدير السابق للمكتب العسكري في البيت الأبيض، فإن تحذير هوفر لنيكسون من إمكانات ذلك النظام كان دقيقاً بصورة أساسية.

وقال غولي: «كان لدى جونسون نظام تسجيل واسع، واسع بشكل حقيقي. وقد جعل وكالة اتصالات البيت الأبيض، التي كانت تحت المكتب العسكري، تقوم بتركيبه له. . . فكانت مهمة محترفين تماماً. . . . فقد تولىّ المكتب العسكري تشغيل أجهزة التنصت السرية في المكتب البيضاوي وغرفة مجلس الوزراء. وركّب أجهزة في هاتفه وهواتف موظفيه».

واستذكر هالدمان لحظة وصوله إلى مقره الملاصق للمكتب البيضاوي: «كأي مستأجر جديد، قمتُ بتفحص التركيبات. وفتحت الباب لمقصورة في الحائط الذي يصل مكتبي بجناح الرئيس، فوجدت نفسي أحدّق في جبل من المكوّنات الإليكترونية اللامعة المحشورة حشراً في تلك المقصورة. وكان واضحاً أنها مُعَدَّةٌ لاستخدام المستأجر السابق، كي يسجّل أو يراقب محادثات ليندون بينز جونسون».

وحسب رواية هالدمان، فإن نيكسون قد اتخذ قراراً آنياً مفاجئاً بعد اجتماعه مع إدغار هوفر في تشرين الثاني/ نوفمبر سنة 1968، فقال: «سوف نُخْرِجُ كلَّ أجهزة التنصت القذرة اللعينة من البيت الأبيض على عجل». وقد تمّ ذلك. ولكن مع اقتراب نهاية ولاية نيكسون الأولى، كما يعرف العالم كله الآن، عادت الميكروفونات لتزرع حول المقر الرئاسي، ولكنها في هذه المرة أفضت إلى نتائج مدمّرة.

وقدر لنيكسون أن يكتب في مذكراته: «عندما وصل سنة 1968 إلى نهايته، كنتُ رجلاً سعيداً. ففي كي بسكين عُلِّق على الباب الأمامي إكليل زهور، بينما وقفت في غرفة الجلوس شجرة عيد ميلاد جميلة التقليم والزخرفة. . . . كانت تلك أياماً غنيةً بالسعادة ومليئة بالتطلع والأمل».

كان نيكسون قد حقق هدفه. وكان على وشك الإمساك بالجائزة التي لم يفز بها قبله إلاّ ستة وثلاثون رجلاً. ومع ذلك لم يبْدُ عليه أنه رجل مرتاح لمصيره. ففي فندق بيير اعتقد كيسنجر أن تحية نيكسون كانت «استعراضاً لمرح طروب فشل في إخفاء عصبية خارقة للعادة. . . فقد كان أسلوبه يكاد يَشي بعدم الثقة بالنفس، وحركاته يشوبها شيء من الغموض، ولا علاقة لها بما كان يقوله. وكأنما كان هناك حافزان مختلفان وراء الكلام والإشارات. . . . وبينما كان يتكلم، راح يرتشف أكواباً من القهوة واحداً بعد الآخر جيء بها إليه دون أن يطلبها».

كانت الأشهر المنصرمة قاسية خشنة على نحو جهنمي، كما هي الحال بالنسبة لأي مرشح أمريكي لمنصب الرئاسة. ولكن حالة نيكسون أقلقت مساعديه المقربين. وتذكر هالدمان: «كنت أطلبه على الهاتف في فندقه في مدينة صغيرة في الغرب الأمريكي الأوسط، لأجد أنه غائب غير موجود فيها. ويتضح أنه في وقتٍ ما عند ساعات الفجر المبكرة، قد نهض من فراشه وانسلّ خارجاً، وعلى أثره الشرطي السري العصبي المكلف بحراسته. فكنا نفتش في جميع أنحاء المدينة حتى نعثر على مرشحنا، شاحباً أضناه الأرق، في مقهى متسخ مليء بالبراغيث».

كان نيكسون يعاني من أرق مزمن. وقد استذكر لين غارمنت: «كنت أتلقى مكالمة هاتفية ثلاث مرات أو أربعاً في الأسبوع، في وقتٍ ما بين منتصف الليل والثالثة صباحاً وأنا في بيتي بنيويورك. فكان جرس الهاتف يرنّ، فأنظر إليه أنا وزوجتي. ثم يأتي في العادة صوت إيرليكمان قائلاً: «إن الرجل العجوز يريد أن يتحدث إليك». وكان حديثه هو نفسه دائماً، إذ يقول: «كيف الأمور عندكم؟ كيف تسير الأمور مع جون ميتشيل؟ ولكنه كان مهووساً، ممسوساً وفيه انقباض مكتئب، إذ ينتقل فجأة من كل التأكيدات اليقينية الواثقة ليسأل: «هل سنكون على ما يرام؟»».

وما إن يطمئن، حتى يدلف منساباً إلى البعيد وهو يغمغم بذكريات عن الأربعينيّات والخمسينيات. «ثم يصبح ضبابياً غير واضح ولا منطقي، ثم يزداد تشوشاً، كالحديث مع رجل تَعْتَعَهُ السُّكْرُ. فكنت أقلق مما يحدث، ثم كانت تلك الحالة تنتهي ببساطة ليعود كل شيء إلى نصابه».

وبعد سنوات أخبر إيرليكمانُ غارمنتَ كيف كانت الحالة تبدو من طرفه. فاستذكر إيرليكمان أنه كان «يتحدث إلى أناس سياسيين، ثم يقول: «أطلب لي لين». وعندئذٍ نكون قد أعطيناه حبَّة السيكونال المهدئ، وكأساً من ويسكي الشعير القوي التأثير. ثم يأخذ في الحديث معك على الهاتف حتى يسقط

الجهاز من يده ويستغرق في النوم. ثم ألتقط السماعة بهدوء شديد وأعيدها إلى مكانها».

واستذكر غارمنت: «كنتُ أنا الحضورَ غير المجسّد، الذي يلقي عليه نيكسون بأحماله من المنغّصات اليومية المقلقة المتراكمة، حتى يَذْلِفَ به بعيداً تأثيرُ الخمر، والمهدئات والإنهاك فينقله إلى عالم النوم والأحلام. . . بعد صرخات وهمسات. . . فكانت تلك المكالمات تقلقني».

كان موقف نيكسون العلني في بداية السباق هو الزعم بأنه نادراً ما كان يشرب أي شيء. فقد أعلن حتى وهو يرتشف الويسكي: «عندما أنهمك في حملتي، فإنني أعيش كالإسبارطي». ومرة أخرى، فإنه عندما كانت المسألة تتعلق بنيكسون والشراب، فإنها كانت مسألة الدعاية، في مقابل الحقيقة.

وكان نيكسون قد قال لثيودور وايت إنه يدرك أنه عندما يفوز بالمنصب فإنه «لن يستطيع أن يتناول أي شراب، ولن يتمكن من الاستمتاع بالحفلات. لأنك لا تستطيع أن تشرب وتفكر بوضوح. فبعد كأسين من الخمر يفقد ذهنك حِدَّته. وقد لا تستطيع التفكير بوضوح عندما يرنّ ذلك الهاتف في الليل. . . . إن عليك أن تكون مستعداً. . . . فلا خمر بعد اليوم، ولا سهر حتى ساعة متأخرة. . . . لقد شعرت أنني أعرف ماذا كان جيفرسون يعني عندما قال إن الرئاسة «بؤس رائع».

إن العودة إلى الموضوع بشكل عفوي مرتين في مقابلة واحدة، تعني أن تلك الكلمات كانت كلمات رجل يدرك أن فيه نقطة ضعف. وفي تلك الأثناء، ماذا عن إشارة إيرليكمان إلى السيكونال؟ ماذا عن تعاطي نيكسون للأدوية التي لا تصرف إلاّ بموجب وصفات طبية؟

حسب رواية نيكسون نفسه، فإنه استخدم الحبوبَ المنومةَ لأول مرة في أربعينيات القرن العشرين. وكان جورج كريستوفر، زميله الجمهوري في انتخابات منصب حاكم كاليفورنيا سنة 1962، يعتقد أن نيكسون استخدم «بعض

الحبوب لتهدئة ذهنه قليلاً، حبوب لتبريد العاطفة الهائجة الجياشة، لأنه كان تحت ضغط كبير، كبير». وقد وافق شقيق نيكسون، إدوارد، في سنة 2000، أنه «ربما كان هناك بعض أدوية لتخفيف الضغط والتوتر، ولكنه لم يكن يريد أن يصبح تناولها عادة له ثابتة. . .».

والحقيقة، كما اتضحت أثناء البحث لأغراض هذا الكتاب، أن نيكسون كان يستهلك كميات كبيرة من دواء معين، على مدى فترة طويلة، وبدون وصفة أو إشراف طبي مناسب على ما يبدو. كان ذلك الدواء هو ديلانتين Dilantin وهو الاسم التجاري لعقار طبي مضاد للصرع يعرفه الصيادلة باسم فِينِيتُوِيْنْ Phenytoin وكانت الظروف التي جعلت نيكسون يبدأ بتعاطيه عادية عابرة على نحو مفزع. فقد سمع عن الدواء، ربما بعد وقت قصير من انتخابه رئيساً، أثناء تناول العشاء في كي بسكين مع بيب ريبوزو وجاك درايفوس الأصغر، المليونير المؤسس لصندوق درايفوس.

ولم تكن هناك مؤهلات طبية لدرايفوس هذا، الذي كان قد تبرع لحملتي نيكسون الانتخابيتين في سنتي 1960 و 1968. فبعد أن أثنى على دواء الديلانتين بأنه قد أراحه من الاكتئاب المزمن بين عشيةٍ وضحاها تقريباً، صار مروجاً له كترياقٍ شافٍ من كل الأوجاع والأسقام. وأنفق ملايين الدولارات على تسويق ذلك الدواء الذي اعتبره «هدية من الله» لها خصائص قادرة على إحداث معجزة الشفاء من كل الاضطرابات، التي تراوح من مشاكل القلب والربو إلى الجذام وتصلب الشرايين، وهي معتقدات ظل يحملها حتى سنة 2000، وهو في السادسة والثمانين.

وفي اجتماعهم في كي بسكين سنة 1968، كما أخبر درايفوسُ المؤلفَ «قال نيكسون: «لماذا لاتعطيني شيئاً من الديلانتين؟» ففكرت في نفسي، ولم لا؟ إنه [سيصبح] رئيس الولايات المتحدة. فلا يمكن أن أقع في متاعب. . . .، وهكذا خرجتُ إلى سيارتي وأخذت زجاجة فيها ألف حبة

فأعطيتها له. وبعد بضعة أيام اتصل بي وسألني إن كان يستطيع تناول حبتين في اليوم فقلت له: نعم، أعتقد ذلك. وفيما بعد، عندما ذهبت لرؤيته في البيت الأبيض سألني إن كان يستطيع الحصول على المزيد. فأعطيته زجاجة كبيرة أخرى. . . .».

وعندما سئل درايفوس عن سبب طلب نيكسون للديلانتين، كانت إجابته غامضة. فقال إن نيكسون كانت لديه «أشياء. . . منغّصات مقلقة». وفي إحدى المرات عندما اقترح عليه درايفوس أن يحصل على العلاج من طبيب قال نيكسون: «فليخسأ الطبيب» وكان من المحتمل أن نيكسون لم يكن لديه ما يقلقه بهذا الشأن، فقد تذكر جون إيرليكمان أن طبيب البيت الأبيض، الدكتور والتر تكاش كان مطواعاً يعمل ما يطلبه المريض بالضبط. فقد كنتَ إذا ذهبتَ إليه وقلت له: «إنني ذاهب إلى تركيا غداً واحتاج إلى التلقيحات فإنه يقول لك أعطني دفترك»، ثم يختمه بأختام كل التلقيحات ويقول لك «خذ! إن هذا سيعطيك المناعة. . .».

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الدكتور تكاش كان قد استخدم الديلانتين بنفسه، وتحمس له. وعندما سأله درايفوس في وقت لاحق عما إذا كان مريضه البارز ما يزال يتعاطى ذلك العقار، أجاب باستخفاف: «لاأدري. ولكن كمية الحبوب في الزجاجة التي في الحمام آخذة في التناقص، ولذلك أفترض أنه ما يزال يتناوله».

ولم يكن في استخدام نيكسون اللامبالي للديلانتين، ولا في طريقة الدكتور تكاش في الإشراف الطبي، ما يطمئن الذين يحبون أن يفترضوا أن الرئيس يتعاطى الأدوية بطريقة حكيمة وتحت إشراف أكثر الأطباء تدقيقاً. وبالإضافة إلى ذلك فإن الديلانتين ـ لخيبة أمل درايفوس والمتحمسين الذين يفكرون بطريقته ـ مركب دوائي وافقت عليه إدارة الأغذية والأدوية باعتباره

مضاداً للتشنّج فقط لمواجهة ارتعاشات نوبات الصرع. ورغم أنه فعال أيضاً في تخفيف الآلام، ويمكن وصفه حسب تقدير طبيب مؤهل، فإنه يمكن أن تكون له آثار جانبية خطرة.

وقد سلَّم درايفوس بأن الجرعات، إذا لم تكن محسوبةً ومراقبةً جيداً، فإن مُستعمِلَ هذا الدواء قد يصاب بما أسماه «الشعور المفكك قليلاً... والدوار... [مع] ما يشبه تأثير الخمر». ثم إن كتاب **مرجع منضدة الطبيب**، الذي يستخدمه الأطباء في جميع أنحاء البلاد، يدرج الكثير من ردود الفعل الضارة من استخدام الديلانتين. وهي تشمل «الكلام المبهم غير الواضح، ونقص التنسيق، والخلط الذهنيّ المشوش، والدوار، والأرق، والعصبية المؤقتة...» وعندما استشار المؤلف الدكتورَ لورانس ماكدونالد، الطبيب الواشنطنيّ، أفزعته فكرة تعاطي أي شخص لهذا الدواء ـ وخاصة إذا كان صاحب مركزٍ ذي مسؤولية عليا ـ بجرعات غير خاضعة للسيطرة، أو مشفوعة بأدوية أخرى أو بالكحول.

وقال الدكتور ماكدونالد: «إذا كان متعاطي هذا الدواء هو رئيس الولايات المتحدة، فإنه سيكون عصبياً جداً. فالتشوش العقلي ليس أمراً تريده في قائد. ذلك أن الديلانتين يمكن أن يضعف شخصاً من هذا الوزن، فيعجزه عن إصدار أحكام صحيحة ومناسبة وفي محلها. إنه قنبلة موقوتة محتملة، تنتظر الانفجار».

وقد تعاطى نيكسون الكحول بالتأكيد، وكان يتعاطى الحبوب المنومة بالتأكيد. ولقد استذكر راي برايس، كاتب خطبه لفترة طويلة، كيف أن كأساً واحدة كان يمكن أن تجعله يبدو مخموراً «إن كان قد تناول حبة منوم». وكأن الخمر، والحبوب المنومة، والديلانتين لم يكن فيها من البلاء والاضطراب ما يكفي، فقد راح نيكسون «يلجأ أحياناً إلى تعاطي الآمفيتامينات»، كما عَلِمَ

الحاخام باروخ كروف ـ المدافع عن نيكسون في أواخر أيام رئاسته ـ. والآمفيتامينات بالطبع منشطات محرضة، على عكس العقاقير المهدئة التي ذكرها الآخرون من المتصلين به.

ولقد قدم بيلي غراهام، الذي ظل موضع ثقة نيكسون زمناً طويلاً، حكماً مفزعاً على سبب سقوط نيكسون في خاتمة المطاف. فقال في سنة 1979: «اعتقد أن السبب كان هو الحبوب المنومة. الحبوب المنومة والشياطين. وأعتقد جازماً أنه كانت هناك قوة شيطانية تدخلت في الأمر. لقد كان يتعاطى كل تلك الحبوب المنومة. وطوال التاريخ كانت العقاقير والشياطين متلازمة. . . . إن استنتاجي أن كل تلك الحبوب المنومة سمحت لقوة شيطان أن تتدخل وتؤثر عليه. . .».

وبغض النظر عن الشيطان الوطني للمبشر، فإنه قد قُدِّر لولاية نيكسون في البيت الأبيض أن تأتي بأوقات كان يظهر فيها للعيان بوضوح، أن حالة الرئيس الصحية لم تكن على ما يرام. فالمراقبون الذين سمعوا غمغمات كلامه الملتبس بصوته غير المفهوم وإشاراته غير المترابطة، تساءلوا عن تعاطيه للخمر أو العقاقير.

وعشية انتخابات سنة 1968، اقترب جانب آخر شديد الحساسية من حياة نيكسون الخاصة من الافتضاح على نحو خطير، ذلك هو استخدامه لمعالج نفسي في نيويورك.

وفي صباح 29 تشرين الأول / أكتوبر، قبل يوم الاقتراع بأسبوع بالضبط، وبينما كان الرئيس جونسون يتصارع مع مشكلة التخريب الجمهوري لمحادثات السلام الفيتنامية، رنّ الهاتف في مكتب الدكتور آرنولد هتشنيكر في بارك آفينيو. وكان المتحدث هو كاتب العمود الصحافي درو بيرسون، فطرح سؤالاً مذهلاً ذا شقّين (كأنه بندقية ذات فوهتين): «هل صحيح أن هتشنيكر كان يعطي

نيكسون معالجات نفسية؟ وإن كان ذلك كذلك، فهل صحيح أن الدكتور قلق حول ما إذا كان مريضه «هو الشخص الملائم لوضع إصبعه على الزناد النووي؟».

ورغم أن كاتب العمود الصحافي كان يعمل انطلاقاً من معلومات قديمة، مستقاة من تقرير محقق خاص تم إعداده سنة 1960 على أمل إحراج نيكسون في تنافسه مع كيندي،[4] فإن هتشنيكر لم يكن يعرف ما الدليل الذي يملكه بيرسون، الذي اتصل به على حين غرة، ففاجأه أثناء وجود مريض في مكتبه. وهكذا أكد أنه قد عالج نيكسون، وأضاف أن هذه «قضية حساسة وأنه يمتنع عن الحديث عنها» فهل يقبل الصحافي أن يتصل مرة أخرى بعد الظهر؟

ورنّ الهاتف في الساعات التالية، ولسخرية القدر كان المتحدث هو جاك آندرسون، زميل بيرسون، يتصل بمقر قيادة حملة نيكسون طالباً تعليقاً، وكان قد أعلم الجمهوريين بالتهديد الذي يشكله خروج هذا الأمر إلى العلن على نحوٍ كارثي. ومع تقارب التأييد لكل من المتنافسين، نيكسون وهمفري إلى هذا الحدّ، فإن قصة تلقي نيكسون معالجة نفسية كان يمكن أن يثبت ضررها بصورة حساسة.

واستذكر هيرب كلاين، المساعد الصحافي: «لقد شعرنا بأن علينا أن نكون مستعدين للردّ على الفور. كان لدينا أصدقاء في بضع صحف مستعدون لتنبيهنا إذا تلقوا نسخاً مسبقة من مثل هذا العمود... أردنا أن نكون مستعدين لإنكار القصة بطريقة تجعل المحررين يتوخّون الحذر في استخدام هذه

(4) ذلك هو تقرير الشرطي السري المشار إليه في ص 643 وما يليها. وقيل إن روبرت كيندي قد تلقى معلومات عن زيارات نيكسون إلى هتشنيكر، أوصلها إليه المغني فرانك سيناترا، الذي كان مؤيداً لكيندي في تلك الأيام. فلم يستخدم كيندي الأصغر ولعله خشي من كشف مضاد عن حالة أخيه جون، التي لم يكن أقل ما فيها السر المكتوم طويلاً عن إصابته باضطراب الغدة الكظرية. غير أن نسخة منه بقيت، وقُدّمت إلى درو بيرسون سنة 1968. (كيلي، مصدر سبق ذكره، ص 279، 530، نقلاً عن **الواشنطن بوست**).

المادة. . . ذلك أن عموداً صحافياً مؤذياً واحداً، كان يمكن أن يرجح الكفة في انتخاباتٍ تقاربت فيها حظوظ الطرفين في الفوز». وكإجراء آخر من باب الاحتياط، أجرى كلاين مكالمة من عنده مع المعالج النفسي.

وفي الرابعة مساءً، عندما عاد بيرسون إلى الاتصال، أخمد الدكتور هتشنيكر القصة، وقال إنه قد عالج نيكسون «فترة قصيرة» عندما كان نائباً للرئيس، «ولكن فقط، من مشاكل تقتضي دواء داخلياً». فتعجب بيرسون متسائلاً عن سبب ذهاب نيكسون بعيداً، قاطعاً المسافة كلها من مقر عمله بواشنطن إلى نيويورك، من أجل مشاكل بدنية روتينية. وهكذا لم تقنعه رواية هتشنيكر، فاستمر في الحفر.

وسرعان ما وصل الخبر إلى عضو الكونغرس الجمهوري جيرالد فورد، زعيم الاقلية في مجلس النواب، بأن هتشنيكر كان يثرثر اجتماعياً حول المكالمة التي تلقاها من بيرسون. وهكذا أعيد تشغيل عملية حصر الأذى الذي أصاب نيكسون، وتلقى الطبيب زيارتين منفصلتين من كل من كلاين وموراي تشوتينر.

وجاء يوم التصويت دون أن يكون بيرسون قد نشر قصته. غير أنه استخدم ـ بعد ذلك بأسبوع ـ منبر نادي الصحافة الوطني ليكشف معلوماته غير المكتوبة في خطاب ألقاه هناك. وقال إنه قد علم آنئذٍ بأن هتشنيكر قد «أكد لآخرين أنه قد قدم المشورة لنيكسون حول مشاكل نفسية. وأنه قد عبّر سراً عن قلقه من أن السيد نيكسون لديه مشاكل ـ أو كانت لديه فعلاً مشكلة ـ عدم القدرة على الصمود تحت الضغط الشديد».

وعندما نفى سكرتير نيكسون الصحافي هذا الادعاء على أنه «عارٍ من الصحة كلّياً»، وجه إليه بيرسون جواباً لاذعاً سريعاً مطبوعاً. فقال إن الكثيرين من مرضى هتشنيكر قد تحدثوا معه عن زيارات نيكسون له. ووافق أحدهم أن يذكر اسمه وينقل على لسانه قوله إن «الجميع كانوا يعرفون أن نيكسون كان يتلقى جلسات معالجة نفسية» أثناء عمله كنائب للرئيس. ولقد أكد هذا الشاهد

أن الدكتور هتشنيكر «قد عبّر عن شيء من القلق من تولي مثل هذا الرجل منصباً هاماً، كمنصب نائب الرئيس».[5]

وقدر للمساعد الصحافي هيرب كلاين أن يذكر في مذكراته، أنه في وقت معالجات هتشنيكر المبكرة، وهي المعالجات الوحيدة التي قَبِلَ الجانبُ النيكسوني أن يعترف بها، كان الدكتور نفسه «يَدْرُسُ عِلمَ النفس»، وأن نيكسون قد زاره بسبب حالات من «الصداع القاسي» فقط. وفي سنة 1997، عندما أجريت مقابلةً مع كلاين لأغراض هذا الكتاب، كان أكثر صراحة، فكشف عن كون نيكسون قد ذهب إلى الطبيب لأنه «كان يشعر بالاكتئاب».

وأثناء ضربة سنة 1968، انضمت الصحافية غلوريا شتاينم إلى موكب الصحافيين الذين أَمُّوا مكتب الدكتور هتشنيكر فجعلته يتحدث أكثر من ثلاث ساعات. فظل يتهرب، غير أنه ألقى بعدد من التلميحات. واستذكرت أنه «لم ينكر ولم يؤكد». ولم يكن صريحاً حول نيكسون بذاته. ولكنه عبر بقوة عن اعتقاده أن جميع القادة، ومنهم المرشحون لمنصب الرئاسة، ينبغي أن يفحصهم خبراءُ صحةٍ عقلية للتأكد من سلامتهم. وعندما أخبرني برأيه عن فحص المرشحين للرئاسة، كان يردّ على أسئلة طرحتُها عن نيكسون».

وفي المقابلة التي أجريت مع هتشنيكر لأغراض هذا الكتاب، قال الطبيب، إن نيكسون قد جعله يفهم أنه إذا انتُخِبَ رئيساً، فسوف يعينه طبيباً شخصياً له. غير أن ذلك لم يتم لأن هالدمان وإيرليكمان، اللذين كان الطبيب

(5) كان المريض هو وليام بلوك، مصور تجاري، وأحد مرضى هتشنيكر الكثيرين الذين قابلهم درو بيرسون. وقد أنكر الطبيب أنه قد أدلى بتلك التعليقات، وبدون أن يذكر بلوك الاسم، اقترح في كتابه **الحافز إلى السلطة** أن مصدر بيرسون هو «أحد مرضاي ذوي الإصابة الشديدة». ومن أجل تفنيد كلام روبرت وينتر ـ بيرغر الذي كان قد ذكر أن هتشنيكر قد تحدث عن نيكسون في حفلة عشاء (انظر ص 94 من النص الإنكليزي)، ألمح هتشنيكر أن وينتر ـ بيرغر كان مريضاً أيضاً. وبعد أخذ كل شيء بعين الاعتبار، يتشكك المؤلف بإنكار الطبيب لهذه الأقوال المنقولة عنه (**الواشنطن بوست**، عدد 20 تشرين الثاني / نوفمبر، 1968؛ هتشنيكر، **الحافز إلى السلطة**، مصدر سبق ذكره، ص 8، 25).

قد صنّفهما «كمأجورين لترويع الخصوم» و«رَجُلَيْ عصابات»، قد أصرّا على أن استخدام الطبيب سيكون «قُبْلَةَ الموت. . . وسيدمّر الرئاسة».

وقد أدى ابتعاد نيكسون عن هتشنيكر إلى إبقاء علاقته «بالطبيب النفسي» بعيدة عن النيل منه. غير أن عدداً آخر من سيوف ديموقليس ـ وهي أسلحة من صنع نيكسون نفسه ـ كان معلقاً بشعرة فوق رأسه.

كان برايس هارلو، الذي ظل مرتبطاً بنيكسون سنوات كثيرة، يعرف بعض أسرار الرجل الخطرة. وكان ـ منذ فترة فندق بيير الانتقالية ـ قد حذّر المساعدين الشباب من الأخطار التي تنتظرهم في المستقبل، متنبئاً بأن الإدارة الجديدة «سوف تجتذب الفضائح كما يجتذب الكلبُ البراغيث».

وكانت أربعٌ من تلك الفضائح المحتملة تثير القلق بشكل خاص: وهي المؤامرات الأصلية لاغتيال فيدل كاسترو، والعلاقة المالية بنقود هوارد هيوز، والتبرع الكبير لحملة نيكسون من الدكتاتورية اليونانية مؤخراً. والجريمة الأخيرة، التي كانت محاولات طمسها وإسكاتها ما تزال فعالة، وهي جريمة تخريب محادثات السلام الفيتنامية.

وبينما كانت هناك طرق شتى يمكن أن تبرز بها هذه الأسرار، فإن شخصاً واحداً على وجه الخصوص، على الطرف المعاكس من الطيف السياسي، كان يعرف أكثر من اللازم. كان ذلك هو لورانس أوبراين، الذي كان آنذاك في الحادية والخمسين، وهو الضوء الهادي لمافيا الحزب الديمقراطي، الإرلندية، وأستاذ في التخطيط السياسي الاستراتيجي، ومحارب قديم من الموالين لإدارتي كيندي وجونسون. وكان أوبراين قد تولى الأمور في أواخر صيف سنة 1968، بعد اغتيال بوبي كيندي، فكانت خبرته هي التي نقلت هيوبرت همفري من اندحار شبه أكيد إلى مايقرب من دَحْرِ لنيكسون.

في غضون ساعات من مصرع كيندي الأصغر، كان هوارد هيوز يصدر

أوامره من جناحه المنعزل في سقيفة في لاس فيغاس، فخرج بخطة شريرة مميزة له، عليها بصماته. فكانت آخر خدعة في محاولته لتحويل ساسة الأمة على أعلى مستوى إلى دمىً شخصية تابعة له، فانطلق ليستأجر «منظومة كيندي بكاملها». وبما أن ذلك كان هدفاً غير واقعي، حتى بالنسبة لهيوز، فقد مدّ يده للحصول على أوبراين.

وبعد عدة أسابيع، بعد مفاوضات مع روبرت ماهيو، مساعد هيوز، قَبِلَ أوبراين وظيفة مستشار لذلك القطب الثريّ في واشنطن براتب سنوي قدره 180000 دولار. وفي السنة السابقة، كانت التلميحات التي ظهرت في الصحافة، لأول مرة، عن وجود مؤامرات لاغتيال كاسترو قد وصفت بأنها غير جائزة أخلاقياً «قنبلة هيدروجينية سياسية». وكان التقرير الأولي قد أشار بإصبع الإتهام إلى الأخوين كيندي. ومع ذلك فإن ماهيو، الذي كان عندئذ على اتصال وثيق مع أوبراين، كان يعلم جيداً أن أول مؤامرة على كاسترو، تورطت فيها المافيا، قد بدأت في سنة 1960، عندما كان نيكسون رأس حربة البيت الأبيض ضد كوبا. فما هي كمية المعلومات التي عرفها أوبراين عن دور نيكسون في مؤامرات الاغتيال؟ ومع بدء وظيفته كمستشار لهيوز، كما كان سيعرف عن تدفق أموال هيوز على نيكسون؟.

وكان لورانس أوبراين يعرف أيضاً بأمر تبرعات دكتاتوريّ اليونان لحملة نيكسون، فذلك موضوع أطلعه عليه النشيط المنفيّ الياس ديميتراكوبولس. وكان أوبراين هو الذي أصدر التصريح الصحافي قبل أربعة أيام من موعد الانتخابات، متحدياً نيكسون أن يوضح علاقته مع توم باباس، الوسيط مع النظام اليوناني.

ولئن كان نيكسون يخشى أيضاً أن تكون لدى أوبراين معرفة بالتدخل الجمهوري في عملية السلام الڤيتنامية، فقد كان محقاً في خشيته، ذلك أن

أوامره من جناحه المنعزل في سقيفة في لاس فيغاس، فخرج بخطة شريرة مميزة له، عليها بصماته. فكانت آخر خدعة في محاولته لتحويل ساسة الأمة على أعلى مستوى إلى دمىً شخصية تابعة له، فانطلق ليستأجر «منظومة كيندي بكاملها». وبما أن ذلك كان هدفاً غير واقعي، حتى بالنسبة لهيوز، فقد مدّ يده للحصول على أوبراين.

وبعد عدة أسابيع، بعد مفاوضات مع روبرت ماهيو، مساعد هيوز، قَبِلَ أوبراين وظيفة مستشار لذلك القطب الثريّ في واشنطن براتب سنوي قدره 180000 دولار. وفي السنة السابقة، كانت التلميحات التي ظهرت في الصحافة، لأول مرة، عن وجود مؤامرات لاغتيال كاسترو قد وصفت بأنها غير جائزة أخلاقياً «قنبلة هيدروجينية سياسية». وكان التقرير الأولي قد أشار بإصبع الإتهام إلى الأخوين كيندي. ومع ذلك فإن ماهيو، الذي كان عندئذ على اتصال وثيق مع أوبراين، كان يعلم جيداً أن أول مؤامرة على كاسترو، تورطت فيها المافيا، قد بدأت في سنة 1960، عندما كان نيكسون رأس حربة البيت الأبيض ضد كوبا. فما هي كمية المعلومات التي عرفها أوبراين عن دور نيكسون في مؤامرات الاغتيال؟ ومع بدء وظيفته كمستشار لهيوز، كما كان سيعرف عن تدفق أموال هيوز على نيكسون؟.

وكان لورانس أوبراين يعرف أيضاً بأمر تبرعات دكتاتوريّ اليونان لحملة نيكسون، فذلك موضوع أطلعه عليه النشيط المنفيّ الياس ديميتراكوبولس. وكان أوبراين هو الذي أصدر التصريح الصحافي قبل أربعة أيام من موعد الانتخابات، متحدياً نيكسون أن يوضح علاقته مع توم باباس، الوسيط مع النظام اليوناني.

ولئن كان نيكسون يخشى أيضاً أن تكون لدى أوبراين معرفة بالتدخل الجمهوري في عملية السلام الڤيتنامية، فقد كان محقاً في خشيته، ذلك أن

السجلات تُظْهِرُ على نحو منطقي معقول، أن هيوبرت همفري قد أطلع مدير حملته على فحوى ما كان قد علمه من الرئيس جونسون.

وكان هناك شيء آخر. ففي الليلة التي سبقت ذهاب المقترعين إلى الصناديق، عندما كانت النتائج معلقة في الميزان، ولم يعد هناك ما يستطيع نيسكون عمله للترويج لقضيته، تفرج نيكسون ـ ونسبة كبيرة من الناخبين ـ على دعاية تجارية للحزب الديموقراطي على شاشة التلفزيون أسماها ثيودور وايت «أعلى لحظة للتعريف» بهمفري. وقد ظهر فيها السناتور إدوارد كيندي، الأخ الأخير الباقي، يتمشى على رمال هيانيس بورت. وكان هناك شخص يجري حديثاً جاداً معه، بينما رياح الأطلسي ترفع مؤخرة سترتيهما كأنها ذيول طائر السنونو. ولم يكن ذلك الشخص سوى مستودع الأسرار الخطرة على ريتشارد نيكسون، لورانس أوبراين.

فكان القلق يتأكّل نيكسون بشأن أوبراين والخطر المحتمل من آخر آل كيندي. وعندما كان نيكسون في البيت الأبيض، شاعراً بانعدام الأمان كعادته على الدوام، ومصمماً على الفوز بولاية ثانية في انتصار حقيقي مُقْنِع، قدر له أن يتآمر على الرجلين معاً. وقدِّر للمؤامرة على أوبراين، الذي رفّع فيما بعد إلى منصب رئاسة اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي، أن ينجم عنها تدمير نيكسون وسقوطه في حمأة الخزي والعار.

وعند ظهر اليوم العشرين من كانون الثاني / يناير 1969 في جو يجمّد بَرْدُهُ العظامَ، وبينما كانت الشخصيات البارزة ترتجف تحت مظلتها المؤقتة، نزل ريتشارد نيكسون من ليموزين أمام قبة الكابيتول الكبيرة.

وتعثر عندما أخذ مكانه على المنصة المعدّة لتدشين عهده، بحيث كانت آخر كلمة تفوه بها قبل بدء الاحتفال ـ كما لاحظ سفير آكوادور ـ هي «أوبْسْ!». وكانت بات ترتدي بذلة حمراء زهرية وقبعة من الفرو، وتحمل

نسختين من إنجيل عائلتها يعودان إلى القرن التاسع عشر. وقد وضع زوجها يده اليسرى عليهما. بينما قام إيرل وارن، رئيس المحكمة العليا الذي كان يشمئزّ من نيكسون، بتحليفه اليمين الرئاسية.

وهكذا أصبح نيكسون الرئيس السابع والثلاثين للولايات المتحدة. ورتّل بيلي غراهام صلاة، ثم شرع القائد الجديد لأكثر من مائتي مليون نسمة بإلقاء خطابه الذي استغرق سبع عشرة دقيقة. فتحدث بسرعة ولكن بهدوء متزن عن طيّ صفحة الحرب الفيتنامية، وإنهاء الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي، ولمّ شعث الأمة المنقسمة.

كانت نسختا الإنجيل كلتاهما مفتوحة على سفر آشعيا، 4: 2 القطعة التي تتحدث عن طبع الأمم سيوفها سككاً. وكانت الجملة التي شكّلت حجر الأساس في خطاب نيكسون فيها عاطفة من طائفة المرتعدين خطّها بقلمه، وقدِّر لها أن تُنْحَتَ بإزميل على شاهد قبره، وهي: «إن أعظم شرف يستطيع التاريخ إضفاءه على إنسان هو إعطاؤه عنوان صانع السلام». وعند التوجه بالسيارة إلى البيت الأبيض بعد ذلك، كان يستطيع أن يرى المحتجين على الحرب وهم يقذفون بالعصيّ والحجارة وعلب البيرة، ويرفعون لافتة هائلة الحجم كتب عليها: «المليارديرات يربحون من دماء المجنّدين!».

وفي تلك الليلة، في احتفالات الافتتاح، احتشدت جموع من الجمهوريين من طول أمريكا وعرضها بشكل بلغ من ازدحامه أنه لم يستطع الرقص منهم إلا قلّة ـ وكان من بينهم أعداد هائلة من ولاية نيكسون الأصلية، كاليفورنيا، والولاية الشديدة التفضيل لديه: فلوريدا ـ وكان بيب ريبوزو هناك بالطبع، وكذلك رجل الأعمال والمشاريع السعودي عدنان خاشقجي، الذي فات زوجتَهُ الجميلةَ ما كان نيكسون يقوله لأن الرجل الواقف خلفها ظل يقرصها.

وكانت بين الحضور أيضاً آنا شينو، الوسيطة في العملية المصممة

لتخريب محادثات السلام الفيتنامية. أمّا باتريشيا هيت، التي أسمتها شينو كوسيطة محتملة في اتصالاتها مع نيكسون، فقد كانت مضيفةً لحفلة خاصة بها. وباعتبارها مساعدة وزير في وزارات الصحة، والتربية، والرفاه، كانت تشغل أعلى منصب يمكن أن تتقلده أي إمرأة في الادارة الجديدة.

ولاحظ نيكسون أن إحدى الفرق الفاتنة التي قدمت إلى الجمهور، كانت فرقة غاي لومباردو. فاستذكر أنه كان قد رقص مع بات على موسيقى لومباردو ليلةَ انتهت الحربُ العالمية الثانية. وفي نحو الثانية صباحاً، عندما عاد آل نيكسون إلى بيتهم في 1600 بشارع بنسلفانيا آفينيو، ساروا من غرفة إلى غرفة فأشعلوا أضواءها جميعاً.

وقدّر لهنري كيسنجر أن يقول عن حفلة الافتتاح: «لقد بدا مبتهجاً وكأنه لم يكد يستطيع انتظار انتهاء الحفلة كي يتمكن من الشروع في تنفيذ حلم حياته». غير أن برايس هارلو، صديق نيكسون، كانت تراوده الشكوك، فقال: «عندما تم انتخاب دِكْ رئيساً في آخر الأمر، حقق ثمانين بالمئة من كل أهداف حياته. ولذا لم تكن لديه أية فكرة عما سيفعله بعد حلف اليمين».

وفي أول يوم عمل له في منصبه، دعا ألفاً من المشتغلين في حملته إلى البيت الأبيض. وقال لهم: «هذا بيتكم أيضاً. سوف ننهض من النوم باكراً ونعمل حتى ساعة متأخرة من الليل كي يبقى هذا البيتُ سعيداً دائماً. وسيكون وطنكم وطناً سعيداً على الدوام...».

وكانت تلك هي البداية.



25

إن المنصب لا يرفع الإنسان أو يخفضه. إن ما يفعله هو تزويد الإنسان بمسرح تتضخم عليه كل خصال شخصيته وتبرز للعيان.

جورج ريدي، السكرتير الصحافي للرئيس جونسون.

«إياك أن تجرؤ على مناداتي دُكْ. أنا رئيس الولايات المتحدة. فعندما تتحدث إلي تناديني باسم السيد الرئيس». هكذا وجّه نيكسون أمره، في مطلع رئاسته، في اجتماع مع الصيرفيّ الفلوريديّ هول مارون، وهو رجل كان قد عرفه سنوات طويلة. وقد استذكر صديقُهُ القديم بوب فِنيِنْشْ بأسى: «كانت سيطرة فكرة المنصب عليه كما هي الحال مع أي رئيس على الإطلاق».

وسرعان ما اتضحت العلامات الخارجية. فقبل أن ينتقل آل نيكسون إلى البيت الأبيض، كانت الرسالة التي أوصلوها إلى عامة الناس، هي أنه ليس بحاجة إلى إعادة تأثيث. غير أن هذا الرأي سرعان ما تغّير، وبدأ برنامج ضخم لإعادة التشكيل يكلف الملايين.

وأُرْسِلَتْ طائراتٌ عسكريةٌ إلى إيطاليا على عجل لإحضار حرير أخضر متموج صقيل، لغرفة وحيدة متوسطة الحجم. وكلف سرير مزخرف ذو أربع قوائم لنيكسون ستة آلاف دولار. وقد اعتقدت العائلة التالية لهم في احتلال البيت الأبيض، آل فورد، أن ذلك شيء لا يُصَدَّق، إذ إنه «شيء كان يمكن أن تنام عليه ماري أنطوانيت». ثم أمروا بإزاحته على الفور.

وبينما كان ليندون جونسون يحتفظ بثلاث طائرات ركاب نفاثة من طراز

بوينغ، كان لدى نيكسون ثلاث طائرات بوينغ، وإحدى عشرة نفاثة من طراز لوكهيد جيتستار وست عشرة مروحية، تحت تصرفه بشكل حصري. وأعيد تأثيث طائرة السلاح الجوي رقم واحد بكلفة ثمانمئة ألف دولار، مع التركيز على تأمين راحة العائلة الأولى. وفيما بعد، عندما سُلِّمت الطائرة الجديدة - بتصميم لم يعجب نيكسون - تم صرف ثلاثة أرباع مليون دولار أخرى لإجراء التغييرات.

ولم يكن هذا الأسطول يستخدم في أعمال الحكومة فَقَطْ. فقد استفادت أسرة نيكسون الكبرى من الطائرات، بمن فيها أفراد أسرة زوجته، وعندما أَبْلَغَ مسؤولٌ قَلِقٌ أن كبار المساعدين كانوا يأخذون طائرة السلاح الجوي رقم واحد، في رحلات عبر القارات عند الذهاب في الإجازات أو العودة منها، ألغى نيكسون برامج رحلاتهم. وقد استخدمت نفاثة تابعة لسلاح الجو ذات مرة لنقل رزمة من فلوريدا إلى كامب ديفيد لكبار المساعدين، بكلفة خمسة آلاف دولار للوقود وحده. وكانت محتوياتها: عشرة أرطال (خمسة كيلوغرامات) من السرطان من محلات جو للسرطان في ميامي بيتش.

ولم يكن البيت الأبيض واستراحة كامب ديفيد كافيين لنيكسون، فقد اشترى بيوتاً في كي بسكين - المجمع الذي كان سيُعْرَفُ باسم بيت فلوريدا الأبيض - وفي سان كليمنت؛ كان ذلك هو البيت ذو الأربع عشرة غرفة، والأرض المحيطة به في كاليفورنيا، الذي صار البيت الأبيض الغربي. وقد اشترى نيكسون الممتلكات بنفسه، بمساعدة مالية كثيفة من ريبوزو، ومن قطب الغموض الضبابي آبلانالب. غير أن الحكومة أنفقت أكثر من عشرة ملايين دولار - أكثر من أربعة وأربعين مليون دولار بأسعار اليوم - لتركيب ملامح خاصة ليس في بيوت نيكسون البعيدة عن المدن فحسب، بل كذلك في البيوت التي كان يختلف إليها، مثل بيت أبلانالب في جزر البهاما.

وكلفت منصة انطلاق طائرات مروحية في كي بسكين 418000 دولار

وأجهزة الاتصال فيها 307000 دولار. واستذكر بيل غالي، رئيس المكتب العسكري: «وصلت النتيجة النهائية للنفقات العسكرية في كي بسكين إلى ما يقرب من مليوني دولار، ثم كررنا هذه النفقات ثانيةً في سان كليمنت. كما تم تجديد كامب ديفيد وإصلاحه. وبُنِيَت بركة سباحة بجوار «المقصورة» الرئاسية، بكلفة نصف مليون دولار، لأن الموقع الذي اختير لها كان فوق ملجأ نووي.

وكان لدى نيكسون تسعة مكاتب لاستعماله الشخصي، وهي: المكتب البيضاوي، ومخبأ منعزل في بناية المكتب التنفيذي، وغرفة في مقره الخاص. واثنتان في كامب ديفيد، وواحدة في بيت كي بسكين، وأخرى في منزل آبلانالب الكاريبي، وغرفتان في سان كليمنت. وقد قام موظفٌ سابق في مكتب الميزانية بحساب نفقات نيكسون وبيته وأسرته طوال أربع سنوات من رئاسته، فوصل مجموعها إلى مئة مليون دولار. ذلك أن كل تلك المكاتب كانت تتطلب أنظمة اتصالات معقدة، تم تركيبها على حساب الإنفاق العام.

كان نيكسون يقضي أكثر من ليلة من بين كل ثلاث ليالٍ، بعيداً عن البيت الأبيض، في الشهور الثمانية عشرة الأولى من حكمه. وبينما شملت أيام الغياب رحلات إلى الخارج، فقد كانت هناك أيضاً اثنتان وأربعون رحلةً إلى كامب ديفيد، وأربعَ عشرةَ رحلةً إلى كي بسكين، وتسعٌ إلى سان كليمنت. وكانت فترات بقائه في كاليفورنيا تستمر أسبوعين أو ثلاثة في كل مرة.

وقبل تسنُّم سدة الرئاسة، كان نيكسون يلحّ تكراراً على إيرليكمان أن «يركّز على عادات العمل عند الرئيس المنتخب ـ وهي الاشتغال ساعات طويلة، وعشاءات متأخرة، وعمل لمدة ثماني عشرة ساعة في اليوم، وقراءة حتى وقت متأخر، ولا قيلولة. . . .» غير أن ذلك لم يكن الروتين الذي لاحظه آليكساندر بترفيلد، مساعد نيكسون. بل لقد أذهلته حقيقة كون رئيسه «يملك كل هذا القدر من وقت الفراغ. إذ كانت هناك أيام كثيرة لا مواعيد فيها على

الإطلاق. وبين الحين والآخر، كان يشتغل كطروادي في العزم والجَلَد. . . .
ولكنه كان بصورة عامة يترك كثيراً من الوقت كي يجلس بلا عمل، سوى رفس
الأشياء التي حوله. . . . وفي كل مساء، كان نيكسون يأخذ وقتاً لقيلولة ما بعد
الظهر. . . ».

أما النساء في العائلة، فقد كان الاعتزاز بمعاطف القماش الجمهورية
عاطفةً قد هجرنها منذ أمد بعيد. فقد وصلت بات نيكسون إلى البيت الأبيض
بمعطف من صوف حَمَلٍ فارسي ليكمل معطف فرو المِنْكْ. وحصلت ابنتاها
على معاطف ثمينة من الفراء الحقيقي. وتزوجت جولي من حفيد الرئيس
آيزنهاور ديڤيد قبل شهر من تدشين ولاية أبيها، في حفلة خالفت فيها العادة
التقليدية، فقبّلت أباها أولاً، ثم زوجها الجديد.

وكان آل نيكسون الصغار، قد أعطوا بعضهم بعضاً، ألقاباً فكاهية تتألف
من الحروف الأولى لعبارات كان الثلاثة يرون أنها تصلح للظهور في الصحافة.
فجولي التي كانت ستتخرج من كلية سميث كان لقبها .D.P.C.N مشتقاً من عبارة
فحواها «الفتاة البارزة للمجتمع بدون مسحة مرهم» (التجميل). وديفيد كان لقبه
.T.C.C، مشتقاً من عبارة «المراهق الذي هو نسخة كربونية» ـ من جده الشهير
الجنرال آيزنهاور. أما تريشيا فكان لقبها .F.P أي «الأميرة الجنّيّة».

وفي البيت الأبيض، سرعان ما كسبت تريشيا سمعة الأميرة المدللة،
كانت آنئذٍ في الثالثة والعشرين. وكانت تقضي أياماً بكاملها في غرفة نومها التي
يعود طرازها إلى ما كان معروفاً أيام لويس الخامس عشر، محاطة بمجموعة من
التماثيل الصغيرة المصنوعة من البورسلان الألماني الشهير في مدينتي درسدن
وميسن. وكانت قطعتها المفضلة تمثل فتاتين صغيرتين على أرجوحة، ومعهما
كلب مبقّع، هدية من أبيها كان يسميها «تريشيا وجولي مع تشيكرز».

ولم تحبّب تريشيا نفسَها لموظفي نيكسون. فكان إيرليكمان يعتقد أنها

«شخصية قاسية ومضطربة». فقد اشتكت ذات مرة على مضيف في طائرة سلاح الجو رقم واحد، زاعمة أنه حدّق في ساقيها. وطلبت من حاجبٍ أن يأتيها بمخدات إلى الحديقة التي كانت تجلس فيها مع صديق لها، فتوقعت منه أن يرفع ساقيه الممدّدتين ويسندهما على المخدة، أما الحرس من الشرطة السرية، الذين كانوا يلقبونها «زوج الأحذية الجيد» فكانوا يعترضون على أمرها لهم، بأن يسقوا لها نباتاتها كلما غابت في رحلة. وقد زعم أحد الموظفين أنهم نفذوا المهمة، بالتبّول على النباتات.

وعندما جاء ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلس في زيارة، حاول نيكسون إلصاق تريشيا به، ولكن عبثاً. وقدّر لتريشيا أن تتزوج إدوارد كوكس، طالب الحقوق في الكليات رفيعة الشأن في شرق أمريكا، والمتحدر من سلالة أحد الذين صاغوا إعلان الاستقلال. وقُدِّر لزفافهما في حديقة الزهور، في السنة الثالثة من رئاسة نيكسون، أن يقدم كمشهد استعراضي على شاشات التلفزيون، قيل إن ستين مليوناً قد شاهدوه. وقد رأى فيه دان راذر، مندوب شبكة كولومبيا الإذاعيّة، «أقرب شيء يملكه الأمريكيون ـ أو يرغبون فيه ـ إلى مناسبة ملكية».[1]

وفي أسفار نيكسون المبكرة أثناء رئاسته، تلقى التحية في بلجيكا من حرس ملكي في أزياء فخمة. وفي الهند رافقته كوكبة من الفرسان في سترات حمراء عتيقة تعود إلى أيام الإمبراطورية البريطانية. وقيل إن إحدى هذه الرحلات، هي التي ألهمت نيكسون إلباس شرطة البيت الأبيض أزياء غريبة مماثلة. وكانت التفصيلات الجديدة، وهي سترات ضيقة قصيرة عالية الرقبة بيضاء، على أكتافها نسيج ذهبي مقصب، قد ظهرت لأول مرة أمام الناس بعد

(1) أرسل المؤلف إلى ابنتي نيكسون كلتيهما طلباً لإجراء مقابلة معهما. فلم تجب جولي نيكسون آيزنهاور على رسائله المتكررة، بينما كتبت له تريشيا نيكسون كوكس ترفض طلبه بأسلوب مهذب. (جولي: مراسلات روبن، 13 أيار / مايو، و10 حزيران / يونيو، 1999).

سنة من تدشين عهد رئاسة نيكسون. وكانت تعلوها قبعات عسكرية طويلة ذات حافّات ناتئة زرقاء وذهبية، قيل إن نيكسون دفع ثمنها بنفسه.

وبعد أن لاحظ النقاد المبكّرون كيف كانت الأزياء تجعل لابسيها يبدون منتفخين، أُمِرَ رجال الشرطة بأن يلتزموا حميةً للنحافة. ثم في أعقاب جوقة السخرية الوطنية، تم سحب تلك الملابس بالكلية. وبيعت تلك السترات في آخر الأمر لفرق المدارس الثانوية في آيوا، وعادت القبعات للظهور في حفل آليس كوبر لموسيقى الروك.

ولتفسير موضوع هذه الأزياء، قال هالدمان: «كان الرئيس يريد شيئاً رسمياً أكثر. أمّا فلانيغان، مستشار نيكسون السياسي، فكان يعتقد أن ذلك الزي محاولة قام بها رئيسه لتقليد «العظمةِ» التي كان يعجب بها عند شارل ديغول. وقد سقط ديغول نفسه من السلطة ثم مات بعد وقت قصير من تولي نيكسون السلطة. وبحلول ذلك الوقت، كان نيسكون قد رسخ أسلوبه الخاص به لاستعراض أهميته.

وبعد حفلة التدشين بأربعة أيام، أملى الرئيس المذكرة التالية إلى بات، مشيراً فيها إلى نفسه بضمير الغائب، مثلما تستخدم ملكة بريطانيا ضمير الجماعة «نحن» في المناسبات الرسمية.

إلى: السيدة نيكسون

من : الرئيس

عند الحديث مع إدارة الخدمات العامة بخصوص غرفة ر.ن. فإن أكبر ما هو مرغوب فيه هو طاولة في النهاية شبيهة بالتي على يمين السرير، كي تتسع لجهازي الإملاء بالإضافة إلى الهاتف. إن ر.ن. مضطر إلى استخدام جهاز إملاء للقضايا الراهنة وآخر للمذكرات التي تحفظ في الملفات ولا تحتاج إلى نقل على الورق في هذا الوقت. وهو محتاج بالإضافة إلى ذلك، إلى طاولة أكبر يستطيع العمل عليها ليلاً. إذ إن الطاولة الموجودة في الغرفة حالياً، لا تسمح له بمجال يمكّنه من وضع ركبتيه تحتها.

لقد كان نيكسون يريد الاحتفاظ بكل شيء له علاقة بولايته، مهما كان تافهاً. وقدر لروز وودز أن تقول للمحققين ذات يوم: «إنه يحتفظ بكل شيء. بطاقات أسماء الأماكن، قوائم المطاعم، بل لقد كنّا عشية عيد جميع القديسين [في 31 تشرين الأول / أكتوبر] في كامب ديفيد، ودعاني هو والسيدة نيكسون إلى العشاء، فقام أحد السعاة بوضع قناع ملون على كل واحد من الأطباق الثلاثة. وأنا أعرف أن السيدة نيكسون ألقت القناع المغطّي لطبقها في سلة المهملات، وفعلت أنا الشيءَ نفسَه، ولكن قناع طبقه نزل إلى ملف للاحتفاظ به...».

واستذكر ترافيز برايانت، المسؤول عن وجار الكلب: «صارت الأشياء ملوكية أكثر فأكثر. فقد أمر نيكسون أن يتم تجميل الجميع، حتى العمال مثلي، للمناسبات الرسمية. كانت في البيت الأبيض بذلات مفصلة لأي كهربائي أو بخّار قد يتواجد أثناء حفلة أو مناسبة رسميةٍ ما. وقد اضطررت إلى الذهاب إلى بائع خردوات في جورجتاون لأخذ مقاساتي لبدلة سوداء كادت تشبه بدلة توكسيدو رسمية....»

ولاحظ هالدمان في مفكرته بعد اجتماع صباحي مع نيكسون: «مشاكل في الإشارات. عشاء ليلة أمس... قدمت فيه الشمبانيا، بينما كان يجب تقديم خليط كوكتيل، وكان هناك 12 شخصاً بربطات عنق سوداء». وكانت ربطة العنق البيضاء والسترة الرسمية الطويلة المشقوقة الذيل، رغم بطلان العمل بطرازها منذ أمد طويل، هي الواجب الاجتماعي المطلوب اتباعه أول الأمر، في مناسبات البيت الأبيض.[2] أما في حفلات العشاء، فإن الموائد الصغيرة

---

(2) لان نيكسون فيما بعد، وصارت ربطة العنق السوداء مقبولة في كثير من حفلات العشاء. (توماس، **خط التاريخ**، مصدر سبق ذكره، ص 125).

المستديرة التي كان يفضلها آل كيندي وآل جونسون، قد حلت محلها الموائد الطويلة على طراز الحفلات، وحولها مقاعد تشير إلى الحاضرين جميعاً من الذي له «قيمة» ومن الذي لا قيمة له. ومن أجل اجتماعات مجلس الوزراء، تخلى نيكسون عن كرسي جونسون الاضطجاعي ليُحِلَّ محلَّه كرسياً عالي الظهر، أعلى من كراسي وزرائه، وهنا بيت القصيد.

وقد جعلت الأبهة الاحتفالية في عملية وصول نيكسونية نموذجية إلى المطار، هيو سايدي يقول في مجلة لايف، متوقفاً عند هذه الظاهرة: «صفوف طويلة من السيارات تحتل مساحة واسعة من ميدان الهبوط. ورجال ونساء وأطفال في سترات وصديريات باذخة. . . ونساء الشخصيات البارزة في فراء أنيقة براقة، ومجوهرات تلمع في الشمس. وآغنيو. . . في بذلة جيدة التفصيل لا عيب فيها، ممشطاً، ومصبوغ الاظافر، وملمَّعاً، وتفوح منه رائحة السلطة، والمنصب، والممتلكات. . . . وكانت هناك حركات وأصداء من أبواق التقديم الطلائعية التابعة للجيش، يتبعها نشيد «تحية إلى الزعيم». وكان إلى جانبي صحافي أدار وجهه بعيداً. وغمغم بينما كان نيكسون يطل من باب الطائرة: «يا إلهي. إن هذا يشبه وصول الملك».

كان آل نيكسون يبدون منجذبين إلى الملوك بشكل غريب، حتى المنفيين من الأسر المالكة. وقد أرسلوا بطاقات دعوة إلى العشاء كتبوا عليها عبارة: «ربطة عنق بيضاء، مع ارتداء الأوسمة والنياشين» إلى دوق ودوقة وندسور، اللذين كانا قد استضافا نيكسون بينما هو خارج السلطة. وعندما أرسل الدوق اعتذاراته ـ إذْ أن نياشينه لم تكن معه ـ طُلِبَ من الضيوف ذوي الميداليات أن يخلعوا شاراتهم وأشرطتهم عند الباب.

وفي رحلة جوية إلى أوروبا مع الأسرة الأولى، استذكرت الكاتبة ياسمين ويست، من أبناء عمومة نيكسون، مقابلةً مع بات لها دلالة ومغزى: «أردت أن أسمع عن كفاحاتها المبكرة، فأجابت: «كيف تستطيعين تقديمي إلاّ على أنني كاملة؟» وراحت تعطيني إحصائيات عن عدد الرؤوس المتوّجة الذين استضافوها في البيت الأبيض. . .».

وعند زواج تريشيا، حسب رواية ابن عمها دونالد، أعطاها شاه إيران دبوساً من الماس والزمرّد. أمّا إمبراطور الحبشة، هيلاسي لاسي، فقد أرسل مزهرية من الفضة. وقد أخبر دونالد المؤلف أنه يعتقد أن هذه «هي الطريقة التي يعبر بها الناس الذين ساعدهم العم دِكْ في مختلف أنحاء العالم عن شكرهم له. . . .»[3]

(3) بموجب قانون الهدايا الأجنبية لسنة 1966، كان من المحظور على مسؤولي الحكومة الأمريكية أن يحتفظوا بهدايا من مسؤولين أجانب تزيد قيمتها على مئة دولار، وكانت هناك مزاعم مليئة بالضغائن والأحقاد، ومزاعم مضادة عن كون سجل نيكسون في الاحتفاظ بتلك الهدايا السخية سيّئاً على أقل تقدير. ولقد انفجرت السكرتيرة الصحافية لبات قائلة في خيبة أمل عند إحدى النقاط: «إذا كذبت عليّ، فإنني مضطرّة للكذب عليكم. فلم يقم آل نيكسون بإعادة أي من الهدايا الأجنبية إلى إدارة المراسم أثناء رئاسته. وقيل بأن محامي الرئيس احتجوا بأن الرئيس قد يكون مستثنئ من أحكام قانون الهدايا. وقد استمر الصراع حول هذه الهدايا طيلة سنوات بعد ذلك. ولقد استنتج تحقيق في إدارة الخدمات العامة أن جلّ الهدايا التي قدمت لآل نيكسون قد أعيدت أو عُرِف مصدرها بحلول سنة 1978. وسُمِح لتريشيا بالاحتفاظ باثنتين من هدايا زفافها، وهما مزهرية من الفضة أعطاها إياها إمبراطور الحبشة هيلا سيلاسي. ونقوش معبد نادرة من ثيو رئيس فيتنام الجنوبية. (شيشاير مع غرينيا، مصدر سبق ذكره، ص 87 ـ 140؛ **الواشنطن بوست**، عدد 22 أيلول / سبتمبر، 1974؛ وكالة أنباء نايت، 4 نيسان / إبريل، 1979).

وقد أبرز سجل نبلاء بريطانيا المعنون **كتاب بروك لطبقة النبلاء**، اسم نيكسون كواحد من ثلاثة عشر رئيساً أمريكياً من القادرين على الزعم أنهم متحدرون من سلالات ملكية. فابن البقال من ويتّيير يفترض أنه متحدر مباشرة من الملك إدوارد الثالث (المتوفى سنة 1377) ومن هنا فإن له قرابة بعيدة بالملكة إليزابيت الثانية، والسير وينستون تشرشل. وبينما يستطيع ألوف الناس أن يزعموا لأنفسهم سلالات مماثلة من الدماء الملكية، فلعله ينبغي على المرء أن لا يفترض أن ذلك لا علاقة له بنيكسون تماماً.

وقد قال صديقه المقرب هيرب كلاين: «كنت غالباً ما أشعر أن نيكسون يريد سرّاً في داخليته أن يُعْتَبَر أحد اللوردات الإنكليز، شخصاً يتلقى المديح ـ مثل جاك كينيدي ـ لأنه رفع المكانة الاجتماعية للبيت الأبيض إلى مستوى كريم. . . . فكان يتشوق إلى هذا الامتياز الاجتماعي النخبوي».

وقد أنكر نيكسون نفسُه مثل هذه الأفكار، فكتب يقول: «إن الرئيس الإمبراطوري النزعة هو رجل وهمي من القش، خلقه رجال الكونغرس ذوو النزعة الدفاعية، والليبراليون المحبطون الذين خابت آمالهم. . . .». وكان من بين أمثال هؤلاء النقاد تيب أونيل، الذي صار فيما بعد متحدثاً باسم الكونغرس. فقد استذكر «أن نيكسون بدا عليه التغير بعدما صار رئيساً. فلم يعد يلعب الورق مع مجموعتنا، بل أشك في أنه لعب مع أي شخص آخر. وعلى عكس ترومان وكينيدي وجونسون، فإن نيكسون لم يعد يختلط ويمزح مع أصدقائه القدامى. . . . بل أصبح مترفعاً وإمبراطورياً».

وحتى بعض أساطين الحزب الجمهوري كانت لهم مثل هذه الأفكار. فآرثر بيرنز، رئيس الاحتياطي الاتحادي، قال عن حفلة تنصيب نيكسون: «لم أستطع أن أتبين لمسة تواضع في سلوكه أو في تعابير وجهه. وقد أقلقني ذلك كثيراً. وأقلقني معه موقفه عندما أخذني في جولة بالبيت الأبيض وراح يتحدث

عن روعته. . .» وغمغم توم ديوي متذمِّراً: «لا أعرف ما الذي حدث لِدِكْ. إنه لم يعد يستمع لأحد».

وقال رجل الأعمال والمشاريع آرنهولت سميث، الذي عرف نيكسون منذ أيام طفولته إنه يتصرف «كأنه نابليون، أقصد أنه ينزع إلى التأمّر كأنه إمبراطور، فيجعلك تشعر كأنك مسافر مع الله تقريباً». أما رئيس الحزب الجمهوري السابق لين هول فقد اعتقد أن نيكسون أصبح «ملكياً، أو كالملك. . . . إذ أنه يحب السلطة، وأن يمارسها بالجلوس في ذلك المكتب البيضاوي وإصدار الأوامر فقط. . . .».

وفي ظل حكم نيكسون، حسب تقرير مبكر، فإن أعضاء مجلس وزرائه كانوا سيعتبرون «نواباً للرئيس يدير كلُّ منهم وزارته الخاصة به». غير أن هذا المفهوم سرعان ما تمَّ نسيانه. فقال هالدمان: «إن نيكسون لم يقصد أبداً أن يكون وزراؤه مجلس إدارة. فلم يأخذ تصويتاً، ولم يهتم بالنتيجة على الإطلاق، بل لم يتظاهر بأنه يسعى إلى توافق الآراء».

واستذكر وزير الدفاع، جيمس شليسينغر: «أذكر في إحدى المناسبات، أثناء أزمة الطاقة أن نيكسون خاطب مجلس الوزراء كله بقوله: «لا أدري إن كانت أزمة الطاقة ستنتهي أبداً؟ فاقتربت منه وقلت له إننا نجري مفاوضات وثيقة مع السعوديين لإنهاء المقاطعة. فالتفت إليَّ وهمس: «أنا أعرف ذلك يا جيم، ولكنني لن أقوله أمام هؤلاء المهرجين».

وقال إيرليكمان: «بدأنا نسمع حوار نيكسون الداخلي الفردي الطويل مع نفسه عن صعوبة كون المرء رئيساً محاطاً بالبلهاء. فبدأت تسمعه يصدر تعليماته إليك: «تخلص من هذا الشخص آلن في وزارة الصحة التربية والرفاه!». «استدع فينتِش اليوم واطرده! إنه يتجول بين الناس قائلاً إننا نحبذ المساواة في ركوب الحافلات. إننا لا نحبذ ذلك. ألا يفهمون؟»، ومع تقدم السنة الأولى

من حكمه، راح يسحب أكثر فأكثر كل تلك التفويضات بالسلطة المطلقة التي كان قد منحها باستخفاف أثناء فترة الانتقال. . . .

ووصل الأمر إلى درجة من السوء في السنة الثالثة بحيث علمنا بجلسة لمجلس الوزراء غيرمكتملة النصاب. والواقع أنهم عقدوا اجتماعاً في غرفة المؤتمرات بمكتب جورج رومني [وزير الإسكان والتنمية المدنية] لمناقشة مشاكل اقتصادية، لأنهم عجزوا عن إجراء أية مناقشات على مائدة مجلس الوزراء. . . . كانت ثورة مصغرة. . . . وقد انزعج نيكسون بشكل رهيب لأنهم أرادوا عقد مثل هذا الاجتماع من وراء ظهره. . . .»

وقال ريتشارد هيلمز، مدير وكالة المخابرات المركزية: «لم يكن نيكسون يثق بأي أحد في السلطة التنفيذية. فها قد أصبح رئيساً للولايات المتحدة، ولذا فهو رئيس السلطة التنفيذية. ومع ذلك فقد كان يقول للناس باستمرار، إن وزارة الخارجية ليست سوى مجموعة من الدبلوماسيين ذوي الثياب المزركشة بالأشرطة والدبابيس، المنغمسين في شرب الكوكتيل. وبأن الوكالة لا تستطيع الإتيان بعمل يؤدي إلى النصر في فيتنام. وأن وزارة الداخلية مليئة بالمتطرفين الميالين إلى اللون الأحمر، وهكذا كانت تذمّراته لا تنتهي».

ويكشف شريط مسجل لمكالمة هاتفية أن نيكسون قد انفجر غاضباً ذات مرة، لأن عدداً أقل من اللازم من مساعدين قد تحدث إليه بالهاتف، لتهنئته على خطاب متلفز على نطاق وطني عن فيتنام. فقال لكيسنجر: «تبّاً للوزراء وللباقين جميعاً! من الآن فصاعداً عليهم هم أن يأتوا إليّ. إنني أشعر بالقرف والغثيان من التركيبة كلها. أما الآخرون فهم مجموعة من الجبناء الذين لعنهم الله. أما الموظفون، فيما عدا هالدمان وإيرليكمان، فتبّاً لهم وسحقاً. وأما الوزراء ـ عدا كونالي [أمين سر مجلس الوزراء] ـ فليذهبوا إلى الجحيم!».

وكان نيكسون أول رئيس خلال أكثر من قرن كامل، يضطر إلى العمل مع

كونغرس معارض. ولم يكن لديه صبر على هذه المهمة. فقال إيرليكمان: «لم يكن يريد أن يمضي الوقت المطلوب في كسب أولئك الناس أو استمالتهم». وكان ضابط ارتباط الكونغرس بيل تيمونز يكتب له على أوراق الخطب عبارة: **اطلب منه التصويت معك**» كلما كان نيكسون على وشك الاجتماع بأحد أعضاء الكونغرس. ولكن نيكسون لم يفعل ذلك أبداً. وقال تيمونز: «أعتقد أنه كان يشعر أن من المهين للرئيس أن يطلب من عضو في الكونغرس أن يعطيه صوته. فلم يكن من خصال شخصيته أن يفعل ذلك».

وأدت أحابيل نيكسون للالتفاف حول سلطة الكونغرس إلى تنفير ممثلي المنتخبين منه في آخر الأمر. فقد أوقف اللوائح التشريعية، وجمّد الأموال، في حين أنه كان يعرف أن الفيتو الرئاسي لن يفيد. وأدت أعماله إلى تآكل سلطة مجلس الشيوخ في ميدان السياسة الخارجية. وقد لاحظ كيفن فيليبس الذي كان هو نفسه أحد مساعدي نيكسون السابقين، أنه كان يتجه إلى ممارسة الحكم على أيدي «نخبة من الموظفين الهامشيين الذين لا يمكن الوصول إليهم، وبأسلوب لم يسبق له مثيل». وكان هناك رجل واحد على وجه الخصوص، هو سيناتور أمريكي قديم، ممتعضاً من طابع الحكم واتجاهه العام. وهو سام إيرفن، الذي قدر له أن يكون أداة الانتقام التي أودت بنيكسون إلى الهاوية في ووترغيت، حيث راح يدمدم آنذاك: «إن الحق الإلهي قد هلك في أمريكا مع قيام ثورتها».

وبالمثل، كانت العلاقات مع الصحافة مثار نزاع. فبعد ست سنوات من خطاب نيكسون الذي وردت فيه عبارة «لترفسوه» الشهيرة [انظر صفحة 490 و491]، كانت حدة سخطه على أجهزة الإعلام واحتقاره لها ما تزال على حالها؛ لم تخفت. وبعد دقائق من إعلان فوزه عبّر أحد كبار مساعدي آغنيو عن التوجه العام للإدارة بطريقة ذات مغزى فقال: «لماذا لا نأتي بأحد ممثلي الصحافة فنشبعه ضرباً؟ لقد سئمت من مجاملتهم». وبعد الانتخابات، عبّر

نيكسون في حديث مع ثيودور وايت عن احتقاره لرجال الإعلام بقوله: «أولئك الأوباش السفلة الذين يشبهون تلاميذ الكشافة».

لقد فشل «تلاميذ الكشافة» في إرضائه. فبعد أربعة أشهر من رئاسته، أصدر أمراً ثبت أنه عقوبة غير قابلة للتطبيق العملي: يجب أن لا يتصل البيت الأبيض بعد الآن **بالنيويورك تايمز** - التي أزعجته إحدى افتتاحياتها، ولا **بالواشنطن بوست** - التي سبقته إلى خبرٍ عن اجتماع مقبل كان يأمل أن لا يعلن عنه أحد سواه -، ولابصحيفة **سانت لويس بوست ديسباتش**، التي نشرت تقريراً من مصدر داخلي مطلع عن مشاكل الإدارة.

وبعد ذلك ببضعة أسابيع، عندما عاد رجال الفضاء الأمريكيون من أول إنزال على سطح القمر، قال نيكسون لرئيس الوزراء البريطاني، إنه لو يتضح أن الصخور التي عادوا بها محملة بجرائيم قاتلة فسوف يوزعها كهدايا على الصحافيين.

وقد ظهر في بادئ الأمر، أن الرئيس الجديد ربما يبذل جهداً لتحسين ظروف الصحافة. فبمبادرة شخصية من نيكسون تم تغيير غرفة الصحافة القديمة القذرة في البيت الأبيض ليحل محلها مقر أرحب وأفخم. واتم إنفاق أكثر من نصف مليون دولار على غرفة استماع وتقارير وردهة استراحة على طراز نادٍ إنكليزي، بأرائك طويلة باذخة ومطبوعات أنيقة فاخرة على الجدران. غير أن الغرفة نُقِلَتْ إلى موقع جديدٍ، يمنع الصحافيين من مشاهدة تحركات الشخصيات الهامة. فقد لاحظ هيو سايدي: «إنك لا تستطيع رؤية من يأتي ومن يذهب لرؤية الرئيس. والهدف كله هو عزل الصحافة عن تدفق الزوار إلى البيت الأبيض.

ولم يعقد نيكسون أية مؤتمرات صحافية متلفزة طيلة الأشهر الثمانية الأولى من رئاسته. ولم يعقد سوى واحد وثلاثين مؤتمراً طيلة سنوات فترته

الأولى الأربع. وقد عقد كيندي أكثر من ضعف هذا العدد في أقل من ثلاثة أعوام، وجونسون أربعة أضعافه في سنوات حكمه.

ولقد زعم نيكسون أنه لا يبالي بما تقوله عنه الصحافة، غير أنه كان هو نفسه الذي حرّض آغنيو على توجيه خطابه الشائن العنيف ضد ما أسماه «العصابة الصغيرة من معلقي شبكات التلفزة الذين يعيّنون أنفسهم محلّلين». وكانت جريمة المعلقين المذكورين قيامهم «بتحليل فوري» لخطاب نيكسون عن فيتنام، فاعتبره آغنيو نقداً وقحاً.

وقرر هيو سايدي أن تغطية أخبار البيت الأبيض بالحديث إلى موظفيه لا معنى لها ولا فائدة منها: «إنها عملية غير إخبارية، ومضيعة شاقة للوقت. . . . فقد نزل عليه هذا الحشد كجيش احتلال. فاستولوا على البيت الأبيض كأنه حصن مطوق بالأسلاك الشائكة. . . . ولم يفهموا أو يشعروا أن الحكومة ليست ملكاً لهم، وأنها شيء يعود للشعب وموضوع بين أيديهم كأمانة».

وقد توصل هالدمان إلى الاعتقاد أنه «بدون الحرب الفيتنامية» ما كانت لتوجد ووترغيت. وبدون حرب في فيتنام، كان يمكن أن تكون لريتشارد نيكسون أنجح رئاسة منذ رئاسة هاري ترومان. . . . ولكن الحرب الفيتناميّة دمّرت نيكسون. . . .».

وفي الصباح الأول في البيت الأبيض، وبينما كان نيكسون يحلق لحيته، تذكر خزانة أراه إياها جونسون بعد الانتخابات. وهي صندوق صغير آمن مُخَبّأ في مقصورة غرفة النوم. فتبيّن أنه يحتوي على وثيقة وحيدة، فيها أحدث إحصائية للقتلى والجرحى الأمريكيين في فيتنام. فتمعن في الأرقام، ثم أعاد الملف إلى الخزانة «إلى أن تنتهي الحرب».

أما وعوده أثناء الحملة بأن يأتي بنهاية سريعة للحرب فكانت شيئاً من الماضي المنسيّ. وكان قد قال لثيودور وايت بمرحٍ متعجرف في غضون أسابيع

من الانتخابات: «من يدري؟ سنة، سنتان، ستة أشهر؟ إنني لا أستطيع أن أضع حداً زمنياً. وكان قد أخبر الأمة في أيار / مايو 1969 أن «السلام لا يمكن تحقيقه بين عشية وضحاها. ولا يمكن إقراره بجرة قلم واحدة».

وكان ذلك صحيحاً حقاً. فقد تابع الفيتناميون الشماليون هجماتهم. ثم إن الرئيس الجنوبي ثيو، الذي كان يعتقد أن نيكسون مَدِينٌ له لأنه أوقف مبادرة السلام الديمقراطية عشية الانتخابات، خرج قلقاً من أول اجتماع رئاسي. فقد طُلِبَ منه أن يوافق على سحب عشرين ألفاً من القوات الأمريكية، فأقلقه أنَّ ذلك قد يكون بداية انسحاب على نطاق كامل. وأصرّ نيكسون على أن سحبهم لن يكون إلاّ «رمزياً». «وخدعة للرأي العام» لمساعدته على إرضاء المعارضين المحليين للحرب. ووعد بأن «الدعم القوي سوف يستمر سنوات».

وأخفى نيكسون عن ثيو حقيقة كون كيسنجر على وشك أن يفتح محادثات سرية مع الشمال. وما كان ذلك ليُحْدِثَ أيَّ فرق. فلقد قدر لكيسنجر أن يُشَبِّهَ التعامل مع شطري ڤيتنام، بكونه مدرب حيوانات يفرقع سوطاً، لجعل نمرين عنيدين يجلسان على مقعد بلا ظهر ولا ذراعين. «فعندما يكون أحدهما جالساً في مكانه، فإن الآخر يقفز مبتعداً».

وقد حدّث نيكسون ثيو بالفعل عن فتنمة الحرب، وهي التوجه نحو تمكين فيتنام من البقاء وحدها. وكان المستعمرون الفرنسيون قد استخدموا التسمية نفسها. فزعم النقاد أن تلك السياسة فيها انكفاء متقهقر، باستخدام الفيتناميين لقتال الفيتناميين. وجادل آخرون في أنها كانت مناورة، ليس للتعجيل بإحلال السلام، بل لكسب الوقت لإبقاء الحرب مستعمرة. وفي تلك الأثناء، وراء الاجتماعات والخطب العلنية كان هناك مشهد (أو سيناريو) آخر آخذ في التطور في الخفاء.

ففي غضون شهرين من انتخاب نيكسون رئيساً، وافق على ضربة من القصف الكثيف بطائرات B-52 الاستراتيجية الثقيلة تحت اسم الشيفرة الرمزي

«الإفطار» على منطقة حول حدود ڤيتنام مع كمبوديا، ووراءها. وقدّر للإفطار أن يتبعه الغداء، ووجبة الحلويات، فالعشاء، على شكل سلسلة موسعة من الضربات على مدى أربعة عشر شهراً تحت مظلة التسمية العامة «قائمة الطعام». وكانت قائمة الطعام هذه تهدف إلى سحق تركيزات العدو وحشوده ومستودعات أسلحته قرب الحدود، في المناطق التي كانت القوات الشيوعية في السابق تشن منها هجماتها وهي بمنجاة من العقاب.

غير أن قائمة الطعام كان في صلبها مشكلة ملازمة لها. إذْ أن كمبوديا كانت بلداً محايداً. وكانت حملة القصف الجوي تؤذن بتوسيع الحرب. ولذلك فقد تم تنفيذها بناء على تعليمات شخصية من نيكسون، تحت شروط من السرّيّة، خارقة للعادة. وفي ما عدا تسريبات قليلة للصحافة، فإن الحقيقة عن قائمة الطعام لم تبرز للعيان إلاّ بعد وقوعها بخمس سنوات. وعندما انكشفت، في ذروة فضيحة ووترغيت، أتهم النقادُ الغاضبون الرئيسَ بأنه تجاوز سلطاته الدستورية.

وقدِّر لعضو الكونغرس روبرت درينان أن يصنّف هذا القصف على أنه «سلوك رئاسي يسبب صدمة صاعقة ولا تُصَدَّق، أكثر من سلوك أي رئيس في أي حرب في التاريخ الأمريكي كله». وأن يردّ عليه نيكسون بسرعة متذرعاً بأن الضربات قد أسفرت عن إنقاذ أرواح جنودٍ أمريكيين، والتعجيل بالتسوية السلمية. ومن جهة أخرى، فإن اللجنة القضائية لمجلس النواب قد اعتبرتها «خداعاً للكونغرس وللجمهور الأمريكي» من نوع تكفي خطورته لإضافته إلى مواد إتهام الرئيس.

وبينما سقط هذا لاقتراح في التصويت، فقد بقيت حقيقة كون نيكسون قد كذب علانيةً. ففي خطاب صارم الجدّيّة أثناء الحملة الانتخابية، كان قد تحدث عن «حق الشعب في أن يعرف» وعن واجب الرئيس في «عرض كل الحقائق».

وكان قد أعلن أيضاً: «إن الرئيس لا يستطيع الحفاظ على الثقة وعلى القيادة إلاّ من خلال حوار مفتوح وصريح مع الشعب».

وكان نيكسون أثناء فترة القصف قد طمأن الأمة بأنه يقدم لها الحقائق عن الحرب «بنزاهة كاملة». وفي خطاب آخر يشير مباشرة إلى منطقة الحدود الكمبودية، قال إن الولايات المتحدة لم «تتحرك أبداً ضد المخابئ لأنها لم تكن ترغب في انتهاك أرض أمّةٍ محايدة». وقد قُدِّمَ هذا التأكيد بعد نحو ثلاثة آلاف طلعة جوية لـ B-52، وبعد إلقاء مئة ألف طن من المواد الشديدة الانفجار.

وكان مزاج نيكسون عاملاً من عوامل القصف، مثله في ذلك مثل التخطيط التكتيكي. فقد أصدر أوامره بشن الهجمات في بادئ الأمر وهو على متن طائرة السلاح الجوي رقم واحد في الطريق إلى أوروبا، ثم ألغى الأمر مرتين، بناءً على نصيحة كيسنجر، قبل أن يعطي الأمر النهائي بالانطلاق. ثم أمر بمرحلة أخرى من القصف، حسب رأي كيسنجر «بسبب واقعة حدثت في مكان بعيد... في كوريا الشمالية... وكان نيكسون يبحث عن مكان آخر لإظهار مدى حماسته ونشاطه. إذ أنه لم يكن يخشى شيئاً أكثر من الظهور بمظهر الضعف...»

وكانت الواقعة البعيدة المذكورة هي إسقاط طائرة تجسس أمريكية من قِبَل مقاتلةٍ نفاثةٍ كوريةٍ شمالية، في 14 نيسان / إبريل سنة 1969، حيث قُتِلَ جميع ملاحيها الأمريكيين البالغ عددهم واحداً وثلاثين. وحسبما جاء في بندٍ من مفكرة هالدمان، فإن نيكسون أراد في البداية «ردّ فعل قوياً». وعندما نصحه مساعدوه بالتعقل والحكمة أحجم «وكبت غريزته التي كانت تحثه على الردّ في مقتل» حسب وصف كيسنجر. غير أنه بعد بضعة أيام أمر بقصف الحدود الكمبودية في «الغداء» ـ حسب التسمية المشفورة ـ.

وظلت لهجة نيكسون في أحاديثه الخاصة عن فيتنام عدوانيةً حربيّة. وقيل

إنه كان يشير إلى كل الناس الذين يعتقد أنهم حمائم ـ من خلف ظهورهم ـ على أنهم «حمير مغفّلة». وقد استخدم تهديدات شفوية متطرفة ليوضح كيف أنه سيجعل فيتنام الشمالية تخضع. فأخبر كيسنجر في حديث هاتفي مسجل: «سوف أستدير إلى اليمين بشكل قاسٍ لعين يجعل رأسك تصاب بالدوار. سوف نقصف أبناء الزنا على نحو يمحقهم عن وجه الأرض».

وتظاهر نيكسون بالصدمة عندما انفجرت في الصحف القصة الرهيبة لأسوأ الفظاعات في تاريخ أمريكا العسكري الحديث، وذلك في أواخر سنة 1969. فقد ظهر أن قوات لواء المشاة الخفيف الحادي عشر من الفرقة الأمريكية قامت في السنة المنصرمة بذبح ما لا يقل عن 350 من الفيتناميين المدنيين العزل. فقد أطلق الجنود وصغار الضباط الأمريكيون الرصاص، وقتلوا بالسلاح الأبيض الشيوخَ والنساءَ والأطفالَ، وحتى الرضّع. وقد ضربوا بعض النساء واغتصبوهنّ قبل قتلهنّ. وأحرقوا جميع المساكن حتى سوّيت بالأرض. وألقوا جثث مواشي الأهالي في الآبار كي تسمم المياه.[4] وقد تمت تلك المجزرة في قرية ماي لاي وما حولها من دون استفزاز. كان هناك نشاط كبير للعدو في المنطقة، ولكن ذلك اللواء لم يتعرض لنيران معادية ذلك اليوم.

فأمر نيكسون ناطقه الصحافي أن يعلن أن القتل الجماعي «بغيض للضمير» واعداً بأن الأمر «سيعالج وفق القواعد الصارمة للعدالة العسكرية». وخلف الكواليس، أمر الجيشَ بالتجسس على المحارب القديم الشاب الذي فضح الجريمة الفظيعة بالكتابة عنها إلى نيكسون وغيره من السياسيين الآخرين. وظل

---

(4) كانت المذبحة قد وقعت يوم 16 آذار / مارس، 1968. وكان المحارب القديم الشاب الذي أشعل شرارة أول تحقيق جدّي هو رونالد رايد نآور، العامل السابق على رشاش طائرة مروحية فقد كتب إلى لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب. ثم وجدت القصة طريقها إلى الصحف بفضل الجهود التحقيقية المتواصلة لسيمور هيرش، الذي كان يعمل صحافياً حراً آنذاك. (رايد نآور: مولنهوف، مصدر سبق ذكره، ص 543؛ **النيويورك تايمز**، عدد 11 أيار / مايو 1998؛ كشف هيرش للخبر: أوبست، مصدر سبق ذكره، ص 159).

الرئيس يشكو ساعاتٍ طويلةً إلى أحد مساعديه من الآثار السلبية لهذه الفضيحة، قائلاً: «إن أولئك اليهود القذرين المتعفنين بنيويورك هم الذين وراءها».

وبينما اتّهِمَ في آخر الأمر خمسة وعشرون جندياً بالتورط في الهجوم، فقد تركز الانتباه على الملازم وليام كالي، قائد الفصيل البالغ من العمر أربعاً وعشرين سنة، والذي اعترف بأنه قام بدور قيادي. فاتُّهِمَ كالي بقتل 109 مدنيين، ودين بالاغتيال المتعمد لاثنين وعشرين منهم مع سبق الإصرار. وقال للقاضي إنه لم يعتقد أن للأمر «كبير أهمية».

وعندما حكم على كالي هذا بالسجن مدى الحياة، أمر نيكسون بإطلاق سراحه ريثما يتم النظر في استئناف قضيته الذي سيقوم الرئيس بنفسه بمراجعته قبل تنفيذ أي حكم قضائي. وفي آخر الأمر، احتُجز كالي ثلاث سنوات فقط قضى معظمها في شقة مريحة في قلعة بينِنْغْ بولاية جورجيا، مع الإذن له بتلقي زيارات من صديقته. وقد ظهر تسجيلٌ في الأسواق عنوانه «ترنيمة المعركة للملازم كالي» مغنًّى على وزن لحن «ترنيمة معركة الجمهورية» فوجد شعبيةً هائلة. ودفع أحد الناشرين مئة ألف دولار للجندي نظير قصة حياته.

وأرسل النقيب أوبري دانييل، المدعي العام العسكري في القضية، رسالة من أربع صفحات إلى نيكسون يحتج فيها على تدخله. وقال المدعي إن عمل الرئيس هذا قد ضخم صورة كالي «كبطل قومي»، كما أنه «أضرّ بنظام العدالة العسكرية». ورفض البيت الأبيض أن يعلق.[5] ودافع نيكسون عن عمله في مذكراته قائلاً إنه قد عمل بناءً على مشورة آخرين.

وفي غضون أسابيع من ظهور قصة ماي لاي الأولى في الصحافة، قدمت

---

(5) كان كلارك مولينهوف، أمين المظالم المحقق في الشكاوى في البيت الأبيض قد كتب إلى نيكسون في كانون الثاني / يناير 1970، يحث على إشراف رئاسي على تحقيقات ماي لاي. وقد أخبره هالدمان فيما بعد أنه «ليست هناك حاجة لإعطاء مثل هذا المشروع... أولوية». واستذكر مولينهوف أن «نيكسون لم يكن مهتماً ولا قلقاً... إلاّ إذا كان هناك تهديد بإحراج الرئيس أو الإدارة». (مولينهوف، مصدر سبق ذكره، ص 77).

لنيكسون ميزانية تقترح خفض النفقات على وحدات الاستطلاع المؤقتة، وهي فرق صغيرة يقودها الأمريكيون تستهدف البُنَى التحتية للفيتكونغ. ويتذكر الناس أنشطتها اليوم تحت اسم برنامج العنقاء، الذي بموجبه قُتِلَ ما يراوح بين عشرين ألفاً وأربعين ألفاً من الڤيتناميين.[6] وقد استذكر لورانس لين، المساعدُ في مجلس الأمن القومي، ردَّ فعل الرئيس على اقتراح التخفيض هذا فقال: «بدأ نيكسون يهذي واستمر هذيانه الغريب ثلاثين ثانية، وهو يقول: «كلاّ، بل إن علينا أن نفعل المزيد من هذا. نريد قتلاً واغتيالات، فهذا ما يفعلونه هم [يقصد الطرف الآخر]». وتم الحفاظ على التمويل المرصود لبرنامج العنقاء.

بموجب تقرير لم يتم التحقيق فيه قطّ، قيل للعسكريين الأمريكيين في سايغون في أوائل سنة 1969 إن هناك اهتماماً «استثنائياً» على «أعلى مستويات الحكومة» بخطة لإرسال فريق مدرب في أمريكا لاغتيال رئيس الدولة في كامبوديا، الأمير سيهانوك. وفي السنة التالية تم إسقاط الأمير، الذي كانت مواقفه السياسية الغامضة قد أبقت كمبوديا خارج حلبة الصراع في جنوب شرقي آسيا، ولو أنه لم يُقْتَلْ.[7]

وبالطبع فإن عبارة «أعلى مستوى» هي رمز يعني دائماً إما زعيم البلاد أو

(6) كان الموظف المسؤول عن البرنامج في فيتنام سنة 1969 هو وليام كولبي، الذي صار فيما بعد مديراً لوكالة المخابرات المركزية. وقد قدّر له أن ينكر نشاط الاغتيالات. وقد ناقضه عدد من المحاربين القدامى في عملية فينكس (العنقاء). وكان جون بول فان، أحد الموظفين المسؤولين عن البرنامج قد تشاور مع نيكسون في المكتب البيضاوي تلك السنة. وقيل بأن فان قد شجَّع كولبي على متابعة برنامج العنقاء هذا (كولبي: وليام كولبي وبيتر فورباث، **رجال شرفاء**، طبع نيويورك: سيمون وشوستر، 1978، ص 311 وما يليها؛ المحاربون القدامى يناقضون: برادوس، **الحروب السرِّية**، مصدر سبق ذكره، ص 309؛ شيهان، مصدر سبق ذكره، ص 732).

(7) إن الادعاء المفصَّل حول التآمر على سيهانوك قد جاء على لسان صاموئيل ثورنتون، ضابط البحرية الصغير الذي كان يخدم في مقر قيادة الأسطول في سايغون في مطلع سنة 1969. وكان هنري كيسنجر قد قال إن واشنطن لم تكن ضالعة في إسقاط سيهانوك، «على مستوى القمة على الأقل». (ثورنتون: هيرش، **ثمن السلطة**، مصدر سبق ذكره، ص 179 وما يليها؛ كيسنجر: شوكروس، مصدر سبق ذكره، ص 222).

أقرب المقربين إليه من كبار الموظفين. إن إمكانية تورط نيكسون في التآمر على رئيس الدولة الكمبودية تثير ـ مرةً أخرى ـ مسألة موقفه من الاغتيال السياسي، التي تم سبر أغوارها آنفاً مع مؤامرات اغتيال كاسترو. وهذا يتطلب انتقالاً مؤقتاً من جنوب شرقي آسيا إلى واقعة قدر لها الحدوث على الجانب الآخر من المحيط الهادي.

ففي خريف سنة 1970 أدت انتخابات ديمقراطية إلى مجيء سيلفادور آلليندي، الماركسي الاتجاه، إلى السلطة في شيلي. وقُدِّر له أن يبقى في منصب رئيس البلاد ثلاث سنوات. ثم لقي مصرعه بطريقة عنيفة في انقلاب عسكري. إن مسألة أمر نيكسون لوكالة المخابرات المركزية أن تعارض آلليندي وتقف عقبة في وجهه، قضية معروفة ومسلّم بها في السجل التاريخي. ولكن القضايا التي تظل عالقة وغير محلولة، هي الأعمال التي أمر بها نيكسون بالضبط، وما إذا كانت الولايات المتحدة متورطة بمصرع آلليندي.

لقد بدأت جهود نيكسون الشخصية لمقاومة آلليندي بتحريض من دونالد كيندال، مؤيد نيكسون القديم، ورئيس شركة البيبسي، وعضو مجموعة رئيس وكالة المخابرات المركزية، ريتشارد هيلمز، بالعمل ضد آلليندي في اليوم التالي لاجتماعه مع كيندال وشريكٍ له شيلّي من أثرياء رجال الصحافة.

واستذكر هيلمز في سنة 1999 أن محاولة التفاهم عقلانياً مع نيكسون كانت «مثل الكلام في وسط ريح عاصفة». وقد وصف أحدُ كبار زملاء المدير مزاجَ نيكسون بأنه كان «ثائراً». ودعا آخر تعلمياته «ضالة، شاذة، وهستيرية». فما الذي أمر به نيكسون بالضبط، آنذاك أو في تاريخ لاحق؟.

حسب ملاحظات شفوية عن محادثة مع الرئيس جيرالد فورد بعد ذلك بخمس سنوات، قال كيسنجر إن وليام كولبي، الذي كان يترأس وكالة المخابرات المركزية (سنة 1975) «كان يبتزّني حول قصص الاغتيال. وكنت أنا ونيكسون قد طلبنا من هيلمز أن ينظر في إمكانيات انقلاب في شيلي سنة

1970، فقال لنا هيلمز إنه لن ينجح. . . .» والسطران التاليان من ملاحظات يبقيان مكتومين بأمر الرقابة.

وتتفق جميع المصادر على أن أمر نيكسون كان قد أثار نهجاً مزدوجاً تجاه آلليندي. فالمسار الأول سمح بمناورات سياسية، ونشاط دعائي مصمَّم لمنع إقرار الكونغرس الشيلي بانتخاب آلليندي وتثبيته. أما المسار الثاني، الذي بقي سرّياً للغاية، فكان ينطوي على استخدام وكالة المخابرات المركزية في استثارة انقلاب عسكري يطيح بآلليندي ومؤازرة ذلك الانقلاب.

وقُدِّر لهيلمز أن يخبر لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي أن نيكسون كان «يريد أن يتم عمل شيءٍ ما. ولم يكن يهمه كيف. . . . وكان هذا بالفعل أمراً عاماً شاملاً لكل شيء. . .». وعندما سأله سيناتور في المجلس عما إذا كان ذلك يشمل الاغتيال، أجاب هيملز: «حسناً، لم يخطر ذلك في بالي. . .».

وفي ردّ نيكسون على أسئلة اللجنة بعد استقالته من منصب الرئاسة، نأى بنفسه عن أي تخطيط لانقلاب. وزعم إحدى عشرة مرة أنه لم يعد يتذكر عدداً من النقاط الأساسية الهامة. ولم يقدم عن القضية في مذكراته سوى رواية مقتضبة غامضة، فلم يذكر بوضوح هل تم إيقاف المسار الثاني أم لا. (8)

وقد جاء سقوط آلليندي ومقتله في سنة 1973 في أعقاب هجوم على القصر الجمهوري شنته قوات يقودها الجنرال أوغستو بينوشيه. وقيل لأعضاء مجلس الشيوخ الأمريكي بعد ذلك بأيام، على لسان مسؤول في وزارة الخارجية

(8) تلقت لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ شهادات متضاربة عما إذا كان المسار الثاني قد انتهى على الإطلاق. فلم تعثر على أي أثر لأمر جديد من نيكسون بإنهائه، كما زعم كيسنجر. ولقد شهد توماس كارامسينيس، نائب مدير وكالة المخابرات المركزية، بأن المسار الثاني «لم ينتهِ في الحقيقة أبداً. . . إذ أن الشيء الذي طُلِب منا هو أن نتابع جهودنا». (مجلس الشيوخ الأمريكي، **مؤامرات الاغتيال**، مصدر سبق ذكره، ص 253 وما يليها).

أن نيكسون والبيت الأبيض قد تلقيا إنذاراً مبكراً عن الانقلاب، ولكنهما قررا اتباع سياسة «رفع اليد وعدم التدخل».

وتثبت الوثائق المفرج عنها حديثاً أن الإدارة قد تعاطفت على الفور مع النظام الجديد، وقدمت له مساعدات اقتصادية. كما استقبل نيكسون سفيره الجديد بعد شهرين فقط من الانقلاب، وفي ذلك الوقت كانت واشنطن تعلم تمام العلم أن قوات بينوشيه قد بدأت عملية «قمع عنيف». كان ذلك عهد الإرهاب الذي انطوى على عمليات إعدام سريع بلا محاكمات، وعمليات تعذيب ستقود بعد ذلك بربع قرن إلى محاولة دولية لمحاكمة ذلك الجنرال الطاغية.

ولم يذكر نيكسون مصرع آلليندي في مذكراته إلاّ في سطرين اثنين، قائلاً إنه «حسب التقارير المتضاربة» فإن الزعيم الشيلي قد «قُتِلَ أو انتحر أثناء الانقلاب». والتقارير تتضارب حقاً. فقد زعم أتباع بينوشيه أن آلليندي «أطلق الرصاص على رأسه من سلاح ذاتي الحركة كان هدية إليه من الرئيس الكوبي فيدل كاسترو. . . .» غير أن أرملة الرئيس قالت إنه كانت هناك أيضاً «عدة جروح بالرصاص» في معدته، وهي تعتقد أن زوجها قد «اغتيل».

وقد ظلت هناك تقارير غامضة متداولة زمناً طويلاً حول التورط الأمريكي في يوم الانقلاب، عن طائرة مخابرات إليكترونية تبث اتصالات مع المتآمرين، وسفن حربية من الأساطيل الأمريكية على مقربة من ساحل شيلي، واتصال أثناء التحضير للانقلاب بين أميرال شيلي وضابط من سلاح البحرية الأمريكي. وقد انكر العقيد البحري باتريك رايان هذه التقارير. غير أن تقريره هو عن الانقلاب، والذي لم يفرج عنه إلاّ سنة 1998، كان رواية فرح بالانتصار تصف الانقلاب بأنه «عملية قريبة من الكمال» على أيدي جنود بينوشيه، الذين ذكر من بينهم واحداً من كبار أصدقائه. وينتهي التقرير بأنشودة نصرٍ تسبح بحمد النظام الجديد.

وهنا يسهم المؤلف ببندين من المعلومات ذات الصلة بهذا الموضوع. فالضابط السابق والعميل السري لوكالة المخابرات المركزية ديفيد موراليس، الذي تكشفت خلفية حياته العملية، وتم التثبّت منها أثناء تحقيق الكونغرس، قيل إنه ذكر بعد تقاعده أنه «كان في القصر عندما قُتِلَ آلليندي». وكان موراليس، الذي وصفه محقق سابق في لجنة الاغتيالات التابعة لمجلس النواب، بأنه كان «قاتلاً مأجوراً لدى وكالة المخابرات المركزية»، يعمل بشكل لصيق مع ديفيد فيليبس، ضابط الوكالة المكلف بإدارة مشروع نيكسون المعادي لآلليندي منذ بدايته.

وكان فيلبيس هذا رئيساً كذلك للقسم المختص بنصف الكرة الغربي التابع لوكالة المخابرات المركزية، الذي أشرف على العمليات في شيلي أيام الإطاحة بآلليندي. وفيما بعد، ونتيجةً لشهادته في الكونغرس حول قضية آخرى، صار شخصية مثيرة للخلاف والجدل. فقد شك محاميان رئيسيان في صحة شهادته، وكان موظفو التحقيق يريدون اتهامه بالادلاء بشهادة مزورة. وكان تخصصه أثناء صعوده في مراتب الوكالة هو بثّ الدعاية المغرضة السوداء والمعلومات الكاذبة للتضليل.

وقد أكد فيليبس في مذكراته أن جهد المسار الثاني حول شيلي قد تم إغلاقه قبل وقت طويل من مصرع آلليندي. وقال في رسالة علنية لأرملة الرئيس الشيلي بأن الاتهامات الموجهة إلى وكالة المخابرات المركزية بالتورط في مصرع زوجها «غير صحيحة والأدلة المقدمة عليها مشبوهة». ومهما يكن مدى صحة هذا الزعم، فإن الرئيس السابق لقسم نصف الكرة الغربي، قد اعترف في مقابلة سابقة لم تنشر، بأن الحقيقة عما حدث في شيلي لا تزال غير مكشوفة. وكانت تعليقاته على دور نيكسون مثيرة للفزع، إذ قال: «إن لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ قد تركت سجلها غير كامل. فلم يكن هناك أي شك... عند الذين كانوا قابعين في الخنادق منّا، أن إدارة نيكسون أرادت

انقلاباً عنيفاً، لأن كل الجهود السابقة ـ الانتخابات ـ كانت سيئة النتائج. . . .

وكان ذلك يعني قتل آلليندي على أيدي ضباط شيليين مؤيدين لنا.

«ولم يكن هناك من شك في أنهم سوف يقتلونه في أي محاولة للانقلاب. ولم يكن هناك أي وقت لم نكن فيه على اتصال ودي حميم جداً مع ضباط كانوا يريدون اغتياله. . . . ومع الضغط الذي مارسه نيكسون وكيسنجر على هيلمز، لم يكن هناك أدنى شك في أن علينا إعطاء الضوء الأخضر لأي شخص من بين العسكريين، قادر على تنفيذ مثل هذا الانقلاب. . . كانوا يريدون إزاحة آلليندي، وكانوا مدركين تماماً أن ذلك يستتبع اغتياله. . . فالناس الذين سيفعلون لن يأخذوه حيّاً. ولعلهم ما كانوا ليأخذوه حيّاً حتى لو طلبنا ذلك. ولكننا لم نطلب.

«ولقد كان مجلس الأمن القومي يعرف ذلك. فلم يكن نيكسون يخشى شيئاً أبداً في هذا المجال».

وكما هو مذكور آنفاً في قصة المؤامرات لاغتيال كاسترو، فإن نيكسون قد أخبر لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ ـ وهو تحت اليمين القضائية ـ أن اغتيال زعيم أجنبي «عمل لم يكن لديّ أي سبب قطّ للنظر فيه».

ورغم أن شيلي كانت موضوعاً لتآمر طويل مستفيض، فإنها لم تكن سوى استعراض جانبي بالمقارنة مع فيتنام، التي ظلت هي الهمّ الموجع المضني للأمة والشغل الشاغل للرئيس. وكان هالدمان يحتفظ بخربشات هي مسودة سجل لكل اجتماع مع نيكسون. وقد دوّن هذه الملاحظات في سنة 1969:

العدو الڤيتنامي

يسيء الحكم على شيئين

ـ الزمن ـ لدينا 3 سنوات + 3 أشهر

ـ والرجل لن يكون أول رئيس يخسر حرباً.

ومهما كان تصميمه قوياً، فإن «الرجل» ـ كما كان المساعدون يشيرون إلى الرئيس أحياناً ـ وجد كل جهوده العسكرية والسياسية تتعرض للإحباط باطراد. وبدا أن الاتصالات السرية مع الفيتناميين الشماليين لا تؤدي إلى شيء. كما أن محاولات التفاوض عن طريق السوفييت، الذين كانوا يزودون هانوي بالأسلحة، لم تحدث اختراقاً، ولم يفلح كذلك التسريبُ المتعمدُ المصمَّمُ لجعل العدو يعتقد أن نيكسون ينظر في غزو الشمال. وقد ركز نيكسون اللومَ في مذكراته حول هذا الطريق المسدود إلى الناس المعروفين في المكتب البيضاوي باسم «الأشخاص السيئين»، أي المعارضين المحليين للحرب.

ففي خريف السنة الأولى من حكم نيكسون، قامت تظاهرتان ضخمتان في واشنطن. وخلال أولاهما، في تشرين الأول / أكتوبر سنة 1969، خرج إلى الشوارع ربع مليون شخص. فخطّ نيكسون بقلمه لنفسه في دفتر ملاحظاته «لا تهتز ـ لا تتردد ـ لا تنفعل». وكتبت مجلة **تايم** في تقريرها أن الرئيس كان يبدو «غير مهتم، بل ترفّع عن هذا كله».

ورغم هذا الموقف العلني، فإن نيكسون كان عرضة للتآكل الداخلي إذ استغرقته الحرب، والمعارضة التي تلقاها الحرب. ومع وجود تظاهرة أخرى لاحقة، فقد قرر أن يخاطب الأمّة. واستذكر وليام واطس، المساعد في مجلس الأمن القومي: «عمل ثلاثة منّا على كتابة مسودة أولى. وكان الخطّ الذي اتبعناه فيها هو القول بأننا سنخرج من فيتنام في غضون ستة أشهر، ثم فجأة طار كل شيء، فلم يكن للخطاب الذي ألقاه أي صلة بما كتبناه».

كان نيكسون قد دوّن لنفسه ملاحظة قال فيها: «تحدث بلطف ونعومة واحمل عصا كبيرة». وفي أوائل تشرين الثاني / نوفمبر، بعد أيام من الكتابة وإعادة الكتابة، وبعد أن اشتغل مرة طوال الليل، ظهر على شاشة التلفزيون الوطني ليطلب دعم «الأغلبية العظمى الصامتة من مواطنيّ الأمريكيين» من أجل الوفاء بالتزامات الولايات المتحدة في فيتنام. وأصرّ نيكسون على أن الطريق إلى

السلام هو الاستمرار في القتال، ولن تثنيه عن ذلك «الأقليةُ» من المحتجين.

وفي بيت أبيض يختص موظفوه على مستوى القمة بالإعلانات التجارية، كانت السياسة الفيتنامية شيئاً يجري تصوره وقياسه إلى حد كبير، حسب شروط ومواصفات العلاقات العامة. فكان من ذلك مثلاً أن لاري هيغبي، مساعد هالدمان، قد قال في مذكرة له، حديثةٍ آنذاك، أن «الشيء المهم» في حشد التأييد الجمهوري هو الخروج بعناوين على صدر الصحف صارخة بعبارات مثل: «تأييد عالمي واسع لمبادرات نيكسون السلمية». وقد حققت الخطبة الكبرى ذلك ـ أو حتى ذلك الحين، على ما يبدو.

وكتب نيكسون في مذكراته: «لقد اشتعلت الأضواء في لوحة مفاتيح اتصالات البيت الأبيض في اللحظة التي أنهيت فيها خطابي على الهواء. فتدفق سيل من أكثر من 50000 برقية و 30000 رسالة، وكانت النسبة المئوية من الرسائل المنتقدة بينها منخفضة. . . . وللمرة الأولى، فإن الغالبية الصامتة أسمعت صوتها».

وزعم نيكسون أنه لم يكد يذوق طعم النوم في الليلة التي ألقى فيها خطابه. فقد كان متوتراً بشأن ما سيكون عليه رد الفعل. ولم تنكشف الحقيقة إلاّ في سنة 1999 على يد آليكساندر بترفيلد، المساعد الذي كان يتلقى تدفق الورق على المكتب البيضاوي. فأكد أن رد الفعل الإيجابي كان «مفتعلاً إلى حد كبير، وكان مصطنعاً».

وقال بترفيلد إنه قبل الخطاب بأسابيع، صدرت إليه الأوامر بأن «يتأكد بشكل لعين من أن الاستجابة ستكون رائعة». ولقد تم توليد نسبة عالية من البرقيات والرسائل سلفاً بالاتصال برؤساء لجان الحزب الجمهوري في الولايات، والفيلق الأمريكي، والمحاربين القدماء في الحروب في البلدان الأجنبية، وما إلى ذلك. وكان روس بيرو، الذي رشح نفسه لمنصب الرئاسة فيما بعد، رجلَ أعمالٍ ملياديراً في ذلك الوقت، منهمكاً في حشد التأييد لسياسة

نيكسون في الحرب، فوعد بإرسال حمولة قطار من رسائل التأييد. ولم يقصر كثيراً في تنفيذ تعهده.

وقال بترفيلد: «وهكذا تم تركيب كل شيء بصورة جاهزة على منصة الإطلاق». ومع ذلك كانت استجابة نيكسون هياجاً مسعوراً، فطلب هالدمان على الهاتف عشرين مرة من الساعة العاشرة مساء إلى الواحدة صباحاً ليلة إلقاء الخطاب، مع تعليمات بأن يرد بهجوم معاكس على أي تعليق انتقادي في التلفزيون، وأوامر بإطلاق البرقيات، وأوامر بأن يحصل على ردود أفعال أيجابية للخطاب، وأن يصنعها تصنيعاً. وتُظْهِرُ ملاحظةٌ في مفكرة هالدمان أن نيكسون قد توسل إليه أن «يفعل ولو شيئاً واحداً وهو تسليط 100 مكالمة هاتفية شنيعة قذرة لكل من **النيويورك تايمز والواشنطن بوست** على افتتاحيتهما (رغم عدم وجود أية فكرة عن ماهية الافتتاحيتين)».

واستذكر كيسنجر أن نيكسون كان «مبتهجاً» إلى درجة أنه «احتفظ ببرقيات التهنئة مكدسة على طاولته، بأعداد لم يعد ممكناً معها استخدام المكتب البيضاوي للعمل. وظل أياماً يرفض التخلي عنها».

وراح الرئيس يتشمس متنعّماً بنجاحه الظاهري هذا، فاستضاف الأمير فيليب البريطاني وأغرق هالدمان في طوفان من المكالمات الهاتفية الإضافية التي قال فيها إن كل شيء رائع. وقد استذكر إيرليكمان بعد سنوات: «لقد سمعتَ كثيراً عن الذين حجبوا الحقيقة منّا عن نيكسون؛ حسناً: لقد ألبس نيكسونُ نَفْسَهُ درعاً مضاداً للحقيقة».

وبعد يومين من إلقاء الخطاب، قال نيكسون لمساعديه وهو واضعٌ قدميه فوق الطاولة: «لقد جعلنا أبناء الزنا الليبراليين يفرون هاربين. . . . لقد طرحنا أبناء العاهرات الليبراليين أرضاً. . . فلا تدعوهم ينهضون على أقدامهم أبداً».

ولكن الواقع هو أن «أبناء الزنا الليبراليين» احتشدوا في قلب واشنطن مرة أخرى في الأسبوع التالي، بأعداد أعظم حتى من التظاهرة السابقة ـ فقد قالت

إحدى الاحصائيات إن عددهم قد وصل إلى ثلاثمئة وخمسين ألفاً. وبناء على طلب نيكسون، تم إخفاء ثلاثمئة جندي مسلحين بالبنادق والرشاشات في أقبية البيت الأبيض وبناية السلطة التنفيذية المجاورة، على استعداد لعمل محتمل.

وراقب هالدمان التظاهرة من طائرة مروحية، فرأى تحته ما صار مشهداً مألوفاً، وهو بيت أبيض معزول ومنقطع عما حوله بحواجز من الحافلات (الباصات). وفي مبنى وزارة العدل، أطل المدعي العام، جون ميتشيل ومساعدوه من على شرفة للتفرج على المتظاهرين، وهو يمضغ غليونه ويصدر أوامره إلى مدراء الشرطة لاستخدام المزيد من الغاز المسيل للدموع. وفيما بعد، قال وهو يشرب كأساً من الويسكي إنه ينبغي نفي المتظاهرين جميعاً إلى روسيا. وقال لنيكسون: «إن المشهد يشبه سان بطرسبورغ في سنة 1917».

وكان نيكسون قد أمر منذ زمن طويل بأن تجري وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تحليلاً في العمق «للعوامل الشيوعية» وراء الاحتجاجات، وعندما لم تجد الوكالة دليلاً على مثل هذا التورط، لم يفعل نيكسون شيئاً سوى الأمر بإجراء المزيد من التحقيق. واستذكر مدير الوكالة هيلمز: لم يكن هناك أي شيء مما نفعله يقدر على إقناعه».

وكان رد فعل نيكسون على مظاهرات تشرين الثاني / نوفمبر الاحتجاجية شيئاً سخيفاً يدعو إلى السخرية. فعندما بدأ الشباب بالمرور في مسيرتهم في صف واحد من حملة الشموع، مع لافتات تحمل أسماء القتلى، تجاهلهم في بادئ الأمر. ولاحظ هالدمان في مفكرته: «ظهر غير مهتم. وقد أمضى ساعتين في ممر غرفة لعبة الكرات الخشبية (البولينغ)». وفي المساء التالي، مع استمرار التظاهرة، قدم نيكسون «أفكاراً مساعدة، مثل استخدام الطائرات المروحية لإطفاء شموع المتظاهرين».

وقد اعتقد كيسنجر أنه «من بين جميع الخيارات»، ربما كان نيكسون «أقل الناس صلاحية لعمل من أعمال الرحمة والتفضل والعفو التي كان يمكنها

أن تحقق مصالحة مع أعضاء المعارضة المسؤولين المتعقلين. ولكنه رأى نفسه على أية حال هدفاً لمؤامرة ليبرالية لتدميره، فلم يستطع أن يحمل نفسه على رؤية الحرب الفيتنامية باعتبارها أي شيء، سوى استمرار للهجوم المستمر منذ زمن طويل على وجوده السياسي ذاته.

وفي الأشهر الأثني عشر الأولى من رئاسته، فقد 11527 أمريكياً آخرون حياتهم في فيتنام.

في العشرين من كانون الثاني / يناير 1970، في الذكرى الأولى لتدشين ولاية نيكسون، كان يقف وحيداً في المكتب البيضاوي بينما ظلال المساء آخذة في التطاول. وعندما استدعي هالدمان وروز وودز إلى حضرته، وجداه جالساً في الظلام مرتدياً معطفه الطويل، يعبث بصندوق موسيقي فضّي. فرفع غطاءه الذي كان يحمل اسمه وخاتم الرئاسة. وراح الثلاثة ينصتون بينما رنّ الصندوق بصوت قصديري مرح وهو يرتل أغنية «تحية إلى الزعيم».[9]

وترك الصندوق الصغير يعزف حتى انتهت آليته المسجلة وصمتت موسيقاه على نحو مؤلم. ثم غمغم نيكسون: «ها قد مرت سنة». ثم مشى خارجاً من الأبواب الفرنسية كممثل يقوم بحركة خروج عن المسرح لها مغزى. ولم يكن بمقدور أحد أن يخمن العمل الكابوسي المقدر له أن يلي هذا الخروج. غير أن المسرح كان مهيأً لذلك.

(9) كان الصندوق هدية من روبرت كيث غراي، صاحب مجموعة الضغط، في 25 كانون الثاني / يناير، 1969. (مذكرات **هالدمان**، ص 21).



26

أنت تتحدث عن دولة بوليسية. دعني أخبرك بما يحدث عندما تذهب إلى ما هو دولة بوليسية حقيقية.... إنك لا تستطيع أن تتحدث في غرفة نومك. ولا تستطيع أن تتحدث على الهاتف... ولا تستطيع حتى أن تتحدث أمام شجيرة.

ريتشارد م. نيكسون، 1971

وقبل ذلك بشهور، في صيف سنة 1969، وصل رجل قصير رمادي الشعر أمام المنزل رقم 3021 ن، في شارع في منطقة جورجتاون الثرية الباذخة في واشنطن. وكان يرتدي زي رجل شركة إصلاح لأجهزة الهاتف، ومعه أدوات عمله. فتسلق عمود الهاتف وألصق جهاز بث يعمل ببطارية إلى أحد الخطوط. ومنذ ذلك الحين راحت كل مكالمة تتم على ذلك الخط، تُسَجّلُ على شريط مخبأ في آلة تسجيل في الصندوق الخلفي لسيارة واقفة على مقربة من المكان.

وكان ضحية التجسس هو جوزيف كرافت، وهو واحد من أشهر كتاب الأعمدة الصحافية في الأمة. وأما«رجل التصليح» فكان هو جون راغان، خبير الهواتف الذي ظل يخدم نيكسون طيلة سنة 1968، أثناء حملته الانتخابية بالتفتيش عن أجهزة التنصّت في مكتبه، وفي الفنادق التي كان يقيم فيها.[1] وكان من الناحية الفعلية رجلَ الرئيس المتخصص بالهواتف.

وكنوع من التغطية أثناء تركيب جهاز التجسس على هاتف كرافت، كان

(1) انظر ص 663 أعلاه.

راغان مسلحاً أيضاً ببطاقة مزورة لشركة هاتف، كان قد زوده بها جون ديفيز، الموظف التنفيذي السابق في شركة هاتف، وهو «مدير الجولات» في البيت الأبيض، وكان من المقربين إلى نيكسون منذ وقت مبكر، في سنة 1962.[2]

وكان راغان قد التقى بنيكسون مراتٍ متكررةً أثناء حملته الإنتخابية سنة 1968. وكان واحداً من الذين أهداهم نيكسون فيما بعد خريطةً مؤطرةً للولايات المتحدة، مؤشراً عليها بخطوط تقطعها طولاً وعرضاً، كتذكار للطريق الشاقة التي قطعها حتى وصل إلى النصر. وقد دُعِيَ راغان وزوجته إلى حفل التدشين والحفلة الافتتاحية التي تلت ذلك، وإلى الإفطار في البيت الأبيض في اليوم التالي.

ومن الناحية الرسمية، كان راغان مستخدماً أثناء ولاية نيكسون الأولى، عند اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، بوظيفة «مدير أمن» براتبٍ سنوي قدره أربعة وثلاثون ألف دولار. وقدر له فيما بعد أن يصف الجزء الأعظم من عمله بأنه «دفاعيّ». غير أن هذا الزعم مشبوه مشكوك فيه. فأثناء محاولة نيكسون للإطاحة بالرئيس آلليندي، أرسل راغان إلى شيلي من قبل الشركة الدولية للهاتف والبرق ITT، بهدف ظاهري هو تعليم أساليب مكافحة نصب أجهزة التنصت. والتقى بآلليندي أثناء رحلته، وبحث في قصر الرئيس ومقر إقامته عن مثل تلك الأجهزة.[3] ومع اعتبار علاقات راغان بنوايا نيكسون الخبيثة تجاه الزعيم الشيلي، فإنه من الممكن أن يكون راغان قد زرع بعض تلك الأجهزة كذلك.

---

(2) انظر أعلاه، ص 483 وما يليها. وفي مقابلة مع لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ، اعترف ديفيز بأنه كان يعرف كولفيلد وراغان، ولكنه قال إنه لم يعرف شيئاً عن وجود أجهزة تنصت. (مقابلة مع ديفيز، أجراها مايكل هيرتشمان وواين بيشوب في 18 تموز / يوليو 1973، الحقل B 343, E، المحفوظات الوطنية).

(3) كانت شركة الهاتف والبرق الدولية ITT *ضالعة مع وكالة المخابرات المركزية في جميع أنحاء أمريكا* اللاتينية، ولا سيما في شيلي، حيث كانت الشركة المذكورة تملك شبكة الهاتف. (هيرش، **ثمن** ***السلطة***، *مصدر سبق ذكره، ص 260، 264)*.

ومن المعروف أن راغان قد حقق حول عضو في اللجنة الوطنية الديمقراطية، وأنه كان يعرف سلفاً بأنشطة لصوص ووترغيت، وهذه حقيقة تم تجاهلها زمناً طويلاً، بل لم يستكشفها أحدٌ بشكل مناسب على الاطلاق.

أما الأمر الفعلي بالتنصت على كاتب العمود الصحافي كرافت، فقد أصدره الشرطي السري النيويوركي السابق جون كولفيلد، الذي كان يشتغل في البيت الأبيض. وقد عمل كولفيلد في الأمن عند نيكسون أثناء حملته الانتخابية الرئاسية، بناء على طلب نيكسون الشخصي. وكان مقرباً من روز وودز على وجه الخصوص. وكانت مهمته في البيت الأبيض أن يقدم «دعماً في التحقيقات».

وكان كولفيلد بدوره يتلقى تعليماته من جون إيرليكمان. وعندما أسند المهمة إلى راغان، قال له إن الأوامر جاءت من «الرجل الذي على القمة». وفهم راغان أن ذلك يعني نيكسون نفسه. فكان فهمه صحيحاً.

وفي غضون أيام من افتتاح الرئاسة، أصرّ نيكسون على القول لثيودور وايت: «لا أريد مناخ خوفٍ في هذا البلد، ولا خوفَ من تركيب أجهزة تنصت. وزعم أنه قد أمر المدعي العام جون ميتشيل، أن يسيطر على عمليات التنصت بيدٍ من حديد. ومع ذلك فإنه في غضون ثلاثة أشهر كان يصدر أوامره سرّاً، بالتجسس الإليكتروني على الكثير من الصحافيين وموظفي الإدارة.

وكان السبب في ذلك ثورته على «تلاميذ الكشافة ذوي الملابس المفصلة كالطاقم» من رجال الصحافة، والعاملين في **النيويورك تايمز** على وجه الخصوص. وقد بدأت تلك العملية في نيسان / إبريل سنة 1969، عندما نشرت **التايمز** تقريراً يوحي بأنه قد يكون هناك انسحاب أحادي الجانب من فيتنام. ثم اتخذ التنصت منحىً جدّياً خطيراً عندما كشفت الصحيفةُ سرَّ قصف كمبوديا. وقد تذكر هالدمان رد الفعل على تلك القصة: «كنّا في كي بسكين. . . . وفي ذلك الصباح، على مائدة الإفطار بجانب البركة، كان هنري [كيسنجر] يقرأ

الصحف الصباحية. وفجأة وقف وهو يرتعش. وعرض عليَّ القصة المؤذية، وقال إنه يجب إعلام الرئيس بها على الفور».[4]

«فاستشاط» نيكسون غضباً، واتصل كيسنجر هاتفياً في الحال مع هوفر مدير مكتب التحقيقات الاتحادي، وأصدر له تعليمات بالعثور على من يسرّب للصحافة. وتبع ذلك تجسس المكتب المذكور على سبعة عشر هدفاً طيلة سنتين: من بينهم صحافيون كانوا يعتبرون أنفسهم أصدقاء كيسنجر وموضع سرّه؛ وموظفون لدى كل من كيسنجر ونيكسون، ومسؤولون في وزارتي الخارجية والدفاع. ونفّذ عمليةَ التنصت على كرافت موظفون في البيت الأبيض، كما قال نيكسون في مذكراته، إذ أن مكتب التحقيقات الاتحادي لم يتعاون في بادئ الأمر.

ورغم اتساع العملية، فإن أجهزة التنصت لم تنتج معلومات مفيدة. وقُدِّر لنيكسون أن يقول للمستشار القانوني جون دين: «إن الأجهزة لم تساعدنا على الاطلاق، فلم يكن فيها سوى كتل وكتل من المواد؛ والشائعات والأقذار...».

وفيما بعد، حاول هو وكيسنجر أن يلقي كل منهما اللوم على الآخر بخصوص العملية. فقال الرئيس أثناء أزمة ووترغيت: «هنري هو الذي أمر بهذا الشيء اللعين كله. صدقوني أنه هو الذي أمر به. فهو الذي كان في مكتبي يقفز إلى الأعلى وإلى الأسفل وهو يقول: هذا وذاك تم تسريبهما، وكذا وكذا وكذا خرج إلى الملأ. ولم يكن يهمني شيء من ذلك... ولكنه هو الذي فعلها.... وهو الذي قرأ ما نجم عن عمليات التنصت هذه كلها عن آخرها.... وأنا لم أر واحدة منها.... أبداً...».

---

(4) انتقد نيكسون صحيفة **التايمز** لكشفها الغارات على كمبوديا، وقدر له أن يزعم بأن الصحيفة كانت مسؤولة بصورة مباشرة عن موت ألوف الأمريكيين، لأنها قد طلبت وقف سياسةٍ أنقذت حياة كثير من الأمريكيين». والحقيقة أن القصف قد استمر بعد نشر القصة الفاضحة له عاماً كاملاً. (**نيوزويك**، عدد 22 آذار / مارس 1976).

وتشير معلومات أخرى إلى أن رواية نيكسون للأحداث كانت (ببساطة) غير صحيحة. فقد قال آليكساندر هيغ: «لقد وافق الرئيس على البرنامج كله، وكنت هناك من البداية». وكان هيغ هو الذي نقل الأمر بأوائل عمليات التجسس إلى مكتب التحقيقات الاتحادي، مستشهداً بما أسماه «السلطة العليا». وتشير وثائق المكتب المذكور، إلى أن سجلاّت التنصت كانت في بادئ الأمر تذهب «إلى الرئيس فقط». وراحت تُنْقَلُ فيما بعد إلى هالدمان مباشرة. فوجد هذا نفسه فجأةً يعيش عيشة العباءة والخنجر: «بين حين وآخر، في طريقي إلى المكتب، أو في ردهة فندق في رحلةٍ ما، كان يقفز من البوابة المظلمة فجأةً رجلٌ ما، يلقي في يدي مظروفاً، ثم يختفي. . .» وأصرّ هالدمان أن نيكسون «كان مئة بالمئة وراء عمليات التنصت».

وفيما بعد، سأل صحافي صديقَ نيكسون إن كان قد بالغ في رد فعله، عندما أمر بعمليات التنصت، ما دامت التسريبات للصحف حقيقة من حقائق الحياة السياسية، فجاء رده الذي كان صريحاً، على غير المعتاد: «إنك لطيف أكثر مما ينبغي. لقد كنتُ مصاباً بجنون الارتياب في الآخرين. وكنت في حالة ميؤوس منها تقريباً، في ما يتعلق بالسرّيّة. . . .».

كان نيكسون يدرك أن افتضاح التنصت سيكون كارثة. وعندما حذّره وليام سوليفان، نائب مدير مكتب التحقيقات الاتحادي، المسؤول عن سجلات التنصت، من أن هوفر قد يستخدمها كمواد ابتزاز، أمر نيكسون بتحويل الملف إلى البيت الأبيض في الحال. ولكنه سرعان ما قلق بشأن سوليفان نفسِه. فعندما ذكّره إيرليكمان بأن سوليفان، الذي كان قد طُرِدَ حديثاً من المكتب المذكور، قد «نفّذ كل تعليماتك بخصوص عمليات التنصت السرية» سأل نيكسون بحدّة: «وهل يشي بنا؟» فردّ إيرليكمان: «إن هذا يعتمد على الطريقة التي يعامَلُ بها». فاقترح نيكسون العثورَ على عمل جديد لسوليفان. وهكذا عُيِّن رئيساً لمكتب جديد هو المكتب الوطني للمخابرات الخاصة بالمخدرات.

وكان التنصت بنداً أساسياً، عندما بدأت لجنة الشؤون القضائية التابعة لمجلس النواب في صياغة مواد لائحة اتهامها لنيكسون سنة 1974. فنصَّت مادة الاتهام هذه على أن نيكسون «انتهاكاً ليمينه الدستورية، . . . ومع تجاهل واجبه الدستوري، انغمس تكراراً في سلوك ينتهك حقوق المواطنين الدستورية. . . .».

ولعل البعد الكامل للتجسس لن يُعْرَفَ أبداً. فبالإضافة إلى الإجراءات الإليكترونية، كان لمكتب التحقيقات الاتحادي عملاء يتسكعون، خارج منزل السفير السابق آفريل هاريمان كي يحاولوا التعرف على هوية زائريه. بينما التقط عملاء آخرون بشكل سري صوراً للاجتماعات بين الصحافيين. وقد صُعِقَ وليام ميلر، بواب الكونغرس عندما اكتشف فنيّين من سلاح الإشارة، يركّبون أجهزة تنصت في غرفة سفرة رئيس المجلس، قبل غداء كان سيحضره نيكسون، وزعيما الأغلبية والأقلية في المجلس، والمسؤولون عن تنظيمات الأحزاب. وقال ميلر بذهول: «أعتقد أن الغرفة ظلت ملغومة [بأجهزة التنصت] ثلاث سنوات متتالية. ولا بد أن نيكسون كان لديه سجل بما يقوله عنه أعضاء الكونغرس حتى قبل وصوله. . . . أو ما لعلهم كانوا يقولون على الناحية الأخرى من المائدة، حيث كانوا يعتقدون أنه غير قادر على سماعهم. . . . ربما كان عليَّ أن أثير ضجة حول هذا الموضوع».

وكان هناك رجال متباينون، مثل بوب فينتش، صديق نيكسون القديم، ووزير الصحة والتربية والرفاه، والعقيد رالف آلبيرتازي، قبطان طائرة السلاح الجوي رقم واحد، يشكّون في أن هواتفهم مراقبة بأجهزة تنصت. وقد تعرض كلاهما للتجربة المقلقة، عندما اكتشفا أن مكالماتٍ كان المفروض أنها خاصة بينهما، قد ظهر أن هناك طرفاً ثالثاً يبدو على اطلاع كامل على ما قالاه فيها. وقد فكر فينتش في إثارة القضية مع الرئيس، ولكنه ـ كالآخرين ـ انتهى به الأمر إلى عدم عمل أي شيء.

وأما معتقدات نيكسون عن مدى نطاق سلطاته التجسسية، فقد ظهرت خلف الكواليس في تموز / يوليو سنة 1970، بعد سلسلة من الأحداث السياسية الجارحة المضطربة.

ورداً على الغزو الأمريكي المؤقت لكمبوديا، وهو عمل جرّ ذلك البلد إلى أتون الصراع الفيتنامي بلا رحمة، انفجرت اضطرابات الطلبة في الجامعات في طول البلاد وعرضها. وأحرق مخربون المباني في ثلاث جامعاتٍ. وانفجرت قنبلة في مركز تدريسي للجيش في ويسكونسين، فقتلت فيزيائياً وجرحت آخرين. وقتل أربعة طلاب بالرصاص وجُرِحَ تسعة، عندما فتح رجال الحرس الوطني النار في جامعة كنت ستيت في أوهايو. وفي جامعة جاكسون ستيت في المسيسيبي، قتل رجال الشرطة طالبين وجرحوا اثني عشر طالباً آخرين.

وكان رد فعل نيكسون على هذه الاضطرابات المؤذية، سيئاً ومتسماً بالخُرقْ والتوقيت الكارثيّ. قبل ثلاثة أيام من إطلاق الرصاص في جامعة كِنْتْ ستيت، وفي تعليقات عاطفية أمام موظفي البنتاغون (وزارة الدفاع). فتحدث عن «البلهاء الذين ينسفون مباني الجامعات»، وعن طلبة الأمة، الذين هم «أحسن الناس حظاً في العالم»، كل ذلك بلهجة واحدة. وبعد اضطرابات جامعة كِنْتْ ستيت، لم يصدر عنه سوى تصريح يحاول إسكات الناس بقوله: «عندما تتحول المعارضة إلى العنف، فإنها تدعو المأساة»، ولم يقدم أية كلمة تعاطف في العلن للناس مع القتلى والجرحى. وحث على حذف القصة التي ذكرت، أن رجال الحرس لم يكن لديهم مبرر لإطلاق النار، ونشر ادعاء لا أساس له بدلاً منها، بأن قناصاً قد استهدف رجال الحرس.[5] وعندما تصفح

(5) جرت ملاحقات قضائية للحرس والطلاب على حدٍّ سواء، ولكن لم يذهب أحد إلى السجن. وفي سنة 1973، أسفرت المقاضاة المدنية عن دفع تعويضات للطلبة وعوائلهم، ووقع ثمانية وعشرون من الحرس بياناً أعربوا فيه عن «أسفهم العميق» لإطلاق النار (**نيوزويك**، عدد 4 أيار / مايو، 1995).

نيكسون صور القتلى في جامعة جاكسون لم يزد على أن قال: «ماذا سنفعل لنحصل على احترام أكبر لرجال الشرطة من شبابنا؟».

وبعد ذلك بوقت قصير، وفي أعقاب احتجاج حاشد آخر في واشنطن، وجه نيكسون إلى رؤساء مكتب التحقيقات الاتحادي، ووكالة المخابرات المركزية، ووكالة استخبارات الدفاع، ووكالة الأمن القومي، لمناقشة كيفية مكافحة «مئات الأمريكيين، وربما الألوف. . . . المصممين على تدمير مجتمعنا». وقدر للخطة التي نجحت، والتي وضعها أحد مساعدي نيكسون، أن تخلق ضجة كبيرة عندما خرجت إلى العلن في آخر الأمر. فشجبها سام إيرفن باعتبارها خطة «غستابو». وبكلمات أكثر عقلانية وهدوءاً قالت لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ، إن الخطة كانت ستعني أن «منتسبي المخابرات، مسلحين بتفويض رئاسي، سيكون باستطاعتهم أن يعترضوا، ويستنسخوا، حسب مزاجهم، أية اتصالات يقوم بها الأمريكيون، مستخدمين التسهيلات الدولية للاتصالات، وأن يتنصتوا، من قريب أو بعيد، على أي شخص يعتبرونه «خطراً على الأمن الداخلي»، وأن يقرأوا بريد المواطنين الأمريكيين، وأن يقتحموا منازل كل الناس الذي تلصق بهم تهمة كونهم مهددين للأمن».

ولم تنفذ الخطة أبداً. بل إن بعض الإجراءات الموصوفة فيها لم تكن في الحقيقة جديدة. وتكمن أهميتها التاريخية في أن نيكسون قد اقتنع على مايبدو بأنه يملك صلاحية مخالفة القانون، فوافق عليها واعتقد أن لديه سلطة تخوله ذلك.

وقد شرح نيكسون بعد سنوات، عندما سأله الإعلامي البريطاني ديفيد فروست في مقابلة معه عن تلك الخطة قال: «عندما يفعل الرئيس ذلك فإنه يعني أنّ عمله مشروع». وقال إن هناك ظروفاً يمكن أن تبرر للرئيس أن يأمر بجرائم مثل اقتحام البيوت. بل إنه لم يرفض رفضاً مباشراً احتمال كون الرئيس، يظل ضمن صلاحياته وحقوقه حتى ولو أمر بالاغتيال.

وكانت العملية الفاشلة سنة 1970، واحدة من أوائل الأفعال التي راح جون ميتشيل يسميها «أحداث الرعب في البيت الأبيض». فعلى الرغم من أنها وضعت على الرف، فقد بقي نيكسون يشعر بخيبة الأمل مما اعتبره فشلاً للوكالات. وأدى ذلك به وبمساعديه إلى التخطيط والتآمر، للقيام بعمليات اقتحام وتنصت من تلقاء أنفسهم ولحسابهم الخاص.

وبحلول ذلك الوقت، كان نيكسون قد اتخذ أيضاً قراراً قاتلاً للرئاسة، وهو أن يركّب أجهزة تنصت على نفسه.

ذات مساء في شباط / فبراير 1971، قال آليكساندر بترفيلد، مساعد هالدمان: «سيدي الرئيس، إن نظام التسجيل الذي قال بوب إنك تريده قد تم تركيبه الآن. وهو يشتغل بشكل جيد، وأريد أن أعطيك فكرة عن أماكن المايكروفونات»(6).

وفي بادئ الأمر، بحلق نيكسون في بترفيلد وغمغم: «آه... آمّ، آه... حسناً» وكأنه محجم عن مناقشة الأمر، وأخيراً سأل: «كيف يعمل؟». فشرح له بترفيلد. وهكذا بدأت أشرطة البيت الأبيض تدور، وقدر لها أن تظل دائرة لمدة زادت على سنتين.

ولم تكن الرغبة في تسجيل المحادثات جديدة على نيكسون. فأثناء انتخابات حاكم كاليفورنيا سنة 1962، تقدم بطلب غير عادي إلى الخبير المختص بالإليكترونيات، الذي استخدمه لتنظيف مكتبه من أجهزة التنصت. وتذكر ذلك الفنيّ: «كان من بين أوائل الأشياء التي طلب مني عملها، أن أركّب

---

(6) رغم أن بترفيلد قد استذكر أنه أعلم الرئيس في المساء، فإن هناك شريطاً مسجلاً في وقت مبكر في البيت الأبيض يشير إلى أن ذلك قد تم في الصباح الباكر. (بترفيلد: **جورنال آميركان هستوري**، المجلّد 75 (آذار / مارس، 1989، ص 1252؛ شريط في البيت الأبيض: مسجل في الثامنة صباحاً من يوم 16 شباط / فبراير، 1971، واردة محتوياته في تقرير لوكالة أسوشييتدبريس في 5 تشرين الأول / أكتوبر، 1999).

ميكروفونات وجهاز تسجيل في مكتب نيكسون. كان يريد تسجيل **كل شيء**. فركّبت له نظاماً جميلاً».

وفي بداية رئاسته، كما هو مذكور آنفاً، أمر نيكسون بإزالة معظم أجهزة تسجيل الرئيس جونسون. ورغم أنه كان جفولاً فزعاً من نظام لم يكن من صنعه، فقد ظلت تشغل ذهنه فكرة ضرورة الاحتفاظ بجهاز تسجيل.

وقدم هالدمان سببين لذلك: كان نيكسون يريد أن يدحض أي شخص ينقل عنه كلامه على نحو غير دقيق، ورغبته في أن يكون لديه سجل كامل لتمكينه من كتابة مذكراته. وكان لدى إليوت ريتشاردسون، ثاني وزير دفاع في إدارته، نظرية أنيقة لهذه الرغبة في الاحتفاظ بسجل: كان ريتشاردسون مفتوناً بالسيرة التي كتبها روبرت بليك لحياة بنيامين دزرائيلي، رئيس وزراء بريطانيا في القرن التاسع عشر. وهو كتاب كان ريتشاردسون يعتقد أن قارئه ينتهي منه فيجده يصور حياة «مخلوق يبقى مراوغاً، تكتنف شخصيته أشياء غير عادية، وغريبة، وحتى شاذة عجيبة». ونتيجة لذلك، حسب اعتقاد ريتشاردسون، قرر نيكسون أنه لا يمكن إلاّ لسجلٍ كاملٍ مستفيض أن يقدم «أداة لا غنى عنها لكاتب سيرة حياته **هو** فيكسبه جوانبَ الرؤية المعمقة التي حُرِمَ منها بليك».

وكان لدى بترفيلد، الرجل العسكري، تفسير مختلف، فقال فيما بعد: «إنك تفترض أن الرئيس عندما يكون مشغولاً خلف أبوابٍ مغلقة، فإن قضايا الدولة الكبرى الهامة هي التي تُناقش». غير أنه كان هناك «الكثير من أوقات الفراغ» التي كان نيكسون فيها يتأمل أشياء أخرى، شملت «مواضيع نموذجية» استذكرها بترفيلد.

قال بترفيلد في شهادته: «كان الرئيس كثيراً ما يهتم في ما إذا كانت الستائر مفتوحة أم مغلقة، وكيف ينبغي ترتيب الهدايا الدولية، وهل توضع في هذا الجانب من الغرفة أم ذاك. . . والمناسبات الاجتماعية. . . . وكان يناقش ما إذا كان ينبغي أن تكون المائدة على شكل حرف U أم مستديرة. . . وكان

يهتم كثيراً فيما إذا كان ينبغي تقديم سَلَطةٍ على السفرة أم لا . . . وتفاصيل الممر الواصل [إلى الرواق الجنوبي ذي الأعمدة]. . . وما إذا كان على رجال الشرطة أن يحيّوا العلم المرصّع بالنجوم اللامعة عند رفعه وينشدوا. . . . والنباتات في الأراضي الجنوبية من البيت الأبيض، وما إذا كنا سنحتفظ بقاعة التنس أم ننقلها. . . .

وفي هذه الشهادة استذكر بترفيلدُ المذكرةَ الغريبة، التي كان الرئيس قد أملاها وهو في يوغوسلافيا، وأشار فيها إلى المستوى السيئ لتسهيلات مرافق غرفة الاستراحة في المتنزه المعشب الظليل في واشنطن. «لقد اعتقدت أن من الغريب أن يملي رسالة من بلغراد، حول تسهيلات غرفة الاستراحة التعيسة. . . وحول الكلب [كلب الصيد الأحمر الذي سماه نيكسون الملك تيماهو]، الذي كان يقضي معه وقتاً طويلاً ويهتم بمواعيد قصّ شعره، وكل هذه الأشياء. . .

وقال بترفيلد: «وكان يبدو لي مشغولاً بمكانته في التاريخ، وكيف سينظر التاريخ إلى رئاسته. . . كان المفهوم طبيعياً، ولكن الانشغال به كهاجس لم يكن طبيعياً. وفي رأيي الذي أقوله بإخلاص إن ذلك كان غريباً نوعاً ما».

ولإرضاء الرغبة في الحصول على سجل كامل، حاول نيكسون في بادئ الأمر أن يستخدم مدونين للمذكرات والملاحظات. غير أن كبار الموظفين، الذين أمروا بتهيئة مذكرات مطولة عن كل اجتماع، فشلوا في التقاط ما أسماه هالدمان «الأشياء الإنسانية غير الملموسة، والإشارات الخفية وراء ظلال المعاني». ثم طلب رئيس الأركان معونة المفسر القديم لنيكسون، وهو الجنرال فيرنون والترز، الذي كان نيكسون يعتبره الكاتبَ «الكامل». فدفع الجنرال ميدالياته تحت أنف هالدمان وأعلن: «إنني قائد قوات، ولستُ أمينَ سرّ لأي شخص».

وحسب رواية نيكسون، فإنه اختار في آخر الأمر نظامَ التسجيل بناء على نصيحة سلفه. «قال جونسون إنه وجد تسجيلات محادثاته ثمينة للغاية في

تحضير مذكراته». واستذكر نيكسون أن سلفه «نصحه بتركيب أجهزة تسجيل».

وعزا آخرون التسجيل إلى دوافع أخرى أقل نبلاً، ومنها قلق نيكسون من أن يسرق منه كيسنجر شهرته ولفته للأنظار. فقد استذكر إيرليكمان: «لقد أوضح لي هالدمان ذات مرة أن نيكسون أراد أن يركب نظام التسجيل في البيت الأبيض خصيصاً، ليثبت أن مبادراته في ميدان السياسة الخارجية كانت منه، لا من هنري. وكان أحياناً ييأس من هنري».

كان نيكسون مهووساً بتسجيل كل شيء، في كل مكان، ومن أجل التسجيل كفاية في حد ذاته. واستذكر هالدمان في وقت مبكر «الذعر الكبير»، عندما شكا نيكسون بعد إلقاء إحدى خطبه «من كونها لم تُسجَّل». وعلى هذه الخلفيّة تم نصب النظام الجديد في البيت الأبيض سنة 1971.

وهكذا وضعت سبعة ميكروفونات في المكتب البيضاوي، خمسة منها مغروسة في طاولة الرئيس، وواحد في كل من المصباحين الجداريين المجاورين للمدفأة. وتم إخفاء اثنين تحت الطاولة في غرفة مجلس الوزراء. ولم يمض وقت طويل بعد ذلك، حتى تم تركيب أربعة ميكروفونات أخرى في مكتب نيكسون الخفيّ البعيد في مبنى السلطة التنفيذية. وزرعت ميكروفونات أخرى في مكتبته في كامب ديفيد.

كما ركبت أجهزة مماثلة في الهواتف، وفي جميع الغرف التي غرست فيها الميكروفونات، وفي غرفة جلوس لينكولن. وكانت أجهزة التسجيل من طراز سوني 800 ب، قد وضعت في أماكن أخرى ـ وفي البيت الأبيض كان مركز التجميع في مقصورة مغلقة في السرداب تحت الأرض ـ وكانت تشتغل بصورة تلقائية كلما رُفِعَت سماعةُ هاتف وكلما بدأت محادثة.

وكانت هذه السمة هي الفرق الحساس بين نظام جونسون ونظام نيكسون، وهو فرق أثبت على المدى البعيد أنه شديد الضرر. فأجهزة تسجيل جونسون لم تكن تعمل إلاّ إذا قام هو بتشغيلها عن طريق كبس زر. أما أجهزة

نيكسون فكانت تشتغل تلقائياً عند صدور الأصوات، في اللحظة التي يبدأ أي شخص كلامه، باستثناء غرفة مجلس الوزراء، التي كان فيها للجهاز مثل ذلك الزرّ،

وقال لاري هيغبي، مساعد هالدمان: «لقد طلب مني هالدمان أن أجعلها تشتغل بالأصوات، لأن الرئيس كان جاهلاً بالأشياء الميكانيكية». وهكذا، بدون نظام سيطرة، راحت الميكروفونات تلتقط **كل شيء** ، بما في ذلك المواد التي لا يمكن لرجل عاقل أن يرغب في الاحتفاظ بها للأجيال القادمة. لقد خلق نيكسون وحشاً احتفظ بكل كلمة من كلماته، وهي كلمات قدر لها ذات يوم عندما ذاعت وانكشفت للناس، أن تجرفه بعيداً على موجة من تجريم نفسه وإدانته من فمه.

كان هذا ترتيباً سريّاً تم خلسةً ودُبِّر بليل. واستذكر هالدمان: «قال لي نيكسون يجب أن لا أخبر أحداً بوجود الأشرطة.» وكان نيكسون قد قال له: «إنني قد أقول في هذا المكتب أشياء لا أريد أن يسمعها أحد، حتى روز». وهكذا لم تعلم روز وودز بالأشرطة، كما لم تعلم بها بات وابنتاها. وقيل بأن بات قد «أصابها الذعر» عندما علمت بوجود التسجيلات فأصرّت على أنها «مثل الرسائل الغرامية الحميمة، التي يفترض أن يعرف بها شخص واحد فقط». ـ تقصد زوجها، بالطبع.

ولكن، هل سمع الأشرطةَ شخص واحد فقط؟ لقد لاحظ هالدمان في مفكرته في وقت مبكر أن نيكسون كان يخشى أن يكون «مقسم [هواتف] البيت الأبيض ملغوماً بأجهزة تنصت، أو أن العاملين فيه يدخلون على الخطوط ويتسمعون». ذلك أن نيكسون لم ينسَ تحذيرَ هوفر من أن نظام الهواتف، الذي كانت تشغّله وكالة اتصالات البيت الأبيض ـ وهي وحدة عسكرية ـ قد لا يكون آمناً. وعندما تم تركيب نظام التسجيل صدرت الأوامر بأن «ينفذ هذا المشروع أي جهة عدا وكالة اتصالات البيت الأبيض».

وبدلاً من ذلك، فإن تركيب الأجهزة، وصيانتها بشكل يومي، قامت بهما شعبة الخدمات الفنية في الشرطة السرية.

وكما هو مذكور في مكانٍ آخر، فإن هناك معلومات تشير إلى أن الأشرطة لم تكن آمنة، حتى في حوزة رجال الشرطة السرية. بل لقد تشكك البعض في أن بترفيلد، العقيد السابق في السلاح الجوي، الذي أشرف على نظام الأشرطة، كان عميلاً لوكالة المخابرات المركزية.[7]

وكان هناك أربعة مساعدين فقط يفترض أن لديهم معرفة بالأشرطة، هم هالدمان، ومساعده هيغبي، وبترفيلد، وخَلَفُهُ ستيفن بول. أما إيرليكمان، الذي سجل سرّاً بعض محادثاته، فلم يعرف بوجود الأشرطة إلا قبيل استقالته. بل لقد استُبْعِدَ كيسنجر عن هذا السر أيضاً، حتى ربيع سنة 1973، حسب روايته.[8] ورغم أنه كان طرفاً في التصنت على الصحافيين، وأوعز إلى موظفيه أن يدوّنوا ملاحظات عن أحاديثه الهاتفية، فقد فوجئ وذُهِلَ عندما علم بإجراءات نيكسون.

وقام كيسنجر بتحذير إيرليكمان: «إننا جميعاً سنبدو حمقى تماماً عندما يُفْرَج عن هذه الأشرطة. فسوف يُسْمَعُ نيكسون وهو يُقَرّعنا بإحدى خطبه المسهبة العنيفة، متفوهاً بكل أنواع البذاءات، بينما نحن جالسون بهدوء، لا

---

(7) يبدو أن روز وودز، وتشارلس كولسون وهالدمان قد عبَّروا عن ارتيابهم في بترفيلد. وهذا يبقى كما هو فقط: أي مجرَّد ارتياب من جانبهم. (هالدمان ودي مونا، مصدر سبق ذكره، ص 203 وما يليها، مقابلة مع كولسون في مجلة **آرغوسي**، عدد آذار / مارس، 1976، ص 32).

(8) رغم زعم كيسنجر أنه لم يعلم بالأشرطة إلاً في ربيع سنة 1973، فإن بنداً في مفكرة هالدمان يذكر أن نيكسون قد أمره في تشرين الثاني / نوفمبر 1972 أن «يُعْلِمَ هنري بأن من الواضح أن مبنى المكتب التنفيذي، والمكتب البيضاوي، وغرفة لينكولن قد ركّبت فيها أجهزة التسجيل بهدف الحماية...» ولعل هالدمان لم يوصل تلك الرسالة. (ربيع سنة 1973: كيسنجر، **الجَيَشانُ المضطرب**، مصدر سبق ذكره، ص 110؛ بند مفكرة هالدمان: **مذكرات هالدمان**، مصدر سبق ذكره، ص 538، البند الخاص بيوم 19 تشرين الثاني / نوفمبر، 1972، وانظر **الواشنطن تايمز**، عدد 18 تشرين الأول / أكتوبر، 1996؛ عدم إيصال الرسالة؟ **برولوغ**، المجلّد العشرون (صيف 1988)، ص 87).

نحتج ولا نخالف ما يقول. فأنت وأنا نعلم أن هذه هي الكيفية التي نعمل بها معه، ولكننا سنتعرض لأحكام قاسية. . . .».

وقد خَمّنَ بعض زوّار المكتب البيضاوي أن محادثاتهم كانت تُسَجّل. ومن بينهم السير آليك دوغلاس هيوم، الذي كان آنئذٍ وزير خارجية بريطانيا. وعندما لاحظ في أحد الاجتماعات أنه لم يكن هناك أحد يدوّن ملاحظات ـ كما استذكر ـ استنتج بوضوح أن كل كلماته كانت تسجل على شريط. . . .». واستنتج السير آليك أيضاً ما فقده كيسنجر عندما تلقى، عند بدء تشغيل الأشرطة، مذكرةً تعلم الموظفين بأنهم لم يعودوا بحاجة إلى «تركيز انتباه أكثر من اللازم إلى التفاصيل الجوهرية في تسجيلاتنا للمحادثات الرئاسية».

وتوصل إلى هذا الاستنتاج أيضاً زعيم الأغلبية الديمقراطية في مجلس النواب، تيب أونيل عندما تساءل ـ أثناء مناقشة عن فيتنام مع الرئيس وكيسنجر ـ إن كان تطور معين من صنع كيسنجر. فتنطّح نيكسون مقاطعاً وقال: «سأجيب عن هذا السؤال يا هنزي». واستذكر أونيل أنه «فعل شيئاً غريباً: فقد صمت برهة، ثم رفع صوته وهو ينظر إلى السقف. فنظرتُ بدوري إلى الأعلى كذلك لأرى لمن كان يوجه حديثه، ولكن الشيء الوحيد في الأعلى كان الثرّيا. فأعلن: «أريدكم جميعاً أن تعلموا أنني بصفتي رئيساً للولايات المتحدة، كان هذا قراري **أنا** . . . .» ومن هذا الإنكار الغريب الشاذ، ومن الطريقة الي أَبتلعَ بها نيكسون رأسه، خَمَّن أونيل أنه كانت هناك ميكروفونات.

وقُدِّر لكيسنجر أن يقول إن بعض الأحاديث التي لم يكن لها معنى في حينها، بدأت تنزل في مواقعها من السياق، وتكتسب مغزى عندما علم بعمليّة التسجيل على أشرطة. فقال: «استطعت أن أرى وأفهم المناسبات التي تم تسليطي فيها، كي أمنع نفسي عن التنصّل من بعض التوجهات، أو لوضع شهادتي على سجل بأنني مؤيد لمخططٍ معقدٍ ما».

وزعم نيكسون أنه سرعان ما نسي أجهزة تسجيله. ومن حسن حظ الأجيال أنه كان من الواضح أنه كثيراً ما نَسِيَها حقاً. وبالمثل، كان من الواضح كذلك، أن الزعم كان مخادعاً ماكراً، بشكل جزئي على الأقل، لأنه ما مِنْ شكٍّ في أنه قد استخدم النظام ليضمن الحصول على شيء مسجل. ومع ذلك فإنه كان يخادع ميكروفوناته أحياناً فيحاول الاختباء منها.

ومع وصول طوفان ووترغيت إلى ذروته، وبقاء نظام الأشرطة، غير مكتشف، سأل هواردُ بيكر، السناتورُ الجمهوريُّ، نيكسون عما إذا كان عند ميتشيل نقطة ضعف تعرضه للأذى. واستذكر بيكر أن «نيكسون خفض صوته فجأة واستدار بعيداً»، وهمس بأن ميتشيل ربما كانت لديه بالفعل «مشكلة ذات أبعاد». وشكّ بيكر فجأة في أن الاجتماع كان يجري تسجيله على شريط، فأنهى المحادثة بأسرع ما أمكن.

ولقد حدثت حالات انزلاق الرئيس إلى الهمس بتواترٍ، كان كافياً للفت أنظار كل أنواع الناس. فحتى حارس كلاب البيت الأبيض، ترافيز برايانت حدس وجود تنصّت. وقدِّر لتشارلس كولسون، الموالي لنيكسون إلى آخر الخطّ أن يتذكر «لحظاتٍ كان عليَّ أن أشكّ فيها: مثل الوقت الذي مشى فيه من مكتبه في كامب ديفيد إلى الممر، كي يهمس لي بمعلومات حساسة عن موظفٍ آخر. ثم أثناء محادثة هاتفية كان فيها صوت طقطقة...».

وقُدِّر لجون دين، المستشار القانوني في البيت الأبيض، أن يلاحظ نيكسون وهو «يتخذ وضعيةً خاصةً»، أثناء حديث هام عن ووترغيت «بحيث يضع دوره دائماً تحت منظور غير ضار...» وكتب دين فيما بعد: «لقد تساءلتُ إن كان الاجتماع فخّاً؟ وهل كان يسجل لي؟» وتعمقت شكوك دين عندما نهض نيكسون، وسار مبتعداً بضع خطوات قبل أن يقول شيئاً ضاراً بنفسه «بنغمة لا تكاد تُسْمَع».

وعندما سُلّمت بعضُ الأشرطة للكونغرس في آخر الأمر، فإنها لم تدعم مصداقية دين فحسب، بل أوحت كذلك بأنه كان على حق في روايته عن أداء

نيكسون الغريب في المكتب البيضاوي. وقد لاحظ جيروم والدي، عضو اللجنة القضائية، في مفكرته بعد سماع واحد من تسجيلات نيكسون ـ دين: «إنك لم تسمع في حياتك كلها محادثة مبرمجة أكثر من هذه».

وزعم نيكسون في مذكراته، أنه «لم يكن مرتاحاً لفكرة تسجيل أحاديث الناس دون علمهم. . .» ومع ذلك فإن نسخة من محادثة مسجلة من اجتماع مع رؤساء صناعة منتجات الألبان سنة 1971، توضح بشكل مذهل أن ذلك الزعم لم يكن صحيحاً. فبينما كانت الأشرطة المخبأة تدور، أبدى نيكسون ملاحظة قال فيها: «. . . هذه الغرفة ليست فيها أجهزة تصنت. لقد نسيتُ أن أركّبها فيها. . .» وقهقه رجال صناعة الألبان على هذه النكتة الظاهرة، ومع ذلك فلا بد أن نيكسون عرف أنه كان يكذب. فقد حدث الاجتماع بعد شهر فقط من تركيب أول الميكروفونات، في وقت لم يكن ممكناً فيه أن يكون قد نسي وجودها. وبالإضافة إلى ذلك فإنه قد حدث في غرفة مجلس الوزراء ، حيث لا تشتغل الميكروفونات إلاّ إذا تم تشغيلها باليد بعد كبس الزر.

إن كل رئيس دولة، وكل سناتور، وكل نائب، كل زميل اعتقد أنه أجرى محادثة سرية خاصة مع الرئيس سواء بالهاتف أم بمواجهة شخصية، كان مخطئاً في اعتقاده.[9]

ومن يوم سقوط نيكسون حتى وفاته، ظل يكافح لمنع وصول عامة الناس إلى أشرطة التسجيل البالغ طولها أربعة آلاف ساعة، والوثائق التي تغطي اثنين وأربعين مليون صفحة، والتي تولدت طيلة فترة حكمه. وبعد استقالته مباشرة حاول شحن الأشرطة إلى منزله بكاليفورنيا. وكانت هناك شاحنة وطائرة على

(9) قدر لنيكسون أن يجيز إعطاء صناعات الألبان تنازلات مالية كثيفة، كمكافأة ـ على ما يبدو ـ لتبرعها لحملته الانتخابية بمليوني دولار. فكانت تلك إساءة أخرى لاستخدام السلطة صارت عنصراً إضافياً في فضيحة ووترغيت الأوسع نطاقاً. وقد استنتجت لجنة قضائية تابعة لمجلس النواب أن الرئيس قد أمر بتلك التنازلات «على أساس رفاهيته السياسية ذاتها». ورفض نيكسون أن يتعاون مع اللجنة. (الإشارة إلى خلاصة المعلومات، 19 تموز / يوليو، 1974، ص 149 وما يليها).

أهبة الاستعداد، عندما أوقفت عملية النقل في اللحظة الأخيرة. فقد أدرك الرئيس فورد أن ترك نيكسون يستولي على الأشرطة، سوف يُعْتَبَرُ «آخر عمل من أعمال التغطية والتستر على الفضيحة»، ولذلك أوقف شحن أي شيء إلى سان كليمنت، ما عدا ملابس نيكسون وملابس عائلته.

وبعد عشرين سنة من المشاحنات القانونية، التي أعقبت استقالة نيكسون (في صيف سنة 1974)، وتأخيرات أخرى سبَّبها ورثته بعد موته، تأتي الحقيقة التي ظل كثيرون لا يعلمون بها، وهي أنه اعتباراً من سنة 2000، يحق لعامة الناس الوصول إلى نحو 864 ساعة فقط من التسجيلات النيكسونيّة.

ولم تقدم للقوة الخاصة بالادعاء في قضية ووترغيت سوى ستين ساعة، بعد معركة قانونية قطعت الطريقَ كلَّها وصولاً إلى المحكمة العليا. ومن تلك الساعات الستين، لم يُسْمَح لعامة الناس بالاطلاع، إلاّ على إثنتي عشرة ساعة ونصف الساعة ـ وحتى ذلك العدد القليل لم يكن الناس قادرين على الوصول إليه، إلاّ على شكل وثائق مستنسخة مع الحذف والتعديل والرقابة والتحرير ـ إلى ما بعد ووترغيت بست سنوات. وبعد مقاومة عنيدة تم الإفراج عن 851 ساعة أخرى من التسجيلات أثناء تسعينيات القرن العشرين، بعضها تحت وصاية كونغرسية تتطلب الإفراج عن «الحقيقة كاملة» حول قضايا يحددها الوصيّ على محفوظات الولايات المتحدة، بأنها متعلقة «بإساءة استخدام سلطة الحكومة». وبموجب الاتفاقية الحالية، فإن من المقرر الإفراج عن 2765 ساعة من الأشرطة المسجلة في السنوات الخمس المقبلة على وجه التقريب.

ويستشهد نيكسون في مذكراته بمقطع يقول إنه مأخوذ من مفكرة ابنته تريشيا يقول نصّه: «لقد حَذَّرَنا أبي من أنه لا يوجد شيء ضارّ على تلك الأشرطة...».

وقُدِّر لهالدمان أن يكتب: «تخيل شعورك إذا فتحت صحيفتك الصباحية يوم الإثنين، ووجدتَ أن شخصاً ما قد سجل كل محادثاتك في بيتك طيلة

عطلة نهاية الأسبوع، وانتقى منها أسوأ المقاطع ليطبعها في الصحيفة. فذلك بالضبط هو ما حدث لنا».

وحتى سنة 1997، ظلت سوزان نولتي، موظفة الأرشيف المسؤولة عن محفوظات مكتبة نيكسون، تشجب أولئك الذين زعمت أنهم يريدون إدامة «الصورة الكاريكاتيرية المشوهة المزيفة» لنيكسون باعتباره «تجسيداً للخِسَّة والنذالة». وجادلت نولتي بأن الاتهامات بكون الأشرطة المتاحة تكشف عن «خطايا إجرامية»، أو عيوب خطيرة في شخصيته، هي اتهامات غير مُنْصِفَة.

صحيح أن تلك الأشرطة التي صارت متاحة ليست سوى جزء صغير من المجموع الكلّيّ، وأن نوعية الصوت المسموع عليها سيئة أحياناً. غير أنها تبقى وثائق تاريخية تشد الناس إليها شدّاً، وليس الشيء الأقل فيها هو أسلوبها ولهجتها. فقد لاحظ عضو الكونغرس والدي: «تجد ههنا هذا الصوت الذي اعتدتَ سماعه طيلة حياتك، ثم تجده يشرع في الفأفأة والتأتأة. . . . ونادراً ما يعبر عن أية فكرة تعبيراً سليماً متجانساً. وكثير من الكلام تكتنفه البذاءات. . . [أو] شَخْرَةٌ غيرَ مفهومة تصدر عن الرئيس».

ولقد كان نيكسون شديد القلق من شتائمه ولعناته وتجديفه على الأشرطة إلى درجة، أنه عندما سمح بالإفراج الجزئي عنها أمر بتنظيف التسجيلات. ولذا فإن النسخ المطبوعة على الورق من محتوياتها كثيراً تتخللها عبارة «كلمة تجديف محذوفة».

وقد أجرى المؤرخون تحليلاً على الكومبيوتر يوضح أن أكثر تجديفات نيكسون شيوعاً هي: «اللعنة» و «لعنة الله» و« يا عيسى المسيح!» وقد حاول تغيير عبارة «لعنة الله» في الوثائق الورقية المستنسخة عن الأشرطة المسجلة إلى كلمة «اللعنة» فقط. أما عبارة «الغائط الثقيل» التي كانت دائمة الورود على لسانه، فكانت أكثر البذاءات حذفاً. وتظهر بعض الأشرطة المفرج عنها حديثاً،

أن الرئيس كان في بعض الأحيان يستعمل كلمة «الزنا» أو إحدي مشتقاتها.

غير أن ما هو أكثر إثارة للاهتمام هو أن نيكسون كان ـ على ما يبدو ـ يستخدم عدة شخصيات أمام أناس مختلفين. فريبوزو ـ كما هو متوقع ـ زعم أن الرئيس «لم يستخدم أية كلمة بذيئة قطّ». وهناك آخرون ـ مثل فينتش، وكيسنجر، والجنرال كوشمان، وكاتب الخطب راي برايس، وستيفن هيس ـ لا يتذكرون أنه كان فاحش اللسان. ومع ذلك فحتى أمّه قالت إن إبنها كان يشتم «مثل بحّار» عندما يكون متوتراً. وزعم صديقه إيرل مازو أنه كان لا يفعل ذلك إلاّ وسط أصدقائه المقربين.

والواقع، أن شاهداً سمع نيكسون في حفل عشاء دبلوماسي في وقت مبكر منذ سنة 1956، قد صُعِقَ وفوجئ بلغته البذيئة. ويتذكره بترفيلد في البيت الأبيض يشير بإصبعه إشارة بذيئة(تعني إحدى مشتقات كلمة الزنا) إلى جون فولب، وزير النقل، من وراء ظهره. وكان نيكسون يسمي رئيس وزراء كندا «ترودو الزاني». ووصف ريتشارد كلايندينست، ثاني مدع عام يعين في عهده، أثناء مكالمة هاتفية غاضبة، بأنه «الفاعل بأمّه اللاعق ل. . .». ويستذكر إدْ رولينز، المستشار السياسي الجمهوري، أنه عندما التقى بنيكسون لأول مرة ـ وكان ذلك في وقت متأخر، سنة 1979 ـ فإنه استخدم ثلاث كلمات بذئية في أول جملة نطق بها.

وقد احتج نيكسون في شيخوخته بأن «كل الرؤساء يشتمون». والحق أن آبراهام لينكولن قد ذاعت له سمعة باستخدام كلمات التجديف. وكان كل من ترومان، وكينيدي، وجونسون يستخدمون كلمات بذيئة. ولكن الفرق بينهم وبين نيكسون يكمن في النفاق. فرغم أن الشتائم كانت عادة عند نيكسون، فإنه كان يستنكر اللعن عند السياسيين الآخرين. فقد شجب ترومان علناً لاستخدامه «لغة المجاري» ـ كانت قد صدرت منه عبارة «إذهب إلى الجحيم» ـ ثم قال متظاهراً بالتقوى إنه كرئيس ينوي أن يتجنب مثل هذا الكلام ـ كنوع من

«المسؤولية تجاه أبناء هذا البلد». (أي أن نيكسون، بعبارة أخرى، كان «ينهى عن خُلُقٍ ويأتي مثله»).

ولعل الكحول مسؤولة جزئياً عن استخدام نيكسون لكلمات التجديف. ففي سنة 1962، على جزيرة الفردوس، كان جاك بار قد لاحظ بذاءة نيكسون الفاحشة بينما هو «يتعاطى الخمر بشكل ثقيل». ولاحظ مراسل **للواشنطن بوست** أنه كان «واضحاً من مقاطع كلماته المغمغمة غير المفهومة أنه كان يعاقر الخمر» عندما بدرت منه في كلمة مسجلة على شريط سنة 1973 عبارة: «فليلعنها الله. إنني لن أناقش قضية أبناء الزنا ووترغيت هذه مرة أخرى، أبداً، أبداً، أبداً...».

واستذكر سبيرو آغنيو نيكسون وهو يعرب عن قلقه بصوتٍ عالٍ في تلك السنة نفسها، و«كيف ستُسْتَخْدَمُ الأشرطة لإحراجه، والمسّ بمكانته المستقبلية في التاريخ... وكان الخوف مرتسماً على سحنته». كان رد الفعل العام على محتويات الأشرطة سيترك أثراً أكبر بكثير، من مجرد السخط على الشتائم. وكان نيكسون يعرف ذلك.

ولقد قدر حلفاؤه الطبيعيون مدى الدمار الذي سينجم عن الأشرطة حالما أُفرِجَ عنها. وكتب وليام راندولف هيرست الأصغر، عموداً صحافياً هاجم فيه نيكسون بعنف، باعتباره رجلاً «فيه نقطة ضعف أخلاقية تجعله لا يحسّ بالسفالة» فقال إن الرئيس ومساعديه يظهرون كأنهم «عصابة من المبتزّين، تتحدث عن خطتها الاستراتيجية، وهي محشورة في مأزق استغلقت طرق الخروج منه».

أما بيلي غراهام فقد بكى وهو يقرأ النسخ المطبوعة، وقيل إنه تقيأ بعد ذلك. وقال ذلك المبشّر إنه كانت لديه«محبة حقيقية» لنيكسون، وأنه كان يتطلع إليه باعتباره أفضل أمل للأمة. «ولكن الأشياء المسموعة على تلك الأشرطة ـ كانت كلها غريبة عني تماماً. لقد بدا لي نيكسون فجأةً شخصاً آخر.»

واستنتج كيسنجر أن «العنكبوب قد وقع في شبكته ذاتها. فحتى لو لم تحدث ووترغيت لأصابت الأشرطةُ سمعةَ نيكسون بضرر فادح... ولو تدفقت الأشرطة بعد وفاته لتمكن نيكسون من تحقيق إنجاز خارق للعادة، وهو أن ينتحر بعد موته».

وقبل تركيب نظام التسجيل بأسابيع معدودة فقط، كان نيكسون قد جلس وحيداً في غرفة لينكولن، يكتب عن حاجته إلى خلق «صورة محددة». فأدرج بعض خصائل الشخصية التي كان يأمل أن تكون أساساً لمثل هذه الصورة. فكانت القائمة طويلة إلى درجة أن عدداً قليلاً من بنودها فقط يمكن إيراده: «رحيم، إنساني، أبويّ، دافئ، واثق بالمستقبل، متفائل، مبتهج، صريح، نزيه، شريف، منفتح، جدير بالثقة، جريء، يقاتل من أجل ما يؤمن به، يمتلئ بالحيوية، والشباب، والمتعة، والحماسة، والرؤية، والكرامة، والاحترام، ويكون رجلاً يفتخر به الناس....» وهكذا يسرد كلمات مرصوفة من هذا القبيل، تسهم في وصف «قيادة رئاسية بادية للعيان»، أراد نيكسون أن تنقلها علاقاته العامة. ولو وجد مثل هذا النيكسون، فإنه لا يظهر على أشرطة البيت الأبيض المفرج عنها حتى الآن.

بل إن الأشرطة التي لدينا فرصة فريدة لإلقاء نظرةٍ على الرجل العام في حياته الخاصة، حيث نادراً ما يكون مرحاً بوضوح وكثيراً ما يكون متعكر المزاج. غاضبٌ أبداً من أية هناتٍ ظاهرة، ومتآمرٌ أبداً، ومقاتل أبداً وعرضة في العادة للرثاء لنفسه.

وتكشف أشرطة مفرجٌ عنها حديثاً، عن رجل نازع إلى توجيه الإهانات العنصرية والجنسية. ففي سنة 1999، بينما كان النزاع القانوني بين محامي الحكومة وبين الورثة المالكين لحقوق نيكسون مستمراً ومتطاولاً، دوّى صوت الرجل الميت مرة أخرى في قاعة محكمةٍ بواشنطن.

قال نيكسون إن النساء في الحكومة هن «ألم في العنق»، يصعب جداً

التعامل معه. وكان يشك في كونهن «جديرات بالجهد». وقال لزملائه إن المشكلة مع المكسيكيين هي العثور على واحد شريف بينهم. وأن «الإيطاليين لديهم المشكلة نفسها إلى حد ما».

وغَضِبَ رئيس اللجنة التشريعية التابعة لمجلس النواب، بيترودينو، من شريط نيكسوني سمعه سنة 1974، فدعا تيبْ أونيل ليستمع إليه معه. كان صوت نيكسون على الشريط يقول عن الإيطاليين: «إنهم ليسوا نحن، آه، إنهم ليسوا مثلنا». «والفرق أن رائحتهم مختلفة، ومنظرهم مختلف، وتصرفهم مختلف... والمشكلة أنك لا تجد فيهم واحداً شريفاً... لقد اضطررت للتعامل مع الألمان والإيطاليين، وكل تلك المؤخرات الملوثة بالأقذار...» كما قال على شريط آخر. (قبل أن يصبح نيكسون رئيساً، كان قد صوّت لمصلحة قانون الهجرة والجنسية. وهو إجراء انتقده البعض على أنه مصمّم لمنع الهجرة الإيطالية).

وقد أُعْلِمَ الأميرال إِلْمُوزوُ مْوالْتْ، رئيسُ العمليات البحرية «أن الرئيس ينتقد كل مجموعة عرقية في الولايات المتحدة بشدّة ويعتبرها ضده؛ اليهود، والسود، والكاثوليك، والبيض الآنكلو ساكسون البروتستانت، الخ...»

هل كان نيكسون لاسامياً؟ لقد عين، رغم كل شيء، مهاجراً يهودياً مثل كيسنجر في ثاني أقوى منصب في إدارته. وسُمِّي يهوديٌّ آخر هو آرثر بيرنز لمنصب رئيس الاحتياطي الاتحادي. وكان يهودي آخر، هو هيرب شتاين، يترأس مجلس المستشارين الاقتصاديين. وكان موراي تشوتينر يهودياً، وكذلك ليونارد غارمنت، محامي نيكسون.

وكان غارمنت قد قال: «أَروُني مسيحياً، أو حتى يهودياً ليس في زوجه آثار من اللاسامية، وسأريك إنساناً لا يحتوي جسمه على جرائيم». وعلى مقياس للاّسامية مكون من مئة درجة كان غارمنت يضع نيكسون في مكانٍ ما بين خمس عشرة درجة وعشرين، مما يجعله أفضل من معظم الناس في العالم،

وأسوأ من بعضهم، ويشبه كثيراً باقي الناس». وقال الحاخام باروخ كورف، المؤيد لنيكسون والمدافع عنه في آخر أيامه، إنه لا يعتقد بوجود «ذرة من التحامل» في ذلك الرجل.

ولم يكن كيسنجر يوافق على ذلك، فكان يقول: «إنك لا تستطيع أن تصدق كم من اللاسامية يوجد على قمة الحكومة، وأنا أقصد على القمة». واستذكر إيرليكمان: «كان نيكسون يتحدث عن خونة يهود. ثم يتحرش بكيسنجر قائلاً: أليس هذا صحيحاً يا هنري؟ ألا توافقني ؟ وعندئذ يجيبه هنري «حسناً يا سيدي الرئيس، هناك يهود، وهناك يهود غيرهم».

وتميل الأشرطة والسجل المعاصر لتلك الأحداث إلى تأييد وجهة نظر كيسنجر. وقد كتب هالدمان في مفكرته أن نيكسون كان يريد أن يعرف لماذا «يبدو أن اليهود جميعاً هم الذين يؤيدون تخفيف صرامة اللوائح والقوانين، وإطلاق حرية تعاطي الماريجوانا». ولقد حثّ نيكسونُ على إحياء لجنة مكافحة النشاط المعادي لأمريكا التابعة لمجلس النواب، للتحقيق مع الجواسيس فقال لهالدمان: «إنك تعرف ما الذي يشحن المستمعين. آه يا يسوع المسيح، إنهم سيتعلقون بالطوافات. . . . ليلحقوا بكل أولئك اليهود. فقط اعثر على واحد يكون يهودياً. فهل تفعل؟».

وأمر نيكسون مساعداً له أن يحقق في وجود «عصابة سرية يهودية» في مكتب إحصائيات العمل، حسب مفكرات معاصرة. وفي غضون أسابيع تم نقل مسؤولين يهوديين من المكتب. ويشير بند في مفكرة هالدمان نقلاً عن نيكسون، أنه حدد «أعداءنا» بأنهم «الشبيبة، والسود، واليهود». وقد اعترض نيكسون على «مجيء حاخام مرة أخرى» لأداء الصلوات في كنيسة البيت الأبيض. وفي سنة 1970، عندما ألحّ على إيرليكمان أن يضمن تعريض المتبرعين للديمقراطيين إلى التحقيق في قضاياهم الضريبية، ركّز على

«. . . اليهود، الذين يَسْرِقون، كما تعرف. . . [والعبارة التالية على الشريط يصعب سماعها]». [10]

وبعد ذلك ببضعة أيام، كان نيكسون يتوسل بهالدمان: «أرجوك أن تحصل لي على أسماء اليهود، أنت تعرف، المتبرعين اليهود الكبار. . . هل يمكنك من فضلك أن تحقق مع بعض لاعقي الـ. . .؟» وقد أصرّ على أن مصلحة الضرائب الداخلية كانت «مليئة باليهود». وطلب طرد مسؤول في مديرية الهجرة في كاليفورنيا. «حقير يدعى روزنبرغ. يجب أن يخرج. . . انقله. . .».

وقال نيكسون سنة 1973، بينما كان يحاول تبرير نشاط البيت الأبيض غير القانوني: «هذا هو الأمن القومي. لدينا كل أنواع الأنشطة لأننا كما نحاول أن ندير هذه المدينة بتجنب اليهود في الحكومة، لأن هناك مسائل شديدة الخطورة والجدّية».

وفي اجتماع في المكتب البيضاوي تذمّر الرئيس: « إن اليهود في كل مكان في الحكومة» مضيفاً أنه ينبغي السيطرة عليهم بوضع شخص «في موقع المسؤولية يكون غير يهودي». وأخبر هالدمان أن «معظم اليهود ليسوا موالين. . . وعلى وجه العموم، لا يمكنك أن تثق بأبناء الزنا. إنهم ينقلبون عليك. . .».

ومن المؤكد أنه ما من أحد يمكن أن يعتقد أن هذه الملاحظات جائزة، ومسموح بها من رئيس، حتى في خلوة خصوصية. ومع ذلك فقد استمر بعض

---

(10) تحدّت موظفة المحفوظات بمكتبة نيكسون، سوزان نولتي، هذه المحتويات المنسوبة إلى شريط البيت الأبيض المسجل في 8 أيلول / سبتمبر، 1971. وقالت نولتي إن تهمة اللاسامية «مشكوك فيها جداً»، واستشهدت بتصريحات لمجموعات يهودية تدافع عن نيكسون، وبالجسر الجوّي الذي تم نقل الأسلحة بواسطته إلى إسرائيل أثناء حرب سنة 1967 في الشرق الأوسط. غير أن تدقيقاً في الشريط المذكور كلف المؤلف باحثاً بالقيام به سنة 2000؛ بعد خمسة أيام: شريط البيت الأبيض في 13 أيلول / سبتمبر، 1971، تم استنساخه للمؤلف ـ يصف نيكسون فيه اليهود بأنهم «مصاصو. . .»[!].

المدافعين عن نيكسون يجادلون بأنه ليس معادياً للسامية، محتجين بأنه قبل أن يتسلم الرئاسة بوقت طويل، دافعت عنه مجموعة يهودية قيادية ضد تهمة اللاسامية. ويشيرون أيضاً إلى دوره في مساعدة اليهود على الهجرة من الاتحاد السوفييتي، وإلى مفهوم صداقته لإسرائيل.

ويبدو أنه عندما يتعلق الأمر بالأقليات، كان هناك نيكسونان: الرجل المنغلق على خصوصياته، ينزّ بالشتائم الواضحة على الأشرطة، والمرشح الذي همّه الأكبر قبل كل شيء هو حصاد الأصوات. وبطريقة أكثر تعقيداً إلى حدٍّ ما، ينطبق الشيءُ نَفْسُهُ على نيكسون والسود.

قال الرئيس: «مع السود، تستطيع في العادة أن تقبل بشخص غير كفوء». وكان يناقش سياسة استئجار الأشخاص على واحد من الأشرطة المبكرة، وشرح ذلك بقوله متابعاً: «لأنه ـ ببساطة ـ لا يوجد ما يكفي من الأشخاص الأكفاء. وهكذا تعين غير الأكفاء وتتعايش معهم، لأن المعنى الرمزي لذلك هام على نحو حيوي. إن عليك أن تُظْهِرَ أنك تهتم بأمورهم». إن مثل هذا الإزدراء السري في القضايا العنصرية، المختمر مع الاشارات العلنية الضرورية، كان نوعاً من الغموض الذي له تاريخ طويل عند نيكسون.

ويقال إن أحد كبار أجداده من طائفة المرتعدين في إنديانا، كان يساعد في تهريب العبيد الآبقين لإيصالهم إلى الحرية. وكانت أمه نفسها ترحب بالمستخدمين السود على مائدتها للعشاء. وفي الكلية كان نيكسون مؤثراً فعالاً في إدخال الشاب الأسود الوحيد في الحرم الجامعي إلى النادي الاجتماعي. وفي كلية الحقوق التابعة لجامعة ديوك في كارولاينا الشمالية، حيث كان التحامل العنصري عميق الجذور، رفع نيكسون صوته ضده.

وعندما كان نائباً للرئيس، كان يأخذ حاجباً أسود لمجلس الشيوخ إلى مباريات البيسبول بسيارته الليموزين. وعندما كان رئيساً، كان يتعمد أن يفتح حواراً عفوياً مع الفنّي الأسود الوحيد في طاقم مشغّلي التلفزيون. بل لقد كان

ينزل في بعض الأحيان إلى سرداب البيت الأبيض ليتعاطى الشراب مع مستخدم أسود. وكان يقول لإيرليكمان: «إن مشاعري تجاه الأعراق ليبرالية متطرفة في تحررها».

أما مارتن لوثركينغ، الذي التقى به وهو نائب للرئيس، فكان يعتقد أنه «يملك عبقرية في إقناع المرء بأنه مُخْلِص. . . بل إنه يكاد ينزع سلاحك لتستسلم لإخلاصه. . . . وأستطيع الإستنتاج أن ريتشارد نيكسون إذا لم يكن مخلصاً فإنه أخطر رجل في أمريكا». غير أن أرملة كينغ، كوريتا قدر لها بعد سنوات، وبعد مصرع زوجها، أن تقول عن نيكسون وهو في البيت الأبيض إنه «لم يتطور ويتحرر من ردود فعله الانعكاسية تجاه الأعراق العنصرية».

وكان روبرت بورك، المحامي العام البعيد عن التحرر الليبرالي، يعتقد أن نيكسون كانت لديه «نزعة التحامل المعتادة عند أعضاء النوادي البلدية ضد السود». وقال مساعدوه السابقون أنه كان يشير إلى السود بألفاظ الذم الجارحة مثل «الزنوج» و«المتراقصين» و«أرانب الغابة»، وقال إيرليكمان إن هذه الصفة الأخيرة قد التقطها نيكسون من بيب ريبوزو.

وقال نيكسون لهالدمان إنه «لم يكن في التاريخ كله على الإطلاق، أمة سوداء بالمعنى الصحيح للكلمة، فالسود ليسوا سوى عنصر فقط تنطبق عليه هذه الصفة. . . وإفريقيا قارة لا أمل فيها. . . .» وكان قد تحدث في حملة انتخابات سنة 1968، تأييداً لقبائل الإيبو في نيجيريا عندما كانت تقاتل من أجل الانفصال والاستقلال. غير أنه عندما صار في سدة الرئاسة، تجاهلت إداراته المشكلة بينما كان مئات الألوف يتضورون جوعاً. وكانت سياسته إزاء النظام العنصري الزاعم بتفوق العرق الأبيض في جنوب أفريقيا، هي المعارضة الشفوية للفصل العنصري، وتقليص القيود الاقتصادية على ذلك النظام من الناحية العملية. ويقال إن نيكسون قد أعلن لكيسنجر: «دعونا نترك الزنوج لوزارة الخارجية. ونحن سنهتم ببقية أنحاء العالم».

وقال إيرليكمان إن نيكسون «كان يظهر جوانب مختلفة لأناس مختلفين. فكان «بنت الكُبَّة» في كتاب **آليس في أرض العجائب**... فقد كانت هناك أشياء يقولها لي، ما كان ليقولها قط علانية للسجل، مثل قوله بأن السود متخلفون عرقياً...» وحسب رواية باحثين في هيئة المحفوظات الوطنية، يصفون محتويات أشرطة لم يفرج عنها بعد، فإن نيكسون كان يتحدث عن السود وكأنهم «قد نزلوا لِتَوِّهِمْ من على الأشجار التي كانوا يعيشون عليها».

وحسب رواية إيرليكمان، مرة أخرى، فإن نيكسون كان يعتقد أن السود لا يمكن أبداً أن يحققوا التساوي ـ سواء في الذكاء أم في النجاح الاقتصادي أم في الصفات الاجتماعية.... وكان يقول إنه سيبذل قصارى جهده من أجلهم، لوضعهم في مكانٍ على بداية الخط». وكانت «قصارى جهوده» هي الحثّ على إلغاء الفصل العنصري، وتخصيص زيادة كبيرة في المزانية الاتحادية لتطبيق الحقوق المدنية. وقامت إدارته أيضاً بتعيين أول معاون أسود لوزير البحرية، وأميرال أسود، ورئيس أسود للجنة الاتصالات الاتحادية.

ومع ذلك فإن كثيراً من النقاد هاجموا نيكسون بعنف، لأنه لم يفعل ما فيه الكفاية في هذا المجال، ولا سيما بخصوص معارضته العنيدة لإيصال الأطفال إلى مدارسهم بالحافلات. وقد لاحظ هالدمان في مفكرته تكراراً أن نيكسون، لم يكن «يريد عمل أي شيء في الجنوب أكثر مما يتطلبه القانون»، لأنه كان ينظر إلى الأمر من زاوية أنه «ليس فيه أي مكسب سياسي لنا».

وعندما كان كيسنجر يهيئ خطاباً عن السياسة الخارجية، حثّه نيكسون على أن يتأكد «من وجود شيء فيه للزنوج المتراقصين». ولكن من جهة أخرى ذكّر هالدمان: «إننا لا نكسب أصواتاً من مداراة الزنوج».

وكان نيكسون يلجأ للخداع كي يتجنب تنفير المقترعين البيض من سياساته العنصرية. فإيرليكمان، الذي كان منغمساً بعمق في مفاوضات حول ركوب السود في حافلات البيض في ميتشغن، أفزعه أن يكتشف وجود مساعدٍ

آخر من البيت الأبيض في الولاية، يلقي خطباً نارية ملتهبة ضد الدمج العنصري في الحافلات. وأنكر الرئيس أنه هو الذي أمر ذلك المساعد بهذا العمل. ولكن إيرليكمان كان متأكداً من أن الرئيس كاذب.

وعندما كان الأمر يتعلق بكسب الأصوات، كما تبيّن الأشرطة المسجلة كان الرئيس ساخراً، وبارداً تماماً إزاء الموضوع العرقي العنصري. فعندما كانت انتخابات سنة 1972 تلوح في الأفق، ناقش خطة لتسريب خمسة ملايين دولار سراً لمرشح أسود. ولم يكن الغرض من هذا التدبير، سوى أن يكون وسيلة لامتصاص أصواتٍ بإبعادها عن الديمقراطيين. وقد اقترح مساعدوه في بادئ الأمر اسمين هما عضو الكونغرس شيرلي شيشلوم، والداعية النشيط للحقوق المدنية جوليان بوند باعتبارهما دميتين محتملتين.

وبعد ذلك ببعضة أسابيع طُرِحَ اسم جيسي جاكسون كعميل محتمل. فاقترح هالدمان أن يرسلوا إلى القس الواعظ بالبريد ألوفاً من الأوراق المالية من فئة الدولار الواحد، من أجل تضليله كي يعتقد أن ألوفاً من السود يؤيدون ترشيحه. وعندئذٍ ـ كما كان يأمل هالدمان ـ يستطيع البيت الأبيض أن يعقد صفقة مع جاكسون «يتم الدفع له فيها فيما بعد. أعطوه عشرة آلاف دولار لقاء كل نقطة مئوية. فإن حصل على عشرين بالمئة من الأصوات، يأخذ مئتي ألف دولار. وتلك دفعة شخصية له تتم بعد الانتخابات». [11]

ورحب نيكسون بهذا المخطط الماكر المكتوم. وكان رده عند طرحه: «سجل هذا عندك كموضوع للمناقشة، كلا ليس للمناقشة، بل للعمل به». وكما هو الحال على الدوام، أخذت السياسة الأولوية على المبادئ.

(11) عندما أُخبِرَتْ شيرلي شيشولم، عضو الكونغرس السابقة، والتي شاركت في حملة انتخابات الرئاسة الأولية في سنة 1972، بأمر هذا الدليل المسجل على شريط البيت الأبيض، شعرت «بالفزع» واندهشت، في سنة 1996. وقال جيسي جاكسون إن جماعته ليس لديهم تعامل مع مثل هذه المخططات. (صحيفة **الاندابائدانت** [اللندنيّة]، عدد 29 تشرين الثاني / نوفمبر، 1996).

كانت أشرطة التسجيل تدور في صباح الخامس من أيار سنة 1971، بينما راح نيكسون وهالدمان يناقشان آخر موجة من الاحتجاج على الحرب الفيتنامية. كانت التظاهرات قد استمرت بلا انحسار ولا تراجع على مدى أسابيع. ولم يكن جميع الذين في الشوارع طلاباً. فقد تجمع سبعمئة من المحاربين القدماء أمام مبنى الكابيتول، ليلقوا بنياشينهم بعيداً باشمئزاز. وكان رجال الشرطة والقوات المسلحة قد اعتقلوا ثمانية آلاف شخص في واشنطن وحدها.

وفي ذلك اليوم، كما أخبر هالدمانُ الرئيسَ، كان من «المحتمل جداً» وقوع مزيد من الاضطرابات. فجاء رد نيكسون: «حسناً. . . إن هؤلاء الناس يحاولون عمل شيء ما، فأحبط عملهم». وبينما ظلت الأشرطة تدور، كان الرجلان يناقشان الأحابيل والحيل القذرة المستمرة: مثل إرسال أطعمة للمتظاهرين، يقال لهم إنها من أحد خصوم نيكسون الديمقراطيين، بينما هي في الحقيقة من البيت الأبيض، كخدعة لدمغ الديمقراطي بأنه متعاطف متطرف مع المتظاهرين؛ واستخدام «المحافظين المتطرفين وجنود الفيلق [الأمريكي] لإثارة المشاجرات في صفوف المتظاهرين».

ثم جاء الحوار التآمري الآتي:

هالدمان: هذا ما اقترحته. . . وأعتقد أنهم يستطيعون عمله دون ضرر لهم. فليتم العمل مع اتحاد سائقي الشاحنات. أطلب منهم أن يستخرجوا أولئك السفاحين الثمانية الذين لديهم.

الرئيس نيكسون: أجل. . . إن لديهم أشخاصاً قادرين على الدخول بينهم وتحطيم رؤوسهم.

هالدمان: بالتأكيد. إنهم قتلة. أشخاص كما تعرف في الحقيقة، فهذا ما يقومون به فعلاً. مثل الذين لدى عمال الفولاذ، غير أننا لا نستطيع التعامل مع عمال الفولاذ في هذه اللحظة.[12]

---

(12) كما هو وارد في هذا الفصل فيما بعد، كان عمال صناعة الفولاذ هم الذين شكلوا رأس حربة هجوم عمال الإنشاءات على الطلبة المحتجين في نيويورك في أيار / مايو 1970. وقد جرى التحقيق في =

الرئيس نيكسون: كلاّ

هالدمان: يستطيع التعامل مع اتحاد سائقي الشاحنات...

الرئيس نيكسون: نعم.

لقد كانت لدى الرجلين أسباب جعلتهما واثقين من أنهما يستطيعان «التعامل» مع اتحاد سائقي الشاحنات. إذْ أنهما كانا منهمكين بذلك من قبل. فرئيس الاتحاد المذكور، فرانك فيتز سيمونز، كان في البيت الأبيض قبل ذلك التاريخ بأسبوع للاجتماع مع تشارلس كولسون. وكان البيت الأبيض يضغط على وزارة العدل لتخفف ملاحقاتها لأعضاء الاتحاد الفاسدين، كطريقة لضمان دعم الاتحاد لنيكسون في الانتخابات الرئاسية التالية. أما الآن فقد كان الرئيس وهالدمان يناقشان في ثقة كيفية تعامل اتحاد سائقي الشاحنات مع المتظاهرين المحتجين:

> هالدمان: إنهم النماذج النظامية المعتادة لمحطمي الإضرابات... إنهم سيضربون هؤلاء الناس ضرباً مبرحاً، وآه.. أنا آمل أن يؤذوهم فعلاً. وكما تعرف، أن يدخلوا ويفعلوا شيئاً حقيقياً... ويهشموا بعض الأنوف... وتقع بعض المشاجرات الجيدة تماماً.

ولم يعترض الرئيس ولم يحجم، بل تحمس لهذه الأفكار، رغم أنه قد تربى منذ طفولته على اعتناق مبدأ اللا عنف.

ثم دار الحديث حول التغطية التلفزيونية للاحتجاج وللمتزعمين للتظاهرات:

> هالدمان: أعتقد أنهم قد ضربوا آبي هوفمان... والآخر... لقد وصلوا إليهم... آه [صوت طقطقة الشريط]... ولكنهم ضربوه...

= هذه الواقعة. ولعل هذا يوضح لماذا ارتأى نيكسون وهالدمان ـ بعد ذلك بسنة ـ أن من الأعقل لهما أن يلجآ إلى اتحاد سائقي سيارات الشحن (الذي تسيطر عليه المافيا) عند استئجار سفاكين. (عمال الفولاذ في مدينة نيويورك) **النيويورك تايمز**، عدد 9 أيار / مايو، 1970).

الرئيس نيكسون: أليس الشيكاغويّون السبعة كلهم يهوداً؟(*)... هوفمان، هوفمان يهودي... ونحو نصف هؤلاء يهود.

هالدمان: لقد أخذوا لقطةً لشرطي وهو يضرب شخصاً بالعصا... إن هذا لا يفيدنا بشيء. ولكنك تعلم أنه لا يمكن تجنب ذلك...

الرئيس نيكسون: .... إنه شيء محتوم، يا بوب، وإلاّ فماذا بحق الجحيم تتوقع من رجال الشرطة الملعونين المساكين؟....

وقد ظل الشريط المسجلة عليه هذه المحادثة قابعاً مختفياً لم يُكْتَشَفْ عشر سنوات. وعندما طفا على السطح في آخر الأمر مع هذا الحديث عن تهشيم الأنوف وتحطيم الرؤوس، ظهرت معه معلومات أخرى: كان أنف آبي هوفمان قد تم كسره قبل يومين من تلك المحادثة في المكتب البيضاوي. وقد تعرض لكسور مضاعفة في الأنف، وشقّ في شفته أثناء مواجهة مع رجال الشرطة بالقرب من دائرة دوبون بواشنطن.

قال هوفمان: «هاجمنا نحو ستة أشخاص. وكان إثنان منهم على الأقل يلبسان زيّ رجال الشرطة. وكان بعضهم بملابس مدنية عادية. فركزوا عليّ وطاردوني عبر موقف سيارات إلى داخل زقاق. فأمسك أحدهم بيديّ بينما ضربني الآخرون. وكان تتويج ذلك الضرب أن ضربوني على وجهي بهراوة...» وقالت أرملته في سنة 1998: «لقد انقضّ عليه رجال بثياب مدنية . وقد بدا في أول الأمر أنهم متظاهرون يمينيون... عندئذ كسروا أنفه».

وكانت الإصابة حقيقية، كما يتضح من الصور الإخبارية للأنف المضمّد. وقد عالجه في بادئ الأمر طبيب الأطفال بنيامين سبوك، الذي كان قد ألقي

(*) كان هؤلاء قادة الاحتجاجات أثناء المؤتمر الوطني للحزب الديمقراطي سنة 1968 وقد أقامت الدعوى عليهم وزارة عدل نيكسون. وقد دينوا بتهم التحريض على الشغب. غير أن معظم الإدانات أُلغيت عند استئنافها. وكان المتهمون معروفين أكثر باسم الشيكاغويين الثمانية.

القبض عليه في ذلك اليوم أيضاً. وقال هوفمان فيما بعد إنه اضطر للخضوع لعملية جراحية نتيجة ذلك الهجوم.[13]

ولقد رفض هالدمان أن يعلق الشريط الحاوي على حديث عن «السفاحين». فالجزء المدون في حينه من مذكراته المقروءة فقط، والمنقول نسخاً عن أشرطة كان يسجلها لنفسه كل مساء، يعكس فجوة يعزوها إلى التسجيل غير المفهوم. وهكذا لاحظ رئيس الأركان السابق أنه لم يفعل شيئاً هو والرئيس سوى الكلام عن «التظاهرات ـ وخطر الحذر».

وفي هذه الأثناء، كان شريط 5 أيار / مايو سنة 1971، يشير إلى أن تجنيد السفاحين هو خطة استراتيجية استعملت من قبل. وقد قال هالدمان بشكل عابر «افعلها مع اتحاد سائقي الشاحنات. اطلب منهم فقط أن يأتوا بسفاحيهم الثمانية». ورد الرئيس فقط بـ«نعم». وهذا حوار يستدعي إعادة فحص واقعة عنيفة أخرى حدثت قبل ذلك بسنة.

ففي 8 أيار / مايو سنة 1970، في مدينة نيويورك، كان الشباب يحتجون على إطلاق الرصاص في جامعة كنت ستيت، عندما انقضّ عليهم عمال البناء وهم يلوحون بالأعلام الأمريكية ويغنون منشدين: «على طول الخط: الولايات المتحدة الأمريكية! أحبوها أو غادروها!» وضربوا الشباب بقبضاتهم وبخوذاتهم الفولاذية الصلبة. وانتهى المطاف ببعض الضحايا إلى المشفى.

(13) تعرَّض هوفمان للإصابة وأُلقي القبض عليه بعد الظهر في 3 أيار / مايو، فتم نقله إلى ملعب كيندي، حيث كان ألوف آخرون محتجزين، ومن ثم هرب إلى نيويورك، حيث أُلقي القبض عليه بعد ساعات من محادثة نيكسون ـ هالدمان. ورغم سوء نوعية الشريط المسجلة عليه تلك المحادثة في بعض أقسامه، فإن استخدام كلمة «يجب» في الجزء الخاص بهوفمان قد يشير إلى أن هالدمان كان عارفاً بالإصابة التي في 3 أيار / مايو (إن تسلسل الأحداث منعكس فيما كتب على صورة التقطتها وكالة الأسوشيتيد بريس، 6 أيار / مايو، **النيويورك تايمز**، عدد 7 أيار / مايو، 1971؛ مقابلة مع هوفمان في **السان فرانسيسكو إكزامينر**، عدد 30 أيلول / سبتمبر، 1981؛ وانظر أيضاً بنجامين سْبُوك، **سْبُوك يتحدَّث عن سْبُوك**، طبع نيويورك: بانثيون، 1989، ص 192، لوصف ما يتذكره، ومدى الجراح التي أصابت هوفمان).

كانت التظاهرة المضادة منظمة جيداً. فقد كان العمال قد تلقوا من رؤسائهم في اليوم السابق تعليمات بأن «يذهبوا ويضربوا رؤوس الشبيبة المحتجين على نيكسون وما فعله بجامعة كنت». وقال عامل لم ينضم إلى تلك المجموعة إن المستخدمين، عُرِضَتْ عليهم علاوة كحافزٍ لهم.

وأثناء الهجوم قال عاملٌ آخر، إنه شاهد «رجالاً يرتدون بذلات أعمال على طيات ستراتها رقاع سوداء... يصدرون الأوامر صارخين». وقال رجل أعمال كان يراقب المشهد من مكتبه مستخدماً منظاراً، إنه شاهد «رجلين ببذلتين رماديتين وخوذتين فولاذيتين صلبتين... يوجهان عمال البناء بحركات أيديهما».

وبعد ذلك بأسبوعين، في أعقاب تظاهرات مؤيدة للحرب، قام بها عشرات الألوف من عمال البناء وتفريغ السفن وتحميلها، استقبل نيكسون زعماءهم في البيت الأبيض. فقدم له قادة اتحاداتهم خوذة فولاذية خاصة به، منقوشاً عليها عبارة «القائد العام» كرمز «للحرية والوطنية». وكان أحد أعضاء الوفد، بياجيو لانزا، من اتحاد عمال الجصّ، معروفاً بأنه من عصابات المافيا، وآخر من موظفي اتحاد عمال الزجاج كان قد دين مؤخراً بتهمة الابتزاز.[14]

وكان بيتر بريْنان، الناطق باسم زعماء الاتحاد ومنظم المسيرة، رئيساً لمجلس نقابة عمال البناء والإنشاءات في نيويورك. وكان لذلك المجلس

(14) أدْرَجَ تحقيقٌ في **نيوز داي** اسمَ لانزا بصفته «أحد جنود المافيا... ألقي القبض عليه (مرتين) بتهمة الاحتيال في المراهنات والسندات المالية، ودين بمثل هذه التهم (مرتين)، ولم يُسْجَن أبداً». أما مسؤول اتحادات الصناعات الزجاجية الذي كان قد دين بتهمة الابتزاز قبل ذلك بشهر واحد فقط فهو سدني غلاسر. وقال شهود أمام لجنة مجلس الشيوخ حول الأعمال غير النزيهة في ميدان العمل أو الإدارة (لجنة مكافحة العصابات) إن شارلي جونسون، عضو نقابة النجارين كان في سنة 1959 يقبض من نقابته أربعة رواتب في وقت واحد. وأما توماس غليسون، عضو الرابطة الدولية لحراس السواحل البحرية الطويلة، فقد حضر اجتماعاً للرابطة المذكورة مع طوني آنستازيا الجلف وفرانك («رجل الرشاش») كامبِل (لانزا، **نيوزداي**، عدد 1 آذار / مارس، 1969؛ المرافقون: مجلة **سكانلانز**، عدد أيلول / سبتمبر 1970).

علاقات بالمافيا. وكان بريننان يحمل مسدساً محشواً بصورة روتينية منتظمة، ويتنقل مصحوباً بحرّاس. وقد عينه نيكسون فيما بعد وزيراً للعمل. وكان نيكسون يقول: «إن أتباع بيتر بريننان كانوا معنا عندما كان حشد النخبويين يهرب منّا. فشكراً لله على ذوي الخوذ الفولاذية!».

فهل انطلق عنف نيويورك بأوامر من قيادة نيكسون العليا؟ عندما طرح هذا السؤال على ريتشارد هوارد، المساعد السابق في البيت الأبيض، ضحك ضحكة خافتة وهو يجيب في سنة 1997: «ليست هناك أعمال تتم بشكل عفوي في السياسة. وإنما توصف بأنها كذلك لاستهلاك أجهزة الإعلام». وقال إيرليكمان إنه كان يفترض دائماً أن البيت الأبيض، «رتّب» مظاهرات ذوي الخوذ الفولاذية.

لقد كان جواب نيكسون على شريط «السفاحين»، عندما أخبره هالدمان بأنه يتوقع حدوث اضطرابات هو قوله «حسنا!» ومن الواضح اليوم أنه هو وأتباعه كانوا يرحبون بالعنف، على أمل جعل المعارضين يظهرون بصورة سيئة. وتأمّل في التجمع في سان خوزيه، بكاليفورنيا، بعد خمسة أشهر من اضطرابات نيويورك، حيث قُذِفَ موكبُ الرئيس بالحجارة والبيض.

وقيل إن ذلك الهجوم كان الأول من نوعه على الإطلاق ضد رئيس في بلاده نفسها. فكان مشهداً لم يخرج منه أي من الطرفين بشيء في مصلحته. فقد صعد نيكسون على مقدمة سيارته ليعطي شارة النصر بيديه وسُمِعَ وهو يقول: «هذا ما يكرهون رؤيته». ونقل عن روز وودز قولها: «كان المشهد يشبه تماماً ما حدث في كاراكاس». وعُرِضت الليموزين على المراسلين، مصابةً بأضرار طفيفة، وأتبع نيكسون ذلك بخطاب قال فيه: «لن تمنعني عصابة من السفاحين المشاغبين من الخروج والتحدث إلى الشعب الأمريكي...».

لقد كان تهجم متظاهري سان خوزيه وقذائفهم، من الأشياء التي بدت على أنها حقيقية بما فيه الكفاية. ومع ذلك فقد تشكك بعض الصحافيين بأنها

كانت «تركيبة مدبّرة»، وأكد رئيس شرطة المدينة أن «ما وصف بأنه شغب كان شيئاً مبالغاً فيه».

وبعد أربع وعشرين سنة، مع طبع مذكرات هالدمان، جاء التأكيد أن نيكسون كان هو الذي سعى بنفسه إلى الاضطرابات. فقد قال رئيس أركان نيكسون في شريطه المسجل ذلك المساء: «كنا نريد مواجهةً ما. ولم يكن هناك مشاغبون في القاعة، وهكذا ماطلنا في المغادرة قليلاً كي يتم تجميعهم في الخارج... فصنعنا حادثاً ضخماً، وعملنا بجهد شاق على نفخه وتكبيره...».

وقبل وقت قصير من محادثة «السفاحين» المسجلة على أشرطة البيت الأبيض، بدا أن الرئيس، الذي هو من طائفة المرتعدين، قد فقد صبره مع محتج من طائفة المرتعدين، يدعى مونرو كورنيش، وهو معلم مدرسة من ميريلاند، ومرشح سياسي غريب الأطوار، كان يقف في يقظة مطولة من أجل السلام، في حديقة لافاييت على مرأى من نوافذ البيت الأبيض المطلة عليها. وقد نصب لافتة طولها عشرة أقدام (أي مايقرب من ثلاثة أمتار ونصف)، وأرسل نيكسون طلباً له بأن ينزلها. وقال دوايت شابان، وزير التعيينات، لزميل له إنه «سيرسل بعض السفاحين لإبعاد ذلك الرجل... قد يستغرق تجميعهم بضع ساعات، ولكنهم يستطيعون تنفيذ المهمة».

غير أنه لم تكن هناك حاجة للسفاحين: فقد ابتعد ذلك الرجل مسافة قصيرة، بعيداً عن خط رؤية الرئيس، بعد أن تلقى إنذاراً من الشرطة. وفيما بعد، تم اقتحام مقر قيادة طائفة المرتعدين في واشنطن ونهب. فكانت تلك الواقعة واحدة من عدة حالات اقتحام، لم يلاحظها أحد في غمرة الهياج، الذي أحدثته فضيحة ووترغيت. وقد ترك المقتحمون الأشياء الثمينة فلم يمسوها، ولكنهم عبثوا بالملفات.

وفي سنة 1971 كذلك، عندما كان من المقرر أن يظهر نيكسون في يوم

مخصص لبيلي غراهام في شارلستون بولاية كارولاينا الشمالية. أرسل أحد رجال الاستطلاع المسبق من هناك مذكرة تلخص الوضع إلى هالدمان. فقال ذلك المساعد إنه سيكون هناك متظاهرون «. . . سيكونون عنيفين؛ وسيرفعون شعارات شديدة البذاءة. . . ولن تكون موجهة إلى الرئيس وحده، بل كذلك إلى بيلي غراهام. . . وإن دائرة شرطة شارلوت قاسية ومتشددة للغاية. وقد تستخدم القوة لمنع أي مشاغبة من التشويش على الموكب، أو على تحركات الرئيس».

وإلى جانب السطر الذي يحذّر في المذكرة من أن الاحتجاج سيكون عنيفاً، كتب هالدمان بخط يده كلمة «جيد»، وخربش كلمة «عظيم!» إلى جانب التنبؤ بأن العنف سيكون موجهاً إلى غراهام أيضاً. ثم ظهرت كلمة «جيد» مرة أخرى إلى جانب التوقع، أن الشرطة المحلية ستستخدم القوة.

غير أن الاجتماع تم في الواقع دون أي عنف يذكر. ولكن اكتشاف تلك المذكرة قد أذهل لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ. فتساءل السناتور لويل ويكر: «ما هي هذه العقلية في البيت الأبيض التي لا تتورع عن الاشارة بكلمة «جيد» عند ذكر «العنف» وعند ذكر «البذاءة» عندما يكون «العنف» والبذاءة موجهاً [هكذا وردت، رغم أن الصحيح هو «موجهين»] إلى رئيس الولايات المتحدة؟».

وعندما ظهرت الخطوط العامة بشكل مقتضب ومتقطع لهذه الإساءات، قدمت كاتبة العمود الصحافي ماري ماكغوري انطباعها الشخصي عنها. فأعربت عن اعتقادها بأن نيكسون «يبدو شبيهاً بملك فاقد لعقله، وبعيد عن الواقع، يدعو مستمطراً الانتقام على أعدائه. . . وهو رجل غير قادر على تحمل أعباء الرئاسة، بقدر ما هو غير جدير بها».

إن نظرة حادة قاسية إلى السجل، تثير أسئلة خطيرة عما إذا كان نيكسون متوازناً بشكل كافٍ أو مستقراً عاطفياً بشكل كافٍ، ليكون رئيساً.



27

أكان نيكسون «مريضاً في عقله»؟... إنني أتفق مع كبير مساعدي نيكسون الذي استنتج بأن الرئيس كان يعاني من خلل عقلي سبق ووترغيت بزمن طويل.

جون أوزبورن في مجلة **النيوريبابليك**، 1975.

كان روبرت ر. هالدمان قد تساءل حتى قبل أن يتولى نيكسون منصب الرئاسة: «ماذا نفعل به؟ إنه يعرف أنه بحاجة إلى الراحة، وهكذا ينزل إلى فلوريدا. وهو يحب السباحة، وهكذا فإنه يسبح عشر دقائق وينتهي الأمر. . . . وليس له هواية. وأفضل استراحة عنده هي الحديث عن عمله، ولكنه يعلم أنه ينبغي عليه أن لا يفعل ذلك، لأنه لا يبدو مرتاحاً. فماذا نفعل به؟ إنها مشكلة».

وكان كبار المساعدين قد لاحظوا التوتر في نيكسون منذ زمن مبكر. فحتى عقد مؤتمر صحفي، كما لاحظ كيسنجر، كان يتركه «مرهقاً ناضباً إلى درجة أنه كان يتجنب التوتر بعده أياماً. . . . ذلك أن الجهود الدائبة، وخاصة في القضايا الروتينية، كانت ترهقه جسدياً فتجعله عرضة لنزق شديد». وبعد أشهر فقط من تسنّمه سدة الرئاسة، عبر آرثر بيرنز سراً عن قلقه، بشأن كيفية تحمل الرئيس ضغوط المنصب في عمل، لعله من أكثر الوظائف تعرضاً للضغط في العالم كله.

وفي أواخر ربيع سنة 1969، كان نيكسون ـ كما قال بيرنز ـ «في مزاج من الإحباط. . . . غاضباً». فتحدث فترة كما لو كانت المشاكل التي يواجهها

كرئيس أكبر من أن تُحَلّ. ثم بدا أنه أخذ يتعافى واستذكر بيرنز: «لقد كنا قلقين عليه تماماً».

وفي الخريف، عندما جيء بالمساعد الجديد، جيب ماكغرودر للالتقاء بنيكسون عند انضمامه إلى الموظفين، أفزعته الطريقة التي كانت ترتجف بها يدا رئيسه الجديد. وتذكر ماكغرودر أنه عندما شرب نيكسون القهوة، «كانت هناك طقطقة محرجة من ارتجاف الفنجان على الصحن».

وقبل ذلك بسنوات، كان نيكسون في كتابه **ست أزمات،** قد كتب عن الحاجة إلى ممارسة ضبط النفس، وإبقاء البواعث والدوافع تحت السيطرة بإحكام. غير أن الذين راقبوه عن كثب في أوائل أيام رئاسته، رأوا ومضات علنية وسرية من الثورة الجامحة المشاكسة فيه. وقد تذكر كيسنجر رد فعل نيكسون عندما علم أن الدبلوماسيين وموظفي وكالة المخابرات المركزية، لا يطيعون التعليمات على الفور: «انفجر في غضب هائل. وفي ليلة 23 نيسان / إبريل سنة 1970، اتصل بي هاتفياً مرات لا بد أنها وصلت إلى عشر على الأقل... وكما هي عادته عندما يكون مهتاجاً للغاية، فإنه ينبح صارخاً بأمر ثم يغلق السماعة في الحال... وفي هذه الظروف كان من الحكمة الامتناع عن المناقشة والانتظار أربعاً وعشرين ساعة لرؤية الأمر الذي سيصرّ عليه بعد أن يهدأ.

إن ما كان كيسنجر يراه في نيكسون، كما تشير أدلة متواترة، هو رئيسٌ للولايات المتحدة يفقد الإحساس بالتناسب، والاتزان العاطفي، بينما هو يوجّه أحداثاً ذات أهمية عسكرية وسياسية عظمى.

وفي وقت مبكر من ذلك الشهر نفسه، شاهد نيكسون عرضاً خاصاً لفيلم **باتون،** الذي يصور فيه جورج سن. سكوت شخصيته ذلك الجنرال الشهير بنزعته العدوانية في الحرب العالمية ـ ودوره في غزو الحلفاء لألمانيا. وقد شاهد ذلك الفيلم مرة أخرى في غضون أسابيع، وأقنع كيسنجر بمشاهدته

مرتين. بل إن وزير خارجيته وليام روجرز قد اعتقد أن نيكسون، كان يتصرف وكأنه «دعاية لذلك الفيلم تمشي على قدمين»، في وقت كان يستعد فيه لتوجيه ضربة خاصة به: هجوم للقوات الأمريكية داخل كمبوديا.

وقد اتخذ قرار الغزو في أواخر نيسان / إبريل سنة 1970 في جو من الفوضى، والازدراء، والضراوة في البيت الأبيض. فبعد اجتماع مع الرئيس قال كيسنجر لموظف عنده، يدعى وليام واطس: «لقد أفلت زمام رئيسنا الذي لا يعادله أحد».

وفي اليوم نفسه طلب كيسنجر من واطس أن يتنصت على محادثة مع نيكسون. فوجد واطس نفسه يستمع إلى حوارٍ مخزٍ. «كانوا على متن طائرة مروحية متجهة إلى كامب ديفيد، ونيكسون يتحدث إلى هنري بصوت فيه غمغمة كأنه صوت شخص مخمور أكثر من اللازم. فقال: انتظر، لدى بيب شيء يريد أن يقوله لك؟ ثم جاء صوت ريبوزو ليقول: «يا هنري إن الرئيس يريدك أن تعرف أنه إذا لم ينجح ذلك، فإن العقوبة ستقع على مؤخرتك».[1]

ويشير مَحْضَرٌ كتبه إيرليكمان في اليوم التالي، إلى نوع من الحافز الخسيس الوضيع، وراء المبادرة بغزو كمبوديا. فقد تحدث كيسنجر بالهاتف، كما لاحظ إيرليكمان ليقول، إن «دلالة قيادة نيكسون ضعيفة جداً، وهو لا يكسب على الصعيد المحلي ـ ويحتاج إلى ضربة جريئة. . . .» كانت انتخابات منتصف ولايته على بعد بضعة أشهر. وأي نجاح سيساعد الجمهوريين.

كان مجلس الشيوخ قد جَبَهَ نيكسون بالرفض للمرة الثانية في ذلك

---

(1) إن البند الخاص بيوم 24 نيسان / إبريل في مفكرة هالدمان اليومية يؤكد أن نيكسون وريبوزو كانا معاً في الطريق إلى كامب ديفيد جواً، وفي اليوم الذي ذكره واطس. وقد اعترض ثلاثة مساعدين ـ هم وليام واطس، وروجر موريس وآنطوني ليك (الذي صار فيما بعد مستشاراً للرئيس كلينتون لشؤون الأمن القومي) ـ على عملية كمبوديا. واستقالوا عندما تم تنفيذها. (رحلة كامب ديفيد: **مذكرات هالدمان**، ص 145؛ استقالة الموظفين: كيسنجر، **سنوات البيت الأبيض**، مصدر سبق ذكره، ص 293 وما يليها؛ مقابلات مع وليام واطس.

الشهر، فلم يوافق على اختياره لقاضٍ جديد في المحكمة العليا. وصدر الأمر لوليام واطس، مرة أخرى، بالاستماع على تمديدة للخطّ، فأفزعه أن يستمع إلى الرئيس، وهو يتحدث عن خطة كمبوديا بطريقة يريد بواسطتها أن يغيظ مجلس الشيوخ. فقال لكيسنجر: «إننا ذاهبون إلى كمبوديا، وسوف أُرِي أولئك الشيوخ الداعرين من هو الصلب».

كان نيكسون قد أخبر كيسنجر بقراره غزو كمبوديا، بينما كان يسبح في بِرْكَةٍ في كامب ديفيد. ثم طارا عائدين إلى واشنطن، ليقوما بجولة في اليخت الرئاسي **سِيكوْوُيَا** . واستذكر كيسنجر أن «توترات التخطيط العسكري الشرس المقيت، قد تحولت إلى إبتهاج بالمنعشات السائلة إلى درجة من الوطنية الخرقاء عندما تقرر أن يقف الجميع بانتباه، بينما كان اليخت سيكوويا يمرّ بجبل فيرنون، وهو إنجاز لا يستطيع كل شخص أن يحققه بنجاح مماثل». وشاهد نيكسون فيلم **باتون** مرة أخرى في ذلك المساء، وقيل إنه شاهده خمس مرات في المجموع.

وفي اليوم التالي صدر التوجيه بالهجوم داخل كمبوديا. ووقّع الرئيس على الأمر مرتين، مرة بعنجهية إمبراطورية بالحرفين الأولين من اسمه: س. ن. ثم باسمه الكامل. وبعد ذلك بثلاثة أيام سهر طول الليل يركّب بعناية شديدة خطاباً تلفزيونياً لإعلان الغزو. وأثناء إذاعة هذا الخطاب غمغم كلماته بطريقة غير مفهومة، وعلاه العرق وهو يتحدث عن موقف أمريكا الجريء ضد«قوات النزعة الشمولية والفوضى». وضخم نيكسون دوره «كقائد عام» وركز عليه.

أما الرد الشعبي على الخطاب، والذي قيل بأنه كان مؤاتياً على نحو كاسح، عند قياسه بعدد المكالمات الي وردت إلى البيت الأبيض، فقد اتضح أنه مصطنع إلى حد كبير، على أيدي رجال العلاقات العامة التابعين للرئيس. وأما العمل العسكري على الأرض، والذي غطاه مؤلف هذا الكتاب كصحافي لهيئة الإذاعة البريطانية، فإن نتائجه كانت مثار تساؤل، على الأقلّ.

وقد استذكر الجنرال ويستمورلاند، رئيس أركان الجيش، اجتماعاً في البنتاغون في اليوم الأول من المعارك فقال: «كانت حماسة الرئيس المنفلتة من عقالها، وتوقعه الواضح لنتائج باهرة يتطلبان شيئاً من التعديل كي يتلاءم مع الحقيقة».

وكان الاحتجاج على الغزو فورياً تقريباً. وقال نيكسون دامعاً وهو يتعاطى كؤوس الويسكي مع أحد مساعديه: «إن الجميع يسيئون فهمي». وبدا أنه يعرف أن شكله هشّ، إذ أنه استدعى الدكتور هتشنيكر في ذلك الأسبوع، وهو المعالج النفسي الذي كان يستشيره قبل وصوله إلى الرئاسة.

ولم يكن هتشنيكر، الذي قيل إنه قلق من كون مريضه ليس بالرجل المناسب لوضع إصبعه على الزرّ النوويّ، وأنه قد لا يتماسك جيداً تحت الضغط، قد رأى نيكسون كثيراً منذ أن صار رئيساً. فقد قيل إن هالدمان وإيرليكمان قد أوقفا زياراته. ولم يكن الطبيب قد حظي بمقابلة نيكسون سوى مرة واحدة، لمناقشة الجرائم العنيفة، وأفكاره المثالية حول الكيفية التي تستطيع بها الولايات المتحدة أن تحقق السلام العالمي.

أما الآن، فقد تم إدخال هتشنيكر سراً، ودون الاضطرار إلى التوقيع على سجل البيت الأبيض، كي يجتمع مع الرئيس. ولم يدرك الطبيب أن نيكسون يريده هذه المرة من أجل استشارة طبية، فانطلق بدلاً من ذلك في إعلان ملحاح عن خططه للسلام العالمي.

وشعر الطبيب أن علاقته «الحميمة القديمة» مع نيكسون غائبة في ذلك اليوم. وأنصت الرئيس برهة. ثم أنهى الاجتماع باقتضاب مفاجئ. وبعد يومين، ووسط موجة من الاحتجاج غمرت الأمة، وبينما كان البيت الأبيض تحت حصار فعلي، سُمِعَتْ أصواتُ مساعديه يناقشون وضع رشاشات على المرج الأخضر للبيت الأبيض، دعا نيكسون إلى مؤتمر صحفي. وبدا متماسكاً

رابط الجأش بشكل كافٍ، وهو يدافع عن سياسته في فيتنام، رغم أن كيسنجر قد اعتقد أنه كان في الحقيقة «على حافة انهيار عصبي».

وكان لدى نانسي ديكرسون، مندوبة شبكة تلفزيون NBC سبب لتذكر تلك الليلة. فقد تذكرت الطريقة التي بحلق فيها نيكسون، عندما طرحت عليه سؤالاً ثاقباً موجهاً ضد سلوكه: «لقد انتابني شعور غريب بأنه كان يودّ لو يصفعني». ثم تغير مزاجه وتعبير وجهه على حين غرة، وقد يبدو ذلك سخيفاً وغريباً، ولكنه بدا كأنه شرع يغازلها.

وبعد الواحدة صباحاً، بينما كانت ديكرسون وزوجها نائمين في فراشهما، رن جرس الهاتف. وكان المتكلم هو نيكسون، فبدأ المحادثة بقوله: «هنا دِكْ»، ثم راح يتذمر من الطريقة التي سار بها المؤتمر. وقال إنه يتساءل عن ماهية مشكلة أجهزة الإعلام. ثم قال بلهجة كئيبة: «أنا أفضل شيء لديهم. فأنا الرئيس الوحيد عندهم». ثم تحدث عن الطلبة المحتجين، ثم سأل ديكرسون عما إذا كانت ستحضر الصلوات، التي ستقام في كنيسة البيت الأبيض في عطلة ذلك الأسبوع. وعندما قالت له إنها لم تتلَقَّ دعوة لذلك، تركتها لهجة جوابه قلقة مرتبكة.

فقد قال لها بحماس: «آه! أستطيع الاهتمام بذلك». واعتقدت ديكرسون أن ذلك الحماس كان مناسباً أكثر، لو أنه كان يعلن عن قدرته على قصف هانوي. . . كان يشبه ولداً صغيراً يتباهي بقدراته البدنية». ثم قالت لزوجها بعد انتهاء المكالمة: «لم يكن ذلك الرجل مخموراً، ولكنني سأشعر براحة أفضل لو كان كذلك».

وكانت تلك المكالمة لديكرسون، واحدة من مكالماتٍ لم يقل عددها عن ست وأربعين مكالمة، قام بها نيكسون فيما بين التاسعة والنصف مساءً والثانية بعد منتصف تلك الليلة.

ويوضح سجل البيت الأبيض أن سبعاً من تلك المكالمات كانت لكيسنجر، وسبعاً لهالدمان، وواحدة لإيرليكمان، واثنتين لريبوزو، وواحدة لبات، وأخرى لتريشيا، وأربعاً لروز وودز. وتلقى كل من الواعظين بيلي غراهام ونورمان فنسنت بيل مكالمةً كل على حدة.

وبعد تلك الفورة من المكالمات نام نيكسون ساعة وربع ساعة بعمق، كما قال في مذكرة لهالدمان بعد ذلك ببضعة أيام. ثم ذهب إلى غرفة جلوس لينكولن، المجاورة لغرفة نومه، كي يستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية. وحرص على أن يحدد في مذكرته، أن اختياراته تضمنت «تسجيلاً لأورماندي مع عزف إنتريمون على البيانو والأوركسترا لمختارات من تأليفِ رحمانينوف». وبعد ذلك أيقظ عدداً آخر من الناس. بمكالماته الهاتفية، استدعى خادمه الخصوصي، مانولو سانشيز. وبعد ذلك بدقائق أذهل عملاءَ الشرطة السرية بإيقاظهم من النوم، ليرافقوه في إحدى جولاته التي صارت أسطورية، وهي زيارته لنصب لينكولن عند الفجر للتحدث مع المحتجين.

وكان نيكسون قد أخبر هالدمان منذ زمن طويل، أنه لا يريد أي علاقة مع «نماذج الهيبيين من طلبة الكليات».[2] غير أنه كان قد ذكر لنانسي ديكرسون في مكالمته الغريبة معها في تلك الليلة، أنه سيذهب ليرى الطلبة المحتجين. وقال لها بإلحاح: «إنني أحب أولئك الأولاد، أحبهم حقاً». وبينما كان شَفَقُ الصبح الأحمر يزحف في كبد السماء عند الفجر، خرج رئيس الولايات المتحدة وخادمه سانشيز من الليموزين، وصعدا الدرجات المؤدية إلى تمثال آبراهام لينكولن، الغارق في التفكير.

---

(2) بعد أن زار نيكسون فيتنام في تموز / يوليو سنة 1969، حيث أعجبه أداء القوات، أمر هالدمان أن «يمتنع امتناعاً مطلقاً عن إدخال الهيبيّين من نماذج طلبة الكليات لرؤيته مرة أخرى». (مذكرات **هالدمان**، ص 77).

كانا على بعد أمتار قليلة من المكان الذي يقف فيه اليومَ النصبُ التذكاري الرخامي الأسود لضحايا أمريكا في فيتنام، وهو نصب قدر لنيكسون في شيخوخته أن يصفه باستخفاف، بأنه «حزين وفيه حداد أكثر من اللازم»، وأنه يرفض زيارته. وبعد أن طاف مع سانشيز في جولة مختصرة، مشى إلى حشد من الناس كانوا يتجمعون استعداداً للاحتجاج على الحرب في ذلك اليوم.

وفي وقت لاحق، في المذكرة إلى هالدمان ـ مع التفكير باحتمال تسربها لتشكل قصة في الصحافة ـ قدم نيكسون روايته «عما حدث بالفعل» عند تمثال لينكولن. فوصف حديثاً جدّيّاً اتسعت مجالاته وتشعبت. ولكن الطلبة الذين استشهدت الصحف بأقوالهم في اليوم التالي، لم يكونوا قد أُعجبوا بذلك الحديث.

فقالت جون بيلِتْييهْ، وهي طالبة في العشرين من عمرها في السنة الثانية بجامعة سيراكيوز: «آمل أن يكون حديث نيكسون ناجماً عن شعوره بالتعب والإرهاق. ولكن معظم ما قاله كان سخيفاً. فقد جئنا من جامعة تقليدية تماماً، متشنجة غاضبة، وكنا مضربين. وعندما أخبرناه عن مكان قدومنا، راح يتحدث معنا عن فريق كرة القدم. وعندما قال له بعضهم إنه من كاليفورنيا، حدثه عن ركوب زَبَدِ الأمواج».

وقد أفزعت البعضَ طريقةُ نيكسون كما أفزعهم ما كان يقوله، فقالت لين شاتزكين، من جامعة سيراكيوز أيضاً: «إنه لم ينظر إلى أي واحد منا في عينيه. وكان يغمغم بصوت غير مفهوم، وعندما طلب منه البعض أن يوضح كلامه، كان يجأر مزمجراً بكلمة واحدة لا يزيد عليها. أما تركيب جمل مفيدة كاملة، فلم يكن هناك شيء منه».

ولاحظت بيلِتيْيه: «كان يبدو كمن يرتدي قناعاً. وكان قد عفّر وجهه بالمساحيق. وكان يبدو خائفاً وعصبياً وكأنه وسط الضباب. وكانت عيناه

زجاجيّتين».[3] وقالت رفيقتها روني كيمبر: «كانت النبضات الراعشة في الهواء مخيفة».

ومن استذكار مكالمة نيكسون في تلك الليلة، فهمت نانسي ديكرسون ما كان يقصده الطلبة، فقالت: «إن كان قد تحدث إلى الطلبة بالطريقة التي تحدث بواسطتها إليّ، فقد كان الطلبة على حق في أن يشعروا بالمفاجأة، وحتى بشيء من الخوف». كانت تعتقد أن نيكسون يعاني من «اهتزاز في شخصيته».

وتوقف الرئيس مرة أخرى في جولته الغريبة تلك. كان إيجيل كروف، مساعد البيت الأبيض المستوحد البالغ من العمر ثلاثين سنة، قد انضم إلى مجموعة الرئيس عند النصب التذكاري، محتفظاً بمسافة بينه وبين نيكسون، الذي كان قد طلب تحديداً بأن لا يصحبه سوى خادمه الخصوصي وحرسه من الشرطة السرية. وكان قد لحق به في سيارة أخرى، عندما طلب نيكسون من سائق «ليموزينه» أن يتجه به إلى مبنى الكابيتول.

كان ذلك اليوم هو السبت، والساعة لم تبلغ السادسة صباحاً بعد. وقد استذكر كروف سنة 1997: «ذهبنا إلى مجلس النواب. وكانت هناك خادمة نهاريّة، هي امرأة سوداء كبيرة السن تمسح الأرض. فأخذ نيكسون يحدثها عن الإنجيل. وكانت تحمل إنجيلها معها. وأعتقد أنه وقّع لها عليه. وتحدث معها عن أمه قائلاً: «كانت أميّ قديسة».

ثم بعد أن استدعى بواباً ليفتح له باب غرفة المجلس، توجه إلى المقعد الذي كان يحتله، وهو نائب شاب في الأربعينيّات. وبينما كان كروف، وطبيب البيت الأبيض، والتر تكاش، وموظفو الشرطة السرية واقفين جانباً، طلب نيكسون من خادمه أن يصعد إلى كرسي رئيس مجلس النواب ويلقي خطاباً.

(3) من المفروض أن اللمسات التجميلية كانت قد وضعت من أجل الظهور في المؤتمر الصحافي في مساء اليوم السابق.

وقال كروف: «راقبتُ ذلك المشهد، ريتشارد نيكسون، مرهقاً، على وجهه آثار الضنى، مثل رجل يُسَيِّره ارتفاع الآدرينالين... جالساً هناك وحده، يأمر الخادم: «يا مانولو، قل شيئاً!». وقد شعر مانولو بالحرج ـ وكان رجلاً محبباً لطيفاً ـ ولكنه حاول بالفعل أن يتحدث قليلاً. وبدأ نيكسون يصفق ودوّى صدى تصفيقه في القاعة. وأقول لك إنني في تلك اللحظة لم أعد أدري ما الذي يحدث... وماحقيقة ذلك الأمر. فقد بدا كل شيء غريباً.... ولقد شككت فعلاً باستقراره العقلي.».

وبعد انتهاء زيارة المجلس، «انزعج» نيكسون لعدم قدرته على دخول غرفة مجلس الشيوخ. ثم ظهر هالدمان، فعاد الجماعة كلهم إلى الليموزين. وأصرّ نيكسون على التوقف للإفطار. فكان ذلك لحماً مفروماً فوق بيضة في فندق مِيفْلوارْ. ولاحظ هالدمان في مفكرته أن ذلك كان «شديد الغرابة. فقد كان الرئيس منهكاً تماماً، ومع ذلك يستمر في التجوال والثرثرة».

وبعد ذلك، عندما بدأ المتظاهرون يملأون الشوارع، أصر الرئيس على العودة إلى البيت الأبيض مشياً على الأقدام. وتذكر كروف: «ظل الرئيس يمشي، والسيارة تتحرك خلفه محاولة أن تبقى قريبة منه. فهمس هالدمان بصوت كالفحيح: «أوقفوه!» فأمسكت بنيكسون من ذراعه فسحب ذراعه ودمدم، ثم صعد إلى المقعد الخلفي في السيارة، التي أخذته إلى البيت الأبيض...»

ودوّن هالدمان في مذكرته ذلك اليوم: «هذا أغرب شيء حتى الآن. إنني قلق على حالته.... فلا يزال المشوار بعيداً، وهو ليس في حالة تمكنه من أن يعالج أزمة أخرى إذا نشأت لأن الوضع قد يكون قاسياً».

وهكذا تقرر إفراغ جدول أعمال نيكسون، وحمله إلى فلوريدا بأسرع ما يمكن. وكتب هالدمان: «إن هذه الفترة كلها من الأسبوعين المليئين بالتوتر والأزمة قد تركت أثرها.... فهو لم يحصل على ما يكفي من النوم. وهو

شديد العصبيّة». وقد اعتقد كيسنجر أن واقعة نصب لينكولن، لم تكن سوى القمة الطافية على السطح من جبل الجليد النفسي».

وبعد مرور يوم واحد على استراحة الأيام الأربعة، كان مساعد نيسكون ما يزال قلقاً. فسجل في مفكرته «إن عملية الاسترخاء غير آخذة في النجاح. . . .» وكتب في اليوم التالي: «المزيد من الشيء نفسه». وحسب رواية أحد زملاء الدكتور هوتشنيكر، فإن المعالج النفسي قد استدعي إلى كي بسكين في عطلة نهاية الأسبوع، بواسطة «مكالمة هاتفية عاجلة طارئة إلى منزله». بقصد «إعادة إلصاق القِطَع المبعثرة من شخصية نيكسون».[4]

كان الرئيس يبدو بعيداً عن الحقيقة. وأثناء وجوده في فلوريدا طلب من جين لوك، صديقة ريبوزو وزوجته في وقت لاحق أن تخيط له بعض الأشياء. ثم أقام حفلة صغيرة غريبة. وسجل هالدمان في مفكرته: «في طريق العودة بالطائرة استدعاني الرئيس. . . ثم إيرليكمان . . . وكيسنجر وقال إننا نحن الثلاثة قد تحملنا الوطأة العظمى أثناء هذه الأسابيع القليلة الماضية، وأننا

(4) إن خبر معالجة هتشنيكر لنيكسون في فلوريدا قد جاء من روبرت وينتر بيرغر، العضو السابق في إحدى جماعات الضغط، والذي كان يعرف هتشنيكر منذ عدة أعوام. وقد نفى الطبيب فيما بعد أنه قام بالزيارة، تماماً كما زعم أنه قد عالج نيكسون بصفته طبيب أمراض داخلية فقط. أما اليوم فلا حاجة لإعارة إنكار الطبيب كبير وزن، وقد جاء هذا الإنكار أثناء مثوله أمام الكونغرس سنة 1973، حيث وصف اتصالاته مع جيرالد فورد، الذي كان مرشحاً آنذاك لمنصب نائب الرئيس ليحل محل سبيرو آغنيو. وكان نيكسون ما يزال رئيساً في ذلك الوقت، ولو أن ووترغيت كانت تحاصره. وربما كان هتشنيكر يرى أن من الحصافة حماية علاقتهما. وكما هو وارد في هذا الفصل، فإن هتشنيكر قد اعترف منذ ذلك الحين أن نيكسون قد استدعاه سراً إلى البيت الأبيض بالفعل **قبيل** سلوكه الغريب أثناء الأزمة الكمبودية. وليس هناك سبب خاص للشك في أنه قد استشاره في فلوريدا أيضاً في الأسبوع التالي. وأخيراً فإن من الواضح من مقابلات المؤلف مع الطبيب أن جلساته مع نيكسون قد تجاوزت المعالجة الطبيعية لطبيب أمراض باطنية (وينتر ـ بيرغر حول فلوريدا: وينتر بيرغر، مصدر سبق ذكره، ص 257؛ إنكار هتشنيكر: شهادة هتشنيكر، تحقيقات لجنة القواعد والإدارة في مجلس الشيوخ، الكونغرس الثالث والتسعون، الجلسة الأولى، حول ترشيح جيرالد فورد لمنصب نائب الرئيس، 7 تشرين الثاني / نوفمبر 1973، ص 194؛ الاستدعاء سراً، جوناثان إيتكن، ص 404، نقلاً عن مقابلة مع هتشنيكر سنة 1991.

نستحق جائزة كالقلب الأرجواني [وسام يمنح لجرحى الحرب الأمريكيين]، وهكذا فإنه قد ابتكر جائزة جديدة، هي القلب الأزرق، لأولئك الذين هم صادقون في تميزهم. ثم أعطانا قطعاً من القماش الأزرق، خاطَتْها له جين لوك على شكل قلب، وقال إن علينا أن نبقي هذا التكريم سراً».

لم يَرْوِ نيكسون قصة واقعة القلب الأزرق هذه في مذكراته. وفي مذكرته إلى هالدمان آنذاك، ذكر حتى زيارته مع خادمه الخصوصي إلى مقر مجلس النواب. وحذف هذه الحادثة من سيرته الذاتية، ولعله أدرك أن القارئ سيجدها شاذة في غرابتها.

وبعد أقل من أسبوعين من فترة الراحة في فلوريدا، طار نيكسون إلى سان كليمنت. كان لا يزال «يتعافى من محنة» الدفاع عن قراره بغزو كمبوديا، كما استذكر كيسنجر، ويجد صعوبة في النوم. وبعد مكالمة هاتفية أخرى مع بيلي غراهام، طلب الرئيس من كيسنجر أن ينضم إليه في رحلة غريبة لافتة للنظر. واستذكر المستشار السابق:

> كان مصمماً على أن يريني، أنا وريبوزو مسقط رأسه في يوربالبندا. وهكذا انطلقنا في سيارة لينكولن مائلة إلى اللون البنيّ وخالية من أي علامة... ولم نستطع أن نشاطره العاطفة التي سيطرت عليه... وفجأة لاحظ نيكسون أن سيارتين قد لحقتا بنا؛ كانت إحداهما مليئة بموظفي الشرطة السرية، بينما احتوت الثانية على مندوبي الصحافة الواجب حضورهم... فقد كان ذلك إجراء نموذجياً قياسياً متبعاً.... ولكن نيكسون فقد رباطة جأشه كما لم أعهد فيه من قبلُ ولا من بعدُ على الإطلاق.
>
> لم يكن يريد صحبة أحد. كان هو الرئيس وكان يطلب الخلوة لنفسه. فأصدر أوامره بأعلى صوت، وكان ذلك بحد ذاته حدثاً غيرمسبوق إلى درجة أن سيارة الشرطة السرية انتهكت كل التعليمات الواردة في دليل عملها وغادرت، تتبعها سيارة ممثلي الصحافة.

وبدا على نيكسون شيء من الارتياح، وهو يُري ريبوزو وكيسنجر محطة

الغاز التي كان يشغّلها أبوه ـ فأخبرهما بقصة مزيفة عن كيفية فقدان عائلته، لكنز من النفط اكتشف على أرضها بعد أن باعتها[5]، وعن كليته الأمّ، كلية ويتيير. غير أنه عندما لم يستطع العثور على البيت الذي كان يعيش فيه في لوس آنجيلوس قبل ذلك بعقد من الزمن، عاد إلى «هياجه وعصبيته».

ومضى أكثر من أسبوع قبل أن يتمكن هالدمان من التسجيل في مفكرته، أن رئيسه قد «عاد إلى العمل بموجب جدول مليء تقريباً. . . . وإن ظلّ الاضطراب يجيش في داخله عموماً وسوف يهدأ بالتدريج لفترة، ثم نصبح جاهزين لتلقي الأزمة المقبلة. . .» ولكن لم تغب عن الإدراك والملاحظة حقيقة أن كل شيء لم يكن على ما يرام، وأنه لم يكن هناك سبب جسدي لتفسير سلوك نيكسون. ذلك أن قشرة السيطرة المفترضة لنيكسون على نفسه، التي اهتم بتغذيتها رجال العلاقات العامة العاملون عنده، راحت تتشقق.

وبينما هو في سانت كليمنت، نشرت وكالة آسوشييتد بريس قصة حول الفترة الطويلة ـ إلى حد لافت للنظر ـ التي كان يقضيها بعيداً عن واشنطن. ولاحظت هيلين توماس، العاملة في وكالة يونايتد بريس إنترناشنال، أن نيكسون كان خلال الأزمة الكمبودية «يبدو كرجل مصاب بالدوار والتشتت». واعتقدت نانسي ديكرسون أنه قد أصيب «بخلل عقلي»، وأخبرت رئيس مكتبها بذلك. غير أن رئيس المكتب، مثل معظم الصحافيين، لم يتابع القضية. إذ أنه لم يكن من المعقول نشر قصة تشير إلى أن رئيس الولايات المتحدة رجل غير مستقر.

ولكن مراسل مجلة **نيوريبابليك** في البيت الأبيض، جون أوزبون، كان استثناء. فقد كان واحداً من أكثر الصحافيين جدارة بالاحترام في واشنطن، وقد اقترب أكثر من أي شخص، وفي وقت مبكر، سنة 1970، من كتابة ما يؤمن به فعلاً.

---

(5) للاطلاع على القصة المزيفة عن اكتشاف النفط، انظر ص 22.

فقال: «إن أشياء لم يسبق لها مثيل في بيت نيكسون الأبيض، ظلت تحدث في أوائل أيار / مايو. بينما يستمر أتباعه. بالقول إن ذلك لا يعني شيئاً». ثم وصف «أمزجة نيكسون المتقلبة من الغضب والنشاط والخفّة»، وزلات لسانه الآخذة في التزايد بشكل متواتر، ولاحظ أن «عادة الموظفين في إنكار كون نيكسون يفقد هدوءه واتزانه أبداً، وأنه يحمّل نفسه ما لايطيق ولا تتحمله الحكمة المتعقلة التي انتهت فجأة، ولم تعد هي الشيء السائد أو المعمول به».

وعندما أجرى هنري براندون مقابلة مع الرئيس لصحيفة **الصانداي تايمز**، خلق نيكسون في بادئ الأمر «انطباعاً بأنه يشعر أنه فوق قمة العالم، وأنه مسيطر على الوضع». ومع ذلك فإن شيئاً ما في نيكسون أقلق براندون، الذي تذكر: «إن رفضه النظر إلى المرء في عينيه مباشرة قد أزعجني وضايقني. فقد كانت نظراته تتجه إلى الأمام مباشرة، أو إلى طية سترتي. . . وكانت عيناه باردتين تماماً، وكثيراً ما تنطلق منهما ومضات قاسية. ولم تكن له عملياً أية أهداب. وكان تحت جفنيه احمرار يدل على الإرهاق. وكان لدي كذلك شعور طيلة المقابلة، بأنه رجل يحاول أن يراقب نفسه باستمرار، ليعرف كيفية أدائه، وكيف يبدو لمستمعيه».

وعند التأمل في رئاسة نيكسون بعد ذلك بسنوات، قدر لأوزبورن أن يصرح علناً بما كان يلمح إليه تلميحاً على مدى زمن طويل. فكتب يقول: «حتى في سنوات رئاسته الأولى، فإن المراسلين الذين تابعوا نيكسون وراقبوه عن قرب مثلي، إنما فعلوا ذلك لأنهم في بعض الحالات غير البعيدة عن أعماق شعورهم الواعي، كان لديهم إحساس في أنه قد ينفجر ويتصرف بشكل غريب أمام أعينهم في أية لحظة».

كان الرئيس «يترك نفسه ينزلق عائداً إلى عادته القديمة» كما أسَّر هالدمان في مفكرته. وكانت تلك «العادات القديمة» أعراضاً أقلقته وإيرليكمان بعد

انتخابات سنة 1962 لمنصب حاكم كاليفورنيا: وهي الإعياء المقرون مع أرق مزمن، ومع مشكلة إدمانه على الكحول.

كان نيكسون يلقى مصاعب متزايدة في النوم. وعندما كان يقلقه نباح كلابه في الليل، كان يترك غرفة نومه الضخمة في البيت الأبيض، ليبحث عن الهجوع في الغرفة المخصصة لابنته جولي التي كانت متزوجة وكثيراً ما تكون خارج المدينة.

ولقد حدث فزع عندما قام نيكسون بزيارة رومانيا في وقت مبكر من أيام رئاسته. فبعد رحلة طويلة حول العالم، أوصلته طائرة السلاح الجوي رقم واحد إلى بوخارست، حيث لقي ترحيباً صاخباً. وكانت زيارته الأولى إلى بلد شيوعي، وهو في سدة الرئاسة في وقت من التوتر مع موسكو، ومحاولاته الأولى بجس نبض بيجينغ، تجري بنجاح لامع. فقد التقى بالدكتاتور الروماني نيقولاي شاوسيسكو الذي أعجب به نيكسون بطريقة مؤاتية للغاية. فدخن سيجاراً وأوى إلى فراشه وهو يشعر بالحماس.

ونحو الساعة الواحدة صباحاً، أجرى نيكسون مكالمة هاتفية مع كاتب الخطب ريموند برايس من غرفته. وكان صوته يبدو حماسياً «وكأنه يستطعم انتصاره ويستحم فيه» حسب اعتقاد برايس، الذي أضاف: «ثم عندما أنهيت إجابتي عن أحد أسئلته، لم أسمع منه رداً. وظل خط الهاتف مفتوحاً، غير أنه لم يعد هناك رئيس على الطرف الآخر، رغم أنني كنت أتحدث معه قبل ذلك بلحظة... فجأة اختفى صوت رئيس الولايات المتحدة».

وقبل ذلك الصمت المفاجئ، كان صوت نيكسون مبهماً ويكرر ذاته. وكان ذلك مشهداً تذكره برايس من أيام الحملات الانتخابية، عندما كان الصوت يتلاشى فجأة بسبب خليط من أثر البيرة وقرص التنويم. وشعر برايس بالقلق، فنبّه عاملَ مقسم الإشارات الهاتفية. وسرعان ما كان أحد الشرطة

السرّيّة يهرع إلى جناح الرئيس. فوجده مضطجعاً على مخدة، وقد غاب في النوم عن العالم، والسماعة متكئة على كتفه.

وكان الخطّ الذي يعتمده البيت الأبيض بشكل قياسي، هو الزعم بأن نيكسون لم يكن يشرب أكثر من رشفة من الشراب الخفيف بين الحين والآخر. ولم يكن ذلك صحيحاً، بل كان للكحول تأثيرات مفزعة عليه حتى عندما يشرب القليل منها. وكان الباحثون في المحفوظات الوطنية في السنوات اللاحقة، قد استمعوا إلى أشرطة البيت الأبيض، فوجدوا فيه اصواتاً متكررة لقرع كؤوس يتبعها حديث مغمغم متواصل وغير مفهوم.

وكان البعض يعرفون الحقيقة حتى أثناء رئاسة نيكسون. فقد استذكر هيوسايدي الذي كان يعمل بمجلة **لايف**: «تلقيت مكالمة ذات مساء، بعد أن كتبت قطعةً أعجبته عن فيتنام. فاتصل بي في الثالثة بعد الظهر وقال: «أريد فقط أن أقول لك إن هذه قطعة عظيمة». تعال إلينا في عطلة نهاية الأسبوع... إننا ذاهبون إلى جزر فيرجين، ... وكان واضحاً أنه مخمور، إذ أنه لم يكن يستطيع الكلام جيداً».

وكان بعض الموظفين الذين خدموا نيكسون مطلعين على المشكلة. فقال وليام سوليفان، نائب مساعد وزير الخارجية: «كان عرضةً للانفجار، ولا سيما في سياق أمسيةٍ يكون فيها قد تناول بضع كؤوس. فيتحدث بالهاتف مع [وزير الخارجية] بيل روجرز، أو مع شخص آخر ليقول له «أطرد هذا الرجل، وكان بيل يقول إن نيكسون كان ينسى هذا في اليوم التالي...».

واستذكر كيسنجر سنة 1999، أن كأسين من الشراب «كانا كافيين تماماً لجعله صاخباً، وكأساً آخر يجعله نازعاً للقتال أو عاطفياً مبهم الكلام. فكانت للكحول طريقة في تدمير الدفاعات التي يقيمها بحرص شديد لتمكينه من النجاح...».

ومن الصعب البتُّ فيما كان كيسنجر يعتقده حول هذا الموضوع وغيره. فقد كتب أن وقوع نيكسون تحت تأثير الخمر «كان نادراً، ويحدث دائماً أثناء الليل. ولم يكد يحدث على الإطلاق تقريباً في سياق قرارات كبرى. والقلة القليلة منا، ممن شهدوا منه مثل هذا السلوك لم يكونوا يعملون بما يقوله عندئذٍ أبداً؛ بل كنا نشعر أننا مدينون له بإعطائه فرصة ليعيد النظر، مهما كان الموضوع».

وكان كيسنجر قد قال أيضاً: إن وصف الآخرين لنيكسون بأنه يشرب حتى يفقد توازنه هي سخيفة. غير أن موظفي كيسنجر السابقين يشكّون في هذا التأكيد.

بل إن روجر موريس، أحد كبار المساعدين في مجلس الأمن القومي في وقت مبكر من رئاسة نيكسون، قال: إن كيسنجر كان يشير إلى نيكسون بعبارة «صديقنا المخمور». وكان موريس واحداً من حفنة من الموظفين المؤتمنين على تجميع ملاحظات كيسنجر في مفكرته اليومية. قال: «لقد حصلنا على لمحاتٍ من نيكسون وليرد، وروجرز، وكيسنجر أثناء العمل. فكان نيكسون يشرب بشكل استثنائي في الليل. وكانت هناك ليالٍ لا تستطيع الوصول إليه فيها في كامب ديفيد. . . . وكان يحدث مراراً كثيرة أن تصل برقية في وقت متأخر، فكان هنري يقول: «لا معنى لإيقاظه؛ لأنه سيكون غير واعٍ».

ولقد كتب بوب وودوورد وكارل برينشتاين، الصحافيان العاملان في **الواشنطن بوست**، واللذان كشفا فضيحة ووترغيت، أنهما علما عن مكالمة تحدث فيها الرئيس «وهو مخمور فأخبر الدكتور كيسنجر بالسياسة الڤيتنامية، لصديقه بيب ريبوزو. . . وأثناء مكالمة آخرى، ذكر كيسنجر عدد الإصابات الأمريكية في معركة كبرى بفيتنام، فأجابه نيكسون، آه، تبًّا لهُم؟».

وحسب رواية مصدر من الشرطة السرّية، فإن نيكسون فقد السيطرة على مزاجه في كي بسكين، أثناء محادثة عن كمبوديا. ونقل المصدر عن شاهد عيان

قوله: «لقد استشاط غضباً. كانوا في المسبح، جالسين حول البركة يتعاطون المشروبات. فأمسك نيكسون بالهاتف وصرخ «أقصفوهم بكل عنف».

وقال روجر موريس: «يبدو أن الناس الذين عرفوا بأمر الصوت المغمغم غير المفهوم، والليالي التي يصعب فيها الوصول إلى نيكسون، كانت لديهم سلسلة من الدوافع المتناقضة لالتزام الصمت. فقد قالوا لأنفسهم، إنها بعد كل شيء ليست سوى مشكلة عارضة. وكشفها قد يشجع على مغامرة متهورة يقوم بها السوفييت، أو عمل آخر ما كان ليحدث لولا ذلك الكشف، فالوطنية، والخشية، والإعجاب بعظمة نيكسون المحتملة، والخجل، والتخوف الشخصي، والرغبة في السلطة، كلها كان لها يدٌ في التواطؤ على اتفاق الصمت عن الجانب الآخر من ريتشارد نيكسون».

فعلى مدى سنوات كثيرة، كان كيسنجر لا يتحدث إلاّ لزملائه، وبشكل سري عن واقعة فظيعة معينة، حدثت في السنة الأولى من رئاسة نيكسون. إذ تبيّن مفكرةُ هالدمان أن آخر عطلة نهاية أسبوع في شهر آب / أغسطس سنة 1969 قد بدأت في وقت مبكر بالنسبة لنيكسون. كان قد أمضى في سان كليمنت ما يقرب من شهر، خصص قسماً كبيراً منه للراحة وإقامة الحفلات. وفي مساء يوم الجمعة، كان قد قضى ساعتين على الساحل مع ريبوزو، قبل أن يستضيف حفلة «للأصدقاء القدامى». وكان اليوم التالي عطلةً مخصصة لزيارة أخرى إلى الساحل، ورحلة للتفرج على مباراة لكرة القدم.

وفي تلك الأثناء، على بعد أكثر من سبعة آلاف ميل، في الشرق الأوسط، خطف فدائيون فلسطينيون طائرةً تابعة لشركة TWA على متنها أكثر من مئة راكب، وأرغموا قبطانها على الهبوط في دمشق. وكان الخاطفون يطالبون بإطلاق سراح رفاقهم في السجون الإسرائيلية.[6]

(6) يؤرّخ كيسنجر الاختطاف، خطأً، بأنه حدث يوم السبت. والحقيقة أنه حدث يوم الجمعة في 29 آب/ أغسطس، وهو يوم حفلة نيكسون (**النيويورك تايمز**، عدد 30 آب/ أغسطس، 1969).

وكان كيسنجر في كاليفورنيا في ذلك الوقت، فسارع إلى إحاطة الرئيس علماً بالوضع. فكان رد فعله، كما وصفه كيسنجر علناً لأول مرة بعد ذلك بثلاثين سنة، 1999، مفزعاً. واستذكر كيسنجر: «أبلغت نيكسون، الذي كان في سان كليمنت مع صديقيه تشارلس «بيب» ريبوزو وروبرت آبلانالب. فكان من الواضح أنه يريد أن يثير إعجاب صديقيه، فأصدر أمراً مقتضباً بلهجة فظّة: «اقصفوا مطار دمشق».

وحتى لو لم يكن ذلك الأمر متهوراً ومنافياً للمنطق، فإن عملية القصف ليست مجرد تنفيذ أمر مفاجئ، بل يجب تخطيط الأهداف، وتهيئة الإجراءات الدبلوماسية، واتخاذ خطوات كثيرة أخرى. ومن رحمة الله أنه لم تكن هناك حاملة طائرات، تقع العاصمة السورية ضمن مداها. فكان ذلك عاملاً ثبت أنه مساعد لكيسنجر في البتّ في كيفية الاستجابة لذلك الأمر.

كان كيسنجر متأكداً من أن الأمر «لن يظل ساري المفعول حتى نهاية تلك الليلة»، فعمل مع وزير الدفاع ليرد على إيجاد طريقة يعيقان بها تنفيذ أمر الرئيس، دون أن يبدو ذلك تمرداً وعصياناً في الوقت نفسه. «فقررت أنا وليرد أن ننفذ حرفية الأمر بتنفيذ الخطوات الأولى، وترك الإجراءات الأخرى حتى الصباح».

كانت حاملتا الطائرات الأمريكيتان المتمركزتان في الأبيض المتوسط هما **ساراتوغا و جون ف. كيندي**، فصدرت إليهما التعليمات بالإبحار تجاه موقع محتمل للإطلاق. ولكن لم تصدر لهما أية أوامر أخرى. وعندما جاء صوت نيكسون على الهاتف على نحو شديد المضايقة ـ إذ كان يتحدث مرة «كل ساعة» في تلل الليلة، هدّأ كيسنجر غضبه بتقارير عن تحركات الأسطول، بينما قام ليرد بدوره بمماطلة الرئيس بحجة أن الطقس السيئ كان يعيق العمليات.

وفي الصباح التالي، عندما أعلمه كيسنجر بتحركات الحاملتين، سأل نيكسونُ ببراءة: «وهل حدث أي شيء آخر؟» واستذكر كيسنجر: «وعندما

أجبت بالنفي، قال الرئيس دون أن تتحرك في وجهه عضلة واحدة: «حسناً» ثم لم أسمع منه كلمة واحدة عن قصف دمشق».

وكانت هناك حاجة إلى التذرع بحجة الطقس مرة أخرى بعد ذلك بسنة، عندما خطف الفلسطينيون عدة طائرات إلى الصحراء الأردنية. واستذكر ليرد: «وأراد الرئيس ضرب مدرج الطائرات في الأردن، فقلت: «أخبروا [البيت الأبيض] أن لدينا طقساً سيئاً، لأننا لم نكن نريد ضرب ذلك المدرج».

وبعد ذلك بعشرة أيام اندلع القتال بين الفلسطينيين وجيش الملك حسين. فكان ذلك نزاعاً يهدد بالانتشار، مع احتمال حدوث مواجهة أمريكية ـ سوفياتية. وقد استذكر نيكسون فيما بعد، ربما بشيء من المبالغة، أن تلك الفترة كانت مثل «لعبة دومينو مرعبة، تلوح في آخرها حرب نووية».[7] وفي سياق وقائع سابقة، فإن البند الخاص بيوم اندلاع الحرب في 17 أيلول / سبتمبر 1970، في مذكرة هالدمان يثير الاهتمام:

> «أيقظني ك. [كيسنجر] بمكالمة عند الثانية صباحاً، ليخبرني أن الحرب قد بدأت في الأردن... وهناك احتمال بأن تدخلها إسرائيل... وأراد ك. أن يتخذ موقفاً هو إخبار الرئيس الليلة والعمل على أساس أوامره. **واتفقنا على أنه ليست هناك حاجة لإخبار الرئيس، ولا حاجة لاتخاذ قرارات**... [التوكيد من المؤلف]».

وكان كيسنجر قد قال إن أوامر نيكسون «الدالة على القسوة والخشونة» كانت مألوفة في قضايا الشؤون الخارجية بصورة أقل منها في الميدان المحلي. وعلق على ذلك بقوله: «لقد كنت قادراً على التمييز بين ما كان يقصد تنفيذه على الفور، وما كان يستحق أن يعطى فرصة ليعيد النظر فيه».

---

(7) في كتاب **سنوات البيت الأبيض** يصف كيسنجر الواقعة بأنها أزمة كبرى. غير أن تحليله لا يحتوي على المعاني الإضافية الدالة على الإحساس بجائحةٍ كاسحةٍ كالتي انطوى عليها تشخيص نيكسون. فكتب كيسنجر يقول: «إن أكبر مشكلة مع موقف نيكسون هي كيفية منع الشجاعة من أن تتحول إلى تهوُّر والصلابة من أن تتحول إلى تبجّح». (كيسنجر، **سنوات البيت الأبيض**، مصدر سبق ذكره، ص 600).

إن فكرة وجود رؤوس باردة تهيمن على زمام الأمور مريحة. غير أنها تستدعي سؤالاً حول ما كان يحتمل أن يحدث، لو لم تكن مثل هذه الرؤوس الباردة موجودة. وقد قال أحد المصادر لجون أوزبورن، مراسل صحيفة **النيوريبا بليك**: «لم يكن ذلك يوماً مناسباً لحدوث شيء سيئ. أليس كذلك؟»، في أيار / مايو سنة 1970 عند الفجر وأثناء تجوال نيكسون على قدميه نحو النصب التذكاري لآبراهام لينكولن ومقر مجلس النواب. فبعد ذلك اليوم بأقل من أسبوعين، وهو اليوم الذي نتذكره الآن بفتح العلاقات مع الصين، ردّ الرئيس بشكل عنيف ومتهور، على نداء وجهه ماوتسي تونغ لشعوب العالم، بأن «تتحد لتدحر المعتدين الأمريكيين وكل كلابهم السائبة».

ورغم أن نداء الرئيس الصيني لم يكن سوى هجوم دعائي، فقد أمر نيكسون جميع قوى البحرية المتاحة، أن تتوجه إلى مضيق تايوان، دون انتظار تحليل كيسنجر. وحدد في أمره «أشياء تبدو كأنها حربية. أريدهم أن يعرفوا أننا جادون ولا نلعب لعبة عض الأصابع هذه. . . . أريدك أن تتصل بمور (رئيس العمليات البحرية)، وتقول له إن هذا أمر من القائد العام. . . ولا رجعة فيه. أريدهم أن يكونوا هناك في غضون 24 ساعة».

وبعد ذلك بسنوات، قدر لكيسنجر أن يقول إن هذا كان أيضاً، «واحداً من تلك الأوامر التي اعتاد مساعدوه المقربون على تمييزها، كأوامر تقتضي المصلحةُ العامةُ تأجيلَ تنفيذها أربعاً وعشرين ساعة». فلم يتخذ أي إجراء. «وعاد نيكسون عن تفكيره» المندفع فيما بعد وتعقّل.

ولقد دمدم كيسنجر لمساعديه أكثر من مرة: «لو سمحنا للرئيس أن ينفذ ما يريد لوقعت حرب نووية في كل أسبوع!» وقد تكون هذه الملاحظة دعابة فارغة، وقيل بأن جورج كارڤر، أعلى متخصص بشؤون فيتنام في وكالة المخابرات المركزية، قال إنه في سنة 1969، عندما أسقط الكوريون الشماليون طائرة تجسس أمريكية، «بلغ من سخط نيكسون أنه أمر بتوجيه ضربة نووية

تكتيكية. . . وتم إنذار رؤساء هيئة الأركان المشتركة، وطُلِبَ منهم أن يحددوا أهدافاً للتوصية بضربها. ولكن كيسنجر تحدث معهم بالهاتف. فوافقوا على أن لا يفعلوا شيئاً حتى يفيق نيكسون من سكرته في الصباح»[8].

وكما ذكر آنفاً، فإن كيسنجر كان قد كتب عن كون نيكسون، قد «كبت غريزته الدافعة إلى استجابة دامية»، بعد إسقاط الكوريين الشماليين طائرة التجسس، ولكن دون أن يذكر الخمر كواحد من عوامل تلك الواقعة. غير أن زميل كيسنجر المقرب، لورانس إيغلبرغر قال لصديق له في الأسبوع التالي وهو منزعج بشكل ظاهر: «كان الرئيس يشتم ويهذي وهو مخمور، في وسط أزمة عاصفة».

ولـم يكـن هـذا الإدعاء بالذات بعبث نيكسون بالسلاح النووي شيئاً منعزلاً. فقد كان نيكسون منفتحاً على استخدام الأسلحة النووية التكتيكية في فيتنام منذ وقت مبكر، منذ سنة 1954. وعندما صار رئيساً، فكر في توجيه «ضربة تنهي الحرب وتكسبها في الوقت نفسه». وكان ديفيد يونغ، مساعد كيسنجر الذي انتقل إلى البيت الأبيض، قد أخبر زميلاً له عن الوقت الذي [استمع] فيه على الهاتف، بينما كان كيسنجر ونيكسون يتحدثان ونيكسون مخمور، فقال: يا هنري، إن علينا أن نضربهم بالقنابل النووية».

وكان لمواقف نيكسون العدوانية أثر مساوٍ لذلك، إن لم يكن أكبر منه،

(8) لقد عمل المرحوم جورج كارفر كمساعد لثلاثة من مدراء وكالة المخابرات المركزية، وكذلك في «مجموعة واشنطن للأعمال الخاصة» التي شكّلها كيسنجر، وهي لجنة فرعية لإدارة الأزمات تابعة لمجلس الأمن القومي الأمريكي. أما تعليقاته على واقعة نيكسون المخمور فإن الذي ينسبها إليه هو مسؤول المخابرات الأسبق باري تول، الذي صار قريباً من كارفر أثناء تحقيقات الكونغرس في قضايا أسرى الحرب والمفقودين في معارك الحرب الفيتنامية (كارفر: كيسنجر، **سنوات البيت الأبيض**، ص 1182، وانظر ص 183، حول الإشارة إلى مجموعة واشنطن للأعمال الخاصة [**النيويورك تايمز**، عدد 30 حزيران/ يونيو، 1994]؛ تول: إفادة باري تول في 14 حزيران/ يونيو، 1992، أمام لجنة مجلس الشيوخ المنتخبة لقضايا أسرى الحرب والمفقودين في المعارك، .C.I.S رقم H.381-894، ص 94 وما يليها؛ إفادة باري تول، 2 آب/ أغسطس 1994، المقدمة إلى المؤلف).

تكتيكية. . . وتم إنذار رؤساء هيئة الأركان المشتركة، وطُلِبَ منهم أن يحددوا أهدافاً للتوصية بضربها. ولكن كيسنجر تحدث معهم بالهاتف. فوافقوا على أن لا يفعلوا شيئاً حتى يفيق نيكسون من سكرته في الصباح». [8]

وكما ذكر آنفاً، فإن كيسنجر كان قد كتب عن كون نيكسون، قد «كبت غريزته الدافعة إلى استجابة دامية»، بعد إسقاط الكوريين الشماليين طائرة التجسس، ولكن دون أن يذكر الخمر كواحد من عوامل تلك الواقعة. غير أن زميل كيسنجر المقرب، لورانس إيغلبرغر قال لصديق له في الأسبوع التالي وهو منزعج بشكل ظاهر: «كان الرئيس يشتم ويهذي وهو مخمور، في وسط أزمة عاصفة».

ولم يكن هذا الإدعاء بالذات بعبث نيكسون بالسلاح النووي شيئاً منعزلاً. فقد كان نيكسون منفتحاً على استخدام الأسلحة النووية التكتيكية في فيتنام منذ وقت مبكر، منذ سنة 1954. وعندما صار رئيساً، فكر في توجيه «ضربة تنهي الحرب وتكسبها في الوقت نفسه». وكان ديفيد يونغ، مساعد كيسنجر الذي انتقل إلى البيت الأبيض، قد أخبر زميلاً له عن الوقت الذي [استمع] فيه على الهاتف، بينما كان كيسنجر ونيكسون يتحدثان ونيكسون مخمور، فقال: يا هنري، إن علينا أن نضربهم بالقنابل النووية».

وكان لمواقف نيكسون العدوانية أثر مساوٍ لذلك، إن لم يكن أكبر منه،

(8) لقد عمل المرحوم جورج كارفر كمساعد لثلاثة من مدراء وكالة المخابرات المركزية، وكذلك في «مجموعة واشنطن للأعمال الخاصة» التي شكّلها كيسنجر، وهي لجنة فرعية لإدارة الأزمات تابعة لمجلس الأمن القومي الأمريكي. أما تعليقاته على واقعة نيكسون المخمور فإن الذي ينسبها إليه هو مسؤول المخابرات الأسبق باري تول، الذي صار قريباً من كارفر أثناء تحقيقات الكونغرس في قضايا أسرى الحرب والمفقودين في معارك الحرب الفيتنامية (كارفر: كيسنجر، **سنوات البيت الأبيض**، ص 1182، وانظر ص 183، حول الإشارة إلى مجموعة واشنطن للأعمال الخاصة [**النيويورك تايمز**، عدد 30 حزيران/ يونيو، 1994]؛ تول: إفادة باري تول في 14 حزيران/ يونيو، 1992، أمام لجنة مجلس الشيوخ المنتخبة لقضايا أسرى الحرب والمفقودين في المعارك، .C.I.S رقم H.381-894، ص 94 وما يليها؛ إفادة باري تول، 2 آب/ أغسطس 1994، المقدمة إلى المؤلف).

على السياسة المحلية. ففي جولة أخرى على طول نهر بوتوماك على متن اليخت **سيكوويا**، في ربيع سنة 1971، قاد ضيوفه إلى المنصة الأمامية ليقفوا باستعداد وانتباه، عند مرور اليخت بقبر جورج واشنطن. وكان مرافقوه في تلك المرة هم هالدمان، وإيرليكمان، وكيسنجر، وكولسون، المحامي والبحار السابق، الذي جاء به إلى البيت الأبيض كمخطِطّ سياسي استراتيجي، فصعد بسرعة من قادم جديد مغمور، إلى صديق مقرب حميم، عندما كان الرئيس يتطلع مسبقاً إلى إعادة انتخابه لفترة أخرى.

وشرب نيكسون ويسكي بالصودا، ثم تعاطى شراباً مع العشاء بينما كان الحديث يدور حول المعارضة المحلية. فقال لكولسون: «يا تشاك، إن مهمتك هي إيقاف أولئك المجانين عن التل وقتاً كافياً، حتى ينهي هنري عمله في باريس. . .» ـ إشارة إلى مفاوضات السلام الفيتنامية. «ثم ننطلق إلى اللعبة الكبرى ـ الصين، وروسيا». أما «المجانين على التل» فهم الشيوخ والنواب المعارضون لسياسة نيكسون الحربية، والذين كانوا يتحدثون آنذاك عن القمع المحلي.

وتذكر كولسون أن «إصبع الرئيس دارت حول كأسه ببطء» ثم قال: «سوف ننال منهم ذات يوم. سوف نطرحهم أرضاً حيث نريدهم أن يكونوا. وسوف ندوسهم بكعوب أقدامنا، وسوف نطؤهم ونلوي أقدامنا بقسوة. أليس ذلك صحيحاً يا تشاك؟ أليس كذلك؟. . . سنطرحهم أرضاً وندوسهم، ونسحقهم بلا رحمة».

وقدر لكولسون أن يكتب ذات يوم: «وهكذا حدث ذات ليلة مخبولة على متن **سيكوويا** أن أعلنت الحرب على العدو. . . . على **أولئك** المختلفين **معنا**، مهما كانت دوافعهم، فيجب التغلب عليهم».



28

كان يكره بانفعال عاطفي عنيف،
ولا أعلم إن كان أي أحد قد أدرك ذلك تماماً حتى الآن.

آليكساندر بترفيلد، المساعد السابق للرئيس، 1994.

بالنسبة لريتشارد نيكسون، كان الأعداء في كل مكان. ولا يزال الأمريكيون الذين لم يعرفوا تفاصيل فضائحه قطُّ أو نسوها يتذكرون «قائمة الأعداء»، التي أحدثت غضباً هائجاً على امتداد مساحة الطيف السياسي.

فقد اعتقد وليام باكلي أن خلق القائمة «عمل يمهد للفاشية. . . يطرد حقوق الإنسان بلا هوادة، وفاشيّ في افتراضه التلقائي أن الدولة بكل متعلقاتها تأتي قبل حقوق الأفراد. . . . وفاشيّ في لهجته، وفي أسلوبه السري المختلس، ووحشيته، وافتراض أنه على حق».

وأعلن جيمس كيلباتريك أنه لا يمكن فهم القائمة «إلاّ في سياق الفساد. . . فهي إساءة لاستخدام المنصب، وغطرسة قوة تتجاوز الفضيحة المجردة. . . وهي انتقامية وقذرة. . .» غير أنه أصرّ على أنه «لا يوجد برهان من أي نوع على أن نيكسون، هو الذي أنشأ تلك القوائم أو عرف بوجودها».

وليس هناك مثل هذا البرهان إذا كان الأمر يتطلب توقيعاً للرئيس للمصادقة على القوائم ـ إذ أنه كان هناك الكثير منها ـ ومع ذلك فإن تاريخها التعيس يقود مباشرة إلى المكتب البيضاوي. وقد بدأ في وقت مبكر من رئاسة نيكسون، عندما طلب من نائب مستشاره القانوني، كلارك مولينهوف، الذي

كان ـ لسخرية القدر ـ أميناً للمظالم مسؤولاً عن معالجة إساءة استخدام الموظفين العامين لسلطتهم، بأن يرتب طريقةً «لوصول المواطنين إلى عائداتهم الضريبية المرتجعة. . .» وكان السبب الظاهري لذلك الأمر هو «تجنب فضائح الضرائب الداخلية».

وتحدث مولينهوف مع كبار مسؤولي مصلحة الضرائب، ولكن لم ينجم عن ذلك شيء ذي بال. ثم بدأ يتلقى طلبات محددة من هالدمان وآخرين بحثاً عن معلومات ضريبية عن بعض الساسة. ، ثم بدأ المستشار الرئاسي الجديد آنذاك، موراي تشوتينر، يبحث عن معلومات عن أشخاص معينين.

واستذكر مولينهوف: «جاء تشوتينر إلى مكتبي ومعه قائمة من الأشخاص، قال إنهم كانوا يتبرعون للديمقراطيين، ويعتقد أنهم كانوا يمدون أيديهم إلى النفقات التجارية، لاسترجاع شيء من عائداتهم. . .» وقال تشوتينر إن الطلب قد جاءه من هالدمان. وقد شعر مولينهوف، بخبث «سفسطة تشوتينر السياسية، وانحراف أسلوب عمل هالدمان»، فسأل هالدمان مباشرة إن كان ذلك شيئاً يريده الرئيسُ نفسهُ. وفي كل مكالمة كان هالدمان يجيب دائماً بأنه «شيء للرئيس».

فاتصل مولينهوف براندولف ثْروُوَرْ، مفوض مصلحة الضرائب، وكان الأول من ثلاثة مفوضين أثناء إدارة نيكسون، الذي كان يغيّر المفوضين لأنهم لم يكونوا ينحنون لإرادته بشكل كافٍ. وعندما مقابلة ثْرُووَرْ لأغراض هذا الكتاب، استذكر أنه تلقى «قائمتين أو ثلاثاً» بأسماء أناس كان البيت الأبيض يريد التحقيق في شؤونهم. وقدمت له كل قائمة على أنها تحمل سلطة رئاسية. غير أنه أوقف الطلبات، قائلاً إنه لن يعمل بها إلاّ إذا عُرِضَ عليه تبرير. ثم طلب أن يرى الرئيس، ولكن هالدمان قال له إن نيكسون «لا يحب مثل هذه الاجتماعات». وعندئذٍ عرض ثْروُوَرَ أن يستقيل.

وعند مناقشة مَنْ يخلفه، أوضح نيكسون طلباته قائلاً: «أريد أن أتأكد من

أنه ابن زانية لا يرحم، وأنه يفعل ما يؤمر به، وأنني أرى أيَّ عائدات من ضريبة الدخل أشاء أن أراها، وأنه سيلاحق أعداءنا ولا يلاحق أصدقاءنا». وقد التقطت الميكروفونات هذا الكلام وسجلته. وقد ثار غضبه على «أبناء الزنا الصغار المتعفنين» في مصلحة الضرائب، وما فعلوه به حسب زعمه أثناء إدارة كيندي، وأراد أن يعرف «متى بحق المسيح سيلاحقون بعض الديمقراطيين؟ . . . إنها مسألة استخدام القانون بأقصى طاقته، لفائدتنا بدلاً من فائدة شخص آخر».

وقد سُجِّلَ ذلك الشريط في أيار / مايو 1971، قبل أسابيع قليلة فقط من تعيين بديل لِتْرُوْوَرْ، وبعد خمسة أيام من حديث نيكسون مع كولسون عن سحق الأعداء السياسيين. وبحلول منتصف حزيران / يونيو، كان مساعدو كولسون قد أعدوا قائمة أولويات «للعمل» وقدموها للمستشار القانوني الرئاسي جون دين.

وفي وقت لاحق، زعم هالدمان وكولسون أن تلك القائمة، لم تكن تحوي سوى أسماء الناس الذين سيحرمون من الامتيازات، ولا يُدْعَوْنَ إلى حفلات البيت الأبيض. والواقع أنها كانت تتألف من عشرين سياسياً ديمقراطياً وصحافياً، وفيها تعليقات حول بعضهم، مثل: «ينبغي ضربه بشدّة»، وجول عضو كونغرس أسود عبارة: «لديه نُقْطَةُ ضعف تجاه الإناث البيضاوات».

وكان أفضل بيان عن أهداف الإدارة في هذا المجال قد كتبه جون دين بعنوان: «التعامل مع أعدائنا السياسيين». وقد جاء بعد ذلك بشهرين. وكان يعالج «قضية الوصول إلى الحد الأقصى بنطاق واجبنا في التعامل، مع الأشخاص المعروفين بنشاطهم في معارضة إدارتنا. وبكلمات أخشن قليلاً وأصرح: كيف نستخدم الآليات الحكومية الاتحادية المتاحة، للضغط على أعدائنا السياسيين؟».

وبعد ذلك بأسابيع، كما تُظْهِرُ أشرطةُ البيت الأبيض، كان نيكسون يبحث بنفسه تلك المسألة في المكتب البيضاوي. فقال لإيرليكمان: «يا جون، لدينا

السلطة، ولكن هل نحن نستخدمها للتحقيق في شؤون المتبرعين. . . هل نلاحق مرتجعاتهم من الضرائب؟» كان قد تم تعيين مفوض جديد لمصلحة الضرائب. وأراد نيكسون أن يستخدمه.

وقُدِّر لذلك الرجل الجديد، جوني والترز، أن يتذكر أن دينْ قد استدعاه وأعطاه مظروفاً فيه قائمة طويلة بالأعداء. غير أنه بدلاً من الاستجابة له، اتفق مع جورج شولتز، وزير الخزانة، على أن لا يحركا ساكناً. فلم يفعل المفوض شيئاً سوى إغلاق باب خزانته على تلك القائمة.

وعندما اتضح لجون دين أن التعاون غير آتٍ قال: «إن الرجل الذي أعمل عنده لا تعجبه كلمة «لا» كجواب» وتعكس أشرطة البيت الأبيض ثورة نيكسون عليه في آخر الأمر. فقد انفجر صارخاً «إن علينا أن نرفس والترز في مؤخرته حتى نخرجها عن باقي جسمه. لقد انتهى. . . صدقوني. إنه سيطرد». وغادر والترز منصبه بعد بضعة أشهر.

زمجر نيكسون متوعداً: «ينبغي أن يفهم شولتز أن أي أمر أو قائمة تصل إليه إنما هي آتية مباشرة. . . تأكد من ذلك. . . إنه لم يصبح وزيراً للخزانة لأنه يملك عينين زرقاوين جميلتين». ولم يتم الإفراج عن آخر جملة في تعليق نيكسون المسجل عن شولتز. ولكن ـ حسب رواية جون دين، الذي كان حاضراً ـ فإن نيكسون أضاف شتيمة هي: «صاحب المؤخرة المصنوعة من الحلوى». غير أن شولتز بقي حتى نهاية رئاسة نيكسون تقريباً.

وقُدِّر لجلسات ووترغيت في مجلس الشيوخ، أن تحدد أكثر من مائتي مواطن كانوا على قائمة أعداء نيكسون، ومنهم واحد وثلاثون سياسياً، وستة وخمسون شخصاً من أجهزة الإعلام، وثلاثة وخمسون من عالم التجارة والأعمال، وأربعة عشر من زعماء العمال، وأثنان وعشرون أستاذاً من الجامعات، وأحد عشر من مشاهير النجوم، إضافة إلى عدد من الصحف والمنظمات. وكان من بينهم الممثلة كارول تشانينغ، المشهورة بفيلمها **مرحباً**

يا دوللي! وبول نيومان، وباربارا ستريساند، وغريغوري بيك، وستيف ماكوين، والظهير الربعي في فريق النيويورك جِتْسْ لكرة القدم، جو ناماث.

وحسب رواية جون دين، فإن الرئيس قد أمره كذلك «بالاحتفاظ» بقائمة جيدة لرجال الصحافة الذين يزعجوننا، لأننا سنجعل الحياة صعبة عليهم بعد الانتخابات [سنة 1972]». وكان من بين هؤلاء الأخيرين هارييت فان هورن، التي كانت قد أبلغت عن زيارات نيكسون للمعالج النفسي آرنولد هتشنيكر.

ورغم أن تصرف مفوضي مصلحة الضرائب كان نزيهاً، فإن البيت الأبيض لم يَعْدَمْ طرقاً بديلة للحصول على المعلومات الضريبية التي كان يريدها. وقال نيكسون: «إن علينا أن نفعل ذلك بحرص. هناك طرق لعمل ذلك، بالتسلل خلسةً في منتصف الليل». ويبدو أن اثنين من الموظفين الصغار الرتبة قد ساعدا في ذلك، أحدهما على اتصال وثيق بالتحرّي الذين كان يعمل للمكتب البيضاوي مباشرة، جون كولفيلد.

وعندما افتضحت القوائم في آخر الأمر، لاحظ عدة صحافيين بارزين أنهم كانوا قد تعرضوا لاهتمام غير عادي من مصلحة الضرائب، ومنهم ماري ماكفوري، وكارل روان، وراولاند إيفانز، وتوم برادن. كما قامت مصلحة الضرائب بالتدقيق في شؤون روبرت غرين، محرر صحيفة **نيوزداي**، الذي نشر سلسلة مقالات عن بيب ريبوزو، بعد أن تلقت المصلحة رسالةً من مجهول، جاءت بعد اتصال بين كولفيلد، رجل نيكسون، وموظف يتعامل معه في داخل مصلحة الضرائب. وتبين أشرطةُ البيت الأبيض أن نيكسون كان على اطلاع كامل على هذه الإجراءات الانتقامية.

فقد قال هالدمان للرئيس: «إن هذا الرجل الذي يكتب تحقيقاً عن [بيب] ريبوزو، فتحتْ مصلحةُ الضرائبِ تحقيقاً للتدقيق في شؤونه، وهم يعتقدون أنهم عثروا على شيء. . .».

وفي الوقت الذي أصبح فيه نيكسون هدفاً لأعدائه، كان يستشيط غضباً

على الهجمات، التي يتصور أن بعضهم يوجهها إلى أصدقائه. فأخبر هالدمان بشكوى تلقاها من بيلي غراهام: «إن مصلحة الضرائب تلاحقه وتضربه بقسوة. فقد تَوجَّه إليه ابن عاهرة وطرح عليه أسئلة رهيبة طيلة ثلاث ساعات عن مقدار، أنت تعرف، عن مقدار قيمة تبرعاته. . . . قل لي الآن، هل سنلاحق بعض الديمقراطيين أم لا؟».

كانوا قد شرعوا بملاحقة الديمقراطيين بالفعل، وعلى جبهات كثيرة، وبموجب تعليمات نيكسون شخصياً.

يكشف بند في مفكرة هالدمان، وشريط من البيت الأبيض تم الأفراج عنه حديثاً، عن أحد المعالم الهامة في الطريق إلى ووترغيت. ففي الثامن والعشرين من أيار / مايو سنة 1971، بينما كانت عملية «الأعداء» تجري حسب القوائم على قدم وساق، عقد نيكسون وهالدمان اجتماعهما الصباحي في المكتب البيضاوي.

ولاحظ هالدمان بتحفظ أن الموضوع في ذلك اليوم، كان هو «الوضع السياسي العام». والحقيقة أن السياسة فيه كانت شخصية إلى أعلى حد. فقد كان نيكسون يتأمل في الأساليب التي مارس فيها جون وروبرت كيندي، تجاوزات مفترضة ضده بالتنصت عليه (ومن المحتمل أن ذلك كان صحيحاً)، وبالتحقيق في شؤونه الضريبية. وكان منزعجاً من الانتقادات الموجهة إلى حصول ابنته جولي على وظيفة جديدة في سلك التعليم، وأقلقه أن «الهجوم» ربما كان «مصدره حزبياً».[1] فأراد «تعقب» ذلك الهجوم لمعرفة أصله.

وكتب هالدمان في مفكرته: «وأدى به ذلك إلى التفكير في أننا ينبغي أن

(1) قدّر لجولي نيكسون أن تبدأ عملها بالتدريس في مدرسة في أطلانطيك بيتش، بفلوريدا. وقد تذمّر أعضاء الهيئة التدريسية من أنها كانت تلقى معاملة تفضيلية. وكانت المدرسة التي عيّنت فيها لا تبعد سوى أربع مجموعات من المباني عن المكان الذي سوف تعيش فيه، بينما كان المدرسون الآخرون مضطرين إلى قيادة سياراتهم أميالاً كثيرة للوصول إلى مكان العمل (**النيويورك تايمز**، عدد 28 أيار/مايو 1971.

نفرض رقابة دائمة على تيدي [إدوارد كيندي] و [إدموند] موسكي و [هيوبرت] همفري، وعلى كل الأشياء الشخصية لتشمل أنواع الأشياء التي هاجمونا من خلالها في سنة 1962 : كالشؤون المالية الشخصية، والعائلية، وما شاكل».

ويكاد يكون من المفارقات المضحكة لسخرية الأقدار، أن تكون إهانة متخيلة لابنة الرئيس هي الينبوع الذي نجمت عنه فضيحة ووترغيت، ومع ذلك فإنها كانت كذلك بمعنى من المعاني، بداية انزلاق قاتل. فقد قال نيكسون بلهجة خافتة، لعله استخدمها لأنه تذكر الميكروفونات المخبأة لبرهة قصيرة «. . . أريد المزيد من أجهزة التنصت». ثم أضاف: «هل نتعامل على نحو مناسب مع مرشحيهم، نرسل وراءهم من يتعقبهم، وما إلى ذلك؟».

فردّ هالدمان: «إن المراقبة تتم على نحو متفرق»، فقاطعه نيكسون: «حسناً، ينبغي أن لا تكون كذلك، تعمل ثم تتوقف. أقصد أن هذا شيء نستطيع القيام به. . . . وربما نستطيع أن نمسك بفضحية ضد واحد، أي واحد، من الديمقراطيين القياديين».

وعندما تحمس رئيس أركان البيت الأبيض لهذه الفكرة، بدأ نيكسون يتردد، فقال: «لا أدري، لعل هذا العمل خطأ. ولكن عندي شعور بأنك إذا كنت تريد أن تبدأ، فعليك أن تبدأ الآن».

كان الرئيس يريد متابعة عمليات المراقبة بقوة، بشرط. فوجه تحذيراً: «إننا لا نستطيع أن نفعل ذلك انطلاقاً من البيت الأبيض». أي أن الأعمال الخفية ينبغي أن تستمر، ولكن يجب أن لا يكون من الممكن تتبع آثارها إليه.

كانت عملية الاقتحام اللصوصية لمقر الحزب الديموقراطي، ما زالت تبعد عن ذلك التاريخ بسنة، والانتخاب الذي سيكسب لنيكسون فترة رئاسة ثانية يبعد بضعة أشهر أخرى.

كان نيكسون يريد «رقباء دائميين» على «تيدي» ـ إدوارد كيندي ـ

«وموسكي» ـ السناتور إدموند موسكي ـ ، المرشح الديمقراطي الأكثر احتمالاً ـ «وهيوبرت» ـ همفري، نائب الرئيس السابق الذي كان نيكسون قد هزمه بهامش ضئيل سنة 1968.

كان موسكي وكيندي على «قائمة الاعداء» مع جورج ماكغفرن، الذي كان متوقعاً أن يبرز كمرشح للديمقراطيين في الانتخابات الرئاسية لسنة 1972. ومهما كانت حقيقة التهديد الذي يمثله آخر الإخوة كيندي، فقد ظل نيكسون أسير عقدة تراث آل كيندي.

وتذكر كيسنجر زيارةً لبرلين سنة 1969: «لم يكن نيكسون يشعر بالراحة أبداً. كان قلقاً من أن نتاجه قد لا يقارن على نحو لائق مع ما أنجزه كيندي سنة 1963. ولم يرتح إلاّ بعد أن تلقى تأكيدات متكررة أنه لا يمكن عقد مقارنة كهذه أبداً».

ورغم أن إدوارد كيندي كان قد انتخب قبل ذلك بزمن قصير، نائباً لزعيم الأكثرية في مجلس الشيوخ، فإن آماله الرئاسية قد ضعفت بشدة في صيف سنة 1969، بسبب مأساة تشيباكِيدكْ. والضجة الدولية المثيرة التي رافقتها.

وسجل هالدمان في مفكرته أن نيكسون «اتصل بي ليخبرني وأسرتي عن مغامرة تيدي كيندي الطائشة. . . في وقت متأخر من الليلة الماضية في كرمة مارتا، حيث انزلقت به سيارته وهو يقودها من فوق جسر إلى قاع بركة، فترك فتاة تغرق فيها. . . وهناك احتمالات غريبة كثيرة. . . [الرئيس] يريد التأكد من عدم إفلاته من العقاب. . . وهو مهتم بالأمر **جداً**. . . ويشعر أنه يشير إلى نهاية تيدي».

حتى وإن كان نيكسون واثقاً من أن تشيباكيدك كانت تعني نهاية حياة كيندي العملية، فإن أعماله قد أظهرت عكس ذلك. فبناءً على أمر الرئيس أرسل إيرليكمان أحد رجاله السرّيين الدائمين ـ وهو شخص كان يحتفظ به

براتب قدره أثنان وعشرون ألف دولار سنوياً يدفعها محامي نيكسون الشخصي - إلى مشهد الحادثة في غضون ساعات.[2] فبقي هناك أياماً منتحلاً صفة صحافي من **فيلادلفيا إنكوايرر**، بينما هو يقدم تقارير إلى البيت الأبيض عدة مرات في اليوم.

وبعد أسبوع، كان نيكسون في عرض المحيط الهادي، مرحباً بعودة رواد الفضاء من أول رحلة نزلوا فيها إلى سطح القمر. كانت مهمتهم تحقيقاً لحلم حدّد تفاصيله الرئيس كيندي لأول مرة. ودعاه الرئيس آنئذٍ «أعظم يوم منذ بدء الخلق». غير أن باله كان رغم ذلك مشغولاً بحطام السيارة في بحيرة ماساشوسيتس.

واتصل نيكسون بإيرليكمان بالهاتف اللاسلكي، وكان هذا الأخير على متن قطار، ليسأله عن آخر الأخبار عن تشيباكيدك. وفيما بعد، عندما قدم كيندي روايته عما حدث، في تصريح أذيع على مستوى البلاد كلها، حمل أحد المساعدين في واشنطن جهاز الهاتف قرب المذياع، كي يتمكن هالدمان من سماعه من جزيرة غُوَامْ. فدوّن في مذكرته: «س. [الرئيس] لا يزال شديد الاهتمام، ولديه نظريات كثيرة».

وقُدِّر لنيكسون أن يزعم في مذكراته، أنه شعر «بالأسف العميق» لما حدث لكيندي في تشيباكيدك. وبعد الحادث بأسبوعين، في أعقاب اجتماع في البيت الأبيض، انتحى به جانباً ليقول له إنه «يتفهم مدى قسوة وطأة الحادث عليه...» غير أن السجل لا يحوي شيئاً يشير إلى أنه كان يشعر بأسىً حقيقي،

(2) كان هذا الشخص هو آنطوني أولاسيفيكز، وهو من رجال شرطة نيويورك القدامى، ومثل كولفيلد عضو سابق في وحدة مخابرات تابعة لمديرية شرطة نيويورك، في مكتب الخدمات الخاصة والتحقيق. وكان إيرليكمان قد استأجره في نيسان/ أبريل سنة 1969 في اجتماع سري في مطار لاغارديا. وكان هيرب كالمباش، محامي نيكسون الشخصي، هو الذي يتولى دفع أجور أولاسيفيكز (أولاسيفيكز: مصدر سبق ذكره، ص 4 وما يليها، ص 176 وما يليها؛ **الكابوس**: مصدر سبق ذكره، ص 14 وما يليها.

بل إن أحد مساعديه السابقين كان يعتقد أنه كان «مبتهجاً للغاية» بمحنة كيندي.[3]

كانت الرغبة لقذف كيندي بالقاذورات، تسيطر على نيكسون وتتأكله من الداخل. وقد حصل التحرّي الذي أرسل سراً إلى تشاباكيدك على تسجيلات لمكالمات هاتفية، ثم في وقت لاحق على نسخ محصورة التداول عن التحقيق في هوية المرأة التي غرقت في الحادث، ماري جوكوبيشنه. وقيل إنه كان هناك جهاز تنصت أيضاً في هاتف منزلها بواشنطن، الذي كانت تتقاسمه وتشترك فيه مع بعض الأصدقاء.

وذهبت تقارير ذلك التحري إلى تشوتينر، وبيب ريبوزو والرئيس نفسه. وقيل بأن عملية التجسس المكتومة، كلفت مئة ألف دولار في الأشهر الستة الأولى، دون أن تؤدي إلى أي اكتشافات هامة. ذلك أن نيكسون لم يتوقف عن الخوف أبداً من أن كيندي سوف يستعيد حيويته السياسية.

وفي سنة 1970، مع اقتراب موعد انتخابات الكونغرس في منتصف فترة الرئاسة، تآمر الرئيس مع تشارلس كولسون لجعل آل كاب، رسام الكاريكاتير في صحيفة **ليل آبنر**، يرشح نفسه ضد كيندي في ماساشوسيتس. ورغم أن الفكرة فشلت، فقد بدا أن كاب قد خدم البيت الأبيض، بالحديث علناً ضد

---

(3) كان المساعد السابق في البيت الأبيض الذي وصف نيكسون بأنه كان «مبتهجاً للغاية» هو جيب مَغْرودر. وليس من الممكن أن يكون قد شهد رد فعل نيكسون المباشر على هذا الخبر، إذ أنه لم ينضم إلى البيت الأبيض إلا بعد الحادث بثلاثة أشهر. ولكن ليس في مذكرات هالدمان، ولا في رواية وليام سافاير، الذي تحدث مع نيكسون بُعَيْدَ انتشار الخبر، أي شيء يعكس التعاطف الذي زعم نيكسون أنه شعر به. ولقد كان رد فعل الرئيس المباشر هو الافتتان بالحادث والتصميم على «الدفع بقوة» للاستفادة من المأساة (مبتهج للغاية: جيب مغرودر، **من السلطة إلى السلام**، واكو، تكساس، طبع وورد بوكس، 1978، ص 32؛ انضمامه إلى موظفي البيت الأبيض: تقرير لجنة القضاة التابعة لمجلس النواب الأمريكي، ص 14؛ هالدمان، سافاير، **مذكرات هالدمان**، ص 72 وما يليها؛ سافاير، مصدر سبق ذكره، ص 149 وما يليها).

الحيز المعادي لنيكسون في الصحافة. غير أن فائدته انتهت فجأة عندما اتهم بالتحرش الجنسي بطالبة في إحدى الكليات. فانتشر في البيت الأبيض ذعر أعقبه كلام سرّيّ مع هيئة الادعاء العام. فكانت تلك نهاية قذرة دنيئة لآمال استخدام كاب ضد كينيدي، زير النساء.

واستذكر هالدمان وكولسون أن هدف نيكسون من إيذاء كينيدي كان يركز على نقطة بسيطة، هي كما استذكر هالدمان «ضبطه متلبساً في الفراش مع إحدى عشيقاته».

وقد بذلوا في ذلك جهوداً شاقة. ففي باريس عقب جنازة الرئيس شارل ديغول، تم تصوير كينيدي خلسة وهو يرقص حتى ساعات الفجر الأولى مع أميرة إيطالية. وقد فرح نيكسون بالصور، ولا سيما عندما جعل كولسون واحدةً منها تظهر في صحيفة **ذي ناشنال إنكوايرر**، ـ بناء على أمر من نيكسون ـ.

غير أن كل تلك الخطط التكتيكية ظلت بلا طائل. بل لقد أشارت استطلاعات الرأي في ربيع سنة 1971، إلى أن كينيدي يمكن أن يكون من أبرز المرشحين، لانتخابات الرئاسة في السنة التالية عن الحزب الديموقراطي. وعندما أبلغ المساعدون رئيسهم نيكسون أنهم لم يعثروا على مادة تضرّ بسمعة كينيدي، سألهم: «لا شيء ضد كينيدي؟ . . . ! لا بد من وجود طريقة لتغطية كل تحركاته» ـ هكذا أصرّ بينما كانت أشرطة التسجيل تدور في المكتب البيضاوي، وأضاف «راقبوا. إنني، آه، أتنبأ بأن شيئاً إضافياً سيحدث». وعندما قيل له بأنه تم تكليف شخص بالتجسس على كينيدي، أعرب عن قلقه من أن شخصاً واحداً لا يكفي.

وحاول أحد رجال كولسون مرة أخرى، أن يجد شيئاً جديداً يجرّم كينيدي في حادثة تشاباكيدك. فقدم في وقت لاحق معلومات غير دقيقة، زاعماً أن جثة

ماري جوكوبيشنه كانت بلا ملابس داخلية عندما تم انتشالها، مع نظرية تدعي أنه كانت هناك امرأة أخرى في السيارة عندما وقع الحادث.(4)

وقام موظف آخر في البيت الأبيض. بزخرفة شقة في مانهاتن بنسيج قماش له وبر طويل، وقيل بأن الهدف كان الإمساك بدليل على امرأة أخرى، كانت في الحفلة التي سبقت الحادث. وكان رجال نيكسون يأملون أن تقع في حبائل شخص يغويها، ثم تكشف له عن معلومات مفيدة أثناء وجود ميكروفونات خفية تسجل كل كلمة تنطق بها.

وعلى الرغم من أوامر الرئيس بمراقبة كيندي على مدار الساعة، فإن كيندي لم يتصرف كما كان نيكسون يأمل.(5) وفشلت خطة كانت تشير إلى أن

---

(4) إن هوارد هانت، اللص الذي سوف يشترك في اقتحام ووترغيت، قد استأجره إيرليكمان، بناء على اقتراح كولسون، في تموز/ يوليو 1971، فكانت أول مهمة كلف بها هي تشاباكيدك. وفي سنة 1974، في رميةٍ لناشر محتمل، زعم هانت أن «ماري جوكوبيشنه كانت بلا ملابس داخلية عند العثور عليها»، وأن «كيندي لم يسقط مع ماري جو في الجدول في السيارة، وأنها كانت في المقعد الخلفي؛ بينما كان تيد كيندي في المقعد الأمامي مع فتاة أخرى... وكان يحاول مضاجعتها، فلم يعلما حتى بوجود ماري جو على المقعد الخلفي للبونتياك». وهناك رواية منقحة لهذه النظرية ظهرت في كتاب هانت المنشور بعنوان **تحت الغطاء**. وبموجب هذه الرواية فإن جثة كوبيشنه عند العثور عليها لم تكن ترتدي سروالاً تحت ثوبها الفضفاض، ولكنها كانت ترتدي حمالة نهدين. وساد تكهّن بأن امرأة أخرى كانت في السيارة لأن حقيبة استرجعت منها تعود لإحدى المشاركات في تلك الحفلة الليلية، وتدعى روزماري كيوف. وقالت كيوف إنها تركت حقيبة يدها في السيارة بعد «مشوار» للتسوق في ذلك النهار (مهمة هانت: هانت: **تحت الغطاء**، مصدر سبق ذكره ص 148 وما يليها؛ الملابس الداخلية، والراكبة الأخرى؟: **المصدر نفسه**، ص 205، ولكن انظر خصوصاً رسالة ألفرد أولمر إلى وليام كولبي في 28 آذار/ مارس، 1974، المتضمنة طياً مذكرة ج. ب. باتنام الداخلية المؤرخة في 8 شباط/ فبراير 1974؛ وإشارة في كتاب **الامتياز** [نيويورك، طبع ديل، 1988]، ص 12، 283، 411 [الإشارة إلى الملابس الداخلية]؛ كيوف، الحقيبة: **المصدر نفسه**، ص 8 و28 ولكن انظر أيضاً ص 371 وص 384، وكذلك كتاب نيلسون طومسون **الجانب المظلم من كاميلوت**، شيكاغو: مطبعة بلاي بوي، 1976، ص 132. [كاميلوت تشير إلى البيت الأبيض هنا وهي مستخدمة بصورة رمزية إشارة إلى كاميلوت الأصلية التي كان فيها بلاط الملك الإنكليزي الأسطوري آرثر، صاحب فرسان المائدة المستديرة: المعرّب].

(5) استذكر هالدمان أمر نيكسون بفرض «رقابة طيلة الساعات الأربع والعشرين» وتعليمات بهذا الخصوص صدرت في 23 حزيران/ يونيو، 1971. وجرى تعديل على المراقبة في خريف ذلك العام، بعد نصيحة من كولفيلد بأن مراقبة إلى هذا الحد لا يمكن إبقاؤها سرّاً. (هالدمان، حول الأمر: هالدمان =

راقصتين في لاس فيغاس، يمكن أن تقدما ضده شهادة تضر بسمعته. وقام تحرٍّ سريّ بملاحقة السناتور على طول الطريق إلى جزر هاواي، فلم يستطع أن يبلغ عنه إلاّ بأنه «لا دليل على أي سوء سلوك». فخاب أمل نيكسون.

وعندما لم يظهر أي دليل ماديّ، حاول البيت الأبيض تصنيع دليل. فأُبْلِغت الصحافةُ خلسةً بأن كيندي قد قُبِض عليه حديثاً يقود سيارته مخموراً، ثم أطلق سراحه دون اتهام. وكانت الحقيقة التي اتضحت في حينها، أن حادثاً من هذا القبيل قد وقع فعلاً، ولكن قبل سنوات كثيرة.

وعند نهاية سنة 1971 أظهر استطلاع للرأي قامت به مؤسسة غالوب، أن كيندي كان متأخراً عن الرئيس في الشعبية بثلاث نقاط فقط. وقدر للباحثين المذهولين في أرشيف المحفوظات الوطنية أن يستمعوا ذات يوم، إلى صوت نيكسون مسجلاً على شريط لمكالمة هاتفية وهو يسأل كولسون: «هل تعتقد بأن كيندي سيرشح نفسه؟» ثم يتلاشى صوته تاركاً كولسون ينادي في الفراغ: «سيدي الرئيس؟ سيدي الرئيس؟ فقد نام نيكسون مرة أخرى وسط المحادثة.

وحتى بعد أن صرح كيندي علناً بأنه لن يرشح نفسه، وبعد أن تم ترشيح ماكغفري في مؤتمر الحزب الديمقراطي، استمر نيكسون في الإلحاح على مساعديه، بأن يستطلعوا الآراء حول شعبية كيندي. وقبل ثمانية أسابيع من انتخابات سنة 1972، عندما طُلِبَ من نيكسون أن يزود كيندي بحماية الشرطة السرية، رأى في ذلك فرصة لقذفه بالقاذورات.

فقال في اجتماع في المكتب البيضاوي: «إزرعوا حوله شخصاً، بل

= مع دي مونا، مصدر سبق ذكره، ص 60؛ تعليمات: شهادة غوردن استراخان في 12 تموز/ يوليو 1973، تقرير لجنة الشؤون القضائية التابعة لمجلس النواب في الكونغرس الثالث والتسعين، الدورة الثانية: تصريح بمعلومات، الكتاب السابع، الجزء الثاني، ص 658 وما يليها؛ شهادة كولفيلد، 16 آذار/ مارس، 1974، المصدر نفسه، ص 656؛ محورة، في المصدر نفسه، وشهادة جون دين، 25 حزيران/ يونيو 1973، في المصدر نفسه، ص 661).

اثنين»، وأصرّ بعد ساعات على «رقابة مفصلة تغطي تحركاته على مدار الساعة. . . . أريد التأكد من أنه متبوع»، ورغم إنكار الشرطة السرية، فقد أعرب بترفيلد عن اعتقاده أن موظفيها، قد استخدموا للتجسس على السناتور.

كما حثّ نيكسون مساعديه على التأكد من وجود تغطية واسعة، لآخر علاقة أشيعت عن كيندي.[6] فقال متفائلاً في الميكروفونات الخفية: «قد يحالفنا الحظ ونضبط ابن العاهرة متلبساً وندمره في انتخابات سنة 1976».

ومن المفترض أن نيكسون، قد نسي نظام التسجيل المركب عنده أثناء هذه المحادثة. وبعد ذلك بسنة، في محادثة مع جون دين، بدا عليه أنه يحاول استخدامه لتغطية نفسه، إذ يقول جون دين: «وكما تتذكر، فإنه بعد تشاكيدل، كان هناك شخص قد بدأ بمراقبة الأمور في غضون ست ساعات. فيتساءل الرئيس: «هل أرسلنا أحداً؟ لم أكن أعرف ذلك».

ولئن كان إدوارد كيندي قد لوحق بتلذذ واستمتاع، فإن زعماء ديمقراطيين آخرين قد تعرضوا لاهتمام جنائي ضارٍ كذلك. فقبل أن يتم تحويل محقق إيرليكمان الميداني إلى تشاباكيدك، كان يحاول أن يثبت أن لهيوبرت همفري تصرفات مالية فاسدة غير لائقة. وكانت التعليمات قد وصلت إليه من روز وودز، سكرتيرة نيكسون.

وفي الفترة التي سبقت الانتخابات، كان تحرٍّ خصوصيٌّ مستخدمٌ في

(6) كانت الشائعة المتداولة هي أن كيندي متورط في علاقة مع آماندا بيردن، ابنة وليام بيلي، رئيس شبكة إذاعة كولومبيا والزوجة السابقة لعضو ديمقراطي في مجلس نيويورك. وقد أشار نيكسون على أحد أشرطة البيت الأبيض إلى قضائها عطلة نهاية أسبوع قبل وقت قصير آنذاك مع كيندي وزوجين آخرين على يخت لكيندي. وربطت عدة مقالات صحافية بين كيندي وبيردن في مغامرة عاطفية عندما كان متزوجاً من زوجته الأولى، جون (ريتشارد نيكسون، إشاعة: شريط البيت الأبيض المسجل يومي 7 و11 أيلول / سبتمبر 1972؛ ستانلي كتلر، **إساءة استخدام السلطة**، ص 133، 138؛ دنليفي وبرينان، مصدر سبق ذكره، ص 165 وما يليها؛ بيتر كولنير وديفيد هوروفيتز، **آل كيندي**، طبع لندن: بَانْ، 1984، ص 554).

البيت الأبيض، قد وجد طريقه للاندساس في صفوف موظفي حملة همفري الانتخابية. وما إن وصل إلى هناك حتى سبب أكبر قدر من الاضطراب دون أن يتعرض لخطر الانكشاف.

وكان هناك موظف ثان يعمل بتوجيه من وزير التعيينات في حكومة نيكسون، دوايت شابان، فقام بتوزيع ألوف من الملصقات الصغيرة المكتوبة عليها عبارة: «همفري هو الذي بدأ الحرب. لا تعطوه فرصة أخرى!»[7] وقد أقنع هالدمان نيكسون «بالكفّ عن ذلك»، ولكنه لم يفعل إلاّ بعد أن كانت حملة همفري قد انهارت.

وتعرض مرشح آخر كان يمثل تهديداً أخطر وأكفأ، إلى هجوم وحشي مناسب. قبل عامين من انتخابات 1972، كان نيكسون قد حدد إدموند موسكي، مع كيندي وهمفري، كهدف «لهجوم شامل». وعندما أظهرت استطلاعات الرأي أنه قادر على دحر نيكسون، شرع هذا ببذل جهود مكثفة لإيقافه بوسائل خفية.

كان نيكسون قد كرر إصدار الأمر ببث دعاية مزوّرة، هي عبارة عن رسائل «ليبرالية» تزعم تأييد موسكي، ولكنها مصممة لتنفير الناخبين المحافظين. وطاف محققو نيكسون ولاية مين لتصيّد «فضائح أو هياكل عظمية أخرى» في خزانة موسكي. فكانت النتيجة مخيبة للآمال ـ فقد علم نيكسون أن خصمه يكاد يكون «راهباً» وله «أسرة كبيرة. ستة أطفال. . . ونوع عادي من الحياة». وهكذا تمت «استعارة» وثائق من مقر قيادة موسكي على يد متسلل

(7) كان التحري الخصوصي هو مايكل ماكمينوي، الذي أطلق عليه أتباع نيكسون اسم شيفرة رمزي هو «المحقّة الثانية». أما عملية التخريب الخاصة بالملصقات الصغيرة فلم تكن سوى خدعة قذرة مارسها دونالد سيغريتّي، الذي استأجره شابان، المساعد المقرّب من نيكسون (ماكمينوي: لجنة مجلس الشيوخ المنتقاة للتحقيق في أنشطة الحملات الرئاسية، برئاسة السناتور سام إيرفن، التقرير النهائي، ص 192 وما يليها، وكذلك الكتاب الحادي عشر، ص 4480، 4489، 4493 وما يليها جميعاً؛ سيغريتّي، التقرير النهائي للجنة المذكورة، ص 160.

صورها خلسة في المقعد الخلفي لسيارة، وسلّمها إلى غوردن ستراخان، مساعد هالدمان.

ومرة أخرى قام شابان، وزير التعيينات بتنظيم سلسلة مضايقات لإنهاك موسكي واستنزافه، كتنظيم التجمعات وتوزيع المنشورات المضللة التي طبع بعضها على قرطاسية مزيفة لموسكي. وأمر نيكسون مساعديه بإرسال «طوفان من الرسائل من فلوريدا. . . على أساس أنها جاءت من [موسكي]، هل ترون؟».

وهكذا تلقى ألوف الفلوريديين رسالة فاضحة غير محتشمة، على أوراق تحمل «ترويسة» باسم موسكي تحثهم على التصويت له، بينما هي تذكر «عدة حقائق» عن منافسيه الديمقراطيين الآخرين: فهمفري ألقي القبض عليه لقيادته سيارة وهو مخمور ومعه «مومس معروفة جيداً»، كما أن المنافس الآخر هنري (سكوب) جاكسون كان أباً لطفل غير شرعي من فتاة في السابعة عشرة. ثم إن جاكسون قد اتهم أيضاً بعلاقة جنسية شاذة مع ذكور وقبض عليه بسببها مرتين. ولم يعثر أحد على أي دليل يؤيد هذه «الحقائق».

وقيل إن رسالة تلطيخ السمعة بهذه المزاعم الجنسية قد سرّت شابان على نحو خاص، فأمر بإرسال نسخ منها كدعاية إلى عنوان منزله بواشنطن. وكانت الاستراتيجية، كما أوضح أحد المتورطين بها، هي جعل الديمقراطيين يمسك بعضهم بخناق بعض. وفي حالة موسكي، كان الهدف المحدد هو استدراج *السناتور النزق القليل الصبر إلى فقدان السيطرة على طبعه*. وعندما تلقى شابان تقريراً بأن موسكي «قد أثبت أنه قادر على الاحتفاظ ببرودة»، خربش شابان ملاحظة على الهامش: «لقد فشلنا في هذه الخطة الحقيقية ـ من الواضح أن الصحافة تريد الآن أن تثبت أن إدموند موسكي قادر على الحفاظ على هدوء مزاجه ـ دعنا نبرهن على أنه لا يستطيع».

وحسب أحد المساعدين المتورطين، فإن نيكسون شخصياً وافق على

محاولة لسحب الأصوات من موسكي في أحد الانتخابات الأولية الهامة، في نيوهامبشاير.

وهكذا تآمر موظفون في البيت الأبيض على تنظيم حملة من الرسائل المؤيدة لكنيدي، رغم أن اسمه لم يكن مذكوراً بين المرشحين لذلك الاقتراع.

ولعلهم كانوا أيضاً وراء خلق رسالة مزورة طبعت في الصحف قبل يوم الاقتراع بأسبوعين، أوحت بأن موسكي لا يكنّ احتراماً للفرنسيين الكنديين. وتلك إهانة فيها نذالة، خاصة في منطقة قريبة من الحدود مع كندا[8]. وكانوا بالتأكيد وراء قطعة مؤذية في الصحيفة المحلية عن جين، زوجة السناتور موسكي، تشير إلى أنها تدخن وتتعاطى الخمر بإفراط.

وكان رجال البيت الأبيض المتكتمون يأملون أن هذه الضربة الأخيرة، سوف تدفع موسكي إلى ما وراء الحافة العاطفية. وقد فعلت. كان واقفاً على عربة ذات أرضية مسطحة في وسط الثلوج، يحاول أن يلقي خطاباً، فانهار

---

(8) نشرت الصحيفة اليمينية **مانشستر يونيون ليدر** (التي تصدر في نيوهامبشاير) رسالةً من فلوريدا، من شخص يدعى «بول موريسون» بخصوص تعليق ازدرائي منسوب إلى موسكي عن «الكانوك» ـ إشارة تحقيرية إلى الكنديين من أصل فرنسي، الذين يعيشون في الولايات المتحدة ـ ولم يستطع أحد أن يتتبع أثر «موريسون» هذا على الإطلاق ولعل تلك كانت خدعة قذرة تورّط فيها هوارد هانت وغوردن ليدي، اللصّان اللذان اقتحما مبنى ووترغيت فيما بعد. وذكرت رسالة لاحقة إلى صحيفة **اليونيون ليدر** المذكورة أن رجلين في فلوريدا قد دفعا ألف دولار لشخص كلفاه بكتابة الرسالة. أما اسم «موريسون» فقد تم التقاطه من دليل للهاتف. وكانت رسالة «الكانوك» هذه مؤرَّخة في 17 شباط / فبراير، 1972، وكانت هانت وليدي في فلوريدا قبل ذلك بأسبوع. وقد نقل إيرليكمان عن هانت بشكل منفصل قوله سراً إنه يعرف بأمر الرسالة. وبعد شهور، نقل مراسل صحافي **للواشنطن بوست** عن كينث كلاوسون، نائب مدير الاتصالات في البيت الأبيض قوله إنه هو الذي كتب تلك الرسالة. ويبدو أنه ليس من شك في أن أتباع نيكسون كانوا وراء عملية التشهير هذه (رسالة «موريسون»: نسخة مصوّرة في ملف آرثر إيغان، الحقل رقم B343، المحفوظات الوطنية؛ الرسالة اللاحقة: صحيفة **بونغور دايلي نيوز**، عدد 27 أيلول / سبتمبر، 1972، وفي الكتاب الحادي عشر للجنة إيرفن المذكورة أعلاه، ص 4812 وما يليها؛ هانت وليدي في فلوريدا: تقرير اللجنة المذكورة، ص 165 وما يليها؛ «المولّد»: شهادة جون إيرليكمان، 27 تموز / يوليو 1973، تقرير لجنة إيرفن، الكتاب الرابع، الجزء الأول، ص 516؛ كلاوسون: بِينْ برادلي، **حياة طيبة**، طبع نيويورك: سايمون وشوستر، 1995، ص 335؛ ج. آنطوني لوكاس، **الكابوس**، طبع نيويورك: بنغوين، 1988، ص 163).

باكياً. وأدت هذه الانتكاسة إلى إلقاء شكوك لدى عامة الناس، حول الاستقرار العاطفي للسناتور. فلم تسترجع حملته عافيتَها بعد ذلك أبداً. فانسحب من السباق بعد أسابيع.

وحتى في وقت لاحق، عندما أُعْلِمَ نيكسون بأن هناك معلوماتٍ متاحةً ضارةً بموسكي، فقد حثَّ بيب ريبوزو على التدقيق فيها. فإن كان يمكن استخدامها «فإننا سوف نمزقه إرباً» كما هو مسجل بصوته على أشرطة البيت الأبيض. وبعد ذلك أيضاً، عندما بدأ ينكشف زيف تلك الدعايات الملطخة لموسكي وجاكسون، لم يهتزّ نيكسون ولم ينزعج، بل قال إن هذا النوع من النشاط إنما هو «ذرق فراخ دجاج».

ولم يتوقف نيكسون أبداً عن القلق من الرجل، الذي كانت لديه قدرة حقيقية على إيذائه، وهو «الرجل الذي يتعين علينا أخذه على محمل الجدّ تماماً»، حسب تعبير نيكسون نفسه. فقد أثبت جورج والاس، حاكم آلاباما الداعي للفصل العنصري، أنه تهديد خطير في التنافس الذي تقاربت فيه الأصوات في انتخابات سنة 1968، عندما حصل والاس على 13,6 في المئة من الأصوات. وكان ما يزال قوة ثالثة فعالة، وشخصية لها جاذبية، ليس للعنصريين الجنوبيين فحسب، بل للناخبين المحافظين من الكادحين، ذوي الياقات الزرقاء في أرجاء البلاد كذلك. وكان من المحتمل أن يكسب أصواتاً ينتزعها من رصيد نيكسون بأعداد، قد تكلف نيكسون خسارة فرصة إعادة انتخابه رئيساً.

وكان قد قام بحركته ضد والاس في وقت مبكر، في محاولة لتدمير الحاكم في ولايته. ففي آذار / مارس 1970، خطا محامي نيكسون الشخصي إلى بهو فندق شيري ـ نذرلاند بنيويورك، ومعه حقيبة شركة طيران فيها مئة ألف دولار ـ مليون دولار بأسعار اليوم ـ لمقابلة رجل لا يعرف اسمه، بل يملك أوصافه. وكانت تعليمات التعارف بينهما تقضي أن يسأله المحامي: «هل أنت

من بنسلفانيا؟» فيجيبه الرجل الغريب: «كلاّ، يا صديقي، بل أنا من ميامي»، وعندئذ يسلمه المحامي المال وينصرف.

وهكذا كان نيكسون يسرّب الأموال، لخصم والاس في انتخابات منصب حاكم آلاباما، وهي أموال وصلت في آخر الأمر إلى أربعمئة ألف دور. ويثبت شريط مسجل في البيت الأبيض لاحقاً، وكذلك مفكرة هالدمان، أن الرئيس هو الذي سمح بدفع هذه المبالغ. وفي الوقت نفسه طلب البيت الأبيض من مصلحة الضرائب الداخلية، أن تدقق في أمور والاس وشقيقه جيرالد، ثمّ سرّب نتائج تدقيق أولي تشير إلى فساد واسع الانتشار. ومصدر التسريب اليوم واضح، إذْ إن المعلومات الضريبية الضارة كانت قد سُلِّمت إلى نيكسون نفسه.

ورغم هذا التخريب، قدر لوالاس أن يفوز بمنصب الحاكم وأن يظل يشكل تهديداً لآمال نيكسون في إعادة انتخابه رئيساً طيلة سنة كاملة بعد ذلك. فاستمر البيت الأبيض يضغط على مصلحة الضرائب لملاحقة تحقيقاتها، وتابع أسلوب الخدعة القذرة الغريبة[9].

ومع بداية السنة الثالثة من حكم نيكسون، راح يتضح بشكل متزايد أن رئاسته تعمل بأسلوب الدكتور جيكل والمستر هايد. ففي ربيع سنة 1971، عندما كان التورط الأمريكي في ڤيتنام يوشك على الانتهاء، سأل نيكسونُ الأمةَ: «هل يمكنكم تصديق هذا؟» وأشار إلى التناقص المستمر في عدد جنود أمريكا وضحاياها، ثم قال إن الأمريكيين يستطيعون تصديق ذلك حقاً.

وأكد الرئيس أنه سوف ينهي الحرب بطريقة «نبيلة»، دون أن يتخلى عن الڤيتناميين الجنوبيين. والواقع أنه لم يتسنَّ الوصول إلى تسوية، حتى مرور ما

(9) بموافقة جون ميتشل، تم تخصيص عشرة آلاف دولار لخطّةٍ تهدف إلى إقناع عدد كافٍ من الناخبين المسجلين بالابتعاد عن والاس لجعله غير قادر على التأهل للترشيح في انتخابات سنة 1972. فلم ينجح المخطط. وظهر فيما بعد أن نصف المبلغ قد وصل إلى الحزب النازي لجنوب كاليفورنيا (**الكابوس**، ص 149؛ مغرودر، **حياة أمريكية**، طبع نيويورك: آثينيوم، 1974، ص 188 وما يليها).

يقرب من سنتين بعد ذلك. وفي تلك الأثناء كان مفاوضو نيكسون يرسون الأساس، لتسوية سيكون من شأنها أن تترك قوات ڤيتنام الشمالية في مكانها على أراضي ڤيتنام الجنوبية ـ وهو وجود يستطيع أن يشكل خطراً ماحقاً على نظام ڤيتنام الجنوبية. وفي خطابه في نيسان / أبريل سنة 1971، تحدث نيكسون باحترام عن إخلاص الذين تشككوا في سياساته. غير أنه في غضون أسابيع قليلة بعد ذلك ـ كما هو مرويٌّ آنفاً ـ راح يناقش استخدام «سفاحين» ليضربوا المتظاهرين.

وبينما استمرت المغالطات التضليلية عن السياستين الخارجية والداخلية من خلف الكواليس، راح نيكسون يقدم للشعب الأمريكي مظاهر العظمة والاحتفال والخيالات الحالمة. وبدأ خدم البيت الأبيض يستعدون بشكل محموم لزفاف تريشيا في حزيران / يونيو إلى إدوارد كوكس. وفي ذلك فرصة لاستعراض عام لما أطلق عليه الرئيس عبارة «عائلة أولى تستحق أن يفخر بها المرء».

كان ارتفاع كعكة الزفاف سبعة أقدام. وقام أكثر من مئة من باعة الورود، والخياطات، والرسامين، والخطاطين بتهيئة حفل زفاف يزيغ بريقه الأبصار، لأربعمئة ضيف وألف وستمئة صحافي. ولم يكن نيكسون يرتاح في الوسط الاجتماعي إلاَّ نادراً، فأرسل مذكرة إلى موظفيه يطلب فيها منهم تسليمه نكتاً فكاهية يستطيع أن يتفوه بها عند خط الاستقبال.

وسار كل شيء على ما يرام في يوم الحفل، الثاني عشر من تموز / يوليو، بحيث أخذ أحد المراسلين يقوقئ: «وأخيراً هبطت من أعلى الدرج الملتوي ابنة الرئيس الصغيرة الأثيرية الشقراء، متكئة على ذراع أبيها». فتزوجت عريسها «الطويل، الدقيق العظام، الوسيم» في جناح لطيف أبيض أقيم خصيصاً لهما في حديقة الورد. وكان نيكسون يرتدي بذلة رمادية ذات ذيل كذيل طائر السنونو، وسروالاً مقلماً، وربطة عنق عريضة الطرفين، وياقة منشأة صلبة،

فرقص مع زوجته، للمرة الثانية على ما يبدو في عشرين سنة. وكانت بات مشرقة ببريق بهيج على ذراعه حين أذن للمصورين بالبدء بالتقاط الصور.

غير أن كل شيء لم يكن على ما يرام، كما اكتشف نيكسون في صباح اليوم التالي على الصفحة الأولى من **النيويورك تايمز**. واستذكر في مذكراته: «كانت على الزاوية اليسرى العليا صورة لي وأنا واقف مع تريشيا في حديقة الزهور... وإلى جانب الصورة كان عنوان آخر: «أرشيف ڤيتنام: دراسة للبنتاغون [المبنى الخماسي الذي فيه وزارة الدفاع الأمريكية] تتابع ثلاثة عقود من التورط الأمريكي المتنامي».

كان ذلك هو الجزء الأول من سلسلة من التقارير التي قدر لمدير تحرير التايمز، إيب روزنتال، أن يصفها بأنها «أكبر قصة لعينة في العالم». فقد ظل محرروه طيلة الأشهر الثلاثة السابقة ـ وكانوا في إحدى المراحل محشورين في أحد أجنحة فندق في مانهاتن ـ عاكفين على دراسة من سبعة آلاف صفحة، تقع في سبعة وأربعين مجلداً، معنونة بجفاف: «العلاقات الأمريكية الڤيتنامية، 1945 ـ 1967»، وهي دراسة سرعان ما راح العالم يعرفها باسم أوراق البنتاغون.

وقد تم تجهيز تلك الأوراق في الأشهر الأخيرة من إدارة الرئيس جونسون، وكانت تاريخاً رسمياً ـ كاملاً مع نسخ من الوثائق الأصلية ـ للكيفية التي غاصت بها الولايات المتحدة في وحول ڤيتنام، والتفكير الأقل من نبيل أو ذكيّ الذي أبقاها هناك.

ولم يكن في نشر الأوراق خطر على حياة المقاتلين الأمريكيين، ولا ضرر محدّد على الأمن القومي. فلم يكن التاريخ يشمل أي حوادث بعد سنة 1968، وحسب رواية وزير الدفاع ليرد، فإن 98 بالمئة من المادة كان يمكن الإفراج عنها من مجاهل السرية والكتمان، غير أن حقيقة **كون** المادة سريّة قد فجّر ردّ فعل في أماكن عليا كانت له عواقب لم يتخيلها أحد.

وبحلول وقت انهيار الرئاسة بعد ذلك بثلاث سنوات، كان قد اتضح أن

نيكسون قد كذب، كما كذب كثيرون ممّن حوله، أحياناً لينقذوا زعيمهم، وأحياناً لينقذوا أنفسهم. ومن بين الذين دينوا بجرائم بعد ووترغيت، حكم على خمسة ـ منهم أربعة من أقرب معاوني الرئيس ـ هم هالدمان، وإيرليكمان، وميتشيل، وشابان بتهمة الإدلاء بشهادات زور كاذبة.

وإذن فإن عملية إعادة خلق ما حدث بدقة، من العواقب التالية لنشر أوراق البنتاغون، تنطوي على محاولة العثور على طريق وسط، أرض وعرة تتناثر فيها الأكاذيب وأنصاف الحقائق. فأشرطة البيت الأبيض والوثائق المسجلة تشير أحياناً إلى الحقيقة، ومع ذلك فإنها هي نفسها قد تكون مضلِّلة. إذْ إن أشرطة الرئيس ليست سوى سجل جزئي. ولعل بعض ما قاله نيكسون في ميكروفونات البيت الأبيض، قد تحدث به عامداً بقصد التضليل والخداع. وربما تم خلق طريق مزروع بالآثار الورقية الوثائقية عمداً كذلك. كما عُلِمَ بأن وثائق كثيرة قد تم إتلافها[10].

ويشير السجل المتاح، إلى أن رد الفعل الأولي لنيكسون على نشر أوراق البنتاغون كان هادئاً بارداً، لأنه تفهم إمكانية إضرارها بسمعة سلفيه الرئيسين جونسون وكنيدي. ومع ذلك فعلى الرغم من أنه لم يعرف أحد من الذي كان مسؤولاً عن تسريب تلك الأوراق، فقد حثّ الرئيس موظفيه على «إخراج تلك القصة» إلى العلن ضد ليزلي غيلب، الرجل الذي أشرف على الدراسة. وكان غيلب عندئذٍ يعملُ في مؤسسة بروكينغز، وهي مؤسسة ليبرالية في واشنطن تضم مجموعة من المفكرين ولها ارتباط وثيق بالديمقراطيين.

---

(10) للاطلاع على مناقشة حول احتمال وجود خداع على الأشرطة، أنظر الفصل السادس والعشرين، ص 728؛ **إساءة استخدام السلطة**، ص xx؛ شريط البيت الأبيض المسجل في 11 أيار / مايو، 1973؛ **إساءة استخدام السلطة**، ص 466؛ وإيرليكمان، مصدر سبق ذكره، ص 370. وكذلك غوردون ليدي حول قيامه بإتلاف الوثائق في ليدي: **الإرادة**، طبع نيويورك: سانت مارتن، 1980، ص 340. ولعل أهم مصدر حول تمزيق الأوراق (بعد عملية اقتحام مبنى ووترغيت) على يد غوردن استراخان، مساعد هالدمان، بناء على طلب هذا الأخير هو الكتاب السادس من تقرير لجنة إيرڤن ص 2442، 2473، 2490 وما يليها، وكتاب هالدمان مع دي مونا، مصدر سبق ذكره، ص 15.

غير أن القسم الأكبر من غضب نيكسون الجامح، كان موجهاً بصورة مباشرة إلى **النيويورك تايمز**، بسبب «عدم ولائها الواضح» بنشرها لتلك المادة. فأصدر أوامره بعدم تقديم أية تسهيلات لتلك الصحيفة ذات السجل المعروف، فلا «اتصال ولا مقابلات» ولا سماح لمندوبيها «بدخول المكاتب أبداً، ولا مشاركة في تجمعات الصحافيين في المؤتمرات، ولا على الطائرة الرئاسية. وأي موظف يتحدث مع **التايمز** سوف يُطْرَد. ولاحظ هالدمان أن الرئيس «يريد أن يتأكد من قيامنا بعمل كل شيء لتدمير «التايمز». وقال نيكسون بغضب عاصف إنه لا شيء في رئاسته سيقدم له سروراً أكثر من تحقيق هذا الهدف.

وتحول غضب نيكسون المبدئي إلى ثورة جامحة، أشعل شرارتها وأمدها بالوقود هنري كيسنجر. فقد اتصل مستشار الأمن هذا بالرئيس من خارج المدينة يوم ظهور الجزء الأول من أوراق البنتاغون، ودمدم منفجراً حول ضرر ذلك على إدارة السياسة الخارجية، وقال إن الذين كان منهمكاً معهم في مباحثات دبلوماسية دقيقة ـ من الصينيين، والسوڤييت، والڤيتناميين الشماليين ـ قد يستنتجون أن الولايات المتحدة، «تعاني من عدم الاستقرار، والمضايقات، وانعدام الأمان كثيراً إلى درجة أنها لا تصلح كشريك مفيد لهم».

وقد بدا هذا القلق معقولاً عندما عبّر عنه كيسنجر في في مذكراته بطريقة أهدأ فيما بعد. غير أن كيسنجر كان في ذلك الحين يستشيط غضباً. ونقل عنه كولسون قوله صارخاً «إن هذه التسريبات تدمرنا تدميراً بطيئاً ومنتظماً». وضرب كيسنجر براحة يده على الطاولة العتيقة المزخرفة من طراز تشيبانديل، (الذي كان معروفاً في الأثاث الإنكليزي في القرن الثامن عشر)، مما جعل أكواب القهوة ترتجف بطقطقة. فبدا لكولسون أنه «على وشك أن يخترق السقف. . . وكاد يخرج عن نطاق التعقل».

واتضح أن المذنب في التسريبات هو دانيل إلسبرغ، في الأربعين من عمره، ويعمل مستشاراً لدى شركة راند، وقد استخدم ميزة وصوله إلى تلك الأوراق فاستنسخها. وكان ذات مرة مؤيداً متحمساً للتدخل الأمريكي في

ڤيتنام، غير أنه اقتنع بعدئذٍ بأن الصراع لا طائل وراءه. فرفض سياسة القتنمة التي اتبعها نيكسون، واعتبرها تطويلاً دامياً للحرب، لا أمل فيه، ولا ضرورة له، وهو بالتأكيد «غير أخلاقي» وهو «قتل جماعي». وقد أمل إلسبرغ أنه «عن طريق كشف أكثر من عشرين سنة من التخطيط للتصعيد، ومن الكذب على الناس، وخطط انتهاك الاتفاقيات، وخطط توسيع الحرب بشكلٍ أساسي... فإن الناس سوف يستنتجون أن رئيسهم الحالي ربما كان منهمكاً بعمل الشيء نفسه... وسيصبح الأمر بالجدّيّة نفسها التي واجهها جونسون إذا اتضح أنه كان يكذب. وهكذا تعين علينا أن نحاول أن نخرسه».

وعندما حاول نيكسون وفشل في منع نشر المزيد من الأوراق، عن طريق إقامة الدعوى في المحاكم على **النيويورك تايمز**، صارت ملاحقته لدانييل إلسبرغ نزعةً غريزيةً للانتقام. وكان كيسنجر يعرف إلسبرغ، فراح يغذي حقدَ نيكسون عليه بشلال من المزاعم. فقال لنيكسون إن إلسبرغ ربما كان «ألمع طالب عندي على الإطلاق»، ولكنه كان «ينقصه قليل من الاتزان». وقيل بأنه «كانت لديه عادات جنسية غريبة، وكان يتعاطى المخدرات» وفي ڤيتنام «كان يستمتع بقتال الطائرات المروحية التي يطلق منها النار على طرائده من الڤيتناميين ليصطادهم في الأسفل». وكان إلسبرغ قد تزوج ابنة مليونير، وألقى كيسنجر الكلام على عواهنه بأن أضاف من عنده قوله، إنه كان يضاجعها أمام أولادهما.

كانت الاتهامات مفرطة تعدت الحدود، ولكنها أحدثت مفعولها[11].

---

(11) لم يكن إلسبرغ طالباً من طلاب كيسنجر على الإطلاق. وليس هناك دليل على أنه أطلق النار على الفلاحين في ڤيتنام، أو أنه ضاجع زوجته أمام أطفالهما. وكان قبل ذلك بسنوات قد اشترك في تجارب على عقار LSD المخدر، في جامعة كاليفورنيا في لوس آنجيلوس، وحسب رواية صديق له، فإنه كان يتعاطى بعض المخدرات المهدئة أحياناً بعد عودته من ڤيتنام، وفي الوقت نفسه، وحسب رواية إلسبرغ نفسه، فإنه قد استجاب لإعلان في إحدى الصحف يدعو الناس إلى حضور «حفلة عربدة جماعية». وقد تزوج مرتين، أولاً من ابنة عقيد بحري، ثم ـ في سنة 1970 ـ من باتريشيا ماركس، ابنة تاجر الدمى لويس ماركس. (ليس طالباً عند كيسنجر أبداً: ديڤيد رودنستاين، **يوم توقفت المطابع**، طبع بيركلي، كاليفورنيا، جامعة كاليفورنيا، 1996، ص 122؛ LSD: التحقيقات في نشر غير مصرحٍ به لمعلومات سرية مكتومة، =

فالرجل ذو الخلفية الأكاديمية المتصلة بالجامعات الراقية الثماني على الساحل الشرقي للولايات المتحدة، والذي يتزوج من أسرة غنية، وينغمس في عادات جنسية غير مألوفة، ويتعاطى المخدرات، إنما هو هدف جاهز لنيكسون. وفي الأيام التالية، راح نيكسون يذكّر موظفيه مراراً وتكراراً بأيامه المجيدة في ملاحقة رجل آخر من خريجي هارڤارد، هو آلجير هيس. وكان كيسنجر أيضاً قد لمس عصباً حساساً من المؤكد أنه سيثير ردّ فعل لدى نيكسون. فتجرّأ على الإيحاء للرئيس بأنه إذا فشل في الردّ، فإن ذلك سيثبت للناس أنه «ضعيف».

وفي ذلك الاجتماع مع كيسنجر، بحضور هالدمان وإيرليكمان أثيرت أشياء أكثر من شبح إلسبرغ. كان نيكسون قد أمر مساعديه قبل زمن طويل، أن يحضروا له «ملف وقف الغارات لفترة» في سنة 1968. أي محاولة الرئيس جونسون عشية الانتخابات الرئاسية، للشروع في محادثات السلام بإيقاف الضربات ضد ڤيتنام الشمالية. فإذا كشفت الملفات أن وقف الغارات لم يكن سوى خدعة لكسب الأصوات في وقت الانتخابات ـ كما كان جانب نيكسون يعتقد دائماً ـ فإن من الممكن استخدام تلك الملفات ضد الديمقراطيين.

واقترح هالدمان: «يستطيع ابتزاز جونسون بهذه الموادّ. وقد يكون الأمر مستحقاً القيامَ به. وبالطبع كان لدى نيكسون سبب آخر للرغبة في الحصول على الملف. وكما ذكرنا آنفاً، كان قد عمل بشكل فعال على تخريب محادثات السلام سنة 1968. وكان من الممكن أن تثبت السجلات أنها أكثر إيذاء له **هو** من إيذائها للرئيس جونسون.

وعندما أوضح هالدمان أن المادة يحتمل أن تكون قد أودعت لدى مؤسسة بروكينغز، استغل نيكسون فرصة الاستيلاء عليها. بل لقد استذكر في

= 9 آب / أغسطس، 1971، ص 12، في رسالة من ج. إدغار هوڤر إلى هالدمان مؤرخة في 10 آب / أغسطس، 1971، المحفوظات الوطنية؛ «تعاطى مخدرات للتهدئة»، و«حفل عربدة جماعية»: مجلة **هارْبَرْزْ**، عدد تشرين الأول / أكتوبر، 1973).

مذكراته أنه قال: «أريدها الآن. . . ولو كان هذا يعني استردادها عن طريق الاختلاس».

ويكشفُ شريطٌ مفرج عنه سنة 1996 أن نيكسون قد أمر باقتحام بروكينغز خلسة. وقد ذكّر هالدمان بخطة المخابرات المحلية سنة 1970، التي كانت تنطوي على عملية سرقة في أحد مكوناتها ـ وهي خطة كان قد وافق عليها ثم أجهضها فيما بعد ـ ثم قال: «نفذها. . . أريد تنفيذها. اقتحم المكان واحصل على تلك الملفات. انسف الخزانة وانتزعها منها».

إن فكرة كون هذا الأمر واحداً من الأوامر الطائشة المتهورة، التي لم يكن نيكسون يتوقع تنفيذها، هي فكرة تكذبها الأدلة[12]. فبعد ذلك بأقل من أسبوعين، في 30 حزيران / يونيو، كما توضح الأشرطة المسجلة، عاد نيكسون إلى الإلحاح على وجوب العمل في بروكينغز.

> الرئيس نيكسون: إن الطريقة التي أريد أن يعالج الأمر بواسطتها يا بوب هي. . . إنني أريد بروكينغز. . . **اقتحمها، اقتحمها واستخرج الشيء منها. هل تفهم؟. . . إن عليك أن تقتحم المكان، وتختطف الملفات، وتأتي بها.**
>
> هالدمان: ليست لدي مشكلة في الاقتحام. . .
>
> الرئيس نيكسون: فقط ادخل وخذها! اذهب في نحو الثامنة أو التاسعة.
>
> هالدمان: . . . وسنفتش الخزانة.

(12) احتج كيسنجر بأنه كان يعرف متى لا يطيع أوامر نيكسون، أنظر ص 765 وما يليها، وقد ردد كل من هالدمان وإيرليكمان وغيرهما من المساعدين مزاعم مماثلة. وقد كتب نيكسون نفسه في مذكرة إلى هالدمان سنة 1969: «لدي شعور مقلق بأن كثيراً من الأشياء التي أرسلت في طلب تنفيذها يهملها أي موظف يستنتج أنها غير معقولة أو لا يمكن التوصل إليها. . . إنني أحترم هذا النوع من الأحكام». (هالدمان: هالدمان مع دي مونا، مصدر سبق ذكره، ص XXI، 58، إيرليكمان: إيرليكمان في مركز ميللر كمحررين، مصدر سبق ذكره، ص 128؛ النقل عن إيرليكمان في ويكر، مصدر سبق ذكره، ص 530 والحاشية على الصفحة نفسها؛ المساعدون الآخرون: سافاير، مصدر سبق ذكره، ص 112 وما يليها؛ هيلينغز، مصدر سبق ذكره، ص 121؛ مقابلات مع جون سيرز وليان راتيغان»؛ «كثير من الأشياء»: مذكرة ريتشارد نيكسون إلى هالدمان، في 16 حزيران / يونيو 1969، يستشهد بها جوناثان إيتكن، ص 414).

الرئيس نيكسون: هذا صحيح. ادخل وقم بالتفتيش. اقصد أن تنظف الخزانة **تنظيفاً**.

وفي صباح اليوم التالي، أثار الرئيس موضوع بروكينغز مرة أخرى، أثناء اجتماع له مع هالدمان وكيسنجر.

الرئيس نيكسون: عليك الآن أن تفعلها وتوقظهم، فلينهضوا عن أدبارهم الميتة لعنها الله... إننا نقف في مواجهة عدو، ومؤامرة يستخدمون فيها أية وسيلة [ثم، مع تشديد مفصل على كل كلمة] ونحن ـ سوف ـ نستعمل ـ أية ـ وسيلة. فهل هذا واضح؟ وهل تمت الإغارة على معهد بروكينغز في الليلة الماضية؟ كلا؟ **افعل ذلك**. أريد أن **يتم** ذلك. أريد أن يتم تنظيف خزانة بروكينغز. وأن يتم تنظيفها بطريقه تجعل شخصاً آخر يبدو [**الكلمة التالية غير مفهومة، ولعلها** «مذنباً»].

وبعد ساعتين:

الرئيس نيكسون: من الذي سيقتحم معهد بروكينغز؟... يا هنري... إنه خائف قليلاً. لديه بعض الأصدقاء هناك في بروكينغز... لقد قال لي إنه يؤيد الفكرة... إن عليك أن تحصل على هذه المادة من راند وبروكينغز.

ثم، مخاطباً إيرليكمان:

الرئيس نيكسون: يا جون، إن عليك مهمة تنظيف المكان. وأريد أن يتم العمل اليوم...

والمزيد في اليوم التالي:

الرئيس نيكسون: لقد كنت أقصد ذلك عندما قلت إنني أريد أن يذهب شخص ما ويفتح تلك الخزانة. يدخل ويحصل عليها... إن عليهم أن يفعلوا ذلك...

ولقد حاولوا أن يفعلوا، أكثر من مرة، وعلى مدى أشهر. كان هناك محقق سري قد استخدم من قبل في عمليات مكتومة، شملت مراقبة إدوارد كيندي وملاحقته. وقد تذكر أن تشارلس كولسون كلفه بالإغارة على معهد بروكينغز. وشهد بأن كولسون قد اقترح طريقة للقيام بذلك: يقوم أتباع نيكسون

بإضرام النار في بناية بروكينغز. ويتم اختطاف الملف أثناء الاضطراب الناجم عن إشعال النار.

وكان هذا الشاهد هو الشرطي السابق جون كولفيلد. وقد ارتأى أن تلك الخطة «حماريّة» بلهاء. وطلب تدخل مستشار البيت الأبيض جون دين. ففعل دين، كما قال في شهادته، بأن طار إلى سان كليمنت لرؤية إيرليكمان، مساعد الرئيس الذي لم تبدُ عليه الدهشة عند سماعه تقرير دين عن خطة القنبلة الحارقة. فلم يفعل سوى أن بحلق من خلال نظاراته النصفية وقال: «حسناً، لعلنا يجب أن نلغي هذه الخطة»، ثم نادى كولسون ليقول له: «يا تشاك، ذلك الشيء في بروكينغز، إننا لم نعد نريده. . .».

وقدر لجون دين أن يخبر المحققين، أنه في ذلك الوقت كان رجال كولسون قد «استطلعوا المكان». ولقد استذكر حارس قديم في مقابلة أجريت معه بعد سنوات، أن غريبين مثيرين للشبهات زارا المكان ذات مساء. وعندما اعترض طريقهما، اعتذرا وغادرا.

وحسب رواية شرطي سري آخر متعاقد مع البيت الأبيض، فقد جرى استطلاع ثانٍ في وقت لاحق. وكان عدد من أتباع نيكسون الآخرين، يعملون في ذلك الوقت لاستنباط بديل عن الخطة الأصلية، كانت فكرة إحراق بروكينغز لا تزال موجودة. غير أن أول سيارة مطافئ تصل إلى المكان ستكون مزيفة، من طراز عتيق مستعمل وتم شراؤها خصيصاً للعملية. ويقوم «طاقمها» بالوصول إلى «مخبأ الخزانة؛ ثم يتسللون مبتعدين في فوضى وصول أجهزة الإطفاء الأخرى».

وقال موظف سابق وصف هذه الخدعة بأنها قد شُطِبَتْ فقط، لأن سيارة الإطفاء كانت «غالية للغاية»[13]. وبينما حاول كولسون فيما بعد أن ينكر دوره،

(13) كان الموظف الذي شهد على تلقي الاقتراح باستخدام قنبلة حارقة هو جون كولفيلد. أمّا كولسون =

فقد اعترف إيرليكمان بأنه هو الذي ألغى تلك العملية، وقال أيضاً إن نيكسون كان يعلم سلفاً بأمر خطة القنبلة الحارقة. فإن كان هذا صحيحاً فإنه من أكثر الجوانب إثارة للذهول في هذه الواقعة الجنونية بكاملها.

أما كون نيكسون جاداً في أمر خطة بروكينغز، فإنه ثابت بوضوح وليس فقط لأن الأشرطة المسجلة تكشف إصراره على تنفيذ المؤامرة، بل إن تلك الأشرطة قد احتفظت بلحظة التآمر، عندما فطن ـ للحظة واحدة فقط ـ إلى وجود الميكروفونات الخفية. ففي 30 حزيران / يونيو حث هالدمان على الإشراف على الخطة كلها. ثم صمت ليحذره: «لا تناقش الأمر ههنا. . .».

ومن أجل اقتحام بروكينغز، كما أشار هالدمان، كانوا بحاجة إلى «شخصٍ ما ليقوم بذلك». وكان في ذهن الرئيس شخص من هذا القبيل، فقال له: «تحدث إلى هانت». وكان ذلك هو. هوارد هانت، الذي قدر له بعد سنة من ذلك التاريخ بالضبط، أن يقود فريق اقتحام مبنى ووترغيت.

وكما هو مذكور آنفاً، فإن هانت كان قد التقى بنيكسون لأول مرة قبل ذلك بعشرين سنة، عندما كان ضابطاً شاباً في وكالة المخابرات المركزية[14]. وكان هانت معجباً بنيكسون، فذهب إلى مائدته في مطعم بواشنطن وهنأه على ملاحقته لآلجر هيس. وكان نيكسون قد خرج للعشاء مع زوجته بات وهو سياسي شاب آنذاك، فدعا هانت وزوجته للانضمام إلى مائدته.

وبعد ذلك بست سنوات، عندما كان هانت يخدم في أورغواي توقف

= فقال بدوره إنه لا يتذكر أنه قدم هذا الاقتراح، وأنه ربما كان مجرد نكتة. وأما أُولاَسْفِيكْزْ، زميل كولفيلد، فقد استذكر أنه استطلع مبنى بروكينغز في الخريف. وكان الموظفان اللذان عملا على تدبير مخطط بديل هما هوارد هانت وغوردن ليدي، اللصان اللذان اقتحما ووترغيت فيما بعد. (كولفيلد: لجنة إيرفن، الكتاب الثاني والعشرون، ص 233، 249؛ ليدي وهانت: ليدّي، مصدر سبق ذكره، ص 236 وما يليها؛ لين، مصدر سبق ذكره، ص 202، ولكن أنظر إنكار هانت، في لجنة إيرفن، الكتاب التاسع، ص 37891).

(14) أنظر ص 301 والحاشية 10 على الفصل الثالث عشر.

نيكسون هناك، وهو في طريقه إلى كاركاس. فتحدث الرجلان مرة أخرى. وبعد ذلك أيضاً، عندما كان الرجلان منهمكين معاً في المحاولات المبكرة لإسقاط كاسترو، قال روبرت كوشمان، مساعد نيكسون العسكري لهانت، أن يتصل بنائب الرئيس للحصول على مساعدته عند الضرورة.

كان ذلك هو مدى العلاقة بين الرجلين قبل رئاسة نيكسون، كما قال هانت في مقابلة أجريت معه سنة 1997. ولم يذكر نيكسون شيئاً عن تلك اللقاءات الأولى في مذكراته. ويمكن تفسير مقطع فيها بأنه لم يكن حتى، قد سمع باسم هانت حتى أواخر سنة 1972[15]. وعندما بدأت رئاسته تنفجر من الداخل، قدر له أن يقول لإيرليكمان على شريط مسجل في البيت الأبيض: «أنت تعرف، إن كولسون لم يخبرني أبداً عن هانت وأنه يعرفه، إلاّ بعد قضية ووترغيت هذه».

ولم يكن ذلك صحيحاً. فلئن كانت الاجتماعات الأولى تافهة بحيث يكون نسيانها مفهوماً، فإن اسم هانت كان قد تم التلويح به أمام نيكسون، منذ الثلاثين من حزيران / يونيو 1971 على الأقل. ففي ذلك اليوم، كما يتضح من الأشرطة، ذكر نيكسونُ اسمَ هانت كمرشح لاقتحام بروكينغز. وفي اليوم التالي، قام كولسون بإطلاع الرئيس على التفاصيل، مادحاً هانت باعتباره «صديقاً مقرباً جداً لـ [سناتور] جيم باكلي... وقاسِياً كالمسمار... وكاتباً لامعاً... خرج لتوه من وكالة المخابرات المركزية، وهو في الخمسين، وكأنه نمر». كان كولسون يعرف هانت لأنهما كانا يلتقيان اجتماعياً قبل رئاسة نيكسون باعتبارهما من المنتسبين القدامى لنادي جامعة براون.

---

(15) عندما كتب نيكسون عن واقعة أخرى، هي دور هانت في فضيحة الادعاء بأن شركة الهاتف والبرق ITT قد تبرعت للجمهوريين في مقابل تسوية لقضية ضد الاتحاد الاحتكاري للشركات، قال: «ثم عرفت اسم الرجل فيما بعد: إدوارد هوارد هانت». وقد حدثت واقعة الشركة المذكورة في آذار / مارس، 1972، أي **بعد** نحو سبعة أشهر من مناقشته لدور هانت بالتفصيل، كما تُظْهِرُ الأشرطة. (**مذكرات ريتشارد نيكسون**)، ص 582).

نيكسون هناك، وهو في طريقه إلى كاركاس. فتحدث الرجلان مرة أخرى. وبعد ذلك أيضاً، عندما كان الرجلان منهمكين معاً في المحاولات المبكرة لإسقاط كاسترو، قال روبرت كوشمان، مساعد نيكسون العسكري لهانت، أن يتصل بنائب الرئيس للحصول على مساعدته عند الضرورة.

كان ذلك هو مدى العلاقة بين الرجلين قبل رئاسة نيكسون، كما قال هانت في مقابلة أجريت معه سنة 1997. ولم يذكر نيكسون شيئاً عن تلك اللقاءات الأولى في مذكراته. ويمكن تفسير مقطع فيها بأنه لم يكن حتى، قد سمع باسم هانت حتى أواخر سنة 1972[15]. وعندما بدأت رئاسته تنفجر من الداخل، قدر له أن يقول لإيرليكمان على شريط مسجل في البيت الأبيض: «أنت تعرف، إن كولسون لم يخبرني أبداً عن هانت وأنه يعرفه، إلاَّ بعد قضية ووترغيت هذه».

ولم يكن ذلك صحيحاً. فلئن كانت الاجتماعات الأولى تافهة بحيث يكون نسيانها مفهوماً، فإن اسم هانت كان قد تم التلويح به أمام نيكسون، منذ الثلاثين من حزيران / يونيو 1971 على الأقل. ففي ذلك اليوم، كما يتضح من الأشرطة، ذكر نيكسونُ اسمَ هانت كمرشح لاقتحام بروكينغز. وفي اليوم التالي، قام كولسون بإطلاع الرئيس على التفاصيل، مادحاً هانت باعتباره «صديقاً مقرباً جداً لـ [سناتور] جيم باكلي. . . وقاسِياً كالمسمار. . . وكاتباً لامعاً. . . خرج لتوه من وكالة المخابرات المركزية، وهو في الخمسين، وكأنه نمر». كان كولسون يعرف هانت لأنهما كانا يلتقيان اجتماعياً قبل رئاسة نيكسون باعتبارهما من المنتسبين القدامى لنادي جامعة براون.

(15) عندما كتب نيكسون عن واقعة أخرى، هي دور هانت في فضيحة الادعاء بأن شركة الهاتف والبرق ITT قد تبرعت للجمهوريين في مقابل تسوية لقضية ضد الاتحاد الاحتكاري للشركات، قال: «ثم عرفت اسم الرجل فيما بعد: إدوارد هوارد هانت». وقد حدثت واقعة الشركة المذكورة في آذار / مارس، 1972، أي **بعد** نحو سبعة أشهر من مناقشته لدور هانت بالتفصيل، كما تُظْهِرُ الأشرطة. (**مذكرات ريتشارد نيكسون**)، ص 582).

نيكسون هناك، وهو في طريقه إلى كاركاس. فتحدث الرجلان مرة أخرى. وبعد ذلك أيضاً، عندما كان الرجلان منهمكين معاً في المحاولات المبكرة لإسقاط كاسترو، قال روبرت كوشمان، مساعد نيكسون العسكري لهانت، أن يتصل بنائب الرئيس للحصول على مساعدته عند الضرورة.

كان ذلك هو مدى العلاقة بين الرجلين قبل رئاسة نيكسون، كما قال هانت في مقابلة أجريت معه سنة 1997. ولم يذكر نيكسون شيئاً عن تلك اللقاءات الأولى في مذكراته. ويمكن تفسير مقطع فيها بأنه لم يكن حتى، قد سمع باسم هانت حتى أواخر سنة 1972[15]. وعندما بدأت رئاسته تنفجر من الداخل، قدر له أن يقول لإيرليكمان على شريط مسجل في البيت الأبيض: «أنت تعرف، إن كولسون لم يخبرني أبداً عن هانت وأنه يعرفه، إلاّ بعد قضية ووترغيت هذه».

ولم يكن ذلك صحيحاً. فلئن كانت الاجتماعات الأولى تافهة بحيث يكون نسيانها مفهوماً، فإن اسم هانت كان قد تم التلويح به أمام نيكسون، منذ الثلاثين من حزيران / يونيو 1971 على الأقل. ففي ذلك اليوم، كما يتضح من الأشرطة، ذكر نيكسونُ اسمَ هانت كمرشح لاقتحام بروكينغز. وفي اليوم التالي، قام كولسون بإطلاع الرئيس على التفاصيل، مادحاً هانت باعتباره «صديقاً مقرباً جداً لـ [سناتور] جيم باكلي... وقاسِياً كالمسمار... وكاتباً لامعاً... خرج لتوه من وكالة المخابرات المركزية، وهو في الخمسين، وكأنه نمر». كان كولسون يعرف هانت لأنهما كانا يلتقيان اجتماعياً قبل رئاسة نيكسون باعتبارهما من المنتسبين القدامى لنادي جامعة براون.

---

(15) عندما كتب نيكسون عن واقعة أخرى، هي دور هانت في فضيحة الادعاء بأن شركة الهاتف والبرق ITT قد تبرعت للجمهوريين في مقابل تسوية لقضية ضد الاتحاد الاحتكاري للشركات، قال: «ثم عرفت اسم الرجل فيما بعد: إدوارد هوارد هانت». وقد حدثت واقعة الشركة المذكورة في آذار / مارس، 1972، أي بعد نحو سبعة أشهر من مناقشته لدور هانت بالتفصيل، كما تُظْهِرُ الأشرطة. (**مذكرات ريتشارد نيكسون**)، ص 582).

كما ناقش هالدمان موضوع هانت مع الرئيس كمجنّد محتمل، في مناسبتين. وعاد كولسون إلى امتداحه بعد ذلك بشهر، وتزكيته باعتباره «محللاً من الدرجة الأولى، أمضى حياته كلها في الأعمال الحربية التخريبية. . . وهو معجب بك منذ قضية آلجر هيس». واستذكر كولسون فيما بعد أن اسم هانت كان في أسفل قائمة من ستة أسماء، رشحها كولسون لمهمة مواجهة حالات تسرّب كالتي حدثت لأوراق البنتاغون. غير أن نيكسون انتقى من بينهم هانت.

ولاحظ هالدمان في مذكرته ذلك الأسبوع، أن الرئيس كان يريد «شخصاً قذراً» ليقوم بإحباط «المؤامرة» ضده. وقد حصل على واحد الآن. وقال إيرليكمان في مكالمة مع كوشمان، الذي كان عندئذ من كبار مسؤولي وكالة المخابرات المركزية: «أريد أن أنبهك إلى أن أحد معارفك القدامى، وهو هوارد هانت قد كلفه الرئيس بعمل استشاري حول مشاكل أمنية. وسوف يتصل بك في وقتٍ ما في المستقبل طالباً بعض المساعدة. . . فعليك أن تعتبر أن لديه شيكاً على بياض إلى حد كبير».

وبعد أسبوع من انضمام هانت، وبينما كان نيكسون يتمشى على المصطبة في سان كليمنت، انطلق من استئجار شخص واحد، إلى إقامة وحدة تحقيق سرية مسؤولة أمام المكتب البيضاوي مباشرة.

وسرعان ما بدأت المجموعة الجديدة تعمل، من غرفة في السرداب الأوسط لمبنى المكتب التنفيذي، على بابها لافتة كتب عليها: «**السيد يونغ: سباك**» وكان هذا «اليونغ» هو ديڤيد يونغ، القائد المشترك للمجموعة. وكانت كلمة «سباك» تصف مهمتهم: وهي سدّ ثقوب التسرب التي أثارت ثائرة الرئيس.

وكان نيكسون شخصياً قد أعطى تعليماته للرجل المكلف بإدارة الطاقم، وهو إيجل («باڈ») كروفْ، المساعد الشاب الذي كان قد شهد زيارة نيكسون الغريبة، إلى مبنى مجلس النواب فجراً في السنة المنصرمة. كان كروف ـ ولا

يزال، كما علم المؤلف من مقابلات مستفيضة معه ـ واحداً من أنزه الذين خدموا مع موظفي البيت الأبيض. وكان في ذلك الوقت أيضاً قليل الخبرة إلى حدٍّ ما، أو حسب رواية صديق له: «كان نوعاً من الرجال إذا أوكلت إليه مسؤولية حفل زفاف كبير، فلن يعرف كيف يحصل على شرطيين لتنظيم حركة المرور». ولعله بهذه الصفة لم يكن الرجل المثالي المنتقى لرئاسة وحدة الرئيس السرية الشديدة البراعة.

كما تم تجنيد هوارد هانت، والشخص الغريب الأطوار الذي سيرتبط اسمه به إلى الأبد، وهو غوردن ليدّي، عميل مكتب التحقيقات الاتحادي السابق الذي كان عندئذ في الأربعين من عمره. وكان لديه اهتمام خاص بألمانيا النازية. فكانت موسيقى الرايخ الثالث تهزه، وتجعله يشعر «بشيء غريب في داخله». كما كان، بحسب روايته نفسها مهووساً بالبنادق، والعنف، والقوة الغريزية البدائية لإرادة الإنسان.

وكان ليدّي يحب أن يناقش طرق القتل، مثل معالجة الضحية بطعنة واحدة من قلم حاد مدبّب فوق عقدة الحنجرة مباشرة ـ وقد حصل على مسدس من عيار 9 ملم من وكالة المخابرات المركزية، له أسطوانة دوارة «لاستخدامه في حالة قيام باد كروف أو غيره من رؤسائي في البيت الأبيض بتكليفي بعملية اغتيال». ولعل ذلك لم يكن رصيداً محتملاً بعيد الصلة بمهامّه، بل وثيق الصلة بها، كما ستوضح هذه الصفحات.

وقال واحد ممّن عرفوه عندئذٍ: «إن غوردن راعي بقر». وقد لازمته هذه الصفة زمناً طويلاً فيما بعد. وفي سنة 2000، في سن السبعين كان مضيفاً متغطرساً متبجحاً له «صفحة **ليدّي**» على موقع على شبكة الإنترنت، يصوّر فيها نفسه مع دراجته النارية الرهيبة من طراز لنغنفلتر المحوّرة «94 كورفيت ZR-1»، التي كان يطلق عليها اسم «مركبة الزعيم»، ودوره في المسلسل التلفزيوني «**18 عجلة من العدالة**». وكان في الموقع أيضاً إعلان عن «التقويم المحشوّ المعبأ،

من إعداد ج. غوردن ليدّي، الذي يصور أجمل نساء أمريكا، مسلحات تسليحاً ثقيلاً». كان هذا هو الرجل الذي صار في سنة 1971، منسق العمليات الميدانية للوحدة الخاصة التابعة للرئيس.

وقدر له أن يتبجح فيما بعد، أنه عندما صار «سباكاً» [مكلفاً بسدّ منافذ تسريب الوثائق إلى الصحافة]، سرعان ما نال مديحاً من نيكسون على كتابة «أحسن مذكرة رآها منذ سنوات. . .»، وكان يشير بذلك إلى تقرير رفعه، وفيه يلخص لماذا حان الوقت لتقاعد هوڤر، مدير مكتب التحقيقات الاتحادي. وكانت تلك مجادلةً قد اقتنع نيكسون بفحواها من قبل. كان هوڤر حليف نيكسون زمناً طويلاً. أما في ذلك الحين [1971]، فقد كان نيكسون يريد ذهابه.

كان الرئيس يتعرض لمتاعب مع المدير. وكانت آخر القضايا وأحدثها ملاحقة دانيال إلسبرغ. وقد استذكر إيرليكمان: «على الرغم من تحريض الرئيس الملحّ، فإن هوڤر أعطى المشروع أولوية شديدة الانخفاض». وقد خاب أمل نيكسون من هذه اللامبالاة الظاهرة، إلى درجة أنه طلب هوڤر بالهاتف ليقول له، إنه «مضطر لإرسال شخصين إلى هناك».

كان «الشخصان» هما هانت وليدّي. وكانت «هناك» هي كاليفورنيا. فلقد خاب ظن السباكين من صورة أولية عن الحالة النفسية لإلسبرغ، قدمتها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، ولذا اقترحوا، بصورة خطية «عملية سرية» «لتفحص جميع الملفات الطبية» في مكتب الطبيب النفسي لإلسبرغ في لوس آنجيلوس. ووافق إيرليكمان على الفكرة، خطياً هو الآخر، شريطة إمكانية تنفيذ المهمة بطريقة «لا تكشف مصدرها» فلا تترك أثراً ينم عن الفاعل.

وكما قدر للدنيا أن تعلم أثناء ووترغيت، فقد طار هانت وليدي وصولاً إلى الشاطئ الغربي. كانا مجهزين بتنكر سخيف، قدمته لهما وكالة المخابرات المركزية، وحصلا على مساعدة شركاء من الكوبيين المنفيين، فاقتحما مكتب الطبيب، فلم يجدا شيئاً. فتركاه في حالة من الفوضى لإعطاء انطباع، بأن الجناة

كانوا يريدون سرقة أدوية ومخدرات. وهكذا لم تحقق الجريمة شيئاً على الإطلاق سوى أنه سيكون من شأنها ـ ذات يوم في وقت لاحق ـ أن تعرض رئاسة نيكسون لمزيد من الأخطار.

وفي خطاب مذاعٍ إلى الأمة في سنة 1973، بعد افتضاح أمر الاقتحام، أوضح نيكسون أن توجيهاته للسباكين، بأن قضية إلسبرغ «ذات أهمية حيوية للأمن القومي». غير أنه كان أكثر صراحة في مذكراته، حيث أصرّ على أنه كان «يتعين عليه تفنيد آراء إلسبرغ» وبعبارة أخرى، فإن نوع التهم التي ادعاها كيسنجر ضد إلسبرغ كان يجب تصديقها وتأكيدها وإعلانها على الملأ. وكما قال كولسون لنيكسون «يمكن تصويره على أنه شرير»؛ أو يمكن «تحييده» كما كتب هانت في مذكرة.

وأمّا مسألة ما إذا كان نيكسون قد أمر بعملية الاقتحام، أو علم بها سلفاً فقد تمت مناقشتها طويلاً. فقد قام كروف، الذي أرسل هانت وليدّي في مهمتهما، بإخبار المؤلف بأن نيكسون كان قد منحه «صلاحية» عامة للقيام بالمهمة، ولكنه لم يعطه أمراً محدداً بالكسر والخلع والاقتحام. وقد نقل إيرليكمان عن نيكسون أنه أَذِنَ «بعمل مباشر» على أيدي هانت وليدّي[16].

وتفشل أشرطة البيت الأبيض المفرج عنها حديثاً في توضيح القضية. وأثناء مناقشة أوراق البنتاغون قال نيكسون لكولسون: «لقد شرحت الأمر اليوم لإيرليكمان، من جانب التحقيقات». وقد حدثت هذه المحادثة في الوقت ذاته، وربما في اليوم نفسه الذي وقع فيه إيرليكمان المذكرة التي يوافق فيها على المهمة.

---

(16) قُدِّر لجون دين أن يستذكر فيما بعد أن كروف قال له إنه: «تلقى أوامره من المكتب البيضاوي مباشرة». وفي مقابلات مع المؤلف، قال كروف إنه يعتقد أن جون دين قد أساء تفسير ذلك. فما قَصَدَ أن يقوله هو أن الرئيس قد فوّضه بأن يعمل، ولكن ليس باقتحام المبنى على وجه التحديد الدقيق. (دين: شهادة جون دين أمام لجنة إيرڤن، الكتاب الثالث، ص 1007).

غير أن إيرليكمان حجب بعض التفاصيل المحددة عن الرئيس، بعد أيام من وقوع الاقتحام، فلم يقل له إلاً أن «عملية صغيرة قد وقعت، وتم إفشالها هناك في لوس آنجيلوس. وأعتقد أن من الأفضل أن لا تعرف شيئاً عنها». وقد شهد إيرليكمان فيما بعد، أنه قد اختار ألاّ ينقل إلى رئيسه ما حدث بعد وقوع الواقعة، لأنه «لم يكن هناك أي شيء يستطيع أن يفعله الرئيس حول ذلك الأمر»[17].

وبالمثل، فإن محادثات نيكسون اللاحقة، لا تكشف على وجه اليقين شيئاً عن مدى تورطه. فهو يصرخ شاكياً للمتحدث الصحافي باسمه، رون زيغلر في وسط فضيحة ووترغيت: «العنهم الله في جهنم. لم أطلب منهم أن يذهبوا ويخربوا الأمور في مكان إلسبرغ». ثم يقول بعد يومين: «أنا متلبس.. مضطر إلى التلبس بالموافقة على الخطة. وقد فعلت ولم أعرف أو أدقق عن وجود الاقتحامات، إننا لم نفكر في مثل هذه الأشياء!».

وكما يبين الشريط بوضوح، فإن من المؤكد أن نيكسون قد فكر في أعمال مماثلة. فقد أمر تكراراً باقتحام مؤسسة بروكينغز. قبل شهرين فقط من اقتحام مكتب الطبيب النفسي. ويوضح حوار آخر مسجل ماذا كان دافعه الأولي بينما كانت تحيط به الفضيحة. فقال لزملائه: «أعتقد أنه كان عليّ أن أتجنب كون الرئيس قد وافق على عملية كسر باب مكتب طبيب نفسي».

في إذاعة سنة 1973 أنكر نيكسون تورطه إنكاراً كاملاً، مصراً على أنه «لم

(17) من الواضح أن إيرليكمان كان يشير إلى محاولة الحصول على ملفات طبيب إلسبرغ النفسي. وهي محاولة تم التخلي عنها بعد فشل محاولة الاقتحام. ولعله كان يستخدم خدعة «إمكانية الإنكار» بحماية الرئيس من التفاصيل عند فشل العملية. ومن الأمثلة المشابهة لتلك السياسة التي اتبعها موظفو وكالة المخابرات المركزية عند مناقشة موضوع إزاحة كاسترو مع آيزنهاور وكينيدي. فقد قيل إنهم كانوا يتجنّبون مناقشة مؤامرات الاغتيال عند تثبيت الأمر من حيث المبدأ، بحيث يتمكن الرؤساء من إنكار التورط إنكاراً مشروعاً. وهذا الشرح من إيرليكمان لا يعني أن نيكسون قد لا يكون وافق على المهمة في وقت سابق. وكما هو مناقش فيما بعد، فإن إيرليكمان كان يعتقد أن قد فعل ذلك حقاً ـ، عن طريق كولسون.

يفوض أحداً، ولم يكن له أي علم، باستخدام وسائلٍ غير قانونية». ولكنه في مجالسه الخاصة، وبعد أيام من استقالته، كان أقل تأكداً. بل إنه طرح هذا السؤال: «هل عرفتُ بذلك الاقتحام؟» على السباك السابق إيجل كروف، الذي كان أحد أوائل زواره في سان كليمنت بعد استقالته ومغادرته لواشنطن[18].

وبعد ذلك بسنتين، عبّر نيكسون عن عدم التأكد نفسه لبوب هالدمان، فقال: «كنت غاضباً على إلسبرغ إلى حد جنوني لعين في تلك الأيام. ولقد كنت أفكر. ربما أكون قد أمرتُ فعلاً بذلك الاقتحام».

وحسب رواية إيرليكمان، فإن اثنين من المساعدين العاملين مع نيكسون في معتزله بعد سقوطه، قد أخبراه أن نيكسون قد اعترف بمسؤوليته في آخر الأمر. وزعم إيرليكمان أن «نيكسون يعترف الآن بما أنكره سابقاً. فقد كان على علمٍ باقتحام [مكتب الطبيب النفسي إلسبرغ] قبل حدوثه[19]».

ولجأ نيكسون في مذكراته إلى الغموض، فكتب يقول: «لا أعتقد أنني أُخْبِرْتُ بالاقتحام في ذلك الحين... ولكنني لا أستطيع استبعاد ذلك». ولقد أشعلت تلك المراوغة غضب إيرليكمان، لأنه في الوقت الذي لم يحاسَبْ فيه نيكسون على أعماله أبداً، قضى إيرليكمان وكروف وقتاً في السجن بسبب اقتحام ذلك المكتب.

وقد ذهب إيرليكمان إلى قبره موقناً بأن نيكسون، قد فوضه بارتكاب الجريمة عن طريق تشارلس كولسون. وكان كولسون قد أنكر تورطه، ولكن

---

(18) بعد أن أطلق سراح كروف من السجن، قام بزيارة طبيب إلسبرغ النفسي، الدكتور لويس فيلدنغ، واعتذر له شخصياً عن اقتحام مكتبه، ثم اتجه بسيارته إلى سانت كليمنت لمقابلة نيكسون، الذي كان قد استقال قبل ذلك بأقل من أسبوع. وفي سياق محادثاتهما سأله نيكسون: «هل كان لديَّ علمٌ مسبق [باقتحام المكتب]؟» فردّ كروف بأنه لا يملك أي معلومات عن كون نيكسون مطلعاً على الأمر. وعندها ردّ عليه نيكسون: «لو أنك جئتَ إليَّ لوافقت على العملية». (مقابلات مع إيجيل كروف).

(19) قال إيرليكمان إن المساعدين هما فرانك غانون ودايان سُويَرْ، الموظفان السابقان في البيت الأبيض، اللذان بقيا للمساعدة في تجميع مذكرات نيكسون.

سجل الوثائق المدونة يثبت أنه كان من المطلعين على الفكرة من لحظة اقتراحها[20]. ويظهر كولسون في توضيح محتمل آخر، يدعو إلى الرثاء لحالة النسيان التي يبدو أنها أصابت نيكسون حول القضية.

قال آليكساندر هيغ، الذي احتل منصب هالدمان في آخر الأمر: «من الصعب معرفة ما الذي عرفه [نيكسون] ـ أو لم يعرف». فقد كان كولسون «قادراً على الحصول على ما يريد من الرئيس نيكسون، لأن كل ما كان يتطلبه الأمر هو إعطاء نيكسون كأساً من الويسكي الاسكتلندي. فقد كانت قدرة تحمله للكحول صفراً ـ إذ إنه كان يصاب بالثمل الشديد... كانت القوة الرمادية الغامضة خلف الكواليس وراء هذا الأمر هي كولسون».

وقدر لنيكسون أن يدمدم متذمراً عندما بدأ تحقيق الكونغرس، بأنه لأمر لا يصدق أن يضطر إلى تحمل «روث الحصان هذا» عن النشاط السري للعاملين معه. غير أن شذرة من المعلومات توحي بأن كثيراً من مثل هذا النشاط كان قد جرى، حتى في أواخر سنة 1971، أكثر مما استطاع محققو ووترغيت أن يسبروا غوره.

إن الجدل حول ما إذا كان نيكسون قد تآمر شخصياً لاقتحام مكتب ذلك الطبيب النفسي، يبدو أكاديمياً نظرياً لا طائل وراءه في سياق ما نعرف عن المؤامرات الأخرى. فالأدلة المسجلة على أشرطة، وليس التسجيلات التي تحمل إصراره على اقتحام مؤسسة بروكينغز فحسب، تدل على أن السرقة كانت عنده شيئاً مبرراً بسهولة.

---

(20) إن «هيكل خطة العمليات» الأصلي للحصول على معلومات تحطّ من قدر إلسبرغ قد جاء إلى كولسون على شكل مذكرة من هوارد هانت. وكان من بين المخططات المذكورة على وجه الدقة «الحصول على ملف إلسبرغ من محلله النفسي». وكان كولسون هو الذي طلب منه إيرليكمان «خطة اللعبة» حول أفضل طريقة لاستخدام المعلومات إذا نجحت العملية. ولم يكن ذلك صحيحاً، كما يتضح من عدة محاورات مسجلة في سنة 1971 («الخطة»: مذكرة من هوارد هانت إلى تشارلس كولسون، في 28 تموز / يوليو، 1971، لجنة إيرڤن، الكتاب السادس، ص 3886؛ «لم أتكلم أبداً» شريط البيت الأبيض المسجل في 27 آذار / مارس 1973؛ **إساءة استخدام السلطة**، ص 6، 15، 27، 34).

بعد أسبوع من اقتحام مكتب الطبيب إلسبرغ، تآمر نيكسون مع إيرليكمان حول كيفية اختلاس وثائق من أرشيف المحفوظات الوطنية، أكبر مستودع لأهم السجلات التاريخية التي تعتز بها الأمة وتحترمها. وكما هي الحال في مخطط بروكينغز، كان الهدف هو الوصول إلى ملفات الحرب الڤيتنامية، وهي وثائق كان موظفو جونسون السابقون قد أودعوها هناك، شريطة أن يحتكروا وحدهم حق التفويض بالوصول إليها.

في 10 أيلول / سبتمبر، سنة 1971، قال إيرليكمان للرئيس: «إنني سوف أسرق هذه الوثائق من المحفوظات الوطنية. . . وأصورها». فلم يزد نيكسون على أن سأله: «كيف ستفعل ذلك؟» فشرح له إيرليكمان خطته. سوف يدبّر مع أحد الموظفين الذين عينهم نيكسون في إدارة الخدمات العامة، أمر جعل مسؤول المحفوظات يغادر المدينة ثم، كما قال، «نستطيع أن ندخل إلى هناك، ويقوم [الموظف الذي عينه نيكسون] بالتصوير. ثم نعيد إغلاق الوثائق في ختمها». وفي اجتماع لاحق، ناقشوا كيف يمكن القيام بالمهمة دون تكسير الأختام.

أما العمل التصويري، فقد أخبر إيرليكمانُ الرئيسَ، أنه سيتم على يد موظف من وزارة الدفاع يرسله أحد أتباعهم، وهو مستشار الوزارة القانوني، فريد بوجارت. وبعد ذلك بسنتين قدر لبوجهارت هذا، بصفته محامي نيكسون في ووترغيت، أن يحذره من احتمال وجود «شائعات عن عمليات اقتحام أخرى. . . لن يعرفوا من الذي قام بها. . .».

ورد نيكسون أنه لا يعرف شيئاً عن أية حادثة أخرى من هذا القبيل. غير أن كيسنجر قد استذكر أن محامياً آخر لنيكسون قال له، إن هناك فعلاً «حوادث اقتحام أخرى وافق عليها البيت الأبيض لأغراض كثيرة متنوعة، بعضها لم يتضح بعد. . . و[أن المسألة] كانت ورطة قذرة وخسيسة»[21].

(21) كان المحامي الآخر لنيكسون هو لين غارمنت.

وتشير دراسة قام بها واحد من أكمل الباحثين في تلك الفترة، إلى أن حوادث الاقتحام في ظل إدارة نيكسون لأغراض سياسية ربما يصل تعدادها إلى مئة. وقد أخبر السناتورُ الأمريكي جيمس أبو رزق زملاءه بأنه «على الرغم من كون الأدلة التي تربط الحكومة بهذه الحوادث ظرفية، فإنها مذهلة ومقنعة معاً. . . ذلك أن جميع ضحاياها كانوا هدفاً لاهتمامات الإدارة. . . كما أن الهجمات عليهم كانت تتبع نمطاً متجانساً ثابتاً»[22].

فالمتطفلون في الحالات موضوع الدراسة، لم يكونوا لصوصاً عاديين. فهم لم يسرقوا شيئاً ذا قيمة، بل استهدفوا بدلاً من ذلك المراسلات، والسجلات المالية، والأشرطة. وتأملوا بعض حوادث الاقتحام المشبوهة التي وقعت أثناء فترة الرئاسة الأولى.

فبعد ثلاثة أشهر من دخول أزلام نيكسون مكتبَ الطبيب إلسبرغ النفسي، دخلَ لصوصٌ مجهولون مكتبَ المحلل النفسي الذي كان قد عالج زوجة إلسبرغ بنيويورك، ووجهوا اهتماماً خاصاً إلى خزانة الملفات التي كانت تحتوي على سجلاتها. ولاحظت الدراسة كذلك اقتحاماً لمكتب صندوق الدفاع القانوني للرابطة الوطنية لتحسين أحوال الملونين في نيويورك، التي كانت تكافح السياسات العنصرية للإدارة. وقد وقعت تلك الحادثة بعد أربع وعشرين ساعة من اقتحام مقر عمل الطبيب إلسبرغ. وقد عُرِف عن هانت وليدّي أنهما سافرا إلى نيويورك في ذلك اليوم بالذات.

وصدرت الأوامر لمحقق آخر من أتباع نيكسون باستطلاع مكاتب مجموعة بوتوماك، وهي مجموعة للبحث السياسي كان يديرها وليام واطس، المساعد السابق لكيسنجر والمنشق عنه. وكانت هذه المجموعة قد نشرت

---

(22) كان مؤلف الدراسة هو روبرت فِينْك، الذي كان قد عمل مع بوب وود وورد، المحرر في **الواشنطن بوست**. وقد قام السناتور أبو رزق بإدخال النتائج في **سجل الكونغرس** (المجلد 120، العدد 153، في 9 تشرين الأول / أكتوبر، 1974، «عمليات الاقتحام غير المحلولة» ـ).

دراسةً تشير إلى أن البلد ينزلق إلى أزمة في ظل إدارة نيكسون. فقدم ذلك المحقق تقريراً ذكر فيه أن «اختراق [تلك المجموعة] يعتبر ممكناً عند الطلب». وطلب مساعدٌ لهالدمان استيفاء تلك المعلومات بتحديثها. فجرت محاولة اقتحام في آخر الأمر.

أمّا مكاتب واضع استمارات الاستبيان لوهاريس، فلم تُقْتَحَمَ مَرَّةً واحدة بل ثلاث مرات، في أعقاب نشر نتيجة استبيان غير مؤاتية، حول ردود فعل عامّة الناس إزاء غزو كمبوديا.

وقد ثارت الشكوك والشبهات بشكل خاص، حول واقعة من واقعتين تم فيهما اقتحام منزل مورتيمر كابلين في واشنطن. وكان كابلين مفوض مصلحة الضرائب الداخلية في عهد إدارة كيندي. وقد تجاهل الفاعل الساعات، والمجوهرات، وسندات الحكومة وأخذ بدلاً منها علبة وثائق. وكان كابلين في ذلك الشهر قد أيّد شكوى للحزب الديموقراطي، حول قيام البيت الأبيض بمراقبة سجلات عائدات الضرائب. كما ظهر اسمه على إحدى قوائم الأعداء.

ومن بين الحوادث الغامضة الكثيرة التي وقعت في الأشهر التالية، لا تستطيع هذه الصفحات أن تشمل سوى أكثرها صلة بهذا الوضع بطريقة سافرة بادية للعيان. وقد جذبت بضعٌ منها اهتماماً كبيراً في ذلك الحين. غير أنها ذات صلة، لأنها تشير إلى أن إساءة استخدام البيت الأبيض للسلطة على عهد نيكسون، قد حدثت على نطاق أضخم مما أدركه جمهور الناس.

وعلّق السناتور الجمهوري لويل ويكر على حوادث الاقتحام والتنصت على الهواتف الأكثر شهرة وبروزاً بقوله: «إن التعديل الرابع في الدستور يضمن (حق الناس في أن يكونوا آمنين على أشخاصهم، ومنازلهم، وأوراقهم، وأمتعتهم ضد عمليات التفتيش والمصادرة غير المعقولة. . .) وقد انتهك هذا الحق بشكل سافر صريح». وقد حكم ويكر على «أنشطة المخابرات السرية» للبيت الأبيض في عهد نيكسون، بأنها كانت «أعظم تشويه للنظام السياسي».

قال الرئيس في حفل عشاء للموظفين، للاحتفال ببداية سنته الرابعة في السلطة: «دعونا نتأكد من أننا لم نهمل شيئاً مما كان يمكن عمله لجعل هذا البلد أكثر لطفاً وأجدر بالاحترام. . .».

وعلى جبهة السياسة الخارجية، كانت قد اقتربت لحظة تستحق التمجيد. فقد قدر لجوهرة دبلوماسية نيكسون الدولية، وهي الانفتاح على الصين، أن تُتَوَّجَ بعد ذلك ببضعة أسابيع برحلته الرائعة إلى بيجينغ، للالتقاء بالرئيس ماوتسي تونغ. وبعد ذلك بزمن غير طويل، قدر لطائرة السلاح الجوي رقم واحد، أن تحمل نيكسون إلى موسكو لإجراء مناقشات بالغة الأهمية مع ليونيد بريجنيف. وتحقق تقدم فعلي في الحد من الأسلحة النووية. واستمرت الحرب في ڤيتنام. ولكن القوات الأمريكية سرعان ما أعيدت، فلم يبق منها هناك سوى تسعة وستين ألفاً. فكانت تلك منجزات هامة، وأرصدة ذهبية للانتخابات التالية. الانتخابات التي كان نيكسون يأمل في أن تقدم له ـ أخيراً ـ نصراً كاسحاً.

وفي عيد الميلاد من تلك السنة (1971)، نقل التلفزيون إلى الأمة صورة تدفئ القلب عن العائلة الأولى. فقامت جولي بنقل مشاهدي شبكة إذاعة وتلفزة كولومبيا إلى داخل الأجنحة الخاصة في البيت الأبيض، لتريهم أنه «مثل أي بيت في الولايات المتحدة». ولاحظ هالدمان في مذكرته اليومية، أن نيكسون قد «لعب الدور المطلوب منه» أمام شجرة عيد الميلاد.

والواقع أن الرئيس كان يريد تجنب احتفالات ذلك الموسم، حسب رواية بندٍ آخر في مذكرات هالدمان. إذ إنه كان يأمل في أن «نلقي جانباً بكل أعمالنا وخدمتنا في كانون الأول / ديسمبر، ونتملص من (أمسية عيد الميلاد في البيت الأبيض) ونمضي عدة عطلات لنهاية الأسبوع في فلوريدا. . . كما أنه كان يريد جدولة جميع حفلات عيد الميلاد في البيت الأبيض أثناء الوقت الذي يكون غائباً فيه، بحيث لا يضطر إلى حضورها».

وهرع نيكسون فعلاً إلى فلوريدا وإلى «استعراض قوارب عيد الميلاد»، الذي نظمه بيب ريبوزو. ولكنه لم يذهب إلاً بعد عيد الميلاد، وبعد حضور واحدة على الأقل من حفلات البيت الأبيض. وكان أحد الحاضرين هوارد هانت، مصطحباً معه زوجته. وقد استذكر هانت في سنة 1997: «عبرتُ خلال الخط المصطفّ. فتعرف عليّ نيكسون وقال: «كم هو لطيف أن نراك!»، فقلت: «إنني أعمل لدى تشاك كولسون الآن». فقال: (آه نعم، عندي علم بذلك. . .)».

وفي رأس السنة، جلس مدير مكتب التحقيقات الاتحادي، هوڤر، في سيارة ليموزين متوقفة في فلوريدا، مع وكيل المكتب المحلي المسؤول، كينيث ويتاكر. كان على وشك الإقلاع عائداً إلى واشنطن مع الرئيس على متن طائرة السلاح الجوي رقم واحد. وكان ذلك يوم عيد ميلاده. ومع ذلك كان الرجل العجوز مكتئباً. «لم يكن لنيكسون منزلة عالية عنده» كما استذكر الوكيل، الذي سمعه يقول: «دعني أقول لك يا ويتاكر، إن بات نيكسون تصلح للرئاسة أفضل منه».

ولدى العودة إلى واشنطن، طلب هوڤر من صحافي يثق به، هو آندرو تولي، أن ينضم إليه على الغداء في غرفة سفرته الخاصة، ثم قال له: «لديّ بعض الأشياء لأقولها. ولكنني لا أريدك أن تنشرها إلاً بعد موتي». فوافق الصحافي. وتدفق هوڤر.

كان نقده جارحاً للرجال المحيطين بنيكسون. «إن بعض أولئك الأشخاص لا يعرفون شيئاً على الإطلاق عن عملية تنفيذ القانون أصولاً. فهم يظنون أنهم قادرون على الإفلات بجريمة قتل دون أن ينالهم العقاب. ولقد أخبرت الرئيس أنني أتمنى أن يطول بي الأجل على نحو كاف، لمنع أولئك الناس من توريطه بمتاعب سيئة».

وقد هاجم هوڤر مستشاري نيكسون واحداً بعد الآخر. فقال إن جون

ميتشل «لم يسبق له أن دخل قاعة محكمة على الإطلاق. . . وهو غير مؤهل ليكون مدعياً عاماً». أما إيرليكمان، وهالدمان، وزيغلر «فهم لا يعرفون أي شيء سوى ترويج الإعلانات وبيعها» وجون دين «لا يعرف شيئاً عن القانون. . . ابن العاهرة». وحذّر مدير الوكالة من أن «روضة» الرئيس مستمرة «بالخروج بخطط نصف مخبوزة».

ثم ببعد نظر مسبق يدل على خبرة متميزة، تنبأ بالكارثة المقبلة تنبؤاً فعالاً، ودمدم قائلاً: «بحق الله، إن لدى نيكسون بعض رجال وكالة المخابرات المركزية السابقين، لو كانوا يعملون عندي لطردتهم من مكتبي طرداً. ولسوف توقعه هذه الزمرة ذات يوم في مأزق رهيب».

ولم يقدر لهوفر أن يعيش حتى ينقذ نيكسون من الكارثة. فقد كانت واقعة اقتحام مبنى ووترغيت على مبعدة أقل من ستة أشهر آنذاك.



29

إننا لمحظوظون أنها كانت ووترغيت، لأنها لو لم تكن تلك لكانت شيئاً أسوأ بكثير، بحسب الطريقة التي كانت تسير بها الأمور.

برايس هارلو، المستشار الرئاسي، مستذكراً
حديثاً مع هنري كيسنجر في أعقاب ووترغيت

«ياالله وليسوع!» صرخ نيكسون في صيف سنة 1971: «إننا بحاجة إلى **مليوني** دولار. . . مليونين على الأقل. . .» كان قد سأل كم من المال قد اخْتُزِنَ وخُبِّئ للعمليات الخاصة، وكان هالدمان قد أخبره: «نحو مليون دولار» أي ما يقرب من أربعة ملايين بأسعار يومنا هذا[1]. وقد قُدِّر لثروة حملة الانتخابات الفاحشة أن تملأ الخزائن أكثر، وأن تُصْرَفَ أجزاءٌ كبيرة منها على الأحابيل القذرة.

وقد وصل إلى المحققين مؤشر مبكر على كمية الأموال التي جمعت بالضبط لحملة نيكسون الانتخابية سنة 1972، على شكل قائمة بالمتبرعين السريّين ظلت محفوظة في درج مقعد أمينة سرّ الرئيس، ونجت من عملية التمزيق إلى فتات بعد انفجار فضيحة ووترغيت.

وقدر للجنة إعادة انتخاب الرئيس أن تعترف في آخر الأمر، بأنها قد

(1) ظل هربرت كالمباش، المحامي الشخصي لنيكسون، يحتفظ بالأموال الباقية من حملة سنة 1968، ومعها مبالغ أخرى، حتى سلّمها إلى أمين صندوق إعادة انتخاب الرئيس في أوائل سنة 1972. وقال في شهادته إن مجموعها قد وصل إلى 915000 دولار (كالمباش: لجنة إيرفن، الكتاب السابع عشر، ص 7580).

جمعت أكثر من ستين مليون دولار، أي ما يقرب من ضعف المبلغ الذي كان متاحاً لحملة انتخابات سنة 1968.

إن الحزبين كليهما مذنب بمخالفات مالية. غير أن تدفق الأموال إلى الجانب النيكسوني كان ضخماً إلى حد لا يصدق. وقد جاء كثير منها نقداً، ليس بالحقائب، بل بالزكائب الضخمة. وكانت هناك مبالغ هائلة مصدرها مشكوك فيه. وكانت بعض التبرعات خارجة عن القانون بوضوح.

كان نيكسون قد زار شاه إيران في تلك السنة، وأعطاه تفويضاً مطلقاً لشراء أية أسلحة تقليدية أمريكية يرغب فيها. فقدم الشاه مئات الألوف، وربما زادت على مليون من الدولارات التي قيل إنها نقلت عن طريق شركة المصارف السويسرية، وبنك لندن والمكسيك في مدينة المكسيك. وبعد أن تتبع صحافي عنيد طريق الأموال، وجد أن استفساراته الموجّهة إلى السفارة الإيرانية يجيب عنها بشكل شخصي، ويحجبها ويسد طريقها وليام روجرز، المقرب من الرئيس.

وكان أحد المتبرعين الآخرين في ذلك الحين، هو رجل الأعمال السعودي عدنان خاشقجي، الذي قدم مليون دولار[2]. وقال الصحافي البارز المتنفذ محمد حسنين هيكل: «لقد كنا نحن العرب، أكثر المتبرعين حماسة على وجه التقريب لحملة نيكسون». ومن الفلبين، قيل بأن الرئيس فرديناند ماركوس قد أوصل تبرعاته ثانية. وفي ذلك الحين، كما هي الحال الآن، كانت التبرعات من الحكومات الأجنبية أو وكلائها وعملائها غير قانونية.

وعلى الصعيد المحلي، جمعت الأموال بفعل الإقناع، وبقوة الابتزاز من الناحية العملية. ودعي القياديون من رجال الأعمال الكبار إلى مؤتمر بحجة ظاهرها الاستماع إلى نيكسون، يتحدث عن الآفاق المالية لتلك السنة (1972).

(2) خاشجقي؛ أنظر ص 598 وما يليها.

وبينما كان الاجتماع منعقداً فإن ستانس، وزير التجارة الذي دعا إلى عقده، استقال من منصبه ليشغل منصب جامع الأموال الرئيسي للجنة إعادة انتخاب الرئيس. وأُخِذَ رؤساء الشركات جانباً ليقال لهم إن الرئيس، آخذ بجمع «ائتلاف من الناخبين وأساليب الحملات الانتخابية، بما يضمن بقاء نيكسون وخلفائه المنتخبين في السلطة حتى نهاية سنة 1990 على الأقل».

وحصلت الشركات على وعد «بمناخٍ ودّيّ في واشنطن»، إذا قُدمت الهدايا للجنة إعادة انتخاب الرئيس. وكانت تبرعات الشركات للحملات السياسية غير قانونية على أية حال. ووجدت كثيرٌ من المؤسسات الكبرى نَفْسَها تتعرض في آخر الأمر للاضطهاد، بما في ذلك فيليبس للنفط، وآشلاند للنفط، وأوكسيدنتال، وغوديير للإطارات والمطاط، وبرانيف، والخطوط الجوية الأمريكية.

وهكذا قدم رجال النفط وحدهم خمسة ملايين دولار. واستذكر موظفو شركة الخليج للنفط، وهي إحدى الشركات التي غُرِّمت فيما بعد، أنهم قد أُعْلِموا بمقدار المبلغ المتوقع منهم تقديمه بالضبط. وقال أحدهم: «إنني أعتبر الأمر ضغطاً عندما يطلب مني الأموالَ اثنان مِن المسؤولين في مجلس الوزراء. فهذا يختلف عن قيام شخصٍ ما بجمع التبرعات لتلاميذ الكشافة مثلاً». واستذكر آخر أنه سحب أموالاً من مصرف سويسري بأوراق من فئة المئة دولار، وقدمها إلى ستانس محشورة في ظرف.

وقدر لرئيس شركة غرومّان أن يخبر، كيف حثه أحد المساعدين في البيت الأبيض على التبرع بمليون دولار، لقاء «مساعدة» من نيكسون في ترتيب صفقة بيع طائرات لليابان. وجادل المساعد بأن الأرباح التي ستنجم من بيع طائرات الاستطلاع من طراز EZC تبرر طلب ذلك المبلغ. فقد كان الرئيس على وشك الاجتماع برئيس وزراء اليابان بعد وقت قصير من المحادثة المذكورة.

وكان قد صدر أمر إلى شركة ماكدونالد، بإلغاء الزيادة التي فرضتها على

شطيرة الجبن التي تزن ربع رطل إنكليزي. فتم إلغاء ذلك الأمر ـ بعد أن تبرع رئيس الشركة بمبلغ 255000 دولار. وكان حظ الشركات الأصغر أقل من ذلك. فقد وجدت مؤسسة معمارية في نيويورك أن عرضها للحصول على عقد حكومي قد تم سحبه بعد أن قرر الشريك الأكبر فيها ألا يتبرع وكان سبب رفضه هو اعتقاده أن نيكسون «ليس شخصية جيدة» كما أخبر ممثلي لجنة إعادة انتخاب الرئيس. وبذلك تخلى عن حذره.

وقال محامي نيكسون الشخصي لجون شتايْنْبْرِينَرْ، رئيس إحدى شركات بناء السفن الأمريكية: «إذا كنتَ تفكر في أن تأتي إلينا بأقل من مئة ألف دولار، فَأَنْسَ الأمرَ ولا تهتم به. إننا نسعى للحصول على مبلغ قد يصل إلى مليون دولار هنا. إنك تقوم بكثير من الأعمال في واشنطن. وإنك لتحسن صنعاً إذا تعاونت مع الناس المناسبين لعملك». وخشي شتاينبرينر من الرفض، فدفع كما أُمِرَ.

وقال نيكسون لهالدمان في محادثة مسجلة: «إن أي شخص يريد أن يصير سفيراً عليه أن يدفع 250000 دولار على الأقل... ومن الآن فصاعداً يجب أن تكون التبرعات، أقصد... كبيرة... فلن أتعامل مع من يُسَمَّوْنَ بالأصدقاء «السياسيين» وما أشبه من هذا الهراء...» كان الرئيس يستهدف شيئاً مرتفعاً قليلاً. ولكن الثلاثة عشر سفيراً من غير المشتغلين بالسياسة الذين قدر له أن يعينهم بعد إعادة انتخابه، كانوا قد تبرعوا فعلاً بما زاد مجموعه الكلي عن 700000 دولار. وقد أُعطِيَت السفارةُ في لندن لوالتر آنينبيرغ، الذي دفع وحده ربع مليون دولار[3].

أمّا بيب ريبوزو، الذي كان نيكسون يأخذ بنصيحته حول التعيين في

(3) في وقت لاحق، وصف نيكسون اتهام إدارته بأنها كانت تبيع «السفارات» بأنه «أسطورة منافقة». صحيح أنه لم يكن أول رئيس يعطي سفارة لندن لمؤيد غنيّ ـ أنظر قيام روزفلت بتعيين جوزيف كيندي ـ ولكن المقطع المقتبس من شريط البيت الأبيض المسجل يهدم زعمه. («أسطورة»: نيكسون، **الحلبة**، مصدر سبق ذكره، ص 32 وما يليها، وانظر مجلة **فورتشن**، عدد حزيران / يونيو 1970.

السفارات، فقد أخذ نقليةً من خمسين ألف دولار نقداً، (في رزم من الأوراق النقدية من فئة المئة دولار) من رئيس سلسلة أسواقٍ مركزية في مقصف في كي بسكين. وقيل بأن آلبرت («توتس») مانزي، جامع الأموال السابق لحاكم ماساشوسيتس جون فولب، قد أعطى نيكسون خمسمئة ألف دولار على أمل أن يتم اختياره، كمرشح لمنصب نائب الرئيس في الفترة الثانية[4]. وقد نقل شاهد في قضية ابتزاز عن مانزي أنه قال: «لقد جمعت ما في الصندوق. وما في الصندوق أهدي إلى السيد نيكسون».

وحتى يومنا هذا، تظل علاقة نيكسون مع روبرت فيسكو، المتمول المتورط في ما أسمته لجنة السندات والضمانات في الأسواق المالية، «أكبر عمليات الاحتيال في السندات التي ارتكبت في التاريخ» علاقة غير واضحة. وفي سنة 2000 كان فيسكو ما يزال في السجن في كوبا كاسترو بتهمة الاحتيال وغيرها من الجرائم، بانتظار توجيه الاتهامات إليه في الولايات المتحدة، ومن بينها اتهام بتقديم تبرع غير قانوني لحملة نيكسون الانتخابية سنة 1972، بمبلغ مئتي ألف دولار.

ويسمع صوت نيكسون مسجلاً على أحد أشرطة البيت الأبيض وهو يقول: «فيسكو محتال. لم ألتق بهذا الرجل أبداً». والواقع أن الرجلين قد التقيا وتعارفا في حفل عشاء للشخصيات الهامة بعد وقت قصير من انتخابات سنة 1968، التي كان فيسكو قد دعمها بتبرع قدره خمسة وعشرون ألف دولار. وقد قال شخص عمل كطيار خاص لفيسكو زمناً طويلاً للمؤلف، بأن رئيسه قد جلس مع نيكسون عقب انتخابه رئيساً، في إحدى المباريات بعد بضعة أسابيع.

وفي غمرة هذه الأدلة المضطربة المشوشة تبرز بعض الحقائق. فبينما

(4) فكر نيكسون جدياً في التخلي عن نائبه آغنيو لفترة حكمه الثانية، على أمل أن يحل محله جون كونالي، الذي كان الرئيس يرى فيه «وريثه المنطقي». (ستيفن آمبروز، **نيكسون**: **انتصار سياسي**، المجلد الثاني، ص 457، 20 تموز / يوليو 1971، بند في مذكرات هالدمان، النسخة الكاملة لأجهزة الإعلام المتعددة).

كانت عملية جمع الأموال لانتخابات سنة 1972 قد انطلقت، ألقي القبض على فيسكو في سويسرا بتهمة الاحتيال والاختلاس. فتدخل جون ميتشل، المدعي العام في إدارة نيكسون تدخلاً شخصياً، وأمر الديبلوماسيين الأمريكيين في العاصمة السويسرية بيرن، بأن يمارسوا «كل ضغط ممكن» لتأمين إطلاق سراحه.

وبعد ذلك بفترة قصيرة، اقترح أحد المساعدين في حملة نيكسون على أحد شركاء فيسكو، أن المتمول المذكور ربما يرغب في التبرع للجنة إعادة انتخاب الرئيس. وبعد ذلك بشهر أو نحوه طار أحد مساعدي فيسكو إلى الولايات المتحدة، ومعه حقيبة تحتوي على مئتي ألف دولار(5).

وكان الشخص الذي ساعد على ترتيب عملية نقل نقود فيسكو هذه هو إدوارد نيكسون، شقيق الرئيس الأصغر، الذي كان نائب رئيس لجنة إعادة انتخاب الرئيس، يصفه بأنه «وكيل رئاسي». وكان شقيقه الأكبر دونالد هو قناة توصيل تبرع فيسكو سنة 1968. كما كان ابنه، دونالد الأصغر قد عمل كمساعد شخصي لفيسكو أثناء فترة رئاسة نيكسون الأولى.

وقُدّر لوالتر كرونكايت أن يجري مقابلةً مع ذلك المتمول في كوستاريكا سنة 1974، وكان قد لجأ إلى هناك. فسأله إن كان قد تحدث مع نيكسون عن المال الذي تبرع به في سنة 1972. فتوقف فيسكو نصف دقيقة كاملة ثم قال: «دعنا ننتقل إلى السؤال التالي. . . إنني لم أسمع سؤالك بوضوح كبير. وإني لمتأكد أنك لو أعدته عشر مرات فلن أكون قادراً على سماعه. . .».

ولقد كشف فيسكو بالفعل أحد التفاصيل المادية الملموسة فقال، إن

---

(5) كان هذا هو التبرع المثير للخلاف، الذي قدر له في آخر الأمر أن يؤدي إلى اتهام كل من جامع الأموال ستانس، التابع للجنة إعادة انتخاب الرئيس، والمدعي العام جون ميتشل، بالإدلاء بشهادة مزورة، والتآمر لعرقلة سير العدالة. وقد تمت تبرئتهما سنة 1974، بينما ظل الاتهام في القضية نفسها قائماً ضد فيسكو حتى يومنا هذا. (الدكتورة إليانورا شوينباوم: **صورة من حقبة: سنوات نيكسون / فورد**، طبع نيويورك: هاركورت بريس جوفانوفيتش، 1979، ص 445).

الشخص الذي أخبره أن تبرعه للحملة يجب أن يكون نقداً كان هو موراي تشوتينر، أحد أكثر أتباع نيكسون خدمة له. وكان تشوتينر هو الذي لعب، مع تشارلس كولسون، دوراً هاماً في واقعة لو أن خطوطها العريضة وحدها انكشفت في حينها، لكانت فضيحةً بضخامة فضيحة ووترغيت نفسها.

كتب هالدمان في مذكرته في كانون الأول / ديسمبر سنة 1971، «يبدو أن الرئيس قد اجتمع بالمدعي العام أمس ووافق على العفو عن هوفا». كان جيمي هوفا، زعيم نقابة سائقي الشاحنات، قد سجن سنة 1967، بتهمة التلاعب بالرشوة والتهديد، بعد مطاردة طويلة من روبرت كيندي. ومع ذلك قرر نيكسون إطلاق سراحه، مع بقاء تسع سنوات من الفترة المحكوم عليه بها. أما كيف تم ذلك فإن له قصة معقدة، لها اتصالات بانتخابات الرئاسة سنة 1972.

ففي السنة السابقة لتلك الانتخابات، كان هالدمان قد أرسل التعليمات التالية إلى كولسون: «يريدك الرئيس أن تأخذ على عاتقك مسؤولية العمل على تنمية نفوذك لدى نقابات العمال... وهو يشعر أن ذلك يجب أن يتم عن طريق التقاطهم واحداً واحداً... علينا أن نلتقطهم كأفراد... وفي ذهن الرئيس نقابة سائقي الشاحنات على وجه التحديد... فهناك الكثير من الذهب الذي يمكن استخراجه من ذلك المنجم».

وتلقى كولسون أمراً بالعمل الوثيق مع رجل الأعمال كاونت كيرتيس، أحد أصدقاء نيكسون من أيام وِيتْيِيرْ، ممن عرفوه طيلة أكثر من ثلاثين سنة[6]. وكان كاونت عندئذ وسيطاً عمالياً، قد قام قبل ذلك بوقت قصير بتعريف نيكسون على فرانك فيتز سيمون، الذي كان يقوم بعمل هوفا نيابة عنه أثناء فترة سجنه، وكان مصمماً على انتزاع قيادة النقابة لنفسه. وتواطأ نيكسون في تلك

(6) كان كورتيس كاونتس يخرج مع صديقته في مواعيد مزدوجة مع نيكسون وبات عندما كانا يتغازلان. أنظر ص 79.

الخطة، وبدأ بإقامة تحالف طويل الأمد مع فيتز سيمونز، وهو تحالف تم تدعيمه بالأموال نقداً.

وحتى قبل صدور التعليمات لكولسون، وصل خبر من شخص غامض إلى المساعد في البيت الأبيض كلارك مولينهوف. وهو إنسان نزيه معارض لمثل هذه الخدع والأحابيل. فقد أُعْلِمَ بأن نيكسون سيفرج عن هوڤا، وأن تشوتينير كان «يدبر الأمور مع عصابة لاس فيغاس».

وفي السنة التالية، في مذكرة أشير إليها بكلمة «سرّي»، كان كولسون قد أَبْلَغَ في تقرير له أن «هناك مبالغ كبيرة من المال، ربما تصل إلى ربع مليون دولار، متاحة لأي. . . غرض نشير إليه» يمكن توفيرها عن طريق «تدبير إطلاق سراح هوڤا من السجن».

وعندما أُفْرِجَ عن هوڤا في آخر الأمر، تم ذلك بطريقة مصممة لإفادة فيتزسيمونز ونيكسون كليهما. فبالنسبة للأول كان هناك اشتراط بمنع هوڤا من ممارسة أي نشاط نقابي طيلة عشر سنوات. وأمّا بالنسبة لنيكسون، فقد كان هناك موافقة من اتحاد سائقي الشاحنات، ودفعات هائلة قيل إن الجريمة المنظمة مشتركة في تقديمها.

وبعد سبع سنوات من سقوط نيكسون، نشرت مجلة **تايم** تحقيقاً حول «اجتماع قيل إنه عُقِدَ سنة 1972، بين نيكسون وفيتز سيمونز في إحدى الغرف الخاصة بالبيت الأبيض. واستدعي [المدعي العام] كلانداينست إلى الجلسة، وأُمِرَ باستعراض كل التحقيقات المنتظرة ضد اتحاد سائقي الشاحنات، وأن يتأكد من عدم إيذاء فيتز سيمونز وحلفائه. وقد افترض [التحقيق المنشور] أن الاجتماع، قد تمّ بعد حملة نيكسون الانتخابية سنة 1972، التي تبرع لها سواق الشاحنات بمبلغ قدر بمليون دولار».

وقد اعتمد مقال **تايم**، على مقابلات موظفي مصلحة الضرائب الداخلية

مع فيتز سيمونز، وبعض زملائه النقابيين الذين تعاونوا على أمل تجنب التعرض للملاحقة في قضايا أخرى[7]. ومنذ ذلك الحين مات فيتز سيمونز، وأصدقاؤه المقربون الذين كانوا متورطين. ولكن المخبر الذي لعب دور الوسيط بينهم وبين مخابرات مصلحة الضرائب، واسمه هاري هول، تحدث مع المؤلف سنة 1997، فقال:

«أعطى اتحاد سواق الشاحنات مبلغاً كبيراً من المال للجنة إعادة انتخاب الرئيس. فقد كان فيتز سيمونز يعتبر أنه قد وجد في نيكسون حليفاً. فكان سائقي الشاحنات سيساعدونه مالياً. وقد ابتلع نيكسون ذلك. . . وقد قيل لي إنهم أعطوا المال لتشوتينير لإيصاله إلى نيكسون. وأعتقد أن المبلغ وصل إلى ما يقرب من خمسمئة ألف دولار».

ويشير دليلان حول «مافيا لاس فيغاس» إلى وجود علاقة مع البيت الأبيض[8]. فعندما احتيج إلى الأموال لشراء سكوت الناس أثناء فضيحة

---

(7) قابل المؤلف واحداً من الموظفين هو المرحوم جون دايلي عندما كان يجري بحوثاً لتأليف كتابين سابقين، وقد أتاح كَرَمُ أرملته أوراقَه لهذا المشروع.

(8) كانت الأدلة تشمل معلوماتٍ جيء بها إلى هيئة الادعاء الخاصة بووترغيت فحواها أن سلفاتور بريغو غليو، الموظف لدى اتحاد سائقي الشاحنات، جَمَعَ نصف مليون دولار كرشوة للحصول على عفو عن هوفا. وقيل إنه تم تسليم المبلغ في مطعم في لاس ڤيغاس. وقيل كذلك إن آلن دورفمان، رجل المافيا والمدان بتهمة تشكيل عصابة ابتزاز، كان لديه وصل بمبلغ مئة ألف دولار يحمل توقيع جون ميتشل. وقد تلقت السلطات «مفكرة مالية» سنة 1979 من أحد رجال المافيا المستخدمين في عمليات الضرب، وهو جيرالد دينومو، وكان فيها بند يعكس كما يبدو رشوة لنيكسون تورط دورفْمان وفيتز سيمونز بتقديمها إليه. وكان نصّ ذلك البند: «فيتز: وافق. آل دورفْمان شي: وافق. طوني برو [رجل العصابات وموظف نقابة سائقي الشاحنات بروفنزانو]: وافق (500 دولار لـ .C.C (بالتساوي) لنيكسون: تمت الموافقة)». وقد فُهِمَ أن الرقم 500 يشير إلى خمسمئة ألف دولار. وقد ذكرت صحيفة **الآريزونا ريبابليك** أن موظفي تنفيذ القانون كانوا يعتقدون أن المفكرة تورّط نيكسون، وبعض كبار مساعديه، ومن بينهم كولسون، في صفقة هوفا. وقد أنكرها نيكسون، ونبذها كولسون على أنها «قصة لا قيمة لها». وزعم رجل آخر ممن تستخدمه العصابات في جرائمها، واسمه تشارلس آلن أنه قام مع رجل آخر بنقل حقيبة فيها أربعون ألف دولار إلى جون ميتشل بالنيابة عن هوفا. (بريغو غليو: من وليام لينتش إلى تشارلس رف، 9 آب / أغسطس، 1976، هيئة الادعاء الخاص لووترغيت، المحفوظات الوطنية؛ مولدي، مصدر سبق ذكره، ص 397؛ دورفْمان: فريدمان وشوارزْ، مصدر سبق ذكره، =

ووترغيت، راح كولسون يسافر إلى لاس فيغاس في الوقت نفسه كرسول للمافيا. وقيل إن نصف مليون دولار أخرى تم دفعها إلى أتباع نيكسون بناء على طلب فيتز سيمونز. وفيما بعد، عندما استقال كولسون من البيت الأبيض، احتفظ به فيتز سيمونز كمحام بأجرة قدرها مئة ألف دولار في السنة.

وثارت تساؤلات أيضاً حول رحلات إلى لاس فيغاس، قام بها الشخصان المشتركان في العمليات التي تَوَّجَتْها عملية اقتحام ووترغيت، وهما هوارد هانت وغوردن ليدّي[9].

في أواخر سنة 1971، أسرّ ليدّي بعصبية بعبارة إلى هانت: «من أجل خاطر الله، احتفظ بهذا الامر سراً لنفسك، وافهم: إن [المدعي العام جون ميتشل] يريدني أن أقيم منظمة استخبارية للحملة الانتخابية. وستكون كبيرة يا هوارد... إنهم لا يريدون تكرار الحملة السابقة؛ بل يريدون في هذه المرة أن يعرفوا كل ما يحدث... وهناك أموال كثيرة متاحة، نصف مليون دولار كبداية، والمزيد في المكان الذي جاءت منه هذه الأموال».

= ص 131؛ شيم، مصدر سبق ذكره، ص 301؛ دينومو: وكالة آسوشييتد بريس، **سان فرانسيسكو إكزاميز**، عدد 16 تشرين الثاني / نوفمبر [؟] 1979؛ بروفنزانو: شيم، مصدر سبق ذكره، ص 30؛ آلن: **الواشنطن بوست**، عدد 13 شباط / فبراير، 1980).

(9) زعمت قصةٌ نُشِرَت في الصفحة الأولى من **المانشستر يونيون ليدر** (هامبشاير) في أوج فضيحة ووترغيت أن تمويل عمليات اللصوص المقتحمين جاء جزئياً من «مصالح قمار في لاس فيغاس» وأتباع نقابة سائقي الشاحنات. وزعمت المقالة أن ليدي زار نيفادا مرتين والتقط ربع مليون دولار؛ وقيل بأن هانت قد طار إلى لاس فيغاس فيما بعد للحصول على 150000 دولار إضافية. غير أن مقالة الصحيفة المذكورة تم سحبها عندما أقام موراي تشوتينر دعوى عليها لوجود إشارات إليه فيها. ويبدو أن ليدي قام بزيارتين إلى لاس فيغاس في أوائل سنة 1972. وكان هانت يعرف أن ليدي قد زار المدينة، ولكنه أنكر أنه هو نفسه كان هناك كذلك. وقال هانت وليدي وشريكهما جيمس ماكورد إن اهتمامهم هناك كان في خزانة ناشر إحدى صحف لاس فيغاس، وهو هانك غرينسبان، لأنه كانت لديه معلومات عن السناتور موسكي (**اليونيون ليدر**: **مانشستر** (نيو هامبشاير) **يونيون ليدر**، عدد 27 نيسان / إبريل 1973؛ هانت: مقابلة مع هوارد هانت؛ شهادة هانت أمام لجنة إيرڤن، الكتاب التاسع، ص 3686، والكتاب العشرون، ص 9345؛ هانت، **تحت الغطاء**، مصدر سبق ذكره، ص 193 وما يليها؛ ماكورد: شهادة جيمس ماكورد أمام لجنة إيرڤن، الكتاب الأول، ص 204؛ أشرطة البيت الأبيض، 13 نيسان / إبريل 1973؛ **إساءة استخدام السلطة**، ص 312).

ولقد كانت هناك أموال كثيرة حقاً. وقد تورط في إنفاقها عدد من الشخصيات في قمة الإدارة نفسها. وتوضح جريدة ناطقة باقية مهيّأة لهالدمان في 1 تشرين الأول / أكتوبر سنة 1971، أن ميزانية من «300 ـ 800 [ألف دولار]» لأغراض «الاستطلاع»، كانت على جدول أعمال اجتماعٍ مع ميتشل.

وبعد ذلك بأسابيع ناقش ميتشل وجون دين، «قدرة استخبارية محسّنة» مع ليدّي، الذي لم يعد سباكاً متواضعاً، بل كان قد انتقل إلى لجنة إعادة انتخاب الرئيس، ليحتلّ مركزاً مرموقاً بعنوان مستشار عام.

وبالإضافة إلى هانت، كان زميل ليدّي في العمليات الرئيسية، موظفاً سابقاً في وكالة المخابرات المركزية، وهو مجنّد جديد يدعى جيمس ماكورد، بوظيفة «المنسق الأمني» للجنة المذكورة، كمسؤول عن الأمن الدفاعي. وسرعان ما راح ماكورد يحدث ليدّي عن الاستطلاع الهجومي، أو ـ بعبارة مبسطة ـ أجهزة التنصت.

وعلم نيكسون نفسُهُ أن اللجنة صار لديها «فرع استخباري»، وكان يتعجل شروع ذلك الفرع في الحصول على نتائج. واستذكر هالدمان أن الرئيس كان يجلس ويدق بأصابعه على المقعد متسائلاً مرة بعد أخرى: «متى **سيفعلون** شيئاً ما هناك؟».

وفي 27 كانون الثاني / يناير سنة 1972، دخل ليدّي مبنى وزارة العدل فمرّ تحت إفريز كتب عليه شعار: «**لا تستطيع حكومة حرة أن تبقى ما لم تكن قائمة على أساس سيادة القانون**»، إلى اجتماع مع المدعي العام ميتشل، حضره أيضاً نائب رئيس لجنة إعادة انتخاب الرئيس، جب مغرودر، والمستشار الرئاسي جون دين. وكانت الخطة التي اجتمعوا لمناقشتها إجرامية على نحو صارخ.

كان نيكسون قد قال عن ليدّي بعد أن قرأ مذكرته حول التخلص من ج. إدغار هوڤر: «إنه لذكي، أليس كذلك؟... لا بد أنه ذو نزعة محافظة

كالجحيم». وفي ذلك الاجتماع استخدم ليدّي خرائط مركبة على حامل كي يشرح للمدعي العام، الذي هو واحد من أقرب الأشخاص إلى نيكسون اقتراحَه للمشروع الذي سماه **الحجر الكريم**.

وكان جزء من العملية، اسمه في الشيفرة الرمزية **الماسة**، يشرح الخطوط العريضة للتعامل مع «مغاوير المدن»، المتوقع أنهم سيعطلون مؤتمر الحزب الجمهوري. كان ينبغي تحديدهم والتعرف عليهم سلفاً، واختطافهم، وتخديرهم واحتجازهم بشكل انفرادي يمنع الاتصال بهم، وذلك في المكسيك، حتى ما بعد انتهاء المؤتمر. وقال ليدّي لميتشل إن الرجال الذين اختيروا للمهمة يشملون «قتلة محترفين كانت حصيلة عملهم اثنين وعشرين قتيلاً حتى الآن... وأعضاء في الجريمة المنظمة».

وكانت إحدى المكونات الأخرى واسمها الرمزي المشفر هو **الياقوتة**، خطة لدس جواسيس في معسكر الحزب الديموقراطي. وكان المخطط المشفر باسم **فحم**، مصمماً لتغذية عضو الكونغرس السوداء شيرلي شيشلوم بالمال سراً، تمشياً مع خطة شق صفوف الديموقراطيين، التي كان نيكسون قد وافق عليها في وقت سابق(10). أما الجزء المعروف باسم **الزمرّدة** فكان يقضي باستخدام طائرة مطاردة، من أجل التنصت على بث الهواتف اللاسلكية الصادرة من الطائرة الحاملة للمرشح الديموقراطي.

وتحت اسم**البللورة**، اقترح ليدّي استئجار مركب مائي معد للسكن، يرسو «ضمن مرمى البصر» من فندق فونتنبلو على ساحل ميامي، حيث كان مقرراً عقد المؤتمر الديموقراطي، على أن تكون له مهمة مزدوجة، إذ يعمل كمركز عصبي داعم لعمليات التنصت، وما يحب رجال المخابرات أن يسموه مصيدة العسل.

---

(10) كانت عضو الكونغرس شيرلي شيشولم واحدة من السياسيين السود الذين ناقش نيكسون تمويلهم مع مساعديه بصورة سرية من أجل سحب الأصوات من الديمقراطيين سنة 1972. انظر ص 739.

وتحت اسم **الصفّير**، تجهز غرفة النوم على «البارجة الباذخة» بسرير كبير الحجم جداً. وأوضح ليدّي: «سوف أستخدم المومسات للخروج وإغواء كبار مسؤولي الحملة، واقتيادهم إلى داخل المركب المنزلي». وكان قد شرع يبحث فعلاً عن إناث يمثلن أدوار «النساء الشابات الثريات المتبطلات المعجبات بالرجال ذوي السلطة، بحيث يسمحن بأن يلتقطهن الموظفون الديموقراطيون في الحفلات والمقاصف».

واستمرّ ليدّي يشرح لزملائه تحت اسم **الأوبال** (حجر كريم متغير الألوان)، أساليب الدخول السري لتركيب أجهزة التنصت، وتحت اسم **التوباز** (حجر كريم جميل)، عمليات تصوير الوثائق، وتحت اسم **العقيق الأحمر**، كيفية تنظيم مظاهرات زائفة تدعي تأييد الديموقراطيين، ولكنها تنفذ عمداً بطريقة تنفر الناس بدلاً من اجتذابهم.

وكان في الخطة **فيروز أزرق**، للاضطلاع بالتخريب في مؤتمر الحزب الديموقراطي. إذ يكون هناك «فريق من الكوماندوس» لتدمير نظام تكييف الهواء في المباني الهامة، لجعل الأحوال لا تطاق في حرارة تموز / يوليو. وأخيراً قدم ليدّي الميزانية، التي سماها **الآجرّة**، وقدرها نحو مليون دولار.

ورغم أن ميتشل قد ادعى فيما بعد أنه اعتقد أن خطة «**الحجر الكريم**» «خارجة عن الحد في إفراطها»، فإنه لم يطرد ليدّي، كما قد يتوقع المرء من كبير منفذي القانون لدى الأمة. بل إنه رفض المشروع فقط باعتباره باهظ التكاليف أكثر مما ينبغي، وأمر ليدّي أن يعود إليه «بشيء أكثر واقعية». وتسجل مذكرة هالدمان عن اليوم التالي، في 28 كانون الثاني / يناير [1972]، أن ميتشل قد التقى بنيكسون لمناقشة «الخطة السياسية الشاملة». وتم الاتفاق على أن يترك ميتشل وزارة العدل بعد وقت قصير، ليتسلم إدارة لجنة إعادة انتخاب الرئيس مع تفرغ كامل لعمله فيها.

وكان ميتشل حاضراً في مساء ذلك اليوم نفسه، عندما أقام نيكسون حفل

عشاء باللباس الرسمي ووردات العنق البيضاء على شرف دي ويت والاس، مؤسس مجلة **ريدرز دايجست** (وقدر لوالاس وزوجته أن يمضيا تلك الليلة في غرفة نوم لينكولن، مستفيدين من المعاملة الطاووسية التي من أجلها بالذات، قدر للرئيس الديموقراطي بيل كلينتون أن يتعرض لهجمات الجمهوريين فيما بعد). وكانت **دايجست** قد شجعت نيكسون وأيدته طويلاً. كما قدم إليه والاس أكثر من مئة ألف دولار للانتخابات المقبلة آنذاك. وحسب إحدى الروايات فإن شركة المجلة المذكورة، قدمت أكثر من ذلك بكثير، من أموال كان يجري تسريبها عبر جزر البهاما. بل إن محرر **الدايجست** قد توسط من أجل تبرع نقدي ضخم آخر ـ من رجل أعمال بارز ـ فتم إيداع ذلك المال في خزانة نيكسون الشخصية في البيت الأبيض. ثم أعيد بهدوء عقب ووترغيت.

وكانت الوليمة باللباس الرسمي ووردات العنق البيضاء في ذلك الشهر، مخصصة لأناس اعتبرهم هالدمان «الداعمين السياسيين الكبار»، وتتحدث مذكراته عن داعمين فاحشي الثراء. ولذا فقد كان من المثير للحنق والسخط بشكل خاص، أن تقوم إحدى المطربات المؤيدات لراي كانليف بمقاطعة الأداء باحتجاج على الحرب الڤيتنامية. فقد نظرت إلى الرئيس مباشرة، ثم خطت خطوات باتجاه الميكروفون في وسط أغنية: «أماه، إنه يبحلق عينيه فيّ» ثم أخرجت لافتة كتب عليها: «**أوقفوا القتل**». وتوسلت إلى نيكسون أن يوقف القصف، وأنهت احتجاجها صارخة «فليبارك الله في دانييل إلسبرغ!». وبينما غادرت المسرح وسط صرخة: «ألقوا بها خارجاً»، جلس الرئيس «بلا كلام... يبتسم ابتسامة صفراوية مريضة». وكان قبل العشاء قد أملى مذكرة تطالب بهجوم منسق على خصوم سياسته الحربية.

وفي تلك الأثناء كان غوردن ليدّي قد عاد إلى لوحة الرسم. أمّا ما الذي خطط له بالضبط، وما هي الأهداف التي تم تفويضه بتحقيقها ومتى، فهذه كلها صارت مواضيع لخلافات وخصومات مريرة. والموضوع الوحيد الذي يهم في

وسط هذا الشجار هو ما الذي عرفه الرئيس ومتى عرفه ـ هو أو أكبر مساعديه، الذين كان عليهم أن يبقوه على اطلاع.

وكان دين يزعم دائماً أنه، بعد اجتماع ثانٍ غير حاسم مع ليدّي في مكتب ميتشل، أنه أوصى هالدمان بأن لا تكون للبيت الأبيض أية علاقة بهذا المشروع. فإن كان ذلك صحيحاً، فإن تأكيدات دين معناها أن هالدمان، كان يعرف بأمر المخطط في أوائل شهر شباط / فبراير 1972[11]. وعلى أية حال فليس من شك أن أخبار **الحجر الكريم** قد وصلت إلى فلك الرئيس في تلك الفترة نفسها.

وفرغ صبر ليدّي لأن مشروعه ظل مؤجلاً، فأرغم هانت على تعريفه على تشارلس كولسون، المقرب الموثوق به من نيكسون. فقام كولسون على الفور بالاتصال بمغرودر، المسؤول عن لجنة إعادة انتخاب الرئيس، وأشار، حسب رواية مغرودر إلى أن «الرئيس يريد المباشرة بهذا المشروع ـ وكان دائماً يستخدم كلمة (الرئيس) في مثل هذه الحالات».

وكان لدى نيكسون بحلول ذلك الوقت سبب للوثوق بنفسه حول أدائه في الانتخابات. وكان أداء موسكي يبدو جيداً في الاستبيانات. ولكنه كان آخذاً في التعثر نتيجة للهجمات المضادة من البيت الأبيض. وكان الرئيس يعتقد أن السناتور الليبرالي جورج ماكغفرن، الذي كان نجمه آخذاً في الصعود بثبات،

(11) زعم دين أنه قد أخبر هالدمان بأن خطة ليدي «غير ضرورية وغير حكيمة» وأن على البيت الأبيض أن لا تكون له بها أي علاقة. ولم يقل بشكل مباشر إنه يجب التخلي عن الخطة نفسها. وقد سلّم هالدمان في بادئ الأمر بأن دين قد تحدث في مثل هذا الاتجاه، ولكنه قال فيما بعد إنه لا يستطيع تذكر الواقعة. وقد ظهر حديثاً ادعاء بأن دين لا يمكن أن يكون قد التقى هالدمان كما أكّد، على أساس أن هالدمان كان خارج واشنطن في يوم اللقاء المزعوم، أي 4 شباط / فبراير 1972. غير أن هناك أدلة مُقْنِعَة تشير إلى أنه **كان** في المدينة. وعلى القراء المهتمين بهذا الموضوع أن يقارنوا المقطعين الواردين في الصفحتين 119 و258 من كتاب **الانقلاب الصامت**، مصدر سبق ذكره، مع ما **هو** وارد في الصفحة 94 من كتاب فريد إيمري المعنون **ووترغيت**، مصدر سبق ذكره. (دين حول مقابلته لهالدمان: تحقيقات لجنة إيرفن، الكتاب الثالث، ص 930).

سيكون خصماً تسهل هزيمته. غير أن نيكسون لم يَسْتَثْنِ لذلك الشعور. أما جورج والاس، الذي فشلت كل مناورات نيكسون في إزاحته من السباق، فكان أداؤه جيداً إلى الحدّ الذي يمكنه من إحداث تآكل في الأصوات المؤيدة للجمهوريين بين الناخبين.

وفي هذه المرة لم يكن نيكسون ليكتفي بمجرد الفوز. وكما عبّر كولسون عن الحالة: «كنا نريد تتويجاً؛ كنا نريد السلطة التي تتمشى مع أكبر فوز يمثل أضخم انزلاق أرضي في التاريخ».

وفي 30 آذار / مارس، في بيت يملكه بيب ريبوزو في كي بسكين، حضر مغرودر اجتماعاً تخطيطياً آخر مع جون ميتشل. وهناك، حسب رواية مغرودر، أعطى ميتشل إذناً بالانطلاق لنسخة مخفضة من خطة ليدّي[12]. وعندئذ تم تدوين المشروع في مذكرة للعمل السياسي، وكان على جدول الأعمال، عندما التقى ميتشل مع هالدمان بعد بضعة أيام فقط.

ويبدو من المؤكد الآن، أن أقرب المساعدين إلى الرئيس قد أحيط علماً بأنه قد تم التفويض للمشروع بالانطلاق. وهناك وثيقة لم تظهر إلاّ في تسعينيّات القرن العشرين، وهي صحيفة ناطقة كُتِبَتْ لأجل تهيئة هالدمان للاجتماع مع ميتشل. وفيها فقرة تحت عنوان «الاستخبارات» وهي تبدأ بعبارة. «تمت الموافقة

(12) أنكر ميتشل في شهادته أنه أعطى تفويضاً بالبدء بتنفيذ الخطة. أما مساعده فريد لارو، الذي كان حاضراً أيضاً فقد ادعى أن ميتشل قال إنه لا حاجة إلى اتخاذ القرار في ذلك الاجتماع. غير أن غوردون استراخان، مساعد هالدمان، قد استذكر أن مغرودر قد تحدث هاتفياً من فلوريدا ليخبره بأن ميتشل قرر أن بإمكان المشروع أن ينطلق. وقال ليدي إنه تلقى إشارة «الانطلاق» من روبرت ريزنر، مساعد مغرودر. ومن الواضح أن ميتشل أو مغرودر قد كذب حول هذا الموضوع، أو أن الاجتماع في فلوريدا قد نجمت عنه واحدة من أخطر حالات سوء التفاهم وأبعدها أثراً مصيرياً في تاريخ الولايات المتحدة. وقد تم تفصيل النزاع الأوسع بأكثر الطرق إثارة للجدل والخلاف في كتاب **الانقلاب الصامت**، لمؤلفيه لين كولودني وروبرت غيتلين، (مصدر سبق ذكره). وفيه لوم لجون دين على مخادعات كثيفة. وإن أكثر الروايات توازناً هي الواردة في كتاب فريد إيمري المعنون: **ووترغيت: فساد ريتشارد نيكسون وسقوطه (نيويورك تايمز بوكس، 1994**؛ وانظر أيضاً تقرير لجنة إيرفن، ص 25).

على عملية غوردن ليدّي للاستخبارات (300 دولار)[*]. وأنت ربما ترغب في الاتفاق مع ميتشل بشأن مَنْ سيكون مطلعاً على هذه المعلومات».

وبالإضافة إلى ذلك، فإنه لم يمض وقت طويل على الاجتماع مع ميتشل، عندما أصدر هالدمان أوامره بأن ينقل ليدّي «قدرته» بعيداً عن موسكي، ويسلطها على الديموقراطي الذي كان آخذاً في التقدم، وهو ماكغفرن. ويبدو أكثر من محتمل أنَّ نيكسون أيضاً قد علم بأمر مشروع ليدّي هذا. ذلك أن مفكرة هالدمان وسجلات البيت الأبيض، تشير إلى أن ميتشل قد رأى الرئيس، وهالدمان كذلك، في اليوم نفسه الذي كان مقرراً فيه مناقشة الجريدة الناطقة التي تصف «عملية الاستخبارات».

وهناك نسخة من المذكرة مؤشر عليها بحرف تحيط به دائرة، ربما كان P في الزاوية اليمنى العليا. فإذا كانت النسخة الأصلية تحمل مثل هذا الحرف، الذي كان هالدمان يستخدمه بانتظام كمختصر لكلمة الرئيس President، مع إشارة خلاله تدل على أنه لوحظ، فإن ذلك من شأنه أن يكون بالتأكيد تقريباً، دلالة على أن نيكسون قد قرأها أو ناقشها. غير أننا لا نملك الأصل، لأنه كان من الوثائق التي أرسلت إلى آلة التمزيق، بناء على أوامر هالدمان، عند بداية أزمة ووترغيت[13].

(*) كان هذا معناه 300000 دولار، في أحدث ميزانية مخفضة.

(13) قال غوردون استراخان مساعد هالدمان في شهادته إن مغرودر قد اتصل هاتفياً بعد اجتماع 30 آذار / مارس مع هالدمان في فلوريدا ليقول «إن خطة سياسية لجمع المعلومات السرّية قد تم إقرارها، بميزانية قدرها 300000 دولار». ثم قام استراخان بإعداد مذكرة عمل سياسي لهالدمان، وأشار عليه بتطويرها. فأشّر هالدمان على الفقرة ذات الصلة بعد أن تفحصها ليدل على أنه قرأها. وشرح استراخان الخطوط الرئيسية مرة أخرى في ورقة الكلام التي أعدها لاجتماع هالدمان مع ميتشل في 4 نيسان / إبريل [1972]. وقال في شهادته إن الوثيقتين كانتا من بين الوثائق التي أتلفها في غضون أيام من اعتقالات ووترغيت، وذلك تمشياً مع أمر هالدمان له: «تأكد من نظافة ملفاتنا». غير أن نسخة قد ظهرت في أرشيف المحفوظات الوطنية، أثناء البحوث التي كانت تجري لمصلحة مسلسل وثائقي تلفزيوني لهيئة الإذاعة البريطانية وقناة الاستكشاف (ديسكفري Discovery) في سنة 1994. وعثر أحد موظفي المحفوظات في وقت لاحق على نسخة أخرى، ولفت نظر جون دين إليها. وتحمل النسخة =

وقدر لنيكسون فيما بعد أن ينكر أن تكون عملية الاستخبارات، التابعة للجنة إعادة انتخاب الرئيس قد نوقشت في ذلك الاجتماع. كما أن الشريط المسجلة عليه المحادثة ذات الصلة في المكتب البيضاوي، لا يحتوي على أي إشارة لذلك الاجتماع. وأصر نيكسون أيضاً في تسجيل آخر في البيت الأبيض: «لم أتحدث مع ميتشل عن هذه القضية... إنني لم أجتمع به وحده على الإطلاق». وقد اعترض على هذا التصريح آليكساندر باترفيلد الذي كانت وظيفته، تتطلب منه الاطلاع الوثيق على تحركات نيكسون في البيت الأبيض ساعة بساعة. فقد استذكر باترفيلد أن الرئيس كان يجتمع مع جون ميتشل كل ليلة تقريباً، وذلك في مبنى المكتب التنفيذي، طيلة فترة الحملة الانتخابية.

كانت هناك ميكروفونات تم تركيبها في مكتب نيكسون في ذلك المبنى. ولكن ميتشل تحدث بصورة خاصة عن مناقشات حول الحملة مع الرئيس، جرت في مواقع ليس فيها ميكروفونات. فقال للحاخام باروخ كورف، أحد أكبر مؤيدي نيكسون بصوت عال أثناء معمعة ووترغيت: «كنت في العادة ألتقي مع الرئيس في مكان إقامته، أو أتحدث معه على خطٍ آمن للهاتف».

وقال ميتشل إن كثيراً من الاجتماعات في ربيع سنة 1972، كانت تعقد في

= التي استعادها صانعو المسلسل الوثائقي على حرف هو P غير كاملة، أو F غريبة داخل دائرة. أما النسخة التي قدمت لدين فتحمل الحروف المخربشة «OK/LH»، مما يوحي بأنها كانت في الأصل قد نُسِخَت من أجل لاري هغبي، مساعد هالدمان. وتبين سجلات البيت الأبيض أن نيكسون قد اجتمع بكل من ميتشل وهالدمان مدة سبع وثلاثين دقيقة يوم 4 نيسان / إبريل، بعد أن كان ميتشل وهالدمان قد تحادثا على انفراد لمدة نحو ساعة. (استراخان حول هاتف مغرودر، الوثائق: شهادة غوردن استراخان، تحقيقات لجنة إيرفن، الكتاب السادس، الصفحات 2452، 2454، 2459، 2490؛ النسخة المؤشرة؟ P/F: **ووترغيت: الاقتحام**، البرنامج 1، إنتاج برايان لابينغ وشركاه لقناة ديسكفري وهيئة الإذاعة البريطانية، ديسكفري كوميونيكا شينز، 1994 [فيديو منزلي]، ومقابلات دين وهالدمان منعكسة في البرنامج؛ النسخة المؤشرة «OK/LH»: مقدمة للمؤلف من جون دين؛ لقاء نيكسون مع ميتشل: مذكرة جورج إلى جيم، 3 آب / أغسطس 1973؛ وتلخيص هيئة الادعاء الخاص لووترغيت عن «المعرفة المسبقة لاقتحام مقر اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي، الملف A - Z 53، مذكرات إلى نيكسون، ملفات الشهود، هيئة الادعاء الخاص لووترغيت، المحفوظات الوطنية، 4 نيسان / إبريل 1972، البند المتعلق بمذكرات هالدمان في طبعتيها.

المَشْمَس (الحجرة المعرضة لأشعة الشمس)، والمطبخ في البيت الأبيض «ولم يكن يحضرها أحد، فلم يسمح لأي شخص بالحضور». وحتى أفراد أسرة نيكسون، وخادمه الخاص حذروا من الاقتراب وطلب منهم البقاء على مبعدة. وأضاف ميتشل: «لم أفعل أي شيء دون موافقته».

واستذكر كورف أن الحوار مع ميتشل، قد ذكّره بشيء غريب قاله له نيكسون بعد استقالته. وهو سؤال يثير الفضول ويذكر بتأملات نيكسون أمام هالدمان وإيجل كروف، عما إذا كان قد أصدر أمره باقتحام مكتب الطبيب النفسي إلسبرغ. وكان نيكسون يتحدث عن ووترغيت هذه المرة عندما وجه سؤاله إلى كورف: «ألا تعتقد أن الجميع يوافقون الآن على أنني لم أعرف مسبقاً بأمر عملية الاقتحام؟».

أمّا الحاخام كورف، الذي ظل مدافعاً مخلصاً عن نيكسون لفترة طويلة، فقد قال متأملاً في سنة 1995: «كانت تلك هي اللحظة التي أدركتُ فيها أنه إذا كان قد قال الحقيقة بكاملها، فإنه لم تقم له قائمة بعدها، لا من الناحية الخاصة ولا من الناحية العامة».

وحسب رواية ثلاثة شهودٍ هامّين، فإن النقاش حول «مشروع ليدّي الاستخباري» قد شمل حديثاً عن اقتحام مكاتب اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي منذ البداية تقريباً. كما شمل اعتباراً من آذار / مارس، خططاً لحالات «تسلل» إلى فندق فونتنبلو في ميامي، مقر مؤتمر الحزب الديموقراطي، ومقر قيادة أي مرشح يختاره الديموقراطيون. غير أن الهدف الذي له الأولوية، كان مقر قيادة اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي في بناية ووترغيت.

وكان هانت وليدّي مشغولين على نحو جامح، ومحموم بمشاريع شائنة منذ مطلع تلك السنة. فحدثت عدة حالات اقتحام في واشنطن وفي أماكن أبعد، ولم يربطها أحد بهما إلاّ بعد زمن طويل[14]. كما أنهما كانا يجندان

(14) تشمل عمليات الاقتحام المشبوهة في أوائل سنة 1972 أربعاً كان هدفها جون ميئير، وهو مساعد =

عملاءهما مزيجاً متنافراً يُستخدَم لكل الأغراض من ميامي. وكان هؤلاء جميعاً من المنفيين الكوبيين المعادين لكاسترو، ما عدا شخص واحد هو فرانك ستورجيس، البحار السابق المتورط تورطاً عميقاً في قضية المنفيين.

وفي 2 أيار / مايو، استدعي هؤلاء المجندون للعمل في شوارع واشنطن. كان هوڤر، مدير مكتب التحقيقات الاتحادي، قد مات وهو نائم. فكانت تلك خسارة قدر لنيكسون أن يأسف لها. إلاّ أنه استقبل الخبر ـ كما قيل

= سابق لهوارد هيوز كان حينئذٍ يشن حملةً لانتخابه في مجلس الشيوخ الأمريكي؛ واقتحاماً ظاهراً لمكتب هانك غرينسبن، ناشر إحدى الصحف في لاس ڤيغاس، وسَرِقَةَ خزانةٍ من مكتب المحامي رالف دنتون، الذي مَثَّلَ غرينسبن، وسرقة أشرطة مسجلة لمقابلات من مكتب بنجامين شِيمَر، الذي كان عاكفاً على تأليف كتاب عن هوارد هيوز. أما قلق بيت نيكسون الأبيض على هيوز فهو وارد فيما بعد في هذا الفصل. وقد فاجأ دان راذر، المذيعُ في شبكة كولومبيا الإذاعية لصوصاً يحاولون سرقة منزله في نيسان / إبريل 1972. وقد تركوا النفائس والنقود دون أن تُمَسّ، غير أنهم عبثوا بملفاته. وكان راذر قد أغضب نيكسون في بعض المناسبات، فطلب من الشرطة أن تعيد التحقيق في واقعة السرقة بعد انفجار فضيحة ووترغيت. وفيما بعد، قال فرانك ستورجيس، أحد لصوص ووترغيت، إنه كان قد شارك في واقعتي اقتحام لمكتب سول لينوفيتز، الدبلوماسي السابق وأحد كبار مستشاري السناتور موسكي. وكانت مؤسسة لينوفيتز تمثل حكومة سلفادور آلليندي التشيلية في ذلك الحين، وكانت هناك أيضاً اقتحامات في السفارة التشيليّة ومنازل دبلوماسيين شيليين وقال ستورجيس إنه قد اشترك مع بعض لصوص ووترغيت الكوبيين في اقتحام السفارة التشيلية مراراً. وقيل بأن الدخول إلى مكتب لينوفيتز وإلى السفارة كان ينطوي على نصب أو نزع أجهزة تنصت. وكما لاحظ هالدمان في مفكرته، فإن أتباع هانت قد اعترفوا في وقت لاحق أنهم «زرعوا أجهزة التنصت في كافة أنحاء المدينة». ويوضح شريط مفرج عنه حديثاً أن نيكسون كان قد قال في أيار / مايو 1973 أن حالات اقتحام السفارة التشيلية كانت «جزءاً من خطة اللصوص، كغطاء». (ميئير: مجلة **بلايبوي**، [عدد أيلول / سبتمبر 1976]؛ غرينسبن: إيمري، مصدر سبق ذكره، ص 93، 97؛ دنتون: مقابلة مع سالي دنتون؛ شيمر: «مكونات عملية اقتحام»، مقالة غير منشورة في مجموعة جيم هوغان؛ مقابلات مع بنجامين شيمر؛ راذر: وايز، **الدولة البوليسية**، مصدر سبق ذكره، ص 166 وما يليها؛ **الواشنطن بوست**، عدد 5 حزيران / يونيو 1973؛ لينوفيتز: مقابلات مع آندرو سانت جورج؛ روبرت فينك، «حالات الاقتحام غير المحلولة»، سجل الكونغرس، 9 تشرين الأول / أكتوبر، 1974، ص SI 8595؛ السفارة التشيلية: المصدر السابق نفسه، وكذلك وايز: **الدولة البوليسية**، مصدر سبق ذكره، ص 178؛ **الواشنطن بوست**، 8 آذار / مارس، 1973؛ «أجهزة تنصت في جميع أنحاء المدينة»: 13 كانون الثاني / يناير 1973، بند في مذكرات هالدمان، ص 568، وانظر صحيفة **النيويورك تايمز**، عدد 14 كانون الثاني / يناير 1973؛ ريتشارد نيكسون: «جزء من خطة»: شريط مسجل في البيت الأبيض في 16 أيار / مايو 1973 تقتبس منه **الواشنطن بوست** في عددها في 26 شباط / فبراير 1999).

ـ بصمت طويل، ثم بكلمة: «يا يسوع المسيح! (تتلوها شتيمة بذيئة يعف اللسان عن ذكرها!)» وبعد أن أمر بحداد وطني، أصدر أمراً غريباً وسخيفاً بالفعل.

كان الرئيس قد أمضى عدة أسابيع وهو يصرخ بغضب، شاجباً هجوماً جديداً شنه الشيوعيون في ڤيتنام. وكان قد قال لهالدمان وميتشل: «إن أولاد الزنا لم يسبق لهم قَط أن قُصِفُوا بالقنابل كما سوف يُقْصَفون هذه المرة». وراح يأمر بعمليات قصفٍ أقوى باطراد. وبدا أن سلوكه في بعض الأحيان مضطرب على نحو خاص. وذات مرة اقتحم اجتماعاً في المكتب الصحافي للبيت الأبيض. ورفس مكتب المتحدث الصحافي رون زيغلر، وطالب بتسمية الڤيتناميين الشماليين «العدو». فغمغم زيغلر بعد أن انغلق الباب وراء نيكسون: «إن الرجل العجوز مخمور بشكل حقيقي مرة أخرى».

وبينما نكست الأعلام إلى منتصف السارية، وسجي جثمان هوڤر في المبنى المستدير في الكابيتول، وصل خبر بأن مظاهرة معادية للحرب ستجري في المتنزه المعشب الظليل، يحضرها الملعون دانييل إلسبرغ وترتفع فيها أعلام الفيتكونغ. فصدر توجيه غريب وسخيف من المكتب البيضاوي على شكل مكالمة هاتفية من كولسون إلى مغرودر، مسؤول لجنة إعادة انتخاب الرئيس، ثم نزل هذا التوجيه عبر التسلسل حتى وصل إلى غوردن ليدّي.

واستذكر ليدّي أن الرسالة وصلته على النحو التالي: «إن الرئيس منزعج انزعاجاً حقيقياً بسبب علم الفيتكونغ. هل تعتقد أن رجالك يستطيعون أن يحطموا [التجمع] ويحصلوا على العلم؟» وقيل له بأن عليه أن يحصل على العلم لإهدائه إلى نيكسون كتذكار.

وفي مساء اليوم التالي، بينما كان المتظاهرون يتلون أسماء قتلاهم في ڤيتنام، اقتحمت المشهد مجموعة من الغرباء تلوح بقبضاتها وتشتم الحاضرين. لقد جاء هانت بأزلامه الكوبيين بالطائرات من ميامي إلى واشنطن، بالدرجة

الأولى. ثم شرح لهم مهمتهم، وعرض عليهم صورة لإلسبرغ وقال لهم: «إن مهمتنا هي ضربه، وتسميته خائناً، ولكمه على أنفه. اضربوه واهربوا».

ونجح المياميّون في افتعال معمعة صاخبة فعلاً. وألقي القبض على شخصين لمدة قصيرة ثم أفرج عنهما، بعد أن تحدث شخص بملابس مدنية مع رجال الشرطة. ولم يصب إلسبرغ بأذى، رغم أن رجلاً كان يقف إلى جانبه تلقى لكمة. ولم يحصل الرئيس على علمه الفيتكونغي أبداً، لأنه لم يكن هناك مثل هذا العلم أصلاً.

وبينما كان نيكسون يستعد لرحلته التاريخية إلى موسكو لإحداث تغيير كبير، وهي أول رحلة يقوم بها رئيس أمريكي، جاء اقتراح جديد لهوارد هانت. ففي 15 أيار / مايو، بينما كان جورج والاس يشن حملته الانتخابية في إحدى ضواحي واشنطن، أطلق عليه النار رجل يحمل مسدساً ويرتدي قميصاً أحمرَ وأبيضَ وأزرق، وزرّاً من أزرار الحملة. وكان المعتدي رجلاً يبدو معتوهاً، في الثانية والعشرين، يدعى آرثر بريمر. فألقي القبض عليه في المكان نفسه. وأصيب عمود والاس الفقري بضرر شديد، أدى إلى شلله مدى الحياة[15].

وكان الموقف العلني الذي اتخذه نيكسون هو التعاطف والقلق. وقدر له أن يكتب في مذكراته أن الخبر كان «رهيباً وصاعقاً»، وقدم وصفاً يدل على غصّة في الحلق لزيارة خصمه المصاب بجراح خطيرة. غير أن أحاديث الرئيس

(15) قال أول طبيب نفسي شاهد بريمر رهن الاعتقال إنه يعتقد أنه «قد يكون حالة عقلية». وفي اليوم التالي بصق بريمر على الطبيب وهدد بقتله. وكانت تستحوذ على تفكيره الجرائيم. ومن بين الأطباء النفسيين العشرة الذين فحصوه في آخر الأمر، استنتج ستة أطباء أنه كان بكامل قواه العقلية في يوم إطلاق النار، وقال ثلاثة إنهم لا يعتقدون ذلك، ولم يستطع واحد أن يقرر بشكل قطعي. (س. و. بيتس إلى السيد شرودر، في 15 أيار / مايو، 1972، ملف مكتب التحقيقات الاتحادي رقم 15 ـ 52576 ـ 44، من مدير المكتب بالوكالة إلى المدعي العام بالوكالة في 17 أيار / مايو، 1972، ملف مكتب التحقيقات الاتحادي رقم 3 ـ 52576 ـ 44 ميلووكي إلى المدير بالوكالة، 18 أيار / مايو، 1972، وملف مكتب التحقيقات الاتحادي رقم 68 ـ 52576 ـ 44، SAC بالتيمور إلى المدير في 7 أيلول / سبتمبر 1973، ملف مكتب التحقيقات الاتحادي رقم 772 ـ 52576 ـ 44).

خلف الكواليس كانت تهكمية قاسية، ونجم عنها استدعاء هانت.

ومن إعادة تركيب الأحداث من مصادر كثيرة، تشمل أشرطة نيكسون المسجلة المفرج عنها حديثاً، يبرز المشهد التالي: كان نيكسون «مهتاجاً» عندما نُقِلَ إليه الخبر عن إطلاق النار، «وعبر عن قلق فوري من احتمال كون القاتل له ارتباطات بالحزب الجمهوري، أو حتى أسوأ من ذلك، بلجنة إعادة انتخاب الرئيس». وقدر لكولسون أن يلاحظ أنه «لو كانت تلك هي الحالة، فقد كان يمكنها أن تكلف الرئيسَ الانتخاب».

وفي غضون ثلاث ساعات، قبل أن تتضح تفاصيل هوية القاتل، أعلن أحد مساعدي البيت الأبيض للصحافة، أن أوراقاً عُثِرَ عليها في شقة بريمر في ميلووكي تربطه بقضايا «يسارية»، وربما بحملة السناتور ماكغفرن. وفي صباح اليوم التالي، حسب رواية مفكرة هالدمان، قال نيكسون لزملائه: «إن المهم في غضون الساعات الأربع والعشرين، أو الثماني والأربعين المقبلة هو القصة. ولا تهتموا بعمل كل شيء حسب الأصول المرعية. فالمشكلة هي من الذي سيكسب الرأي العام في هذه القضية. إنها مسألة علاقات عامة عند هذه النقطة».

ولقد كان رأيه الحقيقي أغلظ حتى من ذلك وأخشن وأقسى. فقد استذكر الرئيس ذلك اليوم الذي كان قد أخبر فيه ريتشارد كلايندينست، المدعي العام الجديد، أن هناك «أوقاتاً من الأفضل فيها أن لا تعرف وزارة العدل... سنخبرك ما الذي نعتقد أنك بحاجة إلى معرفته». وكان ذلك الوقت من تلك الأوقات. وحثّ الرئيسُ مساعديه على استخدام مدير مكتب التحقيقات الاتحادي بالوكالة، بات غراي، «كشريك». وحرضهم في تلك الأثناء: «استخدموا طاقم كولسون لاستخراج الأشياء خلسة. أقصد أنه قد يفعل أي شيء. **وأعني، أي شيء!**».

وأمضى نيكسون الساعات التالية لإطلاق النار على والاس يشرب الخمر

ويتعشى مع كولسون، ويلاحق مكتب التحقيقات الاتحادي بطلب موافاته بآخر الأخبار والتفاصيل، ويتآمر لإيجاد طرق تلوي عنق الحقيقة. واستذكر كولسون: «جلسنا هناك ساعتين، فتناول نيكسون كأساً من الكوكتيل (مزيج من خمور مختلفة). وكان نيكسون جالساً هناك، وقد لفّ رجليه إلى الوراء بينما نحن ننتظر مكالمة من مكتب التحقيقات الاتحادي، وهو يقول: «ألن يكون عظيماً أن يعثروا على دعاية يسارية في شقته [يقصد القاتل]؟... إن من المؤسف جداً أننا لم نستطع إرسال شخصٍ ما ليزرعها هناك...».

إن نسبة هذه الأفكار المؤذية إلى الرئيس من جانب كولسون، قد تكون محاولة لإلصاق المسؤولية به، ولكن من الواضح أن الاثنين قد تواطآ في القضية. فهناك مقطع من الحوار المسائي بين نيكسون وكولسون، مسجلة من على هاتف نيكسون، يكشف هذه المحادثة بين الرئيس ومساعده الموثوق به:

> الرئيس: هل هو يساريّ، يمينيّ؟
>
> كولسون: حسناً، إنه سيكون يسارياً عندما ننتهي من عملنا، على ما أعتقد.
>
> الرئيس نيكسون (ضاحكاً بصوت خافت): حسناً. استمر في ذلك.
>
> كولسون: نعم. أنا فقط أرغب، يا إلهي. إنني أرغب لو أنني قد فكّرت في وقت أبكر في أن أزرع شيئاً من الأدبيات هناك.
>
> الرئيس نيكسون: ها! ها، ها، ها!
>
> كولسون: قد يكون الوقت متأخراً قليلاً، رغم أن لديَّ مصدراً ربما...
>
> الرئيس نيكسون: حسناً.
>
> كولسون: يمكنك التفكير في ذلك. أقصد أنهم إذا عثروا على المواد بالقرب من شقته، فإن ذلك قد يكون مساعداً.

وقال كولسون فيما بعد لمكتب التحقيقات الاتحادي إنه في ذلك المساء، أجرى محادثة هاتفية مع شخص كان في ذهنه، وكان يريد أن يكلِّفه بمهمة، وهو هوارد هانت. كان على هانت أن يطير إلى ميلووكي، حيث عاش الرجل الذي قام بمحاولة اغتيال والاس، ويتسلَّل إلى شقة بريمر. واقترح عليه

كولسون، لكي يتمكن من الدخول، أنه يستطيع أن «يرشو البواب، أو يلتقط القفل». وحسب رواية هانت، فإن كولسون أشار إلى أن الأوان قد فات، وأن الشقة ستكون في ذلك الوقت مختومة ولا يمكن اختراقها عملياً. وطلب كولسون تنفيذ المهمة في اليوم التالي[16].

واستذكر أحد كبار زملاء الرئيس أن استراتيجيته الانتخابية بكاملها، كانت تقوم على أساس ما إذا كان والاس سيرشح نفسه للرئاسة أم لا. وقد لاحظ ثيودور وايت في ذلك الربيع: «مع وقوف المؤشر عند نسبة 43٪ من الأصوات لنيكسون، كان الرئيس ما يزال ضعيفاً ومعرضاً لاحتمال الخسارة، حتى وقع حادث إطلاق النار في 15 أيار/مايو بالطبع. ثم انتهى ذلك كله».

لقد كانت إزاحة والاس من السباق، حاسمة في مصلحة نيكبسون إلى درجة أن بعض المعلقين الجادّين، قد فكّروا في إمكانية كون محاولة قتله هي «أقصى ما وصلت إليه حيلة قذرة»، على حد وصف هوارد سيمونز، المحرِّر الإداري لصحيفة **الواشنطن بوست**، وبأن القاتل ربما تلقى تحريضاً على فعلته من أتباع نيكسون. وكانت هناك بالفعل جوانب مقلقة في القضية. وظل الشك معششاً في ذهن والاس نفسه حتى وفاته عام 1998[17].

(16) أشار كولسون إلى أحداث 15 ـ 16 أيار / مايو في مذكرتين مؤرختين في 16 أيار / مايو و20 حزيران / يونيو، 1972. ويشارك مؤلف هذا الكتاب في الشك بأن وثيقة «16 أيار / مايو» قد خلقت أثناء الاضطراب الذي تلى اعتقالات ووترغيت ـ وأنه تم تأليفها لتغطية الحقائق الفعلية. أما مذكرة 20 حزيران / يونيو فهي تقفز فوق مراسلاته مع هانت في أعقاب إطلاق النار على والاس. (16 أيار / مايو: مذكرة إلى الملف، بروس أودز، **من: الرئيس**، طبع لندن: آندريه دويتش، 1989، ص 445؛ 20 حزيران / يونيو: مذكرة إلى الملف، إشارة إلى هوارد هانت، تحقيقات لجنة إيرفن، الكتاب الثالث، ص 1170 وما يليها).

(17) قال والاس في ملخص لاهتماماته تم إيصالها إلى كلارينس كيلي سنة 1975 إنه كان يعتقد أن بريمر «لن يكون لديه المال لشراء سيارة وبندقيتين. . . واستئجار ليموزين والإقامة في فندق والدورف آستوريا. . . وكيف استطاع أن يلاحقني. . . في جميع أنحاء البلاد». كما تشكك والاس في صحة مفكرة بريمر، قائلاً: «أعتقد أن شخصاً آخر قد كتبها واستنسخها بريمر». وقد شاطره آخرون هذا التشكك. (شكوك والاس: رسالة من [الاسم مكتوم شطبته الرقابة] إلى كلارينس كيلي، مدير مكتب التحقيقات الاتحادي، 7 كانون الثاني / يناير 1975، ملف المكتب المذكور 52576 ـ 44؛ شكوك =

إن فكرة كون البيت الأبيض قد وافق على الاغتيال، لا يمكن نبذها رأساً باعتبارها نظرية مؤامرة مثيرة. فهناك رجل اسمه وليام جيلداي، دين باغتيال شرطي في ماساشوسيتس، ظلَّ يزعم منذ عام 1974 ـ في اتصالات مع النيويورك تايمز وآخرين، من بينهم المؤلف ـ أن مساعدي نيكسون قد طلبوا منه ومن صديق له في عام 1970، في بوسطن أن يشارك في مخططات تراوح من الأحابيل القذرة إلى الاغتيال.

وقال جيلداي إن الذين تم تحريضهم على قتله، كان من بينهم السناتور إدوارد كيندي وجورج والاس. وأسماء المساعدين المذكورين غير واردة هنا لأسباب قانونية. ولكن جيلداي قد ظهر أنه يعرف تفاصيل داعمة لزعمه ـ مثل أسماء الدلال لأولئك المساعدين مثلاً ـ وقدَّم صوراً استطلاعية قال إنها التقطت بهدف تدبير اغتيال كيندي.

وفي إحدى أكثر محادثات نيكسون المسجلة تآمراً، وقد سجلت بعد ووترغيت، ناقش مع كولسون الأخطاء التي ارتكبت عند تنفيذ العمليات التي كانت «قريبة جداً مني».

فأجاب نيكسون: «كنت أدبر الأشياء من بوسطن. لقد قمنا بشيء من الابتزاز و. . . يا إلهي، آه، آه، آه سأذهب إلى قبري قبل أن أكتشفها. ولكن، آه، لقد قمنا بأشياء كثيرة كالجحيم دون أن يضبطنا أحد أبداً. . . كان لديك رجل يقف في الصف أثناء حفل استقبالك لإضاءة شجرة عيد الميلاد، وقد قام بخمسة عشر أو عشرين من المشاريع السوداء في بوسطن. وهذه لن يتتبع آثارها أحد بأي شكل من الأشكال. وأستطيع أن أقول تحت حَلْف اليمين إنني أعرف كيف حدثت. . . فتلك هي طريقة عمل هذه الأشياء».

= الآخرين: مقالة لوليام تيرنر في كتاب من تحرير بلومينثال ويازيجيان، مصدر سبق ذكره، ص 56، ومقالة بقلم غور فيدال في كتاب من تحرير سكوت، وهوتش، وسْتِيتْلَزْ، مصدر سبق ذكره، ص 386).

واستمع نيكسون دون أن ينبس بحرف.

ولم يُعْرَفْ إلاَّ بعد سنوات، أن ليدي وهانت كانا قد أجريا مناقشات مفصلة، حول كيفية التخلص من كاتب العمود الصحافي جاك آندرسون. وكان آندرسون، خليفة درو بيرسون، منتقد نيكسون الدائم، قد أغضب الرئيس تكراراً بكشوفاته الفضائحية، كالمدفوعات السرية لنيكسون من هوارد هيوز؛ وتسوية قضية مضادة للممارسات الاحتكارية مرفوعة ضد شركة الهاتف والبرق الدولية، وقد تم ذلك على ما يبدو لقاء تبرع ضخم نقداً لتمويل مؤتمر الحزب الجمهوري؛ ودعم نيكسون لباكستان في نزاعها مع الهند حول بنغلاديش في عام 1971 ـ وتلك حرب كان المفروض وقوف أمريكا فيها على الحياد ـ وقد مات فيها عدد يقدر بمليون بنغالي، وصار أضعاف ذلك العدد لاجئين.

وقد لاحظ إيرليكمان أن آندرسون وبيرسون كانا «أخطر أعداء نيكسون» في أجهزة الإعلام. ولم يحدث إلاَّ في عام 1975، عندما كانت التحقيقات الرسمية تتجه إلى نهايتها، أن وصلت إلى محققي ووترغيت، معلومات بأن غضب نيكسون الهائج قد أدَّى إلى حديث عن الاغتيال.

فقد قال ليدّي: «لقد كلفونا بالمهمة، وقالوا لنا: «هاتوا لنا طرقاً لإيقاف آندرسون. . . وقد تفحصنا كل البدائل وسرعان ما توصلنا إلى الاستنتاج، بأن الطريقة الوحيدة التي يتسنَّى بها إيقافه هي قتله. . . وهذه كانت التوصية».

وحسب رواية ليدي فإنه قد ناقش وهانت طرقاً لقتل آندرسون، مع طبيب يعمل لدى وكالة المخابرات المركزية في عام 1972. وكانت الخيارات تشمل جرعة من عقار LSD المخدر المسبِّب للهلوسة، تعطى له سراً فتجعله يتسبب في حادث صدام قاتل بسيارته. أو صدم سيارته عمداً بطريقة مصمَّمة لتكون قاتلة، و«روليت الآسبرين»، أي وضع قرص مسموم في الزجاجة المناسبة في خزانة أدوية الصحافي المذكور. وقد تم الاتفاق بعد بضع محاولات على التوصية، بأن آندرسون «ينبغي أن يصبح ضحية ميتة من ضحايا جرائم الشوارع المروعة

في واشنطن». غير أن الإجابة جاءت من الأعلى بأن الاغتيال «حكمٌ قاسٍ أكثر من اللازم».

ولم يعترف هانت بالتخطيط للاغتيال أبداً، بل قال في إفادة له إن رأيه قد استقر على «مفهوم يكون من شأنه جعل آندرسون، يبدو مخموراً ومضطرباً وغير متماسك في واحدة من برامجه التلفزيونية أو الإذاعية». وقد رحَّب كولسون بفكرة «جعله يبدو قد انفجر ذهنه». وكان هانت يعتقد أن المناقشة مع طبيب وكالة المخابرات المركزية حول جرعات الأدوية السرية، قد جرت دون أن يكون الهدف هو الاغتيال، بل فكرة تشويه سمعة آندرسون وجعله يبدو مجنوناً. وقال هانت بشكل عابر إنه كان قد اقترح هذه المعالجة نفسها للتعامل مع دانيال إلسبرغ.

وقد نجا إلسبرغ وآندرسون من غير أذى. ولكن بعض موظفي وكالة المخابرات المركزية كانوا يعتقدون أن إدموند موسكي لم ينجُ. فالانهيار العلني الذي حطم حملة ذلك السناتور كان ـ كما ظن بعض الموظفين ـ من عمل «هوارد هانت وبعض أتباعه الذين دسّوا في شرابه بعض الأنواع الخفية المعقدة من عقار LSD.

وقد لا تُعْرَفُ حقيقةُ هذه الشائعة على الإطلاق. غير أن إمكانية مقلقة تبرز من إفادة هانت عن الاجتماع الذي أطلقه البحث عن طرق لإسكات آندرسون. فقد استذكر هانت أن «كولسون كان يبدو مهتاجاً أكثر من المعتاد. فتكوَّن لدي انطباع أنه كان خارجاً لتوِّه من اجتماع مع الرئيس نيكسون.

وبحلول أيار / مايو عام 1972، كان لنيكسون سبب لأن يثق أكثر من أي وقت مضى بالفوز في الانتخابات في ذلك العام. فقد أظهرته استطلاعات الرأي متقدماً على ماكغفرن، المرشح البارز الباقي في المقدمة. ومع شلل والاس الكسيح الذي كان على وشك الخروج من السباق، لم يكن أمام نيكسون أي منافسة حقيقية.

غير أن عملية «المخابرات السياسية» ظلّت تتدحرج خلف الكواليس. وكانت بعض خططها غير مؤذية نسبياً. وتمشياً مع أساليب الدعاية الأخرى التي مارستها لجنة إعادة انتخاب الرئيس، كانت هناك استطلاعات مزيفة للرأي، ورسائل وبرقيات مصطنعة مفتعلة. كما جعل ليدي الكوبيين ينظمون مظاهرات تدعم آخر قصف بالقنابل قام به نيكسون في فيتنام.

وبعد محاولات فاشلة لضرب دانيل إلسبرغ ضرباً مبرحاً، قاد هانت وليدّي سيارتيهما في شوارع واشنطن في مهمة استطلاعية ومعهما ثلاثة من أتباعهما. وكان ليدي قد لاحظ أنه ينبغي التعامل مع الأضواء الساطعة، حول مقر قيادة السناتور ماكغفرن، قبل القيام بأية محاولة اقتحامية (وقد أطلق النار على تلك الأضواء بمسدس فيما بعد). ثم اتجهت المجموعة على امتداد شارع فيرجينيا، ومرَّت بمكاتب اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي في المجمع الضخم المقوس المسمَّى ووترغيت. فأشار إليها ليدي قائلاً: «هناك مهمتنا التالية».

كانت التحضيرات لعمليتي تنصت تجريان على قدم وساق. وكان ماكورد، الخبير الإليكتروني، قد استطلع بناية ماكغفرين مساء اليوم الذي أطلقت فيه النار على والاس. فكانت هناك مشاكل. ولذلك ركز الفريق على مبنى ووترغيت أولاً. وأسرّ ليدي أن أسياده كانوا متشوقين بصورة خاصة لاستهداف المكتب، والشقة القريبة منه، التابعين لعدوّ نيكسون القديم، وهو لورانس أوبراين، رئيس اللجنة الوطنية الديمقراطية.

وفي أوائل أيار / مايو وقع حادث اقتحام لا تفسير له لمكاتب في بناية ووترغيت، فوق المقر الديمقراطي بطابقين. ووقعت محاولة أخرى ضمن المجمع ولكن في بناية أخرى، في المكاتب القانونية التي يستخدمها أربعة من القياديين الديمقراطيين، اثنان منهم على قائمة الأعداء التي هيأها نيكسون[18].

(18) إن المكاتب التي سُرِقَت فوق اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي بطابقين في 6 أيار / مايو كانت =

وفي تلك الأثناء كان ماكورد قد جنَّد شخصين جديدين. وكان آلفريد بولدوين، عميل مكتب التحقيقات الاتحادي السابق، قد استُخْدِمَ في أول الأمر كحارس أمني لزوجة جون ميتشل، ثم للقيام بشيء من التجسس على مكاتب كابيتول هيلْ، ريثما يعثر له على مهام أكبر. أما المجند الثاني، الذي لا يزال اسمه إلى يومنا هذا غير معروف لدى جمهور الناس عملياً، فقد كانت له صلة بالرئيس نفسه.

وكان لويس راسل موظفاً سابقاً آخر في مكتب التحقيقات الاتحادي. وقبل عقدين من الزمن، كان قد عمل بشكل وثيق مع نيكسون في قضية هيس. وفي خمسينيات القرن العشرين تم تجنيده لعملية وافق عليها نيكسون، بينما كان نائباً للرئيس ضد آرسطو أوناسيس، قطب صناعة السفن. وفي أواخر الستينيات، استأجره عضو آخر في زمرة محققي واشنطن، له اتصال مع شركاء نيكسون الهامِّين، كولفيلد، وشوتينير، وكولسون، وميتشل.

وبعد سنة من رئاسة نيكسون الأولى، طلب موعد مع نيكسون نفسه، قام راسل بزيارة روز وودز في البيت الأبيض. كان يريد عملاً. فكتبت وودز نيابة عنه إلى قسم ذاتية الموظفين في البيت الأبيض. وقد أُرسل تقريرٌ عن راسل فيما بعد إلى جون ميتشل. وقد تغذى العميل السابق مع وليام بايرلي، وهو مضاربٌ

= تابعة لقسم العمليات المصرفية لمجلس الاحتياطي الاتحادي. أمّا المكتب الذي تم اقتحامه في مكان آخر من المجمّع، في 15 أيار / مايو فكان مكتب مؤسسة قانونية تابعة لفريد، وفرانك، وهاريس، وشرايفر، وكامبلان. وكانت باتريشيا هاريس رئيسة بالوكالة للجنة أوراق الاعتماد التابعة للحزب الديموقراطي، وكان سارجنت شرايفر ـ وهو صهر لكينيدي ـ يتردد اسمه كمرشح محتمل لمنصب نائب الرئيس. وكان ماكس كامبلان صديقاً حميماً لهيوبرت همفري. وكان هناك شريك آخر في مكتب المحاماة هذا، وهو ريتشارد باريمان، مساعد مستشار في حملة همفري الانتخابية. وكان هاريس وشرايفر على «قائمة الأعداء». وبعد اعتقالات 17 حزيران / يونيو أجرى مكتب التحقيقات الاتحادي مسحاً شاملاً للمكاتب في أماكن أخرى من مبنى ووترغيت، فعثروا ـ حسب رواية شرايفر على جهاز تنصّت مركب في هاتف هاريس. (الاحتياطي الاتحادي: «حالات الاقتحام غير المحلولة»، **سجل الكونغرس**، المجلد 120، العدد 153، 9 تشرين الأول / أكتوبر 1974؛ فرايد، فرانك ـ الاقتحامات: المصدر نفسه؛ العثور على جهاز تنصت؟: **ميامي هيرالد**، عدد 20 آب / أغسطس، 1972).

في البورصة في واشنطن كان على علاقة ودية بنيكسون وسكرتيرته.

واشتغل راسل في التحقيق المستمر، الذي كان يجريه البيت الأبيض في حادثة تشيباكيدك، وحسب رواية ابنته، قد استُخْدِمَ كمراسل لحمل مبالغ كبيرة من المال نقداً. ثم في عام 1972، بدأ يعمل للجنة إعادة انتخاب الرئيس. وكانت مسؤولياته المعروفة تشمل إجراء التدقيقات الأمنية على الموظفين، وإجراء البحوث على الصحف اليسارية، والتحقيق في حالة كاتب العمود الصحافي جاك آندرسون، وتلك آخر مرحلة، فيما أصبح عندئذ الشغل الشاغل للبيت الأبيض.

غير أن هذا الموظف ذا الاتصال الشخصي بنيكسون، كانت لديه كفاءة مؤهلة خاصة. فليس صدفة أن راسل كان (قبل أن ينضم إلى لجنة إعادة انتخاب الرئيس)، يعمل لدى الهيئة الأمنية التي تحمي مجمع ووترغيت[19].

---

(19) أنظر ص 144، والحاشية 15 على الصفحة 412، من أجل دور راسل مع نيكسون في قضية هيس، وبعد ذلك في العملية ضد أوناسيس. وكان المحقق الواشنطني ورجل الجماعة الضاغطة الذي عمل عنده راسل هو جيمس جوليانا، الذي اعترف أمام موظفي لجنة مجلس الشيوخ للتحقيق في ووترغيت بارتباطاته مع كلٍ من كولفيلد، وكولسون، وتشوتينر وميتشل. وقال إنه كان يعرف نيكسون «بصورة جيدة تماماً»، وعَيَّنَهُ الرئيسُ في اللجنة الخاصة بشؤون المعوقين. وكان جوليانا قد ساعد في جهد بذله البيت الأبيض للحصول على معلومات عن الحالة الصحية لجورج مينو، زعيم مؤتمر المنظمات الصناعية التابع لاتحاد العمل الأمريكي. أمّا المعلومات عن طلب راسل رؤية نيكسون، واجتماعه مع روز وُوذْز، فقد جاءت من آناتولي غرانوفسكي، الذي رَتَّبَ الزيارة، ومن شهادة وودز. وأمّا المضارب في أسواق المال الذي التقى به راسل بعد وقت طويل من زيارته للبيت الأبيض فهو وليام بيرلي. وفي سنة 1998 أخبر بيرلي المؤلف بأنه كان يعرف نيكسون منذ سنة 1947، ويعرف روز وودز منذ فترة مماثلة. وأمّا دور راسل في محاولة البيت الأبيض سبر أغوار حادثة تشابكيدك فقد ذكرته ابنته جين، وطبيبه جورج ويمز، وكليفتون دي مُوث، وهو شخص يعمل همزة وصل مع هوارد هانت وكان راسل قد زاره. وكانت ابنة راسل، جين هوبر، صديقته روث ثورن، مَصْدَرَيْن مُفِيدَيْن. (جوليانا: بول ساميت إلى تيري لِيزْنَرْ، إشارة إلى المحادثة مع جيمس جوليانا، 5 تشرين الثاني / نوفمبر، 1973، ملف هيوز ـ ريبوزو، رقم 804، هيئة الادعاء الخاص بووترغيت، المحفوظات الوطنية، وإيداع جيمس ماكورد في 17 كانون الأول / ديسمبر 1981، خلاصة في ملفات هنري روثبلات، المتاحة بتفضّل من أسرة روثبلات، **واشنطن إيفنينغ ستار آند ديلي نيوز**، عدد 12 تشرين الأول / أكتوبر، 1972؛ ميني: **الواشنطن بوست**، 28 حزيران / يونيو، 1974؛ تقرير عن راسل: مدير مكتب التحقيقات الاتحادي إلى المدعي العام بتاريخ 14 نيسان / إبريل، 1971، ملف المكتب المذكور رقم 37816 ـ 67؛ =

في ليلة 22 أيار / مايو [1972]، كان ريتشارد نيكسون في موسكو، مهيأ لمحادثات قاسية صعبة متوقعة مع السوفييت. فجفاه النوم، ووجدته ساعات الفجر الأولى، متجولاً في باحات الكرملين المسوَّرة المغلقة. فأثناء رحلته التي استغرقت عشرة أيام في الخارج، ورغم قضايا السياسة الخارجية الضخمة، والكبيرة الأهمية التي كان عليه أن يتصارع معها، كان من المتوقع أن يعقد الرئيس اجتماعات منتظمة، للبحث في الوضع في داخل وطنه. وقال أحد كبار المراسلين: «إنه لم يُرْخِ قبضته عن عمليات البيت الأبيض أبداً».

وفي واشنطن في تلك الليلة نفسها، كان ستة من الكوبيين التابعين لهوارد هانت، يستقرون في فندق مانجر هاملتون، على بعد دزينة من المجمعات من المباني من ووترغيت. وبعد أربعة أيام، بينما كان نيكسون وكيسنجر، يخوضان صراعاً في المرحلة الأخيرة من مفاوضات السلام المعقدة، انتقل الكوبيون إلى غرف في فندق ووترغيت، تقع مباشرة خلف مكاتب اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي.

كان أزلام هانت ينتحلون صفة رجال أعمال، ويستخدمون أسماء مستعارة. وعبر شارع فيرجينيا، في مقر هوارد جونسون كان آلفريد بولدوين، الرجل التابع لماكورد، ينتظر ومعه تجهيزات تلتقط الإشارات التي ترسلها أجهزة التنصت. كان ماكورد قد قال له: «إننا سنقوم بتركيب بعض الوحدات عبر الشارع، وأنت الذي ستراقِب».

= وودز، راسل: د. ي. مور إلى س. د. بريتان، الموضوع: آناتولي غرانوفسكي، في 17 آب / أغسطس، 1970، ملف مكتب التحقيقات الاتحادي رقم 356092 ـ 100، وشهادة وودز، تحقيقات لجنة إيرڤن، الكتاب الثاني والعشرون، ص 10250، وأنظر رسالة روز وودز إلى لو راسل، 9 كانون الثاني / يناير، 1971، أوراق لو راسل التي قدمتها جين هوبر إلى المؤلف؛ بايرلي: مقابلات مع وليام بايرلي، **واشنطن ايفنينغ ستار آند ديلي نيوز**، عدد 12 تشرين الأول / أكتوبر، 1972؛ تشيباكيدك؛ ملاحظة على مقابلة مع وليام بايرلي أجراها جيم هوغان، منقولة في قول هوغان لفيليب مانويل، نص مستنسخ لمقابلة الدكتور جورج ويمز، وملاحظات هوغان عن مقابلة مع جين راسل هوبر، وكلها في مجموعة هوغان وفي **الواشنطن إيفنينغ ستار آند ديلي نيوز**، عدد 12 تشرين الأول / أكتوبر، 1972؛ مقابلة ابنة راسل، جين هوبر).

ولم تُزْرَعْ أجهزة تنصت في هواتف الديمقراطيين تلك الليلة ولا التي تلتها، لأن هانت ولصوصه فشلوا في الدخول مرتين. وفي 28 أيار / مايو نجحوا أخيراً في الدخول. وصوَّر رجال هانت الكوبيون أوراقاً على مكتب أوبراين. وقام ماكورد، حسب شهادته فيما بعد، بنصب أجهزة تنصت، ومرسلات صغيرة في جهازي هاتف، أحدهما في مكتب سبنسر أوليفر، رئيس رابطة رؤساء فرع الحزب الديمقراطي في الولايات، والثاني هو هاتف سكرتيرة أوبراين على الخط الذي تشارك فيه رئيسها[20].

(20) في كتاب **جدول الأعمال السري**، الذي تحدَّى الرواية التقليدية لفضيحة ووترغيت، أثار جيم هوغان أسئلة مركَّبة كثيرة حول الأدلة الخاصة بأجهزة التنصت. فأشار إلى أنه عند التدقيق بعد اعتقالات ووترغيت، لم يعثر عملاء مكتب التحقيقات الاتحادي ولا الفنيّون على أي جهاز تنصت في أي هاتف من هواتف اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي.

وقد ظهر جهاز تنصت بالفعل في مكتب سبنسر أوليفر بعد ذلك بأشهر، في أيلول / سبتمبر، بعد بلاغ عن عطل تقدمت به سكرتيرة لأوليفر، غير أن ذلك الجهاز كان معطوباً، ويشير التقرير الفنّي لمكتب التحقيقات الاتحادي إلى أن هذا الجهاز ما كان بوسعه مطلقاً أن يبثّ الأشياء التي اختزنها بولدوين في سجلاته. وكتب هوغان أن الآراء قد توافقت على أنه كان جهازاً «مُسْتَغْنىً عنه»، زُرِعَ في الهاتف عمداً بقصد العثور عليه، بل لقد ارتاب البعض، ومنهم نيكسون وروبرت فينتش، في أنه «جهاز زرعوه [أي الديمقراطيون] بأنفسهم» لإبقاء القصة حيّة.

أما اللص المسؤول عن زرع أجهزة التنصت، جيمس ماكورد، فقد زعم، على عكس ذلك، أن الجهاز المستخْرَج في أيلول / سبتمبر كان واحداً من اثنين ادعى أنه ركَّبهما. أما الثاني، فقد زعم ماكورد في كتابه وفي شهادته أمام هيئة المحلفين الكبرى أنه بقي مزروعاً في مكانه «على امتداد متفرع عن مجمّع هاتفي يحمل خطوط لاري أوبراين» - حتى أوائل نيسان / إبريل 1973. غير أن تقريراً لمكتب التحقيقات الاتحادي يذكر أن فحصاً لجميع خطوط اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي لم يُؤَدِّ إلى العثور على جهاز ثانٍ.

فكيف يمكن تفسير هذا الخليط المشوَّش؟ لقد اعتقد إيرل سيلبرت، المدعي العام الأمريكي بالوكالة أن مكتب التحقيقات الاتحادي قد «ارتكب حماقات» في فحصه المبدئي للخطوط الهاتفية للجنة الوطنية للحزب الديمقراطي بحيث فُوِّتَتْ فرصةُ العثور على أجهزة التنصت. وقد أنكرت مراسلات المكتب الداخلية حدوث مثل هذا التقصير، ولكنها أعلنت أنه «لا يمكن حل» هذه التضاربات الشاذة. والمؤلف مضطر إلى إعلان مثل ذلك. فهو يتفق مع المؤلف هوغان في أن التباينات خطيرة، وأنها لم تُذَعْ أو يجرِ التحقيق فيها بصورة كافية على الإطلاق. (هوغان، **جدول الأعمال**، مصدر سبق ذكره، ص 218 وما يليها، 243؛ من أ. ت. جاكوبسون إلى المدير، في 5 حزيران / يونيو 1974، ملف مكتب التحقيقات الاتحادي رقم 279 ـ 4089 ـ 139؛ ر. ي. غيبهاردت إلى السيد فِيلْتْ، 6 نيسان / إبريل، 1973؛ الإشارة إلى تفتيش مقر اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي عقب شهادة ماكورد أمام هيئة =

وعلى بعد خمسة آلاف ميل، في موسكو، قدر لنيكسون أن يلاحظ فيما بعد، دون أي شعور بالمفارقة الساخرة، أنه قد امتنع عن إملاء مذكرته اليومية المعتادة بسبب «انتشار أجهزة التنصت» فكتب في مذكراته «إن السوفييت كانوا غير كيِّسين ولا محنكين في هذا الخصوص. فقد ذكر أحد موظفينا أنه قال لسكرتيرته بشكل عابر إنه يشتهي تفاحة. وبعد عشر دقائق، دخلت خادمة ووضعت إناء من التفاح على الطاولة...».

وحالما بدأ نيكسون رحلة عودته عن طريق إيران وبولندا، جلس بولدوين في محلات هوارد جونسون يستمع إلى أول محادثة متنصتاً عليها، ومرسلة من اللجنة الوطنية الديمقراطية. وقد أرسلت سجلات هذه المكالمات إلى ليدي فكانت مخيبة للآمال. فلم يتم التقاط أي بث من الجهاز الذي قال ماكورد إنه قد ركَّبه في هاتف مكتب أوبراين. وفي الوقت نفسه فإن المحادثات التي جرى اعتراضها والتقاطها من على هاتف أوليفر، لم تكن تحتوي على أي شيء ذي قيمة سياسية تذكر.

وحتى ذلك الحين، كانت المغامرة المليئة بالمخاطر والباهظة التكاليف فاشلة. وهذه نتيجة قوبلت بالانزعاج. ورغم أن السجلات المعدلة بالتحرير، كانت مطبوعة على قرطاسية تحمل ترويسة **الحجر الكريم**، ومقدمة في مظاريف كتبت عليها كلمة «حساس»، و«يوزع للموظفين التنفيذيين فقط»، فإن مستلميها التنفيذيين كانوا يستقبلونها بالسخرية والاستهزاء.

وقال مغرودر فيما بعد، وأيدته شهادة مساعده، إنه قد عرض هذه المواد

= المحلفين الكبرى: إضبارة مكتب التحقيقات الاتحادي المرقمة 1975 ـ 4089 ـ 139، و.و. برادلي إلى السيد كونراد، 9 نيسان / إبريل، 1973؛ الإشارة إلى النتيجة السلبية لتفتيش مقر اللجنة المذكورة: ملف مكتب التحقيقات الاتحادي 1988 ـ 4089 ـ 139، وماكورد، مصدر سبق ذكره، ص 24 وما يليها. أما مجادلة نيكسون حول تعمد اللجنة المذكورة «زرع» جهاز التنصت فهي في شريط البيت الأبيض المسجل يومي 15 و16 أيلول / سبتمبر، 1972؛ **إساءة استخدام السلطة**، مصدر سبق ذكره، ص 147، 152).

على جون ميتشل، الذي قيل إنه شخر وقال: «إن هذه المواد لا تستحق ثمناً أغلى من الورق الذي هي مطبوعة عليه»[21].

وأكد مغرودر أيضاً أنه نظراً لاعتباره السجل، «حساساً أكثر من اللازم» بحيث لا يمكن إرساله بالبريد الداخلي، فقد طلب من مساعد هالدمان، المدعو غوردن استراخان، أن يحضر إلى مكتب لجنة إعادة انتخاب الرئيس لتقليب هذه الأوراق. وفي وقت لاحق واجه ليدي انتقاداً حول محتوياتها. واستذكر: «طلبني استراخان في البيت الأبيض، وأخبرني أن التقارير الأصلية عن الاستطلاع الإليكتروني كانت غير مرضية. وقد افترضت أنه يتكلّم باسم هالدمان».

وبالنسبة لهالدمان كان الاعتراف بأي علم بالتنصت، سيجلب المسؤولية عن ووترغيت إلى نفسه بشكل أكثر من اللازم، ثم بالتالي إلى الرئيس بالدلالة والتأثير. ولقد قال رئيس أركان نيكسون تحت القَسَم، أمام لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ: «حسب أفضل ما أعرفه، فإنني لم أرَ أية مادة أنتجها التنصت. . .» فكان ذلك إنكاراً متحفظاً مصوغاً بحذر وعناية. وعندما سئل في المحكمة عما إذا كان قد علم بأمر التجسس على الديمقراطيين قبل حزيران / يونيو عام 1972، رفض الإجابة «بناء على نصيحة محاميه».

(21) قال ميتشل في شهادته بأنه لم يرَ ليدي بين أوائل شباط / فبراير ومنتصف حزيران / يونيو، وأن سجلاته توضح أن مغرودر لم يطلعه على الدفاتر. غير أن روبرت ريزنر، مساعد مغرودر قد استذكر أن رئيسه كان قد سلّمه مادةً تتعلّق بالخطة المسمّاة **الحجر الكريم** في الوقت ذي الصلة، تمهيداً لاجتماع مع ميتشل. أما ليدّي فقد أنكر من جانبه ادعاء مغرودر بأن ميتشل قد استدعاه إلى مثل هذا الاجتماع ووبّخه على الناتج غير المفيد من عملية زرع أجهزة التنصت. وتشير إحدى الروايات إلى أن ليدّي قد اقترح أن مغرودر قد خلط بين ميتشل واستراخان، الذي اعترف ليدّي بأنه قد استدعاه إلى البيت الأبيض ليخبره أن المادة الملتقطة من اعتراض المكالمات الهاتفية كانت بلا فائدة. وقد ذكر آنطوني لوكاس، مؤلّف كتاب **الكابوس** أنه كان يبدو أن معظم المحققين آنذاك قد صدّقوا رواية مغرودر وليس إنكار ميتشل. (شهادة ميتشل: تحقيقات لجنة إيرڤن، الكتاب الرابع، ص 1620؛ ريزنر، المصدر نفسه، الكتاب الثاني، ص 494؛ إنكار ليدي: ليدّي، مصدر سبق ذكره، ص 497؛ الخلط عند مغرودر: هوغان، **جدول الأعمال**، مصدر سبق ذكره، ص 166؛ المحققون آنذاك، آنطوني لوكاس: **الكابوس**، ص 203).

غير أن هالدمان انزلق لسانه أثناء عمليات الاستجواب، فأفاد في شهادته. فبعد اعتقالات ووترغيت مباشرة، طلب من استراخان أن يدقق في الملفات «عما إذا كانت نتائج التنصت على اللجنة الوطنية الديمقراطية قد قدمت لنا». ولسوء حظ مصداقية هالدمان فإنه في ذلك الوقت بالذات لم يكن أحد (سوى اللصوص أنفسهم، والأشخاص المسيطرين عليهم والموجهين لهم) لديه أية فكرة عن حدوث اقتحام أو تركيب لأجهزة تنصت ممّا كان يمكن أن يعطي «نتائج».

وكان هالدمان قد كذب تحت القسم من قبل لحماية نيكسون، أثناء الدعوى التي أقيمت بخصوص العمليات ضد الديمقراطيين في عام 1962. فكان لديه سبب أكثر وجاهة للكذب حول معرفة المكتب البيضاوي سلفاً بأمر أجهزة التنصت في ووترغيت[22].

كان الرئيس قد عاد من رحلته الخارجية، بعد أربعة أيام من زرع أجهزة التنصت. وكان قلقه مستمراً حول الانتخابات، رغم أن استطلاعات الرأي كانت تجعله متقدماً على ماكغفرن بفارق كبير، بتوقع حصوله على تأييد 54 في المئة من الناخبين مقابل 38 في المئة لماكغفرن. وفي اجتماع عقد في كامب ديڤيد، تلقى هالدمان أوامر جديدة بخصوص الحملة من رئيسه: «نريد خطوط هجوم متوحش. . . اربطوا صورة ماكغفرن بالتطرف». وتبيّن أشرطة نيكسون أن الرئيس قد حثّ كولسون في هذا الوقت، على جعل الشرطة السرية تتجسس على ماكغفرن. وبعد ذلك قام أحد العملاء بالتقاط معلومات سرية، فيها تفاصيل عن السناتور وسلّمها إلى البيت الأبيض.

واقترح نيكسون فكرة أخرى تقضي باستئجار مراسل صحافي داجن مطواع، «يغطي تحركات ابن الزانية تماماً مثل بطانية». وأصرّ على ذلك بقوله:

---

(22) انظر ص 486 وما يليها.

«إن عملية مراقبة ماكغفرن يجب أن تكون بالضبط، يجب أن تكون الآن على مدار الساعة».

وقد جرت تلك المحادثة في 13 حزيران / يونيو. وفي اليوم السابق لها كان ليدّي قد وعد مغرودر، المسؤول عن لجنة إعادة انتخاب الرئيس، بأنه يخطط «لضرب مقر قيادة ماكغفرن» في غضون أيام. وكان مغروراً بدوره، يريد دخولاً متسللاً آخر إلى ووترغيت لنهب الملفات، ولإصلاح جهاز تنصت معطل أو تبديله.

وقدر لجون ميتشل فيما بعد، أن ينكر معرفته بأي تنصت قامت به المنظمة التي كان يترأسها. غير أن شهادة كولسون تشير إلى شيء آخر. فقد قال إنه قد جلس في ذلك الأسبوع نفسه يتكهن مع ميتشل، حول الاستراتيجية التي قد تبرز من اجتماع للقياديين الديموقراطيين على مستوى القمة في أحد فنادق نيويورك. فقال ميتشل بنصف ابتسامة: «قل لي في أي غرفة هم وسأخبرك بأي شيء يقال في تلك الغرفة».

وفي 15 حزيران / يونيو، في اجتماع مع ميتشل، قام ليدّي بتسليم التسجيلات المتراكمة. كانت مائتا مكالمة قد روقبت حتى ذلك الحين بواسطة جهاز التنصت الشغّال. ووعد ليدّي بعمل جديد لمعالجة الجهاز المتعطل الذي قيل إنه قد زُرِعَ في مكتب أوبراين. وقال للرجل الذي كان يدير حملة نيكسون الانتخابية: «إن المشكلة التي لدينا سيتم إصلاحها في عطلة نهاية هذا الأسبوع يا سيدي». ولم يفعل ميتشل شيئاً سوى هز رأسه.

ولكن السؤال يبقى: لماذا؟ لماذا، على وجه الخصوص، كان لورانس أوبراين مستهدفاً؟



30

يا إلهي! إن اللجنة لا يستحق التنصت عليها في رأيي.
وذلك هو موقفي العلني العام.

ريتشارد نيكسون، في أول محادثة معروفة ومسجلة في البيت الأبيض
عقب اعتقالات ووترغيت، في 20 تموز / يوليو سنة 1972

رغم كل التحقيقات الرسمية، ومحاكمات الجناة المتورطين، وجهود الباحثين والمراسلين الكيفة المتواترة، لم يستطع أحدٌ قطّ أن يقرّر بشكل مقنع، ما هو الحافز لاقتحام ووترغيت.

لقد كان «الموضوع الأساسي» هو البتّ على وجه الدقة، بالسبب الذي جعل رجال نيكسون يقتحمون مبنى ووترغيت، كما قرر القاضي الرئيسي لمحكمة المقاطعة، جون سيريكا، عندما بدأت محاكمة اللصوص. وفي أواخر ثمانينيّات القرن العشرين، كان هالدمان ما يزال يزعم: «حتى هذا اليوم، ما زلت لا أدري لماذا حدث ذلك».

وكان يمكن للمرء أن يتوقع من اللصوص أنفسهم، وهم الرجال الذين كلفوا بالمهمة، أن يكونوا عارفين بماهية هدفهم، عندما اتخذوا سبيلهم خلسةً إلى مكاتب الحزب الديموقراطي، وآلات التصوير جاهزة في أيديهم. وقدر لهوارد هانت أن يقول: «كنا نبحث عن معلومات، عامة وخاصة على حد سواء. فالمعلومات المحددة كانت هي قوائم التبرعات، التي كنا نأمل عند تفحصها أن نعثر على مصدر تمويل أجنبي ونتابعه للوصول إلى الأسماء».

كانت تلك هي مهمّتهم، حسب رواية هانت وبعض شركائه. فالمرشح الديموقراطي المقبل، السناتور ماكغفرن، كان يضغط لتطبيع العلاقات مع كوبا كاسترو ـ وهذا شيء كريه بغيض لدى نيكسون ومؤيديه ـ وكانت لجنة إعادة انتخاب الرئيس قد تلقت معلومات استخبارية، «بأن الحكومة الكوبية كانت ستقدم أموالاً لحملة انتخابات الحزب الديموقراطي»[1]. وكانت تلك فكرة غريبة، ولكنها ستكون مؤذية لماكغفرن على نحو كارثيّ إذا أمكن إثباتها.

وقد رُفِضَ هذا التفسير على أنه ليس سوى خدعة، غُذّي بها اللصوص لإشعال حماستهم المعادية لكاسترو. ولكن أليس من العبث غير المجدي، أن يؤمروا بالبحث عن شيء محدد هكذا لو لم يكن هو الهدف الحقيقي؟ وبالإضافة إلى ذلك، فإن هناك أدلة أخرى على أنهم كانوا يبحثون عن ذلك الشيء بالضبط.

وقدر لفرانك ستورجيس أن يستذكر: «من بين الأشياء التي كنا نبحث عنها، مذكرة سرية سميكة من حكومة كاسترو، موجهة بشكل مكتوم إلى لجنة البرنامج السياسي للحزب الديموقراطي. وكنا نعلم بوجود تلك المذكرة السرية ـ كنا نعرف ذلك على أنه حقيقة ـ لأن وكالة المخابرات المركزية، ومكتب التحقيقات الاتحادي معاً قد وجدا إشارات إليها... ولكننا كنا نريد الوثيقة بكاملها... وكانت أكثر من مئة وثلاثين صفحة مطبوعة، حسب معلوماتنا... وقد بحثنا في كل الأماكن عاليها وسافلها... ورغم أننا وجدنا قطعة منها ذات ليلة في مكتب آخر، فإننا لم نعثر عليها بكلّيّتها أبداً»[2].

وكما أوضح ستورجيس، فإن المذكرة المراوغة لم تقتصر أهميتها على

(1) قال هانت إنه قد أشير أيضاً إلى أن أموالاً كانت تصل إلى الديمقراطيين من فيتنام الشمالية (مقابلة مع هوارد هانت في كتاب وايز: **الدولة البوليسية**، مصدر سبق ذكره، ص 159).

(2) لعل ستورجيس كان يشير إلى السرقة التي وقعت في 15 أيار / مايو في المكاتب الكائنة في مجمع ووترغيت حيث مقر مؤسسة فريد، وفرانك، وهاريس، وشرايفر وكامبلمان للمحاماة، والتي كانت تؤوي عدة قياديين ديمقراطيين. انظر الفصل 29، الحاشية 18.

كونها برهاناً على صفقة مزعومة بين كاسترو والديموقراطيين فحسب، ولكن مقدمتها كان فيها «سرد طويل مفصل لكل عمليات التجسس، والتخريب السرية التي قامت بها وكالة المخابرات المركزية، ووكالة الاستخبارات الدفاعية، ومجموعات العمليات المشتركة المختلفة ضد كوبا. . . وكانت الشكاوى مريرة بشكل خاص، حول شتى المحاولات التي جرت لاغتيال الأخوين كاسترو»[3].

ههنا يكمن حافز قاهر. وكما ذكرنا آنفاً، فإن كاتب العمود الصحافي جاك آندرسون كان قد نشر في سنة 1971، مفاجآتٍ مثيرةً عن مؤامرات اغتيال كاسترو، وقصصاً تذكر أن خطط القتل قد بُدِئ بها أيام إدارة آيزنهاور. غير أنها توقفت عن استكشاف دور نيكسون الخفيّ. وكما ذكر آنفاً كذلك فإن نيكسون في البيت الأبيض، كان في تلك الأثناء قد طلب مراراً وتكراراً ملفات وكالة المخابرات المركزية عن واقعة «خليج الخنازير». وكان ذلك عندما لاحظ إيرليكمان، بطريقة ذات مغزى، أن الرئيس كان يريد أن يعرف ما الذي قد يحتاج إلى «تجنبه» بغرض حماية نفسه.

وفي إحدى المراحل، بدا من المحتمل أن روبرت ماهيو، الذي عينته وكالة المخابرات المركزية همزة وصل مع رجال العصابات المستخدمين في المؤامرات، قد يدلي بما يعرف. غير أن جون ميتشل كان قد ضمن سكوته بهدوئه[4]. ولكن إذا كان ماهيو يملك أسراراً خطرة، فكذلك كان حال جوني روسيللي أيضاً. وهو أحد رجال العصابات الهامّين المتورطين في المؤامرات. وروسيللي كان يتحدث، إلى كاتب العمود الصحافي جاك آندرسون.

---

(3) كان المؤلف يعرف المرحوم فرانك ستورجيس. وقد تحدث على نحو مستفيض مع آندرو سانت جورج، الذي أجرى المقابلة المنصوص عليها والمستشهد بها هنا مع ستورجيس. ورغم أن ستورجيس كان ذا شخصية تتميَّز بالتبجح الفارغ، وتثير الجدل، فليس هناك من سبب للشك في النقاط الأساسية الجوهرية في روايته.

(4) انظر ص 367 وما يليها.

وقدر للمدعين في قضية ووترغيت أن يستجوبوا روسيللي. وكان خط استنطاقهم يشير ـ حسب اعتقاد محاميه ليسلي شير ـ إلى ما يعتقدون أنه الحافز على العملية. فقد حدث الاقتحام «لأن نيكسون أو شخصاً ما في الحزب الجمهوريّ، كان يشك في أن الديموقراطيين يملكون معلومات عن تورط نيكسون في الاتصال الأصلي، الذي أجرته وكالة المخابرات المركزية مع روسيللي. وشعر [الجمهوريون] أن هناك وثيقة تبين أن نيكسون كان متورطاً، أو أنه كان يعلم بما يجري في الوكالة ومحاولات اغتيال كاسترو. . . فأرادوا أن يحاولوا الحصول على هذه المعلومات التي كان نيكسون يشك في أنهم سوف يحاولون استخدامها ضده».

وفي أولى المحاولات لمنع إجراء تحقيق جادّ في ووترغيت، في مناقشات مسجلة على أشرطة البيت الأبيض، أشار الرئيس تكراراً إلى خليج الخنازير. وقال إن على مساعديه أن يجعلوا وكالة المخابرات المركزية تخبر مكتب التحقيقات الاتحادي «. . . هانت. . . فذلك سوف يكشف الكثير. . . وإذا فتحت تلك القشرة فإن تحتها جحيماً من أشياء كثيرة، نشعر أن فيها ضرراً كبيراً إذا استمر هذا الشيء إلى ما هو أبعد. . . وعندما يأتي إليك رجال [وكالة المخابرات المركزية] قل لهم: (انظروا، إن المشكلة هي أن هذا الأمر سوف يفتح قضية خليج الخنازير كلها، كلها، وأن الرئيس يشعر) ـ ودون أن تدخل في التفاصيل ـ (أننا نرغب من أجل مصلحة البلد، أن لا تذهبوا في هذه القضية إلى أبعد من هنا، انتهى. . .)».

وفي وقت لاحق من ذلك اليوم نفسه، بينما نيكسون مستمر في مناقشة كيف يستطيع هالدمان أن يتصل بوكالة المخابرات المركزية، اقترح عليه أن يقول للوكالة «. . . إن من السيِّئ أن يكون عندكم هذا الشخص، هانت، آه، كما تعلمون. . . لأنه **يعرف** أكثر من **اللازم** بشكل لعين، وقد **كان** متورطاً، ونحن نعلم ذلك. . .» ولقد كان هوارد هانت، كضابط في الوكالة سنة 1960،

واحداً من أوائل الذين اقترحوا التخطيط لاغتيال كاسترو، وهو التخطيط الذي كان نيكسون ضالعاً فيه[5].

وكان تيري لانزر، مستشار لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ، يعتقد أيضاً أن الزاوية الكوبية ربما تكون هي المفتاح لووترغيت. وقال منظّراً في مذكرة: «إن هوس الإدارة بالتنصت على لاري أوبراين في سنتي 1971 و1972، كان مدفوعاً جزئياً بالخوف من قيام ماهيو بإعطاء أوبراين شيئاً من معلوماته الحساسة عن المؤامرة. والهدف البديل هو اكتشاف ما إذا كانت هناك أي معلومات عن المؤامرة قد تضرّ بالديموقراطيين»[6].

كان لورانس أوبراين يعرف ماهيو، مساعد هوارد هيوز لأنه هو نفسه قد عمل مستشاراً لمنظمة هيوز في وقت مبكر من أيام رئاسة نيكسون. وقد عرّضت هذه العلاقة نيكسون للضعف والانكشاف بطريقة أخرى. فما الذي قد يكون أوبراين عرفه من ماهيو عن المبالغ التي تدفقت إلى نيكسون من هيوز منذ سنة 1968؟ وماذا عن أنواع المحاباة التي تمت لمصلحة هيوز لقاء سخائه كما يبدو؟[7]

أعاد هالدمان في مذكراته تركيب محادثة مع نيكسون، أوحى بأنها جرت بعد اعتقالات ووترغيت مباشرة. فقد تذكر أن نيكسون قال: «إن كولسون قد يتحدث عن الرئيس، إذا انهار. وأنت تعلم أنني كنت ألاحق كولسون شهوراً، كي يلصق تهمة الصفقة مع هيوز بلاري أو براين. وقد أخبرني كولسون أنه سيحصل على المعلومات التي طلبتها بطريقة أو بأخرى. ولقد كان المكان الذي أرادوا زرع أجهزة التنصت فيه هو مكتب أوبراين. أليس كذلك؟ صَبِيُّ كولسون، هانت. يا للمسيح».

---

(5) انظر ص 400.

(6) إن المؤامرات على كاسترو، المشروحة في الفصلين السادس عشر والسابع عشر، استمرّت أثناء إدارة كيندي.

(7) انظر ص 331 وص 590 وما يليها.

والواقع أن أتباع نيكسون كانوا يلاحقون أوبراين طيلة أكثر من ستة أشهر بكثير. وقبل سنتين من ووترغيت أشارت مذكرة من هالدمان إلى «عملية أوبرين» المصممة من أجل «إبقاء الحرارة مسلطة على اللجنة الوطنية الديموقراطية وأوبراين». وقال موراي تشوتينر إنه كان يقوم بالتدقيق حول أوبراين في تسع ولايات، وهي تدقيقات فيها من الحساسية ما يمنع تدوينها خطياً، كما أخبر هالدمان.

وفي كانون الثاني / يناير سنة 1971، مع عدم وجود نتيجة تذكر لمثل تلك الجهود، أملى نيكسون بنفسه هذه المذكرة على متن طائرة السلاح الجوي رقم واحد:

مذكرة إلى هـ. ر. هالدمان

من الرئيس:

يبدو أن الوقت يقترب كي يحاسب أوبراين على خدماته الاستشارية عند هيوز. ولدى بيب بعض المعلومات عن ذلك، رغم أنها ليست صلبة بالطبع. ولكن ليس من شك في أن أحد أتباع هيوز، قد قام بتشغيل أوبراين بأجر كبير جداً على «تأدية خدمات» في الماضي. ربما يستطيع كولسون أن يدقق في هذا.

وبعد ذلك بوقت قصير، في أعقاب تحقيق أولي، أبلغ أحد الموظفين الصغار بأن «فرض الإحراج على أوبراين» قد تكون له نتائج عسكية، وأنه «قد يجعل بعض الجنايات الجمهورية تنكشف»[8].

وكانت إحدى تلك الجنايات قد اهتزت لتوها، وهي مشهد التآمر على كاسترو كما نشره جاك آندرسون. وبعد ذلك بوقت قصير كشف ذلك الصحافي عن جناية أخرى، عندما نشر القصة الأولى عن منحة هيوز المالية، التي أدت فيما بعد إلى فتح تحقيق ضخم. فحسب تقارير آندرسون تم «شفط» مئة ألف

(8) انظر ص 418.

دولار من كازينو الحذاء الفضي في لاس فيغاس وتمريرها إلى بيب ريبوزو.

ومع ذلك فلم يتراخَ نيكسون أبداً في استهداف أوبراين. وقد اعترف بعد ذلك بزمن طويل: «قلت: (أصدر الأمر إلى مصلحة الضرائب الداخلية بأنني أريد إجراء تدقيق ميداني تام للحسابات، كما اقترحت بأن أحد الذين ينبغي النظر في حساباتهم بدقة هو أوبراين. . .» واستذكر أوبراين فيما بعد «أن مصلحة الضرائب الداخلية قد هاجمته. . . وأخضعته إلى سلسلة من التدقيقات في سنتي 1971 و1972. . . مما جعلني أستنتج أن اسمي قد علق في بطن كومبيوتر. ولكنني علمت بشيء آخر فيما بعد. . . إن ما اضطلع به الرئيس، هو إساءة استخدام سلطة مصلحة الضرائب الداخلية».

ولم تظهر أية أشياء شاذة تذكر من تحقيق مصلحة الضرائب في شؤون أوبراين. وفي الوقت نفسه عادت إلى البيت الأبيض شكوى مألوفة ومثيرة للاكتئاب. فقد أَبْلَغَ موظفٌ في مصلحة الضرائب المذكورة بأن تدقيقاً في عمليات هيوز، قد كشف بدلاً من ذلك عن «أعمال خاطئة محتملة قام بها كل من السيد ريبوزو، والسيد نيكسون، وشقيق الرئيس أو أشقاؤه. . .».

وجاءت الشهور السابقة لاقتحام ووترغيت بمتاعب جديدة، نظراً لارتباطات هيوز والمحاولات المكتومة لمواجهتها. فلاحظ هالدمان في مفكرته في كانون الثاني / يناير 1972: «اتصل المدعي العام هاتفياً اليوم بشأن مشكلة هوارد هيوز»، وكانت «المشكلة» هي نشر واحد من كتب كثيرة تتناول علاقة نيكسون ـ هيوز، وكلها مدعاة للحَرَج.

وفي آخر الأمر تم فضح زيف صورة هوارد هيوز، «كما أَخْبَر بها» المؤلفَ كليفورد آيرفنغ، وألغيت تلك الصورة الكاذبة، ولكن ذلك لم يتم إلاّ بعد أن ولّدت عناوين رئيسية في الصحف عن الجانب النيكسوني من الصورة. وهي عناوين اقتربت من الحقيقة إلى حد خطر. أمّا عمل بنيامين شيمر،

المؤلف الآخر، عن هيوز، فلم يتخطَّ مرحلة المخطوطة، ولأسباب مختلفة جداً.

فأولاً، اقتحم أحدهم مكتب شيمر، وسرق الأشرطة المسجل عليها مقابلات هامة. ثم قام ناشره غروسيت ودنلاب، بإلغاء الكتاب عندما كان قد أخذ طريقه إلى المطبعة. فكان ذلك قراراً عَزَاهُ محامي غروسيت إلى «ضغط البيت الأبيض». وقال أحد كبار موظفي هيوز لشيمر: «لقد شاهد المدعي العام ميتشل كتابك وقرأه. إن المشكلة هي في البيت الأبيض».

وفي أيار / مايو، تلقى ميتشل وإيرليكمان مذكرة عن كتاب آخر، كان قد طبع لتوه بعنوان «**قرض نيكسون ـ هيوز**». فأرسله إليهما غوردن ليدّي، قبل أسبوعين فقط من اقتحام فريق ليدّي لمكاتب اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي للمرة الأولى.

في سنة 1987، أعلن رئيس ليدّي السابق في لجنة إعادة انتخاب الرئيس، أن العلاقة الهيوزيّة كانت حقاً هي الحافز لووترغيت. وقال جيب مغرودر في مؤتمر لجامعة هوفسترا: «لقد كانت لصوصية مخططة. وفي حدود علمي كان الغرض الأولي للاقتحام هو معالجة المعلومات... عن هوارد هيوز ولاري أوبراين، وما يعنيه ذلك بالنسبة للأموال النقدية، التي يفترض أنها أعطيت لبيب ريبوزو، والتي ربما كان الرئيس هو الذي أنفقها فيما بعد»[9].

ويتماشى هذا الادعاء مع ما نعرف الآن أن مغرودر قاله بشكل سري خاص، عندما بدأت ووترغيت تجرّ نيكسون إلى الهاوية. واقتبس هالدمان من مغرودر، فدوّن في مفكرته مسودة هذه الملاحظة بكلماتها المتقطعة على

(9) إن تشارلس كولسون الذي كان حاضراً في مؤتمر هوفسترا أيضاً رفض رواية مغرودر عن الدافع للاقتحام واعتبرها «جواباً ملائماً على سؤال لم يستطع أبداً أن يجيب عنه من قبل». (مقابلة تاريخ كولسون الشفوي، 15 حزيران / يونيو، 1988، مشروع المواد الرئاسية النيكسونية، المحفوظات الوطنية).

عجل: «الخطة فقست هنا ـ هامت وليدي وكولس[ون]. كولس[ون] تحدث مع جيب مرتين ـ لتنفيذ هذا الشيء. وعلى وجه التحديد ل. أوبراين تلقى معلومات عن معا[ملات] فلو[ريدا]. «ومعاملات [فلوريدا]» لا يمكن فهمها إلاَّ إذا كانت تشير إلى الأموال التي تسلمها بيب ريبوزو نقداً في كي بسكين، من مبعوث من هيوز. ليدّي يستشهد بأوامر مغرودر للاقتحام الثاني ـ القاتل ـ ويزعم فيما بعد أن هدفه كان معرفة ما لدى أوبراين من أشياء ضارة لنا، وليس لنحصل نحن على شيء ينال منه أو من الديموقراطيين».

ويبدو أنهم عثروا على شيء ذي صلة عند اقتحام ووترغيت. ففي محادثة مع نيكسون سنة 1973، على أشرطة البيت الأبيض ردّ كولسون على اقتراح من الرئيس: «إننا لم نحصل على أي شيء لعين» من العملية، فقال المساعد: «بلى، يبدو أننا حصلنا بالطبع، على معلومات عن هيوز بشكل أساسي».

فهل كانت المعلومات عن هيوز إذن هي سبب العملية التي دمرت نيكسون؟ إن الاحتمال الأكبر، عند أخذ كل الأدلة معاً، أن حوافز لجنة إعادة انتخاب الرئيس كانت متعددة وشاملة. وكانت الغارات هجومية ودفاعية في آن واحد، وتستهدف عدداً من نقاط الضعف السياسية. وهذا المفهوم العام يؤدي بنا إلى الورقة الطائشة المتهورة في مجموعة ورق الحوافز الممكنة: وهي الفضيحة الجنسية.

لقد شهد أحد العاملين في البيت الأبيض، أنه منذ بداية رئاسة نيكسون كانت تجري عمليات «تدقيق الأرضيات الخلفية»، على حياة الأفراد الشخصية لاكتشاف ما إذا كانوا سكّيرين، وما نوع حياتهم الجنسية. فكانت التكتيكات نفسها من عوامل ووترغيت. فالرجل الذي كان يراقب جهاز التنصت الشغال في اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي، وهو آلفريد بولدوين، أخبر المدعين أن مهمته كانت حسب الأوامر، أن يراقب «جميع المكالمات الهاتفية، بما فيها

المكالمات الشخصية». وقال مؤخراً إنه كان عليه أن يوجه اهتماماً خاصاً إلى المكالمات ذات الطبيعة «الجنسية».

ولا يمكن التيقن بالضبط مما تنصت عليه بولدوين فعلياً في هذا الصدد، وسبب ذلك جزئياً هو القيود التي فرضتها المحكمة، لحماية الأفراد الذين هاجم التنصتُ حياتَهم الشخصيةَ الحميمةَ[10]. غير أنه بعد وقت قصير من اعتقالات ووترغيت، أكد بولدوين أن بعض المحادثات التي تنصَّت عليها، كانت تخص «قضايا شخصية». وقال في مقابلة: «مع استخدام سكرتيرات كثيرات وغيرهن

---

(10) كان المفروض أن الأشياء التي تبثها أجهزة التنصت العاملة في مقر اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي يدوّنها بولدوين أول الأمر بصورة مطوّلة ثم يطبعها لإيصالها إلى ليدي. وعندئذ يحرِّرها ليدي وينقحها قبل أن يريها لزملائه. والظاهر أنه قد أتلفها بعد اعتقالات ووترغيت. وأحرق مغرودر النسخ التي كانت بحوزته. وقد قامت محكمة الاستئناف لمقاطعة كولومبيا بختم الشريط المسجَّل ومحتوياته المنسوخة على ورق لمقابلة أجراها بولدوين مع صحيفة **لوس أنجيلوس تايمز** في أوائل سنة 1973. ورغم أن معظم المادة المستنسخة قد تم فك ختمها في سنة 1980، فإن مقاطع ذات صلة بمحتويات المحادثات التي تم التنصت عليها لا تزال الرقابة تكتمها. وقد رفض بولدوين أن يخبر لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ بمحتوى المحادثات التي تنصت عليها، مستشهداً بقانون اتحادي يمنع إفشاء أسرار المحادثات التي يتم اعتراضها بالتنصت. وحسب رواية بولدوين وماكورد فإنه لم يتم تسجيل أي من المحادثات التي جرى التنصت عليها، رغم وجود جهازين للتسجيل في غرفة بولدوين بفندق هوارد جونسون. وقال ماكورد إنه لم يستطع أن يربط الجهازين بوحدات الاستلام. وهذا زعم لا يمكن تصديقه. فإذا كان التسجيل قد تم على الأشرطة، فما الذي حدث لتلك الأشرطة؟ (عملية التدوين بيد بولدوين: شهادة بولدوين، تحقيقات لجنة إيرفن، الكتاب الأول، ص 401 وما يليها، وص 410؛ ماكورد، مصدر سبق ذكره، ص 26؛ قيام ليدي بالتحرير: ليدي، مصدر سبق ذكره، ص 323؛ عملية الإتلاف: المصدر نفسه، ص 340، 347 وما يليهما؛ إحراق مغرودر لنسخه: مغرودر، **الحياة الأمريكية**، مصدر سبق ذكره، ص 226؛ شريط **لوس آنجيلوس تايمز** ونسخته المكتوبة المختومة: تشارلس مورغان الأصغر، **رجل واحد، صوت واحد**، طبع نيويورك: هولت وراينهارت ووينستون، 1979، ص 217 وما يليها؛ فك ختم نسخة **لوس آنجيلوس تايمز** من الشريط: النسخة المدوَّنة من مقابلة آلفريد بولدوين مع جاك نيلسون ورونالد أوسترو، مفرج عنها مع تنقيحات، 3 تشرين الأول / أكتوبر 1980، قضية الولايات المتحدة ضد ج. غوردون ليدي وشركاه، القضية 1827 ـ 72، المحكمة الأمريكية لمقاطعة كولومبيا؛ رفض غولدوين التصريح: شهادة الفريدبولدوين، تحقيقات لجنة إيرفن، الكتاب الأول، ص 400؛ غير مسجلة: النسخة المنقولة في **لوس آنجيلوس تايمز**، أعلاه، ص 62 وما يليها؛ خلاصة شهادة بولدوين في محاكمة ووترغيت، في 17 كانون الثاني / يناير، 1973، ملف مكتب التحقيقات الاتحادي 2144 ـ 4089 ـ 139؛ ليدّي، مصدر سبق ذكره، ص 322؛ إيمري، مصدر سبق ذكره، ص 123 وما يليها؛ هوغان، **جدول الأعمال**، مصدر سبق ذكره، ص 162).

للهاتف، معتقدات ـ كما يظهر ـ أنه من الهواتف الأكثر خصوصية، فإن بعض المحادثات كانت حميمة بوضوح صريح».

وعلى أساس وصف بولدوين وهو ما يزال تحت الاستنطاق، فإن المدعي العام في قضية اقتحام ووترغيت (إيرل سيلبرت)، قد استنتج أن المحادثات كانت «شخصية» للغاية، وحميمة، ومدعاة لإحراج محتمل».

مَنْ كان يجري تلك المكالمات؟ لقد قال بولدوين مؤخراً: «لا أدري إن كان لديك سكرتيرة واحدة شديدة النشاط أم كان لديك عشر. ولا أدري إن كان لديك ذَكَرٌ شديد النشاط واحد أو كان لديك عشرة... فقد كانت هناك مكالمات كثيرة ذات طبيعة جنسية».

وكان الهاتف الذي تجري منه المكالمات في مكتب الموظف الديموقراطي سبنسر أوليڤر، الذي كان في الخامسة والثلاثين. وقد ورد اسمه على لسان جِيبْ مغرودر، مسؤول لجنة إعادة انتخاب الرئيس، عندما استجوبه إيرليكمان أثناء أزمة ووترغيت. وتحتوي ملاحظات إيرليكمان عن ذلك الاجتماع، وهي مدونة بخط يده، على اسم «أوليڤر»، تتبعه عن قرب كلمة «جنس».

وفي عصر اليوم نفسه قال إيرليكمان لنيكسون: «إن ما كانوا يتنصتون عليه كان على الأغلب هو أوليڤر يتحدث مع صديقاته في جميع أنحاء البلاد، ويرتب معهن المواعيد»[11]. وأوليڤر هذا هو اليوم من الموظفين القابعين على

(11) حصل المؤلف على شريط للمحادثة التي جرت في نيسان / إبريل 1973، بين جون إيرليكمان وجِبْ مغرودر، والتي قال فيها مغرودر إن سجلات بولدوين التي رآها كانت تحتوي على محادثات «سياسي ديمقراطي شاب كان يتحدث بالهاتف مع فتيات في المسيسيبي قائلاً: (يا حبيبتي سأكون بطرفكم لقضاء عطلة نهاية الأسبوع)، ويناقش مجموعة القادة السياسيين الأمريكيين الشباب من الحزبين، وأشياء من هذا القبيل». أما فريد لارو، مساعد ميتشل الذي تحدث معه مغرودر أيضاً، فقد استذكر أن مغرودر قال إن «إحدى المكالمات كانت تتضمن سبنسر أوليفر وهو يتحدّث مع شخصٍ ما في المسيسيبي عن موعد غرامي». (نص لقاء إيرليكمان مع مغرودر والمحامين، في 14 نيسان / إبريل 1973، المصدر: مشروع المواد الرئاسية النيكسونية، رقم SR 7304141، المحفوظات الوطنية، وانظر شهادة =

قمة منظمة الأمن والتعاون في أوروبا. وقد كان من الفاعلين الرئيسيين في ضمان عدم الكشف عن المحادثات، التي تم التنصت عليها في المحكمة.

وكانت المرأة الموظفة في اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي، والتي استقطبت معظم الاهتمام في السنوات الأخيرة هي ماكسي ويلز. وكانت عندئذ في الثالثة والعشرين، وتعمل سكرتيرة لأوليڤر. وكانت ـ حسب روايتها ـ ساذجة وبريئة تماماً. وهي من بلدة صغيرة في ولاية المسيسيبي. وقد درست الموسيقى كموضوع رئيسي. وبعد شهور من انفجار فضيحة ووترغيت، عندما كانت قد تركت اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي، وأقام الديموقراطيون دعوى مدنية ضد اللصوص بسبب اقتحامهم لخصوصية المكان، كتبت إلى صديقة لها:

> لقد تورطتُ في أزمة... سأطير غداً لأتحدث إلى سبنسر ومحامي اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي... ويبدو أن الجمهوريين سيحاولون تشويه سمعة الشهود الديموقراطيين على أسس أخلاقية... إنني في الحقيقة منزعجة وعصبية... فقد أضطر إلى تعرية (أو تحمل) كل شيء في المحكمة... ومن الأفضل التخلص من هذا. وعليّ أن لا أكتب، ولكنني يجب أن أثق بشخص ما لأفضي إليه... إذا تحدثتِ مع الله في الأيام القليلة المقبلة، فذكّريه بصديقتك التي تحتاج إلى مساعدة لإبقاء أنفها نظيفاً.
>
> مع حبي لك
>
> (توقيع) ماكس

وعندما شهدت ويلز في قضية أحدث، في سنة 1997، قالت إنها عندما كانت تعمل في اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي، كانت تعتقد أن حياتها «طائشة جداً بحسب مقاييس المكان الذي ترعرعت فيه. فقد كنت أعيش في بيت مع خمسة رجال، وأواعد عدة أشخاص مختلفين، وأعمل لرجل يشاع عنه

= إيرليكمان، تحقيقات لجنة إيرڤن، الكتاب السابع، ص 2764؛ لارو: مقابلة مع فريد لارو، وانظر إيمري: **ووترغيت**... طبع نيويورك: تايمز بوكس، 1994، ص 124).

أنه صاحب غراميات كثيرة، وأنهمك في قيل وقال عن ذلك مع صديقتي».

وقالت ويلز إنها أصيبت «بنوع من الفزع بسبب الكثير من التصرفات الغرامية والجنسية، التي شاهدتها تمارس في اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي. . . لقد كان الناس ينامون مع بعضهم بعضاً بشيء من عدم التمييز كما أعتقد. ولم تكن تلك علاقات حقيقية، بل مواقف ليلة واحدة وأشياء من هذا القبيل. وكنت أرى أن ذلك شيء متهور بالنسبة لي». وهكذا فإنها انهمكت في هذه الأحاديث المثيرة، كما قالت، وخصوصاً على الهاتف الداخلي، مع صديقتها مارتي سامبسون، التي كانت تعمل في مكتب تحتها ببضعة طوابق. وقالت: «أُرَاهِنُ أننا تقوّلنا حول كل شخص نعرفه في اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي. . . وكانت أقاويلنا فجّة أحياناً. . . لقد تقولتُ مع مارتي عن الزنا».

وقالت ويلز إنه بالأضافة إلى ثرثرتها، فإن السكرتيرات الأخريات قد استغللن كون جهاز الهاتف المذكور، في غرفة خالية في أغلب الأحيان «لإجراء المكالمات مع عشاقهن».

فهل كان ذلك هو كل ما حدث إذن في ذلك الهاتف الشائن السمعة، الملغوم بجهاز تنصت في مقر الحزب الديموقراطي؟ أحاديث عن العلاقات الشخصية وأقاويل السكرتيرات؟ بعض الناس يشكون أن الجواب بالنفي، ويلاحظون أن أحد اللصوص كان معه عندما اعتقل، مفتاح لدرج في مكتب ماكسي ويلز. وقد استنتج الباحثون بصورة معقولة، أن ذلك المكتب كان هدفاً محدداً للصوص[12].

(12) إن المفتاح قد أخذه الضباط الذين قاموا بالاعتقال من أحد اللصوص المقتحمين، وهو رولاندو مارتينيز ليلة 16 ـ 17 حزيران / يونيو، 1972. وعندما مدَّ مارتينيز يده إلى جيبه بعد أن طُلِب منه أن يرفع يديه فوق رأسه، ظن الضابط كارل شوفلر أنه ربما يحاول استخراج مسدس. وبدلاً من ذلك عثر شوفلر على مفكرة ملصق بها مفتاح في جيب مارتينيز. واكتشف مكتب التحقيقات الاتحادي أن المفتاح، =

وقد زعم فيليب بيلي، المحامي الواشنطني الذي دين بتهمة القِوَادة سنة 1972، أن سكرتيرة في اللجنة الوطنية الديموقراطية، كانت تُسْتَخْدَمُ كوسيطة سمسرة للمومسات في كولومبيا بلازا، وهي مجمع ضخم للشقق السكنية قريب من ذلك المكان. وقال إن تلك السكرتيرة كانت تزود الزبائن المحتملين بصور للعاهرات الموجودات. وعندئذ كان جهاز الهاتف

= نموذج فانغارد 311 - HL، ينطبق على منضدة ماكسي ويلز، وحسب رواية حداد قديم متخصص بالمفاتيح والأقفال، فإن احتمالات انطباق المفتاح على أية منضدة أخرى في مقر اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي كانت «ضئيلة إلى معدومة». وقالت ويلز إنها لا تزال تحمل نسختها من المفتاح، وكذلك زميلتها بربارا كيندي، التي أعطيت نسخةً منه أثناء ذهاب ويلز في إجازة بعد عملية الاقتحام. ولم تكن لديها أية فكرة عن سبب اهتمام اللصوص بمنضدتها، وقالت إن السبب الوحيد الذي جعلها تغلق أدراجها هو منع زميلاتها من الاستيلاء على إمداداتها من المواد المكتبية. وعندما أجريت مقابلة مع مارتينيز سنة 1981 ادعى الجهل المطبق بالمفتاح المذكور، ولكنه في سنة 1990 تذكَّر على نحو غامض أن ليدّي أو هانت قد أعطاه المفتاح قبل عملية الاقتحام. غير أن الاثنين قد أنكرا ذلك على حد سواء. وقال مارتينيز أيضاً إنه قد أُعْطي خريطةً لمكتب اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي، مؤشر عليها بالصلبان لتحديد أهداف السرقة. وكان من بين الأهداف المؤشر عليها بهذه الطريقة منضدة مكتب سبنسر أوليفر ومناضد أخرى بالقرب منها. فإذا كان مفتاح منضدة ويلز، فكيف يمكن تفسير وجود النسختين الوحيدتين المعروفتين مع أمينتي السر وقتَ الاقتحام؟ وبما أن بربارا كيندي لم تحصل عل مفتاحها إلاّ في أوائل حزيران / يونيو، فإن المرء يستطيع أن يتكهن بأن المفتاح كان في المنضدة وقت الاقتحام في 28 أيار / مايو، وأن اللصوص قد طبعوا نسخة عنه عندئذٍ. ولكن ما سرّ هذا الاهتمام الخاص بمنضدة ماكسي ويلز؟ هذا موضوع هام يبدو أنه لم يتم التحقيق فيه بطريقة مناسبة أو كافية. (مصادرة المفتاح: قائمة المواد التي صادرها رجال الشرطة، المعروضات في قضية إيدا ماكسويل ويلز ضد ج. غوردن ليدي، القضية 946 ـ 97 ـ JFM لدى المحكمة الأمريكية لمقاطعة ميريلاند، القسم الشمالي، قدمت للمؤلف، مقابلات مع الضباط السابقين بول ليبر وكارل شوفلر وجون باريت؛ وشهادة باريت في قضية دعوى الولايات المتحدة ضد ج. غوردون ليدي وشركاه، القضية 72 ـ 1827 لدى المحكمة الأمريكية لمقاطعة كولومبيا، ص 670؛ انطباق المفتاح، تقرير مايكل كينغ، موظف مكتب التحقيقات الاتحادي، في 26 حزيران / يونيو 1972، في إضبارة المكتب المذكور رقم 356 ـ 166 ـ 139 WFO؛ ويلز، وكيندي، تقارير مقابلتين مع ماكسي ويلز أجراهما موظف المكتب مايكل كينغ في 27 حزيران / يونيو 1972، ومع بربارا كيندي في اليوم نفسه أيضاً. والمقابلتان موجودتان في إضبارة مكتب التحقيقات الاتحادي رقم 359 ـ 166 ـ 139 WFO؛ ويلز لم تكن لديها أية فكرة: مقابلة مع مارتينيز أجراها جيم هوغان سنة 1981، مجموعة هوغان؛ مارتينيز يتذكَّر على نحو غامض: بيتون بيكر إلى الملفات، 13 آذار / مارس 1990، حول اجتماعه مع مارتينيز، قُدِّمَ إلى المؤلف؛ إنكار ليدي: من جون غاريك إلى جون هوف، 3 آذار / مارس 1998، .(WWW. Watergate. Com.

في مكتب أوليڤر يستخدم دون معرفته لتدبير خلواتٍ غرامية محددة[13].

وكما هو مذكور آنفاً، فإن أحد عناصر خطة غوردون ليدّي «المخابراتية»، كان يلحظ استخدام المومسات. وقد اعترف كل مَنْ كان مطلعاً على تلك الخطة فيما بعد، أنه كان يأمل بتشغيل «الجزء الخاص بالعاهرات»، *على حد تعبير جون ميتشل، وذلك في المَرْكَبِ المنزلي القريب من مكان عقد* المؤتمر الديموقراطي، والذي ركبت فيه أجهزة التنصت، والذي كانت النساء المنتحلات مظاهر الطبقة الراقية، يجتذبن إليه القياديين الديموقراطيين لانتزاع المعلومات منهم.

وقال ليدّي لزملائه إن مديرة ماخور تعمل في بالتيمور، قد وعدت بتدبير

(13) أنكرت ماكسي ويلز، سكرتيرة سبنسر أوليفر، أية معرفة أو تورط باستخدام هاتف لمثل هذا الغرض. وكان آلفريد بولدوين، العاكف على مراقبة المكالمات المتنصت عليها والخارجة على ما يبدو من هاتف أوليفر قد قال «إنه يستطيع التأكيد بشكل قاطع إنه لم تكن تجري مثل هذه العملية [تسهيل الدعارة مع عاهرات الهاتف]، على الأقل من المكالمات التي كنت أراقبها». غير أنه شهد بعد ذلك بأن الناس العاديين لو استمعوا لتلك المحادثات، فإن كثيرين كانوا سيعتقدون أن لها علاقة بالدعارة. وقال فريد لارو، الذي سمع مغرودر يصف السجلات، إنه لم يذكر شيئاً له علاقة بالدعارة. وقد شهد مؤخراً روبرت شتراوس، أمين صندوق اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي أنه من «بين الشائعات الجامحة» سمع واحدة تقول بأن «بعض رؤساء فروع اللجنة المذكورة في الولايات. . . كانوا يستخدمون الهاتف لترتيب مواعيد غرامية لتلك الليلة». أما بربارا كيندي، الزميلة السابقة لماكسي ويلز فقد شهدت بأنه كانت «هناك شائعة في ذلك الحين» بأن «عملية دعارة مع عاهرات الهاتف» كانت تدار من مقر اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي. وقالت كيندي إنه «لم يهتم أحد بتلك الشائعة». وقيل بأن الموظفة السابقة مارغريت شانون قد تحدثت سراً بصورة خاصة، حتى قبل ووترغيت عن نساء في اللجنة المذكورة كن «يكلّفن» بمهمات جنسية. غير أنها لم تعد تعتقد ذلك عندما قابلها المؤلف سنة 1998. (إنكار ويلز: مقابلة مع جيم هوغان سنة 1981، مجموعة هوغان، وشهادة إيدا ماكسويل ويلز، 19 أيلول / سبتمبر 1997، قضية ويلز ضد ليدي، القضية رقم CR 67231.0، ص 369؛ بولدوين «لم تكن هناك مثل هذه العملية»: نص منقول عن مقابلة مع بولدوين، «ووترغيت: القصة السرية»، شبكة كولومبيا الإذاعية (CBS)، 17 حزيران / يونيو 1992، ص 5؛ مؤخراً: شهادة بولدوين، 24 حزيران / يونيو 1996، قضية مورين وجون دين ضد مطبعة سانت مارتن وشركاها، القضية (HHG) 1807 ـ 92، في الموقع .WWW Watergate. Com./Strauss/.htm؛ كيندي: شهادة بربارا كيندي رودن، 17 تموز / يوليو 1996، قضية دين ضد مطبعة سانت مارتن وشركاها، أعلاه، ص 23 ـ 68؛ شانون: محادثة مع مايكل إيونغ، المحقق السابق التابع للكونغرس والموظف عند السناتور هوارد هيوز ومقابلة مع مرغريت شانون).

«فتيات يمكن تدريبهن وبرمجتهن»، وجرت بعد ذلك مناقشة ـ بعد وضع خطة المركب المنزلي على الرف ـ حول استخدام المومسات في واشنطن. وفي وقت لاحق أخبر هوارد هانت أحد شركائه، أنه يخشى أن تثار في محاكمته «اتهامات تتعلق بالمومسات».

وبينما قال أحد المساعدين إن كبار أتباع نيكسون، كانوا مقيدين ومتزمتين بحيث لا يمكن أبداً أن يوافقوا على مثل هذه التصرفات الغريبة، فإن واحداً آخر ـ من مساعدي إيرليكمان ـ قال في مقابلة أجريت معه إن نيكسون وهالدمان كليهما، كانت لديهما «اهتمامات شاذة في أنشطتهما الاستطلاعية».

ولقد كانت المومسات يشتغلن بالفعل في مجمع الشقق القريب من ووترغيت. وهذه حقيقة تؤكدها سجلات الاعتقال لدى الشرطة، ومقابلات مع رجال شرطة سابقين، وكذلك جون رودي، المساعد السابق للمدعي العام الأمريكي، الذي حقق في عمليات العاهرات في ربيع سنة 1972.

وقد تمكن المؤلف بدوره من تحديد مكان باربارا رالابيت، مديرة الماخور السابقة التي كانت ذات مرة، معروفة في أوساط المهنة باسم ليل لوري. ويعكس تاريخ سوابقها الإجرامية اعتقالات تتصل بالدعارة، أحدها قبل وقت قصير فقط من توجيه اهتمام لجنة إعادة انتخاب الرئيس إلى مبنى ووترغيت، وهي الآن في منتصف عمرها وتعيش بعيداً عن العاصمة. وقد اعترفت بسهولة أنها كانت تدير عاهرات، يشتغلن في أوقات مختلفة انطلاقاً من الشقتين 204 و901، في مجمع كولومبيا بلازا.

ولم تسمح مقتضيات الحرفة لرالابيت أن تبوح بأسماء الزبائن، فاقتصرت على القول إنهم كانوا يشملون جمهوريين وديموقراطيين على حد سواء. وقالت: «كنت أعطيهم أسماء تدليل، وأعرفهم من الصوت. فإذا تعرفت على أصواتهم، فإن بإمكانهم المجيء. إلى هذا الحد كنت أحافظ على السري، مما

حماني من المتاعب، لأن كثيراً من زبائني كانوا سياسيين. فواشنطن مدينة سياسية».

وعندما سئلت رالابيت عما إذا كانَ من المعقول، استخدام جهاز هاتف في مقر اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي لترتيب المواعيد قالت: «هذه هي الطريقة التي كان يتم بها العمل. فهذه هي حالة السياسيين، وأصحاب كل مهنة أخرى. كان المحامون يمتعون زبائنهم في تلك الأيام، ولا سيما في أيام نيكسون... كانوا يصرفون أموالاً طائلة لإمتاع هذا السياسي أو ذاك لكي تتم الأمور. وهذا هو ما كانت عليه الحال تماماً آنذاك».

وعند الإلحاح عليها بالسؤال، عما إذا كانت لها ترتيبات خاصة مع اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي، أجابت بابتسامة: «لو كان لي ذلك فلن أخبرك به». غير أنها اعترفت أنه كان لها «أصدقاء جيدون... زبائن» في صفوف موظفي الحزب الديموقراطي. «كان هناك الكثير من الأعمال التي تتم في ذلك المكان... وكان هؤلاء الناس طيبين معي، ويثقون بي».

أمّا رودي، مساعد المدعي العام الأمريكي، الذي حقق في العلاقات بين اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي، والدعارة في كولومبيا بلازا، فقد قيل له بأن الديموقراطيين كانوا متورطين، وأُعْلِمَ أيضاً بأن امرأة في اللجنة المذكورة كانت «تدبّر العلاقات». ولكن أكثر الأمور إثارة للفزع، كانت هي إزاحته النقاب عن كون بعض عمليات المومسات، قد تم تصويرها على أفلام أو تسجيلها على أشرطة.

وعلم رودي أن عدداً من الزبائن قد قاموا بالعمل وهم يعلمون أنهم أمام آلات تصوير سينمائية، أو أثناء تشغيل أجهزة تسجيل الصوت، لأنهم أرادوا التسجيل ليحتفظوا به من أجل متعتهم اللاحقة. وفي تلك الأثناء كان رجال الشرطة «يراقبون المكالمات الهاتفية بناء على أمر من المحكمة». وربما كانت تفعل ذلك أيضاً «وكالات أخرى... مضطلعة بأنواع من العمليات

الاستخبارية. أقصد، أنها كانت كرة من الشمع.» وأضاف رودي أن كرة الشمع، كانت تشمل «أناساً يتنصتون بصورة غير قانونية».

وكان أحد مصادر رودي هو لو راسل، الموظف السابق في مكتب التحقيقات الاتحادي، الذي كان قد عمل ذات مرة مع نيكسون في قضية هيس. وكانت لجنة إعادة انتخاب الرئيس تستخدمه أيام ووترغيت. وكان راسل على علاقة وثيقة مع الكثير من عاهرات واشنطن ومديرات مواخيرهن ـ وقد قال على وجه التحديد إنه كان يعرف رالابيت ـ وحسب روايته فإنه أجرى تسجيلات سرِّيَّة لمحادثات بين فتيات كولومبيا بلازا، واللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي. وقد استمع روبرت سميث، الشريك الذي تعرف على راسل في الأشهر التي أعقبت ووترغيت، إلى واحد من تلك الأشرطة بالفعل.

وقال سميث للمؤلف: «لقد اجتمعت مع راسل ثلاث مرات أو أربعاً، وقد ادعى من جملة أشياء أخرى ـ وليس لدي سبب للشك في ادعائه ـ أنه كان هناك جهاز تسجيل مشغّل ضد اثنين من الزعماء الديموقراطيين البارزين. فكان المتنصتون يلتقطون تلك المحادثات، التي يرتبان فيها المواعيد مع النساء عن طريق الهاتف. . . من أجل أغراض الاتصال الجنسي». وقام راسل بإخبار سميث وشركاء آخرين، بأن أحد كبار الديموقراطيين المتورطين كان رئيس اللجنة الوطنية للحزب، لورانس أوبراين. كما أعطى اسم المومس التي زعم أن أوبراين كان يتردد عليها.

وفي سنة 1997، اعترفت رالابيت، مديرة الماخور السابقة في كولومبيا بلازا، بأنها كانت تعرف أناساً من المتورطين في اقتحام ووترغيت. ورفضت أن توضح، ولكنها تحدثت عن زيارة لها قام بها أحد كبار الديموقراطيين في أوج أزمة ووترغيت، فقالت: «أتذكره يتحدث إليّ على الشرفة. كان يريد أن يعرف ماذا سأقول عندما أخضع للاستجواب. فقلت له: (إذا استجوبوني فإن ما سأقوله هو إنني لا أعرف ما الذي يتحدث عنه أي شخص). . .».

ومهما كانت الحقيقة عن شاغلي المكاتب الديموقراطية وجاراتهم العاهرات، فإن الزاوية الجنسية قد أثيرت في المكتب البيضاوي بعد بضعة أشهر من ووترغيت. فبينما جلس نيكسون يناقش الوضع مع هالدمان وزملائه، شرح له جون دين الدعوى القانونية، التي أقامتها اللجنة الوطنية الديموقراطية على لجنة إعادة انتخاب الرئيس. وأخبر جون دين الرئيسَ بأن محامي اللصوص المقتحمين للمبنى، كان «يتعمق في تفحص الحياة الجنسية لبعض أعضاء اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي. . . فهو يعمل على نظرية توريط تقول بأن لديهم ما يخفونه، أو أن لديهم معلومات سرية عن فضائح جنسية يريدون كتمانها».

وقبل ذلك بثلاثة أيام، في مذكرة موجهة إلى هالدمان بعنوان «العمل المضاد (ووترغيت)»، كان دين قد كتب: «**ملاحظة**: يقوم محامي الدفاع حالياً، بأخذ الشهادات من أعضاء اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي في دعوى أوبراين. وهذه القضية واسعة النطاق، وسوف تشمل كل شيء، من مصادر دخل لاري أوبراين أثناء رئاسته للجنة المذكورة، إلى **أنشطة جنسية معينة لمستخدمي تلك اللجنة. وهذه المسألة ستخلق مشاكل لا يستهان بها لمن سيدلون بشهاداتهم**». [التأكيد من المؤلف].

لقد توفي هنري روثبلات، المحامي الذي كان يمثل اللصوص في ذلك الحين، ولكن محامي ليدّي، المدعو بيتر مارووليس، يتذكر جيداً طبيعة الأنشطة الجنسية، التي كان روثبلات يأمل في استخدامها ضد الديموقراطيين. كان روثبلات قد قال لزميله مارووليس: «إن الديموقراطيين يستخدمون عاهرات»[14].

غير أن الإحراج المحتمل بشأن الدعارة كان سلاحاً ذا حدّين، كما كان البيت الأبيض تحت حكم نيكسون، يعرف جيداً في الأشهر التي سبقت

(14) أخبر جون دين المؤلف أنه لم يرَ في حركة روثبلات أكثر من «جهد من محامي الدفاع لمضايقة المدعي، ولجعل ملاحقة الدعوى شيئاً غير سارّ إلى أقصى حد ممكن». (رسالة من جون دين إلى المؤلف، 12 تشرين الثاني / نوفمبر، 1997).

ووترغيت. ففي خريف سنة 1971، تلقى تشارلس كولسون إشعاراً من مجلة **لايف**، عن طريق أحد المتصلين بها عن قصة بدأت تتكشف في نيويورك. فقد أدى تركيب أجهزة تنصت في مبغىً بمانهاتن، إلى فضح عملية احتيال بحماية بوليسية. كما أن هناك فضيحة سياسية داهمة على وشك الانفجار.

وفي رسالة إلى كولسون، لخص مراسل **لايف** ما سمعه من المختص الإليكتروني، الذي قام بتركيب جهاز التنصت: «لقد قال: (إنني أعرف الكثير عن تلك العملية. فقد تورط فيها عدد كبير من الساسة، وحتى من البيت الأبيض). فقلت له: (ما الذي تتحدث عنه؟) وعندئذٍ ذكر لي اسم موسباتشر...».

كان إميل موسباتشر يعمل عند نيكسون كرئيس للمراسم. وكان الادعاء هو أنه كان ينقل من المبغى مومسات بسيارات الليموزين لخدمة زبائن في أماكن أخرى. وقد اعتقد مراسل **لايف** أن مصدره كان صادقاً يقول الحقيقة.

وقام كولسون بتنبيه جون دين، الذي شرع في إجراء تحرِّيَّات. غير أنه حتى قبل أن تكتمل تلك التحرِّيَّات، نشرت **النيويورك تايمز** قصة بعنوان ينذر بالشؤم: «التدقيق هنا في ابتزاز محتمل لموظفي نيكسون» وجاء في الافتتاحية: «إن هناك اثنين على الأقل من كبار المسؤولين في إدارة نيكسون، ينوي مكتب المدعي العام لمنطقة مانهاتن أن يستجوبهما، بخصوص إمكانية تعرضهما للابتزاز، بسبب ارتباطهما بمبغى في الجانب الشرقي».

وسرعان ما ظهرت على السطح المرأة التي كانت تدير ذلك المبغى، وهي إكسافيرا هولاندر، بكتابها المعنون: **العاهرة السعيدة**. فصار من أفضل الكتب مبيعاً على الفور وفي جميع أنحاء العالم. ولم تكن فيه فضائح عن البيت الأبيض النيكسونيّ. غير أن الادعاءات وجدت طريقها إلى الصحافة كرَّةً أخرى، عن «أحد كبار موظفي البيت الأبيض» هذه المرة. وفي ربيع سنة 1972، قبل أسابيع فقط من الاقتحام الأول لمبنى ووترغيت، تم نفي هولاندر

إلى أوروبا. كما أن مركِّبَ جهاز التنصت، الذي زعم أن أشرطته تحتوي على علاقة بالبيت الأبيض، غادر البلد، هو الآخر.

وفي الطبعة الثانية للكتاب، كتبت هولاندر: شكراً لك، يا دِيكِي المخادع». ذلك أن الضغط لنفيها قد جاء على ما يبدو من أعلى مستويات الحكومة، عند القمة. وقال المؤلف روبن مور، الذي كان قد استمع إلى أشرطة المبغى، وعمل مع هولاندر عندما كان يكتب لها الكتاب الذي نشر باسمها: «لقد سعى البيت الأبيض إلى طردها لمنعها من إثارة ضجة. ذلك أن إدارة نيكسون كانت تستخدم طاقم هولاندر لإمتاع شخصيات أجنبية، وخاصة من العرب. وقد نظّم ذلك السكرتير الصحافي لنيكسون، رون زيغلر. وكانت الأشياء مسجلة على أشرطة...».

وبعد وقت من استقالة نيكسون، وفي تقرير تمّ كبته رسمياً ولكنه تسرب إلى الصحف، كشفت لجنة المخابرات التابعة لمجلس النواب الأمريكي، أن وكالة المخابرات المركزية كانت تزود رؤساء الدول الأجنبية «بمرافقات إناث». وقد استفاد من هذا الترتيب زعماء كثيرون، من بينهم حسين ملك الأردن.

كان كارل فيلد بوم، محامي هيئة الادعاء الخاصة بووترغيت، يستطيع الوصول إلى مواد سرِّيَّة للغاية، فأخبر المؤلف في سنة 1997، أنه شاهد وثائق تثبت أن إدارة نيكسون، «كانت تعرف أن وكالة المخابرات المركزية لديها القدرة على تقديم العاهرات... فعندما يأتي إلى المدينة الإمبراطور فلان، أو الملك، أو الرئيس، أو رئيس الوزراء، ويعطي أوصاف المتع الجسدية التي هو معتاد عليها، سواء أكان يحبهن طويلات وداكنات اللون، أم شقراوات، أم صغيرات الحجم ناعمات، أم مهما كان ذوقه...».

وأصرّ رون زيغلر على أنه لا علاقة له بتقديم الجنس إلى الضيوف الأجانب. وقال إن مجرد الإيحاء بذلك هو «سخيف». غير أن جون دين استذكر أن زيغلر قد «ابيضّ وجهه ممتقعاً مثل قطعة قماش»، عندما سئل إن كان

لديه «أي شيء يخشاه من دفتر عناوين إكسافيرا هولاندر، فأجاب: «سوف أنكر ذلك»، حسب رواية دين. وعلى مدى الأسابيع التالية لذلك، كان كثيراً ما يتصل بمحاميه ليسأل عن آخر التطورات(15).

أمّا رئيس المراسم، موسباتشر، الذي كانت مسؤوليته الأولية هي الاهتمام براحة الضيوف الأجانب، فقد استقال في غضون أيام من اقتحام ووترغيت، وقد توفي منذ ذلك الحين. كما توفي أيضاً مساعد رئيس المراسم نِكْ رو، المساعد العتيق الذي جعله نيكسون مسؤولاً عن الأحداث والوقائع الاجتماعية للبيت الأبيض. ومن الواضح أنه لم يكن ممكناً مقابلة أي منهما لأغراض هذا الكتاب. ولكن يبدو أن رو كان من الممكن أن يصبح مصدراً أساسياً. كان المحامي الجمهوري وليام باغلي قد سأله ذات مرة أثناء رئاسة نيكسون: «ما الذي تعمله باعتبارك نائباً لرئيس المراسم؟» فأجاب: «حسناً. لدينا عشرة من العرب قادمون إلى المدينة، وقد طلبوا عشرين مومساً، على أن لا تكون من بينهن يهودية. . . »ـ.

وقد قام أحد مساعدي نيكسون لزمن طويل بإخبار المؤلف ـ شريطة كتمان شخصيته ـ بأن «نك رو كان هو نفسه أكبر فحل جنسي شهدته هذه المدينة في تاريخها. وكان عازباً في ذلك الحين. وعندما كانت أسرنا بعيدة في سان كليمنت، كنا نذهب إلى منزله. وقبل انتهاء الليل كان يأتي

---

(15) في شهادةٍ في سنة 1996 قال دين إن تعليقاته لزيغلر حول قضية هولاندر كانت مجرَّد «دعابة» وأن مكتبه قد استنتج أنه «لن يكون هناك أي حرج» من قضية هولاندر. وبدا كأنه يوحي بأن المقطع الوارد في كتابه **الطموح الأعمى** عن هذا الموضوع هو من وضع تايلر برانتش، الذي كتب له ذلك الكتاب الذي نُشِر باسم دين. وفي الآونة الأخيرة، راح دين ينكر أجزاء من الكتاب على ما يبدو. ولكن الكاتب تايلر برانتش، الفائز بجائزة بوليتزر، وكذلك ناشرته آليس ميهيو قد أكدا رواية برانتش كما هي واردة في الكتاب («دعابة» إلخ: شهادة جون دين، 22 كانون الثاني / يناير 1996. في قضية مورين وجون دين ضد مطبعة سانت مارتن وشركاها، أعلاه، ص 133، و139 وما يليهما؛ دور برانتش: صحيفة **تامبا تريبيون**، عدد 22 نيسان / إبريل 1993؛ **الواشنطن تايمز**، عدد 12 شباط / فبراير وعدد 15 أيلول / سبتمبر، 1996؛ **والنيويورك بوست**، عدد 15 شباط / فبراير، 1996).

بالفتيات. فكان الضعفاء منا والهزيلون ينسحبون مغادرين، ثم يبدأ الحفل».

كانت تعليقات هذا المصدر، وتعليقات كبير موظفي نيكسون، رون ووكر، وأدلة أخرى توحي بأن البيت الأبيض، كانت لديه فعلاً أسرار ذات طبيعة جنسية يريد كتمانها في مطلع سنة 1972. وكانت تلك أسراراً ضارة بشكل مباشر، أكثر من تلك التي تورطت فيها طواقم دعارة إكسافيرا هولاندر في نيويورك.

وقال ووكر في سنة 1997، إنه كان واعياً بوجود المبغى بجوار مقر اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي في ذلك الحين. «كنت أعرف ذلك من مكتب التطوير. كان لدي زملاء يستخدمون حلقات من عاهرات الهاتف». وكان أحد هؤلاء الزملاء، كما قال المساعد الذي طلب أن يبقى مجهولاً، هو نائب مدير المراسم رو، الذي «كان دائماً يستخدم عاهرات الهاتف في المكان المجاور لمقر اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي».

ويبقى من غير المعروف على وجه اليقين، كيف كانت العاهرات يُسْتَخْدَمْنَ، سواء لتقديم الجنس لضيوف الحكومة، أم للمسرات والملذات الشخصية، أم للأمرين معاً. وقد ركزت الشهادات في قضية طعنٍ وقذفٍ حديثةٍ على هايدي ريكان، الفتاة الألمانية المولد الشقراء المبهرجة، المتخرجة من رقص العري في نادي المرآة الزرقاء في واشنطن، إلى حياة اجتماعية كانت في سنة 1972، أثناء بلوغها الرابعة والثلاثين من العمر، تشمل أصدقاء يراوحون من المقامرين إلى مستشار البيت الأبيض جون دين وصديقته ـ التي صارت زوجته في وقت لاحق ـ مورين.

قبل موتها في سنة 1990، قالت ريكان في محادثة مع خادمتها أنها كانت عاهرة هاتف. وأوضحت أن عاهرة الهاتف هي «سيدة تلتقي بالرجال، والرجال يدفعون لها» ـ وكانت الخادمة قد نشأت في الريف فلم تعرف شيئاً عن خطايا

المدن الكبرى ـ، ثم أضافت بطريقة مغرية تثير الفضول: «كنت عاهرة هاتف في البيت الأبيض»[16].

---

(16) كانت إيريكا ريكان، المعروفة بلقب هايدي من أيام تلمذتها في المدرسة، في وسط الادعاءات الخاصة بعلاقة دعارة بين شقق كولومبيا بلازا ومقر اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي. وبعد بحث مكثف شمل مقابلات مع أناس عاشوا مع ريكان وعرفوها جيداً، لم يعثر المؤلف على أدلة تبرهن على أن ريكا كانت مومساً أو عاهرة هاتف. وكانت الإشارة الوحيدة إليها في ملفات الشرطة تتعلق بمخالفة مرورية ثانوية طفيفة. فالتشهير العلني بشأن ريكا، ولا سيما في كتاب **الانقلاب الصامت**، المنشور سنة 1991 قد اعتمد على أنها كانت هي نفسها كاثي دُيبتز، التي ذكر فيليب بيلي أنها كانت تدير عملية دعارة لعاهرات الهاتف في الشقة 204 من مبنى كولومبيا بلازا. وقال شاهدان قوبلا لأغراض هذا الكتاب بأن ريكا كانت لديها شقة في المبنى المذكور، ولكن كانت هناك شقق أيضاً لأكثر من ألف شخص آخر، بمن فيهم في وقتٍ مَا جولي نيكسون آيزنهاور. كما أن سجل اعتقال بربارا رالابيت، السيدة المعروفة بأنها كانت تشتغل من مبنى كولومبيا بلازا، يوضح أنها كانت **هي** المدام الساكنة في الشقة 204 في سنتي 1971 ـ 1972، وهكذا فإن من غير الممكن أن تكون ديبتر هناك في ذلك الوقت. أما بيلي، الذي نسج روايات خيالية مختلفة حول قصته المركزية، فربما يكون قد بنى قصته عن ديبتر على ما كان يعرفه عن عملية الدعارة المدارة فعلاً من الشقة 204. وقد استذكرت رالابيت بالفعل أن امرأة من أصل أجنبي تدعى إيريكا قد اشتغلت عندها في شقة مختلفة في مجمع بلازا في وقت آخر. وتظهر سجلات الشرطة أن امرأة تسمّى إيريكا، مع اسم عائلة مختلف، كانت قد اتهمت بالدعارة في سنة 1970. وعند عرض صورة إيريكا ريكان على رالابيت، كانت هذه متأكدة أنها لم تكن هي الإيريكا التي قد اشتغلَتْ معها. ولم يكن هناك أي معنى لديها لاسم ديبتر. ولم يرَ المؤلف أي دليل، أو أي برهان قانوني، على أن ريكان وديبتر كانتا هما الشخصية نفسها. ومع ذلك كانت هناك كاثي ديبتر فعلاً. وفي الآونة الأخيرة شهد جون رودي، مساعد المدعي الأمريكي أن امرأة تستخدم ذلك الاسم كانت على علاقة بعملية دعارة عاهرات الهاتف المدارة من كولومبيا بلازا، وتعاونت مع تحقيقاته. (المقترحات التي تشير إلى ريكان: انظر الإشارات في كولودني وغيتلين، مصدر سبق ذكره؛ ديبتر والشقة 204: مقابلة مع فيليب بيلي أجراها جيم هوغان، مجموعة هوغان؛ مقابلات المؤلف بشأن: ريكان: مع كل من إديث ميك، كارولين رينيار، جون دين، بيت كينزي، جوزفينا آلفاريز، آدريان غريدي كلارك، سام كاي، ريبيكا ساتون نِسْلين، فورتونا دو ميننديز، آلفين كوتز، لانغهورن رورار، ضابط الشرطة السابق كارل شوفلر، ومحادثات مع الصحافيين جيم هوغان وفيل تانفورد والمؤلف لين كولودني؛ المخالفة المرورية: قصاصة تهمة المخالفة بحق إيريكا ل. ريكان، البطاقة رقم 8879779، 10 أيلول / سبتمبر، 1972، المحكمة العليا لمقاطعة كولومبيا؛ شقة ريكان في مجمع بلازا: مقابلات مع آدريان غريدي كلارك وسام كاي؛ جولي نيكسون: صحيفة **ميامي هيرالد**، عدد 15 تموز / يوليو، 1974؛ رالابيت، كشوف اتهام ليليان لوري ومقابلة مع بربارا رالابيت؛ «إيريكا» الأخرى: 1970 كشف لائحة اتهام إيريكا ك [الاسم مكتوم] في محكمة الجلسات العامة لمقاطعة كولومبيا؛ عدم وجود أدلة على أن ديبتر هي نفسها ريكان: رأي المؤلف يأخذ في الحسبان البحث الوارد ذكره في ردّ ج. غوردون ليدي المكثف بالإشارة إلى اقتراح خلاصة الحكم في قضية آيدا ماكسويل ويلز ضد ج. غوردون ليدي، القضية المدنية 946 ـ 97 JFM=

وقبل أسبوع بالضبط من اقتحام ووترغيت، اضطر جون دين مرة أخرى إلى متابعة قصة دعارة. فقد كان العنوان الكبير على الصفحة الأولى من عدد 9 حزيران / يونيو من صحيفة **واشنطن إيفنينغ ستار** يقول: **الكشف عن حلقة من عاهرات الهاتف في كابيتول هيل**. وقد جاء في فقرته الافتتاحية: «كشف مكتب التحقيقات الاتحادي حلقة من عاهرات الهاتف الغاليات الأسعار، يقال إنها برئاسة محامٍ من واشنطن، وتعمل فيها سكرتيرات وموظفات مكاتب من كابيتول هيل، وقالت بعض المصادر إن سكرتيرة من البيت الأبيض كانت من بين المتورطين في هذه الحلقة». كما زعمت مصادر الصحيفة أن من بين زبائن عملية عاهرات الهاتف «محامٍ من البيت الأبيض».

وذكرت الصحيفة أن بيتر فلانيغان، مساعد الرئيس وصديقه الشخصي، قد اتصل بمكتب المدعي الأمريكي، كي «يكتشف إن كان هناك مجال لإحراج إدارة نيكسون»[17]. وفي اليوم التالي ذكرت **الواشنطن بوست** أن مصادر المحكمة قالت «إن البيت الأبيض قد أبدى اهتماماً خاصاً بالقضية، وأنه يمارس ضغطاً على ممثلي الادعاء كي لا يعلقوا عليها».

أما وقد صارت القصة مطبوعة، فقد جاء رد الفعل من المكتب البيضاوي على الفور. واستذكر بيت كينزي، المحامي زميل جون دين، أنه كان هناك الكثير من الهراء. وأذكر أن جون دين اضطر إلى استجواب كل واحد منا، بناء

= في الصفحتين 60 و63 [من المقدمة]؛ رسالة من كولبير وشانون وسكوت إلى ستيفن كونتوبولوس، في 11 حزيران / يونيو 1992، قُدِّمَتْ إلى المؤلف، و«هيدي ريكان كانت معروفة أيضاً باسم كاثي ديبتر»، طلب المتهم لين كولودني من أجل خلاصة حكم جزئي، في كانون الأول / ديسمبر، 1996، إشارة إلى قضية مورين وجون دين ضد مطبعة سانت مارتن وشركاها، الدعوى رقم 1807 ـ 92 (HHG)، المحكمة الأمريكية لمقاطعة كولومبيا، المركز الأول، ص 13 وما يليها؛ رودي حول ديبتر: شهادة جون رودي، 19 حزيران / يونيو 1996، دعوى مورين وجون دين ضد مطبعة سانت مارتن وشركاها، القضية 1807 ـ 91 (HHG) (AK)، ص 508، 690 وما يليها).

(17) أنكر فلانيغان أنه قد اتصل هاتفياً بمكتب المدعي الأمريكي، كما ورد في **الواشنطن ستار** (كولودني وغيتلين، مصدر سبق ذكره، ص 144).

على تعليمات هالدمان. كانوا يبحثون عن هوية (محامي البيت الأبيض) كي يضبطوا الضرر ويقللوه».

وفي غضون ساعات، وجد رودي، نائب المدعي الأمريكي، نفسَه في مكتب دين، يشرح التحقيق، ويعرض عليه المواد المصادرة من فيليب بيلي، الرجل المتهم في قضية عاهرة الهاتف. وقلّب دين صفحات دفتر عناوين بيلي، وقارنها مع جدول خدمة موظفي البيت الأبيض. وطلب من سكرتيرته أن تستنسخ الدفتر، وأبدى اهتماماً خاصاً بصورة امرأة عارية.

ولم تكن تلك المرأة بالضبط محامية في البيت الأبيض. كانت شابة في عشرينيات عمرها. غير أنها كانت تشتغل في ملحق مبنى المكتب التنفيذي. وقد تم طردها بسرعة[18]. وليس معروفاً ما إذا كانت التحريات الداخلية، قد تعرفت على آخرين أضرّ بهم التحقيق وآذى سمعتهم. ولكن كان من الواضح أن القضية، فيها ارتباطات بالبيت الأبيض أكثر من أن تترك مجالاً للراحة.

ولو تكشفت العلاقة المزعومة بين رئيس المراسم موسباتشر، وحلقة إكسافيرا هولاندر لفجّرت فضيحةً علنيةً كالكارثة.

ثم إنّ نك رو، الذي قيل إنه «استعمل» نساء كولومبيا بلازا ـ لأي غرض كان ـ كان بدوره شديد القرب من الرئيس. فقد كان يعمل عند نيكسون منذ سنة 1960، وكان مساعداً شخصياً له سنة 1962، وقدر له أن يخدمه بصفته كبير مساعديه، ورفيقه في أسفاره بعد وقت طويل من استقالته من الرئاسة. لو كان رو في ذلك الحين مرتبطاً بعاهرات كولومبيا بلازا ـ كما ادعى زميلٌ له ـ لوقعت الفضيحة في مكان قريب جداً من الرئيس إلى حدٍّ محرج.

وقد استذكر مساعد المدعي الأمريكي رودي، أنه تلقى أمراً في أواخر صيف سنة 1972، «بتجميد» تحقيقه في العلاقة بين مومسات كولومبيا بلازا،

(18) اسم المرأة مكتوم هنا لأسباب قانونية وللمحافظة على الخصوصية.

ومقر قيادة الديموقراطيين، تمهيداً لإغلاقه. وقال: «كانت التوجيهات التي تلقيتها تقضي بعدم ملاحقة اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي، لأن ذلك كان قنبلة سياسية موقوتة. كان الأمر ذا حساسية سياسية شديدة. . . وكان الموقف آنذاك مشحوناً من الناحية السياسية بشكل شديد، حول ما يحتمل أن يكون الجمهوريون قد فعلوه. وكنت أعمل لدى إدارة جمهورية. وقد صدر الأمر لي بأن ذلك الموضوع لم يعد قضية يُنْظَرُ فيها».

وعندما كتب غوردن ليدّي، المستخدم لدى لجنة إعادة انتخاب الرئيس، عن دفاتر مواعيد إكسافيرا هولاندر، لاحظ أنها «لن تكون مفيدة للديموقراطيين ولا للجمهوريين، لأنها تظهر أسماء كثير من الأعضاء البارزين في الحزبين كليهما، بحيث يلغي كل جانب منها الجانب الآخر في «توازن من الرعب» السياسي. . . ».

ومهما كان مدى الضرر في مثل هذه الأدلة، فإن الاقتحام النهائي المصيري لمقر قيادة الحزب الديموقراطي، لم يكن الدافع إليه مقتصراً على زاوية الدعارة وحدها. فلو كان الهدف مكتبَ سكرتيرة واحدة، لما كان هناك معنى لتكليف ثمانية أشخاص بتلك المهمة، لهم اختصاصات إجرامية متنوعة ولكان يكفي لص واحد، أو لصان على الأكثر.

والحق أنه لا حاجة لمحاولة تفسير ووترغيت بحافز واحد بمفرده. وقد قال مغرودر لإيرليكمان: «كنّا في الحقيقة نبحث عن أي شيء. . . » وكانت تلك في آخر الأمر هي التعليمات الأساسية للصوص المقتحمين.

وفي الرواية المفصلة التي أدلى بها ستورجيس، أكد ذلك بقوله: كنا نبحث عن **كل شيء**. وكانت الأوامر التي تلقيناها تقضي باجتياح نظام ملفات الديموقراطيين بأكمله. وكانت مهمتنا هي تصوير ألفي وثيقة. وكانت لدينا معدات تصوير شديدة الكفاءة، ونظام فعال. . . وكنا قد أدينا مهمات أخرى بنجاح، ومع استمرارنا بهذا العمل قمنا بتحسين تقنيّاتنا».

غير أن الظاهر أنه بعد سنتين كاملتين من بدء العملية أوبراين، كان رئيس الحزب الديموقراطي ما يزال هدفاً أولياً أساسياً. فقد تم اقتحام شقته في واشنطن مرتين أيضاً، حيث أُخِذَتْ منها وثائق. وجرت محاولتان لاقتحام منزله بمدينة نيويورك. وقد استنتج هو وزوجته أن هواتفهما الخاصة، كانت تحت المراقبة في العاصمة وفي نيويورك معاً. وكان الجواسيس يتعقبون أوبراين في المطاعم في المدينتين على حد سواء، ومنهم أحد أعضاء فريق ووترغيت المعروفين. كانوا يحاولون أن يكتشفوا مع مَنْ يتناول طعامه. وكان هوارد هانت في ميامي قبل الاقتحام الأخير لووترغيت، منهمكاً في تحضير «الخطة البديلة»، لزرع أجهزة تنصت في جناح أوبراين في المؤتمر الديموقراطي.

ولقد استنتج زعيم اللجنة الوطنية الديموقراطية بنفسه أنه، بحسب الأدلة المتوفرة، كان الحافز هو «الحصول على معلومات تستطيع لجنة إعادة انتخاب الرئيس، والرئيس نيكسون وأتباعه وشركاؤه استخدامها ضدي، على أمل إحراجي. . . فالوقائع السياسية والحقائق تُظْهِرُ بشكل حاسم أن هدف ووترغيت كان تأمين الحصول على كل المعلومات الممكنة، للمساعدة على تدمير الحزب الديموقراطي ورئيسه. إن المسألة بهذه البساطة تماماً».

هذا وكان هناك هدف آخر، كما قدر لليدّي وستورجيس أن يقولا فيما بعد، وهو اكتشاف ما يمكن أن يكون لدى الديموقراطيين ضد نيكسون وزملائه. فقال ستورجيس: «كنا نعرف أن عند الديموقراطيين ملف قاذورات، وشائعات مؤذية عن الزعماء الجمهوريين. وكنا نفتش عن ذلك الملف في كل مكان». وكان لدى نيكسون سبب للخوف مما يعرفه أوبراين، أو قد يعرفه عن سلسلة من الأسرار، التي كان نيكسون مذنباً فيها ويحاول كتمانها: مؤامرات اغتيال كاسترو، وأموال هيوز، والتمويل غير القانوني من العقداء اليونانيين،

وتخريب مبادرة السلام في ڤيتنام سنة 1968. فلو انكشف أي من هذه المواضيع، فإنه كان كافياً لإغراق نيكسون في الانتخابات التالية[19].

(19) هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن البيت الأبيض ظل حساساً جداً تجاه ما قد يكون في حوزة أوبراين حول علاقة نيكسون بالدكتاتورية اليونانية، وليس فقط بسبب التمويل غير القانوني لحملة نيكسون الانتخابية سنة 1968 (انظر ص 601 وما يليها. أما الوسيط في تلك القضية، المليونير توماس باباس، فقد ظل قريباً جداً من الإدارة، واستضاف شقيق نيكسون في زيارته لفيينا التي خرج منها، باعتباره نائباً لرئيس شركة ماريوت، بعقد لتقديم الطعام والخدمات الداخلية لشركة الطيران الأولمبية. وكان باباس رئيساً مشاركاً للجنة جمع الأموال لحملة نيكسون الانتخابية سنة 1972. وقد أوضح سلوك مساعدي نيكسون في تلك الأثناء أن البيت الأبيض كان يعتقد أن هناك تهديداً حقيقياً يمثله الصحافي اليوناني المنفي إلياس ديمتراكوبولوس، الذي نقل إلى أوبراين في الأصل معلومات عن تمويل العقداء اليونانيين لحملة نيكسون الانتخابية سنة 1968. (انظر ص 604 و605. وفي سنة 1971، وبعد إشاراتٍ إلى دور باباس في شهادة أمام لجنة فرعية للشؤون الخارجية تابعة لمجلس النواب، طلب موراي تشوتينر، صديق نيكسون الحميم، مباشرةً من ديمتراكوبولوس في وجهه أن «يبتعد» عن باباس أو أن يخاطر بالإبعاد من أمريكا. فلم يرتدع ديمتراكوبولوس، بل سلّم إلى اللجنة الفرعية المذكورة مذكرة قال للمؤلف إنها اشتملت على معلومات حساسة عن المخالفات المرتكبة سنة 1968. وفي 24 كانون الثاني / يناير 1972، في حفل غداء سياسي، وجه جون ميتشل نقداً غاضباً لديمتراكوبولوس، مهدّداً بإبعاده ـ وذلك قبل ثلاثة أيام من ترؤسه أول اجتماع من اجتماعاته الخاصة بعملية **الحجر الكريم**، مع غوردون ليدي.
أما سبنسر أوليفر، الذي يبدو أن أتباع ليدي قد زرعوا جهاز تنصت في هاتفه في مقر اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي، فقد اقترح دافعاً محتملاً آخر لهذه الرقابة. فقد كان من شأن الجانب النيكسوني أن يبدي اهتماماً شديداً بمناقشات الحزب الديمقراطي حول ما إذا كان ترشيح ماكغفرن للرئاسة سوف يمضي قُدُماً. فقد كان الجدل في ذلك حامياً في حزيران / يونيو سنة 1972. وكان أوليفر منغمساً فيه بعمق، بصفته رئيساً لمجموعة رؤساء فروع الحزب في الولايات. ولعل هذا كان سبباً في اهتمام لجنة إعادة انتخاب الرئيس [نيكسون] بمحادثاته الهاتفية. (باباس: **ديترويت صانداي نيوز**، عدد 11 تشرين الثاني / نوفمبر، 1973؛ روجر ويتين إلى الملف 306، 20 كانون الأول / ديسمبر 1973، 11 كانون الثاني / يناير 1974، وكذلك ويتين إلى ملف مقابلة ستانس، 3 كانون الأول / ديسمبر 1974، هيئة الادعاء الخاص بووترغيت، **الواشنطن بوست**، عدد 22 آذار / مارس 1972؛ باباس، دونالد نيكسون: **النيويورك تايمز**، عدد 4 حزيران / يونيو 1970؛ **الواشنطن بوست**، عدد 16 شباط / فبراير 1972؛ شهادة دونالد نيكسون، تحقيقات لجنة إيرڤن، الكتاب الثاني والعشرون، ص 10675؛ من بوب ميوز إلى تيري لينزنر، رسالة غير مؤرَّخة، إشارة إلى مقابلة مع جون ميثير، التحقيق في علاقة هيوز ـ ريبوزو، هيئة الادعاء الخاص بووترغيت، وانظر كتاب دين، **الطموح الأعمى**، ص 165؛ شهادة ديمتراكوبولوس: بتاريخ 12 تموز / يوليو 1971؛ جلسات استماع اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية حول أوروبا، الكونغرس الثاني والتسعون، الجلسة الأولى، ص 64 وما يليها؛ تشوتينر: مقابلات مع إلياس ديمتراكوبولوس، مجلة **نيشن**، [عدد 31 أيار / مايو، 1986]؛ مذكرة إلى اللجنة الفرعية: مذكرة ديمتراكوبولوس، 17 أيلول / سبتمبر، 1971، اللجنة الفرعية المختصة بأوروبا، أعلاه، ص 450 وما يليها؛ نقد ميتشل الغاضب: لويز غور إلى الياس ديمتراكوبولوس، 24 كانون الثاني / يناير، 1972، =

كان ليونارد غارمنت واحداً من محاميين، لديهما أكبر الاهتمام بالدفاع عن نيكسون أثناء ووترغيت، ولم يكن لديه شك فيمن وما كان وراء الجريمة. وقد قال في التسعينيات عن العاملين في لجنة إعادة انتخاب الرئيس: «كانت لهؤلاء الناس مهمة. فما كان الرئيس يريده هو معلومات عن لاري أوبراين. فقد كان أوبراين يسكن ذهن نيكسون كالهاجس، أو الشبح على مدى عقود من الزمن. فكان تفكير نيكسون هو: لماذا تعجزون أيها الأشخاص عن الحصول على المادة التي أعرف أنها موجودة هناك؟».

«وقد كان ريتشارد نيكسون هو الذي قال: (لن أعرّض حملتي هذه للمخاطرة. لقد كانت الأصوات متقاربة أكثر من اللازم في الانتخابات الماضية. هناك أناس لديهم معلومات أريدها. . .) فإذا استطاع أي شخص أن يؤمن بأن الأمور لم تكن واضحة حول تلك المعمعة، فإنه يؤمن فعلاً بوجود بابا نويل».

كان غوردن ليدّي قد وصف مشروعه «المخاباراتي» ضد الديموقراطيين بأنه «حرب». وحتى ذلك الحين كانت المسألة مسألة انتقام سرّيّ. ولكن في يوم الجمعة 16 حزيران / يونيو 1972، كان السرّ على وشك الانكشاف.

= أوراق ديمتراكوبولوس؛ الدافع الذي اقترحه أوليفر: محادثة مع سيمور هيرش، نقلاً عن أقوال سبنسر أوليفر الواردة في **هيوستن بوست**، عدد 15 حزيران / يونيو، 1972).

31

لقد فعلت ووترغيت بالسياسي ما فعله خناق
بوسطن بالبائع الجوال من بيت إلى بيت

صديق نيكسون وزميله روبرت فينتش
مخاطباً عصبة الجمهوريين في كاليفورنيا، سنة 1973

عند ظهر يوم الجمعة، في 16 حزيران / يونيو سنة 1972، جلس نيكسون في المكتب البيضاوي ينتظر الاشتراك في احتفال تذكاري. ورغم أن أحداً لم يلاحظ شيئاً في سيرة تاريخ ذلك اليوم الذي سيؤدي إلى سقوط نيكسون، فإن المناسبة المحتفى بها أثارت كل شجون التوترات، التي كانت تمزق الرئاسة وتأخذ بخناقها: حرب ڤيتنام، وأبطالها، ومعارضيها، والناس الذين كان نيكسون يراهم خونة.

وفي ذلك الصباح، كان قد تجمع في مقبرة آرلنغتون سياسيون، وجنرالات، وزملاء سابقون لدفن جون بول ڤان، وهو أقرب شخصية أمريكية إلى القائد الكبير الجذاب في ڤيتنام. فقد كان رمزاً لكفاح أمريكا من أجل التغلب في جنوب شرقي آسيا، وملهماً لكتاب نيل شيهان المعنون، **كذبة براقة مشرقة**، والذي شكل دراسة لامعة للصراع. وكان قد قتل بتحطم طائرة مروحية وسط النيران في الأسبوع السابق. وبعد انتهاء دفنه وصلت أرملته وأبناؤه الأربعة إلى البيت الأبيض. وكان نيكسون على وشك إهدائهم الميدالية الرئاسية للحرية، كتكريم قرر منحه لڤان بعد موته.

وكان الجو ملبداً بظلال الغموض والمرارة. وكان من بين المعبرين عن

الحزن والحداد في الجنازة دانييل إلسبرغ، صديق ڤان وعدوّ نيكسون. وكان ڤان قد تمزق وتشتت بسبب فضح صديقه لأوراق البنتاغون. فهو من جهة قدم المشورة لمساعدي نيكسون بشأن أفضل الطرق لملاحقة إلسبرغ، ومن جهة أخرى وعد إلسبرغ بأن يشهد لمصلحته في محاكمته.

وكان جيسي، ابن ڤان البالغ من العمر اثنين وعشرين سنة، ممن قاوموا التجنيد. وكان قد صمم أن يعطي إلى جانب القبر في آرلينغتون إشارة اعتقد أن والده سيفهمها. باعتبارها «هدية شرفه ونزاهته». وهكذا مزَّق بطاقة تجنيده إلى نصفين وضع أحدهما بين الورود على النعش، وقرر أن يعطي النصف الآخر لنيكسون بدلاً من مصافحته.

ووصل الخبر عن نية جيسي هذه من عائلته إلى موظفي البيت الأبيض، فهرع أحد المساعدين لتحذير نيكسون. وعندما عاد ذلك المساعد إلى الظهور طلب من الشاب أن يتخلى عن خطته أو أن يرى إلغاء الاحتفال. ولاَنَ موقفُ الشاب احتراماً لأمه، واصطفّت العائلة للدخول إلى المكتب البيضاوي.

ولم يعجب نيكسون أسرة ڤان، بل أزعجها عندما أعلن أنه لا يستطيع منح المتوفى أعلى مكافأة تعطيها الأمة، وهي ميدالية الشرف الممنوحة من الكونغرس، لأن ڤان لم يكن في الجيش عند وفاته. كان العذر مشروعاً. ولكن الأسرة رأت أن ذلك التوضيح معقد وماكر ومخادع بشكل كبير. وابتسم نيكسون أكثر من اللائق، وعجز عن النظر إلى أفراد الأسرة في أعينهم مباشرة.

وبذلك المشهد المربك المحرج، انتهى جدول الأعمال الرسمي لنيكسون في ذلك اليوم. فطار وحده إلى جزر البهاما بعد الظهر، لقضاء عطلة نهاية الأسبوع متشمساً مع بيب ريبوزو وبوب آبلانالب. وتوفر له وقت للسباحة والتفرج على سلاحف الجزيرة قبل العشاء.

وحالما اتجه الرئيس إلى الجنوب، كان الكوبيون من أتباع هوارد هانت يتخذون طريقهم إلى الشمال. وما إن وصلوا إلى واشنطن حتى استقروا في

فندق ووترغيت، وتناولوا عشاء باذخاً من الكركند والسرطان البحري. وبعد جلسة من تلقي التعليمات مع هانت وليدّي، راحوا ينتظرون الإشارة، التي تأذن لهم بارتكاب الاقتحام الثاني لمقر قيادة الديموقراطيين. ولم يخلُ لهم الجوّ إلاّ بعد منتصف الليل، عندما شوهد آخر موظف في الحملة يضع سماعة الهاتف، ويقضي حاجته في أصيص لنبات الزينة على المصطبة، ويطفئ الأنوار ثم يغادر. وبعد ذلك بوقت قصير دخل اللصوص.

وبقي هانت وليدّي في الفندق يتفرجان على فلم قديم في التلفزيون. أما بولدوين، في غرفته المطلة على محلات هوارد جونسون عبر الشارع، فقد كان لديه تعليمات بأن تظل عينه على مبنى ووترغيت، (ويبدو أن عينه الأخرى كانت مسلطة على فلم عنوانه **هجوم الأشخاص الدُمَى**.).

وانهمك اللصوص، ومعهم ماكورد، مدير الأمن التابع للجنة إعادة انتخاب الرئيس، في مهماتهم الإجرامية داخل مقر اللجنة الوطنية لمدة نحو ساعة. فراحوا يفتشون الملفات، واقتحموا مكتب لورانس أوبراين. وقد استذكر أحدهم: «لقد قمت بنفسي بالتفتيش في مكتب أوبراين، فكان كل ما وجدته زجاجات من الخمر...».

وفي الساعة الثانية والدقيقة العاشرة صباحاً، تلقى ضباط شرطة يرتدون الملابس المدنية في سيارة دوريتهم رقم 727، نداءً باللاسلكي من مرسلهم. لقد أبلغه حارس في مبنى ووترغيت بأن هناك عملية اقتحام تجري في ذلك المبنى، بعد أسابيع قليلة من عملية الاقتحام السابقة. فاستجاب رجال الشرطة على الفور وتمّ ضبط اللصوص بالجرم المشهود، فاعتقلوا وأُخِذوا إلى مقر قيادة الشرطة.

أما هانت وليدّي، اللَّذَيْن كانا ينتظران نتيجة ما يجري في ووترغيت، فقد أفلتا في تلك الليلة، وكذلك بولدوين، العين الحارسة في محالّ هوارد جونسون. وأفلت أيضاً لويس راسل، المحقق السابق المعاون لنيكسون في

لجنة مكافحة النشاط المعادي لأمريكا التابعة لمجلس النواب، الذي اعترف بشكل سري خصوصيّ فيما بعد، أنه قد أنكر في مكتب التحقيقات الاتحادي آنذاك، أنه كان من المنتظرين الذين «يراقبون» تلك الواقعة. ومثل الآخرين، فقد تمكن من تدبير أمر تسلله خلسة، فتوارى عن الأنظار، ولم يُكْشَفْ عنه النقابُ بشكل تام على الإطلاق[1].

والتقط مفتش الشرطة توماس هيرليهي، النقاط الأساسية الجوهرية في القصة في تقريره الذي أعدّه من ست صفحات في اليوم التالي. لقد أُلقي القبض على خمسة أشخاص في مقر اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي، ومعهم تجهيزات إليكترونية، وآلات تصوير من طراز مينولتا وعشرات البكرات من الأفلام. وكان أحدهم يسمي نفسه «إدوارد مارتن»، ولكن تمّ التعرف إلى شخصيته الحقيقية باسم «جيمس ماكورد، مدير الأمن في لجنة إعادة انتخاب الرئيس». وبالإضافة إلى ذلك، فإن التفتيش الذي أجراه رجال الشرطة عقب الاعتقالات، أدَّى إلى العثور على شيك بتوقيع هوارد هانت... حامل بطاقة

(1) يبدو أن راسل قد أثار اهتمام مكتب التحقيقات الاتحادي لأن تسجيلات هاتف ماكورد توضح أنه كان قد أجرى مؤخراً مكالمة هاتفية مع منزل راسل المستأجر. وتحت الاستجواب، اعترف راسل بأنه كان في مطعم هوارد جونسون، المقابل لمبنى ووترغيت فيما بين الثامنة والنصف والعاشرة والنصف مساءً في ليلة الاعتقالات للمقتحمين. وزعم أنه كان هناك «لأسباب عاطفية» لأن ذلك في الأصل كان هو المكان الذي التقى فيه بصديقة له. غير أن رواية راسل لتحركاته في تلك الليلة لم تكن متجانسة أو متماسكة. ولعل أفضل إعادة تركيب لها كان على يد الكاتب المحقق جيم هوغان. وهذا يبيّن أن راسل قد عاد في الحقيقة إلى واشنطن من الضواحي عند منتصف الليل، بعد أن أخبر ابنته أن عليه أن «يقوم ببعض العمل لماكورد». أما ماكورد فقد رفض أن يناقش موضوع راسل. وأما روث ثورن، التي تتبَّعها المؤلف حتى عثر عليها سنة 2000 فقد استذكرت أنه كان «في الخارج يتفرج» في ليلة الاعتقالات (مكتب التحقيقات الاتحادي، مقابلات مع لويس ج. راسل في 27 حزيران / يونيو 1972 و5 تموز / يوليو أجراها موظفا المكتب المذكور رودني كيكلايتر وجيمس هوبر، ملف المكتب المذكور رقم 166 ـ 139، ومقابلة مع راسل أجراها دونالد ساندرز وهارولد ليبسيت، 12 نيسان / إبريل، 1973، مع رسالة راسل إلى المستشار القانوني الرئيسي للجنة إيرفن، في ملف لو راسل، الحقل C 103، لجنة إيرفن، المحفوظات الوطنية؛ هوغان يعيد تركيب التحركات، **جدول الأعمال**، مصدر سبق ذكره، ص 181؛ رفض ماكورد: المصدر نفسه، ص 185؛ «في الخارج»: مقابلة مع روث ثورن).

دخول إلى البيت الأبيض ومستخدم بصفة مستشار لتشارلس كولسون، في هيئة موظفي *الرئيس*». وكتب المفتش هيرليهي: «*لقد أُبلِغْنا بأن البيت الأبيض قد* استخدم هانت كمستشار في قضايا سرية للغاية».

وهكذا بدأ الانهيار البطيء لرئاسة ريتشارد نيكسون.

أما متى وكيف علم الرئيس بأمر الاعتقالات، فتلك قضية محفوفة بالمتناقضات المتضاربة. فقد أخبر الأمة بأنه اكتشف الأمر من التقارير الإخبارية في غضون ساعات، صباح يوم السبت في 17 حزيران / يونيو [1972]. غير أنه في مذكراته زعم أنه لم يعرف بما حدث إلاّ في اليوم التالي، الأحد، بعد أن طار عائداً إلى البرّ الأمريكي من جزر البهاما. وقال إنه سمع بالخبر عندما كان يتناول القهوة في مطبخ منزله في كي بسكين، بينما كان يتصفح جريدة **ميامي هيرالد**.

أمّا رفيقا نيكسون في عطلة نهاية ذلك الأسبوع، فقدّما روايتيهما عن اكتشاف الخبر فيما بعد، بطريقة لا تفعل شيئاً سوى زيادة الشك في أن الحقيقة قد كُتِمَتْ. فمضيفه في جزر البهاما، آبلانالب، أيد رواية يوم الأحد في كي بسكين، زاعماً أنه كان مع نيكسون هناك في ذلك اليوم، عندما اتصل به هالدمان هاتفياً ليعلمه بالخبر. ومع ذلك فإن سجل تحركات الرئيس يوم الأحد، ونشرات الطائرة المروحية، تشير إلى أن آبلانالب لم يطر عائداً إلى البر الأمريكي مع نيكسون وريبوزو.

وأفاد ريبوزو بدوره أن نيكسون تلقى الخبر في كي بسكين يوم السبت ـ في وقت كان فيه الرئيس ما يزال في الحقيقة في جزر البهاما. كما أن التفاصيل التي أضافها ريبوزو، توحي بأن الأصدقاء الثلاثة قد لفقوا قصة ثم اضطربوا في روايتهم لها. قال ريبوزو: «كنت معه عندما أُعْلِمَ بالأمر. كنا نسبح أمام منزلي... فجاؤوا وأخبروه». وكان هذا المشهد متناقضاً مع روايتي نيكسون على حد سواء.

كيف كان رد فعل نيكسون؟ لقد أكد آبلانالب وهو يتذكر المكالمة الهاتفية من هالدمان: «يا للجحيم. لقد كنت معه في الغرفة، وسمعته يقول: (عَمِلُوا ماذا؟)... كان مذهولاً وكان يصرخ عملياً. وترك الهاتف وهو يهز رأسه». ومن جهة أخرى فقد قال ريبوزو، إن نيكسون لم يفعل شيئاً سوى أنه جلس وهو يضحك من هذا الخبر. وأنه قال مرتين أو ثلاثاً: (ماذا كانوا يفعلون هناك بحق اسم الله؟).

وأمّا هالدمان، الذي أمضى عطلة نهاية ذلك الأسبوع كلها في فلوريدا، في منزل لا يبعد كثيراً عن منزل الرئيس، فقد قال إنه سمع بالخبر يوم السبت. وزعم أن رد فعله الأول هو التفكير: «يا إلهي. لقد أمسكوا بتشارلس كولسون». وقال إن هذا الخوف قد خفّت حدته عندما تحدث مع نيكسون يوم الأحد. ولاحظ هالدمان أن الرئيس لم يقلقه خبر الاقتحام أبداً، بل لقد وجده أمراً مسلياً ومضحكاً»[2].

---

(2) استذكر هالدمان، في مذكراته المنشورة سنة 1978، أن نيكسون قد ناقش معه الاعتقالات لأول مرة (في كي بسكين) أثناء مكالمة هاتفية من جزر البهاما صباح يوم الأحد، في 18 حزيران / يونيو. فقال له نيكسون: «تتبع مغرودر واعثر عليه واسأله عمّا يعرف». وطلب هالدمان كلاً من مغرودر وإيرليكمان وكولسون، ثم عاد إلى مكالمة نيكسون بالهاتف. غير أن مفكرة هالدمان المفرج عنها في CDROM في سنة 1994 تقدم رواية مختلفة، إذ يتحدث فيها هالدمان مع إيرليكمان ومغرودر وكولسون بمبادرة من تلقاء نفسه في صباح ذلك اليوم، وحسب البند الوارد في المفكرة فإن «الرئيس» كان في ذلك الوقت ما يزال «غير مطلع على هذا كله، إلاّ إذا كان قد قرأ شيئاً ما في الصحف، ولكنه لم يذكره لي». وفي تلك الأثناء، تنعكس في سجلات البيت الأبيض مكالمة طولها أربع دقائق أجراها نيكسون مع هالدمان في الساعة 58/10 من صباح يوم السبت 17 حزيران / يونيو، وكذلك مكالمة طولها ثماني عشرة دقيقة من نيكسون إلى هالدمان يوم الأحد 18 حزيران / يونيو. وفي اليوم التالي، الاثنين 19 حزيران / يونيو اتصل نيكسون هاتفياً بكولسون وهالدمان مرتين والتقى بهالدمان قبل أن يطير عائداً إلى واشنطن. وليس هذا السجل كاملاً بالضرورة. (المذكرات: هالدمان مع دي مونا، مصدر سبق ذكره، ص 7، 12؛ المفكرة **مذكرات هالدمان** بطبعتيها، البنود المدونة في 17 و18 و19 حزيران / يونيو، 1972؛ السجلات: مفكرة الرئيس اليومية، 17 و18 حزيران / يونيو، 1972، المواد الرئاسية النيكسونية، المحفوظات الوطنية؛ «المحادثة الأولى بخصوص عملية الاقتحام»، ملفات الشهود: نيكسون، المصنف رقم 53A.2، ملفات التحقيق، هيئة الادعاء الخاص لووترغيت، المحفوظات الوطنية).

ولكن كولسون، الذي تحدث معه نيكسون بالهاتف مرتين يوم الأحد، رسم صورة مختلفة. فاستذكر قول نيكسون بأن ردّة فعله، كانت بطريقة لا تشبه الهدوء الذي وصفه ريبوزو وهالدمان. بل لقد فهم كولسون أنه «ثارت ثائرته، وقذف بمطفأة سجاير عبر الغرفة».

ولاحظ هالدمان عندما علم بهذه الواقعة: «لقد سبق لي أن رأيت نيكسون ينفجر بنوبات غضب عالية، ولكنه لم يكن يقذف شيئاً أبداً. فلماذا خاطب كولسون بالهاتف بمثل هذا الغضب، ومع ذلك أخفى تلك العاطفة عني وعن كل شخص آخر؟».

وبعد كل هذه السنين، لا يزال هذا السؤال معلقاً.

وسواء أكان نيكسون «مسروراً» أم «ثائراً»، فقد سيطر على الوضع ومارس ضبطاً للنفس منذ البداية. وعندما تحدث مع هالدمان يوم الأحد، أصدر له أمراً: «اعثر على مغرودر وانظر ما الذي يعرفه». ففعل هالدمان، وتآمر في الحال مع نائب رئيس لجنة إعادة انتخاب الرئيس، على كيفية تضليل الصحافة في أول بيان رسمي عن الاقتحام. وكان هناك سطر في مفكرة هالدمان عن تلك المحادثة يقول نصه: «إن الفكرة هي إيقاع الصحافة في أكبر التباس ممكن».

وعلى الفور بدأت عملية التغطية وتدمير الأدلّة. ووقف غوردن ليدّي أمام آلة التمزيق في غضون ساعات من الاعتقالات، بينما انهمك آخرون في تنظيم حرائق محلية صغيرة.

وقامت سكرتيرة ماكورد، بإبعاد أوراق كان يحتفظ بها في مكتبه ليتم إحراقها، بينما قامت زوجته بإتلاف أوراق أخرى في مدفأة غرفة الجلوس. كما أحرق هوارد هانت وثائق في منزله. وقام جون دين وزميل له، وهما يرتديان قفازات جراحية لتجنب ترك آثار بصماتهما، بإفراغ خزانته في البيت الأبيض من محتوياتها. وقام مدير مكتب التحقيقات الاتحادي بالوكالة، بات غري، المطواع نيكسون، بإحراق الأوراق الحاملة لإمكانية الإدانة، التي عثرا عليها في

آخر الأمر. وكانت تشمل بعض المواد عن إلسبرغ وإدوارد كيندي.

وقدر لمغرودر أن ينقل عن جون ميتشل اقتراحاً قال له فيه: «لعله ينبغي عليك أن تشعل حريقاً صغيراً في بيتك». وفهم مغرودر هذه الإشارة، فأكلت ألسنةُ اللهب المادةَ التي لديه عن **الحجر الكريم** حسب الأصول. بل إن ميتشل نفسه قام بتدمير مراسلاته حول الحملة الانتخابية مع كل من نيكسون وهالدمان.

وعندما طار هالدمان عائداً إلى واشنطن مع نيكسون، دعا إلى اجتماع صباح الثلاثاء مع إيرليكمان، وميتشل، وريتشارد كلايندايـنست (خليفة ميتشل في منصب المدعي العام)، وجون دين. وناقشوا كيفية معالجة ووترغيت. وبعد ذلك التقى هالدمان بمساعده غوردن استراخان. وعندما أصيب المساعد «بالخوف حتى الموت، وهو يعرض على رئيسه مذكرة العمل السياسي الملبسة باحتمالات الإدانة، المقدمة في أوائل نيسان / أبريل، والحاوية على الموافقة التذكارية على خطة ليدّي، أمره هالدمان: «تأكد من كون ملفاتنا نظيفة»[*]. فاتجه استراخان إلى جهاز التمزيق[3].

وبينما كان أقرب المقربين من زملاء نيكسون، يناقشون كيفية الحدّ من الأضرار في ذلك الصباح، كان الرئيس يجلس وحده لمدة زادت على ساعة، لا يتحدث بالهاتف ولا يتلقى أية مكالمات. ثم التقى بإيرليكمان. فناقش معه ووترغيت، رغم أنه لم يظهر أي شريط مسجل لتلك المحادثة. أما شريط الاجتماع التالي للرئيس، مع هالدمان، فقد صار معروفاً في العالم كله، ليس بسبب محتوياته، بل بسبب ما حذف منه.

ويستطيع زوار متحف المحفوظات الوطنية اليوم، أن يضعوا سماعات على آذانهم للاستماع إلى الجزء الباقي من محادثة ذلك الصباح، التي تعالج

(*) انظر ص 833.

(3) أنظر ص 835 والحاشية 13.

مسألة ووترغيت، حسب الهيكل العظمي لملاحظات هالدمان المبتسرة. غير أن الزوار لن يسمعوا كلمات بل فقط وشّاً في الأذن يستمر أكثر من ربع ساعة. تلك هي الفجوة اللعينة الشهيرة لمدة ثماني عشرة دقيقة ونصف الدقيقة.

وأثناء الصراع القانوني على ملكية الأشرطة، قدر لمحامي نيكسون الرئيسي في قضية ووترغيت، أن يعترف أمام القاضي جون سيريكا: «يبدو أن هذا شيء خطير يا سيدي. ولا يظهر مما تعرف حتى الآن أن هذا قد وقع نتيجة حادث مفاجئ حصل بالمصادفة. كان الرئيس قد عَهِدَ إلى سكرتيرته روز وودز بنقل محتويات الشريط في أواخر أيلول / سبتمبر 1973. وكانت هي التي تلقت اللوم على تدميره. وتبع ذلك مشهد مضحك وغريب لإعادة تمثيل ما حدث أمام هيئة الادعاء حاولت فيه وودز ـ مجهزة بمسجلة صوت، وسماعات على الأذنين، ودوّاسة للقدم ـ بأنها ربما تكون قد مسحت جزءاً من التسجيل فجأة عن غير قصد، عندما كانت مشغولة بالرد على الهاتف.

ولكن الخبراء الذين وافق عليهم البيت الأبيض، وكذلك هيئة الادعاء، استنتجوا فيما بعد أن المساحة الطويلة من الأزيز والطنين والطقطقات، تعكس سلسلة من عمليات المسح المتداخلة، مما يدل على أن شخصاً ما، قد تعامل مع الآلة بيده وركّبها عامداً لتقوم بالمسح خمس مرات على الأقل، مما يدل على أن حذف تلك المحتويات من الشريط قد تمّ عن قصد[4]. فمن كان ذلك

---

(4) قدر لنيكسون في مذكراته أن يتشكك في كفاءة الخبراء الفنيين الذين استشارهم المدعوون العامون، وأن يستشهد بانتقاد منظمات أخرى لاستنتاجاتهم. غير أن اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب قد أشارت إلى أن المنظمتين المختصتين كلتيهما، أي مؤسسة ديكتور كاونتر إنتليجانس آند سيكيوريتي، وشركة هوم سيرفيس لم تقوما بفحص شريط 20 حزيران / يونيو، موضوع النزاع، أو جهاز التسجيل الذي استخدمته وودز، ولم تطلعا على التجارب مع مجموعة الخبراء. كما أن نيكسون لم يذكر أن محاميه نفسه قد جعل الدكتور مايكل هيكر، من معهد ستانفورد للبحوث بمراجعة التجارب والتشاور مع المجموعة المذكورة. وقد اتفق الدكتور هيكر مع نهج المجموعة وخبرتها، فأعلن أنه «متفق بشكل كبير»، مع تقريرها النهائي. (تشكك نيكسون: **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 951؛ انتقاد الاستنتاجات: أنظر مقالاً تقنياً بقلم جورج أوتول، **نيوريبابليك**، عدد 9 آذار / مارس، 1974، =

الشخص؟ لقد اعترفت وودز أنها مسؤولة عن مسح خمس دقائق من الحوار فقط في أسوأ الأحوال.

وعندما هرعت وودز إلى المكتب البيضاوي، لتوضح أنها قد مسحت جزءاً من تسجيل 20 حزيران / يونيو، قالت في شهادتها إن الرئيس لم يزد على قوله لها بشكل عابر، «لا تقلقي حول هذا الأمر» وعند نقطةٍ ما من ضجة المحكمة، شعرت على ما يبدو أنها تُعَامَلُ على أنها كبش فداء. وعلى الهاتف في مكالمة مع صديق قديم، أعلن السكرتير الصحافي السابق جيمس باسيت، أخلص موظفي نيكسون، أن روز وودز كانت ضحية تهمة «ألصقت بها إلصاقاً».

ولقد قام نيكسون شخصياً بمراجعة الأشرطة الحساسة أثناء أزمة ووترغيت. وقالت وودز في شهادتها أن نيكسون في كامب ديڤيد، «ظل يضغط على أزرار مسجلتها جيئة وذهاباً. فهل كان إذن هو المسؤول عن خلق تلك الفجوة من الثماني عشرة دقيقة ونصف الدقيقة؟ إن أناساً كثيرين يعتقدون ذلك.

في سنة 1999، قالت محامية الادعاء جيل واين ـ بانكس، التي استجوبت وودز في المحكمة: «إن الاحتمال الأرجح أن الرئيس هو الذي مسح ذلك الجزء من الشريط». أما المدعي الخاص ليون جاوورسكي فقد قدم حكماً أقل تحفظاً، عندما لاحظ أن «الرئيس وحده كان هو الواصل إلى الأشرطة وإلى الآلة، [في الوقت المحتمل الذي تمت فيه عملية المسح]. . . وهو الذي يعرف ما الموجود على الشريط، وما هو الجزء الذي قد يكون مدعاة للإدانة. . .»[5].

= مستشهداً بآلان بيل من مؤسسة ديكتور، وخلاصة المعلومات، تحقيقات اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب، ص 114، الحاشية الأولى؛ هيكر؛ المصدر نفسه، ص 114).

(5) قال نيكسون في مذكراته إنه يعرف أنه لم يتعمد مسح الشريحة من الشريط وأنه يصدق إنكار وودز المماثل. وقد وسع زعمه هذا في كتاب لاحق بالادعاء أن هناك عيباً في تقرير الخبراء الذين عينتهم المحكمة (أنظر الحاشية الرابعة، أعلاه). وأنكر الإشارة إلى أنه هو أو أي من موظفيه قام بمسح المحادثة التي تجرّمه على الشريط ووصفها بأنها «أكثر الأساطير مجافاة للعقل». وقال إن هيئة الادعاء =







42- حلف، وصفقة. نيكسون مع زعيم اتحاد سائقي الشاحنات فرانك فيتز سيمونز، الذي حصل على عفو (مشروط) لسلفه المسجون، جيمي هوفا، بينما راحت أموال الاتحاد [ذي [illegible]



43- القبعات الصلبة على طاولة في البيت الأبيض - وفيها قبعة خاصة لنيكسون - أثناء زيارة قام بها زعماء عمال البناء سنة 1970، وكان أتباعهم قد قاموا [illegible] متظاهرين ضد حرب فيتنام



[illegible]





48,47- كان تتويج إنجازات نيكسون هو انفتاحه على الصين، الذي دشنه بلقائه مع ماوتسي تونغ في أوائل سنة 1972. وبعد ذلك باشهر، اصبح أول رئيس امريكي يزور موسكو. وفي الاجتماع الاول من ثلاثة اجتماعات مع ليونيد بريجينيف، عقد معاهدة تاريخية للحد من التسلح.





49- [illegible]
استعاراته صورة الكاتب الأميركي الساخر جيمس ثوربر في كتابه المعنون الحياة السرية لوالتر ميتي والمنشور سنة 1939: المعرب]

50- الرئيس التشيلي سلفادور الليندي قبيل العثور عليه مقتولاً بالرصاص يوم الإطاحة به على يد الجنرال أوغستو بينوشيه. وحسب رواية أحد كبار مسؤولين في وكالة المخابرات المركزية، فقد كانت «إدارة نيكسون تريد انقلاباً عنيفاً».

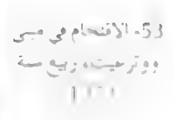




[illegible] (من اليسار إلى اليمين) هالدمان،
[illegible] في منتصف ولايته الأولى. وعندما
صمم نيكسون على الفوز في إعادة انتخابه، راح يضع ثقته
على نحو متزايد بالعمليات السرية التي يديرها له مساعده
الخاص شارلس كولسون، الذي قال: «لقد قمنا بالكثير من
الأشياء الجهنمية، ولم يمسك بنا أحد قط»







53- الاقتحام في مبنى ووترجيت، ربيع سنة [illegible]





57- ما هو الدافع لعمليات الاقتحام؟ كان لورانس أو براين، رئيس اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي على معرفة بعدة قضايا يمكن أن تصيب نيكسون بالأذى.



56- جيمس ماكورد، الذي شهد بأنه [illegible] الشهت.





السرّ الأول: التخريب الجمهوري لمحادثات السلام، باستعمال آنا شينو، في سنة 1968



58- ما هو الدافع لعملية الاقتحام؟ كان لورانس أوبراين، رئيس اللجنة الوطنية للحزب الديمقراطي على معرفة بعدة قضايا يمكن أن تصيب نيكسون بالأذى





61- السرّ الثالث: الملياردير المتقوقع المنعزل هوارد هيوز، الذي لم يره ولم يصوره أحد منذ سنوات طويلة. ومع ذلك كان لا يزال يطمح إلى السيطرة على الساحة. وكان نيكسون قد قبض منه اموالا







70،71،72- مع انهيار رئاسة نيكسون، كانت هناك مخاوف وتدابير وقائية لم يسبق لها مثيل. فأمر وزير الدفاع جيمس شليسينغر (في الأسفل، إلى اليسار) بأن أية أوامر عسكرية صادرة من البيت الأبيض يجب التدقيق فيها معه. وقال قائد القوى الجوية الجنرال جورج براون لهيئة الأركان المشتركة (في الأعلى) بأن هناك مخاوف من «نوع من الانقلاب». وقال مساعد نيكسون آليكساندر هيغ (في الأسفل، إلى اليمين) أنه يخشى عملاً غير لائق يقوم به الكونغرس، وليس القوات المسلحة.





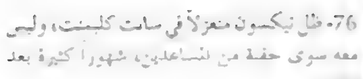
74,73- 9 آب/ أغسطس 1974: حبست بات دموعها بينما كان نيكسون يلقي خطاباً مشتتاً ينتقل من موضوع إلى موضوع آخر أمام موظفيه فحدثهم عن أمه وأبيه، وعن أهمية عدم التخلي عن قضيته. ثم ودعهم، في غمرة اندحاره، مشيراً بيديه بعلامة النصر.



75- في الشهور الأولى من [illegible]
الموت عندما انتقلت جلطة دموية في وريد ملتهب
[illegible]
المثول كشاهد في محاكمة المشاركين في التغطية على
فضيحة ووترغيت



76- ظل نيكسون منعزلاً في سان كليمنت، وليس
معه سوى حفنة من المساعدين، شهوراً كثيرة بعد
[illegible]



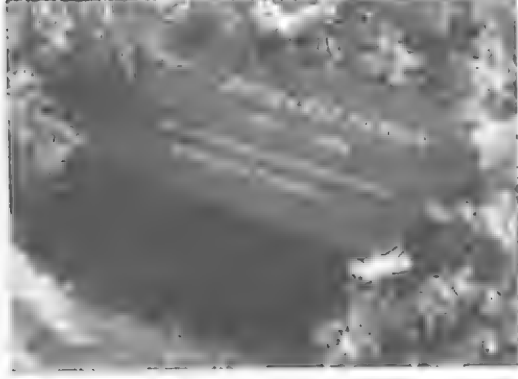




77- ومع مرور الزمن، راح نيكسون يشفى تدريجياً من عاره، ويرسم لنفسه صورة السياسي المخضرم الكبير. وقد اعتقد أن اجتماعه في البيت الأبيض مع الرئيس كلينتون «أفضل شيء حصلت عليه منذ أن كنت رئيسًا».

78- عندما ماتت بات في حزيران/ يونيو سنة 1993، كان حزن زوجها واضحًا. وعند إحدى النقاط في يوم الجنازة أمسك بيده طبيبه النفسي، الدكتور هتشنيكر، دون أن تتعرف عليه الصحافة.


EXCLUSIVE BOOK EXCERPT
TIME
The Last
Testament of
RICHARD
NIXON
His Parting Advice
to Bill Clinton:
America Must Lead



وفيما بعد، عندما كان هالدمان، يكافح لتذكر ما قيل بالضبط في المساحة المحذوفة من المحادثة، اقترح أن نيكسون كان يعبر عن قلقه بصوت عال مما قد يخرج من تشارلس كولسون. فكان هالدمان في إعادة تركيب الجزء المحذوف يجعل نيكسون يؤكد: «إنني أعرف شيئاً واحداً. إننا لا نستطيع تحمل استجواب كولسون على يد مكتب التحقيقات الاتحادي. . . إن كولسون قد يتحدث عن الرئيس، إذا انهار».

أما عن المحادثات الأخرى مع هالدمان وكولسون في أول يوم ثلاثاء أعقب اعتقالات ووترغيت، فقد رفض نيكسون الإفراج عن الأشرطة ذات الصلة. ولو تفحّصنا الشريطين اللذين صارا متاحين منذ ذلك الحين، فسوف يتضح السبب.

فقد اجتمع نيكسون مع كولسون لمدة ساعة بعد الغداء، ورغم أن نوعية الصوت المسجل رديئة، فإن الجزء المسموع من التسجيل هو خليط غريب من القلق حول ووترغيت، و«حك ظهر متبادل»، وإصرار على أن التجسس السياسي هو شيء روتيني منتظم. إذ يقول نيكسون: «إن كثيراً من الناس يعتقدون أنك يجب أن تتنصت» وإن معظم الناس «يعرفون لماذا نفعل ذلك بحق الجحيم، ولعلهم يخططون لعمل ذلك بنا، وهم يفعلونه حقاً»[6].

= تجاهلت حقيقة أن «المفكرات الكاملة» لهالدمان لم يكن فيها شيء «خارج عن المعتاد». غير أن هالدمان قد أكد في مذكراته ـ وفي سياق الثماني عشرة دقيقة ونصف دقيقة الممسوحة عمداً من الشريط موضع الجدل ـ أن ملاحظاته كانت في أغلب الأحيان غير كاملة. وينبغي النظر إلى هذه القضية في سياق أدلة أخرى على الخداع وإتلاف الأدلة. (إنكار نيكسون: **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 919، 948 وما يليهما؛ «أسطورة»: نيكسون: **في الحَلَبة**، طبع نيويورك، تَاتْشَستون، 1990، ص 32؛ هالدمان، حول مفكراته: هالدمان مع دي مونا، مصدر سبق ذكره، ص 42).

(6) قال نيكسون، نقلاً عن باري غولدووتر في 23 حزيران / يونيو، 1972: «الجميع يتنصتون على الآخرين جميعاً». والواقع أنه لا توجد أدلّة وجيهة على أن الديموقراطيين قد تنصتوا على الجمهوريين سنة 1972، رغم وجود ادعاءات بذلك. غير أن المؤلف قد أجرى بعض التحقيق في زاوية آسرة من هذه القضية، وهي أن الديموقراطيين تلقوا إنذاراً مسبقاً باقتحام مبنى ووترغيت. ذلك أن الأدلة الوجيهة، على شكل شهادات ومراسلات جمعتها لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ، تثبت أن أوبراين =

ولئن كانت تلك المناقشة تخلو من اعتراف بالتورط في ووترغيت، فإنها

= تلقى تحذيراً، قبل ثلاثة أشهر تقريباً من عملية الاقتحام المصيرية، من «قصص مقلقة جداً حول تقنيات متطورة معقدة للتجسس تستخدمها قيادة الحزب الجمهوري» ثم التقى مسؤول ديموقراطي بمصدر هذه المعلومات، وهو محقق خصوصي له خلفية في المخابرات يدعى آرثر وولستون سميث. فكتم المصدر الذي استقى منه معلوماته، ولكنه في سنة 1996 كشف للمؤلف أنه لم يكن سوى جون راغان، خبير الهواتف العتيق الذي كان قد اشتغل لحساب نيكسون نفسه (أنظر الصفحتين 663 و713 ـ أعلاه). وقد كان راغان (الذي هو ميّت الآن) ضابطَ أمنٍ لدى اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري حتى خريف سنة 1971، وكان بذلك سلفاً لجيمس ماكورد، موظف الأمن لدى لجنة إعادة انتخاب الرئيس [نيكسون]، والذي أصبح خبير الأجهزة الإليكترونية لعمليات اقتحام مكاتب ووترغيت.

ويكاد يكون في حكم المؤكد أن الديموقراطيين كانوا يتوقعون الاقتحام، وإن لم يعرفوا متى ينتظرون وقوعه. فالمساعد الديموقراطي القديم، فرانك مانكيفيكز كان مع أوبراين عندما علم بالاعتقالات. فرأى أن أوبراين لم يظهر عليه «أي اهتياج شديد للخبر بأي حال من الأحوال». واستذكر المحرر السابق **للواشنطن بوست**، بِنْ برادلي، أن المحامي الديموقراطي جو كاليفانو قد أخطر صحيفته بالاعتقالات في غضون سويعات. وقد أقام كاليفانو الدعوى على لجنة إعادة انتخاب الرئيس في ثاني يوم عمل تَلاَ حدوثَ الاعتقالات ـ فكان ذلك إجراء شديد السرعة إلى درجة جعلت هالدمان يقول: «مع تزايد عمق الغموض الذي راح يلفّ ووترغيت، بدأنا نعجب لسرعة تحركه. ويبدو أن الديموقراطيين كانت لديهم دعوى قضائية جاهزة بكل نقاطها القانونية المعقدة، ومهيَّأةً للانطلاق». أما وولستون ـ سميث، مصدر معلومات الديموقراطيين، فقد أخبر اللجنةَ بأنه يعتقد أن أوبراين قد «صاغ خطة»، واستذكر بأن موظف اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي الذي كان على اتصال به قد بدا «مبتهجاً إلى حد الغرور» بعد الاعتقالات. وأخبرَ المؤلفَ بأن فكرة كون الديموقراطيين قد «نصبوا فخّاً» للصوص «قريبة جداً» من الحقيقة. وقد نبذ أوبراين مثل هذه الأفكار في مذكراته ووصفها بأنها «مجافية للعقل والمنطق». ومهما تكن الحقيقة، فإن هناك مفارقة عجيبة في أن التحذير من أحابيل الجمهوريين القذرة لم يأتِ أصلاً إلاّ من خبير التمديدات الهاتفية الذي طالما عمل لحساب نيكسون (من بين الناس جميعاً). («الجميع يتنصتون»: شريط البيت الأبيض المسجل يوم 15 أيلول / سبتمبر، 1972، **إساءة استخدام السلطة**، ص 147؛ الادعاءات؛ **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 67؛ فكتور لاسكي: **لَمْ تبدأْ بووترغيت**، طبع نيويورك: دِلْ، 1977، ص 326؛ هل تلقى الديموقراطيون تحذيراً مسبقاً؟: الخلاصة في كتاب فريد تومسون، **عند هذه النقطة من الزمن**، طبع نيويورك: كوادرانغل، 1975، ص 225 وما يليها، وانظر شهادة جون ستيوارت، 28 شباط / فبراير، 1973 في قضية اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي ضد ماكورد وشركاه، الدعوى المدنية المرقمة 72 ـ 1233؛ وشهادة وليام حداد في 4 تشرين الأول / أكتوبر، 1973، الحقل B79 في تحقيقات لجنة إيرفن، المحفوظات الوطنية؛ وشهادة آرثر وولستون ـ سميث في 10 تشرين الأول / أكتوبر، 1973 و29 نيسان / إبريل، 1974، الحقل C129 في تحقيقات لجنة إيرفن، المحفوظات الوطنية؛ وولستون سميث يكشف: مقابلات مع آرثر وولستون سميث؛ راغان، اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري: شهادة جون كولفيلد، تحقيقات لجنة إيرفن، الكتاب الأول، ص 235؛ أوبراين «غير مهتاج»: **جورج**، حزيران / يونيو، 1997؛ إخطار **الواشنطن بوست**: برادلي، =

من الجهة الأخرى لا تنطوي على تلك الإنكارات المطلقة، التي ظل نيكسون يتفوه بها سراً وعلانية بقيةَ حياته. وبعد مغادرة كولسون عقد نيكسون اجتماعاً آخر مع هالدمان، تحدثا فيه عن ردود فعل الديموقراطيين على الاعتقالات: فقد رفع أوبراين في الحال دعوى ضد التنصت، ومهاجمة خصوصياته الحميمة. وتحتوي النسخة المتاحة من فحوى المناقشة، على مقطعين محذوفين في تتابع سريع لأسباب الحفاظ على الخصوصية، أحدهما عقب إشارة نيكسون إلى الجانب السخيف الغريب من القصة. فهل كان إشارة إلى النشاط الجنسي، الذي التقطته أجهزة التنصت التي ركّبتها لجنة إعادة انتخاب الرئيس؟

وعند نقطة أخرى، يلاحظ هالدمان أن «هذا الشيء المالي»، ربما كان مبرراً للتنصت على اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي. ويقول إن جواسيس لجنة إعادة انتخاب الرئيس قد «التقطوا شيئاً حول ذلك، كما يعتقدون». فهل كان «الشيء المالي» إشارة إلى أوبراين وأموال هوارد هيوز؟ أم لعله إشارة إلى التمويل غير المشروع من نظام العقداء اليوناني؟ إن جواب نيكسون المقتضب ـ «نعم، أحسب ذلك ـ» يدل بالتأكيد على أنه كان يعرف بالضبط عَمَّ كان مساعده يتحدث.

وعند هذه النقطة، صارت خطة اللعبة واضحة. إذ قال الرئيس لهالدمان إن «خطّه العلنيّ»، سيكون هو التأكيد بأن اللجنة الوطنية الديموقراطية، لم تكن تستحق أن تركّب عندها أجهزة تنصت. وكان قد قال لكولسون أيضاً: «إننا سنترك هذه المسألة حيث هي تماماً: مع الكوبيّين». واتفق مع هالدمان أنه يتعين على الكوبيين أن يعترفوا بأنهم مذنبون، موضحين أن تجسسهم كان بهدف فضح قيام ماكغفرن «المجنون ببيع قضيتهم للشيوعيين». فقد اعتقد نيكسون أن تلك كانت «لمسةً جميلةً للغاية».

= **حياة طيبة**، مصدر سبق ذكره، ص 324 وما يليها؛ «مع تزايد الغموض»: هالدمان مع دي مونا، مصدر سبق ذكره، ص 14؛ «مجافٍ للعقل»: أوبراين، مصدر سبق ذكره، ص 342).

وفي وقت مبكر من ذلك المساء تحدث نيكسون بالهاتف مع جون ميتشل. فكان ذلك أول اتصال معروف بين الرجلين منذ اعتقالات ووترغيت. وقد أوضح محامي نيكسون فيما بعد، أن المحادثة لم تُسَجَّل، لأن المكالمة جرت على خط من مقر إقامة الرئيس الخاص، وهو مكان لم يكن مربوطاً بشبكة التسجيل. ولكن ظهر فيما بعد أيضاً أن نيكسون قد احتفظ بملاحظة عن المحادثة في الماكنة الإملائية، التي كان يسجل عليها مذكراته اليومية. ورغم أن الفحوى المنقولة لهذا التسجيل لا تحتوي على أي شيء ذي بال، فإنها مهمة لسبب آخر. فهناك فجوة من اثنتين وأربعين ثانية في تلك الإملائية، تتبعها ملاحظة غير مفهومة. وَتَذْكُرُ الهيئةُ الخاصةُ للادعاء في قضية ووترغيت، أن «الماكنة الإملائية قد تم العبث بها على ما يظهر»[7].

وليست لدينا أشرطة مسجلة لأربع مكالماتٍ، تلقاها نيكسون ذلك المساء من هالدمان وكولسون، رغم أن ثلاثاً منها أجريت من مكتبٍ يتم فيه التسجيل بشكل تلقائي.

وحسب رواية هالدمان فإن الرئيس قال له أثناء إحدى المكالمات المسائية، إن ووترغيت ربما كانت عندئذ «تحت السيطرة» بسبب التورط الكوبي فيها: «يعتقد كثير من الناس أن الاقتحام تم على أيدي كوبيين معادين لكاسترو... سوف أتحدث مع بيب وأجعله يعتقل بعض الكوبيين المعادين

(7) إن المذكرة التي أملاها نيكسون على جهاز التسجيل في 20 حزيران / يونيو، كما أعادت نسخها اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب، ذكرت أنه قد حاول أن يعيد السرور إلى ميتشل وأن ميتشل ردّ عليه أنه يأسف لأنه لم يلجم أتباعه بصورة أفضل. غير أن المدعي الخاص جاوورسكي أشار في مذكراته فيما بعد إلى ملاحظة مملاة على آلة تسجيل «أعطى فيها ميتشل نيكسون لأول مرة معلومات دامغة حقيقية عن تفاصيل عملية السرقة والاقتحام في ووترغيت... وعندما استدعينا ذلك الشريط، وجدنا أن الكلمات الوحيدة عليه هي: «اتصل بي جون ميتشل في الساعة الثانية، وقال جون...» وكان الباقي ممسوحاً». فإمّا أن يكون جاوورسكي قد أخطأ في محتويات مكالمة نيكسون المعروفة لميتشل في 20 حزيران / يونيو، أو أن هذا المقطع يشير إلى مكالمة أخرى ـ غير معروفة حتى الآن ـ. (جاوورسكي، **اعتراف**، مصدر سبق ذكره، ص 237).

لكاسترو. . . وإن الذين ألقي القبض عليهم سوف يحتاجون إلى مال. . . وسوف أجعل بيب يقيم صندوقاً من أجلهم في ميامي. أطلق عليه اسم الصندوق المعادي لكاسترو، ثم ليتم الإعلان عن الزاوية الكوبية بشكل جهنمي. وبهذه الطريقة نقتل عصفورين بحجر واحد. نحصل على المال للأولاد كي نساعدهم، وربما نلتقط بعض النقاط ضد ماكغفرن من الزاوية الكوبية».

وظل اسم بيب ريبوزو يذكر على الأشرطة على مدى الأيام القليلة التالية، بطريقة توحي بأن نيكسون كان عصبياً بخصوص نقاط الضعف المكشوفة في صديقه. وعند إحدى النقاط، أثناء مناقشة حقيقة ظهور اسم هوارد هانت في دفاتر الاتصالات التي مع اللصوص، طرح الرئيس فجأةً سؤالاً غريباً:

الرئيس نيكسون: هل اسم ريبوزو وارد في دفتر عناوين أي شخص؟

هالدمان: كلاّ. . . لقد أخبرني أنه لا يعرف أي واحد من هؤلاء الأشخاص.

الرئيس نيكسون: لا يعرفهم؟

وهنا تظهر في الشريط مساحة محذوفة أخرى لحماية «الخصوصيات». ومن الواضح أن نيكسون كان قلقاً. وكان هناك سبب لقلقه: إننا نعرف الآن أنه كانت هناك درجة من الصلة بين اثنين من اللصوص، هما برنارد باركر ورولاندو مارتينيز وبين بيب ريبوزو. فقد كان مارتينيز نائبَ رئيس مؤسسة عقارية، لريبوزو معها تعامل واسع وصفقات مستفيضة. وكان أحد مدرائها عضواً في مجلس إدارة مصرف ريبوزو. وكانت المؤسسة قد توسطت في شراء منزل نيكسون في كي بسكين. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان مارتينيز وباركر، كلاهما من أبرز الأضواء اللامعة في شركة عقارية ثانية هي شركة آميريتاس، التي استخدمها اللصوص كغطاء عندما جاؤوا إلى واشنطن لاقتحام ووترغيت.

وفي يوم الخميس، 22 حزيران / يونيو، أدلى نيكسون بأول تصريح علني مضلل عن ووترغيت، في أول مؤتمر صحفي عقده منذ حدوث

الاعتقالات. فأصرّ على أن «البيت الأبيض ليس له أي تورط في هذه الحادثة بالذات». ورفض أن يعطي أي مزيد من التعليق، كما قال، احتراماً للإجراءات القانونية الأصولية، لأن الشرطة ومكتب التحقيقات الاتحادي يحققون في القضية. ومع ذلك فإنه وأقرب مساعديه كانوا يبحثون في حيرة عن طريقة، «لإطفاء» مكتب التحقيقات الاتحادي.

إن تعليقات نيكسون، على مدى أشهر من التغطية والتعمية والكذب، ملتبسة ومثيرة للحيرة. فقد قال لهالدمان بعد أسبوعين من الاعتقالات: «إنك لا تستطيع التكتم على هذا الشيء يا بوب فالتكتم هو أسوأ شيء يمكن للمرء أن يعمله، أسوأ شيء، ثم يعقب على الأمر بعد ذلك بأسبوعين: «هناك شيئان كلٌّ منهما سيِّئ: الأول هو الكذب والثاني هو تغطية الأمور. . . فإذا قمت بالتستر، فسوف يتم ضبطك. . . وإذا كذبت فسوف تدان بتهمة الإدلاء بشهادة زور. . . ومن الناحية الأساسية، كان ذلك هو مجمل قضية هيس».

ويؤكد نيكسون بعد ذلك بعدة أسابيع: «إن **التستر** هو الذي يؤذيك، وليس القضية. فالتستر هو المؤذي» كما قال في محادثة مع كولسون. وعندما راحت الأزمة تشتد وتزداد عمقاً قال لكولسون معلقاً مرة أخرى: «إن التستر هو العنصر الأساسي». وعندما وافقه كولسون على ذلك أضاف: «يجب تقليل خسائري. إن خسائر الرئيس يجب تقليلها في قضية التستر».

كان نيكسون يعي جيداً أن التورط في التستر يمكن أن يطيح به. ومع ذلك فإن من الواضح بشكل قاطع، بالاستفادة من الوصول إلى الأشرطة التي تم الإفراج عنها بعد موته (سنة 1994)، أنه كان متواطئاً في مثل هذا الخداع منذ البداية نفسها. فهو متورط في صفحة بعد صفحة من المحتويات المستنسخة من تلك الأشرطة، أحياناً بشكل مباشر وأحياناً بالتلميح. وحتى بدون الأشرطة الجديدة، فإن مثل هذا الاستنتاج محتوم لا يمكن تجنبه من تسجيلات اجتماع مع هالدمان بعد أكثر من أسبوع من اعتقالات ووترغيت.

ففي يوم الجمعة، 23 حزيران / يونيو، علم هالدمان أن مكتب التحقيقات الاتحادي كان على بعد خطوة قصيرة فقط من اكتشاف كون لجنة إعادة انتخاب الرئيس هي مصدر الأموال النقدية التي عثر عليها مع اللصوص وفي غرفهم في الفندق. فأصبح من الضرورات العاجلة حقاً إيقاف تحقيق المكتب المذكور.

وفي النقاش مع نيكسون في صبيحة ذلك اليوم، اقترح هالدمان حلاً. وبما أن المكتب قد أثبت أن بعض الأموال المتورطة قد تم غسلها وتبييضها عن طريق مصرف مكسيكي، فقد راح المكتب يتساءل عما إذا كان قد عثر بالصدفة على عملية سرية لوكالة المخابرات المركزية. ولذا فإن من المؤكد تقريباً أن من الممكن إقناع المكتب بعدم متابعة الزاوية المكسيكية، أو بتغيير اتجاه تحقيقاته على الأقل إذا طلبت منه ذلك وكالة المخابرات المركزية. واقترح هالدمان أن يقوم هو وإيرليكمان باستدعاء مدير الوكالة ريتشارد هيلمز، ونائبه فيرنون والترز، المرتبط بنيكسون منذ زمن طويل، ويقنعاهما بتقديم ذلك الطلب.

واستجاب نيكسون لهذا الاقتراح لسد طريق العدالة: «حسناً، هذا جيد». ثم كرر هذه العبارة مرتين متلاحقتين ثم قال: «استدعهما أنت. جيد. هذا شيء جيد...» ثم في محادثتين أخريين في ذلك اليوم، شرع في تقديم أفكاره الخاصة به حول أفضل طريقة للضغط على وكالة المخابرات المركزية.

وعند هذه النقطة، كما ذكر آنفاً حثّ الرئيس معاونيه على تحذير هوارد هانت، كما أن من المحتمل أن «يفجر مسألة خليج الخنازير، مما نظن أنه سيكون من سوء حظ الوكالة وحظ البلد بشكل كبير»[8]. وبالطبع فإن أي فضح للعمليات السابقة المعادية لكاسترو، كان يمكن أن يأتي بسوء الحظ لنيكسون نفسه. وإن دراسة المحادثات المسجلة في ذلك اليوم قد تعكس ذلك. فهناك

(8) أنظر ص 169 وما يليها.

شريط تم فحصه نيابة عن المؤلف ست مرات، يظهر أن فيه ست مقاطع محذوفة من دون أي إيضاح أو تفسير لذلك الحذف[9].

وقد استدعي هيلمز ووالترز عصر ذلك اليوم. ونجحت تلك الخدعة في وقتها. فتدخلت الوكالة لدى المكتب، وتم تأجيل مقابلات أساسية هامة كان المكتب يعتزم إجراءها[10]. وسرعان ما قام هالدمان بإبلاغ نيكسون: «ليست هناك مشكلة». وهكذا اشترى الرئيس ورجاله تأجيلاً، ولكن بثمن هائل لا يمكن قياسه.

فقد لاحظ هالدمان بعد أيام: «إن الشيء الذي يقلقني في هذا الأمر هو أنه قنبلة موقوتة». ولقد كان كذلك حقاً، وكان نيكسون هو الذي جعله كذلك في أكثر من جانب.

(9) إن الشريط المذكور هنا هو عن محادثة بين نيكسون وهالدمان في 23 حزيران / يونيو، 1972 (المحادثة رقم 036 ـ 343 التي راقبها للمؤلف الباحثان جولي زيغلر وروبرت لامب).

(10) إن موقف ريتشارد هيلمز مدير المخابرات المركزية قد أقلق هيئة الادعاء في قضية ووترغيت ولم يُحَلّ حلاً مُرْضِياً على الإطلاق. فقد تدخل والترز بالفعل لدى مكتب التحقيقات الاتحادي، وأوقف المكتب مقابلاته في المكسيك حقاً، رغم أن الوكالة قد اعترفت بأنه لم يكن لديها مانع مشروع من أن تمضي تلك المقابلات قُدُماً. وبعد ذلك بأسبوعين فقط رفضت الوكالة طلباً للمكتب أن يدوّن لها اهتمامه خطياً، فتم استئناف عملية التحقيق. وقدر لهيلمز أن يدلي بشهادة في وقت لاحق قال فيها: «لم يكن لدي طريقة أعرف بها أنه كان مطلوباً مني أن أكذب». وزعم أنه مع والترز قد «أمسك بالخط» ضد مناشدة البيت الأبيض لهما بالمساعدة. وأنكر أنه قد أصدر تعليماته لوالترز بأن يطلب من مكتب التحقيقات الاتحادي أن لا يتجاوز التحقيقُ اللصوصَ الخمسةَ المعتقلين. غير أن هيلمز لم يفسر حتى الآن مذكرةً كتبها لوالترز في 28 حزيران / يونيو، 1972 وقال فيها: «إننا لا نزال متمسكين بطلبنا بأن يقتصروا على الأشخاص الخمسة المعتقلين أو الواقعين تحت الشبهة مباشرة، وأن يمتنعوا عن توسيع هذا التحقيق إلى مجالات أخرى يحتمل جداً أن تضرّ بعملياتنا». وفي رسالة إلى المؤلف سنة 2000 قال هيلمز: «لقد نبشت ذاكرتي نبشاً، ولكنني لا أجد شيئاً يوضح الأمر». إن ردود هيلمز غير قابلة للتصديق لأن الواقعة لها أهمية مركزية في دور الوكالة في فضيحة ووترغيت. (موقف هيلمز: أفضل مناقشة له عند بن ـ فينيست وفرامبتون، **الحائط الحجري**، طبع نيويورك: سيمون وشوستر، 1977، ص 72 وما يليها؛ وايز، الدولة البوليسية، مصدر سبق ذكره، ص 242 وما يليها؛ مذكرة: من ريتشارد هيلمز إلى نائب المدير، 28 حزيران / يونيو، 1972. اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب الأمريكي ـ التحقيق في اتهام الرئيس، الكتاب الثاني ص 459؛ «لقد نبشت»: رسالة هيلمز إلى المؤلف، 2 نيسان / إبريل سنة 2000).

ففي أول يوم عمل في المكتب بعد الاعتقالات في ووترغيت، شعر الرئيس بالقلق فترة قصيرة، بشأن الميكروفونات وأجهزة التسجيل الشغّالة بلا توقف في كوّة قريبة. وكان قد قال لهالدمان وهو غارق في التفكير، إن نظام التسجيل «يعقّد الأمور كلها». فأكد هالدمان له بأن الأشرطة مغلق عليها. . . وفي أمان كامل بل متفوق، ولا يعرف بأمرها سوى ثلاثة أشخاص. وهكذا انتهت لحظة القلق، وانتقل الحديث إلى أشياء أخرى.

وقدر لخمسة وعشرين شهراً أن تمرّ قبل أن يواجه نيكسونُ كلفةَ قوله: «هذا شيء جيد» لهالدمان. فمع افتضاح وجود نظام التسجيل وأمر المحكمة العليا إياه بتسليم الأشرطة الهامة، قدر لهاتين الكلمتين وحدهما أن تكونا هما الرصاصة في «المسدس المتصاعد منه الدخان»، (أي دليل الإدانة الحاسم القاطع) كانتا دليلاً على عرقلة الرئيس الإجرامية لسير العدالة.

وقدر للأشهر التالية أن لا تكون وقت أزمة سياسية فحسب، بل وانهيار شخصي كذلك.

وقدر للرئيس أن يستذكر أنه عندما وصلته أنباء الاعتقالات وهو في فلوريدا، كان «يحاول الحصول على الراحة بضعة أيام» بعد زيارته لموسكو. غير أنه كان قد عاد من روسيا قبل ذلك بأكثر من أسبوعين، منهما أسبوع تقريباً قضاه في كي بسكين وكامب ديفيد وفي تموز / يوليو (1972)، عندما أمضى ثلاثة أسابيع في سان كليمينت، عزا مساعدوه إرهاقه إلى رحلته إلى الصين قبل ذلك بأربعة **أشهر**.

كان نيكسون يظهر علامات متزايدة على حاجته إلى الراحة «حسب رواية شركائه الذين يرونه في لحظاته الخاصة»، كما ذكر أحد المراسلين الكبار، منتقياً كلماته بعناية. وتشير استذكارات اثنين من موظفي الشرطة السرية إلى أن ذلك الوصف كان أخفّ من الواقع. وذات مساء قُبَيْلَ أو بُعَيْدَ ذلك الاقتحام

المصيري، وفي إعادة لمغامرته الليلية الغريبة سنة 1970، قرر الرئيس فجأةً أنه يريد زيارة مبنى الكابيتول.

واستذكر كبير الموظفين المناوب، دنيس مكارثي، كيف خرج نيكسون من المدخل الدبلوماسي للبيت الأبيض، ثم «وقف يحدق في الخارج باتجاه نصب واشنطن التذكاري. وأخيراً فتحت الباب وقلت: «نحن مستعدون في أي وقت يا سيدي». . . وَبَدا أنه قد نسي لماذا كان ينتظر. . .». واتضح أنه كان ينتظر كلبه، وهو كلب صيد إيرلندي يدعى الملك طيماهو. فأركب الكلب إلى جانبه في الليموزين، وانطلقا باتجاه كابيتول هيل.

وكما كان الأمر سنة 1970، كانت أبواب مجلسي الكونغرس مغلقة ومحكمة الرتاج بمزاليج. فاضطر موظفو الشرطة السرية إلى استدعاء شرطي ليفتح البناية، ثم دخل نيكسون. ومرّ بالتماثيل الرخامية لرجال دولة من الغابرين، عبر القاعات المعتمة الإضاءة، في طريقه إلى المكتب الذي استخدمه عندما كان نائباً للرئيس. فلم يستطع أحد أن يعثر على مفتاح. وهكذا عاد الرئيس إلى البيت الأبيض صامتاً وهو يبدو غارقاً في التفكير.

وقد لاحظ هذا السلوكَ الغريبَ في تلك الفترة أيضاً، ضابط سابق في الفرع المرتدي للزي الرسمي من الشرطة السرية، في قسم الخدمة التنفيذية للحماية، واسمه لوكامبيل، فقال: «كنت أرى الرئيس خارج المكتب البيضاوي ومبنى المكتب التنفيذي. فكان لا يزيد على الجلوس هناك، والتحديق في الفضاء، من نصف ساعة إلى ثلاثة أرباع الساعة في كل مرة. وكان بوسعك أن تقطع التوتر بسكّين، من شدة تواجده بصلابة».

كان نيكسون في الغالب لطيفاً مع الذين يحرسونه. ولكنه كان يمكن أيضاً أن يصير كريهاً بشكل غير عقلاني. واستذكر كامبيل: «بعد ووترغيت تماماً، كان [الرئيس] خارجاً من المكتب البيضاوي نازلاً من على الدرج ليذهب إلى مبنى المكتب التنفيذي، وكنتُ واقفاً هناك. فمرّ بي ماشياً، ثم نظر إليّ في

وجهي مباشرة، فقلت: «مساء الخير يا سيدي الرئيس». ولو كانت النظرات تقتل، لكنت الآن ميتاً. لقد كان في نظرته غطرسة واحتقار رهيبان. وفي صباح اليوم التالي وصلت مذكرة موجهة إلى جميع موظفي الشرطة السرِّيَّة تقول: يجب عليكم أن تكفّوا عن مخاطبة الرئيس بأي شيء مثل «صباح الخير» أو «مساء الخير». أبقوا الاتصال إلى الحد الأدنى».

ومهما كانت حالته العاطفية ومشاغله الفكرية الأخرى، فقد ظلت يده تمسك بزمام الحملة الانتخابية بإحكام. لم يكن يريد لشيء أن يقف في طريق انتصار ساحق. وحتى اعتقالات ووترغيت لم تجعله يتوقف في ما يخص ذلك الهدف.

ورغم أنه يصعب تصور ذلك الآن، فإن ووترغيت لم تكد تحدث أي أثر يذكر في وعي عامة الناس طيلة شهور. وقدرت استطلاعات غالوب للرأي في خريف تلك السنة، أنه لم يسمع بالاقتحام سوى نصف عدد الناخبين. غير أن مراسلين شابين لصحيفة **الواشنطن بوست** هما، وود وورد وبرينشتاين كانا منهمكين في الحفر للوصول إلى الحقيقة. وكذلك كان جاك نيلسون من **لوس آنجيلوس تايمز**، وسيمور هيرش من **النيويورك تايمز** ـ فلم يحصلا أبداً على اعتراف كافٍ بعملهما في ووترغيت. غير أن معظم أجهزة الإعلام ظلت فاترة الهمة زمناً طويلاً.

وفي غضون أيام من الاعتقالات كان نيكسون قد قال: «في ما يتعلق برد فعل الناس، فإنني أعتقد أن البلد لا يقيم لهذا الأمر وزناً. . . فمعظم الناس في جميع أنحاء البلد يعتقدون أن هذا شيء روتيني رتيب، وأن الجميع يتنصتون على غيرهم جميعاً. . . ولن يهيج هذا الشيء الناس كثيراً. . . لأنهم لا يهتمون اهتماماً يذكر بالقمع والتنصت وكل ما إلى ذلك».

وظل يصرّ بعد ذلك بشهور أنه «بالنسبة للرجل العادي سواء أَفَعَلَ الجمهوريّون بالديموقراطيين الأفاعيل أم لا، فإن ذلك لا يعني أي شيء لعين

قطّ». وحتى بعد سنة كاملة، بينما كانت رئاسته آخذة في الغرق، ظل يسمي ووترغيت «ذرق دجاج».

وكما لا يعي إلاَّ قليلون، فإن التآمر الإجرامي قد استمر. فبعد أسبوعين فقط من الاعتقالات، ومرة أخرى في المكتب البيضاوي والأشرطة تدور، ناقش نيكسون مع كولسون مرتين اصطناع اقتحام لمقر قيادة حزبه الجمهوري نفسه، لجعل الناس يعتقدون أن الديمقراطيين مذنبون بمثل هذا النوع من الأفعال كالجمهوريين. وقال نيكسون: «ينبغي أن يكون هناك نهب... وملفات مفقودة، وشيء يبيِّن عملية تمزيق حيث يمكن التقاط الصور له»(11).

ولم يحدث مثل هذا الاقتحام المزيف. لكن ربما حدث شيء مثله. فبعد ثلاثة أشهر من ذلك الحين، فيما بدا أنه اقتحام لمكتب طبيب الرئيس في كاليفورنيا، الدكتور جون لانغرين، تم تجاهل الأموال النقدية، ولكن ملفاً يحتوي على سجلات مريضه نيكسون تُرِكَ مبعثراً على الأرض. ثم اتصل هالدمان وأحد مساعديه، بمكتب التحقيقات الاتحادي على أعلى المستويات خمس عشرة مرة، لحثّ المكتب على إصدار بيان صحافيّ عن القضية.

ورفض مساعد المدير، مارك فيلت، هذا الطلب. غير أن إلْحاحَ أتباع نيكسون وصل إلى درجة من الحدّة جعلت فيلت يشك في أن شخصاً ما في

---

(11) اعترف نيكسون في مذكراته أنه قد تحدث «بغضب محض» مع كولسون عن الوضع «فيما لو اقتحم أحد مقر قيادتنا وعاث فيه فساداً». كما اعترف بأنه ناقش مع هالدمان فكرة الرد على اتهامات الديموقراطيين لهم بالتنصت باتهام مضاد بأنه «تم التنصت علينا أيضاً، واحتمال أن نزرع جهاز تنصت ونعثر عليه بأنفسنا». ولقد كان الرئيس السابق يكتب على أمل أن يعتقد قراؤه أنه إنما يقدم لهم ثرثرة عابثة. ولكن مداولاته المستفيضة المسجلة على الأشرطة مع كولسون حول تلفيق عملية اقتحام مصطنعة لا تبدو كذلك. ومنذ سنة 1982، تكهن الصحافي رون روزنباوم بأن هذه المقاطع في مذكرات نيكسون كانت جهوداً منه بذلها «استباقاً للإفراج عن الأشرطة» لإيجاد تبريرات تبطل أثر المحادثات المسجلة الضارة بسمعته والمُدِينة له. وبالفعل فقد ظهر اقتراح الاقتحام الزائف المفتعل في شريط أفرج عنه في تشرين الثاني / نوفمبر سنة 1996 (المذكرات: **مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 637، 645؛ روزنباوم: **نيوريبابليك**، عدد 23 حزيران / يونيو، 1982؛ 1996: شريط البيت الأبيض المسجل في 1 تموز / يوليو، 1972، **إساءة استخدام السلطة**، ص 90؛ **الواشنطن بوست**، عدد 15 شباط / فبراير، 1997).

البيت الأبيض، كان يخشى من انكشاف خبر اقتحام مكتب طبيب إلسبرغ النفسي عاجلاً أو آجلاً، «فأراد أن يتسنى له أن يبيِّن أن الرئيس نيكسون قد وقع ضحية هذه الأساليب كذلك»[12].

وعلى صعيد أكثر جدِّية، فقد استمرَّت العمليات الخفية ضد الديمقراطيين ولاري أوبراين بلا انحسار، حتى بعد اعتقالات ووترغيت. واستذكر جيب مغرودر، مسؤول لجنة إعادة انتخاب الرئيس، أن هالدمان قد طلب منه «إدخال شخص ما إلى مقر قيادة ماكغفرن في تموز/يوليو، كي نتمكَّن من الحصول على جدوله مسبقاً في وقت أبكر مما يرد في البيان الصحافي... فحتى مع مشاكل الاقتحام، كانوا مستمرين في التحدث بهذه الطريقة».

وحسب رواية مدعي الولاية لمنطقة ميامي، ريتشارد غيرشتاين، فإن الانتهاكات قد ذهبت إلى ما هو أبعد بكثير من مجرَّد متابعة الجداول. إذْ أن مُحَقِّقيه قد استنتجوا أن فندق فونتنبلو، مقر المؤتمر الديمقراطي، قد زرعت فيه أجهزة التنصت من مركز استماع في بناية مجمع شقق قريبة. وكان قد تمَّ وضع أساس العملية على يد هوارد هانت قبل اعتقاله، وتم تنفيذها رغم اعتقاله.

وكان غيرشتاين وموظفوه، عاكفين على سبر الزوايا المحلية لووترغيت من البداية، لأن معظم اللصوص المقتحمين كانت قاعدة انطلاقهم ميامي. وقد تمَّ اقتحام مكتبهم نفسه في غضون أسابيع.

كما وقع اقتحام آخر في منزل روبرت شتراوس في تكساس، وهو من زمن لورانس أوبراين المقرّبين. وتم نهب محتويات المنزل. غير أن المجوهرات، تقدَّر أثمانها بألوف الدولارات لم تمس[13].

---

(12) كتب ريتشارد نيكسون في مذكراته أن كولسون قد «بلغ ذروة النشوة» بسبب اقتحام لونغرن وأراد أن يستخدم ذلك في الدعاية. وأن نظرات إيرليكمان بدا فيها خبث ماكر يدل على أنه «رتّب المسألة»، وأنه هو شخصيّاً قد أمر بالتحقيق في الواقعة. (مذكرات ريتشارد نيكسون، ص 713).

(13) كان شتراوس هدفاً لتنصت لجنة إعادة انتخاب الرئيس على هاتفه منذ وقت مبكر، في كانون =

وفي مفكرة هالدمان نص يدعو إلى «الاندفاع بحماس، ضد أوبـ [راين] ـ والآخرين» بناء على تعليمات من نيكسون في أواخر صيف عام 1972. وفي نحو ذلك الوقت نفسه قال نيكسون بصوت التقطته وسجلته ميكروفونات المكتب البيضاوي: «ماذا إذا كان كل شيء يجري عمله حول المرشح الديمقراطي؟ أقصد مثلاً في ما يخصّ [ضريبة] دخله، وفي ما يخص أوبراين، هل لدينا أي شيء آخر حول ذلك يا بوب؟...» أما بالنسبة لماكغفرن، فقد كان يأمل أن تكون لهذا المرشح الديمقراطي «قدمان من طين... إرفسه ثانية... واستمر في الضرب، الضرب، الضرب... وعن أوبراين... إذا استطعت تلطيخ أوبراين بالأوساخ».

وفي مطلع الخريف طالب نيكسون مساعديه: «احصلوا على كل ما تستطيعون، على أي قطعة من الفتات أو دليل يورط أي شخص. لا يهمني ذلك. أوبراين، أو أي سناتور آخر، أي شيء يورط ديمقراطياً... لعنة الله على هذا الأمر». وحاول مساعدوه بشدة، وحرَّضوا مصلحة الضرائب بشكل استفزازي غير قانوني، على الحصول على معلومات مالية مؤذية لأوبراين، الذي كان يقود حملة الحزب الديمقراطي آنذاك. وقد اعترف إيرليكمان فيما بعد: «كنت أريدهم أن يكتشفوا شيئاً ما، لإرساله إلى السجن قبل الانتخابات». ولم ينتج عن ذلك كله أي شيء؛ لقد كانت سجلات أوبراين نظيفة ومنتظمة.

وبعد الانتخابات وجه نيكسون موظفي علاقاته العامة، لإعداد حملة دعاية تشير إلى أنه قاد «واحدة من أنظف الحملات الانتخابية في التاريخ».

وفي خاتمة المطاف، ثبت أن جميع العمليات السرية كانت غير ضرورية. ذلك أنه عند منتصف تموز / يوليو لم يكن قد بقي هناك أي شك فيمن سيكون الرئيس القادم. فقد كان المؤتمر الديمقراطي حدثاً كارثياً عمَّته

= الثاني / يناير، 1972، عندما استمع ماكورد إلى مكالمة عن جمع الأموال عبر هاتف سيارة الديموقراطيين (ليدّي، مصدر سبق ذكره، ص 246).

الفوضى التي ضمنت تنفير أعداد هائلة من أعضاء الحزب. فقد أظهر البث التلفزيوني للمشاهدين انفجار الشباب الساخطين، والمدافعين عن الحريات السائدة الطراز ذوي النظريات المتوحشة: «حريات النساء»، وحرية الإجهاض، وحقوق مثليي الجنس، والمتشدّدين السود، وحرية تدخين الماريجوانا المخدرة. كانت الصورة التي رآها جمهور الناس هي صورة حزب وثقافة خرجا عن السيطرة.

وتضاءلت فرص ماكغفرن بالفوز أكثر من ذلك بعد المؤتمر، عندما تبين أن شريكه المرشح كنائب له، السناتور توماس إيغلتون، كان قد أدخل إلى المستشفى ثلاث مرات من أجل العناية النفسية، التي شملت معالجات بالصدمة الكهربائية بسبب إصابته بالاكتئاب. وتخلّى ماكغفرن عن إيغلتون في آخر الأمر، ولكن بعد مراوغات أضرَّت به. وكان ردّ فعل نيكسون، حسب روايته، رحيماً متعاطفاً. وقدر له فيما بعد أن يقتبس في مذكراته، عبارات من رسالة تعاطف مطولة كتبها بخط يده إلى ابن السناتور الذي تعرَّض للمهانة. ولعل الحقيقة كانت أكثر سوءاً أو رثاثة.

كان فرانك مانكيفيكز، مساعد ماكغفرن، قد سأل إيغلتون في وقت مبكر من الأزمة: «افرض أن تشاك كولسون لديه سجلات [الحالة النفسية] بين يديه، فسوف يخبر الرئيس. ولم يكن ذلك الاحتمال آنئذٍ سوى رعب متخيل، ولكنه ربما كان مُلِحّاً. ذلك أن «ذا الحنجرة العميقة»، الذي كان مصدر الأخبار الغامض المجهول لبوب وودوورد في **الواشنطن بوست**، قد أخبره أن فضح إيغلتون قد تورط فيه أتباع نيكسون من ذوي العمليات المكتومة[14].

(14) إن هوية «الحنجرة العميقة» تظل سرّاً. بل لقد تشكك البعض حتى في وجوده، ومنهم ديفيد أوبست، الوكيل الأدبي لكل من وودوورد بيرنشتاين، والذي عمل على نشر مؤلفاتهما عن ووترغيت. وقد أخبر أوبستُ مؤلفَ هذا الكتاب أن «الحنجرة العميقة» لم يظهر أبداً كشخصية في المسودة الأولى لمخطوطة كتاب **جميع رجال الرئيس**، وتكهن بأنه تم اختراع هذه الشخصية لجعل الكتاب مجدياً عند تصويره كفلمٍ سينمائي. وقال المؤلف دون ولف، الذي عمل في الفلم، أنه سمع وودوورد يخبر المخرج =

وكانت لجنة إعادة انتخاب الرئيس، قد زرعت عملياتها في معسكر ماكغفرن في المؤتمر الديمقراطي، وهو محقق سري خاص اعترف فيما بعد، بأنه قد استمع خلسة إلى مناقشة عن تاريخ إيغلتون الشخصي. كما كان هناك تقرير، في الواشنطن بوست ـ مرة أخرى ـ ، بأن سجلات السناتور الطبية كانت تحت يد جون إيرليكمان قبل وقت غير طويل من تسريبها للصحف.

ولقد باح آليكساندر بترفيلد، مساعد نيكسون، مؤخراً بسرّ: «لقد أسرّ لي بوب هالدمان بأن لديهم مادة ضد إيغلتون، هي معالجته بالصدمات الكهربائية. وكانوا فقط بانتظار إطلاقها، بانتظار الوقت المناسب. وكانوا يعرفون أنها متفجرة».

أما بالنسبة لتعاطف نيكسون الظاهري، فإن شريطاً مفرجاً عنه حديثاً، يشير إلى أنه في الوقت الذي كان فيه الخبر آخذاً بالانتشار، فإنه ناقش مع

= آلان باكولا أنه لم يكن هناك مصدر واحد وراء ذلك الاسم الرمزي التدليلي. غير أن وودوورد وبيرنشتاين كليهما قد أصرّا في مقابلات كثيرة على أن صاحب الحنجرة كان موجوداً فعلاً وأنه كان رجلاً له «حياته العملية» في الحكومة. وتشير الأدلة المتوفرة، إذا كانت دقيقة، إلى أنه كان مُدَخِّناً، وشارباً للويسكي، وكاشفاً للأسرار الشخصية والوقائع المثيرة. وحسب رواية بن برادلي، المحرر السابق **للواشنطن بوست**، فإن الاسم الشهير قد أعطاه إياه مدير تحرير الصحيفة، هوارد سيمونز ـ وكانت كلمة «عميقة» في لقبه تعني عمق خلفيّته، والشروط التي كان يقدم فيها المعلومات، وكانت تسمية «الحنجرة العميقة» على اسم الفلم الجنسي الذي يحمل ذلك العنوان، والذي بدأ عرضه في الصالات في حزيران / يونيو، 1972. والظاهر أن وودوورد وبيرنشتاين قد أشركا برادلي معهما في معرفة الهوية الحقيقية لمصدرهما، ولكنهما لم يشركا في ذلك السر أحداً آخر. وقال الصحافيان إنهما سيكونان حرّين في الكشف عن اسم ذلك الرجل بعد وفاته فقط ـ وقد أشار بيرنشتاين إلى أنه ما يزال على قيد الحياة في سنة 1999. (مقابلة مع أوبست: ديڤيد أوبست، **أفضل من أن يُنْسَى**، طبع نيويورك: جون وايلي، 1998، ص 240 وما يليها؛ مقابلات وولف: دون وولف؛ وودوورد وبيرنشتاين حول «الحنجرة»: مقابلة مع كارل بيرنشتاين، **تايم**، عدد 3 أيار / مايو 1976؛ «ووترغيت: القصة السرِّيَّة»، برنامج خاص بثّته شبكة كولومبيا الإذاعية (CBS)، 17 حزيران / يونيو، 1992، النسخة المنقولة عن محتواه، ص 13؛ مجلة **توداي**، عدد 17 حزيران / يونيو 1997، نسخة منقولة، ص 5؛ **الواشنطن بوست**، 1 تشرين الأول / أكتوبر، 1997؛ برادلي: بِنْ برادلي، **حياة طيبة**، ص سبق ذكره، ص 333، 365؛ البرنامج التلفزيوني: **التق بالصحافة**، 15 حزيران / يونيو، 1997، نسخة من نَصِّه، ص 25 وما يليها؛ صاحب «الحنجرة» حيّ في سنة 1999؟: **هارتفورد كورانت**، عدد 28 تموز / يوليو، 1999.

هالدمان أفضل طريقة لاستغلال تكشف حالة إيغلتون. فاتفق الرجلان على أن زرع مشاغبين في اجتماعات إيغلتون سيكون فكرة لطيفة، كي يلحُّوا في مضايقته باتهامه بعدم النزاهة.

وأما المؤتمر الجمهوري، في منتصف آب / أغسطس، فقد أعطى صورة هي عكس الخراب المهلهل، الذي أبرزه المؤتمر الديمقراطي تماماً. ولاحظ الصحافي والمساعد الجمهوري جيمس كانون، أن «كل شيء كان مبرمجاً ومجدولاً ومنظماً، ليس للوفود في القاعة فحسب، بل كذلك للخط الوسطيّ في أمريكا، لإعطاء شعور بالنظام في أمريكا، ووعد بالسلام في العالم. وقد وصل الجمهوريون متحدين، في تأييد قضية إعطاء نيكسون فترة رئاسة جديدة من أربعة أعوام».

فقد سار مؤتمرهم وفق نصّ خطة كتبها وأنتجها بوب هالدمان، ونفذها موظفون لطفاء ناعمون، يرتدون بذلات وربطات عنق زرقاء، ويحملون هواتف لاسلكية نقالة. وكان الشباب الواقفون باستعداد من نوعية تختلف كلياً، عن أولئك الذين احتشدوا في التجمع الديمقراطي. وقد امتدحهم إيرليكان باعتبارهم أشخاصاً «جاؤوا بشكل عفوي، وبصعوبة كبيرة أحياناً، من أجل دعم نيكسون». غير أن الحقيقة، هي أن لجنة من الحزب كانت قد قدمت مساعدة مالية من أجل إحضارهم. وكان هناك قائد أوركسترا ينظم أغانيهم.

فكان هناك جمهور قدر عدده بستين مليون أمريكي، تلقوا على شاشة التلفزيون سلسلة أفلام تعرض أعلى الجوانب وأفضلها في رئاسة نيكسون، من العظمة الباذخة في البيت الأبيض إلى اجتماعات القمة في بيجينغ وموسكو. وفي لحظة التتويج ظهر الرئيس نفسه وسط هالة انتصار على منصة، صممها المخرج الفني لبرنامج **لعبة المواعيد**، بينما أُقيمت أرضيتها لترتفع وتنخفض بكبسة زر لضمان عدم ظهور متكلِّم آخر أطول من نيكسون.

وفي خطاب قبول الترشيح قال نيكسون: «إنني أطلب من كل شخص

يستمع إليَّ الآن، من الديمقراطيين، والجمهوريين والمستقلين، أن ينضم إلى أغلبيتنا. . .» وكان من الواضح أن الأغلبية ستكون كثيفة. فقد أعطى استطلاع غالوب للرأي 64 بالمئة من الأصوات لنيكسون في أعقاب المؤتمر، في مقابل 30 بالمئة لماكغفرن.

وكان الانتخاب، عندما جاء، انزلاقاً أرضياً كما هو متوقع. فمن بين الناس الذين كانوا يصنِّفون أنفسهم ديمقراطيين، صوَّت أكثر من الثلث لمصلحة نيكسون، وهذا هروب ليس له سابقة في تاريخ أمريكا السياسي. وبالإضافة إلى ذلك، فقد كسب نيكسون حتى الجنوب، مع خروج جورج والاس من السباق. وفي الإحصاء الأخير، فاز بأكثر من 60 بالمئة من الأصوات الوطنية على مستوى البلاد كلها، أي أقلّ بنسبةٍ هامشيةٍ ضئيلةٍ من أغلبية ليندون جونسون الكاسحة قبل ذلك بثمانية أعوام.

غير أن النصر لم يكن مثيراً للإعجاب تماماً كما بدا لأول وهلة، إذ إن نصف الناخبين تقريباً قد اختاروا أن لا يقترعوا على الإطلاق. ولاحظ ثيودور وايت أن «الأمريكيين، الذين كانت قد خدّرتهم الكلمات، والعناوين الصحافية، والعروض التلفزيونية والتحليلات المتعارضة للباحثين عن كسب الأصوات، والمتحدثين بالهاتف، والإحصائيين، انطووا على أنفسهم، ببساطة». كما أن الناس انتخبوا كونغرساً ظلّ الجمهوريون فيه أقلية. وهذا عامل ثبت أنه محوري مركزي لنيكسون في المحنة التي كانت بانتظاره.

وبالنسبة لرجلٍ حصل على «التتويج» الذي طالما كان يتمناه، لم يكن نيكسون سعيداً ليلة انتخابه. بل لقد بدا «مشغول الفكر، صارم الجدِّيَّة بدلاً من أن يكون فرحاً مبتهجاً، بل كان حزيناً إلى حدٍّ ما» حسب رأي صحافي قابله بعد ساعات من فوزه، وهو يمشي وحده بالقرب من البيت الأبيض. كان التاج الذي يعلو أسنان الرئيس الأمامية منزوعاً منها، وقد عزا بعضُهم حزنَه إلى ذلك.

وأمضى نيكسون معظم ذلك المساء في غرفة جلوس لينكولن، يستمع

إلى **النصر في البحر**، ومعها بعض الموسيقى الكلاسيكية الخفيفة. وبعد ذلك، في الثانية صباحاً، كان في غرفته في مبنى المكتب التنفيذي، مختلياً بهالدمان وكولسون. فطلب نيكسون كأس ويسكي اسكتلندية بالصودا، وتجرعه دفعة واحدةٍ، وسرعان ما طلب كأساً آخر. وبدا هالدمان مكفهراً ويكاد يكون غاضباً. واعتقد كولسون أن «الصورة كانت مشوشة ينقصها التركيز. فإذا كان هذا هو النصر. فكيف عَسَىٰ أن يكون منظر هؤلاء الرجال الثلاثة في الهزيمة؟».

وبحلول اليوم التالي كان التجهم النكد قد انتشر. واستذكر كيسنجر: أن «الشعور الطيب قد تبدد في غضون اثنتي عشرة ساعة. وطُلِبَ من موظفي البيت الأبيض أن يجتمعوا في الحادية عشرة صباحاً في غرفة روزفلت. وفي الوقت المحدد خطا نيكسون إلى الداخل. ولم يظهر في سلوكه، أنه كان يلتقي بشركاء عاشوا معه أوقاتاً خطرةً وعصيبة. بل تصرف وكأنهم من ماضٍ مرّ وانتهى إلى غير رجعة».

ونطق الرئيس بضع كلماتٍ وغادر بسرعة، تاركاً هالدمان يعلن للموظفين أن عليهم ـ جميعاً ـ أن يقدموا استقالاتهم في الحال. وسرعان ما تلقى مجلس الوزراء التعليمات نفسها. ورغم أن بعضهم كان سيعاد تعيينه، والمفروض أن نيكسون، كان يريد أن يوجه إليهم صدمة قصيرة حادة من الطاقة الجديدة الطازجة، فلم يَرَ الأمر كذلك إلاَّ قليلون. فكيسنجر اعتقد أن تلك الحركة «مهينة. . . مذبحة سياسية»، منفذة بطريقة «تكاد تكون مسعورة».

وقضى نيكسون الجزء الأكبر من الشهر التالي، معتزلاً في كامب ديڤيد، يلتقي بالمعيّنين القدامى والجدد. وقد وجد كولسون الجوّ هناك «شيئاً منتزعاً تماماً من سنة 1984(*). . . كواحد من تلك المخابئ السرِّيَّة في أفلام جيمس

(*) إشارة إلى قصة بهذا العنوان ألفها جورج أورويل، (الاسم المستعار للكاتب الإنكليزي ريك بلير)، تصور كابوس العيش في ظل نظام شمولي قمعي رهيب فيه شرطة لمكافحة حرية الفكر. وقد نشرت هذه القصة سنة 1949: المترجم.

بوند، مخيف غريب». أما في البيت الأبيض، فقد سادت المرارة وتغلغلت في تلك الأثناء.

وفي كانون الأول / ديسمبر، شرع نيكسون في شن غارات على ڤيتنام الشمالية في عيد الميلاد، في محاولة وحشية أخيرة لإخراج الولايات المتحدة من الحرب. وكانت مستويات القوات الأمريكية في ڤيتنام الجنوبية، قد انخفضت إلى نحو خمسة وعشرين ألف جندي، ولم يكن سوى القليل منهم قوات مقاتلة. وكانت الإصابات الأمريكية هناك قد تناقصت إلى أعداد صغيرة جداً، وكان قد بدا في تشرين الأول / أكتوبر [1972]، أن هناك تسوية وشيكة. وكان كيسنجر قد أعلن بشكل مفاجئ ودراماتيكي، «إننا نعتقد أن السلام في متناول اليد»، وذلك قبل أسبوعين من موعد الانتخابات. أما بعد الانتخابات فقد كان هناك طريق مسدود مرة أخرى، إذ عاد الشمال إلى التشدد. وقام الرئيس الجنوبي ثيو بعناده، بإغلاق طريق الاتفاق الذي كان يعتقد أنه مميتٌ لنظامه.

غير أن نيكسون كان يريد حلاً قبل بداية رئاسته الثانية. «كان يريد عندئذٍ إنهاء الحرب بأية شروط تقريباً». حسب رواية هنري كيسنجر، الذي أضاف. . . «إن الڤيتناميين الشماليين ارتكبوا غلطة أساسية في التعامل مع نيكسون: فقد حشروه في زاوية. وليس نيكسون أخطر أبداً مما هو عليه عندما يبدو أنه لم تعد لديه خيارات».

وهكذا ردّ الرئيس بشنّ أعنف هجوم جوي في النزاع كله، وشرع فيه يوم الاثنين في 18 كانون الأول / ديسمبر. ولاحظ هالدمان في مفكرته: «يفضل الرئيس وأنا أن يتم القصف يوم الاثنين، إلاّ إذا كنتَ في الحقيقة تعتقد أننا بحاجة إلى أن نفعل ذلك يوم الأحد. فهو لم يحب فكرة حضور قداس الأحد بينما نحن منهمكون في القصف». وبغض النظر عن هذه الخشية المحلية، كان

نيكسون ـ كما لاحظ هالدمان ـ «يريد أن يظهر بمظهر الشخص الصلب على طول الخط». .

وهكذا قام أسطول ضخم من نحو مائتي طائرة من طراز ب 52 (B - 52) ـ أي أكثر من نصف القوة الاستراتيجية للسيطرة الجوية ـ بالطيران فيما يقرب من ثلاثة آلاف طلعة، لقصف هانوي وهايفونغ على مدار الساعة عملياً. وتجشم الڤيتناميون الشماليون خسائر خطيرة. ـ وتختلف تقديرات الضحايا والخسائر اختلافاً كبيراً ـ وأُسْقِطَت ستٌّ وعشرون طائرة. وفيما عدا فترة توقف سمح بها نيكسون في عيد الميلاد، استمر الهجوم طيلة اثني عشر يوماً.

وعند طلب إحضار القاذفات، قال نيكسون لرئيس هيئة الأركان المشتركة، إن الهجوم الجوي فرصة «لكسب الحرب». ولم تُكْتَسَب الحرب. ولكن ڤيتنام الشمالية، قبلت اتفاقاً مع الولايات المتحدة في غضون أسبوعين بعد ذلك، في وقت تصادف مع عيد ميلاده الستين. وقال نيكسون لكيسنجر عندما رفض ثيو، رئيس ڤيتنام الجنوبية، أن يتماشى مع ذلك الخط: «إن الوحشية ليست شيئاً. إنك لم تَرَ مِنْها شيئاً قطّ إذا لم يتوافق ابن العاهرة هذا معنا»، وسرعان ما لاَنَ ثيو، لأنه لم يكن يملك الخيار.

وهكذا تم توقيع اتفاقية حسب الأصول في أواخر كانون الثاني / يناير [1973]. وأخبر نيكسونُ الأمةَ بأنه قد تم تحقيق «السلام مع الشرف». وقدر للرئيس أن يستذكر أنه قد أبدى ملاحظة لكيسنجر قال فيها، «إن الاضطرار إلى خرق الاتفاق في غضون سنة أو سنتين، لن يترك لنا شيئاً نفخر به. . .».

ومع ذلك فإن هذا هو ما حدث بالضبط. وقَدَّمت تسويةُ نيكسون للڤيتناميين الشماليين بالمعنى الحقيقي، أكثر مما تم التنبؤ به في اتفاقيتي جنيف سنة 1954. ففي تلك السنة، وافق الشيوعيون على الانسحاب إلى الشمال. أما الاتفاقية التي قبلها نيكسون سنة 1973، فقد سمحت بالاحتفاظ بـ 148000 جندي ڤيتناميّ شمالي في الجنوب، مما شكل تهديداً خطيراً لسايغون منذ

البداية[15]. وقد اعترف في شيخوخته بأن ذلك كان «أكبر عيب» في الاتفاقية.

فقد بدأت هجمات الڤيتناميين الشماليين على الفور تقريباً؛ وهي هجمات قدر لها أن تتوج بالنصر الكامل على الجنوب، والمغادرة المذلة المخزية للأمريكيين الباقين في سايغون سنة 1975.

وظل نيكسون يصر حتى يوم وفاته على أن القوة العسكرية الأمريكية كان يمكن، بل يجب، استخدامها لإنقاذ النظام الڤيتنامي الجنوبي. وجادل في أن الهجمات الجديدة كان يمكن إيقافها بسرعة لو لم تكن رئاسته قد أضعفتها ووترغيت، ولو لم يضع الكونغرس «الغبي القصير النظر» نفسَه بصلابة، حائلاً دون المزيد من التورط العسكري. غير أن هذه الحجة لا تأخذ في الحسبان تصميم الشماليين الكامل على الانتصار.

وظل نيكسون يزعم في سنة 1992: «لقد كسبنا الحرب، ولكن خسرنا السلام». ولم يكن ذلك سوى لغو كلام، كزعمه أن الولايات المتحدة قد حققت «السلام مع الشرف في ڤيتنام». إن ما حققته غارات سنة 1972 في الواقع، هو شقّ طريق نجاة من محنة كانت، من وجهة النظر الأمريكية، قد توقفت عن أن تكون مجدية منذ زمن طويل.

كان القصف في موسم العطلات والأعياد، كما قال نيكسون: «هو أصعب قرار اتخذته أثناء الحرب بأكملها». وقد كتب في مفكرته: «أحسب أن كل القرارات صعبة، ولكن هذا القرار بالذات كان يفطر القلب».

---

(15) على عكس تسوية سنة 1973، التي سمحت لقوات ڤيتنام الشمالية أن تبقى في الجنوب، فإن اتفاق وقف إطلاق النار الموقع في جنيف [سنة 1954] قد نصّ على انسحاب الفيت مِنْهْ (حركة هوشي مينه الأصلية) من الجنوب، وانسحاب الفرنسيين من الشمال، ريثما تجرى انتخابات وطنية. (اتفاقية 1973: نفسها، ص 663 و665؛ كيسنجر: **سنوات البيت الأبيض**، مصدر سبق ذكره، ص 1347، 1391، 1469 وما يليها؛ نيكسون: **السلام الحقيقي**، مصدر سبق ذكره، ص 284؛ جنيف: كارنو، مصدر سبق ذكره، ص 220).

وكان الرئيس يفكر بونستون تشرشل أثناء هذه الفترة، وعشية عيد الميلاد، كان البند الداخل في مفكرته تشرشلياً بشكل إيجابي.

اليوم هو الرابع والعشرون من كانون الأول / ديسمبر سنة 1972 ـ كي بسكين ـ الساعة الرابعة صباحاً. إن الفكرة الرئيسية التي تخطر لي في ساعة الصباح المبكر هذه في اليوم السابق لعيد الميلاد، إضافة إلى الهمّ الطاغي بخصوص إنهاء الحرب، هي أن أتخلص من فكرة اعتبار المنصب عبئاً في أي وقت. . . أعتقد أن عبارة العبء المجيد هي أفضل وصف.

في هذا اليوم قبل عيد الميلاد، إن هدية الله العظيمة لي هي أن أمارس القيادة، ليس لأمريكا فحسب، بل على المسرح العالمي. . . إن هذا يفتتح في الحقيقة فترة جديدة، ويختتم هذا الشريط بتلك الفكرة ـ فترة تذكير نفسي على الدوام بعبء الرئاسة المجيد.

وفي غضون أشهر، في خطاب إلى الأمة، كان في حقيقته محاولة للتنصل بالكلام من ووترغيت، استخدم نيكسون الحملة الجوية في عيد الميلاد، كشعار أو راية لآلامه الشخصية: «محنتي الشخصية الرهيبة باستئناف قصف ڤيتنام الشمالية».

كانت محنته تحدث بشكل خصوصي حميم، على الأغلب في هدوء كي بسكين المشمسة. فلم يتصل هالدمان بالرئيس طيلة اثني عشر يوماً بكاملها، وهذه فجوة طويلة لم يسبق لها مثيل. فقد أخذ هو نفسُه عطلة قضاها في كاليفورنيا، كما فعل كبار الموظفين الآخرين، بما في ذلك هنري كيسنجر لفترة. وفي ما يتعلق بالصحافة، كما استذكرت هيلين توماس، مراسلة وكالة يونايتد بريس في البيت الأبيض، فإن الرئيس كان «مختبئاً». فلم يظهر علناً على الملأ طيلة أحد عشر يوماً. وكان يتفرج على كثير من مباريات كرة القدم على شاشة التلفزيون، وأخذ معه ستة أفلام سينمائية.

ولا يمكن معرفة حالة نيكسون في ذلك الوقت إلاّ بالحدس والتخمين. وقدر له أن يزعم أن صمته عن القصف، كان بسبب اهتمامه بعدم تعريض

المفاوضات للخطر. وقدر كيسنجر أن يكتب فيما بعد: «ولكنني أعتقد أنه كانت هناك أيضاً أسباب أخرى، أكثر تعقيداً. فقد كان نيكسون ما يزال عرضة لحالة نفسية من الانطواء، والعدوان العنيد الحرون ظلت مسيطرة على مزاجه منذ انتصاره الانتخابي».

وكان هناك آخرون لديهم تفسيرات أكثر إدانةً. فآنطوني لويس، في **النيويورك تايمز**، اتهم الرئيسَ بالتصرف «كطاغية مجنون». وقالت **الواشنطن بوست** إن ملايين الأمريكيين كانوا يتساءلون في عجب، عن «صحة رئيسهم العقلية نفسها». واعتَقَدَ السناتورُ الجمهوري وليام ساكسبي أن الرئيس «قد تخلى عن عقله في هذا الموضوع».

أما جيمس رستون في **النيويورك تايمز**، فقد أطلق على الهجوم بالقصف اسم «الحرب بنوبة غضب»، وربما بأدلة وجيهة. وأمّا زميله وليام بيتشر، المراسل العسكري لتلك الصحيفة، فقد أرسل تقريراً يقول فيه إن نيكسون كان ـ أثناء طلبه تجديد القصف ـ «يقذف بالأشياء على الحائط في سورة غضبه»[16].

وعلى العشاء في أول ليلة من الهجوم، تحدث نيكسون بلهجة مذهلة أمام رئيس هيئة الأركان المشتركة، الأميرال مُورَرْ، وهنري كيسنجر، وابنة تيدي روزفلت، آليس لونغوورث، وزوجته بات وابنته جولي، وكاتب العمود الصحافي ريتشارد ويلسون. واستذكر ويلسون قوله إنه «لا يهمه إذا اعتقد العالم كله أنه مجنون في استئناف القصف. بل إن من الأفضل أن يحدث ذلك. فقد يعتقد الروس والصينيون أنهم يتعاملون مع رجل مجنون، وهكذا فإن من الأفضل لهم أن يرغموا ڤيتنام الشمالية على الدخول في تسوية، قبل أن تنشب حرب أكبر تستهلك العالم. . .».

(16) كان بيتشر قد أرسل تقريراً في منتصف كانون الأول / ديسمبر ذكر فيه أن تجديد القصف كان يجري بحثه والنظر فيه، ولكن قصته وضعت على الرف لأن كيسنجر أخبر جيمس رستون برواية مختلفة للأحداث. (هيرش، ثمن السلطة، مصدر سبق ذكره، ص 622 وما يليها).

كانت تلك نظرية الرجل المجنون مرة أخرى، بعد أربع سنوات من أول اقتراح لنيكسون لتخويف الشيوعيين من الرجل الذي يضع «يده على الزر النووي»، والذي لا يمكن كبح جماحه «عندما يكون غاضباً»[17].

وقبل ذلك بشهرين، قبل الانزلاق الأرضي في الانتخابات الرئاسية في تشرين الثاني / نوفمبر (1972)، كان هالدمان قد أدخل بنداً لافتاً للنظر في مفكرته عقب لقاء مع الرئيس. فقد لاحظ أن نيكسون قد «طرح نقطة مثيرة للاهتمام، هي أننا بعد الانتخابات ستكون لدينا قوة رهيبة بدون ضوابط، أي أنه لن تكون هناك انتخابات مقبلة تدفعنا إلى ضبط أنفسنا».

وكان أحد البنود في جدول الأعمال هو الانتقام. فكان نيكسون قد قال لجون دين: «أريد أكثر الملاحظات شمولاً عن الذين حاولوا القضاء علينا... إنهم لم يكونوا مضطرين إلى ذلك... بل لقد طلبوا ذلك، وسوف يحصلون عليه... إننا لم نستعمل سلطتنا في السنوات الأربع الأولى... لم نستعملها على الإطلاق... أمّا الآن، فسوف تتغير الأشياء».

وكانت هناك أيضاً خطط ضخمة للمستقبل ومبالغ فيها. ففي أوائل كانون الأول / ديسمبر، أمر نيكسون، ببدء العمل فوراً في ثلاثة مشاريع سياسية. كان يريد أخاه إدوارد أن يرشح نفسه لعضوية الكونغرس في ولاية واشنطن، وأن يرشح إدوارد كوكس، زوج ابنته تريشيا، نفسَه عن ولاية نيويورك، وديڤيد آيزنهاور، زوج ابنته جولي، في بنسلفانيا. فهل كان يحاول أن يضاهي آل كيندي، ويؤسس لنفسه سلالةً خاصة به؟

(17) أنظر ص 625 وما يليها حول الأخبار الأولية عن نظرية الرجل المجنون. أما باري تول، المتخصص سابقاً في مخابرات عمليات الجيش الأمريكي، والواردة ذكرياته المباشرة من مسرح الأحداث في الفصل الثالث والثلاثين، فقد قال إنه علم من زملائه أن نيكسون ـ بعد أن شرب خمراً أو استعمل مسكنات، كما قيل ـ قد أصدر أوامره بتوجيه ضربة نووية أثناء هجوم عيد الميلاد سنة 1972. فتجاهله القادة العسكريون، حسب رواية تول. وكان تول هو نقل عن جورج كارڤر، أعلى مختص بشؤون ڤيتنام في وكالة المخابرات المركزية أنه أطلق مزاعم مماثلة عن سلوك نيكسون عندما أسقطت كوريا الشمالية طائرة أمريكية في سنة 1969 (أنظر ص 771).

وأثناء عطلة عيد الميلاد، التقى جون دين على الغداء مع جيروم زيغمان، المستشار الرئيسي للّجنة القضائية التابعة لمجلس النواب، فاستعلم منه دين عن رأيه في فرص نيكسون، لإقناع الكونغرس بإلغاء تحديد الفترتين كحد أقصى لشغل منصب الرئاسة؟ فردّ زيغمان: «إنني أتساءل أحياناً عما إذا كان رئيسك مخبولاً».

وكان هيو سايدي، في مجلة **لايف**، حجة في شؤون الرئاسة، فذكر أن نيكسون قد ذهب بعد الانتخابات «إلى قمة الجبل في كامب ديڤيد، وقرأ آرنولد توينبي [المؤرخ البريطاني المعروف] بحثاً عن أفكار لحمل إدارته إلى ارتفاعات أعلى. واستغرق في التفكير في طريقة لشن حملة لإلغاء التعديل الثاني والعشرين، كي يرشح نفسه لفترة رئاسة ثالثة».

وقدر لجب مغرودر أن يكتب، أن نيكسون إذا لم ينجح في تمديد رئاسته، فإنه ينوي «السيطرة على الفرع التنفيذي من الحكومة بإقامة (رئاسة دائمة). لقد كان مقتنعاً بأن نوعية إدارته، هي أفضل للبلد من أي شيء يقدر الديموقراطيون على تقديمه، إلى درجة أنه أراد أن يكون قادراً على انتقاء خلفائه».

وكان خليفته المختار، كما أخبر أناساً كثيرين، هو حاكم تكساس السابق، جون كونالي[18]. ذلك أنه كان يأمل أنه إذا وضع كونالي في البيت الأبيض، سيحتفظ هو بالسيطرة على السياسة الخارجية.

غير أن مثل هذه الآمال العظمى، كانت تتخللها بوادر قلق. وعندما استدعى نيكسون جيمس كيوف، ليناقش تعيينه كمدير لوكالة إعلام الولايات المتحدة، استذكر كيوف: «في المكتب البيضاوي في كانون الأول / ديسمبر

---

(18) كان كونالي، وهو ديموقراطي قيادي، قد عمل تحت رئاسة نيكسون كوزير للخزانة في النصف الثاني من رئاسته الأولى، وأسس حركة الديموقراطيين من أجل نيكسون، وصار فيما بعد مستشاراً للرئيس في الشؤون المحلية والخارجية.

سنة 1972، شاهدتُ رجلاً شديد القلق والاضطراب. وقد غادرت المكتب وأنا قلق عليه لأنني شاهدت مدى اعتكاره. . . كان رجلاً بصيراً يدرك سلفاً مدى وعورة الطريق الممتد أمامه».

كانت مخاوف الرئيس، مثل مخاوف سميّه الملك ريتشارد الثالث، الذي حكم إنكلترا سنتين مليئتين بالمآسي والدماء والأطماع والمؤامرات، (1483 ـ 1485) في القرن الخامس عشر، وهي مخاوف تثيرها الأحلام والإرهاصات والنذر. ولقد تذكر إيرليكمان أن «رعشة من الخوف ـ هاجس؟ ـ قد اجتاحت الناس المحيطين بالرئيس. . . كان يتلقى رسائل عن طريق روز وودز، من بيلي غراهام وجين دكسون، من بين آخرين، بأن حياته في خطر. . . لقد أقلقه العرّافون».

ومنذ وقت مبكر، بعد شهر فقط من اعتقالات ووترغيت، رأى نيكسون نفسُه المستقبلَ في لمحة خاطفة فاستدار مبتعداً. إذ يتضح من شريط مفرج عنه حديثاً، أنه أسرّ إلى هالدمان حديثاً قال فيه: «رأيت حلماً غريباً ليلة أمس. سيكون الأمر مقرفاً مؤذياً لبضعة أيام. لا أستطيع أن أصدق ذلك ـ إننا نصفّر في الظلام ـ [تعبير مجازي عن خوف الإنسان الذي يحاول أن يؤنس وحشته في الليل بالصفير] ولكنني لا أستطيع أن أصدق أنهم قادرون على إلصاق هذا الشيء بي. . . ».



32

لقد بقينا سابقين للشريف بخطوة واحدة...

وهذا ما نفعله الآن

الرئيس نيكسون، بعد انفجار ووترغيت فوق رأسه بكل قوتها
في نيسان | أبريل سنة 1973

لم يكن الجو ماطراً وقت الاستعراض الافتتاحي، ولكن النهار كان بارداً ورطباً. وأعلن نيكسون في خطاب بدء ولايته الثانية: «سنكون مسؤولين أمام الله، والتاريخ، وضميرنا عن الطريقة التي نستخدم بها هذه السنوات». كان يبدو متفائلاً مبتهجاً. وكان موضوع خطابه هو الانتصار.

وعزفت فرقة أوركسترا فيلادلفيا، سمفونية بيتهوفن الخامسة في حفاوتها الاحتفالية المتناغمة، بحركاتها الأربع الأولى، التي تمثل رمز مورس لحرف V كما هو وارد في كلمة Victory ـ أي النصر ـ. واختتمت، بناء على طلب شخصي من الرئيس، بأصوات الأجراس ونقرات الطبل وقنابل المدافع في **الافتتاحية 1812**.

وفي مساء يوم الافتتاح، نزل نيكسون إلى أرض الصالات في الحفلات الخمس كلها، فأذهل الجميع. وكان هناك وعد في كلمات أغنية كُتِبت لهذه المناسبة: «إن يوماً رائعاً مقبل للولايات المتحدة الرائعة». ورقص الرئيس مع بات على أنغام أغنية تقول: «سيظن الناس أننا عاشقان».

على أن النغمة التحتية الكامنة كانت أقل بهجة. فقد استذكر نيكسون عن

حفلة أداء القسم: «لم تقبلني بات. وأنا سعيد لأنها لم تفعل. وأعتقد أحياناً أن مثل هذا الكشف عن العواطف، هو في محله المناسب إلى حد كبير. . . غير أنني في أحيان أخرى لا أرى أنها مناسبة تماماً». أمّا روبرت بورك، الذي كان سيصبح محامياً عاماً بعد ذلك بوقت قصير، فقد اعتقد أن بات كانت تكتم حزناً عميقاً في ذلك اليوم، فقد كان وجهها «قناعاً للموت».

وعندما راحت ليموزينات الرئاسة تنساب في طريقها على شارع بنسلڤانيا الظليل، أزالَ رجال الشرطة السرية القاذورات التي ألقى بها الجمهور. وفيما بعد، زمجر نيكسون قائلاً لجون دين: «اخترق شخص أحمق صفوف رجال الشرطة على الطريق وهجم على سيارتي. أريد أن تلاحقوا ذلك النغل قانونياً. هل تفهم؟» وعندما قيل لدين إن ذلك الرجل لم يكن مؤذياً، لم يفعل شيئاً.

وقد تفرجت على الموكب، مجموعةٌ من المشاهدين من نقطة متميزة غير عادية. كان أولئك هم المحلفون في قضية اقتحام ووترغيت، وهم منعزلون في خلوتهم في مقر محكمة المقاطعة الأمريكية، فراحوا يطلون على الموكب من نافذة مزخرفة.

وحتى ذلك الحين، كان اللصوص ـ الذين سيدانون بعد وقت قصير ـ قد أبقوا أفواههم كلها مغلقة. غير أن أحدهم، وهو خبير الإليكترونيات جيمس ماكورد، الذي كان يعمل عند لجنة إعادة انتخاب الرئيس، كان يفكر مليّاً في قرار متفجر. وهكذا فإنه أخبر القاضي أن تزويراً قد ارتكب أثناء المحاكمة، وأن زملاءه ظلوا صامتين بسبب «الضغط السياسي»[1].

---

(1) فعل ماكورد ذلك في رسالة إلى القاضي جون سيريكا، قُرِئَتْ بصوتٍ عال في المحكمة في 23 آذار / مارس 1973، فأحدثت ضجة مثيرة عظيمة الأثر على تحقيقات مجلس الشيوخ. ولقد أصبح من أشد الأمور وضوحاً أن ماكورد راح يشكل خطراً جدياً على البيت الأبيض يوم 28 كانون الأول / ديسمبر، 1972، عندما كتب إلى جون كولفيلد أنه «إذا ألقيت مسؤولية عملية ووترغيت على كاهل وكالة المخابرات المركزية، حيث ليس مكانها هناك، فإن كل شجرة في الغابة سوف تسقط. . . وإذا كانوا يريدونها أن تنفجر، فإنهم سائرون على الطريق الصحيح المؤدي إلى ذلك تماماً». (رسالة إلى =

كان من المكونات الهامة التي أخضعتهم للسيطرة، أموال رشوة دفعت لشراء سكوتهم. وتم دفعها أول الأمر في غضون أسابيع من الاقتحام. إذْ سرّبها هربرت كالمباخ، محامي نيكسون الشخصي، إلى واحد من موظفي الشرطة السرية في البيت الأبيض، ومنه إلى اللصوص. وكان ذلك المحقق السري هو طوني أولاسيڤيكس، الذي قام بنقل الأموال بأسلوب القصص البوليسية المحشوة بالمتغيرات القياسية، مستخدماً أسماء شيفرة رمزية في الاتصالات. وكان هانت هو «الكاتب»، وزملاؤه اللصوص هم «الشخصيات»، والمال هو «النّص». فكان أولاسيڤيكس يحشو ظرفاً بمبلغ خمسة وعشرين ألف دولار، ويخبئه في حجيرة هاتف عمومي قريب حتى يتم التقاطه بسلام. وترك أربعين ألف دولار في خزانة أمانات بمطار، وألصق مفتاحها بشريط تحت حافة إفريز. وهكذا تم دفع أكثر من أربعمئة ألف دولار ـ أي ما يزيد على مليون ونصف مليون دولار بأسعار هذه الأيام ـ في الأشهر الثمانية الأولى التي أعقبت الاعتقالات.

وحتى سنة 1990، ظل نيكسون يزعم أن الفكرة القائلة بأنه «هو شخصياً قد أمر» بدفع أموال السكوت هذه هي «أسطورة». وأثناء رئاسته، أكد بصورة قاطعة أنه لم يعرف شيئاً عن هذه الدفعات حتى منتصف آذار / مارس سنة 1973[2]. ولكن ادعاءاته لم تكن صحيحة، كما يُظْهِرُ حوارٌ موثق على شريط

= سيريكا: إيمري، مصدر سبق ذكره، ص 269 وما يليها؛ «كل شجرة»: لجنة مجلس النواب للشؤون القضائية، الكتاب الثالث، ص 40).

(2) في 21 آذار / مارس، 1973 التقى مستشار البيت الأبيض جون دين مع نيكسون في الاجتماع الذي صار شهيراً الآن والذي قال له فيه إن ووترغيت صارت «سرطاناً على الرئاسة»، وأن أموالاً تم دفعها للمتهمين بالسرقة، وستكون هناك حاجة لأموال أكثر بكثير. ولقد قال نيكسون فيما بعد أنه وجد تلك المعلومات «محزنة». غير أن الشريط المسجلة عليه تلك المحادثة ليس فيه أثر يدل على أنها جاءت كمفاجأة أو أنه وجدها مفزعة (شريط البيت الأبيض المسجل في 21 آذار / مارس، 1973، المهيأ على يد لجنة مجلس النواب للشؤون القضائية: مجموعة التسجيل، النسخة المكتوبة، ص 460، هيئة الادعاء الخاص بووترغيت، المحفوظات الوطنية. وأنظر بن فينيست وفرامبتون، مصدر سبق ذكره، ص 200 وما يليها؛ «محزنة»: خطاب ريتشارد نيكسون في 15 آب / أغسطس 1973، دروسمان ونابمان كمحررين، مصدر سبق ذكره، المجلد الثاني، ص 42، وأنظر بن فينيست وفرامبتون، ص 201).

مسجل أفرج عنه حديثاً، يعود تاريخه إلى ما بعد ستة أسابيع فقط من اعتقالات ووترغيت [التي حدثت في 17/ 6/ 1972].

هالدمان: يستحق الأمر عملاً كثيراً لمنع هذا الشيء من الانفجار.

الرئيس: آه، يا ويلي، نعم...

هالدمان: ... إن الجميع راضون الآن. فكلهم خارج السجن. فقد تم الاعتناء بهم جميعاً. لقد قمنا بكثير من التدقيق السري الهادئ، للتأكد من عدم وجود سخط في صفوفهم، وليس هناك أي شخص... وهانت سعيد ومسرور.

الرئيس نيكسون: بكلفة كبيرة، كما أظن؟

هالدمان: نعم.

الرئيس نيكسون: إن الأمر يستحق ذلك.

هالدمان: إنه شيء غالٍ جداً. فهو باهظ...

الرئيس نيكسون: حسناً... كان يجب الدفع لهم. فهذا كل ما في الأمر.

وهناك شريط آخر، لم يكن معروفاً كذلك أثناء تحقيقات ووترغيت، يثبت الجريمة بطريقة مساوية لما ذكر أعلاه. ففي حوار مع كولسون في كانون الثاني / يناير سنة 1973، يصرخ نيكسون ساخطاً: «أموال السكوت اللعينة، كيف سنستطيع... كيف نحصل على هذا الشيء؟».

والواقع أن الحصول عليه لم يكن مشكلة. ففيما بعد، عندما أخبره جون دين أن الدفعات الإضافية من أموال السكوت قد تصل إلى مليون دولار، كان جوابه: «نستطيع تدبير ذلك... ويمكنك الحصول على المبلغ نقداً. أنا أعرف من أين يمكن الحصول عليه... ليس ذلك مشكلة... يمكن تدبير الأموال».

وتشير الأشرطة إلى أن كمية كبيرة من المال، قد جاءت من المليونير الإغريقي ـ الأمريكي توماس باباس. وقد تناقش نيكسون وهالدمان في مدى الملاءمة المريحة، لكون باباس «قادراً على التعامل بالأموال النقدية السائلة». ولإرضاء ذلك الثري الكبير، وافق الرئيس بمرح على إبقاء السفير الأمريكي،

المتعاطف مع الدكتاتورية اليونانية في آثينا. ومع ذلك ظل نيكسون قلقاً من احتمال انكشاف دور باباس، لأن افتضاح أمر باباس قد يجرّ بدوره إلى فضح التمويل غير القانوني، الذي كان نيكسون قد تلقاه من نظام العقداء اليونانيين في سنة 1968[3].

وبينما كان الرئيس يتلوّى ليتملّص من صنارة ووترغيت، راح يشير تكراراً إلى واقعة موحلة أخرى، هي التخريب الجمهوري لمحادثات السلام الفيتنامية سنة 1968. إذ تشير الأشرطة المسجلة إلى أنه كان يشير مرة بعد مرة إلى حقيقة ـ أو ما كان هو في الأصل يعتقد أنه حقيقة ـ أن الرئيس جونسون كان قد ركّب أجهزة تنصت في طائرة حملته عشية الانتخابات.

واستشهد نيكسون بما كان قد قاله له هوفر، رئيس مكتب التحقيقات الاتحادي، فزعم أن: «جونسون كان مطلعاً على كل محادثة أجريتها. . . هل تعرف أين كانت أجهزة التنصت في [طائرتي]؟ كانت مركّبة في غرفة القيادة. وهكذا حصل جونسون على كل محادثة قمت بها على مدى أسبوعين[4]». وقد

(3) أنظر ص 601 وما يليها.

(4) إشارة إلى ادعاء هوفر، أنظر ص 314. في مقابلة أجريت سنة 1996 قال كارتا دي لوتش، مساعد مدير مكتب التحقيقات الاتحادي إن طائرة نيكسون لم تكن فيها أجهزة تنصت سنة 1968، وأكد أن «جونسون لم يأمر بأي شيء من هذا القبيل. ومن ناحية الخصائص الإليكترونية لم يكن من الممكن الحصول على أي شيء من جهاز تنصت على طائرة». وقال دي لوتش إن الاستطلاع الذي أمر به جونسون فعلاً كان مقتصراً على تغطية السفارة الفيتنامية، وآناشينو، ومتابعة المكالمات التي يجريها فريق آغنيو في آلبوكيرك. فلماذا يخبر هوفرُ نيكسونَ إذن بأن جونسون قد أمر بزرع أجهزة تنصت في طائرته؟ وقد زعم دي لوتش في مذكراته المنشورة سنة 1995 أن المدير لم يفعل سوى «تزويق» الحقائق. وأضاف أنه قد علم فيما بعد أن نيكسون نفسه كان يعرف أن تلك التهمة مزورة. والواقع أن الأشرطة تكشف أن هالدمان عندما أُعلِمَ بأن الاستطلاع الوحيد الذي أجراه مكتب التحقيقات الاتحادي ضد حملة الجمهوريين هو التدقيق في سجلات الهاتف، أَطْلَعَ نيكسون على هذه الحقيقة. وقد اقترح أن تكون الخطوة التالية هي «تشويه» القضية، فوافقه نيكسون على ذلك. غير أن نيكسون ظل يتحدث حتى آخر حياته وكأنه يصدق أن طائرته كانت مزروعة بأجهزة تنصت. (دي لوتش: مقابلات مع دي لوتش أجراها غاس روسو سنة 1996 وأشرك المؤلف في الاطلاع عليها، دي لوتش، مصدر سبق ذكره، ص 407؛ اكتشاف هالدمان: شريط البيت الأبيض المسجل في 22 آذار / مارس، 1973، المحادثة رقم 020 ـ 422، هيئة الادعاء الخاص لووترغيت، المحفوظات الوطنية؛ نيكسون حتى آخر حياته: كراولي، **بعيداً عن السجلات**، مصدر سبق ذكره، ص 17.

حاول نيكسون مرتين قبل انتخابات سنة 1972، ومرة أخرى في أوائل سنة 1973، أن يحصل على برهان على ذلك التنصت المزعوم. ويبدو أنه كان يأمل أنه إذا تسلّح بمثل هذا البرهان، فإمّا أن يفضحه في الصحف، أو يضغط به سرّاً على الديموقراطيين، كي يوقفوا تحقيقات ووترغيت.

فحاول أول الأمر أن يحصل على معلومات من جونسون عن طريق جورج كريستيان، المساعد السابق الذي انقلب وصار بعدئذ يفضل الجمهوريين. فردّ جونسون بطريقة تصالحية، وأنكر التنصت المزعوم، مشيراً إلى أن من الأفضل، إبقاء الأمر مستوراً بخصوص ما فعله أي من الجانبين في سنة 1968.

وفي أوائل سنة 1973، بينما كانت ووترغيت تتحول إلى تهديد متزايد باطراد، حاول نيكسون أن يقترب من جونسون، حول الموضوع من خلال كارثا «ديك» دي لوش، مساعد هوفر السابق الذي كان قد تعامل شخصياً مع أمر جونسون، بالتحقيق في عملية تخريب المبادرة السلمية في ڤيتنام سنة 1968. وفي هذه المرة كان رد الرئيس السابق مقتضباً وفظاً، ومحتوياً على تحذير، كما يتضح بجلاء من مفكرة هالدمان: «لقد استشاط ليندون بينز جونسون غضباً، واتصل بدي لوش وقال له إنه إذا استمر هؤلاء الناس باللعب بهذا الأمر، تهديد مباشر بأن يفرج عن برقية تم رصدها من السفارة الڤيتنامية بواشنطن إلى سايغون تقول، إن جانبنا يطلب عمل أشياء معينة. . .».

وفي هذا البند من المفكرة يتوسع هالدمان في ملاحظاته، فيكرر أن ذلك كان «تهديداً مباشراً من جونسون». فقد كان في نية جونسون، إذا استمر نيكسون في تحقيقاته، أن ينشر نصّ برقية مرسلة في تشرين الأول / أكتوبر سنة 1968، من السفارة الڤيتنامية الجنوبية في واشنطن إلى الرئيس ثيو في سايغون،

وعلمت بها المخابرات الأمريكية والتقطتها. وفيها رسالة توضح، أن الجانب النيكسوني قد حرّض ثيو على مقاطعة محادثات السلام[5].

كان التهديد بفضح ذلك الأمر جدياً وخطيراً، ولكنه أصبح غير ذي بال عندما مات جونسون بعد ذلك بأسبوعين، وبعد ذلك بشهر، عندما كان إيرليكمان يبحث عن طرق لتثبيط تحقيقات الكونغرس، عاد نيكسون إلى فكرة استخدام التنصت الديموقراطي المزعوم لشن هجوم معاكس. ولكن أوان ذلك كان قد فات.

كان موظفو اللجنة المصرفية التابعة لمجلس النواب، يتعقبون مصادر النقود التي عثر عليها مع اللصوص، المقتحمين لووترغيت في غضون أيام من اعتقالهم. وتحت إشراف رايت باتمان، رئيس اللجنة البالغ من العمر تسعة وسبعين سنة، كانوا قد حققوا تقدماً سريعاً. وخشي نيكسون أن تضرّه اكتشافاتهم قبل الانتخابات، فطالبَ أعضاءَ الكونغرس الجمهوريين، ومن بينهم «شخص ذكي جداً» يدعى جيرالد فورد، بأن «ينهضوا من على أدبارهم» ويوقفوا اللجنةَ المصرفية. ولقد تم إيقاف التحقيق فعلاً، ولكن ليس من قِبَلِ أصوات الجمهوريين المتوقعة، ولكن ـ بصورة غامضة ـ من قِبَل ستة ديموقراطيين كان باتمان يتوقع منهم الدعم. وكان هناك شكٌّ في أن البيت الأبيض نشط من وراء الكواليس، بما في ذلك تقديم الرشاوى، غير أن ذلك لم يتم إثباته قَطّ.

---

(5) أنظر ص 297 وما يليها. وحسب رواية موظفة سابقة متخصصة في المحفوظات الوطنية، فقد ظل نيكسون حتى في شيخوخته يبذل كل ما في وسعه لمنع الإفراج عن السجلات الخاصة بالموضوع. وكانت الجمل الرئيسية في مفكرة هالدمان عن البند الذي يتحدث عن تهديد جونسون هي المقاطع الوحيدة التي خضعت للحذف والرقابة عند نشر **مذكرات هالدمان** سنة 1994. ولم يتم الإفراج عن النص الكامل إلاّ في سنة 1999، أي أثناء عملية تأليف هذا الكتاب. (الموظفة المتخصصة بالمحفوظات: «آخر ضحية لووترغيت: رحلة عبر مَطْهَر المحفوظات والجحيم»، بقلم مارجا كْرَاسْتِنْ، نسخة مستوفاة من مسودة مقدمة للمحفوظات الوطنية والمحامي في القضية المدنية رقم NHJ - 662 - 92، قدمتها للمؤلف الآنسة كراستن؛ الرقابة: البند الخاص بيوم 12 كانون الثاني / يناير، 1973 في **مذكرات هالدمان**، ص 567، وأنظر ستيفن آمبروز، مقدمة **لمذكرات هالدمان**، ص 11).

وبدا لفترة قصيرة أن **الواشنطن بوست**، التي ظلت تحفر بلا كلل في قصة ووترغيت، هي كل ما بقي لنيكسون كي يخشاه. وزمجر الرئيس بأن **البوست** «ستواجه مشاكل لعينة، لعينة». وراح بيب ريبوزو ومؤيدون آخرون لنيكسون، يتآمرون لضمان إفقاد تلك الصحيفة امتيازاتها التلفزيونية النفيسة في ولاية فلوريدا. أما ناشرة الجريدة وصاحبتها، كاترين غراهام، فكانت (كما قال جون ميتشل في محادثة ليلية متأخرة مع كارل برينشتاين) «ستقع حلمة ثديها بين فكّي عصّارة كبيرة سمينة. . .» وسرعان ما كانت السيدة غراهام تزين عنقها بنموذج صغير من عصارة ملابس، وثدي صغير مصنوع من الفضة. واستمرت **البوست** في تحقيقاتها بلا خوف ولا وجل.

وفي تلك الأثناء، كان السناتور إدوارد كيندي ولجنته القضائية الفرعية، قد شرعوا في إجراء تحقيق أولي بووترغيت في مجلس الشيوخ، فيما أسماه «عملية سطو»، فقال لبرينشتاين: «إنني أعرف الناس المحيطين بنيكسون، إنهم سفّاكون».

وبعد الانتخابات اجتمع اثنان من الشيوخ القدامى، هما زعيم الأغلبية، مايك مانسفيلد، وكان في السبعين، والسناتور سام إيرفن، وكان في السابعة والسبعين، كي يناقشا ما الذي يمكن عمله، بل ما الذي يجب عمله. ثم أعلن مانسفيلد أنه سيطلب من إيرفن أن يشكل لجنة خاصة للتحقيق.

وحالما بدأ التحقيق، قال نيكسون لإيرليكمان: «لا أرى كيف يستطيع مجلس الشيوخ أن يدمّرنا. وتبين أشرطة مفرج عنها حديثاً أنه كان ينتقص من قدر إيرفن، ويصفه بأنه «ضرطة قديمة» و«براز عتيق خرِف» و«غير وطني» و«دُبُرٌ جنوبي مبتذل» و«دُبُرٌ عجوز». وبرغم فكّيه المرتجفين وحاجبيه المتطايرين إلى الأعلى، فقد أثبت ذلك السناتور في الحقيقة أنه شديد الفاعلية. وفي زمنٍ من الفوضى، كان يبدو صخرة من الإنصاف والحفاظ على الأخلاق بطرازها القديم.

واستنتج نيكسون بسرعة أن كبير الشيوخ الجمهوريين في اللجنة، هوارد بيكر، كان «خارج الحظيرة»، وليس لديه استعداد كافٍ للقتال إلى جانب الرئيس وفي صفّه. فقال بلهجة انتقامية: «قد لا يدرك بيكر أنه بوقوفه في الجانب المعادي سيدمّر. . . فُرَصَهُ في الانتقال إلى أي موقع قيادي على الإطلاق».

كان بيكر جمهورياً مخلص الولاء. ولكنه كان أيضاً مهتماً باكتشاف الحقيقة. ولم يكن هذا شيئاً مؤاتياً. وقد شجبه نيكسون في أحاديثه الخصوصية، ووصفه بأنه «وضيع يتكلف الابتسام» وفي «شخصيته عيب»، «ولن يدخل البيت الأبيض ما دمت في هذا المنصب، أبداً، أبداً، أبداً. . .».

وقد نبذ نيكسونُ بيكرَ وعضواً جمهورياً آخر في اللجنة، هو لويل ويكر، فوصفهما بأنهما «يتراكضان هنا وهناك في الشُلَلِ الاجتماعية، ويريدان أن يكونا من الشخصيات البارزة». عندما بدأ ويكر يوجه اتهاماتٍ، بأن أشخاصاً في مراكز أعلى كانوا من المتورطين في ووترغيت، قام نيكسون ـ كما تظهر الأشرطة ـ بالتحريض على اتخاذ إجراءات ضده، هي نفسها التي كان قد اتخذها من قبلُ ضد خصومه الديموقراطيين. فقال لهالدمان: «إن علينا أن نمارس ضده لعبة خشنة قاسية لعينة. هل تم التدقيق في ضريبة دخله أم ليس بعد؟».

وأثناء أسبوع، اشتعل فيه غضب الرئيس بهذه الطريقة يوماً بعد يوم، حدث اقتحام لمكتب ويكر. وحسب النمط الذي صار معروفاً آنذاك، تم العبث بالوثائق بينما تُرِكَت النفائسُ دون أن تُمَسّ.

وكان «الصديق الطيب الوحيد» في لجنة الكونغرس، حسب تقدير نيكسون، هو إدوارد غورني، وهو سناتور من فلوريدا كان من بين داعميه الماليين في ذلك الصيف بيب ريبوزو، وموراي تشوتينر، وأفضل صديق وشريك قانوني لتشارلس كولسون. وقد حاول غورني أن ينتقص من الشهود

الهامّين، وأصرّ على التأكيد بأن التحقيقات كانت مؤذية للرئاسة وللأمّة.

وفي تلك الأثناء، رسّخ رئيس اللجنة إيرفن مستوى أخلاقياً رفيعاً. فقد أعلن: «إذا صحّت الادعاءات التي قدمت حتى هذا التاريخ، فإن اللصوص الذين اقتحموا مقر قيادة اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي في مبنى ووترغيت، إنما كانوا بالنتيجة يقتحمون بيت كل مواطن في الولايات المتحدة. وإذا ثبت أن هذه الادعاءات صحيحة، فإن ما كانوا يسعون لسرقته ليس مجوهرات أو أموالاً أو ممتلكات نفيسة أخرى من المواطنين الأمريكيين، بل شيئاً أثمن من ذلك كله بكثير، وهو أثمن تراث لديهم: وهو حقهم في التصويت في انتخابات حرة».

وبينما عكف الشيوخ على عملهم، بدأ عالم نيكسون يتصدع بالتفجر من الداخل. فشهد ربيع سنة 1973، موكبه الذي كان بهيجاً يعج بالمساعدين، وهم يتساقطون واحداً بعد الآخر. تخلى عنه جون دين، فأصابه ذلك في مقتل.

فقد كان دين، بصفته مستشاراً للبيت الأبيض، هو الذي نفذ عملية التستّر، واستنبط خططاً استراتيجيةً قانونية، وعمل كهمزة وصل مع وزارة العدل، ونسّق قصص التستر، وأشرف على دفعات أموال شراء السكوت. وكان نيكسون قد امتدحه في وجهه باعتباره «شديد البراعة»، لأنك «وضعت أصابعك في ثقوب الجدار الحاجز في كل مرة كانت تتدفق منه التسريبات...» وقال ذات مرة لهالدمان في مفارقة لطيفة: «إن دين شريك بريء براءة مطلقة... لقد قدم لنا مشورة جيدة... وكان يمسك بالقطع معاً كي لا تتناثر...».

وفي نيسان / أبريل 1973، أدرك دين الخطر الذي وضعه فيه التواطؤ، فذهب إلى هيئة الادعاء بحثاً عن الحصانة. فقدر له أن يشهد أمام لجنة مجلس الشيوخ بشكلٍ واسع مستفيض، يعج بتفاصيل لا تحصى، مؤذية لنيكسون أكثر من أي شاهد آخر. وعندئذٍ، استشاط الرئيس غضباً وصرخ: «لعنه الله... يا له

من مستشار رئاسي عديم الولاء. . . يجب أن ندمّره». لقد صار دين «يهوذا وشخصاً غادراً متقلباً خدعنا جميعاً»[6].

غير أنه عندما صار مركز نيكسون مهدداً على نحو متزايد، فقد أثبت هو نفسه أنه ليس عموداً من الولاء يمكن الركون إليه. وكان قد قال عن جون ميتشل، زميله الصامد، في مطلع تلك السنة: «لا يسعنا أن ندع ميتشل يتورط. فهذا لا يمكن أبداً. إن علينا أن نحميه». ومع ذلك ففي غضون شهرين من هذا الكلام، عندما اقترح إيرليكمان أن يقال لميتشل إن «اللعبة قد بدأت»، وإن عليه أن يتقدم ويقول إنه «مسؤول أخلاقياً وقانونياً»، لم يزد الرئيس على أنه قال «نعم». . . وقال لهالدمان إن على ميتشل أن يتحمل المسؤولية.

وبحلول ربيع سنة 1973، كان صبر ميتشل قد توتر إلى أقصى حدّ حتى لم يبق في قوسه منزع. فقد كانت زوجتُهُ السكّيرةُ مارثا ميالةً إلى التصريح بأشياء مثيرة، ومتفجرة منذ اعتقالات ووترغيت، ملمحةً للصحافيين أنها مطلعة على أسرار مظلمة، وزاعمةً أن زوجها قد جُعِلَ كبشَ فداء. غير أن شخصيتها

(6) بذل جهد في السنوات الأخيرة لتشويه سمعة دين، ولا سيما في كتاب **الانقلاب الصامت** الذي نشره مؤلّفاه لين كولودني وروبرت غيتلين سنة 1991. وكانت نظريتهما هي أن جون دين كان مسؤولاً، ليس عن إصدار الأمر باقتحام مقر اللجنة الوطنية للحزب الديموقراطي فحسب، بل عن تغطية هذه الجريمة والتستر عليها كذلك، بما في ذلك محاولة استخدام وكالة المخابرات المركزية لمنع مكتب التحقيقات الاتحادي من المضيّ في التحقيق. كما أكد المؤلفان أيضاً أن دين كانت له مصلحة خاصة في «المواد السياسية الخليعة الفاسقة». ونسبا إليه دافعاً شخصياً لتشجيع الاقتحام الذي أدى إلى اعتقالات ووترغيت. وقد أقام دين وزوجته مورين الدعوى على مؤلفي الكتاب وناشره بتهمة القذف في قضية تمت تسويتها. وقد تم رفض دعوى منفصلة أقامها الزوجان دين على غوردون ليدّي. وفي مقابلات لأغراض هذا الكتاب، فإن المستشار الرئيسي للجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ، سام داش، وكذلك بن فينيست، مساعد المدعي الخاص للفريق العامل في تحقيقات ووترغيت، قالا إنهما يعتقدان أن شهادة دين الأصلية تبقى جديرة بالتصديق اليوم في جميع النقاط الرئيسية تماماً كما كانت سنة 1973. ولقد أكدت أشرطةُ نيكسون صحةَ ذاكرة دين على نحو مذهل. (الكتاب المنشور سنة 1991: لين كولودني وروبرت غيتلين، **الانقلاب الصامت**، طبع نيويورك: مطبعة سانت مارتن، 1991؛ دعاوى دين: **تامباس تريبيون**، عددا 25 شباط / فبراير 1998، و28 أيلول / سبتمبر، 1999؛ مقابلة مع كيري هوك؛ شهادة دين جديرة بالتصديق: مقابلات مع سام داش وريتشارد بن فينيست).

كانت غريبة ومضحكة، وضعفها تجاه الكحول كان معروفاً جيداً إلى درجة أنها لم تُسَبِّبْ سوى أضرار محدودة.

وفي نيسان / أبريل أجرى جون ميتشل محادثة جارحة الصراحة، مع مراسلة البيت الأبيض وينزولا مكلندون لم تنشرها في حينها. فقد قال: «إن ريتشارد نيكسون محظوظ لأنها [أي مارثا]، لم تفجر كل ما تعرفه إلى آخر الخط». واستطرد يقول إن إيرليكمان قد قام بإدارة «عملية تجسس كاملة». وإن دين رجل نزيه لم تزد مهمته على «حماية الناس الذين في البيت الأبيض». كانت تلك هفوة لسان لم يكررها ميتشل على الإطلاق. بل قدر له أن يموت في سنة 1988، دون أن يخون نيكسون.

وفي 17 نيسان / أبريل قدم الرئيس للجنة الكونغرس تنازلات جزئية. فقد حدث تطور كبير في القضية كما قال. وينبغي عدم إعطاء حصانة لأحد من الملاحقة القانونية. وقال إنه سوف يسمح لموظفي البيت الأبيض بأداء الشهادة. ولاحظ أحد المراسلين أن يدي نيكسون كانتا ترتجفان وهو يتكلم.

كانت أسوأ ضربة للإدارة ولثقة نيكسون بنفسه على وشك الوقوع. وكانت نصيحة وزارة العدل أن الأدلة المتوفرة، تضرّ كلاً من هالدمان وإيرليكمان وأن عليهما أن يستقيلا. وعندئذٍ «عرف الرئيس أنه لم يبق له مجال للحركة والتملص»، كما استذكر لين غارمنت سنة 1997: «فقد وصف لي شعوره وهو يراجع ما سوف يقوله لبوب وجون، من أن فقده إياهما مثل فقد ذراعيه الأيمن والأيسر...».

وتم إحضار أقرب مساعدين لنيكسون بطائرة مروحية إلى كامب ديڤيد، وأعطي الخبر لكل واحد منهما على انفراد. قد اعتقد هالدمان أن «منظر نيكسون كان رهيباً». وقد «بكى على نحو فقد فيه السيطرة على نفسه» أمام إيرليكمان.

وقد اقترب الرئيس من الاعتراف بذنبه في ذلك اليوم، أكثر مما قدر له أن

يقترب بعد ذلك على الإطلاق. ويُظْهِرُ بندٌ في مفكرة هالدمان أنه قال «إنه هو المذنب في الحقيقة. وقال إنه فكر في الأمر وقلّبه على وجوهه، وإنه هو الذي جعل كولسون يبدأ في مشاريعه، وهو الذي أمر دين بالتستر، وهو الذي عيّن ميتشل مدعياً عاماً ثم مديراً لحملته الانتخابية، وهكذا، وأن عليه الآن أن يواجه ذلك كله ويعيش معه. . .».

وعندما وقف مع هالدمان على مصطبة آسبن لودج، بدا أنه يتقاسم معه ثقة شخصية عميقة، فقال له: «هل تعرف يا بوب أن هناك شيئاً لم أقله لأحد، حتى ولا لك. إنني منذ أصبحت رئيساً، فإنني قبل أن أخلد للنوم في كل ليلة، أركع على ركبتيّ إلى جانب سريري، وأدعو الله أن يعطيني توجيهه وعونه في هذا المنصب. وفي الليلة الماضية، قبل أن أذهب إلى فراشي ركعت ودعوت الله في هذه المرة، أن لا أستيقظ في الصباح. إنني ببساطة لا أستطيع مواجهة الاستمرار».

وفي ذلك الحين تأثر هالدمان بهذا الكلام. غير أنه فيما بعد، عندما قارن ذلك بما عند إيرليكمان، علم أن نيكسون قد وجه إليه ذلك الخطاب نفسه بكل دقة. فآلمه ذلك، لأنه كان يعتقد أن له مع الرئيس رابطة عاطفية فذة فريدة من نوعها. هكذا لاحظ هالدمان في وقت لاحق: «إنني أرى الآن أن ذلك لم يكن سوى خدعة كلامية ـ هي أسلوب المُحاوِر كي يتملص وينتقل إلى موضوع آخر ـ وقد استعملها الرئيس علينا معاً».

وإنه لمعيار يوضح مدى تضايق نيكسون في علاقاته الإنسانية، أنه عندما صافح يد هالدمان في ذلك اليوم، أدرك أقرب المساعدين إليه، أنه لم يفعل ذلك أبداً طيلة سبعة عشرة سنة. وقد أتيحت لنيكسون وهالدمان بعد ذلك فرص، اتصل كل منهما فيها بالآخر في المناسبات على نحو متقطع. وتلقى إيرليكمان من نيكسون مكالمة هاتفية في عيد الميلاد التالي، ولكنه لم يعد يسمع منه أي شيء بعد ذلك أبداً. وأرسلت إليه نسخة موقعة من مذكرات رئيسه

السابق سنة 1978. فكان بها أقل من مبتهج. وقال إيرليكمان للمؤلف: «لقد أخطأ في تهجئة اسمي. فكانت تلك إهانته الأخيرة».

وظهر نيكسون على التلفزيون في 30 نيسان / إبريل (1973)، ليعلن للأمة أن أعلى مساعديه، وكذلك مدعيه العام كلايندانيست وجون دين سيستقيلون. وأقر بالمسؤولية ولكنه لم يقبل أي لوم، في ما يتعلق بتجاوزات ووترغيت. وزعم أن تلك التجاوزات، قد أخفيت عنه للمدة ذاتها التي أخفيت فيها عن عامة الناس. ثم تحدث مطولاً عن كون معظم الناس في السياسة طيبين، وعن مدى محبته لأمريكا، وعن كونه يريد أن تكون أيامه الباقية في السلطة هي الأفضل في التاريخ الأمريكي، وكيف أنه يأمل من الناس جميعاً أن يصلّوا من أجله.

وبدا الرئيس شاحباً ومهزوزاً، ودامعاً عندما ابتعد عن عدسة التصوير. وعندما تراجع ليعتكف في غرفة جلوس لينكولن، سمعه بعضهم يقول، كما كان قد قال لهالدمان وإيرليكمان، إنه يأمل أن لا يستيقظ في الصباح.

غير أنه بعد ذلك بأقل من ساعة، كان على الهاتف يشكو لهالدمان أن واحداً من وزرائه فقط، هو كاسبار واينبرغر، قد اتصل به ليمتدحه على خطابه. وغمغم نيكسون كلماته وهو يقول: «لعنة الله على هذا الأمر. إنني لن أناقش قضية ووترغيت ابنة الفاعلة هذه مرة أخرى أبداً، أبداً، أبداً، أبداً». ثم ازدادت الغمغمة التباساً وهو يخبر هالدمان أنه يحبه. كان يحب إيرليكمان كذلك. كان يأمل أن إنهاء خطابه بعبارة «فليبارك الله أمريكا» قد وصل إلى الناس وترك انطباعاً طيباً.

وأجرى نيكسون مكالمات هاتفية مماثلة تلك الليلة. وتوحي لهجة صوته على الشريط، أنه كان إمّا مخموراً أو أنه خلط الكحول بالأقراص. وعندما زاره دين ذات ليلة في وقت مبكر من ذلك الشهر، شمّ رائحة الخمر في تنفس الرئيس، ورآه يمد يده إلى درج مكتبه ليتناول زجاجة أقراص. ولاحظ أنه يجد

صعوبة في فتح غطائها. وقبل ذلك بأسابيع قليلة، كان نيكسون قد تلقى زيارة من جاك درايفوس، الذي كان قد عرّفه على العقار المسمى ديلانتين، وربما كانت تلك هي المناسبة التي قدم للرئيس فيها ـ كما أخبر المؤلف ـ دفعةً أخرى من ألف قرص من ذلك العقار.

وكان الذين يراقبون نيكسون عن كثب قلقين على حالته منذ زمن. فقد لاحظت مراسلة وكالة يونايتد بريس، هيلين توماس، أن «عينيه لم تكونا تريانا» أثناء إحدى المقابلات. وعندما كان جاك أوزبورن يدقق النص المكتوب لمؤتمر صحفي بالمقارنة مع شريط مسجل، كتب كلمة «رجفة» إلى جانب عشر فقرات. أما موظف الشرطة السرية دنيس مكارثي، الذي رافق نيكسون في عودته إلى مقر أسرته بعد خطاب 17 نيسان / إبريل سنة 1973، فقد وجد نفسه مع رجل تعيس مكتئب.

واستذكر مكارثي: «كنا قد مشينا بضعة أقدام فقط، أي مسافة كافية للابتعاد عن مجال رؤية الناظر من المكتب، عندما توقف فجأة، ثم استند إلى أحد الأعمدة وأخذ يبكي... وقد راح كتفاه يرتفعان وينخفضان بينما هو ينتحب. وتناول منديلاً من جيبه ووضعه على عينيه. ووقف هناك دقيقة كاملة على الأقل، ثم استمر في المشي دون أن يقول لي كلمة واحدة...».

وبعد ذلك بأيام، اتصل بهنري كيسنجر هاتفياً وصوته «مهتاج جداً» ليسأله، عما إذا كان الوقت قد حان «لجرّ العربات في دائرة تطوق البيت الأبيض»(*). فغمغم كيسنجر بكلمات ليس فيها التزام بشيء. وبعد أسبوعين أبدى الرئيس ملاحظة غريبة لمساعده الصحافي رون زيغلر، فقال شاجباً الهجمات عليه شجباً عنيفاً: «يا إلهي العظيم الجبار. إن آمال العالم اللعين كله، في السلام يا رون، أتعرف أين تستقر؟ إنها ترتكز على هذا الكرسي اللعين...

(*) صورة مجازية مشتقة من أسلوب دفاع قوافل المستوطنين البيض، ضد هجمات الهنود الحمر عن طريق الاحتماء بعربات نقلهم بعد تصفيفها على شكل دائرة. [المعرّب].

وعلى الصحافيين أن يدركوا. . . مهما كان ظنهم بي، فإن عليهم أن يدركوا أنني أنا الوحيد في هذا العصر الراهن، في هذا العالم الطويل العريض كله، الذي يستطيع أن يفعل شيئاً ما ـ كما تعلم ـ لمنعه من الانفجار. . .» فردّ عليه زيغلر بطريقة مهذبة: «نعم، يا سيدي».

وقد اعتقد زيغلر أن طرد هالدمان وإيرليكمان، كان اللحظة التي وصلت فيها عواطف نيكسون إلى أدنى حضيض. «فقد نظر إلى خارج النافذة وقال: «يا رون، لقد انتهى الأمر». وعرفتُ أنه كان يشير إلى نفسه وإلى الرئاسة». وفي اليوم التالي، عندما رأى الرئيس موظفاً في مكتب التحقيقات الاتحادي، وقد اتخذ موقعه أمام باب مكتب هالدمان لمنع أخذ أية وثائق، دفع الموظف دفعاً جسدياً. ثم دعا إلى عقد اجتماع فوري لمجلس الوزراء.

واستذكر كلاينداينست، الذي كان ذاك يمضي آخر ساعاته كمدّع عام: «لم يكد الرئيس يجلس حتى «أشار بإصبعه إليّ بطريقة مهتاجة». كان نيكسون ما يزال في سورة غضبه، بسبب الحارس الذي رآه مرابطاً خارج مكتب هالدمان، وكان يبحث عمن يلقي عليه باللائمة لذلك. وعندما استمر الانتقاد الصارخ، نهض المدعي العام على قدميه وغادر المكان.

وتوجه نيكسون إلى كِي بِسْكِينْ بعد استقالتي هالدمان وإيرليكمان. وقيل إنه أمضى أيامه هناك جَالساً مع ريبوزو بصمت مطبق، ولياليه ـ بعيداً عن بات ـ في مكان تحول إلى مكتب على مبعدة من البيت.

وبدا في حالة جيدة بعد ذلك ببضعة أسابيع، في عشاء في البيت الأبيض لأسرى الحرب، المفرج عنهم حديثاً من ڤيتنام الشمالية. وقيل بأن نيكسون أبدى ملاحظات جارحة، تحط من قدرهم من وراء ظهورهم ورمى بعيداً بالهدايا التي أحضروها له[7].

(7) إن الزعم بأن نيكسون أدلى بملاحظات ازدرائية تحط من قدر أسرى الحرب الأمريكيين العائدين =

وأثناء الحملة الانتخابية في السنة السابقة (1972)، حسب رواية واحد من فريق من خمسة عشر من علماء النفس، التابعين لوكالة المخابرات المركزية، استنتج الجميع إلاَّ واحداً أن الرئيس «كان يكذب معظم الأوقات في كل ما يقوله علناً». وقد استمر يكذب بكل حرية في سنة 1973. ففي آذار / مارس خوّل الزعيمَ الجمهوريَّ في مجلس الشيوخ، السناتورَ هيو سكوت، أن يعلن باسمه أن البيت الأبيض ليس لديه ما يخفيه. وتظهر الأشرطة المسجلة أنه أعطى تأكيداً زائفاً مماثلاً لبيلي غراهام.

وكان قد قال لميتشل في 22 آذار / مارس: «لا يهمني أبداً ما يحدث. أريدكم جميعاً أن تعيقوا هذا التحقيق. فليلجأ الجميع إلى التعديل الخامس [رفض الإجابة عن أي سؤال، بحجة أن الإجابة تؤدي إلى تجريم الشخص الخاضع للاستجواب]، وإلى التستر وإلى أي شيء آخر، إن كان سيؤدي إلى إنقاذنا. . .» وقدم نصيحة المحامي الخبيث الماكر حول كيفية تجنب قول الحقيقة بدون ارتكاب شهادة الزور فعلياً. وأَعْلَمَ هنري بيترسين، نائب المدعي العام «عليك فقط أن تتأكد من تكرار عبارة: «لا أتذكر؛ ولا تسعفني الذاكرة. . . ولا أكذب على الناس». ثم في اليوم التالي نفسه، قال لهالدمان إن مغرودر «يُفْتَرَضُ فيه أن يكذب كالجحيم» أمام هيئة المحلفين الكبرى.

وقد شبه جون إيرليكمان نيكسون في مطلع سنة 1973، «بحيوان بحري يتراجع وينغلق كلما شعر بتهديد. ولقد بدأت أشعر أنه لا يعرف ما هي الحقيقة، فلم يكن يعلم ما الذي قاله، ولا ما الذي فعله، وأن كل ما كان يقوله كان يمثل الحقيقة في تلك اللحظة المعينة التي قاله فيها فحسب».

= يأتي من كتابٍ عنوانه: **داخل البيت الأبيض** ألّفه رونالد كيسلر، الذي عمل زمناً طويلاً كمراسل **للواشنطن بوست** وهو يذكر ذلك نقلاً عن موظف سابق في الشرطة السرية لم يذكر اسمه. وكثيراً ما يطلب رجال الشرطة السرية كتمان هوياتهم. وأدت أحاديث المؤلف مع كيسلر إلى جعله يصدق صحة المعلومات التي أوردها كيسلر في كتابه المذكور. (رونالد كيسلر، **داخل البيت الأبيض**، طبع نيويورك: بوكيت، 1995، ص 64؛ مقابلة ومراسلات مع رونالد كيسلر).

والحقيقة أن نيكسون تحدث عن الاستقالة منذ ربيع تلك السنة، قبل ستة عشر شهراً من سقوطه النهائي. فقد قال لكيسنجر في إحدى جلساته على الهاتف بعد العشاء: «ربما سننظر في إمكانية. . . بصراحة، أن ألقي بنفسي على السيف[*]. . . وأترك آغنيو يتسلم [منصب الرئاسة] وليذهب كل شيء إلى الجحيم». فقال له كيسنجر إن عليه ألاَّ يفكر بذلك مجرد تفكير.

وبعد أسبوعين، بينما كان كاتب خطبه راي برايس منهمكاً في صياغة خطابه عن استقالة هالدمان ـ إيرليكمان، كرر نيكسون فكرة إمكانية استقالته هو كذلك، فقال لبرايس وكأن الأمر لم يعد يعنيه إن بإمكانه إذا وافق أن «يذكر ذلك في مسودته التالية»، واستذكر برايس أن الرئيس بدا «منهاراً. . . ذاهلاً. . . حتى قلقت كثيراً على حالته العقلية».

وعاد نيكسون إلى ذكر موضوع الاستقالة مرتين أخريين في الأسابيع التالية، أمام أفراد أسرته. فحثّته بات على أن يتابع الكفاح، وكذلك فعلت ابنتاه، وجادلتا في أن البلد محتاج إليه.

وتأرجح نيكسون بين اليأس والتحدي. واستذكر إيرليكمان، الذي تجرأ على ذكر احتمال أن نيكسون قد يُتَّهم ويلاحَق، أن رد فعله كان باهتاً، «مثل رمي قطة ميتة في صندوق القمامة»[8]. وبعد ذلك بأسابيع، راح يزعم

(*) إشارة إلى انتحار شاؤول، أول ملوك إسرائيل، عندما دحره الفلسطينيون «فأخذ شاؤول السيف وسقط عليه» (صاموئيل الأول، 31: 4).

(8) يتبيّن من الشريط المسجل يوم 25 نيسان / إبريل، 1973، أنه عندما أشار إيرليكمان إلى احتمال توجيه الاتهام، لم يقل نيكسون سوى عبارة راح يكررها: «هذا صحيح». وكتب إيرليكمان في مذكراته: «تُظْهِرُ الأشرطةُ أن نيكسون قد أجفل على نحو مثير ومفاجئ من ملاحظتي بعد أن غادرت الغرفة. وفي تقديري أن تلك كانت هي المرة الأولى التي استخدم فيها أي شخص كلمة «الاتهام» بحضور نيكسون». ولم يستطع المؤلف أن يجد إشارة في الحوار المسجل إلى «إجفال» نيكسون. («يتبين من الأشرطة»: إيرليكمان، مصدر سبق ذكره، ص 353؛ «هذا صحيح»: شريط البيت الأبيض المسجل في 25 نيسان / أبريل، 1973، المحادثة رقم 004 ـ 430، هيئة الادعاء الخاص في ووترغيت، المحفوظات الوطنية، ص 27).

لآلكساندر هيغ، الذي حل محل هالدمان أنه كرئيس «هو الشخص الوحيد الذي لا لوم عليه في هذا كله. . .» وقال لكيسنجر: «لا يهمني أي شيء، حتى إذا أثبتوا أنهم ضبطوني متلبساً هناك في ووترغيت، كما تعلم، متنكراً بلحية حمراء، أقوم بجمع الأدلة، فليذهبوا إلى الجحيم؛ إن رئيس الولايات المتحدة لن يستقيل. . . ليس بسبب مثل هذا الأمر، إنه ذرق دجاج».

وفي تلك الأثناء، كان الجوّ في البيت الأبيض يتحوَّل بازدياد إلى شيء سرياليّ. وقال أحد كبار أعضاء الكونغرس، بعد اجتماع مع نيكسون في غرفة مجلس الوزراء: «لقد خرجت من عنده وأنا أشعر براحة كبيرة. فقد كان من الواضح أنه يبذل جهداً أكثر من اللازم، كي يبدو طبيعياً كأنما لم يحدث أي خلل».

ولاحظ كيسنجر في أوائل نيسان / إبريل أن الرئيس لم يعد يبدي الاهتمام المناسب بعمله. فاختفت تلك التعليقات والشروح المفرطة، التي كان من عادته أن يلحقها بالمذكرات. وذات مرة قدمت له مذكرة يطلب منه فيها أن يشير إلى خياراته في مربعات، فملأ خانات المربعات المعروضة **كلها**.

فاعتبر كيسنجر أن ما يراه، لم يكن أقل من «تفسخ حكومة كانت إلى ما قبل بضعة أسابيع تبدو منيعة. فقد كان الرئيس يعيش في غاشية من الذهول كرجل تحققت كل كوابيسه. . . كأنه شخصية في مأساة إغريقية، يحقق طبيعته ذاتها ويدمِّر نفسه».

وبعد سنة كاملة بالضبط من اعتقالات ووترغيت، عندما كان جون دين على وشك الإدلاء بشهادته أمام الكونغرس، استقبل نيكسون الزعيم السوفييتي ليونيد بريجنيف. كان نيكسون قد أصرَّ على المضيّ قدماً في مباحثات القمة، كما اعتقد كيسنجر، «لأن الاعتراف باختلال قدرته على الحكم سيعجل بالهجوم على رئاسته». ومع ذلك كان كيسنجر يرى أن ووترغيت «قد حرمته من

مجال الاهتمام الذي كان بحاجة إلى توجيهه للدافع الفكري، لمحادثات الحدّ من الأسلحة الاستراتيجية.

وبينما كان نيكسون يودِّع بريجنيف في قاعدة عسكرية في كاليفورنيا، ابتعد الزعيم السوفييتي على نحو غير متوقع كي «يدردش» مع الصحافة. وبدلاً من استيعاب الأمر بكياسة وروح رياضية، صرخ نيكسون بغضب أن نظيره قد انتهى من قول كل ما هو بحاجة لقوله. فكانت تلك إشارة مليئة بالفظاظة تنقصها روح المجاملة الدبلوماسية.

وقد فهم كيسنجر من السفير السوفييتي آناتولي دوبرينين، أنه «مع انتهاء الزيارة فهم الجانب السوفييتي، أن القمة قد غطى عليها ظل ووترغيت الكثيف الثقيل... والأخطر من ذلك أن القمة بدأت تقنع الزعماء السوفييت، أن مشاكل نيكسون يتضح أنها سوف تودي به نهائياً». وكان كيسنجر يعتقد أن هذا الإدراك للضعف الأمريكي على مستوى القمة، قد شجع السوفييت على التصرُّف بجرأة بعد ذلك بأربعة أشهر، عندما اندلعت الحرب في الشرق الأوسط.

كانت «مسرحية العواطف المحلية العنيفة» هذه ـ كما سماها كيسنجر ـ قد بدأت تهدِّد بإضعاف الأمة، وليس الرجل وحده.

وبحلول أوائل صيف عام 1973، لم يعد مصير نيكسون بيديه في الحقيقة. كانت هناك قوتان لا يستهان بهما، تتحركان على نحو عنيد لا يرحم في تحقيقات ووترغيت. فلجنة الكونغرس، التي كانت تستمع إلى الشهود تحت ضوء العلانية الساطع، انضم إليها في الميدان المحقق الخاص آرتشيبالد كوكس، الذي تم تعيينه بناء على إصرار اللجنة القضائية التابعة لمجلس الشيوخ، بسبب إدراك المجلس أن البيت الأبيض يتدخل في سير العدالة. وكانت هيئة الادعاء التابعة لكوكس، على عكس اللجنة الكونغرسية، قادرة على مقاضاة الناس في المحاكم، ما عدا رئيس الولايات المتحدة ـ كما كان يُعْتَقَدُ آنذاك.

كانت العملية الوحيدة التي يمكن بها إرغام رئيس في السلطة على

مغادرتها، هي اتهامه بالتقصير أو الخيانة، في مقاضاة يكون فيها مجلس النواب هو الادعاء، ومجلس الشيوخ هو القاضي والمحلفون. ولم يسبق لأي رئيس أمريكي أن واجه مثل هذه التهمة من قبل، سوى الرئيس آندرو جونسون، في منتصف القرن التاسع عشر. وقد تمت تبرئته منها[9].

كان توجيه الاتهام من الناحية العملية الفعلية علاجاً لا يمكن التفكير به. ولكن كبار أعضاء الكونغرس راحوا يفكِّرون به آنذاك. وقبل ذلك بأشهر، كان زعيم الأغلبية في مجلس النواب، تيب أونيل قد قال في اجتماع خصوصيّ مع رئيس المجلس كارل آلبرت: «سيأتي الوقت الذي يفاجئ فيه توجيهُ الاتهام، الكونغرس». وفي ذلك الحين اعتقد بيتر رودينو، رئيس اللجنة القضائية لمجلس النواب، أن أونيل كان مخطئاً. غير أنه في حزيران / يونيو 1973، أمر مستشاره الرئيسي، جيري زيغمان أن يبدأ في التحضير للعملية، «لتكون جاهزة في حالة الاحتياج إليها».

وفي 12 تموز / يوليو، اجتمع الشيوخ السبعة في لجنة إيرفن ليناقشوا مشكلة: كان نيكسون قد بعث برسالة يرفض فيها إبراز وثائق لها علاقة بالتحقيق، متذرعاً «بامتياز السلطة التنفيذية». فقرَّرت اللجنة أن ترد بالكتابة إلى الرئيس، موضحة له أن موقفه قد يسبِّب «مواجهة دستورية أساسية»، وأن تطلب منه عقد مؤتمر على الهاتف بينه وبين إيرفن.

وكانت هناك نكات عصبية راحت تتطاير، حالما اجتمع الشيوخ في مكتب إيرڤين بانتظار المكالمة الهاتفية، فقال أحدهم: «هل نهبّ واقفين على أقدامنا عندما يرنّ جرس الهاتف؟» فردَّ آخر بأن عليهم أن يفعلوا ذلك حقاً، وأن يغنوا جميعاً «أفرجوا عن الرئيس بكفالة»[*]. [هنا تلاعب بكلمة «Hail» التي

(9) وجه الاتهام إلى الرئيس الأمريكي آندرو جونسون سنة 1868 لانتهاكه قانون شروط الولاية. وقد برأه مجلس الشيوخ.

(*) أصل كلمات هذا النشيد الأمريكي التقليدي لتحية الرئيس هو Hail to the Chief، وقد شاع تلاعب آخر أيام ووترغيت بتحويل كلمة Chief إلى Thief!

معناها «تحية» بتحويلها إلى Bail» التي معناها «كفالة»]. ثم جاء صوت الرئيس على الهاتف.

واستذكر المستشار الرئيسي سام داش في عام 1997: «لقد سمعنا جانب إيرفن من المحادثة. كان يتحدث باحترام عن إيجاد ترتيب معيَّن حول الوثائق، وكيف قد يمكن أن يذهب والسناتور بيكر لمقابلة نيكسون. ثم وجدنا إيرفن يقول فجأةً «ولكن كلا يا سيدي الرئيس. إننا لا نقصد النيل منك يا سيدي الرئيس. إننا فقط نريد أن نؤدي واجبنا»، ثم عاد وقال ثانية: «كلاً، لسنا مصممين على النيل منك يا سيدي الرئيس...».

واختتم إيرڤين المكالمة بعد ربع ساعة، وهو يبدو محمر الوجه ومنزعجاً. لقد كان نيكسون «يصرخ» وكان ـ كما قال السناتور لزملائه ـ «هستيرياً ومهتاج العاطفة».

وعندما وصل الخبر، بدخول الرئيس إلى مستشفى باتيسدا البحري في ذلك المساء، افترض بعض موظفي إيرفن أنه قد أُصيب بانهيار عقلي. والواقع أنه كان مصاباً بذات الرئة، مما حبسه في المستشفى ثمانية أيام. وفي تلك الأثناء تكشف في غضون أربع وعشرين ساعة، شيءٌ ختم على مصيره المحتوم. فقد علمت لجنة مجلس الشيوخ بوجود أشرطة البيت الأبيض.

وكان نيكسون، قد أعرب مرتين في ذلك الربيع عن قلقه بشأن نظام التسجيل في حديثه مع هالدمان. فقال ذات صباح في نيسان / إبريل: «بصراحة، أنا لا أريد أن يحتوي السجلّ مناقشات أجريناها في هذه الغرفة حول ووترغيت». واتفق مع هالدمان أنه منذ ذلك الحين فصاعداً، لن يتم تشغيل النظام إلاً عندما يكبس الرئيس الزرّ. كان ذلك احتياطاً احترازياً معقولاً، ولو أنه جاء متأخراً. ولكن تسجيل المحادثات الضارّة قد استمر.

وبعد ذلك بأسبوع، عندما سأل نيكسون عما إذا كان نظام التسجيل ما زال مركباً في مكانه، أعلم بأنه ما زال كذلك. فهل يتم الاحتفاظ بالأشرطة؟

وعند موازنة الأمور بدا أن نيكسون يعتقد أنه ينبغي الاحتفاظ بها، ولكنه كان عصبياً. فقال لهالدمان في واحدة من آخر محادثاتهما المسجلة: «هل لدينا أناس جديرون بالثقة في هذا الأمر؟ أحسب أن لدينا»[10].

وافتضح أمر الأشرطة ونظام التسجيل في تموز / يوليو، بينما كان الرئيس راقداً في المستشفى، على نحو مناسب يوم الجمعة، في الثالث عشر من الشهر، (يتشاءم الغربيون من يوم الجمعة ومن الرقم 13). ففي ذلك اليوم، جلس ثلاثة من موظفي مجلس الشيوخ في بناية ديركسين للمكاتب، لإجراء مقابلة مع آليكساندر بترفيلد، المساعد السابق لهالدمان الذي كان قد انتقل إلى وظيفة جديدة قبل ذلك بوقت قصير.

ومن سخرية الأقدار أن شخصاً جمهورياً هو نائب مستشار الأقلية في الكونغرس، دونالدساندرز، هو الذي أدَّى استجوابه إلى الختم على مصير نيكسون. كان ساندرز يتابع دليلين. فقد عثر المحققون على خلاصة في البيت الأبيض لرواية نيكسون عن اجتماعاته مع دين. وهي خلاصة ظهر أنها تكاد تكون غير طبيعية في تفاصيلها واكتمالها ـ إلاَّ إذا كانت محضَّرة بالنقل عن

---

(10) قام عضو سابق في خدمة حماية زعماء السلطة التنفيذية، وهي فرع الشرطة السرية الذي يرتدي منتسبوه الزي الرسمي، بإخبار المؤلف أن أشرطة الرئيس في الحقيقة لم تكن آمنة، وأنه كان هناك نسخ عنها، إذْ أنَّ الشرطة السرية كانت لها أجهزة التسجيل الخاصة بها في عدة مواقع من البيت الأبيض، كجزء من نظام الحماية، وقد أدت تلك الأجهزة إلى جعل حياة نيكسون الخصوصية الحميمة عرضة لانكشاف إضافي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن وليام سوليفان، النائب السابق لمدير مكتب التحقيقات الاتحادي قال سنة 1977 إن كبار موظفي ذلك المكتب كانوا يعرفون منذ زمن طويل أن نيكسون يسجل محادثاته. وكان بعض رجال الشرطة السرية الضالعين في التسجيل موظفين سابقين لدى المكتب أيضاً. وقد تمكن بعض مساعدي هوفر من الوصول إلى الأشرطة. بل إن بعضهم، كما قال سوليفان، كان يستعير الأشرطة بين حين وآخر كي يشغِّلها ليتسلَّى بالاستماع إلى زلاّت لسان نيكسون في الحفلات والمناسبات. فإذا صحت هذه التأكيدات، فإن نظام التسجيل لم يكن أبداً ذلك الجهاز الذي افترضت معظم المصادر أنه شديد السرية ـ مع التشعبات المحتملة لذلك في قصة ووترغيت. (مقابلة مع ضابط سابق في جهاز حماية قادة السلطة التنفيذية، طلب إبقاء هويته مكتومة: الإشارة إلى سوليفان، أنظر سمرز، **رسمي وسري**، مصدر سبق ذكره، ص 407 وما يليها).

تسجيل. وكان دين، بالإضافة إلى ذلك، قد شرح كيف تصرف نيكسون بغرابة في أحد اجتماعاتهما. إذ انتقل بعيداً إلى زاوية وتكلَّم بصوت هامس فعلاً. وكان دين قد تساءل في حينه ـ حسبما قال في شهادته ـ عما إذا كان الرئيس يسجل له صوته سرّاً على أمل إلصاق تهمة به.

وكان ساندرز في السابق موظفاً في مكتب التحقيقات الاتحادي. فسأل بترفيلد عما إذا كان يعرف لماذا تصرَّف نيكسون بالطريقة التي وصفها دين. فأجاب بترفيلد ببطء: «كنت آمل أن لا تطرحوا عليَّ هذا السؤال». ثم تابع شهادته ليكشف عن وجود نظام التسجيل الذي ركَّبه الرئيس. فقال لمستجوبيه إن البيت الأبيض وكامب ديفيد، كليهما مخترقان تماماً بالميكروفونات.

وأدرك المحقِّقون على الفور ما الذي لديهم. وهرع الموظفون من الحزبين معاً لإعلام زملائهم. بينما تأكد الجمهوريون من تحذير البيت الإبيض، بإشعاره بأن سرّه قد انكشف. وعندما وصل الخبر إلى نيكسون في المستشفى، أجفل وفزع. واتصلت روز وودز هاتفياً مع بترفيلد لتقول له: «أيها القذر ابن الزانية. لقد أسهمتَ في إسقاط أعظم رئيس عرفه هذا البلد في تاريخه».

ولم يكن عجيباً عندئذ أن يتم إغلاق نظام التسجيل على الفور تقريباً. وسارع الديمقراطيون إلى الزعم، أنه لم يحدث أن قام رئيس منهم بتسجيلات سريّة من هذا النوع. والواقع أن الكثير منهم قد فعلوا، ولكن ليس على نطاق عملية نيكسون. وفي تلك الأثناء بدأت عملية استباقية للحدّ من الأضرار في مكتبة كيندي. فتم الاستعجال بمسح الأشرطة «الحساسة»، حسب رواية ريتشارد بيرك، مساعد إدوارد كيندي.

وفي الوقت نفسه، تَوَجَّه أتباع نيكسون إلى المشفى، لمناقشة ما الذي سيفعله بأشرطته. فنصحه بعضهم بتدميرها، ولكن المحامين حذروا من أن ذلك سيشكِّل عرقلة للعدالة. وقيل بأن الرئيس قد اقترح في بادئ الأمر، تخزين

الأشرطة تحت سرير نومه في البيت الأبيض. غير أن كتلة الأشرطة المتراكمة، كانت قد بلغت من الضخامة حداً جعل الغرفة لا تتسع لها، فكيف بالمجال تحت السرير؟ وعندما علم نيكسون بأن ذلك الخيار لم يكن قابلاً للتطبيق، تأرجح ذهنه بين رأيين بخصوص ما يفعل. فكتب على مفكرة رزمة الأوراق الصفراء إلى جانب سريره على عجل: «كان ينبغي تدمير الأشرطة بعد 30 نيسان/ إبريل». ومع ذلك فقد قال لآليكساندر هيغ: «إنني أعرف ماذا فعلت وماذا لم أفعل. إنني لم أرتكب أي جريمة عن سابق معرفة. وأنا أحتاج إلى تلك الأشرطة كي تحميني».

واليوم، ومع الإفراج في السنوات الأخيرة عن عدة مئات من الساعات من الأشرطة المسجلة، بما في ذلك أشرطة كثيرة صنفها المشرف على محفوظات الولايات المتحدة تحت بند «إساءة استعمال السلطة»، فإن من المذهل أن يكون نيكسون، قد تخيل أن تلك التسجيلات كان يمكن لها أن تبرئ ساحته.

وأسرعت لجنة الكونغرس، باستدعاء التسجيلات التي يحتمل أن تكون لها علاقة بالأدلة ذات الصلة. وفعل ذلك المدعي الخاص كذلك. ورفض نيكسون تسليم أي شريط، متذرعاً مرة أخرى بامتياز السلطة التنفيذية. وهكذا بدأ صراع طويل طويل، قدر فيه لمحامي الرئيس أن يجادلوا في أن لديه «سلطة مطلقة ليقرر ما الذي يمكن كشفه». وقدر للمدعي الخاص أن يرد على ذلك بقوله: «إن رئيس الجمهورية ـ على عكس العاهل ـ ليس هو صاحب السيادة». وقدر للمحكمة أن تحكم في آخر الأمر بأن الشيء المطلق الوحيد، هو وجوب التزام نيكسون بإطاعة القانون. ولكن ذلك القرار كان صدورُهُ سينتظر عاماً آخر.

وحتى قبل أن تبدأ المعركة القانونية، عبَّر المدعي الخاص كوكس عن قلق آخر لجيمس دويل، مساعده والناطق باسمه، فسأله: «هل تعتقد أن الرئيس مريض عقلياً؟».

وكان سلوك نيكسون في العلن يثير مثل هذه المخاوف أحياناً. وقد ذكر رئيس مكتب واشنطن لمجلة **نيوزويك**، مِيلْ إِلْفِنْ، أن الرئيس قد ظهر في الحرم الجامعي لإحدى الكليات في فلوريدا، وقام بالتجول فيه بطريقة بدت عفوية، ولكن كان يقوده موظفون، ورجال شرطة سرية يتلقون تعليمات مبرمجة باللاسلكي: «اجعلوه يستدير هناك تماماً ويذهب إلى الكلية». فاستدار السيد نيكسون وذهب إلى الكلية، ثم: «اجعلوه يلوّح بيده». ولوّح نيكسون بيده».

ولم تكن هذه هي طريقة الإدارة الطبيعية لرئيس حكومة فحسب، فقد استذكر إِلْفِنْ أن الرئيس بدا «مثل جسد أعيدت له الحياة والحركة بشكل مصطنع». وبالفعل فقد كان تصرف الرئيس من الغرابة بحيث استشار المراسلُ، الأطباءَ ليسأل عما إذا كانت تلك الأعراض متمشية مع تعاطي أي عقار معين.

وفي آب / أغسطس، وصل الرئيس إلى مركز ريفرغيت في نيو أورليانز، ليخطب في المحاربين القدماء في حروب خارجية، فبدا في أول الأمر «مرتاحاً واثقاً من نفسه». ثم اعترض فجأة وبصوت عالٍ على وجود صحافيين، وأمسك زيغلر من كتفيه، وأداره دورة وحرّك مساعدَه بدفعةٍ قوية نحو المصورين.

وعندما شرع نيكسون بإلقاء خطابه، كان من الواضح أنه يشكو من شيء ما. وقد أعرب مراسل **النيويورك تايمز**، عن اعتقاده أن الشيء اللافت للنظر كان أسلوب نيكسون على المسرح، فقد كان يخطو هنا وهناك، ويبتسم، ويؤشر بطريقة مبالغ فيها ويتعثر في كلماته... وكان صوته يتذبذب في قوته وسرعته».

وظنّ بعض المستمعين أن الرئيس كان مخموراً، وظنه آخرون أنه تحت تأثير مخدر جعله يبدو مثل، «إدْ سوليفان مستعجل» (نسبة إلى الكاتب الأمريكي صاحب الاستعراض التلفزيوني لبرنامج منوعات ظل قائماً بين سنتي 1948 و1971). وقال ناطق للصحافيين بأن الرئيس لم يكن يتعاطى أي أدوية. أمّا اليوم، فمع معرفتنا بأنه كان يتعاطى عقار الديلانتين، فإن الاحتمال المرجح هو

أن ذلك العقار كان هو السبب؛ لأن الأعراض التي بدت عليه تنسجم مع كونه قد تعاطى جرعة من الديلانتين أكبر من اللازم.

وانتشر في **النيويورك تايمز** خبر مفاده أن نيكسون كان يستشير طبيباً نفسياً. وكان المعالج الذي يقصدونه هو الدكتور هتشنيكر، الذي ظل نيكسون على اتصال به منذ خمسينيات القرن العشرين. وبدأ المراسلون، وهم مسلحون بصورة للطبيب، يبحثون عنه أينما ذهب نيكسون. والواقع أن الطبيب كان قد كتب إلى الرئيس قبل ذلك بأسابيع قليلة، معبراً عن قلقه العميق، وعارضاً على الرئيس أن يراه. وليس من الواضح ما إذا كان نيكسون قد قَبِلَ اقتراحَ هتشنيكر. ولكن رسالته قد تم العثور عليها في درج طاولة نيكسون بعد استقالته، بعد ذلك بسنة[11].

وفي الأسبوع ذاته الذي بعث فيه هتشنيكر برسالته، ظهرت له مقالة في **النيويورك تايمز**، وكان عنوانها مباشراً: «اقتراح: الطب النفسي في المستويات العليا للحكومة». وكان المقال يستشهد بجرائم ووترغيت على ضوء النظرية التي يتمسك بها الطبيب منذ زمن طويل، وهي أن القادة المحتملين، ينبغي أن يحصلوا على شهادات صحية مسبقة من الأطباء النفسيين، وكذلك من الأطباء الجسديين. وأعرب هتشنيكر عن أسفه، لأن الرجال الموكلة إليهم مهمة حماية حقوق الناس قد خانوا أماناتهم، وفعلوا شيئاً يربطه الأمريكيون في العادة مع الدكتاتوريات الأجنبية، «وهو تجسس كل منهم على الآخر».

وحث على ضرورة، تواجد أطباء مدربين على نحو مناسب في الحكومة في كل وقت، كي «يرفعوا أصواتهم كلما خرجت عن السيطرة، نوازع الطموح البشري والطمع وحوافز الاستخدام غير المحدود للسلطة». وكتب الطبيب

(11) لم يستطع المؤلف أن يستجوب الدكتور هتشنيكر حول هذه النقطة. ورغم أنه كان دقيقاً إلى حد مذهل عند مقابلته لأول مرة وهو في سن السابعة والتسعين. فإنه فقد القدرة على الكلام بعد حادثة وقعت له في وقت لاحق لتلك المقابلة.

النفسي في مقالته أيضاً: «لقد حان الوقت لاستكشاف الاحتمالات غير السياسية الصرفة لضمان كون أفضل زعمائنا وأولهم، هم أيضاً الأسلم أخلاقياً والأصحّ عقلياً».

ولم يكن بوسع المطلعين على بواطن الأمور، أن تفوتهم رسالة تلك المقالة أو تغيب عن فطنتهم ملاحظة توقيتها. كانت رئاسة نيكسون، أسبوعاً بعد أسبوع، تفقد من قلبها وجوهرها شيئاً لا رجعة له، هو الكرامة المتأصلة في المنصب. فبعد واقعة نيو أورليانز صار يشار إلى نيكسون بنقص في الاحترام، لم يكن من الممكن تخيله حتى ذلك الحين.

وكتب نيقولاس فون هوفمان: «لقد شاهد الملايين منّا الرئيس الدمية يمسك بزيغلر من ذراعيه، ويديره بحركة عنيفة، ويدفعه وقد بدا على وجهه تعبير مخيف وخائفٌ معاً... من يستطيع أن ينسى صورة رئيس فقد السيطرة على نفسه، بحيث يعبر عن ذلك بمد يدين غاضبتين على أحد موظفيه على مشهد من الملأ؟... ويتنامى لدى الناس انطباع أن نيكسون يعاني من اختلال وظيفي وكما يتنامى الخوف من أنه قد يفعل شيئاً نندم عليه».

وفي تلك الأثناء، نشرت **الواشنطن ستار نيوز** مقالة غير عادية، حول ما يمكن أن يحدث إذا أصيب رئيس للولايات المتحدة بمرض عقلي. وأشارت إلى أن التعديل الخامس والعشرين للدستور ينص على آلية، لانتقال السلطة في حالة وجود مرض يعجز الرئيس عن القيام بوظيفته. والإجراء واضح ومباشر إن كان الرئيس قادراً على التعرف على حالته والاعتراف بها. ثم تساءل كاتب المقالة، سميث هيمبستون: «ولكن ماذا يحدث إذا صار الرئيس عاجزاً جسدياً أو عاطفياً، ولكنه غير قادر (أو غير مستعد) للاعتراف بذلك العجز، كما يمكن أن يحدث في حالة انهيار عقلي؟... إن هذا الاحتمال أضخم إرعاباً من أن يتأمل فيه المرء».

وحسب رواية كاتب سيرة السناتور إيرفن، فإنه قد ناقش مثل هذا

الاحتمال بالضبط مع زعيم الأغلبية مانسفيلد، قبل أن يتخذا قرارهما بإجراء التحقيق في ووترغيت. وحتى في ذلك الحين، كان «ذلك الأمر هو الشيء الرئيسي الذي يُخْشَى منه، ولذا فإنه الموضوع الأساسي. فلم تكن المسألة ما إذا كان نيكسون محتالاً أم لا، وظل ملايين الناس يتحدثون عن هذه القضية من جانبيها فترة زادت على ربع قرن حتى الآن. وكان الجميع يعرفون ما هو الموضوع الأساسي. إصبع إبهام معين، يتحرك على نحو أخرق باتجاه زرّ أحمر معين، ومسألة معينة تتعلق بالصحة العقلية... ثم استفسار: عما إذا كان صاحب ذلك الإبهام المحوّم فوق ذلك الزر مجنوناً...».

ومثل هذه المخاوف، التي انتابت رجالاً لم يكن معروفاً عنهم المعاناة من جنون الارتياب، كانت حقيقةً جداً آنذاك.

ومع نهاية الصيف سُمِعَ كيسنجر يقول: «إن آل هيغ يبقي البلد متماسكاً، وأنا أبقي العالم كله متماسكاً». كان قد أصبح وزيراً للخارجية قبل ذلك بوقت قصير، محتفظاً بمنصبه كمستشار للأمن القومي، وصار مستقلاً في عمله أكثر من أي وقت مضى. ولم يعد نيكسون يهتم بحضور اجتماعات مجلس الأمن القومي؛ وقيل إنه صار كثيراً ما يوقع على الوثائق بالحروف الأولى من اسمه دون أن يقرأها.

وفي السادس من تشرين الأول / أكتوبر، بعد ستة أسابيع فقط من سلوك الرئيس المفزع في نيو أورليانز، حلّت لحظة الزر الأحمر. فقد قام جيشان عربيان يدعمهما السوفييت، وأداؤهما العسكري أفضل من أي وقت مضى، بتوجيه ضربة لإسرائيل. وبدا لفترة ما أنهم قد ينتصرون. وقد استطاعت إسرائيل أن تحتوي التهديد وتقلب الأمور إلى العكس بفضل جسر جوي من الإمدادات كثيف ثقيل. ولكن قبل سكوت المدافع، مرت لحظة من الخطر النووي وضعت العالم بكامله في خطر. وفي تلك اللحظة الخطرة، وطيلة

الأسابيع الثلاثة التي استغرقتها الحرب، أعطاها رئيس الولايات المتحدة أقل من الاهتمام المناسب.

فلم يحضر أي اجتماع رسمي حول الصراع طيلة أسبوعه الأول. واستذكر كيسنجر أن الأمور الجوهرية كانت واضحة لنيكسون، ولم يكن أقلها أن نقل السلاح جواً بشكل كثيف ثقيل كان ضرورياً لبقاء إسرائيل. مع ذلك فقد ظل ذهنه «مشغولاً بفضائحه المحلية. . . عاجزاً عن التركيز على التفاصيل». وفي ذلك الوقت، كان وزير الخارجية في اللقاءات السرية الخصوصية أكثر صراحة.

وعلى مائدة الغداء مع كاتب العمود الصحافي ماكس ليرنر أثناء الحرب، تلقى كيسنجر مكالمة هاتفية. واستذكر ليرنر: «سمعته يغمغم بكلمات مبهمة عن الرئيس ورأيت لون وجهه يتغير. فقد ظل صامتاً لحظة. ثم ـ عندما نهضنا عن المائدة ـ قال بشكل يكاد يكون هامساً ولكنه واضح تماماً: «ذلك اللاسامي ابن الزانية!»».

وأثناء تناول الغداء، سأله ليرنر عن نيكسون. واستنتج أن «كيسنجر كان يقوم بأعباء الرئاسة، ساعياً بنفوذه لإنقاذ ما تبقى من فتات الشرعية، التي ظلت للسلطة التنفيذية. وكان يعرف أن نيكسون كان آخذاً في التساقط والتمزق كعقل وكرجل».

فقد أمضى نيكسون معظم اليوم الرابع من الصراع منشغلاً بمصير نائبه، سبيرو آغنيو، المتهم بتلقي ألوف الدولارات كرشاوى مقابل عقود بناء. وكان يأمل أن يهب الرئيس لنجدته وإنقاذه. غير أن نيكسون كان منذ زمن طويل يرغب في التخلص من آغنيو. وبما أن الرئيس كان محل تدقيق صارم بسبب أزمته الخاصة به، فإنه لم يكن بوسعه أن يظهر شفيعاً لنائبه في قضية جنائية. فاضطر آغنيو إلى الامتناع عن الاعتراض على اتهامه بالتلاعب الضريبي، واستقال.

فكتب نيكسون إلى زميله المغادر رسالة ترضية، أعلن فيها عن حزنه و«شعوره الكبير بالخسارة الشخصية». غير أن آغنيو اعتقد أن الرئيس صار «عدوه المميت». فبينما كان مستمراً في مقاومة الاستقالة، تلقى رسالة نهائية من البيت الأبيض تذكره بفظاظة مبتسرة «أن الرئيس ما زالت لديه سلطات كبيرة». ففسر آغنيو تلك الرسالة على أنها تهديد جسدي. وقدر له أن يكتب بعد ذلك بسنوات أنه خشي على نفسه من القتل إذا رفض أن «يغادر بهدوء».

ويبدو قلقه اليوم مبالغاً فيه. غير أن من الجدير بالتذكر أن سمّ الخوف الذي نشرته ووترغيت كان شديد العمق. فقد قام ذو الحنجرة العميقة، مصدر بوب وود وورد، بتحذيره بأن «حياة كل شخص في خطر». فقام وزميله برينشتاين بإعلام رئيس تحرير صحيفتهما، واتخذا بعض الاحتياطات، ولكنهما استمرا في عملهما.

وفي تلك الأثناء، أدى تهديد بقتل جون دين إلى جعل لجنة الكونغرس، تدبر حمايةً لمستشار نيكسون السابق على مدار الساعة. وتعرضت حياة سام إيرفن للتهديد كذلك، وحياة المدعي الخاص كوكس.

وكان هناك أيضاً قلق من تعرض واحد أو أكثر، من لصوص ووترغيت للقتل لضمان سكوتهم. وحذر متحدثٌ مجهول بالهاتف من وجود قنبلة، تهدد منزل جيمس ماكورد بعد أيام من الاعتقالات. وفيما بعد حذره رسول من البيت الأبيض: «إذا انحصرت الإدارة وظهرها إلى الحائط، فسوف تتخذ خطوات للدفاع عن نفسها». ومثل آغنيو، اعتبر ماكورد ذلك التأكيد تهديداً لحياته. أما لويس راسل، المحقق النيكسوني السابق الذي كان يقوم «بالمراقبة» ليلةَ اعتقالات ووترغيت، فقد مات على ما يبدو من نوبة قلبية أثناء الصيف، بعد أن ادعى أنه قد سُمِّم. ولعل ذلك الادعاء كان بلا أساس، ولكنه كان رمزاً لأعراض الجوّ المتعفن في واشنطن الووترغيتيّة[12].

(12) أُدْخِلَ راسل المستشفى في بادئ الأمر في 18 أيار / مايو 1973، بعد وقت قصير من إرساله رسالة =

وفي الصباح المبكر من يوم استقالة آغنيو، وحرب الشرق الأوسط في يومها الخامس، ذهبت زعامة الكونغرس إلى البيت الأبيض لتلقي المعلومات. فثبت أن تلك التجربة كانت مربكة ومضطربة. فبينما كان كيسنجر يحاول تقديم تقرير عن الوضع، ظل نيكسون يقاطعه بنكات رديئة عن الحياة الجنسية المفترضة لوزير الخارجية. و«خربش» تيب أونيل على رزمة أوراق مفكرته: «إن الرئيس يتصرف بطريقة غريبة جداً».

وبعد ذلك بيومين، في 12 تشرين الأول / أكتوبر، اختار نيكسون طريقة غريبة لتسمية خليفة لآغنيو. فظهر في الإعلان المتلفز عن اختياره بحارةٌ يرتدون سترات حمراء ويعزفون الكمان. وفي وقت كان فيه التخفيف من المظاهر هو الشيء الوحيد اللائق والمناسب، فإن المناسبة كانت صاخبة واحتفالية. فاعتقد آنطوني لويس، من مجلة **تايم** إنها «أكثر الاحتفالات العلنية تنفيراً في وعي الذاكرة... إذ لم يكن هناك أدنى شعور بالمسؤولية تجاه ما حدث، ولا أقل إشارة إلى السبب الكالح الرهيب لهذه المناسبة». وقد اعتقد روبرت هارتمان، مساعد فورد، أن نيكسون «كان يتمرغ منغمساً في دوره الرئيسي بشكلٍ ظاهر للعيان».

= إلى لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ ينكر فيها وجود معلومات لديه من شأنها أن تساعد التحقيق، وقبل ثلاث ساعات من بدء ماكورد في الإدلاء بشهادته. وخرج من المستشفى في حزيران / يونيو، ولكنه مات في 2 تموز / يوليو من «انسداد حاد في الشريان التاجي»، كما وصفته شهادة الوفاة. ولم تشرح الجثة. أما زعم راسل أنه قد تمّ تسميمه فقد أَسَرَّ به إلى ابنته قبيل وفاته. ومن الأشياء المثيرة للشبهة ولفضول مؤلف هذا الكتاب أكثر من موته هو أنه في الأشهر الفاصلة بين اعتقالات ووترغيت وموته كان لديه أموال أكثر بكثير من المعتاد. إذْ أنه أودع أموالاً في أحد المصارف مرتين في تلك الفترة القصيرة: أودع في المرة الأولى 4750 دولاراً، وفي المرة الثانية 20895 دولاراً. وبعد ووترغيت، أعاره وليام بايرلي شقة باذخة وسيارة. وبايرلي هذا سمسارٌ في سوق الأسهم والسندات المالية وصديق لنيكسون (انظر ص 849، الحاشية 19) وساعده على استثمار أرباحه الحديثة السريعة المفاجئة هذه. وقد كان من بين مشيعي جنازة راسل كل من بايرلي وماكورد، اللذين أبقياه في خدمتهما. (مرض، موت: هوغان، **جدول الأعمال**، مصدر سبق ذكره، ص 306 وما يليها؛ شهادة الوفاة: في مجموعة جيم هوغان؛ أموال راسل: أفضل دراسة عنها واردة في مذكرة معنونة «أموال لو راسل»، مرسلة من جون وليامز إلى غوردون ليدّي، 22 تشرين الأول / أكتوبر 1996، وقد شاهدها المؤلف؛ بايرلي، الجنازة: مقابلة مع وليام بايرلي أجراها جيم هوغان، مجموعة هوغان؛ ماكورد، الجنازة: **جدول الأعمال**، ص 239.

وخلف الكواليس، انتقص الرئيس من قيمة الشخص الذي عينه بنفسه، فقد قيل إنه سأل نيلسون روكفلر بلهجة ساخرة: «هل تستطيع أن تتخيّل جيري فورد جالساً على هذا الكرسي؟» وأرسل مع أحد محاميه قلماً كان قد استعمله لتثبيت ترشيح فورد، مع ملاحظة نصّها: «هذا هو القلم اللعين الذي وقعت به على ترشيح فورد». وعند كيسنجر، كانت تسمية فورد قد هدّأت، ولو لفترة قصيرة، «القلقَ على مستقبل بلد كانت سلطته التنفيذية، آخذة في التفتت على نحو ظاهر للعيان».

وكان نيكسون على وشك اتخاذ خطوة كارثية، هي إزاحة الرجل الذي أسماه «الأفعى الخبيثة في صدرنا» أي كوكس، المدعي الخاص لووترغيت. وكان السبب المعطىٰ لطرده، هو أن كوكس قد رفض الحلّ الوسط، الذي اقترحه الرئيس بخصوص الأشرطة. ـ وهو عرض من البيت الأبيض لتقديم «خلاصات»، بدلاً من الأشرطة نفسها. فبالنسبة لنيكسون، كان المدعي أكثر من موظف عمومي عنيد، يصرّ على تلبية نيكسون لطلباته تلبيةً كاملة. ذلك أن خلفية كوكس قد اجتمع فيها عنصران كفيلان بإثارة غيظ الرئيس: فقد كان أستاذاً في هارڤارد، وكان مفضلاً لدى عشيرة آل كيندي[13]. وقال نيكسون على مسمع من مدعيه العام الجديد، إيليوت ريتشاردسون: «أما وقد انتهينا من آغنيو، فإننا نستطيع الآن أن نتخلص من كوكس».

وفي ليلة 20 تشرين الأول / أكتوبر، في نحو التاسعة مساءً، تلقى زيغمان، المستشارُ الرئيسيُّ للجنة القضائية، مكالمةً فيها ألم مبرح من محامي هيئة الادعاء الخاص، فيليب لاكوڤارا، قال له فيها: «لقد اقتحم رجال مكتب

(13) كان كوكس محامياً عاماً أثناء إدارة كينيدي، ولكنه ـ كما قيل ـ كان غير حزبيّ «إلى حد التحسس من هذه المسائل» أثناء قضية ووترغيت. ويشير كاتب سيرته إلى أن فضيحة ووترغيت كان فيها أناس مع نيكسون وضده لهم ارتباطات بإدارات ديموقراطية سابقة. (كين غورملي: **آرتشيبالد كوكس، ضمير أمة**، ريدنغ، ماساشوسيتس: بيرسيوس بوكس، 1997، ص 246، 266 وما يليها).

التحقيقات الاتحادي مكتبَنَا للتوّ، وهم مسلحون». كان لاكوڤارا يصرخ: «قد تكون هذه نهاية الجمهورية. وعليك أن تفعل شيئاً».

كانت مذبحة ليلة السبت قد بدأت. فقد استقال ريتشاردسون بدلاً من أن يطيع أمر نيكسون ويطرد كوكس. وعندما رفض نائبه روكلشوس إطاعة الأمر نفسه، طُرِدَ بدوره. أمّا المحامي العام، الذي تمت ترقيته مؤقتاً ليصبح مدعياً عاماً بالوكالة، فقد أطاع وأرسل رسالة الطرد. وهي رسالة صاغها محامي نيكسون، وطبعت على الورق الرسمي لوزارة العدل... وذلك بعد أن تم نقل تلك الأوراق الرسمية، من مكتب ريتشاردسون إلى البيت الأبيض بسيارة ليموزين يقودها سائق.

وبينما كان كوكس ينتظر الرسالةَ في بيته، هرع موظفوه إلى المكتب، لتأمين السجلات بأفضل طريقة يستطيعونها. فتم تهريب ثلاث بكرات من الأشرطة، عن طريق حشرها في الملابس الداخلية لزوجة أحد المحامين، في لحظة وصول مكتب التحقيقات الاتحادي لإغلاق البناية وختمها. كانت تلك الأشرطة، قد قُدِّمت إلى هيئة الادعاء سراً قبل ذلك بأيام فقط، وكانت تحتوي على محادثات مسجلة سراً لنائب رئيس بنك ريبوزو، فرانكلين دي بوير، يقول فيها إنه يدير محفظة نيكسون المالية «المدفونة»(14). وعلى الجبهة المالية كان التحقيق آخذاً في الاقتراب من الرئيس على نحو خطر. فقبل ذلك بعشرة أيام، كان ريبوزو قد اعترف، باستلام مئة ألف دولار نقداً من هوارد هيوز لمصلحة نيكسون.

وكانت إدانة الصحافة لمذبحة السبت هذه فورية وشاملة. إذ جاءت عناوينها كالتالي: «أزمة دستورية»، و«دكتاتورية»، و«عملية لذوي القمصان البنّيّة» [إشارة إلى قوات العاصفة النازيّة]، و«عمل يائس». ووصفت الصحافة

---

(14) أنظر ص 533 وما يليها.

نيكسون بأنه «يتصرف كرجل مجنون، طاغية» و«مخبول»، وأظهر استطلاع غالوب للرأي، أن معدل الموافقين على سياسة الرئيس، قد انخفض إلى حضيض أدنى لا يزيد على 17 بالمئة. وقدر له أن يعترف بعد سنوات، أن طرد كوكس كان «خطأ خطيراً في الحساب».

واستمر الوضع في الشرق الأوسط خطراً. إذ إن الهجوم الإسرائيلي المعاكس، بدأ يجلب مخاطر ومجاهيل جديدة. ففي رحلة إلى موسكو للتفاوض على اتفاقية لوقف إطلاق النار، تحدث نيكسون بالهاتف مع البيت الأبيض بخصوص قضية عاجلة، ليفاجأ بآليكساندر هيغ يقول له: «ابتعد عن ظهري... لدي من المتاعب ما يكفيني هنا».

وعندما عاد وزير الخارجية إلى واشنطن، مساء يوم 24 تشرين الأول / أكتوبر، وجد نفسه يواجه، إمكانية قيام السوڤييت بإرسال قوات إلى منطقة الحرب. وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة مساءً، قطع مواجهة هاتفية مع السفير دوبرينين ليتلقى مكالمة من الرئيس. كان نيكسون «مهتاجاً وعاطفياً». وكان همّه الرئيسي هو نفسه. إذ أصرّ على أنه يجب إخبار زعماء الكونغرس إلى أي حدّ، لا يمكن الاستغناء عنه لإدارة أزمة الشرق الأوسط. وقال لكيسنجر إن الساسة كانوا يهاجمونه «بسبب رغبتهم في قتل الرئيس... وقد ينجحون. فأنا يمكن أن أموت جسدياً... وهذا يدفعني أحياناً إلى الشعور بأن عليّ أن أقول إلى الجحيم بهذا الأمر». واعتقد كيسنجر أن رئيسه مصاب بحالة من الشلل بسبب اقترابه من كابوس داهم.

وفي تلك الليلة حلّت لحظة الزر الأحمر. فمحادثة كيسنجر مع دوبرينين، التي استؤنفت بعد أن تحدث مع نيكسون، أقنعته بأن موسكو كانت مصممةً على إرسال قوات سوڤييتية. فظل يتحدث على الهاتف ساعتين. وفي التاسعة والنصف مساءً طلب هيغ، الذي أخبره بأن نيكسون قد «توجه إلى فراشه في تلك الليلة». وهكذا ففي اللحظة التي اتفق فيها مع هيغ أنها قد تتبعها «أخطر

أزمات الرئاسة تفجراً» لم يكن من الممكن الوصول إلى زعيم العالم الحر.

ونقل روجر موريس، مساعد كيسنجر السابق، عن لورانس إيغلبرغر، كبير مساعدي وزير الخارجية، وعن زملاء آخرين، قوله إن نيكسون كان «في الطابق العلوي مخموراً لا يعي. . . يغمغم بكلمات غير مفهومة، ولم يكد يستيقظ عندما حاول هيغ وكيسنجر، أن يتعاملا معه في أول لحظة من الأزمة». أما هيغ، الشاهد الرئيسي ذو الصلة بالأمر فقال ببساطة، إن الرئيس «مُتْعَبْ» ولم يزد على ذلك.

وبعد دقائق من المكالمة مع هيغ، تلقى كيسنجر هاتفاً آخر من دوبرينين، الذي قرأ عليه إنذاراً قاطعاً من بريجنيف إلى الرئيس. وكان نص الجملة الحساسة فيه: «سوف أقولها مباشرة. إن كنتم تجدون أن من المستحيل أن تعملوا معنا بصفة مشتركة في هذه القضية، فسوف تواجهنا ضرورة النظر بشكل عاجل في مسألة اتخاذنا الخطوات المناسبة من جانب واحد». وكانت الرسالة تطلب رداً فورياً.

وأكدت تقارير المخابرات وجود تحركات جوية وبحرية سوڤييتية مثيرة للشكوك، وتشير على ما يبدو إلى أن إدخال قوة محمولة جواً كان وشيكاً. وفكر كيسنجر في أن الرد المناسب على ذلك هو استخدام صدمةٍ للسوڤييت، كي يتخلوا عن مثل هذه الخطط. وفي الساعة التاسعة والدقيقة الخمسين مساءً، طلب هيغ بالهاتف مرة أخرى. واستذكر كيسنجر: «سألته عما إذا كان عليّ أن أوقظ الرئيس. فأجاب باقتضاب فظ: «كلا». فعرفت ما يعنيه. كان هيغ يعتقد أن الرئيس في حالة من الذهول والاضطراب لا تسمح له بالمشاركة. . .».

وبعد مكالمات هاتفية أخرى، وتحذير لدوبرينين، تم استدعاء مجموعة العمل الخاصة في واشنطن، المؤلفة من كبار رؤساء الدفاع، والمخابرات، والقادة العسكريين إلى غرفة دراسة الوضع في البيت الأبيض. وناقش كيسنجر مع هيغ ثانية ما إذا كان ينبغي إيقاظ الرئيس. فلم يكن هناك نائب رئيس كي يتم

استدعاؤه؛ لأن تعيين فورد لم يكن قد تم تثبيته في مجلس الشيوخ.

كانت معظم القوات الأمريكية بشكل طبيعي في ذلك الحين، في حالة تأهب تعرف باسم الحالة الدفاعية الرابعة. والحالة الدفاعية الأولى هي الحرب. وفي تلك الليلة رفعت درجة الاستعداد العسكرية إلى الحالة الدفاعية الثالثة، أو الومضة الثالثة.

وفي القواعد الجوية الأمريكية، كانت طائرات الـ 52 - B المحملة بالأسلحة النووية مصطفة وأنف كل طائرة منها خلف ذيل الطائرة التي أمامها. وفي صوامع القذائف، ربط آمرو الإطلاق أنفسَهم بالأحزمة إلى كراسيهم. وهرعت الغواصات المسلحة نووياً إلى مواقع سرية على مبعدة من السواحل السوفييتية، وهي على أهبة الاستعداد للإطلاق. وكأنما لم تكن تلك الخطوات كافية لإثارة انتباه السوفييت، فقد صدرت الأوامر لحاملتي طائرات بالتحرك للاقتراب من النزاع، وطُلِبَ من السفن البرمائية أن تغادر مرساها في جزيرة كريت، بينما اتجهت طائرات الـ 52 - B الموجودة في المحيط الهادي إلى الولايات المتحدة. ووضعت الفرقة الثانية والثمانون المحمولة جواً في حالة تأهب. وعند الفجر أُرْسِلَ ردٌ صارم على رسالة بريجنيف يقول له، إن عملاً سوفييتياً من جانب واحد سوف يكون، من بين أشياء أخرى، مناقضاً لاتفاقية منع نشوب حرب نووية. وأرسل ذلك الردّ باسم نيكسون.

وبدا نيكسون «صافي الذهن ونشيطاً» عندما أخبره كيسنجر بما جرى، في الثامنة من صباح اليوم التالي. غير أنه عندما وصل زعماء الكونغرس بعد ذلك بأربعين دقيقة للاطلاع على آخر التطورات، جوبهوا مرة أخرى بسلوك شاذ وغريب.

وكما استذكر أونيل، فإن «كيسنجر لم يكد يفتح فمه حتى قاطعه الرئيس، وبدأ يكلمنا عن تاريخ الشيوعية في الاتحاد السوفييتي، واستمر يهدر لمدة تقرب من نصف ساعة عن القياصرة والثورة، وعن ماركس ولينين، وحتى عن

اغتيال تروتسكي في المكسيك. فلم يستطع أحد أن يفهم ما هي علاقة هذا كله على الإطلاق، بالحرب في الشرق الأوسط».

وعندما استطاع كيسنجر أن يستأنف كلامه، قاطعه نيكسون بمحاضرة تاريخية أخرى لمدة خمس وعشرين دقيقة. ومع اقتراب موعد اجتماع مجلس النواب في العاشرة صباحاً، استأذن أعضاء الكونغرس في آخر الأمر وغادروا. وفي طريق عودتهم إلى كابيتول هيل، ناقش أونيل سلوك نيكسون مع جورج ماكغفرن، رئيس لجنة التعيينات، وتوماس مورغان، رئيس لجنة الشؤون الخارجية. وكان مورغان الطبيبَ الممارسَ الوحيدَ في الكونغرس؛ فقال لأونيل إن الرئيس قد بدا له «مصاباً بجنون الارتياب (بارانويا)... وأنه في مشكلة حقيقية».

وفي غضون ساعات وصلت رسالة جديدة من بريجنيف، مكتوبة وكأن تهديد الليلة السابقة لم يكن. وتبخرت الأزمة. و«ابتهج» نيكسون، حسب رواية كيسنجر ـ وانطلق إلى كامپ ديڤيد. ومن هناك اتصل هاتفياً ليطلب إعلام الصحافة بمدى الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه.

وسواء أكان الرئيس مخموراً في تلك الليلة العصيبة أم لم يكن، فإن الحقيقة تبقى أن العالم كان على حافة أزمة نووية بينما كان هو نائماً. أمّا هيغ، الذي بقي إلى جانب نيكسون حتى استقالته من منصب الرئاسة، فقال إنه نقل رسالة بريجنيف التهديدية إلى الرئيس، الذي سماها «أخطر شيء منذ أزمة الصواريخ الكوبية»، ودعا إلى اتخاذ إجراء بصددها. وفيما بعد، عندما أُخْبِرَ نيكسون بقرار عقد اجتماع طارئ، «لم يعبّر عن أي تحمس للحضور... وكالعادة فضل أن يقوم الآخرون بوضع الخيارات... وقال مشيراً بيده: (إنك تعرف ما أريد يا آل. فتولّ أنت أمر الاجتماع)».

وتوحي رواية شخص آخر من كبار المشاركين، أن هذه لم تكن هي القصة الكاملة. فالأميرال إيلمو زوموالت، رئيس العمليات البحرية، يستذكر أنه

دُعِيَ في ليلة إعلان حالة التأهب، مع الأعضاء الآخرين في هيئة الأركان المشتركة. إلى اجتماع في الثانية صباحاً مع وزير الدفاع جيمس شليسينغر ونائبه وليام كليمنتس. ولم يرد ذكر اسم نيكسون عندما ناقشوا التأهب. وقيل لزوموالت إنه قد تم الشروع بذلك دون تدخل من الرئيس.

واستذكر الأميرال في سنة 1997: «اضطررنا إلى إعلان تأهب نووي بدون إذن منه، لأنه لم يكن من الممكن إيقاظه. كان واضحاً أنه تعاطى خمراً أكثر من اللازم... ولقد قيل لي في ذلك الحين إنهم غير قادرين على إيقاظه».

وقال زوموالت إنه تلقى هذه المعلومات، مع نهاية الاجتماع، من الأميرال مُورَرْ، رئيس هيئة الأركان المشتركة، ومن كليمنتس نقلاً عن شليسينغر. وكان وزير الدفاع الأسبق، الذي قابله المؤلف عدة مرات، حذراً ومحترساً في أجوبته. فقال إنه إذا كان لا يمكن إيقاظ الرئيس فقد كان «أداء هيغ جيداً. إذ إنه خرج ليتشاور معه مرتين أو ثلاثاً... وقد شعرتُ بأن من غير المعتاد أن يكون غائباً، طيلة ما كان نقطةَ مواجهةٍ كبرى بيننا وبين الاتحاد السوفييتي». ولم يستطع شليسينغر أن يفكر في أي رئيس آخر في العصر الحديث، لا يكون حاضراً أثناء مثل هذا الاجتماع الهام والخطير[15].

وفي المناوبات الساهرة في هزيع تلك الليلة الخطرة، في مواجهة ما بدا أنه استفزاز سوفييتي متعمد، كان أقرب مستشاري نيكسون يتساءلون عما إذا كانت الأزمة ستحدث أصلاً، لو أنه كان رئيساً «قائماً على رأس عمله فعلاً».

---

(15) اتفق الجميع، ومن ضمنهم الأميرال مُورَرْ، على أن نيكسون لم يكن حاضراً في الاجتماع تلك الليلة. وأكد مورر وكولبي، مدير وكالة المخابرات المركزية أن رسائل من الرئيس قد تلاها كيسنجر على المجتمعين وقال هيلموت صوننفيلدت، موظف مجلس الأمن القومي: «لم يشارك نيكسون في معظم هذه المناقشات، بل وافق على التوصيات في وقت مبكر من صباح اليوم التالي. ولقد كنت أشعر دائماً أن القرارات كانت تتخذ حول الموضوعات قيد المناقشة وليس من خلال اعتبارات الرئيس وأفكاره ذاتها. ولعل ذلك مثال على نوع المشكلة الأكثر إثارة ومفاجأة التي كان علينا أن نتعامل معها في مرحلة الهبوط والتدنّي في رئاسة نيكسون». (مورر، كولبي: ستروبر كمحررين، مصدر سبق ذكره، ص 156 وما يليها؛ صونتفيلدت: المصدر نفسه، ومركز ميللر كمحررين، مصدر سبق ذكره، ص 325).

فقد انتهت السنة بتعاسة وإذلال. ففي تشرين الثاني / نوفمبر، في اجتماع لمدراء تحرير وكالة آسوشييتد بريس في أورلاندو بفلوريدا، ارتكب نيكسون غلطة بعد غلطة في السلوك الاجتماعي بينما كان يرد على رشقة من الأسئلة الحادّة: حول الأشرطة المفقودة، وحول ضرائب الدخل الضئيلة التي كان يدفعها، وعن الشائعات حول كون ريبوزو يحتفظ بصندوق سري لمصلحته.

كان المكان هو عالم ديزني، فهناك نطق بتلك العبارات الشهيرة بسمعتها السيئة: «إنني أرحب بهذا النوع من التدقيق، لأن على الناس أن يعرفوا ما إذا كان رئيسهم محتالاً أم لا. حسناً، أنا لست محتالاً».

وفي الرحلة الجوية القصيرة إلى كي بِيسْكِين بعد ذلك، تعاطى نيكسون عدة كؤوس من الخمور القوية. وحالما كان يغادر الطائرة، أَسَرَّ إلى قبطان طائرة سلاح الجو رقم واحد، العقيد آلبرتازي، أنه قد تناول «كأسين من الخمور القوية». وعند قاع سلّم الطائرة، حيث كان ينتظره جنرال انحنى الرئيس - حسبما قال آلبرتازي - من خصره بطريقة تدل على العظمة وبشكل رائع، وبكثير من الابتهاج». كان من الواضح جداً أنه مخمور.

كانت حالة الرجل الخطرة واضحة بشكل متزايد لزوار البيت الأبيض. ففي اجتماع لمجلس الوزراء شاهد روبرت بورك ارتجاف يدي الرئيس، ولاحظ الصعوبة التي يعاني منها في السيطرة على صوته. كما أن رئيس مكتب التحقيقات الاتحادي الجديد، كلارنس كيلي، قد سمع خطبة الرئيس المثرثرة المدمدمة واستنتج أنه «آخذ في الانهيار». أما نائب وزير الخزانة، وليام سايمون، فقد ذكّره الرئيس «بدمية معبّأة تتحرّك وتؤشّر بطريقة آلية دون أي تفكير بمعنى إشاراتها».

وفي كانون الأول / ديسمبر (1973) كان السناتور باري غولدووتر، واحداً من مجموعة من تسعة أشخاص دعوا إلى العشاء في البيت الأبيض. فاستذكر أن «الرئيس دخل بعدما تجمعنا. وكان مليئاً بالحيوية تماماً، بل

مهذاراً. . . وعلى غير توقع، بدا أن ذهنه قد توقف فجأة وشطح بعيداً بلا هدف. . . وشعرت بالقلق. فلم يسبق لي أن رأيت نيكسون يثرثر إلى هذا الحد، وبشكل مضطرب فيه خلل، وكأنه شريط فيه مساحات فارغة غير متوقعة». وبينما استمر الرئيس في ثرثرته، شعر غولدووتر أنه كان يشهد «انهياراً بالحركة البطيئة لتوازن نيكسون العقلي». وقد استذكر السناتور: «قدتُ سيارتي عائداً إلى البيت، وأمليت هذه الكلمات لأضعها في ملفاتي: (لديّ سبب للشك في أن كل شيء ليس على ما يرام عقلياً في البيت الأبيض. وهذه هي النسخة الوحيدة من هذا الكلام. وسأغلق عليها في خزانتي. . .»[16].

وفي الأسبوع التالي، في مؤتمر عادي روتيني لهيئة الأركان المشتركة، تجاهل نيكسون موضوع الاجتماع، وهو ميزانية الدفاع، وانطلق، كما يستذكر الأميرال زوموالت، «في حديث فردي طويل مستفيض، بدا أحياناً كأنه تدفق لجدول الوعي في الذاكرة، عن فضائل سياسته المحلية والخارجية. وكرر التعبير عن أن المؤسسة الليبرالية الشرقية، (نسبة إلى الساسة من خريجي جامعات الساحل الشرقي للولايات المتحدة)، عازمة على إهلاكنا جميعاً وأن علينا أن نحذر. . . وكان واضحاً أنه يتصور نفسه مقاتلاً يدافع عن كل ما هو صحيح في الولايات المتحدة، وأنه مشتبك في معركة مميتة مع قوى الشر».

غير أن الجزء التالي من خطبة نيكسون اللاذعة الساخرة، صَدَمَ الأميرال؛ إذْ إنه قال للمجتمعين: (نحن هنا أيها السادة نمثل الأمل الأخير. الفرصة الأخيرة للمقاومة. . .) وتكون لديّ انطباع أنه كان يمتحن ولاءنا بطريقةٍ ما، ليرى إن كان هناك تأييد ـ أو أي هزّ للرؤوس ـ حول تلك الأشياء وكان بمقدور المرء التوصل إلى الاستنتاج، أن القائد العام يريد أن يرى ما قد يكون عليه رد

---

(16) أنكر ريموند برايس، كاتب الخطب، أن نيكسون كان مخموراً. وكان برايس حاضراً في حفلة العشاء. (ستروبر كمحررين، **نيكسون**، مصدر سبق ذكره، ص 494؛ برايس، مصدر سبق ذكره، ص 94 وما يليها).

فعل رؤساء الأركان إذا قام بعمل غير دستوري. . . كان يحاول أن يستكشف ما إذا كان هناك في غمرة الأزمة تأييد لإبقائه في السلطة. . . ».

وذهل زوموالت مما سمع. فتشاور فيما بعد مع الجنرال كرايتون إبرامز، الذي كان الضابط الأعلى منه رتبة، وزميله المقرب في ڤيتنام. فقال الجنرال إنه قرر أن يتصرف وكأن تلك الواقعة لم تحدث أبداً. أما زوموالت فكتب من جانبه سجلاً بالمحادثة، وأودعه في محفوظات البنتاغون، حيث سيظل مكتوماً عشرين سنة، كما قال للمؤلف، قبل موته في سنة 2000.

وأمضى نيكسون عيد الميلاد في البيت الأبيض مع أسرته، التي كانت روحها المعنوية منخفضة في ذلك الحين. فقد تألمت تريشيا وجولي بسبب أبيهما في تلك السنة. فعندما قامت تريشيا وزوجها بزيارة ملعب اليانكي، انفجرت رشقات من الزعيق الاستنكاري، عندما أومضت لوحة تسجيل نتائج المباريات بعبارة: «مرحباً بتريشيا نيكسون».

أما جولي فقد ظهرت علناً مئة وخمسين مرة في غضون الأشهر المنصرمة، وكانت غالباً ما تتكلم مدافعة عن أبيها. وقدر لجورج ويل أن يكتب: «إن أي شخص يعتقد أن نيكسون يستحق مصيراً أفضل من ووترغيت، ينبغي عليه أن يتذكر صمته بينما كانت ابنته الشجاعة تعبر البلاد جيئة وذهاباً، وهي تدافع عنه ضد اتهامات كان هو يعرف أنها صحيحة».

وبعد العطلة، توجه نيكسون وبات إلى سان كليمنت، حيث بقيا سبعة عشر يوماً. فحتى ذلك الحين، لم يكن قد أمضى في واشنطن سوى أربع عطلات نهاية الأسبوع، من مجموع أربع وأربعين عطلة منذ بدء ولايته الرئاسية الثانية. وبالنسبة للناس الخارجيين، كانت بات صامدة أكثر من زوجها في تحمل المحنة المضطرمة من حولهما. ولاحظ دبلوماسي إفريقي زائر: «إنه لأمر مذهل. لقد استطعت أن أرى يديه ترتجفان. أما هي فكانت لديها قدرة على السيطرة كبيرة».

ولكن السيطرة كانت أقل وضوحاً وراء الكواليس. فحسب رواية إيرليكمان، كانت باتريشيا تتعاطى خمراً أكثر من اللازم أثناء الأزمة الطويلة. وقد اضطر رجال الشرطة السرية إلى إنقاذها ذات مرة من حوض استحمام فائض المياه[17]. وفي ليلة أخرى، حسب رواية ضابط من خدمة الحماية التنفيذية، اضطر المساعدون إلى المسارعة لنجدة بات لسبب آخر. فقد ضربها نيكسون، كما كان قد فعل قبل سنين، بعد اندحاره في انتخابات منصب حاكم كاليفورنيا سنة 1962.

انضم بيب ريبوزو إلى نيكسون أثناء بقائه في سان كليمنت. وعندما كانا وحدهما عشية رأس السنة، سأله الرئيس عما إذا كان عليه أن يستقيل. فأجاب ريبوزو «كلاّ. إن عليك أن تقاتل».

وكتب نيكسون على رزمة ورق مفكرته إلى جانب سريره في الساعات

(17) ثار جدل وخلاف حول الروايات عن تعاطي بات نيكسون للخمر بشكل ثقيل. وقد نشرت تلك الروايات لأول مرة في كتاب وودوورد وبرينشتاين المعنون: **الأيام الأخيرة**. فأصرّت هيلين ماكين، مساعدتها الصحافية، أن «الكحول لم تكن مشكلة أبداً». وأصرّت ابنتها جولي في مقالة كتبتها رداً على **الأيام الأخيرة**، على التأكيد على مدى انشغال أمها، قائلة: «إن مثل هذا الجدول المليء لا يمكن أن يكون لامرأة سكيرة ميالة إلى العزلة...» أما هيلين توماس، مراسلة البيت الأبيض القديمة، التي نقلت عن السيدة الأولى زعمها بأنها لم تكن تشرب الخمر ولا تدخن، فقد كانت تعتقد أنها إنما كانت تتجنب أن تفعل ذلك علانية أمام الناس. وكما هو منقول آنفاً، فإن أحد رجال الشرطة السرية السابقين أنها كانت في بعض المراحل «مدمنة كحول تقريباً» إلى درجة أن بعض أصدقائها نظموا لها عملية معالجة من الإدمان سراً. وأمّا الشرطي السري السابق مارتي فينكر، الذي ظلّ أحد حراس نيكسون بعد الاستقالة، فكان يعتقد أنها «كانت في هذه المرحلة أكثر تعاطياً للخمر من زوجها». وأمّا كاتب العمود الصحافي نِكْ ثِيمِيْشْ، الذي كان مساعداً لنيكسون ذات مرة، فقد كتب سنة 1997: «إن الوجه الذي كانت تظهر به أمام العالم لم يكن أبداً هو الصورة بكاملها... ففي مجالسها الخاصة كانت تستمتع بتعاطي المارتيني والمرغريتا. فهي تدخن، وتشتم بألفاظ بذيئة... ونادراً ما تحضر صلوات في الكنيسة...» (**الأيام الأخيرة**: وودوورد وبرينشتاين، مصدر سبق ذكره، ص 172 وما يليها؛ «أبداً»: وكالة يونايتد بريس إنترناشنال، 13 حزيران / يونيو، 1976؛ تعليق جولي: مجلة **نيوزويك**، عدد 24 أيار / مايو 1976؛ توماس: **خط التاريخ**، مصدر سبق ذكره، ص 160؛ «تكاد تكون مدمنة»، كيسلر، مصدر سبق ذكره، ص 41؛ مقابلة مع رون كيسلر؛ «كانت أكثر تعاطياً»: مقابلة مع مارتي فينكر؛ ثيميش: مجلة **ماكولز**، عدد نيسان / إبريل، 1979).

الأولى من صباح أول يوم في السنة الجديدة: «هل أقاتل بصورة شاملة، أم أبدأ عملية طويلة للتحضير للتغيير، أعني الاستقالة في الواقع؟» ثم كتب الجواب: «**سأقاتل**».

وبعد بضع ليال، في الخامسة صباحاً، كتب ملاحظة أخرى: «الكرامة، التحكم، الإيمان... تصرّف كمنتصر. فالخصوم متوحشون مدمرون كارهون. حان الوقت لاستعمال سلطتك الكاملة كرئيس...».

33

أحسب أنه كان لا بد أن يأتي وقت يتم فيه إيقاف هذا التراكم المستمر للسلطة، بطريقة لا يقتصر فهمها بوضوح على الرئيس الحاكم في تلك اللحظة المعينة من التاريخ، بل يفهمها أيضاً الرؤساء الآتون فيما بعد.

النائب جيروم والدي، اللجنة القضائية لمجلس النواب
في «مذكرة الاتهام» عشية استقالة نيكسون

ليس من المحتمل أن يكون رئيس الولايات المتحدة، قد قام أثناء عطلته في رأس السنة 1974، بالبحث عن معنى كلمة «سلطة» في **قاموس وبستر**. ولو فعل ذلك لقرأ أنها تعني «امتلاك السيطرة، والقرار والنفوذ والتأثير على الآخرين»، وما كان ليتخاصم مع هذا التعريف. ومن المؤكد أن ذلك كان جوهر ما قصد نيكسون أن يستخدمه بشكل تام، كما أوحت بذلك مفكرته في كانون الثاني / يناير.

وقد ألهمت أزمةُ ووترغيت الطويلةُ، الكاتبَ جيمي بريسكين، أن يقترح تعريفاً بديلاً للكلمة. فالسلطة ـ كما اقترح بريسكين ـ ليست في الحقيقة أكثر من «مرايا ودخان أزرق. فإن قال لك أحد كيف تنظر، فإن من الممكن أن تشاهد في الدخان أشكالاً عظيمة رائعة من القلاع والممالك. . . إن السلطة **وهم**». وإن جزءاً من هذا الوهم، هو أن السلطة لا وجود لها، إلاً طالما كان الآخرون يعتقدون أنك تملكها. فإذا توقفوا عن الإيمان بذلك، فإنها تختفي بسرعة.

ويوحي مقطع في مذكرات نيكسون في مطلع تلك السنة، أنه قد فكر في ما لو استطاع فقط أن يجد طريقة لإعادة تصفيف المرايا، لجعل الدخان يتصاعد

ملتفاً بالتشكيلات الصحيحة مرة أخرى، فسوف يستمر عامة الناس بالإيمان، ويبقى هو كرئيس. فقد كتب يقول: «أقنعت نفسي بأنه رغم أن **الحالة** مَعِيبةٌ بشكل سيِّئ. . . فإن **القضية** نبيلة وهامة.

كانت القضية عند نيكسون هي الحفاظ على «طبيعة القيادة في السياسة الأمريكية. . . فلئن كان من الممكن طردي من وظيفتي بسبب فضيحة سياسية مثل ووترغيت، فإن نظام الحكم الأمريكي كله سوف يتقوض ويتغير. لم أعتقد أبداً ولو للحظة أن أيّاً من الاتهامات الموجهة ضدي يمكن محاكمتي بموجبها قانونياً. . .».

وفي نهاية كانون الثاني / ديسمبر، توجه نيكسون، وبات إلى جانبه، إلى الكونغرس لإلقاء خطابه الرابع حول حالة الاتحاد. فذكر القضايا التي يتحدث عنها الرؤساء ـ السلام العالمي، والاقتصاد، والرعاية الصحية وإصلاح نظام الرفاهية ـ فاستُقْبِلَ استقبالاً جيداً. وبعد اثنين وعشرين ألف كلمة، تطرق أخيراً إلى الموضوع الذي كان كل مَنْ في المجلس الصامت، يفكر فيه في الحقيقة: ووترغيت.

فحثّ الناس بقوله إن الوقت قد حان للابتعاد عن الفضيحة إلى القضايا الحقيقية. وزعم أنه قد زود المدعي الخاص «بكل المواد التي يحتاج إليها لاستكمال تحقيقاته واختتامها. . . أعتقد أن الوقت قد حان لإنهاء ذلك التحقيق والتحقيقات الأخرى. فإن سنة كاملة من ووترغيت تكفينا».

ومع ذلك فإن التحقيقات بدلاً من أن تنتهي راح زخمها يتسارع. ذلك أن ليون جاورسكي، الذي حل محل كوكس كمدع خاص، لم يثبت، كما خشي البعض، وكما كان نيكسون والموالون له يأملون، أنه مطواع للتلاعب. بل بالعكس، فإن الأدلة التي تفحصها حتى ذلك الحين جعلته مصمماً على الضغط للحصول على المزيد.

وكان نيكسون، قد سلّم عدداً قليلاً من أشرطة البيت الأبيض آنذاك بعد

تمنّع وعلى م. وقد ذهل جاورسكي من لهجة المحادثات التي سمعها مسجلة على تلك الأشرطة. فأخبر مساعديه أنه قد تشكل لديه انطباع، بأن نيكسون رجل «يريد أن يحيط نفسه بمرضى نفسيين»، وبأن هناك «شيئاً ناقصاً في تركيبته». كما أن الأشرطة قد أقنعت المدعي، لأول مرة، بأن الرئيس «متورط بصورة إجرامية». وعند إعلام جاورسكي بأن محامي البيت الأبيض، يعتقدون بعدم وجود قضية جنائية ضد نيكسون، لم يوافق على ذلك. بل أخبر آليكساندر هيغ بأنه ينبغي على الرئيس أن «يحصل على أفضل محامٍ جنائي يستطيع العثور عليه».

كانت لجنة مجلس الشيوخ عندئذ، قد جمعت تقريراً ضخماً من ثلاثين مجلداً، وراحت تمهد الأرضية للعملية التي كان نيكسون يخشاها أكثر من أي شيء آخر. ذلك أن توجيه الاتهام للرئيس لم يعد موضع جدل كلامي فحسب، بل صار قضية تجري متابعتها بنشاط. وكانت لدى اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب موارد مالية، وموظفون مختصون ـ من بينهم محامية في منتصف العشرينيات من عمرها تدعى هيلاري رودهام[1] ـ. وفي غضون وقت قصير صارت للجنة صلاحيات كاملة، صوتت عليها أغلبية ساحقة، للتحقيق فيما إذا كانت هناك «أسباب تدعو مجلس النواب إلى توجيه الاتهام إلى ريتشارد م. نيكسون، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية».

وكان ذلك كله يجري قبل مغادرة نيكسون للتمتع بعطلة رأس السنة. ومع ذلك فقد كان في سره وفي علانيته يأمل، مثل الملك كنوت القديم، (الذي

---

(1) كانت هيلاري رودهام عندئذ قد تخرجت لتوها من كلية الحقوق. وقد قام أستاذها السابق في جامعة ييل، بورك مارشال، بتزكيتها لجون دور، المستشار الخاص للجنة القضائية، كما زكّى بيل كلينتون، الذي صار زوجها فيما بعد، ثم رئيساً للولايات المتحدة، ولكنه رفض العمل للجنة، إذ إنه كان قد شرع يخطط للحصول على وظيفة عامة في أركنساس، حيث كان لنيكسون أتباع كثيرون، فكان يخشى أن يرتبط اسمه بالدعوة إلى اتهام الرئيس. (زيغمان، مصدر سبق ذكره، ص 11 وما يليها؛ ديڤيد مارانيس: **الأول في صفه**، نيويورك: سيمون وشوستر، 1995، ص 297).

حكم إنكلترا بين سنتي 1016 و1035)، أن طوفان المدّ البحري، لن يجرؤ على الزحف نحوه إذا أمره بذلك. فتصرف وكأن المحنة كلها سوف تبتعد عنه. وفي حفلة عيد الميلاد التسعين، لآليس روزفلت لونغوورث في شباط / فبراير 1974، كان إظهار الرئيس لثقته بنفسه مدعاة للقلق، فقد استذكرت نانسي ديكرسون، مراسلة شبكة كولومبيا الإذاعية: «وجدت نفسي أسأله كيف يستطيع الصمود تحت الضغط. فأعطى إشارة كاسحة شاملة بيده، تفيد بأن ذلك كله ليس سوى ماء يتساقط عن ظهر بطة دون أن يبلله. وكان مقنعاً في إشارته بادئ الأمر. غير أنني أدركت أنه كان يتكلم، وكأنه يتحدث عن شخص آخر، وليس عن نفسه. فقد كان منفصلاً كليّاً عن حقائق الأمور. وكان ذلك غريباً ومخيفاً».

غير أن تلك الحقائق ـ حقائق شخصية، وسياسية، وقضائية ـ كانت عندئذٍ مستمرة في الهجوم على نيكسون دون أن يثنيها شيء. فقد تركه معظم حرسه القديم، أو كانوا في سبيلهم إلى الخروج. وكان هالدمان وإيرليكمان يواجهان المحاكمة بتهم متعددة ومتراكبة. كما أن هيرب كلاين وميلفين ليرد، وكلاهما من الرجال الشرفاء، كانا قد غادرا. أما برايس هارلو، الذي كان أول موظف سياسي عينه نيكسون في رئاسته، فقد كان على وشك ترك وظيفته.

وكان أطول الموظفين خدمة، وهو موراي تشوتينر، قد توفي في المستشفى عند مطلع السنة الجديدة، وهو في الرابعة والستين، في أعقاب حادث صدام سيارة. وشاعت الصدفة الغريبة أن تكون إحدى السيارات المتورطة في الصدام، يقودها رجل يدعى ماكغفرن. وبالإضافة إلى ذلك، فقد وقع الحادث خارج منزل إدوارد كينيدي. وقام السناتور نفسه باستدعاء رجال الإسعاف. وذهب نيكسون إلى الجنازة، ليظهر حزنه على «حليف له في المعارك الدبلوماسية، وزميل موثوق. . . وصديق».

واستذكر هارلو، أنه عند تبعثر موظفي نيكسون بهذا الشكل، فقد صار «منعزلاً عن الاتصال بالناس تقريباً. وراح يتعامل فقط مع الجنرال هيغ، ورون

زيغلر، وروز وودز، ومحاميه. . . وتوقف عن رؤية أي شخص آخر». وكان سبب ذلك جزئياً، هو أن قليلين فقط كانوا يطيقون أن يمضوا وقتاً معه، لأن طريقته كانت تشي بالذهول والاضطراب. وحتى زيغلر، المساعد الصحافي الشاب المتحمس، قيل إنه كان كثيراً ما يتجنب مكالمات نيكسون الهاتفية.

وكان كثيرون ممن خدموه قد مثلوا أمام العدالة. وكان أولهم ذهاباً إلى السجن هو كروف، الذي حكم عليه في قضية اقتحام مكتب الطبيب النفسي لإلسبرغ. وتلاه محامي نيكسون، كالمباش، الذي دين بتهمة ممارسة الفساد بعرض منصب السفير لقاء تبرعات انتخابية. وكان مساعدو نيكسون من ذوي الرتب العالية والمنخفضة على حد سواء، يواجهون أحكاماً بالسجن: كولسون بتهمة عرقلة سير العدالة، ومغرودر بتهمة عرقلة العدالة، والتآمر لاعتراض الاتصالات الهاتفية، والتنصت عليها بصورة غير قانونية، وميتشل بتهمة التآمر لعرقلة العدالة وتأدية شهادة زور؛ وشابان لأنه كذب على هيئة المحلفين الكبرى؛ ودين بتهمة التآمر لأجل عرقلة سير العدالة؛ وهالدمان وإيرليكمان بتهمة التآمر لعرقلة سير العدالة والإدلاء بشهادة زور. وفي نهاية المطاف حكم على أربعة عشر من شركائه بقضاء وقت وراء القضبان.

وفي اليوم الذي ألقى فيه نيكسون خطابه عن حالة الاتحاد، كتبت إليه هيئة المحلفين الاتحادية الكبرى، التي كانت تحقق في التستر على ووترغيت تدعوه للإدلاء بشهادته. فرفض ذلك مستشهداً باستقلالية منصبه وبضغط العمل عليه، غير أن المحلفين أصابتهم الرهبة من حقيقة كونهم يتعاملون مع الرئاسة. وكشف الكثيرون منهم فيما بعد، أنهم كانوا يريدون توجيه الاتهام إلى الرئيس مع المتهمين الآخرين، حتى على أساس الأدلة المتاحة في تلك المرحلة المبكرة. بل إن التصويت غير الهام الذي أجروه حول الموضوع كان حاسماً إلى درجة أنه صار مصدر مرح صاخب. فقد استذكرت المحلفة السابقة إيلين إدلوند: «رفعنا أيدينا جميعاً تأييداً لرغبتنا في توجيه الاتهام إلى الرئيس، كلنا.

بل إن بعضنا رفع يديه الاثنتين». وهكذا تم إعداد لائحة فيها أربعة اتهامات حسب الأصول.

ولكن المدعي جاورسكي اعترض على سلوك هذا السبيل، فأدى ذلك إلى انشقاق أربعة من المحامين التابعين له. فقالوا له في حماسة عاطفية في مذكرة من إحدى وعشرين صفحة: «إن الحقائق الموصوفة لك، تشكل دليلاً واضحاً للعيان من النظرة الأولى على مشاركة الرئيس في مؤامرة لعرقلة سير العدالة. . . ومن الضروري إبراز هذه الحقيقة الأولية البسيطة في الإجراء الذي سنتخذه

نحن وهيئة المحلفين الكبرى: لولا أن ريتشارد نيكسون هو الرئيس، لكان يواجه الاتهام».

وتم التوصل إلى حل وسط في آخر الأمر: فعندما قُدِّمت الاتهامات ضد هالدمان وإيرليكمان وشركاهم، تم ضم اسم نيكسون إلى قائمة المتهمين باعتباره «شريكاً في التآمر غير متهم»[2]. أما الوثائق التي سلمت إلى محكمة المقاطعة، ومعها أشرطة البيت الأبيض، فقد ملأت حقيبتين ضخمتين مغلقتين.

ولم يعرف سوى عدد قليل من الأمريكيين آنذاك أن هيئة المحلفين الكبرى كانت تريد إرسال رئيسهم إلى المحكمة بتهمة الرشوة، والتآمر، وعرقلة العدالة، وعرقلة تحقيق جنائي. فقد ظلت تلك الحقيقة سراً مكتوماً. وعندما ذكرتها الصحافة آخر الأمر في منتصف الصيف، ضاعت وسط هجمة الأحداث المتلاحقة. غير أن المحلفين وهيئة الادعاء قد ضمنوا أن عملهم لن يذهب هباء. فقد تقرّر إعطاء الحقيبتين المليئتين بالأدلة ـ كما طلب المحلفون ـ إلى الحَكَم الحقيقي المقرّر لمصير نيكسون، وهو اللجنة القضائية التابعة لمجلس

(2) من حيث الأسلوب القانوني، فإن تسمية نيكسون متآمراً غير متهم كان يعني أن محادثاته يمكن استخدامها كأدلة ضد مساعديه السابقين أمّا من الناحية النفسية، فقد كان لذلك أهمية أكبر بكثير.

النواب، كي تشكل جوهر الأدلة على توجيه الاتهام إلى الرئيس.

وفي السادس من آذار / مارس، تجرأ مراسل صحافي على سؤال نيكسون عما إذا كان يعتبر الجرائم المدعاة ضد المتهمين الماثلين في المحاكم جنايات يصحّ الاستناد إليها لتوجيه الاتهام إليه لو طبقت عليه. فأجاب وقد أخذ على حين غرّة: «حسناً، لقد توقفت أيضاً عن ضرب زوجتي».

وبالنسبة لبات وابنتيها، كان الاحتفاظ برباطة الجأش يزداد صعوبة مع كل أسبوع يمرّ. فقد أصرّت جولي في مطلع سنة 1974 أن أباها «لم يفعل أي شيء يؤاخَذ عليه». غير أن أثر الضغط والتوتر كان بادياً عليها بوضوح مع حلول الربيع. فكتب الحاخام كورف، المؤيد المتحمس لنيكسون في مفكرة مخصّصة لنفسه بعد أن رآها على مائدة غداء: «لقد بدت هزيلة ناحلة ذاهلة تبحث عن قشة تتمسك بها. وأشحت بوجهي عنها، غير قادر على النظر إليها دون أن أتهاوى من العطف والأسى على ما كانت تلك المخلوقة الرقيقة الهشّة تتحمله».

وفي نيسان / أبريل قالت تريشيا في إحدى المقابلات: «إننا نؤمن بأبي ونثق به كما كنا دائماً. فهو لم يكذب أبداً. . . وهو أشرف وأنزه رجل نعرفه».

أمّا بات فكانت من جانبها تكشف أحياناً عن ألم وكرب واضحين. واستذكر أحد الجيران عن زيارة لكي بسكين: «خرج نيكسون مع بعض موظفي الشرطة السرية. وكان عائداً إلى واشنطن. وكانت بات واقفة هناك. وانحدرت دمعة على خدها. فهزت رأسها بطريقة ما. وبدا أن أثقال العالم كلها واقعة على كاهل نيكسون. فكان منحنياً تحت وطأتها ويتحرك بصعوبة وبطء».

وعند ملاحظة بات عن كثب في رحلة لها إلى أمريكا اللاتينية، بدت مشحونة بالألم والغضب. وعندما سئلت كيف تتحمل هذا الأمر رفضت أن تجيب. غير أن لحظة سعيدة بدت قريبة منها عندما التقت بزوجها علناً ـ في ناشفيل في الطريق عائدة إلى بيتها ـ في حفل افتتاح موسم الأوبرا الكبرى.

كانت تلك المناسبة هي عيد ميلادها الثاني والستين. وقد توهج وجهها عندما جلس نيكسون إلى البيانو ليعزف لها عليه أنشودة «عيد ميلاد سعيد». واستذكرت مساعدتها هيلين ماكين سميث: «عند آخر نغمة، نهضت بات من كرسيها وتحركت باتجاه زوجها. . . فنهض واستدار بفظاظة وخطا نحو وسط المسرح، وتجاهل ذراعي بات الممدودتين. ولن أنسى التعبير الذي ظهر على وجهها».

وذات يوم في البيت الأبيض، أكلت بات وابنتاها وحدهن بينما كان نيكسون يتناول الغداء مع نورمان فنسنت بيل وأسرته، وروز وودز وروبرت كيث غراي، مساعد آزينهاور الأسبق. واستذكر غراي: «لم يأكل شيئاً أبداً. بل ظل يحدق في طعامه. وتحدث آل بيل إليّ وإلى روز. ولم يقل نيكسون كلمة واحدة. كان من الواضح أنه متألم جداً لوجود أناس معه، وكان كذلك يتألم جداً لكونه وحيداً».

كانت الأشرطة المسجلة هي التي ستثبت أنها رصاصة الرحمة. وكان الرئيس على علم بذلك. وقد كتب في مفكرته قبل منتصف الليل في 20 نيسان / أبريل: «إن أي أشرطة أخرى سوف تدمّر المنصب». والأشرطة الأخرى كانت بالضبط هي ما كان المدعي الخاص واللجنة القضائية يلحّون في طلبها. وفي ذلك الشهر قال بيتر رودينو، رئيس اللجنة: «لقد صبر الناس زمناً طويلاً، طويلاً. غير أن صبر هذه اللجنة آخذ في النفاد». وهكذا حدّد وقتاً نهائياً للحصول على الأشرطة.

فكان ردّ نيكسون أن تظاهر بالاستجابة. فقام كتاب الاختزال في البيت الأبيض بطباعة الحوار المسجل على الأشرطة المطلوبة. وقدم مكتب الطباعة الحكومي مجلداً من ألف صفحة من النصوص المنقولة عن الأشرطة. ثم ظهر الرئيس على شاشة التلفزيون وخلفه أوراق مكدسة مربوطة برزمات ذهبية اللون

ـ لم تكن هي نسخة مكتب الطباعة الحكومي ـ جعلت المادة التي كان يفرج عنها تبدو أضخم مما هي عليه في الحقيقة.

كان أداءً تمثيلياً متقناً، يخلو من تلك الإشارات الغريبة والنطق الملتبس المبهم، مما كان يسود في حالات ظهوره الأخرى. وأكد نيكسون للأمة أن «هذه المواد، مع غيرها مما أتيح [للمحققين] في السابق، تحكي القصة كلها».

غير أن القصة المحكية لم تكن هي القصة الكاملة. فقد تمّ تحرير النسخ المنقولة عن الأشرطة، بإشراف فعليّ من الرئيس نفسه. ورغم أنه لم يكن من المهم انتشار عبارة «كلمة الشتم محذوفة» في غضون النصوص، فإن النسخة التي قدمها لم تكن كاملة. واستطاعت اللجنة القضائية أن تثبت تلك الحقيقة بسرعة. ذلك أن المحادثات المكتوبة قد شملت عدة محادثات كانت اللجنة قد تلقتها مسموعة وكشفت المقارنة بين النسخ عن وجود تباينات مقلقة، كما هي الحال في ما يأتي:

نص منقول عن 22 آذر / مارس كما أفرج عنه نيكسون

الرئيس: حسناً. إن كل ما يجادل به جون ميتشل هو أن نستخدم المرونة كي نبتعد عن خط التستر

النص المتوفر لدى اللجنة القضائية

الرئيس: ولكن الآن ـ ماذا ـ إن كل ما يجادل به جون ميتشل هو أننا، أننا نستخدم المرونة الآن

دين: هذا صحيح

الرئيس: كي نستمر في خطة التستر

وكانت هناك أيضاً شريحة من ألفين وخمسماية كلمة حذفت من النص المنقول عن ذلك الشريط نفسه، وهو الشريط الحاوي على تلك القطعة السيئة الصيت المعروفة الآن التي أصدر فيها نيكسون أمره: «أريدك أن تماطل... وأن تتستر، أو أي شيء». وقد تم الحذف بناء على تحريضه الشخصي.

وكانت نتيجة الإفراج عن المواد سلبية كلها. وكان فورد، نائب الرئيس الجديد قد برز بقوة كمدافع عن نيكسون. أما الآن، فقد أعلن: «لقد حان الوقت للمشتغلين في الحياة السياسية أن يتجنبوا المراوغة النفعية المصلحية التي تسعى إلى طمس الحقيقة».

بل إن زعيم الجمهوريين في مجلس الشيوخ، هيو سكوت، أطلق على المواد المفرج عنها بهذه الطريقة صفة شيء «يرثى له، ويثير الاشمئزاز، وعمل غير أخلاقي». بينما شدّد السناتور غولدووتر على خطيئة الحذف فقال: «إن ما آذى الشعبَ الأمريكي هو أنه ليس في هذه الأشرطة مكان يدق فيه الرئيس على الطاولة ليقول: أيها السادة. هذا شيء يجب أن يتوقف، ويتوقف الآن».

وفي تلك الأثناء قالت اللجنة القضائية للرئيس بصراحة فظة إنه قد فشل في الاستجابة لطلبها، وأصدرت طلبات جديدة. وعندما رفض تلك الطلبات، حذرته اللجنة من أن استمراره في تحديها «قد يشكل أساساً لتوجيه الاتهام إليه». وفي 9 أيار / مايو، في الغرفة رقم 2141 من بناية مكتب رايبورن التابعة لمجلس النواب، اتخذ أعضاء اللجنة الثمانية والثلاثون مقاعدهم لسماع الأدلة. لقد بدأ العد التنازلي لإنهاء رئاسة نيكسون.

وبينما أصيب البلد باهتياج عصبيّ، راحت الشائعات تتطاير، وبعضها لا أساس له. فانتشر في واشنطن خبر يقول إن الرئيس قد زار مستشفىً للأمراض النفسية عندما كان في فينكس ـ بولاية آريزونا. وعندما استدعى جيرالد فورد إلى اجتماع سريّ، اعتبر بعضهم أن الاستقالة وشيكة. ولكن نيكسون لم يحقق تلك التوقعات. وعندما لم يستطع اليخت **سيكويا** أن يصل إلى رصيفه واستخدم نيكسون سطوح كتل طافية غاطسة كي يعبر عليها إلى اليابسة قال عنه بعض المهرجين إنه يستطيع السير على الماء.

وفي حزيران / يونيو غادر نيكسون واشنطن في رحلة شاقة مرهقة إلى خمس دول في الشرق الأوسط. وكان المشي، أي مشي، صعباً عليه. ولدى

التوقف في سالزبورغ، بالنمسا، عثر عليه هيغ وحده في غرفة نومه، وساقه المتورمة المتغيرة اللون مستريحة على كرسيّ. كان يعاني من عودة التهاب الوريد. وهي إصابة مؤلمة عانى منها في الشرق الأقصى قبل ذلك بعقد من الزمن. وبالإضافة إلى الألم فإنها خطرة، لأن الوجه قد يؤدي إلى انطلاق جلطة تسبب انسداداً قاتلاً. وكان نيكسون يتحدى النصيحة الطبية التي تطالبه بعدم السفر على الإطلاق.

وقد اعترف فيما بعد لطبيبه الذي كان يعالجه نفسياً، الدكتور هتشنيكر، «لقد ظننتُ أنني سأُدْفَنُ في ظلال الأهرام. أما الدكتور تكاش، طبيبه الشخصي الذي كان إلى جانبه في مصر، فإن قلقه لم يقتصر على التهاب وريد مريضه، بل امتد ليشمل سلوكه المتهور. فقد راح يغطس بين جماهير الناس المحتشدين، ويركب سيارات مكشوفة في واحدة من أخطر مناطق العالم وأسرعها تقلباً. وعلق أحد موظفي الشرطة السرية المرافقين له في الرحلة قائلاً بجفاف: «إنك لا تستطيع حماية رئيس يريد أن يقتل نفسه».

وانتقد المتشككون هذه الرحلة بتسميتها «دبلوماسية مواجهة الاتهام»، فاعتبروها محاولة لتشتيت الاهتمام وإبعادها عن المتاعب الآخذة في التعمق داخل الوطن. فكان كيسنجر يعتقد أن «نيكسون قد فقد الأمل في أنه قد يبعد انتباه نقاده. . . ففي أعماقه، لا بد أنه قد أدرك أن الأمور قد أفلتت من زمام السيطرة». وكان الاستقبال الذي لَقِيَهُ نيكسون في الشرق الأوسط صاخباً وباذخاً وسخياً. ولكن الاكتئاب كان يلاحقه. ولاحظ جون أوزبورن لحظة «ابتعد فيها كل من السيدة نيكسون والرئيس السادات وزوجته عن السيد نيكسون، فظلّ وحده على المنصة وظهره إلى الأهرام. . . وكنا نراه، ولكنه لم يرنا. كانت نظرته وأفكاره بعيدة جداً، والحزن يحيط به من كل جانب».

غير أن كيسنجر كان بدوره يميز السفح المنحدر من الدبلوماسية فاستذكر أن «العناية المفرطة من مضيفينا، والشفقة التي هي العاطفة الوحيدة التي لا

يستطيع رئيس دولة أن يستثيرها أبداً». وأدرك كيسنجر أن نيكسون، المصاب بالعَرَج سياسياً وجسدياً «لم يكن قادراً على تقديم ما كانت هناك أمسّ الحاجة إليه: وهو دفعة للسياسة الخارجية الأمريكية على المدى البعيد».

وبعد أقصر وقت من العودة إلى بلده، انطلق مسافراً إلى الاتحاد السوفييتي. وعندما توقف في بروكسل، سمع المراسلون الصحافيون أنه قد قابل في الهيلتون شخصاً غامضاً يدعى كريستوفر. ثم اتضح أن ذلك الشخص لم يكن سوى بيب ريبوزو، الذي تم تهريبه من المدخل الخلفي إلى الفندق. كانت آخر نصيحة قدمها ريبوزو لنيكسون، كما أخبر الصحافة، هي أن عليه أن يستقيل: «هي تشبه قول مدير الأعمال لمصارع: «من الأفضل لك أن تخرج من هذه الحلبة. إنهم يخرجون دماغك من رأسك بضرباتهم». والواقع أن ريبوزو كان يتأرجح جيئة وذهاباً بشأن موضوع الاستقالة».

وقد وصلت الرحلة السوفييتية، التي كانت ثالث لقاء قمة له مع بريجنيف، إلى حدود السريالية البعيدة عن الواقعية. فقد أقام في شقق الكرملين الفخمة الباذخة التي كانت في أيام سالفة تؤوي القياصرة. واجتمع مع الزعيم السوفييتي في مقره الفاره على ساحل البحر الأسود، ووجد الوقت ـ في فسحة نادرة في جدول زيارته ـ لتناول العشاء مع بات في ضوء القمر.

واستذكر نيكسون أن بات قالت له في تلك الليلة أنها «منذ أن كانت طفلة صغيرة، كانت كلما نظرت إلى القمر لا ترى فيه رجلاً ولا امرأة عجوزاً ـ بل العلم الأمريكي دائماً. . . ثم أشارت إليه لتريني إياه. وقد استطعت بالتأكيد أن أرى العلم الأمريكي. . . وبالطبع، فإنك تستطيع أن ترى على القمر ما تريد أنت أن تراه. . . ».

وأثناء الجزء الخاص بالبحر الأسود من الرحلة، تأكدت هيلين توماس، مراسلة وكالة يونايتد بريس إنترناشنال، أن الرئيس «يعاني من شيء خطير. كان

يمشي ببطء، ينقل خطواته وكأنه في حالة من الدوار. وكأنما نضبت من عروقه كل نبضات الحياة. وبدا كأنه لا يفعل شيئاً سوى القيام بالحركات».

وفي تسعينيات القرن العشرين، قال ڤكتور سوخودريف، مترجم بريجنيف، إنه «لم يرد أي ذكر لووترغيت أثناء المناقشات. فقد كان نيكسون يتمسك بالقشة [هكذا قال سوخودريف]، محاولاً أن يُظْهِرَ أنه هو وحده القادر على التحدث مع السوڤييت، ساعياً بقدر استطاعته لأن يبرهن على أنه خبير حقيقي في الشؤون الخارجية».

وكان كيسنجر يعتقد أن الرئيس يفهم أن «أكبر عقبة تعترض التفاوض الجدّي هي الاعتقاد السوڤييتي أنه إذا نجا سياسياً فسوف يكون عديم السلطة، وأن الاحتمال المرجح أنه لن ينجو».

وتلعثم نيكسون في ذكر الإحصائيات، ووجد صعوبة في التركيز. وعجز أحياناً عن إبداء تلك اليقظة الخاصة التي كان يتعين على أي سياسي أو رجل أعمال أو صحافي أن يتحلى بها في الاتحاد السوڤييتي في تلك الأيام. وباعتباره خبيراً عتيقاً، كان يعرف أن من الجوهري أن يكون يقظاً لاحتمال تواجد ميكروفونات مخبأة.

واستذكر ذات ليلة تلك الخبرة، فبذل جهده للالتقاء بكيسنجر وهيغ في سيارته «حيث نستطيع التحدث دون أن يتنصت علينا أحد». وفي أوقات أخرى، حسب رواية العقيد أوليغ غورديفسكي، الموظف السابق في لجنة أمن الدولة (الـ كي. جي. بي KGB)، كان لا يحترس، بل كانت شفتاه منفلتتين من عقالهما إلى درجة أن العملاء السوڤييت المسؤولين عن التجسس عليه قد كوفئوا بميداليات بعد القمة. ولعل آخر أشرطة نيكسون ليست تلك التي سجلت في البيت الأبيض، بل تلك المحفوظة في أرشيف سجلات المخابرات الروسية.

ولقد كانت الخبرة بالشؤون الخارجية هي أعظم مواهب نيكسون. وكان الانزلاق المنحدر في سنتي 1973 و1974 من أبرز جوانب سقوطه من حيث

معرفته العملية بحرفته. وقد حدثت واقعتان هامتان في غضون بضعة أسابيع في ربيع تلك السنة، هما الانقلاب العسكري اليساري في البرتغال، وتجربة الهند النووية الأولى. وفشلت المخابرات الأمريكية في توقع أي منهما. وهذه حقيقة كان ينبغي أن تثير غضب الرئيس ومطالبته باتخاذ إجراءٍ ما. ومع ذلك فإن وليام كولبي، مدير وكالة المخابرات المركزية، لم يستذكر أي رد فعل من جانب نيكسون على الإطلاق.

كما أن نيكسون لم يظهر أي اهتمام جدي بعد أسبوعين من عودته من موسكو، عندما انفجرت مشكلة كبرى في أوروبا الجنوبية. فقد وقع انقلاب عسكري في قبرص، تبعه غزو تركي للجزيرة. ثم قامت القوى الديموقراطية بإسقاط حكومة العقداء التي كان نيكسون يفضلها في اليونان. ثم قامت تركيا بغزو آخر لقبرص، وأقامت في شمالها دويلة لا تزال غير معترف بها دولياً حتى يومنا هذا.

وقدر لهذه الأزمة الخطيرة أن تستمر بعنادٍ على مدى أسابيع وأن تنطوي على قرارات معقدة حول وضعيّة الأسلحة النووية الأمريكية في المنطقة. ومع ذلك بقي نيكسون معتكفاً في سان كليمنت، دون أن يبدي اهتماماً كافياً. وفي أسابيعه الستة الأخيرة، لم يمض في مكتبه بالبيت الأبيض سوى ستة أيام.

وأثناء وجوده في كاليفورنيا، وجد الوقت للتعبير عن حزنه على موت ديزي دين، نجم لعبة البيسبول السابق، ولإجراء مكالمة هاتفية مع اجتماعٍ في واشنطن لتأييده. غير أن وزارة الخارجية وجدت الاتصالات مع البيت الأبيض مغلقة، إذ كانت الأولوية للاتصالات الكثيفة حول ووترغيت. لأن الرئيس كان مشغول الفكر بأزمته الشخصية، حسب رأي كيسنجر، «ولم **يكن في وضعٍ يسمح له بالتركيز...**»[3].

(3) في حفلة عشاء في كاليفورنيا مع نيكسون في 21 تموز / يوليو، لاحظ راي برايس، كاتب الخُطَب =

كانت آخر لحظة من المرح البهيج لأسرة نيكسون، في رأي تريشيا، هي حفلة عشاء مع الأصدقاء القدامى في بيرل إير في 21 تموز / يوليو. فكتبت في مفكرتها: «منذ ذلك الحين، فُقِدَ شيءٌ ما. . . كانت الحال أحياناً تشبه عين الإعصار. . . هادئة تماماً. . . ساكنة تماماً. . . ويتذكر المرء زماناً بدون «ووترغيت»، أو عندما كانت ووترغيت تعني ببساطة مكاناً باذخاً يعيش فيه المرء. . . في لحظة منعزلة. غير أن عينيك تنفتحان فإذا الظلام أمامك هو ظلام العاصفة».

وبعيداً في العاصمة، صدر التقرير النهائي للجنة مجلس الشيوخ في ألفين وثلاثمئة من الصفحات المؤذية. وفيه سُمِّيت ووترغيت «واحدة من أكثر حوادث أمريكا مأسوية»، وهي تعكس «نوعاً مفزعاً من عدم المبالاة (أظهره البعض في مناصب أو مراكز عامة عليا) بمفاهيم الأخلاق والمسؤولية العامة والثقة والأمانة».

وتبعت ذلك اللجنة القضائية لمجلس النواب، فأصدرت خمسة مجلدات من الأدلة وصل مجموع صفحاتها إلى 3888. فقدمت سرداً تاريخياً عارياً بلا تعليق، لإساءة استخدام السلطة على نطاق واسع الانتشار.

ولم يعد نيكسون يجادل في فحوى مادة ووترغيت، فشرع يجري حساباته، ويحصي الرؤوس في اللجنة القضائية. فهل يصوت لمصلحته الجمهوريون الهامّون والديموقراطيون الجنوبيون الواقعون فعلياً تحت سيطرة جورج والاس؟ وفي 23 تموز / يوليو، عندما جاء الخبر بأن الديموقراطيين الجنوبيين آخذون في التخلي عنه، اتصل هاتفياً بوالاس الذي كان ـ كما نعرف ـ

= أن الجنرال برنت سكاوكروفت، نائب كيسنجر، كان ينتقل بين نيكسون على المائدة وبين جهاز للهاتف. ورأى أن نيكسون بدا «في لحظة قصيرة. . . منسجماً في الجوّ مع نفسه». غير أن كيسنجر يعطي الانطباع بأن الرئيس كان يعير الأمور انتباهاً أقل من كاف. (برايس، مصدر سبق ذكره، ص 312).

يشك في أن أتباع نيكسون ربما لعبوا دوراً في محاولة اغتياله سنة 1972، ليقول له: «يا جورج، إنني أكلمك لأسأل عما إذا كنت لا تزال معي». فأجاب والاس: «كلاّ أيها السيد الرئيس، أخشى أنني لست معك».

كانت الأرقام ضده. فاعترف بذلك لهيغ. وبقي هناك شيء آخر مجهول وبالغ الأهمية: كيف سيكون حكم المحكمة العليا بشأن طلب المدعي الخاص للحصول على أربعة وستين شريطاً أخرى من أشرطة البيت الأبيض؟ وفي ضحى يوم 24 تموز / يوليو أعلن القضاة قرارهم بالإجماع في قضية **الولايات المتحدة الأمريكية ضد ريتشارد نيكسون، رئيس الولايات المتحدة**: كان عليه أن يسلّم الأشرطة الأربعة الستين «على الفور».

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة صباحاً بقليل في كاليفورنيا عندما أبلغه هيغ النبأ. كان نيكسون قد أوقظ من النوم، ولذا فقد كان رد فعله في أول الأمر هو الهدوء الظاهري. وقيل إنه «انفجر» بعد ذلك، وراح يلعن وارن بورغر، الذي كان قد عينه رئيساً للمحكمة العليا، وغيره من قضاة تلك المحكمة الذين عيّنهم.

وعندما تحدث هيغ بالهاتف مع محامي نيكسون في ووترغيت، المستشار القانوني فْرِيدْ بوجارت، أمسك نيكسون بالسماعة لحظة وقال له: «هناك شريط محدد بالذات أريد رأيك فيه. إنه المسجّل في 23 حزيران / يونيو 1972. أريدك أن تستمع إليه في الحال، ثم تطلب آل [هيغ] وتقول له ما رأيك». كان تسجيل الثالث والعشرين من حزيران / يونيو هو الشريط الذي قال فيه نيكسون لهالدمان ـ ثلاث مرات، وبعد أسبوع فقط من اعتقالات ووترغيت ـ أنه كان «جيداً» جعلُ وكالة المخابرات المركزية تضغط على مكتب التحقيقات الاتحادي لإيقاف عمليات التحقيق الهامة في ووترغيت[4].

(4) أنظر ص 902.

واتصل بوجارت فعلاً بعد أن استمع إلى الشريط، برسالة فظة في صراحتها قائلاً: «هذا هو المسدس الذي ينبعث الدخان منه»، أي أنه الدليل الواضح على عرقلة العدالة. وتذكر هيغ كيف كان نيكسون قبل سبعة أسابيع قد خرج من الاستماع للأشرطة وحده، بتعليمات مقتضبة: «يجب أن لا يستمع لهذه الأشرطة أحد. لا أحد. أتفهم يا آل. لا المحامون. ولا أحد. أغلق عليها بالمفتاح».

وشكّ هيغ باحتمالاتها، حتى في ذلك الحين: «لقد انتابني شعور قاهر بالشك والخوف. لقد تغيّر شيء أساسي. كان هناك شيء سيِّئ على الأشرطة. وقد اكتشفه نيكسون... ولم تكن لدي فكرة عن ماهيته وما قد يكون».

وعندئذ فهم هيغ. كان نيكسون يعرف. كان يعلم منذ زمن طويل أن هذا دليل يمكن أن يحطمه، وقد أخفاه حتى عن أتباعه. وهكذا فقد اكتُشِف. ولم تعد المسألة سوى مسألة وقت حتى يدرك العالم كله الحقيقة، ويدركها ـ وهذه هي النقطة الهامة ـ أعضاء الكونغرس الذين سيصوّتون على توجيه الاتهام إليه.

وعندما زاره كيسنجر، بعد يومين من قرار المحكمة العليا، أصابه الهلع من التغيّر الذي طرأ عليه. «كان لونه كالحاً. ورغم أنه بَدا رابطَ الجأش، فقد كان من الواضح أن إجراء أي محادثة جادة كان يقتضيه تركيز كل ذرة من طاقته. كان يجلس على الأريكة، ينظر إلى المحيط الهادي، وقد تركزت نظرته وأفكاره على شيء بعيد يكشف كل المواضيع التي كنّا نطرحها أمامه».

وفي ما عدا حضور حفلة عشاء واحدة لم يغادر الرئيس مجمع دارته منذ أن وصل إليها قبل ذلك بأسبوعين. وقد أمضى كثيراً من ذلك الوقت يحدق في المحيط ويقرأ سيرة حياة الزعيم الأوروبي العاثر الحظ، نابليون. وكان نيكسون على الساحل يغير ثيابه بعد السباحة عندما جاءته مكالمة هاتفية جديدة، وهي المكالمة التي حسمت موضوع سقوطه من السلطة.

في واشنطن كانت اللجنة القضائية لمجلس النواب قد صوتت على البند

الأول من خمسة بنود لاتهام الرئيس. وفيه اتهام بأنه قد حنث بيمينه الدستورية «ومنع إقامة العدل، وسد طريقها وعرقلها. . . وتصرف بطريقة تناقض ما أؤتمن عليه. . . ممّا أضرّ إضراراً كبيراً بقضية القانون والعدالة وسبّب أذى واضحاً لشعب الولايات المتحدة».

وقد وافق الممثلون في اللجنة على القرار بأغلبية زادت على الثلثين. وصوتوا أيضاً على البند الثاني، الذي نصّ على أن نيكسون «قد انغمس مراراً في تصرفات انتهكت حقوق المواطنين الدستورية. . . وأساءت استخدام مكتب التحقيقات الاتحادي، والشرطة السرية، وقام بالتجسس الإلكتروني أو استمر به وبغيره من التحقيقات لأغراض لا علاقة لها بالأمن الوطني، واستخدم موارد وكالة المخابرات المركزية بطرق غير قانونية. . . وأساء استعمال السلطة التنفيذية عمداً وعلى عِلْم».

وأُقِرَّ أيضاً البندُ الثالثُ الذي يتهم نيكسون بعرقلة عمل مجلس النواب، وعدم الاستجابة لطلباته واستدعاءاته.

ونتيجة للسلوك الموصوف في البنود الأول والثاني والثالث، فقد نصّت القرارات على أن «ريتشارد نيكسون يستحق أن يُتَّهَمَ، ويحاكَم، ويزاح من منصبه».

كان نيكسون يقاتل دائماً، وكان دائماً يريد أن يكون اسمه مرادفاً لعدم الاستسلام. فهل يقاتل الآن ويسمح لقضيته بالانتقال إلى مجلس الشيوخ في محاكمة متطاولة؟

عندما شاهد كيسنجر وهيغ حالةَ الرجل يوم أصدرت المحكمة العليا قرارها، اتفقا بهدوء على أن نهاية رئاسته صارت محتومة. فينبغي أن يستقيل. ولكنهما كانا يعلمان أن دَفْعَهُ إلى ذلك سيكون حماقة[5].

---

(5) استخدم المؤلف تاريخ كيسنجر لهذه المناقشة بين وزير الخارجية وبين هيغ. وقد قال هيغ في =

وطار نيكسون عائداً إلى واشنطن مع بات في 28 تموز / يوليو (1974). وفي اليوم التالي، وهو وحيد في مكتبه بمبنى مقر السلطة التنفيذية اتصل هاتفياً بجون ميتشل ليطلب مشورته. وكان ميتشل نفسه يواجه محاكمةً على جرائمه في فضيحة ووترغيت، فقال له: «يا دِكْ، احصل على أفضل صفقة تستطيع الحصول عليها واستقِلْ».

وفي اليوم التالي، الثلاثاء، جلس نيكسون يستمع إلى شريط 23 حزيران / يونيو (1972) كرةً أخرى، وهو مقتنع ـ كمال قال ـ بأنه لم يرتكب أي خطأ. غير أن محاميه قالوا له إنه مخطئ في ذلك الاقتناع. فلم يستطع أن ينام تلك الليلة. بل نهض في الرابعة صباحاً، وجلس يكتب مسودة بخياراته المتاحة. وقدر له أن يكتب: «هناك حجج قوية ضد الاستقالة». أولاها أنه لم يكن ممن «يتركون الصراع»، وأنه لا يستطيع أن يواجه «إنهاء حياتي العملية كرجل ضعيف...».

ومن جهة أخرى فإنه فكر في أنه ربما كان عليه أن يستقيل، من أجل البلد والحزب الجمهوري. غير أنه في آخر الأمر قلب مفكرته التي دوّن عليها هذه الملاحظات وكتب «اختتم حياتك العملية كمقاتل». فقد بدا أن ذلك هو «الشيء الصحيح الذي يجب عمله».

وبعد ذلك بساعات، وجه سؤالاً إلى هيغ بدوره عن رأيه في شريط 23 حزيران / يونيو 1972. فقال له الجنرال: «ما إن يخرج هذا الشريط إلى العلن، حتى ينتهي كل شيء». وعندما استدعي هيغ للحضور في اليوم التالي، الخميس، وجد نيكسون «هزيلاً، ناحلاً، معطوباً، كأنما أصيب بنوبة قلبية».

= مذكراته إن أول محادثة من هذا النوع لم تجرِ في سانت كليمنت، بل في وقت لاحق، في 31 تموز / يوليو، في واشنطن، وبينما استذكر كيسنجر أيضاً مناقشة أجريت في ذلك اليوم، فقد أشار إلى أن تلك كانت هي المرة الثانية التي يطرح فيها الموضوع على نحو جدّيّ. (هيغ، مصدر سبق ذكره، ص 477؛ كيسنجر، **الجَيَشَان المضطرب**، مصدر سبق ذكره، ص 1196 وما يليها، 1198).

وقد وافق عندئذ على أن يستقيل في وقت قريب. وطلب من هيغ أن «يخبر فورد أن يستعدّ».

وبينما التقى هيغ بنائب الرئيس، عاد نيكسون إلى أشرطته، وفي تلك الأمسية، أثناء جولة نهرية على اليخت **سيكويا** مع بيب ريبوزو، قال مرة أخرى إنه يعتزم الاستقالة. فرد عليه ريبوزو عندئذ: «لا عليك ذلك. إن من الخطأ أن تفعل. . . إنك لا تعرف كم من الناس لا يزالون يؤيدونك». فوعده نيكسون بأن يقوم «بمحاولة أخيرة لإقامة دفاع» وقال إنه سوف يستشير أسرته.

ثم أخبر جولي أولاً، وليس بات، أنه يتوقع أن يستقيل. واستذكرت جولي أنها عندما بحثت عن أمها فيما بعد، أن «نظرة من الفزع قد انتشرت عبر وجهها، وسألت: «ولكن لماذا؟» وبكت بات، ولكن للحظة فقط. ثم ألغت خططاً لشراء أطقم من أطباق الصيني للبيت الأبيض، وبدأت تجمع حاجياتها.

وفي تلك الليلة، في خلوة مع ريبوزو وعائلته في غرفة لينكولن، قدم لهم نيكسون نصاً مكتوباً نقلاً عن الشريط المسجل لمحادثة يوم 23 حزيران / يونيو 1972 في البيت الأبيض. وبعد أن قرأوه وجلسوا حوله في صمت، سألهم إن كانت تجربة الرئاسة تستحق الجهد والعناء. فأكدوا له أنها تستحق.

غير أن بات قالت له بعد أن غادر الآخرون أنها ـ مثل ريبوزو ـ تفضل أن «يقاتل حتى النهاية». واستذكر هيغ أنه «في وقت متأخر تماماً من تلك الليلة، اتصل بي في بيتي وأخبرني أنه قد غيّر رأيه. . . وقال لي: (دعهم يوجهون لي الاتهام. سنخوض هذه المعركة حتى النهاية)».

واستمر الأمر هكذا طيلة عطلة نهاية الأسبوع في الثالث والرابع من آب / أغسطس. ووصلت نصائح من الابنتين، وقيل إنها من زوجيهما، بأن يستمر في القتال. وانهمك هيغ وكتاب الخطب الرئاسية في صياغة مسودتين للخيارين ألف وباء. وتم الإفراج العلني عن شريط 23 حزيران / يونيو الذي يجرّم الرئيس يوم الاثنين، فخلق موجة من الضجة الساخطة كانت متوقعة. وذهب

نيكسون في جولة أخرى في اليخت الرئاسي، مع العائلة هذه المرة. ثم وجه دعوة لاجتماع مجلس الوزراء في صباح اليوم التالي. وأمضى ليلة أخرى من السهاد بلا نوم.

وفي يوم الثلاثاء، السادس من آب / أغسطس، تختلف رواية نيكسون حول اجتماع مجلس الوزراء عن رواية الآخرين ممّن كانوا حاضرين. فروايته تقول إنه افتتح الاجتماع بمناقشة ووترغيت، وقدم امتنانه لدعم زملائه، وسألهم عن رأيهم في ما إذا كان ينبغي عليه أن يستقيل. والواقع أن الآخرين يتفقون على أنه بدأ بالتشديد على «أهم قضية تواجه الأمة»: وهي التضخم.

وعندما انتقل فعلاً إلى موضوع ووترغيت قال إنه قد رفض فكرة الاستقالة. واعتقد كيسنجر، الذي كان جالساً إلى يمين الرئيس: «كان ما سعى إليه هو تصويت بالثقة. . . وإظهار الاستعداد لمتابعة المعركة. . . فكان كل ما واجهه هو الصمت المشوب بالحرج».

ثم تحدث فورد نائب الرئيس بصوت مسموع. فأوضح بلهجة مهذبة أن يتوقع أن يصبح رئيساً في وقت قريب. فردّ نيكسون بالمزيد من مناقشة الوضع الاقتصادي، فقاطعه ساكسبي، المدعي العام، وقاطعه بطريقة أقوى جورج بوش (الذي أصبح رئيساً فيما بعد، وكان آنئذٍ رئيساً للجنة الوطنية للحزب الجمهوري) بأن الوقت قد حان لإنهاء الأزمة.

وبعد أن تفرق الوزراء، عاد كيسنجر ليقول للرئيس مباشرة، في المكتب البيضاوي إنه مدين للبلد بوجوب الاستقالة. واستذكر وزير الخارجية: «لم يكن نيكسون قد طلب آرائي قطّ. ولم يطلبها عندئذٍ. فقال إنه يقدر ما قلت. . . وإنه سيكون على اتصال بي. ثم ساد الصمت».

واتصل هيغ هاتفياً فيما بعد في ذلك اليوم ليخبر كيسنجر أن نيكسون كان في آخر المطاف قد «شرع يميل إلى الاستقالة. ولكن المسألة ستبقى متقاربة؛ لأن أسرته قد تغير له رأيه مرة أخرى عند المساء».

وفي تلك اللحظة التاريخية الرهيبة من الحيرة والتردد الشخصي في 6 آب / أغسطس، كان الشيء الواضح الوحيد، هو عدم وضوح أي شيء حتى ذلك الحين. بل لقد ازداد الوضع غموضاً وصار مخيفاً أكثر من خلال مكالمة هاتفية أجراها إدوارد كوكس، زوج تريشيا، عصر ذلك اليوم.

كان كوكس، المحامي النيويوركي، قد طار إليهم لينضم إلى مؤتمر الأسرة على مدى عطلة نهاية ذلك الأسبوع، ثم عاد إلى مكتبه بنيويورك. ومن هناك فتح مكالمة هاتفية مع السناتور روبرت غريفين، عضو الكونغرس الجمهوري الذي عهد إليه حزبه بتطبيق أنظمته وضبط مواقف أعضائه. فقال إنه وديڤيد، زوج جولي، قد اختلفا مع زوجتيهما، وأنهما يعتقدان أن حماهما ينبغي أن يستقيل. غير أن نيكسون كان قد أصرّ في الليلة السابقة، وهو على متن اليخت **سيكويا**، على أنه ينوي التشبث بمنصبه[6].

وأضاف كوكس إلى ذلك معلومات أكثر مدعاة للقلق، هي أن نيكسون آخذٌ بمعاقرة الخمر، وأن حالته العقلية تثير القلق، وأنه «يحوم متجولاً في القاعات» في البيت الأبيض، «متحدثاً إلى صور الرؤساء السابقين، وملقياً الخطابات، ومتكلماً مع الصور المعلقة على الجدران». وأسرّ إليه كوكس في آخر الأمر أنه يخشى أن ينتحر نيكسون.

وقدر لنيكسون أن يصرّ في شيخوخته بأن قتل نفسه في ذلك الحين لم

---

(6) قالت جولي نيكسون في سيرة حياة أمها إن كوكس كان يعارض الاستقالة في الاجتماع العائلي في 2 آب / أغسطس. وقال نيكسون في مذكراته إن زوج ابنته ظل معارضاً للاستقالة بعد ذلك التاريخ. ولكن رواية كل من وود وورد وبيرنيشتاين، التي استخدمها المؤلف هنا، لا يمكن التوفيق بينها وبين روايات عائلة نيكسون. ورغم أن تلك الرواية غير معزوّة إلى أي مصدر كذلك ـ إذ إن الكتاب ليست فيه حواشٍ تشير إلى المصادر ـ، فإن المؤلف هنا يعتمد على اتصال بالسناتور السابق غريفن، الذي أكد قيام كوكس بالاتصال الهاتفي، وعلى محادثات مع كل من وود وورد وبيرنشتاين. (**مذكرات ريتشارد نيكسون**، ص 1060، 1062، 1072، جولي نيكسون آيزنهاور، **بات نيكسون: القصة غير المحكية**، طبع نيويورك: سيمون وشوستر، 1986، ص 420؛ **الأيام الأخيرة**، ص VII، غريفن سنة 2000: بحث ريبيكا جون لمصلحة قناة تلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية / التاريخ).

يخطر له على بالٍ أبداً. ومع ذلك كانت هناك لحظة مقلقة عصر ذلك اليوم، كما قدر لهيغ أن يتذكر، عندما قال الرئيس إنه يحسد المَخْرَجَ الذي يجده الجندي لنفسه: «اترك الرجل وحده في غرفة مع مسدس محشوّ». وظنّ هيغ أن الرئيس كان يتحدث على سبيل المجاز. ولكنه رغم ذلك شعر بالقلق. وقد كشف في سنة 1995 هذه الحقيقة: «قلت لأطباء البيت الأبيض إنه إذا كان عند نيكسون أية أقراص، فإن عليهم أن يبعدوها عنه...».

وعانى ديڤيد آيزنهاور من قلق مماثل. فقد قيل إنه هو الآخر كان يخشى أن يقتل حَمُوهُ نفسَه، وأنه ظل عدة أشهر «ينتظر أن يصاب السيد نيكسون بالجنون».

أما آنطوني لوكاس، أحد أكثر مؤرخي ووترغيت تمتعاً بثقة الناس، فقد نقل عن أحد مساعدي البيت الأبيض تشبيهه أيام رئاسة نيكسون الأخيرة بالقبطان كويغ في قصة هيرمان ووك المعنونة **التمرد على السفينة كين** في «تعرضه لانفجارات الغضب المفاجئة، والتكهنات المليئة بالشطط والشكوك الرهيبة...».

والشكوك والرِّيَب تبذر بذور الشكوك والريب. وهكذا فإن الأيام التي انعدم فيها اليقين في آب / أغسطس سنة 1974 ولّدت إجراءات احترازية لم يسبق لها مثيل. كانت تلك هي النتيجة المنطقية لِأَشْهُرٍ من القلق على استقرار الرئيس العقلي.

كان القلق يتصاعد منذ طرد المدعي الخاص كوكس من منصبه في السنة السابقة، التي تلاها في غضون أيام إعلان حالة التأهب النووي بسبب الحرب في الشرق الأوسط.

وتذكر مساعد المدعي، بِينْ فِنِيسْتْ، أنه «إذا كانت هناك مسحة من عدم الاستقرار فإن معناها أن علينا أن نكون شديدي الحرص والعناية في الامتناع عن

دفع السيد نيكسون إلى تجاوز خط خفي معين كي لا ينغمس في حمأة كارثة ـ ربما تحيق بنا جميعاً».

وكان لدى ليون جاوورسكي، الذي خلف كوكس، تنويعة أخرى من القلق نفسه عندما حذر هيئة المحلفين الكبرى من توجيه الاتهام إلى الرئيس. واستذكر هارولد إيفانز، نائب رئيس تلك الهيئة: «لقد قدم لنا بعض الحجج الشديدة الغرابة، فعرض علينا الإصابة المؤذية التي لحقت بالبلد، وكون الرئيس هو القائد العام للقوات المسلحة. فماذا يحدث إذا طوّق البيتَ الأبيضَ بقواته المسلحة؟».

وعند حلول صيف سنة 1974، كان التخوف قد انتشر إلى الكونغرس، متركزاً على نقطتين بالذات: أكان الرئيس مضطرباً إلى درجة أنه قد يشعل حرباً؟ وهل يحتمل أن يستخدم العسكر كي يبقى في السلطة؟ بل إن مجموعة من أعضاء السلطة التشريعية برئاسة جاكوب جافيتس، السناتور الجمهوري من نيويورك، قد استشاروا الدكتور برترام براون، مديرَ المعهد الوطني للصحة العقلية.

واستذكر براون: «تناولت الفطور مع نصف دستة من أعضاء مجلس الشيوخ جاؤوا للتحدث في هذه القضايا، عما إذا كان [الرئيس] سيفقد برودة أعصابه. . . وما إذا كان آخذاً في الجنون، أو مصاباً بنوع من العصاب أو المرض النفسي، وما إذا كان قد يشعل حرباً. فأعطيتهم بعض الإشارات والدلائل التي عليهم أن يراقبوا صدورها عنه، مثل التصريحات غير العقلانية، واختفائه ـ بحيث لا يعرف أين هو ـ وامتناعه عن الأكل».

وقد فزع آلان كرانستون، السناتور من كاليفورنيا، عندما بدأت إجراءات عملية توجيه الاتهام، عندما رأى نيكسون يشرع في التقرب من أعضاء المجلس، بدعوتهم إلى يخته. وسمع كرانستون كيف كان الرئيس يتحدث عن

قدرته على كبس زر يقتل خمسين مليون روسي في غضون ثلث ساعة، وبعد ذلك، كم أمريكياً سيموتون؟

أما السناتور هارولد هيوز، الذي كان في لجنة القوات المسلحة فقد أقلقه احتمال استخدام نيكسون الجيش كي يطوق مبنى الكابيتول ويعزله ويمنع الوصول إليه. واستذكرت مارغريت شانون، المساعدة التشريعية لهيوز أنه «راح يتأكد من وجود شخصٍ ما في المكتب أربعاً وعشرين ساعة في اليوم. فكان الجو يشبه ما حدث قبيل الحرب العالمية الثانية. أي أنك تعلم وتتوقع أن هناك شيئاً ما مقبلاً على الطريق. فلم تكن لديك أية فكرة عما قد يفعله نيكسون...».

وفي وقت مبكر من حزيران / يونيو، عندما كان نيكسون في طريقه إلى الشرق الأوسط، شرع مساعدو جيرالد فورد ينظرون في الكيفية التي ستعمل بها آلية نقل السلطة، أو لا تعمل. وقد تحدث فيليب بوتشن، المساعد المقرب من فورد، في مثل هذا الموضوع مع كلاي وايتهد، مدير مكتب الاتصالات في البيت الأبيض وهما في سيارة لضمان سرِّيَّة خلوتهما. وناقشا ماذا يمكن أن يحدث إذا وجه الاتهام إلى نيكسون، وأدين في مجلس الشيوخ ولكنه رفض التخلي عن السلطة؟ وتساءل الرجلان عما إذا كان عليهما بحث هذه الاحتمالات الرهيبة مع وزير الدفاع، جيمس شليسينغر.

والواقع أن وزير الدفاع كان يقظاً إزاء مثل هذه المخاوف. فقد أثير انتباهه لحالة الرئيس العقلية في مكالمة هاتفية كان قد تلقاها قبل بضعة أشهر من جوزيف ليطين، الناطق في الشؤون العامة لمكتب الإدارة والميزانية، الواقع في مبنى المكتب التنفيذي، في الجهة المقابلة للبيت الأبيض.

وفي مقابلة مع المؤلف، استذكر ليطين بوضوح مقابلته مع نيكسون، التي دعته إلى الاتصال بشليسينغر، في ربيع سنة 1974: «كنت في طريقي إلى الجناح الغربي من البيت الأبيض لمقابلة وزير الخزانة، جورج شولتز. وكنت

قد وصلت إلى القبو، قرب غرفة دراسة الأوضاع لتقدير موقف وبينما كنت على وشك الصعود على الدرج، جاء شخص يركض نازلاً يقفز عابراً درجتين في كل خطوة. وكانت على وجهه نظرةٍ جامحة، وعيناه فيهما شيء وحشي، كالمجنون. وقد طرحني أرضاً بحيث فقدت توازي. وقبل أن ألتقط نفسي وأنهض، قفز من فوقي ستة شباب بدا لي أنهم رياضيون، وهم يطاردونه. وأدركت فجأة أنهم من موظفي الشرطة السرية، وأن الذي طرحني أرضاً، كان رئيس الولايات المتحدة».

وكانت الصدمة التي أصابت ليطين من مظهر نيكسون من الشدة بحيث جعلته يؤجل مقابلته مع شولتز ويعود إلى مكتبه. وقال: «جلست هناك مذهولاً، ورحت أفكر، كما تعرف، في أن (ذلك الرجل المجنون الذي شاهدته للتوّ هو الذي له إصبع على الزر الأحمر). وكان لدي رقم هاتف شليسينغر، وهو رقم لا يجيب عليه إلاّ هو بنفسه. فطلبته، وسألته إن كان الرئيس يستطيع أن يأمر باستخدام أسلحة نووية دون أن يمرّ عبر وزير الدفاع. وقلت له: (لو كنت في مكانك لأردت أن أعرف ما هي أقرب القوات الجاهزة للقتال التي سوف تستجيب لرغبات الرئيس إذا أمرها بتطويق البيت الأبيض، ولأردت أن أعرف ما هي أقرب فرقة جاهزة للقتال قادرة ليس فقط على التغلب على تلك القوات، بل وتستجيب للأوامر حسب تسلسل الرتب العسكرية فقط. وهذا ما لدي لأقوله؛ ثم سمعت طَقَّةً على الجانب الآخر. لقد أغلق وزير الدفاع السماعة»[7].

ولم تكن مكالمة وحيدة من صديق يصف رئيساً أصابته نوبة من الهياج المسعور في لحظة، كافية بحد ذاتها لحث شليسينغر على اتخاذ أية احتياطات. ومع ذلك فإن موقعه قد جعله على طريق تدفق مستمر للمعلومات من كل أنواع

(7) قال شليسينغر للمؤلف إنه يعتقد أن المحادثة مع ليطين لم تَحْدُثْ بالهاتف، بل في مكتبه. واتفق الاثنان أنها حدثت في الربيع، بين نيسان / إبريل وحزيران / يونيو، 1974.

المصادر. كان الأميرال زوموالت، رئيس العمليات البحرية، قد أخبره عن خطبة نيكسون الانتقادية اللاذعة الشديدة الغرابة في هيئة الأركان المشتركة في عيد الميلاد الأسبق، عندما بدا وكأنه يجس نبضهم ليقرر «ما إذا كان هناك دعم كافٍ لإبقائه في السلطة عند نشوب أزمة»[8].

ونظراً لسهولة وصول شليسينغر إلى الرئيس، فقد كانت لديه معرفة (من تجربته المباشرة) بسلوك نيكسون. وحسب رواية زوموالت، فإن شليسينغر نفسه كان قد قال سرّاً إن نيكسون يتصرف وكأنه مصاب بجنون الارتياب في الآخرين (بارانويا).

وفي الوقت الذي تلقى فيه شليسينغر مكالمة ليطين، كان قد بدأ يتأكد من بقائه مطلعاً أكثر من المعتاد على ما يجري في المكتب البيضاوي. ثم طلب في أواخر تموز / يوليو اجتماعاً مع رئيس هيئة الأركان المشتركة، جورج براون، الجنرال في القوة الجوية.

واستذكر وزير الدفاع السابق في مقابلة مع المؤلف: «قلت له إن أي أمر يصدر من البيت الأبيض يجب أن يأتي إليّ مباشرة فور تلقيه... كان يتعين إيصال رسالة بأنه يجب عدم اتخاذ أية إجراءات خارقة للعادة. ولقد وصلت تلك الرسالة».

وأكد الجنرال براون فيما بعد حصول تلك المحادثة مع وزير الدفاع. حيث سأله شليسينغر: «إذا صوت مجلس النواب على توجيه الاتهام، وكانت المحاكمة في مجلس الشيوخ عملية طويلة ومستفيضة وتسير في غير مصلحة الرئيس، فهل يستطيع الرئيس أن يصدر أمراً يصل إلى آخر الخط عبر المؤسسة العسكرية دون أن نعلم به؟» فكان رأي براون أن «العملية الطبيعية ستمنع حدوث مثل هذا الشيء؛ لأن الأوامر للقوات يجب أن تذهب إلى مركز قيادة

(8) أنظر ص 965 لوصف اجتماع نيكسون بهيئة الأركان المشتركة في كانون الأول / ديسمبر 1973.

عليا في البنتاغون. . . وستصل إليّ خلال دقيقتين، وسوف أكون في مكتب وزير الدفاع في غضون ثلاثين ثانية».

وبعد المؤتمر مع شليسينغر، قام الجنرال بإبلاغ هيئة الأركان بهذا الموضوع. وقد استذكر هذا المشهدَ الأميرالُ جيمس هولواي، الذي كان قبل ذلك بوقت قصير قد حلّ محلّ الأميرال زوموالت كرئيس للعمليات البحرية: «كانت يدا براون ترتجفان وهو يقول لنا: (لقد جئت لتوّي من مكتب وزير الدفاع. وقد دوّنت بعض الملاحظات، وسأقرأها لكم. كان ما يريده وزير الدفاع هو موافقة من رؤساء هيئة الأركان المشتركة جميعاً أن لا يتخذ أي واحد منهم أي إجراء أو ينفذ أية أوامر دون اتفاقهم جميعاً على ذلك».

«قال الجنرال براون إنه يخشى من وقوع نوع من الانقلاب الذي يشمل إشراك العسكريين» ـ كما أخبر المؤلفَ واحدٌ من أعضاء الهيئة المشتركة شريطة كتمان هويته، وتابع: «وكدنا نسقط عن كراسينا. فلئن كان أي شخص يفكر في انقلاب، فإنه ليس ممّن يرتدون زيّاً عسكريّاً. ولم يكن أي واحد منا يريد أن يحدس أو يخمن «ماذا إذا تلقينا أمراً سخيفاً معتوهاً من الرئيس؟» وكنا نعلم أن الأمور ستكون على ما يرام إذ كان لدينا في هيئة الأركان المشتركة خمسة أشخاص لديهم ما معدله أربعون سنة من الخبرة. ويجري انتقاؤهم لقدرتهم على إصدار الأحكام الجيدة بتعقل. . . وسوف يجدون طريقة للتأكد بأنه لن يحدث إلاّ الشي الصحيح».

وكان «الشيء الصحيح» في مثل تلك الظروف هو الالتزام بنصوص قانون الأمن الوطني، الذي يتطلب من الرئيس نقل كل الأوامر العسكرية عن طريق وزير الدفاع، الذي يوصلها بدوره إلى رئيس هيئة الأركان المشتركة. وقال شليسينغر عن تلك الواقعة: «لقد تأكدت بنفسي أنه لن يثور أي تساؤل حول

الجوانب الدستورية والتشريعية الصحيحة لتسلسل الأوامر. ولم يكن هناك أي تساؤل قَطّ».

وكان وزير الدفاع مهتماً بالتأكد من عدم وقوع عملية تخريب في ذلك النظام وأن «لا يُضَلَّلَ قائدٌ أحمق في مكانٍ ما». وكان يتساءل بشكل خاص عن القوة الجوية، نظراً للإعجاب الذي كان يتمتع به نيكسون في صفوفها بسبب الدور الذي لعبه في إطلاق سراح أسرى الحرب الأمريكيين من ڤيتنام. وكان معظمهم طيارين أسقطوا هناك.

وبينما كان شليسينغر يتأمل في مدى الاتزان أو عدم الاتزان لدى كبار ضباط مختلف صنوف القوات المسلحة، تساءل بشكل خاص عن حالة الجنرال روبرت كوشمان. فبصفته عميداً أيام كون نيكسون نائباً للرئيس (في الخمسينيات)، فقد شغل منصب مستشاره لشؤون الأمن القومي. وأثناء رئاسته كان نائباً لمدير وكالة المخابرات المركزية، حيث تورط في تقديم تسهيلات من الوكالة لهوارد هانت، أحد اللصوص الذين اقتحموا بناية ووترغيت(9). وبحلول صيف سنة 1974، كان قد صار آمراً لسلاح البحرية الأمريكي. وهو تعيين كان يُعْتَبَرُ سياسياً، على غير المعتاد في السلاح المذكور. وكان يخدم بتلك الصفة كعضو في هيئة الأركان المشتركة.

وكان شليسينغر قد قال سراً: «إن الجنرال كوشمان رجل لطيف ولكنه

(9) أنظر الإشارات السابقة إلى الجنرال كوشمان. فقد عمل في مشاة البحرية في الحرب العالمية الثانية. وقد عُيّن في وكالة المخابرات المركزية من سنة 1949 إلى سنة 1951، وأُعِيرَ لنيكسون عندما كان نائباً للرئيس منذ أوائل سنة 1957. وسماه نيكسون نائباً لمدير الوكالة المذكورة في سنة 1969. وبقي فيها حتى تم تعيينه آمراً لفيلقٍ من مشاة البحرية في كانون الأول / ديسمبر، 1971. وعلى الرغم من اختلاف الشهود حول التفاصيل، فقد ثبت أن كوشمان قد استجاب لطلب هوارد هانت مساعدةَ وكالة المخابرات المركزية سنة 1971. وقد زودت الوكالة كلاً من ليدي وهانت ببطاقتي هوية مزوّرتين، وأدوات تنكر، وآلة تصوير صغيرة، وقد استخدموها كلها في عملية السرقة عند اقتحامهم مكتب الطبيب النفسي المعالج لدانيال إلسبرغ. (للحصول على خلاصة مختصرة، أنظر شوينباوم كمحرر، مصدر سبق ذكره، ص 158 وما يليها؛ وايز، **الدولة البوليسية**، مصدر سبق ذكره، ص 250 وما يليها.

ضعيف. فربما يوافق على طلب للعمل يأتيه من البيت الأبيض. وكان آخر شيء أريده هو أن تصدر الأوامر لرجال البحرية بالتوجه إلى البيت الأبيض، ثم الاضطرار إلى الإتيان بالجيش ليواجه البحارة. وعندئذ نقع في ورطة دامية».

كما وجد شليسينغر نفسه يطلب أجوبة للأسئلة التي طرحها صديقه ليطين في الربيع. فعلم أن أقرب تجمع للقوات من البيت الأبيض كان وحدتين من مشاة البحرية تحت إمرة كوشمان، إحداهما في ثكنة في ضواحي واشنطن ـ عند ملتقى الشارعين الأول والثامن في الجنوب الشرقي، والأخرى في موقع في كوانتيكو بولاية فرجينيا.

وكان وزير الدفاع مهتماً كذلك بمدى سرعة التنقل والحركة لفرقة الجيش الثانية والثمانين المحمولة جواً. وكان قد تم جلبها سرّاً لحماية البيت الأبيض أثناء التظاهرات المعادية للحرب الڤيتنامية في أوائل أيام رئاسة نيكسون. فما هي السرعة التي تستطيع بها الفرقة الثانية والثمانون أن تنقل قوات إلى واشنطن من قاعدتها في فورت براغ، بولاية كارولاينا الشمالية؟ فعلم شليسينغر أن من الممكن نقل قوة كبيرة إلى العاصمة في غضون خمس ساعات.

وعندما نشر مراسلو البنتاغون تقارير لأول مرة عن فحوى تلك الإجراءات الاحتياطية بعد وقت قصير من استقالة نيكسون، تحرك الرئيس فورد لسحقها وإخمادها بسرعة. فزعم ناطق أنه «لم تتخذ أية إجراءات بالفعل». غير أنه أثناء البحوث التي أجريت لأغراض هذا الكتاب، حصل المؤلف على معلومات مغايرة لذلك الزعم من باري تول، الأخصائي السابق بمخابرات عمليات الجيش.

كان تول محارباً قديماً حاصلاً على عدد كبير من الأوسمة والنياشين. وكان في سنة 1974 يخدم في أركان إحدى الوحدات البحرية، المعروفة بين العسكريين باسم مجموعات يوم القيامة. وهي على أهبة الاستعداد دائماً كي تبلغ الرئيس وكبار القادة في حالة تحول أية أزمة عسكرية إلى «نووية». وفي آب

/ أغسطس سنة 1974 كان مقر عمله في قاعدة القوى الجوية في لانغلي، بولاية فيرجينيا، مع نظام السيطرة والقيادة العسكرية على مستوى العالم.

وقال تول في سنة 2000: «في الأسبوع الأخير من إدارة نيكسون، تلقينا أمراً سرِّيّاً للغاية «لعيني الناظر إليه وحدهما» بتوزيع محدود، مفاده إصدار تعليمات إلينا بأن لا نطيع الرئيس في أي شيء - وليس في الأشياء النووية وحدها - حتى إشعار آخر. وجاء الأمر باعتباره أفضلية عليا، كأمر عاجل كالبرق مهيمن على ما عداه ومبطل له. وكان موقعاً، بناء على إصرار هيئة الأركان المشتركة، كما فهمت، ليس بقلم وزير واحد بل وزيرين. والاسمان اللذان أذكرهما هما الوزير شليسينغر والوزير كيسنجر. كانت هناك أوامر مماثلة في الماضي، بلغ عددها خمسة شاهدتها على مدى شهور، في أوقات كان الرئيس فيها - كما فهمت - مخموراً».

وبينما شهد تول على عناصر من هذه الأحداث أمام لجنة مجلس الشيوخ، فإن روايته تظل بدون توكيد[10]. وفي تلك الأثناء، تشير معلومات من هنري كيسنجر إلى أنه قد تم النظر في احتمال استخدام الفرقة الثانية

(10) شهد تول تحت القَسَم أنه قد شاهد هذه الأوامر في جلسة مغلقة للجنة مجلس الشيوخ المنتقاة لشؤون أسرى الحرب والمفقودين في المعارك، وذلك في 26 حزيران / يونيو، 1992. أما تيودور وايت، الرجل ذو الصلة الممتازة بالمصادر، فقد كتب في وقت الاستقالة: «بأمر وزير الدفاع شليسينغر، تم تحذير القيادات العسكرية كلها بأن لا تقبل أية أوامر مباشرة من البيت الأبيض أو من أي مصدر بدون التوقيع المقابل لوزير الدفاع نفسه». وعند إخبار شليسينغر بإفادة تول، قال للمؤلف إنه يستطيع أن يرى كيف يمكن أن يكون تول قد رأى أمراً من هذا القبيل موصوفاً في آخر أيام رئاسة نيكسون - رغم أن من المحتمل أكثر أنه قد منع تلقي أي أمر من «البيت الأبيض» بدون تدقيق، وليس من «الرئيس» بالذات وعلى وجه التحديد. فلن يكون هناك - كما يعتقد - أمر بعصيان الرئيس، الذي هو - رغم كل شيء - القائد العام. غير أن الدكتور شليسينغر قد أدهشه زعم تول أنه قد رأى في وقت سابق أوامر مماثلة تتعلق بالأوقات التي كان فيها نيكسون مخموراً كما يقال. وقال: «حول ذلك يتعين عليك أن تسأل الناس الموظفين في البيت الأبيض، وليس في تسلسل المراتب العسكرية». (شهادة تول: شهادة تول المكتومة أمام اللجنة: لجنة مجلس الشيوخ المنتقاة لشؤون أسرى الحرب والمفقودين في المعارك، 26 حزيران / يونيو 1992، المقدمة إلى المؤلف؛ «بأمر وزير الدفاع: وايت، **خيانة الثقة**، مصدر سبق ذكره، ص 22 وما يليها؛ شليسينغر حول تول: مقابلة مع جيمس شليسينغر).

والثمانين المنقولة جوّاً في الأسبوع المتوتر الأخير من رئاسة نيكسون.

فقد كتب وزير الخارجية الأسبق: «كان هيغ على اتصال بي في كل يوم. وكنت في العادة أبدأ يومي باجتماع قصير معه في البيت الأبيض. وفي يوم الخميس، 1 / آب ـ أغسطس قال إن الأمور آخذة في الاتجاه نحو الاستقالة، ولو أن أسرة نيكسون تعارض ذلك بعنف. وفي يوم الجمعة 2 آب / أغسطس أخبرني أن نيكسون قد بدأ يتشدد في تشبثه بالبقاء؛ وأنه قد يكون من الضروري نشر الفرقة الثانية والثمانين المنقولة جواً حول البيت الأبيض لحماية الرئيس. فقلت له إن ذلك هراء. فلا يمكن إدارة رئاسة من بيت أبيض تحيط به الحراب. فقال هيغ إنه يتفق معي في ذلك تماماً. . . وأنه كان يريد ببساطة أن يشعرني بأنواع الأفكار المطروحة والمتداولة».

وقال الوزير الأسبق شليسينغر سنة 2000: «كانت نهاية رئاسة نيكسون حدثاً غير عادي في التاريخ الأمريكي. وإني لفخور بدوري في حماية تماسك التسلسل التراتبي للأوامر. إذ يمكنك القول بأن ذلك كان مرادفاً لحماية الدستور».

ولقد وافق رئيس هيئة الأركان المشتركة، بطريقته الجافة، على أن شيلسينغر قد تصرف بطريقة صحيحة. وعلق الجنرال براون فيما بعد: «أعتقد أن الوزير كانت على عاتقه مسؤولية إثارة مثل هذا النوع من القضايا»[11].

---

(11) صارت إجراءات شليسينغر علنية بعد أن ناقشها مع مراسلي البنتاغون على العشاء بعد ذلك بأسبوعين. وكانت تعليقاته «ليست للنسبة إليه»، ولكن قناعها كان رقيقاً عند نشرها. وفي وقت لاحق كتب الرئيس فورد في مذكراته إنه «اضطر إلى توبيخ» شليسينغر لأنه نشر في الصحافة تكهناته حول مثل هذه القضايا، التي كان يعتبرها غير منصفة بحق القوات المسلحة. وفي مقابلة في سنة 1997، قال آليكساندر هيغ إن عمل هيغ كان «خطأ. . . وفاضحاً». أما نيكسون فقد نبذ من جانبه سنة 1984 فكرة احتمال استخدامه القوات الأمريكية للتشبث بالسلطة ووصفها بأنها «لا تُصَدَّق». [تعليقات شليسينغر: **الواشنطن بوست، وشيكاغو صن ـ تايمز** 24 آب / أغسطس 1974: «اضطر إلى توبيخ»: فورد، مصدر سبق ذكره، ص 332؛ «فاضح»: مقابلة مع آليكساندر هيغ؛ «لا يصدق»: نسخة منقولة عن مقابلة مع ريتشارد نيكسون، «الاستعراض الأمريكي، تلفزيون شبكة كولومبيا للإذاعة، 10 نيسان / إبريل 1984).

فبما رحمةٍ من الله، لم يحدث أي شيء مشؤوم أو غير مؤاتٍ.

وفي يوم الأربعاء، السابع من آب / أغسطس [1974]، كان هيغ يشعر بالانفراج، والقلق، والغضب في آنٍ واحد: الانفراج لأن الرئيس كان يتحدث كأنه سوف يستقيل حقاً؛ والقلق لأنه تلقى خبراً أن باري غولد ووتر وزعماء جمهوريين آخرين كانوا على وشك مواجهة نيكسون شخصياً و«مطالبته» بالاستقالة؛ والغضب حول ما اعتبره مناورات ومكائد مظلمة ضمن الكونغرس.

كان هيغ يقول بلهجة لا تزال تحمل الغضب بعد ذلك بعقدين من الزمن: «أتدري من أين كان الانقلاب سيأتي؟ من السلطة التشريعية! من مجلس الكونغرس! وليس من العسكر»[12]. وفي آب / أغسطس سنة 1974 كان نيكسون يعتقد ذلك أيضاً. وكان من المحتمل أن يحيد عن الاستقالة بعد كل ذلك لو تعرض للضغط.

وفي اجتماع تم ترتيبه على عجل قال هيغ لغولد ووتر: «أيها السناتور، لا يمكنك أن تدع هذا [مناورة الكوَنغرس] يحدث أبداً. إنه حلٌّ يصلح لإحدى جمهوريات الموز. . . فإذا كان الرئيس سيذهب فيجب أن يذهب وفق شروطه هو، وحسب سير القانون أصولاً، كنتيجة لقرار يتخذه هو بلا إرغام». فوعد غولد ووتر أنه وشركاءه البارزين لن يذكروا إمكانية الاستقالة مجرد ذكر عند اجتماعهم بالرئيس.

وبناء على ذلك، فعندما استقبل نيكسون السناتور غولد ووتر واثنين من

(12) قال هيغ في غضون أسابيع من الاستقالة إنه لم يكن يشعر بالقلق أبداً من أي تدخل عسكري محتمل. وقال: «إن الخطر كان من قِوَىً خارجية، وأنه نتيجة لكثرة الإحباط فقد يقرر شخص ما أن يأخذ الأمور بيديه ويستخدم وسيلة خارجة عن الدستور، أو نوعاً من التشويه للتعديل الخامس والعشرين». وقد وصف نهاية الرئاسة فيما بعد بأنها «واحدة من أخطر الفترات في التاريخ الأمريكي». وقال إن التغير القانوني لم يكن استنتاجاً بديهياً مفروغاً منه في ذلك الحين». (مجلة **تايم**، عدد 30 أيلول / سبتمبر 1974؛ **نيوزويك**، عدد 16 تموز / يوليو، 1979، وانظر وودوورد وبيرنشتاين، **الأيام الأخيرة**، ص 425؛ الإشارة إلى رفض نيكسون أن «يتم طرده بواسطة نوع من الانقلاب الدستوري»).

زملائه، لم يذكر أحد منهم السبب الحقيقي للقاء. بل لقد استذكر غولد ووتر: «جلسنا في الغرفة البيضاوية، وتصرف الرئيس وكأنه قد انتهى لتوه من لعبة غولف وأدخل كرته في الحفرة من ضربة واحدة. وما كان يمكنك أن تصدق أن ذيل ذلك الرجل كان في الشق».

وضع نيكسون قدميه على الطاولة وراح يثرثر بلا انقطاع عن ليندون جونسون ودوايت آيزنهاور، وكيف أنهما كانا رجلين جيدين. ثم سأل بطريقة كادت تكون عفوية عابرة عن «كيفية سير الأمور في مجلس الشيوخ». فأخبره السناتور أن من المرجح أن تكون أعداد المصوتين لمصلحة توجيه الاتهام ضده بشكل حاسم. فحدق الرئيس إلى الأعلى في الختم الرئاسي على السقف وغمغم أنه يبدو أنه لم تعد لديه خيارات. ثم غادره الشيوخ.

وعندئذٍ صار نيكسون مستعداً لنطق الكلمة التي تجنبها الآخرون بدقة واحتراس، أمام روز وودز. فكانت هي التي قدّر لها أن تخبر أسرته أنه قد اتخذ قراراً بالاستقالة «لا رجعة فيه». لم يكن قد مضى سوى ساعة على قيام كوكس بإجراء مكالمة هاتفية ثانية مع السناتور غريفين، قال له فيها إن حماته، بات، قد أخبرته أن الرئيس «لم يكن قد تحدث بعدُ عن الاستقالة». وأضاف أن الأسرة لا تزال قلقة على حالة نيكسون العقلية.

وهكذا ففي آخر الأمر بتَّ الذهن المضطرب في خط سيره. وبدأ حلُّ العقدة الذي كثيراً ما رُوِيَتْ قصَّتُه. وبعد مغادرة الشيوخ تناول نيكسونُ عشاءَه العائليَّ الأخير في البيت الأبيض. وقدر لجولي أن تستذكر: «لم نتحدث إلاَّ عن أشياء خفيفة». كان أبوها قد أمر بأن «نتوقف تماماً عن الحديث عن هذا الموضوع». غير أن نيكسون كان قد رتّب لدخول مصور البيت. فتم التقاط صورٍ دامعةٍ جمدت فيها الابتسامات، رغم احتجاجات بات.

وكانت لنيكسون فيما بعد جلسة ملأى بالذهول والكرب والاضطراب مع كيسنجر المتعاطف. حيث تناولا مشروباً قوياً كان ـ حسب رواية نيكسون ـ من

زجاجة البراندي ذاتها التي شربا منها ذات مرة نخب الانفتاح على الصين. وركع الرجلان للصلاة معاً، كما زعم نيكسون وإن كان الركوع على الركبتين تفصيلاً ضاع من ذاكرة كيسنجر.

وبعد ذلك، أجرى نيكسون مزيداً من المكالمات الهاتفية الليليّة، كانت منها واحدة ظنها لورانس إيغلبرغر، مساعد كيسنجر «مخمورة. . . خارجة عن السيطرة». ومع ذلك فإن راي برايس، كاتب خطب الرئيس المخلص، اعتقد أن المكالمات الثلاث التي تلقاها كانت «عقلانيةً تماماً». وقد جاءت الأخيرة منها في نحو الخامسة صباحاً.

الخميس، في الثامن من الشهر. قائمة لهيغ بأشياء يتعين عملها. وعمل أخير يتعلق بقطعة من التشريع ـ أصرّ فيها نيكسون على رفض لائحة التخصيصات الزراعية. وتعيين بعض القضاة، وقبول بعض الاستقالات. وفكر هيغ بأن العمل كالمعتاد هو الأفضل ـ في وقت لم يعد فيه أي شيء عادياً على الإطلاق. وكانت الخطوة التالية اجتماعاً مع فورد ليقول له: «أعرف أنك ستقوم بعمل جيد».

وعصر ذلك اليوم، وفي ذهن نيكسون احتمال التعرض للاتهام، حاول حشر المرح قسراً في محادثة له مع هيغ: «لقد أنجز لينين وغاندي بعض أفضل كتاباتهما في السجن». ثم كرر هذه العبارة نفسها، ولكن باستسلام للقدر هذه المرة، في حديثه مع محاميه فْرِيد بوجارت. ثم القلق، مرة إضافية، حول موضوع مألوف: «لم أتخلَّ عن المعمعة في حياتي من قبلُ على الإطلاق. . . **إنك لا تَتَخَلَّى!**».

كان الرئيس قد أكد لغولد ووتر في اليوم السابق: «لن تكون هناك دموع منّي». ومع ذلك فقد قيل إنه بكى، مع كيسنجر، ثم بكى الآن مع النوّاب والشيوخ الذين جاؤوا لتوديعه. واستطاع أن يقول: «آمل فقط أن لا أكون قد خذلتكم».

وبعد نصف ساعة، ظهر نيكسون على شاشة التلفزيون ليقول للأمة إنه سيغادر ظهر اليوم التالي. كان رابط الجأش طلق اللسان، واختتم بتبريك: «فليكن لطف الله معكم في الأيام المقبلة». غير أنه لم يعتذر. ثم احتضن أفراد أسرته بعد ذلك. واستذكر: «وفجأة، بدأت أرتجف بعنف. ومدّت تريشيا يدها لتمسك بي، وهتفت: أبتاه! إن العرق يبدو واضحاً من خلال سترتك!) فقلت لهم ألا يقلقوا!».

وسمعتْ بات ضجةً من الشارع. فاجتذبت زوجها إلى نافذة. فسمعت ابنتها الكبرى الهتاف وميزت فيه عبارة: «السجن للرئيس»، فحاولت أن تغرقها بالتكلم بصوت عال. ومن الخارج شوهدت زوجة الرئيس وابنتاه يغلقن ستائر لم تغلق من قبل أبداً، حتى بعد اغتيال كيندي.

وعاد نيكسون إلى سماعة الهاتف تلك الليلة. كان لديه اعتذار إلى لين غارمنت، الديموقراطي الذي بدّل ولاءه وانحاز إليه، والذي خيم معه على حافة بِرْكة منزل إلمر بوبست، واستمع إليه وهو يقول إنه يفعل أي شيء ليبقى في الحياة العامة، «ما عدا زيارة طبيب نفسي».

وقال له الرئيس عندئذٍ: «آسف، لقد خذلتك». ما الذي سيفعله المدعي الخاص بشأنه؟ وهل يوجه إليه الاتهام؟ فقال غارمنت إنه لا يتوقع ذلك. ثم قال نيكسون. حسناً. ليس ذلك هو أسوأ شيء في العالم. فبعض أفضل الكتابات تمت في السجن. وهكذا أشار إلى غاندي للمرة الثالثة في ذلك اليوم. ولم يقل ليلة سعيدة. بل كانت طقة أغلق بها السماعة، ومات الخطّ.

وجاء صباح الجمعة، في التاسع من آب / أغسطس، ليجد نيكسون في غرفة جلوس لينكولن، وقد تكدست أمامه مذكرات رؤساء سابقين. وجاءه هيغ برسالة موجهة إلى هنري كيسنجر، وفيها نعيه السياسي، وتتطلب توقيعه.

عزيزي السيد الوزير،

أقدم بهذا استقالتي من منصب رئيس الولايات المتحدة

المخلص

ريتشارد نيكسون

وانسرب الوقت بسرعة. وعند النزول في المصعد إلى الغرفة الشرقية أوضح أحد المساعدين أين ينبغي أن يقف أفراد الأسرة بالضبط من أجل عدسات التصوير التلفزيوني. وقالت بات في لهجة مليئة بالغمّ الكئيب: «آه يا دِكْ، لا يمكنك السماح بتصوير هذا».

ولكنه فعل وهو يدمدم بلهجة عاطفية أمام الوزراء والموظفين المتجمعين وجمهور المشاهدين، متفوهاً بعبارات مضطربة غير مترابطة عن المال (نَقْصِه) وأبيه، وأمه التي «كانت قديسة».

واقتبس نيكسون من ثيودور روزفلت قوله عند وفاة زوجته الشابة: «وعندما ماتت أعز الناس على قلبي، ذهب الضوء من حياتي إلى الأبد». الحزن الشخصي لرجل آخر، يستعار لاستحضار خسارة الرئاسة.

ومن الشيء غير اللائق إلى الشيء المحتوم تقريباً، الرجوع مرة إلى عبارة ثيودور روزفلت عن الرجل الذي في الحلبة يفشل بينما يتجرّأ ويتحدى كثيراً[13].

ثم: «إننا نعتقد عندما نتعرض لهزيمة أن كل شيء قد انتهى. وهذا غير صحيح. بل إنه ليس سوى البداية، دائماً...».

وعندما انتهى من دمدماته، كان كثير من الحاضرين يبكون. أما الذين في وسط المسرح فقد حبسوا دموعهم. وقالت بيتي، زوجة فورد: «تمتع برحلة

(13) أنظر الإشارات إلى نيكسون وخطاب ثيودور روزفلت عن «الرجل الواقف في الحلبة في الصفحتين 56 و355.

جيدة يا دِكْ». ثم سار نيكسون مع بات إلى المروحية التي نقلتهما إلى قاعدة آندروز الجوية، وإلى طائرة السلاح الجوي رقم واحد، ومن ثم إلى كاليفورنيا.

وبنظرة إلى البيت الأبيض على باب الطائرة المروحية، افتر فم الرجل الذي فشل فشلاً عظيماً عن ابتسامة هائلة. وأشار بحرف V بإصبعيه علامة النصر Victory بكلتا يديه، وقد نشر ذراعيه على نحو واسع عريض. وعندما حلقت الطائرة غمغمت بات: «إنه لشيء محزن. إنه لشيء محزن».

ومن الناحية الفنية ظلت الرئاسة لنيكسون حتى الثانية عشرة ظهراً بالتوقيت الشرقي للولايات المتحدة. وكانت طائرة السلاح الجوي رقم واحد تحلق في مكانٍ ما فوق ميسوري عندما حلف فورد يمين الرئاسة وقال للأمة: «إن كابوسنا الوطني الطويل قد انتهى». وكان نيكسون يحتسي كأساً من المارتيني بينما كان الرئيس الجديد يتكلم. ولم تكن إلى جانبه بات، بل زيغلر.

وفي تلك اللحظة الانتقالية فقدت طائرة السلاح الجوي رقم واحد شارة ندائها الرئاسية. كانت المراسم البروتوكولية قد تغيرت. وعندما صعد نيكسون إلى الطائرة، لم يودعه جنرال يرفع يده بالتحية كما جرت العادة، بل ودعه عقيد فقط. فترك ذلك ضغينة تعتمل في صدر نيكسون، وأُرسلتْ شكوى إلى موظف ذي مستوىً عالٍ في وزارة الدفاع بينما كانت الطائرة تحلق في اتجاه الغرب.

ثم كانت هناك قضية «كرة القدم النووية»، أي «الصندوق الأسود» ـ وهي في الحقيقة حقيبة ـ الذي كان آنذاك، كما هو الآن، يظل قريباً من الرئيس في كل الأوقات. فعلى الأرض كان الصندوق مقيداً إلى رسغ ضابط صف. وفي الطيران على متن طائرة السلاح الجوي رقم واحد، كان يخزن في خزانة في الجزء الأمامي تماماً من مقصورة الرئيس. وقد سافر الصندوق الأسود مع نيكسون إلى الصين، وإلى الاتحاد السوڤييتي، وإلى كل مكان آخر ذهب إليه.

وكان يحتوي على شيفرات الإطلاق النووي التي كانت آنذاك مطبوعة على مستطيلات مكسوة بالمطاط بحجم ورق اللعب وشكله. وعند ثنيها

وانفتاح الغلاف المطاطي، فإن البطاقات تكشف الأرقام التي تؤكد صحة موافقة الرئيس على توجيه ضربة نووية. وبما أن وزير الدفاع شليسينغر قد اتخذ احتياطات أخرى فإنه يبدو محتملاً أن يكون صندوق نيكسون الأسود قد نزع منه سلاحه لفترة. وقد أسرّ هيغ ـ كما قيل ـ بهذا الأمر إلى المدعي الخاص.

والظاهر أن نيكسون لم يكن واعياً بذلك الاحتراز. ففي الليلة التي سبقت مغادرته للبيت الأبيض قيل بأنه قد أخبر زواره من الكونغرس بأن الصندوق الأسود سيصحبه كالمعتاد في الطيران إلى كاليفورنيا. ولكنه لم يفعل. فالحقيبة السوداء الآمنة المحكمة الإغلاق لم تكن على متن الطائرة ولا قابعة في خزانة على بعد بضعة أقدام من الرجل الذي كان يحتسي المارتيني في المقصورة الرئاسية.

لقد ذهبت السلطة من ريتشارد نيكسون. وعندما هبطت طائرة السلاح الجوي رقم واحد في محطة إلى تورو البحرية الجوية بالقرب من سان كليمنت، كان هناك حشد كبير بالانتظار. وحالما هبط الرئيس الساقط وسار ليصافح الأيدي سرت من الجموع دندنة ـ بدت في أول الأمر مترددة ومبهمة ـ ثم ارتفعت تدريجياً وصارت أوضح وأكثر ثقة.

كان الناس يغنون: «فليبارك الله أمريكا».

وبعد عقدين من الزمن، جلس إلى البيانو في سفارة الولايات المتحدة بموسكو رجل في الثالثة والسبعين يعزف أداء مرتجلاً لذلك اللحن نفسه، وغَنَّى معه الجميع. وكان العازف هو ريتشارد نيكسون، أثناء «زيارة خاصة»، شملت الاجتماع بالزعيم السوڤييتي ميخائيل غورباتشوف.

وقبل ذلك بأسبوعين، كانت مجلة **نيوزويك** قد نشرت قصة غلاف عنه عنوانها: «لقد عاد: إعادة تأهيل ريتشارد نيكسون» وكان الموضوع مصادقة علنية على الاعتراف الذي أعطاه إياه الرئيس جيمي كارتر منذ زمن طويل باستشارته

بهدوء في الشؤون الخارجية. وفعل ذلك أيضاً كل الرؤساء الذين تلوه ـ وهم ريغان، وبوش، وكلينتون. فبعد فضيحة ووترغيت، وجد نيكسون لنفسه دوراً من الجدارة بالاحترام البارز، وهو دور رجل الدولة الكبير في أمريكا. ومرة أخرى حقق درجة من الانبعاث، ولو لم تكن عودة كاملة من الموت السياسي.

إن قصة ذلك التعافي اللافت للأنظار، المحسوب الخطوات بحرص وعناية، ليست موضوع هذا الكتاب. وكما قال أحد المراقبين فإن زعيم الولايات المتحدة الساقط بخزي وعار قد أمضى سنوات عمره الباقية «مرشحاً لمنصب الرئيس السابق». ولئن كانت هناك حاجة إلى برهانٍ على أنه قد حقق ذلك الهدف، فقد جاء ذلك البرهان عند موته سنة 1994، عندما شهد كل خلفائه مراسم دفنه كبطل قومي.

بعد استقالة نيكسون بشهر، منحه الرئيس جيرالد فورد عفواً عاماً شاملاً عن جميع الجرائم التي ارتكبها أو ربما يكون قد ارتكبها أثناء رئاسته. فقد كان هناك احتمال حقيقي بأنه قد يلاحق. وقد استذكر مقدم هيئة المحلفين الكبرى لووترغيت بشيء من الأسى أن عمل فورد هذا «قد كهرب جميع جهودنا لسبر غور ذلك الشيء والوصول إلى حقيقته العميقة». وتساءل آخر: «أهذه عدالة؟»

وكان إيجيل كروف، مساعد نيكسون السابق، الذي أطلق سراحه من السجن حديثاً، قد زار سان كليمنت قبل صدور العفو، وسأله: أتشعر بالذنب يا سيدي الرئيس؟» فأجاب نيكسون: «كلاّ. لا أشعر. إنني بالفعل لا أشعر بالذنب». وعندما طلب منه فورد أن يصدر بياناً بندمه، لم يزد على أن قال إنه يشعر «بالأسف والألم» للضنى الذي سببته «أخطاؤه وإساءاته للحكم». وفيما بعد، عندما كان يمهد بوضع القواعد الأساسية لكتابة مذكراته قال لموظفيه: «إننا لن نتذلل، ولن نعترف، ولن نقول: أنا المذنب».

يقال إن نيكسون قد اعترف ذات مرة، في خلوة سرية خصوصية لراعٍ دينيّ من طائفة المرتعدين: «لقد ارتكبت أخطاء. ولكنني سأعيش معها». أمّا في العلن فإنه لم يقدم أي اعتذار واضح على الإطلاق. بل لقد أكد لتشارلس كولسون في رسالة قبل أن يستقيل، بأن ووترغيت سوف تصبح «حاشيةً في التاريخ». وعندما سألته بربارا والترز مندوبة شبكة تلفزيون ABC عما إذا كان يعتقد أن التاريخ سيكون رؤوفاً به، أجاب باقتباسٍ نقله عن ونستون تشرشل: «بأن التاريخ سيكون شديد الرأفة بي، لأنني أنوي أن أكتبه. كان نيكسون آنئذٍ قد انتهى من كتابة مذكراته، بطول ألف صفحة، وقد نقش على الغلاف حرفي اسمه الأولين ر. ن. مع زخرفة باذخة كما يفعل الأباطرة العظام. وقدر للمذكرات أن تتبعها ثمانية كتب أخرى.

ومن مقر التقاعد في ولاية نورث كارولاينا، جاء تعليق نموذجي من سام إيرفن، رئيس لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ على سيرة حياة نيكسون كما دونها في مذكراته. فقد أعلن إيرفن أن نيكسون «قد أطاع نصيحة مارك توين في الكتابة عن ووترغيت: (إن الحقيقة نفيسة جداً؛ فاستخدمها بحرص وتقتير)».

ولقد صدر تحذير ـ حتى قبل ظهور المذكرات ـ من أحد أتباع نيكسون المقربين، ممن أمضوا وقتاً في السجن بسبب الإدلاء بشهادة زور، وهو جيمس مغرودر، الذي كتب: «سيحاول ريتشارد نيكسون والمدافعون عنه أن يعيدوا كتابة التاريخ ذات يوم، زاعمين أن الرئيس المأسوي قد خانه مرؤوسوه، وطرده أعداؤه من منصبه. وعندما يحين ذلك اليوم. . . فإن مما يساعد المرء أن يكون السجل بين يديه».

واستذكرت المؤرخة بربارا توتشمان عن المرحلة الأولى في ووترغيت: «إن كانت هناك أيّ عاطفة سائدة، فهي الإحجام عن الاعتقاد بسوء في الرئيس،

والرغبة اليائسة في كنس كل الأعمال الرهيبة الكريهة تحت البساط، وتركه يعتقد بخياله باستقامته غير الملوثة. إن لدى الأمريكيين ميلاً نامياً أكثر من اللازم لعبادة رؤوسائهم. فالناس عموماً **يريدون** أن يؤمنوا بأن الرئيس ـ أي رئيس ـ هو طيب... إننا نضع عبادتنا حيث توجد السلطة، وهذا ترتيب غير حكيم».

ومنذ أن كتبت توتشمان تلك الكلمات، فلعلهم صاروا أقل استعداداً للثقة بزعمائهم ثقة عمياء. ولعل هذه حصيلة إيجابية من زمنٍ حزين كئيب. غير أن الجانب الضارّ هو أن تجاوزات نيكسون وأحابيله الخادعة ربما تكون قد جعلت كثيراً من المواطنين لا يثقون بزعمائهم على الإطلاق.

ملاحظة على المصادر

- حيث توجد إشارة في النص إلى مقابلة «أجراها المؤلف» أو بالحروف .int [مختصر كلمة interview] في حواشي المصادر، فإن ذلك يدل على مقابلة أجراها المؤلف بنفسه، أو أجرتها زوجته وزميلته روبين سوانْ، أو أحد أعضاء فريق الباحثين الذي عمل في الكتاب.
- إن القراءات في محادثات البيت الأبيض (المشار إليها بالحروف «WHT» (مختصر «أشرطة البيت الأبيض» «White House Topes») كثيراً ما تكون نوعية تسجيلها رديئة. وحيث كان المؤلف قلقاً من احتمال حدوث التباس حول ما قيل، فقد قام باحث بمراقبة مُسْتَخْرَجات الشريط للتأكد من دقة ما هو متاح من النصوص المدونة لمحتوياته.
- إن تحويل المبالغ النقدية إلى ما يعادلها من قِيَم أيامنا هذه قد تم في جميع الحالات بالتشاور مع روب غرونوالد، من المصرف الاحتياطي الاتحادي في مِينيَابوليس، الذي يقدم مثل هذه الخدمة.



المصادر

انظر ثبت المختصرات صفحة 1081

Prologue

Graham/Walker: Int. Ronald Walker.
death: *NYT, Newsday, WP,* Apr. 24, 1994.
RN "specified": *HD,* p. 151.
"instructed": *WP,* Apr. 28, 1994.
"planted": *NYT,* Apr. 27, 1994.
"Air Force One": BBN wire report, Apr. 26, 1994.
"42,000": *LAT,* Apr. 28, 1994.
Ford: *New Leader,* May 9–23, 1994.
funeral: *NYT, LAT, WP, Chicago Sun-Times,* Apr. 28, 1994.
Nixonian faithful: (Walker) *NYT,* Apr. 28, 1994; int. Ron Ziegler; int. Peter Flanigan; int. Len Garment; (Walters) *NYT,* Apr. 28, 1994.
poll: Durham (NC) *Herald-Sun,* May 4, 1994.
Hiss: *Newsday,* Apr. 24, 1994.
Maheu: int. Robert Maheu and Robert Maheu, *Next to Hughes,* New York: HarperCollins, 1992, pp. 42–, 79–.
RN denied: In *Supplementary Detailed Staff Reports on Forgein and Military Intelligence,* U.S. Sen. Select Cttee. to Study Gov. Operations with Respect to Intelligence Activities, 94th Cong., 2nd sess., FR, Vol. IV, p. 157–.
violence: Reported and sourced in later chapters.
Agnew: ("feared") Spiro Agnew, *Go Quietly . . . Or Else,* New York: William Morrow, 1980, p. 190; (never spoke) *NYT,* Apr. 28, 1994.
"menacing": *LAT,* Apr. 28, 1994.
"prisoner of war": int. Sam Dash.
Saluted: *New Republic,* May 23, 1994.
Hunt comment: int. Howard Hunt.
McCord believes: James McCord, Jr., *A Piece of Tape, The Watergate Story: Fact or Fiction,* Rockville, MD: Washington Media Services, 1974, p. 259.
Ehrlichman: ("duped") *Newsweek,* Aug. 26, 1974, p. 19; (never spoke) int. John Ehrlichman; (Haldeman/Ehrlichman respect) int. John Ehrlichman in eds. staff at the Miller Center, University of Virginia, *The Nixon Presidency: Twenty-two Intimate Perspectives of Richard M. Nixon,* Lanham, MD: University Press of America, 1987, p. 139; H. R. Haldeman with Joseph DiMona, *The Ends of Power,* New York: Times Books, 1978, p. 72.
"kick-em": *NM,* p. 11.
Dean: ("evil") *NM,* p. 334; (lawsuit) *Maureen K. Dean and John W. Dean v. St. Martin's Press, Inc.,* et al., California Superior Court, Jan. 29, 1992; (book) Len Colodny and Robert Gettlin, *Silent Coup, The Removal of a President,* New York: St. Martin's Press, 1992.

Kalmbach: (vast sums) *NM*, p. 109–; (ambassadorships) ibid., p. 134; (present) ibid., p. 160; (phony names) ibid., p. 251 and cf. Bobby Baker, *Wheeling and Dealing*, New York: Norton, 1978.

Alzheimer's: int. Robert King.

"intentionally": *Newsday*, Jan. 13, 1995 and memo, Jan. 10. 1974, Woods files, NA release Feb. 16, 1995.

Rebozo/hospital: int. Sloan McCrae.

obstructed: E, FR, pp. 931, 1071.

Liu: Anthony Summers, *Official & Confidential, The Secret Life of J. Edgar Hoover*, New York: Putnam, 1993, p. 371–; (sued) *LAT*, Sept. 18, 1976; (cemetery) int. Marianna Liu.

Khashoggi: int. Adnan Khashoggi; int. Pierre Salinger; Anthony Sampson, *The Arms Bazaar*, New York: Viking, 1977, p. 188, *WP*, June 27, 1976.

"peacemaker": *LAT*, Apr. 28, 1994.

inaugural: Alexander Haig, Jr., *Inner Circles, How America Changed the World*, New York: Warner, 1992, p. 181.

Vietnam: (dead) ed. Spencer Tucker, *Encyclopedia of the Vietnam War*, Chicago: Ivan Dee, 1995, p. 1093; ("peace with honor") *AMIII*, citing Public Papers of the Presidents, 1973, p. 55–.

suspicion 1968: William Bundy, *Tangled Web, The Making of Foreign Policy in the Nixon Presidency*, New York: Hill & Wang, 1998, p. 35–; (Chennault) ints. Anna Chennault.

"Pat": Frank Gannon int. of RN, "The Real Richard Nixon," Part 2 (videotape), CPM 1374.

Other memories: reported and sourced in later chapters.

broke down: Monica Crowley, *Nixon in Winter*, New York: Random House, 1998, p. 392.

Hutschnecker: ints. Dr. Arnold Hutschnecker.

Haldeman: Haldeman with DiMona, op. cit., p. 62.

small episodes/serious implications: reported and sourced in later chapters.

Hutschnecker: (urging) *FB*, p. 332; (concern) Drew Pearson; *WP*, Nov. 20, 1968.

Kissinger confided: letter, Fawn Brodie to Henry Kissinger, Jan. 6, 1977, comment can be dated to summer 1968 in int. of Bob Woodward by FB, FBP.

"Mitty": Henry Kissinger, *Years of Upheaval*, Boston: Little, Brown, 1982, p. 1182–.

Chapter 1

"He belongs": FB, p. 54.

RN Sept. 1919: int. Mary George Skidmore in Renée Schulte, ed., *The Young Nixon, An Oral Inquiry*, California State University, Fullerton Oral History Program, Richard M. Nixon Project, 1978, p. 78.

Sears: int. John Sears.

George: int. Mary George Skidmore in ed. Schulte, op. cit., pp. 78, 81, 84.

tears/quavering: Pat, p. 427, Stephen M. Bauer, *At Ease in the White House*, New York: Birch Lane Press, 1991, p. 156.

farewell: *Time*, Aug. 19, 1974, p. 15; *WP*, Aug. 10, 1974.

bar exam: Richard Gardner, Richard Nixon, *The Story of a Fighting Quaker*, unpub. ms., Whittier College Library, p. 86; *AM1*, p. 84.

oil: int. Dr. Paul Smith, president emeritus of Whittier College and professor of RN, in ed. Schulte, op. cit., p. 147; FB, p. 30–.

TB: (Harold) *AM1*, p. 50; (Arthur) *AM1*, p. 41 and see detail in this chapter.

Buzhardt: Bob Woodward and Carl Bernstein, *The Final Days*, New York: Avon, 1976, pp. 78, 92; FB, p. 520, n. 17 for chapter 2.

Hiss: *Psychology Today*, Oct. 1974, p. 116.

1968 speech: *NYT*, Aug. 9, 1968.

met Pat: (Athletes) *Public Papers of the President*, 1969–1974, Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office, 1971–75, citing National Football Foundation speech, Dec. 9, 1969; (RN) Bela Kornitzer, *The Real Nixon*, Chicago: Rand McNally, 1960, p. 134; *MEM*, p. 23.

French: Tad Szulc, *The Illusion of Peace, Foreign Policy in the Nixon Years*, New York: Viking, 1978, p. 766; (History) *MO*, p. 123.

chopsticks: Bruce Oudes, ed., *From: The President, Richard Nixon's Secret Files*, New York: Harper & Row, 1989, p. 383.

Kissinger: Henry Kissinger, *White House Years*, Boston: Little, Brown, 1979, p. 505.

candor: Fred Emery, *Watergate, The Corruption and Fall of Richard Nixon*, New York: Times Books, 1994, p. 414, but see *MEM*, p. 948.

"blameless": *AOP*, p. 476.

Scott: *NYT*, Dec. 10, 1974; James D. Barber, *Political Science Quarterly*, II. 4, p. 597.

Goldwater: ("danger") *Watergate, The Secret Story*, CBS, June 17, 1992; (losing mind) Robert A. Goldberg, *Barry Goldwater*, New Haven, CT: Yale University Press, 1995, pp. 278–.

Tricia: *Ladies' Home Journal*, March 1974, p. 132.

Sears: int. John Sears; *LAT,* Apr. 24, 1994.
Garment: *Burden of Proof,* CNN, Feb. 28, 1997; Leonard Garment, *Crazy Rhythm,* New York: Times Books, 1997, p. 115; int. Leonard Garment.
"dissembling": *SF Chronicle,* Oct. 28, 1982, citing *Good Morning America,* ABC-TV.
Kissinger: Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 1094.
Ehrlichman: Paul Theroux, *Sunrise with Seamonsters,* New York: Penguin, 1985, p. 177.
Kornitzer: (secretary) int. Evlyn Dorn by FB, FBP.
mother: (oil) *Good Housekeeping,* June 1960, p. 54–; (photo) Kornitzer, op. cit., p. 90; ("campaign") *LAT,* Feb. 25, 1960.
pies: David Wise, *The Politics of Lying,* New York:Random House, 1973, p. 328.
aides struck: John Ehrlichman, *Witness to Power,* New York: Pocket Books, 1982, p. 147; Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1183.
"mother taught me": Crowley, *Winter,* op. cit., p. 362.
Hannah origins: *MO,* p. 24–.
clannish: ibid., p. 25.
meets Frank: ibid., p. 36.
Frank origin: ibid., p. 32.
"below her station": int. Dr. Paul Smith in ed. Schulte, op. cit., p. 151.
Frank and women: Edwin Hoyt, *The Nixons, An American Family,* New York: Random House, 1972, p. 183; Jessamyn West, *Hide and Seek,* New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1973, p. 239–; *FB,* p. 39.
"bad girl": *MO,* p. 37; int. Dr. Smith, *supra.,* p. 151.
kings: *JA,* p. 11.
Nixon name: Kornitzer, op. cit., p. 26.
circumstances: ("hunger") int. John Lindsay by FB, FBP; ("poor") Hoyt, op. cit., p. 182; (cornmeal) Joseph Dmohowski, "From a Common Ground, The Quaker Heritage of Jessamyn West and Richard Nixon," *California History,* Fall 1994, p. 222; (Alsop) Stewart Alsop, *Nixon and Rockefeller,* New York: Doubleday, 1960, p. 185; (advance) *JA,* p. 10; (lemons) *MO,* p. 65–; (pony) Theodore White, *The Making of the President 1960,* New York: Atheneum, 1960, p. 302; int. Hugh Sidey in eds. Miller Center, op. cit., p. 306; (RN on train) ibid., Wise, *Politics,* op. cit., p. 329; (mother and train) Kornitzer, op. cit., p. 49; (tractor/car) *MO,* p. 55; (Hannah did return) ibid., pp. 57, 67; (well-to-do) ibid., p. 55; ($5,000) ibid., p. 67.
Whittier house: ibid., p. 71.
piano: ibid., p. 61; (at three) *Legacy, Journal of the Nixon Library and Birthplace Foundation,* Spring 1997, p. 4.
"psychohistory": see David Abrahamsen, M.D., FB; Eli S. Chesen, M.D., Bruce Mazlish, Vamik Volkan, et al., and Arthur Woodstone cited in full in bibliography.
fighter: *MEM,* pp. 12, 6.
punishments: (Frank beaten) *MO,* p. 33; (dodged) ibid., pp. 65, 194; ("mother never") Barber, op. cit., p. 408; (screams/playmates) *MO,* p. 64–; ("animal") Abrahamsen, op. cit., p. 91; (canal) int. Jessamyn West by FBP, *FB,* p. 40.
"cruel": int. Jessamyn West, *supra.*
"brusque": *MEM,* p. 7.
Hutschnecker: int. Dr. Arnold Hutschnecker by *FB,* FBP.
mother: ("gentlest") Alsop, op. cit., p. 185; ("kind") int. Blanche McClure in ed. Schulte, op. cit., p. 8; ("throttle") *JA,* p. 14; ("holy, holy") int. Helene Drown by *FB,* FBP; ("cranky") *FB,* p. 54; ("steel") Richard Arena cited at *MO,* p. 98, but see Abrahamsen, op. cit., p. 89; (paddling) *Good Housekeeping,* June 1960; (neighbor) int. Mrs. Cecil Pickering in ed. Schulte, op. cit., p. 21; (switch) *MO,* p. 62, *FB,* p. 59–; (Sears) int. John Sears, *Richard M. Nixon, A Self-Portrait,* 1968 film script, FBP.
Arthur: (cigarettes) ibid., p. 5, Kornitzer, op. cit., p. 64; (hoping for daughter) ibid., p. 62–; (kiss) ibid., p. 65; *JA,* p. 25.
mother: (Bergholz) Gerald and Deborah Strober, *Nixon, An Oral History of His Presidency,* New York: HarperCollins, 1994, p. 38; (kissing) *JA,* p. 15; ("never heard") Richard Nixon, *In the Arena,* New York: Pocket Books, 1990, p. 94; ("projected") *JA,* p. 15.
Hutschnecker: int. Dr. Arnold Hutschnecker, Nov. 7, 1976 by *FB,* FBP.
Arthur death: (rock) Gardner, op. cit., p. 23; *FB,* p. 89; Edward Nixon to author, May 8, 1996; int. Donald Nixon, Jr., and other relatives; *MO,* p. 881 n.84; (certificate) *FB,* p. 89; (root cause) *MEM,* p. 10; Nixon, *Arena,* op. cit., p. 192; (nightmare) *MO,* p. 43–; ("staring") *FB,* p. 90; (cried) *MEM,* p. 10.
Harold: Abrahamsen, op. cit., p. 87; *MO,* p. 87–; (TB) ibid., p. 94–; (raw milk) *JA,* p. 23; (Richard/Don sick) ibid., pp. 23, 27; ("catastrophic") RN to Pat Buchanan, Feb. 10, 1971, NP, NA; (sold land) int. Harry Schuyler in ed. Schulte, op. cit., p. 251.

tough period: *MO,* p. 98–, *Richard M. Nixon, A Self-Portrait,* 1968 film script, FBP, p. 6; (shirts/breath) *Good Housekeeping,* June 1960; (meat) int. Merle West and see *Good Housekeeping,* June 1960; (Arizona) *MO,* p. 94–; (afraid) ibid., p. 96; (carnival) *FB,* p. 97; (conspired) *AM1,* p. 44; (wiretap) *MO,* p. 97.

Harold death: ("guilt") Henry Lawton, "Milhous Rising," *Journal of Psychohistory,* Spring 1979, p. 533; ("Why?") Jessamyn West, *Double Discovery,* New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1980, p. 138; (punishment) *MO,* p. 44, *JA,* p. 48; ("God's decision") Kornitzer, op. cit., p. 60.

religion: (two churches) unpub. essay by John Rothmann, JFRP; int. Jane Milhous Beeson in ed. Schulte, op. cit., p. 62–; (Quaker background) *Encyclopedia Brittanica,* Charles Henderson, *The Nixon Theology,* New York: Harper & Row, 1972; *MO,* pp. 23–, 27; int. Edward Nixon; ("four times") Nixon, *Arena,* op. cit., p. 95; (quiet) *MO,* p. 86; (closet) ibid., p. 31; *JA,* p. 338; (her life) int. Jane Beeson in ed. Schulte, op. cit., p. 63; ("firebrand") Jessamyn West, "Four Years, For What?," *Whittier College Bulletin,* May 1954; (cheeks) West, *Hide and Seek,* op. cit., p. 239–; ("reawakening") *AM1,* p. 41; (devotees) *NYT,* Jan. 26, 1969; (RN rethought) *JA,* p. 54–; (Trohan) int. Walter Trohan; (Peale) Rothmann unpub. essay, *supra.*; ("backslider") Marshall Frady, *Billy Graham,* Boston: Little, Brown, 1979, p. 446; (Catholicism) int. John Ehrlichman, int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 135, Colson cited in *WP,* Apr. 24, 1994, p. C1 and Douglas Hallet article in *NYT* Magazine, Oct. 20, 1974; (anathema) *MO,* p. 23; (stopped holding) Marianne Means, Boston *Herald-American,* Sept. 26, 1973, John Osborne in *New York,* Apr. 21, 1975; ("guidance") Michael Medved, *The Shadow Presidents,* New York: Times Books, 1979, p. 326; (Colson) Charles Colson, *Born Again,* New York: Bantam, 1977, p. 203; (Lincoln table) *SF Chronicle,* May 26, 1977; (Korff) int. Baruch Korff and Baruch Korff, *The President and I,* Providence, RI: Korff Foundation, 1995, p. 74; ("peace") ibid., p. 167; ("Life of Christ") UPI, Mar. 19, 1975; *MEM,* p. 78; (Bible) int. WSPF attorney; (old age) Crowley, *Winter,* op. cit., p. 339–; ("I believe") *This Week* magazine, Sept. 18, 1960; (repudiate) int. Dr. Paul Smith in ed. Schulte, op. cit., p. 177; Henderson, op. cit., p. 32–; *FB,* p. 62; int. Rev. Eugene Coffin, East Whittier Friends Church by *FB,* FBP; (RN's "great trouble") int. Walter Trohan; ("victim") int. Dr. Arnold Hutschnecker.

Chapter 2

"One man may . . .": Richard Nixon, *Six Crises,* New York: Doubleday, 1962, p. xvi.

Whittier presidency: *MO,* p. 151–.

jail: Charles Elliott, *Whittier College,* Redondo Beach, CA: Legends Press, 1986, p. 157–.

privy: Ralph de Toledano, *One Man Alone, Richard Nixon,* New York: Funk & Wagnall, 1969, p. 26; *JA,* p. 37–.

schooling: (teacher) int. Mary George Skidmore in ed. Schulte, op. cit., p. 78; ("My mother") Nixon, *Arena,* op. cit., p. 103; (light) *FB,* p. 54; ("Richard always"); *MO,* p. 61; (good grades) Nixon, *Arena,* op. cit., p. 102, *MO,* p. 60, int. Mary George Skidmore in ed. Schulte, op. cit., p. 78; (fifth grade) *JA,* p. 23; (Carnegie/music) ibid., p. 24; *AMI,* p. 39–, int. Jane Milhous Beeson in ed. Schulte, op. cit., p. 57; (woodwork) Kornitzer, op. cit., p. 54; (klutz) *AMI,* p. 43, int. John Ehrlichman; (steady A) *JA,* p. 23; *MO,* p. 90; Nixon, *Arena,* op. cit., p. 104; (award) *JA,* p. 29, *MO,* p. 110; (offered scholarship) int. Dr. Paul Smith in ed. Schulte, op. cit., p. 149–; (Richard was needed) *MO,* p. 110, *JA,* p. 31; (scholarship) unpub. Whittier College study by John Rothmann, JFRP; Hoyt, op. cit., p. 195.

society: (Franklins) *MO* p. 117–; (Orthogonians) *FB,* p. 114, *AMI,* p. 60; ("two left feet") Kansas City *Star,* Nov. 3, 1955; (motto) *FB,* p. 114; (song) Elliott, op. cit., p. 150; (raw flesh) *FB,* p. 115; *JA,* p. 35; (injured) *MO,* p. 120; ("have-nots") "The Mystery of Richard Nixon" *Saturday Evening Post,* July 12, 1958.

family fortunes: (open-necked shirts) *JA,* p. 33; (West) *MO.* p. 137–; (Welch) ints. Ola Florence Welch Jobe; (Smith) int. Dr. Paul Smith in ed. Schulte, op. cit., p. 151.

place in society: (Bassett) int. James Bassett by *FB,* FBP; ("My dad") Carl Solberg, *Hubert Humphrey,* NY: Norton, 1984, p. 313; ("not children") Garment, op. cit., p. 69; ("working class") Herbert Parmet, *Richard Nixon and His America,* Boston: Little, Brown, 1990, p. 23; (destroy establishment) Douglas Hallett article, *New York,* Oct. 20, 1974; (Bork) *Bar Report,* Dec./Jan. 1998, p. 8; ("start sucking") WHT, Sept. 15, 1972, conv. no. 779–002, p. 30; ("screw the universities") Elmo Zumwalt, Jr., *On Watch,* Arlington, VA: Adm. Zumwalt & Assoc. Inc.,1976, p. 419; ("All money stops") eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 83, int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 129, and see *Time,* Apr. 25, 1988, p. 56; (Bok) int. Alexander Butterfield in eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 50; (Clawson) *WP,* Aug. 9, 1979, (clubs) *Good Housekeeping,* July 1968; (Watts) int. William Watts.

RN at college: (liberal) Earl Mazo, *Richard Nixon, A Political and Personal Portrait,* New York: Harper, 1959, p. 26; *MO,* p. 150; (black man) Mazo, op. cit., p. 23; (dynamo) Alsop, op. cit., p. 220; ("Dick lived") ibid., p. 219; ("not . . . popular") ibid., p. 218; ("stuck-up"/"cock-sureness") ibid., p. 135, Kornitzer, op. cit., p. 100; ("I classified") Philip Blew to FB, 1974, FBP;

("incredible combination") Alsop, op. cit., p. 218; (Tolstoy) *MEM*, p. 15; ("didn't do bad things") Kornitzer, op. cit., p. 108; (acting) Abrahamsen, op. cit., p. 98; ("I taught him") Mazo, op. cit., p. 23; Alsop, op. cit., p. 132–; Henry Spalding, *The Nixon Nobody Knows*, Middle Village, New York: Jonathan David, 1972, p. 121.

debating: (team) *AMl*, p. 68; MO, p. 30; *Good Housekeeping*, June 1960; (Vincent) Theodore White, *Breach of Faith*, London: Jonathan Cape, 1975, p. 58; William Costello, *The Facts About Nixon*, New York: Viking, 1960, p. 23; (Johns) *FB*, p. 81; (Elliott) Abrahamsen, op. cit., p. 111; (others remember) int. Eugene Pumpian-Mindlin by FB, FBP.

Longfellow: *MEM*, p. 13; *Life*, Nov. 6, 1970.

second in class: unpub. Whittier College study by John Rothmann, JFRP.

lawyer ambition: int. Jane Beeson in ed. Schulte, op. cit., p. 55–; Mazo, op. cit., pp. 13, 14.

minister: Kornitzer, op. cit., p. 238; Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 295.

politics: (1920) int. Merle West; Abrahamsen, op. cit., p. 67; ("crooked politicians") Mazo, op. cit., p. 14; (McKinley) *This Week* magazine in *LAT*, Sept. 18, 1960; (Lincoln) Kornitzer, op. cit., p. 40; unpub. Whittier study *supra*.; (LaFollette) ibid., p. 21–; (Wilson) Nixon, *Arena*, op. cit., p. 88; (desk) William Safire, *Before the Fall*, New York: Belmont Tower, 1975, p. 105; Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 1183.; int. Dr. Paul Smith in ed. Schulte, op. cit., p. 161; (Roosevelt) unpub. Whittier study, *supra*., Nixon, *Arena*. op. cit., p. xi, *MEM*, p. 109; (teacher prophesied) Kansas City *Star*, Oct. 30, 1955; (father's forecast) int. Harry Schuyler in ed. Schulte, op. cit., p. 257; ("he wanted to go") Alsop, op. cit., p. 222; ("I would like") *JA*, p. 27.

Duke University: ("the proudest day") Laurie Nadel, *The Great Stream of History*, New York: Atheneum, 1991, p. 16; ("I don't believe") Spalding, op. cit., p. 99; (prodigiously) Alsop, op. cit., p. 234; *MO*, p. 165; (took jobs) ibid., p. 163; int. William King, Duke archivist, Richard M. Nixon Collection, Duke University Archive; (accommodation) Kansas City *Star*, Nov. 4, 1955; Alsop, op. cit., p. 232; (solitary figure) *JA*, p. 69; Alsop, op. cit., p. 237; (cripple) San Antonio *Light*, Nov. 20, 1968; *JA*, p. 69; (racial bias) Alsop, op. cit., pp. 230, 235–; (before dawn) ibid., p. 231; ("shot full") *Life*, Nov. 6, 1970; (special occasions) Alsop, op. cit., pp. 235, 237–; (Morrah) Abrahamsen, op. cit., p. 121; (Fuller) *Life*, Nov. 6, 1970; (Farley) *FB*, p. 127; (graduation) *MEM*, p. 22; *MO*, p. 181; (Bar Assn.) *Life*, Nov. 6, 1970, Abrahamsen, op. cit., p. 120.

Break-in: Kornitzer, op. cit., p. 120; Hoyt, op. cit., p. 214; *FB*, p. 131; *MO*, p. 171–; *JA*, p. 71; Abrahamsen, op. cit., p. 118; (newspaper) Charlotte (NC) *Observer*, July 22, 1973; Jack Anderson syndicated column, May 16, 1973; (more sinister?) Duke *Chronicle*, Nov. 18, 1976, Dorothy Marshall to Drew Pearson, citing Prof. Dumont of University of Michigan, DPP; ("finesse") Hoyt, op. cit., p. 214; Kornitzer, op. cit., p. 120; ("There are ways . . .") WHT, Sept. 15, 1972, conv. no. 779-002, p. 3.

Duke disowns: (honorary doctorate) *Newsweek*, Apr. 19, 1954; *SF Chronicle*, Sep. 4, 1981; Durham (NC) *Herald-Sun*, Apr. 24, 1994; *NYT*, Apr. 6, 1954; (Library) *SF Examiner*, Sept. 4–5; AP, Aug. 31, 1981; (petition) Durham (NC) *Herald*, Durham *Sun*, Oct. 31, 1973; (portrait) *SF Examiner*, Sep. 4, 1981.

FBI: RN application form, Apr. 23, 1937, FBI 69-102459-1.

NY lawfirms: Mazo, op. cit., p. 25–; *JA*, p. 76.

Horack: *JA*, p. 76.

Bewley job: *MO*, p. 182–.

prophesies: (teenager) *JA*, p. 61; (astrologer) Ehrlichman, op. cit., p. 331; int. John Ehrlichman.

Chapter 3

"Sometimes I think . . .": *Life*, Nov. 6, 1970.

RN and girls: (washing-up) Mazo, op. cit., p. 13; Barber, op. cit., p. 402; *Time*, Aug. 25, 1952, p. 13; Abrahamsen, op. cit., p. 59; (garlic) *JA*, p. 23; (". . . hated girls."/roller-coaster)Kornitzer, op. cit., p. 54; ("stuffy") *MO*, p. 141; ("aloof") Spalding, op. cit., p. 54; ("he didn't know . . .") *Life*, Nov. 6, 1970, p. 60; (". . . wasn't sexy.") *MO*, p. 142, *FB*, p. 124; (male friends) int. Charles Kendle in Schulte, op. cit., p. 193; Alsop, op. cit., p. 223; (slowest driver) Abrahamsen, op. cit., p. 111.

Ola Welch: (main sources) ints. Ola Florence Welch Jobe; "Whittier '34 Most Likely to Succeed," article by Lael Morgan (friend of Welch), *LAT West* magazine, May 10, 1970; *JA*, p. 58–; *MO*, pp. 109–, 141–, 159–, et al., *FB*, pp. 108–, 122–; (catcalls) *MEM*, p. 14; ("Would you think . . . ?) *AM1*, p. 38; (A-grade student) *MO*, p. 141; *JA*, p. 59; *LAT West*, May 10, 1970, p. 34; ("smartest") *MO*, p. 109; Bruce Mazlish, *In Search of Nixon*, New York: Basic Books, 1972, p. 63; (car) *AM1*, p. 46; (mother professed) *Good Housekeeping*, June 1960; ("stripteaser"/"very normal") *MO*, pp. 145, 142; ("no hanky-panky) *FB*, p. 123; ("never comfortable") int. Ola Florence Jobe by William Cran, notes supplied to author; (parents disliked) main sources, *supra*., but see *JA*, p. 60; ("He had never . . .") *FB*, p. 124; *MO*, p. 159; ("nothing to it") *Good Housekeeping*, June 1960; ("nasty temper") Mazlish, op. cit., p. 63; ("on the string") Mazlish, op. cit., p. 64; (ceased seeing women) Alsop, op. cit., p. 236; *FB*, p. 128; *MO*,

p. 175; ("You'll never hear") Mazlish, op. cit., p. 64, and cf. *LAT West* magazine, May 10, 1970; (RN silent re. Ola) *FB*, p. 128, see Gardner, Kornitzer, Mazo, de Toledano, ops. cit.; (WH reception) int. John Lindsay by FB, FBP, int Ola Florence Welch Jobe; (memoirs) *MEM*, pp. 14, 18–19; ("broke his heart") int. Hubert Perry; (Harlow) int. Bryce Harlow, Jr.; Wicker, op. cit., p. 652 and int. Bryce Harlow in White Burkett Miller Center, University of Virginia, eds., *The Nixon Presidency*, New York: University Press of America, 1987, p. 9–; (Feb. 2, 1936 letter) *JA*, p. 64; (mother never uttered) Nixon, *Arena*, op. cit., p. 94; ("play-acting") *FB*, p. 123, Abrahamsen, op. cit., p. 107.

audition: (date) *JA*, p. 86; (previous role) *MEM*, p. 23; (colleague) *MO*, p. 204; (roles) ibid., *Saturday Evening Post*, Sept. 6, 1952.

Pat Ryan: ("That night . . .") *MEM*, p. 23; (Cloes) int. Elizabeth Cloes in ed. Schulte, op. cit., p. 236; ("nuts") Mazo, op. cit., p. 31; (birth) birth certificate, filed Apr. 7, 1912, County of White Pine, Nevada; (Rose Bowl) *FB*, p. 147, citing RN speech to National Football Foundation dinner, Dec. 9, 1969, and see Ch. 1 *supra.*; ("silly") *NYT*, Nov. 4, 1952; ("must not permit") *FB*, p. 26; ("near midnight") *PAT*, p. 17; WH bios., June 12, 1969 and Dec. 21, 1971, NA, contrary to physician's information on birth certificate; ("Thelma" in childhood) Artesia (CA) *News*, July 18, 1952; (father/"Pat") Pat cited in *Miami Herald*, Jan. 19, 1969; ("took Pat") *JA*, p. 87; *MEM*, p. 23; *PAT*, p. 34; (Haldeman) *Parade*, Feb. 5, 1995.

Pat background: *PAT*, unless otherwise indicated; (hold-up) Lester David, *The Lonely Lady of San Clemente*, New York: Thomas Crowell, 1978, p. 31; (timing of move to "Pat") *PAT*, p. 34; (married before?) Cheshire, op. cit., p. 110–; *Time*, May 13, 1974.

loan lawsuit: *FB*, pp. 134–, 527; Abrahamsen, op. cit., p. 122–; *MO*, p. 189.

orange juice: *MO*, p. 195–; *JA*, p. 83; int. Evlyn Dorn by FB, FBP.

divorce cases: (open air sex) ibid.; (good-looking girl) Alsop, op. cit., p. 195.

virgin: *JA*, p. 104, citing Lt. Jim Stewart.

dinner invitations: *PAT*, p. 56.

courtship: except where indicated source is *PAT*, which includes the couple's letters; ("insisted") *MO*, p. 218; David, op. cit., p. 51; (brick fireplace) *NYT*, Aug. 10, 1971; (adjoining plots) Traphes Bryant with Frances Spatz Leighton, *Dog Days at the White House*, New York: Macmillan, 1976, p. 247; (no Whittier weekends) *MO*, p. 218; (LA dates) *PAT*, p. 59; David, op. cit., p. 52; (poor dancer) int. Hortense Behrens in ed. Schulte, op. cit., p. 226; (skating) int. Evlyn Dorn by FB, FBP; *Life*, Nov. 6, 1970, p. 64; *JA*, p. 91; (RN Beast) Mazo, op. cit., p. 34; (LA club) *JA*, p. 91; *PAT*, p. 61.

RN and drink: (alcohol ban) *MO*, p. 200, *Saturday Evening Post*, undated, summer 1971, Jean Lippiatt article; (SF bar) *MEM*, p. 18; ("Those parties . . .") Nixon, *Arena*, op. cit., p. 147; (Blew) Blew letter to FB, Dec. 16, 1974, FBP; *MO*, p. 199; (objections to Nixon film) Charles Colson and William Safire in *NYT*, Nov. 27, Dec. 28, 1995; Herb Klein in San Diego *Union-Tribune*, Dec. 19, 1995.

wedding: Pat, p. 69–; MO, p. 233.

cruise: C. L. Sulzberger, *The World and Richard Nixon*, New York: Prentice Hall, 1987, p. 26; *PAT*, p. 72; *JA*, p. 94.

Cuba: (gambling) Dennis Eisenberg, Uri Dan, Eli Landau, *Meyer Lansky*, New York: Paddington Press, 1979, p. 227; (Havana as attorney) Mazo, op. cit., p. 35; *MO*, p. 233; Hoyt, op. cit., p. 330; int. Evlyn Dorn by FB, FBP; int. Earl Mazo.

RN in War: (OPA) *MO*, p. 242; (against family wishes) *MEM*, p. 27; *MO*, p. 243–; *Life*, Nov. 6, 1970, p. 64; (pose in uniform) *FB*, p. 165; ("in the foxholes") *MO*, p. 281; ("when the bombs . . .") Alsop, op. cit., p. 143; Spalding, op. cit., p. 137; (could curse) ibid., p. 140.

poker: (since Duke) RN application to FBI, including poker as "recreation," Apr. 23, 1937, FBI 67-102459-1; Alsop, op. cit., p. 144; *JA*, p. 108; *Life*, Nov. 6, 1970, p. 66; Kornitzer, op. cit., p. 147–; Mazo, op. cit., p. 37–; de Toledano, op. cit., p. 40; (1960) Chicago *Sunday Tribune*, Nov. 6, 1960; (in WH) int. Paul Ziffren by FB, FBP; (as VP) Tip O'Neill with William Novak, *Man of the House*, New York: Random House, 1987, p. 157–.

"Pollyanna . . .": *Time*, Oct. 9, 1972.

Chapter 4

"They tried . . .": Margaret Truman, *First Ladies*, New York: Random House, 1995, p. 199–.

RN marriage: (license) *JA*, p. 92; ("Pat never told") ibid., p. 88; ("hundreds of times . . .") *PAT*, p. 83; (hugs in future) Helen Thomas, *Dateline: White House*, New York: Macmillan, 1975, p. 169; int. John Lindsay by FB, FBP; (Dorn) int. Evlyn Dorn by FB, FBP; (Dixon) *FB*, p. 144; (Quakers kiss) int. Mary George Skidmore in ed. Schulte, op. cit., p. 86; ("both were shy") *PAT*, p. 63; (avoided scenes) ibid., p. 57; (Priest) Fr. John Cronin, cited in *Esquire*, July 1994; (clothes scattered) int. Gloria Steinem; ("I . . . don't tell all") *Time*, Aug. 19, 1974; (Mazo) David, op. cit., p. 73–; int. Earl Mazo; (Winchester) Kandy Stroud article, *Ladies' Home Journal*, Mar. 1975; (Dr. Smith) *FB*, p. 141; ("baggage") *FB*, p. 145; (Steinem) int. and corr. Gloria

Steinem; (Stroud) int. Kandy Stroud; (Ehrlichman) int. John Ehrlichman; (Dean) int. John Dean and John Dean, *Lost Honor,* LA: Stratford Press, 1982, p. 22–; (Watts) int. William Watts; (Bork) int. Robert Bork by FB, FBP; (Sidey) int. Hugh Sidey in eds. Miller Center, op. cit., p. 313; ("The moneyed class") *PAT,* p. 47; (Steinem) int. Gloria Steinem, corr. with author, 1998; Steinem in *New York,* Oct. 28, 1968; ("didn't respect him") corr. Gloria Steinem, July 7, 2000.

Pat personality after marriage: (Pierpoint) Robert Pierpoint, *At the White House,* New York: Putnam, 1981, p. 185; ("Coppelia") London *Spectator* article, reprinted in *The New Republic,* Dec. 22, 1958; (Pat claimed) Thomas, op. cit., p. 116 and unid. clip during Soviet visit, 1972, author's collection; (smoked) *PAT,* p. 89; Bauer, op. cit., p. 116; int. Tom Korologos; (lung cancer) *NYT,* June 23, 1993; ("incessantly") J. F. terHorst and Col. Ralph Albertazzie, *The Flying White House,* New York: Coward McCann & Geoghegan, 1979, p. 35; ("I once saw . . .") Thomas, op. cit., p. 160; ("drinking heavily") Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 173; denied in *Star,* Apr. 27, 1976; Betty Beale in *SF Sunday Examiner and Chronicle,* May 2, 1976, by Julie Eisenhower in *Newsweek,* May 24, 1976, by Helen M. Smith, *Good Housekeeping,* July 1976, and int. Lucy Winchester; ("PN had a problem") Ronald Kessler, *Inside the White House,* New York: Pocket, 1993, p. 41, and int. Ronald Kessler.

RN and women: (Portnoy's) *HD,* p. 127; (Fleming) Timothy Crouse, *The Boys on the Bus,* New York: Ballantine, 1972, p. 8; ("B-girls") int. Lou Cannon in eds. Miller Center, op. cit., p. 189; Wise, *Politics,* op. cit., p. 330–; Ed Reid, *Mickey Cohen, Mobster,* New York: Pinnacle, 1973, p. 140; (Sears) int. John Sears; ("If you ever . . .") William Safire, *Before the Fall,* New York: Belmont Tower, 1975, p. 19–; ("have him give . . .") *HD,* p. 423; ("trouble finding Henry") Jimmy Breslin, *How the Good Guys Finally Won,* New York: Viking, 1975, p. 66; O'Neill, op. cit., p. 253–; ("built for you, Henry.") *Atlantic Monthly,* May 1982, p. 45; ("Can you imagine . . . ?") int. Hugh Sidey in eds. Miller Center, op. cit., p. 301; (Hutschnecker) ints. Dr. Arnold Hutschnecker and int. Dr. Hutschnecker by FB, Nov. 7, 1976, FBP.

Hannah to DC: int. Jessamyn West, citing her mother, Hannah's sister, by FB, FBP.

Chapter 5

parade for Ike: *Life,* Dec. 13, 1953; Eric Sevareid, *Candidates, 1960,* New York: Basic Books, 1959, p. 130.

letter: *MO,* p. 270–.

no political plans: ("never occurred . . .") Kornitzer, op. cit., p. 151; (never discussed) Mazo, op. cit., p. 34; Earl Mazo,"Is It Worth It?," *Good Housekeeping,* 1959; (speeches) *MO,* pp. 201–, 233; ("We shall realize . . .") *PAT,* p. 68; (President someday) ibid., p. 58; (male friends) *MO,* p. 200.

Voorhis campaign: (Perry) *MO,* p. 270, Kornitzer, op. cit., p. 153–; (peers/press) Jerry Voorhis, *The Strange Case of Richard Milhous Nixon,* New York: Popular Library, 1972, p. 12; (studying Voorhis) int. Evlyn Dorn by FB, FBP; (pads) *MO,* pp. 285, 288, 290; int. Bryce Harlow in eds. Miller Center, op. cit., p. 8; ($580) *MO,* p. 292; ("Hit 'em") int. John Rothmann; (Hoover) *SF Chronicle,* Oct. 14, 1946; ("infiltration") Athan Theoharis, *Beyond the Hiss Case,* Philadelphia: Temple University Press, 1982, p. 80–; (Republican Women) *MO,* p. 326; (Tricia/Pat) *PAT,* pp. 87–, 89; Kornitzer, op. cit., p. 155; (Dixon) int. Tom Dixon and int. FB, FBP, *FB,* p. 178; (RN satisfaction) LA *Examiner,* Nov. 7, 1946; (Chandlers) *Esquire,* Nov. 1977, p. 202–; conv. Pat Bradshaw, citing Buff Chandler; (Hannah . . . never saw) *Good Housekeeping,* June 1960; (stolen pamphlets) *PAT,* p. 90, *Saturday Evening Post,* Sept. 6, 1952; (irons/toasters) Paul Bullock, *Jerry Voorhis: The Idealist as Politician,* New York: Vantage, 1978, p. 277; (false stories) Jerry Voorhis, *Confessions of a Congressman,* New York: Doubleday, 1947, p. 342; *MO,* p. 302; (Voorhis realized) Bullock, op. cit., p. 271fn.; (booed) *MO,* p. 322; (Businessmen/bank admonished) Voorhis, *Confessions,* op. cit., p. 342, NY *Post,* Oct. 19, 1955; (leaflet) *MO,* p. 330; (PAC ploy) Bullock, op. cit., p. 246–; *AMI,* p. 129–; (anonymous calls) Bullock, op. cit., p. 275–, denied at 276; *AMI,* p. 138, but see Gellman, op. cit., p. 84–; ("I suppose . . .") Alsop, op. cit., p. 188; ("The important thing . . .") Bullock, op. cit., p. 280; Greg Mitchell, *Tricky Dick and the Pink Lady,* New York: Random House, 1998, p. 43.

'46 financing: ("We drew . . .") *Saturday Evening Post,* Sept. 6, 1952; (N. claimed) *MEM,* p. 34; ("so broke . . .") *Saturday Evening Post, supra.*; (job back) *MO,* p. 285 but see *New England Journal of History,* Winter '99/Spring '00, Vol. 56, p. 19; (savings intact) Mazo, op. cit., p. 38; Spalding, op. cit., p. 176; *AMI,* p. 136; (Adams) *MO,* pp. 279, 331; (pre-primary financing) *MO,* p. 304; (total spend) *MO,* p. 337, but see *JA,* p. 43; ("typical") *MEM,* p. 42; (Voorhis claimed) Voorhis, *Confessions,* op. cit., p. 331, but see Gellman, op. cit., p. 59–; (Wray) int. Merton Wray in ed. Schulte, op. cit., p. 207; (oil/liquor) *MO,* pp. 257, 261; (Perry) *AMI,* p. 118; (Somebody else) Kornitzer, op. cit., p. 153; (unnamed friend) Hoyt, op. cit., pp. 238, 242; (unpub. draft) *MO,* p. 336; (oil money) *MO,* pp. 278, 308, 332; (Marshall) *MO,* pp. 242,

338; (Marsh) *MO*, p. 308, but see *AMI*, p. 127; (Ackerman) Ackerman/FB corr. 1979; int. Mrs. William Ackerman.

Call/Chandler: *MO*, p. 309–; Robert Gottleib and Irene Wolt, *Thinking Big: The Story of the Los Angeles Times*, New York: Putnam, 1977, p. 277.

Palmer: (tout) *MO*, p. 299; (meets) *MO*, p. 298; Kornitzer, op. cit., p. 160; (Hartmann) Gottlieb and Walt, op. cit., p. 271–; ("old head . . .") Mitchell, op. cit., p. 88; ("He looks . . .") Kornitzer, op. cit., p. 161; (Sinclair) *MO*, pp. 268, 299; (no Douglas photo) *Nation*, Mar. 9, 1998; (Palmer wrote) ibid.; (ad. space) *MO*, p. 301; (RN pines) ints. Pat Brown and Paul Ziffren by FB, FBP.

Chandlers: (orders IRS) *American Journalism Review*, Apr. 1997, *NYT*, Mar. 24, 1997; ("I would never . . .") Letter RN to N. Chandler, Dec. 29, 1960, VP, NA.

Copley: *San Diego Reader*, July 28, 1994.

Klein: ibid.; Herbert G. Klein, *Making It Perfectly Clear*, New York: Doubleday, 1980, p. 77; *MO*, p. 297.

W. E. Smith: Smith to Drew Pearson, Oct. 27, 1952, DPP.

Chapter 6

Salerno: Sid Blumenthal and Harvey Yazijian, *Government by Gunplay*, New York: Signet, 1976, p. 130.

Chotiner: (background) int. Nancy Chotiner; *MO*, pp. 292, 270, FBI 161-1495; (described) *MO*, pp. 292, 703, 780; (no name) *NYT*, Oct. 12, 1970; ("Macchiavelli") Garment, op. cit., p. 57; ("not beyond . . .") int. Nancy Chotiner; (first set eyes) Kornitzer, p. 153–; (1950) *MO*, p. 528; (Pink Sheet) Mitchell, op. cit., p. 141; *MO*, p. 581; ('52) *MO*, p. 741; ('54) *AMI*, p. 354; ("campaign school") *NYT*, May 13, 1956; ("textbook") Costello, op. cit., p. 44; (Garment) eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 30; (uniform scam/check) *NYT*, Apr. 25, 1956 and Bellino Papers, held by family; (accountant) *NYT*, Apr. 25, 1956; (delaying tactics) Washington *Evening Star*, Apr. 26, 1956; (testifies) St. Louis *Globe-Democrat*, May 5, *NYT*, May 4, 1956; (McCarthy) *Washington Post Times Herald*, June 4, *NYT*, May 4, 1956.

Reginelli: (background) *NYT*, May 4, Newark *Evening News*, May 25, 1956; (221 cases) "List of Criminal Actions Defended by Chotiner & Chotiner in the Superior Ct. of the State of CA, & the County of LA, 1949–June 1, 1952," Murray Chotiner file, 1956, Box 178C, File 4, McClellan Collection, Ouachita Baptist University, AK, article by William L. Roper, *Nation*, July 2, 1955; unid. clip, "Chotiner's Dual Role in California Politics Told," by Mary Ellen Leary, DPP; Drew Pearson letter to radio stations, Apr. 1956, DPP; (RN claimed) Nichols to Tolson, May 1, 1956, FBI 63-2766.

RN/Chotiner relations: ("no contact . . .") Drew Pearson column, Nashville *Tennessean*, May 1, 1956; ("on behalf of the VP . . .") ibid., (Seelye) int. Howard Seelye; (letters to RN) *Washington Post Times Herald*, Apr. 29, 1956; (dropped) Washington *Daily News*, May 8, *NYT*, May 22, June 3, 4, 1956; ("tragedy") Alsop, op. cit., p. 193; (rift) int. Jerry Pacht by FB, FBP; ("without guts . . .") Bellino Papers; (1960) Cleveland *Press*, Oct. 26, 1960; (1962) int. John Rothmann, *AMI*, p. 656–; int. Chapin in eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 340; ('62 forecast) *SF Chronicle*, Nov. 24, 1964; (1968) Richard Whalen, *Catch the Falling Flag*, New York: Houghton Mifflin, 1972, p. 53; Garment, op. cit., p. 156; undated story by Vera Glaser, DPP; (RNC chairmanship?) Rowland Evans and Robert Novak, *Nixon in the White House*, London: Davis-Poynter, 1972 p. 71; (FBI check) FBI HQ 161-6284; (pay) *WP*, Apr. 11, 1969.

Chotiner misdeeds: ("brilliant") *MEM*, pp. 39, 87; (Hughes) memo, DeOreo to Lenzner, Dec. 7, 1973 and int. John Meier, Oct. 23, 1973, WSPF(H-R); (extortion) Sam Ervin, Jr., *The Whole Truth, The Watergate Conspiracy*, New York: Random House, 1980, p. 264; *NYT*, May 3, 1974 and—dating back—*Nation*, July 2, 1955; (Greek exile) ints. Elias Demetracopoulos, Stanley Kutler, *The Wars of Watergate*, New York: Knopff, 1990, p. 207; (Townhouse) memo, Ruff to McBride, Aug. 3, 1973, Box 23, Folder 4, Archibald Cox Papers, Harvard Law School Library and Victor Lasky, *It Didn't Start with Watergate*, New York: Dell, 1977, p. 349; (IRS) Joan Hoff, *Nixon Reconsidered*, New York: Basic Books, 1994, p. 278; (Goldberg) *WP*, Aug. 21, 24, 1973, Jan. 23, Feb. 4, 1998, and see Aug. 13, 1972 entry *AOP*, p. 129; (Vesco) *Boston Globe*, Apr. 3, 1974, citing Vesco; Dan Moldea, *Interference*, New York: William Morrow, 1989, p. 458; (mafiosi) int. John Dean in U.S., June 14, 1977; *Scanlan's Monthly*, Sept. 1970; *NYT*, May 26, 1970; int. Michael Ewing; John Dean, *Blind Ambition*, New York: Simon & Schuster, 1976, p. 36; (scam) Oakland *Tribune*, May 4, 1973; Blumenthal and Yazijian, op. cit., p. 135; (Hoffa) *WP*, May 3, 1973; int. Harry Hall; Clark Mollenhoff, *Game Plan for Disaster*, New York: Norton, 1976, p. 45; *Newsweek*, Nov. 26, 1973 and Chotiner int, May 24, 1973, FBI WFO 58-1344; (Marcello) Walter Sheridan, *The Rise and Fall of Jimmy Hoffa*, New York: Saturday Review Press, 1972, pp. 492, 504; (Pajamas) *WP*, May 3, 1973; (offices) *NM*, p. 6; (telephone) Winzola McClendon, *Martha, The Life of Martha Mitchell*, New York: Ran-

dom House, 1979, p. 167; (woman on payroll) Washington *Star-News*, Aug. 19, 1973; (Chapin) int. Chapin in eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 340.

Pat disapproval: *PAT*, p. 92; (letterhead) *AMI*, p. 124.

Cohen: (principal story) SAC Sacramento to director, Apr. 22, 1969, FBI 161-6284-21, (hereafter "Sacramento FBI"); SAC LA to director, Oct. 10, 1962, FBI 92-3156-338; ed. John Peer Nugent, Mickey Cohen, *In His Own Words*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1975, p. 231; Reid, op. cit.; (Siegel) George Carpozi, Jr., *Bugsy*, New York: SPI, 1992; Fox, op. cit., p. 283–; Rappeleye and Becker, op. cit., p. 100 et al.; ("a power") Nugent, op. cit., p. 78; (Goodfellow's/pols.) Nugent, op. cit., p. 96, (Goodfellow's/meeting) Sacramento FBI, *supra.;* (Irvine) *NYT*, Oct. 17, 1959; *History of the Irvine Ranch*, pamphlet,1965, Troop 36, Irvine Ranch, history, 1953; www. ocbsa.org., Charlie S. Thomas file, corr. files; Series 320, Box 753, VP, NA; (footnote on Chotiner cases) *Nation*, July 2, 1955; *Behind the Scenes* magazine, Mar. 1956 [issued January 1956] FBI HQ 161-6284, Apr. 18, 1969, p. 74; (letter) Carey McWilliams to Drew Pearson, June 23, 1955, Box G230, DPP; (Sicas et al.) FBI 161-6284-21 and name entries, Sifakis, op. cit.; (Samish) Stephen Fox, *Blood & Power*, New York: Morrow, 1989, p. 126; (Pearson background) Oliver Pilat, *Drew Pearson*, New Yotk: Pocket, 1973, esp. p. 3; *NYT*, Sept. 2, 1969; (1956) Chotiner letter to radio station WTSP, St. Petersburg, FL, May 23, 1956, Pearson letters to radio stations, May 23, 31, June 5, 13, 1956, Box G230, DPP; (1959) Chotiner letter to Pearson and subsequent corr., Box G281, DPP; (1962) Sacramento FBI, *supra.*, Nugent, op. cit., p. 231; (1968) ibid., and *WP*, undated, prob. Oct. 31, 1968; (first lead) P. Thafker telegrams to Pearson, May 8, 23, 1956, Box G230, DPP; (" I don't know . . .") LA *Examiner*, May 14, 1956 (refused), FBI 161-6284-21 and undated Pearson memo, May 1956, Box G198, DPP; ("ratting") SAC LA to director, Oct. 10, 1962, FBI 92-3156-338; (Chotiner demand) Pearson blind memo, June 16, 1959, Box G281, DPP.

Syndicate control?: ("the proper persons . . .") Nugent, op. cit., p. 80; (Costello/Lansky) ints. Hank Messick, Lansky biographer and Richard Hammer, Luciano biographer, for author's book *Official & Confidential*, op. cit., p. 240; (Sheridan) Miami *Herald*, Jan. 22, 1983; int. Pete Hamill by Julie Ziegler.

RN backing: ("I want you . . .") *MO*, p. 314; (Schuyler) int. Schuyler in ed. Schulte, op. cit., pp. 247, 248–, 264; (Stout) *MO*, p. 284.

Chapter 7

Safire: Christopher Andrew, *For the President's Eyes Only*, New York: HarperCollins, 1995, p. 351.

DC debut: (*Washington Times-Herald*) Jan. 21, 1947; (Reedy) int. George Reedy by FB, FBP; (suits/shoes) Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 662; *FB*, p. 59; Crowley, *Nixon in Winter*, op. cit., p. 4; int. Hugh Sidey in eds. Miller Center, op. cit., p. 305; Safire, op. cit., p. 606; (Trohan) int. Walter Trohan and Walter Trohan, *Political Animals*, New York: Doubleday, 1975, p. 367; (arrival DC) *PAT*, Ch. 10; (thing of the past) *PAT*, p. 97; (attic) *MO*, p. 356; int. George Reedy by FB, FBP; ("suppose . . . elated") Christopher Mathews, *Kennedy & Nixon*, New York: Simon & Schuster, 1996, p. 45; ("lost feeling") *MO*, p. 356; ("smash . . . bosses") Costello, op. cit., p. 179; (champions bill) *MO*, p. 344.

"pacing": *Time*, Aug. 25, 1952.

Eisler: *MO*, p. 344; Allen Weinstein, *Perjury*, New York: Random House, 1997 (hereafter *PERJ*), p. 77–.

Hiss main sources: *PERJ;* Sam Tanenhaus, *Whittaker Chambers*, New York: Random House, 1997; John Chabot Smith, *Alger Hiss, The True Story*, New York: Penguin, 1977; Morton and Michael Levitt, *A Tissue of Lies*, New York: McGraw-Hill, 1979; William Reuben, *The Honorable Mr. Nixon and the Alger Hiss Case*, New York: Action Books, 1957; Nixon, *Six Crises*, op. cit.

Hiss detail: (Great Fear) David Caute, *The Great Fear*, New York: Simon & Schuster, 1978; ("A Lesson") *MO*, p. 500; (RN told aides) *PERJ*, p. 554; ("How he loved") Haldeman and Di-Mona, op. cit., p. 49; (Dean) int. John Dean and WHT, Feb. 28, 1973, WSPF, NA.

job seeking: (NY law firms) *MEM*, p. 21; *MO*, p. 179–; Toledano, *One Man Alone*, op. cit., p. 31; Mazo, op. cit., p. 26; (Donovan) Thomas Troy, *Donovan and the CIA*, Frederick, MD: Aletheia Books, 1981, p. 23; G.J.A. O'Toole, *Honorable Treachery*, New York: Atlantic Monthly Press, 1991, p. 417; ("highest hope") Mazo, op. cit, p. 26 and cf. *SF Chronicle*, Nov. 4, 1968; (Dulles) Peter Grose, *Gentleman Spy*, Amherst, MA: University of Massachusetts Press, 1994; Leonard Mosley, *Dulles*, New York: Dial Press/James Wade, 1978; ("very particular") Grose, op. cit., p. 92; (Wise) David Wise, *The American Police State*, New York: Random House, 1976, p. 130fn; (Loftus) John Loftus and Mark Aarons, *The Secret War Against the Jews*, New York: St. Martin's Press, 1994, pp. 220–, 557; int. John Loftus; (Dulles fall 1945) Grose, op. cit., p. 256; (Phleger) William Ackerman to FB, Jan. 2, 1979, FBP; Lurie, *The Running of Richard Nixon*, op. cit., p. 163; *Who's Who in America*, 1982, p. 2653; (toured Eu-

rope) Grose, op. cit., p. 280; Parmet, op. cit., p. 326; Mosley, op. cit., p. 243; (dinners) *JA*, p. 246; (brief RN) Mosley, op. cit., pp. 394, 466; William Corson, *The Armies of Ignorance*, New York: Dial Press/James Wade, 1977, p. 36; (RN met brothers) *MEM*, p. 57.

Hiss OSS counsel?: Troy, op. cit., p. 80.

warnings about Hiss: (Donovan) *Spectator* [London], Nov. 23, 1996; (Dulles) ibid.; (run-in) Grose, op. cit., p. 297fn; (close touch) ibid, p. 272; (advisors) ibid, p. 288; Mosley, op. cit., p. 218.

FBI: (application) Apr. 23, 1937, FBI 67-102459, in Hoover Official & Confidential file 8, NA; (Dean) Horack to Hoover, May 11, 1937, Richard M. Nixon Collection, Duke University Archive; ("Not Qualified") investigation brief, Aug. 10, 1937, O & C 8, FBI 67-102459; (explanations) Hoover introduction of RN at FBI National Academy, June 11, 1954, FBI 298948-80; John Mohr testimony, Inquiry into the Destruction of Former FBI Director J. Edgar Hoover's Files, FBI Recordkeeping, Hearings, House Government Information and Individual Rights Subcommittee on Government Operations, 1975, p. 70; *MEM*, p. 21; (Assistant Directors) William Sullivan and Bill Brown, *The Bureau*, New York: Norton, 1979, p. 196; Norman Ollestad, *Inside the FBI*, New York: Lyle Stuart, 1967, p. 57; (another account) notes of Carmine Bellino, citing Agent Roy Morgan, Bellino Papers, held by family—FBI documents show Vincent was SAC; (Richfield) application form, *supra.;* Hoover to SAC Los Angeles, July 23, 1937; inspector's interview, Aug. 2, 1937, FBI 67-102459-15; (incoming congressman) Summers, *Official & Confidential*, op. cit., p. 194; ("good man") Ovid Demaris, *The Director*, New York: Harper's Magazine Press, 1975, p. 121–; the attorney was Bradshaw Mintener; (meets Hoover) *MEM*, p. 595; *Newsweek*, June 9, 1947; (RN/Hoover relations) Summers, *Official & Confidential*, op. cit., pp. 180, 262, 293, 368; (RN feared) ibid., p. 371 [citing Pete Pitchess] and Demaris, op. cit., p. 96 [citing William Sullivan]; ("Constitution . . . in such danger") Merle Miller, *Plain Speaking*, New York: Berkley, 1973, p. 416.

Hiss suspicions: (alleged Communists) *PERJ*, p. 311–; (mail) *Nation*, Fred Cook article, Oct. 11, 1980, p. 342; (Agents interviewed) *PERJ*, p. 302; (code clerk) ibid., p. 311; (Bentley) ibid., p. 316; (top leaders) ibid., p. 307; (tailing) *Nation*, Oct. 11, 1980, p. 342; (Chambers reinterviewed/leaks) *PERJ*, p. 327.

RN claimed: Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 4 and cf. Notes of RN int. by Herbert Parmet, Parmet papers.

Cronin: *MO*, pp. 351, 396 et al.; Garry Wills, *Nixon Agonistes*, Boston: Houghton Mifflin, 1969, p. 26–; (within month) Kornitzer, op. cit., p. 172–; Frank Donner, *Age of Surveillance*, New York: Vintage, 1981, p. 174fn, Cronin int. in "The Trials of Alger Hiss," History on Film, [documentary script], 1979, supplied to author by Producer/Director John Lowenthal, p. 40–; de Toledano, *One Man Alone*, op. cit., p. 76; Mazo, op. cit., p. 51; ("stacked deck") *Esquire*, Nov. 1975, p. 76, citing Cronin int. 1974; ("hard-core") Lowenthal script, *supra.*, p. 41; (Hummer) *Esquire*, Nov. 1975, p. 76, but see *JA*, p. 155, Gellman, op. cit., p. 234 and RN int. by Parmet, *supra.;* (Nichols/former agents) Nichols to Tolson, Dec. 2, 1948; Ladd to director, Dec. 9, 1948; FBI Hiss file in FBI Reading Room.

Russell: (triggered?) Seattle *Post-Intelligencer*, Feb. 17, 1954; Jerris Leonard memo, July 19, 1974, Jim Hougan Collection; (traveled with RN) int. William Birely; (phone with RN) int. Jean (Russell) Hooper; (reported to Hoover) Hottel to Hoover, Sept. 2, 1948; Nichols to Tolson, Dec. 2, 1948; Ladd to Hoover, Dec. 9, 1948; Hiss file, *supra.;* Nichols to Tolson, Jan. 14, 1949, FBI [hard to decipher] ?37816-260; (Democrat) int. William Birely; ("liberal") Robert Carr, *The House Committee on Un-American Activities, 1945–1950*, Ithaca, New York: Cornell University Press, 1952, p. 268; see also int. Gordon Hess by Jim Hougan, Hougan Collection, and cf. refs. in *MO* and Smith, *Alger Hiss*, op. cit.

Chapter 8

"They're trying . . . ": Crowley, *Nixon in Winter*, op. cit., p. 305.

RN and Hiss: (Harvard/Whittier) Stripling int. in "The Trials of Alger Hiss," History on Film, [documentary script], 1979, supplied to author by Producer/Director John Lowenthal, p. 38–; ("opportunistic") ibid., p. 163; ("hat set") *Esquire*, Nov. 1975, p. 78; ("sonofabitch") Lowenthal script, *supra.*, p. 39; (visits) Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 22–; (trick answer) *MO*, p. 420; (accommodation/car) *PERJ*, p. 133; (farm) ibid., pp. 47–, 134; *MO*, p. 348.

homosexuality: (RN/"queers") *Esquire*, Nov. 1975, p. 152; (Chambers admission) *PERJ*, p. 103–; (tried to force) *PERJ*, p. 343; (secret) *PERJ*, p. 104; (threesome) *PERJ*, p. 91–; (stepson) *PERJ*, p. 359; Bert and Peter Andrews, *A Tragedy of History*, Washington, D.C.: Luce, 1962, p. 751; (Chambers denied) *PERJ*, p. 358; ("closest") Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 43; (numerous items) Meyer Zeligs, *Friendship and Fratricide*, New York: Viking, 1967, p. 233; ("He never"/"His attitude") *PERJ*, p. 526; Levitt, op. cit., p. 299fn; (unrequited) *PERJ*, p. 521.

espionage not involved: *MO*, p. 452.

RN behavior: Tannenhaus, op. cit., p. 291–; *MO*, p. 459; *Esquire*, Nov. 1975, p. 147; ("proof") *MO*, p. 473; (promised Pat) Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 46; *PAT*, p. 101; ("exhausted") Kornitzer, op. cit., p. 177; (RN phoned) *MO*, p. 463; (after Christmas) Robert Stripling, ed. Bob Considine, *The Red Plot Against America*, New York: Arno Press, 1977, p. 145; (Miller) William Miller as told to Frances Spatz Leighton, *Fishbait, The Memoirs of the Congressional Doorkeeper*, Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1977, p. 41–; (logs) Smith, *Alger Hiss*, op. cit., p. 257; ("Attempt") *MO*, p. 467.

typewriter: (in court) Smith, Alger Hiss, op. cit., p. 355; *PERJ*, p. 426; Harold Rosenwald int. in Lowenthal script, *supra.*, p. 148; ("murder weapon") int. Alger Hiss; ibid., p. 151; (RN "major factor") *PERJ*, p. 493; (same machine) *MO*, p. 474; *PERJ*, p. 515; (junk dealer) *PERJ*, p. 351; (Woodstock matched) *PERJ*, p. 354 and cf. 351; Hoover to Sen. Karl Mundt, May 3, 1957, Mundt Archives, Grp. 1, Box 162, File 7, Dakota State College; (convinced jury) *PERJ*, p. 515, FB, p. 231; (documents sufficient?) int. Agent Jack Danahee; *PERJ*, p. 519; (RN "key witness") Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 59; ("contention") Levitt, op. cit., pp. 162, 191; (doubt) ibid., p. 162fn; *Nation*, June 26, 1986, p. 780; (Hiss possession?) *Nation*, May 12, 1962, p. 416–, but cf. *PERJ*, p. 352; (manufactured too late?) ibid., p. 776–; Levitt, op. cit., p. 188–, but cf. *PERJ*, pp. 262fn, 364, 523–.

Typewriter forgery?: (Hiss "forgery") Levitt, op. cit., p. 163; (RN "fingerprint") *PERJ*, p. 493, Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 60; (replica) *PERJ*, p. 517; (supporters) ibid., p. 518; Levitt, op. cit., p. 197–; (successful forgery) Montgomery Hyde, *Room 3603*, New York: Farrar, Strauss, 1963, pp. 135, 145; William Stevenson, *A Man Called Intrepid*, New York: Ballantine, 1976, pp. 204, 294, 296, and photo of "30 Ottobre 1941" letter.

Finding typewriter: (*World Telegram*) Dec. 13, 1948; (HUAC Report) Levitt, op. cit., p. 206; (McDowell) *Nation*, May 12, 1962, p. 420; (Sullivan) Peter Irons article, *Real Paper*, Mar. 12, 1975; Summers, *Official & Confidential*, op. cit., New York: Putnam, 1993, p. 167; ("On Dec. 13") Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 60; (sequel) *Nation*, May 12, 1962, p. 421; (RN/Oval Office) WHT, Mar. 10, 1972, transcribed for author; ("we built") Dean, *Blind Ambition*, op. cit., p. 57; (Colson/RN reactions) *PERJ*, p. 493; (Dean's notes) int. John Dean by FB, FBP; (Canada site) Stevenson, op. cit., pp. 222, 204.

Schmahl: Jim Hougan, *Spooks*, New York: William Morrow, 1978, p. 289; *PERJ*, cites, esp. p. 584–; Levitt, op. cit., p. 202–; *Nation*, Oct. 7, 1978, p. 336.

Hoover/framing: *Nation*, Nov. 10, 1984, p. 468; ("Had Nixon asked") Sullivan, op. cit., p. 95.

Diem: *NYT* News Service, Apr. 29, 1973; H. R. Haldeman and Joseph DiMona, *Ends of Power*, New York: Times Books, 1978, p. 161; WHT, Sept. 18, 1971; *AOP* p. 35, and for Apr. 28 and May 8, 1973 at pp. 371, 416; *HD*, p. 672; Howard Hunt, *Undercover*, New York: Berkley, 1974, p. 179; FB, p. 498, citing Ehrlichman; *NM*, p. 84; *New Yorker*, Seymour Hersh article, Dec. 14, 1992, p. 761; (Wallace) WHT, May 15, 1972; *AOP*, p. 38; Gordon Liddy, *Will*, New York: St. Martin's Press, 1980, p. 309; Hunt, *Undercover*, op. cit., p. 217–; Emery, op. cit., p. 116.

Volkogonov: John Lowenthal monograph, Oct. 4, 1996, supplied to author, citing *Bulletin*, Oct. 14, 1992, Cold War International History Project, Washington, D.C.: Woodrow Wilson Foundation, Issue 2, Fall 1991, p. 33; Dmitri Simes int. by Kai Bird and John Taylor int. Apr. 14, 1994 and *NYT*, Oct. 29, 1992 and see "Venona and Alger Hiss," in *Intelligence & National Security* [UK: Frank Kass, forthcoming Autumn 2000], the author has sought a comment from John Taylor, director of the Nixon Library and Birthplace, but he did not respond to letters on this, Dec. 20, 1998, Jan. 20, May 7, 1999, and follow-up call Apr. 3, 1999; (RN exploded) Crowley, *Nixon in Winter*, op. cit., p. 304–.

Field: (Hiss link) *PERJ*, p. 174; Allen Weinstein and Alexander Vassiliev, *The Haunted Wood*, New York: Random House, 1999, pp. 4–, 44; (interrogations) *New Republic*, Nov. 8, 1993; Maria Schmidt article; *Nation*, Nov. 8, 1993, Ethan Klingsberg article; (starved/beaten) ibid., p. 530–; (Massing/FBI) *PERJ*, p. 176; (consistent with messages in Soviet files) *PERJ*, p. 182–; Weinstein and Vassiliev, op. cit., p. 4–.

Weinstein/NKVD files: ibid., acknowledgments, p. xv–; *PERJ*, pp. 182–, 204, 325; (ten messages) Weinstein and Vassiliev, *supra.*, pp. 5, 7, 8, 10, 79, 80, 267–; (clear text) ibid., pp. 5, 79–.

Gordievsky: Christopher Andrew and Oleg Gordievsky, *KGB, The Inside Story*, New York: HarperCollins, 1990, pp. 2, 285.

Sudoplatov: Pavel Sudoplatov and Anatoli Sudoplatov with Jerrold and Leona Schecter, *Special Tasks*, London: Little, Brown, 1994, p. 277–.

Pavlov: Vitaly Pavlov, *Operation Snow*, Moscow: Goya, 1996, p. 50 of translation supplied to author.

"ALES": eds. Robert Benson and Michael Warner, *Venona, Soviet Espionage and the American Response, 1939–1957*, Washington, D.C.: National Security Agency/CIA, 1996, p. 423; John Haynes and Harvey Klehr, *Venona*, New Haven, CT: Yale University Press, 1999, pp. 126–,

170–, 352; Nigel West, *Venona, The Greatest Secret of the Cold War,* London, HarperCollins, 1999, p. 234–; *PERJ,* p. 325–; Weinstein and Vassiliev, op. cit., p. 267–; *NYT,* Oct. 23, 1978.

Weinstein/"NKVD reports": (never saw?) *Nation,* May 24, 1999; (deal) Weinstein and Vassiliev, op. cit., pp. xv, xi; (no response) Swan to Weinstein, Jan, 28, Mar. 15, Apr. 13, 1999.

Lowenthal: ints. John Lowenthal; *Times* [London] *Literary Supplement,* Feb. 7, 1999.

HUAC files sealed: *PERJ,* p. xxiiifn.

VENONA: (new release) Mar. 20, 1945 message, Washington to Moscow, obtained under Freedom of Information Act and kindly provided to author by John Lowenthal; (1946) eds. Benson and Warner, op. cit., p. xxi and Daniel Patrick Moynihan, *Secrecy,* New Haven, CT: Yale University Press, 1998, p. 61; (re. Truman) ibid., p. 71; (FBI) ibid., and cf. Robert Lamphere and Tom Shachtman, *The FBI-KGB War,* New York: Random House, 1996; (Donovan provided) ibid., p. 84 & cf.; eds. Benson and Warner, op. cit., p. xviii.

RN paradigm: ("bullshit!") *Esquire,* Nov. 1975, p. 152; *PERJ,* p. 492; (Trohan) int. Walter Trohan; ("He developed") Trohan to Lou Nichols, Jan. 10, 1974, Nichols collection; (RN/judge) *PERJ,* p. 418; (RN/foreman) Levitt, op. cit., p. 116; ("They couldn't") *JA,* p. 176; (Kennedy) *AOP,* pp. 24–, 28, 234–; (Stevenson) *MO,* pp. 752, 859–; (Vazzana) *Esquire,* Nov. 1975, p. 151; ("I was spending") Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 40–; (pills) ibid.; ("He wouldn't") *Good Housekeeping,* June 1960; Kornitzer, op. cit., p. 177; (Pat reluctant) *PAT,* p. 101; ("absorption") *JA,* p. 164; (visits) *MO,* p. 512; RN note to staff, Oct. 6, 1959, VP NA; ("loving care") Whittaker Chambers, *Cold Friday,* New York: Random House, 1964, p. 57; ("Nixie") Whittaker Chambers, *Witness,* New York: Random House, 1952, p. 793; (less than loyal) Chambers to Ralph de Toledano, May 12, 1959, in ed. Ralph de Toledano, *Notes from the Underground,* Washington, D.C.: Regnery, 1997, p. 317–; ("pity") Henry Grunwald, *One Man's America,* New York: Doubleday, 1997, p. 280; ("difficult time") *Saturday Evening Post,* Sept. 6, 1952; (discontent) *PAT* p. 97.

Chapter 9

"Whenever a man": *The Oxford Dictionary of Quotations,* London, Oxford University Press, 1974, p. 268.

McCarthy: (speech) David Oshinsky, *A Conspiracy So Immense,* New York: Free Press, 1983, p. 108, William Manchester, *The Glory and the Dream,* Boston: Little, Brown, 1973, p. 520–; ("Listen, you bastards") Thomas Reeves, *The Life and Times of Joe McCarthy,* New York: Stein & Day, 1982, p. 233; (RN on McCarthy) *MEM,* p. 149; ("hard core buddies") int. Bobby Baker; (RN in 1952) Reeves, op. cit., p. 451; Costello, op. cit., p. 274; (Alsop) Alsop, op. cit., p. 151; (Sevareid) Sevareid, op. cit., p. 87; (Cronkite) Walter Cronkite, *A Reporter's Life,* New York: Knopf, 1996, p. 228; (Dewey) Leonard Lurie, *The Running of Richard Nixon,* New York: Coward, McCann, & Geoghegan, 1972, p. 172; (wedding) ed. Toledano, *Notes from the Underground,* op. cit., p. 145; ("McCarthy's a friend") int. Dr. Arnold Hutschnecker; (at Eisenhower's behest) *MEM,* p. 144; (RN "hatchetman") Abrahamsen, op. cit., p. 165; int. Roy Cohn by FB, FBP; (Khrushchev) Pierre Salinger, *P.S., A Memoir,* New York: St. Martin's Press, 1995, p. 148; ("but anything!") unpub. journal of James Bassett, supplied by Cynthia Bassett; (RN/censure motion) Manchester, op. cit., p. 718; Oshinsky, op. cit., p. 490 and see *MEM,* p. 148–; (funeral) ibid., p. 506.

Rayburn: ("next thing to McCarthy") D. B. Hardeman and Donald Bacon, *Rayburn,* Austin, TX: Texas Monthly Press, 1987, p. 381–; ("ugly fellow") Alsop, op. cit., p. 30.

Douglas campaign: ("went for broke") int. Willard Espy by FB, FBP; (soundings) *MO,* p. 524; (Palmer) int. Paul Ziffren by FB, FBP; (nine backed RN) Parmet, op. cit., p. 190; (no photographs) Mitchell, op. cit., p. 251; (Hearst) *MO,* p. 589; ("letters") ibid., p. 603; (brand as leftist) ibid., p. 565 and see Gellman, op. cit., p. 298; (Douglas background) ibid., p. 528–; (Chotiner/P.R.) ibid., p. 602; (blimp) notation, Oct. 2, 1952, Box G201 73, DPP; ("prizes galore!!!") ibid., *Avant-Garde,* Jan. 1968; *The Reporter,* Apr. 19, 1956; ("nothing but pictures") *MO,* p. 602; (hard sold) ads. preserved in DPP.

smears/dirty tricks: ("Pink Lady") Mitchell, op. cit., p. 4; (pink paper) *MO,* p. 581, but see Gellman, op. cit., p. 12; ("purely fortuitous?") int. John Rothmann and cf. Mitchell, op. cit., p. 141, "Fundamentals of Campaign Organization," address by Murray Chotiner, Box 6 230, DPP; (flyers dumped) Mitchell, op. cit., p. 230; *MO,* p. 602; (phoney propaganda) Oshinsky, op. cit., p. 177; (pickets) *MO,* pp. 568, 602, 609, 618; (drenching Douglas) ibid., p. 562; Douglas, op. cit., p. 312; (forced off road) Mitchell, op. cit., p. 212; (Douglas pelted) *MO,* p. 603; Douglas, op. cit., p. 334.

Democrats' abuse: (Tuck) "An Evening with Dick Tuck," broadcast sound tape, available at some libraries; (Pat complained) *Saturday Evening Post,* Sept. 6, 1952; (overturned car) *MO,* p. 600; (Douglas lash back) Ingrid Scobie, *Center Stage,* New York: Oxford University Press, 1972, p. 280; (evoking fascism) *MO,* p. 600.

"**Did you know?**": *MO*, p. 610, Douglas, op. cit., p. 332, but see *New England Journal of History,* Winter 1999/Spring 2000, Vol. 56, p. 24.

RN in '50 campaign: ("we covered California") *Saturday Evening Post,* Sept. 6, 1952; (station wagon) *MO,* pp. 564, 573; Mitchell, op. cit., p. 51.

RN backers: (oil-banking) *MO,* p. 572; (Haldeman) ibid., pp. 573, 636; (Murchison/Richardson) int. Allan Witwer, San Diego *Union,* Aug. 11, 1955; (Dana Smith) *MO,* pp. 528, 546, 632; (Brewster) ibid., p. 576, letter, Owen Brewstet to Nathan Buckman, Apr. 15, 1952, Box G128 and memo of int. Henry Grunewald, Oct. 27, 1955, Box G 281, DPP; (total cost?) Gellman, op. cit., p. 334; *New England Journal of History,* Winter 1999/Spring 2000, Vol. 56, p. 26; *MO,* p. 615–; (giving away cash) ibid., p. 575; (so broke) ibid., p. 577–; Mitchell, op. cit., p. 179; (RN/election day) *Saturday Evening Post,* Sept. 6, 1952.

RN on campaign: ("Tricky Dick") *MEM,* p. 77; (no mention) *MEM,* p. 71–; (plaintively) *MEM,* p. 73; (anyone who checked) *MEM,* p. 78.

RN responsibility: ("A perfectionist") MO, p. 566, Mitchell, op. cit., p. 108; ("Nixon knew") ints. Tom Dixon, Georgia Sherwood, and Tom Dixon by FB, FBP; (Arnold) William Arnold, *Back When It All Began,* New York: Vantage, 1975, p. 12–; ("pink to underpants") Gottlieb and Wolt, op. cit., p. 278; *MO,* p. 598; Dan Rather and Gary Paul Gates, *The Palace Guard,* New York: Harper & Row, 1974, p. 114; *FB,* p. 292; Douglas, op. cit., p. 327; (nod & wink) *MO,* p. 598; David Halberstam, *The Powers That Be,* New York: Knopf, 1979, p. 263; ("Hesselberg"/slur) *MO,* p. 599; Mitchell, op. cit., pp. 230, 234, 261; Lurie, op. cit., p. 93; (team propositioned) New York *Post,* Oct. 30, 1952; (phone calls) Douglas, op. cit., p. 326.

RN regrets?: (general) Willard Espy to FB, FBP; (Kempton) Mitchell, op. cit., p. 126; *New Yorker,* Mar. 1, 1993, p. 50; *WP,* Apr. 23, 1994; (Astor) *New Republic,* May 5, 1958, but cf. *JA,* p. 191.

Chapter 10

"**masculine self-image**": unpub. ms. shown to author by Dr. Hutschnecker.

Strain: ("mean") Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 40–; (nine secretaries) *JA,* p. 196; (not home for dinner) *PAT,* p. 111; ("Many times") *FB,* p. 337, citing Earl Chapman int. in California State Archives; (pain) *PAT,* p. 111; (book/Downey) *Collier's,* July 9, 1954; int. Dr. Arnold Hutschnecker; ("in the grips") *Contemporary Authors,* Vol. 81–84, Detroit, MI: Gale Research, 1979, p. 256; ("the interaction") Arnold Hutschnecker, *The Will to Live,* New York: Simon & Schuster, 1983 [orig. ed. 1951], Introduction.

Dr. Arnold Hutschnecker: (general sources) testimony, Dr. Arnold Hutschnecker, Hearings, Nom. of Gerald R. Ford of MI to be Vice Pres. of US, Cttee. on Rules and Admin., U.S. Senate, 93rd Cong., 1st Sess., Nov. 7, 1973 and, except where indicated otherwise, direct quotes of Dr. Hutschnecker in this chapter are from interviews with the doctor, conducted by Robbyn Swan, 1995, 1996; ("a sort of Pavlovian") Mazlish, op. cit., p. 7; (famous clients) Robert Winter-Berger, *Washington Pay-off,* Secaucus, NJ: Lyle Stuart, 1972, p. 256, and letter, Henry Altschuler to Drew Pearson, Nov. 27, 1960(?), Box G281 1/3, DPP; ("psychoanalytically oriented") UPI, Nov. 14, 1968, reporting Drew Pearson address to National Press Club citing Hutschnecker, reprinted at Arnold Hutschnecker, *The Drive for Power,* New York: Evans & Co., 1974, p. 311 and *WP,* Nov. 14, 1968; ("Dr. Strangelove") *WP,* Nov. 20, 1973; (Graham/Peale) see Ch. 1; (Dixon) Ehrlichman, op. cit., p. 331; int. John Ehrlichman; (Woods call) int. Hutschnecker; (first four years) UPI, citing Hutschnecker, *supra.;* (five consultations) Arthur Woodstone, *Nixon's Head,* New York: St. Martin's Press, 197, p. 4; (escort) Hutschnecker, *Drive for Power,* op. cit., p. 3; (military doctor) int. Arnold Hutschnecker by FB, FBP; Hutschnecker, *Drive for Power,* op. cit., p. 312; (privately NYC) *JA,* p. 197; (Hutschnecker lunched) int. Hutschnecker and Hutschnecker, *Drive for Power,* op. cit., p. 84; (McCarthy/Dulles disturbed?) ibid.; (RN/Woods note) RN to JDH & RMW, Oct. 6, 1959, Corr. Files, Series 320, Box 147, VP; (1960 summons) *WP,* Nov. 23, 1968; (early '61 visit/disastrous bid) int. Hutschnecker; ("to see the shrink") Harriet Van Horne column, NY *Post,* Nov. 15, 1968; (Hutschnecker at WH) int. Hutschnecker; Hutschnecker, *Drive for Power,* op. cit., p. 156–; Woodstone, op. cit., p. 1–; ("Pavlovian technique") Roger Rapoport, *The Super-Doctors,* Chicago: Playboy Press, 1975, p. 156–, apparently citing Robert Winter-Berger; ("Our old intimacy") *JA,* p. 404; int. Hutschnecker; (he avoided) int. Hutschnecker and Hutschnecker, *Drive for Power,* op. cit., p. 29; (looselipped) Winter-Berger, op. cit., p. 255–; (elephants) FB, p. 335; ("Nixon wondered") Woodstone, op. cit., p. 5; (RN on "direct relation") *Time,* Apr. 2, 1990.

depression: (part of RN problem) int. Herb Klein; ("more depressed") *PAT,* p. 157; ("is Nick still seeing?") Harrison Salisbury, *Disturber of the Peace,* London: Unwin, 1989, p. 304; (Garment) int. Len Garment.

Hutschnecker insights: (general) Wicker, op. cit., p. 30–; ("deep-seated inhibitions") unpub. ms. shown to author by Dr. Arnold Hutschnecker; ("brutal & cruel") int. Hutschnecker; ("brutal-

ized") int. Arnold Hutschnecker by FB, FBP; ("I was convinced . . .") Hutschnecker unpub. ms., *supra.;* (Bassett on "impotence") FB notes and author's transcript of int. Bassett friends Paul and Mickey Ziffren by FB, FBP, FB, p. 331; ("ambivalence") Hutschnecker, *Will to Live,* op. cit., p. 179–; ("Nixon is happiest") Winter-Berger, op. cit., p. 258; ("It is safer") *Columbia Journalism Review,* Mar./Apr. 1974, p. 9.

RN anti-psychiatry: ("I've never done") Jules Witcover, *The Resurrection of Richard Nixon,* New York: Putnam, 1970, p. 212; (Ailes) Joe McGinniss, *The Selling of the President,* New York: Penguin, 1969, p. 100–; ("except see a shrink") Garment, op. cit., pp. 299, 85–; int. Leonard Garment.

Comments on RN's personality: ("He would be depressed") int. George Christopher; ("paranoid") taped int. Pat Brown by FB, FBP; ("Black spells") Sevareid, op. cit., p. 90; (O'Donnell) eds. Strober,*Nixon,* op. cit., p. 302; ("Dick's expression") San Diego *Weekly Reader,* July 28, 1984; ("he seemed unbalanced") Cronkite, op. cit., p. 227; ("Hamlet-type") int. Robert Greene by FB, FBP; ("walking box") int. John Lindsay by FB, FBP; ("acting so strangely") int. John Herbers; ("off his rocker") Jerome Zeifman, *Without Honor,* New York: Thunder's Mouth, 1995, p. 79; (Secret Service) Kessler, op. cit., p. 39, and int. Ronald Kessler re. SS source; (Deep Throat) Carl Bernstein and Bob Woodward, *All the President's Men,* New York: Simon & Schuster, 1974, p. 319; (White) *Readers' Digest,* May 1975; ("Here was the leader") Richard Kleindienst, *Justice,* Ottawa, IL: Jameson Books, 1985, p. 168–; ("losing control") Agnew, op. cit., p. 79; (Saxbe) "The American Experience," transcript, WGBH (Boston) TV program, Oct. 15, 1990; (Butterfield) *New York,* Apr. 21, 1975, eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 40; *Journal of American History,* Mar. 1989, p. 1251; (Haldeman) ibid.; ("From close observation") *New York,* May 10, 1976; ("flat dark side") White, *Breach of Faith,* op. cit., p. 163; (Kissinger) Kissinger, *Years of Upheaval,* op. cit., pp. 431, 1181–; ("Did you hear?") Walter Isaacson, *Kissinger,* New York: Simon & Schuster, 1992, p. 145 and cf. Woodward and Bernstein, *The Final Days,* op. cit., p. 214; ("four years 'on the couch'") letters, FB to Kissinger, Feb. 6, 1977, Feb. 10, 1978; transcript int. Bob Woodward by FB, FBP; (Kissinger declines) letter, Kissinger to FB, Mar. 6, 1978 and int. Bruce Brodie.

Analyst other than Hutschnecker?: (issue raised) FB, p. 466fn; Witcover, op. cit., p. 34; (Bassett) int. James Bassett by FB, FBP; (Herbert Katcher) int. Herbert's brother, NY *Post* journalist Leo Katcher by FB, int. Daniel Ellsberg by FB, who tipped Brodie off to Leo Katcher as a source, FBP; (Hutschnecker on woman doctor) int. Dr. Hutschnecker; (Finch) taped int. of Robert Finch by FB, FBP; (Sherwood) ints. Foster and Georgia Sherwood and *FB,* p. 467fn; (died in sixties?) int. Daniel Ellsberg by FB, FBP; ("deeply troubled") int. Leo Katcher by FB, FBP; (also interviewed on area) ints. Mrs. Herbert (Ina) Katcher, Edward Katcher, Mrs. Ralph (Hildi) Greenson, Joe Wyatt.

Hutschnecker on RN state of mind: (concern) *WP,* Nov. 14, 20, 23, 1968; ("I detected no sign") *Look,* July 15, 1969; (old theme) Hutschnecker, *The Drive for Power,* op. cit., p. 318.

Kubie: "Nixon on the Couch," draft ms. by Irving Wallace for Chicago *Sun-Times,* June 1972, and corr. Irving Wallace to FB, FBP.

new book: Hutschnecker, *The Drive for Power,* op. cit.

"I am in no position": ibid., p. 85.

files withheld: researcher report to author on Hutschnecker file review VP, NA, Jan. 23, 1997.

stress on candidates: ("The awful burden") int. Paul Smith in ed. Schulte, op. cit., p. 177; (Ehrlichman) Ehrlichman, op. cit., p. vii– and int. John Ehrlichman; ("They've nearly all") int. Len Garment; ("Deep down") *Time,* Mar. 15, 1999; ("You could well say") int. Elliot Richardson in eds. Miller Center, op. cit., p. 63.

Chapter 11

"man of great character": *MEM,* p. 964.

Rebozo friendship: (prescription) *JA,* p. 198; (Finch) int. Robert Finch by FB, FBP; (Reedy) int. George Reedy by FB, FBP; (Danner) *Sundance* magazine, Nov./Dec. 1972, article by Pulitzer winner Jeff Gerth—this article and subsequent versions of it by Gerth included pioneering research on Nixon's apparent links to crime [see also ed. Steve Weissman, *Big Brother and the Holding Company,* Palo Alto, CA: Ramparts Press, 1974, p. 251 and *Penthouse,* July 1974]; (Smathers's tips) ints. George Smathers, Sloan McCrae; ("Gorgeous") Anthony Summers, *Goddess, The Secret Lives of Marilyn Monroe,* New York: Macmillan, 1985, p. 225; (did not go well) ints. George Smathers, Sloan McCrae, Jake Jernigan; (uncle/alone) int. Donald Berg, int. Perry O'Neal by FB, FBP; Safire, op. cit., p. 613; *PAT,* pp. 148–, 319; *Life,* July 31, 1970.

span of RN/Rebozo friendship: (1952) RN to Rebozo, Nov. 28, 1952, from VP files, FBP; ("lick wounds") Miami *News,* Nov. 9, 1958; (1960) *Life,* July 31, 1970; int. Jake Jernigan; (1962) RN to Rebozo, Mar. 23, 1962, in VP files, FBP; int. Mary Spotswood in Miami *Herald,* Oct. 16, 1994; ed. Marvin Miller, *The Breaking of a President,* City of Industry, CA: Therapy Productions, 1974, Vol. IV, p. 509; (midsixties) ibid., p. 510; (1968 decision) *MEM,* p. 292; (re-

laxed) John Curton to John Vermilye, Miami Police Intelligence, Nov. 13, 1968, Miami Records Center; *NYT,* Nov. 20, 1968; (inaugural address/1 day in 10) *Newsday,* Oct. 13, 1971; (run of WH) int. Robert Finch by FB, FBP; (own phone) McClendon, op. cit., p. 167; (jacket) *U.S. News & World Report,* Oct. 11, 1971; (cruised) Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 498; (movies) *PAT,* p. 320; (slip into WH) int. Robert Finch by FB, FBP and *FB,* p. 549n 29; (false name) int. Dan Rather by FB, FBP, *FB,* p. 476, Thomas, op. cit., p. 144; (first to tell) Miami *News,* June 18, 1974; (exile) AP, Aug. 12, 1974; (deathbed) int. Sloan McCrae; ("I say to myself") Miami *News,* June 18, 1974.

Rebozo background: (cover name) *FB,* p. 483 and see *WP,* Feb. 11, 1978; ("Be-be") *Life,* July 31, 1970, ed. Miller, *Breaking of President,* Vol. IV, op. cit., p. 506; ("best-looking") ibid., int. Sloan McCrae; (laundries/real estate) *Life,* July 31, 1970; *National Observer,* Feb. 2, 1974; (profits) *Boston Globe* magazine, Oct. 4, 1970; *Life, supra.*; (exorbitant rate) *Newsday,* Oct. 6, 1971—the *Newsday* series of this month directed by Robert Greene remains the most penetrating study of Rebozo's connections; (hostess) *Ladies' Home Journal,* Nov. 1973; ("Blue suits") *Life,* July 31, 1970.

marriages: (Gunn) *Boston Globe* magazine, Oct. 4, 1970, by Clay Blair, *Ladies' Home Journal,* Nov. 1973, *National Observer,* Feb. 2, 1974; ints. Eric Larson [Gunn's last husband], Mrs. William Gunn [sister-in-law], Rebozo/Gunn divorce Final Decree, Dec. 5, 1934, Brevard County [FL] Records Office; (Lucke) *Boston Globe, Ladies' Home Journal, supra.*; ("antiseptic") *FB,* p. 474.

RN/Rebozo relationship: ("screwball!") int. George Smathers; ("He's meditating") *Newsday,* Oct. 13, 1971; int. Sloan McCrae; int. Bob Greene by FB, FBP; (Maroon) ibid.; ("sensuality") int. Dan Rather by FB, FBP; (steward) int. Thomas Kiernan by FB, FBP; ("definitely") Florence Fuller, cited in int. and corr. with John Hunt, 1995; int. Pamela Fuller Dychess; ("limp wrist") Roger Morris, *Haig, The General's Progress,* Chicago: Playboy Press, 1982, p. 127; Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 211; (woman to Rebozo) int. Norman Casper; (Giancana) Antoinette Giancana and Thomas Renner, *Mafia Princess,* New York: William Morrow, 1984, p. 161; (Hitchcock) int. Thomas Kiernan by FB, FBP; (lover of JFK) Stephen Dunleavy and Peter Brennan, *Those Wild, Wild Kennedy Boys,* New York: Pinnacle, 1976, p. 76–; ("ladies' man) *Life,* July 31, 1970; (man-about-town) *Boston Globe* magazine, Oct. 4, 1970; (statuesque) *Newsday,* Oct. 6, 1971; ("orgies") int. George Reedy and Robert Greene by FB, FBP; (nurses) *New Yorker,* Dec. 14, 1992, conv. Seymour Hersh; ("fornicating") George Rush, *Confessions of an Ex-Secret Service Agent, The Marty Venker Story,* New York: Donald Fine, 1988, p. 195; David Frost, *"I Gave Them a Sword,"* New York: William Morrow, 1978, p. 171; (inflatable legs) Rebozo-Cronkite interview, Dec. 19, 1973 in *Historic Documents,* 1973, Washington, D.C.: Congressional Quarterly, 1974, p. 980; (full-sized?) int. Mary DeOreo (Ervin Cttee. investigator) by FB, FBP; (girl on beach) int. Marty Venker; Rush, op. cit. p. 195; ("adolescents") int. John Lindsay by FB, FBP; ("like lovers") int. Bobby Baker; (Baker/Rebozo) *AOP,* p. 124; Baker with Larry King, op. cit. p. 248; ("boyhood bond") int. Herb Klein; ("held hands" 1962) Bryant, op. cit., p. 241; (clasping hands) int. Jerome Zeifman; ("unilateral") int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 139; (Paar) Jack Paar, *P.S. Jack Paar,* New York: Doubleday, 1983, p. 131; (Fineman) Miami *Herald,* Apr. 23, 1994; (Lucke) int. Sloan McCrae; ("N was his God") int. Jake Jernigan; (Safire) Safire, op. cit., p. 614; (Pat/"sponge") *Good Housekeeping,* July 1976 and see Ehrlichman, op. cit., p. 50; ("do you talk to") Charles Colson int. by Dick Russell, in *Argosy,* Mar. 1976; ("golfing partner") West, *Double Discovery,* op. cit., p. 139; int. Jessamyn West by FB, FBP.

Rebozo political role: ("truly social") Miami *Herald,* Nov. 1, 1973; (culivated senators) *Life,* July 31, 1970; (Rebozo/Kennedy) Miami *Herald,* Jan. 12, 1974; *JA,* p. 198fn; (dirt on JFK) FB research note, FBP, the divorcée was Durie Malcolm; Dunleavy and Brennan, op. cit., p. 21–; ("so careless") Crowley, *Nixon Off the Record,* op. cit. p. 33; (1968 meeting) Whalen, op. cit., p. 182; (previous Christmas) *MEM,* p. 292; (Danner) Danner deposition, Sept. 4, 1973, *Plaintiff v. Hughes Tool Co.,* and Danner to Rebozo, Mar. 17, 1970, E files, Box B-56, NA; ("political influence") int. John Ehrlichman; Ehrlichman, op. cit., p. 51–; ("Nixon once sent") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 89; ("quarter million") *AOP,* p. 4—the candidate was Raymond Guest; (Muskie) ibid., p. 124; (Wallace) *HD,* p. 408; (Vietnam policy) William Shawcross, *Sideshow,* New York: Simon & Schuster, 1979, pp. 140, 142; Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 204; (hated Castro) Kissinger, *White House Years,* p. 641; ("did not usually") ibid., p. 1155; ("edgy") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 341.

RN/Rebozo money: ("never had the urge") Nixon, *Arena,* op. cit., p. 122–; ("means nothing") Miami *Herald,* Nov. 1, 1973; (Bassett) int. James Bassett by FB, FBP; (investment advice) Klein, op. cit., p. 149; (dining/beer) *Newsday,* Oct. 13, 1971; (invested Cuba?) *Rolling Stone,* May 20, 1976; (FBI informant) Moore to Belmont, Jan. 9, 1959, FBI 480–1542; (motel) *Newsday,* Oct. 7, 13, 1971; int. Bob Greene by FB, citing Maroon, FBP; (dig derogatory information) Hunt, *Undercover,* op. cit., p. 183; ("selfless")Tampa *Tribune,* June 26, 1958; ("They'll never

get . . .") Miami *Herald,* June 15, 1958; ("Nixon never . . .") int. George Smathers; (Nixon worth 1960–) Stephen Hess and David Broder, *The Republican Establishment,* New York: Harper & Row, 1967, p. 162.

Key Biscayne Bank: (described) *Nation,* Nov. 12, 1973, Paar, op. cit., p. 131; (shovel) *Newsday,* Oct. 9, 1971; (bust) *Nation,* Nov. 12, 1973; (bank's function) ibid.; (Rebozo at bank) *NM,* p. 363, Miami *Herald,* Dec. 6, 1974; (Continental) *Life,* July 31, 1970; (sticker) *Sundance,* Nov./Dec. 1972, p. 35.

RN/Rebozo property: ("loved property") int. George Smathers; (Fisher's) *Newsday,* Oct. 13, 1971; ("After the 1968 election . . .") *MEM,* p. 952; (Rebozo proposed) *Newsday,* Oct. 13, 1971; ("two houses") *MEM,* p. 952; (Rebozo/Key Biscayne/San Clemente properties) *NM,* p. 346–; (house for Julie) Miami *Herald,* Feb. 26, 1974, Boston *Globe,* May 29, 1974; (Rebozo concern) Ehrlichman, op. cit., p. 51; ("If there's something") *NM,* p. 368; ("help Bebe") Ehrlichman, op. cit., pp. 47, 51.

Rebozo in Watergate: (IRS investigation) Miami *Herald,* Oct. 11, 1973; *NYT,* Feb. 27, Apr. 23, 1974; (targeted) closing memo, Oct.16, 1975, WSPF(H-R), p. 5–; *NM,* p. 364; ints. Sam Dash, Terry Lenzner; (hush money) ibid., p. 145–; (Rebozo obstructed) E, Report, pp. 931, 1071; (left country) ibid., p. 1071–; (RN IRS) *AOP,* p. 31; (Baruffi) int. Andrew Baruffi; (Senior IRS source) int. retired IRS official who requested anonymity; (hearings aborted) ints. Sam Dash, Scott Armstrong and Sam Dash, *Chief Counsel,* New York: Random House, 1976, p. 245; ("evidence would not support") WSPF Report, p. 84; ("Star Chamber") *MEM,* p. 967.

Rebozo dubious business activity: (federal loan) *Newsday,* Oct. 6, 1971, *National Observer,* Feb. 2, 1974, Miami *Herald,* Aug. 20, 1972; (shopping center) *Newsday,* Oct. 7, 1971; (Buttari) Miami *Herald,* Feb. 8, 1969, Miami *News,* Feb. 9, 1969, eds. Peter Dale Scott, Paul Hoch, Russell Stetler, and Sylvia Meagher, *The Assassinations: Dallas and Beyond,* New York: Vintage, 1976, p. 404; ("kid gloves") *Newsday,* Oct. 7, 1971, Miami *Herald,* Oct. 7, 8, 1971; (bank application) *NYT,* Oct. 17, 1973; Providence *Journal,* Nov. 6, 1973; (Rebozo held funds?) *NM,* p. 366; (RN net worth) *Newsday,* Dec. 9, 1973; *Congressional Quarterly Almanac,* 1973, p. 1046–; (Rebozo net worth) ed. Miller, *Breaking of the President,* op. cit., Vol. IV, p. 518, Miami *Herald,* Nov. 5, 1973; (Stans) int. Maurice Stans; (earrings) *WP,* July 11, 1974, *NM,* p. 367; Safire, op. cit., p. 615; (RN rebuttal) *MEM,* p. 952; (Anderson) Miami *Herald,* Mar. 20, 1974; ("totally false") *MEM,* p. 953; (Rebozo dismissed) *NYT,* Mar. 21,1974.

Rebozo/organized crime: (Danner) *Sundance,* Nov./Dec. 1972, Hank Messick, *Lansky,* New York: Putnam, 1971, p. 189; (Miami hotels) Special Committee to Investigate Organized Crime in Interstate Commerce, U.S. Sen., 81st Cong., Washington, D.C., U.S. Govt. Printing Office, Interim Report, p. 7–; (Smathers arranged) int. George Smathers; (Lansky associates) ed. Weissman, op. cit., p. 263; (RN/Mackles friendly) *Washington Star,* Dec. 25, 1968, *Ladies' Home Journal,* June 1971; ("fronting") *Sundance,* Nov./Dec. 1972; (Frederich) *Newsday,* Oct. 13, 1971; (Fincher) *Newsday,* Oct. 13, 1971; (Fincher links) Moldea, *Interference,* op. cit., p. 292–; (Orowitz) *Penthouse,* July 1974, p. 106; (Polizzi picked/1943 conviction/Cleveland boss/petitions) *Newsday,* Oct. 7, 1971; (Grand Council) Los Angeles FBI report, Dec. 23, 1957, FBI 92-3229-5; (smuggling booze) *Village Voice,* Aug. 30, 1973; (Kefauver) ibid., *Newsday,* Oct. 7, 1971; Estes Kefauver, *Crime in America,* Garden City, NY: Doubleday, 1951, p. 64; ("one of the most") David Scheim, *Contract on America,* New York: Shapolsky, 1988, p. 298, re. 1964 Senate narcotics hearings; (FBI bug) Cleveland FBI report, June 21, 1965, FBI 92-3229-59, and see Louis Mastriana testimony, Sept. 18, 19, 1973; Sen. Permanent Subcttee. on Investigations, Cttee on Govt. Ops., U.S. Senate, 93rd Cong., 1st Sess. , Pt. II, p. 181–; (Berg) *Newsday,* Oct. 13, 1971, int. Donald Berg, *Village Voice,* Aug. 30, 1973, *Nation,* Nov. 12, 1973; (associate of Lansky/Hoffa) Allen Friedman and Ted Schwartz, *Power and Greed, Inside the Teamsters,* New York: Franklin Watts, 1989, p. 155; ed. Weissman, op. cit., pp. 264, 267—the associate was Arthur Desser; (Secret Service) *Newsday, supra.;* (Berg/RN 1994) int. Donald Berg.

Stolen stocks case: *Newsday,* Oct. 9, 1971; *LAT,* Sept. 12, 1970; ints. Ron Kessler, Jake Jernigan; *WP,* Oct. 25, 1973—major report by Ron Kessler but see Rosen to Sullivan, Sep. 12, 1970, FBI 87-102621-18, SA [name redacted] Miami to SAC Miami, Sep. 11, 1970 and other corr. in FBI 87-102621 and 62-112-974; (Salerno/Beckley) ibid., Messick, *Lansky,* op. cit., p. 193; Sifakis, op. cit., p. 314; (King) *WP,* Oct. 25, 1973; *Penthouse,* July 19, 1974; ed. Weissman, op. cit., p. 263–; (Kotz) int. and corr. Alvin Kotz; (Teresa) closing memo, Oct. 16, 1975, WSPF (H-R); Vincent Teresa with Thomas Renner, *My Life in the Mafia: The True Confessions of a Mob Leader,* London: Grafton, 1974, p. 288–; (Mastriana) testimony, Sept. 18, 19, 1973, Hearings of Perm. Subcttee. on Investigations, Cttee. on Govt. Ops., U.S. Sen., 93rd Cong., 1st. Sess.; (Alo/Lansky) Teresa, op. cit., p. 220–; Lacey, op. cit., p. 290– and see SAC Dallas to director, Aug. 20, 1971, FBI 92-128-23-5; (long-held suspicions) Eisenberg, Dan, and Landau, op. cit., p. 258; Messick, Lansky, op. cit., p. 187–; (Gallinaro) ints. William Gallinaro.

"non-member associate": ints. and corr. Michael Ewing, former congressional investigator of organized crime and Watergate; Ewing was given the designation by former FBI Agent Charles Stanley.
RN promise re: crime: *LAT,* Oct. 21, 1968.
Newsday series: Oct. 6, 7, 9, 11, 12, 13, 1971; (reaction/reprisals) McDermott to Jenkins, June 25, 1974, FBI 74575-150; Henry Ruth to Clarence Kelley, Feb. 27, 1974, FBI 62-112974; Wise, *American Police State,* op. cit., p. 129 and Wise, *The Politics of Lying,* op. cit., p. 324–, Joseph Spear, *Presidents and the Press,* Cambridge, MA: MIT Press, 1984, p. 130; Donner, op. cit., p. 351, Hunt, *Undercover,* op. cit., p. 183; Caulfield testimony, E, Bk. 22, p. 10368–; (agents' surveillance) *WP,* June 28, 1974; ("worse than foolish") Safire, op. cit., p. 615.
RN "resented": Pierpoint, op. cit., p. 82.
Smathers: int. George Smathers.
Finch: int. Robert Finch by FB, FBP.
"nails pulled out": ed. Miller, *Breaking of a President,* op. cit., Vol. IV, p. 511.
"never going to blab": Safire, op. cit., p. 615.

Chapter 12

"All you have got to do": *U.S. News & World Report,* Oct. 3, 1952.
"end is power": Hess and Broder, op. cit., p. 143.
hero/preacher: Mazo, op. cit., p. 85.
"A few friends": *MO,* p. 629.
Eisenhower meetings: (1949) *MO,* p. 507; (1950/51) ibid., pp. 577, 644–.
"prat boy": RN in Frank Gannon int. transcript, CBS *60 Minutes,* Apr. 8, 1984; Wicker, op. cit., p. 160.
Dewey: ("a possibility") Mazo, op. cit., p. 90; ("you can be President") *MEM,* p. 84; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 299; (tempted Nixon?) *Frontier,* Apr. 1962; *MO,* p. 684–.
Warren: (questionnaire) *FB,* p. 253; Vernon O'Reilly unid. article, Sept. 26, 1952, Box G 281, DPP; (at convention) ed. Sevareid, op. cit., p. 76; Costello, op. cit., p. 86; James to Wilma Bassett, July 9, 1952, Bassett Papers, courtesy of Cynthia Bassett; Leo Katcher, Earl Warren, *A Political Biography,* New York: McGraw Hill, 1967, p. 290–; Earl Warren, *The Memoirs of Earl Warren,* New York: Doubleday, 1977, p. 252–; *MO,* pp. 691, 719–; Arnold, op. cit., p. 29–; (The most distasteful") int. John Rothmann and see Louis Kohlmeier, Jr., *God Save This Honorable Court,* New York: Charles Scribner's, 1972, p. 93; ("'Tricky' . . . despicable") William Buckley column, Mar. 20, 1975, *National Review* and see Jack Harrison Pollack, *Earl Warren,* Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1979, p. 142.
1952 convention: (Ike's list) Sherman Adams, *Firsthand Report,* New York: Harper, 1961, p. 34; Eisenhower press conference, May 31, 1955, James Hagerty Papers, DDEL; (smoke-filled rooms) Manchester, *The Glory and the Dream,* op. cit., p. 619; (RN picked) *MO,* p. 732; Richard Norton Smith, *Thomas Dewey and His Times,* New York: Simon & Schuster, 1982, p. 596; ("Surprised") ibid., p. 597; (argued with Pat) *PAT,* p. 114–; *MEM,* p. 85–; (Pat surprised) *Saturday Evening Post,* Sept. 6, 1952; (platform) Smith, *Thomas Dewey,* op. cit., p. 597; (photographers) *Time,* Feb. 29, 1960; *PAT,* p. 117; (Ike irritated) Lurie, op. cit., p. 116–; (*Time*) *Time,* Aug. 25, 1952.
scandals: (Truman plagued) *MO,* p. 642–; ("When we are through") Nathan Miller, *Stealing from America,* New York: Marlowe, 1996, p. 331.
Fund Crisis: (*Post*) New York *Post,* Sept. 18, 1952; (tip etc.) Washington *Sunday Star,* Sept. 21, 1952; Robert Humphreys to Sherman Adams, Feb. 7, 1959, DDEL; *MO,* p. 757–; ed. Sevareid, op. cit., p. 88, but see Katcher, op. cit., p. 294; (use of money) New York *Post,* Sept. 18, 1952; *U.S. News & World Report,* Oct. 3, 1952; ("all wrong") Mazo, op. cit., p. 107; ("just . . . fund") *MO,* p. 759; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 73–; ("nothing to worry") ibid., p. 78; (Edson story) Chicago *Daily News,* Sept. 18, 1952; (Ike response) *MO,* p. 770; ("hounds tooth") *NYT,* Sept. 21, 1952; ("Hiss crowd") *MO,* pp. 772, 774–; (call to withdraw) *MO,* p. 780–; (Dewey/resign) *MO,* p. 803; (Ike called Nixon) *MO,* p. 807.
Checkers speech: (no rehearsal?) Nixon, *Six Crisis,* op. cit., p. 112; *MEM,* p. 103; *Look,* Feb. 24, 1953; (witness) James Kearns in St. Louis *Post-Dispatch,* Sept. 28, 1952; (delayed?) *Variety,* Sept. 21, 1954 and draft article, both in Box G 281, DPP; (60 million) Barry Goldwater, *With No Apologies,* New York: William Morrow, 1979, p. 67; *MO,* p. 827; (text of speech) *U.S. News & World Report,* Oct. 3, 1952; (Pat sat close) *Westporter Herald,* Sept. 25, 1952; (Lincoln quote) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 103; Wills, op. cit., p. 104; (hands reaching) *MEM,* p. 104; (hurled notes) *Look,* Feb. 24, 1973; Mazo, op. cit., p. 131; *PAT,* p. 124; ("I was a failure") *JA,* p. 218; (euphoric) *MO,* p. 844; (fur coats) Washington *Times-Herald,* Sept. 30; *Wall Street Journal,* Oct. 10, 1952; (RN "stripped") Wicker, op. cit., p. 107.
Ike response to Checkers: (watched) Robert Humphreys to Sherman Adams, Feb. 17, 1959, Humphreys papers, DDEL; (Mamie wept) *MEM,* p. 105; (telegram lost) *PAT,* p. 124; *MO,*

p. 839; (Chotiner intercepted) Pat Hillings with Howard Seelye, *Irrepressible Irishman,* privately published: Harold Dean, 1993, p. 61; *MO,* p. 840–; ("You're my boy") *MEM,* p. 106; (RN endorsed) *MEM,* p. 107; (RN weeps) ibid.; (drama coach) Kornitzer, op. cit., p. 106 and John Rothmann, unpub. ms., p. 36—coach was Albert Upton; ("amazing") int. Bryce Harlow in eds. Miller Center, op. cit., p. 7.

Dog: (collars, etc.) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 125; (lived on) Madeleine Edmondson and Alden Duer Cohen, *The Women of Watergate,* New York: Pocket, 1975, p. 102; *NYT,* July 3, 1968; (exhume?) CNN Website, citing AP and *U.S. News & World Report,* Apr. 28, 1997; (Order of . . . Tooth) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 125; Arnold, op. cit., p. 23; *Colliers,* July 9, 1954, James Bassett unpub. ms., Apr. 9, 1954; Bassett Papers.

RN reminded: *PAT,* p. 126, Crowley, *Winter,* op. cit., p. 19.

"truth on my side": Monica Crowley, *Nixon Off the Record,* New York: Random House, 1996, p. 63.

press on fund: *New Republic,* Oct. 6, 1952.

problems with RN's answers: (needed home) New York *Post,* Sept. 18, 1952; (no maid) ibid., *MO,* p. 757; ($20,000) *U.S. News & World Report,* Oct. 3, 1952; *MO,* p. 653; (decorator) ibid.; *PAT,* p. 111; (RN admitted) Costello, op. cit., p. 110; (acquired maid) *New Republic,* Sept. 29, 1952; (increased prosperity) New York *Post,* Oct. 31, 1952; (could not have been charged) *MO,* p. 856; (RN told newsman) Costello, op. cit., p. 95; (speech fees) *Look,* Feb. 24, 1953; (sheet on desk) *MO,* p. 762, citing int. Leo Katcher; (two accounts?) memo to DP, Oct. 20, 1952, citing Jiggs Donohoe, and AP, Oct. 18, 1952, memo citing Judge Thurman Clark, Box G 281, DPP; (three funds) Washington *Daily News,* Feb. 26, 1953.

fund contributors: ("We've been paying") *MO,* p. 762; (Chotiner) Lurie, op. cit., p. 127; ("Who's Who") *MO,* p. 636; (millionaires) DP column "Why?," fall 1952, not run in local papers, Box G 272, DPP; ("We realized") article by Richard Donovan, one of three journalists who developed fund story, *The Reporter,* Oct. 14, 1952; (within a week) *MO,* p. 632; (Woodward/Anderson) Pilat, op. cit., p. 302; DP broadcast, Nov. 2, 1952, Box G 281, DPP; *MO,* p. 650; (Ghormley) ibid. and see Kornitzer, op. cit., p. 190–; (Crail) Costello, op. cit., p. 216–; (Adams/Rowan bros.) *New Republic,* Sept. 29, 1952—Adams does not appear in *U.S. News & World Report,* Oct. 3, 1952 version of contributors list; ("Never . . . a phone call") *U.S. News & World Report,* Oct. 3, 1952; (Hammond call) DP column, "Did Nixon's Angels benefit?" Box G 281, DPP.

Dana Smith: (friend/host) int. Jean Smith Goodrich, Smith's daughter; (IRS problem) *NYT,* Sept. 24, 1952; AP wire copy, Sept. 23, 1952, Box G 281, DPP; St. Louis *Post-Dispatch,* Oct. 30, 1952.

Smith/Nixon? and Cuba: (RN to Embassy) AP wire copy, Oct. 29, *NYT,* Oct. 30, 1952, DP column, Oct. 29, 1962, with detail from embassy files, and see *MO,* p. 941n., p. 649; ("routine") *NYT,* Oct. 30, 1952; (office insisted) *Look,* Feb. 24, 1953; (RN reported in Cuba) St. Louis *Post-Dispatch,* Oct. 30, 1952; (demands retraction) RN to Ted Bates agency, Nov. 3, 1952, cited in full in Harrington telegram to DP, Box G 281, DPP; (claims Hawaii) *Look,* Feb. 24, 1953; *MEM,* p. 108; (Link background) *NYT,* Feb. 15, 1974; int. Theodore Link, Jr.; (Freeman/5 witnesses) memo to DP, Box G 281, DPP; ("Nixon agreed") Messick, *Lansky,* op. cit., p. 190; (Culbertson) ed. Tyler Abell, *Drew Pearson Diaries, 1949–1959,* New York: Holt, Rhinehart & Winston, 1974, p. 335, entry for Oct. 27, 1954; (other Rothman ints.) FBI summaries, "Norman Rothman, Internal Security—Cuba," June 26/27, director to Asst. AG Byron White, July 25, 1961, and SAC Miami to director, FBI 97-4030-20 in FBI Cosa Nostra files supplied to House Select Cttee. on assassinations, released 1998, JFK Collection, NA; (Rothman covered up?) ibid. and ed. Abell, op. cit., p. 335.

mob in Cuba: (controlled) Eisenberg, Dan, and Landau, op. cit., p. 253–; Sifakis, op. cit., p. 29–; (Sans Souci described) briefing in Box G 281, DPP; (Lansky control) Legat, Havana to director, Jan. 14, 1948, FBI 62-75147-210-102; Gus Russo, *Live by the Sword,* Baltimore, MD: Bancroft Press, 1998, p. 50; memo to DP, Sept. 26, 1952, Box G 281, DPP, and Eisenberg, et al., op. cit., Ch. 30.

Lansky and Smith, RN: Eisenberg, et al., op. cit., p. 258; (Danner) Jeff Gerth article, *Penthouse,* July 1974.

Horner: int. Norman Casper.

Clarke: int. Jack Clarke.

"Italian money": Moore to Belmont, Jan. 9, 1959, FBI 109-480-1542.

Alo: (background) Sifakis, op. cit., p. 7; Ed Reid, *The Grim Reapers,* New York: Bantam, 1970, p. 92; Lacey, op. cit.; (responses on RN) int. Vincent Alo.

Lansky: ("impressed") Messick, *Lansky,* op. cit., p. 190; Messick contacts with author, 1991; (Stacher) Eisenberg, et al., op. cit., p. 232.

Giancana: Sam and Chuck Giancana, *Double Cross,* New York: Warner, 1992, p. 193.

Arvey: Peter Dale Scott, *Deep Politics and the Death of JFK,* Berkeley, CA: University of California Press, 1993, pp. 77, 158–, 179, 200.
Cohen refused: FBI report, originating Los Angeles, Dec. 29, 1958, FBI 92-3156-122.
RN innocent victim of smears?: e.g., *AMI,* p. 295–.

Chapter 13

"The top officials": RN in call for resignation of RNC Chairman Guy Gabrielson, Oct. 8, 1951, DP column, Box G 281, DPP.
Malaxa: (Pearson/TV) transcript broadcast, Nov. 2, 1952, Box G 281, DPP; (GSA) Compliance Division report, Dec. 29, 1949, Box G 172, DPP; (U.S. concern) DP memo to editors re. CIA/State, June 5, 1962, Box G 192, DPP; *WP,* Nov. 16, 1979; Seymour Hersh, *The Dark Side of Camelot,* Boston: Little, Brown, 1997, p. 158–; (20 drawers) *Saga,* Nov. 1962; (Goering bros.) ibid.; Howard Blum, *Wanted: The Search for Nazis in America,* New York: Quadrangle, 1977, p. 117; Charles Higham, *American Swastika,* New York: Doubleday, 1985, p. 211; (captured cable) German minister, Bucharest to Berlin, Jan. 8, 1941 cited at DP to editors, June 5, 1962, and in letter, Rep. Frank Kowalski to AG Robert F. Kennedy, Apr. 9, 1962, Box G 192, DPP; (1941 coups) I. Glickman, sec. of United Romanian Jews of America to Rep. Jacob Javits, May 14, 1953, Box G 192, DPP; *Saga, supra.,* Higham, op. cit., p. 211 and Elizabeth W. Hazard, *Cold War Crucible,* New York: Columbia University Press, 1996, p. 223–; (simply refusing) Kowalski to AG Kennedy, *supra.*
Malaxa/Nixon: (lawyers call) *Saga, supra.; MO,* p. 647 and deposition of Thomas Bewley in *Malaxa v. Pearson,* Washington, D.C. District Court, Civil Action, No. 5549-55, Box G 192, DPP; (Bewley backed RN) *MO,* pp. 369, 379, 528; (pure chance) ibid. and Walter Land memo, Oct. 9, 1952, Box G 192, DPP; (RN/Western Tube offices) Bewley deposition, *supra.;* Pearson draft entitled "Nicolae Malaxa," Box G 192, DPP, G. T. Vincent to DP, Oct. 26, 1952, Box G 281, photo of office directory, Box G 192, DPP; (never produced) *NYT,* Oct. 7, 1962; ("paper shuffling") DP memo to editors, June 5, 1962, *supra.,* and blind memo citing Bewley deposition, p. 48, Box G 192, DPP; (Shelley) *NYT,* Oct. 7, 1962; (private bill) Blum, op. cit., p. 119; ("important, strategically") RN and William Knowland to Manley Fleischman, Sept. 14, 1951, Box G 192, DPP; (massive advantages) Loftus and Aarons, op. cit., pp. 224, 558 and blind memo, *supra.;* (RN telephone) ibid., p. 558; Blum, op. cit., p. 120; (RN/Hillings) Kowalski to AG Kennedy, *supra.;* (Rogers) blind memo, *supra.,* Blum, op. cit., p. 121.
alleged bribe: (DP notes) handwritten notes/witness list, Box G 192, DPP; (Wisner/Romania) Evan Thomas, *The Very Best Men,* New York: Simon & Schuster, 1995, p. 20–; (Pearson/CIA report) "Friendly Questions for DP," document prepared for lawsuit, Box G 192, DPP; (Cadillacs/jewelry) *Saga,* Nov. 1962; (Wisner/recruitment) Thomas, op. cit., p. 35; (recruited Malaxa?) Loftus and Aarons, op. cit., p. 559n.33.
Gordon Mason: int. Gordon Mason and Hazard, op. cit., p. 223–; Hersh, op. cit., p. 158.
Visoianu widow: int. Mrs. Constantine Visoianu.
Malaxa in US: (5th Ave.) *Saga,* Nov. 1962; (death) Blum, op. cit., p. 122.
Election 1952: (vanished) Klein, op. cit., p. 49; (*Time*), Ralph de Toledano, *Nixon,* New York: Duell Sloan & Pearce, 1960, p. 149; (vacation) *NYT,* Miami *Herald,* Nov. 11, 21, 1952, Nixon to Rebozo, Nov. 28, 1952, Rebozo file, Series 320, Box 622, VP, NA; (fish) Rebozo to RN, Dec. 5, 1952, Michael Ewing Collection; int. P.R. man John Tassos.
RN enemies: (Harriman/Douglas campaign) Douglas, op. cit., p. 324; (Harriman/dinner) *FB,* p. 244; Rudy Abramson, *Spanning the Century,* New York: William Morrow, 1992, p. 412; (topic) ibid., p. 686; (Eleanor Roosevelt) *FB,* p. 244–; (J. F. Kennedy) Douglas, op. cit., p. 325; (Kent/Stevenson) Mazo, op. cit. p. 8; (Celler) ibid. and see Toledano, *Nixon,* op. cit., p. 151; (Lippmann) *Radical History Review,* Fall 1994, p. 138; (Ball) George Ball, *The Past Has Another Pattern,* New York: Norton, 1982, p. 128; (Pepper) Claude Pepper with Hayes Gorey, *Pepper: Eyewitness to a Century,* New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1987, p. 240; (Redlich) cited in Boston *Phoenix,* Aug. 13, 1974.
Truman: (re: "traitors") Kornitzer, op. cit., p. 213; *MEM,* p. 112; Miller, *Plain Speaking,* op. cit., 178; ("crooks") *The Reporter,* Apr. 19, 1956; ("Goddamn liar") Miller, *Plain Speaking,* op. cit., p. 178–: ("doesn't understand") ibid., p. 335.
Rich: *NYT,* Apr. 24, 1994.
RN response to 1952 attacks: ("My instinct") *MEM,* p. 109; (Stripling) *Esquire,* Nov. 1975.
RN temper: ("The hotter") *Saturday Evening Post,* Sept. 6, 1952; ("blowing . . . stack") ed. Sevareid, op. cit., p. 80; Alsop, op. cit., p. 153; (Klein/Hillings) Klein, op. cit., p. 133–; *JA,* p. 223; ("obligation") ed. Sidney Kraus, *The Great Debates,* Bloomington, IN: Indiana University Press, 1962, p. 397; (slap) notes of int. Zita Remley by FB, FBP, *FB,* p. 236—name is Zita, not Vita, as rendered by FB (Remley to DP, Oct. 7, 1952, Box G 281, DPP).
1952 violence: (Oregon) Mazo, op. cit., p. 117–; (Long Beach) ed. Abell, op. cit., p. 229; (Rogan) Los Angeles *Sun News,* Nov. 2, 1952; ("When we're elected") Costello, op. cit., p. 6; (Heavey)

Weekly News Letter, CA State Federation of Labor, Nov. 3, 1954; Robert Allen to DP, Nov. 13, 1953, Box G 281, DPP; Chotiner to Agent Paul Paterni, Feb. 2 and to William Rogers, Feb. 10, and complaint for damages, 443705, Superior Court of California, (San Francisco) Nov. 26, 1954, summary of incident, Bogen/Pearman (police) Heckler Report, Oct. 29, 1954; Nelson to RN, Dec. 7, 1954, William Rogers Papers, DDEL; *NYT*, Oct. 30, Nov. 27, 1954.

RN depression/weeping: ("He almost needed") *MO*, p. 763; ("the full weight") Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 87; ("irritable") *MO*, p. 793; ("sponge") ibid., p. 799; (Drown) *PAT*, p. 120; ("blow up") *MO*, p. 793; (Mother message/Hillings) Hillings with Seelye, op. cit., p. 60; *Good Housekeeping*, June 1960, but see Kornitzer, op. cit., p. 192–; (tears after Checkers) Matthews, op. cit., p. 84; Mazo, op. cit., p. 131; (tears on plane) ibid., p. 134; (tears/Knowland) *MO*, p. 849; ("Dick's state of mind") Kornitzer, op. cit., p. 193; (tried frantically) int. Dr. Arnold Hutschnecker.

Pat in '52 campaign: (doubts) see Ch. 12, *supra.*; *MEM*, p. 86; (prattled) *American Weekly*, Aug. 24, 1952; (Pat on campaigning) Los Angeles *Herald & Express*, July 25, 1952; (she urged) *MEM*, p. 98; *PAT*, p. 120; ("Of course you can") *MEM*, p. 103; ("great") *PAT*, p. 124; (total silence) *MEM*, p. 108; ("Why . . . keep taking?") Mazo, op. cit., p. 119; ("kitten") *PAT*, p. 119; ("So much pain") ibid., p. 126; ("would hate politics") *MEM*, p. 108.

Hannah in fund: (babysitting) Kornitzer, op. cit., p. 191; (Frank wept) *MEM*, p. 109; (Hannah on phone) *MEM*, p. 99; (Hannah/Ike telegram) Kornitzer, op. cit., pp. 192, 205–; *MEM*, p. 107; (inauguration note) *MEM*, p. 117.

RN promised to retire: *NYT* magazine, Sept. 13, 1970; Mazo, op. cit., p. 139.

1952 inauguration: Lurie, op. cit., p. 159.

RN on peace: e.g., 1969 inaugural address in full in *Whittier Rock*, Spring 1969.

"exaltation": *PAT*, p. 132.

portents: (Haldeman) *MO*, pp. 825, 826; (father) *MO*, pp. 573, 636; *U.S. News & World Report*, Oct. 3, 1952; (Goldberg in '52) *U.S. News & World Report*, Feb. 23, 1998; (Goldberg in Watergate) Washington *Star-News*, Aug. 19, 1973; *WP*, Aug. 20, 1973, Feb. 4, 1998; (Goldberg re. Lewinsky) ibid. and *LAT Book Review*, Mar. 14, 1999; (meets Hunt) int. Howard Hunt; Hunt, *Undercover*, op. cit., p. 127: (Hunt card) Hunt Corr file, VP, NA; (Ervin sworn in) Paul Clancy, *Just a Country Lawyer*, Bloomington, IN: Indiana University Press, 1974, p. 155.

Chapter 14

poem: David, op. cit., p. 13–.

Duke Zeibert's: James Bassett unpub. ms., pp. 52, 234.

Bassett: (background) Klein, op. cit., p. 137–; Bassett letters to Wilma Bassett, 1952, 1954, 1960, Bassett Collection, Bassett ms., *supra.*, p. lxv–; Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 329–; int. Cynthia Bassett, Gottlieb & Wolt, op. cit., p. 279; ("intense") Bassett ms., p. 52; ("affable") int. James Bassett by FRB, FBP; ("son") ibid.; ("oldest") JB to Wilma, June 3, 1954, Bassett Collection; (P-55) Bassett ms., pp. 46, 60; ("judgement") JB to Wilma, June 3, 1954, *supra.*; ("chlorophyll") Bassett ms., p. 27; ("ice") ibid., p. 13; ("subliminal") James Bassett int. by FB, FBP; ("I remember") Bassett ms., p. lxx; ("balls") James Bassett int. by FB, FBP; ("retreat") Bassett ms. p. 52; ("lonesome") JB to Wilma, June 3, 1954, *supra.*; ("grimness") Bassett ms., p. lxix.

RN and drink: (RN writing) Nixon, *Arena*, op. cit., Ch. 11; (protestations) e.g., int. Robert Cushman by FB, FBP; ("we ordered") Bassett ms. p. 11; ("fabulous Cad") ibid., p. 27–; ("Scotches") ibid., p. 164; ("We'd arrived") ibid., p. 244; ("Rarely") *Time*, Aug. 25, 1952; ("At 5 P.M.") Bellino autobiographical notes, Bellino Papers; ("wonderful catalysts") Bobst to RN, Apr. 20, 1956, corr. files, Series 320, Box 90, VP, NA; (gin) Elmer Bobst, *Bobst*, New York: David McKay, 1973, p. 273; ("won't drink") *Colliers*, July 9, 1954; (hair way down) JB to Wilma, June 10, 1960, Bassett Collection; ("after Martinis") James Bassett int. by FB, FBP and see Haldeman and DiMona, op. cit., p. 45; ("not a shit!") *JA*, p. 343.

RN and Eisenhower: ("errand boy") *Life*, Dec. 14, 1953; ("Asst. President") ibid.; (Johnson) Jeff Shesol, *Mutual Contempt*, New York: Norton, 1997, p. 79; (Reston) Blanche Wiesen Cook, "Dwight David Eisenhower: Antimilitarist in the White House," *Forums in History*, St. Charles, MO: Foreign Press, 1974, p. 3; ("immature") Wicker, op. cit., p. 196 and *AMI*, p. 379; (liability) int. Robert Finch in eds. Miller Center, op. cit., p. 260; ("tea-drinkers") Bassett unpub. ms., *supra.*, p. 27–; ("dumb") JB to Wilma, Mar. 6, 1954, Bassett Collection; (RN . . . smiled) *MEM*, p. 145; ("slip . . . a gadget") Bassett unpub. ms., *supra.*, p. 48—entry for Mar. 12, 1954; ("You know boys") *AMI*, p. 334fn; (Ike "remembered") *WP*, Mar. 15, 1997; (Ike castigating) AP, Oct. 21, 1979; *AMI*, p. 349; ("snake's belly") Bassett ms., p. 207; ("six times") *Newsday*, Apr. 25, 1994, citing H. R. Haldeman notes, Apr. 1969; (Ike golf) Lurie, op. cit., p. 160; ("furious dedication") ibid.; (RN cheated?) London *Daily Express*, Aug. 9, 1996; ("Nixon fired") Bassett ms., p. 17–; ("RN complained"/bridge) int. Walter Trohan; (not in private quarters) int. John Rothmann, citing Bryce Harlow; ("never asked") White,

1960, op. cit., p. 66; ("Hutschnecker") Winter-Berger, op. cit., p. 257; (de Toledano) Lurie, op. cit., p. 161, citing PBS program, Oct. 14, 1971.

Rejections: (Duke) *COQ* magazine, Jan. 1974; (Whittier) Mazo, op. cit., p. 139 and JB to Wilma, June 10, 1954, Bassett Collection; ("pained") *Good Housekeeping,* June 1960; (few friends) int. Walter Trohan; ("uncomfortable") Nancy Dickerson, *Among Those Present,* New York: Random House, 1976, p. 1976; ("wooden") int. Patricia Alsop by FB, FBP, *FB,* p. 336; (aversion) Alsop, op. cit., p. 28–.

"bone tired": Mazo, op. cit., p. 152.

"through with politics": *MEM,* p. 163.

agreed with Pat: *JA,* p. 234.

Bassett bet: Alsop, op. cit., p. 155.

Ike illness: (heart attack) Adams, op. cit., p. 180; Manchester, op. cit., p. 752; (RN reaction) Press Secretary Jim Hagerty acct., Hagerty papers, DDEL; *MEM,* p. 164; *American Weekly,* Mar. 4, 1956; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 132; ("voice hoarse") James D. Barber, professor of political science, Duke University, *Political Science Quarterly,* Winter 1977–78, p. 588; (RN presided) Adams, op. cit., p. 186; ("leaned backward") ibid., p. 185; (Dulles's biographer) Hoopes, op. cit., p. 304–; (Randall/"pray") cabinet notes, July 4–Aug. 1, 1956, Clarence Randall Papers, Box 3, DDEL–the note was reported by economist Gabriel Hauge; ("I would be next") *MEM,* p. 167; (Hall) Henry Brandon, *Special Relationships,* New York: Atheneum, 1988, p. 140.

Ike handling of vice presidency, 1956: (shortlist) entries for Dec. 13, 14, 1955, James Hagerty papers, DDEL; ("I've watched Dick") Emmet Hughes, *The Ordeal of Power,* New York: Atheneum, 1963, p. 173; (cabinet post suggested) *AMI,* p. 387; (Some would insist) Bob Considine column, Oct. 10, 1974, citing Milton Eisenhower, *The President Is Calling,* New York: Doubleday, 1974; Adams, op. cit., p. 230; ("be very gentle") diary note, Eisenhower secretary Ann Whitman, Feb. 9, 1956, DDEL; (cat-and-mouse) *AMI,* p. 384; ("agonizing") Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 161; ("anguish") Bryce Harlow cited at *FB,* p. 350; ("hurt") Mazo, op. cit., p. 164—perhaps citing Chotiner, see Leonard Lurie, *Party Politics,* New York: Stein & Day, 1980, p. 245; ("fury") int. Walter Trohan; ("depressed") *PAT,* p. 157.

Chotiner: ("April meeting") Ann Whitman diary, Apr. 26, 1956, DDEL; *AMI,* p. 398 and see NY *World-Telegram* & *Sun,* Apr. 27, 1956; (revelations emerge) Federal Trade Commission Order 6236, Dec. 22, 1955, Box 230, DPP; (FBI) Nichols to Jones, Jan. 25, 1956, FBI 63-2766-2; (furor) *Behind the Scenes* magazine, Mar. 1956—issued Jan.; *LAT,* Jan. 12, 1956; (untrue claim) *WP,* Jan. 4, 1956; (probe) NY *World-Telegram* & *Sun,* Washington *Daily News,* Apr. 27, 1956; (RN to tell the press) Ann Whitman diary, Apr. 26, 1956, DDEL; *AMI,* p. 398.

RN in '56 campaign: (campaign plane) *Time,* Nov. 5, 1956; (Pat/mike) *U.S. News* & *World Report,* Oct. 5, 1956; (Haldeman) H. R. "Bob" Haldeman deposition, May 22, 1973; *DNC vs. McCord,* Civil Action 1233-72, U.S. District Court, Washington, D.C., p. 10; H. R. "Bob" Haldeman to RN, May 22, 1956, Series 320, Box 311, VP, NA.

Hughes: (background) Donald Barlett and James Steele, *Empire,* New York: Norton, 1979; Charles Higham, *Howard Hughes, The Secret Life,* London: Pan, 1994; (bribery) Barlett and Steele, op. cit., p. 147–; Higham, Hughes, op. cit., p. 151; (Truman) Noah Dietrich and Bob Thomas, *Howard, The Amazing Mr. Hughes,* Greenwich, CT: Fawcett, 1972, p. 241–; (Dewey) ibid.; (Hughes's politics) Barlett and Steele, op. cit., p. 178; ("I can buy") Higham, Hughes, op. cit., frontispiece; ("He figured") Dietrich and Thomas, op. cit., p. 241–.

RN and Hughes: ("Never met") int. of RN by Prof. Herbert Parmet, supplied to author and see Parmet, op. cit., p. 403–; (Haldeman) *HD,* p. 397; Parmet, op. cit., p. 409; *JA,* p. 259; (St. Johns) *MO,* p. 592 citing Richard St. Johns and conv. Roger Morris; ("old buddy") int. Donald A. Nixon; ("encountered") int. Herbert Klein; ("happy . . . over seeing you") JDH to RN, memo, Jan. 23, 1959, Howard Hughes file, VP, NA, *AMI,* p. 599; (Don Hughes) int. Gen. Don Hughes; (from the very start) Michael Drosnin, *Citizen Hughes,* New York: Bantam, 1986, pp. 311, 519; (RN praise) Peter Brown and Pat Broeske, *Howard Hughes, The Untold Story,* New York: Signet, 1997, p. 341; (Giancana) Sam and Chuck Giancana, op. cit., p. 211; int. Sam Giancana (nephew).

Stassen: (1956 bid) Fullest accounts, see *U.S. News* & *World report,* Aug. 3, 1956; Mazo, op. cit., p. 158–; ("aloof") Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 167; ("scared") Mazo, op. cit., p. 179.

Maheu: (background) Maheu and Hack, op. cit.; Hougan, op. cit., p. 278–; (early work for Hughes) Maheu and Hack, op. cit., p. 55–.

Anti-Stassen operation: Maheu and Hack, op. cit., p. 79–; int. Robert Maheu; (basket) Hougan, *Spooks,* op. cit., p. 280; ("cannot . . . be told") Alsop, op. cit., p. 72; (polls announced) Maheu and Hack, op. cit., p. 82, Mazo, op. cit., p. 182; ("no gratitude") int. Robert Maheu, and Maheu and Hack, op. cit., p. 82; ("malleable") ibid., pp. 79.

Hughes loan: (Waters's call) Noah Dietrich, int. transcript, p. 126; Charles Higham Collection, Mary Norton Clapp Library, Occidental College, and Dietrich, op. cit., p. 281; (Donald Nixon

business) Donald Nixon personal statement, 1960, File 804, Box 104, WSPF; ("smell") Dietrich, op. cit., p. 281; (lease worth less than half) ibid., p. 282; *The Reporter,* Aug. 16, 1962 and detail in Nicholas North-Broome, *The Hughes-Nixon Loan,* New York: American Public Affairs Inst., 1972; (Dietrich warning) Dietrch, op. cit., p. 283; ("family comes ahead") Dietrich int. transcript, *supra.;* (loan secrecy) Drew Pearson column draft, Oct. 25, 1960 and see Donald Nixon personal statement, *supra.;* (to bury further) *The Reporter,* Aug. 16, 1962; (supposedly used) Dietrich, op. cit., p. 281; ("Pull 'em off") Dietrich int., *supra.;* Dietrich, op. cit., p. 284; (leaked) *The Reporter,* Aug. 16, 1962; ("I had nothing") RN int. with Larry Collins; Long Beach *Independent,* undated, 1962, Box G 281, DPP; (lot transfer) Dietrich, op. cit., p. 285; (owner until '62) North-Broome, op. cit., p. 93 and see Frank Waters to William Gay, Jan. 4, 1963, Box 92, WSPF; (waived rights) letter agreement between F. Waters and H. Nixon, Dec. 12, 1954, ibid.; (Ridgeley) North-Broome, op. cit., p. 86; Parmet, op. cit., p. 405; ("call Dick," etc.) int. Philip Reiner; New York *Post,* Nov. 1, 1960; (RN to Cal.) ibid.; (ensure no tax) DP column, Oct. 27, 1960, Box G 281, DPP; (RN on list) ibid. and DP column draft, Oct. 25, 1960; (suggested Carnation) int. Dietrich, *supra.,* p. 126; (Carnation post) North-Broome, op. cit., pp. 94, 99 and see *MO,* pp. 637, 650; (no impropriety) RN to Ben Bradlee, *Meet the Press,* TV program transcript, VI.37, Oct. 7, 1962, p. 10; ("won't answer") int. Frank Waters; ("really for Richard") int. C. Arnholt Smith; (new house) *NYT,* UPI, June 4, 1957; ed. Sevareid, op. cit., pp. 106, 138; *PAT,* p. 168; (mortgage) *MEM,* p. 243; (before selling) ed. Abell, op. cit., p. 384; (foes speculated) Kline to Champion; (Gov. Pat Brown Staff), Feb. 11, 1961, Nitze-Nixon folder, RFK papers, AG's general corr., Box 42, JFKL; (Medical Institute & IRS) Barlett and Steele, op. cit., p. 198; (airplane purchases/TWA) ibid., p. 217–; (concessions to TWA) ed. Miller, *Breaking of a President,* op. cit., Vol. 3, p. 113; Jack Anderson with James Boyd, *Confessions of a Muckraker,* New York: Random House, 1979, p. 329; (TWA president) North-Broome, op. cit., p. 14, *MO,* pp. 573, 746—the president was Charles Thomas; ("curious"/"bargain?") Dietrich, op. cit., p. 285; ("draw your conclusions") *WP,* Feb. 6, 1972; ("not philanthropist") Benjamin Schemmer unpub. ms. provided to author, p. 214; ("In back of mind") *WP,* Dec. 16, 1973; ("damaging") Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 243.

RN/Pat marriage: (Pat titles) Gil Troy, *Affairs of State,* New York: Free Press, 1997, p. 175; (supportive) *PAT,* p. 157; (silly things) *NYT,* Aug. 21, 1956; (clothing) Paul Boller, *Presidential Wives,* New York: Oxford University Press, 1988, p. 404; ("actress") *PAT,* p. 143; ("gadding") *PAT,* p. 162; ("I can think . . .") *NYT,* Aug. 21, 1956; ("serious problem") Ann Whitman diary, Mar. 13, 1956, DDEL; ("terror") Pierpoint, op. cit., p. 186; ("blowing stack") Bryant, op. cit., p. 249; ("temper") Alsop, op. cit., p. 59; ("chewed hell") Wills, op. cit., p. 30; ("one of her moods") JB to Wilma, Sept. 4, 1960, Bassett Collection; ("wasn't speaking") int. Jessamyn West by FB, FBP; ("Dick sent me") Garry Wills in *Esquire,* July 1994; ("They would always") int. James Bassett by FB, FBP; (adopt?) *PAT,* p. 161; (restaurant incident) int. James Bassett by FB, FBP, the date of the incident was probably Nov. 1957; ("Deadass!") ibid.

Frank Nixon death: ("Dear Dad") int. Evlyn Dorn by FB, FBP; (rupture) *PAT,* p. 159; ("I shall always") Nixon, *Arena,* op. cit., p. 91, but see *MEM,* p. 176 for another version; (carpet) int. Nathaniel George by FB, FBP; (pie) ed. Sevareid, op. cit., p. 105; ("I could hear") int. James Bassett by FB, FBP; ("strictly personal") ed. Sevareid, op. cit., p. 106; (Buffalo) *NYT,* Oct. 16, 17, 1956; ("I remember my father") Woodstone, op. cit., p. 42.

Strange RN behavior 1956: ("Get me away") int. James Bassett by FB, FBP, *FB,* p. 425; ed. Sevareid, op. cit., pp. 80, 98; (vomited) int. Herb Klein for BBC/History Channel; (punched in face) Woodstone, op. cit., p. 39; (disoriented) Woodstone, op. cit., p. 39–; (nonexistent crowd) ed. Sevareid, op. cit., p. 97; (Reston) Woodstone, op. cit., p. 40; ("Before gray-colored draperies") Haldeman and DiMona, op. cit., p. 45; (rambling typical) ibid. and int. John Ehrlichman; ("What scares the hell") int. James Bassett by FB, FBP.

Hutschnecker: ints. Dr. Arnold Hutschnecker.

"I have a feeling": RN to Rebozo, Sept. 8, 1956, Series 320, Box 622, Rebozo file, VP, NA.

Biscayne trip: *AMI,* p. 422.

Chapter 15

"Does a man enjoy?": Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. xv.

foreign gifts: *NYT,* UPI, June 4, 1957.

50 plus countries: ed. Sevareid, op. cit., p. 126.

Far East trip: ("What . . . doing?") *AMI,* p. 318; (briefings/meetings) ed. Sevareid, op. cit., p. 123–; *MEM,* p. 120; *AMI,* p. 319; *JA,* p. 228; (RN would recall) *MEM,* p. 134; (Indonesia) ibid., p. 120; (Kuwait gift) int. Joseph Dmhowski; ("vanity") *MEM,* p. 121; (uniforms) Dickerson, op. cit., p. 164; (Nehru/Gandhi) *MEM,* p. 131; *AMI,* p. 325; (cad) Costello, op. cit., p. 250; *AMI,* p. 325; (Khan) *MEM,* pp. 133, 256; ("not printable") Kissinger, *White House Years,* op. cit., pp. 848, 878; (despised) Michael Genovese, *The Nixon Presidency,* New York: Greenwood Press, 1990, p. 157 and see Dickerson, op. cit., p. 164; (1971 "tilt" to Pakistan) research paper

for author by Greg Murphy; (RN considered nuclear weapons) *Time,* July 29, 1985 and see Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 909; (Formosa visit) *MEM,* p. 126; (no recognition) Costello, op. cit., p. 250; ("Someday") James Humes, *Confessions of a White House Ghostwriter,* Washington, D.C.: Regnery, 1997, p. 137; (Shah personal friend) AP, July 5, 1979; (Op. Ajax) Andrew, op. cit., p. 203–; (no consultation) Washington *Spectator,* Oct. 15, 1976; secret House Intelligence Committee report, published in *Village Voice,* Feb. 16, 1976; Wicker, op. cit., p. 663, but see Henry Kissinger, *Years of Renewal,* op. cit., p. 583; (alcoholic) Ball, op. cit., p. 454–; (gifts "missing") *WP,* Aug. 22, 1977; (Marcos contributions) Kutler, op. cit., p. 207; Nathan Miller, *Spying for America,* New York: Paragon House, 1989, p. 385fn, NY *Observer;* (Joe Conason column), Oct. 21, 1996; Russell Howe and Sarah Trott, *The Power Peddlers,* Garden City, NY: Doubleday, 1977, p. 481–, but see Stans, op. cit., p. 371–; ("buying influence") "Insights with Robert Novak," America's Voice—Net cable, May 19, 1998.

RN on dictators: Nick Thimmesh int. in *LAT,* undated, 1978.

"go on . . . offensive": *MO,* p. 629.

Vietnam: (Bao Dai) *MEM,* p. 122; ("outpost of freedom") ibid., p. 124; ("husks") ibid., p. 125; (80 percent costs) Neil Sheehan, *A Bright Shining Lie,* London: Jonathan Cape, 1989, p. 172; (advisers) Manchester, op. cit., p. 918; *MEM,* p. 150; ("The boys") *WP,* June 15, 1997, citing Eisenhower Oval Office recording, Feb. 24, 1955; (RN "if . . . take the risk") Manchester, op. cit., p. 685; Cook, op. cit., p. 7.

European papers: Lurie, op. cit., p. 186; (RN's real view) Apr. 16, 1954 journal entry, James Hagerty Papers, DDEL; *MEM,* p. 152; Nixon Oral History, Feb. 21, 1966, John Foster Dulles Oral History Collection, Princeton University; *AMI,* p. 345; (Bassett) JB to Wilma Bassett, Apr. 16–17, 1954, Bassett Collection; ("own baby") Bassett unpub. ms., p. 89; (Op. Vulture) Dulles to Eisenhower, Apr. 23, 1954, DDEL, Parmet, Eisenhower, op. cit., p. 364; Hoopes, op. cit., p. 210–; ed. Cttee of Concerned Asian Scholars, *The Indochina Story,* New York: Pantheon, 1970, p. 19, Bernard Brodie, *War and Politics,* New York: Macmillan, 1973, p. 144–; (LeMay) *FB,* p. 322; ("Stone Age") Stanley Karnow, *Vietnam,* London: Random House, 1994, p. 48; (Ike "must be crazy") Brendon, op. cit., p. 290; (RN nuclear attitude) Cook, op. cit., p. 7; John Prados to author, Jan. 24, 1997, and see *AMI,* p. 344, *FB,* p. 322; (not necessary to mention) *MEM,* p. 154; ("guts") Bassett unpub. ms., p. 96, entry for Apr. 21, 1954; ("sun . . . shining") ibid., p. 117, on cong. leadership meeting, May 3, 1954; (Zeibert's) ibid., p. 119–, entry for May 5, 1954; (Ike notified France) Ranelagh, op. cit., p. 431; (RN/promote invasion) Cook, op. cit., p. 7; ("folly") ibid.; (JFK sends advisers) Karnow, op. cit., p. 270; (RN long supports war) *AMII,* pp. 43–, 142–; Shawcross, op. cit., p. 85.

Latin American visit: (main sources) Marvin Zahniser and Michael Weis, *Diplomatic History,* Vol. 13, Spring 1989, p. 163–; Mazo, op. cit., p. 206–; (Mazo covered the trip as a reporter), *MEM,* p. 185–; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 183–; Vernon Walters, *Silent Missions,* Garden City, NY: Doubleday, 1978, p. 313; ("weird . . . character") ibid., p. 204; ("unable to wear") RN to Eisenhower, May 12, 1958, Ann Whitman Administrative file 28, DDEL; ("hailed") *MEM,* p. 188; (relations suffered) Zahniser and Weis, op. cit., p. 178; ("splotches") *MEM,* p. 189; ("French Revolution") Manchester, op. cit., p. 831; (RN on Caracas ambush) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 217–; (looked like Eisler) Mazo, op. cit., p. 233; (damage/wounds) ibid.; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 219; Nixon, *Arena,* op. cit., p. 206; Walters, op. cit., p. 330; ("heard attacker") Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 219; (On advice) ibid., p. 220; Walters, op. cit., p. 332; (Pat calm) ibid., p. 333; (Woods) int. Robert Cushman by FB, FBP; *JA,* p. 252; (relaxing) Walters, op. cit., p. 234, Mazo, op. cit., p. 237; (Molotov cocktails) ibid., p. 235; U. E. Baughman, *Secret Service Chief,* New York: Harper, 1962, p. 248–; ("I don't think") ibid., p. 246–; (Esterline) int. Jacob Esterline; (Op. Poor Richard) Manchester, op. cit., p. 833; Zahniser and Weis, op. cit., p. 182; (placards) ibid., p. 184; (Rock and Roll) *LAT,* May 26, 1958 and club papers, corr. files, Series 320, Box 649, VP, NA; (showed courage) int. former Assistant Secretary of State Roy Rubottom, Jr.; Walters, op. cit., p. 337; (RN on Peru) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 198; ("terrible test") ibid., p. 204; (analytical) *FB,* p. 369; ("When someone") ibid.; ("Those who hate you") *MEM,* p. 1089; ("felt . . . urge") Nixon, *Six Crises,* op. cit., pp. 204, 207; ("both barrels") ibid., p. 216; (Hughes) *JA,* p. 253; (RN made no move) *AMI,* p. 473; (defying S.S. rule) Baughman, op. cit., p. 247; ("can't be helped") ibid., p. 248; ("command decision) Alsop, op. cit., p. 75; ("worn out") Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 205; ("wrung-out") Mazo, op. cit., p. 238; ("My reaction") Alsop, op. cit., p. 198; ("avoidable") Baughman, op. cit., p. 249; (Esterline) ints. Jacob Esterline; ("damn nose") James Blight and Peter Kornbluh, *Politics of Illusion,* Boulder, CO: Lynne Rienner, 1998, p. 23; ("political decision") Grose, op. cit., p. 455; ("not qualify") Alsop, op. cit., p. 76; ("self-bamboozlement") *AMI,* p. 482; ("melee") Baughman, op. cit., p. 249–; (San Jose) *MEM,* p. 492–; ed. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 25; ("like Caracas") ibid.

Moscow 1959: (arrival) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 246–; ("hope") ibid., p. 243; (Hungary) *MEM,* p. 181; ("Butcher") ibid., p. 179; ("ready") Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 245; (prepara-

tions) ibid., pp. 235–, 240; (no sleep) ibid., p. 248; ("shit") *MEM*, p. 207, but see Salisbury, op. cit., p. 302; ("Go fuck") Louis and Yazijian, op. cit., p. 93; (Safire) Safire, op. cit., p. 3; (RN/Khrushchev/exhibit) Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 256–; (gesturing) Safire, op. cit., p. 4–; ("remarkably able") Salisbury, op. cit., p. 302–; (RN disgraced self) Michael Beschloss, *Mayday*, New York: Harper & Row, 1986, p. 183, citing ints. Milton Eisenhower and Vladimir Toumanoff and see Safire, op. cit., p. 5; ("businessman") Salisbury, op. cit., p. 174; ("S.O.B.") *FB*, p. 391; (help JFK?) Pilat, op. cit., p. 260; ("stick fist") Bobst, op. cit., p. 274.

Hughes: ("Mr. Thomas") int. Don Hughes; (suggestion) Parmet, op. cit., p. 409; *HD*, p. 397; (record) Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 246; New Orleans *Times-Picayune*, Aug. 8, 1959; (publicity) ibid., Aug. 8, 9, 17, 19, 20, 1959; (Thomas) ibid., Aug. 17, 1959.

PepsiCo: (Pepsi Moscow) int. Donald Kendall; Louis and Yazijian, op. cit., p. 92; Parmet, op. cit., p. 396–; London *Guardian*, undated ?Jan. 1969.

RN foreign policy: ("Tell . . . them") *AMI*, p. 520; ("To me . . . the concept") RN's radio television address from Moscow, Aug. 1, 1959, reprinted in Speeches and Statements of the Vice President of the United States, Richard Nixon in Connection with His Visit to the Soviet Union and Poland, 1959, JFRP; (for home consumption) Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 319.

Guatemala: ("swore to secrecy") Hunt, op. cit., p. 96; (CIA coup) David Wise and Thomas Ross, *The Invisible Government*, New York: Random House, 1964, p. 165; Thomas, op. cit., p. 111; Andrew, *For the President's Eyes Only*, op. cit., p. 206; (Phillips) David Phillips, *The Night Watch*, New York: Atheneum, 1977, p. 50.

Cuba: ("Cuba, Cuba . . .") David Phillips, *The Night Watch*, New York: Atheneum, 1977, p. 86; (1898) ed. Peter Kornbluh, *Bay of Pigs Declassified*, New York: New Press, 1998, p. 267; ("strongest . . . advocate") *Reader's Digest*, Nov. 1964, p. 288.

Chapter 16

"neuralgic": Kissinger, *White House Years*, op. cit., pp. 633, 641.

"Obsession": int. James Schlesinger.

RN and "Bay of Pigs" documents: (HRH) Haldeman and DiMona, op. cit., p. 53; ("distressed") Sept. 18, 1971, WHT, transcribed for author by Dennis Effle, 1997; (four times) June 24, July 1, 2, 27, 1971 cited in *AOP*; ("get started") WHT, Sept. 18, 1971, *supra.*; (Ehrlichman Sept. 18 note) John Ehrlichman handwritten notes, R, Statement of Information, App. III, p. 197; (end of week) *HD*, p. 356; (vast archive) ed. Peter Kornbluh, *Bay of Pigs Declassified*, New York: New Press, 1998, p. 1; (Colonel's report) Thomas Powers, *The Man Who Kept the Secrets*, New York: Pocket, 1979, p. 327—colonel was Jack Hawkins; ("incomplete") *MEM*, p. 515 and see Haldeman and DiMona, op. cit., p. 53.

RN/anti-Kennedy motive: ("chance to indict") Whalen, op. cit., p. 97; (1971 motive) June 24, July 1, 27, Sept. 18, 1971; *AOP*, pp. 4, 7, 34—see esp. RN: "We're going to expose them . . . first things I want [are] the Cuban missile crisis and . . . the Bay of Pigs"; (June 24) *MEM*, p. 513; Ehrlichman, op. cit., p. 325; (1973) WHT, May 14, 1973; *AOP*, p. 494; (Buzhardt) int. Elias Demetracopoulos.

cause of RN concern: ("need") *MEM*, p. 650; ("concern") ed. Strober,*Nixon*, op. cit., p. 50; ("cease/desist") Haldeman and DiMona, op. cit., p. 53; ("to protect") WHT, Sept. 18, 1971, *supra.*; ("what to duck") John Ehrlichman note, Oct. 8, 1971, R, Statement of Info., App. III, p. 202; (JE puzzled) int. John Ehrlichman; π John Ehrlichman note, Sept. 18, 1971, R, *supra.*, p. 198; ("N knew more") Haldeman and DiMona, op. cit., p. 54.

Rebozo letter: Jan. 15, 1955, Rebozo file, VP, NA.

Batista: (books argue) see Mario Lazo, *Dagger in the Heart*, New York: Twin Circle, 1968, pp. 92, 96–; Rufo Lopez Fresquet, *My 14 Months with Castro*, Cleveland, OH: World Publishing, 1966, p. 9–; (murders) Georgie Ann Geyer, *Guerrilla Prince*, Kansas City, MO: Andrews & McMeel, 1993, p. 121; Lacey, op. cit., p. 248; John Dorschner and Roberto Fabricio, *The Winds of December*, New York: Coward, McCann, & Geoghegan, 1980, p. 90; Manchester, op. cit., p. 860—JFK, in his second debate with RN, Oct. 7, 1960, said twenty thousand Cubans were killed under Batista's final seven-year rule, Box 40, FBP; (Lansky deal) Dorschner and Fabricio, op. cit., p. 65–; Sifakis, op. cit., p. 179.

RN Cuba trip: (briefing) notes, Jan. 31, 1955, Series 36, Box 1, VP, NA; (attach) int. Lionel Krisel; (exiles' letter) Feb. 1, 1955, sixty-three signatories, Series 36, Box 1, VP, NA; (visit) *NYT, WP*, Feb. 8, 9, 1955; Havana *Post*, Feb. 7, 10, 1955; Philip Bonsal, *Cuba, Castro, & the United States*, Pittsburgh, PA: University of Pittsburgh Press, 1971, p. 13; (cabinet) Mar. 11, 1955 notes, James Hagerty Papers, DDEL, Arthur Minnick Papers, DDEL; (opening line/reading) Dorschner and Fabricio, op. cit., pp. 67, 159.

1959 Revolution: (fled) ibid., p. 493; ("suitcases") Phillips, op. cit., p. 77; ($17 million) Eisenberg, Dan and Landau, op. cit., p. 256.

"short of war": *Alleged Assassination Plots Involving Foreign Leaders,* Select Cttee. to Study Govt. Ops. with Respect to Intelligence Activities, U.S. Senate, Interim Report, Nov. 20, 1975, p. 1.

casinos: (Castro view) Enrique Meneses, *Fidel Castro,* London: Faber & Faber, 1966, p. 58, citing 1958 int.; (reopen) Lopez-Fresquet, op. cit., p. 88; (jailings) Lacey, op. cit., p. 253; Summers, *Not in Your Lifetime,* New York: Marlowe, 1998, p. 338; U.S. Senate, *Assass. Plots,* op. cit., p. 74n2.

Lansky: (bounty) Geyer, op. cit., p. 297; (tight lipped) Eisenberg, Dan, and Landau, op. cit., p. 259; (Stacher) ibid., p. 258; (CIA benign) Scott, op. cit., p. 338n26; Amb. Earl Smith testimony to Sen. Cttee on Judiciary, 1965, cited in Peter Dale Scott, unpub. ms., Jonathan Marshall Papers; Dorschner and Fabricio, op. cit., pp. 70, 144–; unpub. ms. outline by Ladislas Farago, Box 25, Folder 10, Mugar Library, Boston University, citing arms dealer Sam Cummings; Tony Ulasewicz, *The President's Private Eye,* Westport, CT: Macsam Pub., 1990, p. 74; (Castro concern) int. Andrew St. George, also with Castro in mountains; (FBI) Lacey, op. cit., p. 254.

Pawley: (background) *NYT,* Jan. 8, 1977, Select Cttee. on Assassinations, U.S. House of Reps., X, pp. 83, 138; Gaeton Fonzi, *The Last Investigation,* New York: Thunder's Mouth, 1993; Summers, *Not in Your Lifetime,* op. cit., p. 326; "The Ghosts of November," *Vanity Fair,* Dec. 1994, p. 192; Miami *Herald,* Oct. 3, 1972, Jan. 8, 1977; (dress) Dorschner and Fabricio, op. cit., p. 159; (Trujillo) Warren Hinckle and William Turner, *Deadly Secrets,* New York: Thunder's Mouth, 1981, p. 192; (time to go) Dorschner and Fabricio, op. cit., pp. 29, 152–; (junta plan?) ibid., p. 158; (Pawley/Guatemala) Miami *Herald,* Aug. 22, 1971; ("aggressive action") Report on the Covert Activities of the CIA, (known as Doolittle Report), Sept. 1954, NA and see Hinckle and Turner, op. cit., p. 44; ("Find me man") Miami *Herald,* Jan. 8, 1977; (niece) int. Anita Pawley.

Castro U.S. visit: (astonishes) *Newsweek,* May 4, 1959; (dilemma) Geyer, op. cit., p. 227, Maurice Zeitlin and Robert Scheer, *Cuba, Tragedy in Our Hemisphere,* New York: Grove Press, 1963, p. 81; (C. grumbled) James Blight, Bruce Allyn, and David Welch, *Cuba on the Brink,* New York: Pantheon, 1993, p. 178; (C. refused) Lopez-Fresquet, op. cit., p. 106; (RN claimed) *Reader's Digest,* Nov. 1964; (chandelier) Geyer, op. cit., p. 234; (nervous) RN memo on meeting, Apr. 25, 1959 (full version), as sent to Sen. Mansfield, *Diplomatic History,* Vol. 4, No. 4, Fall 1980, p. 426; ("looked like") *Reader's Digest,* Nov. 1964; ("teenager") Wyden, op. cit., p. 26; (uncle) int. Bob Stephenson, former State Dept. official; (report) RN memo, Apr. 29, 1955, *supra.;* ("S.O.B.") Geyer, op. cit., p. 235; (RN didn't look) int. Constantine Kangles; ("arms around") int. Bob Stephenson; ("going to work") Dean Rusk, *As I Saw It,* New York: Viking, 1991, p. 208; ("Outright Communist") int. Herb Klein, Matthews, op. cit., p. 125; int. Don Hughes; ("dedicated") int. Jack Drown; ("characterized Fidel") *New Republic,* Apr. 23, 1977; int. Ken Bode.

Droller: Lopez-Fresquet, op. cit., p. 110; Bonsal, op. cit., p. 64.

Castro and communism: see esp. Dorschner and Fabricio, op. cit., p. 506; Geyer, op. cit., pp. 187, 284–; Lopez-Fresquet, op. cit., p. 202; (at odds?) ibid., p. 111; Nestor Carbonell, *And the Russians Stayed,* New York: William Morrow, 1989, p. 62; Geyer, op. cit., p. 236–; (U.S. tool?/diplomat) eds. Blight and Kornbluh, op. cit., p. 36–; citing former Soviet Cuba specialist Oleg Daroussenkov; (anti-American) Carbonell, op. cit., p. 62, Geyer, op. cit., pp. 44, 181, 191; ("We will check") Grose, op. cit., p. 467.

Castro seizes U.S. business: Dorschner and Fabricio, op. cit., p. 150.

"find dramatic things": memo of NSC meeting 429, Dec. 16, 1959, cited at Newman, op. cit., p. 118–.

Nixon role: Robert Keith Gray, *Eighteen Acres Under Glass,* Garden City, NY: Doubleday, 1961, p. 278; ("deputy"/& NSC) RN int.; *U.S. News & World Report,* May 16, 1960; (briefing) Peter Wyden notes of int. Robert Cushman, supplied to author; ("apt pupil"/"friend") Corson, op. cit., p. 36 and see Mosley, op. cit., p. 394; ("didn't see fit") int. Marion Boggs.

Dulles Dec. 16: Newman, op. cit., p. 120.

listening to Pawley: Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 652—RN dined with Pawley Dec. 15; CIA memo, Cuban political matters, Dec. 16, 1959, CIA release 1993, NA.

King "recommended actions": U.S. Senate, *Assassination Plots,* op. cit., p. 92.

euphemisms: ibid., pp. 64, 93.

Cuba covert war: (March decision) ed. John Glennon, *Foreign Relations of the United* States, Vol. VI, Cuba, Washington, D.C.: U.S. Gov. Printing Office, 1991, Mar. 16, 17, p. 850–; (Pluto) John Prados, *The Presidents' Secret Wars,* New York: William Morrow, 1986, p. 178–; (AM/THUG) Thomas, *The Very Best Men,* op. cit., p. 206; ("pressure") int. Thomas McCoy and see schedule Newman, op. cit., p. 125; (Ike admonition) ed. John Glennon, op. cit., p. 861; (confided in four) San Diego *Union,* Mar. 25, 1962; ("trump card") Wyden, op. cit., p. 68; (Klein 1997) ints. Herb Klein.

RN prime mover?: (myth) *AMI*, p. 550; Thomas, *The Very Best Men*, op. cit., p. 208n; ("by no stretch") ibid.; (Pfeiffer noted) Pfeiffer to FB, Mar. 1, 1978, FBP; ("father") Bonsal, op. cit., pp. 174, 196; (Smith) Joseph B. Smith, *Portrait of a Cold Warrior*, New York: Putnam, 1976, p. 325; (CIA/Costa Rica) Howard Hunt, *Give Us This Day*, New Rochelle, NY: Arlington House, 1973, pp. 23, 29–; (Figueres) *New Republic*, Apr. 23, 1977; (Halpern) int. Sam Halpern by Gus Russo supplied to author; (Haig) int. Alexander Haig by Gus Russo supplied to author; ("monitor") Jacob Esterline, int. for CIA history by Jack Pfeiffer, Nov. 1975, transcript obtained by author and ints. Esterline; (luncheon) Howard Hunt, *Give Us This Day*, op. cit., p. 39; ("chief architect") Hunt testimony, Inquiry into the Alleged Involvement of the CIA in the Watergate and Ellsberg Matters, Special Subcttee. on Intelligence, House Cttee. on Armed Services, 94th Cong., 1st Sess., p. 500, and Hunt, *Undercover*, op. cit., p. 131; ("How the hell") Wyden notes of int. Robert Cushman supplied to author; (Ike's caution) ed. Glennon, op. cit., p. 1060; ("What's hurry?") Grose, op. cit., p. 514; (Cushman/pressure) int. Robert Cushman by FB, FBP; (CIA frustration) int. Jack Pfeiffer by FB, FBP; Thomas, *The Very Best Men*, op. cit., p. 384n13; Hunt, *Give Us this Day*, op. cit., pp. 28, 40, 43; (Ike/Pawley) ed. Glennon, op. cit., pp. 789, 1128, 1130–.

Kohly: (background) petition for writ of certiorari, U.S. Court of Appeals, by William Grosh and Mario Garcia Kohly, Oct. 16, 1964, No. 1061, p. 4, Kohly bio. notes in files of Assassination Archive and Research Center, Washington, D.C.; Marshall Diggs to RN, Dec. 9, 1966, Robert Morrow Papers, supplied by John Williams, University of Wisconsin-Stout; (Flemming) Thomas, *The Very Best Men*, op. cit., p. 207; ("Sucker") ed. Glennon, op. cit., p. 950–; (Rebozo/Kohly) int. Gerry Hemming; Kohly's son confirmed in 1996 that Hemming worked with the Kohlys; ("hated") Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 641; (in touch within months) int. Dr. Mario Garcia Kohly, Jr.; (Brewster investigated) Mitchell, op. cit., p. 53; (Diggs) RN/Diggs corr. 1953, 1960, VP, NA; (RN/Kohly met) Kohly Writ, *supra.*, pp. 353, 358, 398–, 675 and Diggs/RN corr, July 29, Sept. 3, 1960, VP, NA; int. Barrett Prettyman—former U.S. assistant attorney general; (counterfeiting) int. attorney James Cardiello, Kohly writ, *supra.*; Hinkle and Turner, op. cit., p. 197–; Arthur Schlesinger, *Robert Kennedy and His Times*, New York: Houghton Mifflin, 1978, p. 487n.; (discuss with Pawley) Peter Wyden notes of Robert Cushman int. supplied to author; (CIA/RN disagreement) FB notes of int. CIA historian Jack Pfeiffer, FBP; (RN ensured) int. Robert Thornton, former junior associate at Nixon, Mudge, Rose, Guthrie and Alexander; (wrote to judge) RN to U.S. District Judge Edward Weinfeld, Mar. 9, 1965, reprinted in full in *First Hand Knowledge*, by Robert Morrow, op. cit., p. 357; ints. Mario Garcia Kohly, Jr.; James Cardiello and Schlesinger, op. cit., p. 487n.; ("medal") int. Robert Thornton; (RN suggested jumping bail) transcript Edward Von Rothkirch; int. conducted for Rep. Thomas Downing, in Morrow, *First Hand Knowledge*, op. cit., p. 281; (RN sanction of killings?) Mario Garcia Kohly affidavit, July 15, 1975, Robert Morrow Papers, *supra.*, and see reproduced in Morrow, *First Hand Knowledge*, op. cit., p. 364, and see Schlesinger, op. cit., p. 487n.; ints. Mario Kohly, Jr.

Chapter 17

"The determination to kill": Harry Rositzke, *The CIA's Secret Operations*, New York: Reader's Digest Press, 1977, p. 200.

CIA assassinations: ("nail Jell-O") Wise, *American Police State*, op. cit., p. 214; (Lumumba/Trujillo/Castro summary) U.S. Sen. *Assass. Plots*, op. cit., p. 4–; ("Eisenhower's view") int. Marion Boggs; ("never without approval") Allen Dulles in *The Craft of Intelligence* cited at *FB*, p. 393; (other CIA officials) see Wise, *American Police State*, op. cit., p. 225, and ed. Weber, op. cit., p. 299, citing Richard Helms and Rositzke, op. cit., pp. 190, 238; (Sen. Cttee concluded) U.S. Sen., *Assass. Plots*, op. cit., p. 109; (Bissell/authorization) ibid., p. 110, transcript of int. Richard Bissell by CIA historian Jack Pfeiffer, p. 16–; ("Didn't inquire") int. Richard Bissell by Jan Weininger, supplied to author, and see *World Intelligence Review*, Nov./Dec. 1996, p. 3; Thomas, *The Very Best Men*, op. cit., pp. 27, 208n, 234–; (nod/wink) U.S. Sen., *Assass. Plots*, op. cit., pp. 111, 117, 148; ("I think we all") ibid., p. 148; ("almost everybody") *Newsweek*, Oct. 2, 1978, p. 62.

RN/assassination role?: (RN/Sen. Cttee. negotiations) UPI, July; *NYT*, Nov. 26, 1975; *This World*, Mar. 21, 1976; ("compromise") int. Joe Dennin; (Hart) int. Gary Hart; ("pernicious") *This World*, Mar. 21, 1976; (RN responses on assass.) in *Supplementary Detailed Staff Reports on Foreign and Military Intelligence*, U.S. Sen. Select Cttee. to Study Gov. Ops. With Respect to Intelligence Activities, 94th Cong., 2nd sess. FR, Vol. IV, pp. 143, 157–; ("I was amazed") *Newsweek*, May 19, 1986; (Brodie re: Jan. '60) FB handwritten notes of Pfeiffer briefing, Feb. 27, 1978, FBP; (RN briefing/goon squads) Thomas, *The Very Best Men*, op. cit., p. 208n, re: Mar. 2, 1960 CIA briefing of RN by Bissell; (Pawley/"somebody") Jacob Esterline int. by CIA historian Pfeiffer, transcript p. 22 and see memo re. Esterline/Pawley contact, Mar. 30, 1960, CIA 1994 release, NA.

bizarre plots: (Flemming) Thomas, *The Very Best Men,* op. cit., p. 207; (fatuous schemes) ibid., p. 208n; CIA inspector general, *Report on Plots to Assassinate Fidel Castro,* 1967; (Montecristo) int. Constantine Kangles; (in-house history) Thomas, *The Very Best Men,* op. cit., p. 208n; (Medical Services Dr.) CIA I.G., *Report on Plots, supra.,* p. 12; U.S. Sen., *Assass. Plots,* op. cit., p. 73.

Hunt in April: ("Assassinate Castro") Hunt, *Give Us This Day,* op. cit., 38; (denied) ibid. and letter to Robbyn Swan Summers, Jan. 22, 1996; (Colson) *Argosy,* Mar. 1976; (Putnam memo) CIA counsel John Warner to WSPF Chief Counsel Jaworski, Apr. 9, 1974 enclosing Mar. 29 letter and attachment from Alfred Ulmer to CIA Director William Colby, released to NA by CIA 1994.

CIA file Pawley: (contact's offer) July 13, 1960 message to director, released 1993, NA; ("I'm in touch") Pawley to RN, July 18, 1960, VP, NA, cited at Michael Beschloss, *The Crisis Years,* New York: Edward Burlingame, 1991, p. 136 and see Howard Hunt testimony to House Select Cttee. on Assassinations, Nov. 3, 1978, transcript, part 2, p. 39—Hunt was in touch with Pawley.

accident plot: (CIA manual) "A Study of Assassination from CIA Manual Distributed at Time of 1954 Guatemala Coup," released 1977 and reprinted in *Harper's* magazine, Aug. 1977, p. 22; ("accident" cables) U.S. Sen, *Assass. Plots,* Interim Report, op. cit. p. 73; (King/Barnes) ibid. and Thomas, *The Very Best Men,* op. cit., p. 209–; (Esterline knew) ibid.

Marita Lorenz: (Rorke) NY *Daily News,* Apr. 20, 1975, June 13, 1976, partial transcript of int. Lorenz by Senate Intelligence Cttee. investigator Gaeton Fonzi, Feb. 3, 1976, unnumbered release, p. 9–; NA, Marita Lorenz with Ted Schwarz, *Marita,* New York: Thunder's Mouth, 1993; (Rorke/Pawley) Fonzi. op. cit., p. 88 and Newman, op. cit., p. 109 and see *Vanity Fair,* Nov. 1993—except where indicated the above are main cites for Lorenz episode; ("right with God") Lorenz and Schwarz, op. cit., p. 46; (Sturgis background) authoritatively in Fonzi, op. cit.; (CIA backed?) "NY *Daily News,* June 13, 1976; (Sturgis on plot) ibid. and Fonzi, op. cit., p. 89; (Hoover warned) Hoover to DCI, Oct. 18, 1960, cited at U.S. Sen., *Assass. Plots,* Interim Report, op. cit., p. 79; (Cobb) Newman, op. cit., pp. 106, 545–; (surveillance re. Lorenz/Rorke) ibid., p. 108—CIA memo for record, Feb. 21, 1975, CIA release 1994, Folder 30, NA, confirms Cobb worked for Castro and was "of operational interest" to CIA and surveilled from June 1960. Her Office of Security No. was 216 264; (RN office routing) Newman, op. cit., p. 108, citing June 6, 1960 document in Cobb 201 file, featuring name of Nixon military aide Robert Cushman; (Cobb aide to Orta) ibid., p. 547n63, conv. John Newman.

CIA-Mafia plots: (Dulles knowledge/authorization) U.S. Sen., *Asass. Plots,* Interim Report, op. cit., p. 91–; testimony of Richard Helms, Select Cttee. On Assass., Box 2, #14719, NA, but see "Castro, Plans to Assassinate" refs. in Grose, op. cit.; (CIA-Mafia efforts) U.S. Sen., *Assass. Plots,* Interim Report, op. cit., p. 74–; I.G. report on plots, *supra.,* (Gambling Syndicate), p. 14– and see Hinkle and Turner, op. cit., p. 76–.

Varona: (and Hunt) Hunt, *Give Us This Day,* op. cit., e.g. p. 44–; (Varona/key officer/Pawley) Pawley to Assistant Secretary of State Thomas Mann, Mar. 3, 1961; Sheffield Edwards to DCI, Dec. 22, 1959, CIA releases 1993–94, NA; (Varona/Lansky) Select Cttee. on Assass., Staff Report, U.S. House of Reps.,Vol. X, p. 171—former Cong. investigator Michael Ewing indentified "Cuban exile leader" referred to on this page as Varona (corr. with author).

Rothman/CIA: ibid., p. 183; NY *Daily News,* Apr. 23, 1975; list of State Department material on Rothman, HSCA release, 1994, NA and CIA memo for the record on Rothman, Apr. 25, 1973, released 1993, NA.

semicoded exchanges: Beschloss, op. cit., p. 136.

Diggs/Pulley: ("in close contact") Diggs to RN, July 29, 1960, Diggs corr. file, VP, NA; (RN reply) RN to Diggs, Sept. 3, 1960, Diggs corr. file, VP, NA; (Diggs's secretary) Sallie Mullin to Gen. Cushman, Aug. 1, 1960, Diggs corr. file, VP, NA; (empty envelopes) Brewster Papers, Bowdoin College, Brunswick, ME; (Pulley Trafficante liaison?) ints. late Robert Morrow; Morrow, *First Hand Knowledge,* op. cit., p. 41; Robert Morrow, *The Senator Must Die,* Santa Monica, CA: Roundtable, 1988, pp. 49, 178—as reported in this chapter, Morrow was arrested for counterfeiting with Mario Garcia Kohly; (date Mafia plots start) U.S. Sen., Assass. Plots, Interim Report, op. cit., p. 74.

Maheu: (W. C. Fields) Schorr, op. cit., p. 159; (Maheu role) ints. Robert Maheu; Maheu and Hack, op. cit., p. 108–; I.G. *Report on Plots, supra.,* pp. 15–, 35, 57–; (told Hughes) U.S. Sen., *Assass. Plots,* Interim Report, op. cit., p. 72, Drosnin, op. cit., p. 271; (Hughes/other operations) Peter Dale Scott, "Watergate, Cuba, & the China-Vietnam Lobby," unpub. ms., p. 19, citing Miami *Herald* and *SF Chronicle* on Hughes's use of Caribbean islet Cay Sal and Higham, op. cit., p. 247; ("good idea") Drosnin, op. cit., p. 250.

King: (since war) int. Robert King; Kornitzer, op. cit., p. 150; (counterintelligence) docs. in King corr. files, Series 320, Box 411, File 1, VP, NA; (lobbied) King to RN, Dec. 4, 1952, ibid.; ("protection") FB, p. 338 citing *NYT;* (aide '56) FBI Grapevine, Nov. 1956; ("alter ego") Beschloss,

op. cit., p. 136, citing VP; (King/Rebozo) e.g., King/Rebozo corr., Mar. 25, 27, 1957, VP, NA; (left RN office) UPI, Oct. 9, 1959, showing move from Winter Olympics post and Maheu/King partnership announcement, VP, NA; (King/'60) Maheu and Hack, op. cit., p. 84.

Onassis: (Eisenhower) memo on NSC meeting, July 2, 1954, DDEL; (anti-Onassis op.) Maheu and Hack, op. cit., p. 41–; Hougan, op. cit., p. 281–; Hougan article in *Playboy,* Sept. 1978, CIA I.G., *Report on Plots, supra.*, p. 72; ints. Robert Maheu, Kevin Gerrity, Jean Connor, conv. Michael Ewing; (RN on killing Onassis) int. Robert Maheu, Maheu and Hack, op. cit., p. 45, also Maheu int. in "Aristotle Onassis: The Golden Greek," Reputations, BBC-TV 1994; ("sounded tough") int. Robert Maheu.

"draw a blank": int. Robert King, conv. Michael Ewing re. his King int.

"no reason": ints. Robert Maheu.

"one of the last": Maheu and Hack, op. cit., p. 131.

Salinger: int. Pierre Salinger; (knew Maheu) Drosnin, op. cit., p. 271.

1971 sequence re. "Bay of Pigs: (Lenzner/Lackritz role) int. Terry Lenzner, Lenzner/Lackritz memo to Sen. Ervin, date obscured, Feb. 1974, subject "Relevance to S. Res. 60 of John Roselli's testimony about his CIA activities," Box 441-3, JFK Collection, HSCA, Record Grp. 233, NA; (Anderson) syndicated articles, Jan. 18, 19, 1971 reproduced at Exhibits 2, 3, E, Bk. 21, p. 9911–; (Mitchell/Maheu call) chronology attached to Lenzner/Lackritz/Sen. Ervin memo, *supra.*, and Maheu and Hack, op. cit., p. 126; (Maheu/Vegas prosecution) ibid.; (Mitchell "shaking") conv. Michael Ewing, citing Maheu; (Maheu/Justice Dept. officials) Lenzner/Lackritz memo, *supra.*, Maheu and Hack, op. cit., p. 126; (Wilson) int. Terry Lenzner; (Caulfield background) *NM*, p. 13–; (Caulfield memos) Caulfield to John Dean, Jan. 22, 25, Feb. 1, 1971, E, Bk 21, p. 9748–; (Caulfield conceded) ibid. p. 9723; (Lenzner/Lackritz asked CIA) int. Lenzner, CIA memo for record, Mar. 14, 1974, and [name censored] to director of security, Aug. 20, 1975, CIA release May 1989; (Ervin blocked) int. Terry Lenzner and subpoena request in Lenzner/Lackritz/Ervin memo, *supra.*; ("duck"/"protect") see p. 177.

"Bay of Pigs" = Kennedy Assassination?: (Haldeman) Haldeman and DiMona, op. cit., p. 68.

"fixation"/"Not rational": Salisbury, op. cit., p. 306.

Chapter 18

"I felt crushed": ed. William Buckley, *Odyssey of a Friend: Whittaker Chambers' Letters to William Buckley, 1952–1961,* Washington, D.C.: Regnery, 1987, p. 287.

RN and JFK: (meeting) Matthews, op. cit., p. 44—a key source for the relationship; ("bookends") *MEM,* p. 42; (Pennsylvania) ibid., Matthews, op. cit., p. 51; (reminisced) *JA,* p. 136; ("genuine") Matthews, op. cit., p. 17; (began meeting) *JA,* p. 135; (books) ibid., p. 136; (shy) ibid., p. 135 and *MEM,* p. 43; (Paris women) *JA,* p. 136; ('50 donation) *MEM,* p. 75; Arnold, op. cit., p. 14, but see suggestion donation much larger at O'Neill, op. cit., p. 81; (denial) Detroit *Free Press,* July 13, 1960; ("mistake") Douglas, op. cit., p. 325, citing *Look's* John Cowles and Judge Charles Wyzanski; (fast friends) Arnold, op. cit., p. 6; ("good luck") *MEM,* p. 91; (RN sponsoring) Matthews, op. cit., p. 91; (wedding) ibid., p. 93; (offices) Ralph Martin, *A Hero for Our Time,* New York: Macmillan, 1983, p. 221.

JFK on RN: ("enormous ability") Peter Lisagor int. April 1966, JFK Oral History Program, JFKL; (Smathers) int. George Smathers, JFK Oral History Program, July 1964, JFKL; ("split personality") Martin, op. cit., p. 221–.

RN re. JFK: (Reardon) Matthews, op. cit., p. 65; (snake charmer) *TW60,* p. 298; ("Poor Jack") Agent Rex Scouten, citing RN; *JA,* p. 137; (fruit) Mathews, op. cit., p. 102; (suite) *JA,* p. 137; ("admired") Matthews, op. cit., p. 100; ("liked") int. Jack Drown; ("loved him") int. Edward Nixon.

RN to run?: ("powers that be") ed. Abell, op. cit., p. 403; (Chandler meeting) int. Paul Ziffren by FB, FBP—citing Buff Chandler; (Pat miles) *NYT,* July 27, 1960; (Cronin) UPI, undated, 1974, Robert Hartmann Papers, Gerald R. Ford Library.

Convention: (mother's ints.) Kornitzer, op. cit., p. 88, int. Evlyn Dorn by FB, FBP; (sat like bird) Ehrlichman, op. cit., p. 147; (no sleep) *JA,* p. 271; (Overture) Len Hall, cited in FB int. John Lindsay, FBP; (acceptance speech) *TW60,* p. 206–; (JFK acceptance) ibid., p. 177; (O'Neill) cited in Matthews, op. cit., p. 127; (Hillings) ibid., p. 126; ("worried") *PAT,* p. 188; (opium) NY Daily *News,* July 29, 1960.

campaign: (small towns) *TW60,* p. 277–; *Saturday Evening Post,* Nov. 5, 1960; (Reston) Thimmesch, op. cit., p. 80; (RN weight) John Tower, *Consequences*, Boston: Little, Brown, 1991, p. 16; (Pat press-ganged) *PAT,* p. 189; (Pat thin/tired) *Saturday Evening Post,* Nov. 5, 1960, Jim Bassett letter to wife, Wilma, Sept. 25, 1960, Bassett Papers, *TW60,* pp. 302, 307; (Jackie) Herbert Parmet, *Jack: The Struggles of John F. Kennedy,* New York: Dial Press, 1980, p. 438; Martin, op. cit., p. 207–; ("No ease") Salisbury, op. cit., p. 304; (RN/hecklers) Klein, op. cit., p. 97, int. Herb Klein; (JFK never lost) *TW60,* p. 301; ("blew stack") ed. Sevareid, op. cit., p. 81; ("firey") Chicago *Sunday Tribune,* Nov. 6, 1960; (Sherwood) Troy, op. cit., p. 177;

(kick seat) Haldeman and DiMona, op. cit., p. 75; int. Don Hughes; (RN in plane) *Readers' Digest,* May 1975, p. 238-, Robert Finch Oral History, Columbia University; (pride/old age) Crowley, *Nixon Off the Record,* op. cit., p. 11; (wasteful?) e.g., Robert Finch Oral History, *supra.;* ("clerks") *TW60,* p. 314; (Plans Board) ibid., p. 264 and see Garment, op. cit., p. 116; (horse and jockey) int. James Bassett by FB, FBP; (Alaska) *TW60,* pp. 262, 267; Klein, op. cit., p. 25; *PAT,* p. 191; ("Dick has painted") James Bassett to wife, Wilma, Oct. 3, 1960, Bassett Papers; (Bassett/tempers) int. Cynthia Bassett; ("scarey isn't it?") James Bassett to Wilma, Nov. 2, 1960, Bassett Papers.

prelude to first debate: (law change) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 323; Klein, op. cit., p. 102; (JFK accepted) int. Pierre Salinger; Salinger, op. cit., p. 83; int. Leonard Reinsch, JFK Oral History Program, JFKL, p. 13; ("one way") Richard Goodwin, *Remembering America,* Boston: Little, Brown, p. 112; (why resist) Martin, op. cit., p. 222; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 323, Gray, op. cit., p. 316–; ("no debates!") int. Len Hall by FB, FBP; Klein, op. cit., p. 102–; (RN announced) ibid., p. 103, James Bassett to Wilma, Oct. 24, 1960, Bassett Papers; (Hall asked) int. Len Hall by FB, FBP; ("I can take") Reinsch Oral History, *supra.,* p. 10; ("I'll murder") Goodwin, op. cit., p. 112; ("might clobber") James Bassett to Wilma, Oct. 24, 1960, Bassett Papers; (make "conditions") int. James Bassett by FB, FBP; ("Make sure") Reinsch Oral History, *supra.,* p. 15; (haggling) ibid., p. 14–; Klein, op. cit., p. 103; *TW60,* p. 282; (Secret Service) Baughman, op. cit., p. 249–, citing agent's report; (injury) ibid. and RN on *Tonight* show, NBC-TV, Aug. 26, 1960, transcript in final report of U.S. Sen. Cttee. on Commerce, Subcttee on Communications, Dec. 11, 1961, Part 3, p. 10; (hospital) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 326.

Ike remark: ("If you give") Aug. 24, 1960 press conf. transcript, *Public Papers of the Presidents,* Washington, D.C.: U.S. Govt. Printing Office, 1961, p. 268–; (apologize) Wicker, op. cit., p. 225; *PAT,* p. 192; ("lack of warmth") Ann Whitman Diary, Aug. 30, 1960, DDEL; (did endorse) Eisenhower statement, Oct. 17, 1960, JFRP; ("tough S.O.B.") Crowley, *Nixon Off the Record,* op. cit., p. 15; ("godammit") *Newsweek,* Oct. 9, 1961 and see Wicker, op. cit., p. 242, citing William Ewald and Leonard Hall.

RN after hospital: (marathon) *PAT,* p. 190–; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 330; (fever) ibid., p. 331; ("pills/liquor") Ehrlichman, op. cit., p. 21, but see *PAT,* p. 192; (coma) *JA,* p. 288; (blood pressure?) ed. Sevareid, op. cit., p. 75; (denial) *Congressional Quarterly,* Aug. 12, 1960, p. 1395.

first debate: (70 million) *TW60,* op. cit., pp. 283–87; (JFK preparations) ibid., p. 283–; (prostitute) C. David Heymann, *A Woman Called Jackie,* New York: Birch Lane Press, 1994, p. 242 citing longtime aide Langdon Marvin, who says JFK had him arrange for the prostitute; (RN studied?) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 337; ("totally refused") Robert Finch cited in Matthews, op. cit., p. 147; ("didn't look") int. James Bassett by FB, FBP, Klein, op. cit., p. 105; (Rogers) Matthews, op. cit., p. 147; (reject make up) Klein, op. cit., p. 105; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 338; *TW60,* p. 285; (banged knee) Chicago *Sun-Times,* April 24, 1994, Matthews, op. cit., p. 148, citing Klein int.; (Hewitt) ibid.; (clothes hanging) David Halberstam, *The Fifties,* New York: Villard Books, 1993, p. 731; Klein, op. cit., p. 105; (lost 10 lbs.) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 341; (face/suit) ibid.; int. Leonard Reinsch, JFK Oral History Program, JFKL, p. 60; (make up offer) Matthews, op. cit., p. 149; (JFK powder) Goodwin, op. cit., p. 115 and see Halberstam, *The Fifties,* op. cit., p. 731; (Lazy Shave) Klein, op. cit., p. 105; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 338; ("You look great") David Halberstam, *The Unfinished Odyssey of Robert Kennedy,* London: Barrie & Jenkins, 1968, p. 181–; Martin, op. cit., p. 222; ("nearly blinded") int./corr. Leonard Miall, former BBC head of television talks; ("macho") Klein, op. cit., p. 105, Matthews, op. cit., p. 149; (JFK fazed) ibid., p. 148–; ("spraddled") int. Edward Morgan, JFK Oral History Program, JFKL, p. 15; ("drooping") *TW60,* p. 289; ("A man severed") Goodwin, op. cit., p. 115; (Daley) cited by Rep. Roman Puchinski in eds. Strober, *Kennedy,* op. cit., p. 31; (Copley) San Diego *Reader,* July 28, 1994; (Woods/Hannah) *PAT,* p. 341; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 340; (Pat) *Newsweek,* Oct. 17, 1960 and see *PAT,* p. 191; (RN seemed to think) Klein, op. cit., p. 106 and int. Len Hall by FB, FBP; (aides/"all right") Goodwin, op. cit., p. 115; ("I know I can") Matthews, op. cit., p. 155; (radio v. TV) *TW60,* p. 290, Edward Morgan Oral History, *supra.,* p. 16; PAT, p. 192; (Gallup) *TW60,* p. 294; (Baker) Halberstam, *The Fifties,* op. cit., p. 732; (JFK crowds) *TW60,* p. 291, Goodwin, op. cit., p. 116; (good make up) *TW60,* p. 289; (milk shakes) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 341; (Lodge) int. Murray Frampson (CBS) by FB, FBP.

dirty tricks: (Tuck) An Evening with Dick Tuck, broadcast tape, available at Library of Congress, Halberstam, *Odyssey,* op. cit., p. 71; Orrin Klapp, *Symbolic Leaders,* Chicago: Aldine, 1964, p. 207; ("no sleaze") int. Pierre Salinger; (2nd debate) Salinger, op. cit., p. 84, Leonard Reinsch Oral History, *supra.,* p. 18; (New Nixon?) *Democratic Digest,* Nov./Dec. 1960; (not "alley fighter") *TW60,* p. 303; (Ehrlichman) Ehrlichman, op. cit., pp. 6, 30; ("most ruthless") *MEM,* p. 225.

religious issue: ("dirtiest trick") Lasky, op. cit., p. 37; (Catholic issue) *TW60*, p. 237–; (RN proud) Nixon, *Six Crises*, op. cit., pp. 307, 364, 367–; *JA*, p. 280; (Kennedys "repeatedly") *MEM*, p. 226; (hate mail) Lasky, op. cit., pp. 35, 45; *MEM*, p. 775; (anon. calls) J. W. Sorrells to Gov. Brown (CA), Nov. 3, 1960, Box 434, DPP; (Peale) Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 327–; Billy Graham, *Just As I Am*, San Francisco: Harper, 1973, p. 391–; (Graham) ibid., pp. 390–, 442–; Salinger, op. cit., p. 75; Frady, op. cit., p. 438–; *Esquire*, Apr. 10, 1979; ("I wonder") Graham, op. cit., p. 442.

bedroom dirt: (Rebozo parties) int. Lloyd Cutler, eds. Strober, *Kennedy*, op. cit., p. 30; ("I knew . . .") Crowley, *Nixon Off the Record*, op. cit., p. 33; (request to Hoover) Jack Anderson int. in *Star*, Mar. 23, 1976—referring to aide Luther Huston; int. Ann Noble Huston; (Hoover complied) ibid., Sullivan, op. cit., p. 48; (political research) Summers, *Official & Confidential*, op. cit., p. 262; (secret marriage) ibid., p. 292; Hersh, op. cit., Durie Malcolm refs.; (busy sex life) Summers, *Official & Confidential*, op. cit., p. 264–; (Raab) Hersh, op. cit., p. 120n; (Hall/other marriage) notes on "first marriage," Ladislas Farago Papers, Mugar Library, Boston University; ("counter-productive") San Francisco *Examiner*, (review of TV show *Richard Nixon Reflects*), May 4, 1990; (Hoover/Goldwater) Ladislas Farago Papers, *supra.*; (women vote) Laurence Leamer, *The Kennedy Women*, London: Transworld: 1994, p. 509.

burglaries: (doctors' offices) Beschloss, op. cit., p. 187; Lasky, op. cit., p. 37; (RN office raid) Humes, op. cit., p. 133.

Democratic **bugging:** (Bush) statement by Hon. George Bush, Box 120, Korff Papers, Brown University; (detectives) reports on and affidavits of John Frank, Oliver Angelone, Edward M. Jones, John Leon, Joseph Shimon, June/July 1973, Box 120, Korff Papers, Brown University; int. Oliver Angelone; Lasky, op. cit., p. 46–; Jim Hougan, *Secret Agenda*, New York: Random House, 1984, p. 310; (subcommittee) ibid., p. 311n10; (RN "convinced") Kissinger, *Years of Upheaval*, op. cit., p. 1182; ("victimized") Crowley, *Winter*, op. cit., p. 314; (RFK "worst") Crowley, *Nixon Off the Record*, op. cit., p. 32.

JFK/RN and Mafia: (Kennedy/Mafia) Summers, *Official & Confidential*, op. cit., pp. 261, 268–; NY *Daily News*, Oct. 6, 7, 8, 1991 (series by author); Hersh, op. cit., Ch. 10; (RN/Cuba informant) int. Jack Clarke; (JFK compromised) Thelma Lansky (widow) int. *60 Minutes*, June 25, 1989, CBS transcript; (Trafficante) Frank Ragano and Selwyn Raab, *Mob Lawyer*, New York: Charles Scribner's, 1994, p. 84; int. Frank Ragano; ("we'll contribute") Sam & Chuck Giancana, op. cit., p. 286–; (Marcello bribe) int./corr. Michael Ewing, Dan Moldea, *The Hoffa Wars*, New York: Paddington Press, 1978, pp. 108, 260; (Hunter) Mollenhoff memo for files, Jan. 22, 1970, Box 74, Folder 10, Mollenhoff papers, Gerald R. Ford Library, Sheridan, op. cit., pp. 140, 156, 165–; *WP*, Jan. 5, 1961; (Hoffa on JFK) ibid., pp. 143, 146, 151, 157–; ("be assured") Cushman to Mrs. Ernest Wild, Oct. 24, 1960, Hoffa folder, VP, NA; (indictment stopped) Sheridan, op. cit., pp. 5, 158; (reactivated) ibid., p. 159; ("remained unpaid") ibid., p. 5.

Hughes loan in '60: (main sources) *The Reporter*, Aug. 16, 1962; James Phelan article, Schemmer, unpub. ms., op. cit., p. 216–; Maheu, op. cit., p. 83–; int. Robert Maheu; (RN panicked) int. Noah Dietrich, Higham Collection, Mary Norton Clapp Library, Occidental College; (RN decision) Klein, op. cit., p. 415; int. Herb Klein; ("sucker") *The Reporter*, Aug. 16, 1962; NY *Post*, Nov. 1, 1960, Gladwin Hill, *Dancing Bear*, New York: World Publishing, 1968, p. 175; (Pearson provoked) articles Oct. 25, 27, 1960, Box G281, DPP; (Don N.) Oct. 30, 1960 statement, File 804, Box 104, WSPF, NA; (accountant re. decisions) NY *Post*, Nov. 1, 1960; (RN on effect) Haldeman and DiMona, op. cit., p. 45, Drosnin, op. cit., p. 519–, citing Rebozo Watergate testimony (RFK too) *NYT*, Nov. 13, 1960 and see Maheu, op. cit., p. 85.

"filthy lying": Goodwin, op. cit., p. 105.

election day: (surge/ebb) Arthur Schlesinger, *A Thousand Days*, Boston: Houghton\Mifflin, 1965, p. 74; (Gallup/Cone) *Time*, Oct. 31, 1960; (Election Day) *Time*, undated on election; *JA*, p. 288–; *Good Housekeeping*, Mar. 1962; Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 377–; (Chotiner/Rebozo) ibid., p. 393; *Life*, July 31, 1970; Klein, op. cit., p. 36; (never conceded) Leonard Reinsch Oral History, *supra.*, p. 29; Nixon, *Six Crises*, op. cit., p. 390; *TW60*, p. 24; (Pat grief) ibid., *NYT*, Sept. 13, 1970; (bony arm) FB to Paul Ziffren, recounting Wilma Bassett int., in Ziffren int, FBP and *FB*, p. 432–; (RN prowled) ibid, citing James Bassett; (election result) *TW60*, pp. 350, 386.

Vote fraud?: (Illinois) Earl Mazo and Stephen Hess, *President Nixon*, London: MacDonald, 1968, p. 242–; *Look*, Feb. 14, 1961; ("With . . . help") Benjamin Bradlee, *Conversations with Kennedy*, New York: Pocket, 1976, p. 33; ("mafiosi" role documented) Richard Mahoney, *Sons & Brothers*, New York: Arcade, 1999, p. 80–; (Blakey) ibid., p. 83; ("If it wasn't") Judith Exner with Ovid Demaris, *My Story*, New York: Grove Press, 1977, p. 194; (Chuck) Sam and Chuck Giancana, op. cit., p. 290; ("I know") Cohen with Nugent, op. cit., p. 236; (Republicans cheated?) Parmet, *Nixon*, op. cit., p. 355; Bradlee, op. cit., p. 33; Wicker, op. cit., p. 252; ("The point") ibid.; (Dems. worried) Brandon, op. cit., p. 155; Matthews, op. cit., p. 184;

("could not subject") *MEM,* p. 224 and see Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 413; ("finest hour") e.g., Miller, *Stealing from America,* op. cit., p. 341; ("RN was bitter") int. Ralph de Toledano by FB, FBP, *FB,* p. 433 and see de Toledano, *One Man Alone,* op. cit., p. 309–; ("not really") Crowley, *Off the Record,* op. cit., pp. 114, 147.

RN reaction: ("He started") int. Leonard Hall by FB, FBP; ("depressed") Mathews, op. cit., p. 183; ("difficult to speak") Klein, op. cit., p. 373.

RN/JFK after election: (meeting) ibid.; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 404, RN cited by AP, Apr. 12, 1984; (JFK denied) Matthews, op. cit., p. 186; ("just as well") Kenneth P. O'Donnell, David F. Powers with Joe McCarthy, *Johnny, We Hardly Knew Ye,* Boston: Little, Brown, 1970, p. 227–; ("I've saved") Matthews, op. cit., p. 188; ("I had the wisdom") *MEM,* p. 226; ("Dick blew"/"never cut out") *TW60,* p. 317.

Halsey: *The New Republic,* undated 1958, sent to Harry Truman by Paul Butler, Apr. 9, 1958, Richard M. Nixon, general corr. file, Box 109, postpresidential papers, Truman Library.

RN unbalanced: ("How did you ever?") eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 302, citing Colson; ("sick"/"unsound") Bradlee, op. cit., pp. 32n, 116; ("not know who was") J. K. Galbraith citing JFK, *Esquire,* LXXXI, 1974.

Hutschnecker: int. Hutschnecker citing female patient who knew Joseph Kennedy; Kitty Kelley, *His Way,* New York: Bantam, 1986, p. 530; "Nixon on the Couch," article ms. by Irving Wallace, FBP.

pressure: ("when he broke") *TW60,* p. 315 and see ed. Sevareid, op. cit., p. 108, re. "black spells"; ("I have faith") int. Hannah Nixon, *This Week,* Sept. 18, 1960.

JFK inauguration: ("trying") Bobst, op. cit., p. 276; (night drive), Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 417, *MEM,* p. 227, *Good Housekeeping,* Mar. 1962.

"terrible blow": int. Fletcher Knebel, citing JFK, JFK Oral History Program, JFKL.

"cannot imagine": letter, Mar. 16, 1960, ed. Buckley, op. cit., p. 287.

Chapter 19

"He can't help it . . .": *Ladies' Home Journal,* Nov. 1962.

Pat after 1960: ("banshee") Cheshire with Greenya, op. cit., p. 111, citing Kelly; ("I've given up") David, op. cit., p. 73; ("mother took") *McCall's,* Oct. 1973 and see ibid, May 1971; ("We won") *Ladies' Home Journal,* Mar. 1975 and see Bobst, op. cit., p. 275; ("turning point") *PAT,* p. 204; ("one of her 'moods'") James Bassett to wife, Wilma, Sep. 4, 1960, Bassett Papers.

Nixon after '60: (Bahamas '61) Nassau *Daily Tribune,* Jan. 20, 1961; Nassau *Guardian,* Jan. 23, 24, 25, 31, 1961; Bobst, op. cit., p. 276; (cut short/"shallow talk") Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 423; ("limbo") *PAT,* p. 203; ("bachelor apt.") *MEM,* p. 231; (grand address) Hoyt, op. cit., p. 289–; Nixon lived first at the Statler, then the Gaylord.

new L.A. house: (move) *PAT,* p. 204, *Good Housekeeping,* Mar. 1962; (described) *Newsweek,* June 26, 1961; *Esquire,* Feb. 1962; (price/ownership) *WP,* Dec. 16, 1973.

Murchison: (owner) ibid., Jane Wolfe, *The Murchisons,* New York: St. Martin's Press, 1989, p. 316; (contributor) ibid.; James Conaway, *The Texans,* New York: Knopf, 1976, p. 81; (gifts) e.g., "12 quarts of chili"—Rose Mary Woods to Bessie, Feb. 26, 1957, cited at Bruce Adamson, *Oswald's Closest Friend,* Aptos, CA: self-published, 1993, vol. 5, p. 89; (hosted) Wolfe, op. cit., p. 316; (Teamsters' financing) *LAT,* May 17, 1962, *Esquire,* Feb. 1962; Nancy Manella memo to Joe Wershba, (*60 Minutes*) June 4, 1973, FBP.

RN income: ("After 8 years") *Atlantic Monthly,* Aug. 1983; (Adams) Hoyt, op. cit., p. 286– and MO refs; full name of firm was Adams, Duque, & Hazeltine; (writing contracts) *Good Housekeeping,* Mar. 1962; *Esquire,* Feb. 1962; (butler) ibid.; (car) *Good Housekeeping,* Mar. 1962; (more in a year) *PAT,* p. 204; *Esquire,* Feb. 1962; ("Hallelujah") David, op. cit., p. 74.

Pat happy?: *PAT,* p. 204.

"If you ever": notes of int. Adela St. Johns by FB, FBP.

McGuire/Hopkins: (Bahamas) Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 418; (Southern Air) *NYT,* Sept. 1, 1973; (Hopkins) Louis and Yazijian, op. cit., p. 170.

Bay of Pigs: (Dulles) *MEM,* p. 233; ("JFK called") ibid., p. 234; (RN/JFK meeting) ibid., p. 234–; ("shit") *JA,* p. 295; (JFK/assurances) Schlesinger, *1,000 Days,* op. cit., pp. 250, 295; *MEM,* p. 234 and see James Binder, *Lemnitzer: A Soldier for His Time,* Washington, D.C.: Brassey's, 1997, p. 270; ("worst experience") ed. Kornbluh, *Bay of Pigs,* op. cit., p. 3; (RN calls) Wills, op. cit., p. 31; ("should not start") *MEM,* p. 236; ("Jack handled") *Newsweek,* Oct. 9, 1961; ("doomed") *MEM,* p. 233; ("Do you think?") Crowley, *Nixon in Winter,* op. cit., p. 302; (Ike/"down drain") Roger Morris, *Uncertain Greatness,* New York: Harper & Row, 1977, p. 174; ("I was hard-line") Witcover int. in *Saturday Evening Post,* Feb. 25, 1967; (U.S. force 60,000?) ed. Kornbluh, *Bay of Pigs,* op. cit., p. 322, re. contingency plan; (option excluded) ibid., pp. 111, 274; ("find legal cover") *MEM,* p. 234; (CIA damned?) e.g., Hunt, *Give Us This Day,* op. cit., Chap. 16; Summers, *Not in Your Lifetime,* op. cit., p. 177.

Esterline on RN/Bay of Pigs: ("It is very wrong", et seq.) int. Jacob Esterline, 1975 conducted by CIA historian Jack Pfeiffer for CIA in-house history, leaked transcript, pp. 12–, 39–, and ints. by Gus Russo, 1996, 1998, provided to author; (RN re. JFK "never . . . accountable") Crowley, *Nixon in Winter*, op. cit., p. 302; ("Bay of Pigs Thing") WHT, June 23, 1972.

RN activity '61: ("I found") *MEM*, p. 232; (weekly report) int. Stephen Hess in eds. Miller Center, op. cit., p. 364; (speeches) *Good Housekeeping*, Mar. 1962.

Six Crises: ("7th crisis") Nixon, *Six Crises*, op. cit. [Garden City, NY: Doubleday, 1962], p. xii; ("barricaded") Neil Morgan article, *Esquire*, Feb. 1962; (1990 Introduction) Richard Nixon, *Six Crises*, New York: Simon & Schuster, 1990, p. xii; ("I was hired") int. Alvin Moscow; (Adela St. Johns) cited by (former Whittier College president) Paul Smith in ed. Schulte, op. cit., p. 169; ("written for him") conv. Seymour Hersh, citing RN spokesman Jack Brennan, corroborated in. int. John Sears; ($345,000) estimate with *Life* serial included, *Esquire*, Feb. 1962; ("wisdom") circular letter by Doubleday chairman Douglas Black, Feb. 1, 1962, Box G281, DPP; (sent to writers) int. Jack Langguth.

advice on **'62 run:** (Bobst) Bobst, op. cit., pp. 277, 324; (Chambers) Chambers to RN, Feb. 2, 1961 and Rose Woods memo, Aug. 1, 1961, found in Box 36, FBP; (Dewey) Dewey to RN, Nov. 13, 1961, Thomas Dewey Papers, Series 8, Box 26A, University of Rochester; (colleagues) *MEM*, p. 237–; *PAT*, p. 205; (Klein) San Diego *Reader*, July 28, 1994, citing Klein to RN, June 28, July 10, 1961; (Bassett) int. James Bassett by FB, FBP.

Pat and '62 decision: (council) Pat article *Ladies' Home Journal*, Nov. 1962; *MEM*, p. 239; *PAT*, p. 206 and see Klein, op. cit., p. 47; (brother Tom) *PAT*, p. 205; ("trapped") ibid., p. 207; (restaurant) *FB*, p. 454, and see *LAT*, Feb. 11, 1968.

RN/Brown race: ("I welcome") *SF Examiner*, Sep. 28, 1962; (RN/Communism) RN remarks, Manhattan Beach, June 1, 1962, JFRP; Hess and Broder, op. cit., p. 164; (no mess) *AMI*, p. 651; ("yokels") John Osborne, *The Third Year of the Nixon Watch*, New York: Liveright, 1972, p. 167; ("sweat off balls") eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 12.

covenant: Box G281, DPP and see *AMI*, p. 661; Klein, op. cit., p. 25; Ehrlichman, op. cit., p. 15, RN corr. with Herman Edelsberg (Anti-Defamation League) Sep./Oct. 1956—sources differ as to whether the covenant furor applied to a Nixon home in Washington or California; perhaps homes in both places were involved.

Hughes Loan '62: (justice officials) *NYT*, Jan. 24, 1972; (Chinatown) Herbert Baus and William Ross, *Politics Battleplan*, New York: Macmillan, 1968, p. 293; Matthews, op. cit., p. 215; Mankiewicz, op. cit., p. 27; conv. John Rothmann—sources conflict as to the location either L.A. or San Francisco; (Braden raised) *MEM*, p. 242–; transcript of Nixon/Brown discussion, Fairmont Hotel, San Francisco, Oct. 1, 1962, JFRP; (*Meet the Press*) program transcript, Oct. 7, 1962, p. 10; (Braden audits) int. Tom Braden by FB, FBP; (RN thought handicap) *MEM*, p. 243; (Brown/advantage) James Phelan obit., *NYT*, Sept. 12, 1997; (Brown denied) Fairmont Hotel transcript, *supra*., p. 10.

John Davies: ints. Alvin Moscow and see Whitcover, op. cit., p. 36.

RN on Dem. bugging: ("We were bugged") WHT, Sep. 15, 1972, WSPF, NA; ("victimized") Crowley, *Winter*, op. cit., p. 314.

Watergate names '62: (Haldeman/Ehrlichman/Ziegler/Kalmbach/Woods) Nixon for Governor staff directory, VP, NA, (Stans) Stans, op. cit., p. 100; *NYT*, Apr. 15, 1998; (Kalmbach jail) *SF Examiner*, Mar. 26, 1985; *NM*, pp. 111n, 135n; (Chotiner) Frontier, Oct. 1962, *WP*, Feb. 23, 1969; (constituent) Mrs. Clarence Bentson to Brown, July 11, 1961, Brown Papers, Bancroft Library, University of California at Berkeley.

Knight: *NYT*. Sep. 29, 30, Oct. 5, 1961; Barry Lerner to DP, Nov. 20, 1961, undated clippings, Oceanside (CA) *Blade Tribune* and Longbeach *Telegram*.

phoney propaganda: statement to editors from Democratic official Don Kimball, Oct. 27, 1962, attaching false photos and rebuttal; *WP*, Feb. 23, 1969; *NYT*, Oct. 19, 1962; *SF Examiner*, Oct. 23, 1962; (mailing) Mankiewicz, op. cit., p. 63– and p. 219; reprinting Supreme Court Judgment, Case 526150, Oct. 30, 1964, "Poll Selection" facsimile, JFRP; *Nation*, May 28, 1973; (RN/"asshole") RN to Ehrlichman, Oct. 16, 1972; *AOP*, p. 165; (Colson/RN '72) Oct. 7, 1972 entry; *AOP*, p. 156.

Missile Crisis: ("hedgehog") London *Evening Standard*, Oct. 30, 1997; (effect on election) *MEM*, p. 244; Witcover, op. cit., p. 31.

'62 Election Day: (in suite) ibid., p. 13; ("dreary drama") *MEM*, p. 244; ("haggard") Klein, op. cit., p. 55; int. Herb Klein; ("Screw them") Witcover, op. cit., p. 14; ("The hell with") Hillings with Seelye, op. cit., p. 94; ("no shape") Klein, op. cit., p. 56; ("hurtling") Hillings with Seelye, op. cit., p. 94; (Haldeman) Rather and Gates, op. cit., p. 129; (RN speech) reprinted in full; Hill, op. cit., p. 274–.

RN and press '62: (angry in '60) *TW60*, p. 336; Fletcher Knebel in Minneapolis *Tribune*, undated, Jan. 1961; *U.S. News & World Report*, Nov. 26, 1962; (*LA Times* 1962) int. Paul Ziffren by

FB, FBP, *American Journalism Review,* Apr. 1997; (not unfair) Klein, op. cit., p. 58; ("ridiculous") int. Maurice Stans; ("What unnerved") Hill, op. cit., p. 177.

RN after speech: ("in the ass") David, op. cit., p. 124–; Witcover, op. cit., p. 22, citing *Time,* uses "behind" rather than "ass"; (leaves for home) ibid.; (drive by self) Klein, op. cit., p. 372.

RN alcohol election night: (8th Ave.) int. Jack Langguth; (concluded drink) e.g., James Wrightson, editor Sacramento *Bee,* in eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 14; int. Richard Bergholz by FB, FBP; (description omitted) Ehrlichman, op. cit., p. 18; ("perversely stimulating") Hill, op. cit., p. 164; ("one or two") Hillings with Seelye, op. cit., p. 93; Parmet, *Nixon,* op. cit., p. 429; Witcover, op. cit., p. 13; (Ehrlichman) Ehrlichman, op. cit., pp. 21, 17; int. John Ehlrichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 121; int. John Ehrlichman.

insomnia: (long-term) int. Leonard Hall by FB, FBP; ("more tired") *MEM,* p. 237.

RN/Pat relations '62: (watching Pat) *McCall's,* Oct. 1972, citing aide Nick Ruwe; *Cronkite,* op. cit., p. 221; (cruise) int. John Ehrlichman; Ehrlichman, op. cit., p. 12; ("tension") int. Ronald Ziegler; ("never forget") int. Howard Seelye; ("bubbling") SF *News Call-Bulletin,* Sep. 28, 1961; ("weapon") *Newsweek,* Oct. 29, 1962; ("just stick") int. Richard Bergholz by FB, FBP; ("Keep mouth shut") int. Judge Jerry Pacht by FB, FBP.

Pat after election: (aides preventing) Ehrlichman, op. cit., p. 17; (Pat sobbing) Witcover, op. cit., p. 13; (Pat "berserk") Cheshire, op. cit., p. 112; (return home) Witcover, op. cit., p. 22; ("Oh, Dick" etc.) *PAT,* p. 213.

RN rages: ("irrational") int. Robert Finch by FB, FBP; ("deep dark") Safire, op. cit., p. 364.

Pat temper: e.g., Alsop, op. cit., p. 59.

"martinis' great": 1968 presidential aide who requested anonymity.

RN physical abuse: (Woodward) ints. Bob Woodward and also Carl Bernstein, David Obst; (Hersh) convs. Seymour Hersh, transcripts Hersh int. on NBC *Today* and CNBC *Hardball,* June 23, 1998; (Brown) transcript of int. Pat Brown by FB, FBP; (Cullen) int. Frank Cullen; (van Petten) int./corr. Jon Ewing and re. Van Petten career, corr. Tom Wolfe; (Ehrlichman on RN drink) Ehrlichman, op. cit., p. 21–; ints. John Ehrlichman and int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 121–; (Sears) ints. John Sears; (background) Garment, op. cit., pp. 107, 113; Wise, *Police State,* op. cit., p. 56–; Susan Trento, *The Power House,* New York: St. Martin's Press, 1992, p. 72; Safire, op. cit., p. 167; (Taylor background, not re. beating) int. Waller Taylor III; (Taylor father—Reese) see Reese and Waller Taylor files, Series 320, VP, NA and Dennis Effle report to author, July 18, 1996; (service station) Winter-Berger, op. cit., p. 247; (Bohemian Grove) RN to Reese Taylor, July 31, 1961, corr. files, Series 320, VP, NA; (Segretti) Waller Taylor to RN, May 26; Finch to Waller Taylor, May 29, 1959, corr. files, Series 320, VP, NA; ('60 Convention) Waller Taylor to RN, July 11; RN to Taylor, July 22, 1960, corr. files, Series 320, VP, NA; ("He knows Pat") int. Lou Cannon by FB, FBP; (psychologist/abuse) int. and corr. Gaye Humphries, counseling psychologist, formerly with Irish Defense Forces.

RN/trousers: int. Sarah McClendon and see *Parade,* Oct. 31, 1971.

"more reserved": *NYT* magazine, May 13, 1962.

"mother lay": *PAT,* p. 214.

"sadness for years": ibid., p. 216.

divorce?: int. Arnholt Smith and int. John Sears.

depression/impotence?: (Bassett) notes and transcript of int. Bassett friends, Paul and Mickey Ziffren by FB, FBP, *FB,* p. 331; (RN observed) Harriet Van Horne column, New York *Post,* Nov. 15, 1968 and see Woodstone, op. cit., p. 8; (Hutschnecker) ints. Arnold Hutschnecker.

Woods/dinner: int. James Bassett by FB, FBP; (just "kind of thing") int. Nancy Chotiner.

RN finished?: (Eisenhower) int. Leonard Hall by FB, FBP; (*Time*) Witcover, op. cit., p. 25; ("unelected") *NYT,* Nov. 9, 1962; ("shot down") int. Bryce Harlow in eds. Miller Center, op. cit., p. 7; (JFK gloated) Parmet, *Nixon,* op. cit., p. 437; (JFK/Brown) *SF Examiner,* Dec. 6, 1998 citing JFK/Brown taped call, JFKL, released 1998; (JFK: "nobody . . .") Bradlee, op. cit., p. 32n; (RN/Graham) Graham, op. cit., p. 443; (Chotiner) *SF Examiner,* Nov. 24, 1962.

Pat griping: Witcover, op. cit., p. 41.

$4 billion: *PAT,* p. 61.

Chapter 20

"I was accused": Nixon, *Arena,* op. cit., pp. 36–, 122.

Paradise Island: (background) Lisa Gubernick, *Squandered Fortune,* New York: Putnam, 1991, p. 124–; Paul Albury, *Paradise Island Story,* London: Macmillan, 1984, p. 94–; Gigi Mahon, *The Company That Bought the Boardwalk,* New York: Random House, 1980, p. 27; Alan Block, *Masters of Paradise,* New Brunswick, NJ: Transaction, 1991, p. 61–; ("Meyer's Island") Nassau *Guardian,* Feb. 16, 1978 citing Vincent Teresa deposition; (RN arrival '62) Nassau Weekend *Guardian,* Nov. 17/18, 1962, Witcover, op. cit., p. 36–; (Davies) ibid.; ints. Huntington Hartford and (former wife) Diane Hartford; (not charged) Denny Walsh article, *NYT,* Jan.

21, 1974; (RN family arrive) *MEM*, p. 247, Nassau *Daily Tribune*, Nov. 28, 1962; (Paar) Paar, op. cit., p. 132; ("morose") int. Seymour Alter; *NYT*, Jan. 21, 1974; (cigarette box) ibid.; ('67 visits) London *Daily Mail*, Jan. 8, 1968; *Look*, Apr. 2, 1968; DP column, undated (Oct.?),1968; Gubernick, op. cit., p. 176.

Island take-over: (Crosby/Davis) Nassau *Tribune*, Dec. 14, 1968; (Lansky meeting) Gubernick, op. cit., p. 170–; Block, op. cit., p. 43; (bribe/exemption) "Masters of Paradise Island: Organized Crime, Neo-Colonialism & the Bahamas" by Alan Block and Patricia Klausner in *Dialectical Anthroplogy*, Vol. 12, Dordrecht, The Netherlands: Martinus Nijhoff, 1987, p. 92, citing "Report to Control Commission with Reference to the Casino License Application of Resorts International Hotel, Inc., Vol 3, (1978), p. 15, and Report of Commission of Inquiry into the Operation of the Business of Casinos in Freeport & Nassau, Nassau, 1967, pp. 20, 102; Henry Petersen to Fred Vinson, Mar. 24, 1967, citing Louis Chesler, admission to Peloquin, Messick Papers, Alan Block Collection; (informant on cheating) IFB report, Nov. 9, 1964, Phelps No. 92-2831, File 92–102, Justice Dept. Org. Crime & Racketeering Section, Block Collection; (Peters trailed) *Saturday Evening Post*, Feb. 25, 1967; (been cartons) Miami *Herald*, Apr. 12, 1967; (Hartford furious) Gubernick, op. cit., p. 156 and see 153–; Block, op. cit., p. 62–; Mahon, op. cit., p. 65; (license in 1966) *Dialetical Anthropology, supra.*, p. 94; Mahon, op. cit., p. 68–; (Groves) Block, op. cit., pp. 27–, 34–; Mahon, op. cit., p. 60–; *Saturday Evening Post*, Feb. 25, 1967.

Crosby: (background) *Manhattan, Inc.*, Feb. 1987; (Groves/*Life*) *NYT*, Jan. 17, 1979; (real estate project) Mahon, op. cit., p. 208–; ("The funds amassed") Block, op. cit., p. 81; (Fiduciary Trust) ibid., p. 82–; (Enforcement Div. opposed) *Barrons*, Sept. 26, 1977, *Manhattan, Inc.*, Feb. 1987; *Hollywood Reporter*, Dec. 5, 1978; *Wall St. Journal*, May 22, 1970, p. 15.

"ripe for skim": Block, op. cit., p. 70.

Cellini: (Director) company bio., Resorts International stockholder's report, 1967, Block Collection; (banned/removed) *NYT*, Jan. 17, 1979, [Brunswick, NJ] *Home News*, Jan. 24, 1979; (claimed innocent) *Dialectical Anthroplogy, supra.*, p. 96; *Bergen County Record*, Oct. 14, 1976; Las Vegas *Sun*, Mar. 21, 1971, Mahon, op. cit., p. 86; (Eddie Cellini/Cuba/Kentucky) CIA Inspector General's Report on Plots to Assassinate Fidel Castro, op. cit., p. 30; Messick, *Lansky*, op. cit., p. 217; *Dialectical Anthropology, supra.*, p. 96; Jerry Shields, *The Invisible Millionaire*, Boston: Houghton Mifflin, 1986, p. 226; Hank Messick, *Secret File*, New York: Putnam, 1969, p. 323–; [Brunswick, NJ] *Home News*, Jan. 24, 1979.

Lansky/Dino Cellini indictment: Jeff Gerth article, *Penthouse*, July 1974.

Teresa: (testified) Perm. Subcttee. on Investigations, Cttee on Gov. Ops., 92nd Cong., 1st Sess., U.S. Sen., Hearings on Organized Crime (Stolen Securities), July 27, 1971, p. 814; Nassau *Guardian*, citing Jan. 31, 1978 testimony in *Resorts International Inc., v. Straight Arrow Publishers Inc.*, U.S. Dist. Court, S. Dist. of Florida, No. 76144551-CIV-WMH, and see Teresa and Renner, op. cit., p. 222; (inspector) Ray Clark, cited in undated memo, 1973, Warren Adams to John Sablich of Fidelifacts; (corporate investigators for plaintiff Huntington Hartford in suit v. James Crosby, Resorts International, et al), supplied to author, p. 536; (FBI agent) Frank Smith, cited in memo Dec. 10, 1973, John Sablich to Mr. Moerdler, ibid., p. 583.

Skyjector: Mahon, op. cit., p. 55.

Chesler: Jeff Gerth article, *Sundance*, Nov./Dec., 1972; Blumenthal & Yazijian, op. cit., p. 139.

Alter: ("old Lansky man") Smith cited in memo, Dec. 10, 1973, John Sablich to Mr. Moerdler, Fidelifacts report, *supra.*, p. 584; (Block) Block, op. cit., p. 61; (Alter/Lansky) ibid., pp. 62, 78n16; Miami *Herald*, Mar. 20, 1976; (officials oppose) *NYT*, Sept. 2, 1979; (violations/bribery) NY State Liquor Authority docs., transcript of Alter grand jury testimony, 1962, all in Block Collection; *NYT*, Dec. 13, 1978, Feb. 18, Sept. 2, 1979 and Block, op. cit., p. 61; Gubernick, op. cit., p. 172; Mahon, op. cit., p. 231–; (RN/Rebozo relations) *NYT*, Jan. 21, 1974; int. Seymour Alter; ("Treat well") Judith Denny memo to files on DeBoer int., Aug. 15, 1975, Box 98, WSPF, NA.

RN and Paradise Island: ("in on negotiations") Frank Smith cited in memo, Dec. 10, 1973, John Sablich to Mr. Moerdler, Fidelifacts report, *supra.*, p. 586; (RN/Crosby $100,000) int. Seymour Alter, *NYT*, Jan. 21, 1974; (RN/benefactor dine) Nassau *Tribune*, June 11, 1968; (Cosa Grande) Nevada State *Journal*, Oct. 31, 1968; undated memo, Warren Adams to John Sablich, Fidelifacts report, *supra.*, p. 545; (Crosby Wh. House) *HD*, p. 25; *Barrons*, Sept. 26, 1977; (Golden background) memos Jim Rowe to Scott Armstrong, Oct. 17, 1973; Armstrong to Terry Lenzner, Oct. 22, 1973; Sen. Int. memo folder 807, Box 101, WSPF; Nassau *Tribune*, Aug. 8, 1969, Resorts International stockholder's report, (1969?), Block Collection; (close to RN) Frank Smith cited in memo, Dec. 10, 1973, John Sablich to Mr. Moerdler, Fidelifacts report, *supra.*, p. 588; ("Nixon's man") *Rolling Stone*, May 20, 1976; (Ehrlichman) int. John Ehrlichman; Ehrlichman, op. cit., p. 52; (S.S. advice) *Barrons*, Sept. 26, 1977; ("significant investment") London *Daily Mail*, Jan. 8, 1968.

"giving the shaft": Moldea, *Interference*, op. cit., p. 174.

Paradise Island Bridge: (suit) Nassau *Tribune,* Oct. 9, 1973; Gubernick, op. cit., p. 210; (Bridge facts) Nassau *Tribune,* Jan. 27, 1966, Oct. 9, 1973, Aug. 31, 1984; (percentages) IRS informant Sally Woodruff, wife of Ed Woodruff, text, *supra;* report on Sy Alter, P.I. Bridge Co., Ltd., p. 4, Block Collection; ("reason to believe") Nassau *Tribune,* Oct. 9, 1973; (RN Swiss deposits?) Moldea, *Interference,* op. cit., p. 458n6 and convs./corr. Dan Moldea; (Crosby denied) Mahon, op. cit., p. 50; (Smith) cited in memo, Dec. 10, 1973; John Sablich to Mr. Moerdler, Fidelifacts report, *supra.,* pp. 578, 586–; (Butler background) Block, op. cit., pp. 141–, 157n24 and 37, Hutchison, op. cit., refs.; (Butler/bridge) ibid., p. 281–; Hougan, *Spooks,* op. cit., p. 180; (Mitchell) int./corr. Jim Hougan, investigative journalist who conducted interview.

"20 a day": int. Carl Feldbaum.

"A sound basis": Carl Feldbaum to Henry Ruth, May 15, 1974, Investigative Corr. Box 14, WSPF (H-R), NA.

Pictures '69: ("Rebozo feared") Spear, op. cit., p. 69; (Silk) ints. George Silk.

Silberman: (call to FBI) June 8, 1973 FBI memo, "Re: James Walter McCord, et al. Burglary of Dem. Party HQ, June 17, 1972" and associated corr., probably all in file containing FBI 139-4089-2624; (Buckley) Feldbaum to Ruth memo, May 15, 1974, *supra.,* and accompanying docs.; (male associates) former FBI informant, now security consultant, and former entertainment industry executive, both of whom requested anonymity; (background) ints. David Silberman, Elsie Silberman (wife), Kathy Silberman (daughter), Dee Anne Hill (secretary), Jack Cassinetto (former colleague), Gene Henry and Alvin Lotzcar (coin dealers); (murder conviction) Oakland *Tribune,* Oct. 21, 1979, Oct. 23, Nov. 25, Dec. 18, 1980; (signed photo) int. Dee Anne Hill; (*Life* pic. in bar) ints. Kent Woods, John Cassinetto; (S. Service agents) ints. Art Godfrey, Earl Moore by Phil Stanford, Robbyn Swan, and author; (Feb. Group) association directory, Dec. '94/Jan. '95, *NYT, WP,* Apr. 26, 1977; *Newsweek,* undated, 1978; *SF Chronicle,* Dec. 8, 1978; (Youngblood) *WP,* Oct. 19, 1971; (Edward Kennedy) June 13, Sept. 7, 1972 entries; *AOP,* pp. 40, 132; *WP,* Feb. 8, 1997; (McGovern) Nick Akerman to files, Nov. 19, 1973, citing int. John Dean, WSPF, NA; Marc Lackritz, undated memo, "Campaign Practices," GEMSTONE file, E, NA; (Don Nixon) *Wall St. Journal,* Dec. 4, 1973; ("perversion") *NYT,* Feb. 18, 1974; (Morgan) notes of int. Pacific News Service, Nov. 2, 1982, Stanley Kutler Papers; (Ehrlichman) int. John Ehrlichman; (FBI doc.) C. A. Nuzum to Mr. Long, May 23, 1974, FBI 139-4089-2761.

Laxalt: (crime links?) Sacramento *Bee,* Nov. 1, 1983; Scheim, op. cit., p. 308–; Dan Moldea, *Dark Victory,* New York: Viking, 1986 p. 347; *Crime Control Digest,* May 28, 1984; (Hughes Donation) Maheu, op. cit., p. 167; (re: Hoffa) Moldea, *Dark Victory,* op. cit., p. 259; (Laxalt denial) Tom Loranger to author, Nov. 8, 1999.

gold window: Safire, op. cit., p. 509–; Wicker, op. cit., pp. 543–, 545–; Theodore White, *The Making of the President 1972,* New York: Atheneum, 1972 (henceforth *TW72*), p. 64–; James Reston, Jr., *The Lone Star: The Life of John Connally,* New York: Harper & Row, 1989, p. 403–; Genovese, op. cit., p. 68–; *MEM,* p. 518–; ints. Don Adams, asst. dir. of international finance, Federal Reserve, George Shultz, Peter Flanigan, Darwin Beck; (Volcker) Safire, op. cit., p. 515.

Selix: ints. Janice Selix, Rose Wilkins.

study as described: int. Ronald Ziegler.

woman invited: ints. Patti Clarke.

3 witnesses: Dee Anne Hill (Silberman's secretary), Robin Sargeant (cousin), and Carol Adams.

Newell background: ints. Elizabeth Newell, Bill Gill, Michael Hershman.

DeBoer: (ad./"honest") Stephen Haberfield to Hughes-Rebozo file, re: int. of DeBoer, Jan. 10, 1974, Folder 809, WSPF, NA; Mahon, op. cit., p. 34; (wife/Rebozo) ibid. and DeBoer executive session testimony, Aug. 8, 1973, p. 2–, E, NA—DeBoer said once that he met Rebozo a year before getting the job, once that he met him only two weeks earlier; (knew Crosby/partner [I.G. Davis]) ibid., p. 51, Fidelifacts report, *supra.,* p. 486–; (Crosby/Davis accounts) *NYT,* Jan. 21, 1974; WPLG-TV News, July 20, 1973, in Fidelifacts report, *supra.,* p. 1537; *Village Voice,* Dec. 20, 1973; (SEC bar/Exchange expulsion) *WP,* Oct. 25, 31, 1973; *NYT,* Jan. 5, 1971, Nov. 9, 1973; (jail) Miami *Herald,* June 19,(?) 1977; (Newell revelations) ints. Elizabeth Newell, Kent Blacklidge [nephew], Newell original contemporary notes and calendar, supplied to author; ("losing" money) int. Elizabeth Newell, contemp. Newell notes of DeBoer convs.; (Alter) ibid.; (Woodruff) Nassau *Guardian,* July 29, 1971; Warren Adams to John Sablich, undated memo, Fidelifacts report, *supra.,* p. 544; (Stearns) Linda Noonan to Paul Michel, Nov. 15, 1974; summary ints. re: Alter, O'Sullivan, DeBoer, Box 113, WSPF, NA; (giftshop) Linda Noonan to Paul Michel, Nov. 15, 1974, re: Alter on matters testified to by Stearns, summary IRS int., Box 112, WSPF, NA; *NYT,* Jan. 21, 1974; (Rebozo instructions) Alter note in papers of Carmine Bellino, Ervin Cttee. chief investigator, supplied to author; Miami *Herald,* Nov. 29, 1973; ("lots of things") Judith Denny to files, Aug. 15, 1974, DeBoer folder, Box 98, WSPF, NA; ("bagman") *NYT,* Jan. 21, 1974; (tapes made) ints. Newell, Michael Hershman, Bill Gill, Carl Feldbaum, Newell transcript, Paul Michel to Henry Ruth, Oct. 16, 1975, p. 244, "re.

Closing Memo on Hughes-Rebozo Unreported Campaign Funds," File 309-804, Final Report, WSPF, NA, and Jack Anderson in *WP*, Dec. 11, 1973, *NYT*, Jan. 27, 1974; (fabrication?) ibid. and see memo of DeBoer int. by IRS, Nov. 8, 1974, File 804, WSPF, NA—DeBoer acknowledged knowing Newell.

"no foreign accounts": Frost, op. cit., p. 192.

"Operation Tradewinds": Block, op. cit., p. 6–; ints. Richard Jaffe, Norman Casper; (RFK/Reno commended) copies supplied to author by Jaffe.

Castle Bank: (access obtained) ints. Norman Casper, Richard Jaffe, Casper and Jaffe testimony, Nov. 4, 1975, Hearings Subcttee. of Cttee. on Gov. Ops., Oversight Hearings into the Operation of the IRS, U.S. House of Reps., 94th Cong., 1st Sess., p. 137–; (suspect) ibid., p. 140; (print-out found) ibid., pp. 141, 157–, 179–, 182, 207, 211–; (list obtained) ibid., 142–, 178–; Castle Bank Account List, 1972, Jaffe handwritten notes, Block Collection re: list obtained Jan. 15, 1973, & (re: briefcase) *U.S. Petitioner v. Jack Payner*, US-65LEd21468, 100, S. Ct., U.S. Supreme Court Reports, p. 473; (2nd copy) Miami *Herald*, July 1, 1980; (names) ibid., Castle List, *supra.; Wall St. Journal*, Apr. 18, 1980; Hank Messick article, *Rolling Stone*, May 20, 1976 [inc. Hall] and see TW-24 memo, "Subject Tom Ferguson," Apr. 25, 1974, Casper Papers; (files purged?) IRS Oversight Hearings, *supra.*, p. 207–; Richard Jaffe to Levoy Venable, May 15, 1974, at p. 187; Sartiano ref. at Steadman Stahl Summary, Nov. 3, 1981, Jaffe Papers, TW-24 to file, June 11, 1973, May 10, 1974, Casper Papers; (denial) Nassau *Tribune*, Oct. 29, 1976; ("absolutely positive") int. Samuel Pierson; (Bahamians prohibited) Nicki Kelly to author, Sept. 27, 1987, Burton Kanter to Anthony Marro, June 29, 1975, Casper Papers; (computer) Nassau *Tribune*, Nov. 4, 1972; ("not prepared") int. Alan Bickerton, IRS Oversight Hearings, *supra.*, p. 187; (IRS upheaval) Wise, *American Police State*, op. cit., p. 348; Lernoux, op. cit., p. 90–; Miami *Herald*, Apr. 7, 1976 and undated Jan. 1977, July 1, 1980, Nassau *Tribune*, Sept. 27, 1975; *WP*, Nov. 5, 1977; *Rolling Stone*, May 20, 1976; *LAT/WP* Service, Dec. 6, 1975.

Casper reaction to discovery: ("disturbed me") Oversight Hearings, *supra.*, p. 212; (respected) ints. Charles Wey [former adviser to IRS asst. commissioner], Richard Jaffe, Dallas *Morning Star*, Nov. 23, 1975; (knew RN/Rebozo) ints. Norman Casper; (Republican) ints. Norman Casper; (Rebozo/Casper mtg.) Jaffe diary note, Feb. 12, 1976, Block collection, Casper to Jaffe, Feb. 17, 1976, Casper Papers, int. Norman Casper; (Casper wondered?) Oversight Hearings, *supra.*, p. 179.

Cosmos: (briefcase contents) Jaffe statement to be read to Inspection Service, Sept. 5, 1975, Jaffe Papers, Oversight Hearings, *supra.*, p. 143; (photographs) ibid., pp. 142, 178; (use of initials) Paul Michel to Henry Ruth, closing memo, *supra.*, WSPF, NA; (Clesner) int. Virginia Clesner—who still as relevant documents from her husband's files; (Hartford) int. and orig. notes of Dan Moldea—to whom the author is grateful; Moldea, *Hoffa Wars*, op. cit., p. 458n6; ("Do you want?") int. Huntington Hartford; (Crosby stock) Fidelifacts report, *supra.*, p. 907; (20 percent P.I. Bridge) *Barrons*, Sept. 26, 1977, file of Sy Alter, compiled by IRS informant Sally Woodruff, p. 5, Block collection; Stockholder's List, P.I. Bridge Co., Cosmos Bank, Box B78, E, NA; (bank details) unid. economics journal, Sept. 14, 1974, Casper Papers, *Euromoney*, Oct. 1974, *Bankers Directory*, New York: Rand McNally, 1973, p. F466, Fidelifacts report, *supra.*, p. 902–.

Morgenthau: (Sixties) Leslie Waller, *The Swiss Bank Connection*, New York: Signet, 1972, p. 90–; Messick, Lansky, op. cit, pp. 249, 257, 268–; (Suspicion re: RN) ints. Robert Morgenthau; (Paris attorney) James Traub notes of Morgenthau int., supplied to author; int. James Traub and see Traub article, *The New Yorker*, July 28, 1997; (Morgenthau/Committee/removal) Waller, op. cit., p. 90–; Messick, *Lansky*, op. cit., p. 270.

anon. communication: letter and enclosure, Morgenthau to author, June 5, 1998.

Cantrade: *Bankers' Almanac*, 1969/70, p. 885, Vol I, Jan. 1998, p. 1441, Vol. II, p. 3623, and Website information from Cantrade Investment Managment Ltd., June/July 1998.

"Rebozo/nice guy": int. Maurice Stans.

de Gendre: int. Raoul de Gendre.

Chapter 21

"He has been vaporized": int. Bryce Harlow in eds. Miller Center, op. cit., p. 7.

RN after '62 defeat: (hurting for money?) Witcover, op. cit., p. 41; (promise) ibid., *NYT Magazine*, Sept. 13, 1970; (intimates/"cake") Witcover, op. cit., p. 40–; (wanted job) ibid., p. 42.

Nixon, Mudge, Rose: (Rebozo/Ball) ed. Weisman, op. cit., p. 262, citing *Women's Wear Daily*, 1969; (RN/Bobst) *MEM*, p. 247; Bobst, op. cit., p. 326–; (big business) *Saturday Evening Post*, Feb. 25, 1967; ("faces commanding") Hugh Sidey in *Life*, undated, 1967 and see White, *Breach*, op. cit., p. 73.

Nixons in NY: (apartment) *PAT*, p. 56; Witcover, op. cit., p. 52, Washington *Evening Star*, July 31, 1970; (no party) int. Maurice Stans; ("vacation") Troy, op. cit., p. 178; (mink) *NYT*, July 3,

1968; (Chapin) *PAT*, p. 219; (Deb.'s) *New York*, June 9, 1980, *NYT*, July 3, 1968; ("didn't want") Witcover, op. cit., p. 42 and see Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 20; (often alone) int. Walter Trohan; (NY bar) AP, undated 1964 with text of RN essay, and *SF Chronicle*, (?) July 1973; (office) *Saturday Evening Post*, Feb. 25, 1967.

law firm business: (Kendall) int. Don Kendall, Mazo and Hess, op. cit., p. 285; (Abplanalp) AP, May 26, 1973; (Rose) Louis and Yazijian, op. cit., p. 174; (Niarchos) Hougan, *Spooks*, op. cit., p. 281; (Smith) int. attorney Richard Hodge, recalling case involving Susquehanna Corp.; (Vietnam client) 275 Federal Supplement p. 860, re: *Hellenic Lines Ltd., plaintiff, v. The Embassy and Republic of S. Vietnam, Defendants*, no. 67 Civ 860, U.S. Dist. Court, S.D. NY, Dec. 1, 1967, Box G 281, DPP; (Trujillo hunt) *Mayday*, undated, 1968, Box G 119, DPP; Murray Kempton in NY *Post*, undated; Washington *Observer*, cited in Hinckle and Turner, op. cit., p. 202; William Turner, *Power on the Right*, Berkeley: Ramparts Press, 1971, p. 156 and see William Taub, *Forces of Power*, New York: Grossett & Dunlap, 1979, p. 216.

RN/Kennedy: ("cheap bastard") Bradlee, op. cit., p. 76; ("Bastards") Lasky, op. cit., p. 65; (audits) *MEM*, p. 247; *WP*, Jan. 3, 1997; Crowley, *Winter*, op. cit., p. 296; (Papal audiences) int. Walter Trohan, RN Library archivist Susan Naulty to author, Apr. 16, 1998; (JFK "hello") *MEM*, p. 250.

JFK assassination: (Baker Hotel) William Manchester, *The Death of a President*, New York: Popular Library, 1968, p. 101; Witcover, op. cit., p. 59; ("get Kennedys out") *NYT*, Nov. 22, 1963; (outbursts) *WP*, Apr. 21; *U.S. News & World Report*, Oct. 14, 1963; *MEM*, p. 253; (JFK irritated) Jim Bishop, *The Day Kennedy Was Shot*, New York: Bantam, 1975, p. 23; ("courteous reception") Witcover, op. cit., p. 59; (RN flight) Manchester, *Death*, op. cit., p. 132; (NY arrival) Bishop, op. cit., p. 197; (cab ride/doorman) *MEM*, p. 252; (daughters/TV) *PAT*, p. 219; (Hess) int. Stephen Hess in eds. Miller Center, op. cit., p. 370; (Jacqueline letter) *MEM*, p. 253–; ("keen intelligence") *Reader's Digest*, Nov. 1964, p. 298; ("mythology") Parmet, *Nixon*, op. cit., p. 25; ("neither respected") int. H. R. Haldeman in eds. Miller Center, op. cit., p. 82; ("it sometimes seemed") Rush, op. cit., p. 186, citing former agent Marty Venker; ("History intervened") Garment, op. cit., p. 71; ("already assessing") int. Stephen Hess in eds. Miller Center, op. cit., p. 371.

return to politics: ("never had") *SF Examiner*, Jan. 11, 1964, reporting RN to Jackie Gleason on *Arthur Godfrey Show*; ("If all I had") *MEM*, p. 265; (World's Fair) *PAT*, p. 219; Stans, *Terrors*, op. cit., p. 129; (Europe) ibid., p. 221; ('64 campaign) *TW64*, pp. 140–, 150, 153, 215; Witcover, op. cit., Chaps. 3, 4; ("Because I know") Wicker, op. cit., p. 272; (Garment joined) int. Leonard Garment, Garment, op. cit., pp. 62, 65, 68; (night in '65) int. Leonard Garment; Garment, op. cit., p. 85.

de Gaulle: ("Great Man") Michael Beschloss in *WP*, May 1, 1994; (revered) *JA*, p. 336; Richard Nixon, *Leaders*, New York: Simon & Schuster, 1990, p. 40; C. L. Sulzberger, *The World and Richard Nixon*, New York: Prentice-Hall, 1987, p. 150–; (Paris base) Witcover, op. cit., p. 43; (paying court '63) *MEM*, p. 248; Nixon, *Leaders*, op. cit., p. 61–; *JA*, p. 318; (first met) Nixon, *Leaders*, op. cit., p. 42; (Elysee '63) *JA*, p. 318– and see Sulzberger, op. cit., p. 160; (JFK funeral) Nixon, *Leaders*, op. cit., p. 52; (every trip) ibid., p. 62; (emissary) *NYT*, Sept. 21, 1968—RN emissary was Gov. William Scranton; (respect mutual) Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 387; ("equal") eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 84; ("awe") int. H. R. "Bob" Haldeman, 1989; (RN writing on de G.) esp. Nixon, *Leaders*, op. cit., p. 40–; (RN Library) *JA*, p. 377; ("as if royalty") Dickerson, op. cit., p. 36; (Finch) ibid., p. 157 and see int. Robert Finch by FB, FBP and Safire, op. cit., p. 691; (Haldeman) *HD*, pp. 59, 230; ("giant") Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 107; George W. Johnson, ed. *The Nixon Presidential Press Conferences*, New York: Earl Coleman Enterprises, 1978, p. 31; (RN "not a giant") int. James Schlesinger.

RN travel: ('63 "vacation") *JA*, p. 318–; *MEM*, p. 248; ("As we were talking") AP story, July 24, 1963; (Wheeler) London *Sunday Telegraph*, Feb. 18, 1996; (Moscow '65) *WP*, May 25, 1972;Safire, op. cit., p. 6; *AP* stories, Apr. 11, 12, 17, 18, 1965; ("stupid") Witcover, op. cit., p. 112; (225,000 miles) Thimmesch, op. cit., p. 92; (Japan) *JA*, p. 329; (phlebitis) *PAT*, p. 223; ("shoestring") RN brief for press responses, undated, Gil Troy papers; (Rebozo companion) e.g., Witcover, op. cit., p. 101; Hong Kong *Standard*, Aug. 11, 1966; (*Reader's Digest*/Pepsi) Thimmesch, op. cit., p. 92, Louis and Yazijian, op. cit., p. 114; ("paid off in end") int. Hugh Sidey in eds. Miller Center, op. cit., p. 303; (photographs) *Saturday Evening Post*, Feb. 25, 1967; Whalen, op. cit., p. 25.

'66 campaign: (48-hour period) Hess and Broder, op. cit., p. 142; (victory) Witcover, op. cit., p. 169; Klein, op. cit., p. 148.

'68 campaign: (tight-lipped) *Saturday Evening Post*, Feb. 25, 1967, Witcover, op. cit., p. 177.

mother's death: (stroke) *JA*, p. 338–; *MEM*, p. 287; int. Evlyn Dorn by FB, FBP; (last conv.) *MEM*, p. 288–; Nixon, *Arena*, op. cit., p. 94; (father's death) see Chap. 14, p. 159–, *supra*.

decision to run: (Christmas '67) *MEM,* p. 294; *PAT,* p. 234; ("depressed") *PAT,* p. 233; ("Mother needed") ibid., p. 227; ("Miss Ryan"/"failure"?) ibid; ("flatly") *PAT,* p. 230; ("never been anybody") int. Ed Nixon.

Scarney: Ehrlichman, op. cit., p. 21; int.John Ehrlichman.

"I was looking for wife": int. Arnholt Smith, San Diego *Reader,* Mar. 26, 1992.

Marianna Liu: ("affair" reported) *NYT,* June 22, 1976; (*Enquirer*) *National Enquirer,* Aug. 10, 24, 1976; ("One of my contacts") int. Dan Grove and see Summers, *Official & Confidential,* op. cit., p. 371–; (surveillance) *SF Examiner,* Feb. 8, 1981; (RN visits) *NYT,* June 22, 1976; Hong Kong *Standard,* Feb. 8, Mar. 21, Apr. 6, 8, 1964, Sept. 2, 3, 1965, Aug. 9, 11, 12, 1966, Apr. 8, 1967; (Liu sued) *SF Examiner* and *SF Chronicle,* Feb. 8, 1981; *LAT,* Sept. 18, 1976 and int. Marianna Liu; (Liu 1996) int. for author by Kari Huus, then with *Far Eastern Economic Review,* and Huus report to author; (RN/Chinese women) *Ladies' Home Journal,* June 1970; ("had too much to drink") int. Mickey Ziffren by FB, FBP.

Christmas debate: ("resigned") *MEM,* p. 292; ("volunteer") *LAT,* Feb. 11, *Newsweek,* Dec. 2, 1968 and see *SF Chronicle,* Aug. 15, 1968; (applauding self) Joe McGinniss, *The Selling of the President,* New York: Penguin, 1969, p. 157; (not introduced) *PAT,* p. 241; ("Mr. Nixon publicly") John Osborne, *The Last Nixon Watch,* Washington, D.C.: New Republic Book Co., 1975, p. 3; ("I love it") Wills, op. cit., p. 22; ("what their readers want") *LAT,* July 1, 1968; (Steinem) *New York,* Oct. 28, 1968; *Writers Digest,* Feb. 1974, int. Gloria Steinem.

Chapter 22

"I am inclined to believe": Walt Rostow, special asst. for national security to President Johnson, memo for record, May 14, 1973, in "X Envelope," Chennault, Anna-South Vietnam and U.S. Policy folder, LBJL.

'68 campaign: ("DC") Whalen, op. cit., p. 34; Strober,*Nixon,* op. cit., p. 16–; Stans, *Terrors,* op. cit., p. 134; (preparations/HQ) Garment, op. cit., p. 121–; Raymond Price, *With Nixon,* New York: Viking, 1977, p. 10–; Whalen, op. cit., p. 10–; (men in suits) Garment, op. cit., p. 122 and photo section; (Haldeman/Ehrlichman) ibid., James Reichley, *Conservatives in an Age of Change,* Washington, D.C.: Brookings, 1981, p. 60, Ehrlichman, op. cit., p. 22; (Chotiner) int. E. C. Mueller, stepson; *NYT,* Jan. 14, 1970; Whalen, op. cit., p. 53; Vera Glaser column, undated, end '68, Box G281, DPP.

Mitchell: (background) *NM,* p. 4–; article by Martha Mitchell and Winzola McClendon, *Ladies'* Home Journal, Dec. 1974; *MEM,* p. 279; (DeBoer contacts) WPLG News special report, Aug. 2, 1973, transcript cited in memo, John Sablich to Moerdler, Fidelifacts (corporate investigators) p. 1537, author's collection, Linda Noonan to Paul Michel re: Richard Stearns, Nov. 15, 1974, Analysis Hughes-Rebozo, Box 113, WSPF, NA, Michael Hershman blind memo, Aug. 7, 1973, Box B 343, E, NA; ("understated") Kleindienst, op. cit., p. 46; (blank) *Mayday,* Jan. 3, 1969; ("leader against crime") *NM,* p. 5; (jail) ed. Eleanora Schoenberg, *Profiles of an Era,* New York: Harcourt, Brace, Jovanovich, 1979, p. 445.

Primaries: *TW68,* Chap. 5, Witcover, op. cit., p. 233–; int. Sandy Vanocur, ("very troubled") Ehrlichman, op. cit., p. 24–; int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 121–; int. John Ehrlichman; ("New" RN) e.g., Witcover, op. cit., p. 244–; *TW68,* p. 170; ("runs as President") ibid., p. 149.

RFK death: ("We can beat") Whalen, op. cit., p. 96; ("We've just seen") Ehrlichman, op. cit., p. 24; ("Why does Bobby?") Whalen, op. cit. p. 136; (welcomed) ibid., p. 97; *Oregonian,* undated, RFK Papers, '68 Pres. Campaign, National HQ files, Pres. Div., Box 11, JFKL; ("wanted to beat") Whalen, op. cit., p. 143; (RN/King funeral) ibid., p. 148–; ("tragic") int. Ed Nixon; (funeral/Bahamas) *MEM,* p. 306; *NYT,* Jan. 21, 1974.

Convention: (arrival) *The New Yorker,* Nov. 16, 1968; (nomination) *TW68,* p. 287.

VP choice: (Bush) George Bush with Victor Gold, *Looking Forward,* New York: Doubleday, 1987, p. 5; (Ford) James Cannon, *Time and Chance,* New York: HarperCollins, 1993, p. 95; (RN focused) ibid.; *MEM,* p. 312; Witcover, op. cit., p. 353; ("gasps"/"centrist"/"mediocre") ibid., pp. 353, 355; Whalen, op. cit., p. 202; *JA,* p. 356; (Dem. commercials) Melvin Small, *The Presidency of Richard Nixon,* Lawrence, KS: University of Kansas Press, 1999, p. 24; (RN knew corrupt) *JA,* p. 356.

acceptance: ed. Bill Adler, *The Wit and Humor of Richard Nixon,* New York: Popular Library, 1969, p. 109.

campaign PR: (RN/TV) McGinniss, op. cit., p. 33; ("3-bump") Woodstone, op. cit., p. 106, and see Gloria Steinem in *New York,* Oct. 28, 1968; ("controlled") McGinnis, op. cit., p. 39; (elephant) Whalen, op. cit., p. 192–; (Humphrey) int. Lawrence O'Brien, 1987, LBJL, McGinniss, op. cit., p. xiii; Joseph Califano, Jr., *A Presidential Nation,* New York: Norton, 1995, p. 105; (Price) ibid.; ("image not man") Whalen, op. cit., pp. 210, 212; (quits) ibid., p. 212; Garment, op. cit., p. 126.

RN campaign style: (Sidey) *Life,* Oct. 4, 1968; (Cronkite) Cronkite, op. cit., p. 227; ("None of us") Whalen, op. cit., p. 176; ("It hasn't changed") ibid., p. 154.

RN and hecklers: ("may have something") *Time,* May 18, 1970; (told staffers) Safire, op. cit., p. 80; ("We would go in") int. Ron Walker; (Ehrlichman) Ehrlichman, op. cit., p. 33; int. Ehrlichman, *NYT,* Sept. 24, 1981; (paid cash) Ehrlichman, op. cit., p. 33; (busloads) Howard Smith, *Events Leading Up to My Death,* New York: St. Martin's Press, 1996, p. 343.

spy on plane: *WP,* Sept. 4, 1973; Ehrlichman, op. cit., p. 32; (Dewey) *MEM,* p. 102, Manchester, *Glory and the Dream,* op. cit., p. 633; (RN registered) *TW68,* p. 5.

RN on lying: (Sears) *LAT,* Apr. 24, 1974; ("Your never going") Garment, op. cit., p. 115, transcript of int. Garment, CNN "Burden of Proof," Feb. 28, 1997.

contributions '68: (money matters) Whalen, op. cit., p. 156; (RN/Humphrey spending) Stans, *Terrors,* op. cit., p. 142; ("refused always") ibid., p. 134; *LAT,* Oct. 27, 1973; (president admitted) *LAT,* Feb. 19, 1976—Phillips president was W. W. Keeler; (Crosby $100,000) *NYT,* Jan. 20, 1974; int. Seymour Alter; Mahon, op. cit., p. 117, and see *supra.,* Chapter 20, p. 243; ("ecstatic") Stans, *Terrors,* op. cit., p. 135, int. Maurice Stans; (Smith) *San Diego* magazine, Nov. 1976, int. Arnholt Smith, *Ramparts,* Oct. 1973; int. former IRS agent, San Diego Dep. DA David Stutz; (Pat on Smirh) *Life,* Mar. 24, 1972; (Alessio) *Time,* Nov. 25, 1972; Penthouse, July, 1974; (Alessio prison) *Life,* Mar. 1972; (Smith prison) San Diego *Union-Tribune,* June 10, 1976; (WH efforts) int. David Stutz, and see Summers, *Official & Confidential,* op. cit., p. 411; (Crosby/Rebozo) int. Seymour Alter; (Davis bros.) Paul Michel to Henry Ruth, closing memo, Hughes-Rebozo, Oct. 16, 1975, WSPF, NA, Miami *Herald,* May 17, 18, 1974.

Getty: PAT, p. 228; ed. Miller, *Breaking,* op. cit., Vol. IV, p. 517; *WP,* May 13, 1973; closing memo, Hughes-Rebozo, *supra.,* pp. 8, 71, 84, 214–; *Rolling Stone,* May 20, 1976; Haldeman and DiMona, op. cit., p. 21; Rebozo/Getty corr., Aug. 22, 1966, Jan. 27, Mar. 8, 16, 1972, Lancing Hayes to Paul Michel, Apr. 17, 1975, and Exhibits, J. Paul Getty Contributions, 1968–1972, Box 19, WSPF, NA, Robert Lenzner, *Getty,* London: Grafton, 1987, p. 300.

cash from Hughes: ("You must remember") Barlett and Steele, op. cit., p. 451, citing Maheu testimony in *Maheu v. Hughes Tool Co.;* ("I am determined") Drosnin, op. cit., pp. 47, 309; ("If we select") ibid., pp. 47, 311; (million for LBJ) Maheu, op. cit., p. 202–; Barlett and Steele, op. cit., p. 346; ($50,000 for Humphrey) Elaine Davenport and Paul Eddy, *The Hughes Papers,* London: Andre Deutsch, 1987, p. 119–; (Humphrey denied) ibid., p. 24, but see *NYT,* Mar. 2, 1974; ("I want you to go see") E, Report, p. 933n7; (Two demands) Davenport and Eddy, op. cit., p. 129; (helicopter losses) ibid., Bartlett and Steele, op. cit., p. 359–; ("in his debt") Maheu, op. cit., p. 206; int. Maheu; (Danner diary) For 1968, 1970, 1973, Box 15, WSPF, NA; (RN /Rebozo asked) E, Report, pp. 934, 1053, 1055, E, Vol. 20, p. 9503; (Hughes laughed) Maheu, op. cit., p. 211; (intermediary/Democrat) ibid.—ref. to Edward Morgan; (RN "no time") ibid. p. 212, E, Report, p. 938; (signed receipt?) ibid, p. 953; (2 $50,000 deliveries) int. Robert Maheu, Maheu, op. cit., pp. 213, 225; E, Report, p. 944–; ("laid the bundles") Barlett and Steele, op. cit., p. 452; (participants' accounts) E, Report, p. 944–, summary at Barlett and Steele, op. cit., p. 452fn.; Davenport and Eddy, op. cit., p. 157–; (Air West) ibid., p. 160–; E Report, p. 965–; (Mitchell/anti-trust) E, Report, p. 983–; Davenport and Eddy, op. cit., p. 159–; ("obligations") E Report, p. 988; ("house project") ibid., p. 939; (fate of money) E Report, p. 1030–; (RN's attorney recalled) ibid., p. 1063—the attorney was Herbert Kalmbach; (brothers'/Rebozo's denial) ibid., p. 1052, 1066; (Woods denied) E, Vol. 22, p. 10279; (total much higher?) int. Terry Lenzner; Stephen Haberfield of WSPF to Leon Jaworski, Mar. 5, 1974, cited at Higham, *Howard Hughes,* op. cit., p. 304; ("go to Key Biscayne") Maheu, op. cit., p. 222–; (Meier) Gerald Bellett, *Age of Secrets,* Maitland, Ontario, Can.: Voyageur North America, 1995, p. 46–; (Maheu/courier denied) ints. Robert Maheu, Ken Wright; (Meier background) Ehrlichman, op. cit., p. 162; *NM,* p. 66; *LAT,* Aug. 30, 1978; ("There is evidence") E, Report, p. 946; ("Mr. Rebozo persisted") ibid., p. 1071, and see p. 932; ("And unfortunately") ibid.

Khashoggi: ("arms dealer") Sampson, op. cit., p. 188; *Vanity Fair,* Sept. 1989; ("connector") *Fortune,* June 1977; (RN relationship) int. Adnan Khashoggi; (Khashoggi and prosecutors) Paul Michel to Files, Aug. 13, 1975, re: int. Khashoggi, Box 95, Michel to Henry Ruth, closing memo, Hughes-Rebozo, Oct. 16, 1975, pp. 9, 79, 92, 218–, WSPF, NA; (plane '67) int. Adnan Khashoggi, Sampson, op. cit., p. 188; (account) WSPF refs. *supra.,* and see *WP,* June 27, 1976; ("looks suspicious"/burglary/"If RN asked me") ibid.; ("he'd given $1 million") int. Pierre Salinger; (houseboat) int. Adnan Khashoggi; (inaugurals) Michel to Files, Aug. 13, 1975, *supra.*; *NYT,* Jan. 21, 1969; (" jewelry") *WP,* Nov. 22, 1979; (K. confirmed) int. Adnan Khashoggi—author also questioned Soraya Khashoggi.

foreign contributions: Kenneth Geller to Philip Lacovara, opinion on 18USC.613, Jan. 14, 1974, file 306, Box 23 (Pappas), WSPF, NA.

Pappas: (at Convention) NY *Daily News,* Aug. 9, 1968; (background) *NYT,* May 4, 1969, Jan. 18, 1988; Detroit *Sunday News,* Nov. 11, 1973; Boston *Globe,* Oct. 31, 1968; Pappas file, FBI 190-HQ-1262376; Roger Witten to File 306, Feb. 7, 1974, Pappas, Box 23, WSPF, NA; (knew

RN) int. former counsel of House Select Cttee. on U.S. Intelligence Agencies & Activities, 1975—unidentified at his request; (photographs) *NYT,* May 4, 1969; (wedding) Detroit *Sunday News,* Nov. 11, 1973; (WH dinners) guest lists, *WP,* Mar. 22, 1972; Winter-Berger, op. cit., p. 32; (Box) ibid., Detroit *Sunday News,* Nov. 11, 1973; ("good old") RN to Rose Woods, WHT, May 23, 1973; *AOP,* p. 549; ("Greek bearing") John Dean/RN conv., Mar. 21, 1973; *AOP,* p. 256.

Agnew choice: ("Nixon's decision") *WP,* Sept. 25, 1968, cited at Paul Hoffman, *Spiro!,* New York: Tower, 1971, p. 87; (Agnew origins) ibid., p. 35; *NYT,* Aug. 10, 1968; Detroit *Sunday News,* Nov. 11, 1973; ("good word") *NYT,* Aug. 10, 1968; (RN admitted) London *Sunday Times,* Sept. 29; *New York,* Oct. 28, 1968.

junta rule: *Encarta Encyclopaedia,* 1993–98, Microsoft Corp.; Seymour Hersh, *The Price of Power,* New York: Summit, 1983, p. 136–; Stephen Rousseas, *The Death of a Democracy,* New York: Grove Press, 1967, p. 103.

Demetracopoulos: (background) ints. Elias Demetracopoulos, Hearings, House Cttee. on Foreign Affairs, Subcttee. on Europe, 92nd Cong., 1st Sess., statement of Elias Demetracopoulos, July 12, 1971; Howe and Trott, op. cit., p. 414–; (political/journalists' respect) ibid. pp. 427, 433–.

junta cash for RN campaign: (Gore) Winter-Berger, op. cit., p. 282–; Howe and Trott, op. cit., pp. 423, 425; Baltimore *News-American,* July 17, 1975; (Agnew initial position) ibid.; ints. Elias Demetracopoulos; (from here on "ED"), transcript int. of ED by Stanley Kutler, 1987, Kutler Papers; (turnabout) text of remarks of Gov. Spiro Agnew, National Press Club, Sept. 27, 1968; text of ED press conf., Sept. 28, 1968, Cong. Record, Oct. 9, 1968; ("What happened?") Gore to ED, Sept. 27, 1968, handwritten on Fairfax notepaper, copy supplied by ED; (regime's $549,000) ints. ED and *WP,* Nov. 1, 1968, June 15, 1997; Kutler, op. cit., p. 205–; (Tsimas) int. of Tsimas by Stanley Kutler, E. Gordon Fox Professor of American Institutions at University of Wisconsin, reported in his book *Wars of Watergate,* pp. 205, 651, Kutler letters to ED, Jan. 5, 1987, Kutler Papers; (Tasca) author int. with counsel for House Select Cttee. on Intelligence, *supra.*; author's conv. Seymour Hersh and see Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 138; (details withheld) int. ED, and see Hearings, House Cttee. on Foreign Affairs, Subcttee. on Europe, 92nd Cong., 1st Sess., p. 463, last par.; (Demetracopoulos/O'Brien contacts) ints. ED, transcript Stanley Kutler int. of ED, 1985; (O'Brien cite of report) Democratic National Cttee. News Release, Oct. 31, 1968, in ED papers; (LBJ motive) e.g., Robert Dallek, *Flawed Giant,* New York: Oxford University Press, 1998, p. 580.

Chapter 23

"How many American soldiers?": Karnow, op. cit., p. 17.

Kimmons story: (wives) ints. Charlotte Higgins—first wife, Gabrielle Kimmons, second wife, also Mrs. Hollis Kimmons—mother, Joyce Hagan—employer, and Harry Oldaker—friend; (RN inscription) ints. Gabrielle Kimmons, Mark Vardakis, Gerard Stodolski; article by Ralph Blumenthal, *NYT,* Feb. 17, 1985; int. Ralph Blumenthal; int. Forbes archivist Robin Tromer; *Pen & Quill*—magazine of Universal Autograph Collectors Club, Jan/Feb. 1985—original inscription, with associated documents in Forbes Archive, Forbes Gallery, NYC; (RN '64 visit) *NYT,* Apr. 2; *LAT,* Mar. 24, Apr. 2, 3, 4, 5; Pacific *Stars & Stripes,* Apr. 5, 1964; *MEM,* p. 257–; ("trip political") Herbert Parmet to author, June 7, 1999 sending transcript of RN answer and Parmet, *Nixon,* op. cit., p. 452; ("unfortunate episode") Appendix, Michael Forrestal to McGeorge Bundy, Subject South Vietnam, May 26, 1964, Southeast Asia Folder, 1961–1964, Vietnam General, FRUS 1964-1968, Vol. 1, Doc. 178, NA; (footnote) ed. John Glennon, *Foreign Relations of the United States, Vietnam 1964,* Vol. 1, Washington, D.C.: U.S. Gov. Printing Office, 1992, p. 389fn.4; ("good deal more") oral history int. John Michael Dunn, LBJL, pp. I, 24; (Schreck) pp. in draft of unpub. ms supplied to author by (son) Terry Schreck; ints. Terry and (widow) Sandie Schreck, and (former wife) Rose Mary Kelly; (Hughes) int. John Hughes; (Green Berets/SOG) John Plaster, *SOG, The Secret Wars of America's Commandos in Vietnam,* New York: Simon & Schuster, 1997, p. 19; John Prados, *The Hidden History of the Vietnam War,* Chicago: Ivan Dee, 1995, p. 76–; Sheehan, op. cit., p. 376–; NYT, Apr. 14, 1995; (camps/Cambodia border) Richard Stewart, Dept. of the Army Special Ops. Command to author, undated, 1996, with camp locations at Trang Sup and Loc Ninh; (Fr. Hoa) *Saturday Evening Post,* May 20, 1961; *Life,* Mar. 16, 1962; obit. *Central Daily News* (Taipei), Jan. 20, 1993; Douglas Valentine, *The Phoenix Program,* New York: Morrow, 1990, p. 37–; int. the late Bernard Yoh; (Lansdale) Valentine, op. cit., p. 25; Cecil Currey, *Edward Lansdale, The Unquiet American,* Boston: Houghton Mifflin, 1988, p. 218; Sheehan, op. cit., refs.; (Lansdale/RN) e.g., Lansdale to RN, Nov. 20, 1960; Allen Dulles corr. file, Box 228, VP, NA, RN to "Ed," Sept. 13, Oct. 29, 1965, Lansdale Collection, Box 54, Hoover Institution; David Halberstam, *The Best and the Brightest,* New York: Random House, 1969, p. 207; (order to Special Forces) S3 Daily Journal of 5th Special Forces, 0700 Apr. 1–5, 1964, Military Section, NA, (Suitland); ('64 no prisoner exchange) Dept. of Defense Prisoner of War/Missing in Action

Office, Ref. Doc., *U.S. Personnel Missing in Southeast Asia,* March 1998; int. John Horn, Dept. of Defense.

RN/Vietnam '64–'68: (casualties '64) Defense Dept. statistics supplied by Center for Military History, Washington D.C.; ('67/'68 casualties) ed. Tucker, op. cit., p. 1093; (Truman-Johnson line) Karnow, op. cit., p. 30; (JFK right) Crowley, *Off the Record.* op. cit., p. 35/36; (advisers/backup) Karnow, op. cit., p. 270–; (RN urged/RFK "win") ibid., p. 272; ("nothing less") *NYT,* Apr. 4, 1964; (lacked "will") *Reader's Digest,* Aug. 1964; ("win for America") Parmet, *Nixon,* op. cit., p. 454; (RN "victory") transcript, *Meet the Press,* NBC-TV, Sept. 12, 1965; ("no substitute") *Reader's Digest,* Dec. 1965; (McNamara '66) Robert McNamara with Brian VanDeMark, *In Retrospect: The Tragedy and Lessons of Vietnam,* New York: Times Books, 1995, p. 236–; (de Gaulle urged) *NYT,* Sep. 2, 1966; (de G./RN then) Sulzberger, op. cit., p. 157–; (De G./RN later) *MEM,* p. 374 and see Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 110; ("Uncle Elmer") Bobst, op. cit., p. 270; ("disaster") Garment, op. cit., p. 86; ("We must stop") Bobst, op. cit. p. 329; ("idealism") Garment, op. cit., p. 85; ("more than enough"/swing) Witcover, op. cit., p. 155–; ("World War III") ibid. p. 137, speech to Nat. Assn. of Manufacturers, Dec. 3, 1965, and commencement address, University of Rochester, June 5, 1966, both in Series 8, Box 26A, Dewey Papers, University of Rochester; ('67 casualties) ed. Tucker, op. cit., p. 1093; ("escalation threatened") McNamara with VanDeMark, op. cit., p. 269; (Helms) ibid., p. 293, citing Sept. 12, 1967 report; ("other war") ibid., p. 266, citing May 19, 1967 memo; ("Oh, sure, honest") Halberstam, *The Best and Brightest,* op. cit., p. 207—the U.S. official was Edward Lansdale; ("how soon?") Terry Dietz, *Republicans and Vietnam,* New York: Greenwood Press, 1986, p. 117, citing *NYT;* ("massive pressures") Deborah Shapley, *Promise and Power,* Boston: Little, Brown, 1993, p. 428; ("most Americans") McNamara with VanDeMark, op. cit. p. 266; (20,000 march) ibid. p. 303; (limits to protest) RN statement re. Prof. Eugene Genovese of Rutgers University, Oct. 24, 1965, enc. in RN to Tom Dewey, and University of Rochester commencement address, June 5, 1966, both in Series 8, Box 26A, Dewey Papers, University of Rochester; (hawkish doubts) Whalen, op. cit., p. 17; ("flexibility") ibid., p. 18.

RN/Vietnam '68: ("What the hell?") ibid., p. 26; ("peace with honor") address by Pres. Nixon, Jan. 23, 1973, *Historical Documents,* Congressional Quarterly, 1973, p. 117–; *AMII,* pp. 190, 195, 224; *AMIII,* pp. 34, 40, 42; *MEM,* p. 757; Safire, op. cit., pp. 7, 48, 178; (nuclear weapons) Whalen, op. cit., p. 27; ("upsweep") ibid., p. 29; ("mistake"/no RN reply) ibid., p. 76–; (tougher tactics call) *NYT,* Feb. 6, 1968, cited in Lyndon Johnson, *The Vantage Point,* New York: Holt, Rinehart & Winston, 1971, p. 399; ("national interest") *SF Chronicle,* Jan. 1, 1968; ("last ditch") Whalen, op. cit., p. 80; (World War III) *SF Chronicle, supra.*; ("If in November") *LAT,* Mar. 6, 1968; Witcover, op. cit., p. 258; Karnow, op. cit., p. 597; *MEM,* p. 298; ("Nothing lay") Whalen, op. cit., p. 91; (Halberstam) Halberstam, *The Best and the Brightest,* op. cit., p. 661; (Sheehan) *NYT,* Apr. 28, 1994; ("substantively"/"stupid war") Whalen, op. cit., Ch. VIII; (speech drafted) full planned text at ibid., p. 283; (LBJ astonishing) Robert Dallek, *Flawed Giant,* New York: Oxford University Press, 1998, p. 529; (RN would refrain) *AMII,* p. 149–; ("pragmatic splitting") Whalen, op. cit., p. 135; ("political stroke") ibid., p. 144; ("no way to win") ibid., p. 137.

"Madman Theory": ("I call it . . .") Haldeman and DiMona, op. cit., pp. 83–; eds. Miller Center, op. cit., p. 82; (RN claimed "not remember") Hoff, op. cit., p. 177; (Colson) *U.S. News & World Report,* May 2, 1994; ("convey to Dobrynin") Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 305; ("impression . . . 'crazy' ") Garment, op. cit., pp. 174, 176–.

RN/Hatfield: ("He gave assurances") Mark Hatfield to Robert Klass, July 16, 1968, JFRP; (Hatfield announced) AP, June 27,(?) 1968; (end war 1st year) Haldeman and DiMona, op. cit, p. 121; (end war 6 months) int. John Rothmann, citing RN in meeting at NY apartment, 1967; ("stop it with victory") int. by Flora Rheta Schreiber, *Good Housekeeping,* July 1968; ("in the Democratic process") Hatfield, cited at Whalen, op. cit., p. 220.

Vietnam Peace Talks: (LBJ effort) described inter alia in Bundy, op. cit., p. 20; Clark Clifford with Richard Holbrooke, *Counsel to the President,* New York: Random House, 1991, p. 567–; ed. David Barrett, *Lyndon B. Johnson's Vietnam Papers,* College Station, TX: Texas A & M University Press, 1997. The author also read extensively in the holdings of the Lyndon B. Johnson Library, notably the daily diary, Ted Johnson's notes of meetings, Boxes 3 & 4, Clark Clifford Papers, Box 6, NSF, Country file Vietnam, "Memos to the President/Bombing Halt Decision," Vols. 1–14, Boxes 137, 138, NSF, files of Walt Rostow, "Nixon, Richard—Vietnam," Box 5, "Vietnam: July–Dec. 1968," Box 115, diary backup, Oct. 31, 1968, Box 114, Nov. 11, 1968, Box 115, office files of Harry McPherson, Box 67, and numerous oral histories all in LBJL. See also "The 1968 Presidential Election & Peace in Vietnam," article by Kent G. Seig, U.S. State Dept. Historian, in *Presidential Studies Quarterly,* XXVI. 4, Fall 1996, p. 1062; (Thieu announced) *AMII,* p. 212; ("not in cards") Nguyen Tien Hung and Jerald Schecter, *The Palace File,* New York: Harper & Row, 1986, p. 21; (Humphrey promise re: bombing) Clifford with

Holbrooke, op. cit., p. 572fn; (reductions) *AMII*, p. 197; ("a chance") Hung and Schecter, op. cit., p. 21—Hung was the close aide.

RN and peace initiative: ("country above party") transcript, RN on CBS Radio, Oct. 28, 1968, available in CO-4664, Dirksen Congressional Center, Pekin, IL; ("neither he nore I") *NYT*, Nov. 1, 1968; (In private) *AMII*, p. 207 and see p. 216; ("probably decisive") Clifford with Holbrooke, op. cit., p. 582; ("no truth at all") note from Jim Jones, Nov. 3, 1968; Ref. File, "Chennault, Anna," from folder "South Vietnam & U.S. Policies," labeled "The 'X' Envelope," LBJL, hereafter referred to as X.

Anna Chennault/RN: (background) biographical note, Appendix II, *World Journal*, Taiwan, Apr. 21–26, 1994, ints. Anna Chennault; Catherine Forslund, *Woman of Two Worlds: Anna Chennault and Informal Diplomacy in US.–Asian Relations, 1950–1990*, Ph.D. dissertation, spring 1997, Washington University at St. Louis; Anna Chennault, *The Education of Anna*, New York: Times Books, 1980; (Chennault '68) *WP*, Nov. 1, 1968, Jan. 12, 1969; Boston *Globe*, Jan. 6, 1969; *Washingtonian*, Sept. 1969; Washington *Star*, Aug. 20, 1979; (joined Republicans) Chennault, op. cit., p. 163; int. Chennault; (Chennault/RN first contacts) Chennault, op. cit., p. 163–; ints. Chennault—first in 1954, according to *World Journal*, Taiwan, Apr. 21–26, 1994; (Vietnam contacts) ints. Anna Chennault; Forslund, op. cit., p. 188–; (tough views) Chennault to RN, Mar. 25, Apr. 4, June 24, 1968, Folder 20, Box 124, Robert C. Hill Papers, Hoover Institution; (phone calls '67) *World Journal, supra.*; (NY meeting '67) ibid; Chennault, op. cit., p. 170–; ("RN would like to see") Dick Allen to DC, July 3, 1968, cited in Safire, op. cit., p. 89; ("victory") Chennault, op. cit., p. 170; ("if elected") ibid., p. 175; (met Thieu) Hung and Schecter, op. cit., p. 19;("only contact") ibid. and see Bui Diem with David Channoff, *In the Jaws of History*, Boston: Houghton Mifflin, 1987, p. 237; ints. Chennault, Bui Diem; (Chennault/Thieu) Chennault, op. cit., p. 187; ints. Chennault; ("better deal") ints. Chennault; (Thieu messages) int. Chennault; (other messengers) ibid. and Hung and Schecter, op. cit., p. 23; (Mitchell silent) int. Bui Diem; (changed number) Chennault, op. cit., pp. 174; (Hill, Woods, Hitt) Chennault to RN, June 24, 1968, *supra*. and re: Hitt background, int. Patricia R. Hitt, Patricia Hitt Oral History, Bancroft Library, University of California; (RN publicly mouthed) e.g., *LAT* and AP, Oct. 18, 1968—urging support for LBJ so as not "to play politics with peace"; (resentment) *MEM*, p. 326; (LBJ devoted to peace/too hesitant) e.g., minutes of foreign policy advisers group meeting, Oct. 14, 1968, citing LBJ not wanting it said "one man died who could have been saved by this plan . . . we'll be scared, but we'll try it," Tom Johnson meeting notes, Box 4, LBJL and Clifford with Holbrooke, op. cit., p. 80, citing LBJ as labeling aides "a bunch of duds"; (Agnew briefed) Kent Crane to Agnew, Oct. 15, 16, 1968, Folder 31, Box 125, Robert C. Hill Papers, Hoover Institution; (two days later) Chennault calendar entry re: meeting Bui Diem, 10 A.M. Oct. 18, shared with author by Catherine Forslund; (A few days after) ibid., for 11 A.M. Oct. 25; ("Call from payphone") Hung and Schecter, op. cit, p. 24; (Bui Diem on messages) Bui Diem, op. cit., p. 244, citing messages Oct. 23 and 27; int./corr. Bui Diem; (Read version) Bundy, op. cit., p. 42, int./corr. Bundy; (NSA Intercepts) ibid. and Powers, op. cit., p. 252; (CIA/Diem) ibid; (device/Thieu) ibid., pp. 235, 252; Hung and Schecter, op. cit., p. 80; (Thieu overheard) Walt Rostow to president, "Literally Eyes Only," Nov. 2, 1968, citing intelligence item of Oct. 26, Item 51, NSF files, Box 137, Vol. 4, LBJL; (Oct. 29 meeting) foreign policy group meeting, Oct. 29, 1968; (2:30 A.M.–) Tom Johnson meeting notes, Box 4, LBJL, and see Clifford with Holbrooke, op. cit., p. 586; (LBJ re: RN "conniving") Oct. 28, 1968 meeting notes, *supra.*, pp. 20, 21; ed. Barrett, op. cit., p. 817– and 3 memos, Walt Rostow to LBJ and 2 memos Eugene Rostow to Walt Rostow, Oct. 29, 1968, and Walt Rostow, memo for the record, May 14, 1973, all in X, LBJL; ("all adds up") Tom Johnson meeting notes, *supra.*; (wiretaps/surveillance ordered) memos in "June" folder, FBI HQ 65-62098, released to author, Dec. 1999; (LBJ heavy hint) Forslund, op. cit., p. 221, and see *MEM*, p. 322—although the latter does not mention LBJ's hint, a reference to subversive activity by "old China hands"; (panic in RN camp) Lewis Chester, Godfrey Hodgson, Bruce Page, *An American Melodrama*, London: Andre Deutsch, 1969, p. 727; Godfrey Hodgson to author, Dec. 6, 1996; (Chennault not get through) Chester, et al., op. cit., p. 733; (Chennault/Mitchell call) Chennault, op. cit., p. 190–; (Thieu announced) *WP*, Nov. 2, 1968—reporting announcement same day Saigon time; (RN underhand way) Witcover, op. cit., p. 438; Bundy, op. cit., p. 34; (Rostow/no hard evidence) Walt Rostow to LBJ, Oct. 29, 1968 (8:50 A.M.) in Vietnam, July–Dec., 1968, Box 6, NSF Rostow Papers, LBJL; (FBI/Sheraton Park call) teletype, director FBI to W. Hse. situation rm., Nov. 1, 1968, X, LBJL—partly conf. by Chennault calendar entry, Oct. 31, 1968, Chennault, op. cit., p. 190–; (Nov. 2 Chennault/Diem call) SAC Washington field office, 3, to director FBI, WFO 105-9894, sent as enciphered teletype to W. Hse. situation rm., FBI 65-62298-204, Nov. 2, 1968, both released to author, 1999.

Agnew/Albuquerque: Seymour Hersh article, *NYT*, June 27, 1973; (LBJ ordered checks) Cartha DeLoach to Clyde Tolson, Nov. 19, 1968, re: Nov. 12 order, FBI 65-62098; (Hoover warned Chennault) int. Anna Chennault; (Hoover/DeLoach conspired) Cartha DeLoach, *Hoover's*

FBI, Washington, D.C.: Regnery, 1995, p. 396–; (call to Hitt) Cartha DeLoach to Clyde Tolson, *supra.;* (Robert Hitt) "Special Inquiry," Murray Chotiner, Apr. 21, 1969, FBI HQ 161-6284, and re: cash–E, II, pp. 541, 573, 588–; (paymaster) Wise, *Police State,* op. cit., pp. 3–, 12; (Pat Hitt) *Who's Who in American Politics, 1995/96,* unid. clipping in Theodore White Papers, 1968, Box 32, JFKL, *SF Chronicle,* Feb. 1, 1975—and see main text *supra.* re: being named by Chennault; (Rostow to LBJ re: Albuquerque) Rostow to LBJ, "Eyes Only memo," Nov. 12, 1968, X, LBJL; (Rostow surmised) Nov. 2, 1968, X, LBJL.

Chennault/S.Vietnam Embassy contacts: (overheard Nov. 7) Special Agent in Charge, WFO to director FBI, 3 messages, Nov. 7, 1968, FBI 65-62098, Serials 226, 228, 256, released to author 1999; (Thieu congratulations) Special Agent in Charge, WFO to director, FBI, Nov. 7, 1968, FBI 65-62098-227; (RN in FL) *MEM,* p. 335; *PAT,* p. 248.

LBJ/RN/Humphrey: (LBJ furious) *MEM,* p. 329; Harry McPherson and James Rowe, Jr., ints., Oral History Collection, LBJL; (late Friday night) Safire, op. cit., p. 93; (on her own) Witcover, op. cit., p. 442; George Christian, *The President Steps Down,* New York: Macmillan, 1970, p. 93; ("laughter") Chester, et al., op. cit., p. 734; Godfrey Hodgson to author, Dec. 6, 1996; ("Johnson certain") Joseph Califano, Jr., *The Triumph & Tragedy of Lyndon Johnson,* New York: Simon & Schuster, 1991, p. 328; int. Joseph Califano, Jr.; ("horrendous"), ibid.; (Humphrey told/reaction) int. James Rowe, Jr., *supra.;* Grant, op. cit., p. 311; McClendon, op. cit., p. 61; Austin *American,* July 9, 11, 1969; Hung and Schecter, op. cit., p. 485, Solberg, op. cit., p. 397–; ("What kind of guy?") Lawrence O'Brien int., Oral History Collection, LBJL; (might "want to consider") int. Max Kampelman in "Wheeler on America," Prog. 1, BBC-TV, Feb. 18, 1996; Bundy, op. cit., p. 551n92; ("very well blow") Cartha DeLoach to Clyde Tolson, Nov. 4, 1968, FBI 65-62098-170, released to author, 1999; (advisers decided) "Eyes Only memo," Walt Rostow to president, Nov. 4, 1968, NSF Files (item 27A), Vol. 4, Box 137, and int. Harry McPherson, Oral History Collection, LBJL; ("blow whistle" query) "Literally Eyes Only" memo, Walt Rostow to president, Nov. 8, 1968, X, LBJL.

RN reverses position: (LBJ "actively sought") Rostow memo for record, May 14, 1973, X, LBJL, and see Hung and Schecter, op. cit., p. 486n32; (LBJ/Humphrey forecast) Tom Johnson meeting notes, Oct. 29, 1968, Box 4, LBJL—citing LBJ as saying "Nixon will double-cross after Nov. 5," and ibid., Nov. 20, 1968—citing Humphrey as saying "Nixon will move and fast. He'll sell them down the river"; (strong word) Dallek, op. cit., p. 597; ("flabbergasted") int. Anna Chennault; Chennault, op. cit., p.193; (Chennault harried) ibid.; int. Herb Klein; (fended enquiries) Chennault, op. cit., p. 195–; St. Louis *Post-Dispatch,* Jan 8, 1979; *NYT,* July 23, 1969; (feared for safety) int. Anna Chennault; ("I've certainly paid") Chennault, op. cit., p. 197–.

SE Asia conflict in presidency: (casualties final 5 weeks): supplied by U.S. Dept. of Defense Electronic Records; (Holbrooke) int. Richard Holbrooke for BBC/History Channel; ("a man so consumed") Califano, *Triumph & Tragedy,* op. cit., p. 328.

Thieu reaction: (champagne) *Newsweek,* Nov. 18, 1968, but see U.S. Embassy Saigon to Sec. of State, Nov. 15, 1968, Box 6, Clark Clifford Papers, LBJL; ("We did it") Chicago *Daily News,* Nov. 15, 1968; (Thieu felt) Hung and Schecter, op. cit., pp. 483n1, 31, 34; (Thieu would defy) *MEM,* pp. 584, 690–, 702, 707, and see Clifford with Holbrooke, op. cit., p. 593fn; (at first meeting) Hung and Schecter, op. cit., p. 30; (RN reassured) ibid., p. 34.

RN in WH: (Cambodia deaths) Cambodian Genocide Project, Yale University, New Haven, CT; (RN bombing N. Vietnam) George Herring, *America's Longest War,* New York: Knopf, 1986, p. 250–; *Radical History Review,* Fall 1994, p. 185, and see Karnow, op. cit., p. 658–; Shawcross, op. cit., pp. 217–, 260; (RN argued) Richard Nixon, *No More Vietnams,* New York: Touchstone, 1990, p. 277; (contrary case) *SF Chronicle,* Mar. 4, 1984; Arthur Pearl, *Landslide,* Secaucus, NJ: Citadel Press, 1973, p. 97; George McGovern in *Rolling Stone,* June 16, 1994; (RN/peace "won") Nixon, *No More Vietnams,* op. cit., pp. 206, 277; ("I agree war mistake") int. Sen. George McGovern in eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 171, and McGovern article, *Rolling Stone,* June 16, 1994—Sen. McGovern was Kissinger's visitor in early 1969.

Chapter 24

"This really is": *NYT,* June 23, 1993.

Election '68: (Harris poll) *TW68,* p. 446; (aboard plane) ibid., p. 452–; (Op. Eagle Eye) Garment, op. cit., p. 141 and see Whalen, op. cit., p. 14; (Op. Integrity) *Life,* Sep. 5, 1969, ed. Miller, *Breaking of the President,* op. cit., vol. 3, p. 68; int. J. Edgar Nichols; (nervy) *MEM,* p. 332; (RN election night) *TW68,* p. 455–; *MEM,* p. 331; (RN urged Humphrey) ibid., p. 320; Wicker, op. cit., p. 361; ("tell Hubert to quit") *MEM,* p. 333; Wicker, op. cit., p. 383; (women isolated) *PAT,* p. 246; (Pat vomited) ibid.; (voting figures) *TW68,* p. 462–; (Graham) Graham, op. cit., p. 449–; *PAT,* p. 247; (Woods weeping) *NYT* News Service, Nov. 11, 1968; ("bring together") full text at Adler, op. cit., p. 124; ("verge of victory") Graham, op. cit., p. 450; ("Victory at Sea") *MEM,* p. 335; *PAT,* p. 248; (pirouette) ibid.; (Air Force One) Safire, op. cit.,

p. 107; ("Mr. President") ibid., p. 248; (S. Service) ibid., p. 249; (Searchlight) John Curtin to John Vermilye, (Miami Police Intelligence), Nov. 13, 1968, supplied to author by Gordon Winslow; (Starlight) Walker, op. cit., front matter; ("very strange") Matthews, op. cit., p. 270.

Transition: ("Baloney!) int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., pp. 122, 135; (Pierre) Carl Brauer, *Presidential Transitions,* New York: Oxford University Press, 1986, p. 131; Stans, *Terrors,* op. cit., p. 140; (*Who's Who*) int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 135; Whalen, op. cit., p. 224–; (Ehrlichman/AG?) int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p.123; ("no politician") Smith, *Dewey,* op. cit., p. 631; ("RN's right arm") ed. Schoenebaum, op. cit., p. 444; ("take care") int. Dwight Chapin in eds. Strober,*Nixon,* op. cit., p. 295; (RN/Martha) Bryant with Leighton, op. cit., p. 256, Haldeman with DiMona, op. cit., p. 9; (alcohol problems) int. Chapin *supra.;* McClendon, op. cit., p. 63.

Haldeman: (Ike: "S.O.B.") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 54; ("pluperfect") ibid.; (quiet) White, *Breach,* op. cit., p. 92; ("fine guy") notes of Haldeman int., Nov. 22, 1968, Theodore White Papers, Box 40, JFKL; (accounts) William Shannon, *They Could Not Trust the King,* New York: Macmillan, 1974, p. 149; Medved, op. cit., p. 307; ("dream") int. Larry Higby; ("swam too far") White, *Breach,* op. cit., p. 92; (Germans/"Nazi") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 55; Lewis Chester, Cal McCrystal, Stephen Aris, and William Shawcross, *Watergate,* New York: Ballantine, 1973, p. 13; Bernstein and Woodward, *Men,* op. cit., p. 304; eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 55; (dined once) Haldeman with DiMona, op. cit., p. 65; ("didn't see as person") ibid., p. 74; ("never asked") ibid., p. 72; ("machine") ibid., p. 74; ("Executioner") ibid., p. 111.

friends dumped: (Klein) int. Herb Klein; Brauer, op. cit., p. 135; (Klein decent) e.g., Dickerson, op. cit., p. 153; ("Zig-zag") *NM,* p. 391; (Woods moved) *NM,* p. 461; int. Patricia Hitt, and see Safire, op. cit., p. 113–; ("Go fuck!) Wicker, op. cit., p. 400.

W.H. young men: (Magruder/Chapin/Huston/Strachan/Colson) *NM,* pp. 7, 11, 30, 151–, 187–; Magruder, *American Life,* op. cit., p. 3; ("Judas") *AOP,* p. 606; ("viciously") *NM,* p. 11; ("please boss") ibid., p. 280; ("If Nixon told") int. Tom Huston, 1973, in *Harpers,* Oct. 1974; (obedience) e.g., int. John Ehrlichman; eds. Miller Center, op. cit., p. 129, int. John Ehrlichman; Haldeman with DiMona, op. cit., pp. 59, 319; and Medved, op. cit., p. 319; Haldeman, op. cit., p. 59–; Safire, op. cit., p. 285, William Doyle, *Inside the Oval Office: The White House Tapes from FDR to Clinton,* New York: Kodansha Int., 1999, pp. 171–, 177.

Cabinet announcement: Klein, op. cit., p. 298, Brauer, op. cit., p. 144; (domestic bore/Moynihan) Wicker, op. cit., p. 421; ("I've always thought") *TW68,* p. 171; (RN intended) *MEM,* p. 340.

Kissinger appointment: (Humphrey/"clown") Shawcross, op. cit., p. 79; ("hopeless") Kissinger to Averell Harriman, Aug. 16, 1968, cited at Kent Seig, "The 1968 Presidential Election and Peace in Vietnam, *Presidential Studies Quarterly,* Vol. XXVI, No. 4, Fall 1996 p. 1078n83; ("most dangerous") *WP,* Aug. 23, 1972 ; ("not fit") Marvin Kalb and Bernard Kalb, *Kissinger,* Boston: Little, Brown, 1974, p. 16; *NYT Magazine,* Nov. 14, 1971; ("disaster") Iassacson, op. cit., p. 127; (gentler) Marvin Kalb and Bernard Kalb, op. cit., p.15; (and Brzezinski) Iassacson, op. cit., p. 133; ("shit" files) ibid. and Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 14; (Kissinger leaked) Iassacson, op. cit., p. 129; *MEM,* p. 340—but see Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 10; (Steinem) Iassacson, op. cit., p. 134; ("Guten Morgen") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 14.

Hoover at Pierre: (warning) Summers, *Official & Confidential,* op. cit., p. 370 and sources; (embellished) DeLoach, op. cit., p. 407; (RN raises on WHT) *AOP,* pp. 75, 92, 147, 168, 175–, 196–, 198, 204, and see *Historical Documents,* 1973, pub. by *Congressional Quarterly,* pp. 663, 666, and blind memo, re: Potential Matters for Discussion with Sen. Baker, June 12, 1973, John Dean folder, Wh. Hse. Staff files, NA; ("Little men") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 80, amended in int. H. R. "Bob" Haldeman, 1989.

Nixon worry re: bugs: (wireman) Wise, *Police State,* op. cit., pp. 4, 10; ("Let's get off") Louis and Yazijian, op. cit., p. 219; ("shh!") Hillings with Seelye, op. cit., p. 187; (LBJ "obsessed") Crowley, *Off the Record,* op. cit., pp. 17, 136; (former presidents' taping) best reported in Doyle, *Inside the Oval Office,* op. cit, and re: Ike, see July 16, 1954 cabinet notes, James Hagerty Papers, DDEL; (JFK bedroom phone) Beschloss, *Crisis Years,* op. cit., p. 346; (LBJ "extensive") Bill Gulley with Mary Ellen Reese, *Breaking Cover,* New York: Warner, 1980, pp. 19, 95; ("As any tenant") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 80–; *Prologue,* XX, Summer 1988, p. 80 and int. Robert Finch in eds. Miller Center, op. cit., p. 266.

RN state of mind '68: ("as 1968 came to end") *MEM,* p. 361–; ("nervousness") Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 11; ("I would call") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 66; ("between midnight & 3 A.M.") int. Len Garment, Garment, op. cit., p. 143–.

RN alcohol/drugs: ("like a Spartan") *Saturday Evening Post,* Feb. 25, 1967; ("couldn't take a drink") notes of int. Jan. 22, 1969, Nixon folder, Theodore White Papers, Box 40, JFKL; ("pills to ease mind") int. George Christopher; ("some medication") int. Edward Nixon for BBC/History Channel.

Dilantin: (Dreyfus background) *Life,* Sept. 29, 1967; Jack Dreyfus, *A Remarkable Medicine Has Been Overlooked,* New York: Continuum; 1997, Barry Smith and Jack Dreyfus, *The Broad Range of Clinical Use of Phenytoin,* New York: Dreyfus Medical Foundation, 1992; int. Jack Dreyfus; int. Jack Dreyfus for BBC/History Channel; (Tkach) *LAT,* Dec. 29, 1973; Nixon, *Six Crises,* op. cit., p. 326; (compliant doctor?) int. John Ehrlichman; (FDA status of Dilantin) int. Dr. Lawrence McDonald; *Physician's Desk Reference,* 1998, p. 2242; (Price) Wicker, op. cit., p. 393; (Korff) int. the late Rabbi Baruch Korff; (Graham) int. Billy Graham in *Esquire,* Apr. 10, 1979.

Pearson/Hutschnecker '68: (contacts) NY *Post*(?), Nov. 14, 1968; *WP,* Nov. 14, 20, 23, 1968; UPI, Nov. 14, 1968, reporting Pearson address to National Press Club; Pearson handwritten notes, Box G 281, DPP, reprinted at Hutschnecker, *Drive for Power,* op. cit., p. 7–, 311; Woodstone, op. cit., p. 4; ("felt we had to be ready") Klein, op. cit., p. 413, int. Herb Klein; (Klein call) ibid. and Hutschnecker, *Drive for Power,* op. cit., p. 314; (Ford) Winter-Berger, op. cit., p. 258–; (Klein/Chotiner visits) Klein, op. cit., p. 412–, int. Klein; (Pearson re: "pyschiatric"/"pressure") *WP,* Nov. 14, 20, 23, 1968; ("untrue") *WP,* Nov. 20, 1968; (RN "depressed") int. Herb Klein; (Steinem) int. Steinem and see Hutschnecker, *Drive for Power,* op. cit., p. 8–.

"attract scandal": Kleindienst, op. cit., p. 209.

O'Brien: (Humphrey campaign) Davenport and Eddy, op. cit., p. 132; (Hughes hires) Maheu, op. cit., p. 206–; Drosnin, op. cit., p. 273–; Lawrence O'Brien, *No Final Victories,* Garden City, NY: Doubleday, 1974, p. 255–; (Castro plots hint) Drew Pearson in *SF Chronicle,* Mar. 3, 1967—column not run in some papers; (O'Brien knew re: Pappas) see p. 286, "*supra.;* (O'Brien knew re: Chennault) Lawrence O'Brien oral history int., p. XXVI.13, LBJL; (O'Brien/Edward Kennedy) *TW68,* p. 449–; O'Brien, op. cit., p. 262.

Inauguration: (ceremony) *MEM,* p. 365–; *PAT,* p. 251; Leon Panetta and Peter Gall, *Bring Us Together,* New York: J. B. Lippincott, 1971, p. 59; ("Oops!") *WP,* Jan. 21, 1969; (Pat outfit) Lady Bird Johnson, *A White House Diary,* London: Weidenfeld and Nicolson, 1970, p. 776; (Warren loathed) int. John Rothmann; William Buckley, Jr., in *SF Chronicle* (?), Mar. 25, 1975; Kohlmeier, op. cit., p. 93; (RN's voice) Johnson, op. cit., p. 779; (Isaiah) *MEM,* p. 366; (from RN's pen) Price, op. cit., p. 48; (protesters) *MEM,* p. 366; *PAT,* p. 252; *NYT,* Jan. 21, 1969; (balls) ibid., *WP,* Jan. 21, 1969; *LAT,* Jan. 20, 1969; St. Petersburg [FL] *Times,* Jan. 21, 1969; (Rebozo) *NYT,* Jan. 20, 1969; (Khashoggi) *NYT,* Jan. 21, 1969; int. Adnan Khashoggi; (Hitt) *LAT,* Jan. 21, 1969; (Lombardo) *NYT,* Jan. 21, 1969; (turning on lights) *PAT,* 253–; (exultant) Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 3; (Harlow) Cannon, op. cit., p. 98; ("This is your house") *WP,* Jan 22, 1969.

Chapter 25

"The office neither elevates": George Reedy, *The Twilight of the Presidency,* New York: New American Library, 1970, p. 18.

"He was obsessed": int. Robert Finch, in eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 80.

Excess in RN presidency: (no need?) *U.S. News & World Report,* Nov. 8, 1968; (silk) Kessler, op. cit., p. 55, citing Bill Gulley, and see *HD,* pp. 29, 30; (bed) Kessler, op. cit., p. 55; Cheshire with Greenya, op. cit., p. 176; (LBJ/RN airplanes) Manchester, *Glory and Dream,* op. cit., p. 1162; (Air Force One refurbished) Helen Thomas, *Front Row at the White House,* New York: Scribner, 1999, p. 171; (further $750,000) ibid., p. 173 and see higher figure in Kessler, op. cit., p. 57; (in-laws/aides used) Manchester, *Glory and Dream,* op. cit., p. 1162; Gulley with Reese, op. cit., p. 189; (Biscayne/San Clemente/$10.5 million) *NYT,* Dec. 19, 1973; Manchester, *Glory and Dream,* op. cit., p. 1161; (special features cost) Gulley with Reese, op. cit., p. 189; (C. David pool) ibid., p. 179; (nine offices) David, op. cit., p. 71, citing *Fortune,* John Herbers, *No Thank You, Mr. President,* New York: Norton, 1976, p. 64; (household expenses) Manchester, *Glory and Dream,* op. cit., p. 1162.

absences: *Newsweek,* Aug. 24, 1970; Herbers, op. cit., p. 64; (RN word on his work habits) *New York,* May 10, 1976; Small, op. cit., p. 230; (Butterfield) *People,* May 19, 1975 and see Kissinger, *Renewal,* op. cit., p. 70.

coats: *NYT,* Dec. 21, 1968.

Julie bent custom: Edmondson and Cohen, op. cit., p. 157.

nicknames: *Parade* magazine, *WP,* undated, 1967.

Tricia: (in room/figurines) Edmondson and Cohen, op. cit., pp. 106–, 114; Ehrlichman, op. cit., p. 42; ("Louis XV") Edmondson and Cohen, op. cit., p. 111; ("tough-and-troubled") Ehrlichman, op. cit., p. 42; (embassy party) ibid., p. 43; (steward staring) Kessler, op. cit., p. 43; (hassock) Bryant with Leighton, op. cit., p. 323; ("Goody-Two-Shoes") int. Lou Campbell, former agent with executive protection service; (agents urinating) Rush, op. cit., p. 192, citing former agent Marty Venker; (Tricia/Charles) UPI, Aug. 16, 1979, citing Prince Charles, Cheshire with Greenya, op. cit., p. 117, Bryant with Leighton, op. cit., p. 291; (Cox background) *WP,* Apr. 19, 1970, *NYT,* Mar. 17, 1971; (*60 Minutes* viewers/Rather) Troy, op. cit., p. 193.

uniforms: (Brussels) Dan Rather with Mickey Herskowitz, *The Camera Never Blinks,* New York: William Morrow, 1977, p. 221; (India) Dickerson, op. cit., p. 164; (Ruritanian) E. J. Applewhite, *Washington Itself,* Lanham, MD: Madison Books, 1993, p. 88; ("cross between") Bryant with Leighton, op. cit., p. 283; (RN & caps) *Newsweek,* Dec. 19, 1977; (dieting) Dickerson, op. cit., p. 164; (Iowa bands) *SF Chronicle,* May 16, June 18, UPI, Nov. 10, 1980; (Alice Cooper) *SF Chronicle,* June 18, 1980; ("something more formal") Magruder, *American Life,* op. cit., p. 60; ("stupid") int. Peter Flanigan.

RN style: (memo four days after) ed. Oudes, op. cit., p. 11; ("He saves everything") E, 22, p. 10267–; ("Things got regal") Bryant with Leighton, op. cit., p. 239; ("Problems with signals") *HD,* p. 29; (white tie) *U.S. News & World Report,* Feb. 24, Aug. 11, 1969; ("above salt") ibid.; (higher chair) Joseph Califano, Jr., *Governing America,* New York: Simon & Schuster, 1981, p. 429; (Sidey) *Life,* Mar. 10, 1972.

RN and Royalty: (Windsors) int. Robert K. Gray; *HD,* p. 146; (Pat "statistics") int. Jessamyn West by FB, FBP; (jewels) Cheshire with Greenya, op. cit., pp. 87–, 116–, 128–, 174; *WP,* May 14, 15, 16, Sep. 22, 23, 24, 1974; Paul Michel to Henry Ruth, Hughes-Rebozo closing memo, Oct. 16, 1975, WSPF, NA; Howe and Trott, op. cit., p. 500; Knight News Service, Apr. 4, 1979; ints. Fred Graboske, Donald Nixon, Jr.; (royal lineage) UPI, Apr. 10, 1975; ("I often felt") Klein, op. cit., p. 323; (RN denied) *MEM,* p. 771; ("aloof & imperial") O'Neill and Novak, op. cit., p. 240–; (Burns) int. Arthur Burns in eds. Miller Center, op. cit., p. 160; ("He just doesn't listen") Smith, *Dewey,* op. cit., p. 633; ("like Naploeon") int. Arnholt Smith, and see San Diego *Reader,* Mar. 19, 1992; ("regal") int. Leonard Hall by FB, FBP.

RN and cabinet: (initial intent) agenda for cabinet mtg., Jan. 22, 1969, Box 40, Theodore White Papers, JFKL; (RN "never intended") eds. Strober, *Nixon* , op. cit., p. 88, and see *HD,* p. 100; (Schlesinger) ibid., p. 89; ("We began to get") int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 130–; (RN "never trusted") int. Richard Helms by Stanley Kutler, Kutler Collection kindly provided to author; ("Screw the Cabinet") WHT, April 1971 revealed in court case *Justice Dept. v. Nixon Estate,* reported in *WP,* Dec. 27, 1998.

RN and Congress: ("He simply didn't want") int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 133 and see Robert Dole in *WP,* July 29, 1973; (Timmons) cited in Reichley, op. cit., p. 87; (blocking bills, etc.) Smith, *Events Leading Up to My Death,* op. cit., p. 352; Paul Clancy, *Just a Country Lawyer,* Bloomington, IN: Indiana University Press, 1974, p. 252–; Dick Dabney, *A Good Man: The Life of Sam Ervin,* Boston: Houghton, Mifflin, 1976, p. 250: Thomas Cronin cited in *NYT,* Apr. 24, 1994; (Phillips) Arthur Pearl, *Landslide,* Secaucus, NJ: Citadel, 1973, p. 226; ("Divine Right") *NYT,* Apr. 3, 1973.

RN presidency and press: ("that fucking bunch") Theodore White notes of conv. with RN, Nov. 23, 1968, Box 40, Theodore White papers, LBJL; ("Why don't we all get") Wise, *Politics of Lying,* op. cit., p. 316—the aide was Roy Goodearle; (cutoff *NYT, WP,* etc.) *HD,* p. 60; Safire, op. cit., p. 345; (moon rocks) Wise, *Politics of Lying,* op. cit., p. 315–; (grander quarters) ibid., p. 342, Thomas, *Dateline,* op. cit., p. 126; (press conferences) Wise, *Politics of Lying,* op. cit., p. 359; (RN claimed/Agnew) ibid., pp. 336, 339; *MEM,* p. 411; (Sidey on "non-news") Wise, *Politics of Lying,* op. cit., p. 360.

Vietnam and first presidency: ("Without the V. War") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 79; (safe) *MEM,* pp. 336, 369; ("Who knows") T. White notes of conv. RN, Dec. 2, 1968, *supra.;* ("Peace cannot") Nixon address, May 14, 1969, as reprinted by U.S.I.S.; (RN/Thieu meeting) Hung and Schecter, op. cit., pp. 32–, 40; (RN withheld) ibid., p. 41; (tigers) ibid., p. 109; (Vietnamization) ibid., p. 34; *MEM,* pp. 395; (Critics claimed) e.g., eds. The Committee of Concerned Asian Scholars, *The Indochina Story,* New York: Pantheon, 1970, pp. 132, 136.

Cambodia: (bombing) Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 242–; Shawcross, op. cit., p.26–; Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 54–; "Secret Bombing of Cambodia," Congressional Quarterly, *Historical Documents 1973* Washington, D.C., 1974, p. 729–; (impeachment issue) Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 62fn.; Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 249; Bundy, op. cit., p. 471; (RN public lies) transcript RN speeches, *NYT,* May 15, 1969, May 1, 1970, int. John Rothmann.

Spy plane: (incident) Kissinger, *White House Years,* op. cit., pp. 247, 313–; Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 69–; *MEM,* p. 384; ("strong action") *HD,* p. 50; ("sweet-ass") Bryant with Leighton, op. cit., p. 253; ("I'll turn Right") *WP,* Dec. 27, 1998, citing RN/Kissinger call, April 1971.

Calley: (My Lai event) *TW72,* p. 58, Chicago *Sun-Times,* Nov. 13, 1969, [Seymour Hersh piece] *NYT,* May 11, 1998, obit. Ronald Ridenhour, June 5, 1998, obit. Col. Oran Henderson; Mollenhoff, op. cit., p. 74–; David Obst, *Too Good to Be Forgotten,* New York: John Wiley, 1998, p. 161; Sheehan, op. cit., p. 689; ("abhorent") RN press statement, Nov. 26, 1969, cited in Daniels letter, *WP,* Apr. 7, 1971, and see RN press conference in ed. Helen Thomas, *The Nixon Presidential Press Conferences,* New York: Earl Coleman, 1978, re: RN comments Dec. 8, 1969, p. 70; (spy order) Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 135; ("rotten Jews") ibid., citing

Alexander Butterfield; (confinement conditions) Sheehan, op. cit., p. 689; Obst, op. cit., p. 172; (life story/Hymm) ibid.; (Daniel Letter) *WP*, Apr. 7, 1971; int. Aubrey Daniel.

Phoenix program: (budget meeting) Hersh, *Price of Power*, op. cit., p. 135; (Phoenix) ibid., p. 80; Prados, *President's Secret Wars*, op. cit., p. 309; Sheehan, op. cit., p. 732.

Sihanouk assassination plan: Hersh, *Price of Power*, op. cit., p. 178–.

"Highest level": e.g., Summers, *The File on the Tsar*, New York: Harper & Row, 1976, p. 92, citing U.S. Ambassador Nelson Page reference to Italian royal family.

Nixon efforts against Allende: (Kendall) Hersh, *Price of Power*, op. cit., pp. 260, 273, the Kendall associate was Augustin Edwards, Chilean newspaper owner and focal point of opposition to Allende; (Kendall/Council) Louis and Yazijian, op. cit., p. 172; (Helms to act) U.S. Senate, *Assassination Plots*, op. cit., p. 227–; ("talking into a gale") int. Richard Helms in ed. Weber, op. cit., p. 275; ("furious") William Colby and Peter Forbath, *Honorable Men*, New York: Simon & Schuster, 1978, p. 303; ("aberrational") Cord Meyer, *Facing Reality*, Washington, D.C.: University Press of America, 1980, p. 184; (What did RN order?) see analysis at Hersh, *Price of Power*, op. cit., p. 274; (Colby "blackmailing") Scowcroft Memcon of Kissinger/Ford conversation, Mar. 5, 1975, NSC doc. 1781000410307, released in 1997 under JFK Assass. Records Collection Act; (RN "wanted something done") U.S. Senate, *Assass. Plots*, op. cit., p. 227–; (RN distanced himself) Sen. Cttee. to Study Gov. Ops., Final Report, Supplementary Detailed Staff Reports on Foreign and Military Intelligence, Bk. IV, p. 162; ("blurred account") *MEM*, p. 489.

Allende death: (coup) *NYT, WP*, Sept. 12, 13, 15, 1973; (advance warning) *NYT*, Sept.13, 1973; ('99 release on U.S. reaction) *USA Today*, June 30, July 1, 1999 and see Asst. Sec. of State Jack Kubisch to Kissinger Nov. 16, 1973, in 1998 release to National Security Archive; ("severe repression") *USA Today*, June 30, 1999; (RN on death) *MEM*, p. 490; (suicide?) *NYT*, Sep. 13, 20, *WP*, Sep. 22, 1973; (Sra. Allende re: "murdered") *NYT*, Sep. 20, 1973 but see study in Nathaniel Davis, *The Last Years of Salvador Allende*, Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985, Chap. 11; (U.S. involvement in coup) ibid., p. 350, and Prados, *Secret Wars*, op. cit., p. 320; (Ryan) Davis, op. cit., p. 352; (Ryan report) Ryan to Dept. of Defense, U.S. Milgroup, Situation Report 2, Oct. 1, 1973, released to National Archives, 1998.

Morales: (background) Fonzi (former staff investigator, Hse. Cttee. on Assass.), op. cit., refs.; Noel Twyman, *Bloody Treason*, Rancho Santa Fe, CA: Laurel, 1997, refs; ("hit man") Fonzi, op. cit., p. 380; (Morales confided) ints. Robert Dorff and Dorff letter to author, Oct. 27, 1997—Dorff had interviewed Morales's lifelong friend Ruben Carbajal.

Phillips: (and Morales) Fonzi, p. 382; (and anti-Allende project) Phillips, op. cit., pp. 219–, 246–; (Head Western Hemisphere) ibid., p. 234–; (testimony doubted) Summers, *Not in Your Lifetime*, op. cit., p. 280; Fonzi, op. cit., pp. 336, 410; int. Gaeton Fonzi; (disinformation) Summers, *Not in Your Lifetime*, op. cit., pp. 371, 374, 381, 385; (Track II closed down) Phillips, op. cit., p. 223; (letter to Sra. Allende) excerpts from transcripts of 1981 int. sent to author by Mike Ewing, 1997; (RN "never cause to consider") page 190.

"Won't be the first P to lose": *HD*, p. 90.

Vietnam effort: (frustrated) *MEM*, p. 393, Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 277; (deliberate leak) *MEM*, p. 400; ("bad guys") *HD*, pp. 105, 110.

RN and protest: (Oct./Nov.'69 demonstrations) *MEM*, p. 398; *HD*, p. 98; ("Don't get rattled") *MEM*, p. 403; ("aloof") ibid., p. 401; (major address) ibid., p. 404–; ("The line we took") int. William Watts; ("talk softly") *MEM*, p. 410; (speech) ibid., p. 409; (switchboard swamped) *MEM*, p. 410, *HD*, p. 104; (telegrams) *MEM*, p. 410; Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 307; (Butterfield) int. Alexander Butterfield; *WP*, Jan. 23, 1999 reporting Butterfield testimony in Nixon estate dispute; (Phillip) *HD*, p. 105; ("you heard a lot") Ehrlichman TV int. cited in ed. Howard K. Smith, *Every Four Years*, Kent, OH: PTV Publications, 1980, p. 59; ("liberal bastards") Magruder, op. cit., p. 53; (new demonstration—Nov. 13, '69) *HD*, p. 107–; (soldiers concealed) Gulley, op. cit., p. 198; Hersh, *Price of Power*, op. cit., p. 130fn; (Mitchell) Breslin, op. cit., p. 6–; ("like St. Petersburg") int. William Watts; (RN ordered analysis) Andrew, op. cit., p. 354; (RN & candles) *HD*, p. 107–; ("Of all choices") Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 227; (V'nam casualties) Tucker, op. cit., p. 1193.

Music box: Medved, op. cit., p. 317 and see *HD*, p. 21.

Chapter 26

"You talk . . . police state": Wise, *Police State*, op. cit., p. 31.

Kraft: (Kraft bugging) Wise, *Police State*, op. cit., p. 3—most complete account; (Allende) ibid., p. 23 John Caulfield testimony, E, Bk. 21, p. 9699–; (investigated member Dem. Cttee.) Wise, *Police State*, op. cit., p. 13; int. A. J. Woolston-Smith; (advance knowledge of burglars' activity) int. A. J. Woolston-Smith; (bogus card) John Caulfield testimony, E, Bk. 21, p. 9692–, but see notes of int. John Davies, Aug. 3, 1973, Box B342, E, NA.

Caulfield: (background) *NM*, p. 13; (at RN's request) *WP*, May 19, 1973, citing bio. Caulfield used as job application; (hired) *NM*, p. 13; Caulfield testimony, E, Bk.21, p. 9687–; ("top man") Wise, *Police State*, op. cit., p. 14.

"no climate of fear": Theodore White notes of RN int., Jan. 23, 1969, Box 40, Theodore White Papers, JFKL, *TW68*, p. 504.

Tapping of journalists: (episode chronicled) Wise, *Police State*, op. cit., p. 31–; Szulc, op. cit., p. 181–; R, Report, p. 146, "Nixon on National Security Wiretaps," Historic Documents of 1976, *Congressional Quarterly*, 1977, p. 159; ("We were in Key Biscayne") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 101; ("enraged") *Newsweek*, May 28, 1973; (RN on Kraft) *MEM*, p. 389; ("never helped us") RN to Dean, Feb. 28, 1973, WHT and see re: "helped" Wise, *Police State*, op. cit., p. 73; (RN & Kissinger try to dodge) Szulc, op. cit., p. 182; Hersh, *Price of Power*, op. cit., p. 96; ("Henry ordered") RN to Ronald Ziegler, May 14, 1973, on WHT, *AOP*, p. 491; ("approved by President") int. Alexander Haig by David Wise, transcript provided to author, and author's int. Alexander Haig; ("highest authority") int. William Sullivan by Robert Fink, provided to author; ("only to President") memo May 12, 1973, FBI 67-205182; ("cloak-and-dagger") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 103; (RN "100%") ibid., p. 101; ("I was paranoiac") transcript of RN int. on *60 Minutes*, Vol. XVI, 30, Apr. 8, 1984, p. 6—the int. was conducted by Frank Gannon, a Nixon staffer after the presidency; (warning) Summers, *Official & Confidential*, op. cit., p. 398–; *NYT*, July 21, 1973; John Dean testimony, E, Bk. 3, p. 920–; Robert Mardian testimony, E, Bk. 6, p. 2393; ("Will he rat") WHT, RN to Ehrlichman, Oct. 25, 1971, WHT; (Ehrlichman/Sullivan job) Edward Epstein, *Agency of Fear*, London: Verso, 1990, p. 219; (impeachment) R, Report, p. 3; (agents lurked/photos) *WP*, Sep. 30, 1974; Miller, *Fishbait*, op. cit., pp. 3, 290; (Finch suspected) int. Robert Finch by FB, FBP; (Albertazzie) ter Horst and Albertazzie, op. cit., p. 270.

events of summer 1970: (general) summarized at Manchester, *Glory & Dream*, op. cit., p. 1211; ("bums") *NYT*, May 2, 1970; *AMII*, p. 350–; ("When dissent . . .") Barber, op. cit., p. 437; (knockdown story) J. Edgar Hoover to Clyde Tolson et al., July 24, 1970, Tolson staff file, Vol. 8, FBI 67-9524; (promote re. sniper) *Newsday*, May 4, 1995; ("What are we going to do?") Shawcross, op. cit., p. 154.

Plan to combat threat: (summary and detail) U.S. Sen. Cttee to Study Gov. Ops with Respect to Intelligence Activities, Final Report, Bk. III, p. 934—the RN aide was Tom Huston; ("Gestapo") *WP*, June 1, 1973; ("With presidential authority") Sen. Cttee. on Gov. Ops., *supra.*, p. 955; (RN/Frost exchange) Frost, op. cit., p. 183–; (Mitchell) John Mitchell int. by Stanley Kutler, transcript supplied to author.

taping system: (Butterfield) int. Alexander Butterfield, *Journal of American History*, Vol. 75, Mar. 1989, p. 1252; ("How does it work") WHT, Feb. 16, 1971, reported by AP, Oct. 5, 1999; ('62 request) int. specialist cited *supra.*, p. 227; (removal of LBJ equipment) int. Donald Kendall, int. Robert Finch in eds. Miller Center, op. cit., p. 266; *Newsweek*, May 2, 1994; (preoccupied with record) *Prologue*, Vol. 20, summer, 1988, p. 80–; (Blake on Disraeli) ints. Elliot Richardson, in eds. Miller Center, p. 68, and with Stanley Kutler, transcript provided to author; ("You assume") Alexander Butterfield testimony, July 2, 1974, R, Hearings, Bk. I, p. 31–, and int. Butterfield cited in *New York*, Apr. 21, 1975; ("He seemed to me") ibid., citing Butterfield E testimony; (note takers) *Prologue*, Vol. 20, Summer, 1988, p. 81–; (Walters) ibid., p. 82; Walters, op. cit., p. 575; (LBJ changes mind) AP, July 2,1975, *JA*, p. 496; (Kissinger steal thunder) Ehrlichman, op. cit., p. 283; int. John Ehrlichman in eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 124 and in eds. Miller Center, op. cit., p. 141; ("Great consternation") *HD*, p. 57; (location of devices) "A History of the White House Tapes," prepared by NP, Mar. 1995, NA, William Doyle, op. cit., p. 168, and see plan in illustrations; ("tell nobody") int. H. R. "Bob" Haldeman in eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 381, *Prologue*, Vol. 20, Summer, 1988, p. 86; (not Rose Woods) Haldeman with DiMona, op. cit., p. 196; (Pat & girls not told) *PAT*, p. 307; ("appalled") UPI, Feb. 20, 1975; ("love letters") Edmondson and Cohen, op. cit., p. 295; (WH board tapped) *HD*, p. 76; (Secret Service handled) processing manual, Appendix A(7), WHT, NP, NA; Alfred Wong testimony in *O'Brien et al v. McCord et al.*, CA no. 1233-72, p. 861–; (Haldeman on Butterfield) Haldeman with DiMona, op. cit., p. 203–; (4 in know) *Prologue*, Vol. 20, Summer, 1988, p. 86; (Ehrlichman not told) ibid., int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 141; (Ehrlichman taped) E, Bk. 5, p. 2173, Bk. 7, p. 2828–, Bk. 12, p. 4942; Rather with Herskowitz, op. cit., p. 223; (Kissinger excluded) Kissinger, *Years of Upheaval*, op. cit., p.110; (K. staff made notes) int. William Watts; ("We're going to look fools") John Ehrlichman citing Kissinger in *Parade*, Feb. 5, 1995.

Suspicions of tapes: (Douglas-Home) *JA*, p. 496; (Haldeman/Kissinger memo) Kissinger, *Years of Upheaval*, op. cit., p. 112; (O'Neill) O'Neill, op. cit., p. 243–; (RN oblivious) RN int. and Alexander Butterfield testimony, cited in *New York*, Apr. 21, 1975, p. 40, *Prologue*, Vol. 20, Summer, 1988, p. 86; ("could see occasions") Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 113; (Baker) Bob Woodward, *Shadow*, New York: Simon & Schuster, 1999, p. 122, citing ints. Howard Baker;

(dog keeper guessed) Bryant with Leighton, op. cit., p. 258; ("moments when I should") Colson, op. cit., p. 114; (Dean) Dean, op. cit., pp. 260–, 263, 300–; (Dean/Colson hoped) ibid., p. 332, int. Sam Dash, Colson, op. cit., p. 114; ("You never heard") May 29, 1974 entry, diary of Rep. Jerome Waldie, supplied to author; (RN claimed "not comfortable") *MEM,* p. 501; ("room not tapped") WHT, Mar. 23, 1971, Conv. 051-001, WSPF, NA.

war over tapes: (trucks prevented) Cannon, op. cit., pp. 356, 365, Gulley, op. cit. p. 274–; (tape releases) int. Pat Anderson, archivist, NP, NA; *AOP,* p. xiv.

content of tapes: ("Daddy has cautioned") *MEM,* p. 976; ("Imagine your own feeling") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 208–; (Naulty) Washington *Times,* Jan. 28, 1997; ("Here's this voice") Waldie diary entry, cited in *SF Examiner,* Aug. 9, 1984.

RN swearing: (computer check) Hoff, op. cit., p. 315–; (changing goddams) *AOP,* p. xv; ("Little shits") Richard Reeves in *New York,* May 10, 1976; ("fucking") WHT entries, June 11, June 19, 1973; *AOP,* pp. 598, 611; (Rebozo) AP, Nov. 4, 1974; (Finch) int. Robert Finch in eds. Miller Center, op. cit., p. 267–; (Kissinger) *Time,* Mar. 15, 1999; (Cushman) int. Robert Cushman by FB, FBP; (Price) eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 384; (Hess) int. Stephen Hess in eds. Miller Center, op. cit., p. 372; (mother) *Good Housekeeping,* June 1960; (Mazo) Lurie, *Running,* op. cit., p. 40; (diplomatic dinner) int. Walter Coombs [former head of World Affairs Council] by FB, FBP; ("Fuck Volpe") *Harper's,* Aug. 1994; ("fucking Trudeau") William Watts cited in Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 106; ("motherfucking cocksucker") tapes diary entry of James Doyle, chief spokesman Watergate special prosecutor, Oct. 30, 1973, provided to author; (three obscenities) Ed Rollins with Tom DeFrank, *Bare Knuckles and Back Rooms,* New York: Broadway Books, 1996, p. 71; (RN in old age) Crowley, *Nixon in Winter,* op. cit., p. 289; (Lincoln) *New Republic,* June 23, 1982; (RN on Truman) Kansas City *Times,* Oct. 13, 1960, letter in *SF Examiner*(?), June 17, 1974; ed. Sidney Kraus, *The Great Debates,* Bloomington, IN: Indiana University Press, 1962, p. 197; (Paar) Paar, op. cit., p. 132; ("son-of-a-bitching Watergate") WHT, Apr. 30, 1973, *AOP,* p. 381, also monitored for author and re: slurring; WP, Nov. 29, 1996.

RN worry re: tapes: Spiro Agnew in letter to Prof. Stanley Kutler, Feb. 1, 1989, Kutler Collection; (Hearst) ed. Miller, *Breaking of the President,* op. cit., Vol. IV, p. 221; ("real love") Frady, op. cit., p. 478; ("spider") Kissinger, *Years of Upheaval,* op. cit., p. 113; ("definite image") RN notes, Sep. 7, 1969, Nov. 28, Dec. 6, 1970, Nixon Presidential Files, Box 186, NP, NA.

RN and ethnic slurs: (women) *WP,* Dec. 27, 1998; (Mexicans) ibid., AP, Mar. 9, 1999; (Italians) *WP,* Dec. 27, 1998; Breslin, op. cit., p. 151; O'Neill, op. cit., p. 256–; (RN/Immigration Act) RN Record as Favoring Anti-Italian Quota Barriers, Box 240, DPP; *NYT,* Oct. 10, 13, 1952, *Congressional Record,* 1952, p. 8267; ("shit-asses") James Doyle taped journal entry, early Sept. 1974, citing Leon Jaworski, supplied to author; (Zumwalt) Zumwalt, op. cit., p. 479, int. late Adm. Elmo Zumwalt.

RN anti-Semite?: ("Show me") Garment, op. cit., p. 199; int. Leonard Garment; ("not an ounce") Korff, op. cit, p.165; ("You can't believe") Henry Kissinger cited by Alan Dershowitz, *SF Examiner,* June 18, 1991; (RN on "Jewish traitors") Ehrlichman cited in Isaacson, op. cit., p. 148; ("Jews . . . liberalizing") May 26, 1971; *HD,* p. 292; ("find one") WHT, July 2, 1971; *AOP,* p. 20; ("cabal") SF *Examiner,* Sept. 11, 1988, cited Frederick Malek memo; ("youth, black, Jew") July 18, 1970; *HD,* CD; (objected to having rabbi again) March 7, 1971, ibid.; ("the Jews . . . stealing") WHT, Sep. 8, 1971; *AOP,* p. 29; ("please get me the names") WHT, Sep. 13, 1971; *AOP,* p. 31; (IRS "full of Jews") WHT, Sep. 14, 1971; *AOP,* p. 32; ("a kike") WHT, Oct. 7, 1971, cited in *American Journalism Review,* Apr. 1997; AP, Mar. 9, 1999; ("avoiding the Jews") WHT, Mar. 29, 1973; *AOP,* p. 288; (Jews disloyal, etc.) WHT, summer 1971, cited in *WP,* Oct. 6, 1999.

RN not anti-Semite: (some continued) Nixon Library archivist Susan Naulty article, Washington *Times,* Jan. 28, 1997; Safire, op. cit., p. 569; (Jewish group defended) Korff. op. cit., p. 164–, Washington *Times, supra.* 6, the reference is to an episode in 1950; (Soviet Jews) Korff, op. cit., pp. 4, 128.

RN and blacks: ("incompetent") WHT, Mar. 8, 1971, in *WP,* Dec. 27, 1998; (great grandfather) Mazo, op. cit., p. 280; (mother welcomed) Nixon, *Arena,* op. cit., p. 93; (college & black youth) Mazo, op. cit., p. 23; (at Duke) Alsop, op. cit., p. 235; *MO,* p. 177; (black Senate attendant) int. Robert Parker; (black on TV crew) Rather and Herskowitz, op. cit., p. 227; (drink in basement) int. Lou Campbell; ("most dangerous") Taylor Branch, *Parting the Waters,* New York: Simon & Schuster, 1988, p. 219, citing King letter, 1958; ("racist reflexes") John Osborne, *The Nixon Watch,* New York: Liveright, 1970, p. 165; (Bork) int. Robert Bork by FB, FBP; ("niggers"/"jigs") Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 110; ("never . . . an adequate black nation") *HD,* p. 53; (Biafra) Howe and Trott, op. cit., p. 184; Hoff, op. cit., p. 247; Wicker, op. cit., p. 673; Morris, *Uncertain Greatness,* op. cit., p.131; (white S. Africa) Small, op. cit., p. 142–; ("Let's leave the niggers") Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 111; ("presented different sides") int. Ehrlichman in eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 384; ("just down from trees")

Seymour Hersh article, *The New Yorker,* Dec. 14, 1992; ("would do his best") int. John Ehrlichman and see Ehrlichman, op. cit., p. 196; (black admiral, etc.) Patrick Buchanan, *The New Majority,* Girard Bank, 1973, p. 36; (excoriated re: busing) e.g., Panetta, op. cit., p. 6; Reichley, op. cit., p. 174; ("nothing beyond the law") Aug. 4, 1970 entry; *HD,* CD, Genovese, op. cit., p. 85; ("No gain") Aug. 4, 1970, *HD,* CD; ("make sure") Morris, *Uncertain Greatness,* op. cit., p. 131; ("We do not make votes") *Newsday,* Apr. 25, 1994; (Michigan busing) Ehrlichman, op. cit., p. 207, the aide sent was Mike Bolzano, on Charles Colson's orders; (Chisholm/Bond/Jackson ploy) *AOP,* p. 33; London *Independent,* Nov. 20, 29, 1996.

"Thugs" conversation: (RN/ Haldeman meeting) WHT, May 5, 1971, transcribed for author and see Conv. No. 491-014, WSPF, Record Grp. 460, NA; (Fitzsimmons mtg.) James Neff, *Mobbed Up,* New York: Atlantic Monthly Press, 1989, p. 163–; (demonstrations) Charles DeBenedetti with Charles Chatfield, *An American Ordeal,* Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1990, p. 291; Szulc, *Illusion,* op. cit., p. 389–; ed. Clifton Daniel, *Chronicle of the Twentieth Century,* Mt. Kisco, NY: Chronicle Pub., 1987, p. 1032; *HD,* p. 284; (Chicago Seven) DeBenedetti, op. cit., pp. 246, 452n101.

Hoffman/injury: AP pictures (showing bandaged nose) and captions, May 6, 7, 1971, *SF Examiner,* Sep. 30, 1981 and unid. alternative press clip, 1981, citing Hoffman; int. Anita Hoffman.

Haldeman and "thugs" conversation: (declined comment) *NYT,* Sep. 24, 1981, May 5, 1971 entry, *HD,* CD.

NY construction workers: (attack on protestors) *NYT,* May 9, 1970; (construction workers demo.) *NYT,* May 16, 20, 1970; Wise, *Politics of Lying,* op. cit., p. 287; (RN received) *NYT,* May 27, 1970; (Brennan described) Colson, op. cit., p. 38; Scheim, op. cit., p. 297; ed. Schoenebaum, p. 68; ("Thank God for hard hats") Safire, op. cit., p. 678 and see *Time,* June 8, 1970.

Triggered by RN high command?: int. Richard Howard and *NYT,* Sep. 24, 1981 citing John Ehrlichman.

San Jose incidents: Washington *Evening Star,* Oct. 30, 1970; Safire, op. cit., p. 327–; *MEM,* p. 492; ("We wanted confrontation") *HD,* p. 205.

Monroe Cornish: John Dean statement, E, Vol. 3, p. 917–; *NM,* p. 10; *WP,* June 27, 1973; (Quaker HQ ransacked) Robert Fink article in *Rolling Stone,* Oct. 10, 1974.

"Billy Graham Day": memo Ron Walker to Haldeman, Oct. 14, 1971, Haldeman testimony, E, Bk. 8, pp. 3150–, 3322–, and see Frady, op. cit., p. 455–; Rush, op. cit., p. 55–; int. Ron Walker; int. John Dean in *Playboy,* undated 1975, Box 168, Baruch Kroff papers, Brown University; (without incident) Sen. Sam Ervin, at E, Bk. 8, p. 3153; (Weicker) ibid., p. 3152; (McGrory) NY *Post,* June 26, 1973.

Chapter 27

"Sick of mind"?: as cited in *New York,* Apr. 21, 1975 and see Osborne, *Last Nixon Watch,* op. cit., p. 189.

RN personality in presidency: ("What do with him?") Safire, op. cit., p. 112; ("so drained") Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 319; ("frustration") notes of int. Arthur Burns, John Osborne Papers, Library of Congress; ("embarrassing rattle") Magruder, *American Life,* op. cit., p. 57; (need for control) Nixon, *Six Crises,* op. cit., pp. xv, 219 and see John Osborne, *The Second Year of the Nixon Watch,* New York: Liveright, 1971, p. 58; ("flew into rage") Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 495; (Patton) Shawcross, op. cit., p. 134; ("walking add") ibid., p. 144.

Cambodia decision: ("flipped out") Morris, *Haig,* op. cit., p. 141; ("your ass") int. William Watts; ("bold stroke") Ehrlichman calendar entry, Apr. 25, 1970 sited in *LAT,* July 1, 1984; ("show who's tough") int. William Watts; (decision in pool) Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 3; ("tensions of planning"/Patton again) Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 498–; (Patton 5 times) Morris, *Haig,* op. cit., p. 141; (signed twice) facsimile, Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 499; (up all night/slurred) Shawcross, op. cit., p.146–; (made much of role) Schlesinger, *Imperial Presidency,* op. cit., p. 187–; (public reaction) *NYT,* May 1, 1970; (manufactured) *NYT,* May 8, 1970; (questionable results) e.g., *AMII,* p. 360; (RN's "unbridled ebullience") Westmoreland, op. cit., p. 388; (macho) *AMII,* p. 348; ("Everyone misunderstands") *JA,* p. 404.

Hutschnecker visit: (worried re: trigger) DP column, *WP,* Nov. 23, 1968, and see page 97–; (summoned) *JA,* p. 404; (RN/H during presidency) int. Dr. Arnold Hutschnecker, Hutschnecker, *Drive for Power,* op. cit., p. 154– and see Dec. 1, 1969 entry, *HD, The Complete Multimedia Edition,* Santa Monica, CA: Sony, 1994 [henceforth *HD* CD]; ("intimacy" absent) *JA,* p. 404–, citing int. Hutschnecker.

Lincoln Memorial episode: (machine guns) White, *Breach of Faith,* op. cit., p. 131; ("nervous breakdown") ibid; (Dickerson) Dickerson, op. cit., p. 171–; (46 calls) log at Safire, op. cit., p. 204; (accounts of episode) RN to Haldeman, May 13, 1970; ed. Oudes, op. cit., p. 127–,

MEM, p. 459–; Safire, op. cit., Ch. 8; (RN declines to visit Wall) Crowley, *Off the Record*, op. cit., p. 186; (Pelletier, et al.) Price, op. cit., p. 168; Toledo, OH, *Blade*, May 10, 1970; ("dislocation") Dickerson, op. cit., p. 175; (RN at Capitol) int. Egil Krogh; ("Very weird") May 9, 1970 entry, *HD*, p. 163; ("weirdest") ibid; (FL decision) ibid; ("could be rough") May 14, 1970 entry, *HD*, p. 166; ("only tip") Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 514; ("unwinding not succeeding") May 15, 1970 entry, HD, p. 166; ("More same") May 16 entry, ibid.; ("emergency housecall") Winter-Berger, op. cit., p. 257; int. Robert Winter-Berger; (Blue Heart) May 18, 1970 entry, *HD*, p. 167 and *MEM*, p. 466; (RN to CA) May 28– May 31, 1970 diary entry, *HD*, CD; (trouble sleeping) May 29, 1970 entry, *HD* CD; ("recovering . . .") Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 1184–; ("back to schedule") June 8, 1970 entry, *HD*, p. 173; (AP on times spent away) May 31, 1970 entry, *HD*, CD; ("in a daze") Thomas, *Dateline*, op. cit., p. 136; ("erratic") Dickerson, op. cit., p. 175.

Doubts re: RN condition: ("never happened before") Osborne, *Watch2*, op. cit., p. 61; (frequent slips) ibid., p. 129; (The staff habit) ibid., p. 73; ("created impression") Brandon, op. cit., p. 260–; ("might go bats") Osborne, *Last Watch*, op. cit., p. 5; ("letting himself slip") May 14, 1970 entry, *HD*, p. 166; (Tormented) Bryant with Leighton, op. cit., p. 314.

Romania: Price, op. cit., p. 302–; Aug. 2, 1969 entry, *HD*, p. 77–; Dennis McCarthy with Philip Smith, *Protecting the President*, New York: William Morrow, 1985, p. 192–.

Alcohol in presidency: ("occasional sip") Spalding, op. cit., p. 116fn; (researchers) *The New Yorker*, Dec. 14, 1992; ("I got a call") int. Hugh Sidey in eds. Miller Center, op. cit., p. 305; ("given to exploding") int. William H. Sullivan in eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 99; ("Two glasses") Kissinger, *Renewal*, op. cit., p. 54; ("occurred rarely") ibid., p. 55; ("drunken friend") Morris, *Haig*, op. cit., p. 108; ("We caught glimpses") Hersh, *Price of Power*, op. cit., p. 108; ("Oh, screw 'em") Woodward and Bernstein, *Final Days*, op. cit., p. 204; ("He just got pissed") int. Marty Venker; ("People who knew") Morris, *Uncertain Greatness*, op. cit., p. 147; (weekend Aug. '69) Aug. 28–31, '69 entries, *HD*, CD; ("bomb" the airport) Kissinger, *Renewal*, op. cit., p. 57; int. and corr. Melvin Laird; int. Len Garment; ("ghastly game") *MEM*, p. 483; ("K woke me") Sept. 17, 1970 entry, *HD*, p. 195; ("tough guy" orders") Kissinger, *Renewal*, op. cit., p. 57; ("wouldn't have been good day") Osborne, *Watch2*, op. cit., p. 74; ("Stuff that will look belligerent") Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 695–.

RN nuclear talk: ("nuclear war each week!) Isaacson, op. cit., p. 145; ("ranting & raving") Hersh, *Price of Power*, op. cit., p. 88; (Vietnam/1954) see page 165–; ("blow that would end") Reichley, op. cit., p. 117; ("got to nuke 'em") Hersh, *Price of Power*, op. cit., p. 396—Young cited by Ehrlichman aide Egil Krogh; (Colson on *Sequoia*) Colson, op. cit., p. 40–; May 18, 1971 entry, *HD*, CD.

Chapter 28

"He hated . . . ": eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 45.

"Enemies" lists: (Buckley) Buckley cited in intro. by Eugene McCarthy, *White House Enemies*, New York: New American Library, 1973, opening p. of intro.; (Kilpatrick) Providence [RI] *Journal*, Jan. 5, 1974; (Mollenhoff) Mollenhoff, op. cit., pp. 29, 107–, and Mollenhoff affidavit, June 4, 1974, R, Stmt. of Inf., Bk. VIII, p. 38; (Chotiner office) *NYT*, Jan. 14, 1970; (RN "did not like") *NYT*, July 17, 1974, cited in Congressional Record, Aug. 1, 1974, p. 26439; ("ruthless sonofabitch") WHT, May 13, 1971, cited in *WP*, Jan. 3, 1997; (priority list for "activity") memo, [Colson aide] George Bell to John Dean, et al., June 24, 1971, E, Bk. 4, p. 1693–; (Haldeman and Colson would claim) E, Final Report, p. 132; (Dean: "screw our enemies") memo, Aug. 16, 1971, E, Bk. 4, p. 1689–; ("We have the power") WHT, Sept. 8, 1971; *AOP*, p. 29 and monitored for author; (Walters) ints. Johnnie Walters, George Shultz; *WP*, Jan. 3, 1997; ("kick Walter's ass") WHT, Sept. 15, 1972, conv. no. 779-002, WSPF, NA, p. 5; ("blue eyes") ibid., p. 2; ("candy ass") *WP*, Jan. 3, 1997, citing Dean testimony; (list of 200+) E, Bk. 4, p. 1692, intro. McCarthy, op. cit.; ("keep a good list") E, Bk. 3, p. 958; (Van Horne and RN/Hutschnecker) page 90; (2 lower ranking officials) *NM*, pp. 24, 106–, 148, memo re: int. Roger Barth, July 31, 1975; Howard Clesner Collection supplied to author, WHT, Aug. 19, Sept. 7, 1972, *AOP*, p. 107– [referring to Roger Barth and Vernon Acree]; (journalists audited) *WP*, June 28, 1973; (Greene) E, Final Report, p. 135; *NM*, p. 24; ("The guy that's running") WHT, Sep. 14, 1971; *AOP*, p. 32; ("The IRS is battering") WHT, Sep. 13, 1971; *AOP*, p. 31.

milestone meeting: ("attack" on Julie) May 28, 1971 entry, *HD*, p. 292 and see Ehrlichman, op. cit., p. 300; ("more wiretapping") WHT, May 28, 1971, transcribed for author.

RN and Edward Kennedy: ("ill at ease") Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 100; (Asst. Majority Leader) Theodore Sorensen, *The Kennedy Legacy*, New York: New American Library, 1969, p. 229.

Chappaquidick: (RN "called me over") *HD*, p. 72: (probe at RN's behest) ibid. and Haldeman notes, *Newsday*, Apr. 25, 1994; *MEM*, p. 543; (undercover man) Ulasewicz, op. cit., pp. 4–, 178, 181, 187–; Wise, *Police State*, op. cit., p.107; (RN/astronauts) *HD*, p. 72–; Rather and

Herskowitz, op. cit., p. 221; (RN reached Ehrlichman) Wise, *Police State*, op. cit., p. 115; (phone to radio) entry, July 6, 1969, *HD*, p. 75; (RN "sorry"/took aside) *MEM*, p. 542–; *HD*, p. 79; and see Safire, op. cit., p. 154–; (phone records) John Davies, *The Kennedys*, New York: S.P.I. Books, 1992, p. 716; (inquest transcript) memo, Mary DeOreo to Terry Lenzner, Dec. 10, 1973; Hughes-Rebozo investigation, Teamsters File, WSPF, NA; (Kopechne house phone) Wise, *Police State*, op. cit., p. 155–; (reports to Chotiner/Rebozo) *WP*, Aug. 1, 1973; (cost $100,000) Rather and Herskowitz, op. cit., p. 226.

RN pursuit of Edward Kennedy: (Al Capp) Seymour Hersh in *The New Yorker*, Dec. 14, 1992; *NYT Magazine*, Oct. 20, 1974; Boston *Globe*, June 25, 1970; Brit Hume, *Inside Story*, Garden City, NJ: Doubleday, 1974, p. 60–; ("catch him in sack") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 60; (Colson and "catch Kennedy") *The New Yorker*, Dec. 14, 1992; (photo/princess) *HD*, p. 293, Magruder, *American Life*, op. cit., p. 66; Matthews, op. cit., p. 289; Hunt, *Undercover*, op. cit., p. 206; (polls spring '71) *NYT Magazine*, July 22, 1973; ("Nothing for Teddy?") WHT, Apr. 9, 1971, transcribed for author; (one not enough) WHT, July 6, 1971; *AOP*, p. 25; (Colson man) Hunt, *Undercover*, op. cit., pp. 160, 178, 205; (NY apartment) Wise, *Police State*, op. cit., p. 120; Hunt, *Undercover*, op. cit., p. 208; (Vegas girls) ibid., p. 182; ("No evidence) blind memo, re: EMK Visit to Honolulu, Aug. 1–19, 1971, Exhibit 34-4, E, Bk. 3, p. 1117; (RN disappointed) WHT, Sep. 8, 1971; *AOP*, p. 29; (False "drunk" story) Cheshire, op. cit., p. 190–; (Gallup) *WP*, Dec. 9, 1971; ("Do you think") Seymour Hersh article, *The New Yorker*, Dec. 14, 1992; (RN still insisting) int. Tim Wyngaard, by Stanley Kutler, supplied to author; ("Plant one, plant two guys") WHT, Sep. 7, 1972; *AOP*, p. 132 and see *WP*, Feb. 8, 1997; (Butterfield) ibid.; eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 263; *Journal of American History*, Mar. 1989, p. 1253; ("might get lucky") WHT, Sep. 7, 1972, transcribed for author; ("Did we") WHT, Mar. 13, 1973, R, Stmt. of Inf., Bk. III, Pt. 2, p. 874.

RN White House and Humphrey: (impropriety?) Ulasewicz, op. cit., p. 183–, citing Woods memo and see WHT entries, Sep. 8, 1971; *AOP*, p. 28; (detective etc.) Magruder, *American* Life, op. cit., p. 202, E, Final Report, p. 192; *NM*, p. 165; ("lay off") WHT, Aug. 3, 1972; *AOP*, p. 115.

RN White House and Muskie: ("all out attack") Sep. 26, 1970 entry, *HD*, CD; ("lib" mailings) *HD* p. 213, and see WHT, Jan. 12, 1972, cited in *WP*, Oct. 30, 1997; (trawled Maine) Wise, *Police State*, op. cit., p. 132, citing Ulasewicz int., John Caulfield testimony, E, Bk. 19, p. 9276; ("monkish") WHT, Sep. 8, 1971; *AOP*, p. 29; (docs. photographed) E, Final Report, p. 187–; (RN was told) WHT, Mar. 21, 1973, Record Grp. 460, Box 171, NA; (Chapin orchestrated) E, Final Report, p. 163–; *NM*, p. 158; ("massive mailing") WHT, Jan. 12, 1972, cited in *WP*, Oct. 30, 1997; (Humphrey/Jackson smears) *NM*, p. 157–, E, Final Report, p. 169–; (Chapin pleased) ibid., p. 170; (home address) ibid., p. 165; (set at throats) ibid., p. 158–; *NM*, p. 158; ("Let's prove") E, Report, p. 164; (RN approved?/write-in for Kennedy) ibid., p. 202, Jeb Magruder citing Charles Colson to this effect; (article re: Mrs. Muskie) *NM*, p. 162–, and see Mark Lane, *Plausible Denial*, New York: Thunder's Mouth, 1991, p. 202–, citing Gordon Liddy's testimony, Sep. 25, 1973, R, Bk. VII, Pt. 2, p. 3769; (Muskie tears) *NM*, p. 163; ("tear to pieces") WHT, Aug. 7, 1972; *AOP*, p. 124; ("chicken shit") WHT, May 11, 1973; *AOP*, p. 454.

RN and Wallace: ("most seriously") *MEM*, p. 542; (Sherry Netherland handover) "Safe Deposit Boxes" file, Carmine Bellino Papers, courtesy of Bellino family, E, Bk. 5, p. 2142–, E, Bk. 4, p. 1536–; (RN behind payments) WHT, Mar. 21, 1973, *HD*, p. 168; (IRS probe) Mollenhoff, op. cit., pp. 109, 114, and see Dan Carter, *The Politics of Rage*, New York: Simon & Schuster, p. 389–.

Vietnam '71: ("Can you believe?") Wise, *Politics of Lying*, op. cit., p. 19–; (N. Viet. troops) "Kissinger and the Betrayal of S. Viet." by Stephen Young, 1995, orig. draft for *Wall Street Journal*, provoided to author and transcript; Seymour Hersh int. of John Negroponte, provided to author; ("thugs") see Chap. 26, *supra*.

Tricia wedding: ("Family proud of") Troy, op. cit., p. 193; (chefs/cakes) Bryant with Leighton, op. cit., p. 311; Troy, op. cit., p. 193; (jokes) *NYT Magazine*, Oct. 20, 1974; (wedding described) *NYT*, June 13, 1971; (RN/Pat dance) Troy, op. cit., p. 193, Klein, op. cit., p. 3; int. Herb Klein.

Pentagon Papers: ("another headline") *MEM*, p. 508; (publication saga) David Rudenstine, *The Day the Presses Stopped*, Berkeley, CA: University of California Press, 1976, and Sanford Ungar, *The Papers and "The Papers,"* New York: Dutton, 1972; (98%) *MEM*, p. 509, and see eds. Strober, *Nixon*, op. cit., pp. 206, 209.

5 perjurers: ed. Hedda Garza, *The Watergate Investigation Index*, Wilmington, DE: Scholarly Resources, 1985, p.vii, the fifth man was Herbert Porter.

RN/Kiss. reaction: ("Get story out") Rudenstine, op. cit., p. 74; ("clear disloyalty") *HD*, CD, June 14, 1971; ("no contact") ibid., June 15, 1971; ("fired/"wants to be sure") ibid., June 17, 1971; ("pleasure") ibid., June 16, 1971; (Kissinger) Rudenstine, op. cit., p. 72; ("Too unsteady") Kissinger, *White House Years*, op. cit., p. 730; ("destroying us") Colson, op. cit., p. 59; ("irrational") Pete Kinsey, memo to files, re: Colson int. Jan. 13, 1975, Box 16, Farago Papers, Mu-

gar Library, Boston University; (cables) Colson, op. cit., p. 60; int. Charles Colson for "Watergate: The Break-in," Part 1, Brian Lapping Associates Production for Discovery Channel and BBC, Discovery Communications, 1994, home video.

Ellsberg: (background) Rudenstine, op. cit., p. 33–; Sheehan, op. cit., p. 12–; ("bloody") Shapley, op. cit., p. 487; ("murder") eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 200; ("shut me up") ibid., p. 201; ("brightest") Rudenstine, op. cit., p. 121–; ("weird sexual habits . . .") Haldeman with DiMona, op. cit., p.110; (sex/children) Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 385; (Hiss) *HD* CD, June 17, 20, 24, 29, July 1, 1971; (RN "weakling") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 110.

"Bombing halt"/Brookings: (RN ordered/"blackmail"), *MEM*, p. 512; WHT, June 17, 1971, transcribed for author; *WP,* Jan. 24, 1997; ('68 ploy) e.g., *MEM*, p. 327; ("I wanted it back") *MEM,* p. 512; ("Implemented") WHT, June 17, 1971, *supra.;* ("You're to break into") WHT, June 30, 1971, transcribed for author and see *AOP,* p. 6; *WP,* Nov. 22, 1996, Jan. 24, 1997, also *SF Examiner,* Nov. 21, 1996; ("Now you do it") WHT, July 1, 1971, transcribed for author, and see *AOP,* p. 7, *SF Examiner,* Nov. 24, 1976; *WP,* Nov. 22 & 23, 1996, Jan. 24, 1997; *NYT,* Oct. 31, 1997; ("Who's going to?") WHT, July 1, 1971, Conv. 534-5, Segmt. 1, transcribed for author; *AOP,* pp. 10, 13; ("I really meant it") WHT, July 2, 1971; AP, Oct. 5, 1999; *AOP,* p. 17.

Brooking break-in attempts: (Caulfield) E, Bk. 22, p. 10359–; (Dean) eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 225; Dean, *Blind Ambition,* op. cit., p. 47, and Dean article in *Rolling Stone,* Sep. 8, 1974; ("cased the joint") handwritten notes of John Dean int., Watergate Task Force, Box 125, 1 of 3, E, NA; (veteran guard) *WP,* Nov. 23, 1996, re: Roderick Warrick; (2nd reconnaissance) Ulasewicz with McKeever, op. cit. p. 232; (other operatives) Liddy, op. cit., p. 236; Liddy testimony, Mark Lane, *Plausible Denial,* New York: Thunder's Mouth, 1991, p. 202, operatives were Gordon Liddy and Howard Hunt, see this Ch., note 13; (Colson disclaimer) Charles Colson testimony Dec. 5, 1974, *U.S. v. John Mitchell,* NA; (Ehrlichman called off/RN knew) Ehrlichman, op. cit., p. 368; ("Don't discuss") WHT, June 30, 1971, transcribed for author.

Howard Hunt: ("talk to Hunt") WHT, June 30, 1971, transcribed for author; ("Colson never told me") WHT, Apr. 28, 1973; *AOP,* p. 372; (RN mentioned Hunt's name) WHT, June 30, 1971, transcribed for author; ("kind of a tiger") WHT, July 1, 1971; *AOP,* p. 13; (Colson knew) Colson, op. cit., p. 62; (Haldeman/Hunt) WHT, July 1, 2, 1971; *AOP,* pp. 14, 19; ("first-rate analyst") WHT, Aug. 12, 1971; *AOP,* p. 27; (Colson/Hunt/6 men) Colson, op. cit., p. 62; ("dirty guy") *HD,* CD, July 2, 1971; ("I want to alert") transcript of call, July 7, 1971, R, St. of Info., Bk. II, p.467.

Plumbers: (RN/San Clemente) Wicker, op. cit., p. 644–; Pete Kinsey, memo to files, re: int. Charles Colson, Jan. 20, 1975, Box, Farago Papers, Mugar Library, Boston University; ("Mr. Young") *MEM,* p. 514; *NM,* p. 80–; (Krogh inexperienced) White, *Breach,* op. cit., p. 149.

Liddy: (and Nazi Germany) Liddy, op. cit., p. 22–; Hougan, *Secret Agenda,* op. cit., p. 37–; (guns/killing) Summers, *Official & Confidential,* op. cit., pp. 406, 413; *NM,* p. 86; Magruder, *American Life,* op. cit., p. 174; ("cowboy") *NM,* p. 87; ("LIDDY" Page) advertisements on the "Official G. Gordon Liddy Web Page, Real Time Internet Services, Inc. 1996–2000, posted March 2000; ("best memo") Liddy, op. cit., p. 250.

RN/Hoover/Ellsberg: (RN wanted Hoover gone) Summers, *Official & Confidential,* op. cit., p. 412; ("Hoover assigned") Ehrlichman, op. cit., p. 143 and see *MEM,* p. 513; ("2 people") Ehrlichman testimony, E, Bk. 6, p. 2626; (disappointed/E'man approval) Bud Krogh and David Young to John Ehrlichman, Aug. 11, 1971, E, Bk. 6, p. 2644; (actual break-in) *NM,* p. 97–; ("vital importance") E, Report, p. 120, citing Nixon speech, May 22, 1973 and see R, Trans. of Recorded Pres. Conv., Mar. 21, 1973, p. 112; ("had to be discredited") *MEM,* p. 513; ("painted evil") Haldeman with DiMona, op. cit., p.116; Douglas Hallett, Colson aide in *NYT Magazine,* Oct. 20, 1974; ("neutralized") E, Report, p. 121; (Krogh told author) ints. Egil Krogh; ("direct action") Ehrlichman, op. cit., p. 365 and int. John Ehrlichman; ("I briefed Ehrlichman") RN/Colson conversation, WHT, Aug. 12, 1971; *AOP,* p. 27–; ("one little operation") RN/Ehrlichman, Sept. 8, 1971, transcribed for author; ("There wasn't anything") Ehrlichman testimony, E, Bk. 7, p. 2804; ("Goddamn to hell") RN/Ronald Ziegler, May 14, 1973; *AOP,* p. 492; ("I am stuck with") RN/Alexander Haig, Fred Buzhardt, May 16, 1973; *AOP,* p. 512; ("I believe somehow") ibid., p. 510; ("I did not authorize") E, Report, p. 120, citing Nixon speech, May 22, 1973; ("Did I know about it?") ints. Egil Krogh; ("I was so damn mad") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 114, Ehrlichman, op. cit., p. 367 and int. John Ehrlichman; ("I do not believe") *MEM,* p. 514; (Ehrlichman surmised) Ehrlichman, op. cit., p. 368; (Colson denied) Charles Colson testimony, R, Bk. III, pp. 271, 455 and Colson, op. cit., pp. 225, 251; (Colson privy) Howard Hunt to Charles Colson, July 28, 1971, E, Bk. 9, p. 3886, Ehrlichman to Colson, Aug. 27, 1971, E, Bk. 6, p. 2651; ("It would be hard") int. Alexander Haig in eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 224.

Other break-ins: ("horse's-ass crap") WHT, May 16, 1973, to Haig and Buzhardt; *AOP,* p. 516; (National Archives) WHT, Sep. 10, 18, 1971, transcribed for author; ("additional burglaries")

Nixon/Buzhardt, June 7, 1973, WHT; *AOP*, p. 494; ("break-ins sanctioned") Kissinger, *Years of Upheaval*, op. cit., p. 75; (100 break-ins) Sen. James Abourezk, presenting article by Robert Fink, "The Unsolved Break-ins, 1970–1974," Congressional Record, Oct. 9, 1974, Vol. 120, No. 153; (Ellsberg wife's burglary) Wise, *American Police State*, op. cit., p. 157fn–; (NAACP) Congressional Record, *supra.*; *NYT*, May 31, 1973; Dorris Hendricks, NAACP to researcher Robert Fink, June 3, 1974; (Potomac Associates) John Caulfield to John Dean, July 6, Aug. 9, 1973, E, Bk. 21, p. 9765–; Jack Caulfield testimony, E, Bk., 21, p. 9727, E, Report, pp. 143, 234; Roger Witten, Justice Dept. to Phil Heyman, July 2, 1973, enclosing July 9 letter to Heyman from Mitchell Rogovin, Congressional Record, Oct. 9, 1974, *supra.* re: June 27, 1973 break-in attempt; int. William Watts; (Lou Harris) ibid.; (Caplin) ibid. and re: Caplin support of Dem. protest, E, Bk. 7, p. 2978, and re: Enemies List, E, Bk.4, p. 1707 and, re: Dec. 31, 1973 break-in, research note by Robert Fink; (Weicker) individual views of senators of the Select Cttee., E, Final Report, pp. 1193, 1217.

"Let me be sure": *MEM*, p. 541.

69,000 troops: ibid., p. 584.

Christmas '71: (CBS) Troy, op. cit., p. 194; ("did his bit") *HD*, p. 383; (avoid schmaltz) *HD*, CD, Nov. 22, 1971; (boat parade) Dec. 28, 1971, ibid.; (Hunt) int. Howard Hunt; Hunt, *Undercover*, op. cit., p. 187.

Hoover: (in limousine) int. Kenneth Whittaker; (Tully) int. Andrew Tully; Las Vegas *Sun*, July 22, 1973.

Chapter 29

"We are lucky": int. Bryce Harlow in eds. Miller Center, op. cit., p. 16.

Funds: ("Jesus God!") WHT, July 2, 1971, transcribed for author; (Rose Mary's Baby) *Newsweek*, July 23, 1973; *The New Yorker*, Mar. 11, 1974, E, Bk. 22, pp. 10209, 10232; ($60 million) *NYT*, Sep. 29, 1973; (by suitcase) int. Larry Dubois, coauthor of *Playboy* series, Sep. 1976 and Apr. 1977.

Foreign donations: (Shah) int. Joseph Spear; Howe and Trott, op. cit., p. 492; ("we Arabs") Sampson, op. cit., p. 189; (Marcos) Kutler, op. cit., p. 207; (illegal) E, Report, p. 573.

Fundraising in U.S.: (business leaders' mtg) Washington *Spectator*, Oct. 15, 1976; (Phillips, Ashland, Gulf, Goodyear) *NYT*, Nov. 14, 1973; (Braniff) ibid., *NYT*, *LAT*, Mar. 24, 1976; (American) *Aviation Week and Space Technology*, July 16, 1973; *NYT*, Nov. 14, 1973; (Occidental) Louis and Yazijian, op. cit., p. 216; ($5 million) *WP*, Jan. 2, 1974; (cabinet officials) Providence [RI] *Journal*, Nov. 15, 1973; (Grumman) *NYT*, Sep. 14, 1976; *LAT*, Mar. 20, 1980; (McDonald's) William Dubrovir, Joseph Gebhardt, Samuel Buffone, Andra Oakes, *The Offenses of Richard Nixon*, New York: Quadrangle, 1974, p. 80–; (NY architect) *NYT*, Dec. 10, 1973; (Steinbrenner) Breslin, op. cit., p. 196, E, Report, p. 451; ("Anybody that wants") WHT, June 23, 1971, transcribed for author; (13 ambassadors) *NM*, p. 134–; (Annenberg) Emery, op. cit., p. 502; Howe and Trott, op. cit., p. 483; (Rebozo in bar) Darius Davis testimony, E, Bk. 22, p. 10564; (Manzi) UPI, Feb. 15, 1979, citing witness Anthony Mansueto.

Vesco: ("largest security fraud") *Time*, Mar. 12, 1973; (pending indictment) *WP*, June 21, 1995; ("Vesco is crook") WHT, July 11, 1973; *AOP*, p. 625; (VIP dinner) Arthur Herzog, *Vesco*, New York: Doubleday, 1987, p. 21–; ('68 contribution) F. Donald Nixon testimony, Apr. 5, 1973, E, Bk. 22, p. 10711–; (Rose Bowl) int. A. L. "Ike" Eisenhauer; A. L. Eisenhauer and Robin Moore, *The Flying Carpetbagger*, New York: Pinnacle, 1976, p. 91–, and see *NYT*, Jan. 2, 1969; (Mitchell "pressure") Hutchison, op. cit., p. 205–; Jospeh Persico, *Casey*, New York: Viking, 1990, p. 148; McClendon, op. cit., p. 197; *NYT*, Mar. 6, 1974; (aide suggested) *Time*, *Newsweek*, Mar. 12, 1973, the aide was CREEP vice president and former WH aide Daniel Hofgren; (Vesco aide to US) *Time*, Mar. 12, 1973, the aide was Laurence Richardson, Jr.; ("surrogate") Magruder, *American Life*, op. cit., p. 183; (Edward helped arrange) *NYT*, Apr. 6, 1974; int. Edward Nixon; (Donald Sr. '68) F. Donald Nixon testimony, E, Bk. 22, p. 10711; (son/Vesco) int. Donald A. Nixon, refs.; Eisenhauer and Moore, op. cit.; ("Ah . . . let's go on") transcript of Cronkite–Vesco int., Apr. 2, 1974; ed. Miller, *Breaking of the President*, Vol. 4, op. cit., p. 69; Boston *Globe*, Apr. 3, 1974.

RN and Teamsters: ("The P apparently met") Dec. 9, 1971 entry, *HD*, p. 382; ("The President wants you") Haldeman to Colson, Sept. 8, 1970; ed. Oudes, op. cit., p. 157–; (Mollenhoff opposed) Mollenhoff memo to files, Sep. 12, and to John Ehrlichman, Sep. 17, 1969, Mollenhoff Papers, Gerald R. Ford Library; (Chotiner "handling") Mollenhoff, op. cit., p. 45, citing call from former Justice Dept. official Walter Sheridan; ("substantial sums") Quarles to McBride, Aug. 30, 1973 enclosing Tab B, Colson memo to Krogh, June 6, 1970, Campaign Contributions Task Force, Box 803, WSPF, NA; (Hoffa barred) ed. Shoenebaum, op. cit., p. 303; (Teamsters endorsement) Colson to RN, July 17, 1972, WH Special Files, staff members and Office, NP, NA; (*Time* probe) *Time*, Aug. 31, 1981; (Hall) ibid., Cleveland *Plain Dealer*, Aug. 23, 24, 1981, NYT, July 20, 1975; ints. Harry Hall, the late John Daley, and former IRS Supervisor

Marty Philpott, and refs., Neff, op. cit., refs.; (Colson/Vegas) *Time,* Aug. 8, 1977, citing FBI sources; (Colson attorney for Teamsters) ed. Schoenebaum, op. cit., p. 139.

"Intelligence" plans: ("For God's sake") Hunt, *Undercover,* op. cit., p. 185; ("800–300") attachment to Oct. 27, 1971 memo, Gordon Strachan to H. R. "Bob" Haldeman, R, Stmt. of Inf., App. IV, p. 45; ("intelligence capability") memo, Gordon Strachan to H.R. "Bob" Haldeman, Dec. 2, 1971, p. 59; ("When going to do something") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 10–; (Liddy/Mitchell mtg.) E, Report, p. 21, and see useful summary at Emery, op. cit., p. 89–; (frieze) White, *Breach,* op. cit., p. 156; ("Smart, isn't he") WHT, Oct. 25, 1971, conv. no. 601-033, WSPF, NA; (GEMSTONE) Liddy, op. cit., p. 270; ("beyond pale") Mitchell testimony, E, Bk. 4, p. 610; (too expensive) Liddy, op. cit., p. 276–; Dean, *Blind Ambition,* op. cit., p. 85; Magruder, *American Life,* op. cit., p. 179.

"overall political plan": *HD,* p. 403.

Digest dinner/Wallaces: *WP* magazine, July 27, 1997; ($ in Bahamas?) John Sablich to Mr. Moerdler, Dec. 10, 1973, JSFF, pp. 490, 555; (*Digest* editor brokered) Paul Michel to files, Feb. 7, 1975, Campaign Contributions Task Force, File 804, Box 99, Paul Michel to files, May 27, 1975, Campaign Contrib. Task Force, File 804, Box 111, WSPF, NA; (Oobie-doobie girl) *WP* magazine, July 27, 1997; Bryant with Leighton, op. cit., p. 257–6, the singer was Carole Feraci; (RN angry memo) RN to Colson and Haldeman, Jan. 28, 1972, WH Special Files, H. R. Haldeman, Pres. Memos, 1971–1973, Box 230, NP, NA.

2nd Meeting: E, Report, p. 22, Emery, op. cit., p. 92–.

Liddy went to Colson: summarized and sourced at E, Report, p. 23–; Emery, op. cit., p. 99; ("the President wanted") int. Jeb Magruder for "Watergate: The Break-in," Part 1, Brian Lapping Associates Production for the Discovery Channel and BBC, Discovery Communications, Inc., 1994, transcript p. 52, provided to author by Brian Lapping Associates.

Political position early '72: (polls) Manchester, *Glory & Dream,* op. cit., p. 1273—Harris poll in January showed RN and Muskie neck and neck at 42 percent, and Wallace at 11 percent, *MEM,* p. 541–; ("coronation") int. Charles Colson for "Watergate: The Break-in," *supra.,* transcript p. 39.

Mitchell go-ahead?: summarized at E, Report, p. 24–; Emery, op. cit., p. 101; Magruder, *American Life,* op. cit., p. 193; (shift to McGovern) E, Report, p. 27.

RN/Mitchell meeting and "P"/"F" document: Apr. 4, 1972 entry, *HD* CD, Nixon to Rodino, June 9, 1974, Box 8, Edward Hutchinson Papers, Gerald R. Ford Library and see WHT, Apr. 25, 1973, conv. 430-004, WSPF, NA, and report of Peter Vea to author.

Others on RN/Mitchell meetings: (Butterfield) eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 249; (Korff/Mitchell/RN) Korff, op. cit., p. 120, and ints. the late Baruch Korff, Zamira Korff (daughter).

Early talk of DNC break-in: E, Report, p. 22, John Dean testimony, E, Bk. 3, p. 929, *NM,* p. 173, referring to Dean and Magruder and James McCord testimony, E, Bk. 1, pp. 145–, 183–, re: discussions of DNC as early as Jan. or Feb.

"entries" at Convention/nominee HQ: E, Report, p. 25.

Hoover death: Summers, *Official & Confidential,* op. cit., pp. 10, 422–.

Bizarre orders: (RN raging over offensive) *HD,* p. 435, and see esp. p. 448; ("The bastards") WHT, Apr. 4, 1972, in *LAT* June 29, 1974; (RN kicked desk) Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 508; (demand for flag) Liddy, op. cit., p. 303–; Magruder, op. cit., p. 205–; Hunt, *Undercover,* op. cit., p. 211; ints. Bernard Barker, Howard Hunt; (melee) *Saturday Review,* Sep. 11, 1973; *Time,* Oct. 23, 1972; int. Liddy in *George,* June 1997; FBI ints. Pablo Fernandez, FBI Miami 139-328, Angel Ferrer, 302 int., unnumbered and handwritten notes of WSPF int., in Michael Ewing Collection, int. Ellsberg, *Rolling Stone,* Nov. 8, 1973, and *NM,* p. 196.

Wallace shooting: (actual event) *WP,* May 15, 16, 1972; (RN on surface) ibid.; *MEM,* p. 608; ("agitated") Bernstein and Woodward, *Men,* op. cit., p. 329, citing int. Charles Colson; (Bremer "leftist") ibid., p. 326, citing White House aide Kenneth Clawson, ("Don't worry") May 16, 1972 entry, *HD,* CD; ("times that it's best") WHT, May 16, 1972, transcribed for author; (Nixon/Colson dine) May 15, 1973 entry, *HD,* CD, Henry Hecht to William Merrill, Aug. 14, 1973; int. Colson in Bremer released docs. folder, WSPF, NA; ("Nixon having") Emery, op. cit., p. 116, citing NA oral history; (Nixon/Colson phone call) WHT, May 15, 1972; *AOP,* p. 38; *WP,* June 17, 1997; (Colson admitted) C. L. McGowan to Mr. Gebhardt, Aug. 13, 23, 1974, FBI 44-52576, serials 808 and 809, Hunt referred to call in "late afternoon," Colson to call at 10 P.M.; (Hunt said too late) Hunt, *Undercover,* op. cit., p. 216, and see Liddy, op. cit., p. 309; NY *Daily News,* Dec. 8, 1992; (RN strategy depended) *NY Review of Books,* Dec. 13, 1973, the colleague was Robert Finch; ("With the needle sticking") *TW72,* p. 238; (Simons) Bernstein and Woodward, *Men,* op. cit., p. 326; (Wallace suspicions) e.g., C. L. McGowan to Mr. Gebhardt, Jan. 15, 1975, FBI 44-52576-814; *McCall's,* Sept. 1974; int. former Wallace aide Elvin Stanton.

Gilday: SAC (Washington Field Office) to director, May 23, 1974, FBI 139-4089, notes of interviews by Jim Hougan, Jim Lesar (author's attorney), and Julie Ziegler (author's researcher); ("I did things") WHT, Jan. 2, 1973, transcribed for author.

anti-Anderson plans: (Hughes payments) *WP,* Aug. 6,1971; (on ITT) Emery, op. cit., p. 101; (Indo-Pakistan conflict) Hersh, *Price of Power,* op. cit., pp. 444–, 659; Jack Anderson with George Clifford, *The Anderson Papers,* New York: Ballantine, 1974, p. 260–, and research paper prepared for author by Greg Murphy, *West* magazine [San Jose *Mercury News*], Nov. 20, 1983; *WP,* Feb. 16, 1972; *MEM,* pp. 531–, 574, 580–; and see Jack Caulfield to H. R, Haldeman, re: Anderson Leaks, Feb. 11, 1971; ed. Oudes, op. cit., p. 215; ("foes) Ehrlichman, op. cit., p. 25; (information to WSPF) John Lydick to Jack Anderson file, Oct. 21, 1975, and Michael Lehr to files, Oct. 28, 1975, WSPF, NA; *WP,* Sep. 30, *Time,* Oct. 6, 1975; ("They charged us") int. Gordon Liddy, *High Times,* June 1981; Liddy court testimony in Lane, op. cit., p. 204; (Liddy meeting with CIA doctor) Liddy, op. cit., p. 286–; (Hunt affidavit) Mar. 21, 1978 in *Jack Anderson v. Richard Nixon et al.,* Civ. Act. no. 76-1794; ("spiking his drink") AP, Aug. 17, 1973, cited in eds. Scott, Hoch and Stetler, op. cit., p. 387, citing former covert actions specialist Miles Copeland.

"political intelligence" operation continued: (phoney support) *NM,* p. 166; int. Robert Odle; (Cuban's demonstration) Liddy, op. cit., p. 307–; ("our next job") Hunt, *Undercover,* op. cit., p. 213; (McCord reconnaissance) E, Report, p. 27; McCord, op. cit., p. 22; (O'Brien office & apt.) ibid., p. 19.

Baldwin: Angelo Lano and Daniel Mahon report of int. Alfred Baldwin, July 11, 1972, FBI WFO 139-166, Baldwin testimony, E, Bk. 1, p. 395–.

Russell: see this chapter, author's note 19; (probing Anderson) Rodney Kicklighter and James Hopper report of int. Louis Russell, June 28, 1972, FBI 139-166; (security service) Don Sanders to file, Oct. 8, 1973, citing Russell file at General Security Services, Howard Leibengood file, E, NA and int. Ken Prestia, Jim Hougan Collection.

RN in Moscow: (sleep eludes) Szulc, *Illusion,* op. cit., p. 56; *MEM,* p. 610; (meetings/"never loosened") John Osborne, *The Fourth Year of the Nixon Watch,* New York: Liveright, 1973, p. 92.

Cubans/first break-in: (hotels) *NM,* p. 197; ("We're going to") transcript, *LAT* int. of Alfred Baldwin, in *U.S. v. G. Gordon Liddy et al.,* Case 1827-72, U.S. Dist. Court DC, p. 43; (photographed papers) Hunt, *Undercover,* op. cit., pp. 228; Washington *Evening Star and Daily News,* Sep. 1, 1972; Hougan, *Agenda,* op. cit., p.156; (bugs according to McCord) McCord, op. cit., p. 25; E, Report, p. 157.

RN no diary/Moscow bugs: *MEM,* p. 618–.

First fruits of bugs: (Baldwin) int. Alfred Baldwin by FBI agents Angelo Lano and Daniel Mahon, July 10, 1972, FBI WFO 139-166, p. 10; (O'Brien bug failed) McCord, op. cit., p. 26; Liddy, op. cit., p. 321–; (content of calls intercepted) FBI int. of Baldwin, July 10, 1972, *supra.* pp. 9, 11, WFO to director, July 10, 1972, FBI 139-4089-504, *NM,* p. 201, Magruder, *American Life,* op. cit., p. 209, and see author's note 22 for this chapter.

CREEP/WH reaction to logs: (stationery) E, Report, p. 30; Liddy, op. cit., p. 323; Nick Akerman to files, Oct. 26, 1973; int. of Sally Harmony, p. 3–, Box 63, WSPF, NA; (Magruder shows Mitchell?) Jeb Magruder testimony, E, Bk. 2, p. 797; Magruder, *American Life,* op. cit., p. 210; (backed by assistant) Robert Reisner testimony, E, Bk. 2, p. 494; (Strachan saw) Jeb Magruder testimony, E, Bk. 2 pp. 797, 827; ("Strachan called me") Liddy, op. cit., p. 326; (Haldeman denied knowledge) H. R. Haldeman testimony, E, Bk. 7, p. 2880, opening statement on behalf of H. R. Haldeman, Nov. 26, 1974, *U.S. v. Mitchell, et al.,* Case 74-110, U.S. Dist. Court D.C., p. 7590–; ("best of knowledge") H. R. Haldeman testimony, E, Bk. 7, p. 2880; (declines to answer) DNC deposition of H. R. Haldeman, May 22, 1973, summary deposition folder, Box 115, *DNC v. McCord,* WSPF, NA; ("whether any result") Richard Ben-Veniste and George Frampton, *Stonewall,* New York: Touchstone, 1977, p. 371.

Nixon after foreign trip: (polls) *U.S. News & World Report,* May 2, 1994; ("We need savage") June 9, 1972 entry, *HD,* CD, p. 470; (RN urged Colson) WHT, June 13, 1972; *AOP,* p. 40; (S.S. agent passed info.) Rush, op. cit., p. 61; ("hit McGovern") Liddy, op. cit., p. 324; (Magruder wanted) ibid.; (Mitchell denied) John Mitchell testimony, E, Bk. 4, p. 1620; ("Tell me what room") Ben-Veniste and Frampton, op. cit., p. 375; Charles Colson testimony, Dec. 4?, 1974, *U.S. v. Mitchell et al.,* Rec. Grp. 21, NA, p. 9378, and see Emery, op. cit., pp. 127, 504n38; (Liddy/Mitchell June 15) Liddy, op. cit., p. 328; (200 calls) *NM,* p. 201.

Chapter 30

"My God!": WHT, June 20, 1972; *AOP,* p. 49.

Motive for Watergate: ("basic issue") opening statement of Henry Rothblatt on behalf of Bernard Barker et al., in *U.S. v. McCord,* Rothblatt Papers, and see Bernstein and Woodward, *Men,* op. cit., p. 230; ("To this day") *NYT,* Nov. 30, 1987, and see int. H. R. Haldeman in eds. Miller Center, op. cit., p. 95.

Cuba motive?: (hoped find foreign funding") int. Howard Hunt and see Wise, *Police State,* op. cit., p. 159; (accomplices) e.g., Virgilio Gonzalez, New Haven *Register,* June 16, 1997 and int. Bernard Barker; (McGovern pressing) *WP,* undated, summer 1972; (phoney) e.g., int. Prof. Sam Dash (Chief Counsel, Sen. W'gate Cttee.); (Sturgis) Andrew St. George int. of Frank Sturgis, *True,* Aug. 1974; ints. Andrew St. George; (Rosselli attorney) Rappelye and Becker, op. cit., p. 307, attorney was Leslie Scherr; (RN: "Hunt . . . open that scab") WHT, June 23, 1972, conv. no. 741-002, WSPF, NA; ("very bad to have this fellow Hunt") WHT, June 23, 1972, transcribed for author; ("The obsession of the administration") Terry Lenzner and Mark Lackritz to Sen. Ervin, date obscured, Feb. 1974, Subject: Relevance to S. Res. 60 of John Rosselli's testimony about his CIA activities, Box 441-3, JFK Collection, HSCA, Rec. Grp. 233, NA.

O'Brien/Hughes motive: ("Colson can talk") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 18; ("Operation O'Brien") ed. Oudes, op. cit., p. xxix, citing Haldeman memo to Lyn Nofziger, Mar. 9, 1970; (Chotiner reported) ibid., citing memo to Haldeman, Mar. 12, 1970; (RN memo on Air Force One) The President to H. R. Haldeman, Jan. 14, 1971, Box 140, H. R. Haldeman Papers, "Extra Copies," W. Hse. central files, NA; ("shake . . . skeletons") Jack Caulfield to John Dean, Feb. 1, 1971, E, Bk. 21, p. 9755; (Anderson/Hughes contributions) *WP,* Aug. 6, 1971; (RN: "I said: 'Get word out' ") Nixon/Frank Gannon int., "American Parade," CBS-TV, Apr. 10, 1984, transcript, p. 2, and see *Larry King Weekend,* CNN, June 21, 1997 (rerun), transcript p. 5; (O'Brien "attacked") Lawrence O'Brien Oral History, Dec. 10, 1987, XXXI, p. 40–, JFKL; (no irregularities) E, Report, p. 1027; ("possible wrongdoing") ibid., p. 1025; ("A.G. called today") Jan. 31, 1972 entry, *HD,* p. 405, the Hughes aide was Noah Dietrich—see also entries for Jan. 16, 17 and this book page 279–; (Irving) Drosnin, op. cit., p. 440–; Dean *Blind Ambition,* op. cit., p. 390–; (Schemmer) ints. Benjamin Schemmer, Enc. to Schemmer to Robert Herrema, May 24, 1973, File 804, Campaign Contributions Task Force, E, Anatomy of a Break-in, unpub. article in Jim Hougan collection; ("Nixon-Hughes Loan" book) Gordon Liddy to John Mitchell, May 15, 1972, attached to Gordon Strachan to John Ehrlichman, May 18, 1972, Donald Nixon file, John Ehrlichman papers, W. Hse. special files, NP, NA and Higham, op. cit., p. 348; ("planned burglary") *NYT,* Nov. 30, 1987; ("Plan hatched") Haldeman note, Mar. 28, 1973, *HD,* CD; ("to find out what O'Brien had") Liddy, op. cit., p. 325; ("mainly Hughes") WHT, July 8, 1973, WSPF, NP, NA.

Sex information motive: ("background checks") Anthony Ulasewicz testimony, E, Bk. 7, p. 2774–; ("all telephone calls") U.S. Attorney, DC Earl Silbert response to Charles Morgan, Jr., Report, FBI 139-4089-2708, p. 20, int. Charles Morgan; (attention to "sexual") Alfred Baldwin deposition, July 25, 1996, Exhibit 13, p. 86; *Maureen and John Dean v. St. Martin's Press et al.,* Case 92-1807 HHG AK, U.S. Dist. Court DC; (record sealed) Emery, op. cit., p. 238; ("personal matters") Alfred Baldwin int., reprinted from *LAT,* Oct. 6, 1972, in FBI 139-4089-1355; ("extremely personal") Earl Silbert response, *supra.,* ("calls of sexual nature") Washington *Times,* Sep. 29, 1996; (Ehrlichman handwritten notes) E, Bk. 7, p. 2940; ("What they were getting") WHT, Apr. 14, 1973, conv. no. 428-028, WSPF, NP, NA; (Oliver prime mover) "Nomination of Earl Silbert to be Untied States Attorney for the District of Columbia, U.S. Senate Committee on the Judiciary, Statement of Spencer Oliver," Apr. 30, 1974, p. 200.

Maxie Wells: (background) Ida Maxwell Wells deposition, Sep. 19, 1997; *Wells v. Liddy,* Case JFK-97-946, U.S. Dist. Court Dist. of MD, N. Div., pp. 97–; ("I've developed crisis") M. Wells letter to J. Roberts, Exhibit 21, in *Wells v. Liddy, supra.;* ("pretty wild") Wells deposition, *supra.,* p. 99; ("kind of appalled") ibid., p. 111–; ("Marty & I") ibid., pp. 85, 88, 101; ("talk to sweeties") ibid., p. 245.

Bailley: (allegation) Hougan, *Agenda,* op. cit., p. 129; *WP,* June 10, 1972; (convicted) *WP,* Oct. 26, 1972.

Plans to use prostitutes: ("call girl bit") John Mitchell testimony, E, Bk. 4, p. 1610; (houseboat) Liddy, op. cit., p. 274; Howard Hunt testimony, E, Bk. 9, p. 3741; (Baltimore madam) Dean, *Blind Ambition,* op. cit., p. 83; int. John Dean, in "Watergate: The Break-in," Lapping series, *supra.;* (Prostitute use in DC) Jeb Magruder testimony, E, Bk. 2, p. 788; Magruder *American Life,* op. cit., p. 178; Liddy, op. cit., p. 286; (Hunt re: "accusations") G. Goldman to file, re: int. Bernard Barker, Sep. 13, 1973, Barker memo folder, Box 99, E, NA; (straitlaced?) int. Lawrence Higby; eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 62; ("perverted") notes of int. Edward Morgan, for Pacific News Service, in Stanley Kutler collection.

Columbia Plaza prostitution/Ralabate record: (arrest records) records of Superior Court, D.C. and Metropolitan PD criminal history record for Lillian Lee Lori listing offenses 1963–1972, including notations of addresses at Apts. 204 and 901 at 2440 Virginia Ave., NW (Columbia Plaza Apt.) re: "disorderly house" charge, Apr. 4, 1972. Research for author by Alex Kramer Research, ints. Eugene Zoglio, deposition of Carl Shoffler, Mar. 13, 1995, *Maureen and John Dean v. St. Martin's Press et al.,* Case 92-1807(HHG), U.S. Dist. Court DC, p. 55, deposition of John Rudy (former asst. U.S. attorney), June 19, 1996, *Maureen and John Dean v. St. Martin's Press et al., supra.,* p. 202–, int. Barbara Ralabate (aka Lil Lori); (Democrats involved)

Rudy deposition, *supra.*, p. 245–; ("arranged for liaisons") ibid., p. 321–; (filmed/recorded) ibid., p. 246–.

Russell: (and Washington whores) int. William Birely; int. Gordon Hess (former police officer) in Jim Hougan Collection; Hougan, *Agenda,* op. cit., p. 116; int. Wm. Birely; ("I had 3 or 4") int. Robert Smith, and see Hougan, *Agenda,* op. cit., p. 118 (re: similar information of Kennard Smith and Bernard Fensterwald), int. Gordon Hess, *supra.;* (Russell named prostitute) ibid.

Sex angle in Oval Office: (Dean briefs RN) WHT, Sep. 15, 1972, conv. 779-002, WSPF, NP, NA, p. 39, the lawyer was Henry Rothblatt; (Dean/Haldeman memo) John Dean to H. R. Haldeman, Sep. 12, 1972, E, Bk. 3, p. 1177–, and see E, Bk. 4, p. 1470, the copy of the original memo, supplied to the author by John Dean, bears a checked capital "P," probably indicating that Nixon saw or discussed the memo; (Maroulis) int. Peter Maroulis, Donna Rothblatt was also interviewed.

Xaviera Hollander case: (Colson tip) Charles Colson to John Dean, attaching note from *Life's* Bill Lambert, Oct. 27, 1971, and John Caulfield's post Nov. 22, 1971 report to John Dean, supplied to author; (Mosbacher) ibid., and Terry Lenzner to Mark Lackritz, Sep. 22, 1973, re: T. Ulasewicz Investigations, in Defendant Len Colodny's Motion for Partial Summary Judgment, *John and Maureen Dean v. St. Martin's Press et al., supra.*, Exhibit 226; ("blackmail" headline) *NYT,* Nov. 20, 1971; (Hollander book) Xaviera Hollander with Robin Moore and Yvonne Dunleavy, *The Happy Hooker,* New York: Dell, 1972; ("one of the hierarchy") Xaviera Hollander, *Xaviera,* New York: Warner, 1973, p. 419; (deported) *NYT,* Nov. 19, 1971, Apr. 18, 29, 1972; (wiretapper fled) *NYT,* Sep. 15, 17, 1972, ints. Robin Moore, Theodore Ratinoff; ("Thank you, Tricky") Hollander, *Xaviera,* op. cit., p. 13; ("W. Hse. . . . kicked out") ints. Robin Moore; (report revealed) House Select Cttee. on Intelligence report ("Pike Report"), disclosed at length in *Village Voice,* Feb. 16, 1976; (King Hussein) Wise, *Police State,* op. cit., pp. 184, 411; ("whatever his taste") int. Carl Feldbaum; (Ziegler denial) int. Ronald Ziegler; ("white as a sheet") Dean, *Blind Ambition,* op. cit., p. 41.

Mosbacher: (job) Safire, op. cit., p. 129; Mar. 1, 1970 entry, *HD,* p. 133; (resignation) WHT, June 23, 1972, conv. no. 741-002, p. 8, WSPF, NA; (dead) Aug. 13, 1997, at Mosbacher entry, britannica.com.

Ruwe: (i/c social events) Apr. 14, 1969 entry, *HD,* p. 49; (veteran) Witcover, op. cit., pp. 10, 124, 134, 170, 233; Ehrlichman, op. cit., pp. 14, 24, 30; *TW68,* p. 6; int. Robert Odle; ("We have 10 Arabs") int. Bill Bagley.

Rikan: (background) see author's note for this chapter, number 17; (knew Dean & [later wife] Maureen) Maureen Dean with Hayes Gorey, *Mo,* New York: Simon & Schuster, 1975, pp. 13, 15, 40, 48, 63, 79, 264, 272; ("Heidi is identified in index as Heidi Rikan) Dean, *Blind Ambition,* op. cit., pp. 328–; "Erika AKA Heidi L. Rikan Certification of Death," State of PA, Jan. 27, 1990, Reading [PA] *Eagle,* Jan. 28, 1990; (maid) Mary Banks deposition, Sep. 28, 1993, *Maureen and John Dean v. St. Martin's Press et al., supra.*, pp. 10–, 25, 33, 35; Washington *Star*/Dean follow-up: (story) *Evening Star,* June 9, 1972; ("big folderol") int. Pete Kinsey; (Rudy/Dean mtg.) John Dean deposition, Sep. 12, 1995; *Maureen and John Dean v. St. Martin's Press et al., supra.*, pp. 118, 122, 123; John Dean deposition, Sep. 15, 1995, *supra.*, p. 64–; John Rudy deposition, Apr. 11, 1996, *supra.*, p. 185–; transcript of Len Colodny int. of John Rudy, Apr. 4, 1989, defendant Len Colodny's motion for partial summary judgment; *John and Maureen Dean v. St. Martin's Press et al., supra.*, refs. in Exhibits, and int. John Dean by Jim Hougan, Jim Hougan Collection.

Ruwe after resignation: *Good Housekeeping,* July 1976, *SF Chronicle,* June 12, 1981; "Newsmakers" column, *Newsweek,* Aug. 24, 1981; February Group Directory, Summer 1979.

"The directions that I received": deposition of John Rudy, June 19, 1996; *Maureen and John Dean v. St. Martins' Press et al., supra.*, pp. 203, 205.

"balance of terror": Liddy, op. cit., p. 251.

Magruder: John Ehrlichman mtg. with Jeb Magruder and attorneys, Ref. no. 7304141, NP, NA.

Sturgis: int. Frank Sturgis by Andrew St. George, *True,* Aug. 1974; int. Andrew St. George.

O'Brien as target: ("Op. O'Brien") ed. Oudes, op. cit., p. xxix; (home burglaries/phones) Lawrence O'Brien oral history, Dec. 10, 1987, transcript, XXXI, p. 16–, JFKL; Lawrence O'Brien, *No Final Victories,* Garden City, NY: Doubleday, 1974, p. 346– and see [re: intent to burgle/bug apartments] McCord, op. cit., p. 19 and James McCord testimony, E, Bk. p. 174; (Hunt "alternate plan") Schorr, op. cit., p. 14; (get "information that CREEP") Lawrence O'Brien oral history, Dec. 11, 1987, transcript, XXXI, p. 38, JFKL; ("simple as that") O'Brien, op. cit., p. 345; (Liddy on what Democrats had) Liddy, op. cit., p. 325; ("shit file") int. Frank Sturgis by Andrew St. George, *True,* Aug. 1974; ("believe in Santa Clus") int. Len Garment in eds. Strober, *Nixon,* op. cit., pp. 319, 322; (Liddy/"war") Ulasewicz, op. cit., p. 237.

Chapter 31

"Watergate has done": int. Robert Finch in ed. Miller, *Breaking of the President,* op. cit., Vol. 1, p. 130.

Vann ceremonies: Sheehan, op. cit., pp. 3–, 753–.

RN to Bahamas: *MEM,* p. 625, June 16, 1972 entry, *HD,* CD.

Burglary June 16/17: (movements/evening) *NM,* p. 203–; Hougan, *Agenda,* op. cit., p. 178–; Hunt, *Undercover,* op cit., p. 239–; Liddy, op. cit., p. 331–; (Baldwin) *LAT,* Oct. 5, 1972; (*Puppet People*) Hougan, *Agenda,* op. cit., p. 195; (burglars' tasks) *NM,* p. 206; McCord, op. cit., p. 30; ("I personally checked") int. Bernard Barker in eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 305; (police picked up) ints. Paul Leeper, John Barrett, Carl Shoffler, Thomas Herlihy, Metropolitan Police Dept. Intelligence Division, to John Hughes, June 18, 1972, Hougan Collection; (Russell) int. Ruth Thorne, citing Russell; int. Jean Hooper (daughter) and see Hougan, *Agenda,* op. cit., p. 192–; (Herlihy report) see Herhlihy to Hughes, *supra.*

RN/news of arrests: (told nation June 17) address to the nation about the Watergate investigations, Apr. 30, 1973, Public Papers of the Presidents of the United States, Richard Nixon, 1973, Washington, D.C.: U.S. Gov. Printing Off., 1974, p. 328; (memoirs/Sunday) *MEM,* p. 625; (Abplanalp) *JA,* p. 468; (did not accompany) Emery, op. cit., p. 149fn; (Rebozo/Saturday) int. Miami *Herald,* Mar. 22, 1990; ("They did WHAAT?") *JA,* p. 468; (Haldeman) Haldeman with DiMona, op. cit., pp. 5, 8–; ("ashtray") Charles Colson testimony, R, Bk. III, p. 259; Haldeman with DiMona, op. cit., p. 37; and transcript of int. Charles Colson by Mike Wallace, "Watergate: The Secret Story," CBS News, June 17, 1992; Emery, op. cit., p. 154; int. Charles Colson for BBC/History Channel; ("Why did he telephone?") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 37.

First response: ("Track down Magruder") ibid., p. 31–; (first statement) Magruder, *American Life,* op. cit., p. 220; ("Idea—get it confused") Haldeman note of Magruder call, June 18, 1972, NP, NA, and see Emery, op. cit., p. 155–.

destruction of evidence: (Liddy) Liddy, op. cit., pp. 34–, 347, 359; (McCord deputy) Hougan, *Agenda,* op. cit., p. 224–; *NM,* p. 226; (Hunt safe) John Dean testimony, E, Bk. 3, pp. 935, 937; Dean, *Blind Ambition,* op. cit., p. 114; int. Pete Kinsey; (Gray) Patrick Gray testimony, E, Bk. 9, 0. 3468; ("Maybe . . . little fire") Magruder, *American Life,* op. cit., p. 225–; (Mitchell destroyed) McClendon, op. cit., p. 274–.

Tuesday morning meeting: R, Statement of Inf., Bk. II, p. 23; Emery, op. cit., p. 170; ("make sure files clean") Gordon Strachan testimony, E, Bk. 6, p. 2458; Haldeman with DiMona, op. cit., p. 39–.

RN Tuesday: (alone) RN daily diary, June 20, 1972, R, Bk. II, p. 243; (sees Ehrlichman) ibid.; (Watergate discussed) Emery, op. cit., p. 173; Ehrlichman, op. cit., p. 318, but see R, Summary of Inf., p. 37–; (Haldeman meeting) ibid., p. 38.

18½ minute gap: (Haldeman's notes) R, Statement of Inf., Bk. II, p. 246; ("serious thing") transcript of proceedings, Nov. 21, 1973, Subpoena Duces Tecum Issued to Pres. Richard M. Nixon for Production of Tapes, Misc. No. 47-73; Rose Mary Woods Legal Corr., Box 20, WH Central files, NP, NA; (ludicrous scene) Ben-Veniste and Frampton, op. cit., p. 177–; Doyle, op. cit., p. 257–; (experts concluded) "Report on Technical Investigation—The EOB Tape of June 20, 1972," by Advisory Panel on White House Tapes, Box C11 and E, NA, Technology Review, Feb. 1976, *Newsweek,* Jan. 28, 1974; (Woods insisted only 5 min.) Ben-Veniste and Frampton, op. cit., p. 177; ("Don't worry") Ben-Veniste and Frampton, op. cit., p. 177; ("framed") int. James Bassett by FB, FBP; int. Cynthia Bassett; (RN reviewed tapes) *MEM,* pp. 902, 918, 975; R, Bk. IX, Pt. 2, p. 528–; Leon Jaworski with Mickey Herskowitz, *Confession & Avoidance,* Garden City, NY: Anchor Press, 1979, p. 237; ("pushed buttons") R, Bk. IX, Pt. 2, p. 530; (RN around Woods) "Fact Sheet," *supra.;* ("Most likely the President") Jill Wine Banks, formerly Volner, *The Washington Lawyer,* July/Aug. 1999; ("Only the President") Jaworski with Herskowitz, op. cit., p. 236; (Haldeman reconstruction) Haldeman with DiMona, op. cit., p. 17.

Other events Tuesday, June 20: (RN refused release tapes) R, Summary of Inf., p. 38fn; ("A lot of people think") WHT, June 20, 1972, conv. no. 342-027, WSPF, NA; (further meeting with Haldeman) WHT, June 20, 1972, transcribed for author and *AOP,* p. 47–; ("nice touch") Emery, op. cit., p. 178, citing WHT, June 20, 1972 [Haldeman/RN 4:35 P.M.–5:25 P.M.]; (evening call Mitchell) R, Summ. of Inf., p. 38, R, Stmt. of Inf., BK. II, p. 310; (Dictabelt "tapered with") "First Conversations Concerning the Break-in," p. 7, folder 53A.2, Nixon Memoranda, WSPF, NA; (no tapes of 4 calls) ibid., p. 2; Emery, op. cit., p. 508n32, R, Stmt. of Inf., BK II, p. 244; ("A lot of people think . . . anti-Castro Cubans") Haldeman with DiMona, op. cit., p. 24.

Rebozo and Watergate: (name came up) WHT, June 21 [3 times], June 22 [twice]; *AOP,* pp. 52, 57, 61, 63, 65; ("Is Rebozo safe?") ibid., p. 65 and monitored for author; (lines to Barker/Mar-

tinez) Hinckle and Turner, op. cit., pp. 338, 352; ed. Weissman, op. cit., p. 258; eds. Scott, Hoch, and Stetler, op. cit., p. 395; (Ameritas as cover) Watergate Hotel booking records May 26–28, 1972 and refs. to bookings, June 10–19, 1972, police report, June 20, 1972, James Hougan Collection and testimony of Miguel Suarez, *U.S. v. Liddy et al.*, re: Manger Hamilton Hotel booking record, Michael Ewing Collection, *NM*, p. 197–.

"no involvement . . . this particular incident": Emery, op. cit., p. 186.

Cover-up: (get FBI "turned off") WHT, June 21, 1972; *AOP*, p. 50; ("You can't cover this") WHT, June 30, 1972; *AOP*, p. 89; ("The worst thing") WHT, July 19, 1972; *AOP*, p. 93; ("cover-up . . . hurts you") WHT, Sep. 11, 1972; *AOP*, p. 138; ("A cover-up . . . main ingredient") WHT, Feb. 14, 1973, conv. no. 855-010.

June 23, 1972 tape: (FBI one step away) R, Summ. of Inf., p. 39, and Emery, op. cit., p. 186–; (Haldeman offers solution) WHT, June 23, 1972 [2 convs.]; *AOP*, p. 67–; ("All right, fine") ibid., p. 68; ("You call them in") ibid., p. 69; ("no problem") ibid., p. 70; ("time bomb") WHT, June 29, 1972; *AOP*, p. 76.

RN/tape peril: ("complicates things") WHT, June 20, 1972; *AOP*, p. 48.

RN needing rest: ("trying to get rest") RN address to nation, Apr. 30, 1973, *Historical Documents*, 1973, Washington, D.C.: Congressional Quarterly, 1974; (time at Key Biscayne, Camp David, San Clemente) June 2–5, June 7–9, June 28–29, July 1–18, 1973; *HD*, CD; (aides blame fatigue) Osborne, *Watch 4*, op. cit., p. 106; ("According to associates") ibid.; (vist to Capitol) McCarthy with Smith, op. cit., p. 21–; (Campbell) int. Lou Campbell.

RN in control of campaign: McClendon, op. cit., p. 275; int. Elliot Richardson in eds. Miller Center, op. cit., p. 56; Barry Goldwater with Jack Casserly, *Goldwater*, Garden City, NY: Doubleday, 1988, p. 261; ed. Miller, *Breaking of the President*, Vol.5, p. 573, citing Robert Mardian.

little public consciousness: (Gallup) Manchester, *Glory & Dream*, op. cit., p. 1287; (Woodward/Bernstein) Barry Sussman, *The Great Cover-Up*, Arlington, VA: Seven Locks Press, 1992, p. 59–; *NM*, p. 274; (Nelson) *LAT*, Oct. 5, 1972, with Ron Ostrow, he obtained an early exclusive in interviewing Alfred Baldwin.

RN on popular reaction to Watergate: ("I think the country") WHT, June 21, 1972; *AOP*, p. 54; ("don't give a shit about repression") ibid., p. 59; ("average guy") WHT, Sep. 8, 1972; *AOP*, p. 136; ("chicken shit") WHT, May 1, 1973; *AOP*, p. 392.

crimes/plotting continue: ("There should be rifling") WHT, July 1, 1972; *AOP*, p. 90; *WP*, Feb. 15, 1997; (Lungren break-in) Dr. John Lungren affidavit, Nov. 2, 1973, E, Bk. 12, p. 5065–; (Haldeman aide called) Felt, op. cit., p. 223, and Acting FBI Director Patrick Gray testimony, May 31, 1973, Inquiry into the Alleged Involvement of the CIA in the Watergate and Ellsberg Matters, Special Subcttee. on Intelligence, Cttee. on Armed Services, U.S. Hse. of Reps., 94th Cong., 1st Sess., p. 239.

getting at Democrats/O'Brien persisted: ("still talking in those terms") int. Jeb Magruder; eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 355; Magruder, op. cit., p. 37–; (Fontainebleu bugging?) transcript, *NBC Nightly News*, Oct. 4, 1973, press files, Box 16, WSPF, NA; (groundwork) Schorr, op. cit., p. 14fn; (Gerstein office break-in) Miami *News*, Aug. 28, 1972; (Strauss break-in) AP, June 3, 1973; Robert Strauss deposition, May 29, 1973, *DNC v. McCord et al.*, Civic Action 1233-72, U.S. District Court., DC; ("Go gung-ho") *Atlantic Monthly*, June 1989; ("What, if anything?") WHT, Aug. 3, 1972; *AOP*, p. 113; ("Get everything") WHT, Sep. 8, 1972; *AOP*, p. 136; (tried hard) Roger Barth testimony, June 6, 1974, E, Bk. 23, p. 11223, Aug. 27, 28, 1972 entries, *HD* CD, R, Bk. VIII, pp. 334, 337, 345; Johnnie Walters affidavit, June 10, 1974, R, Summary Inf., pp. 142, 222; Reston, op. cit., p. 448; (unlawfully) R, Bk. VIII, p. 28; ("send him to jail") John Ehrlichman testimony, Feb. 8, 1974, R, Bk. VIII, p. 225; ("cleanest campaign") Pat Buchanan memo, Nov. 15, 1972, President's Office File, Box 90, NP, NA.

Democratic convention: (disaster) *TW72*, p. 158; Boller, op. cit., 334–.

Eagleton: (crisis) TW72, p. 193; Schoenbaum, op. cit., p. 178–; ed. Bruce Westley, *Journalism Monographs*, 35, Aug. 1974, p. 1–; (RN letter) *MEM*, p. 663–; ("Supposing") *TW72*, p. 201; (Deep Throat/Eagleton) Bernstein and Woodward, *Men*, op. cit., pp. 133, 316, Bradlee, *Good Life*, op. cit., p. 333; (CREEP plant) *NM*, pp. 162–, 168; (overheard discussion) St. Louis *Post-Dispatch*, June 24, 1973; (Ehrlichman had possession) Bernstein and Woodward, *Men*, op. cit., p. 316– and see WHT, May 17, 1973; *AOP*, p. 521; ("Haldeman once intimated") int. Alexander Butterfield; in eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 266; (RN/Haldeman on exploiting) WHT, July 26, 1972; *AOP*, p. 106–; (McGovern on Eagleton drink/sedatives) eds. Strober, *Nixon*, op. cit., p. 265.

Republican Convention: (background) *TW72*, p. 239; ("Everything was scheduled") Cannon, op. cit., p. 126; (Ehrlichman praised) Dickerson, op. cit., p. 201; (Movies) ibid., p. 200, *TW72*, p. 244; ibid., p. 200, TW72, p. 244; (podium) Spear, op. cit., p. 181; ("join our majority") *TW72*, p. 243; (Gallup) *WP*, Aug. 30, 1972.

'72 election: (results) TW72, p. 341–; ("preoccupied") WP, Apr. 23, 1994; (tooth snapped) *MEM*, p. 715; (RN/music) ibid.; *PAT*, p. 352; (with Colson) Colson, op. cit., p. 7–; ("good feeling

shattered") Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 1406; (resignations) ibid.; Richard Nathan, *The Plot That Failed: Nixon & the Administrative Presidency,* New York: Wiley, 1975, p. 63; Hillings, op. cit., p. 163; ("maniacal") Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 1407; ("1984") Colson, op. cit., p. 79.

Christmas bombing: (background) *Historical Documents,* 1973, Washington, D.C.: Congressional Quarterly, 1974, p. 115, and see Karnow, op. cit., p. 65, 651–; ("peace at hand") Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 1399; (Nixon wanted resolution) Karnow, op. cit., p. 666; ("any terms") Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 1446–; ("The P said . . . rather bomb Monday") Dec. 15, 1972 entry, *HD,* p. 556; (offensive described) Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 621; Karnow, op. cit., p. 667–, *U.S. News & World Report,* Feb. 5, 1973; ("win war") *MEM,* p. 734; ("Brutality nothing") Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 1469; ("peace with honor") address to the nation, Jan. 23, 1973, *Historical Documents,* 1973, Washington, D.C.: Congressional Quarterly, 1974, p. 117; ("have it break with a year") *MEM,* citing RN diary, p. 734; (N. Viet. troops remained) Nixon, *Real Peace,* op. cit., p. 284; ("biggest flaw") Crowley, *Winter,* op. cit., p. 256; (RN would insist) Nixon, *Real Peace,* op. cit., p. 278; Crowley, *Winter,* op. cit., pp. 256, 261–; ("stupid") ibid., p. 256; ("won war") ibid. and Nixon, *Real Peace,* op. cit., p. 278.

RN state of mind during bombing: (Churchill on mind) *MEM,* p. 736; ("most difficult/heartrending") *MEM,* pp. 734, 735; ("This is Dec. 24") ibid., p. 739; ("terrible personal ordeal") transcript of RN Apr. 30, 1973 address, in ed. Edward Knappman, *Watergate & the White House,* New York: Facts on File, 1973, Apr.–May, 1973, p. 37; (ordeal in private) *PAT,* p. 354, Dec. 20, 1972–Jan. 1, 1973 entries, *HD,* CD; Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 629; ("into hiding") Thomas, *Dateline,* op. cit., p. 145; ("withdrawn/hostility") Kissinger, *White House Years,* op. cit., p. 1149; (press views) *MEM,* p. 738; (Saxbe) ed. Schoenebaum, op. cit., p. 569; ("throwing stuff") Hersh, *Price of Power,* op. cit., p. 622; ("did not care") Richard Wilson note, cited in Thomas Hughes article, *Atlantic Monthly,* Oct. 1974.

"awesome power": Oct. 16, 1972 entry, *HD,* CD.

"I want the most comprehensive": WHT, Sep. 15, 1972, conv. 779-002, WSPF, NA.

extend presidency?: (getting brother, etc. to run) Dec. 10, 1972 entry, *HD,* p. 552; (Dean/Zeifman) Zeifman, op. cit., p. 49; ("to mountaintop") *Life,* Dec. 1979; ("intended to control") Magruder, *Power to Peace,* op. cit., p. 31; (choice as successor) Goldwater, *Apologies,* op. cit., p. 248; Lee Edwards, *Goldwater,* Washington, D.C.: Regnery, 1995, p. 389; Cannon, op. cit., pp. 124–, 136–, 182–, 210–; ints. Charles Young and John Galbraith by FB, FBP.

RN state of mind late '72: ("troubled man") int. James Keogh in eds. Miller Center, op. cit., p. 207; ("strange shudder") Ehrlichman, op. cit., p. 331; ("strange dream") WHT, July 20, 1972; *AOP,* p. 101.

Chapter 32

"We kept one step . . .": WHT, Apr. 26, 1973, transcribed for author.

'73 inaugural: (events) *MEM,* p. 751; *LAT, WP,* Jan. 20, 1973; *NYT, LAT, WP,* Jan. 21, 1973; *Radical History Review,* fall 1994, p. 138; Dickerson, op. cit., p. 199; (Bork) int. Robert Bork by FB, FBP; ("some jerk") *Rolling Stone,* Sep. 8, 1994 and see *MEM,* p. 753; (jurors watch) *NYT,* Jan. 21, 1973.

hush money: (payments method) R, Summary of Information, p. 52, E, Final Report, p. 51; Ben-Veniste and Frampton, op. cit., p. 53–; (RN re: "myth") *Time,* Apr. 2, 1990; (RN stated flatly) RN statement, May 22, 1973, R, Hearings, Bk. I, p. 39 and see RN statement, Aug. 15, 1973; Evan Drossman and Edward Knappman, eds., *Watergate & the White House,* Vol. 2, New York: Facts on File, 1974, p. 40– and RN address, transcript, Apr. 29, 1974; eds. Drossman and Knappman, *supra.,* Vol. 3, p. 101; ("It's worth it") WHT, Aug. 1, 1972, transcribed for author; ("Goddamn hush money") WHT, Jan. 8, 1973, in Bob Woodward and Scott Armstrong article, *WP,* May 1, 1977; ("We could get that") WHT, Mar. 21, 1973, prepared by R, Rec. Grp. 460, WSPF, NA, pp. 62–, 93; (Pappas/tapes) WHT, Mar. 2, 7, 21, 1973 May 23, June 6, 1973; *AOP,* pp. 217–, 225–, 544–, 580–, Apr. 26, 1973, Conv. No. 905–008 & 905–009, WSPF, NA.

RN tried to use Johnson '68 bugging: WHT, June 17, July 1, 1972, transcribed for author, Sep. 15, Oct. 17, Nov. 3, 1973 and Jan. 8, 11, Feb. 6, 1973; *AOP,* also WHT, Mar. 1, 1973, Conv. No. 866-003, WSPF, NA, p. 8, Nov. 2, 3, 4, 1972, Jan. 8, 11, 12, 1973, *HD,* CD, and Haldeman testimony, Aug. 1, 1973, E, Bk. 8, p. 3204–, and John Dean testimony, June 25, 1973; (Haldeman note) H. R. "Bob" Haldeman note, Jan. 12, 1973, Haldeman Papers, NP, NA; (diary entry) Jan. 12, 1973 entry, *HD,* CD; (returned to idea) WHT, Feb. 6, 1973 (two convs.), *AOP,* p. 207–.

Patman: (probe) int. Jake Lewis, *Washington Monthly,* Apr. 1973; *WP,* June 13, 1982; ("very smart fellow"/"get off asses") WHT, Sep. 15, 1972, Conv. No. 779-002, WSPF, NA, pp. 30, 38–.

Post: ("damnable problems") WHT, Sept. 15, 1972, *supra*., p. 35; (TV licenses) Miami *Herald*, Jan. 6, 1970; ints. Sloan McCrae, Cromwell Anderson, WHT, Aug. 9, 1972; *AOP*, p. 126; Katharine Graham, *Personal History*, New York: Alfred Knopf, 1997, pp. 387, 479–, 497; int. Ben Bradlee in "Watergate: The Secret Story," June 17, 1992, transcript p. 17; Spear, op. cit., p. 133; ("tit in wringer") Bernstein and Woodward, *Men*, op. cit., p. 105; (wringer/breast on neck) Bradlee, *Life*, op. cit., p. 330fn.

Kennedy "holding action": Bernstein and Woodward, op. cit., p. 247; ("thugs") ibid. , p. 260.

Decision on Sen. Probe: Sam Ervin, *Preserving the Constitution*, Charlottesville, VA: Michie, 1984, p. 318; Dabney, op. cit., p. 261.

RN and Ervin Committee: ("I don't see") WHT, Feb. 6, 1973; *AOP*, p. 207; ("old fart") WHT, May 29, 1973, *AOP*, p. 559; ("old shit"/"unpatriotic") WHT, June 2, 1973; *AOP*, p. 565; ("asshole"/"ass") WHT, July 12, 1973; *AOP*, pp. 629, 635; (Baker "off reservation") WHT, Mar. 16, 1973; *AOP*, p. 231; ("destroy . . . chances") ibid., p. 232; ("flaw") ibid., p. 232; ("simpering") WHT, July 12, 1973; *AOP*, p. 631; ("never W. Hse. Again") WHT, ibid.; *AOP*, p. 633–; ("hotshots") WHT, Mar. 16, 1973; *AOP*, p. 231; (Weicker & higher-ups) Mar. 25, 26, 27, 1973 entries, *HD*, CD; ("We've got to play") WHT, Mar. 30, 1973; *AOP*, p. 290; (RN raging) Apr. 1, 2, 4, 17, 18, 19, 1973, *HD*, CD; (break-in) "The Unsolved Break-Ins," by Robert Fink, *Congressional Record*, Oct. 9, 1974; ("only friend") WHT, July 12, 1973, *AOP*, p. 631; (Gurney supporters) Miami *Herald*, July 2, 1973, *WP*, July 3, 1973; Colson friend was Charles Morin; (Gurney posture) "Nixon's Man on the Watergate Panel: Sen. Edward Gurney of Florida," *Today's Speech*, Fall, 1975, p. 7–; ("If the many allegations") E, Bk. 1, p. 1–.

Crack-up in spring: well chronicled in Emery, op. cit., p. 249–.

Dean defection: ("skillful"/"finger in dikes") WHT, Sep. 15, 1972; *AOP*, p. 148; ("innocent accomplice") WHT, Mar. 27, 1973; *AOP*, p. 265; (Dean testimony) E, Bk. 3, p. 911–, Bk. 4, p. 1348–; (effect) summary at Emery, op. cit., p. 363–; (Goddamn him") WHT, May 8, 1973; *AOP*, p. 407; ("Judas") WHT, June 13, 1973; *AOP*, p. 606.

Mitchell: ("protect him") WHT, Feb. 3, 1973; *AOP*, p. 206; (Ehrlichman—"jig up") WHT, Apr. 14, 1973, Conv. No. 428-019, WSPF, NA, p. 26–; (told Haldeman) Emery, op. cit., p. 346, citing Haldeman note, Apr. 17, 1973; (Martha/"espionage operation") McClendon, op. cit., pp. 11–, 222–.

Apr. 17 statement: Edward Knappman, *Watergate & the White House*, Vol. 1, New York: Facts on File, 1973, p. 29; (hands shaking) Bernstein and Woodward, *Men*, op. cit., p. 291.

Haldeman/Ehrlichman resignations: (Justice Dept. advice) Emery, op. cit., p. 341; ("no running room") Garment, op. cit., p. 259–; (day of resignations) Haldeman with DiMona, op. cit., p. 289–; Ehrlichman, op. cit., p. 356–; *MEM*, p. 847–; (RN crying) Ehrlichman, op. cit., p. 367; int. John Ehrlichman in "Nixon," *American Experience*, WGBH-TV, Oct. 15, 1990, transcript p. 37; ("really guilty one") *HD*, p. 672; (RN shook hand) ibid.; (RN call/misspelling) int. John Ehrlichman.

***Post* firings speech/aftermath**: (text) transcript, Apr. 30, 1973, in ed. Knappman, op. cit., Vol. 1, p. 37; (wan) *Newsweek*, May 14, 1973; (retreat to Lincoln Sitting Room) *PAT*, p. 369; (calls later) WHT, Apr. 30, 1973, with Haldeman, Rogers, Billy Graham, Elliott Richardson, Hobart Lewis, Charles Colson, *AOP*, p. 381 and monitored for author re: sound of voice/drunk.

Liquor/pills Apr. 1973: int. John Dean, Dean, *Blind Ambition*, op. cit., p. 258; John Dean at "An American Forum," American University School of Communications, Jan. 31, 1996, forum re: Oliver Stone film *Nixon;* (Dilantin) Dreyfus, op. cit., p. 218; int. Jack Dreyfus.

Concern for months: ("eyes seemed") Thomas, *Dateline*, op. cit., p. 192; ("tremor") John Osborne, *The Fifth Year of the Nixon Watch*, New York, Liveright, 1974, p. 45; (man in distress) McCarthy and Smith, op. cit., p. 19–; ("agitated") Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 75; ("Good God") WHT, Apr. 27, 1973, transcribed for author; ("Ron, it's over") int. Ronald Ziegler; (shoved FBI man) Klein, op. cit., p. 354; Kleindienst, op. cit., p. 169; ("No sooner") ibid.; (RN/Key Biscayne) Woodward and Bernstein, *Final Days*, op. cit., p. 16; (P.O.W. dinner) *MEM*, p. 865–; Troy, op. cit., p. 200; *Radical History Review*, Fall 1994, p. 186.

RN lying: (CIA psychologists) *New Times*, June 25, 1976, citing former CIA technical service division psychologist Jim Keehner; (Scott) UPI, Dec. 9, 1974; Stanley Kutler, *Wars of Watergate*, New York: Knopf, 1990, p. 270; ("just be damned sure") WHT, Mar. 21, 1973; transcript for R, Box 171, Rec. Grp., 480, NA, p. 102; ("I don't lie") WHT, Apr. 25, 1973, *AOP*, p. 339; ("lie like hell") WHT, Apr. 26, 1973, Conv. No. 905-008, WSPF, NA, transcript, p. 47; ("anemone") Ehrlichman, op. cit., p. 308; ("I began to feel") int. John Ehrlichman in eds. Miller Center, op. cit., p. 138.

Resignation talk 1973: ("we'll even consider") WHT, Apr. 17–18, 1973; *AOP*, p. 321; ("put in next draft") Price, op. cit., p. 100–; Cannon, op. cit., p.157; (resignation/family) *PAT*, p. 372; *SF Examiner*, Sep. 4, 1974; ("cat in Kool-aid") Ehrlichman, op. cit., p. 353; int. John Ehrlichman.

Defiance: ("totally blameless") WHT, May 11, 1973; *AOP*, p. 474; ("I wouldn't give a damn") WHT, May 16, 1973; *AOP*, p. 503; ("I came away feeling") *Newsweek*, May 28, 1973.

RN inattention/distraction: Kissinger, *Upheaval*, op. cit., pp. 78, 322–; ("disintegration"/"Like a figure") ibid., p. 105; ("to concede . . . impaired") ibid., p. 289; ("deprived") ibid., p. 263; (RN snapped) Osborne, *Watch5*, op. cit., p. 118; ("By the end") Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 300.

Cox appointment: WSPF Report, Oct. 1975.

Impeachment foreseen: (impeachment defined) R, "Impeachment, Selected Materials," p. 705; ("The time is going") Breslin, op. cit., p. 12; O'Neill, op. cit., p. 242; (Rodino present) O'Neill, op. cit., p. 242; Breslin, op. cit., p. 13; ("just in case") Zeifman, op. cit., pp. 32, 40.

Ervin/RN call: Sam Ervin, Jr., *The Whole Truth*, New York: Random House, 1980, p. 209; Sam Dash, *Chief Counsel*, New York: Random House, 1976, p. 168–; ints. Sam Dash, Rufus Edmisten.

Tapes discovered: ("Frankly, I don't want) WHT, Apr. 9, 1973; *AOP*, p. 292; (ordering change) WHT, Apr. 9, 1973; *AOP*, p. 297–; *WP*, Oct. 30, 1997; (A week later) *WP*, Oct. 30, 1997; ("I don't think it should ever get out") WHT, Apr. 26, 1973, Conv. No. 905-008, WSPF, NA, transcript, p. 31; *NYT*, May 1, 1977, citing Apr. 27, 1973 conv; (Butterfield reveals) *Journal of American History*, Mar. 1989, p. 1222–; int. Alexander Butterfield, June 30, 1974; *People*, May 19, 1975; int. Scott Armstrong; (Dean's tape suspicions) John Dean testimony, June 25, 1973, E, Bk. 3, p. 1016–; (RN appalled) *MEM*, p. 900; ("You dirty bastard") *NM*, p. 461; (Democrats hastened) *MEM*, p. 900; (Kennedy Library) Richard Burke with William and Marilyn Hoffer, *The Senator*, New York: St. Martin's Press, 1992, p. 36–; (discuss what to do) *MEM*, p. 900; ("Should have destroyed") *MEM*, p. 901; ("I know what I did") *JA*, p. 500, citing Alexander Haig; (tape releases) int. Pat Andersen, archivist; ("absolute power") Schlesinger, *Imperial Presidency*, op. cit., p. 271–; ("Unlike monarch") ibid., p. 272.

RN mental condition summer '73: ("Do you think . . . mentally ill?") June 27, 1973 entry, taped diary of James Doyle provided to author; (Elfin) *Newsweek*, June 18, 1973; int. Mel Elfin by FB, FBP; ("relaxed & confident") New Orleans *Times–Picayune*, Aug. 21, 1973; (shoving incident) *NYT Week in Review*, Aug. 26, 1973; Rather with Herskowitz, op. cit., p. 243–; int. Ronald Ziegler; (drunk?) Osborne, *Watch5*, op. cit., p. 135; ("uppers") Herbers, op. cit., p. 92; ("Sullivan on speed") *Newsweek*, Sep. 3, 1973; (not on medication) *NYT Week in Review*, Aug. 26, 1973; Herbers, op. cit., p.92; (seeing psychiatrist?) ibid., p. 90; int. John Herbers; (Hutschnecker letter) Dr. Arnold Hutschnecker to RN, July 3, 1973, "Material Removed from President's Desk," Pres. Personal File, Box 188, NP, NA; (reporters armed with photos) Herbers, op. cit., p. 93; (Hutshnecker in *NYT*) *NYT*, July 4, 1973; ("Millions of us") *WP*, Aug. 24, 1973; (*Star-News*/presidents' illness) Washington *Star-News*, Aug. 31, 1973; ("that thing"/"main fear") Dabney, op. cit., p. 261–.

RN/Kissinger relationship late '73: ("Haig is keeping") int. Mel Elfin by FB, FBP; (RN not attend) Edward Rowny, *It Takes One to Tango*, McLean, VA: Brassey's, 1992, p. 59.

Middle East War start: (RN not one mtg.) Elmo Zumwalt, *On Watch*, Arlington, VA: Adm. Zumwalt & Associates, 1976, p. 434; (RN clear on essentials/"preoccupied") Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 495; ("anti-Semitic bastard") Max Lerner, "Eros and Power," *Playboy*, Nov. 1978.

Agnew resignation: (charges) Washington *Star-News*, Oct. 11, 1973; Richard Cohen and Jules Witcover, *A Heartbeat Away*, New York: Viking, 1974, Chapter 4–; (RN letter) ibid. , p. 356; ("mortal enemy") Agnew, op. cit., p. 189; (feared being killed) ibid. and int. by Helen Dudar, *WP*, Apr. 20, 1980.

Murders feared: ("Everyone's life") Bernstein and Woodward, *Men*, op. cit., p. 317; int. Carl Bernstein; (threat to Dean) Dash, op. cit., p. 161; Providence [RI] *Journal*, May 16, 1974; Zeifman, op. cit., p. 50; Dean, *Blind Ambition*, op. cit., p. 271; ints. John Dean, Sam Dash; (Ervin) int. Sam Dash; (Cox) Ken Gormley, *Archibald Cox*, Reading, MA: Perseus, 1997, p. 279; (danger to burglars) int. Andrew St. George (re: fear for Al Baldwin), int. Charles Colson by Jim Hougan (discussion of Frank Sturgis's fear), in Hougan Collection, and see Liddy, op. cit., pp. 419–, 455 (re: thoughts of killing Hunt, Dean); (McCord bomb threat) McCord, op. cit., p. 36; ("if the administration") James McCord testimony, E, Bk. 1, p. 141, summary of McCord deposition, Dec. 17, 1981 (431–435) in Rothblatt Papers; (Russell death) Hougan, *Agenda*, op. cit., p. 306.

RN and congressional leadership: (acting . . . strange") O'Neill, op. cit., p. 253; Breslin, op. cit., p. 66–.

Ford ceremony: Dickerson, op. cit., p. 208; Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 511; *WP*, editorial, Oct. 14, 1973; ("most repellent") *NYT*, Oct. 15, 1973; ("wallowing") Robert Hartmann, *Palace Politics*, New York: McGraw-Hill, 1980, p. 26; ("Can you imagine?") Kutler, *Wars*, op. cit., p. 419; ("disintegrating") Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 511.

Cox firing: (planning removal) *MEM*, p. 928–; Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 535; (Cox/Harvard/Kennedys) ibid., p. 910; ("We can get rid of") int. Elliot Richardson by James Doyle, Doyle Collection, provided to author; ("The FBI just entered") Zeifman, op. cit., p. 59; (Bork/dismissal letter) Doyle, op. cit., p. 192–; (staff hurried) ibid., p. 195–; (tapes smuggled out) ibid. fn. and p. 165–; ints. James Doyle, Carl Feldbaum—Feldbaum's wife got the tapes out; (Rebozo admitted) Memo re: "Rebozo's Credibility," Box B 135, E, NA; ("Constitutional crisis" etc.) *MEM*, p. 935; *AMIII*, p. 249–; (Gallup) ibid., p. 250; ("miscalculation") *MEM*, p. 935–.

Kissinger to Moscow: (RN "driven") Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 543; ("get off my back") ibid., p. 552.

Oct. 24 alert crisis: (Kissinger account) Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 581–; (principal concern) ibid.; (RN "upstairs drunk') Morris, *Haig*, op. cit., p. 257; ("tired") Alexander Haig with Charles McCarry, *Inner Circles*, New York: Warner, 1992, p. 416; int. Alexander Haig; ("I will say it straight") Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 583; ("should I wake up") ibid., p. 585; (another discussion with Haig) ibid., p. 586; (DefCon decision) ibid., p. 587–; Zumwalt, op. cit., p. 443; "On rhe Brink: Doomsday" TV documentary for The Learning Channel, Towers Productions, transcript, p. 37–; *Newsweek* Nov. 5, 1973; (stern reply) Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 591; (RN "clear-headed & crisp") ibid., p. 593; (RN lecture/Dr. Morgan) O'Neill, op. cit., p. 254, and see Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 593; (physician) Uniontown [PA] *Herald-Standard*, Jan. 26, 1976; *NYT*, Aug. 2, 1995; (tell press "indispensable") ibid., p. 598; ("the most serious thing") Haig, op. cit., p. 415; (Zumwalt recalled) Zumwalt, op. cit., p. 444–; (RN not mentioned) ibid., p. 448; ("The reason we had to") int. Elmo Zumwalt; (Haig put up") ints. James Schlesinger, 1997 and 2000 (the latter for the BBC/History Channel); (advisers wondered) Kissinger, *Upheaval*, op. cit., p. 589.

Disney World: (points covered) Boston *Herald-American*, Dec. 4, 1973; *Newsweek*, Nov. 26, 1973; ("not a crook") excerpts of exchange with press, Drossman and Knappman, eds., op. cit., Vol. 2, p. 117; ("couple of belts") terHorst and Albertazzie, op. cit., p. 261–.

RN condition: (Bork) int. Robert Bork by FB, FBP; (Kelley) Kutler, *Wars of Watergate*, op. cit., p. 437; (Simon) Woodward and Bernstein, *The Final Days*, op. cit., p. 101.

Goldwater on dinner: Goldwater with Casserly, op. cit., p. 266–; Goldberg, op. cit., p. 278.

RN and Joint Chiefs: int. Elmo Zumwalt, Zumwalt, op. cit., p. 459–; *Atlantic Monthly*, Aug. 1983—Zumwalt acknowledged to author he was the "four-star officer" referred to in the latter; President Nixon's daily diary, Dec. 13, 22, 1973, Boxes FC-41 and RC-13, NP, NA.

RN family Christmas: (low spirits) *PAT*, p. 395; (Yankee Stadium) Edmondsen and Cohen, op. cit., p. 110–; (Julie appearance) *McCall's*, Feb. 1974; (Will) Dallas *Morning News*, Apr. 26, 1994; (San Clemente flight) *PAT*, p. 396; (4 weekends) Elizabeth Drew, *Washington Journal*, New York: Random House, 1974, p. 138; (diplomat) David, op. cit., p. 168; (agents to Pat's aide) ints. Lou Campbell; (Pat drinking) int. Mark Barnett citing the late John Ehrlichman; (resignation discussed/notepad) *MEM*, p. 970, *PAT*, 397–.

Chapter 33

"I suppose inevitable": journal entry for July 29, 1974, kindly provided to author by Jerome Waldie.

"mirrors/smoke": Breslin, op. cit., p. 33.

"I convinced myself": *MEM*, p. 976.

State of Union: ibid., p. 978–, eds. Knappman and Drossman, op. cit., Vol. 3, p. 21.

Investigations' momentum: (Jaworski) *NM*, p. 446–; Ben-Veniste and Frampton, op. cit., p. 187–; Emery, op. cit., p. 421; (Jaworski stunned) ibid., p. 420; ("psychopaths around him") Jan. 10, 1974 entry, James Doyle taped diary, provided to author; ("something missing") ibid., Feb. 20, 1974 entry; ("RN culpably involved") Emery, op. cit., p. 420, citing Jaworski oral history; ("get finest . . . lawyers") ibid., p. 422.

Impeachment: (Judiciary Cttee process) R, Report, p. 6; (Rodham) Zeifman, op. cit., p. 11–.

Longworth party: Dickerson, op. cit., p. 213, eds. Knappman and Drossman, op. cit., Vol. 3, p. 23.

Colleagues depart: (Haldeman/Ehrlichman charges) WSPF Report, pp. 155, 157; (Klein) Schoenebaum, op. cit., p. 359; (Laird) Schoenebaum, op. cit., p. 371; (Harlow) int. Bryce Harlow in eds. Miller Center, op. cit., p. 21; *WP*, Feb. 18, 1987; (Chotiner death) *WP*, Jan. 27, 1974; *NYT*, Jan. 31, 1974; Hillings with Seelye, op. cit., p. 124, int. Nancy Chotiner; ("ally . . . friend") *WP*, Jan. 31, 1974; ("almost incommunicado") int. Bryce Harlow in eds. Miller Center, op. cit., p. 21; (Ziegler) Zumwalt, op. cit., p. 479.

Colleagues face trial: (Krogh) WSPF Report, p. 157; (Kalmbach) ibid., p. 161; (Colson) ibid., p. 157; (Magruder) ibid., p. 156; (Mitchell) ibid.; (Chapin) ibid., p. 162; (Dean) ibid., p. 155; (Haldeman/Ehrlichman) ibid., p. 155; (14 associates) ibid., p. 155–.

Grand jury/"unindicted co-conspirator": (letter to RN) Kutler, *Wars of Watergate,* op. cit., p. 445; (juror ints.) *SF Chronicle,* June 19, 1982, citing *20/20* program, and int. Vladimir Pregelj, jury foreman; (21-page memo) Carl Feldbaum, George Frampton, Gerald Goldman, Peter Rient to Leon Jaworski, "Recommendations for Action by the Watergate Grand Jury," Feb. 12, 1974, WSPF, NA; int. Carl Feldbaum; (details of jury episode) Ben-Veniste and Frampton, op. cit., p. 211–; Doyle, op. cit., pp. 270–, 308–; *NM,* pp. 476, 480, 495; ("stopped beating wife") *NM,* p. 476.

Pat and daughters early 1974: ("hasn't done wrong") Boston *Herald Examiner,* citing *McCall's,* Jan. 22, 1974; ("She seemed emaciated") Rabbi Baruch Korff diary note, Apr. 11, 1974, provided to author by Zamira Korff; ("We do believe") *Ladies' Home Journal,* Apr. 1974; ("Nixon came out") int. Norman Casper; (Pat pain) John Osborne, *The Last Nixon Watch,* Washington, D.C.: New Republic Book Co., 1975, p. 81; (Grand Opry) Helen McCain Smith article, *Good Housekeeping,* July 1976, and see *PAT,* p. 404; ("He never ate") int. Robert Keith Gray.

April transcript release: ("Any more") *MEM,* p. 994; (transcript process/TV appearance) *NM,* p. 483–; (troubling discrepancies) WHT, Mar. 22, 1973, in eds. *The New York Times, The White House Transcripts,* New York: Bantam, 1974, p. 208, and R, Transcripts of Eight Recorded Presidential Conversations, p. 164; (at RN's behest) *NM,* p. 483–; (Ford previously) Hartmann, op. cit., p. 103; ("The time has come") ibid., p. 120, citing Eastern Illinois University address; ("deplorable") *NM,* p. 491; ("The thing that hurt") int. Sen. Barry Goldwater, *Newsweek,* May 27, 1974; (Judiciary Cttee. Reaction) *NM* p. 493–.

Rumors: (Phoenix hospital) May 9, 1974 entry, taped journal of James Doyle, provided to author, and see *MEM,* p. 996; (resignation rumors) ibid.; *NM,* p. 507; (walk on water) Bauer with Leighton, op. cit., p. 154.

Phlebitis: (difficult to walk) Szulc, *Illusion,* op. cit., p. 773—re: limp on departure; (Haig Salzburg) Haig with McGarry, op. cit., p. 458; *MEM,* p. 1010; (flouting advice) Haig with McGarry, op. cit., p. 459; ("I thought I would die") ints. Arnold Hutschnecker; (physician worried agent commented) Korff, op. cit., p. 51, Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 233–; (plunged crowds/open cars) ibid.; Rush, op. cit., p. 186; ("impeachment diplomacy") *NM,* p. 505; ("beyond hoping") Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1124; ("sadness all about") Osborne, *Last Watch,* op. cit., p. 150; ("We sensed") Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1142.

Rebozo: ("Christopher") Thomas, *Dateline* op. cit., p. 144; ("You betta") Miami *Herald,* June 18, 1974.

Soviet trip: Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1151–; *MEM,* p. 1023–; ("since little girl") ibid., p. 1033; ("in a daze") Thomas, *Dateline* op. cit., p. 212; ("No mention Watergate") int. Viktor Sukhodrev in eds. Strober, *Nixon,* op. cit., p. 168; ("the biggest obstacle") Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1163–.

RN lost form: (stumbled statistics) *AMIII,* p. 373; (meet in car) *MEM,* p. 1027; (careless) Oleg Gordievsky, cited in Andrew, op. cit., p. 394.

Foreign affairs slippage: (Portugal coup/India test/Colby) Andrew, op. cit., p.393–; 603n181; (Cyprus crisis) Kissinger, *Uheaval,* op. cit., p. 1190–; (only 6 days) White, *Breach,* op. cit., p. 306; (Dean/Watergate traffic) Szulc, *Illusion,* op. cit., p. 796; ("in no position") Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1191.

"Ever since . . . something lost": *MEM,* p. 1049.

Committee releases: (Sen. Cttee) *WP,* July 14, 1974—the Final Report eventually made available is 1,250 pages long; ("tragic happenings") E, Final Report, p. xxiii; (Judiciary Cttee) eds. Staff of the *NYT, The End of a Presidency,* New York: Bantam, 1974, p. 267; Woodward and Bernstein, *The Final Days,* op. cit., p. 269.

RN arithmetic: Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1181, *MEM,* p. 1041–; (call to Wallace) ibid., p. 1049–; Haig, op. cit., p. 471.

Supreme Ct.: (crucial unknown) *MEM,* p. 1043; (decision) *NM* p. 515–; (RN & news) Haig, op. cit., p. 472; ("exploded") *NM,* p. 518.

June 23 tape: ("There is one tape") Haig, op. cit., p. 472–; ("This . . . smoking gun") ibid.; (clear evidence) R, Report, p. 2, WSPF Report, p. 128; Ben-Veniste and Frampton, op. cit., p. 292; ("No one is to listen") Haig, op. cit., p. 455– and see *MEM,* p. 1000; (hidden from own people) Haig, op. cit., p. 490–.

State of Nixon after Ct. decision: ("His coloring pallid") Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1195–; ("gone too far") ibid., p. 1196; (not left compound) *NM,* p. 537; (Napoleon) ibid.; (after swim) *MEM,* p. 1053.

Impeachment articles: R, Report, pp. 1–, 10–.

Kissinger/Haig agreed: Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1196.

Nixon resignation/indecision: ("Dick, make deal") Cannon, op. cit., p. 285–, citing int. John Mitchell by Hal Bruno; (spins tape Tuesday) White, *Breach,* op. cit., p. 10; (4:00 A.M.) *MEM,*

p. 1056; ("Once this tape gets out") Haig, op. cit., p. 476; ("like stroke victim") Bob Woodward, *Shadow,* New York: Simon & Schuster, 1999, p. 3, citing int. Alexander Haig; ("tell Ford") Haig, op. cit., p. 480; (two Ford meetings) ibid., p. 480–; Hartmann, op. cit., p. 124–; (back to tapes) *MEM,* p. 1058; ("You can't do it") ibid.; (Julie first) *PAT,* p. 417–; (canceled plans) ibid., p. 418; Clem Conger, White Hse. curator, in *Ladies' Home Journal,* Mar. 1975; (family/transcripts) *MEM,* p. 1060; *PAT,* p. 419–; ("fighting to finish") *MEM,*, p. 1061–; ("Quite late") Haig, op. cit., p. 487; (weekend Aug. 3–4) *MEM,* p. 1061; Haig, op. cit., p. 488–; Price, op. cit., p. 329–; (Options A/B) AP, Dec. 15, 1997, citing Raymond Price; (Monday transcript release) Haig, op. cit., p. 491–; Price, op. cit., p. 336; White, *Breach,* op. cit., p. 20–; (cruise) *MEM,* p. 1063; *PAT,* p. 420–; (cabinet meeting) *MEM,* p. 1065, Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1202; Haig, op. cit., p. 492–; Hartmann, op. cit., p. 148–; ("Nixon had never") Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1205; ("tilting") ibid.

Edward Cox phone call: Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 437– and Griffin conversation with BBC/History Channel producer Rebecca John in 2000.

Suicide?: (never crossed mind) Crowley, *Off the Record,* op. cit., p. 193; ("leave a man") Haig, op. cit., p. 496; ("I told White House doctors") *WP,* Dec. 25, 1995 and see Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 447; (David worries) Woodward & Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 377; ("given to sudden rages") *NM,* p. 562.

Concern re: stability: ("A new element") Ben-Veniste and Frampton, op. cit., p. 145; ("He gave us strange arguments") int. Harold Evans on ABC-TV's *20/20,* June 1982, cited in research paper by Michael Ewing supplied to author and see Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., pp. 115, 270; (legislators/Brown) Kessler, op. cit., p. 40; (Cranston) int. notes of FB, FBP; ("He made sure") int. Margaret Shannon; (Buchen/Whitehead) Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 230–.

Schlesinger precautions: (Laitin) int. Joseph Laitin by author and transcript of int. for BBC/History Channel, and see Seymour Hersh article, *Atlantic Monthly,* Aug. 1983; (Zumwalt/Schlesinger) ibid., int. Elmo Zumwalt; ("paranoid") Zumwalt, op. cit., pp. 459, 495; ints. Elmo Zumwalt, James Schlesing.:; (Schlesinger kept informed) ibid.; Chicago *Sun-Times,* Aug. 24, 1974; (Schlesinger/Brown) ints. James Schlesinger by author and transcript of int. for BBC/History Channel; (Brown confirmed) int. George Brown by Bernard Shaw, transcript, *CBS Evening News with Walter Cronkite,* Oct. 10, 1974; (meeting/Holloway) int. James Holloway and notes of Michael Ewing int. with Joseph Laitin—re: dinner conversation with Holloway—by Michael Ewing, supplied to author; ("hands shaking") int. Joseph Laitin for BBC/History Channel; (Security Act) Chicago *Sun-Times,* Aug. 28, 1974; ("I did assure myself") *WP, SF Chronicle,* Aug. 24, 1974; ("be sure no idiot") Gerald Ford, *A Time to Heal,* Norwalk, CT: Easton Press, 1987, p. 322; (Air Force) Chicago *Sun-Times,* Aug. 24, 1974; (Cushman) Brig. General Robert Cushman to Chief AFSWP, re: "Advanced Orientation Course," Apr. 18, 1959, VP, NA; (82nd during demos) Gulley, op. cit., p. 198; (Ford spokesman/no measures) *WP,* Aug. 27, 1974; ("The last week or so") ints. Barry Toll; (Toll background) army record, including decorations—Vietnam Cross of Gallantry, Bronze and Palms, Bronze Star for Heroism, Presidential Unit citation, evidence Battle Staff Team, CINCLANT Airborne Command Post, Aug. 2, 1974, and honorable discharge certificate, Aug. 15, 1975; ("Haig was in touch") Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1199; ("The end of RN presidency") int. James Schlesinger for BBC/History Channel and for author; ("Secretary had responsibility") int. Geroge Brown, CBS-TV, *supra.*

Haig Aug. 7: Haig, op. cit., p. 496–; int. Alexander Haig; Goldwater with Casserly, op. cit., p. 277; Goldwater, *No Apologies,* op. cit., p. 266–.

Republican leaders/RN meeting: ("We sat there") int. Barry Goldwater, transcript "Watergate: The Secret Story," CBS News, June 17, 1992; ("how things stood") Goldwater, *No Apologies,* op. cit., p. 267; (stared at seal) *MEM,* p. 1073; ("irrevocably") ibid.

Evening Aug. 7: (Ed/Griffin) Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 466; (dinner/Kissinger meeting) drawn from *MEM,* p. 1074–; *PAT* p. 423–; Kissinger, *Upheaval,* op. cit., p. 1207–; ("drunk") Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 472; (Price) int. Raymond Price in eds. Strober, *Nixon* op. cit., p. 472.

Thursday Aug. 8: (morning/Haig) Haig, op. cit., p. 499–; *MEM,* p. 1078; ("I know good job") ibid.; (Lenion/Gandhi) Haig, op. cit., p. 502; ("*you don't quit*") ibid., ("no tears") *MEM,* p. 1073; (cried with Kissinger?) Woodward and Bernstein, *Final Days,* op. cit., p. 470–; ("I just hope") *MEM,* p. 1082; (TV telling nation) Haig, op. cit., p. 503; ("May God's grace") *MEM,* p. 1084; ("slow . . . huddle") ibid.; (Pat/window) ibid., p. 1085; (curtains) Dickerson, op. cit., p. 220; ("I let you down") Garment, op. cit., p. 296 and transcript, "Watergate: The Secret Story," CBS-TV, June 17, 1992; (Haig found Nixon) Haig, op. cit., p. 503–; ("Dear Mr. Secretary") *NM,* p. 568; ("Oh, Dick") *PAT,* p. 426; (speech) eds. Knappman and Drossman, op. cit.,

Vol. 3, p. 224–; ("Have a nice trip") *MEM*, p. 1089; ("so sad") *MEM*, p. 1090; (transition moment) terHorst and Albertazzie, op. cit., p. 48; ("nightmare") Hartmann, op. cit., p. 172; (martini) terHorst and Albertazzie, op. cit., p. 49–; (call-sign change) ibid., p. 51; (mere colonel) int. James Schlesinger; ("black box") AP, BBC, Apr. 26, 1999, int. Barry Toll; (Haig confided) ints. John Barker and see int. Richard Ben-Veniste; (No box on board) terHorst and Albertazzie, op. cit., p. 43–; ("God Bless America") int. Howard Seelye; terHorst and Albertazzie, op. cit., p. 58–; *PAT*, p. 429.

Aftermath: (Nixon plays "God Bless America") unidentified clipping, [*SF Chronicle*?], July 14, 1986; ("He's Back") *Newsweek*, May 19, 1986; (Carter/other presidents consulted) *JA*, p. 552–; Crowley, *Winter*, op. cit., p. 130–; ("running for ex-presidency") *SF Chronicle*, Dec. 2, 1978; (pardon) *AMIII*, p. 461; (foreman) int. Vladimir Pregelj; ("That's justice?") *SF Chronicle*, June 19, 1982; (Krogh) *JA*, p. 530; int. Egil Krogh; (contrition) *AMIII*, p. 461; int. Benton Becker; ("won't grovel") *JA*, p. 538; ("I did wrong") *Newsweek*, Oct. 20, 1975, citing Rev. Eugene Coffin; ("only a footnote") Colson, op. cir., p. 270; (Churchill quote) *SF Chronicle*, Mar. 8, 1985; ("obeyed Mark Twain") Knight News Service, Jan. 8, 1981; ("Nixon and his apologists") Magruder, *Power to Peace*, op. cit., p. 177; ("If there was dominant sentiment") Shannon, op. cit., p. 11.



ثبت المختصرات

AMI	Stephen Ambrose, *Nixon: The Education of a Politician,* Vol. 1, New York: Simon & Schuster, 1987.
AMII	Stephen Ambrose, *Nixon, The Triumph of a Politician,* Vol. 2, New York: Simon & Schuster, 1989.
AMIII	Stephen Ambrose, *Nixon, Ruin and Recovery,* Vol. 3, New York: Simon & Schuster, 1991.
AOP	Stanley Kutler, *Abuse of Power: The New Nixon Tapes,* New York: The Free Press, 1997.
DDEL	Dwight D. Eisenhower presidential Library.
DPP	Drew Pearson Papers, Lyndon B. Johnson Presidential Library.
E	Senate Select Committee on Presidential Campaign Activities, chaired by Senator Ervin.
FB	Fawn Brodie, *Richard Nixon: The Shaping of His Character,* New York: W. W. Norton, 1981.
FBP	Fawn M. Brodie Papers, Marriott Library, Special Collections, University of Utah.
FR	Final Report (applies to government documents).
HD	H. R. Haldeman, *The Haldeman Diaries,* New York: Putnam, 1994.
HD, CD	H. R. Haldeman, *The Haldeman Diaries,* The Complete Multimedia Edition, Santa Monica, CA: Sony, 1994.
JA	Jonathan Aitken, *Nixon: A Life* , Washington, D.C.: Regnery, 1993.
JFKL	John F. Kennedy presidential Library.
JFRP	John F. Rothmann Papers.
LAT	*Los Angeles Times.*
LBJL	Lyndon B. Johnson presidential Library.
MEM	Richard Nixon, *The Memoirs of Richard Nixon,* New York: Simon & Schuster, 1990.
MO	Roger Morris, *Richard Milhous Nixon: The Rise of an American Politician,* New York: Henry Holt, 1990.
NA	National Archives.
NM	J. Anthony Lukas, *Nightmare,* New York: Penguin, 1988.
NP, NA	Nixon Presidential Materials Project, National Archives housed at College Park, MD.
NSF	National security file.
NYT	*New York Times.*
PAT	Julie Nixon Eisenhower, *Pat Nixon: The Untold Story,* New York: Simon & Schuster, 1986.
PERJ	Allen Weinstein, *Perjury,* New York: Random House, 1997.
R	U.S. House of Representatives, Committee on the Judiciary, 93rd Congress, 2nd Session, "Impeachment Inquiry" [pursuant to House Resolution 803], chaired by Rep. Peter Rodino.
RN	Richard M. Nixon.

TW60	Theodore H. White, *The Making of the President, 1960,* New York: Atheneum, 1962.
TW64	Theodore H. White, *The Making of the President, 1964,* New York: Atheneum, 1965.
TW68	Theodore H. White, *The Making of the President, 1968,* New York: Atheneum, 1969.
TW72	Theodore H. White, *The Making of the President, 1972,* New York: Atheneum, 1973.
VP, NA	Richard M. Nixon Pre-Presidential Papers, National Archives, housed at Laguna Niguel, CA.
WHT	White House tapes. The tapes themselves are housed at the National Archives, College Park, MD. Where so indicated, tapes have been transcribed by the author's researcher, Robert D. Lamb.
WP	*Washington Post.*
WSPF	Watergate Special Prosecution Force.
WSPF (H-R)	Hughes-Rebozo Investigation, Watergate Special Prosecution Force.

إرشـــادات

لقد أجريت مقابلات مع أكثر من ألف شخص لأغراض هذا الكتاب. إننا نشكرهم جميعاً، ولكننا نسترعي انتباه القارئ بصورة خاصة إلى ما يلي: من أفراد أسرة نيكسون الباقين على قيد الحياة، تحدث معنا كلٌّ من شقيقه إدوارد وابن شقيقه دونالد. ورفضت تريشيا نيكسون بأدبٍ طلبَ مقابلة معها بينما لم تردّ جولي. ومن بين أصدقاء نيكسون، تمت مقابلة كل من جاك دراون ودونالد كيندال. ولم نستطع أن نرى المرحوم بيب ريبوزو، الذي كان قد تعرَّض لنوبة قلبية. ولم يرد روبرت آبلانالب على الرسائل. وتمت مقابلة المرحوم س. آرنهولت سميث، وكذلك السناتور السابق جورج سماذرز وعدنان خاشقجي. أما الدكتور آرنولد هتشنيكر، المعالج النفسي الذي كانت لنيكسون علاقة به (كمريض وصديق) امتدت زمناً طويلاً، فقد أعطى ثلاث مقابلات مطولة.

ومن بين موظفي نيكسون، أعطى التالية أسماؤهم مقابلات: آليكساندر بترفيلد، دوايت شابان، جون دين، المرحوم جون إيرليكمان، بيتر فلانيغان، ليونارد غارمنت، آليكساندر هيغ، هيرب كلاين، إيجل كروف، جون سيرز، رون ووكر، ورونالد زيغلر. كما فعل ذلك أيضاً وزيرا دفاعه السابقان ميلفين ليرد وجيمس شليسينغر (الذي عمل أيضاً رئيساً للجنة الطاقة النووية، ومديراً لوكالة المخابرات المركزية). ولقد ساعَدَنا برِنْتْ سكاوكروفت، المساعد العسكري السابق للرئيس ونائب مساعده لشؤون الأمن القومي. أما المرحوم

موريس ستانس، الذي خدم نيكسون كوزير للتجارة وترأس ـ في مناسبات كثيرة ـ اللجان المالية لحملاته، فقد أعطى مقابلة مطولة في منزله في كاليفورنيا. وأما المرحوم الأميرال إيلمو زوموالت، رئيس العمليات البحرية السابق، فقد أظهر ذاكرةً جيدة ودقيقة وبصيرة متفهمة واعية. وتحدث إلينا كذلك جورج شولتز، الذي عمل وزيراً للعمل، ومديراً لمكتب الإدارة والميزانية، ووزيراً للخزانة. وقدمت لنا سينثيا باسيت، ابنة المتحدث الصحافي السابق باسم نيكسون، مراسلات أبيها، ومذكراته الخصوصية الحميمة.

ومن بين المتورطين مباشرة في عملية الكسر والاقتحام في ووترغيت ومكتب الطبيب النفسي لدانيال إلسبيرغ، تحدثنا مع هوارد هانت، وبرنارد بيكر ورولاندو مارتينيز.

ونحن ممتنون لكل من لوكامپيل الذي عمل في البيت الأبيض أيام رئاسة نيكسون كضابط حماية تنفيذي، وباري تول، الرئيس السابق لإحدى وحدات أركان القتال التي تقف على أهبة الاستعداد لإطلاع الرئيس وكبار القادة على الإجراءات التي تتخذ في حالة نشوب أزمة نووية، فنشكرهما على مساعدتهما الصبورة لنا.

أما النائب السابق جيروم والْدِي، الذي عمل في اللجنة القضائية التابعة لمجلس النواب أثناء التحقيق في فضيحة ووترغيت، فقد مكَّننا من الوصول إلى «مذكراته الخاصة بتوجيه الاتهام للرئيس». وقد أثار إعجابنا هو والسيد لوُيِلْ ويكر، السناتور السابق، وعضو لجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ، وحاكم ولاية كونيكتيكوت فيما بعد، بإخلاصهما الواضح للمبادئ الجوهرية للديمقراطية الأمريكية. وتمت مقابلة كل من جون دور وجيروم زيغمان المستشار القانوني الخاص والمستشار القانوني العام على التوالي للجنة القضائية التابعة لمجلس النواب. أما الأستاذ سام واش، المستشار الرئيسي السابق للجنة ووترغيت التابعة لمجلس الشيوخ، فقد أعطى مقابلة طويلة في مكتبه بجامعة

جورجتاون. وكان ريتشارد بن ـ فينيست، المدعي الخاص المساعد في هيئة الادعاء الخاص بقضية ووترغيت مثيراً للإعجاب في المقابلة تماماً كما كان مثيراً للإعجاب في المحكمة. وتمت كذلك مقابلة كل من جيمس دويل وجون باركر، اللذين عملا بشكل وثيق مع المدعيين الخاصين آرتشيبالد كوكس وليون جاوورسكي كمساعدين في الشؤون العامة. وتلطف دويل فأوصلنا إلى مذكراته المسجلة على أشرطة عن ووترغيت. وكان روبرت مورغنثاو، المدعي العام القديم عن منطقة نيويورك، مساعداً لنا كما في الماضي. أما مارتي فيلبوت، المشرف السابق في مصلحة الضرائب الداخلية فقد شرح لنا عملية التحقيق في تبرعات اتحاد سائقوا الشاحنات المشبوهة للبيت الأبيض في عهد نيكسون. كما أن عائلة المرحوم جون دالي، الوكيل الألمعي لمصلحة الضرائب الداخلية سمحت لنا بالبحث والتمحيص في وثائق نظام تصنيفاته وملفاته التي كانت كنزاً نفيساً. وأما نورمان كاسبر المخبر في المصلحة المذكورة الذي قاده عمله الميداني إلى فضح الاحتيالات المصرفية في منطقة حوض الكاريبي، فقد كان متعاوناً معنا بلا نهاية.

ولقد قام كل من وليام باندي، مساعد وزير خارجية الرئيس جونسون، والمساعد الخاص جوزيف كاليفانو الأصغر، ومستشار الأمن القومي والت روستو، بإلقاء الضوء على تدخل الحزب الجمهوري في مبادرة السلام الفيتنامية سنة 1968. وعن تلك الواقعة جاء شرح مفصل من آناشينو ومن بْوِي دييم، السفير السابق لفيتنام الجنوبية. وقد تحدث روبرت ماهيو، حلاَّل العقد عند هوارد هيوز لفترة طويلة، حديثاً مفصلاً مستفيضاً مع المؤلف، رغم أنه كان يتعافى من عملية. وقام هنتنغتون هارتفورد وسيمور آلتر (الذي كان مريضاً كذلك) بسرد ذكرياتهما عن علاقة نيكسون بجزيرة الفردوس. ولأول مرة تحدثت آليزابيث نيوويل الشجاعة عما علمته من أحد موظفي مصرف ريبوزو عن استثمارات نيكسون المزعومة بعيداً عن الشاطىء كي يتهرب من الضرائب.

وفي السجن في كاليفورنيا، قدم ديفيد سيلبرمان روايته عن احتيال نيكسون المالي المزعوم. وكان آلفين كوتز (الذي كان في السجن عند مقابلته) مليئاً بالمعلومات عن الأوراق المالية المسروقة وعن كثير غيرها. وقد تحمل أقارب هذين الرجلين سيلاً من الأسئلة على مدى أشهر كثيرة، وكذلك فعلت دي آن هيل، سكرتيرة سيلبرمان السابقة.

وجلس إلياس ديميتراكوبولوس، الصحفي اليوناني الذي لا يتعب، في مقابلات كثيرة، وقدم وثائق وفيرة، ولا سيما عن الادعاء بأن نيكسون قد قبل تبرعاً غير مشروع من الدكتاتورية اليونانية سنة 1968.

إن كتاباً تحقيقياً على هذا المستوى مدين بالكثير لأعمال المؤلفين الذين كتبوا في هذا الموضوع من قبل. فهناك شكر خاص يستحقه جون روثمان، الذي كان ذات يوم من نشطاء الحزب الجمهوري في كاليفورنيا، والذي يحتفظ بأرشيف خاص فريد من نوعه وخارق للعادة، وكذلك مايكل إيوينغ، المحقق السابق التابع للكونغرس وصاحب المعرفة الموسوعية بالجريمة المنظمة.

ومن بين المؤلفين والصحافيين الكثيرين الذين كتبوا عن نيكسون، فإن كتاب روجر موريس عن السنوات الأولى المبكرة والمساعدة التي قدمها للمؤلف، كانا ممّا لا يقدر بثمن. وعمل شارلس إيليوت الأصغر كدليل طاف بالمؤلف في موطن نيكسون بمدينة وِيتْيِرْ. وسمح لنا جيل تروي، الذي كتب عن بات نيكسون، باستنساخ ملفاته. أما جون لوينثال، المحامي والمؤمن ببراءة آلجر هيس منذ زمن طويل، فقد قدم أكبر نصيحة متوازنة استطاع تجميعها. وقام كل من شارلس هايمان وبنيامين شيمر اللذين ألفا سيرة حياة هوارد هيوز، منشورة وغير منشورة على التوالي، بتقديم وثائق عن طيب خاطر. وكان بيتر وايدن، وجون برادوس وإيفان توماس مساعدين جيدين جميعاً، فهم مؤلفون مطلعون على القضايا الخاصة بالمخابرات وعلى عملية خليج الخنازير. وكذلك كان كل من جيري هانت والصحافيون الذين حققوا في علاقة نيكسون بماريانا

ليو. وأما كاترين فورسلند، التي تعمل الآن أستاذة مساعدة للتاريخ في كلية روكفورد بولاية إيلينوي، فقد أتاحت لنا الإطلاع على أطروحتها وخبرتها عن واقعة آنا شينو. وأما آلان بلوك، أستاذ إقامة العدل في جامعة بِنْ ستيت، فقد فتح لنا ملفاته عن الجريمة المنظمة في جزر البهاما، كما فعل جيري سيلدز. وقدّمت ليزا غوبرنيك مادة أرشيفية فريدة من نوعها عن جزيرة الفردوس. وكان عمل جيف غيرث عن كيفية تقاطع عالم نيكسون مع عالم الجريمة المنظمة مرجعاً هاماً، وكذلك عمل المحرر السابق لمجلة **نيوز داي**، روبرت غرين، وجوناثان مارشال. وأتاحت لنا الأستاذة جون الوصول إلى كتلة من المواد الناشئة عن دعوى قانونية حديثة عن ووترغيت. وخضع المؤلف رون كيسلر لأسئلة تمحيصية عن مصادره. وجاءتنا المساعدة مرة أخرى من بيتر ديل سكوت أستاذ جامعة بيركلي والدارس المجتهد الجادّ لعالم المخابرات والجريمة المنظمة.

وبينما كان هذا الكتاب قيد الطبع، توفي بشكل مأساوي آنطوني لوكاس، مؤلف رواية عن ووترغيت لا يستغني عنها أي باحث في هذا الموضوع. وكان قد قدم لنا توجيهاً فكرياً عميقاً في المراحل الأولى من مشروع هذا الكتاب. كما تلقينا كل تشجيع من مؤلفي ثلاثة أعمال لا يستغني عنها أحد عن ووترغيت، وهم فريد إيمري، وجيم هوغان وستانلي كتلر، أستاذ مادة المؤسسات الأمريكية في جامعة ويسكونسين. فقد غاص إيمري في ملفاته القديمة، وقام كل من هوغان وكتلر بفتح أرشيفهما لنا. أما ديفيد وايز فكان حكيماً مثل معنى اسمه وقدم لنا مجلدات كونغرسية نافذة من الطبع. وقام سكوت آرمسترونغ، المحقق السابق في لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ، بالحفر عميقاً في ذاكرته أثناء مقابلة مطولة معه. وكان كل من كارل برينشتاين وبوب وودوورد مساعدين ومشجعين. وحيثما تقاطع طريقنا مع طريقهما القديم أثناء تحقيقاتهما الصحفية الناجحة، كنا نزداد يقيناً بأنهما يستحقان كل المدح والثناء اللذين أُغْدِقا عليهما.

ومن بين الصحافيين ـ الباحثين الذين عملوا في هذا المشروع، أدى روبرت د. لام خدمة طويلة وأصيلة من الطراز الأول. ولذا فإننا نوجه إليه شكراً خاصاً. وأما صوندرا فيلدشتاين، التي تحمل شهادة عليا في التاريخ الأمريكي، والتي عملت لنا في كتاب سابق، فقد قرأت الكتب الكثيرة التي لم نستطع أن نقرأها بأنفسنا بصورة كاملة، وعلقت عليها على نحو يتسم بالحصافة والمعرفة. وكانت مهارات كاري هوس، وغريغ مورفي، وغاس روسو، وفيل ستانفورد، وجولي زيغلر ثمينة كلما شخصنا وحددنا مجالات تحقيق صعبة ووعرة. وقامت سيندا إلسر على نحو خاص، ومعها آليكس كرامر، بمتابعة وملاحقة الأشخاص والسجلات المراوغة التي يصعب العثور عليها. وكان الباحثون بلير كامبل، وبرايان كونولي، ومارك هيرمان، وجيمس روزين وموريسا صالاندها في مفتتح حياتهم العملية، فقدموا لنا مساعدتهم عن طيب خاطر في أيام العمل الأولى. وفي ناساو، قاسمتنا نيكي كيلي خبرتها عن جزر البهاما. وقدم لنا كل من بريندا برودي وغوردون وينسلو فائدة عن معرفتهما بالأنشطة المعادية لكاسترو. وسعى بيل بغسلي لتحرير مواد غير مفرج عنها في مكتبة جونسون، بينما جاءنا وارين ريبر بمكتبة ترومان على أساس تطوعي محض.

أما موظفو المكتبات وأرشيف المحفوظات الوطنية ـ وهم بات آندرسين، وديفيد بينتر، وكارل ويسنباخ من مشروع نيكسون للمواد الرئاسية في كوليج بارك، بولاية ميريلاند، وبول وورمسر، من محفوظات أوراق نيكسون ما قبل الرئاسة في لاغونا نيغويل، بكاليفورنيا ـ فكانوا متعاونين جداً، كما كان أيضاً ديفيد دي لورينزو في هارفارد، وهاري ميدلتون، مدير مكتبة ليندون بينز جونسون، وتوم هاركينز في جامعة ديوك، ومايك ساذرلاند في مكتبة ماري نورتون كلاب في كلية أوكسيدنتال، وستان لارسن ونانسي يونغ في قسم المخطوطات بجامعة يوتاه. فكان الجميع كراماً بوقتهم وتسهيلاتهم، مثلما كان

ـ مرة أخرى ـ دونال برادي مسؤول مكتبة مقاطعة ووترفورد في إيرلندا.

وحسب تجربتنا في التعامل مع مكتبة ريتشارد نيكسون ومسقط رأسه فقد ثبت لنا أنها أقل تعاوناً من المكتبات الأخرى الرئاسية والخاصة. وقد رفض مديرها جون تايلر طلبنا لمقابلته، رغم أنه يتحدث كثيراً مع الآخرين. غير أن موظفة قسم المحفوظات، سوزان نولتي استجابت بشكل مساعد فأجابت على بعض الأسئلة المحددة. غير أن الانطباع العام الذي تشكل لدينا هو أن مكتبة نيكسون ملتزمة بنشر فضائل الرئيس الأسبق أكثر من التزامها بتقديم خدمة كاملة ومفتوحة للباحثين والدارسين. كما أننا وجدنا أن مما يدعو إلى القلق أن الكثيرين ممن طلبنا مقابلتهم أخبرونا أنهم يشعرون بالحاجة إلى «استشارة المكتبة» قبل إجراء المقابلة. وفي آخر الأمر لم نقم بزيارة المكتبة.

وكان جيمس ليزر محامياً وساحراً من سحرة قانون حرية المعلومات، فخاض معارك مع الوكالات المشاكسة مرة أخرى. وأجرى تيري مورفي على الصور القديمة عمليات كالسحر، وهو ما فعله جون لومبارد بأجهزة الكومبيوتر. كما أن باتريك فارِنْ وآليكس إنترناشنال جعلا كميات هائلة من الكتب والأوراق تسافر جيئة وذهاباً عبر الأطلسي. وقام سيمي كيرمان وستيڤن هارون ونانسي بولي بتخزين أبحاثنا في سراديب بيوتهم. وقدم لاري وليسلي دونالد الضيافة لنا في ديلاوير. كما قدم لنا مايكل وب.ج. ديمبسي الملجأ بعد أن تعرضنا للسطو تحت فوهة السلاح.

ورغم كل المتاعب والمصاعب، لا تزال جانيت ماندي مستعدة للعمل كمساعدة لنا، بعد أكثر من عشر سنوات، وقامت زفينكا كلينْفِلْدْ بإدارة المكتب أثناء مهمات البحث في الولايات المتحدة. وقد تصارعت جنيڤر أوليري مع الفصول الأولى المبكرة من هذا الكتاب في ميناء كورك بإيرلندا. وكانت بولين لومبارد تتقن التعامل مع الملفات ونظم الأشرطة وأعداد هائلة من الكتب في قاعدتنا الإيرلندية. وقام كل من جيني وسالي بريتين، وجيني بارلو، وبريدا

أوكونيل، وآن دالتون وآن ـ ماري روناين بتصوير مئات الألوف من الصفحات من الوثائق على مدى السنوات. وقاد جيمس روناين سيارته ألوف الأميال من المطارات ومكاتب النقل وإليها. وكان تيدي روان صديقاً موثوقاً يهرع لإنقاذنا كلما احتجنا إلى مزيد من الأيدي.

وأقدم الشكر خالصاً لمحرري في دار ڤايكنغ للنشر، ريك كوت الموهوب، ومساعده بريت كيلي، وكذلك لِتوري كلوز، مدير التحرير الذي جعل جدولاً مجنوناً شيئاً قابلاً للتشغيل. أما ملكة النشر الخارقة للعادة في نيويورك فيليس غران فقد ضمنت بقاء الكتاب ومؤلفه عبر عملية ولادة شاقة مرهقة استغرقت خمس سنوات. وعرفت واين لوسون الجواب الصحيح مرة أخرى في **معرض الغرور** Vanity Fair. وقدم لي وكيلاي، ستيرلينغ لورد في نيويورك، وجوناثان لويد في كيرتيس براون بلندن الحس العملي التجاري والصداقة بمقادير متساوية. كما أن بيل كران، زميلي السابق في هيئة الإذاعة البريطانية، وهو على رأس عمله في شركته الحرة المتميزة للأفلام الوثائقية، المعروفة باسم Invision Production، قد استخرج فلمين صمّمهما من هيكل مخطوطاتنا المسودة لصالح القناة التاريخية في تلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية.

غير أن القوة الحقيقية الدائمة التي وقفت خلفنا كانت قوة أسرتنا. ذلك أن الحب والفهم اللذين أحاطنا بهما بوب وتيري سوان، والدا زوجتي روبين، كان لهما دورٌ مركزي في الإبقاء على ارتفاع روحنا المعنوية. أمّا أطفالنا الخمسة، من أكبرهم إلى أصغرهم، فقد كان لديهم سبب وجيه للغيظ من وجود مشروع نيكسون في حياتهم على مدى خمس سنوات. غير أن الجهد كله كان، بمعان مختلفة، مبذولاً من أجلهم.

آ. س و ر. س.

إيرلندا سنة 2000

المصادر والمراجع

Books About Richard Nixon

Abrahamsen, David, M.D. *Nixon vs. Nixon.* New York: Farrar, Straus & Giroux, 1977.
Aitken, Jonathan. *Nixon: A Life.* Washington, D.C.: Regnery, 1993.
Allen, Gary. *Richard Nixon.* Boston: Western Islands, 1971.
Ambrose, Stephen E. *Nixon: The Education of a Politician, 1913–1961.* New York: Simon & Schuster, 1987.
———. *Nixon: The Triumph of a Politician, 1962–1972.* New York: Simon & Schuster, 1989.
———. *Nixon: Ruin and Recovery, 1973–1990.* New York: Simon & Schuster, 1991.
Andrew, Christopher. *For the President's Eyes Only.* New York: HarperCollins, 1995.
Andrews, Philip. *This Man Nixon.* Philadelphia: John Winston, 1952.
Anson, Robert Sam. *Exile.* New York: Simon & Schuster, 1984.
Brodie, Fawn M. *Richard Nixon.* New York: W. W. Norton, 1981.
Cavan, Sherri. *20th Century Gothic: America's Nixon.* San Francisco: Wigan Pier Press, 1979.
Chesen, Eli S., M.D. *President Nixon's Psychiatric Profile.* New York: Peter Wyden, 1973.
Costello, William. *The Facts About Nixon.* New York: Viking, 1960.
Crowley, Monica. *Nixon Off the Record.* New York: Random House, 1997.
———. *Nixon in Winter.* New York: Random House, 1998.
Elliott, Charles, Jr. *Whittaker College: The First Century on the Poet Campus.* Redondo Beach, CA: Legends Press, 1986.
Evans, Rowland and Robert D. Novak. *Nixon in the White House.* London: Davis-Poynter, 1971.
Gardner, Richard. *Fighting Quaker.* Unpub. ms. held at Whittier College, Whittier, CA.
Gellman, Irwin, F. *The Contender: Richard Nixon, The Congress Years 1946–1952.* New York: The Free Press, 1999.
Hamburg, Eric, ed. *Nixon: An Oliver Stone Film.* New York: Hyperion, 1995.
Higgins, George V. *The Friends of Richard Nixon.* New York: Ballantine, 1974.
Hoff, Joan. *Nixon Reconsidered.* New York: Basic Books, 1994.
Hoyt, Edwin P. *The Nixons: An American Family.* New York: Random House, 1972.
Korff, Baruch. *The President and I.* Providence, RI: Baruch Korff Foundation, 1995.
Kornitzer, Bela. *The Real Nixon.* New York: Rand McNally, 1960.
Lurie, Leonard. *The Running of Richard Nixon.* New York: Coward, McCann & Geoghegan, 1972.
Mankiewicz, Frank. *Perfectly Clear.* New York: Quadrangle, 1973.
Mazlish, Bruce. *In Search of Nixon.* New York: Basic Books, 1972.
Mazo, Earl. *Richard Nixon.* New York: Avon, 1960.
——— and Stephen Hess. *President Nixon: A Political Portrait.* London: McDonald, 1968.
Morris, Roger. *Richard Milhous Nixon.* New York: Henry Holt, 1990.
Oudes, Bruce. *From: The President.* London: André Deutsch, 1989.
Parmet, Herbert S. *Richard Nixon and His America.* Boston: Little, Brown, 1990.
Price, Raymond. *With Nixon.* New York: Viking, 1977.
Rather, Dan and Gary Paul Gates. *The Palace Guard.* New York: Harper & Row, 1974.

Safire, William. *Before the Fall.* New York: Belmont Tower Books, 1975.
Schell, Jonathan. *The Time of Illusion.* New York: Alfred Knopf, 1975.
Schlesinger, Arthur M., Jr. *The Imperial Presidency.* Boston: Houghton Mifflin, 1973.
Schulte, Renée K. *The Young Nixon: An Oral Inquiry.* Fullerton, CA: California State University, 1978.
Spalding, Henry D. *The Nixon Nobody Knows.* New York: Jonathan David, 1972.
Strober, Gerald S. and Deborah Hart Strober. *Nixon: An Oral History of His Presidency.* New York: HarperCollins, 1994.
Sulzberger, C.L. *The World and Richard Nixon.* New York: Prentice-Hall, 1987.
Toledano, Ralph de. *Nixon.* New York: Duell, Sloan and Pearse, 1960.
———. *One Man Alone: Richard Nixon.* New York: Funk & Wagnalls, 1969.
Turner, William. *Nixon's Vendetta and the Old Boy Network, Part VII.* Unpub. ms. 1986.
Volkan, Vamik, Norman Itzkowitz, and Andrew Dod. *Richard Nixon: A Psychobiography.* New York: Columbia University Press, 1997.
Voorhis, Jerry. *The Strange Case of Richard Milhous Nixon.* New York: Popular Library, 1973.
Wicker, Tom. *One of Us.* New York: Random House, 1991.
Wills, Garry. *Nixon Agonistes.* Boston: Houghton Mifflin, 1970.
Witcover, Jules. *The Resurrection of Richard Nixon.* New York: G. P. Putnam's Sons, 1970.
Woodstone, Arthur. *Nixon's Head.* New York: St. Martin's Press, 1972.

On Richard Nixon's Campaigns

Alsop, Stewart. *Nixon and Rockefeller.* New York: Doubleday, 1960.
Chester, Lewis, Godfrey Hodgson, and Bruce Page. *An American Melodrama: The Presidential Campaign of 1968.* New York: Viking, 1969.
Crouse, Timothy. *The Boys on the Bus.* New York: Ballantine, 1973.
Harris, Mark. *Mark the Glove Boy.* New York: Macmillan, 1964.
Pearl, Arthur. *Landslide: The Hows and Whys of Nixon's Victory.* Seacaucus, NJ: Citadel, 1973.
McGinniss, Joe. *The Selling of the President.* New York: Penguin, 1988.
Sevareid, Eric, ed. *Candidates 1960.* New York: Basic Books, 1959.
Schynkel, Sharon Lee. *A Thesis on Speeches by R.N. from 1960 & 1969 Presidential Campaigns.* Whittier, CA: Whittier College, June 1969.
White, Theodore H. *America in Search of Itself: The Making of the President 1956–1980.* Norwalk, CT: Easton Press, 1986.
———. *The Making of the President 1960.* New York: Atheneum, 1962.
———. *The Making of the President 1964.* New York: Atheneum, 1965.
———. *The Making of the President 1968.* New York: Atheneum, 1969.
———. *The Making of the President 1972.* New York: Atheneum, 1973.
Witcover, Jules. *1968: The Year the Dream Died.* New York: Warner Books, 1997.

Books by Richard Nixon

In the Arena. New York: Touchstone, 1990.
Leaders. New York: Touchstone, 1990.
The Memoirs of Richard Nixon. New York: Simon & Schuster, 1990.
1999: Victory Without War. New York: Simon & Schuster, 1988.
Real Peace/No More Vietnams. New York: Touchstone, 1990.
The Real War. New York: Touchstone, 1990.
Seize the Moment. New York: Simon & Schuster, 1992.
Six Crises. Garden City, NY: Doubleday, 1962.

On Pat Nixon

David, Lester. *The Lonely Lady of San Clemente.* New York: Thomas Crowell, 1978.
Eisenhower, Julie Nixon. *Pat Nixon: The Untold Story.* New York: Simon & Schuster, 1986.
Troy, Gil. *Affairs of State.* New York: The Free Press, 1997.

On the Hiss Case

Andrews, Bert and Peter. *A Tragedy of History: A Journalist's Confidential Role in the Hiss-Chambers Case.* Washington, D.C.: Robert B. Luce, 1962.
Haynes, John Earl and Harvey Klehr. *Venona: Decoding Soviet Espionage in America.* New Haven, CT: Yale University Press, 1999.
Levitt, Morton and Michael. *A Tissue of Lies: Nixon vs. Hiss.* New York: McGraw Hill, 1979.
Reuben, William A. *The Honorable Mr. Nixon.* New York: Action Books, 1956.
Smith, John Chabot. *Alger Hiss: The True Story.* New York: Penguin, 1977.
Tanenhaus, Sam. *Whittaker Chambers.* New York: Random House, 1997.

Weinstein, Allen. *Perjury: The Hiss-Chambers Case.* New York: Random House, 1997.
——— and Alexander Vassiliev. *The Haunted Wood: Soviet Espionage in America, The Stalin Era.* New York: Random House, 1999.
West, Nigel. *Venona: The Greatest Secret of the Cold War.* London: HarperCollins, 1999.
Zeligs, Meyer A. *Friendship or Fratricide.* New York: Viking, 1967.

On the McCarthy Years

Caute, David. *The Great Fear.* New York: Simon & Schuster, 1978.
Oshinsky, David M. *A Conspiracy So Immense: The World of Joe McCarthy.* New York: Free Press, 1983.

On Helen Gahagan Douglas

Mitchell, Greg. *Tricky Dick and the Pink Lady.* New York: Random House, 1998.

On Nixon's Vice Presidential Years

Keogh, James. *This Is Nixon.* New York: G. P. Putnam's Sons, 1956.
The Speeches of Vice President Richard M. Nixon Presidential Campaign of 1960. Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office, 1961.

On Nixon and John F. Kennedy

Beschloss, Michael. *The Crisis Years: Kennedy and Khrushchev 1960–1963.* New York: HarperCollins, 1991.
Collier, Peter and David Horowitz. *The Kennedys: An American Drama.* London: Pan Books, 1984.
Halberstam, David. *The Best and the Brightest.* New York: Random House, 1969.
Hersh, Seymour. *The Dark Side of Camelot.* New York: Little, Brown, 1997.
Matthews, Christopher. *Kennedy and Nixon.* New York: Simon & Schuster, 1986.

On the Nixon Presidency

Atkins, Ollie. *The White House Years.* Chicago: Playboy Press, 1977.
Buchanan, Patrick J. *The New Majority.* Philadelphia: Girard Bank, 1973.
Doyle, William. *Inside the Oval Office.* New York: Kodansha International, 1999.
Johnson, George W., ed. *The Nixon Presidential Press Conferences.* New York: Earl M. Coleman 1978.
Kessler, Ronald. *Inside the White House.* New York: Pocket Books, 1993.
Kutler, Stanley. *Abuse of Power.* New York: The Free Press, 1997.
Mollenhoff, Clark R. *Game Plan for Disaster.* New York: W. W. Norton, 1976.
Nathan, Richard. *The Plot That Failed: Nixon and the Administrative Presidency.* New York: John Wiley, 1975.
Osborne, John. *The Nixon Watch.* New York: Liveright, 1970.
———. *The Second Year of the Nixon Watch.* New York: Liveright, 1971.
———. *The Third Year of the Nixon Watch.* New York: Liveright, 1972.
———. *The Fourth Year of the Nixon Watch.* New York: Liveright, 1973.
———. *The Fifth Year of the Nixon Watch.* New York: Liveright, 1974.
———. *The Last Nixon Watch.* Washington D.C.: New Republic Book Company, 1975.
Osgood, Robert, et al. *Retreat from Empire: The First Nixon Administration.* Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1973.
Reichley, A. James. *Conservatives in an Age of Change.* Washington D.C.: The Brookings Institute, 1981.
Schell, Jonathan. *Observing the Nixon Years.* New York: Pantheon, 1989.
Schoenebaum, Eleanora, Ph.D. *Profiles of an Era: The Nixon/Ford Years.* New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1979.
Small, Melvin. *The Presidency of Richard Nixon.* Lawrence, KS: University Press of Kansas, 1999.
Smith, Howard. *Every Four Years: A Study of the Presidency.* Philadelphia, PA: WHYY, 1980.
Spear, Joseph. *Presidents and the Press.* Cambridge, MA: MIT Press, 1984.
Staff of the Miller Center, eds., University of Virginia. *The Nixon Presidency: 22 Intimate Perspectives of Richard M. Nixon.* Lanham, MD: University Press of America, 1987.
Whalen, Richard. J. *Catch the Falling Flag.* Boston: Houghton Mifflin, 1972.

On Nixon's Policies

Brandon, Henry. *The Retreat of American Power.* New York: Doubleday, 1973.
Bundy, William. *A Tangled Web: The Making of Foreign Policy in the Nixon White House.* New York: Hill and Wang, 1998.
Dent, Harry S. *The Prodigal South Returns to Power.* New York: John Wiley, 1978.

Keogh, James. *President Nixon and the Press.* New York: Funk & Wagnalls, 1972.
O'Reilly, Kenneth. *Nixon's Piano.* New York: Free Press, 1995.
Ravenal, Earl C. *Large Scale Foreign Policy Change: The Nixon Doctrine as History and Portent.* Berkeley, CA: University of California, 1989.
Schurmann, Franz. *The Foreign Politics of Richard Nixon.* Berkeley, CA: University of California, 1987.
Sulzberger, C.L. *The World and Richard Nixon.* New York: Prentice-Hall, 1987.
Szulc, Tad. *The Illusion of Peace.* New York: Viking, 1978.
Thornton, Richard C. *The Nixon-Kissinger Years.* New York: Paragon House, 1989.

On Spiro Agnew

Agnew, Spiro T. *Go Quietly or Else.* New York: William Morrow, 1980.
Cohen, Richard, and Jules Witcover. *A Heartbeat Away.* New York: Viking, 1974.
Hoffman, Paul. *Spiro.* New York: Tower Publications, 1971.
Witcover Jules. *White Knight: The Rise of Spiro Agnew.* New York: Random House, 1972.

On Henry Kissinger

Blumenfeld, Ralph and the Staff and Editors of the *New York Post. Henry Kissinger.* New York: New American Library, 1974.
Hersh, Seymour. *The Price of Power.* New York: Summit, 1983.
Isaacson, Walter. *Kissinger.* New York: Simon & Schuster, 1992.
Kalb, Martin and Bernard. *Kissinger.* Boston: Little, Brown, 1974.
Kissinger, Henry. *White House Years.* Boston: Little, Brown, 1979.
———. *Years of Upheaval.* Boston: Little, Brown, 1982.
———. *Years of Renewal.* New York: Simon & Schuster, 1999.
Morris, Roger. *Uncertain Greatness.* New York: Harper & Row, 1977.
Valeriani, Richard. *Travels with Henry.* Boston: Houghton Mifflin, 1979.

On Vietnam

Bui Diem and David Chanoff. *In the Jaws of History.* Boston: Houghton Mifflin, 1987.
Chennault, Anna. *The Education of Anna.* New York: Times Books, 1980.
Currey, Cecil, B. *Edward Lansdale: The Unquiet American.* Boston: Houghton Mifflin, 1988.
DeBenedetti, Charles, assisted by Charles Chatfield. *An American Ordeal: The Antiwar Movement of the Vietnam Era.* Syracuse, NY: Syracuse University Press, 1990.
Dietz, Terry. *Republicans and Vietnam.* New York: Greenwood Press, 1986.
Karnow, Stanley. *Vietnam: A History.* London: Pimlico, 1991.
McNamara, Robert S. with Brian VanDeMark. *In Retrospect.* New York: Random House, 1995.
Nguyen Tien, Hung and Jerrold Schecter. *The Palace File.* New York: Harper & Row, 1986.
Plaster, John L. *SOG: The Secret Wars of America's Commandos in Vietnam.* New York: Simon & Schuster, 1997.
Podhoretz, Norman. *Why We Were in Vietnam.* New York: Simon & Schuster, 1982.
Prados, John. *The Sky Would Fall: Operation Vulture, The U.S. Bombing Mission in Indochina, 1954.* New York: Dial Press, 1983.
Pratt, John Clark. *Vietnam Voices: Perspectives on the War Years 1941–1982.* New York: Viking, 1984.
Rudenstine, David. *The Day the Presses Stopped.* Berkeley, CA: University of California, 1996.
Scott, Peter Dale. *The War Conspiracy.* New York: Bobbs-Merrill Company, 1972.
Shawcross, William. *Sideshow.* New York: Pocket Books, 1970.
Sheehan, Neil. *A Bright Shining Lie.* London: Jonathan Cape, 1989.
Ungar, Sanford J. *The Papers and the Papers.* New York: Dutton, 1972.

Books by Individuals Associated with the Watergate Scandal

Colson, Charles W. *Born Again.* New York: Bantam, 1976.
———. *Life Sentence.* Lincoln, VA: Chosen Books, 1979.
——— with Ellen Santilli Vaughan. *Kingdoms in Conflict.* New York: William Morrow, 1987.
Connally, John with Mickey Herskowitz. *In History's Shadow.* New York: Hyperion, 1993.
Dean, John. *Blind Ambition.* New York: Simon & Schuster, 1976.
———. *Lost Honor.* Los Angeles: Stratford Press, 1982.
Ehrlichman, John. *Witness to Power.* New York: Pocket Books, 1982.
Garment, Leonard. *Crazy Rhythm.* New York: Random House, 1997.
Haldeman, H.R. with Joseph DiMona. *The Ends of Power.* New York: Times Books, 1978.
Haldeman, H.R. *The Haldeman Diaries.* New York: Putnam, 1994.
Hunt, E. Howard. *Give Us This Day.* New York: Arlington House, 1973.
———. *Undercover.* New York: Berkeley, 1974.

Kleindienst, Richard. *Justice*. Ottawa: Jameson Books, 1985.
Liddy, Gordon. *Will*. New York: St. Martin's, 1980.
McCord, James W. *A Piece of Tape: The Watergate Story, Fact and Fiction*. Rockville, MD: Washington Media Services, 1974.
Magruder, Jeb Stuart. *An American Life*. New York: Atheneum, 1974.
———. *From Power to Peace*. Waco, TX: Work Books, 1978.
Malek, Frederick V. *Washington's Hidden Tragedy*. New York: The Free Press, 1978.
O'Brien, Lawrence. *No Final Victories*. New York: Doubleday, 1974.
Stans, Maurice H. *The Terrors of Justice*. New York: Everest House, 1978.
———. *One of the Presidents' Men: Twenty Years with Eisenhower and Nixon*. Washington, D.C.: Brassey's, 1995.
Ulasewicz, Tony with Stuart A. McKeever. *The President's Private Eye: The Journey of Detective Tony U. from N.Y.P.D. to the Nixon White House*. Westport, CT: MACSAM, 1990.

Books by or About Watergate Probers

Annis, J. Lee, Jr. *Howard Baker*. New York: Madison Books, 1995.
Ben-Veniste, Richard and George Frampton, Jr. *Stonewall*. New York: Simon & Schuster, 1977.
Cox, Archibald. *The Court and the Constitution*. Boston: Houghton Mifflin, 1987.
Dash, Samuel. *Chief Counsel*. New York: Random House, 1976.
Doyle, James. *Not Above the Law*. New York: William Morrow, 1977.
Ervin, Sam J., Jr. *The Whole Truth*. New York: Random House, 1980.
Gormley, Ken. *Archibald Cox: Conscience of a Nation*. Reading, MA: Perseus Books, 1997.
Jaworski, Leon. *The Right and the Power*. New York: Reader's Digest Press, 1976.
——— with Mickey Herskowitz. *Confession and Avoidance*. New York: Anchor Press, 1979.
——— with Dick Schneider. *Crossroads*. Elgin, IL: David Cook, 1981.
Sirica, John J. *To Set the Record Straight*. New York: W. W. Norton, 1979.
Thompson, Fred D. *At That Point in Time*. New York: Quadrangle, Times Books, 1975.
Zeifman, Jerry. *Without Honor*. New York: Thunder's Mouth Press, 1995.

Books on Watergate

Berger, Raoul. *Impeachment*. New York: Bantam/Harvard University Press, 1974.
Bernstein, Carl and Bob Woodward. *All the President's Men*. New York: Simon & Schuster, 1974.
Black, Charles L., Jr. *Impeachment: A Handbook*. New Haven, CT: Yale University Press, 1974.
Breslin, Jimmy. *How the Good Guys Finally Won*. New York: Viking, 1975.
Buschel, Lee, Al Robbins, and Bill Vitka. *The Watergate File*. New York: Flash Books, 1973.
Chester, Lewis with Cal McCrystal, Stephen Aris, and William Shawcross. *Watergate*. New York: Ballantine Books, 1973.
Colodny, Len and Robert Gettlin. *Silent Coup*. New York: St. Martin's, 1991.
Dent, Harry S. *Coverup*. San Bernardino, CA: Here's Life Publishers, 1986.
Dobrovir, William with Joseph Gebhardt, Samuel Buffone, and Andra Oakes. *The Offenses of Richard M. Nixon: A Guide for the People of the U.S.* New York: Quadrangle, 1974.
Dorman, Michael. *Dirty Politics*. New York: Delacorte Press, 1979.
Drew, Elizabeth. *Washington Journal*. New York: Random House, 1975.
Edmondson, Madeleine and Alden Duer Cohen. *The Women of Watergate*. New York: Pocket, 1975.
Emery, Fred. *Watergate: The Corruption of American Politics and the Fall of Richard Nixon*. New York: Times Books, 1994.
Fields, Howard. *High Crimes and Misdemeanors*. New York: W. W. Norton, 1978.
Friedman, Leon. *United States v. Nixon*. New York: Chelsea House, 1974.
Frost, David. *I Gave Them a Sword*. New York: William Morrow, 1978.
Havill, Adrian. *Deep Truth*. New York: Birch Lane Press, 1993.
Hougan, Jim. *Secret Agenda*. New York: Random House, 1984.
Knappman, Edward W. *Watergate and the White House, June 1972–September 1974, Vols. 1, 2, 3, 4*. New York: Facts on File, 1973–1974.
Kurland, Philip. *Watergate and the Constitution*. Chicago: University of Chicago Press, 1978.
Kutler, Stanley. *The Wars of Watergate*. New York: Alfred A. Knopf, 1990.
Lasky, Victor. *It Didn't Start with Watergate*. New York: Dell, 1977.
Lukas, Anthony. *Nightmare*. New York: Penguin, 1988.
Lurie, Leonard. *The Impeachment of Richard Nixon*. New York: Berkley, 1973.
McCarthy, Mary. *The Mask of State: Watergate Portraits*. New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1974.
McMenamin, Michael and Walter McNamara. *Milking the Public*. Chicago, IL: Nelson-Hall, 1980.
Mankiewicz, Frank. *Nixon's Road to Watergate*. London: Hutchinson, 1973.

———. *U.S. vs. Richard M. Nixon*. New York: Quadrangle, 1975.
Miller, Marvin. *The Breaking of a President, Vols 1, 2, 3, 4*. City of Industry, CA: Collectors Publications, 1974, 1975.
Oglesby, Carl. *The Yankee and Cowboy Wars*. Mission, KS: Sheed, Andrews and McMeel, 1976.
Rangall, Leo. *The Mind of Watergate*. New York: W. W. Norton, 1980.
Schudson, Michael. *Watergate in American History*. New York: Basic Books, 1992.
Shannon, William. *They Could Not Trust the King*. New York: Collier Books, 1974.
Smith, Franklin B. *The Assassination of President Nixon*. Rutland, VT: Academy Books, 1976.
Smith, Myron J. *Watergate: An Annotated Bibliography of Sources in English, 1972–1982*. Metuchen, NJ: Scarecrow Press, 1983.
Sussman, Barry. *The Great Coverup*. Arlington, VA: Seven Locks Press, 1992.
Szulc, Tad. *Compulsive Spy*. New York: Viking, 1974.
The Staff of the *New York Times*, eds. *The End of Presidency*. New York: Bantam, 1974.
———. *The White House Transcripts*. New York: Bantam, 1974.
The Staff of the *Washington Post*, eds. *The Presidential Transcripts*. New York: Dell, 1974.
———. *The Fall of a President*. New York: Dell, 1974.
Weissman, Steve. *Big Brother and the Holding Company*. Palo Alto, CA: Ramparts Press, 1974.
White, Theodore, H. *Breach of Faith*. London: Jonathan Cape, 1975.
Woodward, Bob and Carl Bernstein. *The Final Days*. New York: Avon, 1976.
Woodward, Bob. *Shadow: Five Presidents and the Legacy of Watergate*. New York: Simon & Schuster, 1999.
Woodward, C. Vann. *Responses of the Presidents to Charges of Misconduct*. New York: Dell, 1974.

On Alexander Haig

Haig, Alexander, Jr., with Charles McGarry. *Inner Circles*. New York: Warner Books, 1992.
Morris, Roger. *Haig: The General's Progress*. Chicago: Playboy Press, 1982.

On Gerald Ford

Cannon, James. *Time and Chance*. New York: HarperCollins, 1993.
Ford, Gerald R. *A Time to Heal*. Norwalk, CT: Easton Press, 1987.
Hartmann, Robert T. *Palace Politics*. New York: McGraw-Hill, 1980.
Mollenhoff, Clark R. *The Man Who Pardoned Nixon*. New York: Giniger, in association with St. Martin's Press, 1976.

On Financial Irregularity

Bahama Islands, Report of the Commission of Inquiry into the Operation of the Business of Casinos in Freeport and in Nassau. London: H.M.S.O., 1967.
Examination of President Nixon's Tax Returns for 1969 through 1972. Washington D.C.: U.S. Government Printing Office, 1974.
Howe, Russell U. W. and Sarah Hays Trott. *The Power Peddlers: How Lobbyists Mold America's Foreign Policy*. Garden City, NY: Doubleday, 1977.

On Howard Hughes

Barlett, Donald L. and James B. Steele. *Empire*. New York: W. W. Norton, 1979.
Bellett, Gerald. *Age of Secrets*. Ogdensberg, NY: Voyageur North America, 1995.
Brown, Peter Harry and Pat H. Broeske. *Howard Hughes: The Untold Story*. New York: Signet, 1997.
Davenport, Elaine with Paul Eddy and Mary Hurwitz. *The Hughes Papers*. London: André Deutsch, 1977.
Dietrich, Noah with Bob Thomas. *Howard: The Amazing Mr. Hughes*. Greenwich, CT: Fawcett, 1972.
Drosnin, Michael. *Citizen Hughes*. New York: Bantam, 1985.
Higham, Charles. *Howard Hughes: The Secret Life*. New York: Putnam, 1993.
Maheu, Robert and Richard Hack. *Next to Hughes*. New York: HarperCollins, 1992.
North-Broome, Nicholas. *The Hughes-Nixon Loan*. New York: American Public Affairs Institute, 1972.
Schemmer, Benjamin F. *The Howard Hughes Affair*. Unpub. ms., supplied to author by Schemmer.

On Robert Vesco

Eisenhauer, A.L. with Robin Moore and Robert J. Flood. *The Flying Carpetbagger*. New York: Pinnacle Books, 1976.
Herzog, Arthur. *Vesco*. New York: Doubleday, 1987.
Hutchison, Robert. *Vesco*. New York: Praeger, 1974.

On Jimmy Hoffa

Moldea, Dan E. *The Hoffa Wars.* New York: Paddington Press, 1978.
Mollenhoff, Clark. *Tentacles of Power: The Story of Jimmy Hoffa.* New York: World, 1965.
Sheridan, Walter. *The Fall and Rise of Jimmy Hoffa.* New York: Saturday Review Press, 1972.

On Organized Crime

Block, Alan. *Masters of Paradise: Organized Crime and the Internal Revenue Service in the Bahamas.* New Brunswick, NJ: Transaction Publishers, 1991.
Cohen, Mickey as told to John Peer Nugent. *Mickey Cohen.* Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1975.
Eisenberg, Dennis with Uri Dan and Eli Landau. *Meyer Lansky: Mogul of the Mob.* New York: Paddington Press, 1979.
Lacey, Robert. *Little Man.* Boston: Little, Brown, 1991.
Messick, Hank. *Lansky.* New York: Berkley, 1973.
Mollenhoff, Clark. *Strike Force: Organized Crime and the Government.* Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1972.
Ragano, Frank and Selwyn Raab. *Mob Lawyer.* New York: Scribner's, 1994.
Rappleye, Charles and Ed Becker. *All American Mafioso: The Johnny Roselli Story.* Garden City, NY: Doubleday, 1991.
Scheim, David. *Contract on America: The Mafia Murder of President John F. Kennedy.* New York: Shapolsky, 1988.
Sifakis, Carl. *The Mafia File: The A–Z of Organized Crime in America.* Wellingborough, U.K.: Equation/Thorsons, 1987.

On Intelligence-Related Subjects

Donner, Frank. *The Age of Surveillance: The Aims and Methods of America's Political Intelligence System.* New York: Vintage, 1980.
Grose, Peter. *Gentleman Spy: The Life of Allen Dulles.* Amherst, MA: University of Massachusetts Press, 1994.
Hinckle, Warren and William Turner. *Deadly Secrets.* New York: Thunder's Mouth, 1981.
Hougan, Jim. *Spooks.* New York: William Morrow, 1978.
Loftus, John and Mark Aarons. *The Secret War Against the Jews: How Western Espionage Betrayed the Jewish People.* New York: St. Martin's Press, 1994.
Powers, Thomas. *The Man Who Kept the Secrets.* New York: Pocket Books, 1979.
Prados, John. *The President's Secret Wars.* New York: William Morrow, 1986.
Ranelagh, John. *The Agency: The Rise and Decline of the CIA.* New York: Simon & Schuster, 1986.
Rositzke, Harry. *The CIA's Secret Operations.* New York: Reader's Digest Press, 1977.
Smith, Joseph B. *Portrait of a Cold Warrior.* New York: G. P. Putnam's Sons, 1976.
Sudaplatov, Pavel. *Special Tasks.* Boston: Little, Brown, 1994.
Thomas, Evan. *The Very Best Men.* New York: Simon & Schuster, 1995.
Wise, David. *The Politics of Lying.* New York: Random House, 1973.
———. *The American Police State.* New York: Random House, 1976.
——— and Thomas Ross. *The Espionage Establishment.* New York: Bantam, 1967.

Biographies and Autobiographies

Anderson, Jack with George Clifford. *The Anderson Papers.* New York: Ballantine, 1974.
Ashman, Charles and Sheldon Engelmayer. *Martha: The Mouth That Roared.* New York: Berkley Medallion, 1973.
Bauer, Stephen. *At Ease in the White House.* New York: Birch Lane Press, 1991.
Bradlee, Ben. *A Good Life.* New York: Simon & Schuster, 1995.
Bryant, Traphes with Frances Spatz Leighton. *Dog Days at the White House.* New York: Macmillan, 1975.
Buchanan, Patrick J. *Right from the Beginning.* Washington D.C.: Regnery Gateway, 1990.
Carter, Dan. *The Politics of Rage: George Wallace: The Origins of the New Conservatism and the Transformation of American Politics.* New York: Simon & Schuster, 1995.
Cheshire, Maxine with John Greenya. *Maxine Cheshire, Reporter.* Boston: Houghton Mifflin, 1978.
Clifford, Clark with Richard Holbrooke. *Counsel to the President.* New York: Random House, 1991.
Dallek, Robert. *Hail to the Chief.* New York: Hyperion, 1996.
Davis, Deborah. *Katharine the Great.* New York: Sheridan Square, 1991.

Dean, Maureen with Hays Gorey. *Mo: A Woman's View of Watergate.* New York: Simon & Schuster, 1975.
Goldwater, Barry. *With No Apologies.* New York: William Morrow, 1979.
Graham, Katharine. *Personal History.* New York: Knopf, 1997.
Gubernick, Lisa Rebecca. *The Life and Times of Huntington Hartford.* New York: Putnam, 1991.
Gulley, Bill with Mary Ellen Reese. *Breaking Cover.* New York: Simon & Schuster, 1980.
Harding, Luke with David Leigh and David Pallister. *The Liar: The Fall of Jonathan Aitken.* London: Penguin, 1997.
Hillings, Patrick with Howard Seelye. *The Irrepressible Irishman: A Republican Insider,* privately published, 1993.
Hollander, Xaviera with Robin Moore and Yvonne Dunleavy. *The Happy Hooker.* New York: Dell, 1972.
Hollander, Xaviera. *Xaviera: Her Continuing Adventures.* New York: Warner, 1973.
Hutschnecker, Arnold. *The Drive for Power.* New York: Evans, 1974.
———. *The Will to Live.* New York: Simon & Schuster, 1983.
Klein, Herbert G. *Making It Perfectly Clear.* New York: Doubleday, 1980.
McLendon, Winzola. *Martha.* New York: Random House, 1979.
Miller, William Fishbait. *Fishbait: The Memoirs of the Congressional Doorkeeper.* Englewood Cliffs, NJ: Prentice-Hall, 1977.
Nofziger, Lyn. *Nofziger.* Washington D.C.: Regnery Gateway, 1992.
Obst, David. *Too Good to Be Forgotten.* New York: Wiley, 1998.
O'Neill, Tip with William Novak. *Man of the House: The Life and Political Memoirs of Tip O'Neill.* New York: Random House, 1987.
Pierpoint, Robert. *At the White House: Assignment to Six Presidents.* New York: G. P. Putnam's Sons, 1981.
Pilat, Oliver. *Drew Pearson: An Unauthorized Biography.* New York: Pocket Books, 1973.
Reston, James, Jr. *Lone Star: The Life of John Connally.* New York: Harper & Row, 1989.
Rush, George. *Confessions of an Ex-Secret Service Agent.* New York: Donald I. Fine, 1988.
Ruskin, Jonah. *For the Hell of It: The Life and Times of Abbie Hoffman.* Berkeley: University of California Press, 1995.
Schlesinger, Arthur M., Jr. *A Thousand Days: John F. Kennedy in the White House.* Boston: Houghton Mifflin, 1965.
———. *Robert Kennedy and His Times.* Boston: Houghton Mifflin, 1978.
Schorr, Daniel. *Clearing the Air.* New York: Berkley, 1978.
terHorst, J.F. and Col. Ralph Albertazzie. *The Flying White House: The Story of Air Force One.* New York: Coward, McCann and Geoghegan, 1979.
Thomas, Evan. *The Man to See.* New York: Simon & Schuster, 1991.
Trento, Susan B. *The Power House: Robert Keith Gray and the Selling of Access and Influence in Washington.* New York: St. Martin's, 1992.
Walters, Vernon A. *Silent Missions.* New York: Doubleday, 1978.
Wills, Garry. *Reagan's America: Innocents at Home.* Garden City, NY: Doubleday, 1987.
Zumwalt, Elmo R., Jr. *On Watch.* Arlington, VA: Admiral Zumwalt & Consultants, 1976.

الفهرس



ISBN 9960-40-675-8 ردمك:

موضوع الكتاب: ريتشارد نيكسون، رئيس ال

موقعنا على الانترنت:
http://www.obeikanbooks.com